الجزء الثامن

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليه





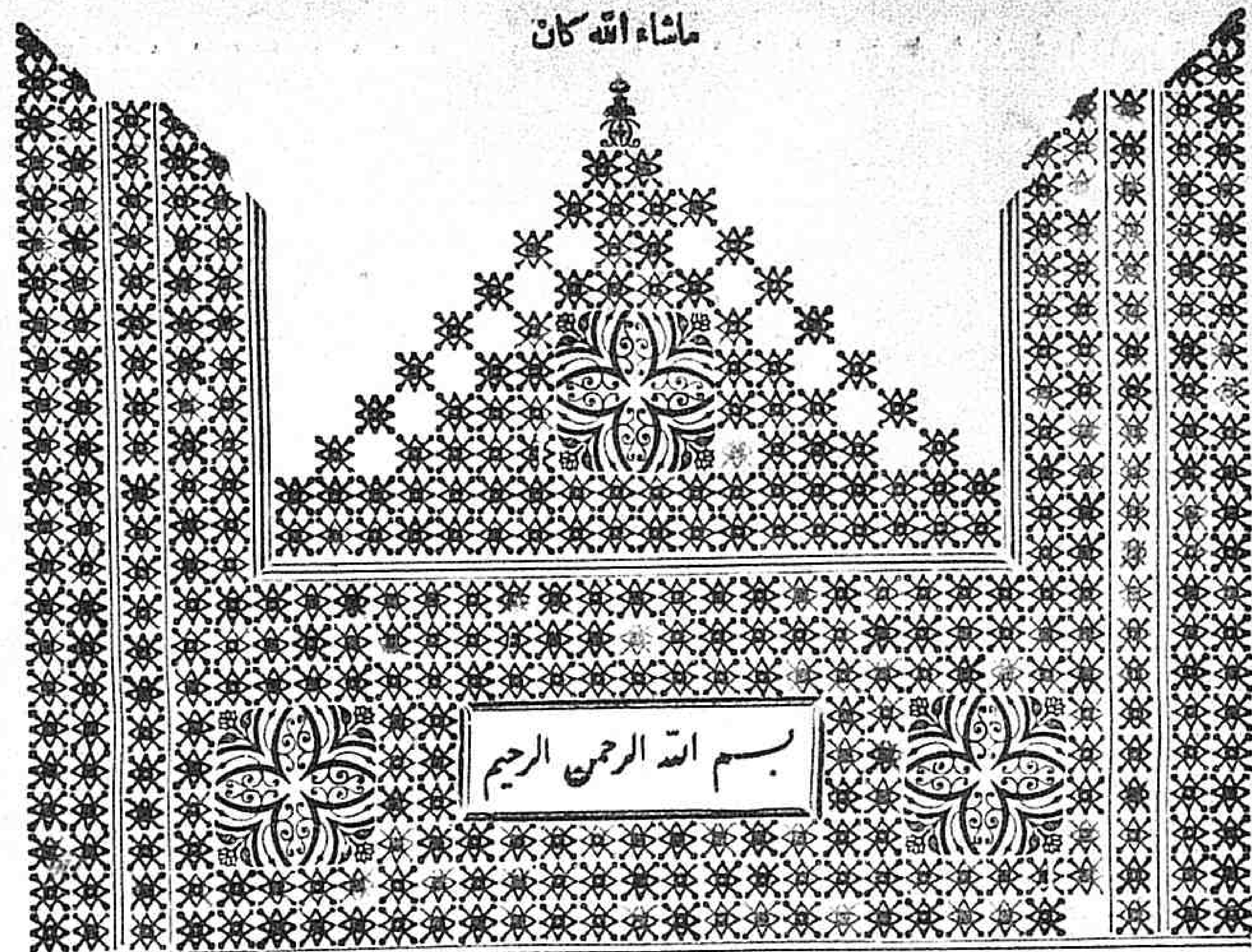
محل بيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

ماشاء الله كان



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا السبب زاد به الغيظ والغضب وقال لعامر ويلك يا ابن الملعونة ومن يصل الى هذا المقام ويقتل الفرسان الكرام يحمل بر ؤيا النسوان يا قرنان يا ابن ألف قرنان دونك والقتال والحرب والنزال ثم انه حمل عليه حملة الاسد الضرغام وزعق عليه بين الاقوام فتغير لونه وارتعش كفه ولكن تعين عليه حربه وقتاله وطعنه ونزاله فأوسع بين يديه مجاله وطاعنه وطاوله وكان قد أراد أسره حتى يكون فداء لقرواش بن هانى فلما أعياه الامر وضايقه زعق فيه عنتر فأرعبه ثم حاذاه وقاربه وخذف الرمح من يديه وطبق على جلباب درعيه وجذبه عن جواده وملك أسره مع قياده ونادى اشيبوب يا ابن الملعونة فخرج اليه مثل الليث القسور والنمر الغضنفر فأخذه منه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف (قال الراوى) واذا بأمه كبشة قد خرجت من بين الصفين واشتهرت بين الفريقين وهى حاسرة ودانية غاية التدانى وخلفها بعض العبيد يسوقون قرواش بن هانى فلما قاربت عنتر بن شداد نادته يا وجه العرب الاجواد لاتشد ولدى كتاف ولا تذيقه العدم والتلاف وخذ صاحبك واعتقه ومن عليه بروحه وأطلقه (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامها وشوقها وغرامها رق قلبه لها ورحمها وزعق على أخيه شيبوب وقال له أطلق ولدها ثم انه أخذ قرواش بن هانى وسار به الى بين يدى الملك قيس فهنأه بالسلامه وشكر عنترا على حسن اهتمامه وأراد أن يأمر العساكر بالحملة واذا بخالد بن جعفر قد خرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وهو على حجرة برقاء كأنها الليلة الزرقاء وهو كأنه قد من حديد أو قطعة من بعض الجلاميد ثم انه ركض الى أن قارب أعلام الملك قيس ونادى يا ويلكم يا بنى زهير الى متى هذا التعدى ونحن نجمع القبائل والفرسان ونلقى الفتن بين العربان ونهلك الابطال والشجعان فأنا لذى قتلت أباك وما هجع حتى ألحقك به أنت واخوتك وأقاربك وأبيد أقاصيكم وأدانيكم وأهلك شجعانكم وأفنيكم وعبيدكم وإماكم وما بقيت أعانى الامر الا بروحى فأخرجوا الى واحدا منكم اتجالد أنا واياه حتى أعجل رداه وبعدها اخرجوا الى واحدا بعد واحد وقد انقضى الامر وهان الشر

بلا معاون ولا مساعد ولا يخرج الى الا الملك قيس فى الاول لانه قد صار فى مقام أبيه وهو الحاكم على بنى عبس وعدنان كما أنى الحاكم على بنى عامر وغنى وكلاب الشجعان ومن قتل منا صاحبه بلغ الغرض وشفى قلبه من المرض ونال المنى وأراح العربان من التعب والعنا ومن القتل والفنا (قال مجد) فلما سمع الملك قيس من خالد ذلك الكلام وما أبداه بين العربان من الاهتمام اشتد به الغيظ وزاده الغرام فعند ذلك هاجت بنو عبس وما فيهم الا من اعتد واشتد وعول على الخروج من الفرسان والسادات أهل الرتب وقد أبصر عنتر فعالهم فقال لهم أنا فداكم من التعب وها أنا أسبقكم اليه وأسقيه كأس العطب فقال الملك قيس لا وذمة العرب يا أبا الفوارس لايخرج اليه فى الاول الا أنا حتى لا أكون نودى بى لا أخذ الثار فتأخرت عن ذلك (قال الراوى) وكان عليه من الدروع والزرد ما لا يقدر عليه أحد ثم انه ركب على حجرته القصاء وتقلد بسيفه ذى النور وأسبل عليه من الزرد ما لم يلبس مثله أحد ولما استوى فى سرجه استلم الرمح وحمل طالبا خالد بن جعفر مثل القضاء المنزل وقد فعل خالد مثل ما فعل واصطدما والتقيا (قال الراوى) وكان الاثنان من شدة ما بينهما من الحقد والغيظ والحنق ما فيهما من أنشد شعرا ولا به نطق بل صاحا وزعقا وعلى بعضهما انطبقا وجالا على ظهور الخيل الى أن طلع عليهما الغبار وتسردق وصار بينهما طعن يسبق الحدق وأخذ الشجعان منه الحنق ودام الامر كذلك حتى تقطعت من الطعنات والضربات صفاق الدرق ولمع صارم المنايا وبرق وانهتك ستر ناموسهم وانخرق والتهبت نيران الغيظ وزاد الحنق وعنتر قد ضاق صدره على الملك قيس وتمنى أن يكون مكانه وقد تحير فى قضاء هذه الاشغال وبلوغ الآمال وقد تأهب للقاء الرجال وأمر بنى عبس بالاحتراز على الاموال وكذلك فعلت بنو عامر حين تهيأت للموت الغامر (قال الراوى) وما زال الفارسان فى حرب وكفاح الى أن تثلمت الصفاح وتقصفت الرماح وقد تقابضا ومالا على بعضهما البعض ووقفا على وجه الارض من شدة الحنق وصاح كل واحد منهما وزعق والتفت الى أصحابه يطلب منهم معينا أو نصيرا وأيقن كل واحد منهم انه يكون قتيلا أو أسيرا فعندها حملت الفرسان من كل جانب وهزت القنا والقواضب واندفقوا اندفاق السيل اذا كان ساكب وكان أسبق الناس الى الملك قيس من بنى عبس عنتر بن شداد وأسبق الناس من بنى عامر الربيع بن عقيل الذى كانت العرب تسميه الفارس الصدام وقد صدم كل واحد منهما صاحبه وطاعنه وضاربه وهم مواهمة الاسود فى الدحال اذا سلبت منها الاشبال وكان قلب كل واحد منهما على خصمه ملآن من النوبة الاولى لما التقيا فى الشعاب مما جرى بينهما من الامور والاسباب (قال الراوى) وقد جدوا فى الطعان ومالت اليهما الشجعان كل منهم الى ناحية ملكهم والمقدم عليهم مثل السحاب وقد قاتل فى ذلك اليوم اخوة الملك قيس ومن حوله أشد قتال وكذلك الربيع بن عقيل واخوته ومن يتعلق بهم من الفرسان والابطال وقد تتابعت فرسان بنى عامر تتابع الغيث الهطال واشتبكت الابطال بالابطال والرجال بالرجال وقد قد الحسام فى الاجسام ومالت الفرسان وتساقطت من على ظهور الخيل العوال وبطل القيل والقال وجرى الدم وسال (قال مجد) وكانت لهم ساعة تشيب رؤس الاطفال وعنتر يقاتل الربيع ابن عقيل وقلبه على الملك قيس ومن شدة غيظه مال على خصمه وضايقه وزعق فيه زعقة الحرد وصار كأنه الاسد ثم طعنه طعنة جبار لاقى منها النوائب والاخطار فشك أضلاعه مع الزرد وقد أخرج الرمح من ظهره أشبار ثم بعد ذلك جذب الرمح منه فانقلب وصار كأنه عمود يتشحط فى دمه ويضطرب فى عندمه ثم عاد عنتر الى بنى عامر فنكس فرسانها وحاق جماجمها من أبدانها وأعدمها أرواحها وما زال كذلك حتى فرق الجميع عن قيس وخالد وصار واقفا على رأس الاثنين وكانا قد أشرفا على الهلاك من دوس الخيل وشدة العراك فعند ذلك أراد عنتر أن يقتل خالدا ويخلص الملك قيسا ويعيده على ظهر جواده فصاح به الربيع بن زياد وقال يا أبا الفوارس لاتفعل فان صديقك مالك بن الملك زهير قد أسر ومعه أخى عمارة وان قتلت خالدا يقتلوا الاثنين بثاره (قال الراوى) فلما ان سمع عنتر من الربيع ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه ثم انه ضرب خالدا بالسيف صفحا فرماه وأمر أخاه شيبوبا أن يشده ويكتفه فشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وكان مما جرى عليه

قد غاب عن الدنيا من شدة تلك الضربة وأيقن بالتلاف والنكبة (قال محمد) ولما أن رأى قيس عنترا قد فعل مع خالد ما فعل قام على قدميه وسعى من شدة فرحه واهتمامه وعانق عنترا عند قيامه ولما أن وقع خالد من ضربة عنتر اغمى عليه ساعة زمنية ولم يبع انفسه بالكلية فلما أفاق أبصر شيبوبا بين يديه وهو يوثقه بالقيد الذى فى يديه وكان قيس من فرحه قد اغمى عليه فلما أفاق وجد شيبوبا وهو يكتف خالدا فشكره وأثنى عليه وعلى أخيه عنتر فعندها تركهم شيبوب وعاد ومعه فرسه فركبها ولما أن صار على ظهرها قال له عنتر يا مولاى اخرج من غبار الخيل الى الصحراء فسار الى خارج المعمعة وقد حمل عنتر على الخيل ففرقها والدماء أهرقها وفرق المواكب ومزقها فعند ذلك انكسرت بنو عامر عند المساء وتضعضع حالها وقد عادت بنو عبس بعد أن شفت غليلها وما بقى الا نفر قليل من أبطالها ونزلوا فى خيامهم واستقر قرارهم (قال الاصمعى) ولما أن نزلوا هنوا الملك قيس بالسلامة ثم أعلمه الربيع بن زياد بأسر مالك وأخيه عمارة فصعب عليه وكبر لديه ثم قال الملك قيس للربيع اعلم انه ما أسر أخى وأخوك الا السلامة هذا القرنان ولولا هذا السبب ضربت رقبته بين الفرسان لكن احتفظ عليه يا ربيع الى أن نفادى بهم أخى وأخاك عند الصباح ثم ننظر له غير هذا الوقت فيكون دمه مباح فقال عنتر يا ملك لا تضيق صدرك من خلاص أسرانا بهذا الشيطان واعلم انه ان سلم اليوم منى ما يسلم غدا ولولا شغل قلبى بالربيع بن عقيل وقتله فى حومة الميدان لكنت أتيت اليه وأسقيته كاس الحمام من قبل أن يجرى هذا الحال على أصحابنا وان بنى عامر قد باتوا كلهم الليلة عند الظعن فى رؤس الجبال وصاروا عند الحريم والعيال وعند الصباح نترجل عن الخيل ونطلع اليهم بالسيوف والدرق ونثرهم من على الروابى والتلال نثر الورق فعندها فرح الملك قيس بكلامه وقد طاب قلبه وخف غرامه وشكر عنترا على مقاله ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أحضروا خالد بن جعفر وأطلعوه على ذلك الخبر من أمر مالك وعمارة وطلبوه بالفداء فأجاب الى ذلك وحلف دون ارتياب باليمين الذى كانت العرب تعتمد عليه فى الامور الصعاب فعندها أطلقه الملك قيس وفى قلبه نيران لا تطفا والهيب لا يخفى

(قال الراوى) ولما انطلق خالد من الاسر من عند بنى عبس سار الى قومه ولما وصل الى عشيرته تلقوه وسلموا عليه وهنوه بالسلامة ومالوا اليه وأراد أن يعلمهم بما جرى عليه فسألوه فحدثهم بالحديث كله وما اتفقوا عليه وقال لهم أطلقوا أمالكا وعمارة فما طاوعه بنو عامر على ذلك بل قاموا كلهم عليه ومن جملتهم أهل القتلى وقالوا له والله لا بد لنا من صلب الاثنين على قرون الجبال ونأخذ من هؤلاء بالثار ونهون بعض من قتل منا من الفرسان الاخيار لان بنى عبس هم الذين فعلوا فينا هذا الدمار وما بقوا يرحلوا عنا الان قلعوا آثارنا وخربوا ديارنا وأهلكوا جميعنا وأبادوا أبطالنا وربما سبوا الحريم والعيال ولا يبقوا منا على انسان فانظر ما يكون عندك من الراى والسلام (قال محمد بن هشام) فلما أن سمع خالد منهم هذا الكلام وعلم ان هذه امور عظام حار وقال لهم يا بنى عمى أى شئ هذا الكلام وأنا قد أقسمت بأعظم الاقسام والا كان نحرنى الملك قيس نحر الاغنام وما يمكننى ان أغدر فى الايمان يا بنى الاعمام وأكون باغيا غدار ونحن فى هذا الانكسار والادبار ويبقى علينا العتب والملام وأنتم تعلموا ان أعظم مسرتى قطع بنى عبس وأسر بنى زهير ولكن الزمان قد خاننى والرب العظيم قد خذلنى وما أعاننى ولا بد أن أبذل المجهود فى معاداتهم وأجمع كل من له عليهم دم وأعدهم بالاموال لهلاك ساداتهم والابطال وأبذل للعربان والفرسان كل ما تملك يدى من الحطام والاموال حتى أقلع أثر بنى عبس وأبلغ منهم الآمال وأترك ديارهم العامرة قفرا خرابا وأبقى طريحا على الرمال فقال سادات بنى عامر وقد طابت نفوسهم بكلامه ان كان الامر كذلك وأردت أن تفدى ايمانك وأقسامك حلف هذين الاسيرين وخذ عليهما العهد والميثاق أنهم يرحلوا عنا فى هذا العام ويمضوا بأهلهم عنا بسلام وان لم يحلفوا لنا صلبناهم على قرون الجبال وانتقمنا منهم غاية الانتقام وقد دبرنا نحن أمورنا بما يعود به علينا الصلاح بين الانام فقال لهم خالد هذا رأى صواب وأنا أطاوعكم عليه (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك الكلام أحضروا مالكا وعمارة وكان عمارة يجر وحاجر حارثيا فلما حضروا اقص عليهم خالد القصة وما قد جرى من قومه وعرفهم

أن قومه قد اختلفوا عليه وقد عولوا على صلبكم ان لم تحلفوا لهم انكم ترحلوا عنهم من هذه الديار بقومكم وتكفوهم شركم وتصبروا عليهم بقية هذا العام وان لم تفعلوا ذلك وتطاوعوهم والا ما أطلقوكم ولو انهم جرعوا كاسات الحمام (قال محمد) فلما أن سمع مالك وعمارة ذلك الكلام أجابوا وقد حلفوا له لانهم عاينوا الاهوال والهلاك وما صدقوا بالخلاص من قيد الاقفاص فعند ذلك حلوهم وأنزلوهم عن الجبال وقد أركبوهم على جوادين وسيروهم مكرمين * قال ولما وصلوا الى بنى عبس حدثوهم بما جرى لهم من القوم فقال الملك قيس لعن الله بنى عامر لان الغدر فعالهم والخبث أبدا خصالهم فقال الربيع والله يا ملك ما لخالد عندى فى هذه النوبة ذنب لاننا لو كنا خليناه فى الوثاق وأرسلنا اليهم فى الفداء لكان صوابا والآن فما خلاص أخوك الا من فم الاسد والا كانوا قتلوهم وربما خلاص منا أسراهم ولكن كان الذى كان وما بقى غير الرحيل والصبر الى أن تنقضى هذه المدة المقدرة وبعد ذلك ندبر على قدر ما نرى وما نسمع لان خالد الابد له من مكاتبة القبائل ونحن فى هذه النوبة الثانية نقطع منهم الآثار ونخرب منهم المنازل والديار (قال الراوى) فلما أن سمع الملك قيس من الربيع هذا المقال استصوب رأيه وأمر بنى عبس بالرحيل ثم انه رحل وقد علم أن بنى عامر فى رؤس الجبال وانه ما بلغ منهم الآمال اذ هو قائم فى تلك الاطلال فسار يطلب الديار واخوته والكل حوله كالاقمار وعنتر وعروة فى المقدمة وليس لهم غرض فى هذا الصلاح مع هؤلاء القوم والرحيل عنهم غير أنه قد علم أن الملك قيس ما دام مشغول القلب بحزنه على أبيه يطلب الثار من خالد بن جعفر ولا يقدر أن يتكلم فى أمر عبلة ولا يطلبها وكان الآخر أيضا عنده من هم الملك زهير غم عظيم فصبر وهو على ما هو عليه فسار وهو يذكر ما جرى له ولقومه ويذم الزمان ونوائب الحدثان التى تعرضت له من دون سائر العربان فأشار ينشد ويقول

ألا يا عبل قد طال اكتئابى * ولج زمان هجرك فى عذابى * وصعب هواك ينمو كل يوم
كما تزداد أطوار الشباب * عدات صروف دهرى فيك حتى * فنى عمرى وصبرى فى عتاب
ولاقيت العنا وحفظت قوما * أهانونى ولم يرعوا جنابى * سلى يا عبل عنا يوم زرنا
قبائل عامر وبنى كلاب * فكم من فارس خليت ملقى * خضيب الراحتين بلا خضاب
يحرك رجله عبثا وفيه * سنان الرمح يلمع كالشهاب * وكم ليث أتى نحوى ذليلا
يجر قناته فوق التراب * ونادانى فكنت له مجيبا * بطعن نافذ قبل الجواب
قتلنا منهم مائتين صبرا * وألفا بالقلاع وبالروابى
أيفرح خالد بمصاب قوم * ويوم فنائه أعلى مصاب

(قال الراوى) ومازال القوم يقطعون الارض والبلاد والتلال والوهاد وهم طالبون الديار ليلا ونهارا وعنتر يحرسهم فى الليل الى أن يطلع النهار وهو سائر على مقدمتهم الى أن قاربوا أرضهم وبقى بينهم وبين أهلهم ليلة واحدة فباتوا تلك الليلة ولما أن أصبحوا عولوا على الرحيل فانتظروا عنترة فلم يجدوه ولا رأوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فتحير الملك قيس من ذلك الحال وكذلك اخوته وأما المبغضون له فانهم قد تباشروا وابتهلوا كلهم لاسيما الربيع وأخوه عمارة الوزاد وأبو عبلة مالك بن قراد فعند ذلك منع الملك قيس الناس عن الرحيل فى ذلك اليوم وقد أراد بالمقام كشف أخبار عنتر وقد أنفذ الخيل فى طلبه يمينا وشمالا وأقام منتظرا ما يكون من ذلك الحال وقد صار الفرسان يتحدثون فى غيبة عنتر وأكثرهم يقول انه قد سبق الى الاحياء ليفوز من بنت عمه عبلة بالحديث والنظر وأبوها يسمع ذلك ومرارته تنفطر * قال ولما كان عند المساء عادت الخيل خائبة وما فيهم من قال انه رآه ولا سمع له خبر فقال الملك قيس وحق ذمة العرب ما أبرح من هذا المنزل الا ان أبصر ما جرى على ابن عمنا عنتر وننكشف عن حاله فقال عمارة لاجل دلاله على الملك قيس لانه زوج ابنة أخيه والله يا ملك ان هذا الذى قلته غير صائب وكيف تقيم سادات بنى عبس وعدنان تنتظر عبدا ليس له قدر ولا شان فقال الملك قيس وقد اغتاظ من كلامه ويلك يا عمارة أى شئ هذا الكلام أما تخشى أن تنسب ابن عمك فى غيبته للعبوديه وهو أمس قد خلصك من الاعتقال والرقيه ولولاه لكانت بنو عامر قطعونا قطع الحطب بالنار

فوالله لوكان حاضرا وتكلمت قدامه بهذا الكلام ما أمنت عليك منه فقال عمارة واذلاه واضيماه من قولك ابن
عمنا وادخاله فى حسبنا ونسبنا وحق الكعبة ان الموت دون ذلك فقال له الملك قيس وقد أراد بذلك غيظه
ثانى مره أعظم من الاولى ماهو الا ابن عمك ان شئت أو ابيت وأرضاه وسيدك وأنت له تبع فاترك قولك هذا
والبدع لانك ما أنت فى الحرب الا جبان لا تنفع ولا لك فى الشجاعة مدخل ولا مطامع بل ان عينك من شدة
الخوف تدمع وأنت لا تصلح الا لضبير مضع قم من قدامى لا كنت ولا استكنت فلولاه ما كان ارتفع للقبيلة
عامود بيت فعندما نظر عمارة الى قيس وقد احمرت عيناه أحس أنه لوث نفسه فقام خجلا بعد ان من أباه
(قال الراوى) فلما سمع الربيع بن زياد ذلك الكلام ذاب جسده وتفتت كبده لكنه أخفى الكمد وأظهر
الجلد فقال لقيس يا ابن العم دع هذا الكلام واترك أخى والحديث معه لانه كثير اللجاج والصواب اننا نقيم
فى انتظار ابن عمنا فان أتى والا رحلنا بالناس فانهم شكوا من كثرة الشوق الى أهلهم واعلم ان فيهم جرحى فى أسوا
حال من الجراحات التى بهم وعنتر ما عليه خوف ولا حذر ولا بد أن نلحقه فى الاحياء عند ابنة عمه عبلة وهو
يحظى منها بالحديث والنظر والمقال ويغتنم غيبة الرجال عن الاحياء بطول ماهو من العوارض خال
﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الربيع بن زياد الكثير العناد علم مقصوده فما أمكنه
المقام بل انه أمر بالرحيل فرحل بالناس عند السحر وهو مشغول القلب لغيبة عنتر لانه ما أعطاه أحد عنه
خبر فقال الملك قيس والله انهم قد ظلموا الرجل لانهم قد تحدثوا فيه بشئ ما فعله ولا تدعه مروءته أن يفعل ذلك
﴿قال الراوى﴾ ومازالوا سائرين الى أن أشرفوا على الديار فارسلوا من يبشر بقدومهم وسلامتهم ومازالوا
يجدون المسير والترحال الى أن دخلوا الى الديار والاطلال وفرح المقيمون بالقادمين السادات وبعد
ما استقروا بالابيات سمع مالك أبو عبلة كلاما من بعض الاماء عما جرى لابنته مع عنتر لما رحلت السادات
الى غزو بنى الاشرار وقلت ما لمت الديار فدخل على زوجته وفى قلبه لهيب النار وسل عليها الحسام البتار
وقال لها يا الخنا أكل هذا منك وانت التى تحسنى لعبلة الوقوف قدام عنتر صاحب الوجه الاغبر كلما غاب أوحضر
وتطالبيه بالهدية كلما قدم من سفر وتطلبى منه الاموال وتأمريها تضحك فى وجهه ولا تتركى رأسى تنشال
ثم انه هم أن يضربها بالحسام فرقت له فى الكلام وقالت له والله يا ابن العم أنا ما فعلت هذه الفعال الا لما
رأيتك ملت للرجل وأنعمت له بالزواج ومكنته من الدخول عليها والخروج قبل مسيره مع أسيد بن جذيمة الى
بلاد اليمن والآن ما دام قلبك قد تغير عليه ما بقيت أرجع أمكن ابنتى من نظره ولا من الوصول اليه فقال
لها مالك يا الخناء أنا ما كنت أفعل ذلك الا من أجل الملك زهير وولده شاس والآن فما بقى أحد يشهد لهذا
العبد ولد الزنا ولا يرفع له راس وأنا ما ازوج ابنتى الا لمن يكون سيدا من سادات العرب وغلاما صنديد ولا
أزوجها لاقل العبيد على ان عنتر اليوم فى العدم وما أقول انه بقى يسلم ولا بد له فى هذه النوبة من شرب
كاس النقم وان سلم وعاد وسمعت ان واحدة منكن أرسلت اليه أو سلمت عليه أو كلمته بكلام قطعت
رأسها بهذا الحسام وحق البيت الحرام ﴿قال الراوى﴾ ومن الغد أتى حذيفة بن بدر مع اخوته ومعه
جماعة من بنى فزارة ووجوه عشيرته وهنوا قيسا بالنصر على بنى عامر فقص عليهم كل قصته وأخبرهم
بخبر خالد بن جعفر وسلامته وقال يا بنى عمى لا تهنونى الا بعد قتلته لانه لا يتركنا ولا بد أن يجمع علينا الابطال
والقبائل ويبذل فى قتالنا المجهود فقال له حذيفة اذا فعل ذلك يا ملك كنا نحن ومن نقدر عليه لك وبين يديك
فشكره قيس على مقاله ودعاله ولرجاله وعمل وليمة عظيمة لها قدر وقيمه وأحضر سادات بنى عبس
وعدنان وفزارة وغطفان وعلم حذيفة بعدم قدوم عنتر فاستوحش له وأظهر خلاف ما أضمر وأخذ الناس
فى أكل الطعام وشرب المدام ومناشدة الاشعار حتى تنصف النهار واذا بصياح قد عم سائر الاقطار وكان
الصياح يدل على فرح واستبشار فقال الملك قيس ما الخبر فقالوا له يا ملك لك البشارة قد أتى شيبوب الغضنفر
أخو أبى الفوارس عنتر وهو قادم عليك يعلمك بالحال وعن سبب غيبته وما جرى له من الامور الثقال فقال
الملك قيس أحق ما تقولون قالوا أى وحق من لا تحيط به الظنون (قال الراوى) فبينما هو فى الكلام مع

الجماعة والكل مجتمعون على شرب المدام فى تلك الساعة واذا بالامير عنتر قد قدم ووصل وعينه تقدح
الشرر من شدة غيظه لان عروة كان قد حدثه بما جرى وما فعل الملك قيس وبما تكلم فى حقه الحساد
والاضداد وكيف عايره عمارة بالعبودية والسواد ولما أن عبر على الملك قيس والجماعة قام له الجميع الرفيع
منهم والوضيع وقد خرجوا من الابيات ولاقوه وسلموا عليه وهو على صهوة الجواد فأبصروا على درعه دما
طريا فسألوه عن حاله وعن سبب غيبته فقال لهم اعلموا أن السبب فى غيبتى هو انى كنت فى خدمة من
لا يستحق أن يخدم ولا يرفع له رأس ولا يعلوله قدر لانه خبيث الطبع ردىء الاصل والفرع ولا يزال يسعى
بلسانه فلا يرجع حتى أهدم بهذا السيف أركانه فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس أى شئ هذا الكلام
المبهم فقال الامير عنتر يا ملك عبس وعدنان اسمع حديثى وتبين خبرى وان كنت مستحقا ما يقولون فى
حقى فأنت المحكم فقال له الملك قيس وضحه لنا حتى نسمعه فقال له الامير عنتر أيها الملك هو انكم ليلة
ما فقدتمونى وأنا فى الحرس قد كنت تباعدت فى البر خوفا عليكم من الشر ومن لص أو طارق يطرقكم فبينما أنا
كذلك اذ لاح لى شبح مخاطر فتبينته فاذا هو رجل أعرابى وهو راكب على مطية تسعى به تحت ظلام الليل
فى تلك البريه وهى كأنها ذكر النعام فصرخت عليه وقربت منه فوقف وقال ما تريد منى دعنى أمضى الى حال
سبيلى فسألته عن حاله وما الذى جرى له فعندها اطمأن قلبه وقال يا فتى اعلم انى رجل مظلوم وأنا قاصد الى ديار
بنى عبس الصديق لى يقال له الربيع بن زياد أسأله أن يعيننى على كشف ظلامتى لان بينى وبينه صداقة وذمام
من مدة شهور وأعوام ﴿قال الراوى﴾ فلما أن سمعت منه يا ملك ذلك الكلام قلت له بذمة العرب ما الذى
جرى عليك وما قد أصابك أخبرنى به واعلم أنى أنا عبد الربيع بن زياد وانه قد أنفذنى فى أمر مهم فقال يا فتى اعلم
أنى يقال لى بشارة بن معبد ولى بنت قد خطبت منى فانعمت بها على من أرسل لى بسببها فأخذت من مالى
مائة ناقة وسرت بها طالبا وادى النقا وقد أردت أن أبيعها واشترى بها ثيابا وطيبا الاجل به حال ابنتى وأستر
عورتى فبينما أنا سائر اذ لقيتنى خيل غائرة آخر النهار فطلبتنى وقد أخذوا النوق منى وقد هربت أنا
على ظهر هذا النجيب وسلمت من القتل والتعذيب وانى كنت قبل هروبى عرفت القوم وعلمت أنهم من
بنى كنانة ولما قربت الآن من بنى عبس قلت فى نفسى انى أسير الى صديقى الربيع بن زياد واسأله أن يركب
معى فى جماعة من قومه الاجواد ويخلص لى منهم مالى ويكشف عنى سوء حالى ويجيب سؤالى والآن
قد لحقتنى أنت وأعقتنى عن المسير وقد ذكرت لى أنك عبد الصديق الربيع فان كنت كما ذكرت فابصر
ما قد تفعل فى حقى فلما أن سمعت حديثه يا ملك بنى عبس قلت له ابشر بقرب الطريق واعلم أننى أنا أنوب
عنه لانه مولاى ولا أدعك تسير اليه والآن سر قدامى وأوصلنى الى أعدائك حتى أبلغك منهم مناك فعندها
عاد بين يدى راجعا وأنا أركض خلفه ومازلنا على ذلك الحال من أول الليل الى أن طلع الفجر وقد بان
ضياه فلحقناهم عند طلوع الشمس على ماء يقال له فرير وأرض النقير وكانوا أربعين فارسا فلما أن
تميزتهم وعلمت عدتهم حملت عليهم وقتلت منهم خمسة وعشرين فانهزم الباقون فعندها يا ملك أخذت جميع
ما كان معهم للرجل وجمعت أيضا أسلاب القتلى وجمعت الخيول الشاردة ودفعتها لذلك الرجل وقلت له خذ
هذه الاسلاب والخيل وبعها وتساعد بثمنها على حالك واشكر مولاى الربيع على ذلك الصنيع وتركته
وعدت عنه بعد أن أوصلته الى مكان يأمن فيه وقد بنيت لك بيت مجد وحزت لك فيه شكرا وحمدا هذا وقد
سمعتهم يذكرونى بالخيانة وانهم يعايرونى بالسواد فهذا جزاء من يفعل هذه الفعال وبهذا تعرف أولاد الزنا
من أولاد الحلال (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك الكلام التفت الى عمارة وقال له ويلك يا عمارة الكلب الى
متى هذا التعدى يا ابن زياد فوحق ذمة العرب الاجواد ومن كسا الليل حلة السواد وجعل النهار معاشا
للعباد وقد تنزه عن الزوجة والاولاد ونبع الماء من الجماد ان لم تنته عن الفساد وتحسن خصالك
وترفع العناد لاقطعن بسيفى هذا أوصالك وأعجل الى المقابر ارتحالك ﴿قال الراوى﴾ فلما أن سمع
الامير عمارة من عنتر ذلك الكلام وكان جالسا بين اخوته والخمرة قد لعبت فى راسه فاستحى من ندمائه

وجلاسه وثب قائماً على قدميه وسل حسامه وقال لعنتر ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا ايش الذي بلغ من قدرك حتى تقابلني بهذا المقال قدام سادات عدنان ولي مثلك ألف عبد في المرعى سوى غيرهم من الغلمان ثم ان الامير عمارة قد طلبه والسيف في يده مشهر فقامت اليه الرجال وقد دارت به الابطال فعندها صاح به أخوه الربيع وتقدم اليه نحوه ولطمه فدهاه وأخذ السيف من يده وقال له ويلك يا نذل أيكون جزاء ابن عمنا مثل هذا الامر وقد بذل نفسه دوننا وخدمنا حق الخدمة (قال الراوي) هذا كله كان من الربيع وعنتر يقول والله يا عمارة الكلب ما اريدك أن تسل حسامك وتطلبني الا في قفر خال ما فيه أحد الا انا وأنت ولا يكون معي غير عصاي التي كنت أرعى بها الجمال حتى يسمع بكون بيننا من الفعال ويحقق افعالي من فعالك ثم انه بعد ذلك قلب عنان جواده وطلب الى قومه وأبياته وقد امتحى من قيس أن يتفرق الناس عنه وتنكدر عليه وليمته ﴿قال الراوي﴾ ولما وصل الى أبياته تلقته أمه زبيبة وهي باكية العين فرحة باللقاء لانها كانت حزينة في طول غيبته وما صدقت أن تراه سالماً فأرادت أن تعانقه وتبل شوقها منه فدفعها في صدرها فألقاها على ظهرها من شدة غيظه منها وقال لها اذهبي عني يا خناء فلولاك ما عايرونى بالعبودية والخنا فقالت له زبيبة وقد زاد بكاها يا ولدي وأنا ايش ذنبي حتى تفعل بي هذه الفعال وأنا ما اريد الا ان تكون قدام عيني ترعى النوق والجمال وتستريح من القيل والقال وتكون عندي بالليل والنهار فيكون أحب الي من الشجاعة والفروسية ومن رميك لنفسك في النار الحامية والآن قد مضى ما مضى وما بقى الا أن تقتني اهل أن يمحى عنك اسم العبودية وتأخذ ذلك أما غيري تكون عربية لعل أن تبقى سيداً من السادات المسمية ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر كلام مهارق لحالها وجبر قلبها هذا ما كان من عنتر ✽ وأما عمارة بن زياد وأخوه الربيع الكياد فانه لما خرج عنتر من الوليمة وهو حردان صار الملك قيس من أمرهم حيران فطيب قلبه الربيع وقال له يا ملك هذا أمر لا يتم ولا يتقرر ما دام ان العداوة قد وقعت مع أخي وعنتر وقد خطر ببالي له خاطر وهو صواب واريد أن افعله وبه تتم الاسباب وينفصل هذا الامر وينطفي ذلك الشر ولكن تأمل الزمان اليوم يوم خمر وغداً الله الامر لاسيما وعندك سادات بني بدر والصواب تمام السرور وزمعهم ودفع العتب عنهم ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم عادوا الى ما كانوا فيه من الفرح وشرب المدام الى أن ولى النهار وأقبل الظلام ورحل حذيفة عند الصباح الى أهله وبني عمه وأما الربيع بن زياد فانه دعا اخوته ورفع خيامه ورحل بجميع بني عمه وأتباعه بالسوية الى واد يقال له وادي اليعمورية وقال وحق ذمة العرب لا جاورت أنا قيساً بعدها أبداً ما دام عنتر في جوارهم لانه سب أخي عمارة وطعن في أنسابنا بكل لسان وما كلمه في ذلك قيس ولا نهاه وكان هذا القول منه في حقنا أرضاه (قال الراوي) وكان الربيع بن زياد شيخاً من مشايخ بني عبس الكبار وكان الملك قيس صهره كما قد ذكرنا فتبعه من بني عبس أوفى من خمسمائة بيت وخمسمائة فارس ونزلوا معه في الوادي المذكور وكانوا كلهم يكرهون عنتر فبلغ قيساً ذلك الخبر فصعب عليه وكبر لديه فقال لاخوته ووجوه عشيرته الايا بني الاعمام ان الملك زهيراً في حال حياته قد رضي عنتراً ابن عمه والحقه بنسبه ونقله من رق العبودية الى النسب والحرية وعنتر وعمارة اذا اجتمعوا افترقوا واشمل العشيرة وفرقتهم خير من اجتماعهم ✽ قال ثم انه أقام وقلبه قوي بعنتر وكونه في الحي وما أنكر على الربيع فعاله ولا عتب عليه ولا اتعب حاله بل صار يمضي الى وادي اليعمورية ويداريه لاجل القرابة التي بينهم ولاجل الرجال الذين رحلوا معه ✽ قال وكان الذي رحل مع الربيع بن زياد غالب فرسان الحي الجياد وأما عنتر بن شداد فانه كان قد سمع بما قد جرى لعمه مالك بن قراد مع زوجته وكيف أراد قتلها والكلام الذي تقدم على مسامعكم أيها السادة الاجواد فما عاد عنتر يدخل في ابياته ولا يلم بساحاته خوفاً على قلب الاميرة عبلة من حصول الذبلة (قال الراوي) هذا كله يجري وقيس بن زهير كان منتظر المباينة وبين بني عامر ويراعي أخبار خالد بن جعفر الى أن وصل اليه الخبر انه طرح روحه على شيخ العرب دريد بن الصمة أمير العرب وكبيرها سيد بني هوازن وجشم وهمدان وأوحد العصر والاوان وأنه وعده انه يكاتب القبائل والفرسان

ويأمرها بطاعته والمسارعة الى خدمته ويعينه من عنده بعشرة آلاف فارس أبطال أشاوس (قال الراوي) وكان دريد بن الصمة من جملة المعمرين لانه عاش عمراً طويلاً وقيل انه بلغ من العمر أربعمائة وخمسين سنة من سني هذا الزمان وكانت سائر العرب تسميه رحاة الحرب وتطيعه في كل أمر صعب لاجل كبره في السن ولاجل ما فيه من الشجاعة وحسن التدبير (قال الراوي) الا أن قيساً لما سمع هذا الخبر صعب عليه وكبر لديه وتحير وقال هذا والله هو القلق الاكبر ثم جمع بين يديه سائر الفرسان من بني عبس وعدنان وأخبرهم بما قد سمع من ذلك الامر والخبر من جهة دريد بن الصمة وجلية الاثر فمنهم الامن خاف واندعر لكنهم أخفوا الكمد وأظهروا الجلد الا أنهم قالوا يا ملك لو أنه سار الينا بكل من في الدنيا من الابطال والفرسان ما منعنا الاقدام أولادنا والنسوان فعند ذلك قال عنتر بن شداد لا تخف أيها الملك من أحد من أبناء الزمان قد عمه يجهد جهده ويجمع ما عنده فلو أنه أتى ومعه النمرود بن كنعان أو جميع الانس والجان لمحقت آثارهم ومحق مكون الاكوان فطب نفساً وقر عيناً فو تربة أبيك الملك زهير لا أتلقاه الا في ألفي فارس من الاصحاب وآتيك برأسه والاسلاب وأهلك كل من معه ولو أن الانس والجن تتبعه فطاب قلب الملك قيس بذلك الكلام وأخذ في أهبة الحرب والصدام ﴿قال الراوي﴾ وكان الملك قيس قد افتقد آلة السلاح فلقيها قليلة فاوصى عنترة بالحي وترك عمه أسيد مكانه وأخذ معه أموالاً ونوقاً وجمالاً وسار في مائة صنديد يطلب يثرب ليشتري منها سلاح وآلة حرب وكفاح ✽ قال وكانت يثرب قريبة من الديار وكان الحاكم عليها يومئذ أحيحة بن الجلاح اليثربي وهو أخو عبد المطلب من أمه وكان بينه وبين قيس صداقة ومودة ومكاتبة من أيام أبيه ﴿قال الراوي﴾ فلما وصل قيس الى يثرب نزل في منزله ففرح به أحيحة وأكرمه غاية الاكرام وسأله عن حاله فاخبره انه أتى لاجل شراء سلاح ﴿قال الراوي﴾ وكان قيس قد سمع ان عنده درعاً داودياً سابغة كثيرة العدد ضيقة الزرد كأنها عيون الجراد ما اقتنى مثلها أحد من ملوك العرب وهي أحسن من سائر العدد فعند ذلك قال قيس يا أمير أحيحة أنا قد بلغني ان عندك درعاً داودياً قد هام قلبي بها واريد منك أن تبيعها لي أو أن تهبني اياها وتبلغ روحي مناها حتى ألقى بها الاعدا وأفتخر بها على طول المدا وأعوضك أمثالها ما بقيت روحي في جثمانها ✽ قال ولما سمع أحيحة ذلك منه تبسم وقال يا سيد بني عبس من أفضل مني حتى اني أبيعه درعي ولم يكن أحد غيري لها أهلاً على انني والله العظيم والرب القديم لولا اني اخاف من مذمة خالد بن جعفر ما عدت الا وهي معك لاجل قولك أهدها الي لاني ما أعرف منذ عمري اني رددت سائلاً سألني عن حاجة ولو كانت روحي لوهبتها اليه من غير لجاجة فقال قيس أيها الامير والسيد الخطير كيف يذمك خالد بن جعفر اذا أنت أعطيتني اياها فقال لانه قد قصدني فيها وطلبها مني ومدحني بأبيات من الشعر وما سمحت له بها لما علمت أنه يقاتلك بل عوضته شيئاً من السلاح غيرها وصرفته بجميل وأخاف اذا وهبتك اياها أن يرجع يذكرني بعدها بالقبيح على لسان كل فصيح فقال قيس أيها الامير وما الذي قاله خالد ابن جعفر من الشعر النضير قال هذه الابيات

اذا ما طلبت العز من آل يثرب ✽ فنادي أبا عمرو أحيحة يسمع

وقم تحت ظل اليثربي فانه ✽ اذا قمت فيه خاف باسك تبع

وأبصرت انسانا على نور وجهه ✽ لشام تغيب الشمس وتطلع

بنى في العلا والمجد والفخر منزلاً ✽ له فوق أكناف السما كين موضع

اذا هز في يوم الكريهة سيفه ✽ رأيت شعاع الشمس في السيف يلمع

وان وهبت كفاه فالغيث هاطل ✽ يدوم عطاه والسحابة تطلع

ويأمن في أبياته كل خائف ✽ ويشبع من جدواه من ليس يشبع

خصائل كانت للنجار قديمة ✽ فصار عليها ابنه يتتبع

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع قيس هذا الكلام والشعر والنظام قال له والله ما بقي عليك يا أمير ملام ثم انه

أقام عنده تمام الثلاث أيام ساعيا فى طلب ماله من القصد والمرام فلما اشترى ما يريد وأراد أن يرجع الى يثرب أمسكه أحيحة وقال له يا قيس بت عندى هذه الليلة فانى بعد ما مضيت خطر لى خاطر وأظن فيه اصلاح لك ولابد أن أطلعك عليه وأخبرك اياه ثم انه فى الحال نحر له الابل والاغنام وأحضر له الطعام وآنية المدام وشرب معه قيس حتى أمسى المساء ولما أخذت الخمرة بعض عقله وطاش بها لبه أشار الى قيس ينشد ويقول شعرا

ألا يا قيس ما درعى يسام * فمثلى لا يساوم فى الدروع

ولولا أننى عودت روحى * عوائد صاحب النسب الرفيع * وهبتك مثلها عشرا ومهرا

أسيل الخد محبوك الضلوع * ولكنى أخاف يسب عرضى * وينفر قلب خالد من صنيعى

فساومنى عليها واشترها * كما تشترى البضاعة فى المبيع

ليقبل خالد فى الدرع عذرى * وتحظى أنت بالدرع المنيع

﴿قال الراوى﴾ وكانت هذه الزردية تسمى الوشاحية وفى لغة أخرى تسميها العرب ذات المواشيح وتقومها بمائة ناقة سود الحدق حمر الوبر فلما سمع قيس ذلك الكلام علم مراده وعلم أنه لا يشتهى ان يسمع خالد أنه خيب شعره ورده عليه ووهب السلاح لعدوه فعذره فى ذلك وأقام عنده الى أن أصبح الصباح وقدم له باقى ما عنده من الاموال كلها وقال أنا أعلم أن قيمتها أعظم من ذلك وأوفى مما بذلت لك وانما أنت قد أهديتها الى فقال أحيحة بن الجلاح يا قيس والله لقد ندمت حيث قصدتنى فيها فى الاول وما قضيت حاجتك وبقى فى قلبى من ذلك أثر فما صدقت أراك حتى أبلغك منها مناك وأسر قلبك وأطيل هناك ولا ترجع ندمى ولا تقطع ما بينى وبينك من النسب والصداقة والآن قد بعتك درعى بهذه الناقة ثم أخذ من نوق الملك قيس ناقة واحدة وأعطاه بقية المال والدرع وأراد أن يشاع البيع فى الظاهر ويكون هدية فى الباطن ثم بعد ذلك رحل قيس فعجب أهل يثرب من ذلك وقالوا والله لقد سمحت نفس أحيحة بما لا تسمح به الفرسان ولا ملوك الزمان ولا أقتنى مثلها تبع حسان ﴿قال الراوى﴾ ثم ان قيسا قد جد فى المسير وما وسعته الدنيا من شدة فرحه ومازال سائرا على هذا الحال حتى قرب من الحى والاطلال فأنفذ السلاح الذى اشتراه مع الفرسان المسميه وجد فى سيره الى أن وصل وادى اليعموريه الذى نزل فيها الربيع بن زياد وكان ذلك فى أواخر الشتاء فبلغ الخبر لربيع بن زياد فخرج الى قيس واستقبله وسأله عن خالد بن جعفر فقال له قيس وأنت يا ربيع ما فى نيتك ان تشد معنا اذا أتى خالد بن جعفر أما سمعت بالجمع الذى جمعه فقال له الربيع بلى يا ملك قد سمعت أنه طرح نفسه على شيخ العرب دريد بن الصمة وقد ضمن له هلاكك وهلاك بنى عبس أجمع والشتاء قد انصرف وما بقى غير أخذ الثار وكشف العار ولقاء بنى عامر وجشم الفجار لانهم انما لهم فى الطلب وهم أشد عداوة لنا من جميع العرب وان لم يشد بعضنا البعض والا شمتت بنا العرب فقال له قيس جزاك الله خيرا يا ابن العم وأنا ما عبرت ههنا الا لابصر ما فى قلبك * قال وضرب قيس كفل ناقته وأراد أن يسير فمسكه الربيع وقد رأى الحقيبة ملآنة فقال له يا قيس أى شئ فى حقيبتك وأى السلاح الذى اشتريته لنا حتى نقاتل به الاعداء فقال قيس يا ابن العم السلاح قد مضى قدامى الى الاحياء وأما الذى فى حقيبتى فهو شئ ما أبصرته عمرك ولا اقتنت الملوك مثله لا لقريب ولا لبعيد من العرب لانه أعجب من كل شئ عجب فتبسم الربيع وقال والله يا قيس لقد علقت قلبى وما أدعك تمشى حتى أبصر ما معك ولا يكون فى قلبى حسرة * قال فعند ذلك أناخ قيس ناقته وأخرج الدرع من حقيبته فقال الربيع ومن أين وقعت بهذا الدرع وهو من دروع القدماء ولا يقدر على مثلها أحد من العظماء فقال قيس نعم هذا درع أحيحة اليثربى لانى نزلت عنده فاضافنى وأكرمنى غاية الاكرام وطلبتها منه فأهداها الى فقال الربيع والله يا ابن العم لقد سمحت نفس هذا الرجل بما لا تسمح به نفوس الرجال فقال قيس نعم وحق الكعبة الحرام لو سألته فى ولده لكان أعطانى اياه لاجل ما بينى وبينه من المودة وصلاح الحال فقال الربيع لقد وهب وتكرم هذا المفضال (قال الراوى) وكان الربيع رجلا أطول من سائر الرجال عريض الاكتاف والاوصال

فأخذ الدرع ولبسها فاذا هى سابلة الى كعبه فهام بها وتمشى ودخل الى خبائه وعاد وقد تقلد بسيفه وقال يا قيس ان هذه أعجوبة عند الرفيع والوضيع والمال الحلال لا يضيع لان هذا الدرع منى سرق والى رجع ولا ألقى أعداك الا فيها ولا أجد أحسن منها ثم انه مد يده الى قائم السيف وجرده فرأى قيس الشر يلوح فى وجهه فقال قيس يا ابن زياد أى شئ هذا التعدى تدعى الباطل وتتبع الغدر وتبيع ما بينى وبينك من القرابة بهذا القدر فضحك الربيع وقال لا وحياتك يا قيس ما هذه الا درعى وأريد أن تحدثنى بحديثها وكيف وصلت اليك والا اتهمتك بها وهذه علامتى فيها وهى هذا الجرب الذى فى ذيلها (قال الراوى) ثم ان الربيع بن زياد معدن المكر والخبث والفساد همهم ودمدم وأخذ بالشعر يترنم

يا قيس درعى لا أبيع ولا أهب * معروفة لجميع أحياء العرب

وما أنا ممن ان تكلم قد كذب * عرفتها وحق من عنا احتجب

أحدث فيها الدهر شيئا من عجب * علامة أوضح من كل سبب

ولولا قرب بيننا من النسب * حلت فيك حرمة شهر رجب

(قال الراوى) فلما سمع قيس كلامه أجابه على عروض شعره

تريد أن تأخذ درعى يا غبى * بالزور والبهتان والقول الوبى

درع أحيحة الكريم اليثربى * دع عنك ذا القول فذا حلم الصبى

وحق من أغسق جنح الغيهب * لست أخليها ولو كنت أبى

(قال الراوى) ثم تلاحجا فى الكلام وكثر بينهما الخصام واجتمع عليهم الرجال وصار اخوة الربيع يضحكون على قيس كلما رأوه يرق فى الكلام وعمارة يقول له ويلك يا ابن العم ان أخى يمزح معك فارجع الى أهلك ونحن نرسلها عندك والا أرسل حاميتك عنتر يخاصمك فعند ذلك امتلا قلبه غيظا وحنق وعلم ان القوم يريدون الشر فعطف عنهم راجعا ولحق بأهله وكتم غيظه * قال ولما وصل الى الحى حدث ابنة الربيع وكانت زوجته كما قدمنا وقال لها يا ابنة الربيع والله لقد وقعت مع أبيك فى أمر شنيع لاننى ان تركت الدرع لابيك شاع خبرها عند كل العرب وعايرنى بذلك أهل المنازل والرتب ويقولون ما قدر على خلاص درعه وقد أخذه منه غصبا وأنا لا أرضى ان الشر يقع بيننا مع هذه الاخبار التى سمعناها عن أعدانا ويكون ذلك سببا لقتلنا وفنانا لان أبيك اليوم فى جماعة كثيرة من أهل القبيلة وما ألقى خالد بن جعفر الا بهم وكان الملك قيس له بنت من بنت الربيع بن زياد وكانت أعقل أهل زمانها فى الفصاحة والادب من جميع بنات العرب وتقول الشعر على الحاضر فى جميع العشائر ولها العقل الوافر زائدة فى الحسن والجمال فقالت يا أبتاه أنا أرد عليك الدرع ولا تعرفه الامى لان جدى يحبنى واذا نام فى خيامنا ما ينام الا عندى وأقول اننى اذا قصدته لا يخيب قصدى فقال لها أبوها الملك قيس افعلى ما بدا لك نجح الله أفعالك فعندها ركبت ناقتها وأخذت معها جماعة من العبيد والاماء المسمية وسارت تجد السير الى وادى اليعموريه ودخلت على جدها وكان يحبها محبة عظيمة لاجل ما فيها من فصاحة اللسان وحسن البيان ﴿قال الراوى﴾ فلما رآها جدها الربيع علم بحالها ولاى شئ قدمت فقام اليها وسلم عليها وضمها الى صدره وأقعدها فى حجره وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها فقالت وقد فرحت بذلك الاكرام يا جداه رد على أبى درعه واقبل سؤالى فيه لانه كدر عيش أمى بهذا السبب وعاداها من أجلك وحلف أنه لا يغسل ثوبه ولا احد منا يعبر عليه الا أن يرجع درعه اليه فقال الربيع يا جمانة وحياة عينيك لو صبر لرددته اليه ولكن أقول أنه أقدمنى على الشر وأكثر فيه اللجاج والعناد لاسيما وقد أبعدنى وقرب عبد شداد ومن حين رحلت ما سأل عنى ولا ترضانى فقالت جمانة يا جدى بحياتى رد الدرع على أبى واقبل سؤالى فيه والا يحصل بينكم الشر بسببه فقال الربيع وقد تبسم من مقالها يا جمانة وحق ذمة العرب ما كان فى نيتى أن أرد الدرع على أبيك ولا ألقى الاعداء الا بها ولكن

لاخيب رجاك وأنا ألقى خالدا وبنى عامر فى الدرع وأرده بعد ذلك اليه اذا انفصل الحرب وأخذنا بالثار ويتفرغ القلب من هذه الاخطار (قال الراوى) فلما سمعت جمانة مقاله عرفت مكره واحتياله وقد علمت انه مايرد الدرع وان الغدر بينهم سيقع وان سؤالها ما نفع فتركت ما هى فيه من الطمع وباتت تلك الليلة عند جدها ﴿قال الراوى﴾ فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قامت مسرعة وركبت ناقتها وأخذت عبيدها وسارت وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

أبى لا يرى أن يسلب اليوم درعه * وجدى يرى ان يسلب الدرع من أبى
فرأى أبى رأى الضنين برأيه * وسيمة جدى سيمة الظالم الغبى
فلا ابن زهير تارك درعه له * ولا ابن زياد ان رأى الصلح يعتب
فياقيس ترك الدرع أوفى مروأة * عليك من الحرب المشيب للصبى
ويا ابن زياد ردها ان حبستها * ستجلب حربا عقبها الكرب والنحب
فانى أخاف اليوم عنترة الذى * يريد اقتناص الحرب من كل سبسب
وأن يتولى الحرب يوما بنفسه * وابطال عبس حوله لم يخيب

﴿قال الاصمعى﴾ رحمة الله عليه ولما وصلت الجمانة ابنة قيس الى بنى عبس دخلت على أبيها واخبرته بما جرى بينها وبين جدها الربيع وقالت له بالله عليك يا أبى ان أمكنك أن تترك له الدرع فاتركه فانه بعد أن ردنى ما بقى يقبل سؤال أحد وان لاججته لاججك وان قاتلته قاتلك وينغص عليك حياتك ويكدر عليك عيشك فقال قيس وقد زاد به الحنق وتمنى انه لم يخلق يا جمانة وحق ذمة العرب والرب الذى من عيون خلقه قد احتجب لابد أن أقاتل جدك الربيع أشد المقاتله وأعامله أشد المعامله وأنا أقسم وحق البيت الحرام والرب الباقى على الدوام لا أغسل رأسى حتى أفرغ من جميع أعدائى بالحسام ﴿قال الراوى﴾ وقد شاع الخبر فى الحله وقد استعجز واقيسا بالجمله وتحدث الناس مع بعضهم بالامور الرديه فى حق الملك قيس ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر قد أتى اليه فى أول قدومه وهناه بالسلامة وأبصر السلاح الذى اشتراه ولكنه ما اطلعه على ما جرى بينه وبين الربيع من الامر الشنيع ﴿قال الراوى﴾ ثم بعد قليل من الزمان بلغ الحديث الى عنتر من عروة بن الورد فصعب ذلك الامر عليه واشتد غيظه منه وكبر لديه وأتى الى الملك قيس وعتب عليه وقال له لماذا صبرت على الذل ونحن بين يديك فوحق ذمة العرب لو كنت علمت بهذا الامر من أول النهار لكنت استخلصته لك فى أسرع وقت وكنت أخذتها منه غصبا وأثرت من أجلها حربا وضربا وتركت وادى اليعمورية خربا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا الكلام تبسم له عجبا وأخذ يعجب منه فرحا وطربا وقال له والله يا حامية عبس وافرس من طلعت عليه الشمس أنا ما حسبت الا هذا الحساب ولا رضيت أعلمك بهذه الاسباب وأرحت نفسى من هذا العذاب وقد رأيت يا ابن العم ان من الصواب السكوت عن هذا الامر حتى ننظر حالنا مع خالد بن جعفر وندبر لنا أمرا يكون به الفوز والنصر ﴿قال الراوى﴾ فصعب هذا الامر على عنتر واستعجز قيسا وعادوه وبذمه ولما صار فى مضربه أحضر أخاه شيبوبا الاغبر وقص عليه هذا الخبر وشاوره فى هذا الامر المنكر وقال له والله يا ابن الام ما بى من أخذ الدرع مثل ما بى من قول عمارة لقيس قل لحاميتك عنتر يخلص لك هذا الدرع لانك اتكلت عليه وصار حاميتك وأنا والله يا أخى لولا قاب الملك قيس ابن الملك زهير ما تركت النهار يتضاحى وفى وادى اليعمورية من يخبر بخبر ويأتى بأثر بل كنت أشفى غليلى من بنى زياد وعمارة القواد والربيع الكياد وأريد منك يا أخى أن تعاوننى ببعض التدبير لعل ينطفى ما بقلبى من نار السعير فقال شيبوب يا أخى أنا ان شاء الله أدبرك أحسن التدبير فامض معى فى هذه الليلة اذا نام أهل الحى ونامت الاماء والعبيد وخمدت النيران من وادى اليعمورية وأنا أكمن لك فى بعض نواحيه وأرصد بنى زياد فان ظفرنا بأحد منهم نلنا المراد ونأخذ الذى نملكه منهم ونخفيه فى مغار بنا وندعه فى العذاب الشديد على الدوام ونسلكه فى سلك من حديد ولا نزال نعذبه بالعذاب الشديد حتى يفدى نفسه منا بالدرع ولو اننا نقتل

وبعد أن نأخذه لانبالى بنفس غيره وتكون أنت قد بلغت المراد وشفيت غليل الفؤاد وقيس اذا رآنا وقد رددنا درعه اليه فيا يعتبه أو لو أنه قتلنا الذى نأخذ الدرع منه فقال عنتر والله يا أخى لقد قلت الصواب وأتيت بشئ لا يعاب فلا عدمتك يا أبا رياح ولا زلت بشير الافراح خاليا من الهم والاتراح لعل هذه العبارة لعل يقع فى يدنا الربيع أو أخوه عماره وتكون سفرتنا ربحا بلاخساره وان صح لى هذا الامر وملكنا الربيع بهذا السبب شفيت غليلى منه ويخف بعذابه بعض ما بى من اللهيب والكرب وأنا أرجو ذلك من الله ربى وان يبلغنى أربى ﴿قال الراوى﴾ ثم صبر عنتر حتى دخل الليل وطلع نجم سهيل وخرج هو وأخوه شيبوب وهم فى زى العبيد وما معهم الا السيوف والخناجر وهم يطلبون الوادى المتقدم ذكره وينتخبون الطريق وشيبوب يدب به فى ظلام الليل وما زالوا على ذلك حتى مضى نصف الليل الحالك وتوسطوا الطريق والرمال وكان شيبوب سائرا وعينه تدور يمينا وشمالا وهو يتحدث مع أخيه عنتر بن شداد واذا هو قد رأى بين يديه خيال جواد وهو ينهش من هشيم البر وبين يديه انسان نائم وعليه ثياب جميلة وعمامة كبيرة وقد ثقل نومه وعلا غطيطه فقال شيبوب يا ابن الام هذا رجل لاشك انه غريب من هذه الارض وقد أمسى عليه المساء فنام ثم انه تقدم اليه ووقف على رأسه وصاح فيه فانزعج وقام وعينه مملوأة بالمنام وقال يا مولاى أراك الليلة رجعت على عجل بخلاف الليالى الاول فهل قنعت من عبلة بنظر وقضيت منها وطر والا وقعت عليك عين بشر وخفت على نفسك من الخطر فقال له شيبوب وقد خفق قلبه لما سمع ذكر عبلة هو وأخوه عنتر وقد هزا الحسام فى يديهما حتى دب الموت من فرنده ما هذا الخبر ويلك يا ابن اللئام من تعنى بهذا الكلام ومن أنت من العرب اللئام ومن هى عبلة التى تذكرها بهذا الكلام ومن هو مولاك الذى تذكره فى هذا الظلام فقال العبد وقد طار من عينيه المنام لما أبصر بريق السيوف فى جنح الظلام يا هذا تلطف وارفق بى فما أنا أمير ولا فارس خطير بل ما أنا الا عبد حقير ومولاى رجل طنجير لا سلمه الله بين العباد يقال له عمارة بن زياد وهذه ثيابه التى تراها وعمامته التى على رأسى وهذا سيفه وجواده فقال شيبوب والى أين مضى مولاك من الاماكن وتركك هنا كامن فقال له وقد ظن أنه من بعض العرب الغرباء والله يا سيدى ومولاى انه مضى الى بنى عبس ليفوز بالنظر الى وجه عبلة بنت مالك بن قراد بلاه الله هو واياها بالضرر والانكاد فقد أرعبتنى رعبة تقطع منى الاولاد ولا تزول من قلبى الى يوم الميعاد وهكذا كل قليل يأتى ولا يصيبه غير العناء والتعذيب ويأخذنى ويسير من وادى العمورية وأنا أظنه يختفى عن عنتر الى أن يأتى الى هذا المكان ويخلع ثيابه ويلبس ثيابى ويدخل الى هذا المكان ويخلع ثيابه ويلبس ثيابى ويدخل الى خيام بنى قراد لينظر عبلة وما يعود الاوقت السحر ويحلف لى أنه ما وقع لها على أثر فقال له شيبوب ويلك يا عبد السوء انه اذا دخل الى الخيام والمضارب تنكر عبيد القوم عليه وتقبض عليه فقال العبد لا يا مولاى لان له هناك أغراضا كثيرة يرشيهم بالمال والكساوى فيخفوه بينهم اذا دخل ويعاونوه على بلوغ الامل فقال شيبوب هذا حديث ما نعرفه ولا ندريه وانما أنت من فزعك تخترعه اخلع الآن ثيابك التى عليه وسلم لى الجواد الذى معك وبين يديك واغد الى حال سبيلك والا طار يا هذا رأسك فى البر الاقفر من بين كتفيك وتحل بك الخساره ولا ينفعك الربيع ولا أخوه عماره فقال له العبد يا مولاى من تكون أنت من الناس فقال له شيبوب ما أنا الا من بعض العفاريت الطياره اخلع ما عليك الآن والحق باهلك يا هذا قبل أن تهلك ونعجل من الدنيا مرتحلك فلما سمع العبد هذا الكلام لاح له وجه الحمام فتجرد لهم من ثيابه وخطى خطوة برجله والثانية سبقتها رأسه * قال وكان عنتر أدركه عند انصرافه وضربه ضربة رجل جبار واذا برأسه عن جسده قد طار فقال له شيبوب ويلك يا أخى واى شئ ذنب هذا المسكين فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة وأى ذنب أعظم من هذا أما تعلم ان ذنبه معاونته لعمارة على نظره عبلة فاريد أن أحرم أحدا بعده ان يتبع عمارة ويعاونه على بلوغ آماله والآن هذا أمر قد سهل وقد تيسر أخذ مولاه عمارة الصقيع وقد تخلص الدرع للملك قيس من عند الربيع بعد أن أشتفى أنا من عمارة بالضرب الوجيع والرأى عندى أننا نعود على أثره وأينما وجدناه قبضنا عليه فقال شيبوب

لا يا أخي ما هذا صواب لأني أخاف أن تخالفه في الطريق لأنه ما هو من أهل الشجاعة والبراعة حتى أنه يسلك الطريق الواضحة ويمشي على الجادة من الخوف والحذر بل يأتي على غير طريق الحذر حتى يفوز بالسلامة وحسن الظفر والرأي عندي أننا نقيم في هذا المكان واذا عاد نأخذه بأمان ونسير من هذا المكان ولا نكون فعلنا شيأ ثم أفسدناه (قال الراوي) ثم ان شيبوبا في الحال قلع ثيابه ولبس ثياب العبد وانطرح مثل ما كان العبد وسار عنتر الى البر وانعزل وما زال كذلك حتى بقي من الليل الثلث الأخير واذا بالأمير عمارة قد أقبل يهرول على عجل فلما أبصره جواده صهل فقال له حشتك يا صهال بعد أن شفيت ما بقلبي بنظر عبلة من الأمراض والاعلال ثم تقدم الى شيبوب ووكزه بالعصا وقال له يا ابن الملعونة قم ما أكثر نومك لعن الله قومك واخلع يا ويلك ثيابي قبل أن يدركنا الصباح * قال ومن عجلة عمارة ووهجته قلع ثيابه التي هي للعبد وبقي عريانا وقد بان من العورة ما بان وبان له فردتان ما يخرجها قبان فعندها أبصره شيبوب على ذلك الحال فوثب اليه وثبة الأسد الغضنفر والسيف في يمينه يجهر وقال له أدركتك يا قرنان يا غدار يا مكار فخل عنك ذكر العبيد والأحرار فقد وقعت في النار أبشر بالقتل والبوار واعلم انك وقعت في قبضة جني طيار من عمار تلك القفار وسأجرعك الموت بهذا البتار واذا بالأمير عنتر قد جاءه وقبض على عظم قفاه وكبس عليه فخرجت عيناه ومن عظم ما تضايق من يده سيب على نفسه خراه وبقي عبرة لمن يراه فعند ذلك تقدم اليه شيبوب وقال له ويلك ما أقرب خراك لعن الله أباك ثم وشحه بالسوط الذي في يده فعند ذلك قال لهم عمارة يا وجوه العرب اطلبوا مني الفداء فأنا سيد كبير أحكم على جمع كثير ويكون في علمكم أني أنا عمارة بن زياد وأخي الربيع الجواد واذا لم تقبلوا من نفسي الفداء بالمال والا تخلصت منكم بلا نوق ولا جمال ويهلككم أخي الربيع ولو كنتم في أقصى الجبال فقال عنتر وقد أوجعه بالسوط على جلده الناعم لا خير فيك ولا في الربيع أخيك ولا كنتم ولا استكنتم فوحق ذمة العرب لا بد لي أن أقطع جلدك بالضرب وأشفي بعذابك قلبي وأحرمك أن تذكر عبلة مع الذاكرين أو تزورها في زي العبيد المنافقين وأخلص بك الدرع الذي أخذه أخوك من قيس وقلت أنت له قل لحاميتك عنتر يخلصها لك وويلك ان كنت لا تعرفني أنا أعرفك بنفسي يا ابن الأوغاد أنا عنتر بن شداد كما أنت عمارة بن زياد وأنا اذا ذكر اسمي تخضع له الآساد وتذل له الرجال الأجلاد (قال الراوي) فلما سمع عمارة بذكر عنتر خرس لسانه وانهدت أركانه وأيقن بالموت بين اخوانه وعلم أن زمانه قد خانه وضحك عليه بعد أمانه فذل بعد العز وقال بغنج وفتور وكلام ككلام النسوان يا ابن العم لا تؤاخذني بعثرات اللسان فان صنيعك عم سائر الفرسان ابشر بكل ما تريد وأنا أسلم اليك هذا الدرع المشؤم فقال له عنتر أنا لا أقبل كلام حتى أشفي منك غليل قلبي بضرب السوط والآلام (قال الراوي) ثم انه ألبسه ثياب العبد التي كانت عليه وشده كتافا وربطه على ظهر جواده بالعرض وصار عنتر يجلده كلما تفكر مقاله ويوجعه بالضرب ويقبح أفعاله (قال الراوي) فما وصلوا الديار حتى قاسى عمارة شدة لا ينساها ما بقي في الحياة ولما ان وصلوا الديار ووجدوها خامدة دخلوا الى مضاربهم وأخفى عنتر عمارة في بيت أمه زبيبة وأصبح في الحي وكأنه ما ذهب منه وما مضى ذلك اليوم حتى علم الربيع بفقد عمارة واحترق قلب أمه بناره وكذلك اخوته وما فيهم الا من يقول قتله عنتر فقال الربيع أنا قلبي يحدثني بغير هذا وأنا أقول ان قيس بن زهير طرح عليه العيون والارصاد واغتاله وأخذه لأجل الدرع الذي أخذته منه ويأمل مني ان أفديه وهذا شيء لا أفعله أبدا الا ان كان رغما عني ويؤخذ غصبا وان كان قد فعل ذلك فأنا أطرح الارصاد على أخيه مالك وكل من وقعت به من اخوته أخذته وأثخنته بالجراح وأعذبه مساء وصباح حتى يفدي روحه مني بأخي الذي أخذوه والا أمرت اخوتي ان يصلبوه وأصيرها عداوة أصلية حتى تصير مثلا بين سائر البرية ولا يخرج الدرع من يدي بالكلية ويعلم قيس من منا على الشر أقدر ومن أشد في الحيل وأمكر فقالت أمه يا ولدي أتقطع ما بينك وبين قيس من القرابة والنسب وتصيروا مثلا بين العرب فقال نعم يا أماه لأنه درع من الدروع الجياد لأجل ميله لعنتر بن شداد فوالله لأدبرن هلاكه وهلاك بني جذيمة وسائر الأجناد وأعمل على وقوعهم في العطب

حتى يعلموا ان مثلي ما يضيع حقه ولو صبر بين العرب وان كان عنتر قتل أخي وأسقاه كأس المنية وصح عندي موته بالكلية فما أطلب ثاري الا من الملك قيس بنفسه والا فعبد شداد ماله قيمة بين العباد حتى أعادي به وأطلب معه الشر والعناد (قال الراوي) ثم ان الربيع بن زياد معدن المكر والفساد أقام يدبر فيما يصنع من المكر والكياد ووضع على أولاد الملك زهير العيون والارصاد قال وفي أسرع ما يكون شاع الخبر بفقد عمارة بين النساء والرجال في البدو والحضر وسمع الملك قيس بالخبر واتهموا به الملك قيس وعنتر فقال قيس والله لقد كذب الربيع واعتدى وهذا شيء ما خطر ببال عنتر أبدا ولا غاب عن الحلة ولا أقول انه يقتل عمارة لأنه وقع به غير مرة وخلصه من الأسر أكثر من كرة ولا له عنده دين ولا مال ولو اشتهى قتله كان قتله من مدة زمان طويل وهذا أمر لا يخفى ولا بد له أن يظهر ونقابل الربيع على مقاله وسوء أفعاله وأنا أعلم أنه يطرح العيون والارصاد على من يخرج في حالة الانفراد فالصواب أننا نحترز على أنفسنا من مكره وشره ثم انه أوصى اخوته بذلك الحال وقال لهم اخرجوا كل يوم بالنوبة واحفظوا المراعي والمال في جماعة من الرجال والا دهمنا الربيع المحتال فقال أخوه مالك لا يضق يا أخي من هذا صدرك ولا يشتغل فكرك وان كنت فزعا من هذا الحال فأنا أنفذ الى خليلي عنتر فارس الرجال وأكلفه حفظ النوق والجمال وآخذه وأخرج كل يوم الى المرعى والعبيد قدامنا تسعى وان تعرض لنا أحد من بني زياد أو من جميع العباد قلت لعنتر يقطع أعمار الجميع (يا سادة يا كرام) فعند ذلك قال الملك قيس لأخيه مالك هذا التدبير يؤول الى المهالك لأن عنتر اذا وقع ببني زياد أفناهم عن آخرهم وآثار الدماء بيننا وبينهم والصواب اننا نداوي هذا الداء الذي قد تجدد علينا وظهر حتى تنفصل نوبتنا مع خالد بن جعفر وبعد ذلك أقابله على جميع أفعاله وأخلص الدرع منه بغير اختياره فأجابه مالك الى ذلك الحال وقد غاظه صبر أخيه على الاذلال وصار يخرج كل يوم مع الأموال في جماعة من الأبطال وأما عنتر فانه علم بذلك التدبير وأوصى أخويه شيبوب وجرير وقال لهم ان الملك قيس قد فزع من الربيع بن زياد وقد ألان له جانبه وظن أنه اذا جاءت العدا يساعده وأنا ما يمكنني ان أخالفه ولا أشير عليه بما لا يريد والصواب ان يخرج واحد منكم كل يوم الى المرعى مع النوق والجمال ويحفظ أولاد الملك زهير المفضال ويقعد لهم ديدبان على رؤوس الروابي والكثبان وهم لا يعلمون بالحال واذا رأوا الربيع دهمهم على غفلة ومعه الرجال يعود الي ويعلمني بالأخبار في الحال وأنا أريهم كيف يكون القتال فعند ذلك قال شيبوب السمع والطاعة فهذا ما كان من شيبوب وجرير وعنتر ثم انه بعد ذلك اجتمع مالك ابن الملك زهير بعنتر وشكا له لين جانب أخيه قيس لبني زياد وأعاد عليه الحديث الذي قد عول عليه فقال له عنتر يا أمير مالك لا يضيق صدرك ولا يشتغل سرك ودع أخاك يدبر كيف يشتهي فان أخاك يراعي بني زياد لأنهم أصهاره ويظن انهم جنوده وأنصاره وأما عبدك عنتر فانه قضى الحاجة من غير علم قيس ابن الأجواد وأشفيت غليلي من بني زياد (قال الراوي) فلما سمع مالك بن الملك زهير هذا الكلام لم يدر ما معناه وبقي حائرا وفكره قد تاه وقال له كيف ذلك يا ابن العم يا مزيل الهم والغم فأخبره بقصة عمارة وكيف انه قبضه وأنزل به الخسارة وأنه عنده في الأسر والهوان يقاسي من العذاب ألوان فتعجب مالك من ذلك الأمر وقال والله يا أبا الفوارس لقد أشفيت الغليل من هذا الوغد الذليل والصواب انك تقتله ما دام أمره غير معلوم وحاله مكتوم فقال عنتر يا مولاي نحن ما قتلنا أحدا من بني زياد وجرى على قلب أخيك هذه الانكاد فكيف لو قتلت منهم أحدا وبذلت سيفي فيهم فما كان أخوك قيس يرجع يجاورني أبدا ولكن الرأي السديد والأمر الحميد أن نبلغ منهم ما نريد بتطويل الروح والمداراة بحسن الأسباب فنصير محمودين العاقبة عند الأقارب والأصحاب لأن عمارة ما بقي له فرج الا بالدرع الذي أخذه أخوه من أخيك لأنه قد ضمن لي هذا من مدة طويلة من الزمان وأنا الى الآن ما اشتفيت من عذابه والهوان (قال الراوي) وبعد أيام من قبض عمارة وقع الصياح في أطراف البيوت ودخل شيبوب على أخيه عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقال له قم والحق صديقك مالك ابن الملك زهير قبل أن لا تلحقه الا وهو هالك لأنه اليوم كانت نوبته لحفظ الأموال فشن عليه الغارة الربيع بن الأندال وقتل من رجاله خمسة رجال وما

أتيت اليك الا وقد تركتهم فى أشد القتال فقال عنتر أى وأبيك اليوم أريك قتالا تقر به عيناك و يعجبك و يرضيك ثم ركب فى الحال على ظهر جواده الابجر الذى قوائمه أقوى من الحجر ثم انه تقلد بحسامه الضامى الابتر الذى فى فرنده الموت الاحمر واعتقل برمحه الاسمر الذى لا يبقى ولا يذر وخرج من البيوت والخيام كانه أسد خرج من الآجام وحرك الجواد حتى وصل الى رأس الوادى الذى خرجت منه الرجال وفعلت هذه الافعال فدعينه فرأى الربيع بن زياد واقفا فى خمسة فوارس من رجاله والاقارب والباقى احتاطوا بمالك ابن زهير من كل جانب وقد طلبوه بالقنا والقواضب وعبيد الربيع تسوق النوق والجمال وهو فرحان ببلوغ الآمال و يأمل ان الرجال والابطال تأسر مالك ابن الملك زهير وتنجز هذا الحال ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى عنتر هذا الامر المنكر طار من عينيه الشرر وهدر و زمجر وشتم و بربر وصارت عيناه مثل الجمر الاحمر و زعق على العبيد زعقة الاسد القسور فاقشعرت من هول صرخته الابدان وتأخرت من هيبته الفرسان وسمع الربيع عنه ذلك ورأى بعينه خلاص مالك فايقن بالمهالك وقال لمن معه يا بنى عمى والاخوان من أوصل خبرنا الى ذلك الشيطان فاتى الينا فى هذا المكان فكانه كان مختفيا بين الشعاب وكانه حاسب هذا الحساب والدليل على ذلك انه أتانا وحده وما معه أحد من جنده فاريد منكم المعاونة عليه لعل أن يبلغ قلبى مناه وأنال منه ما أتمناه ثم نزل من أعلى الرابية وطلب موته وفناه من قبل أن تطلبه فرسانه وحماه * هذا وقد اقتحم الربيع الغبار و زعق زعقة الجبار وقد أراد أن يبارز عنتر الفارس الكرار و يغتنم الفرصة فى ذلك النهار واذا باخيه ظهر من تحت الغبار وعقله قد انسلب وهو ينادى يا للعرب قصف والله أضلاعى هذا العبد الزنيم الراعى * قال وكان عنتر لما رآه بالعين طعنه طعنة قصف له ضلعين وصرخ فيه صرخة الاسد الغالب فولى من بين يديه هارب وقد ضاقت عليه جميع المذاهب فلما سمع الربيع ذلك ذاب جسمه و زاد به الغضب والحنق وتمنى انه لم يخلق ولحقه فى نفسه الخبال وأيقن بخيبة الآمال وصاح فى عبيده وقال و يلكم يا بنى الانذال سوقوا هذه الاموال حتى أخرج أنا الى هؤلاء الانذال وأنزل الى هذا العبد المخذول وأقاتله قتال الفحول لعلى آخذ لاخى عمارة بالثار ونعود كلنا الى الديار ثم انه صاح فى فرسانه وأطلق لجواده عنانه واذا هو بالرجال قد ظهرت من تحت الغبار وهى طالبة الهرب والفرار * هذا وعنتر قد فرق الفرسان يمينا وشمال وهو يطعن فى أعقابهم طعنا وقتال فقال الربيع يا له من يوم ما أشنعه ووقت ما كان أعظمه فيه أهلك هذا العبد فرساننا وأباد أبطالنا وان كان يلحقه من بنى عبس النفير لا يترك من فرساننا الا قليلا ولا كثير ثم انه التفت فرأى جميع الفرسان الذين معه هاربة والى النجاة طالبة فعاد الآخر يطلب النجاه وقد طلب عرض البر والفلاه وأيقن بحلول الوفاه فان يوم الشر قد فاجأه فعند ذلك نظر عنتر اليه ودرع الملك قيس عليه فاسودت الدنيا فى عينيه وانقض عليه انقضاض الكوكب وجد له قصده والطالب وضيق عليه البر والسبسب وطعنه بعقب الرمح فانقلب فنادى الربيع بالويل والثبور وعظائم الامور وقام على قدميه وقد أثقله الدرع الذى عليه فانقطعت منه حمائل حسامه فوثب كانه جمل انكسر عظم سنامه وكاد من خوفه أن يتقايأ ما شرب من أمه من اللبن وصاح باعلى صوته يا ابن العم لا تفعل أنا فى جيرتك يا ابن الكرام الصنيعة الصنيعة أيها البطل المقدام فصاح فيه عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام الآن قلت الصنيعة يا ابن اللئام اخلع الدرع عنك وارجع بالارغام والا وحق الملك العلام خالق الضياء والظلام ومنشى الامم وجميع الانام ضربت عنقك بهذا الحسام الصمصام وجعلت يومك أنحس الايام فقال له السمع والطاعة يا ابن العم يا مزيل الهم والغم اصبر على ولا تعجل حتى أخرج كمى منها بالعجل ثم قلعها وسلمها اليه وظن ان روحه خارجة من بين جنبيه فعند ذلك تسلمها عنتر وعاد وقد بلغ المراد واشتفى غليله من بنى زياد وانشرح صدره من بعد ما كان محزون الفؤاد وجاش الشعر فى خاطره فباح بما استقر فى ضمائره فانشد وقال

ألا يا عبل ضيعت العهودا * وأمسى وصلك الماضى صدودا
وما زال الشباب ولا اكتهلنا * ولا أبلى الزمان لنا جديدا
ولا زالت صوارمنا حدادا * تقد بها أناملنا الحديدا

سلى ابن زياد عنا حيث كنا * شفينا من رجالهم الكبودا
وخلينا نساءهم حيارى * قبيل الصبح يلطمن الخدودا
ملأنا سائر الاقطار خوفا * فأضحى العالمون لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا فى علاها * فلم نترك لقاصدنا مزيدا
اذا بلغ الفطام لنا صبى * تخر له أعادينا سجودا
ومن يقصد بداهية الينا * يرى منا جبابرة أسودا
ندير الطعن بالسمر العوالى * اذا ما الحرب انضجت الكبودا
ونضرم نارنا فى كل أرض * تذيب العظم منهم والجلودا
اذا دارت على قوم رحانا * تركنا عامر الاطلال بيدا
ويوم البذل نعطى ما ملكنا * ونملا الارض احسانا وجودا
أنا العبد الذى يلقى المنايا * حقيق فارس الهيجا مجيدا
علوت بهمتى أعلا الثريا * اسعد باذخ وثنا حميدا
وفى الآفاق ذكرى شاع جهرا * وفعلى فى الورى أضحى سديدا
ولى عزم سعيد من اله * قديم قادر خلق العبيدا

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام الا وخيل بنى عبس طالعة من وسط الآكام وهم لبعضهم تابعين والملك قيس فى أوائلهم مثل الاسد العرين وما صدق ان يرى أخاه ومن معه سالمين فلما رآه هذا وعنتر قال له يا مولاى أتعبت سرك فخل عنك وعبدك عنتر يهلك عدوك ولقد خاصت لك درعك الذى كنت بسببه حزينا وقد اشفيت قلبك من أعداك وسابلغك منهم مناك ﴿قال الراوى﴾ ففرح الملك قيس فرحا شديدا ما عليه من مزيد * قال وكان السبب فى مجيئهم الى هذه الفرسان الذين كانوا مع لاميرمالك أنهم كانوا خرجوا على عبيد الربيع المحتال فقتلوهم جميعا وخلصوا منهم الاموال والنوق والجمال ولما رأوا عنتر فعل هذه الفعال رجع بعضهم الى الملك قيس وأعلمه بالحال فخرج على الاثر حتى التقى بابى الفوارس عنتر وجرى ما جرى وأما الربيع المحتال فانه رجع وهو خائب من كل جانب موجع القلب من شدة الوقعه وما حصل له من تلك الفجعه وانه حين أمن على روحه من القتال جمع من كان معه من الرجال الذين هربوا فى الجبال وتركوه ممددا على الرمال وكان أكثرهم ما خرج من وادى اليعمور به ولا حضر واحربا ولا قتالا بالكليه فعتب عليهم الربيع ولامهم وقال لهم يا بنى عمى ما هذه الفعلة التى فعلتموها وما حضرتم هذه الوقعه ولا شاهدتموها و وقت الحاجة اليكم تخليتم عنى وخذلتمونى عند الرجال وقتل الابطال فقالوا له وما تريد منا يا ربيع أتحب أن نقاتل معك ملوكنا ونشاقق بالعداوة ساداتنا ونثير الدماء وتبقى العداوة بيننا وأكثرهم أقاربنا وأزواج بناتنا وما كفاك اننا جئنا معك الى هذا المكان وتركنا الاهل والاوطان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الربيع ذلك المقال علم انه ما ينال بهم غرض ولا يشفى بهم مرض فقال لهم يا بنى عمى اذا كانت هذه النية نيتكم وقد عقدتموها بينكم فارحلوا الى ساداتكم فانى غنى عنكم وعن نصرتكم ولا حاجة لى بجاورتكم فقالوا له تمت مرافقتك ولست أملك على أموالك فها نحن راحلين والى قومنا واصلين ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم عادوا الى بنى عبس وكان وصولهم عند طلوع الشمس وقد اعتذروا من أفعالهم الى بنى عمهم ونزلوا فى أماكنهم وأطلالهم وأما الربيع بن زياد فانه ارتحل الى بنى فزاره الطائفة الغدارة وعلم عنتر برحيلهم فاطلق عمارة أخاهم وهو فى زى العبيد وفى يديه ورجليه اثر الرباط الشديد بعد ما جازاه على فعاله وقطع بالضرب أوصاله وكان قال له يا مذلول السبال وحق الملك المتعال لا تركنك طول العمر فى الاعتقال ولا ترى أهلك أبدا وكنت تقاسى العذاب سرمدا فلما قضى عنتر أربه قال له بعد ما قضيت الحاجة ما بقى فى اعتقالك اراده فسر الى أخيك القرنان وقل له يا مذلول السبال وذميم الافعال افعل ما عندك واجهد أعظم جهدك فلا رحم الله أباك ولا جدك وان فعلت شيأ فأنا به أجازيك وعلى فعالك أكافيك ثم انه أطلقه وهو لا يصدق بالنجاه لانه كان أيس من السلامة والحياه ﴿قال الراوى﴾ وكان أخوه نزل على بنى فزاره معدن الخبث الطائفة

الغداره وأعاد على حذيفة جميع قصته وأطلعه على بليته وأخبره بفقد عماره وما ناله من الذل والخساره فقال له حذيفة ما كان يحتاج الى نزولك فى وادى اليعمورية بل كنت تأتى الى ههنا ونحن كنا شديد بنا معك وحميناك وبكل ما غلاك من أموالنا فديناك فقال يا حذيفة انك غاية الآمال وعنتر سيناله مذلول ولا نترك تلك الفعلة لذلك الزربون فلا الغدار الخؤن فعند ذلك قال حذيفة أما عمارة فيا فات عنتر بن الانذال وما هو الاعنده فى الاعتقال أو قتله وأخفاه بين آكام الرمال فقال الربيع والله أيها السيد الكريم ما لنا غيره خصيم ومصايبنا كلها من هذا الشيطان الرجيم لكن وحق الاله القديم وزمزم والحطيم لابد من التدبير على هلاكه واتلاف مهجته ولو فنى جميع اخوتى ومن يلوذ بى من أهلى وعشيرتى ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى تلك العباره اذ قد وصل اليهم الامير شرف الدين عماره وهو على تلك الحالة التى وصفناها والقصة التى عرفنا كم اياها فصعب ذلك على الربيع وعلى اخوته وبكوا حين رأوا تغير صورته وسألوه بعد ذلك عن قصته وما جرى له فى غيبته فاخبرهم بالقصة من أولها الى آخرها وليس فى الاعادة افاده فصعب ذلك على الربيع وعلى بنى فزارة الجميع فقالت أمه فاطمة أنت يا ولدى ما فرغت معارضتك لعنتر وما كفاك هذه المصائب والعبر فقال لها عمارة يا أماه يا أماه والله ان القتل أهون على مما لاقيت من هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم ولكن وحق ذمة العرب لابد لى أن أهلكه وآخذ عبلة وأبلغ منه ما أريد فقال الربيع بالله يا أخى اقصر عن هذا الكلام فقد انفتح لى باب أبلغ به كل الارب وبعد ذلك نشتت بنى عبس عند كل العرب ثم انه وقف قائما على الاقدام وأخذ يدبر الحيل ويتقن العمل وسيكون له معنا كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه ﴿وأما ما كان﴾ من بنى عبس الكرام فانهم قد أتاهم خبر من السفار ان خالد بن جعفر جمع عليهم عرب البرارى والقفار ومعه أخوه الاحوص بن جعفر فى بنى عامر وبنى كلاب وانه طرح نفسه على شيخ العرب دريد بن الصمة فارسل معهم أخاه عبد الله فى جيش كبير من بنى جشم وهوازن وجمع لهم تمام أربعين ألف عنان وهم الجميع طالبون اليكم وقادمون عليكم فخذوا أهبتكم للحرب والقتال والا ارحلوا الى أعلى الجبال تحمى لكم الحريم والعيال وأيضا وصل الخبر الى بنى فزارة فانفذ حذيفة الى الحرث بن ظالم وطلب منه النصرة على بنى عامر وأخبره بما جمع خالد بن جعفر فى هذه المرة ﴿قال الراوى﴾ وقد طلب حذيفة الربيع لان يشاوره ان كان يرحل أو يقيم فى أرضه فلم يجده فسأل عنه من اخوته ومن فرسان قبيلته فقالوا له انه من منذ أيام أخذ أخاه عمارة وطلب هلاك عنتر بن شداد والى الآن ما عاد فقال حذيفة نحن فى شئ والربيع فى غيره ثم انه أمر قومه ان يأخذوا أهبة الحرب والطعن والضرب وبقى منتظرا من قيس رسولا يقول له كيف يدبر وماذا يفعل قال وفعل قيس مثل ما فعل حذيفة لما بلغه ما جمع خالد بن جعفر وكيف انهم انقسموا قسمين كل قسم عشرين ألف فارس فقال قيس كذب فأله وخزى شيطانه ولعن سباله ثم انه جمع بنى عبس وفرق عليهم الزرد والدروع والسلاح وآلة الحرب والكفاح وبعدها طلب عنترا ليأخذ معه فى المشاورة فما وجده ولا سمع له خبر ولا جاية أثر فقلق لذلك وتحير وأخذه لاجل ذلك الفكر والضجر فاحضر أخاه جرير وسأله عن حاله فقال له يا مولاى من مدة ليل صاح به صائح فى غسق الظلام وطلب منه النجدة والذمام فركب يا مولاى وأخذ معه أخاه شيبوب والى الآن ما عاد ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك صعب على قيس ودق يدا على يد وقال والله لقد فقدناه فى أضيق الاوقات وهذه عاداته لا يستقر فى شغل ويعلم أحدا بحاله ثم انه أشار على اخوته وأعمامه فيما نعمل وقال قد رأيت انى أرسل الى بنى فزارة تأتى الى ههنا بالمال والعيال والحريم والاطفال ونكون نحن فى أرض واحده ونكون على الاعداء عصبة مساعده فقالوا له ما رأيت الا الامر السديد والرأى الحميد فقال الامير مالك بن زهير لاخيه قيس يا أخى لا ترسل الى بنى فزارة ما دام الربيع فيهم فقال جماعة من بنى عبس للملك قيس هذا الرأى الذى قاله أخوك هو الصواب ثم بعد ذلك أشاروا على قيس بارسال الرسول فارسل من يومه الى بنى فزارة يأمرهم بالمجئ (قال الراوى) وكان حذيفة بن بدر قلبه على الربيع ملآن فزعا فما عاد ولا وصل الا فى اليوم الذى أتى فيه رسول قيس وكان وصوله هو وأخوه عمارة بالليل وكان قد سار معهم أربعون عبدا فما رجع من الجميع واحد ومن الغد بلغ الامير حذيفة

مجيئه فاحضره وسأله عن حاله فقال له بلغت المراد من عنتر بن شداد وأهلكته بحيلتى وهلك معه أربعون عبدا من عبيدى وعبيد اخوتى لاننا لما ملكناه وعولنا على قتله جاءتنا خيل غائره وفرسان سائره وكانت أكثر من مائتى فارس فاهلكوا باقى عبيد اخوتى وعبيدى وأخذوه معهم وطلبوا به عرض الفلاة ورأيتهم يطالبوه بالدما وقد دار واحوله بالسيوف والقنا فنجونا نحن بانفسنا وقد علمنا انه مقتول لا محاله وأيقنا ببلوغ المأمول والمنا بلا اطاله فلما سمع حذيفة بن بدر مقالهم قال وحق البيت الحرام ان بلوغ الانسان مناه يساوى الدنيا وما فيها ﴿قال الراوى﴾ ثم انه أعلمه بالاخبار التى سمعها عن خالد بن جعفر ثم استشاره فيما يفعل وهل يقيم فى دياره أم الى بنى عبس يرحل وأعلمه برسالة قيس بن زهير المفضل فقال له الربيع يا ابن العم لا تفعل دعنا ههنا نحمى حريمنا وعيالنا وأهلنا وأطلالنا ودع قيسا يدبر أمره كما يريد لاننا أظهر منه وأقوى لا سيما اذا وصل الينا الحرث بن ظالم فى بنى مرة والملك قيس قد علم بعدم عنتر فى هذه المرة فاسمع منى ودع قيسا ينفصل بنفسه حتى يرى بعينه المذله ويعلم اننا كنا نحميه ونحفظ له أرضه ومراعيه وانه لا يقدر أن يلقى أعداه ولا يقيم فى أرضه ومرباه فقبل حذيفة ما قاله الربيع بن زياد وسمع رأيه واعتمد عليه ثم انهم اتفقوا على أن يردوا رسول الملك قيس خائبا فردوه وكان الجواب لرسول قيس من الربيع أن قال له وبلك قل للملك قيس يحمى نفسه ويحفظ مراعيه كيف أراد هو وعنتر بن شداد الذى يقول انه حاميته ويدع بنى فزارة تدبر أمرها وهى تعاونه على بعض أعداه وانه لولا عنتر لكان بينهم وبين بنى فزارة معامله ولا كانت صحت عداوة خالد بن جعفر وبنى عامر الاكابر (قال الراوى) فلما وصل رسول الملك قيس بهذا الجواب وفهم هذا الخطاب استصوب الجماعة وقيس رأى مالك فى الاول وقوله لا ترسل اليهم رسولا فقال الملك قيس لعن الله الربيع بن زياد لانه ما خلع لباس المكر من رجليه ولا تزول بغضتنا من قلبه حتى تدور الدوائر عليه قال وما زالوا على ذلك الامر والشان حتى وصلت اليهم بنو غطفان فى أربعة آلاف فارس مع مقدمها ثابت بن حسان وكان الفتى ثابت أحب الناس اليه بنو عبس وعدنان وهم أقارب وفرع من عدنان (قال الراوى) فلما وصلوا ترحب بهم الملك قيس وأنزلهم فى أعز مكان وشاور حسان فى أمر القتال فقال له يا ملك الصواب رحيلنا الى أعدائنا لان ذلك أجود لنا وأهدأ لقلوبنا فقال قيس هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم جعلوا يدبرون أمورهم ويهيئون أشغالهم حتى سمعوا ان الاعداء قاربت أرضهم فرحلوا فى ثمانية آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس عليهم البيض والزرد والخود والعدد متقلدين بالسيوف الهنديه معتقلين بالرماح الخطية راكبين على الخيول العربية الا ان الجميع مستوحشون لغيبة عنتر بن شداد لا سيما أسيد بن حذيفة وعروة بن الورد ومن كان يحب عنترا صار يتصعب عليه (قال الراوى) ثم سار والناس فى ذلك اليوم حتى أمسى المساء ونزل بهم الملك قيس وقال يا بنى عمى خذوا أهبتكم من ههنا للحرب والقتال فما يمكننا أن نبعد عن الحريم والعيال أكثر من هذا الحال *قال فعند الصباح طلعت عليهم نواصى الخيل وثار عليهم الغبار حتى بقى النهار مثل الليل وصاح خالد بن جعفر فى بنى عامر وقد وصلت الجيوش والعساكر وظهروا من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب واهتزت الارض من ركض الجنائب وتزاحمت الصافنات واهتزت الجبال من كثرة الصياحات والزعقات ونادى خالد بن جعفر الا ما أبركه من صباح وحمل ملاعب الاسنة وطلبت فرسان العرب الحرب والكفاح ونادت بنو عبس بانسابها المتصلة وتلقت جميع الفرسان المقبله واشتبكت الرماح مثل آجام القصب وكثر الركض والخبب حتى كادت الجبال بهم تنقلب وفتكت الاسياف فى الدروع واللبب وجرى الدم وانسكب وعظم الويل والحرب واشتد الغيظ والغضب وهان المال والمكسب وافتخرت سادات العرب ودنا الاجل واقترب وزادت الوساوس والكرب (قال الراوى) واصطفت الخيل فى الصدور وبان صبر الصبور وقطعت الايادى والنحور وسفكت الدماء على الارض وهتكت الستور وحامت على القتلى الجوارح والطيور وتقابضوا باللحا والشعور وظنوا أنه يوم البعث والنشور وقد بعث الله جميع من فى القبور فسبحان العزيز الغفور وصاح خالد بن جعفر الثار الثار وأظهر ملاعب الاسنة منعته بضرب السيف البتار وصدمت القبائل

بنى عبس تحت الغبار واندفقت عليهم مثل موج البحار واندهش الشجاع وحار وهربت الاشرار وتقدمت الاخيار وما صدقوا بانسدال الليل ومضى النهار حتى نزلوا وقد أبصروا ما صبرهم وأدهش فكرهم من كثرة العدد وزيادة المدد فقال قيس يا بنى عمى ما كان رحيلنا عن الحريم بصواب لان بين أيدينا خلق كثير ولو سار أحد منهم الى حللنا تركها قاعا صفصفا وما فى الامر الا أننا نعود الى العيال ونقاتل دونهم بالحسام والنبال حتى نموت كراما ولا نعيش لئاما فان هذا الامر كان مقدرا علينا من رب السماء وقد فقد حامينا عنتر رئيس النبلاء وصعب علينا ما جرى لنا * قال ثم أقاموا حتى رقدوا من الليل هجعة وركبوا على ظهور الجنائب فصاح خالد بن جعفر وسار فى آثارهم الى الصباح وقد زاد طمعه فيهم فلما رآهم بنو عبس قد اقتفوا آثارهم وقع بهم شدة الفزع لما رأوا جيش الاعداء قد طلع ثم انتشب الحرب بين الفريقين ووقعت المقاتلة بين الطائفتين وصارت طائفة بنى عبس تقاتل عن أنفسها وتدفع وصارت الجماجم تتطاير وسيوف المنايا تقطع وكادت الخيل من تحتهم أن تقع وانقطع طريق الطمع وسال الدم وهمع والنساء تنادى باسم حاميتهم عنتر ويصحن صياحا منكر ويصرخن صراخ من قد فجع بحاميته * هذا وعبلة قد وكف دمعها وهمع وقطعت شعورها من الحزن والجزع وتهتكت من حولها النساء وكشفن كاهن الشعور عما دهاهم من عظائم الامور ونادوا يا بنى الاعمام أين البطل الغيور أين من كان يستر الحريم فى مثل هذا اليوم المشهور قاتلوا يا بنى الاعمام ولا تتركونا فى قبائل العرب جوارا خداما واسبياه وافضيحتاه واغربتاه * هذا والقتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل والبلاء على بنى عبس قد نزل وغشم بن مالك قد حمل وقتل الشجعان وما أمهل ﴿قال الراوى﴾ وعند آخر النهار كشف الملك قيس راسه وألقى ما كان عليه من لباسه ونادى فى بنى عمه واخوته يا ويلكم يا بنى جذيمة تختار والحياة والهرب وتخلوا نساءكم سبايا مع العرب ثم انه حمل واستقتل وفعل اخوته مثل ما فعل وحمل عروة بن الورد ورجاله ودام السيف يعمل والدم يبذل حتى دخل الليل وافترقوا عن بعضهم البعض وقد انكسر بنو عبس الى الخيام وكذلك بنو غطفان وقد أسر وا منهم مائتين وخمسين فارسا على يد ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل * قال ولما دخل الليل زاد بكاء الاطفال والنساء وكان أعظمهم حرقة وأكثرهم مشقة عبلة ابنة مالك بن قراد لفقد حاميتها عنتر بن شداد (قال الراوى) وكان أكثر الرجال أسوا من قيس وبنى جذيمة جميعا لان ملكهم بعد عنتر قد زال وانهدم وعلموا أنه أشرف على الهلاك والعدم وقال قيس وحق ذمة العرب ما كانت هيبتنا الا بعنتر فيا ليت شعرى أين هو من آثار القضاء والقدر وما الذى أصابه من الامر المنكر ويا هل ترى يعلم ما وقع فيه بنو عمه من هذا الضرر وما حل بعبلة من الخطر والقضاء والقدر فهذا ما جرى لهؤلاء من الخبر (وأما ما كان) من بنى فزارة الغرر فان دهمهم عبد الله بن الصمة أخو دريد فى عشرين ألف فارس من العرب وكانوا قد تبعوه فى طلب المال والمكسب فقاتل بنو فزارة أول يوم والثانى ونزل عليهم التعس والمنكس وكانت مصيبتهم أعظم من بنى عبس وما كانوا مستظهرين الا بالحارث بن ظالم لان الفارس الجيد اذا كان فى طائفة حماها وكان الربيع بن زياد قد نصح فى هذه الوقعة هو واخوته فى القتال وكان فرحهم بفقد عنتر بن شداد ووقوعه فى الشدائد والانكاد ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما جرى لهم من الايراد واسمع ما كان من أمر عنتر بن شداد وذلك أنه بعد أخذه للدرع من الربيع الصقيع وجرى لهم ما جرى وأطلق عمارة الرقيع فبينما هو ذات ليلة من بعض الليالى أراد أن ينام واذا هو بصائح فى جنح الظلام هل من مجير هل من نصير أين أصحاب النخوات أين أصحاب العزمات أين من يغار على البنات العربيات يا أبا الفوارس الحقنا ومن هذه البلية خلصنا فانا بك مستجير يا ذا البأس الشديد ان الاعداء سبوا حريمى وعجزت عن لقاء غريمى * قال فلما سمع عنتر ذلك الصوت فى الليل الهادى آلم قلبه نداء هذا المنادى فعند ذلك صاح على أخيه شيبوب وقال له قدم لى الجواد يا ابن الام فقام شيبوب وشد عليه عدته فوثب عنتر وعلا على صهوته وسار مع الرجل المستجير به لان العرب فى ذلك الزمان كانوا كما قيل فى حقهم هذه الابيات

قوم اذا نادى اليهم خائف * لبوه قبل سؤالهم عن حاله

وحموه من أعدائه حتى يرى * شهما عزيزا عندهم بعياله

(قال الراوى) وما زال عنتر يركض خلف ذلك الرجل حتى مضى أكثر الليل فعندها ناداه عنتر يا وجه العرب قف الآن وأخبرنى بحالك ومن هو الذى أخذ مالك وسبى عيالك وأبشر بكل ما تريد ولو أن خصمك كسرى أو قيصر قلعت منه الاثر وجعلته عبرة لمن اعتبر وهجمت فرسانهم الى سد اسكندر فعند ذلك بكى الرجل وقال يا حامية عبس وعدنان أنا رجل من بنى شيبان ولى اتصال بالامير بسطام وكان معى بنت عمى وابنتى وكنا سائرين الى بنى مرة لاخت شقيقتى فلما وصلت الى هاهنا طلع على عشرون فارسا واظنهم من أرضكم فجرحونى وأخذوا حريمى ورجعوا فهدمت شكوى قصتى وأنا قد سمعت بذكرك وانك كثير الغيرة فقصدتك وأنا مستجير بك أيها البطل الكريم وأريد منك أن تبلغنى المراد كما سميت عنتر بن شداد قال وكان هذا الامر قد دبره الربيع ابن الاوغاد وأرسل هذا الرجل وعلمه أن يقول هذا المقال وسار هو وأخوه عمارة فى أربعين عبدا لشداد وكمنوا لعنتر الى أن يأتى مع الرجل الذى سار اليه حتى يطعموه بالاحجار الثقال ويقيموا فى وجهه الحصا والرمال فلما وصل عنتر عندهم وصار فى وسطهم صاحوا عليه من كل جانب وطاعنوه بالقنا والقواضب فصاح يا بنى الزوانى والله لا سلمت لكم روحى ابدا حتى أشفى فؤادى منكم بالردا ثم قفز بالجواد فتعثر فعرف شيبوب أنها حيلة فأراد أن يرمى بالنبال فدهمته الرجال وداروا به من اليمين والشمال فسل الخنجر وهجم عليهم فقتل منهم خمسة عبيد وقاتل قتالا شديدا حتى انه جرح وتكاثرت على عنتر الرجال * قال وكان بعضهم مع ملقاف الجبال ومعهم الاحبال فقدموها قدام جواد عنتر فتعثر ورموه بالاحجار وأخذه الانبهار ثم انه ترجل عن الابجر خوفا عليه وسل حسامه وغاص فيهم فى سواد الليل والغسق وضرب فيهم ضربا يورث البوار والقلق حتى كثر عليه رمى الاحجار مع الصخور الكبار وأشرف على الهلاك والاخطار وهو صابر صبر كرام الرجال حتى قتل عشرة من العبيد اللئام ولكن مع القضاء والقدر أتاه حجر من الاحجار الكبار فرماه على وجهه فى القفار فعند ذلك ركبت العبيد صدره وملكت قياده وأسره وأتاهم الربيع وعمارة وأعانوا عبيدهم على هذه العبارة وشدوه على ظهر الجواد وخرجوا به من فم ذلك الواد وكان الفجر قد طلع والصبح قد أسفر فعند ذلك قال الربيع لزنديق اعدلوا بنا الى رأس هذا الطريق حتى نلعب فى جسده بالسيوف والمزاريق ونفرج عليهم كل عابر طريق فقال عنتر بن شداد ويلك يا ابن الاوغاد أنت اجتهدت باحتيالك حتى بلغت منى آمالك فاقتلنى وعد الى أهلك والديار قال فالى أين أنت سائر فى القفار فقال عمارة مما فى قلبه من الحرارة لا وذمة العرب يا ولد الزنا لا نقتلك حتى نشفى بعذابك قلوبنا ثم ان عمارة وثبه بالسوط على أكتافه وزاد بالضرب عليه حتى اغتاظ عنتر واحمرت حماليق عينيه فانقلب على صفحة قفاه وناول عمارة بالكعب فحكم فى عين ثقبته فوقع الى الارض وصار أعلى ما فيه رجلاه وبقى حاله عبرة لمن يراه وبعد ذلك قام على حيله والبول يتقاطر من ذيله فصاح عليه عنتر صيحة أرجف بها فؤاده وقال له ويلك يا طنجير هذا الضرب لا يصلح لمثلى وانما يصلح لمثلك أنت لانك طنجير وأما أنا فيصلح لى ضرب الحسام من يد فارس همام فى مثل هذا البر والآكام فوالله ما تركت العرب منكم أحدا من بعدى فقال عمارة يا أخى أنا عولت أن أقطع يديه ورجليه لاذيقه التنكيد وأخليه فى هذا البر يقاسى العذاب الشديد فقال الربيع لاخيه عمارة افعل بنا ما بدا لك وعجل من قريب ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم على ذلك الحال واذا هم بعشر فوارس قد طلعت عليهم من صدر البر فتأملوها واذا بعشرين أخرى وهى من ورائهم تركض واذا بثلاثين وفرقة أخرى خمسين ومن خلف الجميع غبار زائد يدل على جيش كبير يبلغ مقداره ألفا ومائتين فقال عمارة يا أخى هذه وقعة مثل الطين قال الربيع ويلك يا عمارة اقتل هذا المذلول عنتر وارجع بنا لى أهلنا قبل أن يأتينا من يشغل قلوبنا فعندها شال عمارة يده بالسيف وهم أن يضرب به عنترفصهل جواده الابجر ومر مر السحاب اذا انحدر وطلب الخيل المقبلة فى البر الاقفر لانه كان معودا من صاحبه بطلب الفرسان اذا أبصرها وكان الفجر قد طلع وأبصرت الخيل هؤلاء فى ذلك البر حائرين فطلبوهم من كل جانب وتسابقوا اليهم مثل السلاهب وقدموا

نحوهم الرماح وأكثروا من حولهم الصياح فقال الربيع لأخيه عماره انجوا بنا الآن والا وقعت بنا الخسارة
(قال الراوي) ثم ان الربيع لوى عنان جواده وطلب الاهل والديار وكان قد بقي معه عشرون عبدا من الذين كانوا
معه فشالهم الفرسان على أسنة الاشطان وقد تقدم مقدم القوم الى عنتر ونظر اليه فعرفه وعرف أخاه
شيبوب وقد كان في رقبته حبل طويل وهو مع العبيد الذين هم للربيع وهو مغلول اليدين ولما ان ملكته
العبيد كانت الفرسان به دائرة فما قدر على الهرب لاسيما وأخوه مشرف على العطب بل صبر وأراد أن يبصر
ما يجري عليه من هؤلاء الفرسان الذين داروا حواليه ان كانوا أعداء أو أصدقاء ومن أي العرب هم بين
العربان ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه العربان من بني خولان وقد أتوا من أرض بارق في طلب المعاش
والمكسب فلما ان سمعوا بان أرض بني عبس وقبائلها قد اختلفت وان العرب طلبوهم مع خالد بن جعفر
من كل جانب أتوا الى ذلك المكان لعل أن يكسبوا شيأ من المال فوقعوا بالربيع وعمارة وهؤلاء العبيد وعنتر
وشيبوب ففرح المقدم الذي عليهم وقال لقومه أبشروا يا بني الاعمام ببلوغ المنا بلا تعب ولا عنا واعلموا ان
هذا الفارس هو حامية بني عبس عنتر بن شداد واعلموا ان الملك صفوان صاحب أرضنا في قلبه منه حرارات
وأحقاد لانه قتل له ثلاثة أولاد واذا سلمناه اليه بلغنا منه المراد فعندها أخذوا عنتر وشيبوب وقصدوا بهم
أرض بارق * قال وكان الربيع وعمارة في ذلك اليوم يأكلان كفيهما ندما الا انهما أيقنا ان الذين أخذوا عنتر
ما بقوا يبقوا عليه فاستمرا سائرين الى أن وصلا الى بني فزارة وأخبرا حذيفة بما جرى فما مضى الا أيام قلائل حتى
وصلت اليهم قبائل العرب مع عبد الله أخي دريد وجرى لهم ما جرى * هذا وقد جدت بنو خولان بعنتر حتى وصلوا
الى أرضهم وشدوا الامير عنتر في أربع سكك من حديد ووكلوا به جماعة من العبيد ثم أخذ مشاجع معه
جماعة من ساداتهم وسار يطلب الملك صفوان بن مراد صاحب تلك الارض والبلاد ليأخذ منه الاذن في
قتل عنتر بن شداد ﴿قال الراوي﴾ لهذا الكلام المعتبر وبعد ذلك تسامعت نساء الحي بقصة عنتر وتواصفوا
عظم خلقته وهول صورته فصاروا يأتون اليه جماعة بعد جماعة وينظرون لعظم هيكله وهيئته ويتعجبون
كل العجب لان الشجاعة لائحة بين عينيه وقد شاعت فروسيته في جميع الاقطار وأخباره قد سمعت بها العبيد
والاحرار وكان آخر من دخل عليه عجوز كبيرة وهي غريبة من ذلك الحي وهي عند هؤلاء القوم نازلة ولما ان
دخلت عليه ونظرته عرفته فعند ذلك انكبت عليه وصارت تقبل أسافل قدميه وتقول له يعز علي
يا أبا الفوارس أن أراك في هذه الحالة وقد طرقتك طوارق الزمان وأصابك هذا الحدثان فقال لها نساء
الحي ونساء الامير مشاجع يا عجوز من أين لك بهذا العبد معرفة وما الذي بدا لك من الجميل حتى انك تبكين عليه
وتقبلي قدميه فقالت لهم العجوز يا حرائر العرب لا تقولوا عبد فوحق الرب العظيم رب موسى وعيسى وابراهيم
ما على وجه الارض أفرس منه ولا أشجع من هذا الفارس ولا أكرم منه فقالت زوجة الامير مشاجع
يا عجوز أما شجاعته فقد سمعنا عنها وهي مشاهدة على أعطافه ولكن اعلمينا أنت بالذي رأيت من
كرمه فقالت لها أما كرمه ومروءته فأوفى من شجاعته وأنا أعلمك بما وصل الينا من احسانه وأذكره
لك وهو ان ولدي أنتم تعرفون حسنه وجماله وأنا مالي غيره وانه لما أراد أن يتزوج بابنة عمه طلب عمه منه المهر
فأخذ معه جماعة من بني عمه وسار في طلب المعاش والمكسب لاجل العرس والوليمة ولما ان سار أغار على
مال هذا الفتى وساق من جماله قطعة وأراد أن يسير فلحقه هذا الفتى فاستخلص منه الاموال وأخذه أسيرا
في حالة الذل والنكال فبكى ولدي بين يديه وقد شكا ما يجده من محبة بنت عمه اليه وعشقه لها وأعلمه انه
ما أتى وخاطر بنفسه الا لذلك فلما سمع هذا الفتى كلام ولدي وشكواه رحمه لبكاه وحل عقاله وأعطاه الجمال
التي كان قد أغار عليها وزاده فوقها مائة ناقة وقال له خذها وارجع الى أمك وأهلك وتزوج ببنت عمك
ومتى أتاك الفقر فعد الينا سريعا ونحن نعطيك ما تطلبه ثم انه ودعه ورده بجميل منه فعاد ولدي بالمال
الذي أعطاه له هذا الفتى وقد دخل على بنت عمه والى الآن ونحن نعيش في فضله وخيره واحسانه واعلموا
انه ما في قبائل العرب من هو أوفى منه في الحرب ولا في الشجاعة ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع النساء منها

ذلك المقال تعجبوا من مروءة عنتر وصاروا يتقربون اليه بالطعام ويرفقون به عند الكلام وقد نفسوا له
ذلك الشد والرباط وصاروا يفرشون له الفراش ويخدمونه الى أن ينام وقد اجتمع عنده أكثر النساء
يسألنه عن عبلة وهو يشكو اليهن محبتها وقد باتوا عنده تلك الليلة ﴿قال الراوي﴾ ولما كان عند الصباح
طلعت على القوم نواصي الخيل العادية وكان لها غبار شديد قد سد الارض والبيد وفيه جلبة وصياح
قد هز الربا والبطاح وقد لمعت منه أسنة الرماح وبريق الصفاح وفي أوائل الخيل فارس جبار وأسد
مغوار لا تخمد له نار وهو ينادي بأعلى صوته يا مارية لمثل هذا اليوم كنت لك في الانتظار حتى أبلغ منك
ما أختار ثم انه بعد صياحه صرخ وصدم الرجال الذين كانوا معه ودخلوا الخيام وداسوا الاطناب وقد وقع
السبي في الكواعب الاتراب وقد اشتد عند ذلك المصاب ونشرن الشعور ولطمن الخدود ودقوا بايديهم
على الصدور وقد فزعوا من عواقب هذه الامور ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه الخيل التي كبستهم مع رجل
جبار وهو من شياطين العرب الكبار يقال له مبادر بن جارح الاسود وكان يهوى مارية بنت الامير
مشاجع الذي عنتر في أسره لانها ذات حسن وجمال وقد واعتدال وفصاحة ومقال وقد وصل وصف
حسنها الى مبادر فارسل الى أبيها خاطب فرده خائب وأخبره بتلك المصائب * قال ومن شدة ما جرى عليه
أحضر أمه بين يديه وشكا اليها محبته فقالت أنا أعلمك بشيء وهو انك تحتال على البنية الى أن تراها فان
أعجبتك فاجمع العساكر وقاتل أهلها وأباها وان لم تقع بخاطرك فاتركها واسلاها وخذ من بنات أعمامك
أحسن منها وذلك يغنيك عن اتصالك ببني خولان واعلم أن البنات كثير لمثلك * قال فلما ان سمع مبادر
ذلك الكلام قبل ما أبدته أمه له من المرام وسمع مشورتها وقد رأى أن كلامها له صواب فمن يومه قلع ما كان
عليه من الثياب ولبس غيرها وسار الى القوم في زي فقير من فقراء العرب وقد تحايل على الجارية حتى رآها
وأبصرها بعد أن قعد ثلاثة أيام وهو بين خيامها فارتعدت فرائصه فرجع وقد شرع في جمع الفرسان من قومه
وهو يطلب النصرة من رب السماء وقد صار يطرح نفسه على جميع الحلفاء والاصدقاء الى أن اجتمع له هذا الجمع
فارسل بعض عبيده الى حي بني خولان ليكشف له هذا الخبر فغاب برهة من الزمان ثم عاد وأعلمه أن الحي
خال من الفرسان وان الامير مشاجع غائب في أطراف أرض بني بارق في جميع بني خولان فاجمع رأيه على
اغتنام الفرصة وسبي مارية وأخذها غصبا فعند ذلك أخذ فرسانه وسار في هذه الجموع التي قد جمعها
﴿قال الراوي﴾ ولما أن وصل الى الحي هجم وقد حمل بالخيل التي معه حتى وقع النهب في البيوت وقد علا
الصياح في الحلة من سائر الجنبات وما قدر أحد أن يرده من الفرسان فخافت البنات والنسوان من السبي
والانهتاك وكان أكثر البلاء والهوان والمصائب في أبيات الامير مشاجع لانهم قد علموا بالقصة التي جرت وانها
من تحت رأس مارية فخافوا من العار والفضيحة والشنار وصارت مارية تنادي وهي مكشوفة مهدولة
الذوائب وتقول واذلاه واقلة ناصراه وفضيحتاه اليوم تحكم فينا الاعدا ونلبس العار ونبتلي بالردا
﴿قال الراوي﴾ فلما أبصرت العجوز المقدم ذكرها التي عرفت أهل الحي بعنتر وذكرت لهم ما جرى لولدها
على يديه من المكرمات ما جرى على القوم علمت أنهن مسبيات فأتت اليهن وقالت لهن يا حرائر العرب ما بقي
لكن الى الخلاص من سبيل ولا لكن مهرب ولا ينجيكن من العرب لان أهاليكن ورجالكن الجميع
غياب وما ينجيكن من هذه البليه ولا ينفعكن من هذه الرزيه الا هذا الفارس الاسود الذي هو عندكم في
الاعتقال فالكن الآن تدخلوا على هذا الفارس المنتسب الذي هو أفضل من سائر العرب في الفروسية
والحسب والنسب وتستجيروا به وترموا أنفسكن عليه وتخضعوا بين يديه ثم تسألوه النصر والمعونة وتطلبوا
منه الذمام فان انتصر لكن فهو قادر والله على هلاك هذه الاعداء ولو انهم بعدد رمل البيداء لان فيه النخوة
والحمية والمروءة والغيرة على الحريم ﴿قال الراوي﴾ فما أتمت العجوز هذا الكلام حتى صارت الخيل
العادية معهم في الخيام وخرجت البنات الكواعب الاتراب بالشعور والذوائب وندبت النوادب وعظمت
المصائب وخرجت النساء هاربات ودخلن على عنتر في الابيات وصرن يقبلن يديه ويرغبن عليه

و يقلن له يا حامية عبس وعدنان ارحم ماترى من حال النسوان وأجرنا من غدرات الزمان ثم ان مارية قالت يا أبا الفوارس أجرنى مما دهانى وساعدنى على ما به الزمان رمانى ثم أجرت دموعها وزادت فجيعها فاغتم عنتر عليها وعلى ما نالها وقدم أهلها عن حالها فاعادت عليه جميع ماجرى لها فلما سمع عنتر ذلك الكلام من الحريم صعب عليه فعال هذا اللئيم فقال عنتر اطلقونى وأنا أردعه عنكن هؤلاء العدا وأسقيهم كؤوس الردا فقالت النساء نحن خائفون من الجانبين ان نحن أطلقناك تقصد أهلك ومر بالك وان نحن خليناك تسبينا الاعداء عن آخرنا فقال عنتر يا بنات وحق من أوسع الفلوات العالم بما مضى وما هو آت الذى فجر الانهار وأجرى البحار وخلق الليل والنهار وزين السماء بالفلك الدوار الملك المعبود ان أنتم أطلقتمونى من الاغلال والقيود لا أتركم حتى يفعل بى ما يشاء الملك المعبود فلما سمعت النساء كلامه ومقاله وقد صح عندهن أعماله تقدمن اليه وخلصن الحديد من يديه ورجليه وأحضرن له عدته وسيفه وحجفته وقلن له أما جوادك فانه أول ما سمع صهيل الخيل فما أمكن أحدا أن يتقدم اليه الا ويقتله برجليه فقال عنتر صدقتم لانه معتاد من صاحبه أنه اذا نظر الخيل نزل عليها نزول السيل ولكن أطلقوا أخى شيبوب فانه يأتى به فعند ذلك أطلقت النساء شيبوب فقام الى الابجر ومسح ناصيته وأتى به مسحوبا وكان عنتر فارقا لامته ولا ساعدته فقفز من الارض حتى بقى على صهوته ونظر الى الخيل وتبسم تبسم الكرام الى الاحباب وصاح صيحة الاسد اذا خرج من الغاب ودمدم كأنه الرعد فى السحاب ونادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد شجاع المعامع والطراد ثم أنه حمل وارتمى كأنه صاعقة من السما فابلى الاعداء بالويل والعمى وأباد الفرسان واستخلص منهم النسوان وأخرج الابطال الى خارج الخيام وقتل أحد عشر بطلا همام وصال وجال وأنشد وقال

اذا ما كنت فى قوم نزيلا * وأمسوا خائفين من الاعادى * فلا قبضت كعوب الرمح كفى
ولا كحلت جفونى بالرقاد * وما أسرى وبيت الله عيب * وقد جربت فى يوم الجلاد
أسرت بحيلة وقضاء رب * له بطش شديد فى العباد
يسوق العبد رغما فى زمام * الى طرق الهلاك أو الرشاد

(قال الراوى) وهذه الابيات مما تدل بها على أن العرب أصحاب المفاخر والرتب وفرسان الجاهلية قديما يعرفون أن لهم خالق يحاسبهم على الدقائق ولذا أشار زهير بن أبى سلمى فى قصيدته المعلقة على البيت الحرام حيث يقول هذا الكلام

ولا تكتمن الله ما فى نفوسكم * ليخفى فمهما تكتموا الله يعلم

(قال الراوى) وقد ذكرت علماء المسلمين أئمة الدين ان سائر من تقدم من الامم من زمن أبى البشر آدم يعتقدون أن الله هو الواحد الديان عظيم السلطان رازق قديم معروف من القدم واجب الوجود غافر الزلات ومحرك الحركات أبرز الخلق من العدم لكنهم اختلفوا فى طريق عبادته فاعترفوا بالتقصير لما كلفوا أنفسهم معرفة قدرته فتعبوا فيما كلفوا وما زالوا سائحين فى بحر الضلال وهم تائهون فى ظلمات الجهالة حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم بأوضح الرسالة وأصدق المقالة الهادى الى الطريق الاقوم بكلامه الاحكم الصادق المصدوق فى أحكامه الذى وعد المؤمنين بالشفاعة يوم القيامه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يرجو بهما الكاتب والقارئ والمستمع من أمته السلامه ما غنت فى الايك حمامه وما تناسلت الامم يوم القيامه وهو الذى يقوم من قبره ويداه على حشاه ويزعج أهل الموقف بنداه ورجاه وينادى يارباه ارحم من أمتى العصاه ولا تشمت بهم الطغاة البغاه فان كانوا عصوك فقد وحدوك وما عصوك الا طمعا فى كرمك لما عرفوك ثم يسجد صلى الله عليه وسلم تحت ساق العرش فلا يرفع رأسه حتى يغفر الله لاصحاب الكبائر من أمته فيسمع النداء من العلى الاعلى يا محمد ارفع رأسك فقد شفعناك فى كل من تبعك وصلى الله عليك وعرفك حق معرفتك وهو الرسول المكرم والنبى المعظم اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الى

يوم الدين آمين ﴿ قال الراوى ﴾ ثم ان عنترة الهمام لما أخرج الفرسان والابطال من الخيام وبذل فيهم رمحه والحسام ورأى مبادر عنترا قد قتل من قتل وفعل بأبطاله ما فعل فانقض عليه انقضاض الموت المعجل وناداه ويلك من تكون من الفرسان والى من تنتسب من الشجعان من قبل أن اقطع رأسك وأخمد أنفاسك فلما سمع عنتر ذلك المقال صاح فيه يا ابن الانذال أنا فارس عبس وعدنان وحامى الحريم والنسوان ويلك اترك الغنيمة وارجع الى ديارك والاوطان قبل أن تشرب من العذاب ألوان فتبسم مبادر من كلامه وزاد به عظيم اهتمامه وقال له ويلك أنت تدعى الكرم والفتوة والفخر والمروة وتأتى من أقصى البلاد تأخذ من يدى غنيمتى فارجع الى ديارك قبل تعجيل بوارك فقال عنتر صدقت يا نسل الاشرار ان البغى مصرع ولا يجلب لصاحبه منفعة وهذا من جملة بغيك لانك طلبت من الرجل ابنته فما رضيك أن تكون لها أهلا فجئت تسبيها فى غيبته وتخرق حرمته فهذا يا نسل الحرام فعل اللئام ثم انه حمل عليه وجال وصال وأنشد وقال

ألا أيها المغرور بين العوالم * أتتك كؤوس الموت فى حد صارمى * أنا عنتر العبسى قسورة الوغا
مبيد الاعادى عربها والاعاجم * تريد بأن تسبى الحريم تعمدا * ولم تخش من رب قريب وعالم
فابشر فهذا اليوم تبقى مجندلا * وتبقى طريحا للنسور القشاعم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من كلامه وسمع مبادر شعره ونظامه قوى عزمه وجنانه وأطلق عنان حصانه وقوم سنانه وحمل عليه وصال وجال وأشار برد أبياته عليه فقال

أنا لك همام فاق كل العوالم * خبير بطعن الرمح ثم الصوارم * أيا وغد عبس لا تكون مقاتلى
فتصبح نهبا للنسور القشاعم * فسوف تذوق الموت من حد صارمى * وطعنات رمح ماله من مقاوم

﴿قال الراوى﴾ ثم حمل هو وعنتر بعد هذا الكلام وأخذا فى الضرب والاصطدام ورفع مبادر يده وطعن عنترا بالسنان فمال عنتر عن سنانه وصبر عليه حتى أوسع فى ميدانه ومال عليه وطعنه بالرمح بين ثدييه أطلعه يلمع من بين كتفيه ودفعه من فوق الجواد فوقع على الارض والمهاد وطلب رجاله ففرقها ونزل عليهم نزول السيل اذا هطل وسقاهم كاسا أمر من الحنظل فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأوسعوا فى البرارى والقفار وصار عبيد الحى ومن بقى من رجاله يجمعون خيول الهاربين وأسلاب المقتولين من الخيول الشارده والعدد المبدده ورجع عنتر من خلف المنهزمين وترجل عن ظهر الابجر وعاد الى البيت الذى كان فيه وأكثر النساء من الشكر والثناء عليه وقبلوا يديه فجلس عنتر فى البيت وقدم القيد الى رجليه وقال لهم أعيدوا القيود الى حالها فقال له شيبوب ويلك يا ابن الاماجد ما هذه الفعال والرأى الفاسد وما الذى دخل فى عقلك حتى انك تعود الى الاغلال والقيود وتنتظر من يرمى رقبتك ويتلف مهجتك ويلك قم وارجع الى ظهر جوادك وخلنا نطلب أرضنا والبلاد * هذا وعنتر لا يلتفت اليه ثم ان النسوان تراموا على رجليه وصاروا يقبلونها وقالوا والله لا توضع فى رجليك القيود لانك أبدا لنا بعد العدم الوجود فلما سمع عنتر كلامهم ورأى امتناعهم قال لاخيه شيبوب بحياتى عليك يا أخى ردنى الى ما كنت عليه ولا تحلفنى باليمين وتجعل الكذب لى قرين فقام شيبوب على الاقدام وقال له يا ولد الزنا ما بقيت تقدر على أكل لقمة حرام ثم انه شده شدا وثيقا وفرط عليه من غيظه منه وأقام ينتظر المرضيات والامور المقضيات هذا ما جرى لهؤلاء ﴿وأما ما كان﴾ من بنى عبس وعدنان فان بنى عامر أدخلوهم الابيات وأسروا من جملتهم مائة وخمسين فارسا وقتلوا أكثر من ذلك لعدم المحامى والنصير وملكوا منهم المنهل والغدير وانتصروا عليهم بكثرة العدد وزيادة المدد وصاح النساء بالويل والثبور وعظائم الامور * هذا وقد ألقت الرجال أنفسها على المهالك وضيقوا عليهم جميع المسالك وقدمت عليهم الاعداء من جميع الاقطار فاخرجتهم من البيوت قوة واقتدار وتحصنوا فى العلم السعدى وقد تركوا الابناء والاحرار فقال الملك قيس يا بنى عمى

طاولوا القوم بالبراز اول أن تأتينا نجدة تعيننا على فرسان الحجاز فلما سمع بنو عمه ذلك الكلام وطنوا أنفسهم على شرب كاس الحمام وتولى برازهم ملاعب الاسنه وكان آخر من برز اليه شداد أبو عنتر وهو على فرس نجديه بقوة عبسية الى أن صار فى وسط الميدان فتذكر ولده عنتر وفاض دمعه وانحدر فزاد به الذل والهوان واحترق قلبه بالنيران فاشار يرثى ولده بهذه الابيات

ترى أى سهم من سهام المصائب * أصابك يا ابن الاكرمين الاطايب * وأى شجاع من دنحولك باعه
وباعك فى الفرسان أمضى المضارب * ترى أنت حى يا بنى فارتجى * لقاك كما يرجى لقا كل غائب
والاقتيل فى الفلاة مجندل * ينوشك وحش البر من كل جانب * لقد عدمت أهل القبيلة فارسا
بعد بجيش حافل وكتائب * وكنت ترد الخيل عنا مغيرة * خلاة الهوادى داويات الجوانب
أيا ولدى مذ غبت عنا تبادرت * خيول الاعادى نحونا كالسلاهب * ودارت بنا الاعداء من كل جانب
يرومون أن يسبوا ذوات الكواعب * ودار بنا بحر يموج عبابه * بسمر القنا والمرهفات القواضب
وقد أصبحت أبناؤنا فى يد العدا * وازواجنا يندبن بين المضارب * ونحن حيارى والنساء حواسر
يقدن الى بيت العدا بالذوائب * وعبلة تبكى من فؤاد مقرح * اليك وتهمى بالدموع السواكب
وها قد خرجت اليوم أبذل مهجتى * وألقى شجاعا عارفا بالنوائب
لعلك تأتينا وفينا بقيــــة * بعزمك يا حامى حريم الحبائب

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ شداد من كلامه وأتم شعره ونظامه نظره بنو قراد وهو منحن على ظهر الجواد كانه النسر المعمر الا أنه فى الحرب أسد قسور وارتفع صياح بنى عبس من بعيد وقريب * هذا وملاعب الاسنة صبر حتى قاربه شداد فنظر الشجاعة لائحة عليه ظاهرة بين عينيه فصاح فيه من تكون أيها الساعى الى حتفه بقدميه الجانى على نفسه بيديه فقال له ويلك أنا فارس الطراد الامير شداد بن قراد دونك والحرب والجلاد ان كنت من الفرسان الشداد فتبسم غشم وقال والله انك بطل غشمشم وهل مثلك يحمى الحريم فى الموقف العظيم ثم حملا على بعضهما وأوسعا ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وزاد بينهما الجولان حتى غابا عن الاعيان وتصادما وتهاجما ولم يزالا فى قتال وجدال ومفارقة واتصال حتى وقع التعب بشداد وأخذه الانبهار من خصمه الجبار فلما علم ذلك ملاعب الاسنة هجم عليه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وأسلمه الى عربه وعاد طالبا الحرب والجلاد ونادى يا بنى عبس أبشروا بالتعس فلما سمع منه قيس هذا المقال زادت به نار الاشتعال وعول أن يحمل على ملاعب الاسنة وأراد نازح أن يحمل عليه ويخاطر بنفسه فسبقه عروة الى الميدان وتذكر أيام عنتر ففاض دمعه وانحدر وقال لا أبعد الله ركابك يا أبا الفوارس ولا أعدمك أحبابك من قائم وجالس وأنشد يقول

تحكمت الانذال يا أبا الفوارس * لبعدك عن ربع الظباء الاوانس
لقد عدمت أهل القبيلة فارسا * يلاقى عداها ضاحكا غير عابس
وكنت انا يا ظهر عبس محاميا * اذا نام عنا كل حام وحارس
فبعدك قد أوهى قوانا وهاننا * وأطمع فى أعراضنا كل جاس * فكم سيد منا أسير مقيد
وكم من قتيل فى الفلاة الدوارس * وكم حرة تبكى عليك بمقلة * مسهدة من ناظر غير عابس
وشداد قد أضحى به الذل موثقا * لبعدك عنا يا عميد الفوارس * ترى من يحامى عن عبيل وقومها
اذا ما غبت عنهم يا عميد القناعس * ومن بك يحمى اذا أكثر العدا * ويجلى صداها يوم جدع المعاطس
سقى الله قبرا أنت فيه موسد * سحاب غمام غيثه غير حابس * فلو كنت حيا ما تركت نساءنا
ينحن علينا فى ظلام الحنادس * عليك سلام الله يا نكبة العدا * ويا فخر الفرسان ما رو لابس
وجادت عليك المزن فى كل ساعة * وحى ثرى مثواك بين الدوارس

﴿قال الراوى﴾ ثم ان عروة بعد أن فرغ من نظامه حمل على ملاعب الاسنة وأخذ فى حربه وخصامه

وضاق بهما الخناق وهما على ظهور الخيل العتاق وكان عروة فارسا جبارا وبطلا مغوارا الا أنه لم يكن من طبقة ملاعب الاسنة ولا من أنداده فمال عليه غشم فاخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا فالقى الملك قيس البيضة من على رأسه وصاح يا بنى عمى هذا يوم بذل الارواح فبيعوا أنفسكم ببيع السماح وموتوا كراما ولا تعيشوا لئاما فهذه نساؤكم قد هتكت ودماء رجالكم قد سفكت وفرسانكم الاجواد قد أسرت وحاميتنا فقد وكأنه ما كان ولم يبق مما نحمى به حريمنا الا سيوفنا ورماحنا ثم انه وضع يده فى قربوص سرجه وركب وحمل وحملت خلفه اخوته ورفقاه وفرسان بنى عبس الحماه وعلا خلفهم صياح النسوان وكثر عليهم الهم والاحزان وصاح خالد بن جعفر فى الرجال الذين جمعهم والابطال دونكم وهذه العصابة اليسيرة والطائفة الحقيرة التى كرهت الحياة وبذلت الارواح الى الفناه وأبشروا بسبى النساء الملاح وأخذ المال المباح فعند ذلك حملت المواكب وتدفقت الكتائب فى طلب بنى عبس من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وسدوا فى وجوههم جميع المذاهب وجزوا منهم الجماجم والرقاب فتمددت الاجسام على التراب وهلك الشيوخ والشباب فاستغاث الحريم الى رب السماء لما رأوا سفك الدماء وهول الحرب والمتاعب فبينما هم فى تلك المصائب اذ طلع عليهم غبار سد جميع الاقطار وارتفع وعلا فظهر من تحته سيوف تلمع ورماح تشلع وتتدفق مثل السحاب اذا همع فلما رأى بنو عامر ذلك الغبار والقتام انكفوا عن ضرب الحسام ووقفوا ينظرون الى تلك السيوف اللامعة والاسنة الساطعة واذا هم بخمسمائة فارس كرار وأسد مغوار يقدمهم فارس كانه ليث عابس على فرس أدهم أغر ملجم وهو ينادى بصوت ملأ السهل والجبل ويلكم يا أوغاد غير أمجاد كفوا عن الحريم والاولاد فقد أتاكم عنتر بن شداد عميد الفراعنة الشداد ثم انه حمل وحمل من معه من الفرسان خلفه واشتد الطعن واتصل وحمى الحرب والكرب بالاعداء نزل وتباشرت بنو عبس بالافراح وترك نساؤهم البكاء والصياح وتحقق لهم النصر ولاح ونادى الملك قيس فى تلك البطاح ابشروا يا بنى عمى بالنصر فقد أتى الفارس الجحجاح أسد الحرب والكفاح فقووا العزم والهمم ومكنوا السيوف فى القمم فعندما سمعت بنو عبس الكرام بهذا الكلام زالت غمومهم وقويت عزائمهم وحملوا حملة واحدة صارت منها جمرة الاعداء خامدة ولما رأى بنو عامر قوة بنى عبس وشدة طعنهم تحقق عندهم قدوم عنتر بن شداد ورأوا ضرباته وهى تهوى الى الاقيال تقطع منهم الآجال * هذا وأما خالد بن جعفر فانه صاح فى خواص قومه ومن يعتمد عليه من الابطال عودوا الى المنزل الذى كنا به والخيام حتى نبذل فى الاسارى الحسام أو ننتقم منهم غاية الانتقام فانى علمت ان الامر آيل الى الانهزام حيث وصل هذا الاسود الشيطان الذى كأنه مارد من مردة الجان لانه فارس لا يلتقى ولا يبالى بحرب ولا شقا ثم ان خالدا بعد هذا الكلام قصد البر وتبعه الشجعان وترادفت خلفه الاقران الى أن وصل الى المكان الذى به الاسارى وأراد أن يذيقهم كاس الحمام واذا هو بضجة من وسط الخيام قد علت وصيحة زادت وارتفعت والاسارى قد أقبلت كأنها رسل الحمام أو شعلة نار لها اضطرام ﴿قال الراوى﴾ وكان خلاصهم من الكرب على يد الامير شيبوب لانه وصل اليهم وفرسان بنى عامر مشتغلة بقتال عنتر فخلصهم من الاسر والضر وأحضر لهم آلة الحرب والكفاح فى لمح البصر وكانت عدتهم مائتين وخمسين فارسا شدادا يقدمهم عروة بن الورد والامير شداد فلما نظرهم خالد بن جعفر أيقن هو ومن معه بالموت الاحمر فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وخافوا على أنفسهم من بنى عبس وقال لقومه اقصدوا بنا بنى فزارة حتى ننظر ما جرى لهم مع عبد الله أخى دريد بن الصمة وبنى هوازن أصحاب العزيمة والهمة ونعلمهم أن الجيش الذى كان معنا انهزم وطلب البر والاكم ثم انه قصد عرض البر وسار وقد حلت به الهموم والافكار وبعد مسيره دام القتال وقوى ضرب السيف الفصال ساعة من النهار وولى بقية الفرسان الادبار وركنوا الى الفرار * هذا وملاعب الاسنة لما رأى رايات خالد ولت وأبطاله انفلت هم هو أيضا بالفرار يريد النجاه من خوفه من عنتر أن يعدمه الحياه لانه نظر من حربه الهول العظيم ونظر منه العذاب الاليم ثم دار بنو عبس بعنتر يهنونه من كل جانب بعودته سالما من المعاطب وصار عنتر يحكى للملك قيس على

قصته وماتم له مع مشاجع لما خلصه من الربيع واخوته وما فعل مشاجع فى حقه والملك قيس يتعجب من ذلك
﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى خلاص عنتر ومجيئه من بنى خولان انه لما قتل مبادر اعاده الى القيود كما تقدم
وجعل النساء يدعون له ويحترمنه ويكرمنه مدة ثلاثة أيام ثم بعدها أتت رجال بنى خولان الذين ذهبوا الاجل
أن يبشروا صفوان بن مراد بوقوع عنتر بن شداد ففرح وضمن لهم المال الكثير من النوق والدنانير
وعادوا طالبين أهلهم والاطلال فلما وصلوا رأوا أهلهم فى فرح وأفراح وبسط وانشراح فسأل كل واحد
أهل بيته عن هذا الحال فاخبروه بما جرى لهم مع مبادر من الحرب والقتال ولما رأى مشاجع رأس مبادر على
باب بيته فوق رمح عال سأل عن ذلك فاخبره أهل بيته أيضا عن فعل عنتر به ورده السبي وقتله لمبادر وكيف حمى
الحريم ورجع الى القيد بعد دفع الغريم فقال مشاجع والله ما هو الا رجل كريم وأسد عظيم ومثل
هذا يجب أن نتخذه صديقا لكل شدة وضيق ثم اجتمع سادات الحى مع مشاجع ودخلوا على عنتر وقبلوا
رأسه وبين عينيه وخلعوا عليه جميل الخلع وصاروا يتقربون اليه بالاحسان الا انه كان فى بنى خولان رجل يقال
له مثير يتمنى قتل عنتر لانه قتل له أربعة أولاد فقال لمشاجع يا أمير انت سرت الى صفوان وبشرته بوقوع عنتر
فارس بنى عبس وعدنان وضمن لك المال الكثير والاحسان الغزير وها أنت عولت على اطلاقه من
شده وثاقه بعد ما بطت اسانك معه وهو ملك هذه الديار وحاكم هذه الامصار فما جوابك له اذا أرسل
يطالبك بخصمه فقال له مشاجع والله لم يكن أكبر مما فعله عنتر حيث انا اسرناه وأردنا ذله وقتله
وقابلنا هو بكرمه وشجاعة الرجال وقاتل أعداءنا وحمى حريمنا وحفظ أعراضنا والله ما بقى لى يد اليه بسوء بعد
﴿قال الراوى﴾ ولما سمع النساء كلام مثير قمن اليه وفى أيديهن أعمدة البيوت وصرن يضربنه حتى أشرف
على الممات ولولا أن الرجال خلصوه لمات ثم ان النساء قلن وحق الملك الديان لو أتى لهذا الرجل كسرى أو
النعمان لخرجنا اليهم فى الفلاه ورددنا عنه أعداه فوحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تسر رجالنا
فى خدمته الى أهله وعشيرته لا نصاحبهم أبدا ولو سقينا كؤس الردا فقال لهن مشاجع ارجعن الى بيوتكن
فقد قبلنا كلامكن ثم انه اختار من قومه مائة فارس شداد فلبسوا السلاح وعزموا على المسير والرواح فشكر
عنتر القوم وأراد أن يحلف عليهم ويردهم فقال له شيبوب دعهم يسير وامعنا فانى أظن ان الاعداء خربوا ديارنا
ونهبوا أموالنا وأطلالنا فاذا سار وامعنا أعانونا على لقاء الاقران فاستصوب عنتر رأيه ثم انهم ركبوا وخرجوا
من الديار وساروا يقطعون البرارى والقفار وعنتر سائر بجانب مشاجع وهو يتذكر فى نفسه ما فعل معه
الربيع بن زياد وكيف خلصه رب العباد ونجاه من ذلك الشر والفساد وسخر لخدمته أولئك السادات
الاجواد ثم تمايل وأنشد يقول

من لى برد الصبا واللهو والغزل * هيهات مافات من أيامنا الاول
طوى الجديدان ماقد كنت أنشره * وأنكرتنى ذوات الاعين النجل
وماثنى الدهر عزمى عن مهاجمة * والاسد تحذرنى فى السهل والجبل
وقد نهانى النهى عنها وأدبنى * فلست أبكى على رسم ولا طلل * بل من فراق التى فى طرفها حور
ضنى فؤادى بما فى اللحظ من كحل * تصيد أسد الشرى باللحظ ان نظرت * والصب فى سقم منها وفى وجل
يا بنت عمى ليس العشق من شيمى * فى حالة الحرب بل فيه انتها أملى * بالصافنات وبالهندى لى شغل
وما الصبابة والصهباء من شغلى * متى ينال العلا اليقظان همته * اذا أقام بذكر اللهو والغزل
ذرينى لفرى وكرى فى معامعها * كالليث أمشى كمشى الشارب الثمل * سلى الابيجر عنى يوم يحملنى
هل فاتنى بطل أو حلت عن بطل * كم من جيوش أبادت همتى فزعا * وكان أبطالها كالعارض الهطل
وغمرة خضت أعلاها وأسفلها * بالضرب والطعن من بيض ومن أسل * مالى أرى عذالى يستقطرون دمى
ألست أولاهم بالقول والعمل * لا يرعووا بالملام الدهر عن أسد * بالليل مشتمل بالجمر مكتحل
لا يشرب الماء الا من قريب دم * ولا يبيت له جار على وجل * لولا مليك الدنا قيس وطاعته

شربت جهرا دما أحلى من العسل * من الربيع ومن ذل يعارضنى * فى عبلتى وهواها وحدها شغلى
فانما أنا من قوم مفاخرهم * مشهورة بأكناف السهل والجبل
أريد أفتك فيهم ثم عنفنى * حلمى وعفوى واقدامى ومحتملى
فمن أراد فخارا مثل مفخرتى * فليقطع من العدا كالفارس البطل

(قال الراوى) فلما سمع بنو خولان من عنتر هذه الابيات تمايلوا طربا واهتزوا عجبا ثم جدوا فى المسير
حتى أشرفوا على الديار وشاهدوا الضرب بالبتار فحمل عنتر وبنو خولان وقد فرقوا بنى عامر وأبلوهم
بالبلاء الغامر وجرى ما جرى وسمع قيس آخر الحديث من عنتر بن شداد فزاد تعجبه وفرحه وطربه وقال وحق
البيت الحرام وزمزم والمقام ان حديثك أطرب فرسان عرب اليمن والحجاز ولا بد أن نجازى هذه الفرسان
بما نقدر عليه من الاحسان ان أسعفنا بذلك الزمان ونحن ان نتجز أمرنا وانطفأ عنا الشر والضرر والبؤس
والحذر ولا فكرة لنا الا فى خالد بن جعفر لانا يا حامية عبس ان لم نهلكه لا يطيب لنا عيش فى الديار ثم انه
أخبره بقضية بنى زياد وما أحاط بهم من القبائل وقال له يا أبا الفوارس كنت قبل أن تقدم علينا الاعداء أنفذت
اليهم أطلب مجيئهم الينا ليكونوا يدا واحدة على لقاء الاعداء وتحصل لنا بهم مساعدة فما فعلوا وما تركهم
الربيع يقاتلوا معنا بل انفصلوا منا ومن علينا حذيفة بالمعاونة التى بها عاوننا وقال انا لولاك يا قيس ما كان بينى
وبين خالد معامله وأنا خائف أن يجرى عليهم أمر من الامور أو يقتل منهم أمير مشهور والصواب أن نسير
اليهم عند الصباح ونساعدهم فى الحرب والكفاح ولا نخلى لهم أدنى مقال ولا حالا من الاحوال فقال عنتر
يا ملك الزمان والله انها غنيمة زائدة كيف أسير وأساعد الربيع وحذيفة وهم لو تمكنوا منى ما أبقونى طرفة
عين بل يسقونى كؤس البين ولكن لاجل خاطرك أسير اليهم وأساعد الربيع وحذيفة بعد أن نودع هؤلاء
الاقوام الكرام ونسير جميعا اليهم بالتمام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مشاجع هذا الكلام قال والله يا أبا
الفوارس ويا زين المجالس لو طارت رؤسنا بين يديك ما نتكبر عليك وأنا أقسم بالرب القديم الذى هو
بوساوس الصدور عليم لا أعود الى أهلى حتى تنقضى أشغالكم وتأمنوا فى دياركم فقال له الملك قيس جزاك الله
خيرا ولا لقاك بؤسا ولا ضيرا ثم انهم صبروا حتى استراحت الناس وذهب عنهم الوسواس وأقاموا حتى ولى
الليل الحالك وأقبل الصباح الضاحك ورحل قيس بالفرسان طالبا بنى فزارة ورحل معهم بنو خولان وبنو
غطفان وعنتر سائر وعروة بجانبه وهو يقول له والله يا أبا الابيض انها مصيبة عظيمة كيف أسير الى أعادى
وأنقذهم من الشدائد والنوائب ثم انه تنفس من فؤاد مصدوع وقلب موجوع فزاد عليه الهم والغم لانه
قد تنفس كمدا وأبدى لوعة ووصبا وأنشد يقول

أسير الى نصر الربيع وقومه * ولست اذا ثار العجاج بجالس * ولولاك يا قيس لما كنت سائرا
اليهم ولكن أنت عزى وحارسى * فزارة تبغى كل يوم حروبنا * ولكنهم فى الحرب رغم المعاطس
لان ملوك الارض تخشى مضاربى * وطعنة رمحى فى صدور الفوارس
ولى همة فوق السماكين رفعة * وفى النقع أسطو كالهزبر المداعس
وان كان لونى أسودا ففعائلى * صباح وخوفى فى قلوب القناعس
وقد علمت كل القبائل اننى * همام كمى ليس جدى بناكس
لانى مجيد الطعن فى كل معرك * وأصرخ فى الهيجاء هل من منافس
أنا الاسد الكرار فى حومة الوغا * أنا عنتر العبسى مبيد الفوارس
أنا الضيغم الهجام والاسد الذى * تقر له الابطال يوم التداعس
تذل ملوك الارض من خوف سطوتى * وفى الحرب أفنى للكماة الاشاوس
وسيفى ينادينى اذا ثار قسطل * ألا فاسقنى صرفا دماء الفوارس
ورمحى فى يوم الكريهة عابس * عليه سنان مثل لمعة قابس



وقدكلت الابطال من عظم هيبتي * وهابت لقائي الاسد من كل عابس
واني قد ذلت يا بنت مالك * بحبك يا زين النسا في المجالس
أيا عبل لوشاهدت فعلي وموقفي * اذا ثار نقع في الفلا كالحنادس
هنالك تريني أصطليها بهمة * يقصر عنها كل عار ولابس
أنا عنتر العبسي فارس قومه * ولي همة في الحرب تردي العوابس

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بها السادات وقال له الامير مشاجع أنت سيد بني خولان والملك قيس سيد بني عبس وعدنان لا رد الله فالك ولا كان من يشناك ثم انهم جدوا في المسير حتى أشرفوا على بني فزارة فرأوهم في الذل والخسارة لانها قاست من بني عامر حربا يفطر المرائر وكان من حالهم مثل ما كان من حال بني عبس أعظم لانهم غمروهم بكثرة العدد و زيادة المدد وفاضت عليهم مثل ما يفيض البحر الزاخر الا ان الحارث بن ظالم قاتل قتالا تعجز عنه الفرسان الشداد والابطال الامجاد حتى زاد عليه الحال فصبر الى آخر النهار وأخذ قطعة من أموال حذيفة وأخذ جماعته وقتل جماعة من فرسان بني فزارة وقصد عرض البر الاقفر وباتت بنو فزارة حتى أصبح الصباح وقامت الفرسان لطلب الحرب والكفاح وافتقدوا الحارث ابن ظالم فما وجدوه وافتقد حذيفة أمواله فوجدها قد فقد منها قطعة جيدة فقال قاتل الله الحارث بن ظالم وقتله ما أخبثه وأجهله فبينما هم في ذلك الحال واذا بالاعداء وقعوا فيهم بالحسام والرمح العسال ولعب السيف في بني فزاره وقد أيقنوا بالذل والخسارة واحتاج الربيع أن يبذل نفسه هو واخوته لاطراف القنا ووطنوا أنفسهم على الموت والفنا وحامت بهم الاتراح و بقوا أشباحا بلا أرواح حتى أقبل الليل وأنزلوا بهم الذل والويل ودافعوا عن أنفسهم حتى قرب الصباح واذا هم باسنة رماح وشفار صفاح وفرسان تنادي يا لعبس يا لعدنان يا لبني خولان وكان وصولهم مثل الماء الزلال على كبد الظمآن وكان عبد الله بن الصمة قد وصل اليه خالد بن جعفر فسأله عن سبب قدومه في بعض عسكره فأخبره بقتل فرسان بني عامر وهلاك الابطال والعشائر فقال عبد الله وكيف تم عليك هذا الحال وشتت أبطالك في الجبال ونحن قد أتتنا الاخبار انك انتصرت على بني عبس الاخيار وحصرتهم وطال عليهم الحصار فكيف تم هذا عليك و وصل شرهم اليك فأخبره بخبر عنتر وكيف كان غائبا وحضر فكسرنا وشتتنا في القيعان لانه قد أتى وصحبته بنو خولان ومالوا علينا بالضرب والطعان والصواب انك تقاتل بني فزارة بالخيل حتى تبيد أقصاهم وأدناهم قبل أن يأتي عنتر و يجدهم فبينما هم على ذلك الحال اذ طلعت عليهم نواصي خيل بني عبس العاديات ومقدمهم عنتر صاحب الهمات وطلبوا الحرب والطعان وحملت الاقران وقصدوا الفرسان ونكسوا الشجعان وصار عنتر يقصد الاعلام ويخوض القتام وهو يطعن في صدور الرجال و يبيد الابطال حتى اتسع عليه المجال و بنو خولان تحمل من خلفه كحملاته وتتفرج على طعناته وتتمنى ان يعود معها الى الديار و يعطوه الامرية عليهم ليحكم في الاشرار منهم والاخيار * هذا وقد اشتد من نيران الحرب الوقود وعملت الاسنة في الصدور والكبود وغابت الابطال عن الوجود وعلا الغبار حتى صار مثل الرواق الممدود ومالت الاعلام والبنود وعادت الوجوه البيض سود وكانوا بين ناقص الحظ ومسعود وحاضر ومفقود وقاصد ومقصود الى أن ملت النفوس واعيت حوافر الخيل بالرؤس و وصل الى بني هوازن الضر والبوس وأبصروا يوما عبوس وطعنا يشيب النواصي والرؤس فنفرت مثل ما يفر النعام وتفرقت بين الروابي والآكام وأما عبد الله أخو دريد بن الصمة فانه لما علم بانفلال العرب خاف من الهلاك والعطب فطلب الفرار والهرب * هذا والطعن أخذهم من سائر الجنبات ودارت عليهم العيطات فطلبوا الروابي والفلوات ونجا خالد بنفسه وقد خمد حسه ثم تفرقت المواكب والجيوش وتركوا قتلاهم رزقا للوحوش ولما انفصل الحرب والقتال و بطل الطعن والنزال عاد عنتر يطلب أرض بني عبس قبل مغيب الشمس ومعه أبطال بني خولان وأبوه شداد وعروة بن الورد وفرسانه الاجواد وما رضي أن يقابل الربيع بن زياد ولا حذيفة ابن الاوغاد بل انه رجع وهو ينشد و يقول

سلي السيف في يوم الوغا عن فعائلي * وضربي به بين الكلى والمفاصل
وعن رمحي العسال في النقع كم به * طعنت لسادات كرام أفاضل
وكم قسطل قد خضته فوق أجرد * أنادي بأعلا الصوت هل من منازل
اذا مارآني القرن يرمي سلاحه * مخافة سيفي الهندواني وذابلي * وكم بطل أرديته بمهند
يجيج نجيعا من حتوف الفواصل * وشردت في البيداء أبناء عامر * على صهوات الصافنات الصواهل
يهيمون في البر القفار تعسفا * مخافة بأسي رهبة من فعائلي * ألا فاعلمي يا عبل كم من فوارس
قتلت فاضحوا مثلة في المنازل * وكم بطل يوم النزال أسرته * فمات وخانته جميع الوسائل
تركت جديلا خالد بن محارب * على الارض ما مأواه غير الجنادل * ونقمة مع كلبون حقا أذقتهم
كؤس المنايا مع شراب الحنظل * واني بوادي السيل شتت شملهم * وأرديت حجارا بضرب المفاصل
وحزت لاموال العراق جميعها * وقد صار كسرى حائرا من فعائلي * كذا الخسروان القرن فرقت جيشه
وأرديته في الحرب بين الاماثل * وأرديت هذا البدرموط بضربتي * وقد عجزت عنه ليوث الجحافل
جلبت عصافير النياق لاجلك * وتاج الكسرى ماله من مماثل * أنا عنتر العبسي حامي قبيلتي
كريم شجاع حالك اللون باسل * أنا البطل المغوار في كل معرك * أنا أسد الهيجا كمي الحلاحل
فان كان جلدي اسود اللون فاحما * فبيض فعالي زائدات المباهل * ولي همة فوق السماكين قد علت
واقبال سعد بالسعادة شامل * ولي كرم أسنى وحسن مودة * وبيتي مأوى للضيوف النوازل
وكل ملوك الارض يخشون سطوتي * وقد شاع ذكري في جميع القبائل
ويسبق طعني للحتوف مع الردا * اذا الروح وافت من جميع المفاصل
ويخشى مراسي الموت حتى لوانه * يريد فرارا عاجلته أنامل

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ عنتر من هذا النظام ترنحت له الفرسان وطربت أبطال بني خولان وجدوا المسير حتى وصلوا الى الاوطان فعمل عنتر لهم الولائم و بذل المجهود للرجال الاكارم مدة سبعة أيام وفي اليوم الثامن قدم عنتر الى الفرسان الخيول الحسان وخلع على مشاجع سيد بني خولان خلعة من ملابس الملك النعمان وقدم له حجرة عربية وخمسين فصيلا من النوق العصافيرية وخمسين ناقة من نوق جبل الدخان فسار القوم وهم شاكرون لانعام عنتر وما أعطاهم من الاحسان وكذا شكر والملك قيس وساروا قاصدين ديارهم ورجع عنتر من ورائهم ثم ان قيسا جعل يأخذ بخاطر عنتر و يقول له لا تحزن يا أبا الفوارس على ما فعل معك الربيع بن زياد فوحق الملك الجواد انك لو ظفرت بهم ما كنت تفعل بهم هذه الفعال ولكن الباغي له مصرع ومن سل سيف البغي قتل به فطاب خاطر عنتر بهذا الكلام ولم يزالوا وهم في حديث وكلام حتى وصلوا الى المضارب والخيام واستقر قرارهم وأنست بهم ديارهم و بقي الملك قيس منتظرا أخبار خالد بن جعفر وانقادت له الفرسان بهيبة عنتر وكان اذا حضر معه على الطعام وأبصر تقصيره في أكل الطعام وشرب المدام يطيب قلبه و يقول له يا فارس عبس وعدنان ما بقي فكر الا في قتل خالد بن جعفر لاني اشتهيت أن أزف عبلة اليك لكن تكون رأس خالد على رمح عالي وتبلغ أفراحنا أرج المعالي لانه ما دام خالد حيا ما أقدر أن أغصب عمك على ما لا يريد وأفرق شمل العشيرة ومن خلفي ذلك الشيطان المريد فكان عنتر اذا سمع هذا الكلام يتسلى على كل حال و يتعلق قلبه باذيال المحال فهذا ما كان من هؤلاء ﴿وأما ما كان﴾ من خالد ابن جعفر فانه لما انهزم من الوقعة الثانية سار حتى وصل الى حلته فرآها ممتلئة بالبكاء والنوادب فزادت به المصائب فطيب قلوبهم و وعدهم بنيل مطلوبهم و جمع أكابر قبيلته ومن جملتهم أخوه الاحوص بن جعفر وملاعب الاسنة لانهم وصلوا مع الفرقة الاولى وأجمعوا أمرهم على المسير الى أرض العراق في عشرة فوارس من الرفاق وقال الاحوص على أن أدخل على صهري الملك الاسود والا فما يكون لنا في الديار مقام لاني أعلم ان أخبارنا وصلت اليه وقد سمع الملك النعمان بما جرى وهو على كل حال صهر بني عبس ولا بد أن نذهب اليه

ونقص قضيتنا عليه ونسأله في اصلاح الشان والافما نترك منا انسان ثم انه قصد أرض العراق وأخذ منه جماعة من الرفاق فهذا ما كان من هؤلاء ﴿واما ما كان﴾ من الحارث بن ظالم فانه لما انهزم من أرض بني فزارة وانحدر الى العراق في عشرة من الرفاق وأراد أن يعلم الملك النعمان حتى انه يفصل بين الطوائف وكانت له أخت متزوجة في الحيرة برجل يقال له سنان بن أبي حارثة وكانت تسمى سلمى وكانت داية لأولاد الملك النعمان وكان النعمان معها أولاد قد ربته يسمى شرحبيل وكان الملك النعمان يحبه وروحه معلقة به وكان من زوجته القديمة ضرة المتجردة ولما نزل الحارث الى العراق قصد زيارة أخته وعول على أن يحدث النعمان بما جرى على بني عبس وعدنان ويطلب منه أن ينفذه اليهم وأن يكون هو المقدم عليهم حتى انه يزداد عند العرب قدرا وقيمة وشان الا انه أقام اكثر من ثلاثة أيام حتى وصل خالد وأخوه والقوم الذين صحبوهم من بني عامر ودخلوا على الملك الاسود المهاب وبكوا بضجة وانتحاب وشكوا اليه حالهم وجميع ماجرى لهم بذلة وخشوع وجريان دموع فقال الملك الاسود يا خالد قد وصلنا الخبر أنك قد جمعت على بني عبس جميع عرب البر الاقفر وقد بذلت فيهم السيف الابتر وبعد ما قتلت فرسانهم وأسرت أقرانهم وقتلت ملكهم زهير وقتل ثعلبة بن الاعرج الصياد ولده شاس وتركتهم مثلا بين الناس والحارث بن ظالم حدث أخي النعمان بفعالك وقبيح عملك وعول أخي ان ينفذ معه عسكرا الى قتالك وافناء رجالك وأراك تشكو منهم وتجعل الذنب جميعه منهم فكيف هذا الحال الذي هو غير مفهوم فنحن ما عرفنا الظالم من المظلوم فلما سمع خالد هذا المقال أظهر البكاء والعويل وقال يا مولاي ان الحارث حدث بما سمع وما علم بعد ما جرى علينا لاننا يا سيدي من أول حديثنا الى آخره مظلومين وفي ابن الملك وقصته متهومين لان الملك زهيرا في حال حياته وشدة الباس اتهمنا في ولده شاس وما كان عندنا منه خبر ولا نعلم من قتله من البشر لانهم ذكروا ان الذي قتله هو نعامة وقتل فرستنا بسببه ولولا هلال الشهر الحرام ما فارقناه ولما قابلته في مكة حكى لي انه يريد قطع قبيلتنا من بين الانام وتجبر علينا وأوصل أذيته الينا وفي الوقعة الثانية التي صارت بيننا قتل منا الفا ومائتين بطل وعبدهم عنتر يشهد بانهم قتلوا منا مائتين وألفا بالهضاب والروابي وهذا يا ملك سوى من قتلوا منا في غير هذه الوقعة وأنزلوا بنا الذل والفجعة ولما أبصرنا باعيننا الهوان خفنا من الهلاك وخفض الشان فطرحنا أنفسنا على دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة فانجدنا بالجيوش والفرسان وسرنا الى بني عبس وعدنان وقصدناهم وكنا راجحين ولكن انجدهم عبدهم الهجين لانه كان غائب فاقبل وشتت جمعنا والكتائب ولم يبق راجلا ولا راكب وقتل الفرسان وأباد الاقران وأورثنا الذل والهوان ولو رأيت أيها الملك حلتنا ونظرت حالتنا كنت رحمتنا والنسوان حاسرات والبنات لاطمات والبيوت من أهلها خاليات ثم انه بكى وأظهر الحسرات وأطلق دموعه مسلسلات وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فجعنا في البنين وفي العيال * وحل الذل في أرض الدلال * وراح العز عنا في انهزام
وأبيات لنا عادت خوالي * فلو شاهدتنا لبكيت حزنا * على حزن البنات ذوي الجمال
وأصبح جمعنا في افتراق * وأمسى حالنا في سوء حال * وصرنا خائفين من الاعادي
وعدنا نندب الطلل الخوالي * ديار الامن عادت دار خوف * وقد شان الزمان بالانتقال

فلما سمع الملك الاسود من خالد هذه الابيات فاضت دموعه بالعبرات ورق قلبه للقوم وترك العتب واللوم وضمن لهم اصلاح الحال وأنزلهم وأكرمهم ومن الغد دخل على أخيه النعمان وكان قد وصل اليه خبر قتل زهير وابنت عليه المتجردة السواد ولزمت البكاء والتعداد وكانت كلما سألته ان ينصر قومها او يساعد قيسا أخاها فيقول لها ان جاءني منهم رسل يطلبون النجدة أنجدتهم ولكن أنا أعرف انهم قادرون على أخذ ثارهم من عدوهم ولو ان أعداءهم بعدد الجراد وكان النعمان مراده أن يذل بني عبس بكل سبب حتى انها تدخل تحت طاعته مثل جميع العرب الى ان دخل عليه أخوه الاسود وأخبره بكل ما جرى وتهدد فتعجب من ذلك غاية العجب وقال أنا لا أرى الصواب الا الصلح بين الاعراب والتفت الى أخيه وقال له أحضر الى الحارث بن

ظالم فلما حضر قدام الملك النعمان أصلح بينه وبين بني عامر وحلفوا انهم لا يخونون بعضهم البعض وعمل لهم وليمة وأسقاهم المدام وكان يومهم أحسن الايام الى أن أمسى المساء وهجم الظلام وصاروا يعيدون عليه الوقعات وما جرى عليهم من بني عبس من الكربات الى أن تمزق شمل من كان هناك من الناس وذهب عنهم الايناس وعاد كل واحد منهم الى خيامه وأما الحارث فانه أخذه الحسد لما سمع مدحة عنتر وتفتت كبده وانفطر وقال في نفسه ان كان عنتر نال هذه المرتبة بشجاعته واقتداره وشاعت بذلك محاسن أخباره فانا الآخر أفعل شيئا أفتخر به على سائر الفرسان ويظهر لي به أمر وشان وأقوم اقتل خالدا في حرم النعمان وأخون العهد والايمان ثم انه قام من وقته وقوى عزمه على ذلك الامر والشان وذو الخيانات في عينه حتى وصل الى الخيمة ودخل على خالد وهو راقد وضربه فقطع رأسه من جسده وطلع وهو يظن انه قد بلغ المراد وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علوت بذي الحيات مفرق رأسه * وما يركب المكروه الا المخاطر
فضلت به لما قتلت لخالد * لان حسامي ما حوته الاكابر

ثم انه حدثه سكره انه ما قتله ووضع ذبابة السيف على صدره واتكا عليه حتى نفذ من ظهره الى الارض شبرا وسار تحت الليل وغياهبه وهو لا يدري أي الطرقات يذهب وعلم انه لا ينجيه الهرب فتلبد في بعض الاماكن الى أن أصبح الصباح فأقام الاحوص من المنام ودخل على أخيه فرآه على تلك الحالة التي ذكرناها فصاح من شدة مصابه ودق على صدره وخرق لباسه وحثا التراب على راسه وصاح بالويل والحرب وسوء المنقلب وعاد من وقته الى الملك الاسود وحوله رجاله وأعلمه بما قد أصابه وان الحارث بن ظالم قتل أخاه خالد بن جعفر وتركه بدمه معفر فجرى على الملك الاسود ما لم يجر على أحد وقال لعن الله الحارث وأخزاه وأبعده ولا أدناه فوالله ما كان خصمه الا انا وسأجازيه باشد الجزاء ثم انه أحضر رجاله العشرة أولاد عمه ثم قال كل من أتاني بالحارث أعطيته أجود المطيات وأزيده من الخيرات فاتوني به لاجل أن أصلبه على باب المدينة وأرسل النعمان في طلبه الخيل الى ان كان في الغداة فعادت الخيل خائبة مما سارت له طالبه ولم يقعوا له على خبر ولا جليلة أثر فزاد بالنعمان التهابه وعظم مصابه وعول على قتل أصحابه من شدة ما قد أصابه فقال له أخوه الاسود أيها الملك الكريم لا تأخذ البريء بالسقيم لانهم لو رضوا بفعل الحارث كانوا هربوا معه والصواب انك تدعهم في الاعتقال حتى يظهر خبر هذا القرنان وتجازيه بالعذاب والهوان ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما الحارث الغدار فانه لما قتل خالدا وهج على وجهه في القفار لم يزل سائرا حتى أصبح الصباح وأفاق من شرب الراح فواقعه الندم وعلم أن النعمان لا بد أن يطلبه ويحل به العدم وعلم انه ما أحد يجيره من قبائل العربان بل يطلبوه من كل مكان فحار في أمره وضاق صدره وتفكر في نفسه وأيقن بهلاكه فزاد عليه مصابه وماهان عليه أصحابه فتأسف عليهم كيف يهلكوا في يد النعمان بغير ذنب ولا سبب فعاد من حرقته طالبا الحيرة وهو في هموم وحيرة وصبر الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل بين الخيام وجعل يدور بين المضارب والناس نيام فرآهم حول مضرب الاحوص بن جعفر وعندهم خمسة من العبيد قد ناموا فذبح الخمسة ودخل الى أصحابه وحلهم من الكتاف وقال لهم انجوا بانفسكم من التلاف فاذا أمنتم على أرواحكم فاقصدوا ديار بني عبس وعدنان وعيشوا عندهم في أمان تحت كنف قيس بن زهير فانه يصلح حالكم مع النعمان لانه صهره وما يجيركم أحد سواه وأما انا فما يجيرني أحد من العربان لاجل خاطر النعمان وقد عولت على أمر واريد أن أفعله قبل هلاكي حتى أكون قد أخذت بثار نفسي وأترك لي حديثا يذكر من بعدي ثم انه فارق القوم وقد هانت عليه نفسه وقصد بيت أخته سلمى وقت السحر فلما دخل عليها ورأته حارت من فعله وقالت يا أخي ما اقدمك وما الذي أعادك الى أرض النعمان بعد ما سلمت من الهوان والله يا حارث ان وقعت في يده فانه يبترك ساعة

من الساعات حتى يوردك المهالك فقال الحارث أين أمضي وبمن احتمي والنعمان غريمي فما لقيت
لي خلاصا من هذه الامور الا ما خطر في بالي والا سفك دمي وساءت أحوالي فقالت له وما الذي تريد
أن تفعل حتى انك تنجو من الهلاك فقال لها تسلمي لي ولد النعمان فآخذه على كتفي وألتقي به أباه وأقول له
أنا في جيرة هذا الصبي فيعفو عن ذنبي ويسمح عن خطيئتي فاذا انصلح حالي مع النعمان نجوت من نوائب
الزمان ولا أبالي بأحد من بني عامر ولا من جميع العشائر فقالت هذا رأي مليح وبه تنجو من كل قبيح
ثم انها من شفقتها عليه سلمت ذلك الطفل اليه فأخذه على كتفه وأتى الى باب الحيرة فرآه مفتوحا والناس
خارجة لقضاء أشغالهم وافتقاد أحوالهم وكان عسكر النعمان خارجا قدام الملك يريد الصيد والقنص
واغتنام اللهو مع الفرص فصرخ الحارث صوتا أوقف الجميع وحذف الصبي الى الهواء والتقاه بسيفه ذي
الحيات فحكم بين رجليه فشقه نصفين فضجت العساكر من سائر الجهات وقصدوه بالمرهفات فقصد عرض
البر والقفار فجدت وراءه القوم على الآثار حتى لحقوه وأدركوه فعاد اليهم وهجم عليهم ومال فيهم وصال
وجال ففرق جمعهم وصيرهم في خبال ثم رجع الحارث قاصدا الى الجبال فتبعوه وصرخوا عليه فرجع
اليهم وقاتلهم الى قريب المساء فعند ذلك ضعف قواه وقلت همته واضمحلت عزيمته وكان العسكر بعيدا عنه
فتأسف على سيفه ذي الحيات كيف يملكه غيره من السادات فأتى الى صخرة عظيمة وهي قطعة من جبل وأقام
يده بالحسام وضرب به على تلك الصخرة لأجل أن يكسره فنزل بحده فقد الصخرة شطرين فانبهر وأخذ الحسام
وسار قاصدا البر والآكام وكان قاصدا بها هلاكه فكان فيها نجاته لان العساكر لم يزالوا خلفه يجدون المسير
حتى أتوا الى الصخرة فرأوها نصفين وقد كانوا رأوه وهو يضرب بها فوقفوا عندها وقالوا لبعضهم البعض الذي
فيه عزم يقد الاحجار كيف نتبعه في هذه القفار ثم انهم وقفوا حتى أتى النعمان وأعلموه بالذي جرى وكان
فلما نظرها النعمان رجع وهو يقول لعن الله الحارث ما أقواه ثم انه كتب الى جميع القبائل كل من وقع
بالحارث يقبضه ويأتي به اليه وله جميع ما يكون عليه ثم انه بعد ذلك أحضر سنان بن أبي حارثة وقال له أنا
ما أعرف ولدي الا منك لان الحارث صهرك وأخذ ولدي من بيتك فبكى سنان وقال له لا تظلمني يا ملك
فأنا وحيات رأسك ما كنت البارحة عند زوجتي ولو كنت عند زوجتي لأعلمتك أو كنت قبضت عليه
وأحضرته بين يديك حتى تقتله وتظهر فيه نقمتك لأجل أنه خرق حرمتك فقال النعمان أنا لا أسمع هذا
الكلام ولا أطلقك يا نسل الحرام حتى تقيم لك ضمينا وتشهد على نفسك أنك تسير وتقتفي أثره حتى انك
تقع على خبره وان لم تفعل ذلك تكون خامرتني وتكون أنت عوضه لاني ما أطلب ولدي الا منك ولا أعفو عنك
فقال سنان افعل ما بدا لك فما أخالفك في أقوالك وأنا أقسم وحق الملك العلام لا أخامرك بل أنا الضامن له
أينما كان فأنا أطالع أدور عليه في قبائل العربان وأنا ضامن لكل ما طلبته فأطلقه النعمان وصبر عليه حتى
يصبح الصباح ويقصد عرض الربا والبطاح فهذا ما كان من هؤلاء ﴿وأما ما كان﴾ من أصحاب الحارث
فانهم جدوا في قطع القيعان حتى وصلوا الى بني عبس وعدنان ودخلوا على الملك قيس وأخبروه بما فعل
الحارث وكيف قتل خالد في حرب النعمان وكيف انه خلصنا وقال انا اقصد والملك فما يجيركم أحد سواه من
العربان وها نحن قدمنا عليك وصرنا بين يديك وبشرناك بأخذ ثارك وكشف عارك فلما سمع قيس
بذلك فرح واتسع صدره وانشرح وأخلع عليهم وحياهم وأكرم مثواهم وضمن لهم الذمام وقال والله
لقد فاز الحارث بهذه المكرمه وسمع عنتر بما فعل الحارث من قتل خالد وهو نائم فقال لعن الله الحارث بن ظالم
لانه ما قتله الا وهو سكران عادم فلو كان قتله في الصدام كان أقوى فخر وأعظم شان وكان عنتر يتمنى قتل
خالد على يديه حتى تقر بذلك عينيه وأما الملك قيس فانه خلا قلبه وخف عنه همه وكربه فأكثر من الولائم
والافراح مساء وصباح وابصر اخوته فضاق خاطره واحترق قلب عنتر وسرائره فقال مالك لاخيه قيس
لم لا تشيد أركان دولتك وتبذل مجهودك وهمتك وتنجز أمر حامية العشيرة وتدخله على زوجه حتى تزول عنا
كروبنا ونبلغ مقصودنا فلما سمع قيس ذلك قال يا أخي افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك ثم ان قيسا اصطنع

وليمة عظيمة لها قدر وقيمة على غدير ذات الارصاد وجمع سائر اخوته وأعمامه وأكابر دولته وفرسان عشيرته
وقدم لهم الطعام حتى اكتفوا وأدار عليهم كاسات المدام ثم انه دعا بمالك بن قراد وعظمه بين السادات
الاجواد وقال اعلمني لماذا منعت ابن أخيك أن يلم بابنتك وضيعت حقه عليك وأمرت ابنتك بالاستتار منه
أما هي زوجته وقبضت مهرها منه وأشهدتنا عليك فقال مالك اعلم أيها الملك السعيد اني ما منعتها عنه الا من
كلام الاعداء من قريب وبعيد وقولهم ان عنتر خلا بها قبل ان تزف عليه ولكن يا ملك الزمان هي زوجته
وقبضت مهرها منه ولو طلبها في تلك الساعة أخذها ولولا شغل قلوبنا في مثل هذه الايام كان معه منها عشرة
أولاد كرام ولكن ما دام انه قد انشرح صدرك وبالك فافعل ما بدا لك فقال قيس يكون ذلك بعد ثلاثة أيام
فقال مالك ابنتي أمتك وأبوها وأخوها خدمك فلما سمع عنتر كلام عمه قام اليه وقبل يديه وما انقضت الوليمة
حتى انقضى الامر وذهب الشر وعاد مالك الى أبياته واختلى بزوجته وشكا اليها حالته وما ألزمه قيس من
تزويج ابنته فقالت له يا ابن العم الى كم هذه المشاجرة وقد فرغت الاعمار في هذه المضاجرة ومضت الشهور
والاعوام وتقضت الاوقات والايام ولم تزل عبلة تلين قلبه وهو ما يزداد الا قساوة ولم يقبل لها كلام وأما عنتر
فان الملك قيس استدعاه وطيب قلبه ووعده بكل سرور فخرج من عنده وهو فرحان وظن انه قد بلغ المرام
وبات وهو يشكر الملك قيس على ما فعل من الفعال وما ألزم به عمه من المقال ولم يزل في أشد الافراح حتى
أصبح الصباح وأراد عنتر ان يركب واذا بأخيه شيبوب قد أقبل وقال له يا ابن الام أختك مروة قد وصلت
من بني غطفان وهي طالبة اليك ولا شك انها حردانه أو نزلت عليها نائبة ما طاقت حملها فلما سمع عنتر
كلام أخيه قام وقصد الى بيت أمه لينظر ما حل بأخته وكانت مروة هذه أول أولاد شداد وكانت عزيزة عنده
ويحبها محبة شديدة وكانت متزوجة برجل من بني غطفان وهو جليل القدر والشان وكان معها ولد
مليح صاحب وجه صبيح وقد درج تعلم الفروسية وكان يأتي اليه خاله عنتر يزوره ويقيم عنده
فيطلع الى البرية ويعلمه الشجاعة والفروسية ويقول له اطعني ولا تشفق علي فطلع نارا محرقه وصاعقة
مبرقه وصار اذا رأى خيلا وفرسانا يحمل ويشابه خاله عنتر الى أن بقي من الشجعان وبلغ من العمر اثني عشر
عاما وكان عنتر اذا سأل أخته أن تخلي له الغطال عنده لا ترضى لانه واحدها ومالك قلبها فلما أتى شيبوب
واعلم أخاه عنتر بقدومها قام اليها ودخل عليها وقال لها ما حالك وما الذي قد جرى لك فقالت له وهي باكية
شاكية اعلم يا أخي ان أولاد بني غطفان أمروا ولدي عليهم وساروا في طلب غنيمة ومضى لهم أيام طويلة
ولم يرجعوا وقد احترق فؤادي وجفاني مضجعي وأخذني الوسواس وأحرمت جميع من حولي من الناس
المنام ففي ليلة من الليالي رأيت ولدي في المنام ومن معه من الاولاد في دخلة عظيمة ورابط لهم على باب
الدخلة أسدا من الأساد وهو يهددهم بالاكل ليلا ونهارا فانتبهت وقد اشتعل قلبي بالنار وبقيت
كذلك حتى طلع النهار واذا بعبد واقف على باب المضرب وهو لابس عمامة دنيسه وثيابا رثيثه في زي
سائل فخرجت اليه ومعي قعب من اللبن وشيء من القديد وقلت له خذ يا غريب وادع لولدي الغائب
بالرجوع فقال لي وقد تبسم من كلامي ومن هو ولدك الغائب لعله الغطال الغطفاني فقلت نعم
أهل عندك منه خبر فقال نعم لاني مررت على حلة بني تميم ودارم فرأيته في أسر اللقيط بن زرارة وهو
مشبوح بين أربع سكك حديد فأخذتني عليه الشفقة وتقدمت اليه وسألته ما الذي تم عليه فقال لي
عن حسبه ونسبه وقبيلته وعربه وحلفني ان مررت على بني غطفان أن تعلم أمي لاجل أن تعلم خالي
عنتر وضمن لي مالا كثيرا ان تخلص من الاسر والضرر فهذا ما تم لي من القضية فلما سمعت ذلك من
العبد وخلاني وراح جرت دموعي سفاح وها أنا قد أتيت اليك ووقفت بين يديك فلما سمع عنتر
ذلك الكلام صار الضياء في عينه ظلام وتعجب من نوائب الزمان وكيف يحدث قبل الفرح أحزان
لانه قد تعلق قلبه بزفاف عبله وانحلت عقدته فحدث عليه هذا الحادث فما بقي ينظر ما بين يديه
فقال لاخته قري من أحزانك وسيري الى مكانك ثم انه طيب قلبها ونفس عنها كربها ثم أنفذ أخاه

شيبوب الى عروة يعلمه أن يجهز نفسه هو ورجاله ويلاقيه على أرض المرتقب اذا انسدلت جيوش الغيهب وأخذ من بنى قراد مائة فارس أمجاد وأوصى أباه شداد بكتمان الحال وانه لا يبدى الى أحد مقال وسار فى صحبته أخوه شيبوب وجرير وأما عمه مالك فانه انكشف عنه همومه وزالت غمومه لانه كان عول أن يجتمع مع الربيع بن زياد ويستشيره فى أمر من الفساد وأظهر انه يقطع الآفاق فرده عنتر وقال يا عماه لم يكن قدامنا امر يوجب عناك فلا خيب الرب القديم مسعاك فارجع انت وأصلح حال ابنتك وهىء حالها واقض أشغالها فقال والله لقد تنغص عيشنا وأشغلناهم المطال عن أفراحنا فقال عنتر يا عماه من طلب الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه وان لكل شئ وقتا معلوم وما أحد يتعدى حكم مسير النجوم وهو الملك الحى القيوم وأنا يا عم طول عمرى أعاون الغربا فكيف أتخلى عن الاقربا لاسيما وهو ابن أختى كيف أتركه فى الاعتقال فان غفلت عنه فلا أكون ولد حلال ثم انه رده الى الديار وسار يقطع البر والقفار فوجد عروة فى تل المرتقب هو ورجاله وهم له فى الانتظار فاخذهم وساروا يقطعون البرارى والقفار وهو يتعجب من حاله وما الذى تم عليه ثم أنشد يقول

الى كم أدارى صروف الردا * ومن شأن ذا الدهر أن يغدرا * فيقصد حربى نهارا اذا
وتارة بالليل اذ يمكر * أيا دهر انى قوى الجنان * مثير العجاج أنا قسور
وعندى احتمال لحمل الاسا * وأخفى الاسية لا أظهر * تيقن لقيط بقتل الهمام
ويمنى لقيط غدا تقصر * أنا عنتر القرم يوم اللقا * أقيم الحروب ولا أفكر

(قال الراوى) ثم انه بعد جد المسير يأتى له كلام * وأما ما كان من أمر هذا اللقيط بن زرارة الذى هم قاصدون اليه فانه كان فارسا جبارا تبطل عنده الشجاعة وتقر له الاقيال بالفروسية والبراعة وكانت الفرسان من العرب تسميه عقاب الحرب وفارس الطعن والضرب وأما أمره للهطال فانه كان له سبب عجيب وأمر غريب لان اللقيط بن زراره كان له اخوة أمارة تشهد لهم الرجال وكانوا ثمانية عشر أخ من أب وأم واحده وكانت أمهم يقال لها مارية بنت عبد اللات وكانت من المجملات وما كان أحد منهم الا من ينادى بالامير والسيد الخطير وكانوا مثل الكواكب الزهريه والاهلة المضيئه فنهم الامير حاجب بن زراة الذى رهن قوسه عند الملك كسرى على الوفاء لانه كان منعزلا عن أبيه بعربه وكانوا فرقة وحدهم فاقحطت أرضهم ومنع المطر عنهم فرحل بقومه الى بعض الاراضى فرمتهم الطرقات على مدائن كسرى فاخذ هديه سنية وطلع الى الديوان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك الزمان اننا اليوم فى جوارك واينما كنا تحت أمانك ونريد فى هذا العام أن نكون تحت نظرك ونزن لك الخراج مثل ما كنا نزن للملك النعمان فقال له كسرى أنا أقمت عليكم نائبا من تحت يدى يعرفكم ويعرف جنسكم وأما أنتم اذا نزلتم عندى تمتاروا الى آخر السنة فانكم ترحلوا فما أعرف لكم حبالا ولا جنسا وان كنتم تقيموا عندى فخلوا عندى رهاين على الوفاء فقال حاجب هاك قوسى فقال له كسرى ان قوسك معوجة فقال له يا ملك وحالى مستقيم فتبسم كسرى من جوابه وقبل خطابه فصار ذلك فخرا لبنى تميم فهم يفتخرون على العرب بذلك الى زمن أبى تمام الطائى لما كانوا يقدمون الى سوق عكاظ فتأتى كل قبيلة وشاعرها بين أيديها ينشدهم أبياتا من الشعر يخبر فيها عن مكارم أخلاقهم وما فعله أجدادهم من الشجاعة والفروسية فتقدم فى زمان أبى تمام فلما سمع شاعر بنى تميم ينشد بين أيديهم ويفتخر برهن القوس على الوفا فقام أبو تمام قدام بنى طى وبنى شيبان وأشار يقول صلوا على طه الرسول

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * فخارا على ما أوطدت من مناقب
فانتم عريب قد أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(قال الراوى) وكان قوس حاجب قد اشتهر فخره حتى ترغت به الشعراء وافتخرت به الامراء وقد قال بعضهم

فيه شعرا

وكل وفاء كان فى قوس حاجب * وأنت جمعت الغدر فى قوس حاجب

وأقام القوس فى خزائن الملك الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب لما فتح المدائن وكان فى العسكر عطارد بن حاجب فدخل الى الخزائن فوجد قوس أبيه فاخذه وطلع به الى سيدنا عمر وقال له يا أمير المؤمنين هذا قوس أبى الذى رهنه على الوفاء فتعجبت الصحابة منه لانه لم يكن أحد يقدر يوفيه فى العرب غيره وشاع اسمه وذكره فى القبائل ومنهم مالك الحاتمى ومنهم علقمة مأوى الصعاليك ومنهم هذا اللقيط بن زرارة الفارس الشجاع والقرن المناع وكان أبوهم أفخر العرب نسبا وأجلهم أما وأبا فبينما الامير زرارة مقيم يوما من الايام واذا باولاده السبعة عشرة أقبلوا عليه وهم يشكون من أخيهم اللقيط وتجبره عليهم وأذيته الواصلة اليهم فانفذ أبوه خلفه فحضر وهو لابس ثوب خام رفيع مطرز الاكمام وهو يهتز فى خطوته ويعجب فى مشيته فقال له أبوه يا ولدى قل من تباهيك ومن هذا الاعجاب والافتخار على أهلك وعلى الاغراب فوحق ذمة العرب لو ان فى مرعاك ألف ناقة من النوق العصافير التى للملك النعمان أو تكون زوج بدر اليمن بنت الامير جابر بن رفاع العظيم الشان ما مشيت فى قومك هذه المشية ولا اهتززت هذا الاهتزاز أو تكون أسرت عنتر بن شداد فارس الحجاز فى البراز فلما سمع اللقيط من أبيه هذا الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وعملت فيه نخوة العرب وكتم أمره ومازح أباه واخوته وقال له يا أبتاه وبهذه الثلاث خصال ينال الانسان درجة الكمال فقال أبوه وأى فخر أعظم من زواج بدر اليمن ونياق النعمان وبراز عنترة الفرسان فقال اللقيط وحق مالك الممالك المنجى من المهالك ما بقيت أرجع الى الاوطان حتى أنال هذه الثلاث خصال الحسان ثم قام على الاقدام وسار الى بيته ونام حتى ذهب الظلام وشكا حاله الى خاله وطلب منه المعونة على بلواه فوعده ببلوغ مناه ومن يومهم ركبوا جوادين وأخذوا ناقة لحمل المال والزاد وعشرين من العبيد الاجلاد وقصدوا عرض البرارى والوهاد حتى بعدوا عن الديار ودعسوا البر والقفار وتشاوروا أى الاماكن يقصدون وأى الاقطار يطلبون وكان خاله من أصحاب العقول الزاكيات وكان اسمه عبد مناة فقال له يا ابن أختى اقبل نصيحتى ومشورتى واقصد بنا فى الاول الى الملك جابر بن رفاع صاحب المجد والارتفاع فان أنعم بابنته فنسير بعدها الى الملك النعمان فان ملكت النياق ملكت عنتر ويشيع اسمك فى جميع الاقطار والآفاق فمال اللقيط الى كلامه وشد عزمه وقوى اهتمامه وجدوا المسير فى قطع القفار والبيد وكان طلوعهم من أرضهم فى طالع سعيد وكان هذا الملك الذى هم قاصدون اليه وقادمون عليه ملكا مطاع وطويل الباع وكانت بلاده فى أطراف معادن النحاس وكان هذا الملك عمر فيه حصنا مشيد الاركان لا يقدر عليها انسان وكان هذا الملك من أصحاب التيجان وهو ملك عظيم صاحب عز وتكريم وكان راغبا فى عبادة الاصنام وكان قد اصطنع له صنما من ذهب وبنى له بيتا على صفات البيت الحرام وجعل هذا الصنم على باب البيت وسماه الجبار ونحن وأنتم نستغفر الله الملك الغفار وكان له بنت بديعة الجمال فوهبها لهذا الصنم وردعنها الخطاب ومنع الطلاب وقال أنا ما ازوج ابنتى الا من يأمرنى به صنمى ولو خطبها منى ملوك الاقطار ثم انه أقام على ذلك الحال (وأما) اللقيط وخاله فانهم جدوا المسير الى أن قربوا من الديار فابصروا أرضا واسعة وعيونا نابعة وغدرانا سائحة ووحوشا سارحة وطيورا ساجعة وأشجارا باسقة الاثمار جامعة ورياضا وحياضا وماء فياضا وخياما ومضارب وخيولا وجنائب وملكا لا يقدر عليه الا رب المشارق والمغارب فقال اللقيط لخاله والله يا خال ما هذا الا ملك عظيم واقليمه لا يقاس بالاقاليم وفى هذا الوقت يريد الانسان قبل اطلاق اللسان ثبات الجنان ثم انهم نزلوا على بعض الغدران وخلع اللقيط ما عليه من ثياب السفر ولبس ثياب الحضر وتعمم بعمامة مطرزة الاطراف بالذهب وهى فى رؤيتها عجب وكان جواده من أفخر خيول العرب وأرخى أطراف العمامة على كتفيه وضيق اللثام وكان حسن القوام مليح الابتسام وسار هو وخاله وقد فعل مثل فعاله وساروا الى أن وصلوا الى القصر فرأوا كثرة العساكر وازدحام الدساكر فعند ذلك قوى اللقيط جنانه وأجرى لسانه وأجهر صوته وسلم وسأل الحجاب أن يأخذوا له الاذن فى الدخول على

الملك فردوا عليه السلام وبجلوا قدره بالاكرام والاحترام وقالوا له أخبرنا ما حاجتك حتى نقضيها وننجز لك
أشغالك ونتمها فقال لهم حاجتي لا أذكرها لاحد غير الملك فلما سمعوا كلامه زادت هيبته في قلوبهم لانهم رأوا
الشجاعة لائحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه فأوقفوه ودخلوا على الملك وأخبروه بالخبر وما رأوا من اللقيط
وأوصافه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك كلامهم فرح فرحا شديدا وقال لهم عودوا واسألوه عن اسمه وعربه
فان قال لكم أنا اللقيط بن زرارة من بني تميم وبني درام فاكرموه والى عندي أحضروه وان قال لكم غير ذلك
الاسم فاحملوه الى دار الضيافة حتى نتفرغ وننظر ما معنى هذا الكلام فقال له الحجاب أيها الملك الهمام ومن
يكون هذا اللقيط بن زرارة فضحك الملك وأبدى الابتسام وقال لهم ان قصتي عجيبه وأحوالي غريبه اعلموا
انه لي اليوم عند صنمي قيمة ومقدار لاني ثقلت وزنه وزدته من الذهب قنطار فبقيت صورته عجيبه وقالت
له بعد ذلك أسألك أن ترزق بنتي بزوج يكون شجاعا وقرنا مناعا صاحب حسب ونسب وسيدا من سادات
العرب الى أن كان في هذه الليلة رأيت صنمي أقبل علي في حلل الرضا وقال لي أبشر فقد سمعت كلامك
وبلغتك مرامك وقد أرسلت الى ابنتك بعلا كريما صاحب قوة وشطاره ويسمى اللقيط بن زراره وهو
فارس همام وأسد ضرغام وقد رضيته لابنتك بعلا ورأيت كذلك في الليلة الثانية وفي هذه الليلة الى أن
أصبح الصباح فداخلتم علي وأعلمتموني بذلك فقلت لكم على السبب ﴿قال الراوي﴾ وكان هذا المنام
من الشيطان لاجل وسوسته بابنته ولسعد اللقيط فرجعت الحجاب الى اللقيط وسألوه عن حسبه ونسبه فانبأهم
باسمه وعربه فاخذوه ودخلوا به على الملك فترحب به ورفع قدره وسأله من أنت يا وجه الاماره فقال أنا
الذي شهدت بفخاره الكواكب السياره أنا اللقيط بن زرارة صاحب الشرف العالي الملقب بعقاب الحرب
يوم طعن العوالي وقد أتيت خاطبا ابنتك زينة البنات الغوالي فارصل حبالها بحبالي ولا تضيع سعي
اليك أنا وخالي فاعجب الملك كلامه وقال له ما يحتاج الى هذا الكلام فان حاجتك قد انقضت قبل وصولك
الينا بايام والذي أمر بقضائها لا يقدر أحد يراجعه في كلام ثم أخذه وأجلسه الى جانبه وأكل معه الطعام وقدم له
ما راق من المدام وفي ثاني الايام أمر الملك باصطناع الولائم ودق الطبول وانقلب الحي بالافراح وتزينت
البنات الملاح ورقصت الاماء والمولدات والبنات العربيات ودارت باللقيط السادات وصاروا يهنئوه
بزوجته ويهنوا الملك به وبهمته وبعد ذلك مد الملك يده الى اللقيط وصافحه وعاقده وناكحه وشرط على
نفسه انه قبض المهر والصداق وبعد ذلك ضربت قبة الزفاف ولا بقي خلاص فحمد اللقيط زمانه وانزاحت
عنه أحزانه ودخل على زوجته فوجدها مثل الشمس الضاحية في السماء الصاحية فتفكر في هذا الحال
وكيف انه يدخل عليها بلا مهر ولا مال فخاف أن يبقى معيرة طول الزمان وتضرب به الامثال جميع الفرسان
فاعطاها ظهره ونام ساعة من الليل فابصر الجارية نائمة فقام من عندها وخرج الى خاله وأعلمه بحاله وما
خطر بباله فقال له لقد نظرت موضع النظر ومن الصواب أن تقصد بنا أرض العراق ونسأل الملك النعمان
في المهر والصداق فعسى أن نأخذ شيأ من الدنانير وقطعة من النياق العصافير ونرجع مجبورا عند
الكبير والصغير ثم انهم شدوا على خيولهم وساروا يقطعون القفار الى أن طلع عليهم الغبار فهذا ما جرى
لهؤلاء (وأما الجارية) فانها انتبهت وقت السحر فما رأت لا وجها خير ولا جلية أثر فزادت بها الافكار
واذا هي بالنسوان دخلن عليها يهنوها بزواجها فرأوها وحدها فسألوها عن حالها وما تم عليها وجرى لها
فقالت لهم انه ما دنا مني بل لفت ظهره ونام عني وها أنا قمت وقت السحر فما رأيته فقلن لها النسوان والله ان
أباك فعل فعال الجهال ردع عنك الخطاب من كل أمير وزوجك لرجل غريب فقير وباعت الناس واشترت
فيها وفي أبيها الى أن بلغه ذلك فقال لهم أنا ما فعلت الا ما أمرني به صنمي وان كان أخطأ أو أصاب فهو أخبر
بالصواب فقالوا صدقت أيها الملك المهاب فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) اللقيط وخاله فانهم ما زالوا سائرين
يريدون الملك النعمان وفي نية اللقيط أن يلقى كل من عنده من الفرسان ومما اتفق انه التقى بالحارث وهو
تائه في الوديان والبراري والقيعان وهو خائف من الملك النعمان لانه عرف ان الملك كاتب فيه جميع

العربان وكان اللقيط وصل اليه كتاب الملك النعمان فلما رآه نادى وافرحاه بلغت المنا ونلت جميع الهنا
وانحلت عقدتي وقضيت حاجتي ثم انه أعلم خاله بتلك الاسباب وانقض على الحارث مثل العقاب وانطبق
كل واحد على صاحبه وجد في طعانه وضرابه وأخذا في الهزل والجد والصد والرد وكان الحارث يقاتل
عن نفسه قتال مغلوب وقد حلت به الكروب * هذا واللقيط طامع في أخذه أسيرا الى بين يدي الملك النعمان
حتى يبلغ المال والاحسان ودام بينهما القتال حتى تصرم النهار ومل الحارث من الطعان لانه كان تعبان
جيعانا وظمآن وقصر جواده في الجولان وانكسر منه الرمح وأراد أن يجذب سيفه ذا الحيات فلم يمكنه اللقيط
من ذلك بل هجم عليه هجوم الليث اذا انذعر فناداه الحارث ترفق بي يا سيد بني دارم ولا تظلم رجلا قد أضر به
البر من مقاسات البرد والحر فاحسن أيها الامير لمن بقي في يدك أسير ثم وقف واسبل يديه وأجرى دموعه
على خديه فقال اللقيط أدركتك فلك والا أوردك تلافك فقال الحارث سمعا وطاعة يا سيد العرب
الاعيان لكن بحق الملك الديان لا تشارك في دمي الملك النعمان وان كنت تعفو عني فأنا أعطيك مالا كثيرا
ونوقا وجمالا ثم غافله وهجم عليه وجذب سيفه ذا الحيات وضربه على رأسه فقطع البيضة والرفادة ونزل الى
نصف جبهته فجرحه جرحا شنيعا ولولا ان الحارث كان ضعيف القوى لاحرمه أن يشم نسيم الهوا * هذا واللقيط
ندم على فعاله واستعجز نفسه على سماع مقاله وقد اسودت الدنيا في عينيه وأظلمت البيداء عليه فنظر
خاله الى ذلك فايقن له بالمهالك وحمل على الحارث وأشغله عن حاله وأخذه في مجاله لانه كان بطلا من
الابطال وقيلا من الاقيال فقاتل الحارث الى ان أفاق اللقيط وعاد على الحارث عودة الاسد الرئبال وطعنه
طعنة ألقاه من على ظهر الجواد ونزل اليه وشده كتاف وقوى منه الاطراف وهو لا يعقل من الجوع والعطش
وزاد به الرعش والدهش وأقبل على اللقيط خاله وقطبه وأقاموا في هذه الارض الى ثاني الايام وقاموا
وشدوا الحارث على ظهر جواده وجدوا المسير وأمنوا من التعسير وصاروا يجدون في البراري والآفاق مدة
من الايام الى ان أشرفوا على أرض العراق ومن جملة سعادة اللقيط أن دخوله كان في يوم النعيم لاننا ذكرنا
في أول السيرة تأصيل هذين اليومين وهم يوم النعيم ويوم البؤس فلما نظرت طائفة النعمان الى اللقيط تجاروا
اليه وخلعوا جميع ما معهم عليه ونثروا عليه الفضة والذهب وصاحوا عليه صياح الفرح والطرب حتى
وقف جواده عن السير فنادى على العبيد والغلمان وقال يا قوم اصبروا قليلا فقد غمرتموني بالاحسان حتى
أصل الى هذا الملك العظيم الشان سيد ملوك الزمان وخليفة كسرى صاحب الايوان لان معي عدوه الحارث
ابن ظالم واريد منه العطاء والمكارم فلما سمعوا منه هذا المقال زاد فرحهم والانهمال وعادوا الى النعمان
ثم أخبروه بما جرى من الاحوال ففرح النعمان ومال وزاد به الفرح والانهمال وأنس من هذا المقال وقال
خذوه وفي بعض المطامير ارموه ووكلوا به جماعة من العبيد وصبوا عليه العذاب الشديد حتى تنقضي أيام النعيم
والعيد لاني ان وقعت عيني عليه بدلت النعيم بالبؤس وبعدما يكون سعودا ينقلب نحوس فعند ذلك سارت
الغلمان وأخذت الحارث من اللقيط وفي بعض المطامير حبسوه وبعد ذلك ترجل اللقيط عن الجواد وتمنى وسلم
فأبصر النعمان الى حسن خطابه وجميل أثوابه فترحب به وزاد في اكرامه وسأله عن حسبه ونسبه وقومه وعربه
فقال يا مولاي أنا من بني دارم أصحاب المنازل والمعالم والخيول القوادم والسيوف اللهازم الذين نارهم في
الحرب لا تخمد ولهم من النجيع دم مزبد وأنا اللقيط بن زراره الذي شهدت بفخاره الكواكب السياره
الفارس الوثاب والليث المهاب المسمى في الحرب بالعقاب ﴿قال الراوي﴾ فتعجب الملك النعمان من سرعة
جوابه وحدة خطابه وقال له يا ابن السادة الاماجيد تمن علي واطلب ما تريد في هذا النهار السعيد فثبت اللقيط
جنانه واطلق لسانه وشرح للملك النعمان قصته وخبره وأمره وأعلمه بزواجه وقال له أيها الملك الهمام اريد
منك شيأ وهو مني قلبي وبغيتي من الزمن وهو مهر زوجتي بدر اليمن فقال له الملك النعمان يا لقيط وحق النور
والنار لو كنت طلبت ملكي لسلمته اليك ولا أمن به عليك وما دام انك قنعت منا بذلك الامر والشان فسوف يصل
اليك وكان اللقيط قد طلب من الملك النعمان الخطير ألف ناقة من النوق العصافير فعندها قال الملك النعمان

للخدم والغلمان أنتم وما خرجه كم في هذا اليوم من مال ونوال وأواني فضة وذهب وخلع وجنائب وأثواب الحرير فانه يكون لهذا الغلام قليله والكثير واذا قضينا حق ضيافته ثلاثة أيام أوصلناه الى ما يتمنى من الانعام ثم انه ضرب له المضارب والخيام ورتب لخدمته الخدام ونظر لقيط الى ذلك الحال فرآه حال الاعظيم وجنة نعيم ورأى ألوانا من الطعام والاواني تضحك بصافي المدام فعند ذلك اغتنموا الاوقات وانتهبوا اللذات مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أمر له الملك النعمان بألف ناقة من النوق العصافير وخمسمائة من غيرها وحمل على أكثرها حريرا وطيبا وزادوا وسيره من عنده في زي الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار بجمال وأحمال وخيول وبغال وعبيد واماء ومال وأراد أن يسير معه خيلا تخفره فأبى لقيط ذلك لعزة نفسه وسار هو وخاله يقطع البر والدنيا لا تسعه من شدة الفرح لانه كان في نار لفراق زوجته بدر اليمن حتى ظن أنه ما بقي يجتمع بها بقية الزمن وكان أبو الجارية من حين ما فارقه لقيط قد اشتدت بليته وعظمت رزيته وأكله بنو عمه بالكلام وأوجعوا قلبه بالملام وهو يظهر الجلد ويخفي الوجد والكمد وكلما يسمع العذل يقول أنا ما أسمع في صهري كلام ولا أشك فيما أخبرني به صنمي في المنام وما زال على مثل ذلك حتى وصل لقيط بتلك الاموال والنوق والجمال ولما تلاقوا عتب عليه الملك ولامه على غيبته فقال له لقيط أيها الملك أنت فعلت معي عند قدومي عليك ما لا يفعله أحد ورضيتني لابنتك بدر اليمن وجعلتني فوق طاقتي ومن وأنا ما رأيت ان أملك بنات الملوك بلا صداق ولا مهر وأعاير بذلك على طول الدهر وأنا أدعي بسيد الفرسان في العصر فمضيت في طلب المعاش والمكسب فسبب لي القديم من حيث لا أحتسب ثم انه حدثه بحديثه من حين فارقه الى حين رجع ثم أمر العبيد فقادت بين يديه الجنائب المزينة بسروج الذهب والنوق العصافيرية وأظهر ما صحبه من الاموال والجواهر والثياب الغوال والفضة والذهب فحار الملك بما رأى من العجائب وفرح لابنته بهذا البعل العالي المناقب ثم انهم جددوا الولائم والدعوات وعملوا الفرح والمسرات ثلاثة متواليات وزفوها على لقيط زفافا ثانيا وزاد فرحه بذلك الحظ والمعاني والتقى لقيط مع زوجته وبات فرحانا معانقا لها وقضى ليله معها الى الصباح ولم يزالوا كذلك في أطيب عيش وانعام مدة من الايام وبعد ذلك اشتاق الى الاوطان وأراد أن يعلم أباه واخوته بما وصل اليه من الملك النعمان فاستأذن أبا الجارية في المسير الى أهله باهتمام وحدثه بما جرى له مع أخيه من الاقاويل والكلام فأذن له في ذلك بعد ما علم انه كفؤ لابنته وأعطاه شيئا كثيرا من ماله ونعمته وودعت بدر اليمن أباها وجميع بنات عمها بعد ما ودعت أمها ومن الغد حلف عليه لقيط ورده الى دياره والاوطان وبعد ذلك سار لقيط هو وخاله يقطعون السهول والوديان وهم يتناشدون الاشعار ويروون الاخبار فلما تمادى بهم المسير وجدوا في التشمير فعند ذلك أنشد لقيط يقول صلوا على طه الرسول

بلغت كل المنا والسؤل في زمني * لما ملكت بسيفي بدرة اليمن * بدرا اذا بدرت من حول مضربها
بوادر النوق صار الخلق في المحن * تمت ملاحتها فالشمس تخدمها * اذا بدت في معاني الحسن والدمن
كان سيف أبيها من لواحظها * يفري القلوب بلا فرض ولا سنن * كأنما الحسن واخاها وصاحبها
كما تصاحب روح الحي للبدن * لو نادت الميت يوما في مقابره * لقام يسعى واباها من الكفن
ملكتها بحسامي بعد ما انقطعت * قلوب خطابها من شدة المحن * وقد تعجبت الأبطال من هممي
اذا سحبت ذيول الفخر في وطني * وكلما جد سيفي في الوغا خضعت * له الفوارس من صنعا الى عدن

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ لقيط من شعره ونظامه ونقضه وابرامه استوى على سرجه وطلب الطريق الواضحه وسار بهمة فالحه وجدوا في قطع الربا والآكام فبينما هم سائرون يقطعون البر والوهاد اذ قد طلع عليهم الهطال ابن أخت عنتر بن شداد في عشرين فارسا من فوارس بني غطفان الامجاد ونظروا الى ما معه من النوق والجمال والخيل والاموال وهو وحده في تلك الربا والتلال فطمعوا فيه وطلبوه بما معه من ذلك المال وان ينجو بنفسه سالما فلم يلتفت اليهم بل حمل عليهم وحملوا عليه ولم يزل القتال يعمل بينهم الى ان قتل لقيط ثلاثة من جماعة الهطال وأثنى منهم اثني عشر فارسا بيسار وبعد ذلك حمل على الهطال أسيره بحالة

الهطال من رجاله ولا بعد من أشكاله ولم يطل بينهم المطال حتى أخذ الهطال أسيرا بحالة الذل والتعسير وبعد ذلك أقبل على الهطال وقال له من أي العرب أنت تكون من الفرسان وابن نسلك بين العربان فقال له أنا من بني غطفان أصحاب الاكاليل والتيجان ولهم اتصال ببني عبس وعدنان وخالي عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ولولا ضعفت مناكبي وأوصالي ما قدرت على في مجالي فلما سمع لقيط كلامه تعجب من أقدامه وقال لخاله يا خالي ما رأيت أبرك منها طريق فقال له خاله وكيف ذلك يا لقيط فقال له أنت تعلم بقصتي وكيف خروجي من الحي وذلك لما شكاني اخوتي الى أبي ورآني وقد أتيت أسحب أذيال عجبي وقال لي لو ان في مراعيك ألف ناقة من النوق العصافيرية أو أنت زوج بدر اليمن بنت صاحب السرادق الكبير أو تكون لاقيت في البراز عنتر فارس الحجاز ما مشيت هذه المشية ولا اهتززت هذا الاهتزاز وما عايرني أبي بهذه الاشياء الا أنه قد علم أنها غاية التحف وأعلا درجات المعالي والشرف وها أنا قد لاقيت منها اثنين بافعالي واقبالي ونلت بهم المعالي والدرجة الثالثة هذا الغلام الغطفاني لانه ابن أخت عنتر بن شداد ولا بد لخاله أن يأتي لخلاصه وألقاه قدام أبي وأريه ما أفعل به في حومة الميدان وان لم يأت فانا أسير اليه بجماعة من أصحاب عشيرتي الاعيان وأقلع بني عبس جميعا ولا أخلي لهم آثار وآخذ ابني عامر منهم بالثار ولا أترك العرب تعايرهم في جميع الاقطار لان من يقتل خالد بن جعفر فانا خصمه طول الزمان واذا أهلكت بني عبس وعبدها الاسود توجه على ملام ثم انه سار من معه وهو فرحان حتى وصل الى دياره والاوطان وقال لهم انه قد فرح بي الملك النعمان وصار لي عنده اليد البيضاء واليه سبقت المبشرون بالاخبار ونال منزلة عالية وفخار وكان أبوه مشتغل القلب عليه وقد ندم على ذلك المقال الذي قاله اليه وما زال على ذلك الحال حتى أخبر بقدومه فخرج الى لقائه من يومه هو وسائر اخوته وجميع قبيلته ولما رأى ما معه من الاموال والنعم فرح بذلك وسأله عن حاله فاخبره بكل ما جرى له وكيف ساعدته الاقدار وصروف الزمن حتى تزوج ببدر اليمن فزاد سرور أبيه لعظم همته وعلم أنه أقوى من سائر اخوته * هذا وقد شد الهطال مع رفقته وعمل الولائم لفرسان عشيرته ونحر وعقر لسلامته ومن شدة عجبه بنفسه وشوقه الى لقاء عنتر بن شداد أنفذ ذلك العبد الى بني غطفان وأخبره عن لسان الهطال بالخبر الذي ذكرناه وأعلمه أنه يقول لامه على لسان ولدها اقصدي خالي عنتر واعلميه بالخبر وما أنا فيه من الاسر والضرر فاني في عذاب شديد وهوان ما عليه من مزيد فمضى العبد وأعلم أمه بذلك الخبر فتنغص عيشها وتكدر وأعلمت بذلك أخاها عنتر فتنهد وتحسر وفي اليوم الثاني تجهز للسير وسار عنتر وهو متعجب ومتفكر في حوادث الايام وما تبديه الشهور والاعوام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

وجدي بكم وغرامي كيف أستره * وفي فؤادي نار الحرب تسعره * فكيف أستر حالي وهو مشتهر
وكيف أنكره والدمع يظهره * أقول قد قرّ قلبي في محبتكم * فينثني لي باشواق تغيره
وكلما قلت دهري قد صفا وعفا * عادت ليالي هجران تكدره * يا عبل كيف أفيق اليوم من ولهي
والدهر عاندني حظي يظاهره * واني طالب الهطال أطلقه * من الوثاق ومما كان يحذره
أردي اللقيط على الغبراء منجدلا * أو ينثني وهو في أسر يخاطره

(قال الراوي) فقالت الفرسان لا أراد الله فالك ولا كان من يشناك وساروا الى أن قربوا من ديار بني دارم وشارفوا أرضهم والمعالم وبقي بينهم وبين حلتهم يوم واحد فنزلوا على بعض الغدران وتشاوروا فيما يفعلون من الامر والشان فقال لهم شيبوب الرأي عندي أنكم تأخذوا في عرض البر واذا صرتم خلفهم تكمنوا الى أن أعود اليكم وأقول لكم كيف تكبسون القوم وأنا ان شاء الله تعالى أتركهم تغنموهم وتملكوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وتخلصوا الهطال وتأخذوا أموال بني دارم وتستعينوا بها على الافراح والولائم ثم لا ترجع تتغير عليك نيتك عما لك ويرتدع عما كان عازما عليه من ذلك فقال عنتر والله يا أخي لقد أشرت بالصواب

وأتيت بالامر الذى لايعاب لاننا ان تم لنا هذا الحال افتخرنا وبلغنا الآمال من خلاص الهطال فقال شيبوب
هذا يتم ان شاء الله الكبير المتعال فدبروا كما ذكرت لكم وانظروا كيف الحال ثم انه رحل بهم وأخذ بهم فى
عرض البر الاقفر حتى علم انه قرب بهم منازل اللقيط حلة بنى دارم وقال لهم دوموا أنتم على مسيركم الى وادى
الرملة وتلك المعالم واكمنوا هنالك حتى أعود اليكم سالم ثم ان شيبوب أخذ معه أخاه جرير وخرج يطلب
الاحياء والخيام وكان قد لبس ثوبا خام قصير الاكمام ثم تعمم بعمامة كبيرة وأوسع هو وأخوه جرير فى المسير
على الاقدام حتى وصلوا الى ديار بنى دارم قبل الظلام ولما قاربوا المضارب تواثبت اليهم العبيد من كل
جانب وسألوهم عن حالهم فقال شيبوب نحن رسل من بنى عامر الى الامير اللقيط من عند الامير الاخوص بن
جعفر وملاعب الاسنة غشم بن مالك أين نجد الامير يافتيان فقال لهم العبيد اقصدوا الى ذلك السرادق الكبير
الاطناب الواسع الاركان فتقدم شيبوب وجرير فوجدوا اللقيط جالسا على باب المضرب وله هيبة عظيمة
وملوك العرب كلها حوله واخوته بين يديه والخيول والنوق تعرض عليه فلما رأى شيبوب ذلك قوى جنانه
وأطلق لسانه وشق الكل قبل أن يسأله اللقيط عن حاله ودنا اليه وتقدم الى بين يديه وخدم وقبل الارض
وقال حيا الله الامير المحتشم والفارس الغشمشم سيد بنى دارم ونسل السادات الاكارم سيد هذه الديار
وحاميها وفارس الخيل ومرديها فقال له اللقيط وقد استغرب وصار يتأمله وناداه ياغلام من أين أنت
ياولد العرب ومن أى الناس أنت يا ابن الكرام فقال له يامولاى من بنى عامر وقد أتيت اليك لان سيدى
الاخوص بن جعفر أرسلنى لك من شفقته عليك وقال لى سر الى أخى اللقيط وأخبره أن عنتر بن شداد سائر اليه
قاصد خلاص ابن أخته الهطال وأنا ياأمير خائف عليك من شره فان وجدت منه غفلة فجرعه كاس الممات
وأريد اذا بلغت الرسالة تقول له أن يحمل باله من الحارث بن ظالم الذى قتل أخى فى حرم النعمان فان وقع به
عن علينا بانفاذه حتى نشكره طول الزمان وان كان الهطال كما ذكر عنده فى الاسر والاعتقال يرسله الى حتى
أذيقه الوبال وأرسل له عوضه مهما طلب من المال وان كان قتله عن علينا برأسه من جملة المنن ويجعلها حتى
تهنئى له بزوجته بدر اليمن فلما سمع اللقيط ذلك الكلام من شيبوب تعجب من حلاوة لفظه الذى أخذ
بجامع القلوب وقال وحق ذمة العرب ما هذا العبد الا فصيح اللسان يصلح لقضاء الحوائج من كل مكان
ولله در قبيلة عبيدها تشابه ساداتها ثم انه قال ياغلام ان الحاجة الاولى التى طلبها صاحبك قد قضيت وانى سلمت
الحارث الى من يسفك دمه وقد قضيت الحاجة فيه ثم انه حدث شيبوب بما جرى له مع الحارث وكيف ساقه الى
النعمان وسلمه اليه وهو فى حال الذل والهوان وكيف أخذ عوضه النوق والجمال وبعض ماتيسر من المال
وأما الهطال فهو الى الآن فى الاعتقال الى أن يأتى خاله الى خلاصه من وثاقه فاذا جاء أعجل عطبه ومحاقه والا
فحاشا مثلى أن يبيع عدو الصديق بمال أو يأخذ حقه نوقا أو جمال وانى قد أقسمت برب الخلائق والبشر
أننى لا أترك من بنى عبس من يخبر بخبر ولا أبقى منهم كبيرا ولا صغير ولا آخذ منهم فدية لاسير ولو حمل
ذهب وقد عولت عند الصباح أن أسير الى هذا العبد بخواص عسكرى وأجنادى ولا أدعه يصل الى أرضى
وبلادى لاننى أنا الذى أنفذت الى أم الهطال وأخبرتها انه عندى فى الاسر والاعتقال وقد علمت أنها تمضى
الى بنى عبس وتطرح نفسها على أخيها حتى يأتى بجماعة من فرسان عشيرته أو يأتى وحده بحماقته ويطلب
خلاص الهطال من يدى ولم يعلم أنى حريص عليه بكل طاقتى وجهدى وها قد بلغنى أن ذلك العبد الزنيم
نسل الاوغاد قد أتى قاصدا الى هذه البلاد وكان الذى أعلم اللقيط بالخبر هو العبد الذى أرسله الى أم الهطال لانه
قد عاد اليه وأخبره بما فعل ودبر وقال له يامولاى ما برحت حتى وصلت أم الهطال الى بنى عبس فى جماعة من
النسوان وعلمت أنها تقصد عنتر من دون الفرسان وتطلب منه خلاص ولدها فقال له اللقيط ياويلك قد
عجلت بعودتك وكان الصواب مسيرك خلف النسوان ونظرك الى عنتر كيف يدبر وفى كم يسير من الفرسان
ومتى يكون مسيره الى هذا المكان ثم انه صار يتأهب للقتال وعنتر ينتظر شيبوب وجرى ماجرى من التبيين
وقوى عنده اليقين وشد عزمه على المسير وسرعة التشمير فلما نظر شيبوب الى ذلك الحال علم أنه انخدع

بالمحال فقال له يامولاى اذا كنت تكرمت علينا بهؤلاء الانذال فانا أريد أن أتولى عذابهم مادام وافى الاعتقال
الى أن تعود أنت مؤيدا مظفرا وملك أسرى بنى عبس ومعهم عنتر وأرجع أنا يامولاى الى سيدى الاخوص
ابن جعفر بما يسره من الخبر وينقطع من بنى عبس الاثر لانى ما أتيت من عند مولاى الا وملاعب الاسنة يقول
على غزوهم والمسير الى ديارهم فى أبطال بنى عامر لعل أن يفرق شملهم مادام عبدهم غائبا عنهم لان لنا فيهم
عيونا وارصادا من وقت ما عاديناهم يأتونا باخبارهم ليلا ونهارا ولولا ذلك ما كنا علمنا بمسير عنتر بن شداد لما سار
وطلبك بفرسانه الاشرار فلما سمع اللقيط ذلك الكلام قال لشيبوب وما معكم خبر فى كم سار هذا العبد من
الفرسان فقال بلى يامولاى أخبرنا انه سار فى ألف فارس أعيان من فرسان بنى عبس وعدنان الا أنهم
كلهم أبطال وشجعان فقال اللقيط لما سمع هذا الكلام بعد ان زاد به الابتسام أذل الله ذلك العبد ولد الزنا
وفى ألف فارس يريد أن يلتقى مثلى أنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لاربنه ضربا وطعانا تتحدث به
السفار والركبان ثم انه أمر عبيده أن يسلموا الهطال ومن معه من جماعته الى شيبوب حتى تنفرج عنه
الكروب ثم قام هو الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأخذ من قومه ثلاثة آلاف فارس ليوثا
عوابس وترك فى الخيام خمسمائة فارس تحفظها من الوساوس وسار وهو من شدة حنقه من عنتر يحلف
أنه لايرجع حتى ينزل به العبر وقد أعجب بنفسه وتكبر على أبناء جنسه ولما سار ركب الطريق الواضحة
التى تنتهى الى بنى عبس وما علم أن الذى جاءه جاسوس وقد أراد له التعس والنكس ولما خف الحى من ذلك
الامر الخطير أرسل شيبوب أخاه جرير الى أخيه عنتر يعلمه بذلك الخبر فلما وصل اليه زالت عن قلبه أفكاره
وسأله عن حقيقة حاله فاخبره كيف سار اللقيط بثلاثة آلاف فارس من قومه الابطال الى ديار بنى عبس
والاطلال وأخلى الحى من الفرسان والرجال ففرح عنتر بهذا المقال وأقام الى وقت السحر ورحل عند
الصباح برجاله والفرسان وقد تأهب للضرب والطعان وركب على بنى دارم فى الصباح ومازال واقفا برجاله
فى البطاح حتى رأى السرح قد اتسع فى المراح فطلب ذلك الوقت الجمال والنوق الملاح ودخل فيها وساقها
هو وأبطاله بالرماح وساقوا معهم العبيد والاموال وأخذوا ما قدروا عليه فى الحال وطرحوا فى أقفية
العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال ومددوا أكثرهم على الرمال وأعادوا الباقين ينادون بالويل والوبال حتى
وصلوا الى المضارب والخيام فركب باقى أخوة اللقيط وطلبوا البر والآكام وطلبوا القارة وهم مثل الطيور
الطيارة والكل بالدروع الحديد والزرد النضيد وكان عنتر أمر خمسين فارسا أن تسوق الجمال ووقف هو
وباقى القوم يردون الفرسان والابطال ولما وصلت الشجعان الى مقام الضرب والطعان تصايحوا أشد صياح
ومد بعضهم الى بعض عوامل الرماح وتطاعنوا طعنا يخطف الارواح وتصادموا بشفار الصفاح حتى
اهريق الدم وساح وكان عنتر علم انه ما فى الحلة أكثر من العسكر الذين ظهروا فسطا عليهم بقوته وتجبر عليهم
بفروسيته ساعة من النهار ومالت الفرسان من الضراب وتنافروا واتحت الغبار والضباب فدفعتها أبطال
بنى عبس حتى قاربت المضارب ووقع الصياح من كل جانب وخرجت العبيد والاماء يطلبون المدافعة والحما
وقطرت الاسنة دما وكان شيبوب قد عرف نفسه للهطال وطيب قلبه وقلب من معه من الابطال وأعلمهم
ان عنترة يغير على الاحياء عند الصباح ويطلق لهم السراح ففرحوا بذلك وانفرجت عن قلوبهم الهموم
والاتراح وقد تباشروا بالخلاص والفلاح حين تم من الحديث ماتم وابصر شيبوب المضارب قد خلت
من الابطال والعبيد واشتغلوا بالقتال الشديد وأمكنته الفرصة فحل القوم من الوثاق والحديد وأتى
لكل واحد منهم بجواد من الخيل الجياد وأتاهم من السلاح بما كفاهم وقال لهم الحقوا بنى عمكم
وأعينوهم على القتال فقال له الهطال جزاك الله خيرا ياشيبوب لانك لم تزل أنت وأخوك مفرجين
الكروب ثم انه حمل يطلب خاله برجاله وأبطاله ولما قاربوا المعمعة صاحوا كلهم وحملوا وبذلوا أمامهم
من العدد وقاتلوا وكانت رجال الحى على الهرب قد عولوا ومابقى ثابتا منهم الا أخوة اللقيط بن زرارة لانهم
خافوا أن ينهزموا من مائة فارس وهم خمسمائة من الابطال القناعس وهم كلهم عصبة وأعاصب وبنو عم

وأقارب فصبروا حتى أمسى المساء وأقبل الظلام فالهم عنتر بالطعن حتى أدخلهم الى المضارب
والخيام وألجأهم الى النساء والعيال وقد ترك الارض ملآنة بالقتلى وطرحهم على الرمال فى جنبات الفلا
وعاد عنتر وهو يقول لامرؤ ورجاله يابنى عمى مادام رجالنا تخلصوا من الاسر والاعتقال وأصحابنا الآخرين قد
أبعدوا بالنوق والجمال فنحن ممن يستحسن سبى العيال فى غيبة الرجال والابطال والصواب عودتنا من
هذه البلاد وترك البغى والفساد ثم هنى الحطال بالسلامة والخلاص من الندامة وساروا فى عرض البرارى
والقفار طالبين الاهل والديار فقال لهم شيبوب سيروا على أثرى فساروا خلفه بالاموال وتأخر عنتر فى
خمسين فارسا من الابطال وسار على أثرهم حاميهم حتى بعدوا عن ديار الاعدا وانقضى أكثر الظلام والدجا
ولحقوا أصحابهم وهم على حالهم حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والاحجار فنزل بهم شيبوب على ماء
يعرفه يقال له ماء الهوام ونام القوم هناك وارتاحوا بالمنام ولما عولوا على المسير قال عنتر لشيبوب ويلك
على أى أرض أنت سائر يا ابن السوداء فقال له على ديار بنى عامر يا ابن البيضاء ولكن لا أدخل عليهم
الا فى الليل حتى لا يسمع الاخوص بن جعفر باخبارنا الا ونحن فى ديارنا فقال له عنتر سر بنا أنت على أى أرض
أردت واذا خرج أهلها الينا ونفروا علينا بددت شملهم ولو أنهم بعدد رمل القفار ثم رحلوا وسار بهم شيبوب
على غير طريق معروفة ومازال يقطع بهم الطرق والمنازل ويرد بهم الغدران والمناهل حتى أشرفوا على ديار
بنى عامر ونزل بهم شيبوب دونها ورحلوا من أول الليل وجدوا المسير الى أن أصبح الله بالصباح وجاز بهم ديار
القوم ولم يعلم أحد بذلك ولم يزل سائرا بهم حتى تنصف النهار وأمرهم بالنزول والراحة وهناهم بالسلامة فى
تلك الساحة فقال له عنتر ويلك يا ابن الملعونة وايش كان خلفنا من الخطر حتى تهنينا بالسلامة وهى لم تزل معنا
مادمنا مالكين سيوفنا ورماحنا ونحن على ظهور خيلنا وفينا أرواحنا فقال له يا ابن الام أنت تعلم ما بيننا وبين
بنى عامر والاخوص بن جعفر من العداوة والدماء ولولاهم ما كنا حرمناكم فى هذه الليلة من الراحة ومن لذيذ
الكرى الا انى خفت ان يعلموا بنا فيعوقونا عن مسيرنا وبلوغ مرادنا فقال له عنتر يا ابن الانذال لعن الله أباك
وأمك وعربك وقومك وحق ذمة العرب يا ابن الزانية لو انى علمت ذلك ما كنت أنا عبرته وتركت بنى عامر
فى عافية ثم نزلوا فى ذلك المكان حتى انقضى أكثر النهار فعند ذلك رحلوا طالبين أرضهم وبلادهم وهم مشتاقون
الى حريمهم وأولادهم ومازالوا يقطعون البرارى والبطاح حتى لاحت لهم غرة الصباح فمد شيبوب نظره فرأى
غبارا قد ثار واغتم منه ضوء النهار وهو غبار وعجاج وزوابع ملأت الفجاج فعند ذلك وقف شيبوب
وقال لاخيه عنتر هذا غبار بين أيدينا قد ظهر واقبل من ناحية أرضنا وأرض بنى فزارة وأنا خائف أن يكون
اللقيط بن زرارة ولا شك انه سار لما رحلته أنا بالمحال ودخلت عليه بالاحتيال وأقول انه طلبك فى الطريق
فما وجدك فوصل الى بنى عبس وقطع الطريق والبلاد ودهاهم بداهية وعاد أو يكون بنو عامر بلغهم الخبر
انك سرت الى بنى دارم فساروا الى أرضنا ورجعوا منها بالغنائم ولا تخلو القضية عن هذه الاحوال والصواب
اننا نتأهب للقتال ولا نزال فى هذا المكان حتى ننظر الصدق من المحال ثم انهم ردوا النوق والجمال وما ساقوا
شيأ من الاموال وتركوا الكل وراء ظهورهم وتقدموا الى ذلك الغبار الذى لهم لاح وهزوا فى أيديهم قطع
الرماح وأشهروا البيض والصفاح ولما ان قاربوا الغبار ظهر من تحته جيوش مثل الرمل السيال وفرسان
كانهم الجبال وكلهم بالدروع الثقال ومعهم خيول وجمال ونياق وأموال ونساء وأطفال وعويل قد قلب
السهول والجبال فقال شيبوب لاخيه عنتر الآن قد ظهر الامر وبان الخبر والغريم قد اشتهر ودهينا فى المال
والعيال وان كان خزرى قد أصاب فلا شك ان هذا جيش بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب فقال عنتر والله لقد
صدقت يا شيبوب وهذا صوت عبلة قد قلب البر والمهاد وكذا أصوات نساء بنى عبس وبنى قراد ﴿قال
الراوى﴾ وكان الحساب الذى حسبه شيبوب وعنتر صحيح لان الاخوص بن جعفر لما قتل الحارث بن ظالم أخاه
فى حرم النعمان ودبر ما دبر من التدبير وعاد هو الى بنى عامر وفى قلبه من بنى عبس نار السعير ومن شدة حنقه
عليهم وما عنده لهم من الاحقاد ترك عليهم العيون والارصاد وصارت تأتى اليه الاخبار من تلك المعالم والديار

الى أن بلغه الخبر ان عنتر قد سار الى بنى دارم وفى صحبته جماعة من الفرسان المقادم من سادات بنى عبس
الذين عليهم المعتمد وكان قد علم الربيع بالامر الذى فى بنى فزارة تجدد وأن معهم طائفة كثيرة من الشجعان
أصحاب الضرب والطعان فالتفت غشم بن مالك وقال أى شئ تقول فى غزو عدونا ثانيا وأخذ ثارنا منهم حيث
غاب عنهم عنتر الذى لولاه ما تركنا لهم ذكرا يذكر فقال غشم هذا هو الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ثم
انه جمع سادات بنى عامر وغنى وكلاب فكان الحاضر منهم ستة آلاف فارس من كل شديد بشجاع ما فيهم من
يخاف الموت ولا يرتاع فترك منهم ألف فارس لحفظ القبائل والاموال وسار فى خمسة آلاف فارس رئبال
ولما قرب من ديار بنى عبس فرقهم ثلاث فرق وكسر الحى فى أذيال الغسق وكانت أكثر الناس نيام وبعضهم
سكارى من شرب المدام فانتقم منهم غاية الانتقام ولما أصبح الصباح ملك الخيول والجنائب والبيوت
والمضارب وانهزم قيس مع اخوته ومن تبعهم من فرسان عشيرته وطلبوا ديار بنى غطفان على ظهور
الجنائب ومنهم من طلب أرض بنى فزاره وخسرت بنو عبس غاية الخساره ورجع بنو عامر عند الصباح
وهم فى هنا واطمئنان وانشراح وقد ملكوا ما وقعت أعينهم عليه من المال والخيول وطلبوا أرضهم
والطلول وهم سائرون على عجل ولهم صياح وزجل والاخوص بن جعفر صار لا تسعه الدنيا من فرحه بأخذ
الثار وبلوغ الآمال لانه أفنى من بنى عبس ربع عددهم من الرجال وجرح منهم مثل ذلك من الابطال وجرى
عليهم ما لم يجر على بشر فى ذلك الزمان من القتل والفنا وسبى النسوان ﴿قال الراوى﴾ وكانت عودة ملاعب
الاسنة واستعجاله خوفا من أن يعود الملك قيس فى أبطال بنى غطفان وشجعان بنى ذبيان فسار وهو فرحان
ببلوغ الآمال ومازال يقطع الربا والتلال والبرارى الطوال حتى التقى بعنتر وأبصرت كل طائفة غبار الاخرى
فصحت عندهم الاخبار وكان عنتر قد صدق كلام أخيه شيبوب وعلم انه فى حسابه ذروب وسمع عنتر صياح
النسوان والصبيان وصوت عبلة قد علا على الجميع فاعتراهم كلهم البلاء وأصاب عنتر غم وحمية لما سمع
صوت عبلة فحطمهم بالجملة وانحط عليهم انحطاط القضاء وتبعه فرسانه الانجاب وأرادوا أن يخلصوا
الاسارى من شدة العذاب فعرفته فرسان بنى عامر وأبطال بنى كلاب ونادى ملاعب الاسنة ما أبرك هذا
الصباح من صباح وأفرحنا بهذا الاتفاق الذى يسطر ويكتب فى الاوراق يا بنى عمى بادروا هذا العبد ولد
الزنا المهان وقطعوه بمضارب السيوف وطعن السنان حتى نقطع فى هذه النوبة آثار بنى عبس الى آخر الزمان
ثم انه حمل بطلبه وحمل الجيش كله بجملته فعند ذلك حمل عنتر وأصحابه وأبطاله وأقرانه وأقياله وهم طالبون
معونته فى قتاله وكانت جملة فرسان عنتر مائتين فارس الا انهم فرسان عوابس تفترس الاسود من الغابات
وتلتقى فى صدورها الرماح السمهريات وقلوبهم أقوى من الجبال الراسيات وقد هذبهم عنتر على طول الزمان
العوالى الشامخات وهو ينكس الرايات ويجندل الفرسان وفرسانه كلهم موكب واحد وتلقى الاسنة التى
للخمسة آلاف فارس بوجوه وقاح واشتد بينهم الحرب والكفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها اشحاح
وكثرت الآلام والجراح * هذا وعنتر قد زعق فى وجوههم وصاح وسمعت النساء صياح عنتر فزادت بهن
الافراح ونادت الاما أبركه من صباح فيه قد أتانا بشير الافراح وقابض الارواح ثم دعوا له بالنصر من
الملك الفتاح ثم ان الجيش قد اختلط وامتزج والوحش فى أقطار البر نفر وانزعج والبر بين يدى المحارب
ضاق وحرج حتى صار ضياء الشمس فى سواد الليل مندرج وأقبل الظلام بوجهه الحالك السمج وصارت
أسود بنى عبس الاكابر تفترس فى مخالبها بنى عامر * هذا وقد اندهشت النواظر وحارت الخواطر وتعدد من
بنى عامر سبعمائة فارس ما بين جريح وهالك وقتل من بنى عبس عشرون فارسا وعادت وهى مثل سباع
الاغتيال والرجال تحفظ ما فى أيديهم من الاموال ومن ورائها حاميها عنتر بن شداد الاسد الرئبال وابن أخته
الخطال وعروة وأبوه شداد المفضال وهؤلاء الاربع فوارس هم الذين قضوا الاشغال لاسيما عنتر الرئبال
وحامية الابطال ولولا كثرة العدد كانوا خلصوا النساء والاطفال والاهل والعيال ﴿قال الراوى﴾ ولما
نزلوا للراحة أخذوا فى المشورة والتدبير وكيف يخلصوا منهم الحريم وكيف يقاتلوا هذه الخلائق والغريم فقال

عنتر والله يا أخي لو طال النهار ودام الحرب والقتال واجتمعت علينا كل الدال والابطال ما أبرح حتى أخلص نساءنا من العدا أو أشرب شراب الردا على انى وحق زمزم والمقام والرب الباقي على الدوام ما أخلى في خمسة أيام من هذه الخمسة آلاف لا شيخا ولا غلام وفي غداة غد أتولى برازهم وأهلك أبطالهم وفرسانهم ثم ان عنتر بات يحرسهم ويطيب قلوبهم ويقوى هممهم على الحرب والنزال فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما بنو عامر) فانها رجعت الى خيامها وهي متعجبة مما جرى لها لانهم أبصروا من قتالهم ما لم يروه من غيرهم من جميع العرب الذين في البر فشكوا حالهم الى الاخوص فشكا اليهم أقوى من شكواهم وقال لهم يا بني عمي ان دام هذا العبد لا يخلى منا أحدا وقد سمع ان عبلة معنا وأباها وأخاها فقالوا له صدقت في هذا الكلام وحق البيت الحرام وان لم نصدمهم غداة غد ويجمعنا ويكون ملاعب الاسنة أمامنا والا فما نبلغ منهم آمالنا فقال الاخوص والله لولا انى خائف من الهطال وعروة وشداد أن يأخذهم شيبوب ويسير بهم في عرض الوهاد ويخلصوا حريمهم من بين أيدينا ويعود شرهم علينا والا كنت أشغلتهم عنكم بالبراز الى أن أفنى من معهم من الرجال ونبلغ منهم الآمال وننهب أجسادهم على أسنة الرماح الطوال ولكنني أخاف أن يلزمنا معهم البراز ويطول علينا المطال ويدركنا قيس بن زهير في جميع حرب الحجاز وتعظم القضية وربما جاءنا ما لا طاقة لنا به بالكلية فنختار الهرب والهزيمة ونخلي مثل هذه الغنيمة العظيمة ولكن يا بني عمي اذا كان الامر على هذا فأنا أسير بالسبي تحت ستور الظلام مع مائة فارس همام يسيرون به في عرض البراري والقفار ويقصدوا أرضنا والديار واذا أصبح الصباح على هذا الحساب نتسبب في هلاك عنتر بكل الاسباب واذا أتانا ما لا طاقة لنا به عولنا على الهزيمة والهرب ونكون قد ربحنا المال والمكسب فقال ملاعب الاسنة هذا هو الصواب لان عنتر ان علم بهم في هذه الليلة وسار اليهم بكل الاسباب وطلب خلاصهم من الوبال حملنا نحن على أصحابه ونفرقهم في الجبال وان هو أقام فان قلبه على عبلة يشتعل بالنيران ويشتغل بها فينحل عزمه ويضعف منه الجنان فندور به ونبلغ منه الارب لانه لا يقاتل ويرمى نفسه الى الاهوال المتكاثرة الا اذا كانت عبلة حاضرة ثم انهم أجمعوا أمرهم على انفاذ السبي مع مائة فارس من الرجال فعند ذلك ساروا بالنوق والجمال والغنيمة والاموال وأضاف اليهم رجلا دليلا يسير بهم تحت الدجا في ذلك البر الطويل ولما أصبح الصباح وأضاء نوره ولاح كان أول من ثار الى القتال الامير عنتر وما عنده مما جرى خبر وتواثبت قدامه فرسان بني عامر وماجت كما تموج البحار الزواخر وصاح فيها الاخوص بن جعفر وقد أيقن بهلاك عنتر لانهم قد أصبحوا في دون أربعة آلاف وهؤلاء في مائة وخمسين فارسا غير مجروحين الا أنهم بالنصر موقنين بهيبة حاميتهم عنتر بن شداد فارس بني عبس يوم الجلاد * هذا وقد التقى الاعداء بهذه النيات وطعنوا فيهم بالرماح الخارقات واشتدت المصائب والآفات واذا استقتل الانسان يقاتل واذا طابت له المنية هانت عليه المصائب والنوازل فلله در عنتر وما فعل فكم من همام أردى وكم دم بحسامه بذل وكم من شجاع أورثه بصدمته الخجل ومازال عنتر يمانع عن أصحابه ويقاتل حتى مضى نصف النهار ولما رأى ملاعب الاسنة قد بذل في أصحابه الحسام الباتر انقض عليه انقضاض الاسد الكاسر وعلم ان بثباته تثبت بنو عامر فزعق عليه وقاربه وقد أظهر ما عنده من فروسيته وعجائبه وفي دون ساعة أتعبه وأكربه ومد يده الى درعه وأراد أن ينزله عن مركبه واذا بغبار قد ثار وقتام تزوبع وتحته صياح عظيم قد ارتفع وخيل سائرة كأنها السحاب اذا همع وحديد يلمع ورماح تشرع ورجال لا تخاف ولا تفزع والكل ينادون يا للمشاجع يا لدارم وفي أوائلهم اللقيط بن زرارة واخوته من حوله مثل الكواكب السياره ولما قاربوا المعمعه وأبصروا دوائر الحرب دائره حملوا على بني عبس بالكفاح وقد سمعوا النداء واستدلوا بالصياح وعرفوا به الاصدقاء من الاعداء وعرف عنتر حقيقة الحال وأبصر المواكب كلها قاصدة اليه فخلى ملاعب الاسنة من يده بعدما كان زحله وأراد أن يكتفه فأطلقه وصار عن نفسه يدافع وقد لعبت في جسمه السيوف القواطع وقاتلت بنو عبس قتال من ليس له من الموت فكاك وقد نهبت الارواح بأطراف القنا ووقع بينهم المحاق والفنا ولو لم تكن العناية من رب السماء ما فضل منهم من يشرب الماء الا أنهم ما فرق

بينهم الا الظلام وقد قتل من بني عبس عشرون غلام وجرح عنتر وأبوه شداد وأسروا عروة وجماعة من بني قراد وأحاطت بهم الاعداء من كل جانب وسدت عليهم الطرقات والمذاهب وخلص اللقيط منهم الاموال وفرح ببلوغ الآمال ثم التقى بالاخوص وسادات بني عامر وهي تشكر اللقيط على فعاله ويسألوه عن سبب مجيئه مع رجاله فحدثهم بالقصة وكيف أتى شيبوب برسالته وسيره من أهله في طلب عنتر وهو عازم على مقاتلته ثم احتال على انى أبعدت اخوتي وخلص الهطال من قبضتي وساق أخوه أموالنا بعد اطلاق الرجال وقتل من عشيرتي جماعة من الابطال وذلك ان شيبوب لما احتال عليه ورحله من بلاده ذلك اليوم في ضحوة النهار واذا قد ظهر من بين يديه مائة فارس طالبين أهله والديار وهم من ناحية بني عبس وبني فزارة فقال اللقيط لا شك ان هذه طليعة عنتر الذي أنا له طالب ثم سار في كتائبه والمواكب وداروا بهم من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب فقتلوا أكثرهم وهرب منهم جماعة كثيرة وما هرب منهم الا من كان في أجله تأخير ولما أحضروا الاسارى قدام اللقيط قال لهم ويلكم أين خليتم عنتر عبد بني عبس وفي كم فارس قد سار الينا فقالوا له ما وراءنا أحد وما عندنا من عنتر خبر وما جئنا من هذه الطريق الا نقتفي منه الاثر وندبر على هلاكه وعدمه فقال اللقيط تكذبوا يا أولاد الزنا ما أنتم الا بنو عمه وعليكم زي بني عبس وبني فزارة فكيف تنكروا أخباركم والاخوص بن جعفر قد أرسل الى عبدا من عبيده وأخبرني بمسيركم ومسير أسودكم وما أنا سائر الا في طلبكم حتى أبلغ منكم الوطر وأقلع منكم الاثر فقال له الاسارى يا أمير وحق الكعبة الحرام ما عندنا من هذا الحديث خبر وأما قولك اننا من بني عبس وبني فزارة فقد صدقت واننا ما ننكر أحسابنا وما أتينا الا من سبب ذلك العبد ولد الزنا حتى اننا نقتله وعلى الارض نجندله ولا نخلص من أنياب النوائب ان بغينا عليه وقعنا في هذه المصائب * قال الراوي * وكان الذي أنفذ هؤلاء الاوغاد الربيع بن زياد لان عنتر لما سار الى خلاص الهطال أرسل عمه مالك الى الربيع بن زياد وأعلمه بمسير عنتر بن شداد وقال له اعلم يا ربيع ان الملك قيس لج على في عبلة ابنتي وزفافها على عنتر وقد اتفقوا على وتجبروا وكنت قد عولت انني أهرب بها الى العراق وأستجير بالملك النعمان فأتى للقوم ما أشغلهم عنا وعن غيرنا من القتال والطلب وأراحونا من العناء والتعب وقد سار عنتر الى بني دارم والمراد يا ابن العم انك لا تتخلى عنا ولا تغفل عن معونتنا بل تسعى في هلاكه وتتسبب في ارتباكه فلما وصلت الرسالة الى الربيع بن زياد أعلم حذيفة بن بدر بذلك التدبير الا أن اللقيط لما علم حقيقة الحال أراد أن يفرق المواكب في سائر الاطلال فأتت النجابة من بني دارم وأخبروه بما أنزل عليهم عنتر من البلاء المتراكم وانه خلص الهطال هو ومن معه من الرجال وما كان لنا ولك من جميع الاموال وقتل من بني عمك فوق الثلثمائة من الابطال والذي أتى اليك وقال انه عبد الاخوص بن جعفر هو شيبوب أخو عنتر فارجع ولا تتعب وان قدرت فجد له في الطلب فانهم ساروا في البر الغامر ونقول ان طريقهم على بني عامر فلما سمع اللقيط ذلك الخبر تأسف وتحير على ما جرى لاهل حلته وتحسر وعض على كفيه ندما لاجل ما تم عليه من شيبوب المحتال وقال وحق الكبير المتعال الحميد المجيد لا رجعت عن هؤلاء العبيد حتى أبلغ منهم ما أريد ثم انه قال للفرسان خذوا في عرض البر واطلبوا بنا الطريق الواضحة التي ترمينا على ديار بني عبس لعلي أدرك هذا الاسود الزنيم وأصرم عمره وعمر من معه من الشياطين فعند ذلك ساروا في البراري والقفار وكانوا اذا أرادوا النزول فيمنعهم ينزلوا بل يحثهم على المسير في البر من حرقته على عنتر حتى وصل الى بني عامر وهم في القتال مع بني عبس وجرى ما جرى مما ذكرنا في كلامنا وأظلم الظلام ورجع كل منهم الى الخيام ونزل اللقيط بن زرارة واخوته عند الاخوص بن جعفر وفرق الثلاثة آلاف التي أتى بها حول عنتر وكان قد خاص له وبلغ آماله وحدثه الاخوص بما فعل في بني عبس وكيف كسبهم وقتل رجالهم ونهب أموالهم فقال له اللقيط يا سيد بني عامر هذا أمر قد شرعنا فيه وما نرجع حتى نتمه وما بقينا نقعد عن هذه القبيلة العبسية حتى نقطع من الدنيا فروعها بالكلية ثم باتوا وهم لا يصدقون ان الصباح يصبح من فرحتهم بوحدة عنتر وكان عنتر قد بات وهو حامل هم أصحابه ورجاله أكثر مما هو حامل هم نفسه ودعاء بعبلة وسبايا بني عبس

وأمه والهم الى بنى عامر فجرى عليه مالا يجرى على قلب بشر وكادت مرارته تنفطر فقال لرجاله أنا أعلم يابنى عمى أنه لم يبق من عمرى أكثر من هذه الليلة أوغدا الى آخر النهار لانى عند الصباح أبرز الى هذه المواكب وأرمى روحى فى وسط هذه الكتائب التى قد دارت بنا من كل جانب وأعايرها بالكثرة واطلب منها المبارزة مائة مائة فان فعلوا ذلك بلغت منهم ما أريد ولو انهم بعدد رمل البيد وان أبوا ذلك ورأيتهم قد بغوا علينا وعدوا زماحهم الينا شققت قدامكم هذه المواكب والعساكر وخلصتكم من السيوف والرماح البواتر وحميتكم حتى تغيبوا عن العين وتطلبوا أرض الشربة والعلم السعدى وارجع الى القوم وأقاتلهم بعزم ساعدى وزندى ولو مزقت أسنة الرماح جلدى ويصير لى ولهم حديث يذكر من بعدى ولا أترك العرب تأمن أبى وجدى فقال له أبوه والله ياولدى مافينا أحد يتخلى عنك حتى نلاقى ما تلاقى ولو بلغت أرواحنا التراقى وكذلك قال ابن أخته الحطال وكل من معه من الابطال وباتت تلك الطوائف تحت مشيئة الرحيم الرحمن الذى يعلم ما يكون وما قد كان ولما أصبح الصباح وثارت فرسان بنى عبس الى الحرب والكفاح وقد ودعت فى تلك الساعة الارواح والدنيا قد انقلبت بالصياح وخرج عنتر الى البراز وقد حدثته نفسه ان يشفى قلبه قبل هلاكه من الاعدا ويفعل شيأ يذكر به دائما أبدا فتربع على سرجه شوقا الى القتال والحرب والنزال وطرب بملاقاة الابطال وأنشد وقال

وانا لقوم ما نرى القتل سبة ... ولا نتقى عاقبات النوائب ... وكيف لنا والموت تسحب ذيله

فنلقاه منا بالنفوس الاطايب ... وما أحد منا الى الموت كاره ... لان القنا حتم على كل ذاهب

(قال الراوى) الا أنه لما فرغ من هذا المقال أراد أن يطلب البراز للابطال فطلع من ناحية بنى عامر غبار أسود مظلم وقتام مقتم اذا نظره الانسان انذعر فبهتت اليه الابصار وصار ضوء النهار مثل الاصفرار وحسب كل واحد حساب وما فيهم من وقف على صواب وهمت الفرسان أن تطلق الاعنة وتبصر ما تحته من المحنة واذا بغبار آخر قد طلع وبان من ناحية أرض بنى عبس وعدنان وكان أكثر سوادا وأعظم جهادا وكان تحت ذلك الغبار الملك قيس بن زهير وفرسانه الا ان الغبار الذى قد أقبل على ناحية أرض بنى عامر له اتفاق أحسن اتفاق وأعجب حديث يكتب ويسطر فى الاوراق لانه قد انكشف عن سبى بنى عبس وأموالهم وبناتهم وأطفالهم وقد خلصوا من السبى والاعتقال وقد أتاهم الحارث بن ظالم وهو مثل البعير اذا حل من عقال وهو ينادى يا آل مرة أنا الحرث بن ظالم الرئبال ابشر يا أبا الفوارس بالنصر والظفر وهلاك الاعداء بالصارم الذكر وكان السبب فى ذلك أمر عجيب الا ان ذكرنا ان الحرث بن ظالم قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقتل ولده شرحبيل ظلما وعدوان وذكرنا ان اللقيط أتى به وأخذ عوضه ألف ناقة من النوق العصافير وهى محملة من المال الكثير وحبس النعمان الحرث وفى الحديد أوثقه وبالقيود ثقله وأراد أن يقتله بعد أن يقضى أيام النعيم فسمعت به المتجردة بنت زهير فحصل عندها هم وضير وتألم قلبها وزاد حزنها لانه قتل الذى قتل أباها فلما تحققت ذلك خافت عليه من المهالك فانفذت اليه خمسة من العبيد الذين كانوا أتوا معها من ديار قومها وكانوا عندها مثل اخوتها فقالت لهم انظروا كيف تخلصوه واعطوه فرسه وسلاحه وآلة حربه وكفاحه وقولوا له يلحق ببنى عبس وينزل على أخى قيس وعنتر ويستجير بهم فانهم يجيروه من سائر البشر فقالوا لها سمعا وطاعة ثم انهم صبروا الى أن لاحت لهم فرصة ووجدوا الى خلاص الحرث سبيلا وخلسه فأتوا فى الليل وهموا أن يدخلوا عليه واذا به يتقلقل من الكتاف وهو مشرف على التلاف وسمعوه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يالقومى أضنى لجسمى الوثاق ... ما بقى لى من أسره اطلاق

بادرونى قبل الصباح والا ... نهبت مهجتى السيوف الرقاق

يابنى عبس هل أرى من مجير ... ليزول العنا وهذا الوثاق

(قال الراوى) فلما سمعوا حسن نظمه ونثره رقت قلوبهم لشعره وفعلوا فى الليل ما فعلوا وقتلوا الرجال الذين حواليه وكانوا ثلاثة من أقارب الملك النعمان فخلصوه وأعطوه سلاحه وأركبوه جواده وقالوا له اطلب أرض الشربة والعلم السعدى واستجر بقيس وعنتر فانهم يجيروك من سائر البشر فسار الحرث وهو لا يصدق

بالنجاة لانه كان قد أيقن بالوفاة فجعل يكمن فى النهار ويسير فى الليل حتى عبر أرض بنى عامر وأمن على نفسه وجد يطلب أرض الشربة والعلم السعدى فوقع بسبى بنى عبس وأموالهم وهى سائرة مع المائة فارس الذين أرسلهم الاحوص بن جعفر فلما رأى ذلك المال وأبصر من معه من الرجال عرج عنهم فى البر الاقفر من أجل انه قتل سيدهم خالد بن جعفر واذا ببنى عامر قد رأوه عرج عنهم فطلبوه وقد طمعوا فيه فلما رآهم قد فعلوا هذه المعانى ناداهم يا أولاد الزوانى طمعتم فى لوحدتى وجهلتم مكانى وصولتى وأنا قاتل سيدكم خالد بن جعفر والبستكم العار الاكبر فلما سمعوا منه هذا المقال قال بعضهم لبعض هذا الحارث وحق من أرسى الجبال دونكم واياه حتى نأخذ بثار سيدنا خالد ونكسب المجد عند كل قائم وقاعد ثم حمل عليه المائة فارس حملة رجل واحد وسدوا عليه رأس الطريق وغرهم الطمع وما علموا ان قوته أشد من ألف فارس صميدع لان الحارث كان فارسا كرار وبطلا فى الحرب ماله عيار فخرق منهم بطعناته الصدور وأجرى دماءهم من أنابيب النحور فما ثبتوا بين يديه غير ساعة من النهار حتى انهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار بعد ما أهلك منهم سبعين فارسا كرار وأما الثلاثون فانهم لما طلبوا الهزيمة أحاطت بهم بنو عبس وأنزلوا بهم التعس والنكس لان عبيدهم حلوهم من حبال الهوان وساعدتهم فى حلهم النسوان حتى أطلقت جميع الشجعان وتبادرت الى بنى عامر فقتلوا الباقين وما سلم منهم انسان وداروا بالحارث بن ظالم وزادوا له فى الشكر والثنا وهنوه بالسلامة وبلوغ المنا وسألوه عن حاله فاخبرهم بما جرى له وكيف ان المتجردة خلصته من شرب كاس المنون ومن حبس الملك النعمان وقالت له الحق ببنى عبس وعدنان ثم انه أعلمهم انه سائر الى أرضهم يستجير بهم وبملكهم قيس ويقيم عندهم فى أمان الى أن تنصلح نوبته مع النعمان فقال له مالك أبو عبلة والله يا فتى لقد جرى على قيس فى هذه النوبة مالا يجرى على بشر ثم شرح له ما جرى عليهم من بنى عامر من الاثر وكيف كبسوهم فى الليل وأخبروه أن عنتر فى قتالهم وانه قد التقاهم وهو راجع من بنى دادم وأعاقهم عن المسير بالابطال وأراد خلاص السبى والاموال وكيف أنفذهم الاحوص بن جعفر مع تلك الرجال وشرح له جميع ما جرى على التمام والكمال فلما سمع الحارث ذلك المقال قال لهم ارجعوا بنا حتى نلحق عنترة فى القتال على انى أقول انه الا نلحقه الا ويكون قد قضى الاشغال وفرق بنى عامر فى البرارى والتلال ثم عادوا راجعين وفى سيرهم مجدين حتى أشرفوا على عنتر عندما تأهب للقتال والحرب وعول على الطعن والضرب (وأما) الغبار الثانى الذى ظهر من ناحية ديار بنى عبس فانه غبار الملك قيس وقد أتى فى الثلاثة آلاف فارس ليوث عوابس من أبطال بنى غطفان وطالب منهم خلاص الاموال والنسوان ليأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم لان بنى فزارة تخلت عن قيس فى هذه النوبة لاجل الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن الخبث والغدر ولما أن أرسلوا المائة فارس الذين أرسلوهم لهلاك عنتر وأمروهم أن يحلوا به العبر حلت بهم الخسارة وهلكوا على يدى اللقيط بن زرارة الا أن قيس لما أشرف عليهم وأبصر غبار بنى عامر فعند ذلك كشف رأسه وحمل وفعلت أصحابه مثل ما فعل ونادى يالعبس يالعدنان ونادى الحارث يالمرة يالذبيان وسمع عنتر ذلك الندا فاطمأن فؤاده وهدا فعندها هدر وزمجر وما كان أخفاه فى ذلك الوقت ظهر ونادى ياله من صباح ما أشأمه على الاعدا فاليوم أجرعهم كؤس الردى ثم انه حمل وقد انشرح للقتال وخفت عنه الهموم والاثقال وكان اللقيط قد حدث الاحوص وسادات بنى عامر بما تم له مع الحارث وكيف سلمه الى النعمان وتركه مشرفا على الهلاك والحرمان ولما رآه فى هذه النوبة قد عاد سالما تعجب من خلاصه وخاف من بنى عامر أن يشكوا فى قوله فعند ذلك حمل وصاح فى بنى دارم وقصد عنترا والحارث بن ظالم ومن كان معهم من الرجال الاكارم هذا وقيس بن زهير ومواكبه قد انطبقت على بنى عامر وفى دون ساعة اختلطت العشائر وثارت الغبرات وعملت البواتر ودارت الدوائر ووقعت الاسنة فى المحاجر وجرت الدماء من أنابيب المناخر واعتبت بجماجم الابطال الحوافر وفعل عنتر بن شداد والحارث بن ظالم فعالا تحير الخواطر وتبهت النواظر وكان

الحارث قلبته ملأن على اللقيط لاجل ماجرى له معه فصار يطلبه من سائر أقطار الفلا ويضرب بسيفه
الاعناق والطلى حتى ملا الارض بالقتلى وأراد عنتر أن يحمل عنه الاثقال فأشعل نار الحرب ولما اصطلى
ودام الطعن والضرب حتى عاد النهار مرتحلا وأقبل الليل منسدلا وقد صار القوم مثلا وانفصلت الطوائف
من بعضها البعض وقد امتلات من القتلى الارض ورجع كل فريق الى قومه بعد ماعرفت الاصحاب
الاصحاب وعاد كل فريق الى جانب وخسرت صفقة بنى عامر وبنى دارم ورجع اللقيط وهو خاسر نادم وقد
هلك من أصحابه ستمائة فارس مصادم وأما بنو عامر فقد هلك من عددهم أوفى من ثلثهم حتى اجتمع عنتر
بالحارث وسأله عن أمره وشكره على فعله فأخبره بما جرى له مع الملك النعمان وانه قد أتى يطلب الذمام
والامان فقال له عنتر وحق مكون الاكوان ومن أرسل الغيث الى كل مكان تكرما منه واحسان العالم بما
يكون وما كان لوطار رأسى بين يديك لا أتركك ولو أن خصمك كسرى أنوشروان أو قيصر ملك عباد الصلبان
أو الحارث بن غسان وقد أعطيتك الذمام وأنا لك من جملة العبيد والخدام فشكره الحارث بن ظالم على ذلك
وعاد عنتر الى الملك قيس وهناه بالسلامة من الردا والنصر على الاعدا فدعا له بطول العمر والبقاء على ممر
الزمان والمدا ثم باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا برد الحريم والاموال وخلاص الفرسان الذين
كانوا فى الاعتقال وما فيهم الامن شكر الحارث وأثنى عليه وحدث صاحبه بما لقى وماجرى عليه وأراد الحارث
أن يمدح الملك قيس بن زهير ويميل قلبه اليه فأشار يقول صلوا على طه الرسول

ألا حييت اطلالكم وخيام * عليهن منى ماحييت سلام * سلام امرئ يقرى اليكم تحية
وقد دمسه مما عراه سقام * لقد خضت أهوالا وجئت مبادرا * الى ملك أفنى العدا وهمام
أقيس فأنت السيد الملك الذى * له حسن رأى ماعليه مرام * وقد خلصتنى أختك الآن عنوة
من السجن لما كنت فيه أضام * وأنبيك أنى قد قتلت ابن جعفر * وقد ناله بعد الهوان حمام
أخذت لكم بالثار منه بصارم * له لمعان والقتام ظلام * قطعت الفيافى اذ وصلت الى لقا
بنى عامر والسبى فيه قيام * رأيتهم فى الذل يبدو تأسفا * عليهم من الحزن الشديد قتام
وعبلة قد أضحت لديهم مهانة * وأدمعها فوق الخدود سجام * تنادى بذل أين عنتر كى يرى
هوانى ومع هذا الهوان أضام * فخلصت كل السبى منهم بهمة * وفى كبدى منهم جوى وغرام
وقد جئت من أرض العراق مصمما * اليك رجائى من علاك ذمام * وأنت شجاع الحرب يا عنتر الذى
له الاسد تخشى وهى منه رغام * أفارس عبس لى اليك شكاية * لهم وسقم ليس فيه ملام
فكن لى معينا يافتى عبس وانتظر * لحالى فمن وافاك ليس يضام * أجرنى من النعمان مالى سواك من
يحامى عنى والخطوب عظام * لانك قد أصبحت تخشى وتتقى * وعزمك من كل الامور يرام
وكم قد تركت الخيل سلبا عواريا * وفرسانها فوق الصعيد نيام * اذا سمعوا امرماك فى كل معرك
ترى الرعب فى كل القلوب يقام * وقد علمت كل القبائل أن من * تكون له حصنا فليس يضام
وكل ملوك الارض تخشاك فى الورى * لانك فرد فى الانام همام * فلا زلت للقصاد كهفا وملجأ
وأنت مجير للنائبات حسام * علوت على السبع الشداد بهمة * وعزم له فوق السماك مقام

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس شعره تعجب من نظمه ونثره وقال له وحق ذمة العرب لو طلبك كل من
فى الارض طولها والعرض ما مكنتهم منك هذا وقد باتت عند بنى عبس من الافراح مثل ماعند أعدائهم
من الاتراح ولما طلع ضوء النهار وأصبح الصباح عادوا للحرب والكفاح وبذلوا الاجساد والارواح
للسيوف والرماح وقد كانت لهم وقعة تشيب رؤس الاطفال ولما عبر نصف النهار وقعت الخسارة فى بنى عامر
وبنى دارم ونثر عنتر فرسانهم بالطعن الدائم ورمى بحسامه القلل والجماجم وطير القحوف والمعاصم والتقى
بلاعب الاسنة الحارث بن ظالم فاصطدما واصطدما وغابت عنهم الارض والسما وجرت من الاحداق الدما
وما زالوا كذلك الى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وولت القبائل قدام بنى عبس وعدنان ثم طلبت

ديارها والاوطان واختارت الهزيمة وكانت نجاتها أوفى غنيمة ورجعت بنو عبس بالاسلاب والغنائم وخيل
الشجعان وقد بنت لها المعالى بيتا مشيد الاركان ثم انهم نزلوا للراحة فى ذلك المكان وكل منهم يهنى بالسلامة
صاحبه ويسلم على الذى بجانبه ويحدث كل أحد بما لقى من قتاله وعجائبه ولما أصبح الله تعالى بالصباح
رحلوا بالحريم والاموال والغنائم وقد سلم عنتر الغنيمة الذى معه من بنى دارم الى عمه مالك وقال له ياعم هذه
الغنيمة قد تركتها للعرس والوليمة فقال له عمه مالك بخبثه ودهاه يا ابن أخى أبشر بكل ماتريد فعبلة امتك وأنا
وأخوها من جملة خدمك ولكن يا ابن أخى تريد أن تصبر حتى يهدأ روعك ويقل هلوعك وتتم أفراحنا مادام
ان القلب قد بلغ المنا وهزمنا عدونا فطاب بذلك الحديث قلب عنتر بن شداد وتسلى بذلك الميعاد وانطلى
عليه مكر عمه والكياد وكان قوله كله زور واومحال وغلا وادغال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس ذلك
الكلام قال والله مانقيم فى الديار أكثر من ثلاثة أيام ونزف عبلة على حاميتنا عنتر قبل أن يجد علينا عارض
آخر لان أعداءنا كثيرة وهمومنا غزيرة ولابد أن النعمان يرسل يطالبنا بالحارث بن ظالم ويصير لنا معه
علقه وتشب نار الحرب وننهب بهذا السبب ثم انهم جدوا يطلبون الديار ويقطعون البرارى والقفار وعنتر
بجانب الحارث وهو يطيب قلبه ويوعده بالامان وحسن الحالات وهو ينشد هذه الابيات

أعادى صرف دهر لا يعادى * وأحتمل القطيعة والبعادا * وأظهر نصح قوم ضيعونى
أزالوا من قلوبهم الودادا * أعلل بالمنا قلبا عليلا * وبالصبر الجميل وان تمادى
يعيبونى العدا بسواد جلدى * وبعض خصائلى تمحو السوادا * سلى ياعبل قومك عن فعالى
ومن حضر الوقائع والجلادا * رددت الخيل والابطال حولى * تهز أكفها السمر الصعادا
وخضت بمهجتى بحر المنايا * ونار الحرب تتقد اتقادا * وعدت مخضبا بدم الاعادى
وكر الحرب قد بل الجوادا * وكم خلفت من بكر رداح * بمنهج حسنها تحيى الفؤادا
بسيف مرهف الحدين ماض * يقد بحده الصخر الجمادا * ورمحى ما طعنت به لقرم
وعاد بعينه نظر الرشادا * ولولا صارمى وسنان رمحى * لما رفعت لها عبس عمادا

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحارث شعر عنتر عظم فى عينيه وصفا قلبه اليه ومدحه وأثنى عليه وكان الحارث
خبيثا لا يصفو قلبه لاحد من الابطال وما كان لفارس قط عنده هيبة من الفرسان والرجال ولولا فزعه
من النعمان كان أذله وقهره والا كان مكر بعنتر وغدره ولكن علم ان العرب كلها لا تقدر أن تجيره من النعمان
ولا أحد يقدر يقاومه من ملوك الزمان فلاجل هذا أذل لبنى عبس وعنتر واعتمد عليه من دون البشر وما
زالوا سائرين الى أن وصلوا الى الديار وانقطع رأس مالك أبى عبلة من سائر العرضيات وعلم ان ابنته تخرج
من يده ويأخذها عنتر بغير اختياره فالتهب قلبه وزاد توارد أفكاره وخلا بولده عمرو وأطلعه على أسراره فقال
عمرو والله ياأبتاه ان عندى أضعاف ماعندك وها أنا منتظر الى أن يتم هذا الامر وكانه محقق وأهج على وجهى
فى القفار وأبكى على فضيحتنا ليلا ونهار ولكن الصواب ياأبتاه اننا نرحل الى بنى فزارة ونعلم حذيفة بن بدر
أن الحارث بن ظالم عندنا وانه استجار بملكنا قيس وجعل معتمده عليه لعله يرسل الى الملك النعمان ويخبره
بذلك الامر والشان فلعله يرسل الى قيس ويشغله عنا ونبلغ نحن مانتمنى فلما سمع مالك كلام ولده زال
عنه بعض مايجده وفى الحال أنفذ الى الربيع بن زياد يشكو اليه ماهو فيه من العناء والعناد ويعرفه بجميع
مايجرى من قيس وعنتر بن شداد وانهم لما وصلوا الى الديار وقربهم القرار أنزل الحارث عنتر فى أبياته وصار
يقضى معه أكثر الاوقات بالفرح والمسرات وهم فى شرب وتناول لذات وهو منتظر وعد عمه وانجاز الميعاد
من الملك قيس بالمعاونة والاسعاد ﴿قال الراوى﴾ وبعد خمسة أيام جاءته الامة خمسية وهو فى بيت أمه زبيبة
وقد أصبح ذلك اليوم تعبان مخمودا مكمودا مكروب وقد امتنع عن الركوب فقالت له الامة يا مولاى
احفظ نفسك من عمك مالك ولا تغتر بوعده فانه قد غدر بعهده وقد أتى اليه رسول من الربيع بن زياد وهو
يقول له اخرج بعنتر الى غدير ذات الارصاد وأظهر له انك تريد الخلوة به والمشورة فى أمر ابنتك عبلة حتى ندهمكم

على غفلة ونخفي أمره ونجرحكم جراحات خفيفة غير قاتلة حتى اذا رجعتم الى الاحياء وسألكم الملك قيس تقولوا له نحن ماندري الا وخيل غائرة قد دهمتنا وهجمت علينا ونحن في فرحنا ومسرتنا فجرحونا ونحن سكارى وما ندري ماجرى وما نعرفهم من الاعداء أو من الاصدقاء وتستريحوا أنتم من الهتيكة والفضيحة في ابنتكم لانه لما سار الى بني دارم أرسلنا سرية من الخيل خلفه لتقتله فاهلكها اللقيط بن زرارة وكانت مائة من الفرسان الامارة فهلك منها سبعون ونحن من أجلها اخواني منكسرون وهذا الحديث يا أبا الفوارس ما علمت به مولاتي عبلة ولا سمعه الا مولاي مالك وولده عمرو ولان الذي أتاهم يقال له مكتوم وهو من خواص عبيد الربيع وهو يحبني محبة زائدة ولولا هذا ما كان أطلعني من هذا الحديث على لفظة واحدة ثم عادت الامة من عند عنتر وقد أوصته أن يأخذ لنفسه الحذر وتركته كأنه في نار سقر ومن شدة ماجرى عليه شك في مقال الجارية خميسة وما ظن ان عمه يغدر به ثم كتم ما معه وما سمع وأراد بذلك أن يعلم صحة الخبر ويرى للحديث برهانا وأثرا وكان السبب في ذلك ان الربيع بن زياد لما وصل اليه الرسول من مالك وولده عمرو وسمع الربيع ان عنتر عاد سالم ومعه أموال بني دارم وذلك بعدما أهلك فرسان بني عامر وفرسان اللقيط الجماهر وانه خلص منه السبايا هو والحارث بن ظالم وقد أجاره من جميع المآتم وهو عنده في أعظم الجوار وقال له أبشر بطيب المزار وان تعرض لك كسرى هدمت ايوانه أو قيصر ذبحت قساقسته ورهبانه فعند ذلك أعلم الربيع حذيفة بن بدر بهذا الخبر وأطلعه على ذلك الامر المنكر وقال له والله يا أبا الحجار ما بقي لنا رأس تشال اذا لم ندبر هلاك هذا العبد نسل الانذال ثم انهما اتفقا على المعاونة وأنفذوا من يومهم رسولا الى الملك النعمان وهم يقولون الذي نعرف به الملك العظيم الشان ملك العربان الملك الهمام وسيد كل من ضرب في البيداء خيام ان عدوك الحارث الذي قتل ولدك شرحبيل وقتل خالد بن جعفر في حرمك وهرب من حبسك فهو الآن في بني عبس وقد أجاره قيس وعنتر وقال قيس هذا الذي قتل قاتل أبي وأخذ ثارنا وأريد أن أبذل نفسي دونه ولو طلبه النعمان أو كسرى أنوشروان أو قيصر ملك عباد الصلبان ما سلمته اليهم الا بعد ضرب يهد وطعن يقد وأما عنتر ابن شداد فما أقدر أن أواجه الحضرة النعمانية بما أبداه من الكلام لان ملك العرب أخبر بحماقته وما يخفى على الملك تكبره وقباحته وبعد انفاذ الرسالة الى الملك النعمان أرسل الى مالك أبي عبلة يأمره أن يفعل بعنتر كما ذكرنا وجرى من القصة ماجرى وعلم عنتر بذلك الحال فبقي بين المكذب والمصدق فتارة يسيء الظن بعمه مالك أن يكون أضمر له الشر والمهالك وتارة يظن أن الربيع بن زياد دبر هذا التدبير لما علم ان عمي قد رضي علي وانصلح حالي معه فانفذ العبد الى خميسة وأخبرها بذلك الحال وما دبر من الاحتيال حتى يمنعني عن بلوغ الآمال وأنا ورب الكعبة ما أطلع على حالي أحدا حتى أبصر آخر هذه القصة كيف تكون واكشف عن هذه الغيوب لاني أخاف أن يدعوني عمي بغير اتفاق ويكون هذا الحديث خداعا ونفاق ونرجع الى ما كنا عليه من العناد ويفسد ما تقرر مع عمي من الصلاح والوداد ثم أقام عنتر على ما هو عليه من الهم والافتكار حتى انبسطت الشمس وتعالى النهار واذا بابن عمه عمرو قد أقبل وقال يا أبا الفوارس ان أبي أنفذني اليك وهو يسلم عليك وقال لي خذ ابن عمك عنتر في غفلة من الناس ثم امض به الى غدير ذات الارصاد حتى اننا نخلو به اليوم ونشاوره في أمورنا وننظر ما في نيته أن يفعله في حق عبلة زوجته ونعيد معه المشورة والرأي على ما نحب ونختار ولم نعلم بحالنا أحدا من الكبار والصغار فقال له عنتر السمع والطاعة لاي شيء لم ترسل يا ابن العم بعض عبيدك ولا كنت أتعبت نفسك لاني أنا المسعود في هذه العبارة ثم انه صار الى مضربه ولبس أفخر أثوابه بعد ما لبس ثوبا من الزرد مضاعف العدد لا يعمل فيها الصارم المهند وهي حرز لمن عليها اعتمد وكل ذلك احترازا منه على نفسه من الحديث الذي سمعه من خميسه وقدم له شيبوب الابجر فركبه وتقلد بسيفه الضامي الابتر وسار مع ابن عمه عمرو وأخوه جرير وشيبوب في ركابه وقد أطلعهم على ذلك الحال وأوصاهم بالاحتراز فلما وصلوا الى غدير ذات الارصاد وجد عمه له في الانتظار والعبيد بين يديه وهم يروقون المدام ويصلحوا قدور الطعام فلما أقبل عنتر قام له مالك على الاقدام وبجله وقال له أهلا وسهلا بسيفي وترسي وحصني وظهري ثم

شكره وأثنى عليه وما استقر بهم المقام حتى قدموا له الطعام فلما اكتفوا من الطعام دارت عليهم أقداح المدام وأخذوا بعد ذلك في المشورة والكلام وطابت لهم الخلوة وعملت فيهم النشوة وقال له عمه يا أبا الفوارس أنا ما خلوت معك في هذا اليوم الا حتى يذهب التعب واللوم لان حبلي بحبلك قد اتصل ومرادي بك قد حصل فانفذ غدا الى أصدقائك وادع من تشاء من رفقائك حتى تشرع في أمر عرسك وتبلغ منالك وأنا في نيتي أن أجمع كل من في الحي من النساء والرجال والعبيد والاحرار ولا أترك كبيرا ولا صغيرا ولا عبدا ولا أميرا ولا غنيا ولا فقيرا الا وأجعله يحضر في الوليمة وأدع جميع الناس يرتعوا في الطعام ويشربوا المدام وأكسو الارامل والايتام ونحن اسمنا كبير وخيرنا كثير فافعل أنت ما تشاء من التدبير فعندها طاب قلب عنتر بهذا الكلام وحقق ان قول خميسة الذي سمعه منها عن الربيع زور ومحال ومن شدة سروره وأفراحه وقف قائما على الاقدام وقال والله يا عماه ما أنا الا عبدك على مدى الازمان واني قد فوضت أمري اليك يا سيد العربان وتركت زمام قيادي بيديك واتكالي على الله وعليك فافعل ما شئت ودبر ما هويت وابذل جميع ما عندك من المال واذا خرج شيء من يدك فالرب القديم يخلفه عليك لاني يا عماه أموال العرب كلها بيدي وهي تصير كلها اليك وأنت تكون الحاكم والامير وأنا ما أريد من الدنيا الا سيفي ورمحي وجوادي بعد بلوغ آمالي ومرادي وأنا أسعى في عمل الوليمة وتحصيل الخلع والخمر وتبادر في هذا الامر ثم انهم بعد ما دار بينهم الكلام وامتلأوا من الطعام أخذوا في تناول كاسات المدام ودارت عليهم الكاسات والاباريق والخمر الصافي العتيق وغنت لهم الاماء والمولدات وطابت لهم الاوقات حتى نسوا المصائب والآفات ولم يزالوا على ذلك العيار الى آخر النهار وقد لبست الشمس حلة الاصفرار وطال على مالك أبي عبلة الانتظار وكذلك ولده عمرو زاد به الاشتغال وهم ينظروا الى تلك البراري والتلال ويرتقبون الخيل تطلع عليهم من ناحية بني فزارة وعليها الابطال قبل قدوم الظلام وصار مالك أبو عبلة يشرب المدام ويسقي عنتر على ذكر عبلة بالكبار والصغار وقد أكثروا على عنتر بالشرب لاجل أن يسكروه لعلهم أن يبلغوا منه ما يؤملوه هذا وعنتر يأخذ منهم ويشرب وهو على قلب غافل ولا غم عنده بل هو في طرب وكان مالك أبو عبلة قد أعلم العبيد بما يفعلون من المكر والتنكيد فصاروا يتغامزون اليه بالعيون والاحداق وقلوبهم تغلي بالمكر والنفاق فعند ذلك أفاق عنتر وصح عنده كلام الامة خميسة وكان أخوه شيبوب واقفا في الخدمة وشكيمة الابجر بيده وهو تارة يشرف عليهم وتارة يدور حولهم ويقول لجرير أخيه ويلك يا أخي راقب هذه التلال وأحاقيف الرمال مخافة أن يكون قد كمن لاخيك رجال يطلبون هلاكه والوبال هذا وشيبوب يرقب البركانه السرحان وكلما أبصر أخاه بينهم وهو على ذلك الحال وهم دائرون به من اليمين والشمال يزيد به الهم والبلبال ونظر الى عمرو أخي عبلة وهو منتظر من أبيه أن يأمره بضربه وهم منتظرون الرجال من بني فزارة والابطال فعند ذلك صاح شيبوب على أخيه صيحة الاسد وقد عدم الصبر والجلد وقال له ويلك قم يا ولد الزنا من بين هؤلاء الانذال وكل ما هم فيه زور ومحال فاسرع من عندهم والا لعبوا في جسدك بالسيوف الحداد ونهبوك على أسنة الرماح المداد فعند ذلك وثب عنتر وسل حسامه الضامي الابتر وعول أن يبذله في الجميع واذا هو بخيل بني فزارة قد طلعت وفرسانها قد أسرعت وفي أوائلها الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر معدن المكر والكياد والكل ينادون جاءك البلاء يا ابن شداد ثم انهم افترقوا وداروا حوله من كل جانب وأقبلوا اليه بالقنا والقواضب وبان في ذلك الوقت الصادق من الكاذب فتقدم عنتر ليركب على ظهر الجواد ويلتقي الخيل التي أتت اليه مع الربيع بن زياد فعند ذلك صاح مالك على ولده عمرو وقد لعبت به نشوات الخمر وقال له ويلك يا جبان اضربه بسيفك الصقيل أو اطعنه برمحك الطويل فما بقي له بعد قدوم هؤلاء الفرسان الى الهرب من سبيل فعندها سل عمرو حسامه وضرب به عنترا الا انها ضربة ذليل مهان فلم يبال بها عنتر ولا أوهت له جنان بل انها قطعت أثوابه وردها عنه الدرع المقدم ذكره فلم يتألم لها وقفز حتى بقي على ظهر جواده الابجر واستلب الرمح المكعوب الاسمر وتقلد بسيفه الضامي الابتر وقفز الى الخيل المقبلة كأنها

القضاء والقدر وطلبها قبل ما نطلبه وهو يشتم ويدمدم ونوى لعمه مالك الشر والمهالك وهو يقول لغيا غدار يا مكار وحق الملك الجبار لابد أن أقابلك على هذه الافعال بالوبا والوبال ولأحرمنك شرب الماء الزلال ثم انه استقبل الابطال وطلب منهم الشر والقتال وشيبوب بين يديه يهمز مثل همزات الغزال ويرمي بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وصار هذا يطعن بالرمح في الصدور وهذا يرمي بنباله في النحور وجرير ينادي خاب والله ظنكم يا بني الز واني من صيد هذا الاسد الكسور وكان النهار كما ذكرنا قد انقضى أكثره وبقي أيسره الا انه ما أقبل الليل الا وقد عددت الفرسان مثل العمد وضاق عليهم البر والفدفد وضربهم ضربا يقد الزرد وطعنا اذا سمع وقعه الاسد شرد وتفرقوا في أقطار الفلا وأيقنوا بكل البلا ثم ان عنترة هجم على حذيفة وأراد أن يطعنه ويسقيه كاس المنية ويفقده وحده بالكلية واذا بشيبوب قد استقبله وضرب جواده بنبلة فقلبه ووقع حذيفة عن مركبه فادركه عنتر وضربه بقوة حيله فوصل السيف الى عاتقه فحله وتركه مرميا تحت أرجل الخيل وطلب الربيع بن زياد وزعق فيه فولى هاربا لانه لما أبصر حملاته أهالته ورأى ضرباته أبهرته قال والله ما هذه حملات سكران ولا ضربات نشوان ولا يقاتل هذا اللئيم الشيطان الامن تكون منيته قد قربت وروحه عليه قد هانت ثم انه أدار رأس جواده وطلب أرض بني فزارة ومن بقي بين يدي عنتر أنزل به الذل والخساره وحل به الويل والعدم وتركهم ممددين على الروابي والاكم ولما نظر حمل الى أخيه حذيفة وهو على الارض ممدد في دهشته ربطه على بعض الخيول وهو غائب عن الدنيا وتبع الربيع بن زياد ولعب عنتر بسيفه فيمن بقي من الرجال وقد ساقهم اليه مقدر الارزاق والآجال ومن حكم عليه بالمحاق والوبال ثم ان عنترة عاد عنهم بعد هذه الفعال وأنشد وقال

ترى علمت عبل باني مظفر * على كل أعدائي اللئام بلا كذب
ولي صارم كالبرق يلمع نوره * اذا هزه كفي تلالا مع الشهب
فمن شاء فليقدم الى فانني * أرى الموت سهلا والحياة بها كربي
يريدون قتلي والحسام محكم * بكفي وجن الارض تهرب من حربي

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ عنتر من أبياته عاد وهو من شدة حنقه على عمه مالك وولده عمرو يطلبهما على الغدير حتى يشفي منهما غليل صدره وما عنده من الزفير وكان قد عول انه اذا لقاهم أوثقهم بالجراح ويسبي عبلة ويطلب البعد عنهما والانتزاح فما رأى لهم أثر فقال لاخيه شيبوب انهم قد عادوا يطلبون الخيام وعند الصباح تقع المشاققة والكلام ثم انه سار يطلب أبياته فما وصل الا والليل قد مد رواقه بالظلام فترجل عنتر وأوصى اخوته ونام وكان أبوه شداد وعمه زخمة الجواد والحرث بن ظالم وعروة بن الورد ذلك اليوم في دعوة الملك قيس بن زهير وقد عادوا من عنده سكارى وناموا ولما كان عند الصباح انتبه عنتر من المنام ثم عرض ما جرى له على قلبه وكان ظن أنه رأى ذلك في المنام فاحضر أخاه شيبوب عنده وقال له يا أخي رأيت رؤيا شنيعة وأريد أن أقصها عليك ثم ابتدأ يحدث شيبوب بما جرى له من تلك الاحكام فقال شيبوب يا ولد الحرام هذا يقظة لا منام ثم انه أعاد عليه الحديث من أوله الى آخره وأخبره كيف قاتل بني فزارة وكيف قتلهم وما أنشد من الشعر الرقيق ثم قدم الزردية التي كانت عليه وهي مخضبة بالدماء وكذلك سيفه وقال له والله يا ابن الام ما ظننت أنك ترجع سالم وما صدقت اني أراك في بيتك نائم ولكن سلمك الله العزيز الدائم فقال عنتر لاخوته والله لقد سامنا يا بني الاكارم ولكن أين مضى عمي هو وولده عمرو وكيف كان حديثهم في ذلك الامر فقال شيبوب والله يا ابن الام انه قال لولده عمرو اضرب عنتر بسيفك الصقيل واترك دمه على الارض يسيل قبل أن يهب هذا العبد الذليل ويخلص من اشراك الربال لانهم خافوا عليك بالشراب وخدعوك بزخارف المحال ولما قدمت الخيل عليك وجرحت حذيفة بن بدر وانهزمت الفرسان بين يديك هرب الربيع بن زياد وهو خائف منك وصار يلتفت اليك وأنت تخب بالجواد وتطلب غدير ذات الارصاد وأنت تقسم انك لا تبقي من الاعداء أحدا وصرت أنا أردك وأنت لا ترتد ولا تسمع مني بل تزعق علي وترمي بالسيف الي وأنا خائف أن تقع ضربة منك بواحد منهم تقتله وتندم اذا صحيت ومازلنا على مثل ذلك التيسير الى ان وصلنا الى الغدير ودرنا

عليهم فما وقعنا بهم ولا رأينا أحدا الا كبيرا ولا صغير فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الخبر قلق لذلك وتحير وحمل أثقالا من الهم والفكر وعول انه في ذلك اليوم لا يظهر فبينما هو كذلك اذا الامة خميسة أقبلت اليه وقالت له يا أبا الفوارس مولاتي عبلة تسلم عليك وتعلمك أن أباها وأخاها رحلا على وجوههما في القفار من بين يديك وحلفا لا يسكنان الحي وأنت حي فقال عنتر عند ذلك أما كفاهم ما فعلا بي من الغدر والردا وقد نسباني الى الظلم والاعتدا وهم أساس البلا فحدثيني بما جرى ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في ذلك أن أبا عبلة لما دبر هذا التدبير وما قدر على هلاك عنتر بل انه لما أبصر موكب بني فزارة أكثره قد هلك من نبال شيبوب وضربات عنتر استحى مالك وولده عمرو أن يرجعا الى الخيام فقلق مالك لذلك وهام وقال لولده عمرو والله يا ولدي ما بقي لنا في هذه الديار مقام لان الناس عند الصباح يعلموا بقصتنا ويأكلوا لحومنا بالملام والكلام لا سيما الملك قيس واخوته وأخي شداد وزوجته وأنا عولت على انني أسير الى الملك النعمان وأحكي له على قصتي واستجير به من بلوتي وأدخل تحت ذمامه من هذا العبد الزنيم الذي عاندني في ابنتي على ان النعمان بعدما علم ان الحرث عندهم وانهم أجاروه لابد أن يسير اليهم بسائر فرسان العرب ويقطع ما بين القبيلتين من النسب ويكون هذا القلع آثارهم بسبب وان قتلنا عنتر بلغنا والله الارب ونزوج أختك لمن تكون في نعمته ونعتز بهيبته فقال عمرو والصواب يا أبتاه اننا نأخذ عبلة معنا ونبعد عن هذه الديار فقال أبوه لا يا بني ما هذا صواب لاننا لو أردنا أخذها معنا ما طاوعتنا على هذه الاحوال ثم قال مالك للعبيد الذين كانوا معه ارجعوا أنتم الى الاوطان والعيال واحفظوا المراعي والانعام والاموال حتى ننظر آخر هذه القصة وكيف تكون الاحوال وقولوا لابنتي عبلة انني هايج على وجهي في الجبال خوفا عليها فان كانت هي تختار عنتر علينا وتطاوعه على ما يريد فدعها تفعل ما تختار وان أرادت أن تصون عرضها وتستر نفسها فتمضي تستجير بأخي شداد وعمها زخمة الجواد فان عنتر لا يهتك حرمتها ولا يخفر لاجلهما ذمتها ولا يؤذيها (قال الراوي) ثم سار مالك وولده عمرو في الليل وجدوا المسير على ظهور الخيل ورجعت العبيد الى المضارب والخيام وأعادوا على عبلة ما قال أبوها من الكلام فتجددت عليها المصائب والاحزان وقالت عبلة وحق البيت الحرام ما رأيت على وجه الارض بنية أشقى مني فياليت أمي لم تلدني وأما قول ابي اني أستجير بعمي شداد من عنتر فأنا لا أبرح من هذا البيت ولا أظن في ابن عمي هذا الظن لانه طول عمره يطلب نصرتي وتسبيني العدا ويخلصني من النوائب والردا ثم انها باتت متفكرة في أمرها الى أن طلع النهار وأنفذت الامة خميسة الى عنتر تعلمه بهذه الاخبار وقالت امضي الى عنتر وأعلميه بهذا المعنى فمضت اليه الامة خميسة وأعلمته كما ذكرنا فلما سمع عنتر هذا الحديث والكلام حس ان روحه تسل من جسده وصارت الدنيا مظلمة عنده وأخذته الحيرة والخبل وما بقي يدري كيف يفعل وهو متفكر في هذا الحال الذي به قد نزل وانه أصبح مظلوما في زي ظالم ومنسوبا الى الجرائم فبينما هو متفكر فيما جرى عليه من تلك الاخبار والاسباب اذ قد دخل عليه عروة خليله والحرث مجاوره وما فيهم الا من هو مستوحش لعنتر وسأله كل عن حاله فتحسر وقال والله لقد كان يومي أشأم الايام وأشرها لا يجعل الله مثله لصديق ثم جعل يحدثهم بالحيلة التي دبرها عمه مالك وما جرى له من بني فزاره وكيف أعادهم الى الخساره ثم قال لهم وأنا أعلم ان عمي في هذه النوبة ما يخطي الملك النعمان بل لابد أن يصل اليه ويحدثه بحديث الحرث بن ظالم ولابد ان يصير بيننا وبينه العداوة والقتال وأحتاج أن ألقي روحي الى الاهوال الى أن أبلغ الآمال أو تلعب الخيل برأسي في المجال ولابد أن ينفذ الملك النعمان يطلب الحرث من الملك قيس فقالوا له صدقت يا أبا الفوارس وأما عمك فانه يطلب ابنته والربيع بن زياد يأخذ أخاه عمارة ويزوجه عبلة ويضيع كل ما عملته ولا تبلغ منها ما أملته فقال عنتر وحق ذمة العرب من معد بن عدنان لو أتانا النعمان بنفسه وسائر العربان أو أتانا كسرى أنوشروان وطلب من ذوائب عبلة شعرة واحدة لما قدر الا بعد طعن يعمي البصر وضرب لا يبقي ولا يذر فقال الحرث يا أمير عنتر أما النعمان فلا تحمل همه فانا اذا سمعت انه سائر اليك آخذ معي عشرة فوارس وأسير اليه وأهلك عساكره وأدري كتائبه وأبيد عشائره وأما عمك مالك فواجب عليك انك تسير اليه وتأخذ الملك

قيس بن زهير وتلحقه في الطريق وتترضاه وتترفق به وترده الى الحلة لاجل محبوبتك عبلة لان المحب يذل لمحبوبه ولو كان الجفاء والهجر من نصيبه كما قال الشاعر

اذا ذل المحبوب بات يشكو * الى عواده شكوى السقيم * يؤمل أن يزيل الله عنه
لهيب توقد الشوق القديم * ولاسيما اذا كان التشاكي * من البلوى الى قلب رحيم

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر هذه الابيات من الحرث بن ظالم دمعت عيناه وزاد جواه وكثر جنونه وزاد شجونه وقال أما عمي مالك فانا أركب وأسير وراءه وأترضاه وان لم أجده سيكون بيني وبينه حديث يذكر ويروى * قال فبينما هم في الحديث والكلام اذ دخل عليهم عبد من عند الملك قيس الهمام وقال له يا أبا الفوارس كلم مولاي قيس فان رسول حذيفة قد أتى اليه على سبيل الشكوى ويذكر ان له عليك دعوى وقد ذكر انك جرحته وبغيت عليه وأوصلت الاذية اليه وما هكذا ينبغي أن تكون الرجال الاجواد المعروفين في القتال والجلاد ان تصير في مثل هذا الوسواس الى العدم والالم فقال عنتر وهو مشرف على التلاف وقد نزل به العدم لو قدرت اليوم على بني فزارة ما تركت منهم من يمشي على قدم لانهم طول عمرهم طالبون قتلي في السفر والحضر ولابد لي معهم من يوم أسود أغبر من ضرب الحسام الذكر والا ما أكون فما أنا ابن شداد عنتر لاسيما حذيفة والربيع بن زياد القرنان الكثير الكياد الخوان وان سلم اليوم فما يسلم غدا ثم انه ركب وسار الى حضرة الملك قيس فلما حضر قام له كل من في المجلس وسأل عن الخبر والحال فقال له قيس يا أبا الفوارس أي شيء أوجب هذه الفعال وما سبب هذا القتال ولماذا تسرف في شرب الخمر المشؤم حتى جرى منك هذا الامر المذموم فقال عنتر وما الذي فعلت من الفعال حتى أستوجب هذا المقال وأنا وحق الارباب قط ما شربت وغاب لي صواب فقال له الملك قيس هذا رسول حذيفة جاءني يشكوك لي ويقول لي على لسان هذا الرجل يا قيس أنا ركبت في مائة فارس أنا والربيع بن زياد وكنا قد جئنا نهنيك بالسلامة ونعتذر في التقصير من قلة المسير اليك لاننا كان لنا سرية في بلاد اليمن وهلكت وما عاد منها الا القليل وذكر لنا بعض المنهزمين ان الاعداء وراءهم طالبين وقد قعدت خوفا على الحريم ولما سمعنا أنك قد عدت سالما أتينا نهنيك بالسلامة فثار علينا عبد شداد عند غدير ذات الارصاد وهو سكران لا يعقل انسان فقتل رجالنا وأهلك أبطالنا وما زالت الرجال تردعن أنفسها وأنا أقول يا بني عمي لا تغير وابيننا الدماء ولا تحار بوا هذا الرجل واحذروه فانه سكران ولم يزل الى أن وصل الي وأنا أقول هذا المقال ولا أمانع ولا أدافع بل صرت أقول اذا رآني يستحي مني ويرعاني فما هو الا أنه لما لحقني مد يده الي وضربني فقلت انه قتلني وقلت ان أنا هاجمته ولم أراعكم يثور الحرب بيننا وبينكم وما كفاه حتى صار يقول انا يا أولاد الزنا ونتيجة الخنا أنتم تطلبون قتلي ولولا ان عمه مالكا كان يرده عنا لكان قد تبعنا الى الديار فنحن يا قيس بقينا أولاد زنا وعنتر عريق النسب وأصيل الحسب فان كان فعل هذا عن اذنك فاعلمنا حتى نعلم انك حردان علينا فتحتر ز على أنفسنا ونعلم انك ناقم علينا لاجل بعادنا عن نصرتك وان كان ما عندك من ذلك خبر فلا تستحسن البغي لعنتر ولا تستحسن هذه الفعائل التي بها نتكدر وأنت بالامس كنت راغبا فينا ومراعيا جانبنا فان كنت على ما نعهد فانف عنتر ودعه يرحل عنك ويطلب أرضا غير هذه الارض حتى نعلم أنك غضبت لغضبنا ورضيت لرضانا ثم قال قيس يا عنتر وحق البيت الحرام لقد ضاق صدري لاجل سماع هذا الكلام لان عندي من كثرة اعدائنا وزيادتهم ما يشغلنا عن معاداة بني عمنا فقال عنتر يا ملك وحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال ان هذا الحديث زور ومحال وما أتوا هؤلاء الانذال الا يريدون قتلي وسفك دمي ويعاونوا عمي على هلاكي وعدمي ثم أخبره بما جرى له مع عمه على الحقيقة وأعلمه ان عمه وولده قد هربوا خوفا منه ومن الفضيحة وبعدها فما بقيت أقع باحد من الاعداء الا وأقتله وأسفك دمه لاسيما الربيع بن زياد واخوته الذي بانت لي عداوتهم لانهم لما رأوا عمي مال بجانبه جعل يراسله ويقسي قلبه على بدواهيه ومعائبه وأما قولهم انهم كان لهم في بلاد اليمن فرسان وهلك أكثرهم فصدقوا في هذا المقال لانهم يا ملك قد علموا بمسيري لاجل خلاص ابن أختي الهطال ورجاله فانفذوا تلك السرية لقتلي

فوقع بهم القيط وفعل بهم هذه الفعال وكل هذا يا ملك يجري وانا أخفيه وفي آخر الامر يقولون ان عنترة بغى على سائر العالم والحال اني مظلوم ويعدوني ظالم فانا أريهم اليوم عاقبة الظلم والبغي على من تعود ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس هذه المقالة عرف باطنه صدقه من محله لان طريق الحق واضحه وشواهدها على من تكلم بها لائحه فقال قيس للرسول الذي لحذيفة يا ابن العم والله ما على كلامك من برهان واضح وان الحق مع عنتر وشهوده عليه لوائح فقل له ان كل من أشار على بنفي عنتر عن الاوطان فما يكون الا قد أراد لي الهلاك والقلعان لاني رجل كثير الاعداء قليل الاعوان وان فعلت هذا فلا آمن من نوائب الزمان. فكم من مرة خلص عنتر حريمنا والنسوان وأنقذهم من الذل والهوان وبعد هذا أنا أدخل بين عنتر وبين بني فزارة لان الاختبار قد بين لهم الربح من الخسارة وهم قد جربوه مرارا وعرفوه وان أرادا المناصفة فانصفوه ثم انه رد الرسول وعلم ما في قلبه وعنده أن يعينه على عمه ورجع عنتر الى مضاربه وأمواج الهموم تلعب في فؤاده وجوانبه وكان أكثر همه وغمه لاجل غيبة عمه لانه لا يعلم أين قصد وعلم أن عبلة تتنغص عيشها لغيبته وبقي عنتر مدة خمسة أيام لا يلتذ بطعام ولا يتهنى بمنام وبعد ذلك طلبته أم عبلة وقالت له اعلم يا ولدي انه قد خرب بيتي من الرجال ويخاف على ما عندي من الاموال وخراب البيت ما هو صواب وتشمت بنا سائر الاعداء لاسيما الاهل والاصحاب وأنت يا ولدي أخبر بعيشتنا في هذه الايام وعمك وولده غائبين في البراري والآكام والى الآن ما سمعنا لهم خبر ولا عرفنا لهم مستقر وان وقع بهم من له عليهم دما ترك وجودهم عدما ونابني بعدهم الذل والاسا في الصباح والمسا والصواب انك تجد السير خلفهم وتكشف أخبارهم ولا تؤاخذهم بفعالهم لان كل ما جرى من تدبير الربيع بن زياد ابتلاه الله بالضر والانكاد ثم قالت له أم عبلة اعلم انهم اذا وقعوا وتم عليهم أمر من الضير فما لي بعدهم سرور ولا خير ولاسيما من كلام الناس فان العرب كلها تقول تركت أباها وأخاها واعتمدت على عنتر في شدتها ورخاها وأنت أخبر بهذا الامر فدبر تدبيرا يكون فيه الاصلاح فقال لها عنتر يا مولاتي انت تعلمي ان الذي جرى علي في هذه النوبة من يده كان وهو ما طلب الا هلاكي والقلعان لانه كان يظهر لي خلاف ما كان منه في الفؤاد ويلقاني بالترحيب والوداد ويرجع يدبر على هلاكي هو والربيع بن زياد عاقبه الله بهذا اللجاج والعناد لانه فعل هذا ألف مرة ثم يعود ذلك عليه وبالا ومضرة ويلقى عاقبة بغيه وأنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لو كان قال لي يا عنتر أنا ما أريدك لابنتي عبلة ولا أريدك أيضا تقيم عندنا في الحلة ما كنت فيها أقمت بل كنت رحلت وعلى الله توكلت فعند ذلك كلمته عبلة وقالت له يا ابن العم كيف يكون لك جلد أن تبعدني وتقنع بأن تمنى فان هذا ما هو الا زور ومحال فدع عنك هذا المقال وبحياتي عليك تمضي وتكشف خبر أبي وأخي ويكون عندك الاحتمال ولا تؤاخذهم بما فعلوا من سوء الفعال واعلم أنه اذا كان العبد يد مولاته يحسن مداراته فقال يا سيدتاه وهذا المداراه كيف تكون وأنا والله لقد كرهت الحياة وضجرت حيث اني أعمل جميلا ويجازيني عليه بالقبيح ولكن كل هذا يهون على قلب عبدك اذا كنت راضية عنه وأنت مقيمة على عهدك وأما أبوك فما عليه خوف الا من بني عامر لان حواشيهم بين أبياتنا يدورون الليل والنهار قرب حللنا ويبصرون من ينفرد من رجالنا وأبوك اذا وصل الى النعمان فما يكون الا في الامان وأنا وحق هواك في هذه الليلة أقفو خلفه الاثر ولا أعود حتى أكشف الخبر وأرده الى الديار والاوطان وأجازي قبيحه بالاحسان حتى يعرف قدري كما عرفه كل انسان أو يشتفي مني اذا رآني ملقحا تحت أرجل الخيل وجميع الفرسان تنعاني في النهار والليل فقالت أم عبلة وحياة ولدي عمرو ان حقك عندي واجب معروف وبالكعبة أجل الاقسام وبحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أتركنه يزف ابنتي الا عليك ولو قطعني بالحسام فطاب قلب عنتر بهذا الكلام ودعا لها وقد زال ما بقلبه من الجوى والغرام ولما وصل الى خيامه دعا بعروة بن الورد والحارث بن ظالم وأبيه شداد وعمه زخمة الجواد وقص عليهم ما جرى له ولعبلة وقال قد عولت أن أسير في طلب عمي مالك اذا جن الليل وأسأل عنه ان كان وصل سالما الى

النعمان ولا أواخذه بما فعل في حقي من الهوان ولا أقابله بتدبير الربيع بن زياد القرنان وأقابل القبيح
بالاحسان ولا أدع الأعداء يبلغون مني المراد لاجل العداوة والكياد لان قلبي خائف من بني عامر وما
أحضرتكم الا لاجل أوصيكم بعبلة وربما تطول سفرتي ويأتي عمي ها هنا ويأخذ أهله وعبلة في غيبتي ان كان
وصل سالما الى النعمان وأريد منكم ان تم له هذا الامر والشان وأتى هو أو رسوله يطلب عبلة فامنعوه من
ذلك وان رأيتم ما لا طاقة لكم به فخذها يا أبتاه وارحل بها وانزل على بني شيبان وأقم عند أخي بسطام الى
حين قدومي فان بيني وبينه عهد الابد لانه كريم من نسل قوم كرام وأريد في غداة غد يا أبتاه تنقلها الى
أبياتك وتجعلها من جملة بناتك فقال له شداد يا ولدي لا تخف أما عبلة فلا تبرح من أبياتي وأما أنت
يا ولدي فوحق ذمة العرب ما أدعك تسير وحدك وأنت هكذا في البر وحيد ولا بد أن تصحب معك جماعة من
الفرسان الصناديد فقال عنتر والله يا أبتاه ما أدعك تنتقل من الحي خطوة واحدة لا أنت ولا عمي زخمة الجواد
لان ما لي غيركم أتكل عليه في حفظ الاميرة عبلة وأنا أسأل رب السماء أن يصرف عنكم شر الاعداء لان
اتكالي في هذا الامر عليكم وهو الصواب الذي خطر ببالي فقال الحارث اذا كان الامر على ما ذكرت فأسير
أنا وأنت الى ما أردت ونترك هؤلاء ها هنا يحفظون ابنة عمك كما أمرت لتكون مطمئن القلب ونحن فينا كفاية
لاهل الشرق والغرب فقال عروة أنا وحق ذمة العرب أسير معكما ولا أقعد عنكما لان عنترة اذا كان
غائبا عن الديار تظلم في عيني الاقطار ويتساوى عندي الليل والنهار فشكره عنتر على هذا الكلام ثم
تأهبوا لمثل هذه الاحكام حتى أقبل الليل الحالك بالظلام ثم ركبوا بعد ما غاصوا في الحديد وتدرعوا
بالزرد النضيد وتقلدوا بالسيوف الحداد واعتقلوا بالرماح المداد ثم انهم خرجوا من الخيام وأهل الحي
نيام وساروا وشيبوب بين أيديهم مثل ذكر النعام وأراد جرير المسير فما مكنه من ذلك عنتر بل أمره
بمراعاة عبلة وحفظها ولما توسطوا البر قال شيبوب لاخيه أعلمني يا أبا الفوارس أي طريق تريد ان
تذهب فقال له اقصد أرض بني عامر لكن أريد طريقا لا يلاقينا فيها أحد يعيقنا لكي يخفى خبرنا على كل
أحد من كل مقيم ومسافر وان كان عمي قد وقع به بغيه فمن هناك نأخذ خبره فقال شيبوب اتبعني
يا ابن الام لترى العجب مني واذا خرجنا من الارض وقربنا من ديار بني عامر وبقي بيننا وبينهم دون اليوم
أخفيكم في البراري والقفار وأخرج ألتمس لكم الاخبار ثم انهم ساروا يقطعون البيداء وكان أكثر سيرهم
في الليل البهيم ولما قاربوا أرض بني عامر أخفاهم شيبوب في مكان عظيم وقال له عنتر سر وانظر هل تسمع لنا على
عمي من خبر وانظر سراح القوم هل أمنوا وسرحوه في الجبال وارجع الينا واعلمنا بالحال لاجل أن نخرج
على الاموال ونسوقها ونقتل حماتها ولا نترك طريقنا تمضي خائبة فقال لهم شيبوب سمعا وطاعة فسار
شيبوب وقد لبس زي فقراء العرب من المماليك والصعاليك وأقاموا ينتظرونه بقية ذلك اليوم وتلك الليلة
الى الصباح وخاف عليه عنتر أن يكون قد هلك أو وقع به بعض الاعداء والقي في الشرك فهم أن يسير في طلبه
ويكشف خبره واذا به قد طلع عليهم من كبد البر مثل ذكر النعام ومعه عبد أسود وهو رابطه بحبل وكلما
وقع صاح عليه وسحبه فتعجب عنتر من ذلك وتواثبوا اليه حتى قاربوه وقالوا له ما هذا العبد يا شيبوب فقال
هذا عبد راجح بن الصياح سيد بني جبهان ومنه قد أخذت الخبر عن عمك وولده عمرو وقد ذكر أنهما عند
سيده راجح بن الصياح وانه يعذبهما بالقتل مساء وصباح ويعذبهما عذابا ما عذب به أحد من الرجال والنساء
لاني لما سرت من عندكم أجهدت نفسي في المسير الى آخر النهار وأردت بذلك انني أختفي ولا أدخل ديار بني
عامر أول النهار وأكشف لكم الاخبار واذا بهذا الشيطان قد عترضني وعن قضاء حاجتي أعاقني وكان مقبلا
من ناحية أرض وادي زرود فقاطع علي وقال لي أنت من عبيد بني عامر يا وجه الخير فقلت وما الذي تريد
يا ابن الخالة فقال لي أنا من عبيد بني جبهان من عند راجح بن الصياح أطلب الاحوص بن جعفر وملاعب
الاسنة لان سيدي قد أنفذني اليهم أبشرهم بوقوع مالك وولده عمرو وأقول لهم يسيروا الينا على عجل
ويحضروا واقتل الاثنين وبلوغ الامل لاجل ما بينهم من العداوة ولما حققت ذلك منه طار عقلي وقامت

انقضت حاجتي التي أتيت اليها ثم قلت له يا وجه العرب سر معي حتى أوصلك الى مضارب الاحوص بن جعفر
لانه مولاي ثم قصر في المسير وصرت أسأله كيف وقع عمك وولده حتى انتشرت أجنحة الظلام وخفيت
عنا البراري والآكام فدنوت منه وضربته بالخنجر أشغلته عما هو فيه بنفسه وعدت على أثري وقد أردت
حضوره بين يديك فانه أراد أن يهرب من يدي فقاسيت الشدائد حتى أوصلته اليك فلما علم عنتر
بذلك زاد همه وغمه وأقبل على العبد الذي أتى به شيبوب فلما رأى ذلك العبد عنتر انهدمت قوته
وتعجب من عنتر وهول صورته ومن شيبوب وجسارته فقال له عنتر ما اسمك يا غلام فقال اسمي بشير
يا مولاي فقال وأين أنتم نازلون قال في أرض العنز فقال له وكيف وقع هذان الاسيران العبسيان في
أيديكم فقال له كان سيدي عائدا من وليمة قد دعي اليها هو وزوجته دعد العامرية وكان قد أقام فيها
سبعة أيام وعاد ومعه فارس واحد يقال له عبد مناة وهو فارس أرضنا وليث عشيرتنا ولما قاربنا الديار
التقينا بهؤلاء العبسيين فأخذهما سيدي ولما وصل بهما الى دياره عذبهما أشد العذاب وربطهما مع
الكلاب وكان السبب في ذلك ان مالكا أبا عبلة وولده لما جرى لهما ما جرى وهجا على وجوههما في الصحرا
وهما يتململان غيظا وقهرا فانهما لم يزالا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى أن أصبح الصباح وقد وثقا وأمنا
على أنفسهما من طلب عنتر البطل الحجاج وكان مالك قد عول أن يسير الى الحيرة ويدخل هو وولده على الملك
النعمان ويلقيان الشر بينه وبين بني عبس وعنتر ويقيما تحت ظله وينفذ مالك يأخذ عبلة من بني عبس
ويزوجها بالامير عمارة بن زياد ويبلغ من النعمان ما أراد ولم يزالا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى الصباح
الى أن وصلا الى قوم يقال لهم بنو صالح وفيها التقوا بالامير راجح ومعه الهوادج والكلال فقال عمرو لابيه مالك
يا أبتاه هذه عروس سائرة الى بعلها أو امرأة طالبة أهلها ومعها فارسان وثلاثة عبيد وأريد أن أحمل على الجميع
وأتقطهم بالسنان وآخذ بهذا الهودج المنصان مسبية بما عليها من الحلل والاموال ونسير بها في الطريق
الى ان نصل الى العراق ونجتمع بالملك النعمان فقال له أبوه بالله عليك يا ولدي دعنا من معاداة العربان ومن
ذكر النسوان فان لنا شغلا بهجاجنا من الاوطان ومفارقة الاهل والخلان * هذا ومالك جعل ينهى ولده فلم
يقبل له كلام بل انه أطلق عنانه وقوم سنانه وزين له الشيطان وجه المحال فصاح وقال ويلكم خلوا عن
الهودج والاموال واطلبوا النجاة قبل الوبال فقال عبد مناة من أنتم أيها الانذال ثم انه حمل على عمرو وجال
معه ساعة حتى عرف ما فيه من الشجاعة ثم بعد ذلك قاربه ورمى الرمح من يده وأوهمه أنه يضربه بالسيف على
رأسه وضرب رأس الجواد رماه فوقع على ظهره وأيس من الحياة وغاب عن دنياه وأبصر أبوه هذا الحال
فاحتاج أن يقاتل ويخلصه من الذل والنكال الا انه ما حمل حتى شد على عمرو ولده وقد ذاب كبده وقل صبره
وجلده ونادى واولداه وبذل مع عبد مناة المجهود وتكافحا مكافحة الاسود لان مالك بن قراد كان من
فرسان بني عبس الاجواد فجالد خصمه أشد جلاد وما زال معه في طراد وعناد حتى صار بياض النهار الى
سواد وزادت بعبد مناة الاحقاد فصاح بمالك بن قراد صيحة الاسود وزعق زعقة عظيمة أذهلته وطعنه
طعنة قتلته فشك السنان في درعه وتخسه في ضلعه فوقع وقد أيقن بالهلاك وحل به الارتباك وانقلب
من فوق المركوب من ألم الجراح وشده راجح بن الصياح فزادت به الافراح واستخبر من عمرو عن نسبه
وعن عربه وعن الشيخ الذي معه وتهدد في طلبه فقال له نحن من بني عبس وهذا الشيخ أبي ثم أخبره
باسمائهم وكناهم فأهل عليهم وساقهم بعد ذلك وأراد هلاكهم ثم قال وحق الاله المعبود ولرب الموجود
لا أقيلكم حتى أعذبكم أشد العذاب وأذيقكم الذل والخسارة وأربطكم مع الكلاب لهمارة وأشفي بكم قلب
الاحوص بن جعفر ولقيط بن زرارة لانكم قد فجعتموني في أخي يوم وقعة بني فزارة ثم انه جاء عليهم بالسوط
حتى شفى قلبه منهم وقال لعبيده سوقوه هو ورجاله الى الاحياء ولا تفتروا عنهم بالضرب والعناء وانفذوا الى
اللقيط بن زرارة عبدا يعلمه بذلك ويأمره بالحضور وكذلك أنفذ الى بني عامر الذي لقاه شيبوب وأحضره الى
أخيه عنتر واستفاد منه الخبر فدنا اليه الحارث بن ظالم وضربه بذي الحيات طير رأسه عن جثته وقال يا أبا

الفوارس ان الصواب انه انا الحق عمك وتخلصه من العذاب قبل أن يهلك وأنا أعلم انه فى هذه المرة يصير لك أذل من العبيد وتبلغ منه ماتريد فقال له عنتر يا اخى وكم من مرة خلصته وهو لا يزداد الا عنادا وعتوا وفسادا ولكن له عندى شفيع قوى وهى عبلة ابنته التى هى كروحى التى بين الجنبين ولاجل عين تكرم ألف عين ثم أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

لو ان قلبك لى يرق ويرحم * مابت فى ألم الهوى أتألم * ومن العجائب أننى لا سهم لى
من ناظريك وفى فؤادى أسهم * هم يظلمونى بعد قربى قصدهم * صد الحبيب وذاك صد يازم
مع أننى أرضى بما يرضيهمو * ولاجل عين ألف عين تكرم

ثم انه أمر اخاه شيبوب أن يعدل بهم عن الطريق التى لبنى عامر حتى لا يعيقهم عائق ولا سائر ثم سار فى البرارى يطلب أرض العبرتين انتقر منه بنيل قصده اعين هذا وعنتر يتذكر ما لاقاه من ألم الهوى ومايقاسيه من البلوى وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

عذابك لى عبيلة ذاك سهل * وجور أبيك انصاف وعدل * تجورى واطابى قتلى وظلمى
وتعذيبى فانى لا أمل * ولا اسلو ولا أشفى الاعادى * فساداتى لهم فخر وفضل
أناس انزلونا فى محل * من العلياء فوق النجم يعلو * اذا جاروا عدلنا فى هواهم
وان حكموا لحكمهمو نذل * وعبلة فى هواها قل عزمى * وصبرى غير انى لا أمل
فكيف يكون لى عزم وجسمى * فنى حتى بقى منه الاقل * فياطير الاراك بحق رب
براك عساك تعلم اين حلوا * وتطلق عاشقا من أسر قوم * له فى حبهم أسر وغل
فلو ان الهوى رجل شجاع * طعنت اهابه والسيف يعلو * فقد جار الهوى من أجل قوم
أحلوا من دمى مالا يحل * ينادونى وخيل الموت تجرى * محلك لا يقاومه محل
وقد أمسوا يعيبونى بامى * ولونى كلما عقدوا وحلوا * لقد هانت صروف الدهر عندى
وهانوا أهله عندى وقلوا * ولى فى كل معركة حديث * اذا سمعت به الابطال ذلوا
أثير عجاجها والخيل تجرى * ثقالا بالفوارس لا تمل * وارجع وهى قد وات خفافا
تسيل الطعن وهى به تفل * وافعل فعل ذى عزم قوى * لدى الابطال لو فعلوه ملوا
وأضرم نار حربى كل يوم * على الاعداء ان رحلوا وحلوا * وارضى بالاهانة من اناس
أراعيهم ولو قتلى احلوا * واصبر للحبيب وان جفانى * ولم أترك هواه ولست أسلو
عسى الايام تنعم لى بوصل * وبعد الهجر مر العيش يحلو
وانى عنترة لعبس وذكرى * مدى الازمان فوق الشهب يعلو

{قال الراوى} وكان عنتر ينشد هذه الابيات والحارث يطرب لفصاحته ويتعجب من مروءته وقال والله يا أبا الفوارس لو جرى على بعض ماجرى عليك كنت قتلت عمى وكل من يلوذ به وسلبت نعمته وأخذت ابنته فقال والله ياحارث لا كان هذا أبدا ولو انهم سقونى كاس الردا لانه يا أخى كل مقدر كائن ثم انهم جدوا المسير سبعة أيام ووصلوا فى اليوم الثامن الى غابة الاسد وهى منازل بنى جبهان وكان نزولهم وقت المساء فقال لهم شيبوب لا تقطعوا بينكم الحديث حتى أدخل الى الخيام وانظر ماقد جرى وكم يخرج من الحى من الفرسان وأعود اليكم بالخبر اليقين فقال عنتر يا شيبوب أما قولك كم يخرج من الحى من الشجعان فنحن لا نبالى بالشجعان ونحن ها هنا ثلاث رجال نريد ثلاثة آلاف فارس من الابطال وأما دخولك الى الحلة وحدك فوحق ذمة العرب والحطيم وزمزم لا يدخل المضارب الا انا وأنت لانى اشتهيت أن ابصر عمى فى هذه النوبة وهو يقاسى الذل والعذاب فقال شيبوب ويلك يا ابن الام وكيف يكون ذلك ومالك بهذا الامر عادة ولا سابقة قبل هذا اليوم فأنا ما أطاوعك على هذا أبدا لانى أخاف عليك أن تقع علينا فاهلك أنا وأنت ويكون يا ابن الام آخر متابعتك لعمك الهلاك وعدم تمام عشقك وهواك على أنى اذا وقعت على العين فى الحال همزت

همزات الغزال بين المضارب والخيام فقال عنتر ويلك ايش هذا الحديث والكلام فأنا وحق من خلق الانس والجان لو أن أهل الحى بعدد الرمل والكواكب لا أترك منهما شيئا ولا أكب فقال شيبوب ان كان ولابد من هذا الحال فاخلع عنك السلاح وآلة الحرب والكفاح ثم البس مثل لباس العبيد حتى يتم لك ماتريد ثم انه لبس لباسا يصلح لمثل هذه الاشياء وكان معه مايلبسه وقت احتياجه اليه ودخلا الى غابة الاسد واحتطبا حزمتين من حطب وكانت حزمة عنتر كبيرة وشيالها دخلا الى الحى وقد أقبل الظلام ودخل شيبوب قدام واخترق الخيام امام عنتر لانه بهذه الامور أخبر ومازالا ماشيا بين المضارب والخيام الفساح حتى وصل الى مضارب راجح بن الصياح ومد شيبوب عينيه فنظر مالكا وولده عمرا مربوطين مع الكلاب وهما فى غاية الضر والاتعاب وقد تغيرت أحوالهما من العذاب وهما مربوطان فى حبال الاطناب فقال شيبوب لاخيه هذا يا ابن الام عمك وولده فانظر اليهم فحط عنتر حزمة الحطب عن أكتافه وأظهر انه يستريح من التعب وفعل شيبوب كذلك لانهما ما أقاما الا بقدر ما خرج راجح بن الصياح وكان حوله جماعة من العبيد والخدم وأخذ فى الحديث مع رعاته وصار يسأل منهم عن العشب والكلا وكل يحدثه بما يرعى فيه من الفلا الى أن قال له بعض العبيد يا مولاى رأيت اليوم عجبا وهو أنى كنت فى وادى البرحال وجزت عند المساء والابل بين يدى تسعى فى البيداء فلما صرت فى الطريق التى تأتى الى أرضنا من ناحية العلم السعدى رأيت فارسا أخذ يطرد غزالة وبين يديه رجل كانه النمر الارقم والفارس على فرس كأنه الليل اذا اظلم والرجل معه قوس عربية وكنانة بالنبل ممتلئة ولم يزل خلف الغزالة يريد أن يصيدها فوقفت انظر اليهما واذا بالرجل قد سبق الفارس ومسك الغزالة من قرنيها وهى فى جريها وأتى بها الى الفارس وسلمها اليه فلما صارت فى يده بكى بكاء شديدا ثم باسها بين عينيها وأطلقها ولم يكدر عليها ووقف وأنشد يقول

اذهبى فى الامان من كل شر * ماتوالت بسيرها الايام * لك من عبلة التكحل فى العيـ
ـن وجيد يثور منه الغرام * ورقيق القوام يحكى قواما * فوق خصر كانه الاوهام
وحماك الاله من كل سوء * وانثنت عنك ياغزال السهام

{قال الراوى} فلما سمع راجح بن الصياح من العبد هذه الابيات تعجب فانه وبالله يا لد الزنا ومتى كان هذا فقال يا مولاى آخر النهار فقال هذه صفات أسود بنى عبس وان كان قد غره الطمع أتى الى هذه الاماكن فى طلب هذين الاسيرين فأنا أقوده غدا أسير ويكون لنا الفرح التمام كل هذا يجرى وعنتر واقف يسمع كلام العبد ويتعجب من هذا العبد حيث حفظ شعره وقد كان تم له هذا الحديث مع أخيه شيبوب وقال هذا المقال فلما سمع عمه وولده صفات عنتر عرفوه وعلموا انه قد أتى لخلاصهم فقال مالك وحق الكعبة ان كان هذا الكلام صحيحا ونجوت من هذا العذاب الاليم على يد عنتر بن شداد لا أضمر له بعدها أبدا عناد ولا أسمع فيه كلام الاعداء والحساد لان البغى عاقبته نحس * هذا وراجح يقول لعبيده لقد أبطأ علينا خبر عبدنا بشير الذى أنفذناه الى الاخوص وكذلك العبد نازح الذى أنفذناه الى لقيط وأنا أريد أن أقتل هذين العبسيين وارتاح من التوكيل عليهم فقالوا له ماهذا صواب لانك قد أرسلت خلف سادات القبائل فاصبر حتى يحضروا ويقتل هؤلاء الكلاب يشتفوا وان أنت فعلت هذه الفعال ضاع تعب الاثنين ولامك الابطال فقال راجح اذا كان الامر على هذا فأنا انظر تمام هذه الليلة وغدا فان أتى أحد من الذين أنفذنا اليهم كان والا ضربت رقاب الاثنين وأهدينا الى بنى عامر والى لقيط الراسين * هذا كله يجرى ومالك وولده يتحسران على أنفسهما وعنتر وأخوه قائمين فى جملة العبيد كانهم متفرجين وكل واحد منهما متكئ على جوزته والليل قد سترهما ولما انتهى راجح من كلامه دخل الى خيامه وفى دخوله وثب عنتر على مالك بن قراد وولده عمرو وضربهما بالسوط الذى كان فى يده وقال لعن الله قبيلة انتم منها الا انكم قوم كثيرو اللجاج والاسراف قليلو المروءة والانصاف لا تعرفون عدلا ولا تعطون عطاء ولا بذلا بل الطمع لكم لباس والبغى أساس وها أنتم مشايخ بنى عبس الكبار وقد فضل عليكم عبد لا قيمة له ولا مقدار وأحسن اليكم ألف مرة وخلصك وولدك كم

من كره وهو عنتر بن شداد وقد سمعت انك أخذت مهر ابنتك منه شيأ جزيلا من المال وجازيته بقبيح الفعال وكذبت في المقال فلعن الله وجهك الكالح وفعالك الكثير القبائح ثم أوصى العبيد بحفظهم ودخل الى المضرب للنام وقد فرق الظلام بين القعود والنيام فقال شيبوب لعنتر احمل بنا الحطب لنذهب قبل الانكار فقال عنتر لا وحق الواحد القهار ومن أعشب القفار وجاد علينا بالسيول والامطار وأجرى الانهار وأدار الفلك الدوار فقال شيبوب وما تريد أن تفعل فقال عنتر اطرح هذه الاحطاب على النار التي قدام مضرب رابح وأهجم على هؤلاء العبيد الذين توكلوا بعمي وأضع فيهم الحسام وأطلق الاثنين قبل أن يذهب الظلام حتى لا أكون خاطرت بنفسي وأعود خائبا فزعان من الرماح والطعان فقال شيبوب ان فعلت هذه الفعال لا نصل الى الديار ولا نخلص من هذه الخيام والقفار فقال عنتر ويلك يا ابن السوداء أنا أخلصك ولو ان أهل الحي عدد رمل البيداء لانهم اذا سمعوا الصياح يطلبوا النار الشديدة الاضرام والاشتعال وأكون أنا قد خلصت عمي وولده من الاعتقال فخذهم أنت وسر ودعني أنا للقاء الرجال وملاقاة الابطال فقال شيبوب افعل يا أخي ما تريد وما عليه عزمت ولكن لا تلومني اذا رأيت الغلبة وانهزمت فقال يا أخي قف أنت قدامي وانظر العجب واذا رأيت الغلبة فانج بنفسك واطلب الهرب ودعني أنا أجد خلف القوم في الطلب ثم حمل عنتر حزمته ووضعها على النار وسل سيفه الضامي وأخرجه من تحت أثوابه وطلب البيت الذي فيه عمه وفعل شيبوب مثل فعاله وكان الموكلون بعمه مالك وولده ثلاث رجال وقد انطرحوا على الارض وعولوا على المنام فعبر عليهم عنتر ووضع فيهم الحسام فما ثار أحد منهم ولا قام الا وقد طار منه الهام وأما شيبوب فانه جرد خنجره ودنا من مالك وولده وقطع كتافهم وقال لهم قوموا وخذوا من سيوف القتلى ما تحتاجون اليه وهرولوا مع أخي وهو يحميكم واعرفوا له قدر هذه القصة فيكم ﴿قال الراوي﴾ فساروا عند ذلك وهم لا يصدقون بالنجاة من المهالك * هذا وعنتر وقف على باب رابح بن الصياح وأمهله الى ان خرج على حس الصياح ثم ضربه طير رأسه مع هبوب الرياح وسار على أثر أخيه خوفا عليه ممن يلتقيه وأوقدت الاحطاب وعملت نار الالتهاب بين الاطناب وتنابحت الكلاب وضج الحي من كل جانب وتجارى كل من سمع الصياح وحمل سيفه وطلب مضارب رابح بن الصياح وأراد كشف الاخبار وعاد الليل مثل النهار وذلك من وهيج النار * هذا وعنتر تصيح في مالك وولده عمرو ويخترق بهم المضارب والخيام وشيبوب في الاثر وسيفه في يمينه مشهر وصار عنتر يضرب يمينا وشمالا ويعدد بين الخيام الرجال الا أنهم ما خلصوا وصاروا في الصحراء الا بعد أن أهلكوا خلقا كثيرا وركب عنتر ومالك من الخيول الشاردة ما شاؤوا وأراد شيبوب أن يطلب بهم غابة الاسد فالتقاهم عروة والحارث بن ظالم الحجاج وقد أتوا على الحس لما سمعوا الصياح فعند ذلك ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وقال لهم سيروا بنا ما دامت بني جبهان مشغولة بقتل سيدهم رابح بن الصياح ولم يزالوا سائرين والحارث يهني عنترة بالسلامة ويقول لمالك أبي عبلة من يكن له مثل هذا الاسد الذي تهابه السباع في الغاب يبغضه ويهرب منه ويلقي نفسه في العذاب فقال مالك يا حارث دعني ولا تعذلني ولا تكسني ثوب الحياء والخجل فانا رجل كانت على عيني غشاوة وقد زالت لما أراد الرب القديم زوالها ثم انه ثنى رجله وترجل وتقدم الى عنتر واعتنقه واليه اعتذر وقال له اعلم يا ابن أخي انني كنت أقول بلساني خلاف ما في قلبي واليوم وحرمة البيت العتيق ان في قلبي من شكرك ما لا يصفه الواصفون وان أنا خنتك بعد هذه النوبة فما أكون انسان لانك من العذاب أنقذتنا وبعد الموت أحييتنا فطيب قلبك واقطع بنا هذه الارض ورمالها فما تصلح عبلة الا لك ولا تصلح الا لها فلما سمع عنتر كلامه زال ما في قلبه من هيامه وترجل الى عمه واعتنقه وقال له يا مولاي لو انك فعلت معي أضعاف ما فعلت ما قصرت في خدمتك ولا مللت لان العبد ما له أن يعترض على مولاه ولو قتله كل يوم وأحياه ثم شكره وأثنى عليه ودعا له وأعاده الى جواده وساروا يقطعون الارض وحين انجلى الظلام ولاح الصباح وأشرقت الشمس في البطاح لحقتهم الخيل من بني جبهان لان الفارس منهم كان يقصد النار التي أوقدها عنتر ويسأل عن حقيقة الخبر فاخبره النساء بما جرى على رابح بن الصياح

وانهن في غاية الحزن والافتضاح من كثرة الدم الذي قد ساح وسمع أصوات النساء والصياح فعاد الفارس منهم الى خيامه ولبس السلاح وركض في عرض البر والبطاح وكان من جملة من فعل هذه الفعال عبد مناة لانه لما أخبره النساء بالخبر وأبصر تلك الضربة عرف المعنى فركب وسار يطلب بني عدنان يقطع الارض رفعا وخفضا ونظر عنتر الى الخيل فلما أدركتهم وقف وقال لعروة وقد لوى عنانه وانعطف يا أبا الابيض خذ عمك عمي وولده والحارث وسر على ما أنتم عليه وأنا أرد عنكم الاعداء وألحقكم عند المساء فقال عروة لا وعز حياتك يا أبا الفوارس ما نتركك وراءنا ان شاء الله لا نرجع كلنا الا ببلوغ المرام واذا خفت ظهورنا سرنا الى حال سبيلنا وقال الحارث أيضا مثل ذلك واتفقوا كلهم على ذلك فقال لهم عنتر يا قوم الامر لا يستحق ذلك واذا كنتم لا تسمعوا لما أقول فافعلوا فكل فعالكم غير معقول هذا وعمه مالك أبصر الخيل متلاحقة به من كل جانب فأيقن بالبلاء والمصائب وخاف أنه ثاني مرة يقع وبكاس الموت يتجرع فقال يا أبا الفوارس أنت اليوم العدة لنا والعمدة وكل يوم تدفع عنا نائبة وشدة فدونك اليوم والاعدا فدتك عبس من الردا فبينما هم في ذلك الكلام اذ طلع عليهم غبار آخر من ناحية بني دارم وارتفع حتى اسودت منه الاقطار والمعالم وانكشف وبان من تحته مائة فارس من كل بطل مداعس وقرن ممارس وفي أكفهم الرماح الذوابل وعلى عواتقهم السيوف الفواصل وفي أوائلهم الطويل الركاب المسمى في الحرب بالعقاب اللقيط بن زرارة وقد أتى يشتفي من مالك بن قراد وولده عمرو ولما رأته بنو جبهان عرفته ومالت اليه بالحال وأخبرته ورفعت أصواتها اليه بالصياح وأعلمته بما جرى على رابح بن الصياح وبان عنتر خلص عمه مالك وولده فقال اللقيط وقد فعل عنتر ولد الزنا هو وأخوه شيبوب هذه الفعال لكن لا يستغرب ذلك لانهما كثير الاحتيال جسوران على لقاء الاهوال وبمثل هذا خلصوا من يدي الهطل وأهلكوا رجالنا والابطال ولكن ما بقي لهم من يدنا خلاص بعدما وقعت العين على العين وأنا لا بد اليوم أن أستوفي منهم الدين فاحملوا بنا كلكم ولا تحتقروهم لاجل قلتهم فيكم وكم بالرماح والصوارم والصفاح ولا سيما ان كان فيهم الحارث بن ظالم ثم انهم حملوا وهو في أوائلهم وأضاء البر ببريق الاسنة وأطلقوا للخيل الاعنة وعلت الضجة والرنة * هذا وقد اشتد الامر على مالك وولده عمرو ونادوا باسم عنتر الاسد الكاسر وأكثروا من الشكر باطنا وظاهر * هذا وعنتر قد زاد به الفرح وعلم أن سعده قد حصل وحاله قد انصلح فقال لعروة يا أبا الابيض أعاحب اليك الميمنة أم الميسرة أو تلقى أنت اللقيط وحدك وأنا أرد الخيل كلها فقال الحارث ودعني أقف أنا هكذا بلا شغل ولا سبب لا وحق ذمة العرب أنت تعلم ان اللقيط خصمي وبيني وبينه عداوة وهو الذي سلمني الى الملك النعمان ولا بد لي من ملاقاته في هذا المكان فاقصد أنت وعروة وعمك وولده ما تريدون وقاتلوا من تشتهون ثم ان الحارث همز بجواده بعد تلك العبارة وقصد الى ناحية اللقيط بن زرارة ولم يلتفت الى أحد ولما أبصر عنتر فعاله وهو يدمدم دمدمة الاسد فرح بكثرة العدد وزاد سروره وزال عنه الكمد فانشد يقول صلوا على طه الرسول

مضى الحقد من قلب عمي وزالا * ولما رأى الحق خلى المحالا * وقد سر قلبي بما قاله
فكيف اذا ما رأيت الفعالا * وان أخلف الوعد سلمته * الى من برأنا وأرسى الجبالا
وحسبك من رجل كلما * خضعت له فعلى استطالا * أنا عندهم يوم طعن القنا
أجل الفوارس عما وخالا * وان صار في أهله آمنا * فامي زبيبة أرعى الجمالا
فيا سيف كن حاكما بيننا * اذا ما حضرنا جميعا قتالا * ومن فر أومل طعن الرماح
فقل للاح تزدهي لالا * وما قد مضى قد مضى أمره * ومن قاتل اليوم حاز الجمالا

﴿قال الراوي﴾ وكان عروة بن الورد حمل لحملته وسمع حسن أبياته وتعجب من انشاداته وكذلك عمه مالك وولده عمرو واحتاجا ان يقاتلا عن أنفسهما فعند ذلك حمل واتصل الطعن وقطع الضرب للاكباد وصارت الشجاعة مثلا بين الاقران وشربت الاسنة من دماء الفرسان واشتكت الرماح في الكبود والكلا وقد اكتست

الارض من الدماء جدولا وجرى بين اللقيط والحارث حرب ما جرى مثله للجبابرة العلا وملأ عنتر الارض بالقتلى واسكن فى القلوب خوفا ووجلا وأبصر عمه مالك منه نارا لا تصطلى فحار عقله وصار منذهلا وأمن على نفسه من الاعداء وقر فؤاده وهدا وفى آخر النهار قصرت الفرسان عن عنتر وتأخرت الذئاب من خيفة الاسد وقل منها العدد وتبددت بنو عبس خلف الفدفد وعاد الى الحارث بن ظالم فوجده مع اللقيط بن زرارة وبنى دارم وقد قتل منهم أحد عشر بطلا ولما قتل جواده تكاثروا عليه واللقيط يزعق عليه ويضاربه وقد طمع فى جانبه فعند ذلك حمل عنتر لما رأى ذلك وحطم القوم فأباد الرجال وأهلك الابطال وطلب اللقيط أشد الطلب ونثر من حوله المراكب بالسيف المشطب فبينما هم كذلك واذا بعروة بن الورد قد اعترض اللقيط وجد له فى الطلب وطعنه فى جنب جواده فانقلب وتنكب عن مركوبه وكان مشتغلا بالفرسان وبالحارث بن ظالم فاشتغل عنه بنفسه وانكفت عنه الفرسان ووقف عروة على الحارث حتى ركب على جواد من الخيل الشاردة وصاح اللقيط يا بنى عمى اكشفوا عنى العار ولا تولوا الادبار وتطلبوا الهرب والفرار فانى سوف أشد جرحى وأعود اليكم فعندها صبرت الرجال على العطب واختارت الموت على الهرب وكانت لهم ساعة تشيب لها الاطفال الى أن أقبل الليل بالانسدال ومد على الخافقين ذيلا وسربال وولت فوارس بنى دارم وقد ألهبها عنتر بالطعن الدائم وما راح منهم سالما الا من كان فى أجله تأخير وكان اللقيط قد أظهر الجلد وأراد الثبات فما قدر من ألم الجراح ونظر أصحابه قد هلك أكثرهم وبقى أيسرهم فنجا بنفسه وفى قلبه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى حيث جرى عليه ما جرى من خمس فوارس وعاد عنتر والدماء تقطر من جوانبه وعمه لا يغفل عن الشكر له والثناء عليه فقال عروة لمالك بن قراد يا مالك دع مكرك واذكر القتل والقتال ومن حين تصل الى الاحياء سلم ما فوجه بعبلة ذات الدلال فى تجد لها كفؤا مثله فقال مالك والله لقد صدقت يا بالابيض وأنا أقسم بمن لا تدركه الاوهام ولا يخشى من المعارض فى ملكه اذا عرض ولا يخفى عليه لفظ الانسان ولو كنت الليلة فى أرضنا لزففتها عليه عند الصباح وتركت جمالها له مباح فجازته اللات والعزى عنى خيرا وانى قد عجزت عن شكره وكل لسانى فاعفيانى من اللوم واتركانى فقال عنتر وقد زاد فرحه يا ابن العم خل عمى يفعل ما يشاء فانا عبده ان أحسن الى أو أساء ثم ساروا يطلبون البيداء تحت أذيال الدجا وشيبوب بين أيديهم يسير الى ان لاح ضياء الفجر وبدا وقد تباعدوا عن ديار الاعداء وعنتر لا يقر له قرار ولا تهدأ له نار ويشتهى لو كان طيرا طار حتى يصل من ساعته الى الديار وينظر وعد عمه وما يصنع من الجميل والآثار وهل لا يصدق بتلك الاخبار وهل يصدق فى وعده ويفعل ويوصل القول بالعمل وكانوا أتوا حلة غير واعليها ونهبوا أموالها وقتلوا من يخرج اليهم من رجالها الى ان قاربوا أرض الشربة والعلم السعدى وقد صار معهم مال عظيم وأرادوا ان ينفذوا شيبوب قدامهم بشيرا واذا هم قد طلع اليهم رجل أعرابى وهو سائر يهيم بين الروابى ولما أبصرهم صار اليهم قاصدا وانحرف نحوهم عامدا وصار ينادى يا للعرب ما أقربها من طريق وما أحسن أوقات السعادة والتوفيق فلما سمع عنتر هذا الكلام تعجب كل العجب ونظر الى الاعرابى فرآه اليه اقترب واذا به من عند الملك قيس بن زهير فقال له عنتر ويلك الى أين يا ابن الخالة فقال له الملك يا ابا الفوارس لآخذن خبرك واقفو أثرك فقال عنتر ولم ذلك فقال له يا مولاى ان الملك قيس قد أقلقه التذكار لبعدك مما حصل له لاجلك من الافكار وقد احترق قلبه بالنار وسأل أباك عنك فذكر له انك قد سرت فى طلب عمك وانه ما يعلم أى طريق سلكت فضاق صدره لاجل غيبتك ودعا على عمك بالهلاك وصار ينفذ فى البيداء جماعة بعد جماعة وكل أصحابى عادوا خائبين من أخبارك الا أنا لانى أمس خرجت من الاحياء وقد ضمنت على نفسى انى ما أعود الا بخبرك فبلغنى الله تعالى ذلك وقصر على المدا وأزال عن قلبى التعب والعنا فقال له عنتر ايش عندك من الاخبار من جهة أبى شداد وفريق آل قراد وكان قصد عنتر ان يستمع أخبار عبلة فقال له العبد والله يا مولاى ما الناس الا على شرف المهالك والفتن وخراب الديار والدمن فخفق فؤاد عنتر على بنى عبس وقال ويلك يا نسل اللئام ولم ذلك فقال له يا مولاى لان حذيفة بن بدر

رجل باغى وأنت تعرف ما فى رأسه من الحماقة وانه ما يشتهى أحدا من بنى عبس لا سيما والربيع بن زياد عنده وهو يغويه لاجل ما فى قلبه منك ومن مولاى قيس ومن جميع أولاد الملك زهير وفى هذه الايام جرى بينه وبين مولاى الملك قيس ملاججة وكلام من جهة سباق الخيل والناس اليوم كلهم خائفون من الحرب والويل

﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك أن الملك قيسا لما ضاق صدره لغيبة عنتر انفذ العبيد كما ذكرنا فى طلبه وعادوا اليه وقالوا له ما عرفنا له خبر ولا وجدنا له أثر ثم تقدم اليه عبد من بعض العبيد وقال له يا مولاى أنا أتيت اليك بخبر أحب اليك من سائر البدو والحضر فقال له وما هو الخبر فقال له انى لما درت على عنتر ما وقعت له على خبر فعبرت على حى بنى تميم وبت فى بطن من بطونهم يقال لهم بنو رباح ولهم مقدم يقال له جابر بن عوف ورأيت فيها يا مولاى مهرا محجل الاربع يقال له داحس وهو لرجل يقال له مكرم وحق البيت الحرام والحجر الاسود والرب العظيم الباقى على الدوام ما نظرت عينى صورة مثل صورته ولا أسرع منه فى المجال ثم لج العبد فى صفته فاشتغل به قلب الملك قيس وأعجب بحالته وكان هذا المهر أعجوبة من العجائب التى فى ذلك الزمان ما رأت العرب أحسن منه لانه كان أوفى الخيل حسبا ونسبا وان العرب كانت تسمى هذا المهر داحس وأبوه العقاب وأمه يقال لها جلوى يحسدها البرق على سرعتها وتكل الخيل عن ادراك مسابقتها والقمر يستحى من غرتها والغزالة تستعير من بهجتها وهذه الحجرة والحصان كان يفتخر بنو رياح على سائر العربان وكان الحصان لرجل اسمه كريم * ويقال ان فى بعض الايام كانت الحجرة مع عبد من العبيد والحصان مع ابنة كريم وهما على الغدير فادلى الحصان ولعب بأربعته وسحب مقوده فضج صبيان الحى منه فاستحت الجويرة وأطلقت المقود من يدها ودخلت الى بعض المضارب والحال من شدة الحياء والخجل وكانت الحجرة طالبة فلحقها الحصان وقفز عليها ولما نزل عنها خرجت الفتية من المضرب فربطته على معلفه ولما أتى أبوها ونظر الى عين جواده فعرف انه قفز فاغتاظ من ذلك أشد الغيظ وقال لها ايش الذى جرى على جوادى حتى انقلبت عيناه بعد السواد بالاحمرار فما وقع الا خبر من الاخبار ثم انه لج على ابنته فأخبرته بما جرى فزاد غيظه وغضبه وخرج الى وسط الحى ونادى يا آل رياح يا آل رياح فأتت اليه الفرسان من كل جانب وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وقال والله يا بنى عمى ما أخلى جوادى ينزو على جلوى ولا أصبر على هذا الحال ولا أبيعه بمال ولا أريد ان يكون لفرسى مثال فقالوا وما الذى تريد ان تفعل من الفعال وقد نفذ الامر فكيف يكون الحال فقال ائتونى بالحجرة وأوقفوها بين يدى حتى اغسل حياها ولا أدع ماء جوادى يجوزها ولا وذمة العرب أسلط عليها من يقتلها فعند ذلك أتوه بالحجرة وقالوا له افعل ما تريد فقام على أقدامه وبل يده ودسها فى التراب وأدخلها فى حياها وجرف ما فى جوفها فازدادت جمالا كما أراد الرب القديم اله موسى وابراهيم ولما حال عليها الحول ولدت لها مهرا ما نظر شكله فسماه داحس لاجل ما دحس كريم يده فى أمه جلوى ولكنه خرج أحسن من أبيه عقاب وأقوى منه أعصاب وأوسع صدرا وأصبح للآداب أعجوبة لمن تعجب ويقال انه عبر مع أمه جلوى فى بعض الايام فنفر كريم وأخذه وقال هذا مهرى وأنا أحق به من صاحبه وبلغ الخبر الى صاحب المهر فجمع سادات العشيرة ثم أتوا اليه فلاموه وعنفوه على ما فعل ثم انهم قالوا له أيها السيد أنت بالامس فعلت فى حجرة ابن عمك ما فعلت وحكمنا عليه بذلك واليوم تريد ان تغصبه وتأخذ ماله فقال كريم يا بنى عمى لا تطيلوا الخطاب وحق من أخرج العشب من التراب وخلق ابن آدم من الارحام والاصلاب ما أعطيه اياه الا أن تقتلونى عليه وتأخذوه منى غصبا فخافوا من اثارة الفتنة فقالوا والله لا نقاتلك ولا نفاصلك أبدا ولا نجعل العرب تضرب بنا الامثال فانت عزيز عندنا من ذلك لاجل ما بيننا من صلة الحسب والنسب وتركنا لك المهر ولو كان صنما من ذهب وكان صاحب المهر مكرم موصوفا بالجود والكرم وانه لما رأى اللجج غير ممدوح قال يا ابن العم المهر مهرك وهذه الحجرة موهوبة لك هدية منى اليك حتى لا أفرق بينه وبين أمه ولا أكون ممن يجنى ماله من ابن عمه ثم ان مكرما صرف عنه وترك المهر وأمه فاستحسن سادات العشيرة فعاله وشكروه على حسن أعماله واستحيا كريم من مكرم وكرمه عليه وأفضاله

فانفذ اليه الجرة ومعها قطعة جيدة من نوق وجمال فخرج ذلك المهر باهر الصفات قليل الشبيه والمثال وكان صاحبه اذا اراد ان يسابق عليه يقول لخصمه اسبقني رمية نشاب حتى الحقك واسبقك بعون رب الارباب وصيح فيه فيسبق البرق البارق ويخيل للذي يراه انه سهم راشق فيفوت الريح ثم يتمطى في البر الفسيح ﴿قال الراوي﴾ ولما وصل الى الملك قيس صفته تعلق به قلبه وطار لاجله لبه ثم ارسل الى صاحبه مكرم رسولا ليشتريه منه ويبذل فيه مهما طلبه من النياق والجمال والفضة والذهب اعز الاموال فقال مكرم لما سمع رسالة قيس وقد عمل معه الغضب والله ما قيس الا جاهل قليل العقل والادب أيظن اني تاجر ابيع الخيل واني ابيع فرسي الجواد الذي اتقي عليه الاعادي والاضداد وانا وحق رافع هذه القبة الخضراء وساطح الغبراء لو كان قيس أرسل يطلبه مني هدية لكنت انفذته اليه ومعه قطعة من النوق والجمال واما على سبيل البيع والشراء فهذا شيء لا يكون ابدا ثم رد الرسول بغير فائدة فعاد الرسول الى الملك قيس واخبره بما جرى فزاد به الهيمان واشتعل قلبه بالنيران وركب وسار الى بني رياح في الف فارس من بني عبس غائصين في الحديد والسلاح ولما قارب ارضهم غار عليهم عند الصباح وجعل اموالهم مباح واخذ منها جملة وسامها الى مائتي فارس ودخل بباقي الفرسان بين المضارب والخيام وكان اهل الحي آمنين من الاهوال وما في الحي الا نفر قليل من الرجال فحطمهم بنو عبس حطما واهلكوا منهم الرجال وهشموهم هشما وسبوا منهم النساء والعيال وملكوا الاماء والاطفال وارتفع الصياح من اليمين والشمال وكان مكرم مع فرسان قومه غائب وداحس مقيد في وسط الخيام والمضارب لانه كان من شفقته عليه لا يحضر به قتالا ولا يباشر عليه حربا ولا نزال فاما حضر مكرم ورأى بعض اطناب البيوت تتقطع والنهب في البيوت قد وقع اتى الى داحس عبد من الحلة واراد فتح قيده فما قدر فعند ها ركبه وهو مقيد ودق بكعبيه على جنبيه وصرخ بين اذنيه والقيد في يديه فمن شدة نخوته صار يهمز كهمزات الغزال اذا راعها الصياد باشراك حيلته فلما صار في البر تجارت فرسان بني عبس وراءه بخيول مثل الطيور فما لحقوا له غبار ولما ابصر الملك قيس ذلك لحقه الانبهار وزاد به شغفه وعظم عليه تاهفه ولم يقدر على الحاقه فقال لبعض العبيد الذين أسرهم هذا هو داحس قال نعم يا مولاي فقال قيس والله ما قصر مكرم فيما بي ثم تبع قيس العبد الذي هو راكبه حتى قاربه وكان قد نزل من عليه وفك قيده من يديه وعاد الى ظهره يريد الهرب فنادى به قيس لا تفزع يا وجه العرب واصبر علي حتى اكلمك ولك مني الذمام والاكرام فقال له العبد قل ما تريد ولا تطمع في داحس ولا تكن له مدانيا ولا ملامس فانك لو كنت على الفلك الدوار ما لحقت منه الغبار فقال الملك قيس وحق ذمة العرب لقد صدقت يا فتى وما انا ممن يطمع نفسه بالمحال والامل الكاذب ولكن ان اردت بيعه فاني له راغب فقال العبد انا ما أبيعه الا بكل هذه الغنيمة ويعز علي ان ابيعه بهذه الغنيمة لانه لو اشتراه الانسان بملء هذه الفلا لا يكثر فقال قيس اشتريت يا غلام وحق مسير الغمام المخالف بين الضياء والظلام وهذه يدي لك على ما ذكرت من الكلام واني مسلم لك جميع ما ملكت بنو عمي من الاموال والانعام ولا يتبعهم منها عقال ولا خزام فلما سمع العبد هذا الكلام طاب قلبه ونزل عن الجواد وتسلمه قيس بنفسه ففرح به قيس غاية الفرح وعاد الى بني عمه فرحان وحدثهم بالذي جرى فاطلقوا سبيل الاسارى وخلوا سبيل النساء وردوا الرجال والمال وعادوا من وقتهم وطلبوا الديار والاطلال والملك قيس على متن الجواد قد حس بروحه انه فوق السبع الشداد ولما وصلوا الى ارضهم ونزلوا في الخيام زادت محبة داحس في قلب الملك قيس ووصل الخبر الى بني فزارة فحسدوه عليه وارادوا ان يدبروا على هلاكه وينفذوا له بعض العبيد يقتله فقال الربيع يا حذيفة لا يتم هذا الامر لك ولا تقدر عليه في هذه الايام حتى يشبع منه قيس ويمله ويندبر له من يقتله ﴿قال الراوي﴾ واتفق انهم عملوا وليمة لها قدر وقيمة وكان قرواش بن هاني ابن عم الملك قيس عندهم زائرا فاحضروه في وليمتهم واقعدوه في منادمتهم ولما اكلوا واخذوا في شرب الراح واقداح المدام جرى بينهم ما جرى من حديث سباق الخيل وجريانها فقال قرواش والله يا بني فزارة ما على وجه الارض اليوم اجود ولا اسبق من فرس ابن عمي قيس وما بقي بعده للخيل قدر ولا قيمة لانه والله مدهش

لمن يراه وشهوة لمن اشتهاه وما زال يلج في وصفه حتى قال حمل بن بدر كذاك يا قرواش تحدثك بكلام لاش في لاش واعلم ان ما في الارض مثل فرسي وخيل اخوتي ولا ربي في العرب مثلها ولا اسبق منها ثم انه في حماقته امر العبيد الذين له ان يأتوا بالخيل وقال اعرضوا على قرواش خيلنا حتى يعلم انه لم يكن يراها ولم ينظر اليها ولا يبقى لفرس ابن عمه مع خيلنا قيمة ففعلت العبيد ذلك وعرضت عليه كل الخيل وهي تتجلى كالعرائس فلما رآها قرواش قال والله ما بها افتخار ولا تنجي من الاخطار فساقوا بعدها خيول حذيفة بن بدر وكان له حصان يقال له صادق وحجرة يقال لها الغبراء فقال حذيفة لقرواش كيف ترى فقال قرواش والله يا ابا حمار انهما ما تساوي علفها ولا تصلح للفخار فقال له حذيفة ولا حصاني ولا حجرتي الغبراء فقال قرواش انهم ما يساووا من داحس الغبار فقال حذيفة كذبت وحق ذمة العرب ما اظن احدا ملك مثلها ولا ربي شكلها فقال له قرواش لا تطل ما في خيل العرب مثل داحس لمن يفاخر ويقايس ثم تلاججا في الكلام فقال حذيفة انت لقلة عقلك وعدم صحة نقلك تشكر فرس ابن عمك على سائر خيول بني فزارة وتخيره على صادق والغبرا فانظر ماذا ترى من المعقول واقل مما تقول فقال قرواش هذا كله شيء لا يقال ولا يبلغ به احد آمال وانهم ما يسووا من داحس ظفرا واحد ومن يفتخر به نال جميع المقاصد فقال حذيفة تراهنني يا قرواش على فرس ابن عمك قيس فقال قرواش نعم اراهنك ان فرس ابن عمي داحس يسبق كل فرس كان في بني فزارة فقال حذيفة وقد زاد به الغيظ والوهم وقد ذكرنا حماقته فيما تقدم لا يا قرواش انا ما اظن ان حجرة احد تسبق حجرتي الغبرا قال قرواش والله لقد غرك الطمع وخدعك المحال وانا ما اراهنك الا على عشرة جمال ثم تعاقدوا ووضعوا الرهان على سباق داحس والغبرا وتعوا على ما هم عليه الى ان اصبح الصباح فركب قرواش وعاد الى بني عبس وكان قيامه وقت السحر فاشرف على الديار وقت غروب الشمس ولما وصل قرواش دخل على ابن عمه قيس وحدثه بما جرى بينه وبين حذيفة من الملاججة في حديث الخيل والرهان فقال قيس والله لقد اخطأت وحق ذمة العرب لقد وقع الشر بين القبيلتين كنت احب ان تراهن من شئت من العرب غير حذيفة وبني بدر لانهم قوم كثير واللجاج لا سيما وعندهم اليوم الربيع بن زياد وهو الذي يحسن لهم البغي والعناد فعندها قال قرواش والله يا ابن العم لقد اوجبنا الرهان وشهدت بذلك علينا العربان وما بقي لنا منه بد فقال قيس انا اركب وامضي الى القوم وازيله لانه يجب الشر ويعاينه وان كان تركه خيرا من الجد فيه فقام قيس من وقته وساعته وركب في مائة فارس من قومه وسار بنفسه في مهابته وكمال عقله وفضيلته حتى قدم على حذيفة بن بدر واخوته فرآهم كلهم مجتمعين يأكلون وبين ايديهم قصعة خبيص فلما راوه قاموا اليه وعظموه وداروا به وعن جواده انزلوه وزادهم بين يديه قدموه وحلفوا عليه ان يأكل معهم فاكل معهم وصار يلقم لقما كبارا فقال له حذيفة وقد اراد ان يمزحه يا قيس ما اكبر لقمتك ابعد الله يا ابن العم عنا نقمتك فوالله لو علمنا انك جائع ما عزمنا عليك فقال الملك قيس والله يا بني عمي لولا اني اراكم تاكلون الخبيص ما اكلت وكيف اراه عندكم واتركه مع اني نفسي تشتهيه وبعد ذلك فاني ما اتيت الا لازيل عن ابن عمي قرواش الرهان وانا اسأل الاقالة فيه فقال حذيفة انا والله ما ازيل الرهان ولا اقبل فيه سؤال ولا يزول الا بالنوق والجمال واذا حضر وافانا المخيران شئت تركت سبقي وان شئت اخذت حقي فلما سمع الملك قيس هذا الكلام اغتاظ وصعب عليه وكبر لديه وكدره القول فما ازداد الا لجاجة وكان حمل اخو حذيفة حاضرا ومعه جماعة من سادات بني فزارة فصاروا كلهم يتضاحكون على قيس ويهزؤن به كلما راوه يزيد في الشغب فزاد بقيس البلاء والغضب وهانت عليه المصائب والآفات والنوائب وقال يا ابا حجار على كم كان الرهان والاتفاق فقال على عشرة من النوق يؤديها المسبوق وتكون من خاص الجمال والنوق فقال قيس يا حذيفة جميع ما فعله ابن عمي قرواش لاش في لاش وانا اريد عوضه ان اجعل الرهن بيني وبينك على عشرين ناقة وتكون بيني وبينك المسابقة فقال حذيفة وذمة العرب ما اسابقك الا على ثلاثين فقال قيس على اربعين فقال حذيفة على خمسين فقال قيس على ستين وما زالوا على زيادة وملاججة ولجاجة الى ان اوصلوا الرهان الى مائة ناقة واتفقوا

على سباق الخيل بعد تضميرها أربعين يوماً فقال قيس لحذيفة وتكون المسافة للخيل من مائة غلوة ويكون الرامي اياس بن منصور فقال حذيفة واسبق لي غدير ذات الارصاد فقال قيس وأنا رضيت بذلك فقال شيخ من مشايخ العشيرة يا للعرب وقع والله الشر بين القبيلتين من بني عدنان ولابد أن تضرب بهذين القبيلتين الامثال على توالي الايام والليال وقال بنو زنباع أعمام الملك قيس مثل هذا المقال وما فيهم الا من خشي من الحرب والقتال وما زالوا يعذلونهم في ترك الرهان ويقولون لحذيفة والله ما كان جواد قيس الا مثل ناقة حرب البسوس ولابد أن يصير مثلاً للقيام والجلوس ثم قالوا لحذيفة ان قيساً أتى يزيل الرهان عن ابن عمه فلا تجبه وعمل معك العجب حتى انتهى الامر الى مثل هذا ونحن نسألك أن تزيل الرهن عن ابن عمك ولا تشغل قلبك ولا تشعل للحرب نار تحرق الكبار منا والصغار فقال حذيفة يا اياس اعطني مائة ناقة وأنا أزيل عنك الرهان وكثرة الهذيان فقال اياس وقد اغتاظ من كلامه والله يا عم ما أنت الا رجل كثير اللجاج والبغي ولا سيما وأنت لا تسمع مقال ولا يخطر لك الموت على بال وأنت منا وعلينا على كل حال ولابد لنا أن نشهد معك ان كنت على الحق أو على المحال ثم انه أشار اليه وقال

حذيفة ما فيك من هجنة * ولا في طهارة قيس دنس * لان له سطوة في الامور
يسود بها قومه ان جلس * فما فوق سودده سودد * ولا فخر الا له يقتبس
فراهن لمن ليس في ملكه * جواد ولا لابيه فرس * ودع عنك قيسا بقيس له
عزم قوي لاخذ النفس * ولا سيما داحس في الرهان * فان شاء سار وان شاء جلس
جواد اذا سار تحت الغبار * يطير بلا ريش كالقبس

﴿قال الراوي﴾ ولما سمع حذيفة مقال اياس قال له يا اياس انا ما أرجع عن رهاني بهذا الكلام ولابد أن آخذ من ابن زهير النوق والجمال على التمام فقال قيس والله ما أخلي لك من الرهن لا ناقة ولا عقال ثم انه عاد الى بني عبس وهو من الغيظ في الانكاد وأمر العبيد أن يضمروا الجواد ويجتهدوا في خدمته كل هذا جرى وعنتر غائب في سفره وما عنده خبر من ذلك الامر وهو في خلاص عمه مالك وولده عمرو وفي ذلك اليوم وصل عنتر من السفر وأخبره العبيد بذلك الخبر فاشتغل قلبه ودخل الى الخيام وحمل هم الملك قيس وزادت به الآلام واشتد غيظه على بني فزاره وأضمر في نفسه أن يوقع بهم الذل والخساره ولما علم به بنو عبس اشتدت ظهورهم واستبشروا ببلوغ المآرب لانهم خافوا أن يقع الحرب بينهم وعنتر غائب * هذا وعنتر قد اشتغل عن كل انسان وما كان له هم الا فرجته على ذلك الحصان فرآه أعجوبة الزمان فعاد الى الملك قيس وسلم عليه بأحسن سلام فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس لا يقر لنا قرار وأنت غائب عن الديار ولو انك تعلمنا قبل مسيرك بأحوالك ما يكون علينا باس ولا تدعنا لاجل غيابك في وسواس فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه وقال أنا ما أشتهي أن تتعب قلوب ساداتي في قضاء حاجاتي لان أموري ما لها حدود ولا يعلم بحالي الا الملك المعبود ثم حدثه بما جرى لعمه وكيف خلصه من همه وغمه وأعلمه بانه قد صفا له قلبه وعرف حقه لما فرج كربه ثم انه قال يا مولاي ان قصتي شرحها يطول وما هذا وقت اطالة ولا يحتمل المقالة لاجل قلبك المشغول لاني سمعت ما جرى لك مع حذيفة بن بدر ونظرت فرسك داحس فرأيته من الخيل الاصائل ولا رأيت في القبائل له مثال ولا ملكت مثله الملوك أصحاب المنازل العوال فطيب قلبك ولا تحمل هم السباق فانت الظافر بالجمال والنياق فقال قيس يا أبا الفوارس ما أنا حامل هم السباق ولكن أنا خائف من شؤم عاقبة بني بدر لان حذيفة طبعه المكر والغدر وهو عظيم الكياد وعنده مثل الربيع بن زياد وهو يزيده ضلالا وابعاد وأنا مضيت لهم بنفسي وطلبت منهم الاقالة فما أقالوني بل تضاحكوا علي وحقروني وهذا دليل على انهم ما يسابقوني الا ليقاتلوني ويحاربوني فقال عنتر يا ملك سابق أنت أقوم على الشرط الذي جرى فان أنصفوا والا فبعينك سوف ترى وسأبدل ضحكهم ببكاء وتخلي حريمهم يندبن على الرجال صباحا ومساء لان فينا مجازاة لمن أحسن ولمن أساء ولا يكون هذا الكلام الا اذا ظهرت الخيل وجرى السباق وأكون أنا قائما أشهد وان

تجري أمر فاقعد أنت ولا تكلم أحد وأنا أخلي شملهم يتبدد ثم طيب قلب الملك قيس وعاد الى أبياته والحارث بن ظالم يقول والله يا أبا الفوارس ان ترك هذا الامر خير من الجد فيه لان بني فزارة أقرب الناس اليه ثم قال وان حاربناهم قطعنا أنسابنا بأيدينا فقال عنتر والله يا حارث ان بغي حذيفة على قيس لا يسقيه كأس العطب لان البغي يقطع الحسب والنسب وفي تلك الايام وصل صهر الحارث سنان بن أبي حارثة من عند الملك النعمان وأخبره بنو فزارة ان الحارث في بني عبس وانهم قد أجاروه وأعطوه الذمام وحلفوا انه لو اجتمع كل من في الارض ما سلموا منه شعرة واحدة وقالوا هذا الذي قتل غريمنا خالد بن جعفر وأخذ بثارنا ولابد أن نقاتل بين يديه كل فارس يذكر وكان في قلب النعمان من الحارث نار لا تطفى ولهيب وحسرة تخفى ومراده أن يعلم من أجاره من العربان وكان يسمع أن المتجردة أخت الملك قيس هي التي سعت في خلاصه ولولا محبته لها كان قتلها وندم أيضاً كيف وقع في يده وأبقى عليه وأقسم انه ان رآه قتله ولم يزل على مثل النار حتى وصل اليه رسول الربيع ابن زياد وأخبره انه في بني عبس وانهم قد أجاروه فلما سمع ذلك النعمان اشتد به الغيظ وأراد بذلك تأكيد القصة وأن يرسل الى قيس رسولا ليركب الحجة عليه ووصل سنان بن أبي حارثة كما ذكرنا وعلم به قيس فانزله في خيامه للضيافة وفي الغد أحضره وسأله عن خبره فقال له يا قيس ان النعمان ملك العرب قد سمع أن الذي قتل ولده عندكم وقد أجرتموه وحلفتم له انكم لا تسلموه الا بين يديه وقد أحسن الظن فيكم الملك النعمان وقال أنا ما أصدق هذا الكلام في صهري الملك قيس لان لي فيه اعتقاد وأرجو منه النصرة على الاعداء والحساد ولا أقول انه يضيع ما بيني وبينه من القرابة أبدا ومن كثرة ما تواترت عليه الاخبار أرسلني أكشف أخباركم وأبصر ان كان الرجل عندكم أمرتكم بالقبض عليه وتسليمه الي حتى أوصله اليه والصواب يا ملك أنك تجيب ملك العرب الى ما طلب ولا تقطع ما بينك وبينه من النسب ولا تردني خائبا فيكون سبب الهلاك والعطب وربما يأخذه اللجاج ويرسل اليكم الفرسان من أرض العراق الى أرض تهامه فتقع بكم الندامه وترجعوا على أنفسكم بالملامة ولا تظن يا قيس انك أشفق على الحارث مني لاني أنا زوج أخته ولي في قلبه المنزلة العالية التي ليس لها نظير ولكني لا أقدر أن أخالف الملك الكبير والرأي عندي انك تقبض عليه وتسلمه لي وترسل الى أختك المتجردة حتى تسأل فيه الملك النعمان فان قبل حصل المقصود وأنت تكون قد فعلت المجهود فلما سمع الملك قيس كلام سنان قال له أنا ما أصغي الى هذا الهذيان وقد علمت ان الحارث قتل قاتل أبي وخاطر بنفسه ولما وقع في يد النعمان خلصته أختي من الهلاك والنكاد وأرسلته الينا لعلمها انا لا نسلمه لاحد من العباد وانه لو وصل الينا ونحن في الديار كان لنا في ذلك الاختيار ولكنه لتمام سعادته لقي سبينا مع بني عامر فخلصه بحسامه الباتر وصار فضله علينا أول وآخر وما بقينا نقدر على مكافاته الا بحفظه ومراعاته والرجل نازل عندنا وقد أجرناه ولو أتى النعمان بنفسه ما سلمناه فان أراد يقطع ما بيننا من النسب وان شاء يرضى وان شاء يغضب فبينما هم في ذلك الكلام واذا عنتر قد دخل وهو متقلد بالحسام وكان قد علم بخبر سنان وعلم بالذي أتى فيه ولما وصل الى بين يدي الملك قيس ما سلم ولا خدم بل قال لسنان يا شيخ أنت الرسول الذي أتيت قال نعم يا مولاي فقال عنتر وحق من شق الاسماع لولا أنك رسول لتركتك أول مقتول قم من يومك وعد الى قومك وقل للذي أرسلك اني قد أجرت الحارث بن ظالم ولا أسلمه لعرب ولا لاعاجم وان أرسل الينا رسولا فما يعود الا نادم ثم انه صاح في سنان فقام وقد ارتعدت مفاصله وخرج وهو يجر أذياله ومن يومه ركب وسار وفي قلبه من كلام عنتر النار وكانت أخبار عنتر قد وصلت الى بني فزارة وسمع حذيفة انه قد وصل سالم فقد قوي قلب قيس على السباق بعد ما كان نادم فقال لاخيه حمل وحق ذمة العرب ان في قلبي من هذا العبد الزنيم مصائب قد هدت عمري ولابد لي في هذه النوبة ان أشفي منه غليل صدري لانه لولاه ما كان قيس الا تحت أمري فقال حمل والله يا أبا حجار هذا أمر ما تبلغ به مراد ولا تكمد به حساد ما دام انه حضر عنتر بن شداد لانه والله شيطان ما يوجد مثله في هذا الزمان لاني شاهدت قتاله بالسيف والسنان وأخاف أن يثير الحرب فتخسر وتهان وأخاف انك تزيل الرهان وتدعنا ننظر العرضيات من هذا العبد المهان فانا أسير الى قيس وأخليه يأتي اليك

ويزيل الرهان ولا تسمع العرب انك سألته بل هو سألك فاجبته فيعظم قدرك ويزداد فخرك ولا تتعرض لمسعود فتموت وأنت مقهور مكمود واعلم ان كل شئ له مبتدا ومنتهى فدع هيبتك على حالها مقيمة ولا تتعرض لامور تكون عواقبها ذميمة ومازال يخدعه بالخطاب حتى انخدع وأجاب وتركه يفكر في هذه الامور والاسباب وسار حمل الى أن وصل الى الملك قيس وقال له ياقيس اعلم ان أخي كثير اللجاج والقال والصواب انك لاتؤاخذه بقبيح الفعال بل يكون الفضل لك في السؤال لانكم ان دمتم على اللجاج خربت الديار والاطلال وضربت من اجلكم الامثال والصواب انك تمضي اليه وتسأله الاقالة لانه قال ان أتى الى قيس وسألني الاقالة قبلت منه السؤال فلما سمع قيس كلامه استحى لانه كان قريب المرجوع طيب الاصل والفروع فأجابه الى ذلك وقال له أنت تعلم اني من الاول مارضيت بالرهان وهو الذي حملني على ذلك الشان واني قد أجبت سؤالك ولا أضيع تعبك وفعالك ثم انه ركب من ساعته وأخذ معه أسيدا في صحبته وسار هو وحمل الى بني فزارة من غير أن يعلم أحدا بحالته ولما توسط حمل في الطريق تقدم قدام قيس وجعل ينشد بفصاحته

ياقيس ان مع الرهان لحاجة * فيها الوبال وفعلها مذموم
ياقيس لا تغضب حذيفة انه * نكد اللجاج وانه ميشوم
انى أخاف على أخي من شؤمه * يلقى كما لاقى الفتى كلثوم
حازى أخاه على مقال فانثنى * وهو الشقي وأنفه مرغوم
ياقيس فيك وفي حذيفة نخوة * يأتي اليها فعلكم مذموم
فابعد شواه وكن حليما ماجدا * من قبل تصبح ظالما مظلوم
ماذا ترى ممن سعى في حتفه * يبغي عليك وحتفه محتوم
ان الذي يبغي حذيفة منكمو * في الواقعات فشره معلوم

ومازال يذم أخاه ويشكر قيسا سرا وجهرا حتى وصلوا الى بني فزارة عند المساء ولما وصل اليهم ورأى حذيفة وسادات العشيرة كلهم مجتمعين سلم عليهم فردوا عليه السلام ومد قيس عينه فرأى سنان بن أبي حارثة الى جانب حذيفة فأنكر قيس ذلك وقال أرجو ياسنان أن تكون سعيت في اصلاح الحال فقال سنان وأنا ايش لي من الرأي والشان وحق مكون الاكوان أنا ما أقدر أصلح نفسي ولا أصلح حالي لانك تعلم أنت وسادات العشيرة أني ضامن الحارث للملك النعمان لانه أخذ ولده شرحبيل من عندي وقتله وتركني في خزي وما أتيت في رسالته اليكم الا ظننت انكم تعطوني الرجل أسلمه اليه وأخلص روحي من الضمان بين يديه ولما خاب ظني وضاع تعبي فلا أعود اليه بل أنفذ أصحابي يعلموه الحال وأنا أقيم عندكم في هذا المكان حتى تنفصلوا على أي وجه كان وكان قول سنان كله محال وما كان عاد الى بني فزارة الا حتى يلقي الفتن ويعمل على قلع بني عبس من تلك الدمن لانه لما خرج من عند الملك قيس بعد ما سمع من عنتر ذلك الكلام قال لاصحابه الذين كانوا معه يا أولاد أنا مافي رجوعي فائدة تستفاد الا اذا قابلت عبد شداد وعلى فعاله أقابله وها أنا قد عزمت على انني أعود الى بني فزارة وأدبر القاء الفتن فسيروا أنتم الى الملك النعمان وأخبروه بذلك الامر والشان وحرضوه على انفاذ العسكر ويكون كالبحر اذا زخر فاعلها اتصل الى ههنا وتعين حذيفة بن بدر على قتال بني عبس ثم انهم سار وابعد ما أعلمهم بما يقولون للملك النعمان وسار هو الى بني فزارة فالتقاه الربيع بن زياد واخوته وحذيفة بن بدر وسادات عشيرته وسألوه عن حاله وقصته فاخبرهم بالحال الذي ذكرناه وقال يابني عمي قد أهلكني الغيظ من كلام هذا العبد ولد الزنا وأريد أن أقيم في أرضكم حتى أبلغ المنى وأسقيه كاس الفنا لانه الآن مابقي لاحد عنده قدر ولا قيمه من وقت ما ألحقه بالنسب بنو قراد وبنو جذيمة فقال الربيع بن زياد والله ماصبرني هكذا مشردا عن الاوطان الا هذا العفريت الشيطان فقال له سنان طب نفسا وقر عينا فانا أكون لفناء عمره سبب وأحوج الملك النعمان ان يسير اليهم بفرسان العجم والعرب فقال حذيفة اذا كان الامر على هذا فانا ما أصالح ولا أخلي الجمال والنوق ولابد لي أن أثير الحرب بيننا على الرهان ولا أبقي من بني عبس ولا مخلوق ثم انه حدث سنان بما جرى وأخبر أن أخاه حمل قد سار الى الملك قيس يأتي به لاصلاح الحال وترك الرهان فقال سنان أنا ما علمت الا ببعض الحديث والصواب انه اذا أتى قيس وطلب الاقالة

فلا تقله بل رده خائبا الى أن تضمر الخيل وتكون قد وصلت رفاقي الى الملك النعمان وتخبره بما كان من ذلك الامر والشان ويرسل الينا عساكر العراق وبعد ذلك تنظر بني عبس كيف تتشتت في الآفاق ولاسيما ان أتى مع عساكر الملك الاسود صهرك فانه يشتد به ظهرك فلما سمع حذيفة كلام سنان فرح به وأكرمه ومازالوا في ذلك الحديث حتى وصل الى الملك قيس كما ذكرنا وسلموا وهموا بالنزول فصاح حذيفة في حمل وقال له ويلك من أمرك بالمسير خلف هذا الرجل وكيف خطر ببالك أن تجيء به الى ترك الرهان وحق ذمة العرب لو سألني هو وكل من في الدنيا أن اترك من النوق والجمال عقالا ماتركته فلما سمع قيس ذلك المقال زاد به الغيظ والخجل وعاد الى ظهر الجواد بعدما كان قد نزل وعاد يطلب أهله وهو يلوم حمل على فعله وينشد ويقول قد كرهت السباق من خيفة شر * فاستمع ما أقول اني حكيم

قلت للمرء ياحذيفة دع ذا * مستقيلا فالبغي شوم
ياأخا الحمق غرك الحلم مني * وتوهمت انني جبان عقيم
وأنا والذي له الركن والبيت جميعا وزمزم والحطيم
لي عزم يقد صرف الليالي * حيث لم يبق أمرها محتوم
ورجال تلقى الرماح العوالي * بقلوب قد وافقتها الجسوم
كل من كان ناصحا فهو غمر * فوقه طائر الهلاك يحوم

وكان قيس قد عنى بهذا البيت الاخير سنان بن أبي حارثة ووصل هو الى أبياته وعمه فوجد اخوته وأعمامه له في الانتظار وهم من أجله على مقالي النار فلما رأوه قالوا له والله مافعلت الافعل الجهال واشغلت قلوب القرابة بهذه الاشغال لانك سمعت من مقالة حمل بن بدر والقيت نفسك في قبضة قوم أظهروا لك العداوة والغدر وفي قلوبهم المكياد وهذا الحديث لو سمعه عنتر بن شداد لاستقل بك بين العباد فقال لهم قيس لا تعتبوا علي فاني مافعلت الافعل من يريد الصلح بين القرائب ويخشى من العواقب ولولا سنان بن أبي حارثة كان انصلح الحال والآن مابقي لنا الا القتال ثم حدثهم ان سنان قد اختار المقام عند القوم ووعدهم بالمعونة والتدبير فتعجبوا من ذلك التدبير وقد عزم الملك قيس على السباق والنزال وضمر الخيل أربعين يوما والعرب تموج في الحال ويفاوض بعضهم بعضا في الصحراء ومابقي لهم حديث الا ذكر داحس والغبراء ولما دنا الاجل وأتى ميعاد سباق الخيل الجياد اجتمع فرسان القبيلتين على غدير ذات الارصاد وأحضروا اياس ابن منصور على الموضع الذي وقع عليه الشرط فاعطى ظهره الى المكان المعروف بالغدير الذي تريد الخيل أن تأتي اليه واستقبل مهب الشمال ورمى بقوسه مائة سهم فانتهى الى المكان المعروف واجتمع المشايخ كلهم وقوف وكان فرسان بني ذبيان وشجعان بني غطفان قد تسامعوا بالرهان وانتظروا ذلك الاوان وأتوا للفرجة على سباق الخيل ومشاهدة الفرسان وكانوا كلهم في أرض واحدة وكان الملك قيس قد أوصى عنتر أن يقيم في الخيام وقت السباق خوفا من اثارة الفتنة ونزول المحنة فاراد المقام فما قدر ولا قر له قرار فركب على جواده الابجر وتقلد بالصارم الابتر وأخذ شيبوب بركابه ولحق الناس في شدة الحر وكان ذلك خوفا على قيس من غدر بني فزارة وما علموا أن يطلقوا الخيل رأوه قد طلع مثل الاسد الكسود والسيف في يده مشهور وعيناه يتطاير منهما الشرر ومازالوا ينظرون اليه حتى صار في وسط الجميع ونادى ياسادات العرب من ذبيان وغطفان ويامن اجتمع في هذا المكان أنتم كلكم عرفتم أني صنيعة الملك زهير أبي الملك قيس وهو الذي ألحقني بالحسب والنسب ولكنه لم يعش حتى أجازيه على بعض صنيعه وأجعل سائر العرب تتبعه وتطيعه ولكن عانده الزمان وطرقته طوارق الحدثان وخلف هذا الولد لبني عبس الذي قد ارتضى به سائر أعمامه واخوته والاقارب ونصبوه ملكا لاجل ماعنده من الامور السديدة والعقل الصائب وأنا مالك يده ومعز لمن والاه ومذل لمن عاداه وأكره أن أنظره بذل وهو لايطلب الاقالة من أحد أبدا ولكن قد ارتضى بهذا السباق وأشهد على نفسه سائر الرفاق والامر قد احتكم ومابقي بعد ماجرى الا اطلاق الخيل وسيكون له النصر من الذي خلق النهار والليل وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام ان بغى حذيفة وظلم لأسقينه بسيفي كؤس النقم ولأجعلن بني فزارة حديثا للامم وأقيمن الحرب على ساق وقدم وها أنتم سادات القبائل

والاحياء فلا تطلبوا الاعتداء فعندها ضجت الفرسان من كل جانب وكثر الكلام بين الاصحاب والقرائب فمنهم من يقول صدقت ومنهم من يشتمه فعند ذلك انتخب حذيفة فارسا من بنى ذبيان خبيرا بمداراة الخيل وهو فى ركوبها درب ويقال له مالك بن مغلوب وانتخب قيس لجواده داحس من بنى عبس فارس كان طول دهره يربى الخيل ويخوض عليها بالنهار والليل بين الصفوف والمواكب ويقال له سابق ابن غالب فلما صار كل واحد منهما على ظهر الفرس أقبل قيس على صاحبه وعلمه كيف يركب على ظهر داحس وكيف يكون له ملامس وأشار اليه يقول

لا ترسلن عنان فرسى كله * وان علاه عرق وبله فامسحه بساقيك وأحسن سبله * انك ان أتعبته تمله

فلما نظر حذيفة قيسا قرب من صاحبه والاه دناهو أيضا من صاحبه وأوصاه وعلمه كيف يركب فرسه وأنشد مقتبسا الشعر الاول يقول

لا ترسلن لها العنان كلها * وان علاها عرق وبلها فامسحه بساقيك واحسن سبلها * انك ان أتعبتها تملها

فلما سمع عنتر شعر حذيفة تبسم وقال ورب الكعبة يا أباحجار انت أخذت جمالك الابكار وسبقك الملك قيس فى المعانى لان كلمات العرب ماقلت حتى تقول ماقال قيس بلا توانى لان قيسا ملك وابن ملك مطاع ولم يزل متبوعا فى سائر البقاع واتباعك له فى الوصية دليل على أن فرسك يتبع فرسه فى هذا اليوم فقال حذيفة هذا اليوم مضى أكثره وما أريد أن أطلق الخيل الا غداة عند ذهاب الليل وكان يريد بهذا المقال أن يدبر بابا من أبواب المحال الا أن قيسا أجابه الى ذلك وساعده على ماهنالك واتفقوا على أن يطلقوا الخيل عند طلوع الشمس فصاح شيبوب يا سادات العرب بحق الرب القديم رب زمزم والحطيم اصبروا على قليل واسمعوا مقالى بلا تطويل فانعطفت عليه الفرسان ودارت حوله الشجعان وقالوا له قل ما بدالك من المقال لعل أن يكون فى مقالك انفصال فقال لهم يا بنى عمى هذه عربان مجتمعة وهى من بنى عبس ومن بنى فزارة والكل فى أرض واحدة وقد جرى لهم ماجرى من القيل والقال على داحس والغبرا وأنا أراهن الفريقين وافرج على فعالى الطائفتين لكن بشرط ان سبقت يكون لى مائة ناقة وان سبقنى هو أعطيته السباق خمسين ناقة فقال له شيخ من مشايخ بنى فزارة ويلك يا عبد الزنا كيف اذا سبقت تأخذ مائة ناقة وان سبقك تدفع خمسين ناقة فاخبرنا ما السبب فقال شيبوب نعم يا ديوث العرب لانى أعدو على قائمتين والخيل على أربع قوائم وذنب فتضاحكت الفرسان من مقاله وتعجبوا من فعاله وطلبوا الفرجة على أعماله فرجعوا وعنتر يقول يا ابن الام كيف تسبق هذين الفرسين وقد اتفقت جميع الابطال على أن ما فى خيل العرب لهم مثال فقال شيبوب وحق من فجر من الصخر عيون وعلم ما كان قبل أن يكون أنا أسبق الجوادين ولو طار كل واحد منهما بجناحين ولى فى ذلك منافع كثيرة لان فرسان العرب اذا سمعت هذا الخبر ما ترجع اذا انهزمت بعد ذلك تتبع لى أثر فلما سمع عنتر قال له سار مع الملك قيس واخوته ولما وصلوا الى الغدير الذى تريد الخيل أن تتسابق اليه عاد حذيفة الى أبياته واستدعى بعبد من عبيده يقال له حابس فقال له اذهب من ليلتك هذه الى المكان الفلانى فاكمن فيه صباح النهار واذا طلعت الشمس وبسطت فى الاقطار اجعل بالك من داحس جواد قيس فاذا رأيته قد سبق فعارضه والطم وجهه ورده الى وراه وخل فرسى الغبراء تتقدم عليه حتى لا يكون سابقا عليها لانى رأيت داحس واطاعنى الفرسان على أمره وأنا خائف منه أن يسبق فرسى فاصير معيرة عند العرب الغرباء فقال حابس يا مولاى وكيف أعرف داحس من الغبراء اذا أقبلا تحت الغبار فقال أنا أريك ذلك جهار وقام وجمع له من البر شيأ من الحصا وقال له استعد من ذلك الحصا عشرين حصاة وضعهم معك فان رأيت الشمس أشرقت فابدأ بعددهم وارمهم الى الارض أربعة أربعة وافعل ذلك خمس مرار فان الغبراء تأتى عند انتهاء العدد لان ميعادها عندى الى ذلك المقدار وان أشرف عليك غبار ومعك من الحصا مقدار مثل ثلثه أو نصفه فاعلم ان داحسا هو السابق فاخرج اليه وافعل به ما أمرتك به فاجابه حابس الى ذلك وأخذ الحصا ومضى الى ذلك المكان وبات وقد أمن من الغلبة من كل جانب ولاجل هذا كان حذيفة أخر سباق الخيل

لاجل هذا التدبير الذى خطر بباله ولما أضاء النهار طلعت الرجال على الروابى والشعاب وازدحمت المشايخ والشباب وأطلقت الفرسان الخيل عند ذهاب الليل وصاحت عليها فرسانها فخرجا كالبرق اذا برق أو الريح اذا عصف وتقدمت الغبراء وتأخر داحس فصاح الفزارى سبقتك يا أخا عبس فعز نفسك بالتعس والنكس فقال العبسى كذبت يا أبا فزارة وانظر بعد من تقع به الخسارة وصاح فى داحس فرقدامه مثل الشيطان اذا عطى فى البطاح فقطع السهل وطار بلا جناح وقد عسر فى الفلا ومن ذلك الوقت غباره قد علا وتخيل لراكبه انه على الفلك الدوار وصار قدام الغبراء كلمح الناظر فنادى العبسى للفزارى هل لك من حاجة الى بنى بدر فتجرع من خلفى مرارة الصبر * هذا وشيبوب فى عراض داحس كانه ريح الشمال وهو يهمز فى البر همزات الغزلان ويهيم كما يهيم السرحان وصار كل من يراه يظنه شيطان وقد هام فى تلك البرارى والوديان حتى قاربوا الشعب الذى فيه العبد كامن * هذا والعبد قد رأى داحس مقبلا عليه كالقمر المنير طالبا الى الغدير وكان شيبوب أسبق منه ولما مر الجواد على ذلك العبد لطمه لطمة بانفه بين عينيه وكان قد أخذ فى يده جندلة من الارض فلطم بها داحس فدار وارتعد وتتعتع وكاد راكبه من فوقه أن يقع وأبصر شيبوب هذه الفعال فعلم انه نكل به غاية النكال وعلم أنه من تدبير حذيفة بن بدر ومن شدة حنقه سل خنجره ووثب على العبد وضربه فقطع أمعاءه ومزق شحم كلاه وهم أن يعود على داحس ويحسن فيه المداراة واذا بالغبراء قد أقبلت مثل الريح وقطعت طالبة الى البر الفسيح فخاف أن يكون راكب داحس مسبوق وتطلب منه الجمال والنوق فانطلق مثل البرق اذا برق وطلب الغدير فكان اليه أسبق بمقدار رمية سهم وأتت الغبراء فى أثره ووصل داحس وأثر اللطمة فى وجهه ودموعه نازلة على خده وكانت القبائل ضجت عند اقبال شيبوب وتعجبوا من خفته وقوة عصبه ولما أقبلت الغبراء بعده ارتفعت من بنى فزارة الافراح وأخبر شيبوب لقيس بما جرى من الخبر فكادت مرارته أن تنفطر وندم لاجل ذلك عنتر وأشهر حسامه الابتر وأراد أن يظهر فى بنى فزارة العبر فمنعه المشايخ من ذلك وسألوه اصبر فصبر ولاموا حذيفة على فعاله فانكر وحلف أنه ما عنده من العبد خبر وقال أنا اريد حق وسبق فاهذه الحجة الباردة التى مالها من برهان ولا افظ بها انسان فقال قيس وحق الركن والحجر ما كانت هذه اللطمة الا مشؤمة على بنى فزارة ان أعطانى الله النصر والظفر ولابد أن اقطع منهم الاثر لان حذيفة ما طلب السباق الا لاجل هذا الحال وما له الا طلب الحرب والقتال تم زاد الكلام بين الفرسان وارتفع الصياح من كل مكان وسلت السيوف وسفك الدم وانقلبت الدنيا وترجلت المشايخ والسادات وكشفت الرؤس خوفا على البنين والبنات ودخلوا بين الامراء والسادات وداروا فى أوساط الجميع وردوا الناس باللين والخضوع وما أمسى المساء حتى اتفقوا على ان شيبوبا يأخذ المائة ناقة من بنى فزارة لاجل تعبه وفرجة الناس عليه وتحقيق أبصارهم اليه ويخلى حذيفة اللجاج فى طلب الجمال لاجل لطمة داحس ورده عن المحال وسلم الرجل الذى كان الرهن على يديه الى شيبوب ما راهن عليه وأراد بذلك اطفاء الشر بين القبائل والعشائر وعادت كل طائفة الى خيامها ومضاربها وفى قلوبها من الحقد ما ملأ صدورها وجوانبها وكان أشد الطائفتين احقادا وأعظمها لجاجا وعنادا حذيفة بن بدر لاسيما وقد سمع بقتل عبده حابس الذى لطم داحس وأما قيس فانه رجع وهو من الغيظ قد انصرع وعنتر يسليه ويقول أيها الملك لا تشغل خاطرك بهذا الامر وحق نعمتك لاقتلن كل فزارى تقع عينى عليه لانهم دائما يتطاولون على أخبارى وأنا اتجنبهم لاجل قلبك ولاجل ما بيننا من النسب والآن ما بقيت أظفر بواحد منهم الا وأسقيه كاس العطب ولما أصبح الصباح نحر من نوقه عشرة وفرقها على صعاليك العشيرة ونحر عشرة أخرى وعمل بها وليمة لسائر عبيد الحى وجمعهم حول مضربه واشترى لهم خمرا وأسقاهم المدام وما تركهم يخرجون من عنده الى ثلاثة أيام وفى رابع يوم نحر باقى النوق للفرسان والسادات وجمع سائر الابطال من بنى قراد اخوة الملك قيس ومن يلوذ بهم من الخدم والاصحاب وما منهم الا من أتى ومعه

مغنية و زق خمر وانقلبت الدنيا بالافراح وأشرقت الاقطار بشرب كؤس الراح وأجلوها عليهم في الاباريق والاقداح و بلغ الخبر الى بني فزارة فاشتدت عليهم المصائب وعمل الحسد في قلوبهم عمل السيوف القواضب وقالوا كيف نكون نحن السابقين يا أمير حذيفة وأموالنا أكلها شيبوب هو والعبيد المنافقون أنفذ لقيس واطلب منه حقك شاء أو أبى وما زالوا على ذلك حتى ألهبوا قلب حذيفة من الحسد وسقوه كاسات الغيظ والكمد ومن ساعته رفع رأسه الى ولده وكان اسمه شديد و يلقب بأبي قرافة وقال له اركب يا ولدي وسر الى قيس بن زهير وقل له يا قيس أبي يقول لك ادفع له سبقه سرا والا أخذه منك جهرا و يفضحك بين العرب تارة أخرى وكان عنده في تلك الساعة شيخ من مشايخ العشيرة يقال له حصيصة فقال له يا أبا حجار ما هذا البغي والاسراف في المقال أما تستحي تسمع كلام الجهال وتنفذ الى ابن عمك تطالبه بالمال وأنا والله ما أرضى لك بهذا الفعل والمقال لانه نقص في العقل والكمال وما يوصف الانسان الا بالجود والاحسان والرأي عندي انك تقصر هذا اللجاج لان مثل قيس بن زهير يجب أن ينصف ولا يظلم وفرسان بني عبس اذا سالمتها كان لك الاسلم وقد رأيت عبدك لما لطم داحس كيف قابله البغي سريع وصار في البر مخضبا بالنجيع وقد نصحتك وأنت بذلك أخبر و بعواقب أحوالك أبصر فلما سمع حذيفة هذا المقال لعب العجب بعطفيه فصاح على الشيخ وقال يا حصيصة هذا الكلام من عنتر حفظته أو خاطر جديد في رأسك قد هاج ما عهدته والله لو أن بني عبس بعدد الرمال ما جعلتهم لي على بال فعندها قام الشيخ من عنده وأنشد وقال

البغي شؤم يا أبا حجار * فتكاته كطوارق الاسحار * فاحذر مضاربه اذا جربته
وانصف ولا تلبس ثياب العار * واسأل خبيرا عن ثمود وقومه * لما بغوا وطغوا على الجبار
يخبرك كيف أتاهم في ليلة * أمر من الله العزيز الباري * فأبادهم تحت الظلام فأصبحوا
* بين الطلول شواخص الابصار *

فلما سمع حذيفة شعره لم يلتفت اليه بل لعب البغي بعطفيه وقال لولده يا ويلك امض لما أمرتك فركب وسار الى بني عبس وطلب قيس بن زهير في بيته فما رآه بل وجد زوجته المتدللة بنت الربيع فقالت له يا أبا قرافة في أي شيء قد أتيت وما الذي تريد من قيس صاحب البيت فقال أريد منه سبقنا وأطالبه بحقنا فقالت له وأي حق لكم و يلكم يا بني بدر الى كم هذا البغي والغدر أما تخافون عاقبته ارجع يا أبا قرافة على عقبك واشكر الذي خلقك وهو بك أعلم فانك لو وجدت الملك قيس قائم لما رجعت سالم فرجع الى أبيه وأخبره بالخبر فلما سمع خطابه غاب صوابه وقال له يا ويلك رجعت لي بالمذلة وسمعت كلام المتدللة فعد الى قيس وقل له يقول لك أبي انتظر في الغد منه حربا فانه يريد أن يأخذ سبقه بسيفه غصبا وسوف ترى ما يحل لك من الندم اذا نزل بك و بعشيرتك العدم فقال أبو قرافة هذا يكون مني غدا وقيت حوادث الردا فان الليل قد أتى وأدركني المساء وعند السحر أقوم ههنا وأصبح بني عبس قبل طلوع الشمس وأطالب قيسا بحقنا قبل أن يركب وكان قيس قد أتى الى أبياته آخر النهار وهو سكران من شرب كاسات العقار لانه كان في دعوة أخيه مالك فأبصرته زوجته المتدللة سكران طافح فما حدثته بحديث أبي قرافة ولا عرفته مقاله ولا أوصافه بل أمهلته حتى صحا من الخمر وحدثته بما جرى لها من أبي قرافة من الامر فعند ذلك حار في أمره وتشتت سائر فكره فبينما هم كذلك واذا بعنتر قد أقبل اليه لاجل السلام عليه فسأله عن حاله فحدثه بحديثه وحديث ابن حذيفة ومقاله فقال عنتر امن الله أباساله والله لا يزال بهذا اللجاج ومخالفة نصح النصاح حتى أتركه يغص بالماء القراح وأريه ما يشيب رؤس الولدان من ضرب الصفاح وطعن الرماح سر بنا أيها الملك الى بني بدر الموصوفين بالبغي والغدر حتى نلحقهم بأهل المقابر فالى متى يبغون علينا وأنت صابر وما زال عنتر يحمي الملك قيس بالكلام حتى زاد به الغيظ والغرام وقال له والله يا أبا الفوارس لو كنت هنالك حاضر والى صورته ناظر وتكلم بهذا الكلام لقطعت رأسه بالحسام فبينما الملك قيس مع عنتر في ذلك الكلام اذا أبو قرافة داخل من أول الخيام ولم يزل الى أن وقف قدام الملك قيس من غير أن يبدي سلام بل قال له يا قيس

يقول لك أبي أوصل اليه حقه وأنت كريم والا أخذه منك وأنت ذليل كظيم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام اسودت الدنيا في عينيه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال له يا ويلك مد منك أملك وعدمك قومك وأهلك يا نذل اللئام أمثلي تخاطب بهذا الخطاب والكلام ثم انه استل حربة من جانبه وقد لعبت نخوة العرب في رأسه حتى غيرت سائر حواسه وضربه بها بين صدره طلعت تلمع من بين كتفيه فأبصره عنتر وهو يريد أن يميل من ظهر الجواد فلزمه وربطه على جواده عرضا وتركه يعود على حاله فعاد وهو يهيم على غير طريق حتى صارت عيناه من الدماء مثل العقيق فأبصرت الفرسان القتيل فعرفوا حاله حين أبصروه والدماء منه تسيل فنادوا بالويل الطويل وعولوا على البكاء والعويل ونادوا قتل والله أبو قرافة وزعزع من الحي أطرافه فخرق حذيفة أثوابه وعلا بكاه وانتحابه وخرجت زوجته صارخة وحولها جماعة من الاماء وما فيهم الا من خضبت خدودها بالدماء وجعل حذيفة يدور بنفسه حول البيوت والاطناب وهو ينادي يا آل فزارة الثار الثار البدار البدار يا بني عمي بادروني بالسيوف والقنا وفعل سنان بن أبي حارثة مثل تلك الفعال لانه كان كثير المكر والاحتيال وكشف رأسه وخرق ثيابه وكان له شيبة طويلة ففرشها على صدره وصار يحرض الابطال و يكثر من البكاء والاعوال فتنافرت الرجال وتبادرت الابطال وأشهروا السلاح وداروا حول حذيفة بالسيوف والرماح الا انهم صاروا خارج الخيام حتى ذهب الظلام وقارب وقت الصباح فساروا جميعهم ولم يبق في الخيام سوى العيال والمشايخ من الرجال * وأما الربيع بن زياد واخوته ومن يتعلق به من عشيرته فانه قال أنا ما أبلغ مع قومي بالمداراة ولا أكون معهم ولا عليهم وكان أيضا قد اغتاظ من سنان بن أبي حارثة لانه من حين أتى الى بني فزارة وحذيفة مائل اليه و يشاوره في أموره وما بقي يرفع له رأسا فهانت نفسه عليه وصار يفكر بأي وجه يصالح قيس بن زهير و يعود الى بني عبس و يعيش بينهم عزيزا ولا يقيم في غير وطنه ذليل وكان قيس قد ركب هو وسائر اخوته وأمر العبيد أن ينادوا في جوانب الحلة وقد استصوب عنتر رأيه وركب معه جميع أبطاله و رجاله وغاصت الفرسان في الحديد والزرد النضيد وكان حالهم مثل حال بني فزارة في اهتمامهم في أمر القتال ولم يتخلف في الخيام الا الحريم والعيال وكان الحرث بن ظالم من جملة المتخلفين لانه قال أنا ما أقاتل ابني عمي وصهري سنان وكانت نوبة عظيمة مذكورة بين بني عبس و بني فزارة وصارت كل طائفة تطلب الاخرى وكان الملتقى عند طلوع الشمس الا ان الصباح ما علا حتى انقلبت أقطار الفلا وارتج بريق السيوف ولمعت أسنة القنا وعول عنتر بن شداد أن يثير الدما و يبذل السيف في بني فزارة وأما حذيفة فانه قد برز وهو لابس السواد مهلول باذناب الجواد ولما صار بين الصفين نادى لقيس وطلب منه البراز وقال له ويلك يا ابن زهير ما هو مليح قتل الاطفال بالمحال بل تبرز اليوم الى المجال حتى يظهر عند اختلاف القفار ومن يصلح للملك أنت والا أنا فلما سمع الملك قيس هذا المقال صعب عليه وعول على البراز والقتال وخرج من تحت أعلامه فرده عنتر بن شداد فأقسم بتربة أبيه أنه لا يرجع ثم حمل قيس على حذيفة فالتقيا على ظهور الخيل الجياد وكان الملك قيس على جواده داحس وحذيفة على حجرته الغبراء فجرى بينهما ما يؤرخ ولما نظرت كل طائفة الى صاحبها تولت أن تحمل معه وتعينه فعندها علت الاصوات وارتفعت الصيحات وتزعزعت الجنبات وأشهرت البيض المرهفات وقال عنتر بن شداد لعروة بن الورد ولاعمامه احملوا بنا على ميمنة بني فزارة قبل أن تميل على قيس وتعين حذيفة بن بدر على البغي والخسارة وفي تلك الساعة أقبلت سادات القبيلتين ومشايخ الطائفتين ومن كان قد تخلف منهم وهم مكشوفو الرؤس حفاة الاقدام وعلى أكتافهم الاوثان والاصنام فدخلوا بها بين المواكب والكتائب وخوفوا الفرسان من عواقب النوائب وهم يقولون يا بني الاعمام بحق خالق الضياء والظلام لا تدعونا شماتة للاعداء والحساد واتركوا عنكم اللجاج والعناد ولا تيتموا البنات والاولاد وكفانا ما للعرب علينا من الدماء وما فينا في أقطار الارض من الاعداء فاعينوا بني عمكم واسألوا كم أهلك البغي من الامم قبلكم وراقبوا من حكم عليكم بالممات وانتظروا الحمام فانه عن قريب آت تسكنوا في الحفر والظلمات ولا يبقى غير الذكر الجميل اذا أصبحت الامم باليات وما زالت

مشايخ العشيرة على مثل ذلك حتى خمدت النيران الموقدات وانكسرت أصحاب العزمات ورجع حذيفة عن القتال وانفصل بينهم الحال على ان قيسا يؤدي فداء أبي قرافة من جزيل المال وقطعة من النوق والجمال ومار جميع المشايخ من وسط المجال حتى عانق قيس لحذيفة بن بدر وأجاب الى هذا الحال لانه كان قريب المرجوع بين الاقيال ولما أجاب قيس وأنعم جرد عنتر بن شداد ودمدم وقال ياويلك أى شئ هذا الفعل الوبيل ولماذا تأخذ بنو بدر ومناديه قتيل وسيف عزمنا صقيل وأسيرحر بنا لا يفادى الا بالنصول وقتيلنا أبداً دمه مطلول فقال حذيفة اسكت يا ابن الاماء ويا ولد الزناء فوحق الكعبة الغراء ولا حضور الآلهة والاصنام وحياة هؤلاء الشيوخ الكرام لكنت أفنى عددكم فى هذه الايام وأترك نساءكم أرامل وأولادكم أيتام كيف أنفذ ولدى يطلب حق فتقتلوه وتربطوه على الجواد وترسلوه وتقول أنت لقيس لا تحمل له دية ولا فدية يا ابن الاوغاد فقال عنتر بن شداد وقد زاد به الغيظ من ذلك الكلام والله يا حذيفة ان يدك أقصر من أن تقتل كلاما من كلاب الحى بين الخيام ولولا المشايخ والرجال كنت بينت لك انه بعيد من أولاد الحلال فعندها قال حذيفة للمشايخ وذمة العرب ما ترك حق لو نهبتني الاعداء بالصفاح وأطراف الرماح فقال أخوه حمل يا ابن الام لا تركب طريق اللجاج وتجهل وصالح بنى عمنا فانهم أعيان العرب الحمية وشموسهم المضية ونحن ظلمناهم بالامس لاجل لطم جوادهم داحس وما تم ولدك الا لانك أنفذته يطالب القوم بما لا تستحقه والسلم خير من الحرب فاقبل الفداء وارض به والا أوقدت علينا نار الحرب ثم أنشد يقول

وحق الذى أرسى الجبال بلا أس * اذا أنت لم تقبل فداء بنى عبس
أتتك خيول فى الحروب صوارم * على ظهرها الابطال كالاسد الشرس
أغرك ان قالوا حذيفة سيد * فكن سيدا نفديك بالمال والنفس
وخل جواد البغى لا تركبنه * فيلقيك فى بحر من التعس والنكس
نهيتك عن قيس وقيس نهيته * ولكن مع المقدور لا نفع للترس
حذيفة ترك الحرب عنك مروة * ولا سيما حرب الفوارس من عبس
فان كان قيس غادرا فى فعاله * فانت الذى عامته الغدر بالامس
فدعهم لنا حسبنا ذاجات العدا * علينا صباحا بالمسومة العبس

ولما فرغ من شعره شكرته العرب على نظمه ونثره وألزموا حذيفة باخذ الفداء وردوه عن الظلم والاعتداء وعادت الابطال الى الاحياء وحمل قيس الى بنى بدر مائتى ناقة وعشرة من الخيل وعشرة من العبيد وعشرة من الاماء وانصلح الحال وقرت الناس فى الاطلال ولما كان من الغد ركب عنتر بن شداد والحرث بن ظالم وطلبوا البر للصيد والقنص وكان معهم مالك ابن الملك زهير فاوسعوا فى البر وطردوا الوحش حتى حمى عليهم الحر وعادوا الى وادية لها الهضاب وكان فيهم قوم ضعفاء من بنى غراب فورد هؤلاء على ركاياهم فوجدوا على ذلك الماء شيخا قد أحناه الكبر وغيرت حالاته الدهر ومعه ابنته وهى مثل الخشفة العطشانه وعيونها أحسن من عيون المها وكأن جفونها سهام السها فرشقت بها مالك بن زهير فلما نظرها تعلقت بها أحشاؤه من حسنها وجمالها فاقبل على أبيها وسلم عليه فرد عليه السلام فقال مالك يا شيخ هذه الجوريه ما تكون منك فقال يا مولاى هى ابنتى لم يبق لى الزمان غيرها وهى تعيننى على المرعى فقال مالك يا شيخ أما خطبها أحد منك فقال له يا مولاى ان الانسان اذا كان صعلوكا فما أحد يلتفت اليه فلما رآه مالك قد اشتكى وكلامه قد علا قال له يا شيخ أترضانى أن أكون لابنتك بعلا وتكون لى ابنتك زوجة وأهلا حتى أحكمك فيما أملكه من المال والهنا وأزيل عنك ثياب الفقر والعنا فقال الشيخ وقد تبسم يا مولاى من أين لى ذلك وأنا رجل فقير وأنت ملك وابن ملك كبير فقال مالك يا شيخ لا تقل هذا المقال ولا تظن ان المال يزيد الانسان كمالا بين الحسب والنسب عند سادات العرب خير من المال والمكسب

﴿الى هنا نهاية الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله من بقية هذه القصة التى يسر﴾
﴿بتلاوتها ذو والاحلام قال الراوى فبينما هم فى ذلك الكلام﴾

الجزء التاسع

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث النزال الامير عنترة بن شداد

وهي السيرة الفائقة الحجازية المشتملة على الاخبار العجيبة والانباء الجليه

م



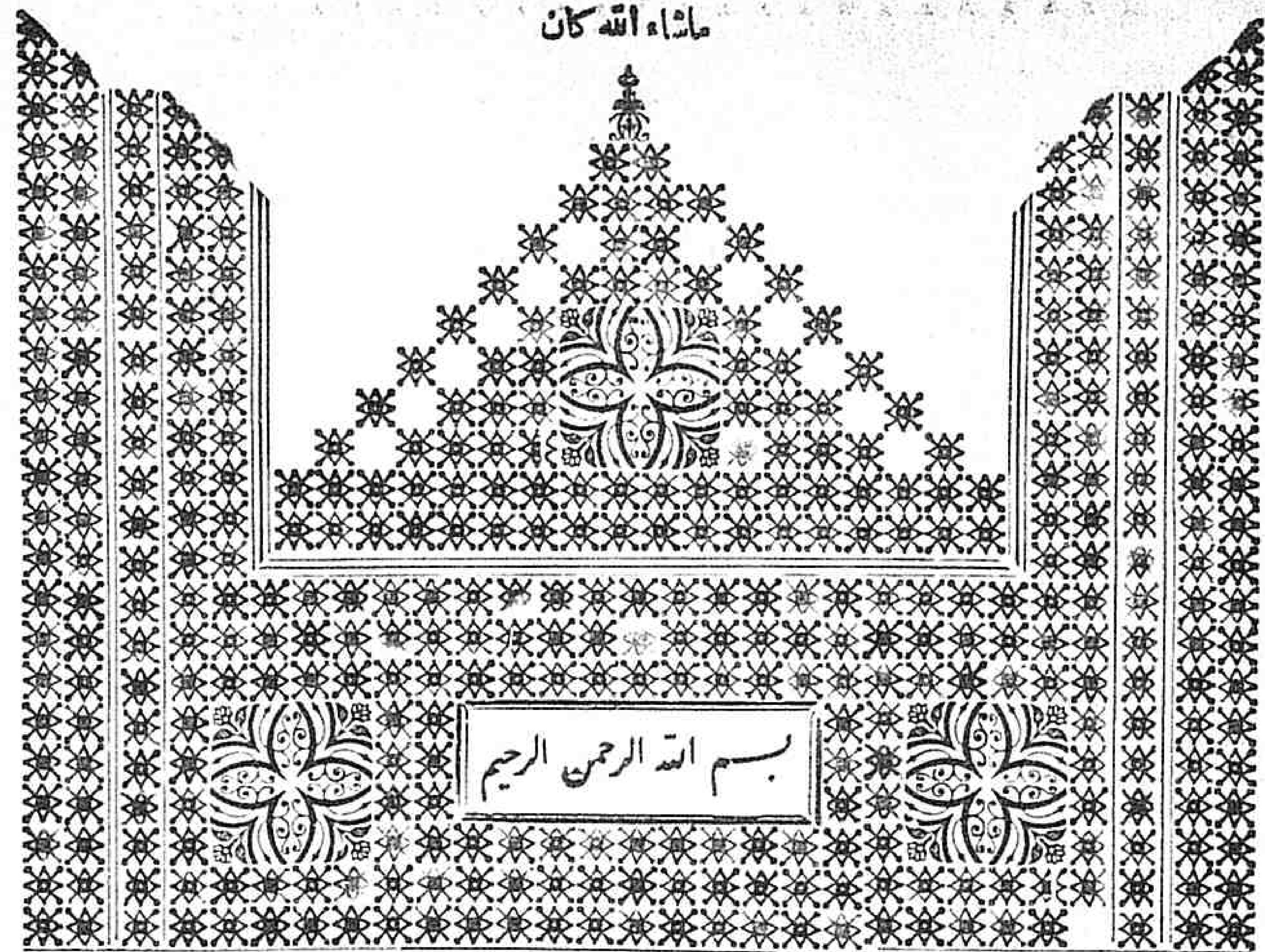


محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ورضى الله عن أصحابه الطاهرين آمين ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى ذلك الكلام واذا عنتر والحارث قد اقبلا وسقيا جواديهما وسألا مالكا عن حاله مع الاعرابى وقصته فحدثهم مالك بما جرى وشكا الى عنتر من تباريح الهوى وقال والله يا أبا الفوارس كنت استجهلك كلما تشكو الى الهوى الذى بك من عبلة وأقول ان العشق جنون حتى ذقته من ساعتى بسبب نظرى لى هذه العيون فلما سمع عنتر مقاله علم انه عاشق قد تغير حاله فقال له يامولاى أنت جرى عليك هذا المجرى فى أقل من ساعة فكيف من له سنين وأعوام يسأل ولم تقبل له شفاعة ثم قال عنتر ياشيخ أبشر بذهاب الفقر وزوج هذا الملك ابنتك حتى انه يغنيك ويرد لهفتك وأنت تصير سيد قومك الكبار منهم والصغار ومن لا يطيعك جعلته رزقا للطير فى القفار فقال الشيخ والله ما كان معكم الا فى منام وقد تحيرت من هذا الكلام وضاق على الامر وما عندى الا أن تقبلوها منى هدية بلا مهر ولا يكون بيننا مال معدود ولا صداق محدود وهذا غاية ما أقدر عليه من بذل المجهود فلما سمعوا منه هذا المقال رق له قلب مالك فى الحال وقال له ياشيخ والله أنا ما اخلى للعرب على حديثا من أهل النفاق ولا أرضى أن تقول عنى انى تزوجت بلا مهر ولا صداق وأبقى معيرة فى سائر الآفاق بل أحمل اليك ما يرضيك ويغنيك واذا دخلت على ابنتك تنظر ما به اكافيك ثم وضع يده فى يده على الزواج وعاد مالك وهو بلا قلب ولا فؤاد وقد فرح له عنتر بن شداد ولما صار فى أبياته حدث اخاه قيس بما جرى له فقال له قيس ويحك يامالك أما كان يرضيك اتصالك باحدى بنات عمك العبسيات الكواعب الاتراب عن الزواج ببعض بنات بنى غراب فقال عنتر لقيس حاشاك يامولاى أن تعذل العشاق وتزيدهم نارا واحتراق على ان مالك ماتعدى وما ظلم ولا فعل الا ما سبق به القلم فى سائر الامم ويجب عليك أن تحمل همه ونحمد الرب القديم خالق عيسى وابراهيم حيث لم يوقع قلبه فى عشق بنت ملك الاقاليم فدعه فى هواه يعانيه لانه ما كلفك أمرا أتعبك فيه فقال الملك قيس يا أبا الفوارس ان كان الامر كما ذكرت فاعمل عرسك وعرسه فى يوم واحد ان اخترت فقال عنتر هذا الامر لا يتم فيه تدبير ولا أقدر اليه أشير لانه متعلق بعمى مالك بن قراد وأنا أتمنى

أن يكون اليوم لى من عبلة جملة من الاولاد والصواب اننا ننجز أمر مولاى مالك وتدعنى أنا انتظر الفرج من مفتح الابواب الكريم الوهاب ثم انهم انفصلوا على مثل هذه الاسباب ولما كان عند الصباح أنفذ مالك ابن الملك زهير الى شيخ بنى غراب الثياب الملونات والمال والجواهر مما عنده من الذخائر وأرسل عشر هوادج من الديباج مطرزة بالذهب الاحمر الوهج والخيام والاغنام والعبيد والخدام واحمال المدام وأمر القوم أن يعجلوا بذلك الامر لاجل ما فى قلبه من الغرام وأجل لهم وقتا معلوما وهو سبعة أيام ولما وصلت هذه النعم الى بنى غراب فرح بها الشيوخ والشباب وقضوا الاوقات باطيب اللذات وذبحوا الاغنام والنوق وواصلوا الصبوح بالغبوق الى أن تقضى الوقت وزال ولبس مالك لبس الملوك ذوى الافضال وتجمل وكان جمله قد فاق حد الجمال وتقلب فى قالب الكمال وكان وجهه أضوأ من الهلال وله قوام أحسن من الغصن اذا مال وعند مسيره سار معه عشرة فوارس وخمسة من اخوته وساروا وهم يتمايلون فى حال الاعجاب حتى وصلوا الى بنى غراب ونزل مالك فى قبة الزفاف وكانت قد ضربت على نشر عال على مرج أخضر ونزل قومه وأرباب عشيرته وقام بنو غراب فى خدمته وقد ترجل المشايخ والشباب وعملت الولائم واصطف الطعام من سائر الالوان بين الاكارم وأكلت المشايخ والغلمان وبعد أكل الطعام قدمت آنية المدام ودارت عليهم الاقداح وارتفع الصياح بالافراح وغنت المولدات ورقصت الاماء والبنات ولم يزالوا كذلك ثلاثة أيام متواليات وزفت الجارية على مالك المفضال وداموا على ذلك الحال حتى نام كل من فى الحى من النساء والرجال وعند الصباح تبدلت أفراح القوم باتراح ورشقتهم سهام المنايا التى ما تبرأ لها جراح لان الدهر ما وهب الا وأذهب وما صفا الا وأتعب ولا هزل الا وجد ولا أعطى الا واسترد ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك حذيفة بن بدر الذى وصفناه فيه من البغى والغدر وذلك انه لما قتل قيس بن زهير ولده أبا قرافة وأعطاه فداه وأخذ منه النوق والجمال رجع هو وبنو فزارة وقد انصلح الحال فتلقته أمه بالبكاء والعويل وقالت له أى شئ عملت يا ابن بدر بعت دم ولدى بمال سارح ولبست ثوب المذلة والفضائح وذمة العرب لا كنت لى بعلا ولا اكون لك أهلا واعتزلت عنه وبقيت ملازمة للاحزان مدة من الزمان وقد دخل عليها فى بعض الايام فوجدها تبكى وتندب ولدها وتسب بعلها وتنشد وتقول

أيقتل واحدى قيس وترضى * باغنام ونوق سارحات * وتلبس ياحذيفة ثوب عار
وذل لا يزال الى الممات * أما تخشى اذا قال الاعادى * حذيفة قلبه قلب البنات
فدع ماقاله حمل بن بدر * وكل مقدر لابد يأتى * وخذ ثارى بأطراف العوالى
وبالبيض الحداد المرهفات * والا فدعنى أبكى نهارى * وليلى بالدموع الجاريات
لعل منيتى تأتى سريعا * وترمينى سهام الحادثات * أحب الى من بعل جبان
فان حياته عار الحياة * فوا أسفى على المقتول ظلما * وقد أضحى طريحا فى الفلاة
ترى طير الاراك ينوح مثلى * على أعلى الغصون المائلات * ففى يوم الرهان نجمت فيه
ووجه البدر مسود الجهات * ويا خيل السباق سقيت سما * على طول السنين القابلات
ولا زالت ظهورك مثقلات * باحمال الجبال الراسيات

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع حذيفة من زوجته هذه الابيات وما ذكرت فيها من الانشاد والعبارات اسودت فى عينه الجهات ولما شاعت هذه الابيات فى العربان تناشدتها الفرسان وسموها مثيرات الاحزان فدخل حذيفة وقال لها يا بنت العم وذمة العرب ما قبلت الفداء من قيس الا بتدبير شاف لانه لما رأى المشايخ الكبار قد خرجوا الينا قال لى ولدك مات ومضى ومن مضى لا يرجع فقال لى سنان الصواب انك تاخذ من قيس الفداء والمال وتترك عليه وعلى اخوته الارصاد الى أن تظفر بواحد منهم وتقتله والعرب بين يديك والا فى هذا الوقت ما تنال مقصودك وهذا الحديث كان بينى وبينه وقد أخفيناه حتى لا يعلم به الربيع بن زياد ومن حيث وقع الصلح جعلت على بنى عبس الارصاد ولابد أن أفجعهم برجل يعز على العشيرة كلها ثم لم يزل يترفق بها حتى لانت

وزجمت الى حكمه ومازال على ذلك حتى أتى اليه خبر الامير مالك وانه قد تزوج فى بنى غراب وقد مضى بزف زوجته عندهم بعد ما أغناهم من الاموال فلما سمع حذيفة ذلك جمع اخوته وهم عوف ويزيد وحنظلة ولم يعلم أخاه حمل لانه يعلم انه لا يمكنه من ذلك العمل فأجابه اخوته الى ما أراد وسار وافى الليل وقد أخذوا معهم سبعين فارسا ومن شدة فرحه ما سأل ان كان عنتر معهم أم لا ولما بعدوا عن الاحياء أخبر سائر الاصحاب بقصته وأعلمهم بما جرى له مع زوجته وانه طالب بنى غراب ليقتل مالك بن زهير فاستصوبوا رأيه واستجادوا أفعاله وجدوا المسير فصبحوا بنى غراب أشأم صباح فرأوا الدنيا خالية منهم وهم نيام من تعب الافراح وأبصر حذيفة قبة الزفاف فعرف أن مالكا فيها فقصدها واخوته حوله ولما ركضت الخيل قامت العبيد واهتزت الارض ووقعت الزعقة فى الفرسان فتنبه عنتر وقام الى الحصان وركبت الفرسان من بنى غراب وكانوا دون الخمسين من شيوخ وشباب وطلبوا الحرب من كل جانب ومكان الا أن عنتر كان أسبق الى القتال لانه كان قريبا من التل الذى فيه قبة الزفاف ولما قارب بنى فزارة عرفهم وعرف حذيفة فنادى يا أبا حجار يا غدار يا مكار بئس والله هذه الفعال ولقد حدثتك نفسك بالمحال وأنا لمثل هذا اليوم كنت فى الانتظار ولا بد أن أشفى منك غليل صدرى وأعجل هلاكك فى هذا النهار ثم طلب الخيل وزعق عليهم ولعب بالرمح فى جوانبهم والابجر تحته كأنه السيل وهو مستظهر بجولانه على جولان الخيل ولما رأى حذيفة فعاله خاف أن يخيب آماله فعول أن يغتنم الفرصة ويدخل الى القبة ويقتل مالك وهو غافل خال من العدد والسلاح واذا بمالك قد خرج ورأى القتال يعمل بين القوم وكان سمع الصياح وهو فى النوم وكان من شدة لذته مدهوش معانق لزوجته وذراع كل منهما للآخر مفروش كما قال القائل

لم تنظر العينان أحسن منظر * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الرفيق فعش بذاك الواحد

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مالك الصياح سل سيفه من تحت رأسه وأراد أن يرى زوجته شجاعته وقام وهو بخلوق العروس ورأى الخيل دائرة بعنتر فأخذته عند ذلك الحمية فاستل الرمح من على باب المضرب بعد ما ركب على ظهر جواده وحمل يطلب حذيفة واخوته وهو ينادى أنا مالك بن زهير لعدوى الضير ولصديقى الخير ثم انه صاح فى الحصان وهو سكران ويده غير متمكنة فى العنان فكبا به الجواد على يديه ونفضه عن ظهره فوقع على رأسه وأراد القيام فأدركه حذيفة بحجرته الغبراء وضربه على هامته فنزل السيف الى نصف قامته ولما علم انه قد أهلكه رجع الى أصحابه ونادى يا لثارات ولدى أبى قرادة ثم خاف على نفسه أن يعثر به عنتر فيسكنه فى رمسه فطلب دياره وترك عنترة مشتغلا ببنى فزاره وما به الا من علم بفعاله وأخر الله فى أجله وتفرق الجمع من بين يدى عنتر وقد قتل من أصحاب حذيفة الكثير ولم يبق الا اليسير ولما عاد عنتر من الحرب وملاقاة بنى فزارة لقى مالكا وهو على آخر نفس وهو يختبط فى دمه بين يدى الفرس فصاح لما عرفه ورمى نفسه عليه ولطم على رأسه وخرق لباسه وصار يحثو التراب على رأسه ولطم كما تلطم الثكلى ثم صاح وامالكاه واعزاه واسيداه يا بدر الكمال ما أملت فيك هذه الآمال ولا أبقى أنا فى الحياه وتشرب أنت كاس الوفاه ثم اخذ رأسه على احدى ركبتيه واجتمعت الفرسان حوله وهو يقبل عارضيه وكاد أن يغشى عليه ونزلت الدموع من عينيه على خديه ولما أفاق مالك من غشيته وأراد أن يتكلم فلم يتحرك لسانه ولم يقدر على ذلك فاوما باصبعه اليه وطلب منه الوداع وروحه فى النزاع فاشتدت بعنتر الاوجاع فبينما هم كذلك اذ قد خرجت زوجة مالك وهى متهتكة مكشوفة الذوائب وحولها جماعة من النساء والقرائب يدقون صدورهن ويحثون التراب على رؤسهن وزوجته تدق على رأسها وتأكل لحم زندها ولما وصلت الى مصرع مالك ألقت روحها عليه وصارت تضمه الى صدرها وتقبل عارضيه وتنشد وتقول

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والسيف والترس
أبكى على سيد فجعت به * أرملتنى فى صبيحة العرس
ياليتنى كنت قبل مصرعه * شربت كاس الحمام فى نفسى

﴿قال الراوى﴾ وما فرغت الجارية من شعرها حتى قضى مالك نحبه فعند ذلك مزق عنتر أثوابه وعارضه على ظهر جواده وشده بعمامته وأخذه بين يديه وسار طالبا ديار بنى عبس وهو بحالة التعس والنكس بادى البكاء والانتحاب والحزن والاكتئاب وهو ينشد ويقول

ألا يا غراب البين ذا الطيران * أعرنى جناحا قد عدمت بنانى
أحقا رأيت اليوم قتلة مالك * ومصرعه أم فى المنام أتانى
فان كان حقا فالنجوم لفقده * تغور ويهوى بعده القمران
ويظلم ضوء الصبح حزنا على فتى * سخى آل عبس مع بنى غطفان
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس * ولا كان يوم أرسلا لرهان
لقد كان يوما أسود الوجه عابسا * يخاف بلاه طارق الحدثان
فوالله لا زالت جفونى قريحة * عليه بدمع زائد الجريان
الى أن أرى حقا عظام حذيفة * مفتتة والموت منه بدانى
لقد هد حيلى فقده ومصابه * وخلى فؤادى زائد الخفقان
به كنت أسطو كلما جرد العدى * سيوفهم نحوى لقطع بنانى
فمن بعده من ذا يكون مساعدا * اذا طرقتنى طارقات زمانى
فوا أسفى كيف انثنى عن جواده * وما كان سيفى عنده وسنانى
رماه بسهم الموت رام بجوره * فيا ليته لما رماه رمانى
وحق أياديه التى لو شرحتها * لسامعها منى اكل لسانى
عنانى لا ثنيت عن أخذ ثاره * ولا بت الا فوق ظهر حصانى
ولا زال سيفى فى فزارة فاصلا * الى أن يعود البر أحمر قانى
بنى بدر استم أشد عزيمة * اذا ضمنا الميدان يوم رهان

(قال الراوى) واستمر عنتر سائرا الى الاحياء وما كان سلم من العشيرة الا ثلاثة ولم يبق من اخوة مالك الا اثنان وقد أصابهم مثل عنتر وأكثر حتى أشرفوا على الهلاك من الندب والبكاء ولما قاربوا الاحياء التقاهم الملك قيس ووجوه قومه وهم مشاة مكشوفوا الرؤس وقد حلوا العمائم فى الرقاب وخلفهم صياح النسوان وأما أمه تماضر فانها كانت فى أوائل النساء وهى تدق على صدرها الى أن وصلت الى ولدها وهو مربوط على الجواد فاعتنقته وصاحت صياحا يفتت الاكباد وانقلبت بنو عبس من سائر الجنبات وانهتكت البنات المخدرات لان اخوة قيس كانوا قد سبقوا الى الاحياء وأخبروا بالذى جرى فالتقوا بعنتر ذلك الملتقى وأراد قيس أن يدفن مالكا فى الغبرا فما مكنته أمه من ذلك بل انها قالت لا أدفنه الا وقت الصباح وبعد ذلك أسير أنا بروحى أطالب بنى بدر بدم ولدى والا فما تنطفى نار كبدى فقال لها قيس يا أماه ما نحوجك الى هذا فان سيوفنا حداد ورماحنا مداد ورجالنا شداد وأنا أقسم بمن رزق الذر وأوسع البر لا أقعد عن ثار أخى مالك حتى أهلك بنى بدر ثم انه عاد الى الاحياء وحطت المضارب والخيام وندبت النوادب باهتمام فهذا ما جرى لهؤلاء من الاسا ﴿وأما ما كان﴾ من حذيفة فانه وصل الى بنى فزارة عند المسا وما معه من رجاله الا القليل لانه من فرحته بقتل مالك تركهم قدام عنتر ونجا بنفسه ولما وصل التقاه سنان لانه كان فى انتظاره وهو الذى دبر هذا التدبير والفساد وترك على بنى عبس الارصاد ولما سارت بنو فزارة الى بنى غراب بقى هو فى الحى ينتظرهم فلما أشرف عليهم حذيفة ركب اليه المتخلفون وهم أخوه حمل والربيع بن زياد ولما التقوا سأله سنان ما فعلت فى الصيد الذى طلعت بخيلك وراه ومالى معكم لا أراه فقال له ما وقع الا معقور اذ ذبحناه فعظم ذلك على الربيع وحرك جواده من شدة ما دهاه ايعلم ما هم عليه ويعرف سر حذيفة ونجواه وعلم أنهم فى أمر ما أطلعوه عليه فقال له يا أبا حجار ما هذه الامور والاخبار ألك عنى يا ابن العم سر تخفيه وتخاف منى عليه فقال حذيفة وحق من رفع السموات العليه ما نخفى عنك يا ابن العم شيأ بالكليه لانك عندنا من الرجال المسعيه لكن اعلم يا ابن زياد اننا قتلنا ابن ملككم مالك ومنتظرين باقى اخوته نفعل بهم كذلك فوالله ما سمع هذا المقال حتى زعق وقال يا للعرب وقع الله الشر والعطب وقال لحذيفة ايش هذه الفعال يا أبا حجار فبئس هذا التدبير وهذه الاخبار ولا بد لقيس وعنتر أن يبتلوكم بالشوم ويقاموا بكم ولو تعلقتم

بالنجوم فقال حذيفة للربيع ويلك يا ولد الزنا ايش هذا الحال وما الذى حملك على هذا المقال ويلك يا ابن اللئام تواجهنا بذلك وأنت فى ضيافتنا يا ابن الذمام والله يا ابن ألف قرنان لا كان الشؤم الا حولك وحول اخوتك اللئام وسوف ترى شؤم هذا الكلام ولولا اكلك طعامنا ومقامك فى خيامنا كنت ابصرت ما يجرى عليك وعلى اخوتك منا يا ويلك عد الى قومك وكن فى حزن قيس من يومك والا التقينا جوابك على قدر خطابك وحق اللات والعزى ان اقمت فى ارضنا اكثر من اليوم او غدا لانتفن سبالك واقطعن اوصالك فعاد الربيع وهو موجوع القلب منكسر الخاطر غزير الدمعة وقد احزنه قتل مالك وقال هذا جزاء من يلتجى الى الغربا ورحل من وقته وساعته وطلب ارض بنى عبس فوصل الخبر الى حذيفة فقال * الى حيث ألقت رحلها ام قشعم * لقد كان قتل الربيع خيرا من تركه لانه سار يشد مع اهله ويحرضهم ويساعدهم علينا فقال رجل منهم يا ابا حجار انا اعلم ان الربيع كان اشترى ظروف خمر يشربه فانظر الى منزله ان كان حمله معه فهو فرحان بقتل مالك فلا تحمل همه وان كان مزقها او بددها فيكون صعب عليه ذلك فعند ها سار حذيفة الى المنزل الذى كان فيه الربيع بن زياد فوجد الارض مفرقة والظروف ممزقة فعند ذلك ندم حيث تركه يعود سالما فهذا ما كان لحذيفة ﴿واما ما كان﴾ من الربيع فانه سار طالبا بنى عبس حتى وصل اليهم قبل طلوع الشمس فوجد الملك قيسا واخوته وعنتر عند قبر مالك ولما رآهم الربيع مال اليهم وخرق اثوابه واعلا بكاءه وانتحابه واشار يرثى مالكا بهذه الابيات يقول

يا لقومى من عظم حزنى وما بى * أصبح الدمع فى الخدود سجاما * ومصابا اذا تفكرت فيه
صار عندى الضياء منه ظلاما * يا جفونى ان كنت ما تسعفينى * صار منى الكرى عليك حراما
لهمام قد كان حصنا لعبس * وشفوقا على النسا واليتامى * تاج عبس وعزها وعلاها
وطرازا لها وقرما همام * ومليكا يوم الفخار بطعن * قد حوى العز مجده قد اقاما
عجبا كيف احتوى مثله القبر * واراه وهو بدر تماما * يا بنى العم ساعدونى بعزم
انا عن ثار مالك لن أناما * برجال من آل عبس كرام * عم للناس جودهم انعاما

﴿قال الراوى﴾ وما فرغ الربيع من شعره حتى ابكى العيون واثار الشجون ثم انه نحر على القبر مائة ناقه وجمل وسار الى الملك قيس وعانقه واعتذر اليه وعزاه ثم انه مال على عنتر ودموعه سائلة تنحدر فقبل صدره وما زالوا عند القبر الى ان امسى المساء واظلم الدجا وطلبوا الاحياء ودخل عنتر الى فريق بنى قراد واما الملك قيس فانه لما رجع الى ابياته تفكر الربيع وما هو فيه وخاف من مكره ودواهيه واحضر امه وقال لها اريد ان تسيرى الى ابيات الربيع وتختفى فى نفسك بين اعدال الدقيق وتنظرى ما بينه وبين زوجته فقالت السمع والطاعة وسارت من تلك الساعة ودخلت الى خلف الخيمة التى للربيع حين اتى للمنام وارادت زوجته ان تدخل معه فى الفراش وتنام فالتفت عنها وقال لها قومى فبعد مالك ما تفعل الرجال بالنساء ثم انه انشد وجعل يقول

ذهب الرقاد فما يقر قرارى * دوما من الامر المهم السارى
من اجله تمسى النساء حواسرا * يتفجعن فى السر والاجهار

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت حلتنا صباح نهار * يجد النساء حواسرا يندبنه
يخمشن اوجههن بالاظفار * قد كن يخفين الوجوه تسترا * واليوم تبرزهن للنظار
من بعد مقتل مالك ومصابه * تدع النساء عواقب الاصهار * ما ان ارى فى قتله لذوى النهى
الا المطى يودى بالاكوار * وفوارس طلى الحديد عليهمو * فكانما طلى الحديد بقارى
ونقود كل مقاص من خيلنا * سلس القياد مضمر كرار * حتى نشن على فزارة رقمة
شعثا ونسقيهم كؤس بوار * من كان مسرورا بمقتل مالك * تسقيه حد المرهف البتار
وستعلمون اذا التقينا بكرة * بالمشرفى وبالقنا الخطار * من تلعب الخيل الجياد برأسه

ويعض من ندم على الاظفار * أظننتمو أنا نخلى مالكا * كلا ورب البيت والاستار
حتى نبيد بثاره ساداتكم * حملا وفارسهم ابا حجار

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت الجارية هذا الكلام والشعر والنظام خرجت من بيت الربيع وسارت الى ان دخلت على مولاها قيس وقد اخبرته بالخبر وبما سمعت وعاينت بالنظر فقوى قلبه وفرح به واستبشر ولما كان عند الصباح خرج قيس هو واخوته ودام الامر على ذلك ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اجتمعوا للمشورة والتدبير على هلاك بنى فزارة الكبير منهم والصغير وطلب قيس عنترا فلم يلقه فسأل عنه اعمامه واباه فقالوا ما عندنا منه خبر فصعب على قيس غيبته وخاف ان يكون مضى لاجل رجوع بنى زياد لانه يعلم ما بينهم من الكياد والعناد فبقى كذلك الى ان ارتفع النهار واذا بغبار من ناحية بنى فزارة قد ثار فوقع فى بنى عبس الصياح من سائر الاقطار وركبت الفرسان الجنائب واشهروا القواضب واستعدوا للقاء المصائب وركب الملك قيس وشجعان قبيلته وبين يديه الربيع بن زياد وسائر اخوته الا ان الخيل ما بعدت عن الخيام حتى انجلى ذلك القتام وظهر من تحته عنتر واخواه شيبوب وجرير ومعهم نوق وجمال تسير ومال كبير ومال خطير فتعجب الملك قيس واخوته وتقدموا حتى قاربوا عنتر وسألوه عن الخبر فبكى وتفكر وتأسف على مالك وتحسر وقال يا مولاى قد اثرت فى بنى فزارة اشام اثر واخذت ثار مولاى مالك واليوم او غدا بنو فزارة يأتون اليك فكن على اهبة للقتال واعزم عزمة الرجال حتى تقلع الاعداء من هذه الديار والا لا يكون لنا ديار ولا قرار فقال يا ابا الفوارس هذا امر لا بد لنا منه وانت اليوم اين كانت غيبتك وما فعلت وما هذه النوق والجمال والاموال فقال له اما المال فهو مال اخيك مالك الذى كان حمله الى بنى غراب مهر العروسة واما القتلى فهى من سادات بنى فزارة ومن جملتهم عوف اخو حذيفة لانى من شدة ما وجدت عندك من الوحشة ما نمت ولا ذقت المنام بل كل ليلة اتفكر وانتظر منك المسير الى اخذ الثار ولا اقدر اسأل ذلك لاجل ما عندك من الاحزان الى ان كان نصف الليل فغلبنى النوم فنمت ولما ثقلت فى نومى رأيت مولاى مالكا كانه قدامى يقول لى يا ابا الفوارس نمت عن اخذ ثارى نوم الامان ونسيت ما كان بينى وبينك من قديم الزمان لكن من وفى لخليل حتى تفى انت لمن هو تحت التراب جديل ثم ودعنى ودموعه تسيل وهو يلتفت لى بفؤاد عليل فانتبهت وانا مثل المجنون المصاب ولمت نفسى على النوم وعاتبتها اشد عتاب وما جرى على اخذت اخوتى قدامى وركبت على ظهر جوادى وقد هانت على المصائب وسرت الى بنى فزارة تحت غسق الظلام وعولت ان القى نفسى بين المضارب والخيام واشفى فؤادى منهم بضرب الحسام وكان وصولى اليهم وقت السحر ولما عزمت ان افعل ما كنت عزمت عليه واركب مركب الخطر سمعت صوت هذه الجمال فدنوت منها فرأيت معها مائة فارس ابطال وهم دائرون بها يمينا وشمال فزعقت فى الرجال وطالبتهم بالقتال فانفرد الى منهم عشرة فرسان وعوف اخو حذيفة فى اوائلهم وهو يقول انا عوف اخو حذيفة بن بدر فارس الدهر والعصر فلما سمعت خطابه اشتد بى الفرح من جوابه واستقبلته بطعنة فى صدره اطلعت السنان يلمع من ظهره وسابقت بعده الخيل فاسقيت ركابها الذل والويل والذين قتلتهم كانوا عشرة ابطال سوى ما جرحته من الرجال ولما مضى الباقون من بين يدى وهربوا امرت اخوتى فساقوا هذه الغنائم فى البطاح وما عرفت انها اموال مالك الا عند الصباح واقول ان حذيفة انفذ اخاه الى بنى غراب بعد موت مولاى مالك وامره ان يسوق اموالهم ويقتل رجالهم لما رآهم اتصلوا الى بنى عبس وهؤلاء ما فى وجوههم فائدة فلا خير بن ديارهم ثم عادوا الى ديارهم فرحين وهم بالنصر والظفر متباشرين بفعال عنتر الاسد العرين ﴿قال الراوى﴾ وكان سبب هذا الاتفاق ان حذيفة بن بدر لما كلم الربيع بن زياد بذلك الكلام وقال له ان اقمت عندنا بعد ثلاثة ايام قتلناك وواجهه بذلك الكلام لما رآه صعب عليه قتل مالك ابن الملك زهير وما حل به من الضير ولما رحل الربيع فى الليل وجرى ما جرى ووصل الخبر ندم على قوله وقال كان الصواب قتله وقتل اخوته لانه على كل حال ركن من اركان بنى عبس فلو قتلناه كنا ربحنا وانا اقول انه ما مضى الى اهله لانه لا يشتهى ان

فقال له أصحابه وقاثم عند الملك النعمان وماهو الاساثر الى العراق يدأحدامنهم ولايبصرهم ولاير ينظردم وحق الكعبة الحرام ياحذيفة مانزل الاوهو يريدأن يشدمعهم غاية الشد لانه صعب عليه قتل مالك والافما كان كلك بهذا الكلام فقال لهم حذيفة كيف يصعب عليه ولوقدر على شرب دمائهم ما أبقاهم فقال رجل منهم لحذيفة كان ذلك في زمن عبدهم عنتر والآن على كل حال زوج ابنته وملك عشيرته وان أردت صحة قولنا فابعث عبيدك الى موضع الربيع واخوته ينظرون ما فعل عند رحلته لانه البارحة كان قدعول أن يعمل وليمة وقد اشتروا من التجار الخمر فتقدم رجل الى حذيفة وقال له يا أمير عبرت على بني زياد فرأيت الظروف مختلفة على باب خيمة الربيع فان كان عند رحلته قدخرقها فقد صعب عليه قتل مالك وان كان قد حمل الظروف معه فقد فرح بذلك فلما سمع حذيفة ذلك تعجب من حسن خبرتهم بعواقب الامور وانفذ جماعة من عبيده الى المنزل الذى كان فيه الربيع نازل فابصروا الارض بالخمر مغرقة والظروف مخرقة وقد كسروا القناني والكاسات فلما عاينوا ذلك وأبصروا هذه العجائب رجعوا الى حذيفة وأخبروه بالخبر فصدق عند ذلك ما جرى من ذلك الامر وندم على ما فعل في حق الربيع بن زياد وكيف تركهم يعودون الى بنى عبس سالمين من الانكاد ومن شدة غيظه أنفذ أخاه الى بنى غراب ومعه تمام المائة فارس وقال لهم بادروهم وسوقوا أموالهم واقتلوا من مانع من رجالهم ما دام بنو عبس مشتغلين بالحزن وان قدرتم أن تسبوا نساءهم والاولاد فاجتهدوا فى ذلك كل الاجتهاد واتوا بامرأة مالك حتى أشق بطنها وأخرج ما فيها من الاولاد حتى لا يكون لبنى عبس عاقبة لانى عولت أن أقطع أصولهم وفروعهم ففعل عوف ما أمره اخاه من نهب بنى غراب وأما النساء لم ينل أحد منهم منال لانهم هربوا الى رؤس الجبال والتلال وعاد عوف يطلب أرض بنى فزارة وهو خائف أن يعود جميعه الى خساره وكان عوف قد رحل وقت المساء الى أن يصبح الصباح وسار سائرا الى وقت السحر فالتقى بعنتر فانزل به العبر وقلع منه الاثر وقتل بعض رجاله فهذا ما جرى لهؤلاء * وأما الذين هربوا من الوقعة فانهم وصلوا الى حذيفة وأخبروه بقتل أخيه عوف فصعب عليه ذلك وجرى عليه ما لم يجر على قلب بشر وهم أن يركب هو وقومه ويسيروا الى قتال بنى عبس فاشار اليه سنان بن أبى حارثة أنه لا يفعل وقال له يا ولدى الصواب عندى أنك تتمهل الى أن تجتمع عساكرنا حلفاؤنا ونكاتب من نعتمد عليه فى شدتنا ورخائنا ونكون فى جمع كثير والا قهرونا وكسرونا وان وصلتم لى عساكر النعمان فى هذه الايام فخذوا أهبتكم للحرب الشديد ولا تنتظروا القريب ولا البعيد ثم انهم افترقوا على ذلك التمهيد ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه فى تلك الليلة أرسلت اليه عبلة مع أمتها خميسة تقول يا أبا الفوارس اعلم ان لى أياما وليالى وأنا مواظبة على البكاء والانين والاشتكاء وقد ضاقت نفسى من ذلك واشرفت على المهالك وأريد الليلة أن أخرج الى الغدير ومعى جماعة من بنات عمى حتى تخف عنى أحزانى ويفرج كربى وأشجانى وأشتهى منك أن تخرج الى هذا المكان لتحفظنى وترعانى لئلا يتسبب لى بعض الاسباب أو يدهمنى شئ لم يكن لى فى حساب لا سيما من بنى فزارة أو بنى زياد أو طائفة من الاعداء أهل الفساد فلما سمع عنتر هذه المقالة فرح بصفاء المحبوب وأجاب بالسمع والطاعة وأخذ أهبته فى تلك الساعة وعادت الامة الى عبلة وأعلمتها باجابته فطاب قلبها وأمنت على نفسها وأخذت جماعة من بنات عمها ممن كانت تألفهم وكن اللاتى طلعن معها عشر بنات أبكار شبه الاقمار وهى بينهن تزرى بضياء القمر وهى طالبة الغدير ونور وجهها يفوق البدر المنير ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة ان عمارة بن زياد الذى ذكرنا انه يهوى عبلة وتمادى عنترا من أجلها كان قد اشتدت به الاشواق والآلام وقد قتله الوجد والغرام لانه كان أقام فى بنى فزارة شهورا وأياما وزاد به الوجد والغرام وهو يتمناها ولما عاد الربيع الى بنى عبس وعاد عمارة وهو كثير الاشتياق ويؤمل الوصل ويعد نفسه بالتلاق وكان من وقت أن رجع ترك على عبلة العيون والارصاد وصار يفرق على الاماء اللاتى حول بنى قراد الكساوى والدنانير ويجتهد فى نظره الى عبلة كل الاجتهاد الى أن كانت تلك الليلة التى خرجت عبلة فيها وأوصت فيها عنترا أن يحميها ويراعيها ووصل

الخبر الى عمارة فكاد قلبه أن يطير من الفرح وصبر الى أن أظلم الظلام فخرج من الخيام وقد لبس لبس الاماء من النساء حتى لا تنفر منه القلوب ومازال سائرا حتى وصل الى الغدير فرأى البدور تسحب أذيال الملونات من الحرير وعبلة فى وسطهم مثل البدر المنير وقوامها أحسن من أغصن الميال والكل يتمايلن على صوت الدفوف والمزاهر المطربات وهن مثل الاقمار كالاغصان المائلات فلما رأى عمارة الى ذلك أخذه الجنون والوسواس ورجفت منه الاعضاء واشتبكت الاضراس ثم انقض على عبلة انقضاض العقاب أو الاسود الكاسرات وهى تظن انه من بعض الاماء لانها رأته بثياب النساء المخدرات ولما أن حست بثقل قبضته نادت وقالت من أنت يا طنجير وما الذى تريد يا قبيح من زير فقال لها أنا عمارة أريد الربح بعد الخسارة لانى قتيل هواك وعليل جفاك وقد تسببت بهذه الاسباب كى أراك وأنا عمارة بن زياد الذى أهلكنيه بالبعاد وأريد ان تصلى معى الى هذا الكثيب حتى أشبع من نظرك وأطيب من تقبيلك الالذ العجيب والا قتلتك أشأم قتله وأفعل معك أرذل فعله ﴿قال الراوى﴾ فلما نظرت عبلة ذلك البلاء الذى نزل بها زاد خوفها ورعبها وحين سمعت من عمارة ذلك المقال صاحت فيه مثل الاسد الرئبال وسبته وشكت من جوره وقالت له يا ابن زياد أما تستحى من عنتر بن شداد فخل عنك والا وحق من بسط المهاد ما ترى الذى تريد ولا فى الرقاد فدع عنك الطمع وارجع ولا تخاطر برأسك تقطع فقال عمارة وحق البيت الحرام يا بنت مالك ما بقى لك من يدى خلاص لانى فى حبك هالك ولا تركتك حتى أبلغ منك مرادى وما تمناه من ذلك وأشفى منك فؤادى بالوصال وتذهب عنى سائر الاوجال ولا يمكن أن يفوز بك هذا العبد الزنيم والوغد اللئيم الذى كأنه شيطان رجيم ﴿قال الراوى﴾ كان هذا وعنتر بين الروابى يسمع ويرى ولما ان رأى فعال عمارة ونظر الى ذلك الامر المنكر وقد كان من حين بعثت عبلة اليه أمتها اعتد بعدة جلاده وخرج الى كثيب هناك وكمن خلفه وأقام حتى أتت عبلة وقد جرى لها ما جرى مع عمارة وأبصره عنتر ولما سمعها عنتر وهى تستغيث منه وهو لا يفكها من يديه زعق زعقة دوى لها البر وهم ولما سمع صيحتها دمدم واسودت فى عينيه الروابى والاكم وخرج من بين الروابى كما تخرج الاسد من الغابات وأقبل الى أن أتى الى عمارة وزعق فيه زعقات مزعجات وقبض على مراق بطنه ورفعه على يديه وجلد به الارض فأحدث فى ثيابه التى كانت عليه من شدة الفزع وقوة الهلع لان عنتر كان أرهقه وأراد قتله ليأخذ سلبه فرآه وسخ نفسه حتى سال الخراء على ساقيه ونزل على قدميه وصار فى أسوا حال وأقبح بال فضحك عنتر بعد الغضب وقال له لا رعاك الله ما قبحك وما أقرب خراك يا طنجير العرب ويا أرذل من ضرب فى البيداء وتدا أو مد طنب * هذا يا سادة وعبلة قد رأت ما أصابه فتعجبت لما رأت ذلك وما أصابه وعاينت الذى نزل على أفخاذه فقرفت من قبحه وفساده وضحكت عليه وكذلك البنات والنسوان وقد دار واحواليه وسدوا أنوفهم وهو فى هذه الفضيحة وقد فاحت عليهم تلك الريحة وبخره على فعاله الرديئة وشوهوا عليه بكل بلية وكان عنتر قد عول على قتله ولما رأى الذى جرى عليه وأبصر الخرا نازلا على رجليه وذلته بين يديه تركه وهو مكبوب على وجهه وقد غشى عليه وغابت الدنيا عن عينيه ثم رجعت النساء الى المضارب وهن يتضاحكن عليه ويتعجبن من فضائح عمارة الطنجير وبقى على حالته الى وقت السحر فلما أفاق من غشيته ونظر الى ما جرى عليه ورأى الخرا جاريا على ساقيه نزل الغدير فخلع ثيابه واغتسل وعاد الى أبياته بخوف ووجل وعند الصباح غير أثوابه وعلم ان حالته ما تنكتم ففزع من أهل الحى وندم وعلم أن النسوان لابد أن يعيدوا الازواجهن عند اقبالهم على البيوت ما جرى عليه ويخبروهم بقصته فزاد حزنه وبليته فدخل على أخيه الربيع وبكى بين يديه من الذل الذى هو فيه وأخبر أخاه بما جرى عليه فاخذه الحنق والغيظ وكاد قلبه أن يذوب فقال له الربيع ويلك يا مشوم الناصية ما الذى أحوجك لذلك الذل وهذا الفعل المنكر وحق من رفع السماء بغير عمد وبسط الارض على ماء جمد لقد تركتنا مثلا من الامثال وما خليت لنا رأسا تشال فقال له عمارة والله يا ربيع ما بقيت أخرج من بين المضارب ولا ينظرنى راجل ولا راكب حتى

تأخذلى بالثار وتكشف عنى العار لانى وحق الكعبة الغراء تمنيت أن أكون قتيلا على جنب الغدير ولا أرى انحداراهل أفخاذى يسيل وعبلة تلعننى هى ومن معها من النساء والكل يضحكن على فضرب السيف كان أهون عندى ولا أراهم يسدون أنوفهن ويبعدون عنى فقال الربيع ويلك يا ابن الام أنت مجنون هذا الثار الذى تطلبه كيف يكون والرجل ما جرحك حتى اننا نقوم معك ونطلب جرحك وانما أنت الذى تعديت وقد جازاك فاشكر الرب القديم الذى ابقاك وخلاك والا كان عنتر قتلك وأرداك والصواب أنك تترك هذا الحال والسبب وتخفيه ولا توقعنا مع عبلة فى تعب وأنا ألف مرة قلت لك لاتخلى لنا مع عبلة معاملة فنتعب ولابد أن تهيجنا الى قبائل العرب فقال عمارة واحرباه من قلة الناصر وا أسفاه على رجل ينصرنى على هذا العبد اللعين ثم انه عاد وهو حيران مكروب ولهان ﴿قال الراوى﴾ وبعض الجوارى التى كن مع عبلة لما رجعت الى الخيام أشارت تقول هذه الابيات

عمارة دع هوى الجرد الرداح * ودع عنك التعرض للملاح * فانك لاتكف يد الاعادى
ولست بفارس يوم الكفاح * فلا تطمع بعبلة أن تراها * ترى الاهوال من ليث البطاح
تصيب لمن أتى شوقا اليها * باجفان سقيمات صحاح * وقد فرغت نفسك فى هواها
وأمليت النواحى بالنواح * فدع عنك اللجاج لها والا * سقيت لاجلها سم القراح
فلازال اللجاج عليك حتى * ملأت الى ثيابك بالجلاح * وقد ضحك البنات عليك حقا
وجيفت التلال مع البطاح * وصرت لكل من يسعى حديثا * وضحكا فى الغدو وفى الرواح
أتيت لنا باثواب حرير * مصبغة كخنجير مباح * ولما أن أتيت أتاك ليث
تخزله الاسود لدى الكفاح * وما أبقى عليك سوى احتقار * لقدرك اذ رجعت كمستراح
وسدين الانوف هناك لما * ضحكن عليك ضحكا بالمزاح * وعنترة الفوارس ليث غاب
يصول وفى المطاهر السماح * وأنت أذل من ركب المطايا * وابخل سائر القوم الشحاح
ونحن كأننا زهر زكى * كانفاس البنفسج والاقاح * وعبلة بيننا كغصين بان
علاه البدر أو شمس الصباح * فمت كمدا والاعش ذليلا * فليس لحد هجرى فيك ماحى

﴿قال الراوى﴾ وما ارتفع النهار حتى شاع أمره بين الفرسان وعلم به كل أحد كان وصار الناس كلهم يضحكون ويتعاندون الحديث بينهم والرجال والنساء يتعجبون من ذلك وعمارة يسمع حديثه وانهتاك ستره وهو يخفى أمره خوفا من انحطاط قدره وفى ذلك اليوم وصل الى الملك قيس عبد من عبيد أخته المتجردة وأخبره ان الملك النعمان قد أرسل اليكم أخاه الاسود من أرض العراق ومعه عساكر تسد الآفاق وفيهم بنو عامر وملاعب الاسنة وبنو دارم واللقيط بن زرارة وهم قادمون عليكم فاحذروا من بنى فزارة لان الكل عليكم مجتمعين والى حربكم قادمين ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك رجال ابن أبى حارثة لما وصلت الى الملك النعمان وأخبروه ان بنى عبس لم يسلموا الحرث بن ظالم وما سمعوا من رسوله مقال وما أعطوه ولا التفتوا اليه ولا أجابوه بل قال عنتر وحق من أرسى الجبال لو طلبه كسرى صاحب الايوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان ما سلمت الى أحد منهم شعرة من الحارث ولا التفت الى ملكهم ولابد لى من فعلة أخرى وأقلع أثر العجم من الارض فى كره ولو كانوا اضعفهم ألف مرة ولابد أن أذبح العرب التى تطيعه ذبح الغنم وأجعلهم بعد الوجود فى العدم وأقيم الحرب فى بلاد العرب والعجم وكذا فى العراق على ساق وقدم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع النعمان هذا الجواب ازداد غيظا واضطرب غاية الاضطراب وقد اشتعلت النار فى كبده والتفت الى أخيه الاسود والى من فى حضرته ومن كان عنده وقال مادامت هذه القبيلة باقية ما يتم لى نظام ولا أمر من الامور ولا يكون لى عند أحد قدر ولا مقام ثم انه أحضر أخاه الاسود وأخبره بما قد تجدد وأطلعه على ما فى قلب بنى عبس من المخالفة وان الحرث بن ظالم عند عنتر بن شداد وهو طالب الشر والعناد وانه قد أجار قاتل ولدى شرحبيل وخالد بن جعفر فقال أخوه الاسود يا مولاى هؤلاء القوم قد طمعوا فى دولتك وقلت فى قلوبهم هيبتك والدليل

على ذلك أنهم قد أجاروا قاتل ولدك والصواب أن تخلى قلبك من أعدائك المغمورين فى نعمائك وان تجرد معى عساكر من خدمتك حتى انهم يسعفونى على اقامة جاهك وحرمتك وأطاب العرب من سائر الجهات والاقطار وأمحو ديارهم والآثار وأترك الطيور تحوم عليهم والوحش تجر اجسامهم لان العرب كلهم أعداهم وما فى البر قبيلة الا وتتمنى فناهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك النعمان ذلك من أخيه خف عنه الهم والغم الذى كان فيه وأخرج معه عشرين ألف همام من بنى لخم وجذام وأرسل النجابين الى حلل العرب يأمرها بطاعته والمسارعة الى خدمته ولما أن تأهب الاسود للمسير صعب ذلك على المتجردة بنت الملك زهير وخافت على بنى عبس من كثرة هذه العساكر وكان النعمان قد هجرها فلم يدخل عليها من وقت أن هربت من الحرث بن ظالم ولاجل ذلك ماساءته فى قوتها الانها علمت انه لا يقبل سؤالها ولما صح ذلك عندها أنفذت الى أخيها قيس عبدها تعلمه ان الاسود أخا النعمان سائر اليه فى عشرين ألف عنان سوى القبائل التى أنفذ اليها النجابة يأمرهم بطاعة أخيه وقد عين للقوم مكانا يكمنون فيه ﴿قال الراوى﴾ وكان الملك الاسود قد سار وهو قوى القلب ببنى فزارة لانه يعلم انهم يشدون معه لاجل ما بينهم وبينه من النسب فسار معتمدا عليهم ولم يعلم بما جرى لهم مع بنى عبس من أجل سباق الخيل والدماء التى ثارت بينهم هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك قيس فانه لما سمع من العبد هذا الخبر جمع فرسان قومه وأحضر الحرث بن ظالم وعنتر بن شداد وجميع مشايخ القبيلة مع الربيع بن زياد وأعلمهم بما جرى من الاحوال واستشارهم فى أمر القتال فقالوا كلهم يا ملك كلنا نسير للقاء الاعدا ولو شربنا كؤس الردا فقال الحرث بن ظالم أيها الملك أنا آتيكم بقومى فى مرة وأريكم ما أفعل فى عساكر النعمان فى هذه المرة فقال له عنتر يا حارث لا تحوجك لهذا المعنى ولا لهذه العناية لان فينا الكل من فى الدنيا كفاية ولا نخشى الا من بنى فزارة وغدر حذيفة بن بدر الشيطان أن يأتى بعدنا الى الديار ويهجم على الاوطان والصواب اننا نبادرهم اليوم قبل أن يبادرونا غدا ونفصل قضيتهم قبل وصول الاعدا ولا نرفع السيف عن بنى فزارة حتى نأخذ رهاينهم ويحلف لنا حذيفة انه لا يكون لنا ولا علينا فقال الملك قيس وحق ذمة العرب ما بعد هذا الرأى مقال وان لم يكن بنو بدر عندنا فى الاعتقال شغلوا قلوبنا وقت الحرب والقتال ﴿قال الراوى﴾ فوثب عنتر من ساعته وركب على ظهر جواده وأخذ عدته وآلة حربه وجلاده وتفرقت الجماعة على مثل ذلك الحال وصاح الصائح فى بنى عبس وتبادرت الاقيال وما تضاحى النهار حتى صار الكل فى البر خارج البيوت والمضارب بالخيول والجنائب والرماح والقواضب وكانت عدتهم أربعة آلاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقد ماجت الاقطار بالجموع وأشرقت الارض من لمعان الزرد والدروع ﴿قال الراوى﴾ وفى دون ساعة وصل الخبر الى حذيفة بن بدر فصعب عليه وكبر لديه وصاح فى بنى فزارة وذبيان ومن كان قد اجتمع عنده من الفرسان وظهرت الحقود والاضغان ولبس القوم الحديد وتحصنوا بالزرد النضيد وهانت عليهم الارواح وطلبوا الحرب والكفاح وعلا بينهم الصياح وساروا وهم فى عشرة آلاف فارس مثل الاسود العوابس وكان حذيفة فى أوائلهم على مجرته الغبراء وفى كفه قناة لمساء وهو لاجل أخيه عوف فى قلق وفؤاده محترق وصار ينشد ويقول

بنى بدر ان لم تبذلوا فى المعامع * نفوسكمو للرهفات القواطع * رموكم بسهم الذل من كل جانب
وصرتم أحاديثا سائرا فى المسامع * أبعد أخى عوف تقر جفوننا * ويهنى الكرى أجفاننا فى المضاجع
أنقنع من عبس بقتله مالك * وقد قرحت أجفاننا بالمدامع * هموا فجعوا قلبى بقتل حبيبنا
وقتله عوف من عظيم الفجائع * عدمت الخيول السابقات ولا النوت * على لرمح فى يوم العجاج أصابعى
اذا ما أخلى أرض عبس خلية * ونسوانها تسبى بغير براقع

﴿قال الراوى﴾ وطلبت القبيلتان بعضهم بعضا عند تل يقال له المريقب وكانت أرض بنى فزارة قريبة من ذلك المكان ولما أن وقعت العين على العين ارتفع الصياح من الجانبين وصاروا عند ذلك ينادون يالثارات عوف والآخرون ينادون يالثارات مالك بن زهير ومن شدة ما جرى بينهم من الحنق والغيظ

والقاتل مافيهم الامن حمل وزعق وتنافرت الخيل وصهلت وبرزت الرجال واتصلت وشرعت في القتال وتصادمت وشربت الفرسان كؤوس الموت وتناهلت ودام الضرب وزاد الكرب واختلطت المواكب واختلفت القواضب وعزت المطالب وبل العرق اللحى والشوارب وانكر القريب القرائب وسكر من كاس الهياج كل شارب وطنب سرادق الغبار على المشارق والمغارب وظهرت من عنتر بن شداد الاهوال والعجائب ونال ما كان له طالب وسطا سطوات جبار لا ينظر في العواقب ولا يخاف من وقوع المصائب ولا حلول النوائب وطير الرؤس من المناكب ووقعت الشجعان من على ظهور الجنائب وجرى الدم من أنابيب الصدور فعند ذلك ثبت الشجاع على ملاقاة المصائب والجبان من الخوف والفزع ولى هارب ﴿قال الراوي﴾ ومازال الامر كذلك حتى اشتعلت نيران الهياج في جوانب أطراف العجاج واسود النهار بعد الضياء والابتهاج حتى صار مثل الليل الداج وسالت الدماء من الاوداج وانشقت الارض أحسن من شق الديباج وزاد النكد والاجاج وبطل العتب والاحتجاج وامتلا البر بالويل والانزعاج فياله من يوم عبوس لعبت فيه حوافر الخيل بالرؤس وقد خيل للقوم أنهم في بحر منحوس وقد كرهت فيه الابطال الدروع والملبوس من شدة نار الحرب والكرب والبوس ومازال القتال دائم حتى أقبل الليل قادم واسودت الرسوم والمعالم وكلت الرجال والبهائم من وقع القنا والصوارم وانفصلت القبائل وقد تخضبت البقاع بالدم السائل ثم نزلوا في الخيام للمضاجع وكل منهم يعض على أنامله والاصابع وقد امتلات الارض بالقتلى وكان أكثر القتلى من بني فزارة وقد حلت بهم في ذلك اليوم الخسارة لان عنتر وعروة فتكا بهم ولولا كثرة العدد ما كان ثبت منهم أحد ﴿قال الراوي﴾ ولم يكن الحرث بن ظالم في هذه الوقعة حاضر ولا نظرت عيناه الى تلك الكتائب والعشائر بل انه كان قد تخلف في أبيات بني عبس آمنا من النحس والنكس لانه ما كان أتى معهم الى قتال بني فزارة لانه كان فيهم كالبطانة على الظهارة لاجل قربه من أنسابهم وحسبه من احسابهم وكان يدخر نفسه لعساكر الملك النعمان حتى انه يظهر قوته فيهم لذلك الشان الا ان بني عبس لما نزلوا في الخيام افتقدوا الفرسان الكرام وحسبوا الذين قتلوا منهم فكانوا أكثر من ثلاثين فارس ابطال ليوث عوابس فقال عنتر لعروة بن الورد ويلك يا أبا الابيض قتل بنو فزارة منا ثلاثين أجاويد في يوم واحد وأنزلت بهم الشدائد ونحن بين أيديهم نقاتل ونجالد فوحق الكعبة الغراء وأبي قبيس وحراء لا تركت أحدا يسبقني غدا للبراز واتلاف النفوس والانجاز ولا بدلي في غداة غد من القتال ثم أطلب منهم فرسان الحرب والنزال وأكسر هذه الجيوش ولو كانوا بعدد الرمال فقال له عروة يا أبا الفوارس وقيت شر كل عدو وداحس اعلم يا ابن العم أنه ان كان بنو فزارة قد قتلوا منا ثلاثين فارسا غضنفر فانا قد ملأنا من قتلاهم البر الاقفر وأقل ما قتل من فرسانهم ألف أو أكثر من كل مذكور مشهور والكل قد أمسوا رزقا للوحوش والطيور وفي غداة غد نكسر الباقين ولو كانوا بجبال الشمس متعلقين أو تحت الارض مختبئين ثم انهم باتوا على مثل ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك تبادرت الفرسان الى الخيل الجرد القداح وركبوا للحرب والكفاح وفي دون ساعة لمعت أسنة الرماح وبرقت مضارب البيض الصفاح وقد رتبوا الميمنة والميسرة وأماما وخلفا وعول عنتر ان يبرز الى بين الصفين ويتقدم الى مكان الطعن والضرب ويصطلي نيران الحرب فتقدم اليه شيخ من مشايخ بني عبس يقال له ارطاة بن مخزوم وقال له يا أبا الفوارس بحياة عبلة انك ما تردني خائب عما أنا طالب وما أنا راغب بل تمن علي في ذلك اليوم وتتركني أن أفتح باب الحرب في هؤلاء القوم ولا أترك علي عتبا ولا لوم لان لي في بني فزارة قتلا كثيرا من الاعادي وقد اشتهيت ان أشفي منهم فؤادي فقال له عنتر وقد استحيا منه ولا سيما وقد أقسم عليه بحياة عبلة بنت عمه وهي أعز من روحه التي بين جنبيه دونك وما تريد يا شيخ ارطاه وان عجزت عن عدوك فارمي اليه حتى انني أعينك على لقاه لانك قد أقسمت علي بقسم عظيم وشي جسيم (قال الراوي) فعندها قفز ارطاة الى بين الصفين ونادى يا بني فزارة دونكم والبراز يا رعاع الغنم وأخبث الخدم فما استتم كلامه حتى قفز اليه مالك بن بدر أخو

حذيفة وسائر معه في الميدان ونادى عليه وقال له ويلك يا ارطاه لقد كثر جهلك يا ويلك متى كنا لكم عبيد وكل العرب تعلم أنه ما فينا الا من تراه سيد شديد وبطل صنديد ثم انه بعد ذلك حمل ارطاه وصار ينشد ويقول

بني عبس تعديتم علينا * متى كنا رعاة وعبيدا * أفق يا ابن اللئام فان هذا
مقال الزور لا يرضى شهودا * ولو انصفت كان العار فيكم * ويغشى جمعكم أبدا جديدا
لكم عبد زنيم غير حر * لسادتكم أضحوا عبيدا * وأنت الآن تعلم صدق قولي
وتكتم عنكم عارا مديدا * فلو أنصفت ما قد قلت حقا * لكانت عبس لفزاره عبيدا
ولكن انتم قوم ثقال * ولم يك عندكم بطلا شديدا

(قال الراوي) فلما فرغ مالك من شعره وما أبداه من نظمه انطبق على ارطاه وطبق كل واحد منهما على صاحبه وجالا مقدار ما خيم عليهما الغبار ووقع التعب في زنود الشيخ ارطاه وضعف حيله وقواه فعاد منهزما الى بني عبس وصاحت خلفه بنو فزارة صيحة الفرح وأبصره عنتر وقد عاد منهزما ازداد به الغيظ والحنق ومن عظم ما جرى عليه قفز الى الشيخ ارطاة بن مخزوم وصاح فيه وقال له ويلك يا شيخ السوء ارغم الله أنفك وعجل حتفك لما كنت تعلم من نفسك انك ضعيف الجنان لم أقسمت علي بحياة عبلة وخرجت الى القتال هل رأيت يا مذلول السبال عبسيا منهزما من خصمه ولو مالت عليه الجبال والله لقد خرقت حرمة القبيلة ووضعت هيبة العشيرة ولولا ما بيني وبينك من النسب لطيرت رأسك بهذا الحسام المشطب ثم انه عاد عنه الى الميدان وقد بقيت عيناه مثل شقيقة الارجوان من شدة ما جرى عليه ووسع في الجولان وكان عليه درع من دروع العجم معلم بالذهب وكان عليه بيضة تلمع مثل الكوكب وفي يده رمح طويل مكعب فدنا من صفوف بني فزارة ونادى يا مالك يا ابن بدر وهو الذي قد خرج الى الشيخ ارطاة يا مالك الفخر كل الفخر لمن لاقى خصمه ورجع عليه ولم يأسره لم قلت له أجرني وهو ذليل بين يديه فاخرج أنت وسائر اخوتك حتى آخذ لصاحبي بالثار وأرديك بالاسمر الخطار يا نسل الاشرار وكيف يكون ضرب الصارم البتار الفصال في ساحة الحرب اذا دام القتال ثم ان عنتر صار يناديهم في الميدان وينشد

يا بني بدر بادروا للجلاد * واشهروا بيننا السيوف الحدادا * قد بغيتم والبغي يقلع منكم
كل أثر ويتم الاولادا * واتبعتم حذيفة وظننتم * انه يعرف الهدى والرشادا
خالف المرء ما يقول أخوه * ثم ظنوا الصلاح حقا فسادا
خنتموا مالكا وكان كريما * واطعتم داحسا وكان جوادا
أنظروا كيف أهلك البغي فرعو * ن ومن بعده وكيف أهلك عادا

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ عنتر من شعره بهذا الخطاب لم يرد أحد من القبيلة عليه جواب فحمل على ميمنة بني فزارة وعاد وقد قتل سبع فوارس أجواد وبعد ذلك طلب المسير فأهلك سبعة من الابطال أرباب التدبير ثم طلب بعد ذلك البراز فما اجابه أحد من الفرسان بل تغيرت من فعله الالوان واقشعرت من هوله الابدان فصال وجال في الميدان ثم انه نادى ما بالكم يا بني بدر أنتم وقوف على صهوات الخيل لا تقاتلون ولا تنهزمون أظننتم انكم بعد بغيكم على بني عبس تسلمون دونكم ومقام الافتخار ان كنتم قد أتيتم تطلبون الثار فانا الذي قتلت أخاكم عوف وملأت قلوبكم حزنا وخوف ولا بد ان ألحقكم به عن قريب وأترك أرضكم ودياركم مسكنا للغراب ومسرحا للذئاب فلما سمع حذيفة واخوته كلام عنتر زاد حنقهم عليه وما منهم الا من تأهب وعول أن يخرج اليه فسبقهم رجل يقال له الاخطل بن سحاب وكان من فرسان بني فزارة الانجاب وهو معدود للحرب والقتال لا يخطر الموت له على بال طول عمره يكبس الحلل وينهب الاموال ويهجم على الغابات والدحال ويقبض السباع من الغابات والاشبال واذا أوما اليه وقف من غير تعب ولا ملال وفي يده رمح أسمر سنانه يلمع مثل الهلال الا انه لما قاربه عنتر صاح فيه وقال له يا عبد الزنا جئتنا تتفرج على القتال وأما ثمودنا ما كان الا لسبب من الاسباب لانه ما خطر قتالك لاحد منا على بال وحق الكعبة الحرام نحن

آلينا على أرواحنا الا نقاتل الا الموالى فلا نقاتل العبيد ونرجع نجالس السادات الاماجيد ولكن أنت ماعليك عتب ولا ملام الا على بنى عبس اللئام الذين الحقوك بالحسب والنسب وقدموك للتلف والضرب والعطب والآن قد فات الحال ومابقى يسمع فى هذا الوقت مقال فدونك وضرب الحسام واظهر ثباتك والاقدام ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر ذلك اليوم يسمع كلام خصمه ويتبسم وقد علم أن فى قلوب أعدائه من علو منزلته النار ذات الضرم ثم قال الرجل الفزارى وقد تقدم من عنتر وسار قدامه ودنا منه وقال له ويلك ياعبد الزنا وتربية الخنا اذن لى القتال ان كان فيك نخوة الرجال فقال له عنتر ويلك لمن تعاير بالسواد الظاهر الذى خلقه عالم السرائر فوحق الذى خلق الاوائل والاواخر ياقرنان ان كل من فى بيتك تشتهى أن تكون منى حامل لان الحق له علائم ودلائل ثم انه حمل عليه بعد هذا الخطاب وأخذوا فى الطعان والضرب والكفاح ومازالوا فى كر وفر حتى علا عليهما الغبار وصار بينهما ماتتعجب منه الانظار وتتحير عقول أولى الالباب وتطاولت اليهما الاعناق والرقاب ثم أراد عنتر الانجاز وأن يوقع هيبته فى قلوب الرجال عند البراز فتأخر فى ركابه وأدار كعب الرمح وكان قد وقع كلام خصمه فى قلبه وحمل عليه وزعق فيه وطعنه فى صدره فأطلع السنان يلمع من ظهره والقاه على الثرى فلما وقع على الارض صاحت بنو عبس لاشلت يداك ولا كان من يشناك ثم ان بنى فزارة لما رأوا ذلك ارتدت قلوبهم من هول تلك الضربة ووقع فى قلوبهم الفزع وجال عنتر وصال وطلب البراز والنزال فخرج اليه أخو المقتول وكان فارسا شجاعا وقرما مناعا ولكن أين الثريا من الثرى وأين الثعالب من أسد الشرى ﴿قال الراوى﴾ وكان ذلك الفارس عريض الاكتاف عديم الانصاف ثم انه لما قارب أخاه تذكر الذمام فأجرى دموعه مثل السحاب ومن شدة ماجرى عليه حمل على عنتر وصاح وقال لاى شئ أخر الله فى عمرك يا بن ألف قرنان وقد دلت لك الابطال والشجعان فى كل ناحية ومكان فوحق مكون الاكوان ماأسفى على قتلك لاخى فى الميدان فان هذا مقام الرجال الكرام وانما أسفى من قول العربان قتله عبد لا قدر له ولا قيمة ولا ذمام ثم صاح وحمل وطلب عنتر وأراد منه الثار والقتل فاستقبله عنتر وسل سيفه الضامى وضايقه وضربه على عاتقه فأطلع السيف يلمع من علائقه ﴿قال الراوى﴾ فلما قتله عنتر ووقع قتيلا على الارض صاحت بنو فزارة طولا وعرض ولام بعضهم بعض وصاح حذيفة من شدة الحنق ورمى البيضة من على رأسه وزعق وحمل يطلب عنتر بن شداد فارس بنى عبس وقراد وتبعته أصحابه وعلموا انه قد عظم مصابه وصاح أيضا سنان بن أبى حارثة فحملت سائر القبائل وصهلت الخيول الصواهل ومالت مثل موجات البحار الزواخر وحملت الابطال من كل جانب وصاحت من شدة الاحقاد على عنتر بن شداد وهو يرد الفرسان والكتائب ويركبها عن الخيول والجنائب ﴿قال الراوى﴾ ولما أبصرت طائفة بنى عبس ذلك حملت وأقبلت مثل سهام المنايا اذا أرسلت والتفت الاسنة بانفسها وطاحت الزوابع وأرخت سطورها على الاقطار حتى حجبت السموات عن النظار وشابت الشباب وماجت والعقول زالت والجبال مادت والدماء سالت والعيون غارت والسيوف جارت والرماح طارت والخيول جالت والارض مالت والالباب طاشت والافكار حارت والنهار اغتم والشجاع هم والجبان تندم والبطل تقدم والجبان انهزم والفؤاد تألم والرمح تحطم والسنان انقسم والقلب انجدع والفؤاد انقطع والدم همع (قال الراوى) وكانت وقعة ذلك اليوم وقعة ماتقاس بوقعة وساعة لاتشبه بساعة من كثرة ماضربت فيها الرقاب من الشيوخ والشباب وتدام الامر على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار وأقبل الظلام وتفرقوا من ضرب الحسام ونزل حذيفة بن بدر وهو حائر لايدرى كيف يعمل ومن شدة ماجرى عليه صار يعض أنامله ويتململ ﴿قال الراوى﴾ ثم انه طلب سنان بن أبى حارثة واستشاره فيما اعتزم عليه فقال له سنان ياولدى من هذا فزعت عليك وقلت لك لاتسر الى بنى عبس وعدنان حتى تتقوى بالفرسان أو تصل عساكر النعمان لانى أعلم أنهم لايغلبون الا بالكثرة والقوة مادام هذا العبد فيهم لانه شيطان ومالاحد عليه سلطان وانه وحق من بسط المهاد وأنبع الماء من الجماد كسر اليوم وحده هذه الامم ويبددهم فى الغرب والشرق كالرمم وان لم يكن له مقاوم يرده من شره والا

أهلكنا وباع أموالنا ونساءنا والصواب أن نرحل فى هذا الظلام ونخلى هذه المضارب والخيام واذا وصلنا الى أرضنا والاطلال حصنا الحريم والاموال وندع رحول النساء والمال الى أن تصل عساكر النعمان وسوف تصل اليكم بنو لخم وجذام فما بقى لها بطء أكثر من هذه الايام فقال حذيفة أرحل الى اسم الهزيمة وأترك العرب تقول على هرب حذيفة وبنو فزارة من عبد لاقدر له ولاقيمة وتركت أموالها ومضاربها غنيمة وحق ذمة العرب لافعلت هذا أبدا ولو شربت كاس الردا فقال سنان والله ياحذيفة ان لم تفعل هذه الفعال قتل من معك من الرجال والابطال على أننى أعلم انهم يهربون غدا بغير اختيارك ويتركونك تعانى أمورك بنفسك لان اليوم تفرقت الخلق والاصدقاء ولو طال النهار قليلا مابقى معك أحد من الفرسان ولا من الاقرباء لان طعم الموت مر لايرضاه عبد ولا حر ثم جعل سنان يقول لحذيفة أقم الى الصباح فاذا اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف اخرج أنت وسائر اخوتك الى الميدان ونادى يابنى عبس اعلموا أن القبيلة لها حق لانضيعه وخير الناس من رأى الحق واتبعه واحتشم لنفسه وحشم الناس معه وماجرت هذه الامور بيننا الا من أجل السباق وهذه الساعة نحن والملك قيس مابيننا افتراق لاننا جلبنا هذه الفتنة وأوقعنا انفسنا وأبطالنا فى المحنة وقد هلك منا ومنكم قوم كانوا عندنا أعز مكان ومانريد أن تساعدونا علينا سرا واعلان بل نصطلى النار التى أوقدناها بأرواحنا ونشفى قلوبنا بصفاحنا وأسنة رماحنا وقد خرجت أنا وسائر اخوتك نطلب براز الملك قيس واخوته فردنا أن نكشف عن الفرسان هذه الكربة ويشتفى كل واحد من صاحبه ويزيح عن قلبه العلة لاننا اذا انتهينا بشفار السيوف بين هذه الصفوف انطفأت النار التى توقدت وزالت عنا وعنكم وخمدت فقال حذيفة وأى فائدة لنا فى هذا الامر ياسنان ومن يفرق بيننا اذا التحمنا فى الميدان فقال سنان ياحذيفة لنا فى هذا أكثر الفوائد ونخلص من الشدائد ولا يفقد منكم شخص واحد لانى أتقنت التدبير واطفاء نار الحرب بالتقصير وذلك انكم اذا خلصتم فى مقام الحرب وعولتم على الطعن والضرب أخرج أنا وآخذ معى مشايخ القبيلة ولا أزل كذلك حتى أثبت الحيلة وأنا أظهر النصيحة والاشفاق وأصلح بينكم وبينهم حتى يقع الاتفاق ونعود الى أرضنا بالعز والاحسان والا اذا انهزمت يقع بك الخسران وتصير لنا معيرة على طول الزمان فقال حذيفة كيف الرأى ياسنان فى الفرسان الذين قتلوا لم ناخذ بثارهم من أهل الطغيان فقال سنان ياأميرنا نامارحل من هذه الديار حتى أقلع من بنى عبس الآثار ونكون قد بلغنا بالاحتيال مالا نبلغه بالحرب والقتال فرأى حذيفة هذا الرأى من الصواب وخاف من الهلاك والعذاب فقال افعل ياسنان مابدالك فلعل أن تبلغ المنى بافعالك ثم ان سنان بات يتحدث مع مشايخ بنى فزارة عاد برين الكيد فى العبارة وكانت طائفة بنى عبس قد نزلت آخر النهار وهى فرحانة باخذ الثار وكلها تثنى على عنتر بن شداد وقد أيقنت بالنصر والظفر وبلوغ المراد وقد نهبت بالسنان والسيوف بنى فزارة وصارت عليهم أشأم خساره وركبت الطوائف تطلب القتال والحرب والنزال واصطفت الصفوف ميمنة وميسرة فخرج حذيفة على جرته الغبراء وتبعه سائر اخوته وهم غائصون فى الزرد كثير والعدد ولما صاروا بين الصفين وعرفهم أبطال الفريقين نادى حذيفة بما علمه سنان من المحال والبهتان وصاح يابنى عبس أنتم أصحاب النهى والامر ونحن أولاد بدر بن عمرو أهل العلا والفخر ولكن رقد عنا الزمان وغفل ونام وأسعدتكم الليالى والايام وليس للانسان أن يغتر بالدهر لان العاقل لايفرح بالزمان ان أقبل ولا يعتب عليه ان ولى ورحل وقد قتلتم لنا سادات تشهدون لهم بالفضل والمكرمات والامر فيهم قد مضى وفات ومانريد أن نترك أصحابنا هدفا للآفات بل نريد أن نحفظ من بقى ونرد عنهم النكبات فاخرجوا لنا أولاد الملك زهير لانهم غرماؤنا ونحن نطلب فناءهم وهم يطلبون فناءنا فدعونا نتلاطم نحن واياهم ونبيع النفوس ونتناول من الاسنة مر الكئوس وقد بردت نيران الحروب ونامت عن الغالب والمغلوب وهدأت زفرات القلوب وكل من ظفر بخصماه نال قصده ومناه ونفذ الى الديار وأطاعته الاخيار والاشرار ولم يبق له مقاوم يقاومه ولا مزاحم يزاحمه وان لم تفعلوا وحميتم أنفسكم من

المهالك فنحن نطلق رؤس خيلنا ونعود الى ديارنا ونحمى من الخلائق حريمنا وعيالنا وأولادنا ونتحفظ فى الجبال وننفذ الى العرب الاموال ونجمع حولكم كل بطل رئبال وان وصلت عساكر الملك النعمان فى هذه الايام تلفنا منكم الاموال وتركنا دياركم العامرة منكم خوال فالصواب أن تجعلوا هذا اليوم يوم الانفصال ولا تجعلوا علينا اللوم والمقال ثم ان حذيفة جال وصال هو واخوته فى حومة المجال وسمع قيس هذا الكلام فخاف على نفسه أن يتوجه عليه الملام ويقولوا انه فزع من الحمام وخاف حين دعى الى الصدام فترك أخاه ورقة فى مكانه بين أهله وأعيانه وأخذ أخاه نهشل وكثير وجندل وأمرهم بالخروج الى الحرب فخرجوا وبادروا الى الطعن والضرب ولم يلبثوا لما فى قلوبهم من الحمية والنخوة العربية والهمة العبسية وكانوا خمسة فى عددهم بالسوية وقيس على جواده داحس وعليه الدرع الاحيحيه وفى يده قناة مستوية وهو متقلد بصفيحة هنديه وأبصر عنتر هذه الاحكام فاشتد عليه الغيظ والخصام وقفز بجواده الابجر حتى قارب أولاد الملك زهير وقال لقيس يا مولاى وذمة العرب ما أدعكم تخرجون لهؤلاء الانذال ولا أسمع فى ذلك مقال العذال بل أنوب عنكم وآتيكم بالكل أسارى ان ثبتوا ووقفوا والا خرجت جنوبهم بالطعن ان انهزموا أو انحرفوا فقال قيس يا أبا الفوارس انى فى قولك خلاف ولكن أنا ما أحيد عن الانصاف وأخلى العرب يتحدثون فى عرضى بالمذمة ويقولون أولاد الملك زهير قد اكتفوا بعنتر فى كل نائبة وملمة وأريد منك أن تقبل سؤالى فى هذه الكرة وأتولى أنا قتال بنى بدر فى هذه المرة لانى أعلم انك ان خرجت اليهم لا يقاتلوك بل يعيبوا نسبك ويشتموك ويحتجوا عليك بالعبوديه ويعدوا عنك الحريه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام تأخر وأضمر فى نفسه انه اذا أبصر احدا من موالية قد قهر حمل على بنى بدر وركب مركب الخطر * هذا وقد صار قيس واخوته مع حذيفة فى الميدان ومحل الضرب والطعان وصاحت الفرسان ومالت المواكب من كل جانب ومكان وتطابق الصفان وكان يوما عظيم الشان الا أن الضرب والطعن ما اتصل بينهم حتى خرجت مشايخ بنى فزارة مكشوفى الرؤس حفاة الاقدام وبين أيديهم شيخهم الكبير المبتل لخدمة الاصنام والكل ينادون واذل بنى فزارة وذبيان واحرباه على بنى عبس وعدنان ياقوم لا تقطعوا الانساب بالحجاج والكياد ولا تركبوا طريق البغى والفساد ولا تشمتوا بنا الاعادى والحساد ولا تعجلوا على قطع اعماركم بالسيوف الحداد فكانكم بمنادى الحمام قد ناداكم وبسهم الشتات قد رماكم ويبقى ذكركم جاريا على ألسنة البشر بالمذمات فبادروا أموركم قبل الفوات واغمدوا السيوف المرهفات وانظروا كم مات قبلكم من السادات وكم خربت الدور العامرات وكم يحدث من التعب لبنى آدم وكم تعرض لكم قوم ممن تقدم ونحن ما نخليكم تصلوا الى بعضكم البعض حتى تهرقوا دماءنا على وجه الارض ثم أمسك كل واحد منهم بعنان واحد من الفرسان وردوه عن الميدان وغصبوه على الصلح وترك العدوان فاستحى الملك قيس وقال ياقوم قصدكم لا أضيعه وقولكم أسمعه لكن على شرط أقوله لكم وأتبعه فقال سنان وما الشرط يا ملك الزمان قال يحلف لى حذيفة بالرب الكريم رب زمزم والحطيم انه لا يرجع يغدر بنا ولا يعاون علينا أحدا يقصد حربنا وبعد ذلك يعطينا رهائن من بنى فزارة الاجواد ونحن نقيم على العهد والوداد والا فلا نرجع عنهم حتى نفرقهم فى الآفاق ونضعف بهم عساكر العراق لاننا قوم قليلو النصير ولنا أعداء كثير وقد تجمعوا لحربنا من كل مكان وما بقينا نخلى فى جوارنا من يعين الاعداء علينا اذا طرقتنا نوائب الزمان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت المشايخ هذا الكلام الصائب علموا أن قيسا خبير بالعواقب وان امتنعوا من ذلك أفنتهم الرماح القواضب ولا تصفو القلوب عليهم ولا تأمن بنو عبس اليهم فأجابوا الى ذلك الكلام خوفا من الحمام ورجع سنان الى حذيفة وقال له يا أمير الصواب أن تجيب قيسا الى ما يريد لان القتال فى موضع الغلبة عجز والذل فى مواضع كثيرة عز فاقبل هذا الرأى حتى تجد الحرب مضربا وترى للطعن وجها ومسببا لان النعمان لا بد أن يقلع من بنى عبس الآثار ويجعلك أنت ملك هذه الديار وترى الامر كما تحب وتختار ثم جمع بينه وبين قيس وحلف بعضهم لبعض وعادت القبائل من تلك الارض وكان قيس أجاب الى الصلح خوفا من عاقبة الغدر والحرب

ورجع عنتر وهو غير طيب القلب الا انه ما قدر أن يخالف قيسا فى هذا الامر الصعب ورجع حذيفة الى بنى فزارة وأقام حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فجمع أولاد الفرسان الكرام من أبناء عشر سنين الى عشرين عام فكانوا مائة وخمسين غلام وأنفذ الجميع الى قيس وأخلى لهم مكانا فى جانب المضارب وأقام عليهم التوكيل وأطلق لهم المراتب وطاب قلبه من هذا الجانب وفرحت العشيرة بتدبير الملك قيس وقالوا أما بنو بدر فقد أمنا مما يدبرون من المكر والغدر وما مضى على هذا الحديث أكثر من يومين وفى اليوم الثالث تواترت الاخبار بقرب الملك الاسود من ديارهم وانه طالب قلع آثارهم وقد حلف انه يبيع نساءهم وأولادهم فى بلاد اليمن ولا يترك منهم من يأكل الخبز ويشرب اللبن فقال قيس ساءت أفعاله وكذب مقاله وأذل الله سباله والله لأتركنه بين هذه الاطناب يطحن الحنطة والشعير ويذوق العذاب ثم أحضر عنتر الحرث بن ظالم والفرسان الذين يعتمد عليهم من العظائم واستشارهم فى هذه الامور الكبائر وخاف عليهم من هذه العساكر وخشى خراب الديار وقلع الآثار ﴿قال الراوى﴾ فقال الحرث يا مالك انتم لاقيتم من أعدائكم من لاقاكم وقد بقيت أنا لانى أنا المطلوب وأريد أن أصطلى بروحى نيران الحروب فقال عنتر لا والله يا حارث بل نصير كلنا يدا واحدة ولا بد لنا أن نبذل نفوسنا بين يديك فى المساعدة ونضرب بالسيف حتى لا يبقى منا نسمة واحدة ثم قال لقيس ما هذا الانتظار وأعداؤنا قد قاربوا الديار فسر بنا اليهم حتى نقلع أصولهم فقال قيس يا أبا الفوارس اصبر حتى نحترز على الاولاد والنسوان ولا نترك أحدا يصل اليهم من الفرسان فانى أريد أن أنفذ الى بنى غطفان فاذا سرنا الى القتال تركناهم لحفظ العيال لانى خائف من حذيفة بن بدر أن يرجع الى البغى والغدر ويفتتن بخلو الديار فيفعل فيها ما يختار لاسيما وقد صالحنا فى هذه النوبة من حد السيف وأعطى الرهائن ولم يقل لم ولا كيف وأنا والله خائف من شره ولجاجه لانه اذا قدر لا يعفو فقال عنتر والله ما كان الرأى عندى الا قتله أو أسره وكنا أمنا من شره وشؤمه وغدره فقال قيس لا بد من هذا مرة أخرى اذا ظلم وطغى ثم أنفذ من يومه الى بنى غطفان يأمر فرسانهم بالمسير الى معونته والمسارعة الى خدمته لانهم كانوا بطنا من بنى عبس وعدنان كما كان حذيفة أميرا على بنى ذبيان وأنفذ الحرث الى أخيه فى بنى مرة يأمره أن يلاقيه على أرض الخلجان ويقول له ان بنى عبس شدت معى وعادوا لاجل الملك النعمان * هذا وقد أخذت بنو عبس أهبة الحرب واعتدت للطعن والضرب فى تمام الخمسة أيام الى أن وصلت بنو غطفان وكانوا ثلاثة آلاف بطل وكان المقدم عليهم الهطل ابن أخت عنتر فأخذ معه ألفا وترك الالفين الاخر لاجل ان تحفظ الاطلال والمعالم وكان سيدهم يقال له بهيج بن حازم وأوصاه باليقظة والاحتراز وسار طالبا أرض الحجاز وهو فى خمسة آلاف فارس عبسية معتادة خوض الاهوال بكرة وعشية لا تفزع من المنية ولا تخاف من طوارق الليالى المظلمة الديجوجية وهم بالدروع الداووديه والرماح الخطية والسيوف الهندية والخيول العربية وكان مقدمتها عنتر وعروة والحرث بن ظالم الذى وصفنا قتاله وفعاله ومكره واحتياله وذكرنا قبل هذا الكلام أعماله وشرحنا كيف قتل خالد بن جعفر فى حرم النعمان وقتل ولده على باب الحيرة ولاقى عسكر النعمان وحده يوما كاملا ونجا وعاد سالما بعد أن طلبته سائر القبائل وفى هذه النوبة كان سائرا مع بنى عبس ونفسه تحدثه بلقاء كل من مع الاسود من فرسان العراق وتشتيت شملهم فى الآفاق ولا يحوج بنى عبس أن تقاتل معه ولا تتعب بل يفنى وحده قبائل العرب التى سارت اليهم من كل بر وسبسب ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من أمر الملك الاسود فانه سار من عند أخيه النعمان فى عشرين ألف عنان ولما وصلوا الى وادى الاخدود نزل الاسود فيه بتلك القبائل حتى اجتمع عليه خمسة آلاف مقاتل من فرسان القبائل التى أمرها الملك النعمان بطاعته والمسارعة الى خدمته وأتاه اللقيط بن زرارة فى بنى تميم ودارم وملاعب الاسنة فى بنى عامر الاكارم ثم رحل وقد سار فى ثلاثين ألف فارس من فرسان القبائل والحلل تبطل عن شجاعتهم الحيل فساروا يقطعون المنازل ويردون الغدران والمناهل حتى وصلوا الى أرض الانبار وجبال

الديناز وقلوبهم تغلي على بني عبس بالاحقاد ويتحسرون على هلاك عنتر بن شداد وقد عولوا على النزول فيه واذا باول الجيش قد اضطرب وماج ووقع به الارتجاج والانزعاج وعاد الجيش بعدما كان متتابع وتفرق في الطرق والمقاطع وتأخرت خيوله وانقرض عرضه وطوله وتصايحت فرسانه وتزاعقت شجعانه ونظر الاسود الى هذه الاحوال فتقدم في جماعة من الرجال وسأل الفرسان الاوائل عن هذا الامر الهائل فقالوا يا ملك قد ظهر علينا أسد من بين هذه الغابات خرج على حس حوافر الخيل الصافنات فحارت النواظر من عظم خلقته وطارت العقول من هول صورته والخيل نفرت لما شمت رائحته فقال لهم الملك الاسود يا ويلكم هذه المصيبة قد أصابتكم من نظر الاسد ثم انه تقدم واذا بالاسد قد بسط يديه وانشب في الارض مخاليبه وضرب بذنبه جنبيه وكلما يرى الرجال تصيح عليه يطير شرر النار من عينيه وهو سبع أسود عظيم الرأس كبير الجسد له قوائم مثل العمد وأنياب أحد من النوائب ومخالب قد صقلتها الدواهي والمصائب وعينان كانهما نقرتان في حجر اذا نظر احرق واذا زعق أقلق فاندهش الملك الاسود من خلقته وراعه هول صورته وزعق في الرجال فترجلت اليه وصاحت وسلت السيوف حوله وهجمت بالرماح عليه فوثب الاسد وثبة صارت منها الرجال يصدم بعضها البعض وصارت تتواقع على وجه الارض والاسد قد كسر بلطمته رماحها وأسال دماءها وأهلك ثلاثة رجال وأعدمها أرواحها ولما بعدت الرجال عنه صار يخطر بين أيديهم ويجول مثل الفارس في الحرب المهول فحار الاسود في قصته وبذل المال لمن يقتل الاسد وقد زاد به الغيظ والحرد وأراد أن يترجل اليه ويخاطر بنفسه مما جرى عليه اذ قد برز اليه غلام امرد صغير كانه القمر المنير وهو يتمايل باعطاف كانها غصن الخلاف ثم انه صار بين يدي الاسود في قميص حرير قصير وشمر عن ساعديه وأدار ذياله في حقويه وسل سيفا طويلا عريض له لمعان وبيض وهزه حتى دب الموت من فرنده وفي جنباته وحام الحمام على حافاته وتخطى طالبا الاسد بقلب أقوى من الحجر الجلمد ولما صار عنده زعق فيه فاضطرب وجمع نفسه للوثبة بعزماته وحلب وانحط على الغلام مثل الصاعقة اذا وقعت من السماء أو حجر المنجنيق الذي لا يرده صخر وجه من الضيق فابصر الغلام هذا الفعل الوبيل فاستقبل الاسد ومدله بضربة باعه الطويل فوقعت الضربة على جبهته وقد أتقنها بقوته فنزل السيف بين عينيه وطلع من بين فخذيه وتركه الغلام وعاد الى جواده وعدته بعد أن مسح سيفه في جلدته الا انه ما لبس عليه الزرد حتى دارت به عبيد الملك الاسود وساقوه الى بين يديه فشكره وأثنى عليه وسأله عن عربه ونسبه واسمه ولقبه فقال له يا مولاي أنا جراح بن صائل وقومي بنو وائل وما أتيت الا لخدمتك وما فعلت هذه الفعال الا لما سمعت انك تحب الفرسان والابطال فاردت أن أريك شجاعتي بين يديك ويوم الحرب ترى ما تقر به عينيك ففرح الاسود بكلامه وزاد في اكرامه وأمر بالخلع فالقيت عليه وقادوا الجنائب بين يديه فتبسم الغلام وخضع قدام الاسود وخدم ثم رد الجنائب والخلع فتوجع قلب الاسود وانصدع وصعب ذلك عليه ولعب الغيظ بعطفيه وقال له لم رددت الخيل وما قبلتها أهذا استقلالا بي أم استقلالا بها فان كنت استقليتها فنحن نزيدها لك لان مالنا كثير وعطاءنا يعم الصغير والكبير فقال الغلام لا والله يا ملك الزمان ما قل عندي عطاك ولا أنا ممن يجحد نعماك الا اني ما فعلت فعلا أستحق عليه هذا الجزاء من الخلع والمال وقتل السبع لم يخطر لي على بال ولا أشتهي ان فرسان العرب تقول عني اذا عادت الى الاحياء اني قتلت كلبا من كلاب البيداء وأخذت عليه مالا وجزاء ولكن ما أريد منك الخلع الجياد الا اذا قطعت بين يديك رأس عنتر بن شداد الذي أنت سائر في طلبه وقد جمعت هذه العساكر بسببه تريد بها هلاكه وتعجيل عطبه فلما سمع الملك الاسود ذلك أخذه الفرح والطرب وانكشف عن قلبه الهم والكرب وقال له وذمة العرب ان أنت وفيت هذه الضمانه جعلتك مقدما على سائر العربان من بني وائل وقحطان ثم انه أعطاه سيفه الخاص وكان سيفا ما ملكت مثله ملوك الزمان من سيوف أخيه الملك النعمان فقبله الغلام وشكره على هذا الانعام وتقدم من بعده اللقيط بن زرارة وقال أيها الملك هذا الغلام قد ضمن لي

قتل عنتر بن شداد وقد أراحنا من ملاقاته بين العباد وأنا أضمن لك قتل قيس وصرعته ومعي سبعة من اخوتي كل واحد يضمن لك قتل واحد من اخوته ثم تقدم ملاعب الاسنة وضمن على نفسه قتل بني زياد وقتل فرسان بني قراد وكان معه عشرون فارسا من بني عامر فضمنوا على أنفسهم هلاك عشرين فارسا من بني عبس الاكابر فطاب قلب الملك الاسود وزال عنه الهم والنكد وقال لهم يا سادات العربان وحق مكون الاكوان وحياة أخي الملك النعمان اني أضمن علي وعلي ضمان كريم غير خوان أن أعطي لكل من أتاني برأس فارس من بني عبس وعدنان خمسمائة ناقة حمراء الوبر والالوان سود الحدق باجسام سمان ثم سار يقطع البراري والقيعان حتى وصل الى أرض يقال لها الكلال وكان مكان واسع كثير العيون والمنابع يصلح للحرب والوقائع فوجد خيولا وجنائب وخياما ومضارب ورجالا قد ركبت واستقبلت الغبار وقاوموا كب وملئت الارض من المشارق والمغارب ﴿قال الراوي﴾ وكان هؤلاء بني عبس وعدنان ولهم يوم وليلة في ذلك المكان في انتظار عساكر الملك النعمان لانهم لما ساروا من أرضهم وأتوا الى هذا المكان قال لهم قيس انزلوا بنا ههنا على الغدران وأقيموا حتى تحضر عساكر الملك النعمان لان هذا موضع واسع يصلح للحروب والوقائع ووصل الملك الاسود وطلع غبار خيله من سائر الاقطار وحققت بنو عبس الاخبار وركبت الجنائب وبعدت عن المضارب وانكشف القتام وبانت الاعلام وعرف بعضهم البعض وانفرشوا في أقطار الارض وصاحوا أشد الصياح وأشهروا البيض الصفاح وهزوا قطع الرماح وطلبوا الضرب والكفاح وفرحت عساكر العراق بكثرتها وقد أطلقت أعنتها واتصل الطعن بين الابطال بالابطال وما ركبت الجنود حتى أقبل الملك الاسود تحت الرايات والبنود فرأى الحرب قد قام فصاح في نقبائه وأمرهم أن يردوا الناس عن ضرب الحسام حتى ينزل وتضرب الخيام ويستقر بهم المقام ولا نفعل شيأ حتى ننفذ الى قيس رسول ونسمع منه ما يقول ففعلت نقباءه ذلك وقد صمت الاسماع من شدة الحرب والقراع وكثر في عين الجبان العدد وقل في عين الشجاع المدد وما استقر بالملك الاسود النزول حتى أنفذ الى قيس رسول يقول له أنت تعلم ان أخي الملك النعمان طاعته واجبة على كل انسان خصوصا سائر العرب والملوك أصحاب الرتب وأحكامه نافذة على كل من ضرب في البيداء طنب الا أنت الذي خرجت عن طاعته باجارتك عدوه فان أردت أن تبقي مصاهرته ووده معك ومحبته فسلم اليه الذي قتل ولده وأحرق عليه كبده واعتذر اليه اعتذار النادم بعد أن ترسل معي الحرث بن ظالم من قبل أن تصبح فرسانك ممددة على التراب واطلالك خراب يحجل في عرصاتها البوم والغراب واعلم أن هذا الجيش الذي معي طليعة العساكر التي خلفي متتابعة وكانك بفرسان العرب حولك طالعة مثل العيون النابعة فاقبل مني ولا تقطع من أخي قرابتك وسلام البادي على من أجاب وتلافى أمره وعرف منزلته وقدره ﴿قال الراوي﴾ ولما وصل الرسول الى قيس بهذه الرسالة والخبر كان أول من تلقاه عنتر لانه كان في مقدمة العساكر فاخذه وسار به الى الملك قيس وأوقفه قدامه وأعاد عليه كلامه فلما سمع الملك قيس رسالته قال له يا وجه العرب بهذا الكلام لو كان عليه معول كنا سمعناه من الرسول الاول الذي أتى من عند الملك النعمان وعاد من عندنا بالذل والهوان ونحن قوم اذا قلنا مقال أتبعناه بالفعال واذا أعطينا الى أحد ذمام أمن من حوادث الايام ونحن قد أعطينا هذا الرجل ذمامنا لانه اخذ ثارنا وكشف عنا عارنا وقتل خالد بن جعفر وبذل نفسه في هوانا وما بقينا ننزل عن ذمامه حتى تطير رؤسنا قدامه وأما قول الاسود ان العساكر وراءه متتابعة مثل العيون النابعة فهذا لا نفزع منه ولا بد لنا من اهلاكه واهلاك كل من معه فارجع اليه ولا تفزع منه ولا بد لك من رد الجواب وقل له يترك طمعه ولا يتعرض لسوء مصرعه فيندم ويعض على أصابعه وكان عنتر قد ندم لما سمع هذه الرسالة حين أتى بالرسول الى قيس وأوصله اليه ولم يهلكه قبل دخوله عليه ثم انه عول على ضرب رقبته بعد فراغ رسالته فنهاه قيس عن ذلك وحلفه بتربة أخيه مالك فرجع الرسول وهو مثل المهبول لا يصدق بالنجاة والوصول وما أمن على نفسه حتى صار قدام الملك الاسود وأعاد عليه ما تجدد فزاد

به الغيظ والحرد وقال هؤلاء قوم قد امتلأت بالحماقة رؤسهم والعذل لا ينفع فيهم وهم لا يعرفون قدر نفوسهم حتى يروا باعينهم الهوان وتسبى بناتهم والنسوان وكان المساء قد أمسى والنهار قد أدبر فصبر حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركب الملك من باب السرادق ورفعت على رأسه الاعلام والبيارق وسلت حوله السيوف البوارق وماجت المغارب والمشارق من كثرة الجيوش والخلائق وعول الملك الاسود أن يصف العساكر ميامن ومياسر وقد تمهلت فرسان بنى عبس لانها كانت ركبت عند طلوع الشمس وكان فى مقدمتها عنتر بن شداد والحارث بن ظالم وباقى فرسان بنى عبس المقادم وقال عنتر للحارث وابن أخته الخطال وبنى غطفان خذوا انتم مياسرهم وانا آخذ ميامنهم ثم انه صاح وحمل على ذلك الجيش والجحفل وانبعه مالك ابن قراد وعروة بن الورد وأبوه شداد وتزاعقت أيضا فرسان العراق حتى قلب صياحهم الآفاق وحملت من غير مصاف وتساوت العبيد والاشراف وحمز القيط بن زرارة وملاعب الاسنة فى بنى عامر وتلاطمت أمواج العساكر واتصل الاول بالآخر وفتحت أبواب المقابر ونزل عليهم حكم الملك القادر وزاد الغبار من ركض العساكر والحوافر وفى دون ساعة بان الرابح من الخاسر وكان قسم الشجاع وافر لاجل معرفته بطعن الاسنة وضرب البواتر ولله در عنتر وبنى عبس الشم الانوف وما فعلوا فى تلك الالوف وما فرقوا من المواكب والصفوف باطراف القنا وشفار السيوف وأما الحارث بن ظالم فكم اهلك بسيفه من سالم لانه كان كامل القريحة فقاتل بنية صحيحة وفعل وصفنا ما فيه من المكر والشدة ورفعة القدر وكان بيمينه على الماثيات حسامه ذو الحيات لانا ذكرنا ما فيه من الصفات فقد به فى ذلك النهار الصدور وأجرى به الدماء من أنابيب النحور وكذلك فعلت فرسان بنى عبس وعدنان وشجعان بنى غطفان وقد أبادوا القبائل المجتمعة من العربان ولولا كثرة العدد وزيادة المدد ما كان ثبت منهم أحد لانه فرق كبير بين الذئب والاسد وما انتصف النهار حتى عاد الفرح ترح وجرى الدم وسرح وفاض الجرح ورشح وبان لهم شخص الموت كانه شبح وبعدما كان انصلح وبان الامر واتضح والجبان افتضح وتناهلوا من شراب المنايا قدحا بعد قدح وسمح الجبان بنفسه وكان الشجاع بها اسمح ودام السيف يعمل حتى عاد النهار كانه قوس قزح كما قال الشاعر وفى هذا المعنى اوضح واعرب بفوائدها واصلح

ومعركة بفرسان السباق * تجول الخيل فيها بانطلاق * ترى الاقران فى الهيجاء صرعى
وترعف بالدما بيض الرقاق * كذا النبل والنشاب فيه * يطير الى الصدور بغير راقى
فكم كف على الرمضاء ملقى * وكم قطعت من قدم وساق * وكم رمح له طعن وخز
كذا الاقران جالت بالسباق * وللهندى بالهامات ضرب * كمثل النار تضرم باحتراق
وكم من عاجز ولى وخلى * لقا الفرسان من خوف الفراق * وقد طارت طيور السعد عنهم
وقد وقعوا جميعا فى المحاق * ونادى الموت لا ينجى فرار * اذا الآجال دانا ها سباقى
وقد صار الانام بها حيارى * وقد التفت بها ساق بساق * وساقى الموت أسقاهم كؤسا
مرارا ليس شاربها بباقى * فاضحوا من شرابهم سكارى * حيارى هالهم هول المحاق

﴿قال الراوى﴾ وكسر عنتر ميمنة القوم قوة واقتدار حتى حير بفعاله الابصار وترك القتلى بعضهم على بعض وملا بجماجمهم جنبات تلك الارض وعاد هو وأعمامه وقد أروى سنانه وحسامه وكذلك عروة ورجاله فتك فى الاعداء هو وأبطاله وكذلك الحارث بن ظالم أباد الفرسان والمقادم ولما فرق بين الطائفتين الظلام نزلوا كلهم فى المضارب والخيام والملك الاسود أخو النعمان لا يلتفت الى أحد من الاخوان لانه رأى بعينه من بنى عبس من الهول المهول ما يحير العقول ويرد النواظر الصحاح حول ولما نظر الملك الاسود الامر العسير نزل فى السرادق الكبير وجمع فرسان القبائل ووبخهم على التقصير وقال والله ان هذا القتال نبلغ به غرض ولا نشفى به مرض لان بنى عبس فى دون السبعة آلاف ونحن فى ثلاثين ألفا وقد ربحوا على أبطالنا وطمعوا فى رجالنا ولا سيما هذا الاسود الذى طغى وتمرد وكسر الميمنة عند آخر النهار

وقتل صاحب العلم الكبير وسيد الازدهار وحق النور والنار لولا أن الظلام أقبل ولا ترى الرايات والاعلام لنا الاسباب ما كانوا لى فى حساب ولا أقول أن هذه الطائفة اليسيرة تلقانى فى الطريق وتخلى خيامنا خالية من الرجال والفرسان والابطال وأما بنو فزارة الذين أثبت متكلا عليهم وعلى معونتهم فما ظهر لهم خبر ولا طلع لهم أثر ولا بان منهم أحد ولا ظهر وما جاء من أرضهم بشر ولا أدرى كيف حالهم مع بنى عبس وعنتر واقول انهم ضيعوا قرابتى كما ضيعت بنو عبس قرابة أخى الملك النعمان وأجار واعدوه وظهروا عداوته وان ثبتوا بين أيدينا لا نبلغ منهم أرب بل ربما خرقوا حرمتنا بين العرب الان كنتم توفوا لى بالضمان الذى ضمنتم وتضعفوا الاعداد كما ذكرتم وتأخذوا الفرسان كما وصفتم فقال اللقيط بن زرارة أيها الملك طيب صدرك فان الاعداء الليلة غدا يبيتون فى أسرك وتفعل بهم ما تحب وتختار ولا يبقى بين يديك منهم ديار لان الذين ضمنوا لك أسر الفرسان ما أحد منهم قاتل ولا نزل فى الميدان وقد خبؤا أنفسهم الى وقت البراز حتى انهم ينجزوا امرهم ثم نجاز والصواب انك عند الصباح تنهى القبائل عن القتال ودعا تخرج الى البراز والنزال وقد انفصل بيننا الحال فقال الاسود وعلى هذا كنت معول وأما الفرسان الذين ضمنوا الضمان فانا رأيتهم كلهم وقوفا خارج الميدان وما فيهم من طاعن ولا قاتل الا جراح فارس بنى وائل الذى قتل الاسد أمام كل فارس أمجد وهو الذى وعدنى بقتل عنتر الاسود لانى رأيته آخر النهار وهو يقاتل الحارث بن ظالم حتى دفع شره ولولاه كان الحارث كسر الميسرة كما كسر عنتر الميمنة ومع ذلك فما رأيته الى الآن ولا حضر ولا سمعت له بعد الحرب خبر فياليت شعرى ما الذى جرى عليه وما تم له مع الحارث وما وصل اليه فقال ملاعب الاسنة وحق الله يا ملك ما فى هذه القبائل مثله ولا من يفعل كفعله وانا كنت خلفه لما قاتل وأبصرته قتل عشرة كان لهم بصادم حتى وصل الى الحارث بن ظالم وجرى له معه أحوال وأهوال ما جرى مثلها على أحد من الابطال وعند المساء عاد وهو ألم ولكنه حلف بالرب العظيم الدائم انه لا يأكل زادا ولا يلتذ برقاد ولا يقف بين يديك الا برأس عنتر بن شداد فتعجب الملك الاسود من هذا الكلام وقال وحق النار وما فيها من الاضرام هكذا تكون نفس الشجاع الهمام ولا بد لى أن أصف الابطال وأتركه يخرج الى القتال لعله يكفينا شر عنتر بن شداد كما ضمن ويتم لنا المراد فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما) بنو عبس فانهم لما شاهدوا تلك الامور فرحوا وأيقن الملك قيس بالفرح والسرور ولانهم لما نزلوا افتقدوا قتلاهم فكانوا مائة فارس وأما قتلى العراق فثلاثة آلاف وخمسمائة من العوابس ففرحت بنو عبس غاية الفرح وجمع الملك قيس عشيرته بين يديه وقال لهم يا بنى عمى قد حدثنى قلبى اننا نكسر هذا الجبار ونورده موارد تلافه ولو كان فى أضعافه ولكن بعد أن يهلك منا فرسان ما يقع عليهم بيان ولا يرجع يخلف مثلهم الزمان لاننا طائفة قليلة وكل واحد منكم أحب الى من قبيلة فقال له عنتر يا ملك هذا الامر لا تحمل على قلبك شيأ منه ولا تسأل عنه لاننا اليوم لو لم يكن أول ملتقاهم بنا ما جرى هذا المصاب من أصحابنا وفى غداة غد أنا أعرف أنهم يطلبون البراز ويتركون الحملة لاجل ما قتلنا منهم وفعلنا فيهم هذه الفعلة وأريك فيهم العجب بين أبطال العرب فقال الحارث بن ظالم يا أبا الفوارس وحق الذى هو بكل شئ عالم ما أدعك تفعل شيأ من هذه المظالم لانى يجب على كشف الكروب

﴿قال الراوى﴾ فقال عنتر هذا أمر لا يتم الا عند الصباح وكل من نودى باسمه يخرج الى الكفاح ثم انهم أقاموا يحرضون أنفسهم حتى بدت الشمس بالشعاع فركبت أنعسا كر تطلب الحرب والقراع وارتجت البقاع وعلا الصياح حتى صمت الاسماع وما انبسطت الشمس على الارض حتى قابلت الصفوف بعضها بعض وكان أول من خرج يطلب البراز جراح بن ضائل فارس بنى وائل الذى ضمن للاسود قتل عنتر ووعده بالنصر والظفر لان الملك أمر النقباء أن ترتب الرجال وأمر العشرين فارسا الذين وعدوه بالقتال والمقال أن يتقدموا للحرب والمجال وأوعدهم بالخلع والمال وقدم جراح عليهم فى القتال لاجل القسم الذى به أقسم ولما فى قلبه من الالم فخرج ذلك اليوم على جواد مثل الغمام مطاوع اللجام يصطاد على ظهره النعام متقلدا بسيف مهند وهو الذى قتل به الاسد وفى يده رمح مسدد له سنان يتوقد وعليه سرديه زرد مضاعفة العدد كانها عيون

الجرد لا تعمل فيها الصوارم ولا تخدشها اللهازم ثم انه جال بين الصفين واضطرب رمحه بين العسكرين الى أن قارب بني عبس فاوقف الجواد ونادى يا بني عبس أنتم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام سادات الانام وفرسان المنايا والموت الزؤام ولولا ذلك ما كان الملك النعمان الحاكم على العربان له قدرة على ملتقى الاقران وكيف يظهر فيكم مع هذه القلة البغي وقلة المروءة وأخلاق اللئام فابرزوا وقاتلوا فبرازكم هو غاية المجد الذي لا يرام وأبرزوا الى فارسكم عنتر بن شداد الذي بنى لكم حصنا رفيع العماد وافتخر على أهل زمانه وساد ومايعيبه في نسبه الا الحساد الذين لم يدركوا مكانه اذا اشتعلت نار الحرب والجلاد وأنا وحق خالق العباد الناس عندي كلهم سواء في الآباء والاجداد ولا أعرف الفعل الجميل الا لمن يكافح بالسيوف الحداد فابرزوا عنتر الي حتى اقر بحكمه عليه أو يقر بحكمه علي وتنظروا ما يجري بيني وبينه من الطعان بين القبائل والفرسان لاني ضمنت للملك اهلاكه بين الاشهاد ومثلي اذا وعد لا يخلف الميعاد ثم انه زادبه العجب فمال الى طبيعة العرب وصال وجال وأنشد وقال

نسب الشجاع مقاله وفعاله * وثباته يوم الوغى وقتاله * والذل يزري بالفتى يوم اللقا
لو أن هاشم عمه أو خاله * والصبر في يوم القتال فضيلة * تبقى لمن رثت به أحواله
ما كل من سل الحسام بكفه * وسعى الى المجد الرفيع يناله * من لم يخض بحر العجاج ويصطلي
نار الهياج تقطعت أوصاله * فاشفوا غليلي بالبراز وقدموا * مني شجاعا قد دنت آجاله
عهدا له في كل أرض وقعة * مذكورة طول المدى تبقى له
واليوم امحو اسمه بمهند * قد فرقت شمل العدى أهواله

(قال الراوي) فما أتم جراح شعره ونظامه ونثره وكلامه حتى قفز اليه عنتر وهو على جواده الابجر وكان الحارث سأله في الخروج فما مكنه وقال هذا سؤال غير مقبول ولا أسمعه منك ولا اجيبك اليه ولا لك اليه وصول وذلك لاجل أمرين الاول ان هذا الغلام قد ضمن للاسود خذ رأسي وما هو ما يصح أن أخجله في الضمان والثاني أن الشرط بيني وبينك ان كل من نادوه باسمه وطلبوه الى البراز يخرج الى الميدان ثم خرج عنتر مثل البحر اذا زخر وأوسع في مجاله وأجابه على شعره ومقاله وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا ضامنا قتلي وكان مقاله * قول الكذوب وغره أقواله * فابرز لتلقى غير ما قد قالته
وترى الذي فينا يصح مقاله * كم رام قتلي فارس يوم اللقا * فتركته يبكي على ما ناله
من بعد ما قد جاء يأمل قتلتي * ضاق الفضا وتقطعت أوصاله * ولكم وقائع خضتها وجحافل
دهكت هامات الملوك نعاله * أنا لا أذوق الموت الا بعد ما * تفنى الزمان وتنقضي آجاله
ويصير فعلي شائعا عني الى * يوم المعاد ولا يكون مثاله * وأنا الذي خضعت له أسد الشرى
والجن تخشى حربه ونزاله * تلقى الشجاعة والفصاحة والعلى * عندي وسعدي قد بدا اقباله
ان كنت عبدا كم أذل مهندي * من كل شهم قطعت أوصاله
ان كنت أنت ضمنت قتلي فاوفه * فالحر يوفي بالذي قد قاله

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من نظمه حمل على خصمه فبرز ومن بعده ملاعب الاسنة واتبعه العشرون فارسا الذين ضمنوا قتل العشرين فارسا من بني عبس لانهم رأوا أن يغتنموا الفرصة وينتشروا في الميدان وهم كل واحد منهم يطلب خصمه ويوفي بالضمان واذا بالحارث أطلق العنان وقوم السنان وهز في يمينه حسامه ذا الحيات فطارت منه بروق خاطفات مثل شعاع النيران اللامعات حتى صار عند فرسان بني عامر ونادى يا ملاعب الاسنة ما هذه الفعال التي ما فعلت مثلها الابطال فارس واحد خرج الى خصمه كيف تطلبون له الاعانة وتحيدون عن طريق الامانة فقال ملاعب الاسنة لعن الله بطننا وعاك وديونا رباك ومن ظهره رماك والله يا ابن ظالم ان الغدر كله من طباعك ولولا حاجتك الى بني عبس ما أظهرت شدتك وهم لا يسلمون من دواهيك وغدرك ومساويك اذا اصطلح مع الملك النعمان أمرك فانك لم تزل تذكر بالقبائح لانك قتلت سيدنا خالد بن

جعفر وهو نائم وعددتها من بعض المكارم وتجرأت على ولد النعمان وهو طفل صغير لا يعقل حوادث الايام ولا يفهم الكلام وعم شؤمك على سائر الانام وفي الآخرة اتكلت على عبد عبس يحميك واحتميت بسيفه من أعاديك وأما قولك اننا نغدر بعنتر فهذا شيء لا يعرف منا ولا للملك قيس عندنا ذكر يذكر ولا خرجنا الا لاجل أن نفي بما ضمنا لهذا الملك الاسود ونطلب الثار والفخار ونبين منزلة الفارس الكرار ثم حدثه بحديثه وسمى له الرجال الذين ضمن لهم رؤوسهم فتبسم الحارث من كلامه وقال له والله يا غشيم هذا غاية الجهل ونقص في العقل وتقصير في الفعل وهذا كله ما أراك ذكرتني أنت ولا أحد ضمن أخذ رأسي واخماد انفاسي وقد عرفتم انني عدوه الاكبر وفي حرم أخيه قتلت سيدكم خالد بن جعفر فكل هذا احتقارا بي أو فزعا مني فقال ملاعب الاسنة لا والله ما هذا فزع منك ولكن ما خطرت لاحد منا على بال لانك معود بالهرب الى رؤوس الجبال فقال الحارث هذا كلام صحيح ولكن اليوم أريك ما ينسيك فعل القبيح وحق اللات والعزى لاخضبن سيفي من دمائكم وأبيدن افعالكم وأدنا كم وأنوب عن فرسان بني عبس الذين خرجتم لاخذ رؤوسهم وأعدمكم نفوسكم وأبقي عليهم نفوسهم وكان قد اتبعه في تلك الساعة من بني عبس جماعة فاقسم عليهم وردهم وحمل على ملاعب الاسنة وأطلق الاعنة وحمل معه بعض الفرسان العامرية وامتدت أسنة الرماح السمهرية وطلع عليهم الغبار من تحت حوافر الخيول العربية فغاب الجميع عن الاعين وتحدثت فيهم الالسن وكان عنتر هو وخصمه في كفاح وصدام وصياح ولزوم وانفصال واتصال وادبار واقبال وأعين الطائفتين الى الغبار ناظره والقلوب الى معرفة الاخبار طائره والجوارح على رؤوس الاثنين سائره والمنايا اليهم غائره وفرسان المواكب في أمورها حائره وكان اللقيط قد ضمن للملك الاسود قتل قيس واخوته مع جملة الفرسان فابصر هؤلاء قد سبقوه وخرجوا الى الميدان فاخروا أمرهم الى اليوم الثاني وتقدموا ينظرون لمن يكون النصر والغلبة ويتفرجون على القتال والعجائب والاهوال حتى يتبين الغابن من المغبون ومن يتجرع كاس المنون ودام الامر كذلك حتى تقضى أكثر النهار وضجر الناس من طول الانتظار وبقي الملك الاسود على مقالي النار واذا بصيحة عنتر من تحت الغبار والجلاد وخصمه الى جانبه ينقاد وفيه طعنة قد أشرف منها على الحمام ودمه قد خضب جواده وذراعه والطعنة قد وهنت جسده وأضلاعه لان عنتر جال معه حتى أتعبه وطعنه فقلبه وساقه حتى أتى به الى أعمامه فسلمه اليهم ورجع يطلب المعمعة وقد خاف على الحارث أن يصاب وما غاب تحت الغبار الا رمية نشاب وعاد ومعه فارس آخر فرماه الى بني قراد ورجع يطلب الحرب والجلاد واذا بشيبوب قد أتبعه ومعه مخلاة جلية فقال له عنتر الى أين يا شيبوب وما الذي عولت أن تصنع ومن خلفت عند الاسارى وقد خرجت تطلب من أين لك فيهم مطمع فقال له يا ابن الام أنا ما خرجت الا شفقة عليك لانك كلما أسرت أسيرا تتعب نفسك وجوادك في الحملة وتقضي النهار في المجيء والرواح والخلق بين يديك كثير وأخاف أن يأتي المساء وهم باقون وان أنا خرجت الى معونتك ومعي هذه المخلاة ملآنة بالقيد المقوع فاهجم انت على أعدائك وكلما أسرت أسيرا القه ورك وأنا أشده الى ان تاخذ غيره فتبسم عنتر من كلامه وهجم فنظر الحارث بن ظالم وقد سكر مما صادم وهو مع ملاعب الاسنة في قتال شديد وحرب عتيد وكذلك باقي الفرسان مع بني عامر وقتل الحارث منهم اثنين وقد جرحوه وهو يدافع عن نفسه ويمانع فلما رأى عنتر ذلك زعق وجوه الخيل ففرقها ومزقها وهجم على الذي بين يدي الحارث هجوم الاسد وقبض على خناقه وجذبه فعلقه على زنده ورماه هنالك قدر عشرة اذرع أو أزيد من ذلك وكاد أن يورده المهالك وطلب عنتر الثاني فرجله عن جواده وشيبوب ما فرغ من كتاف الاول حتى رمى عليه فارسا آخر فصاح شيبوب ويلك يا ابن الملعونة واحد واحد تمهل علي حتى أشدهم كتاف والا انفلتوا مني والا فاقتلهم واسترح من عذابهم هذا وقد دام الامر بينهم كذلك حتى تقضى النهار وزال الغبار وانقضت الاوطار وكان الحارث قد أسر ملاعب الاسنة ولاقى منه جهدا جهيد وقتل خمسين فارسا من الرجال الصناديد وأسر عنتر جملة من الفرسان وكان تعسر عليه وعلى شيبوب ثلاثة فقتلوهم وقد أسقوهم كاس الهوان هذا وحين رجعت الفرسان ورأى الملك الاسود ما أصابه فحمل بنفسه آخر النهار

فمنه بنو لخم في المجال وردوه تحت الاعلام وحملوا يطلبون الصدام وأتبعهم اللقيط بن زرارة في بني تميم ودارم فزاد الامر وردف الرجال وانهزت الاطلال فارتجت الارض من ركض الخيول وخسفت حوافرها الرمال والسهول وحملت بنو عبس لما حملوا وعلم عنتر بذلك فعمل فوق ما عملوا وعلى الحقيقة انقلبت الارض وعلا القتام والغبار واذاهم بغبار قد ظهر وبان للنظار وبعد ساعة انكشف عن قسورة أخي الحارث ومعه مائة فارس من بني مرة فحملوا حتى كشفوا عن فارسهم المضرة فكانت وقعة تذكر مدة الاعوام لما كثر فيها من الخصام والضرب بالحسام والطعن بالرمح الهدام حتى ان الالباب حارت والاوهام والعقول جارت والحياة زالت والزنود كلت والنفوس ملت والرجال هامت والحروب دامت والسماء غابت والعقول زالت والجبال مالت والنهار اعتم والشجاع همهم والقرن دمدم والبطل تقدم والجبان انهزم والفؤاد تألم والصارم تثلم والرمح تحطم والقرم قد جزع والفؤاد قد فزع والراس انقطع والدم قد همع والشجاع انزعج والجسد تبضع ﴿قال الراوي﴾ وبلغني عن هذه الوقعة من بعض الرفاق ان النهار بها قد ضاق فتطاعنوا في الاحداق باسنة الرماح الدقاق والبيض الرقاق وكان لهم ساعة عجيبة تنفست فيها جنبات الارض الفسيحة وأصبحت الرجال عليها ضجيجة وما امسى المساء الا وقد خسرت طائفة النعمان بفقد أبطالها والفرسان وكان عنتر في ذلك اليوم قد تمكن من الشجعان لما عدمت منها لاقران وما نزل الملك الاسود الا والغيظ قد خنقه وغطى في جلده فكاد أن يمزقه وأيس من الحياه وعلم أنه ما يبلغ من أعدائه مقصوده ولا مناه لان عنتر أهلك فرسانه وجنوده * هذا وقد اجتمع أصحابه في المشورة حتى مضى من الليل أيسره واذا هو بعبد أسود داخل عليه وسعى حتى صار بين يديه وقبل قدميه فتأمله الملك واذا به عبد رشيق طويل الساقين دقيق وعليه أهبة السفر ومتعبة الطريق فقال له من أين أنت يا وجه حام فقال له يا مولاي أنا من عبيد بني فزارة الكرام وسيدي حذيفة الفارس المقدام أنفذني اليك أبشرك بما فعل باعدائك وأسر قلبك ببلوغ مناك لانه بعد مسير بني عبس من الاحياء أتى وكبسها وبذل السيف في العيال والنسا وقد ساق الكل الى بين يديك وعند الصباح يقدم بهم عليك وانه خائف أن يهرب بنو عبس عند وصوله ولا يبلغ كل مأموله لانه في عشرة آلاف فارس تعجز ملاقاتهم الجن والابالس وهو يقول لك قسم الليلة قبائل العرب وفرقها حول أعدائك في كل طريق ومذهب وكن أنت حول ميمنة خيامهم والمضارب حتى لا ينجو منهم اليوم هارب ويصير لنا معهم وقعة أخرى وأكثر الفضيحة يا مولاي نجاة الحارث بن ظالم وعنتر بن شداد وهيمهم في أطراف البلاد والاقطار والوهاد ويكون لنا معهم كل يوم قتال وجلاد فقال الملك الاسود وقد قام وقعد من شدة الفرح الذي وجد وحق الكعبة الحرام لقد فرج عنا حذيفة وبنو فزارة هما عظيما ولو ابطأ علينا خبره مدة زائدة كنت محوت اثره لاني ما أتيت من العراق الى هذه الارض والآفاق الا متكلا عليه من دون الرفاق ولما غاب عنا خبره استعجزته وما أنفذت اليه وما كنت الليلة الا على نية الرحيل لكن بعد أن ارسل الى بني عبس رسولا وأطلب منهم الفرسان الذين أسروهم وأرحل من هذه الارض والقيعان لاني ما رأيت لي فيهم مطمع فلا اريد أن أسمع ما لا يسمع والآن قد أتى الامر كما أريد وعدنا الى الرأي الجديد بعد الحزن والتنكيد وما بقي الا امتثال الامر الذي ذكره حذيفة بن بدر ثم انه أنفذ الى القبائل وأمر النقباء أن تفرق الفرسان والخيول وينفذوها الى الناحية التي قال عليها العبد وأحضر اللقيط بن زرارة واخوته في ألف من الابطال وجعلهم في المكامن والجبال ومازال على هذه الحالة حتى فرق جميع العساكر والبشر وما ترك في الخيام الا القليل من النفر وبعد ذلك رجع للعبد الذي أتاه بالخبر وقال له ارجع أنت الى مولاك من غير اطالة وأعلمه بهذه الحالة وقل له يسرع في المسير وأخبره انا فعلنا ما به يشير وامتثلنا مشورته والتدبير فعند ذلك سار العبد تحت أستار الظلام وغاب في البراري والآكام وصار عن عين عسكر الملك الاسود في ذلك البر والفدفد وغاب عنهم ثم مال الى مضارب بني عبس وعدنان ﴿قال الراوي﴾ وكان هذا العبد شيبوب وكان السبب في ذلك أنه لما عادت طائفة بني عبس من الصدام وعولت على النزول في الخيام منعها الملك قيس

من ذلك وقال الصواب يا أبا الفوارس أن نغير الخيل التي تحتنا ونركب غيرها ونقتحم قسطلها نهارها وليلها وننقسم ثلاثة أقسام ونكبس الاعداء تحت الظلام اذا استقروا في الخيام ونصبر على التعب والملال لعلنا أن نفرق هذه القبائل في البراري الخوال ونوصي كل فرقة تنادي باسم قبيلتها عند هجماتها فطائفة تنادي يا لذبيان والثانية يا لعبس يا لعدنان فيكون عروة بن الورد ورجاله موكبا واحدا ويقصدون خيمة الملك الاسود ويجدون بالصارم المهند ويحملونه قصدهم فان أسر أو قتل انكسرت العساكر ولا يلحق الاول الآخر فقال عنتر أيها الملك المظفر ما رأيت الا الرأي المسدد ولكن رجالنا فيهم جماعة مجرحون والخلق الذين بين أيديهم كثيرون ونخاف اذا غاصوا في وسط العسكر أن يفقد منهم من يعز علينا ويصادم ولا تستوي هزيمة الاعداء موت بعض الاصدقاء والاخوان ولكن هذا الرأي يكون بعد أن يمضي يومان حتى نضعفهم في الميدان على أني وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أكسرهم الا نهارا جهارا وأصحابنا كلهم سالمون من الاخطار فقال قيس يا أبا الفوارس أنا ما قلت هذا المقال الا خوفا على الحريم والعيال من غدر بني فزارة الانذال وأخاف من حذيفة أن يغتنم الفرصة فيأتي يخاص الرهائن عن يقين ويفعل فعلا نصير عليه نادمين فقال شيبوب يا مولاي اذا كان الامر كذلك وأنت خائف من هذه المهالك فانا قد خطر لي خاطر من جهة بني فزارة أفرق به هذه القبائل المجتمعة وأبددهم قبل أن تظهر الانوار اللامعة وبعد ظهور الصباح أترك أخي يقود الاسود برقبته وهو مثخن بالجراح ﴿قال الراوي﴾ فقال عنتر وكيف ذلك أظهر لنا الذي خطر ببالك فحدثه شيبوب بما دبره وقيس على بني فزارة وسار حتى دخل على الاسود كما ذكرنا وفرق العساكر ورجع وأعلم بني عبس وقال لاخيه أدرك الاسود في مكان كذا في قليل من الرجال فاني قد جرى لي معه كذا وكذا من المقال ولولا أجله قد أدركه الحمام ما كان سمع لي كلام وانه قد أدركه الطمع والا ما كان لي قد انخدع فقال عنتر والله ان هذا الذي جرى يجب فيه انتهاز الفرصة ونسقي أعداءنا غصة وأي غصة ونفرق أصحابنا حول الاماكن التي فيها الاسود ونأخذه برقبته أسيرا مقيدا ولا نخلي من أصحابه أحدا ثم انه أنفذ الحارث وأخاه قسورة الى بعض الجهات وأعطى عروة بن الورد ألف فارس جلاد في الجانب الآخر من الفلوات وسار هو وأعمامه في طائفة قوية من بني عبس أسود الغابات ﴿قال الراوي﴾ ولما عولوا على المسير قال لاخيه شيبوب سر بين أيدينا حتى يتم هذا التدبير وتكون لنا معينا فقال شيبوب مسيري بين أيديكم ليس برأي سديد ولا تتم حياتي الا اذا كنت من ورائكم فريدا وحيدا فاذا كبستم القوم وبذلتم فيهم الحسام فلا بد لكم ولهم من ضجة وكلام فاذا كنت أنا من ورائكم كفيتم مؤنة أعدائكم ومن رجوع المواكب عليكم والكتائب بندائي في وجوههم تحت ظلام الغياهب يا ويلكم انجوا بانفسكم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر ذلك قال وحياة الحبائب ما هذا الا رأي صائب كفيت يا شيبوب النوائب ثم ان كلا منهم عول على هذا الامر الصائب والفعل الذي ينالوا به غاية المطالب وما صار ثلث الليل الاول حتى جردوا الصفاح وهزوا قطع الرماح وتهيئوا للحرب والكفاح فهذا ما كان من هؤلاء وما اتفق لهم من المدد (وأما ما كان) من الملك الاسود فانه وصل الى المكان الذي عينه له شيبوب وبه نزل وأمر أصحابه أن يفعلوا مثل ما فعل وترجلوا كلهم قدام خيولهم فأخذ الملك النوم فنام قدام جواده وكذلك أصحابه صاروا يدافعون النوم مدافعة الى نصف الليل واذا بالضجة واقعة وأخذتهم الصياحات وعلت حولهم الضجات وعملت السيوف المرهفات فثاروا بلا عقل ولا لب وارتعدت أجسامهم من الطعن والضرب ومالوا على بعضهم تحت الغسق فوقع الضرب على ما اتفق ولمع صارم الموت وبرق وفاض الدم واندفق وصاح عنتر وزعق وأخذ الرجال القلق وعاد سواد الليل أبلق وتطابقوا طبقا بعد طبق ﴿قال الراوي﴾ وكان الملك الاسود قد ركب على ظهر جواده وزادت به كرب أهواله فصاح فلم يلتفت اليه أحد من أبطاله لان كلا منهم مشغول بنفسه خائف أن يسكن في رمسه وزادت بهم الاتراح وقل النجاح وعجزوا عن الحرب والكفاح وغلق باب النجاح وضاع المفتاح وافتضح الاسود غاية الافتضاح وكثرت

الجراح وتغيرت الوجوه الصباح وعادت قباح وانسدت فى وجوههم أبواب النجاح وقرب موت الفجأة وأنكر
الاخ أخاه من كثرة ما اعتراه * هذا والملك الاسود يركض فى اليمين وفى الشمال وأينما مضى يرى العجائب
والاهوال وقد حمل من الحزن أثقال وحل به الذل والخبال وما زال الامر كذلك حتى صار وقت السحر وانشق
الفجر وظهر وأبصر الجيش قد انكسر وتقهقر فتأسف على الخلاص من كرب المعمعة وتمثلت له قدامه
صورة عنتر فطلب الهرب واطلق عنان جواده مثل السلهب فوقع به عروة بن الورد البطل الاغلب فى جماعة
من فرسان العرب فرأى جواده بمركب ذهب يلمع فى ظلام الليل ويتلهب فظن انه من بعض الخواص وقد
خرج من الكرب يريد الراحة فى تلك الساحه وعمد الى الطعن بالاسل والضرب بالسيوف فى القلل فتصايحوا
به من كل جانب وداروا حوله من سائر الجهات والجوانب وقاربوه فلما رأى تلك المصائب عرفهم بنفسه
فعرفوه وطلب منهم الامان فامنوه ومن على ظهر جواده رجلوه ووكلوا به جماعة يحفظوه ورجعوا الى
قتال غيره فى تلك البطاح ونهبوا أصحابه باسنة الرماح وشفار الصفاح وما أضاء الفجر ولاح حتى لم يبق من
القوم ديار ولا من ينفخ النار ولا من كان فى كمين الاعداء من جماعة الاسود وقد حل بهم النكد وما
سلم منهم أحد الا من خلص بالليل وطلب الفدفد ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر بن شداد بعد الحرب
والجلاد تلاقى باللقيط بن زرارة وقد حلت به الخسارة وقتل من قومه جماعة من الابطال وأحل بهم الذل
والخبال وما انجلى النهار الا والدنيا خالية من عساكر الملك النعمان وأبطالهم صارت متفرقة فى القيعان
لان الكمين الثانى نادى فيه شيبوب بقتل الاسود فى مقابلة الحروب وكانت رجاله قد ركبت وطلبت
الصياح ولكن فى قلوبهم الهيبة العظيمة من بنى عبس الوقاح فما صدقت أن تسمع الصياح حتى طلبت
الهزيمة وكانت سلامة نفوسها هى الغنيمة وأما الكمين الثالث فانه طلع من عين بنى عبس يريد القتال ولم
يعلموا ما جرى على الابطال وقد رأوا خلاف ما سمعوا من المقال فالتقاهم الملك قيس فيمن معه من الاقيال
وكانوا كلهم أخذوا أهبة المجال ومعهم ابن أخت عنتر الهطال وكان من الفرسان المعروفة بالضرب والطعان
وانما كان خاله عنتر منعه من خوض العجاج مع الشجعان خوفا عليه لاجل صغر سنه لانه كان يحبه محبة
شديدة لحسن خطابه وكمال آدابه واذا كان موضع خطر يتركه عند الملك قيس من الخوف عليه لانه ما كان لامه
ولد غيره ذكر فاغتنم الهطال فى تلك الليلة غفلة خاله عنتر وفتك فى الرجال بالصارم الذكر وما زالوا على ذلك
الاثر والسيف يعمل حتى طلع الصبح وأمر خالق الصور وأبصرت أبطال العراق ما كنهها قد تفرقت
وانمحقت وكانوا قد سمعوا بأمر الاسود الملك الامجد فطلبوا الفرار عند اقبال النهار وعملت رماح بنى
عبس فى ظهورهم حتى غابوا فى القفار وابعدوا عن تلك الديار وما زالوا على ذلك العمل والحرب يعمل حتى غابوا
عن أعينهم ورجعت بنو عبس من ورائهم وأخذت خيامهم ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم ومضاربهم
وأموالهم وساق عنتر اللقيط بن زرارة والملك الاسود ومعهم أوفى من خمسين أسير فساقهم الى بين يدى الملك
قيس بن زهير ﴿قال الراوى﴾ فقال قيس لما رأى الاسارى دعوهم عندى فى الاوطان حتى ينفصل أمرنا مع
الملك النعمان فقال الحارث لما سمع هذا المقال يا ملك نحن نتولى بأنفسنا الحرب والقتال وننفى جميع
أعدائنا الانذال ثم انه أرسل أخاه قسورة الى بنى مرة وقال له سر أنت ومن معك من الرجال والفرسان
والابطال حتى أرسل اليك بعض الرجال ونحمل عن قلب هذا الملك الاهوال ثم ان الناس نزلوا لطلب الراحة
وجمع ما تبدد من الاعداء فى تلك الساحة حتى تضاحى النهار فعادوا يطلبون الديار وجدوا المسير فى تلك
القفار حتى بقى بينهم وبين أهليهم يوم واحد فاجتمع عليهم جمع كثير من عبيدهم الذين تركوهم فى الاطلال
لحفظ النساء والعيال وهم يضربون على رؤسهم وينادون بالويل والمصائب ويقولون يا لعبس ادركونا
بالقنا والقواضب ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى الملك قيس ذلك حار وأخذه الانبهار وكذلك بنو عبس الاجواد
وعنتر بن شداد ثم تقدم الاصحاب المهارى وهم مما أبصروا حيارى فوجدوهم ملطخين بالدما وقد حل بهم
الويل والعمى فقال لهم قيس من دهاكم ومن بشره زماكم ومالى أرى الدم على نحوركم وفوق أكتافكم

وصدوركم فقالوا يا ملك كل ما نحن فيه من الذل والخسارة من حذيفة وبنى زرارة لانه بعد مسيركم بخمسة أيام
أتى الينا بخمسة آلاف فارس همام وعادوا من حول مضاربنا والخيام ووضعوا الحسام فى المشايخ والغلمان
وبقى فى القتال يعمل بيننا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع انهزمت بنو غطفان الذين تركتهم لحفظ الاولاد
والنسوان وبعد ذلك تحكم حذيفة فى الحلة وخاص الرهائن من أولاد الفرسان ثم انه بعد ذلك قلع الحلة بما
فيها من الاموال والعيال وأخذ أربعمائة من الاطفال ما فيهم من يعقل معنى مقال وقد ذبح الكل وجعلهم
هدفا للنبال وصار يعدهم واحدا بعد واحد ويقول نادى باسم أبيك يا ابن الانذال ثم يضربه بالنبال حتى
قتلهم ونهب هو وبنو فزارة جميع الاموال وسبوا الحريم والعيال وكثر البكاء والنواح وتساوى المساء
والصباح ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت بنو عبس هذا المقال ضجوا بالبكاء والاعوال ونزل بهم الذل والخبال
وصار كل من له ولد ينادى ابيك يا ولدى ابيك يا مقطع كبدى ليت السهم الذى أصابك أصابنى ولا أذاقنى
الدهر فقدك وكان قد قتل للملك قيس ولد من جملة الاطفال كانه الهلال فجرى على قلبه ما لم يجر على قلب
بشر وانهمل دمعه وانحدر (قال الراوى) فلما رأى عنتر هذه العبر زاد تعجبه من بنى فزارة وتفكر ثم أقبل
على الملك قيس وقال له أيها الملك ما هذا البكاء والاعوال الذى لا يصلح للرجال فوحق من أرسى الجبال
وأنار الهلال وأنزل الغيث تكرما منه وافضال لاقتل عوض الاطفال الاسادات بنى فزارة والابطال سر بنا
حتى تنظر ما يكون الحال فقال قيس وبقية الرجال لانسير حتى تمضى يا أبا الفوارس الى الديار والاطلال
فقال عنتر وما تصنع الرجال فى الاطلال وقد انتهب المال والعيال والله ما نسير من ههنا الا بنى فزارة
ولو انهم بعدد الرمل والحجارة وان كنتم لا توافقونى وتسيروا معى والا سرت وحدى واتركلى ولهم حديثا يذكر
من بعدى لان فى قصدى أن ادع النساء اللاتى قد قتل أولادهن تذبح أبطال بنى فزارة بايديهن حتى تشفى قلوبهن
واقتل أنا حذيفة مع اخوته عوضا عن ابن الملك قيس ورفقته ثم نادى فى الابطال يا بنى عمى ما مضى
لا يرجع والبكاء على الغائب لا ينفع والذى فى رأسه نخوة الرجال لا يخطر له الموت على بال لان البكاء لا ينفع
الا للنساء ربات الحجال وان الكهول والاطفال متساوون فى الارزاق والآجال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع
بنو عبس هذا المقال أجابت اليه جميع الابطال ثم سار وافى ساعة الحال طالبين بنى فزارة الانذال وسار
الملك قيس وعنتر الى جانبه * هذا وقيس قد تذكر ولده وراحه فأشار ينشد ويقول

تأهب عند أهبة ذى امتناح * لان الدهر جل عن الصلاح * وقتلكم الصغار فذاك عار
عليكم منه ليس بذى براح * حذيفة لا سقيت من الغوادى * ولا أروتك هاطلة البطاح
لانك قد جلبت عليك حربا * يغص الشيخ بالماء القراح * وها أنا قد ركبت على جواد
يفوت البرق سبقا مع رياح * محجل ادهم رحب المحيا * كان جبينه ضوء الصباح
لعمرى لا أبالى حين جاءت * على الخيل بالغدر المباح * وخلفى سادة من آل عبس
تهز اكفها سمر الرماح * بهاليل غطارفة كرام * ببذل النفس فى يوم الكفاح
فسيروا وانهلوا من آل بدر * دماهم بالمهندة الصفاح

﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك قيس سلم الاسارى للحرث بن ظالم وأضاف اليه مائة فارس من بنى عبس الاشاوس
ثم قال له يا حارث هؤلاء أعداك الذين أتوا يطلبون فنالك فسر بهم الى الديار حتى نسير لاخذ الثار لانك أنت
ما تقاتل بنى فزارة على هذا السبب لاجل ما بينك وبينهم من النسب على ان حذيفة ذهبت مروته لانه حلف
وغدر فى الايمان وعهد وخان وما بقى بك يعتدوا الا ما كان عن نصرتك قعد وكان أصلح نوبتك مع الملك الاسود
ولكنه من تجبره ما رفع لك رأس ولا عدك بناس بين الناس فلما سمع الحرث كلام الملك قيس قال أيها
الملك العالى القدر القاتل لمن تشاء من أهل البغى والغدر ان بنى بدر سادات قومى على وجه البطاح فلا
أجرد فى وجوههم سلاح واترك العار يركبنى فى المساء والصباح فقال الملك قيس والله لقد سدت
ومجدت من ليس من أهل التمجيد وليس له غير رمى الرقبة وقطع الاثر من قريب وبعيد ثم انه بعد ذلك

سلم الاسارى وسار واطالبين بنى فزارة (قال الراوى) وكان السبب فى غدر بنى فزارة وقتل الاولاد ان سنان ومشايخ بنى فزارة قد اصلحوا بين الملك قيس وبين حذيفة وقد أراد فى ذلك اقامة الهيبة ولا يكون عليهم اسم الهزيمة والزموا حذيفة أن يعطى الرهائن فاعطاه وحلفه انه لا يعين عليه أعداه فلما انفصل الامر على هذا الحال الذى تجدد توجهت بنو عبس الى قتال الملك الاسود وكان الغيظ فى قلب حذيفة فارسل المال والهدايا الى فرسان العرب حتى يستنجدهم ويلحق بنى عبس ويقتل أبطالهم ويرجع ينهب أموالهم ولكن ما أمهلته زوجته بل صارت تندب الليل والنهار والعشاء ووقت الاسحار (قال الراوى) وبلغنى انها لما رأت زوجها أعطى التهاون خرجت عليه وهو جالس بين الامارة وسادات بنى فزارة وهى مكشوفة الرأس مسفرة اللثام وقد هتكت ستر الاحتشام وقالت ويلك يا حذيفة أريدك تحملنى الى أهلى وعشيرتى وترسلنى الى قبيلتى فانا ما بقيت أريد به لاحيائى من الفرسان ولا رجلا ذليلا مهان ثم انها أشارت اليه تقول

لحاك الله من رجل جبان * ولا أسقتك غادية نداها
ولا جاد السحاب بارض قوم * تحل بها ولا اخضرت رباها
لبست من المذلة يا ابن بدر * ثيابا لا تغير من بلاها
ولولا العار ما أمست جفونى * مقرحة النواظر من بكاها
فجعنى قيس عبس فى غلام * اذا وزنت به عبس وفاها
واهلك بعده سادات بدر * وأروى السمهرية من دماها
بكائى لم يزل أبدا طويلا * وخزى واكتئابى قد تناهى
فكم من حرة فى الحى مثلى * تبيت حزينة تشكو جواها
فثوروا واطلبوا أرض الاعادى * بلا خوف فقد حلت دماها
اذا نهلت بنو عبس دماكم * ولا ينبيكم وعنها نداها
ولا تبقوا لهم فى الحى حيا * وسوقوا ظعنها وأسبوا نساها
لان دماكم أعلى محلا * وأعظم قيمة لمن اشتراها
أأنسيتم بنى بدر بن عمرو * شجاعا كان أعلى الناس جاها
فكونوا مثل آباء تولت * وأجداد مضت وبقى ثناها



(قال الراوى) وكانت هذه الابيات تسميها العرب للاحزان مثيرات ومازالت تهمل عبراتها وتشعل نيران زفراتها حتى ثارت من الرجال ساداتها وعصفت فى رؤسها نخواتها وركبت على ظهور صافناتها وتذكرت قتلاها وأمواتها وما طلع حذيفة من الاطلال حتى تبعه خمسة آلاف من الابطال من سفهاء بنى فزارة الجهال وقد سار وامعه طمعا فى نهب الاموال هذا والمشايخ ينهوهم عن البغى ونقض الايمان ويقولون لا يدخل فى آذانكم كلام النسوان وحصيصة شيخهم المتولى على أصنامهم ينهاهم عن ذلك ويعذلهم فعند ذلك التفت اليه سنان وقال له ما بقيت تنفع ههنا الايمان وقول الهذيان وهؤلاء القوم قد لاح لهم فى اعداهم الطمع وأخذ ثارهم وترك ديارهم بلقع فاى شئ يكون الخوف من الايمان والفزع ثم ان سنان حسن لحذيفة البغى والمصائب حتى أحاط به بنو عبس من كل جانب (قال الراوى) فلما نظرت بنو غطفان الى كثرة العدد اسرعوا الى لبس الدروع والزرد وكانوا ألف فارس مثل الاسود العوابس أو السباع الهدارة فحملوا وغاصوا فى بنى فزارة وعمل بينهم الحسام وقل الكلام وطال الحرب ودام الى ان أقبل الظلام وخفيت مواقع الاقدام فانفصلوا عن الصدام ورجعوا عن بعضهم البعض وقد امتلأ بالقتلى وجه الارض فاضرموا النيران وتحارس الفريقان الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتبادروا الى الحرب والكفاح وحضر الجد وذهب المزاح واشتهرت الصفاح الى قبض الارواح واستمر الحرب الى آخر النهار وقل من بنى غطفان الاصطبار وكثر عليهم العدد وتزايد المدد وقاتلت معهم العبيد والاماء حتى قل منهم القوى والجليل فما صدقوا بقدوم الليل حتى نزلوا فى المضارب وقد سكنت منهم العروق والضوارب وبات منهم الاطريح وجريح وآخر على نفسه يصيح وهم تحت مشيئة الرحمن الى أن طلع الصبح وبان (قال الراوى) فعند ذلك ثاروا يطلبون القتال وقد زادت عليهم الاهوال وكان ذلك اليوم الثالث فحل بهم كل أمر حادث وبان فى بنى غطفان النقصان فعند ذلك طلبوا ديارهم والاوطان وعملت فى اقفيتهم الاشطان وتشتتوا فى البرارى

والقيعان ومارجعت بنو فزارة حتى أنزلت بهم الذل والخسارة وعادوا عند غروب الشمس فلما أصبح الصباح فى اليوم الرابع تحكم حذيفة فى المال والعيال وخاص الرهائن وذبح الاطفال ورشقهم كاذكرنا بالنبال وقلعوا المضارب وسبوا النساء والبنات الكواعب وكان فى الجملة أم الملك قيس وزوجته ونساء عمومته ونساء اخوته وجدوا بهم المسير فى تلك الحرارة حتى أشرفوا على حى بنى فزارة وقد حلت ببنى عبس الخسارة فخرجت زوجة حذيفة ومعها نساء الحلة وجعلن يهنين الرجال بالسلامة وزوجة حذيفة تضرب وجوه النساء المسبيات وحلت بهم اشأم الحالات هذا وقد أقبل حذيفة على الرجال وقد ضم الغنائم والاموال وقال يا بنى عمى ما نفرط فى شئ من هذه الغنائم حتى نبصر من يكون من بنى عبس سالم وبعد ذلك نقسم الذخائر لكل غائب وحاضر فبينماهم على ذلك القول وتلك الفعال وهم على أحسن حال واذا بغبار قد ثار وعلا فى الجو وتفرق وضربته الرياح فتمزق وانكشف عن سيوف تلمع وأسنة رماح تشعشع وفرسان على خيول مثل البرق اذا لمع وفى أوائلهم فارس لجواده يدفع وهو قدامهم كانه الاسد الاروع وكانه طود من الاطواد أو من الفراعنة الشداد والقوم يقولون يا لعبس الاجواد والفارس الذى فى أوائلهم هو عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما نظرهم أمهات الاولاد الذى قتلهم حذيفة بالنبال وهم مقبلون على ذلك الحال وقد عرفوا أزواجهم وبنى عمهم فزعقوا صوتا واحد وصار الصياح متزايد وقالوا هيا يا بنى عمنا اكشفوا عنا الشدائد فلما نظر بنو فزارة الى هذه الاهوال حل بهم الانذهال وفزعوا وتخبلوا فزعق فيهم حذيفة ياويلكم ما هذه انلفة فعند ذلك حملوا وقصدوا بنى عبس فارتجت الارض وتزلزلت وحكمت المشرفيات فى الرقاب وفصلت ومدت الايادى فى طلب الآمل فما وصلت ونزلت على بنى فزارة المصايب وتزلزلت وأحكمت المشرفيات فى الرقاب المصائب ونزلت ونفرت الفرسان من هول المعمعة وهرولت وشقت بطون السادات وتفجرت وقاتل الملك قيس قتال الابطال وطعن طعن من حرق قلبه فقد المال والعيال ونادى يا بنى عمى من قدر منكم على أسير لا يقتله بل يسلمه الى ويأخذ سلبه لعلى أسلى به قلوب أمهات الاطفال الذين قتلهم حذيفة بالنبال وكان الملك قيس لم يقل هذا المقال الا لما رأى عنتر قد أسرف فى قتل الابطال وبعد ذلك أسر جماعة من الرجال وأنزل بهم الذل والخبال وانه قد دمر بنى فزارة فى ذلك اليوم المذكور بين العباد وقتل من أبطالهم سبعة وسبعين فارسا أجواد وكان شيبوب أخوه من حوله مثل الشرارة فتارة يعينه على القتال وتارة يرمى بالنبال فيثبتها فى مقاتل الرجال ولم يزالوا على مثل ذلك الحال الى أن أدبر النهار بالارتحال وأقبل الظلام بالانسدال وبنو فزارة قد انحصروا فى الخيام وحل بهم البؤس والانتقام وقد نظروا اقتتالا لا تحيط به الاوهام وفاتوا الغنائم وكل أحد ما صدق بان يعود سالم هذا وبنو عبس نالت منها مناها وخلصت أولادها ونساها وما عادت الا ومعها من بنى فزارة خمسمائة أسير ما منهم الا كل مقدم وأمير فقال الملك قيس شدوهم فى الحبال فانا عولت أن أضرب رقاب الجميع بلا مطال فقال عنتر يا ملك ان كنت عولت على هذا الحال فسلم كل واحد الى واحدة من أمهات الاطفال الذين قتلهم حذيفة بالنبال حتى يجدوا فى عذابهم طول الليل وينزلوا بهم الذل والويل واذا أصبح الصباح تقود كل واحدة أسيرها الى بين الصفين وتضرب رقبته بين الفريقين وتوقع به الذل والخسارة وتحذف رأسه الى بنى فزارة فلما سمع قيس من عنتر هذا الخطاب علم انه صواب وأجابه الى هذا المقال وسلم منهم أربعمائة الى أمهات الاطفال بعدما اختار منهم مائة فارس من أبطالهم يقتلهم عوضا عن ولده ويطفئ نار كبده (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر بنى عبس وأما بنو فزارة فانهم عادوا عن القتال وقد عرفوا اقدار الغدر والمحال ونزل حذيفة وقد حلت بهم الخيبة وهو يقول لاخوته والله ما فى قلبى شئ من الدنيا الا أن أبلغ مثل ما بلغت بنو عبس منا وأنظر عنترا وهو مطروح ملقى جسدا بلا روح ولكن فى غداة غد ابرز الى المجال لعلى أزيل عن قلبى هذه الاعلال ثم انه بكى من شدة الغبينة وخاف من الغلبة والهزيمة (قال الراوى) فلما نظر سنان الى بكاه وانتحابه وشكواه قال له ويلك أيها الامير ما هذا البكاء الذى لا يصلح الا للنساء تبكى وحولك هؤلاء الرجال الامراء وبعد أيام قلائل يقدم

عليك عساكر النعمان وتهلكهم لو أنهم بعدد رمل القيعان لانهم ما قاتلوا اليوم هذا القتال الا لاجل ما قتلتم منهم من الاطفال وكيف سبيتم حريمهم والعيال وكيف خاصتم الرهائن من الاعتقال فلاجل ذلك فعلوا هذه الفعال وهكذا الدهر لا يبقى على حال يوم لك ويوم عليك مادامت الايام والليال وأما الاسارى الذين هم عندهم فى الاعتقال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع حذيفة من سنان هذا المقال قال له والله يا سنان ما يفك منهم أسير بوزن مال الا بعد ان يشيب الاطفال على انى أقول انهم فى غداة غد ما يسلمون من ضرب الرقاب والقلعان والذهاب ومع هذا كله فقد اشتهيت ان أعلم ما جرى لهم مع جيش النعمان والملك الاسود من الامور ثم انه أحضر واحدا من الاسارى الذين هم من بنى عبس وسأله عما جرى لهم مع جيش الملك النعمان وما تجدد فاخبره بكسر العسكر وأسر الاسود وما أخذوا من فرسان العرب الشداد على يد عنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع حذيفة هذا المقال أخذه الانذهال لما سمع باسر الاسود والقبط وبقية الامراء وقال للاسير الساعة الاسود والامراء عندكم اسرى فقال العبسى نعم الاسود وكذا الاربعون فارسا عندنا فى القيود والاغلال والذل والانذال فلما سمع حذيفة هذه الاشارة قال واذل بنى فزارة فقال له أخوه حمل ويلك يا أبا محاركم تأسف على الحياة وتخاف من الوفاه وبعد ذلك فنحن أكثر من أعدائنا والنجدة واصلة الينا من كل فج وطريق وأما أعداؤنا فمالهم منجد ولا صديق ونحن اذا أيقن الواحد منا بدنو أجله يهجم على خصمه ويقتله واذا متنا فى حومة المجال انقضت جميع الاشغال وما زالوا على مثل هذا الحال حتى نادى منادى الليل بالارتحال وركبوا وتبادر والمجال فى طلب الحرب والقتال واصطفت الفرسان يمينا وشمال وعلا الصياح وانعقد ولمع الحديد والزرد وركب قيس من تحت الاعلام ودارت حوله رجاله وبنو الاعمام وبعد ذلك نادى بأمهات الاطفال وسلم لكل واحدة واحدا من الرجال فاخذت كل واحدة خصمها وهى قابضة على لحيته حتى أتوا الى وسط الميدان والمجال فامر بضرب رقاب الرجال لاجل أخذ ثار الاطفال ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قتلت كل واحدة خصمها وأعانها بعلها وكان حذيفة فى ذلك الوقت يعدل المواكب ويرتب الكتائب وأراد أن يبرز الى الميدان فنظر الى تلك المصائب والدم قد سال على الارض من كل جانب فعند ذلك لطم على وجهه من عظم النوائب وصاح صياح النوادب وبلغ الخبر الى نساء القتلى فاقبلت من كل جانب وهى مهتكات الترائب ناشرات الذوائب فلما نظرت بنو فزارة الى هذه الكتائب جردوا القواضب وحملوا على بنى عبس مثل السلاهب فتلقتها بنو عبس الاطايب وهتكت ودائع الصدور وبان صبر الصبور وعمل الفارس الغيور وجرت الدماء من النحور ونادى المنادى بهلاك النفوس وعمل السيف والرمح والدبوس وطلع الغبار وقل الاصطبار وتعلقت الاخيار بالاشرار وضرب رأس العزيز فطار وهطلت الدماء مثل الامطار وكان للقوم يوم تحتار فيه الافكار وكثر ضرب الصفاح والطعن بالرماح وتساوى عندهم المساء والصباح وسمحوا بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح وحضر الجد وذهب المزاح ﴿قال الراوى﴾ هذا وحذيفة لنفسه بذل وهان عليه الموت والملل وعمل أوفى عمل وأما بنو عبس فانها اختارت الموت على الهرب وفعلت فعل فرسان العرب وأوردت أعداءها العطب والبلاء والحرب وكبت فى قرابيص سروجها رؤسها ووطنت على الموت نفوسها وعملت السيوف فى الاقحاف وحل التلاف والموت جزاف وقطعت الارجل والايدى من خلاف وكان لهم يوم يذكر مادامت الشمس والقمر وقد ذكرته شعراء العربان من بعد منهم ومن اقترب ومن جملة من قال فيه ووصف معانيه لشدة ما قاسى فيه ودخل من الهم عليه الامير أوس بن مسعود الفزارى حيث قال هذه الابيات

بلوت الدهر مخبرة وعلما * وجربت الرزايا طول عمرى * فما أبصرت يوما فى زمانى
ولا خبرت عن زيد وعمرو * أشد رزية من آل عبس * وقد حملت على أولاد بدر
يقاسوا الحرب فى يوم طويل * يعد من الزمان بألف شهر * رأيت لهم غماما من غبار
وبرقا من ضيا بيض وسمر * فكم من فارس أبصرت ملقى * يحرك ساقه والخيل تجرى

وكم تحت العجاجة من غلام * سمعت أنينه فأطال فكرى * ولولا عبد عبس قطعت حتما
جيوش فزارة فى كل قفر * يثير الحرب بالرمح الردينى * اذا ما فرجت خيل بذعر
فيقتل فى الاعادى بالمواضى * بقلب فاق عن جلمود صخر * لحاه الله من عبد نجيب
يلاقى فى الكريهة ألف حر * اذا هز الحسام ليوم حرب * تراه فى العجاج كضوء فجر
وفى يوم القتال اذا التقينا * نرى الابطال بين يديه تجرى

﴿قال الراوى﴾ وكان ذلك اليوم المذكور ما بقيت الايام والدهور وهم فى حصر وخناق وصياح وزعاق حتى أقبل الظلام وقد تفرق الناس عن الصدام وطلبت كل فرقة مالها من المضارب والخيام وأضرموا النيران وتحارس الفريقان فعند ذلك اجتمع قيس بعنتر بن شداد واستشاره فى انفاذ المال والعيال الى الديار والاطلال ونبقى خفف الظهور من الاشغال فقال له نعم الرأى أيها الملك المفضال ولكن حتى يمضى بعض الليل ونسير بهم على النجب والخيل * ثم انهم أخذوا الراحة حتى مضى بعض الليل وبعد ذلك أفرزوا المال مائة فارس من الابطال وكان المقدم عليهم الحرث بن زهير وقد اعتدوا للسير وقال الملك قيس لاخيه سر وصل أملى ونساء العشيرة الى حلل الشربة واقعد عند الحرث بن ظالم الى حين عودتنا لانى عولت أن أقلع من بنى فزارة الآثار والافنا يكون لنا معهم قرار مادام حذيفة سالما فى الدنيا ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك سار الحرث بمن معه من الابطال وبين أيديهم المال والعيال وعول عنتر أن يسير معه فما خلاه قيس يتبعه وقال له يا أبا الفوارس ما هناك أمر يحتاج الى مسيرك فى هذه النوبة لان ديارنا قريبة والصواب اننا لا نفارق بنى فزارة بعد هذا الا بالانفصال فلما سمع عنتر هذا الكلام أقام حتى لا يكون عليه ملام فهذا ما جرى لهؤلاء * وأما بنو فزارة فانهم لما انفصلوا من الصدام عند اقبال الظلام نزلوا فى مضاربهم والخيام وقد اجتمعوا للمشورة لما حل بهم من الامور المقدرة وما قاسوا من العذاب الاليم وعلموا أنهم قاتلوا بنى عبس فى ثانى الايام تركوهم عظاما رميم لان بنى عبس أوفى منهم جلد وأصبر على ملتقى العدد والمدد * هذا وقد اشتد بحذيفة الغيظ والحرد وكان كلما سمع ندب نساء القتلى يقول يا ليتهن يندبن على أنا وتم كن من مضى لانى أعلم أن غداة غد ما يمسى المساء ومنا أحد بل كلنا مطروحين فى البر والفدفد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع سنان مقاله بكى على ما ناله وأقبل عليه وقال له اعلم أيها السيد انه قد خطر لى خاطر وأريد أن أكون لك فيه مشاور فان رأيته صوابا أفعله وان رأيته خطأ أهمله فقال حذيفة وما هو يا سنان اكشف لى عن معانيه والبيان فقال له أريد أن آخذ زوجتى وأسير الى الحارث فى اظلماء الى حى بنى عبس وأكون عندهم الى طلوع الشمس وأطرح روحى على الحارث وأبكى بين يديه وأسأله أن يساعدنا على هؤلاء الاعداء أو يسعى فى الصلح بيننا فقال له حذيفة صحيح انه صواب الا انى أخاف أن تمضى اليه على هذا الحال والشان فلا يقبله لان بنى عبس أجاروه من الملك النعمان فيرانا بعين الاذلال ولا نبلغ من أعدائنا آمال وأما أنا فلا بد لى فى غداة غد من خروجى الى بنى عبس بين الملا وأقاتل حتى أبقى طريحا فى الفلا ثم انه بات على تلك الحال وقد أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وهو لا يأكل ولا يشرب الى أن أصبح الصباح فركبوا الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح وتبادروا الى الحرب والكفاح ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك اصطفت الصفوف من بنى فزارة وجردت السيوف البتارة فلما نظر حذيفة الى بنى عمه فى تلك المهمات والعزمات قفز الى الميدان وصال وجال على حجرته الغبراء وفى جولانه هانت عنده روحه بين أقرانه وكان مكشوف الراس خاليا من الزرد واللباس ونادى بقيس لما قاربه وسار يحاذيه بجانبه وقال له يا ابن زهير الرهن بينى وبينك كان ومن أجل سباقنا فنيت الفرسان وبعد ذلك قد هان الامر وتحللنا بثياب الغدر لانك أنت قتلت ولدى وعبدكم قتل أخى وأنا قتلت أخاك مالك وكان الامر كذلك وأنا أمرت عبدى بلطم جوادك داحس ومن أجل ذلك جرى ما جرى بيننا من المناحس وبالامس قتلت أنا الاطفال وقتلت أنت بدلهم الابطال وما من المروءة أن نفنى فرسان القبائل من أجلنا وندع الشامتين يدعون علينا كلنا والصواب أن

نتولى القتال بنفسنا الى أن يهلك بعضنا وقد انقضت الاشغال والذى يسلم يتولى الديار والأطلال وتطيعه الرجال والابطال فابرز الساعة الى المجال ودع عنك المحال ولا تترك لأحد علينا مقال وان كان العجب لعب بعطفيك فتحدث بالانصاف ودع ذلك البغى والاسراف فانا واخوتى نحمل عليك ونجد فى طلبك حتى تهلكنا أو نهلكك ثم أنشد

ما رمى الدهر حرمة وذماما * بل تشفى بنا وأشفى الشاما
من أبينا سدنا ومن جدنا عمرو ورثنا الفخار والاكراما * قد ملكنا المنزل فى المعالى
برماح ترى الحلال حراما * وعفونا لما قدرنا وفى الحمد عدلنا وما نقضنا الذماما
وعلمنا أن الزمان عنيد * طبعه الغدر لا يحب الكراما
ان صفا يومنا ودام صفاه * كدرته حوادث أعواما
فانصفونا عند البراز وجولوا * وانظروا ضربنا اذا الحرب قاما
قد تركنا النساء منا حيارى * لاطمات خدودها لا تناما

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس مقاله تعين عليه قتاله وخاف أن تستعجزه أبطاله فعند ذلك خرج اليه بسرعة جواده داحس الذى ذكرنا خفته لانه كان مدورا الكفل مليحا اذا صهل كانه السيل اذا نزل ثم ان الملك قيس برز الى الميدان وجال على ظهر الحصان وأنشد يقول

اذا كنت محتاجا الى العدل اننى * الى الظلم فى بعض الاماكن أحوج
ولى فرس بالحلم للحلم ملجم * ولى فرس بالجهل للجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوم * ومن شاء تعويجى فانى معوج
بغيتم علينا يا بنى بدر والذى * ظفرتم به يوما من البؤس أسمج
فذوقوا عذاب البغى من قبل تشربوا * كؤس المنايا وهى بالسم تمزج
أسرنا الذى كنتم ترجوا لنصره * وعدنا به والحرب كالنار توهج
وفينا من الفرسان كل غضنفر * وكل همام بالفخار متوج

﴿قال الراوى﴾ ثم انهما بعد ذلك انطبقا وطلبا الصدام لانهما أميرا بنى عبس وغطفان وفزارة وذبيان فعند ذلك أخذا فى الطعان وطلبا مقاتل الابدان وتذكرا يوم الرهان وعقد عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار وما فى أبطال القبيلتين الامن تأهب للقتال خوفا على صاحبه فى المجال لان حذيفة كان قبل نزوله الميدان أوصى اخوته وقال لهم اذا رأيتمونى قد حملت على قيس فاطبقوا عليه كلكم واقتلوه وقد انقضت الاشغال وبلغنا الآمال ثم انه فعل ما فعل وجدمع قيس فى المجال وكان كلما طلبه قيس للقتال يرجع حذيفة الى ورائه يجرى بمكره ودهائه حتى قارب اخوته وصار قيس وحده فعند ذلك حملوا على قتل قيس وعولوا وصاح باقى فرسان بنى فزارة ورجعوا الى المكر وغدروا فلما نظر عنتر الى فعال بنى فزارة الاوغاد زادت به الاحقاد ونما الشر فى قلبه وزاد فاطلق عنان الجواد ونثر فرسان بنى فزارة أزواجا وأفراد وكان أسبق الناس الى قيس بالقتال ابن أخت عنتر الهطال وقيس كان قد أشرف على الوبال ودارت به فرسان بنى فزارة من اليمين والشمال وخدشته باسنة الرماح الطوال ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر عنتر الى ذلك الحال زعق وهدر مثل الرعد اذا خفق ودعس فى جمع بنى فزارة فتفرق وحمل على حذيفة وانطبق وصرخ كالاسد اذا زعق وطعنه بعقب الرمح فالقاه على أم راسه وكاد أن يخمد أنفاسه ثم زعق على شيبوب فاتاه مثل الريح الهبوب وشد كتافه وقوى أطرافه ثم انه عاد الى قيس بعد الحيفة وسلم اليه حذيفة وجد عنتر فى طعانه وضرابه وقد أسر باقى أصحابه وما مضى من النهار ثلاث ساعات حتى انهزمت السادات وتشتتوا فى البرارى والفلوات وفر الجميع الى الخيام وقد عمل فيهم الحسام وأسر أوس أخو حذيفة على يد الهطال وتفرقت الفرسان والابطال وضجت النساء والاطفال وصاح الربيع بن زياد فى باقى الرجال فقال دونكم وسبى العيال ونهب الاموال حتى نقلع أثر هذه القبيلة من الاطلال * فبينما هم على هذه الاحوال وهم معولون على سبى العيال واذا هم

بصياح قد زلزل الجبال فاسرع الجيش نحو الصياح وهو متتابع وقد خف عن بنى فزارة العذاب الواقع وسار قيس نحو هذا الصياح الذى أقبل من تلك المعالم واذا هو بثلاثة من الثلثمائة الذين كانوا مع الحارث بن ظالم الذين أرسلهم الملك قيس لحفظ الاسارى الذين من جملتهم الملك الاسود وملاعب الاسنة واللقيط بن زرارة وبقية الفرسان الذين اسروا من جيش النعمان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك تقدموا الى قيس وهم معلنون بالصياح فقال لهم قيس ما الذى دهاكم ومن بشره رماكم فقالوا اعلم أيها الملك أننا لما وصلنا الى الديار وقر بنا القرار تولى على الاسارى الحارث بنفسه وبقى محترزا عليهم من أبناء جنسه ومازال على ذلك يومين وليلتين فلما كانت الليلة الثالثة صار يهددهم حتى ظننا أنه يهلكهم فلما مضى الليل بدجاه وأقبل النهار بضياه طلبناه فما وجدناه لا هو ولا الاسارى فقلنا قد عاد الحارث والله الى خبثه ودهاه ففزعنا من هذا الامر عليكم فعدنا اليكم لان معه أربعين من الابطال الذين يضرب بهم الامثال وصرنا نحن أيها الملك فى هذا الامر متفكرين والى الآن متعجبين لاننا ما نرى للقوم عندكم آثارا ولا خبر ولا جلية أثر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس هذا المقال أخذه الانذهال وقال لهم يا ويلكم هذا كله جرى عليكم قبل وصول المال والعيال الى المنازل والاطلال فقالوا والله يا ملك ما أتى الينا مال ولا عيال وما تركنا المنازل وراءنا الا خوال فلما سمع الملك قيس هذه الاشارة قال والله لقد عاد ربحنا الى خساره وشمتت بنا بنو فزارة فعند ذلك يا ملك هذا الحديث دل ظاهره على باطنه والعاقل بفهمه يعرف صحته من سقمه وأنا أقول ان الملك الاسود ومن كان معه من أبطاله مدحوا الحارث على فعاله وقد عاهده الاسود أن يأخذ الامان من الملك النعمان وهو قد أجابهم الى ذلك الشان وفكهم من أغلالهم وسار بهم الينا ليعينوا بنى فزارة علينا فالتقاهم الحريم والعيال وهم سائرون الى المنازل والاطلال فما وجد أحسن من هذه الفرصة بامان حتى يتقربوا بها الى النعمان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس هذا الكلام من عنتر بان له صحة الخبر وقال له يا أبا الفوارس هذا هو الصحيح وقد قست قياسا مليح فلو جرى هذا الحال لما دالينا أحد من الرجال الذين أنفذناهم مع العيال فتبسم عنتر من هذا المقال وقال يا ملك ايش هذا المقال وما ذهب مع العيال غير مائة فارس من الابطال والاربعين الذين كانوا مع الحارث بن ظالم يريدون عشرين ألف من الفرسان الضراغم وأقول انهم أخذوا عليهم سائر الطرقات والمذاهب وما تركوهم يهرب منهم هارب والذى مانع أسقوه كاس الهوان والذى أسروه أخذوه معهم الى الملك النعمان فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس ان وصل حريمنا الى النعمان باع كل واحدة منهن فى مكان ونحن قد وقعنا بين أمرين خطرين ومرضين قاتلين وما ندرى أيهما نداوى فى الاول وما الذى عليه نعول ونحن نخاف ان تبعنا الحارث ومن معه فترجع بنو فزارة الى أرضنا وتخرب ديارنا وان نحن أقمنا حتى نقطع أصولهم تقلع أصولنا فلما سمع عنتر من الملك قيس هذا المقال حل به الخبال فقال له يا ملك الرأى والصواب انك تقيم ههنا لحفظ بنى فزارة حتى أتبع أنا هؤلاء الانذال وأخلص منهم المال والعيال وأعيد الاسود ومن معه الى الاعتقال ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك خف عن قيس بعض همه وغمه وقال يا أبا الفوارس افعل ما بدا لك وخذ معك من شئت من رجالنا ورجالك فقال عنتر والله لا أسير خلفهم باكثر من عشرة رجال ولو انهم بعدد الرمال فقال الملك قيس لا تخاطر بنفسك يا أبا الفوارس مع فرسان القبائل وتسير فى هذا النفر القليل الى هذه الجحافل فقال عنتر يا ملك لا تخف من الردا فانى أنا اذا أمنت عليكم لا أبالى بكثرة الاعدا على ان بنى فزارة لا بد أن تأتيهم أصدقاهم وحلفاؤهم الذين أنفذ حذيفة اليهم المال ويقع بينكم القتال فاذا كان الجيش كله عندكم يرتاح قلبى عليكم كلكم ثم ان عنترا أخذ معه عروة بن الورد ونازح ابن أسيد والهطال وتمام العشرة من الرجال الابطال وتقدم بين يديه أخوه شيبوب وهو يعض كفيه على الحارث بن ظالم وينادى لا سقاك الله الغيث يا ابن ظالم ولا ردك الله الى الاوطان سالم فما أقبح عملك فقاتلك الله وقتلك والى طرق المهالك أرسلك ثم أقبل عنتر على شيبوب وقال له ويلك يا أبا رياح جد بنا فى

الرواح واطاب بنا أرض العراق ونحن نتهالك على هذه الخيول العتاق فقال شيبوب والله يا أخى ما هذا صواب فنحن نتبع القوم على أثر الدواب لان الاسود معه قبائل شتى وما نعلم أى النواحى يقصدون ونخاف أن نركب طريق العراق فيغيبهم البر عنا فى الآفاق فلما سمع عنتر من أخيه هذا المقال قال له سر كيفما تريد فعند ذلك سار شيبوب يقطع البر امامهم فهذا ما كان من عنتر ورفقته ﴿ وأما ﴾ بنو فزارة فانهم ذلوا بعد أسر حذيفة واخوته وعولوا على الهرب والانفصال لولا اشتغال بنى عبس عنهم ورجوعهم عن القتال الا انهم دار واحول سنان شيخ الضلال وأخبره بعضهم عن المجال وقال له والله يا شيخ لو دام علينا القتال كنا سلمنا فى المال والعيال وهربنا الى رؤس الروابى والجبال لان الحرب فى نيا تنا بعد أسر ساداتنا فلما سمع سنان مقالهم وعلم بتغير أحوالهم قال لهم والله يا بنى عمى ان ترك المال والعيال مما يشمت بنا الاعدا وهذا عار لا يمحى أبدا الا أن عذركم واضح لمن يراه لانه لم يكن فى الدنيا من يختار الموت على الحياه لا سيما اذا ابتلى الانسان بعدوه ولم يقدر له على المكافاه فانه يطلب لنفسه النجاه وان كان ولا بد لكم من هذه الحال فانجوا بالنساء والعيال وفوتوا الاعداء الخيام والمال هذا اذا رأيتم ما لا طاقة لكم به وقت الحرب والقتال وان أشغل بنى عبس عنكم شاغل فاصبروا على النوائب فاذا صبرتم أتتكم العربان من كل جانب لانى أنا وحذيفة كاتبنا قبائل العرب وأنفذنا اليهم الفضة والذهب وأقول ان وصولهم قد اقترب ومع ذلك أقول ان بنى عبس قد أتاهم سبب ياله من سبب والا فما كانوا صبروا عنكم عن القتال وتركوكم على هذا الحال فهذا ما كان من بنى فزارة ﴿ وأما ما كان ﴾ من الملك قيس فانه حدث عنده حادث ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع ما حصل لم يباشر ذلك اليوم القتال لما سمع بهذه الاحوال وما زالوا كذلك الى الصباح فعند ذلك نادى قيس فى فرسانه من بنى عبس الابطال أن يعتدوا للقتال ولما نظر الى بنى بدر زائدين النشاط فى فرح وانبساط مبادرين الى الميدان يريدون الحرب والطعان قال هو وبنو عبس لا شك أن النجدة قد أتتهم فقال الملك قيس الرأى عندى أن تجدوا اليوم فى القتال وتشبعوهم حربا ونزال فما أتم الملك قيس هذا المقال حتى برز من بنى فزارة فارس من الابطال كامل الاوصاف عريض الاكتاف وجال وصال وطلب الانصاف ومن تحته جواد حالك اللون بالسواد مدخر ليوم الجلاد وفى يده رمح ممدود عليه سنان يشبه نار الوقود متقلد بسيف يقد الزرد والحديد الا أن الفارس رث الحال منهدل الاذيال ثم انه جال فى حومة المجال وطلب القتال ونادى برفيع صوته يا بنى عبس أنتم ذمة العرب أصحاب الحسب والنسب ولا ينكر فضل السادات أصحاب الرتب الا كل جاهل ذليل لانكم قد عرفتم بالانصاف بين العرب فلاجل هذا ينصركم الرب القديم ويرعاكم ويذل لكم أعداكم ونحن قد بغينا عليكم وما كان لنا رأى فى تدبيرنا فصار هذا المصير مصيرنا وقد قتلت فرساننا وجندلت أبطالنا لأجل ما سبق لساداتنا من قتل الاطفال وها نحن مشرفون على الهلاك والوبال ومن البارحة عولنا على الهرب لولا فزعنا من الهتيكة ومعيرة العرب لاننا أكثر منكم عدد وأنتم أكثر صبرا وجلد ونحن ما نريد منكم غير البراز والانصاف وترك الجور والاسراف حتى اذا بلغتم مرادكم منا وملكتم أولادنا ونساءنا وما لنا من العيال فما يبقى لاحد عليكم كلام ولا مقال فاخرجوا من شئتم يا سادات عدنان واياكم والغدر بين الفرسان لان هذا الحديث الذى قلت لكم عليه والشان لا يعرفه الا من جرب حوادث الليالى والازمان ثم انه أشار اليهم ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

من جرب الدهر هالته عجائبه * وأنشبت نابها فيه نوائبه * وقد عرفنا بان الغدر يعقبه
ندامة وتجازينا عواقبه * وما بقى غير كاس الموت نشربه * تحت العجاج اذا اسودت غياهبه
فبردوا غلتى بالطعن وابتدروا * الى الشجاع الذى لانت جوانبه * وخيم الذل من كل الجهات به
من بعد ما كان صرف الدهر صاحبه * يا حاكمين اعدلوا فينا فان لنا * ربما من الذل قد ضجت نوادبه
فربما عاد صرف الدهر ساعدنا * بعدله وسطت فيكم مصائبه * لا تأمنوا الدهر والايام من كدر
* بما ترون فقد تأتيكم عجائبه *

﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك قيس هذا الكلام والشعر والنظام تعجب غاية العجب ورق قلبه على بنى فزارة لهذا السبب وتذكر ما بينهم من النسب وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لو كان هذا الشخص مشى بيننا فى الصلح اليوم لكنت أنا صالحت هؤلاء القوم وكنت وهبت لحذيفة دم الاطفال حيث أبدى هذا المقال ولكن الامر قد فات وهذا الفارس طلب الانصاف فانصفوه وان قدرتم على أسره فاسروه والى بين يدى احملوه فانى أرى الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه وانظروا من هو من الفرسان وما اسمه بين الاقران لانى أراه فصيح اللسان ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك تبادرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان فصار قيس يصيح فى الفرسان وهى لا ترجع وقد داخلها فى ذلك الفارس الطمع فلما نظر ذلك الفارس الذى ذكره تقدم الى من أقبل نحوه من الفرسان والامم ضحك وتبسم وقال ما قصرتم فى الانصاف ولكن هكذا تفعل الاقوام الاقوياء بالضعاف ثم انه أكب رأسه فى قربوس سرجه وتلقاهم بطعن قاتل يفك المفاصل * هذا وقد طلع فوقهم الغبار حتى سد الاقطار ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك رمى رمحه من كفه وسل سيفه من غمده ودخل معهم تحت القتام فارمى منهم سبع فوارس كرام فعند ذلك قصده الفرسان من كل جانب ومكان وهو ساكت لا يرد جواب ولا يبدى خطاب بل يطعن يمينا وشمال وينثر الرجال فى عرصة المجال * هذا والطوائف تنظر الى المعمعة من كل جانب لتعرف المغلوب من الغالب فما ترى الا حساما يلمع وسيفا يقطع فما كان الا ساعة واحدة حتى خرجت الفرسان شاردة الى ناحية قيس تنادى واحرباه يا ملك من هذا الفارس الهمام والبطل الضرغام فلما سمع قيس مقالهم ورأى أحوالهم قال لهم ياويلكم ما حالكم ومن يقال لهذا البطل الذى اباد كم فقالوا والله يا ملك ما نعرفه ولا فينا من يقدر يصفه لانه والله ما فى هذا الزمان مثله وسيفه يقطع الحديد والزرد النضيد وقد أهلك منا ثلاثين من الفرسان وأكثرهم من بنى غطفان وبعد ذلك اذا لم تأمر بالحملة عليه والا أهلك الفرسان لانه شيطان فى صورة انسان ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام قسا قلبه على ذلك الغلام ولما سمع صياح بنى فزارة قد علا زاد به البلا وعلم أنهم ما صاحوا الا لاجل النصر والظفر فنادى عند ذلك فى اخوته وفرسان عشيرته وقال دونكم وهذا الغلام الذى قد رق لنا فى الكلام فعند ذلك أطلقت الاعنة وقومت الاسنة الا انهم ما قاربوا موضع الصدام حتى ظهرت عليهم الفرسان من تحت القتام وطلع فى أعقابهم ذلك الغلام وهو يدمدم دمدمة الرعد فى الغمام وسيفه يقطر الدم من جانبيه والموت يلوح من بين عينيه حتى قارب الملك قيس وهو تحت الاعلام وصاح عليه أبشر يا قيس بعد الفرح والمسرة بالبؤس والمضرة فانا الحارث ابن ظالم فارس بنى مره واليوم أفنيكم كلكم فى فرد مرة ثم انه هجم على حامل العلم وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ثم انه هجم على قيس وخبله وجذبه من أطواق درعه فرجله عن جواده وخبله وهم أن يعود به الى بنى فزاره وقد أنزل به الذل والخساره ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك حملت عليه الابطال وطلبته بالرماح الطوال فحمل أيضا بنو فزارة وسنان ابن أبى حارثة وفى دون ساعة اختلطت الطوائف وبان الآمن من الخائف وصار الغبار على رؤسهم قائم وعملت الصوارم وطارت الجماجم وقطعت الايادى والمعاصم وعاد عقاب المنايا فوق رؤسهم حائم ودارت الفرسان بقيس والحارث بن ظالم وطال منهم التصادم ولمعت الدروع والصوارم وما زال سوق المنايا قائم فهذا مطروح وهذا سالم فلما نظر الحارث الى هذه الاشاره سلم قيسا الى بنى فزارة وعاد الى الطعن والضرب واشتعلت نار الحرب وعلا القسطل واشتد العمل الى أن أقبل الليل وانسدل فعند ذلك انفصل الفريقان ونزلت الطائفتان * هذا وقد عاد الحارث بن ظالم وشيد لنفسه المفاخر والمكارم فعند ذلك دار بنو فزارة حوله يشكروه ويثنوا عليه وأوصلوا قيسا الى سنان وأوصوه أن يحترز عليه حتى يفدى به حذيفة * هذا وقيس قد زاد به الما[1] لم لما نظر الى فعال الحارث بن ظالم ﴿ قال الراوى ﴾ وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وذلك انه لما سلم له الملك قيس الاسارى وخلى عنده المائة فارس من الفرسان الاشاوس سار طالبا بنى فزارة ومعه الفرسان

الذين قتل أولادهم حذيفة وطائفته الغدارة وأما الحارث فانه لما وصل الى ديار بنى عبس ونظر الى ذلك الحال
من ذهاب أموالهم والعيال قال والله ما بقى لبنى عبس قائمة ثم أمر العبيد أن يضربوا له الخيام على
العلم السعدى وقال بعد أن وصلت الى ههنا لا أبالى بما يجرى بعدى ثم انه انفرد بنفسه الى حفظ الاسود ومن
معه وهو كثير الحذر وقضى أكثر الليل بالسهر مدة يومين وفى اليوم الثالث لما طلعت الشمس دخل عليهم
فوجدهم يتشاورون وفى خلاص أنفسهم يدبرون فلما نظر اليه الاسود قال له ويلك يا حارث ما كانك
خلقت الا حرصوان يعرفك كل انسان فلما سمع الحارث من الاسود هذا المقال قال له وكيف هذا الحال
وأنا قاهر الابطال فقال له اللقيط بن زرارة يا حارث أصل هذا الامر والشان منك لما قتلت ابن الملك النعمان
وأثرت الفتنة بين قبائل العربان وبعد هذا عقد نالك لوائح الامان بعد الخوف والحرمان وأنت مقيم على
الاجاج والعصيان وقد رضيت بهذا المقام والعيشة الذميمة مع عبد لا قدر له ولا قيمة وكانك بقبائل العربان
وقد أقبلت من كل جانب ومكان ويحل بك الانتقام وتشرب كاس الحمام وأنا رأيت لك من الرأى أن
تطلق سراح أخى النعمان ومن معه من الفرسان وتعتذر اليهم قبل الملام وتطلب منهم الذمام فبادر
هذا الامر قبل الفوات وحلول الآفات حتى يأخذ لك الامان من أخيه النعمان وتكون قد محوت الاول
بالآخر ويشكرك على ذلك كل بادى وحاضر فلما سمع الحارث من اللقيط هذا الكلام المرتب قال له يا لقيط
أتأمرنى بالهرب وأنت سيد من سادات العرب فقال اللقيط ويلك يا حارث ومتى عرفت أنت بالوفا ومال
قلبك الى أحد وصفا حتى تصفو لبنى عبس وعبدها عنتر وتخلى مثل هذا السيد الاكبر أخى الملك الحاكم
على جميع العربان واعلم أنا اذا خلصنا من هذه الاهوال والاسر والاعتقال ووصلنا الى النعمان أخذنا لك
ولبنى عبس الامان فقال الحارث أما بنو عبس وحق الكعبة الحرام فانهم على انهم اتضام وأما عنتر فله
فى قلبى من الحسد ما أمرض منى الجسد ولولاه كانت الفرسان تحت حكمى وارادتى ولولا حاجتى اليه فى هذه
الفعلة كنت قتلته وأخذت بنت عمه عبلة لان أباها أرانى اياها وقال لى خلصنى من هذا الولد ابن الزنا وأورده
المهالك وأنا أزوجها لك وبعد ذلك قد فتح لى باب أبلغ به الارب فان أنتم عاهدتمونى على ما أريد والا
عذبتكم العذاب الشديد فلما سمع الاسود مقاله أمل اصلاح حاله ثم قال له ما الذى تريد حتى نعاهدك عليه
ونوصلك اليه فقال تسيرون معى الى أرض بنى فزارة قبل سيركم من هذه البلاد وتساعدونى على قتل عنتر
ابن شداد وتضمنوا لى الامان من الملك النعمان ولا تقولوا ان طائفة قليلة بل كل فارس منا يلقى قبيلة فقال
الاسود وقد طلب الخلاص من الوثاق وسرعة العودة الى أرض العراق يا حارث أنا اضمن لك هلاك عنتر
ولو كان فى الجمع الاكثر وأنت تعلم ما فى قلوب هؤلاء الفرسان على عنتر وبنى عبس وعدنان (قال الراوى)
فعند ذلك أجابهم الى ما طلبوه وعلى هلاك عنتر عاهدوه وحلفوا له الايمان أن يأخذوا له من النعمان الامان
ثم انه أحضر لهم السلاح والعدد وصبر حتى هجم الليل الاسود وخلص الجميع لانه كان نازلا بهم على العلم
السعدى فى ناحية عن مضارب القوم وطلب بهم عرض البر الاقفر فالتقى بالسبى مع بنى عبس والمال والعيال
فلما سمع الحارث حسهم فى الظلام قال وأخوفاه على بنى فزاره أن يكونوا حلت بهم الخسارة ثم أنفذ فارسا
يكشف له الخبر فمضى ذلك الفارس وعاد وهو ينادى يا ويلكم اطلبوا الهرب والا حل بنا العطب
﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الاسود مقاله قال له ويلك يا مذلول ما وراءك وما الذى تقول فقال يا ملك كسرت
بنو عبس بنى فزارة وانزلوا بهم الذل والخسارة وخلصوا أموالهم والعيال فلما سمع الحارث ومن معه من الابطال
الى هذا المقال أخذتهم الحيرة والانذهال وتقطعت ظهورهم وتحيروا فى أمورهم وقال الاسود خاب والله
أملنا وبطل عملنا وان دمنا على عزمنا الاول وقعت بنا الخسارة ولا نصل الى نصرة بنى فزارة وقد رأيت من
الرأى أن نسوق هذا الظعن والعيال ونمضى الى ديارنا والاطلال ونطلب أرض العراق والآن لحقتنا عنتر
عدنا الى الوثاق واذا وصلنا الى النعمان آخذ منه الامان وأزوجك عبلة بنت مالك ونفوز بجميع ذلك
وان قتلت عبد شداد نلت جميع المراد وأجعلك حامية البلاد ﴿قال الراوى﴾ فقال الحارث يا ملك اذا

كنت عزمت على هذا الحال قل لهؤلاء الفرسان تدور بالظعن والعيال وأوصهم أن لا يدعوا أحدا ينفلت
من هذه الرجال ولا فرد انسان فيكون سببا لهلاكنا والقلقان فقال ملاعب الاسنة كونوا من هذا الامر فى
أمان أنا وحدى أسوق الظعن ومن معه من الفرسان ثم انهم فى ساعة الحال داروا بالظعن والمال وتفرقوا
حولهم وسدوا جميع الطرقات وأطلقوا عليهم العيطات وساقوا المال والنياق وتوجهوا الى أرض العراق
فطلبهم المائة فارس فقال ملاعب الاسنة سلموا النساء أرواحكم أو أعدمكم صلاحكم فلما حققت المائة فارس
الجماعة سلموا أنفسهم فى الوقت والساعة فشدوهم كتاف وقووا منهم الاطراف فمد الحارث عينه فرأى
عبلة وهى تلتفت التفات الغزلان فالتهب قلبه بالنيران وأقبل على من معه من الفرسان وقال أنا مرادى
أدخل على الست عبلة فى هذه الليلة وأزيل عن قلبى هذه البلبلة وأقضى طريق بالبوس والعناق حتى
نصل الى أرض العراق فلما علم الاسود مقاله والكلام قال وحق البيت الحرام لولا سبق له منى الذمام
لعجلت له الحمام ثم انه ناداه فاقبل عليه وقال له يا سيد بنى مرة أنا كنت سائرا الى بنى فزارة فى هذه الكرة وقد
أتانا ما أشغلنا عن هذا الحال وأما المال والعيال فأخذهم أنا وأسير الى أخى النعمان وأرسل عبده لبنى فزارة
وأما عبلة فتكون عندى حتى يموت عنتر فاز وجك بها لانه اذا كان طيبا اخلاك واتبعنى فاطرق الحرث برأسه الى
الارض وأضمر على هلاكهم اذا نام وانصرف ملاعب الاسنة ضميره فيل على الاسود وأعلمه بذلك فأخذت
الفرسان حذرها منه فلما علم الحارث أن القوم حسبوا حسابه وان فعل ما عليه أضمر أمسكوه والى النعمان
أوصلوه قال لهم ها أنا سائر الى بنى فزارة أستنجدهم حتى يرسلوا الينا نجده وآتيكم بالحيرة ثم لوى عنان جواده
وسار قاصدا ديار بنى فزارة ودخل على سنان وبات ولما أصبح نزل الى الميدان وفعل ما فعل من الامر والشان
وأسر قيسا ورجع من الحرب وطالب قيسا بحذيفة واخوته فاجابه الى مقاله بعدما وبخه على فعاله وقال
له والله يا حارث بعد هذه الفعال ما أدرى ايش يكون طبعك فلعن الله أصلك وفرعك لانك لا تفرق بين
القبيح والاحسان ولا أنت عاقل حتى يلومك الانسان أهذا جزاؤنا بعدما تركنا نقضنك للامان وعادينا من
أجلك الملك النعمان ولكن سوف تعلم من يندم اذا زل القدم لانك خسرت النوبة فى هذه التجارة وبعت
الربح بالخسارة ولا بد أن يعم شؤمك على بنى فزارة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحارث من قيس هذا المقال
والكلام أكثر عليه الملام وقال له ويلك يا قيس ومن اين عاد الذمام لى على مكان وقد أخذت الامان من الملك
النعمان وأوعدنى الاسود بالخلع والاحسان ومع ذلك لم أبعكم بأرخص الاثمان لكنى اتخذت من هو أوفى منكم
مكان وأعظم شان وبعد ذلك فالخير والشر مركبان فى الانسان وما غلب عليه كان لا سيما من طلب لنفسه
الارتفاع وفى جهدى انى ما أخلى على وجه الارض شجاع حتى يحملوا الى حق المراعى والبقاع وأول ما أبيد
عبدكم الاسود فلما سمع قيس منه ذلك الكلام قال له الملك رأيت هذا فى المنام اذ أنت أخبر به من دون الانام
وأنه الفارس الهمام والبطل الضرغام وان جمعت بينكم الايام فهو يعجل لك الارغام ويسقيك كاس الحمام
ولكن الساعة الامر قد فات فى هذا المرام والفائت ما عليه ملام ﴿قال الراوى﴾ ثم انه بعد ذلك حلف لهم لا يركن
الى غدر ويطلق لهم أولاد بدر ثم ركب وسار عند طلوع الشمس الى أن وصل الى بنى عبس وعليه الخلع
الغاليات المقدار ثم انه صبر الى أن تضاحى النهار وبعد ذلك أمر بحذيفة الى حضرته فخلع عليه وعلى اخوته
وسيره الى أهله وعشيرته فلما وصل اليهم فرحوا بقدومه عليهم وأما قيس فانه حكى للربيع على ما فعل
الحرث ثم انه قال لهم اعتدوا للقاء أعداكم الا أنهم ما تضاحى النهار حتى اصطفت المواكب وترتبت الكتائب
أقبلت الفرسان من كل جانب ولما وصل قيس الى تحت الاعلام ونظر الى تلك الخلائق والازدحام أقبل
على الربيع وقال له ما بقى الا نبذل نفوسنا لهذه السهام الصائبة ونبذل المجهود ما دامت فرساننا غائبة فبينما هم
يتشاورون فى أمر الطعان واذا بالحرث قد برز الى الميدان وطلب البراز والطعان ولم يفكر فى حوادث الليالى
والازمان ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر قيس الى الحرث وقد برز الى الطعان علم أنه يريد أن يقهر الشجعان ويبين
شجاعته فى ذلك المكان فعند ذلك أمر الناس بالحملة عليه والغارة وحمل حذيفة فى بنى فزارة لانه قوى قلبه

بالحارث بن ظالم وجسره على هذه الامور العظائم فعند ذلك حمل بعضهم على بعض واشتد الركض وتزلزلت الارض وماجت الاسنة وكثرت الضجة والرنة وطلبت الرماح القلوب وقضى عليها بالقضاء علام الغيوب وتقطعت الاكباد والجنوب وطلعت عليهم الغبرة كانها الغمامة السوداء وساق ملك الموت الارواح وحدا ونادت الابطال فلم يسمع لها ندا وعمل البتار وقل الاصطبار وطال الانتظار وقصرت الاعمار * هذا والحرث ابن ظالم قد فتك فى تلك العوالم وواجه الفرسان قدامه هزائم وترك القتلى ممددين فى وسط الفلا وما تضاحى النهار حتى تفرق بنو عبس فى القفار والحرث يجول فى مشارق الجيش ومغاربه وقد أظهر فيهم كل عجائبه وأفناهم ووقع بعمارة فاسره وجرح أخاه فكاد أن يدمره فلما رأى قيس الى بنى عبس وهى تريد الفرار وفرسانه قد أشرفت على الانكسار وبنو فزارة قد صاحت فى جميع الاقطار صياح الفرح والاستبشار كره الملك قيس الحياه وطلب الموت والوفاه وعول أن يحمل على الحرث واذا بغبار أسود قد سما وطلع الى عنان السما وانكشف عن خمسمائة فارس غائصين فى الزرد يقدمهم سيد ومن تحته جواد أجرد وفى يده قضيب مهند أعظم من الفيل وهو ينادى يا لعبس يا لثارات مالك بن زهير معدن الجود والخير أنا زائدة بن نصيب الفارس النجيب ﴿قال الراوى﴾ ثم حمل على بنى فزارة حملة الليث وانصب هو وفرسانه عليهم انصباب الغيث وفى دون ساعة كسرت بنو فزارة وعاد بجمهم الى خسارة ولولا الحرث امسك عليهم رأس المضيق وعنهم الطعن لاقى ما كان للخوف عليه طريق وأبرى بسيفه ذى الحيات صدور الرجال والزرديات وفعل فعلا يعجز المخلوقات وكانت الفرسان اذا رأت تلك الضربات لم تقدر عليه وكان لهم يوم يعد من أيام الآخرة حارت فيه أفكار البادية والحاضرة وعند آخر النهار قرب المغيب نزل الحرث لزائدة بن نصيب وجرى بينهم حروب شديدة تذوب منها الحديد ويعرف بها الشجاع من البليد وما أمسى المساء حتى جرت سيول الدماء وعادت الفرسان الى الخيام وقد دعج الظلام * هذا والملك قيس ماله هم الا كرام هؤلاء الفرسان التى جاءت لنجدته ومعونته عند عدته فاكرمهم غاية الاكرام وكان هذا الفارس الذى هو زائدة من أصدقاء الملك قيس وحلفاه وكان بينهم صلة رحم ثم سأله عن قدومه فقال يا ملك انى سمعت بما جرى لك من بنى فزارة وكنت أقول انك تنفذ الى فما جاءنى منك خبر ولا اشاره ولما طال المطال ووصلنى الخبر بسبى النساء وذبح الاطفال جئت اليك على سبيل المعاونه والنصره وما كنت فى حقك متهاونا فشكره الملك قيس على ذلك وأخبره بما جرى له مع الحرث فقال له زائدة قد بلغنى ما نالك من أعماله وقبيح أفعاله ولولاه اليوم كنت أرحتكم من بنى فزارة ومن حذيفة ولكنه شيطان ما يلتقى فى الميدان وفى غداة غد أخرج الى بنى فزارة واطلب برازه واعجل تلافه وانجازه لانى اليوم التقيته آخر النهار وما رجعت عنه حتى عرفت من أين تدخل المنية عليه وتصل الحوادث اليه ثم سأله عن عنتر وغيبته فحدثه أنه سار لخلاص المال والعيال وباتوا يتشاورون فى أمر القتال والحرب والنزال ويذكرون ما جرى لهم فى اليوم الماضى من الشدائد والاهوال وبات الربيع وهو ضيق الصدر من شدة الامر ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما جرى لهؤلاء وأما بنو فزارة فما لهم حديث الا شكر الحرث بن ظالم والثناء عليه وكان الحرث قد نزل وهو مخضب بدم الفرسان يهمهم مثل الاسد الغضبان لعدم كسره لبنى عبس وعدنان ولما قدم الطعام أبى أن يأكل فسأله حذيفة عن زائدة بن نصيب فقال الحرث والله ما هو الا بطل شجاع وقرم مناع خبير بالقراع ولكن فروسيته لا تظهر الا عند مبارزته للاقران وأما أنا فلولا أدركنى الليل بظلمته كنت ضربت ما فوق رقبته ولكن عند الصباح أخرج الى الميدان بين الشجعان فاذا خرج الى وبرز الى فرجتكم عليه وما يجرى من سيفى اليه لانى ما اريد أن يصل أخى قسورة الى ههنا الا وقد قضيت الاشغال وخلصتكم من بنى عبس الانذال ﴿قال الراوى﴾ وكان أرسل الى أخيه قسورة من أول ليلة وصل فيها الى بنى فزارة وحدثه أنه قد خلص أخا النعمان وأنه قد سار يشده من بنى فزارة وقال للفارس الذى أرسله لا تعد الا وأخى معك وفرسانه تتبعك وعند الصباح ثارت الابطال تطلب الكفاح فخرج الحرث بن ظالم ونادى يا بنى عبس ابرزوا الى قابض الارواح ومبدل الافراح بالاتراح الذى لا يرعى ذمام ولا يحفظ طعام ثم انه

توسط الميدان ولاين عريكة الحصان وجال وصال وأنشد وقال

لا تراعى من الانام خليلا * واجعل الهجر للوصال بديلا * واذا ما ائتمنك خل فخنه
وافعلن القبيح وانس الجميلا * وابذل السيف فى القرابة والاهـل الى أن ترى العزيز ذليلا
واذا شئت صاحبا فاصحب الرمـح ولا تهجر الحسام الصقيلا * صارمى لا يقر فى ظلمة الغمـ
ـد ولا يرتضى سواى بديلا * وحصانى وعدتى وسنانى * تقطع الفرع منكم والاصولا
لا تظنوا أنى اراعى صديقا * قد صفالى ولا أود خليلا * وفعالى على مقالى دليل
فاعرفونى ها أقمت الدليلا * فابرزوا وانظروا قتال غلام * فاتك يصير الكثير قليلا
لى فؤاد قد أصبح اليوم بالحر * ب عليلا فاشفوا فؤادى العليلا

﴿قال الراوى﴾ وكان الحرث بن ظالم لما وصف نفسه بهذه الابيات والصفات القبيحات قريبا من بنى عبس فسبوه وشتموه عند سماع مقاله وتعجبوا من خبث أفعاله فعول زائدة بن نصيب على الخروج اليه فسبقه ابن عم له الى الميدان وانطبق على الحرث وطعنه طعنة عظيمة فضرب الحرث رمحه فبراه وطير أعلاه وقاربه وداناه ثم طعنه فارداه وحمل على أعلام بنى عبس ونادى باعلى صوته ما هذه عاداتكم يا بنى عبس عند البراز وأنتم قيام تنظرون فابرزوا ان كنتم تريدون الفخار والا استقيلوا حتى أقيلكم بشرط انكم ترحلون من هذه الديار وتوسعون فى الاقطار والروابى والقفار وأنزل أنا وقومى فى مراعيكم والاوطان وأسأل فيكم الملك النعمان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك واخوته كلام الحرث صعب عليهم وأمر الجيش بالحملة عليه فسبقه زائدة وبرز اليه وقال له ويلك يا حارث ما أشأم خصائلك فلعن الله بطنا حملك أما تستحى أن تذكر من نفسك هذه الفضائح وتظنها مناقب ومدائح وما لك فضيلة بين العباد بها تذكر الا قتلك خالد بن جعفر وهو نائم وتعدها من جملة المكارم وقتلت ولد النعمان وهو طفل صغير ما بلغ الفطام وقبحت على الملك قيس وقد أولاك الاحسان وبرزت تفتخر بين الاقران فان ظفرت بك جازيتك أشأم الجزا وأتقرب بقتلك الى اللات والعزى حتى لا يرجع أحد بعدك يقابل الاحسان بالقبائح ولا يثنى على نفسه بمثل هذه الفضائح فقال الحرث بن ظالم والله يا ابن اللئام يا ولد الحرام لا بد اليوم أن أدنى حمامك وأعجل لك انتقامك وأجعل هذا اليوم آخر أيامك وان كنت فى شك من كلامى وصولتى واقدامى فناد لقومك يحملوا مؤونتك فلما سمع زائدة كلام الحرث علم أنه جبار زائد شره على خيره ولا ينظر فى عاقبة أمره فحمل عليه وصال وجال وأجابه على هذا المقال وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

لو رأت عيناك الجميل جميلا * صنت بالعدل عرضك المبذولا * اننى اذ بغيت جئت بسيف
قاطع يترك العزيز ذليلا * خنت فخرا فى قتل خالد حتى * قد ملات القفار قالا وقيلا
جئته نائما فكنت منه * فى ظلام الدجا حساما صقيلا * قسما لو رأيته وهو يقظا
ن لاضحيت من يديه قتيلا * فاصبر اليوم كى ترى من حسامى * واعالى رمحى عذابا وبيلا

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحرث كلام زائدة والنظام حمل عليه وهم أن يضربه بالحسام فرآه محترزا من نزول الآفات جيد الخبرة فى مقام المقارعات حسن القراع والثبات فغمد سيفه وأخذ معه فى الطعان باطراف السمهريات حتى جاز عن حد الصفات وعبر نصف النهار وتقضت تلك الاوقات وهجما هجمات الاسود فى الغابات وكان الحرث قد خصمه زائدة حتى بانت منه هذه الفعال فجد معه فى القتال حتى تقصفت السمر العوال فعاد الى حسامه وانتضاه مثل البرق اذا برق وكثر به الغيظ والحنق وهجم على خصمه وضايقه وصاح فيه وزعق وضربه ضربة جبار لا يرحم ولا يشفق فقد البيضة والرفادة وأشمت به عشيرته وسحب الحسام فشق جبهته ولولا الضربة كانت قصيرة غير فسيحة لكان أعدمه روحه الا أنه مال وانصرع وفاض دمعه وهج فصاح بنو فزارة صياح الفرح ونزل على بنى عبس الحزن والترح وعض الملك قيس على كفه ندامة ولحقه الالم وخاف على زائدة من العدم لما رآه وقع وسالت دماه ودنا منه فناه فهمت الخيل التى كانت معه أن

تحمل وتتبعه فمنعها قيس خوفا واشفاقا عليها من سيف الحرث أن يفنيها وقال لاخوته وقومه وعشيرته والله ما يهون على هذا المصاب فلو قتل أخ من اخوتى كان أهون على من هذا الرجل الغريب الذى جاء يطلب نصرتنا وحمايتنا وبذل نفسه فى هوانا ولكن ما بقى فى هذا الامر الا أننا نعانى أمورنا بنفوسنا فبينما الملك قيس مع قومه فى الكلام واذا بفارس اخترق الاعلام وسلم على الملك قيس وأسفر اللثام وقال للملك قيس أتعرفنى يا ملك الزمان فقال لا والله فقال أنا قسورة أخو الحرث الذى أساءكم بعد احسانكم اليه وافضالكم عليه وقد تعبت أنا من خصاله وشؤم فعاله لانه قد عاب أحسابنا وحط أنسابنا وأريد منك أن تترك الحملة عليه حتى أبرز اليه لعلى أقتله وأستريح منه ومن فعاله ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من هذا الغلام قال لمن حوله من الاقوام وحق من فى علم غيبه قد احتجب ما سمعنا باظرف من هذا الحديث ولا أعجب لان الاثنين اخوة من فرد أم وأب وهذا دليل على بقاء الرب القديم رب موسى وابراهيم وأنا أقسم برب الكعبة الغرا وأبى قبيس وحرا ان عاد هذا الغلام وهو سالم من براز أخيه الحرث بن ظالم لازوجنه الجمانة ابنتى وأقاسمه فى نعمتى وأساويه باخوتى ثم أعرض عليه الخيل والسلاح وآلة الحرب والكفاح فقال له قسورة يا مولاى اذا كان عمر الانسان مديد ما يقطع فيه الحديد فان كانت قد دنت المنية ما يردها الزرد النضيد ثم انه برز الى أخيه وكان الحرث قد طال عليه الوقوف وعول أن يحمل على الصفوف لما علم أن الفرسان عجز واعنه فتذكر قتل خالد بن جعفر بسيفه ذى الحيات فاشار بهذه الابيات وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علوت بذى الحيات مفرق رأسه * وهل يفعل المكروه الا الاكارم
فتكت به لما اقلت نشاله * وكان سلاحى تحتويه الجماجم

﴿قال الراوى﴾ ثم انه عول على الحملة واذا باخيه قسورة حمل وعلى قتاله عول ثم انه ناداه يا حرث يا ردىء الطبع يا خبيث النبع ما هذا الضلال والبغى على الابطال أعدمت عقلك وقد أغواك جهلك فقال الحرث وقد عرفه ويلك يا ابن الام ما هذه الفعال أنا أنفذت خلفك لاجل أن تأتى لخدمتى أنت وفرسان قبيلتى فجئت عن بنى عبس تحامى وأهملت صواتى ومرامى فقال قسورة أى والله يا حرث ان كلام الناس فى عرض الانسان أشد من ضرب السيف وطعن السنان لابد من قتالك وضربك ونزالك الان كنت تقبح سنة العرب الكرام والاقامة على حفظ الذمام والصدق فى الكلام واحترام البيت الحرام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحرث ذلك الكلام طار الشرر من عينيه وماج الشر فى قلبه وجنبيه وقال ما هذا الكلام يا نسل الحرام تريد أن تزيلنى عن سنتى التى استننتها فى هذا الزمان وأذللت بها رقاب الفرسان من ذوى الرتب وتسن أنت سنة غيرها بين العرب وتظن أنى أحترمك من أجل الآباء والامهات لا وحق اله السماء ومن علم آدم الاسماء لاجرعنك كاس الممات بسيفى ذى الحيات وأنفرد وحدى فى الفلوات ولا أصحب غير سيفى العظيم الصفات الذى نفرج عنى الامور والكربات ولا تقل ان أمك أمى وأباك أبى وأحترمك لاجلهم فهذا شىء لا يكون فقال له قسورة دونك والحرب والصدام فانى ما جئتك الا وقد ودعت الدنيا والانام حتى لا يقال هذا أخو الحرث الخائن الذمام ثم انشد يقول صلوا على طه الرسول

أيا ابن الأم قد دلت الوجائع * ومت بغصة ظام وجائع
لانك غادر نذل خبيث * ولم ترع الذمام ولا الصنائع
وأنت أخى صحيح الاصل لكن * تغيرت المشارب والمراضع
فأنت أخى ومن أمى وهاقد * تخالفت الفعال لدى الطبائع
وانى للاخوة فيك عمرى * أراعيها وفيك الخير ضائع
فدونك شرب كاسات المنايا * فخير ذاك من شرب الشنائع

﴿قال الراوى﴾ ثم انه حمل على أخيه وانعقد عليهما الغبار وضاقت الاقطار وكان لهما ساعة منكرة أذهلت من الشجاع عقله وبانت لهما الارض ضيقة منحصرة وعقد عليهما القتام والغبار وأيقنا بالهلاك والدمار واستمرا فى اقبال وادبار الى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكانت العرب تسميه الهتاك وأخوه

قسورة يسمى الفتاك لان قسورة لما سمع بغدر أخيه بنى عبس بعد احسانهم اليه صعب ذلك الامر عليه وأتى الى بنى فزارة ونزل الى أخيه وجرى له ما جرى معه من الصدام وتقاتلا حتى أقبل الظلام وقال له الحرث عد الى الصباح فان طاب لك الموت فانزل الى الحرب والكفاح فقال قسورة لا وحق من اقداره فى القدم مقدرة مالك الدنيا والآخرة ما بقى بيننا انفصال الا بالاتصال ثم انه حمل عليه فتلقاه الحرث وهجم عليه وضربه بسيفه ذى الحيات على هامته فرمى رأسه عن جثته وعاد ولبس حلة السواد وقد تعجبت القبائل من قساوة قلبه وغاب الملك قيس عن الدنيا من شدة ما جرى عليه وحار فى قصته واستدت المذاهب فى وجهه وقال والله ان لم يدركنا عنتر ويكفينا أمر هذا الشيطان والاهجيج قومنا وشتتهم فى القيعان ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فانه لما سار خلف النساء والاطفال ومعه العشرة فوارس الاقيال وأخوه شيبوب بين يديه وقد فارقوا بنى عبس نصف النهار فساروا ذلك اليوم أجمع وتلك الليلة الى وقت السحر ونزلوا عند الصباح فادركوا الملك الاسود والفرسان الذين معه من سادات العرب وهم الذين اطلقهم الحرث بن ظالم وقد ذكرنا أنهم كانوا أربعين فارسا مثل ملاعب الاسنة واللقيط بن زرارة وجراح الوايلى فاشرف عليهم عنتر بن شداد عند الصباح وقد سمع من المسبيات الصياح فقال ويلكم يا أنذال فاتكم والله بلوغ المنا فانجوا بانفسكم من العنا وفوتوا الغنيمة فان نجاتكم بارواحكم هى الغنيمة فقد أتاكم من هو بها أحق وأولى فانجوا بانفسكم فى هذا الفلا ودعوا النساء والسبايا قبل أن تمسوا ممددين على الارض مثل الضحايا ثم حمل عليهم بعد هذا الكلام فلما نظره الفرسان وقع بهم الذل والهوان وسمعت أيضا صوته النسوان وضجت الاسارى من شدة الافراح حتى قلبت الارض والبطاح فزعق الملك الاسود دونكم وعبد شداد ولد السفاح فانهبوا جسده بالصفاح فقال ملاعب الاسنة يا ملك طيب قلبك فما هو الا نفر قليل ونحن نريك اليوم فيه ما يشفى الغليل ويبرى العليل والرأى انك توكل بالاسارى من يحفظهم مخافة أن تدخل العبيد تحلهم من الوثاق ويعينون هذا الشيطان على الحرب والطعان لاننا عولنا على قطع شأفته ومن معه من الفرسان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع هذا المقال علم أنه صواب وأخذ معه عشرة من الفرسان الانجاب لحفظ المال والعيال * هذا وقد وقع الحرب والقتال فلما نظر شيبوب الى هذا الحال ترك أخاه عنترا وابن أخته المطال وأخذ فى عرض البر يطلب السبى والعيال حتى وصل اليهم ودخل بين المحامل ولم يزل يتفقدهم فارسا بعد فارس ويحل وثاقهم وقد عرفه القوم واستبشروا بقدومه حين حل جميع الاسارى وكانت العشرة فرسان الموكلة بالسبى لما نظرت الى عنتر بن شداد وقد حمل هو على أصحابهم اجتمعوا ينظرون ما يعمل ولم يعلموا أن البلاء عليهم قد نزل ولم يشعروا الا وسادات بنى عبس قد حكموا فيهم القواضب وداروا بهم من كل جانب ووضعوا السيف فيهم وقتل منهم أربع فرسان وجرح أكثرهم وعلا من النساء الصياح وعقدت أصواتهم بالافراح وكان الحرث بن زهير قد حله شيبوب من الاعتقال وعاد يطلب عنترا وأصحابه فوجده عنتر قد بذل يده فى الاعدا وسقاهم كؤس الردا وصاح على أصحابه وناداهم وقال يا بنى عمى كل من ظفر منكم بواحد من الاسارى لا يقتله بل يخفيه فى القيود وابذلوا السيف فى الباقين حتى تقع هيبتكم فى قلوب هؤلاء الانذال وينقطع طمعهم من المال والعيال ثم حمل عليهم فقتل فى حملته منهم ثلاث فوارس فلما نظره ملاعب الاسنة ورآه لا يبقى على أحد وقد اشتد به الفزع وزاد به الهلع وخاف على نفسه من عنتر بن شداد أن يقتله فعاد من فزعه يصيح على أصحابه ويحرضهم على قتاله وضربه وكذلك فعل اللقيط بن زرارة لان الفارس اذا كان خبيرا بالحروب أو عرف خصمه قاس الامور على نفسه بفهمه ودار القتال بين الابطال والتقى الحرث بن زهير بعنتر بن شداد وهناه بالسلامة وقاتل معه ساعة أشد قتال الى أن تضاحى النهار ومالت الشمس الى غربها فساقهم عنتر فى حملته سوق الغنم وجرعهم كؤس النقم وجندل منهم خمس فوارس على أديم الثرى وتركهم لوحش البرقرى فلما علم ملاعب الاسنة ما تم على الاسرى من اطلاقهم وأسر أصحابه ورفقائه علم انه ان توانى عن

الفرسان أبادهم عنتر في ساحة الميدان فقال اللقيط ما هذا يا سيد بني عامر نخلي رجالنا السيف هذا العبد ولد الزنا فما هذا فعل الكرام بل الرأي اننا نحمل عليهم وننتقم منه غاية الانتقام فان ظفرنا به كان لنا المنزلة العظيمة عند الملك الاسود ثم انهم مدوا اليه الاسنة وأطلقوا نحوه الاعنة ومالوا اليه واذا بالسبي قد أقبل وأصحابه ينادون من شدة الفرح لاننا كنا ذكرنا أن شيبوبا أطلق الحرث بن زهير والاسارى من الوثاق وأمرهم بالقتال الذين كانوا حارسين لهم وللمال ولما أبصر الملك الاسود ذلك الحال انزعج غاية الانزعاج ونادى في أصحابه النجاة النجاة يا أبناء العفلات والان وقعنا في يد هذا العبد أحل بنا الموت وأذاقنا المرارات ثم أطلق عنان جواده وطلب أرض العراق وتفرقت الفرسان الذين كانت معه في الآفاق وكان الحرث بن زهير راكبا جوادا أصيل ومعتدا بعدة جلاد جليل (قال الراوي) فلما رأى الاسود انهزم ركب الجواد وراءه ومعه جماعة من بني عبس ولما رأى شيبوب ذلك رمى قوسه وكنانته وأدار أذياله في دور منطقته وأخذ في يده سيفا مجوهرا من سيوف القتلا وجد خلف الاسود في تلك الفلا وهو يقول وحق من أرسى الجبال والفضا لا بد أن أحكم فيه هذا السيف المنتضي وأبلغ منه المنا وأعرفه من أنا * هذا وقد تخلص باقي الاسارى وقد ملكوا أنفسهم ومالوا الى ناحية عنتر مر بامر با وأبصر اللقيط بن زرارة وملاعب الاسنة الجمع الذي كان مع السبي قد جفل فتقطعت ظهورهم وحل بهم الخبل وكل منهم صار يرتعد من الخوف والوجل من أبي الفوارس عنتر فما صدقوا ان الظلام قد اعتكر حتى تفرق كل منهم في طريق وعدموا السعادة والتوفيق وأجهد كل أحد منهم جواده وارتحل وهو كثير الهم والزفير وما نجا منهم الا من كان في أجله تأخير والباقي نهبوا أرواحهم باطراف الاسل وفرقهم الموت المعجل ﴿قال الراوي﴾ فلما خلي بال عنتر البطل الهمام من الاعداء اللئام عاد الى السبي واجتمع بعبلة فرآها تضحك من شدة الفرح وقد ذهب عنها الحزن والترح فطيب قلبها وسكن روعها وقال لها يا ابنة العم لو ملكت عنان البخير ما كانت هذه التعاسير ولا كنت أمنت لاحد من هؤلاء المدامير ولا أسمع كلام مشير ثم سأل عن أخيه شيبوب فأخبره العبيد انه سار هو والحرث بن زهير خلف الملك الاسود في جماعة من الفرسان فلما ان سمع عنتر هذا الخبر عن أخيه شيبوب والحرث خاف عليهما من الهلاك الاكبر وكان جواده الابجر قد بات تعبان من كثرة ما قاتل عليه الفرسان فتركه وركب غيره وركض على أثرهم ومعه جماعة من أصحابه الا انه ما بعد في البر الاقفر حتى تذكر ما جرى عليه من الحرب المنكر فاشار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

كم عراني في الدهر من كل خطب * أنشب الناب في فؤادي وقلبي
وتوالت حوادث في فؤادي * أرعبت صاح كل قرن بضرب
كل يوم مصائب من أناس * أخلفوا عهدهم بزور وكذب
لا يراعون صاحبا وصديقا * لا ولا ينفعون في وقت كرب
منهم وابن ظالم رظلوم * قد تناهى في القبح من غير ذنب
وأنا قد أجرت من جاء يرجو * قتلتي مع وقوعه وسط خطب
لم أكن عاجزا عن الكل بل سر * ت مجدا لهم بقومي وصحبي
كم رمينا الأسود بالرزايا * في مقام الاذلال مع كل نهب
ثم شتت عامرا مع لقيط * ثم جراح صارخ وسط غاب
هل شهدتني يا عبل ليث قتال * يترك القرن في الفيافي مسبي
وأنا عنتر الهمام المرجى * في حروبي لكل رمح وغضب

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الابطال شعره مدحوه وعلى فعاله شكروه ثم ان عنترا ومن معه افترقوا على أثر فرسانهم الا انهم ما قطعوا من الليل الا القليل حتى التقوا بالقوم والملك الاسود معهم أسير مشدود على بعض الخيل وشيبوب يقود الجواد والحرث بن زهير حوله فناداه عنتر وقال ويلك ما فعلت فقال يا مولاي أخذنا الملك الاسود فقال له كيف صنعت حتى لحقته فقال يا ابن الأم اعلم انني لما رأيته انهزم وفاتنا بسرعة جواده خفت من الليل أن يخفيه عنا بسواده فقطعت الخيل في طلبه حتى أدركته وضربت قوائم جواده بهذا الحسام عرقبته فوقع على الارض فركبت صدره وكتفته ولو تعاصى على كنت قتلته وعدنا سالمين

كما ترى فانت ما الذي جرى لك مع القوم في هذا اليوم فقال عنتر بددت شملهم ولا نجا منهم بطل الا وهو مثخن بالجراح ثم انهم عادوا الى الحريم في تلك البطاح وتباشروا بالنصر والفلاح وأقاموا يريدون الراحة في ذلك المكان وعنتر قد وكل بالملك الاسود جماعة من العبيد فقال الملك الاسود ويلك يا عنتر ما لك في ابقائي من الفائدة أطلقني في هذه النوبة واتخذني لك معينا أو صديق فقال له عنتر يا ملك هذا بعقلك تقول كيف أطلقك وأخليك ترجع سالما وتجمع على الفرسان فقال له الاسود اسمع يا فارس العرب وحق ذمة العرب عمري لا أقرب أرضا أنت فيها فقال عنتر يا ملك على كل حال أنا عبد لا أقدر أفعل شيأ الا بأمر مولاي الملك قيس ابن زهير واخوته وبعد ذلك أريد أن تخبرني عن الحرث بن ظالم في أي مكان تاه لأني ما أراه في جملة الفرسان فقال له الملك الاسود ان الحرث فارقنا وسار الى بني فزارة ليحميهم من سيفك وبني عمك وبعد ذلك فما سمعت له خبر فلما سمع عنتر ذلك المقال من الملك الاسود فزع على بني عبس وقال في نفسه ان وصل الحرث الى بني فزارة لا بد أن يبطش في قومي وعشيرتي وربما يكون خلاص حذيفة واخوته وظهر على قومنا بسوئه وداهيته وفتك فيهم بسطوته لأني أعلم علما يقينا انه لم يكن هناك بطل يقوم مقامه اذا جال وصال وسل حسامه وما صدق عنتر بالصباح حتى رحل بالناس يطلب الآثار الى آخر النهار ثم نزل وعند الصباح جد في المسير حتى قارب الاوطان وأمن على السبي من طوارق الزمان وبات عندهم الى وقت السحر وسار مسرجا على بني فزارة بعد ما أطفأ ناره بنظر عبلة وأوصى الحرث بن زهير بالاسارى وسار والعشرة في صحبته وهو يلتفت الى ورائه وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ودعت من أودعني فراقها * نارا جل فعلها أحراقها
رحلت عنها وفؤادي عندها * موثوقها في حفظهم ميثاقها
كم أطلقت سراحة نعمها * بتركه مأسورة اطلاقها
يا عبل لو كان الفراق صورة * تنظرني ما عملت اساقها
ونائبات الدهر لو كان لها * صوارم ما هالني ابراقها
يا عبل ان زعقت غربان الفلا * ما ئلة قد هدني انعاقها
خلقت للحرب العوان نقمة * اذا الجبال اصطدمت عتاقها
واسود ضوء الجو من غبارها * وغاب من شمس الضحى اشراقها
واختلف الطعن باطراف القنا * وصار في طي الحشا اطراقها
والمرهفات في يدي تروى دما * اذا اشتكت كرب الظما رفاقها
ما ثار في جو السماء عجاجة * ألا انجلى بصارمي اغساقها
وما حضرت الحرب في كريهة * الا أسلت بالدما آماقها
تنظرني الفرسان في يوم الوغا * بأعين شاخصة احداقها
وتنثني وخوفها يخبرها * أن حسامي غمده اعناقها
تعيب لوني بالسواد فتية * أقل ما في قولها نفاقها

﴿قال الراوي﴾ وكان عنتر ينشد هذه الابيات وأصحابه يطربون من حسن ألفاظه ويتعجبون من صبره على البلوى ومداراة النوائب من الدهر والمصائب ثم جد في المسير حتى وصل الى بني عبس فوجدوا الصياح عالي والغبار نامي وبني فزارة قد دارت عليهم من كل جانب وانقسمت الكتائب والمواكب لان العرب التي كاتبها حذيفة وصلت وفي قيس وعشيرته طمعت وكان الحرث في تلك الساعة مبارز الشداد بن قراد أبو عنتر وقد جرحه لانه استطال عليه في ذلك اليوم بزردية سليمانية كثيرة العدد كملت كل المعاني وعلى رأسه بيضة كسروية من فولاذ وهو متقلد بسيفه ذي الحيات الكامل الصفات وكان لا يحمله الا عند الملمات ويفتخر به على السادات وعلى رأسه عمامة حمراء كأنها شقائق النعمان مفروز دائرها بريش النعام حتى تعلم الناس أنه الفارس المعلم والبطل المقدم وتحته جواد أدهم تربية أهل الكرم فخرج اليه شداد وهو تعنقه على فعاله فلم يلتفت الى مقاله بل انهما حمل على بعضهما البعض وتقاتلا على جياد الخيل الى نصف النهار وجرحه الحرث جرحا وثيقا أشرف منه على الدمار ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس الى ما تم على شداد علم أن عيشته مع الحرث تنغصت فساق جواده الى جواد الربيع وقال له يا ربيع نرسل الى حذيفة وتصالحه والا نهلك بجمعنا فقال الربيع الرأي ما تراه واذا بعنتر قد أشرف عليهم ومعه تلك الفرسان فلما رآه

بنو عبس ارتفع صياحهم وتقطعت ظهور أعدائهم بعدما كانوا انتصروا عليهم وقوموا الاسنة وأشرفوا على أخذهم هذا والملك قيس قد تلقاه ودعا له بطول بقاه لان وصوله اليهم كان مثل وصول الطبيب الى العليل أو الحق اذا ظهر على الاباطيل واستخبره عن المال والعيال فقال سيرته الى الديار والاطلال مع الاسارى والرجال وأنتم ياملك ما الذي جرى عليكم من الحرث فانى سمعت أنه طلب ابنى فزارة فحدثه قيس بجميع ماجرى وكيف قتل أخاه وقال يا أبا الفوارس وهو قد جرح أباك شداد وقتل جماعة كثيرة من الاجواد ثم بكى من خوف الغلبة وانحطاط الرتبة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا المقال قال ياملك لو كنت أنت صالحتم فما كنت رضيت أنا بعد هجومه عليك وأسرك وجرح أبى شداد وقتل من ذكرت من الاجواد فبينما هم فى الكلام والشان واذا بشداد عائد من الميدان مجروح وصياح بنى فزارة عليه قد علا وغلا فزاد بعنتر البلا واسودت فى عينيه أقطار الفلا وترك أبناءه يشدون جراحه وبرز الى الحرث فنظره فرحا فى قتاله وعول بحملاته على أعلام قيس لأجل الطمع الذى فيهم قد وقع فصاح عنتر عليه وويلك يا ابن الاندال تمهل ولا تعجل فقد دنا منك الاجل فما أسرع مانسيت الجميل وما أعجل ماغدرت بالخليل ياذليل مافيك مروءة ولا مقيل والله لأ قتلنك وأقابلنك على غدرك وأتركك تتحسر على مافات من عمرك وكان الحرث بن ظالم قد نظر الى بنى عبس لما مالت الى عنتر وهى تسلم عليه فبقى بين المصدق والمكذب فى وصوله الى أن رآه قد طلبه وخاطبه بما خاطبه وبان له الحق عند نظره فتغيرت أحواله وزادت أهواله وعظم بلباله وعاد الى غدره ومحاله وناداه أهلا يا أبا الفوارس والله لقد قلت أضعاف ماقلت وأنا مقتصر يا ليث الاقطار ويامشبع الاطيار ويامحسنا لمن أساء وحامى الحريم والنساء وانى والله مستحق أكثر مماقلته لانى ماخليت لى عندك وجها وعلى أنى وحق من خلق الاشياء وأوجدها من عدم لقد ندمت على مافعلت غاية الندم والذى يعرف بقصتى يعذرنى من وجوه عديدة وأنت أخبر بحالى فانى رأيت نوبتى مع النعمان قد انصلحت ومخافتى قد أمنت ففعلت مافعلت وأطلقت الملك ومن كان معه من الفرسان وظنى أن أحوالكم تنصلح مع النعمان وقلت انى أخفف عنهم فجاءنى الامر بخلاف ما أردت ولما أطلقت الاسارى طلبونى فلولا أنى هربت منهم كانوا قتلونى والسبب فى ذلك أننا لما أخذنا مالكم وعيالكم ووقع بيننا هذا المقال عولت أنى أخلى القوم حتى يرقدوا وأقوم اليهم وأضع السيف فيهم وأخلص مالكم وعيالكم فعلم القوم مافى نيتى ولم تخف عليهم حيلتى فابعدونى وماكان لى وجه أعود به اليكم فقلت ارجع الى بنى فزارة وأقاتل معهم وأقيم بينهم الى أن يصل الملك الاسود الى أخيه الملك النعمان ويأخذ لى منه الامان والذمام بالاحسان وخاب ظنى والآن قد فات مافات وأنا واقف على قدم الاعتذار اليك لانى أعلم أنى لا أقدر ولا أنا ممن يهرب من بين يديك ومالى عذر يقبل عندك ولابد لى من أن أبذل جهدى معك وأدافع عن نفسى حتى تكل سواعدى وزندى وأقع بعد ذلك تحت حوافر جوادى ولا أعيش ذليلا بين الاعادى ولكن يا أبا الفوارس بحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الآجال أخبرنى قبل مايقع بينى وبينك القتال عما جرى لك مع الملك الاسود والابطال الذين كانوا فى الاعتقال فقال عنتر وقد تعجب من حديث الحرث والمحال أما الاسود فانه عاد فى الاعتقال وأما أصحابه فمنهم جماعة قتلوا وجماعة أسروا ولولا ظلام الليل سترهم كنت أفنيتهم عن آخرهم وما رجعت الى ههنا حتى خلصت ما كان معهم من الاموال والعيال وسيرت الكل الى الاوطان والاطلال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحرث من عنتر هذا المقال أظهر الفرح والابتسام وفى قلبه سهام الحمام وقال لله درك يافارس البيت الحرام وياشجاعا لايبالى بحوادث الايام وحق البيت والاركان انى على فراقك ندمان فهل لك ان تصطنعنى فى هذه المرة حتى أكون لك عبدا على طول الزمان فقال عنتر ويلك مابقيت آمن اليك ولا أصدقك فى مقالك والايمان والله لو عرفت ان فيك موضعا للصنيعة لاصطنعتك فقال الحرث أنت تعلم يافارس عبس ان سيفى ذا الحيات أعز عندى من البيت الحرام وانى اذا فقدته أبقى كالحرمة فخذه منى واعف عنى فى هذه المرة وان عدت غدرت فتكون أمى زانية غير حرة ثم أغمد سيفه ذا الحيات وتقدم لاجل أن يسلمه اليه وعنتر قد حار

من مقاله واستحى من ذله وسؤاله ومابقى له يد تمد اليه بل رد سيفه عليه وقال ياحرث أما أنا فقد أمنت من جانبى ولك منى الذمام فى سائر الايام وأما قيس فانه يريد هلاكك وساخذ لك منه الامان فسر الآن قدامى فعندها سار الحرث بين يديه والطوائف قد حارت وهى تنظر اليه لانها لاتعلم ما الذى جرى عليه وحذيفة ينادى ياحرث هل فزعت من قتال هذا العبد ابن الاندال واتفقت معه بلاقتال فضحك الحرث من هذا المقال والتفت الى عنتر وقال واحرباه يا أبا الفوارس والله ان معيرة العرب لى وقولهم انك غدار أشد على من الضرب بالسيف البتار والله لا أحضر قدام قيس حتى أبيض وجهى عنده بأسر حذيفة أو قتله ثم فرك رأس جواده وجذب سيفه ذا الحيات كالبرق وضرب عنتر فى وسط رأسه ضربة قصد بها قتله وهلاكه وكان على رأس عنتر ذلك اليوم بيضة كسروية قد خاض بها من الاهوال والشدائد فى القتال والسيوف الصقال لانها كانت من خزائن الملك كسرى فقطعها سيف الحرث وقطع البطانة والرفادة والوطاء ونزل فى رأسه شق جبهته وأسال دمه على لحيته ولو لم يكن الحرث فزعان مختبل القلب حيران لكان قتل عنتر ولما ظهر لعنتر الحق من المحال ونظر فعاله خاف أن يرد عليه ضربة ثانية فيقتله فأظهر الجلد وصاح فى الحرث ومد اليه الرمح وأوهمه أن يطعنه فهرب من بين يديه وطلب بنى فزارة والنهار قد ولى والليل قد أقبل وقد مال عنتر أيضا مال طالبا بنى عبس وهو يتمايل على ظهر الجواد من شدة الغيظ والحنق وقوة الضربة والدماء تنحدر على وجهه وكانت بنو عبس قد نظروا ماجرى عليه فحمل هما عظيما ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك استقبلوه وتوجعوا اليه ونشفوا دمه وعصبوا جراحته وأقبل الملك قيس واخوته يسألونه عن حاله فحدثهم عن الحرث وفعاله ثم قال والله لا أعود عن أسر بنى فزارة فى هذه النوبة وهو يدمدم من شدة الغيظ لانه قد جرى عليه من الحرث وحذيفة أشد ماجرى من محاله ومقال حذيفة وبات تلك الليلة وهو لا يصدق بالصباح حتى يخرج الى الحرب والكفاح ويشفى مرض قلبه بضرب الصفاح وباتت بنو فزارة فى أعظم الافراح لان حذيفة تلقاه وشكره على فعاله ثم قال له وحق اللات والعزى والملك الجليل لقد أشفيت الغليل وفعلت فعالا تذكر بها جيلا بعد جيل ولو كنت قتلت هذا الشيطان كنت أرحت منه العربان وعدت ورأسه معك على السنان وكنت بقيت وحدك أوحد العصر والزمان فقال له الحرث يا أبا حار لا تذكر هذا الجبار ولا تعده مثل من تعده من الابطال ولا تكثر فى حقه المقال لانى بقتال عنتر عارف وما ضربته الاضربة خائف وأنا خدعته ووقفت بين يديه وما كان قلبى يأمن اليه لانى ظننت انه رق لى فى الكلام وأعطانى الذمام حتى صرت قدامه وأنا أقول الساعة يتمكن منى ويضربنى ولما تصور لى هذا التصور بطشت به قبل أن يبطش بى على أنى ماضربته الا وقد أعدمته حياته وقربت منه وفاته وهو على كل حال أسد لايقابل وان طال بيننا المطال قتلته أو قتلنى قدام الابطال وما أقول انه يموت بهذه الضربة ومازالوا كذلك حتى أصبح الصباح الضاحك فعندها تواثبت الابطال الى صواهلها وجردت صوارمها وشرعت ذوابلها وكان أول من برز الى الميدان فارس الوقت والزمان عنتر بن شداد الطويل النجاد وطلب البراز وسأل الانجاز وطلب خصمه الحرث بن ظالم وهو يصول ويجول وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قسما بالنقع فى يوم النزال * والدجا من قسطل فى الحرب عال
لادفعت الحرب عن معركة * بعضها البيض فى الميدان عال
مدلهم لاترى العين به * ضوء شمس لا ولا نور الهلال
لاهنى لى العيش يوما وصفا * لا ولا أمسيت ذا عزم مطال
ان رجعت اليوم فى هذا الوغا * عن نزال ومجال وقتال
دون أن أبقى سريعا فى الوغا * ثاويا بين أحاقيف الرمال
أو أخلى الحرث الغدار فى * مهمه الغبراء رزقا للسعال
اننى أنا عنتر يوم الوغا * اننى سم العدا يوم النزال
أركب الابحر فى هيجائها * وأخوض الحرب بالبيض الصقال
أغمد الضامى بهامات العدا * وفعالى فعل أولاد الحلال
فابرزوا نحوى تلاقوا بطلا * يسعر الهيجاء منه باشتعال
كم همام قد غدا من صارمى

عافر الخدين فى القفر الخوال * تنهش الاطيار منه لحمه * بين طير وذئاب فى الرمال
واذا ماجاءنى مستصرخا * قلت لبيك اذا رام سؤال * أبذل المهجة فى حاجته
وابلغه أمانا بفعال * وأنا عنتر اسمو بأبى * وباعمامى ولا أسمو بخال

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره تعجبت الطوائف من فصاحته فى نظمه ونثره وكان على رأسه العقائب والرفائد لأجل الضربة المتقدم ذكرها وفوق الكل بيضة كسروية مكوبجة مجلية مدخرة لكل بلية ثم نادى يابنى فزارة ابرزوا واياكم والخداع من المحال فى مقام الحرب والنزال حتى أريه عاقبة محاله ولا يظن الخبيث أن ضربته جلبت لى مضرة وما فعلت ذلك الا لاجل انى لا أبقى منكم أحدا ولا من بنى مرة وأنا وحق الواحد الاحد القديم قد عولت أن أترك الكل رميم (قال الراوى) فلما نظرت بنو فزارة الى صورة عنتر بن شداد وسمعت منه هذا المقال ساءت بهم الاحوال وتقطعت ظهورهم فى الحال * هذا وحذيفة قد طلب الحرث بن ظالم لاجل أن يشاوره فى أمر القتال فما وجده فقيل له انه هرب ومعه عشرة فوارس من فتاك العرب وكان الحرث يعلم أن الضربة ما بالى بها عنتر وانه عند الصباح يخرج الى الميدان و يطلب قتاله بين الفرسان و يحتاج أنه يخرج الى نزاله فصبر الى أن اختلط الظلام و رقدت الانام وتشاور مع عشرة من جهال الابطال وهم يقاربونه فى الخيانة والمحال ثم انه ساق قطعة جيدة من نوق بنى فزارة و جمالهم وقصد مكة وأما حذيفة فانه لما طلبه ولم يجده تحير فى أمره وقال لعن الله الحرث ولا سلمه فى طريقه لانه لا يرعى حق رفيقه وانا أعلم أنه ما هرب الافزعا من عنتر لانه جرحه بالمحال والخداع وهرب خوفا من حربه والفزاع * هذا وعنتر فى الميدان منتظر الحرث متى يبرز اليه و يشفى قلبه بهلاكه لما طال عليه المطال زاد به الحنق فحمل على بنى فزارة وانطبق فأهلك منهم جماعة وأرادت بنو عبس أن تتأهب لمعونته وأرادوا الحملة على بنى فزارة فمنعهم قيس وقال لهم دعونا اليوم نقاتلهم بالبراز الى أن ننكشف خبر الحرث لانه رجل خبيث ونخاف أن يكون مختفيا و يريد أن يغدر بنا ثم انه أنفذ الى عنتر وأعلمه بهذا الحال فقضى عنتر البراز والطعن والجلاد فى صدور السادات بالانجاز وعاد عند المساء وقد حيرأفهامهم و زلزل أقدامهم ونكس رؤسهم وأعلامهم وباتوا وهم خائفون من عنتر و يحسبون حساب الحرث وما فيهم من وقع له على خبر فقال عنتر بن شداد وحق من أنبع الماء من الصخر الجلمود وأهلك قوم عاد وثمود لابد أن أنهب أرواح بنى فزارة بأطراف القنا وأبلغ منهم المنا ليظهر للحارث ما أراد من خبثه والعناد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس كنا نتبعك وان حملت حملنا معك لاننا اليوم قصرنا وصبرنا احترازا على العشيرة من هذا الشيطان الذى خدعك فقال لهم عنتر وذمة العرب ما أظن الحرث الا هرب خوفا من العطب لانه لما علم أنى سالم ما قدر أن يقيم ثم انهم أقاموا الى الصباح وركبوا الى الحرب والكفاح وحملوا على بعضهم البعض والتحم القتال ووقع الطعن بالسمر العوال والسيوف الصقال وقد لهب عنتر بنى فزارة بالطعان وأسقاهم الحمام ورماهم الى المضارب والخيام * هذا ولم يزل الحرب بينهم ثلاثة أيام وهم فى طعان يشيب الاطفال قبل الفطام الى أن كان فى اليوم الرابع تفرقت الفرسان الذين كانوا قد اجتمعوا لنصرة حذيفة وما فيهم الا من طلب أطلاله وفزع من عنتر وقتاله وحربه ونزاله وبعد ذلك ذلت بنو فزارة وفزعت نساؤها والعيال وتعلقوا برؤس الجبال وأخذت بنو عبس أموالهم ونياقهم وجمالهم ودنت بنو عبس الى مواضعهم وفيها نزلت واحتاطوا ببنى فزارة من جميع المواضع ومسكوا عليهم رؤس المقاطع وحلف عنتر أنه لا يبقى منهم كبيرا ولا صغيرا ولا ناطقا ولا سامع ودام الامر كذلك عشرة أيام وضاقت الارض على بنى فزارة نهاية الضيق وتخلى عنهم الصديق والرفيق وصاروا يوقدون النار فى الليل على رؤس الجبال و يحرسون أنفسهم بين التلال وفى النهار يترجل حذيفة واخوته وأبطاله وعشيرته و يمسكون الطرق و يدافعون عن أنفسهم بالمشرفيات والبوارق وقد أيقنوا بالبلاء الطارق ومن شدة ما جرى على قلب حذيفة من الهم والضرر جمع اليه قومه فى اليوم الحادى عشر وقال لهم اعلموا يا بنى عمى أن عنتر ما بقى يرحل عنا الا بالقتل والفناء فقاتلوا الاعداء وابذلوا الارواح و بيعوا الانفس بيع

السماح ولا تختاروا الحياة على الحمام وتخلوا أنفسكم حديثا بين الانام ومازال يحثهم بالمحال حتى هانت عليهم النفوس وتخففوا من الملبوس و ركبوا ظهور العربيات الجياد واستلوا قطع الرماح المداد وانحدروا من رؤس الشعاب والوهاد والحريم خلفهم يعلنون بالبكاء والانتحاب ومعهم العبيد والانجاب الى المكان الذى فيه الحرب والجلاد الا أن الملك قيس نظر الى بنى فزارة وقد فعلت تلك الفعلة ورأى حذيفة واخوته منحدرين من الجبال والكل مكشفون الرؤس وهم ينادون يا للثارات فلما رآهم قيس عرف مقصودهم وعلم أنه قد زادت بهم الحرارة فقال الملك قيس لعنتر ولبنى عبس يا بنى عبس بحق الرب العظيم اقبلوا منى واخرجوا من بين أيديهم حتى يطمعوا فيكم و يصير وا معنا فى الصحراء ثم نعود عليهم فنبلغ منهم المنا وننهب أرواحهم بالصوارم والقنا ثم انه لوى عنان جواده وعاد وتبعه عنتر بن شداد ونظرت بقية الفرسان الى الاعلام وقد مالت فلوت رؤس خيلها ورجعت ﴿قال الراوى﴾ فعندها فرحت بذلك بنو فزارة وطمعت وعلت أصواتها وارتفعت وركضت خيلها فى السبر فى أثر بنى عبس وطلع الغبار حتى حجب شعاع الشمس وتقاتلوا على وجه الارض وماجوا فى طولها والعرض ونادى حذيفة يا بنى عمى ابذلوا الصوارم فى العدا ولا تبقوا منهم أحدا وهنالك عادت بنو عبس وملكها قيس وحاميها عنتر بن شداد وخلفه الفرسان الاجواد ثم تنادوا بالآباء والاجداد ووقع الاتصال بعد الانفصال وتصادمت الرجال وجاء الحق وزهق المحال وقربت الرجال وقصرت الآجال الطوال وضاق هنالك المجال وقل القيل والقال وتكردست الصافنات الاصائل وطلب الفارس العود وشابت اليمين والشمال وسدت المذاهب فلم تعرف السهول من الجبال وارتفع الغبار كالليال وشمرت الحرب عن ساق لهاو سربال وصال الشجاع فى سرجه ومال وأيقن الجبان بالموت والنكال وجرى الدم وسال وشابت من هول ذلك اليوم ذوائب الاطفال ومازال الحرب بينهم يعمل والقتال حتى أذن الله سبحانه وتعالى للنهار بالزوال وتمدد من الابطال على الرمال ما لا يعلمه الا الله الملك المتعال فلله در بنى عبس ما كان أحلى عندهم من الموت ودنو الآجال فبينما هم كذلك واذا بغبرة مثل الغمام قد ملأت الربا والآكام فوقف الفريقان وكفوا أيديهما عن القتال وهم يظنون أنها غبرة الحرث بن ظالم عاد ومعه جماعة من أهل العناد والمظالم * هذا وقد دام الغبار ساعة من النهار وانكشف للابصار وظهر من تحته قبيلة حجازية كأنها من شدة السير نجوم مضيه وفرسان مكية وعليهم الابراد اليمانية وعلى رؤسهم عمائم خز كوفيه وهم مقبلون اقبال الاسود الجريه متقلدين بصوارم هنديه متقلين برماح خطيه ولهم وجوه كأنها كواكب دريه ومعهم عبيد بأيديهم حراب يمانيه كأنها الاسود الجريه الى أن قربوا من الصفين وصاحوا يا للعرب اغمدوا سيوف العطب عن القمم فقد ازدحم سادات الحرم وهذا سيد الحطيم وزمزم عبد المطلب بن هاشم فامهلوا بعضكم واسمعوا ما يقول ولا تعصوا له أمرا فانه بالامور أدرى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الفريقان هذا المقال بعد بعضهم عن بعض وعفوا عن القتال فوقفت الابطال من هيبته وعلوا مرتبته فتقدم عبد المطلب وشملته الهيبة والوقار ولمعت بين عينيه الانوار وكان عن يمينه ولده عبد الله والد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن شماله أبو طالب والد سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه ثم انه طلع على أعلى الربا ونادى بصوت يسمعه الاقصى والادنى وكان أول كلامه ذكر رب الارض والسما وقال الحمد لرب زمزم ومنى وخالق جبل قبيس وحرا المستوجب الحمد والثنا الذى قهر العباد بالموت والفنا وتفرد بالدوام والبقاء وتنزه عن البنات والابناء وتعالى عن الصفات والحركات والسكون ثم جد فى الكلام وأسفر عن وجهه اللثام وترك فاضل عمامته على كتفيه وأوما الى القبائل بيديه وصاح بصوته وقال يا بنى عدنان ما لكم أشمتم بار واحكم الاعداء وعدلتم عن طريق الاستواء وأصبحتم فى وسط هذا البر والفلا فما هذه المصائب التى قد اختلست عقولكم وأخذت ألبابكم وأزالت عن طريق الحق والصواب أقدامكم يا قوم احفظوا الارواح فلعل أن يعقب فسادكم صلاح ولا تختاروا الفناء على البقاء ولا تبدلوا أوقات النعيم بالشقاء ولا سيما هذه أول ظهور سيد السادات وصفوة الانام و بدر التمام ومصباح

الظلام فكانكم وقد استقام وطلعت شمس شريعته بين زمزم والمقام ويأمركم بالصلاة والصيام ويدحض الاوثان والاصنام ويدلنا ان عشنا على طريق الرشاد والايمان وعبادة مكون الاكوان وخالق الانس والجان العظيم السلطان الذى ماله شريك ولا اركان ولا حد ولا مكان ولا دعائم ولا حيطان فتبارك الله الرحيم الرحمن فاستيقظوا الان واحكم يا بنى عدنان فلعلكم أن تدركوا ذلك الزمان وتقاتلوا بين يديه لاهل الشر والعدوان واجتنبوا الغدر يا بنى بدر ولا تطلبوا الحصار من أرض ما لكم بها بدر وما أنتم يا بنى عبس فان فيكم فارسا لا يقوم به أحد فاحلموا على جيرانكم اذا هم جهلوا وان جاروا عليكم فاعدلوا وبغير فارسكم وابن عمكم لا تستبدلوا فان منازل العلا لا تنال الا بالاحتمال ودرج الفخر لا يرتقى الا بالصبر على الشقا ومازال عبد المطلب يصلح فساد القلوب بكلامه حتى ترجلت سادات القبيلتين بين يديه وكان أول من بادر اليه من الامراء حذيفة بن بدر وهو لا يصدق باصلاح الحال لانه قد أشرف على الهلاك والوبال فأرخى عمامته على مناكبه ثم بكى وبكت اخوته وما فيهم الا من شكى حاله ومن قتل من أبطاله وتقدم من بعده الملك قيس بن زهير وحيا الشيخ عبد المطلب وقال بعدما دعا له وأثنى عليه يا سيد الحرم وصاحب الحطيم وزمزم العظيم الشان من نسل معد بن عدنان لا تسمع لهذا الضلالى مقال فان مصائبه ودواهيه لا تستقال ثم شرح له قتل الاطفال وكيف تركهم هدفا للنبال وسبى النساء والعيال فقال عبد المطلب يا قيس أما أنا فقد سمعت الحديث عنكم فى البيت الحرام من الاول الى الآخر على الكمال والتمام ولاجل ذلك أتيت بهؤلاء الرجال لانى تأسفت على فرسانكم كيف تلفت أرواحهم وهم أركان معد وعدنان وأنتم سادات الزمان والآن مضى ما مضى وفات هذا الامر وانقضى لان الآجال ما فيها احتيال والاعمار لها حدود وآجال والصواب عندى انكم تحقنون دم من بقى منكم فى قيد الحياة وتتأسفوا على من مضى وقد أمسى طريحا فى البيداء والفلاه وخلف أولاده ونساه ولا تركبوا طريق اللجاج يشمت بكم القريب والبعيد وتبدلوا أولادكم عبيد ثم انه دعاهم الى الصلح فأجابوه وأقروا بأجمعهم بذنبهم واعترفوا بذلك وتحالفوا وتعاهدوا على يد الشيخ عبد المطلب بأنهم لا يعودون الى حرب ولا قتال وأطلقوا ما كان عندهم من الاسارى وفرح بذلك جميع النساء والأمارى ثم أمر حذيفة عبيده أن ينظفوا الارض من جيف القتلى ويخفوهم تحت أطباق الثرى وضربت الخيام ونصبت الصناجق المطابيخ والاعلام وفى دون ساعة قدم الطعام ونزل عبد المطلب وأولاده ومشايخ البيت الحرام واجتمعت سادات القبيلتين وأبطال الحلتين وأكلوا حتى امتلؤا وبعد الطعام قدموا كاسات المدام ودارت على الجميع الاقداح وتبدلت أحزانهم أفراح ثم قضى بنو فزارة وقتهم مع عبد المطلب بن هاشم وأولاده وجماعته الاكارم فى أكل طعام وشراب مدام مدة ثلاثة أيام يتمنى الانسان أن يراها فى المنام ومال بعد ذلك الى منادمة عنتر لانه رآه فصيح اللسان عارفا بلغات العربان وأخذ معه فى مناشدة أشعار فصحاء الزمان ﴿قال الراوى﴾ فلما رآه الشيخ عبد المطلب طيب الاخلاق على المدام جيد الحديث لذيذ الكلام وكان قد سمع صفات شجاعته فى البيت الحرام واجتمع به ورآه فوق ما سمع فتقرب اليه غاية التقريب واتخذه له نديما وحبيب وكان اذا قام من المجلس وغاب عن الابصار هنالك يتكلم فيه عدوه بما لا يليق فينهاه عن ذلك ويقول له لا تتحدث فيمن غاب ولا تكن لاحد مغتاب لان جمال بنى آدم الشجاعة والكرم فاذا كان العبد نجيبا كريم كان أفضل من البخيل اللئيم ولما انقضت ولائم بنى فزارة وأراد عبد المطلب الانصراف حلف عليه الملك قيس بن زهير أن يزوره فى أطلاله ليبالغ فى اكرامه واجلاله حتى تنال بنو عبس من كرامات اقدامه فأجاب الى ذلك وأخذ معه حذيفة بن بدر وأمر بنى فزارة بالرحيل الى أطلالهم وكان عبد المطلب طيب الاخلاق طاهر الاعراق فلما رآه الملك قيس قد أجاب فرح فرحا شديدا تام وأمر اخوته بالمسير قدام وأن ينحروا الاغنام وكذلك الفصلان ويصنعوا وليمة عظيمة لأهل البيت الحرام وساروا القوم الى أن وصلوا الى الاوطان وقد انصلحت الالوان وأحضرت الكاسات والاباريق وروقوا الخمر الصافى العتيق وانغمس القوم فى بحار الطرب والصفا وماج البر بالصياح وراق لهم الزمان وصفا وزال من بينهم الجفا وسأل حذيفة بن بدر

الملك قيس فى خلاص الملك الاسود فاجابه الى ما سأل واستشار عبد المطلب فى أمره فقال له الصواب أن تحل عقاله وتحضره حتى تصالح بينكم وبينه واتركوه يكون هو الرسول الى أخيه الملك النعمان فى اصلاح هذا الشان لان الملك النعمان على كل حال ملك من ملوك الزمان وله الحكم على سائر العربان وان الرب الكريم ما جعل أحدا ملكا أو سلطان الا وجعل فيه سرا لا يقف عليه انسان ولو لم تكن الكفاية من رب السماء والارض ما ارتفعت منازل بعضنا على بعض على أننا كلنا من أولاد آدم وحواء ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع حذيفة وقيس الى قوله انفذ قيس جماعة من أصحابه وخواصه الى الملك الاسود فحلوه من عقاله وخلعوا عليه الخلع التى تصلح لامثاله وأركبوه جوادا سابقا وأتوا به الى المجلس فلما رأوه مقبلا قاموا له اجلالا لاقدره وتلقوه بالرحب والسعة والكرامة واعتذروا اليه من كل ما جرى عليه وأخذه عبد المطلب الى جانبه وهناه بالسلامة وأكرمه غاية الكرامة وأحضر له الطعام والمدام فاكل حتى اكتفى وشرب حتى امتلا وتجاوبا فى الكلام والملام وكان آخر ما قال الشيخ عبد المطلب اعلم أيها الملك أن هذا الخلق ما خلقه رب السماء سدا ولا بد للعبد أن يجازى على الظلم والاعتدا وأخوك اليوم ملك العرب وملك العراق وهو نائب كسرى أنوشروان والامور به تقام لانه لسان الملك وسيفه ويجب عليه أن يصلح فساد الخلق والقبائل ولا يفعل فعال الجاهل فيكون الرب له عن الظلم سائل وقد رأيت كيف سيرك على كتائب وجحافل فتفرقت الى كل جانب وكل ذلك بامر الله القريب المجيب وقد رأيت من الصواب أنك تعود الى حضرة أخيك الملك وتنهاه عن البغى والعدوان وتشير عليه أنه لا يقطع ما بينه وبين بنى عبس من النسب المصان ولا يفعل شيأ يلام عليه عند ملوك العرب لان حرمة القرابة عليه أوجب ﴿قال الراوى﴾ فعندها قال قيس للملك الاسود أيها السيد كل هذه الحوادث كانت لأجل الحرث والآن انفصل الامر والحرث هرب من هذه الديار وأنا أجل أخى أن يكف شره عن هؤلاء القوم وأملأ مسامعه عتابا ولوم ولا أدع الامر يأتى بالاصلاح ثم شربوا حتى سكر كل واحد منهم وانتشى الى أن كملت أيام الضيافة والصفا فطلب عبد المطلب العودة الى البيت الحرام وزمزم والمقام فاجابوه الى ذلك وأراد الملك قيس أن يخلع عليه وعلى من معه من أبطاله ويقود الجنائب بين يديه برجاله ويتقرب اليه بالتحف والمال فلم يقبل عبد المطلب ذلك السؤال ولم يأخذ منهم هدية ولم يقبل من القوم جملا ولا عطيه ثم قال اعلم يا قيس انى ما أتيت اليكم فى طلب الاموال وانما أتيت فى اصلاح الحال وحقن دماء الابطال وأمن قلوب النساء والرجال والعيال وكل من كان يعلم أن خيل المنايا خلفه تسير يقنع من دنياه باليسير ثم انه هم بالمسير وتحركت معه للوداع سادات بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وسار معهم الملك الاسود قليلا ثم سار طالبا أرض العراق وأما عبد المطلب فانه سار ذلك اليوم ومعه سادات القبيلتين فلما كان صبيحة اليوم الثانى جمع بين قيس وبين حذيفة بن بدر وأخذ عليهم العهود والمواثيق بالصلح وأشهد عليهم مشايخ القبيلتين وسار يقطع البيداء وعاد كل واحد منهم يطلب دياره حتى وصل اليها وقر قراره وعنتر بن شداد رجع وفى قلبه لهيب النار على الحرث ابن ظالم لاجل ذلك الجرح الذى جرحه له بين العالم وبقى يترقب أخباره ويسأل كل من يراه عن آثاره ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عنتر بن شداد وأما ما كان من الحرث فانه لما هرب تلك الليلة المذكورة فلم يجد له ملجأ الا مكة والبيت الحرام لان فيهما يأمن كل خائف ومضام وانه سار حتى دخلها ليلا وأمن على نفسه واطمأن على روحه ثم انه انتسب الى مرة بن لؤى بن فهر بن مالك وعلم انه أخطأ أولا بنزوله على بنى عبس فانشد يقول صلوا على طه الرسول

أغادر ربعنا من بعد سلمى * ومسكنها من الدنيا ثيابا * وقطع هجرها قلبى وانى
فجعت بخالد حقا كلابا * وان الاخوصين تواياها * وقد غضبا على وما أصابا
فما قومى بثعلبة بن سعد * وليس فزارة للسعد آبا * وقومى ان سألت بنى لؤى
بمكة علموا القرن الضرابا * ولما ان ذكرت بنى لؤى * وسيرت المضارب والقبابا

وكان التاج مقصورا عليهم * اذا وردوا القاهم عقابا * فلا والله لم أكسب أثاما
ولا والله لم أهتك حجابا * أقنا الكتائب كل يوم * صدور السمهرية والحرابا

﴿قال الراوى﴾ وأقام الحرث فى مكة وأما عنتر بن شداد فانه كما ذكرنا لم يزل يسأل عنه وعن أخباره ففى يوم من بعض الايام مر به رجل من مكة وكان من زهاد بنى عبس وما كان ينقطع عن البيت الحرام وهو منعكف على عبادة الاصنام فسأله عنتر عن الحرث بن ظالم فقال يا حامية عبس رأيته فى الحرم مقيم وهو يأكل ويشرب وينهب من أموال العرب وفى قلبه منك نار تتلهب ولكن يا أبا الفوارس رأيت منه ما لم أره من الامم ولا ممن مضى وتقدم فقال له عنتر وما الذى رأيت منه أخبرنى به فقال رأيت والله يا ابن العم أنه كان فى بعض الاوقات يمشى حول البيت الحرام وعلى كتفه سيفه ذو الحيات فنظر اليه رجل يقال له عمرو بن الاطنابة الخزرجى وهو معجب بنفسه فسأل عنه فقيل له هذا الحرث بن ظالم فقال اليثربى هذا الحرث بن ظالم هذا الذى قتل خالد ابن جعفر وهو نائم فقيل له نعم فقال له عوض ما قتلته وهو نائم كنت تقتله وهو يقظان فلما سمع مقاله التفت اليه مغضبا ثم قال له يا وجه العرب من يقال لك من الفرسان فقال الرجل أنا عمرو بن الاطنابة الخزرجى ويثرب بلدى ما الذى تريد بسؤالك عنى يا مسكين فقال له انك عيرتنى بقتل خالد وهو نائم فلعلى التقى بك وأنت يقظان فى غير هذا المكان فقال له ثكلتك أمك وعدمك قومك ان لقيتنى يا حرث لقيت المنايا حقا وبقيت للوحش والطير رزقا ثم لوى عنان جواده مغضبا واستقبل الحرث وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

علانى بذلتى يا أخيا * واسقيا نى من المدامة ريا * واسمعا القيان يعزفن بالدف
ف لقيناتنا وعيشا رخيا * حين يجلبن عندنا كل بدر * وعروسا جماله فارسيا
بسموط المرجان حقا وبالدر * فيا حسن حليهن حليا * يتمايلن فى الحرير ويخشيـ
ـن داخل الشعر صاح مسكا ذكيا * انا من معشر ولا فخر ينظمـ * ـن بتيجانهن فخرا جليا
نسب مشرق على آل قحطا * ن ضياء مشمشعا خزرجيا * فارس طائع له الرمح والسيـ
ـف اذا كانت الرماح عصيا * ومعينى وصاحبى فى الرزايا * صارم قد ألفته مشرفيا
بلغ الحرث بن ظالم بالوعـ * ـد وبالقرن بالجنان جريا * انما يقتل النيام ولا يقـ
ـتل يقظان ذا سلاح كميا * أى شىء فعلت حتى ترى العجـ * ـب طماعا قد جئت شيأ فريا

﴿قال الراوى﴾ ثم انهما افترقا والحرث بن ظالم يغلى صدره حنقا ولم يقدر أن يمد يده اليه بسوء أبدا لاجل الموسم والحرم الذى يأمن فيه الخائف من النقم ثم ترك عليه الارصاد حتى خرج من مكة والى يثرب عاد فتبعه الحرث الى أن وصل عمرو الى منزله وصبر الحرث الى ان انسدل الظلام فاتى وقرع عليه الباب وصرخ به فأشرف عمرو عليه وقال من بالباب فقال رجل مستصرخ بك ومستغيث فقال أجرتك وذمة العرب فقال ان كنت أجرتنى فلا تخرج الا وأنت غائص فى شكتك محترز بلامتك وعجل فانك ان توانيت فات الامر ونفذ القضا بالرغم لا بالرضا فاخذ عمرو الجواد وهو يقول أجرتك ولو أن خصمك الحرث بن ظالم فتعلقت به زوجته وقالت له انى أشم رائحة الدم من هذا الصوت فجذب نفسه منها ولم يلتفت الى مقالها وخرج اليه وسار حتى خرجا من نخيل يثرب ثم انعطف عليه وقال له يا عمرو ها أنا الحرث بن ظالم وقد قلت لى انى ما أقتل الا النائم وها أنت يقظان غائص فى سلاحك راكب على حصانك خذ الآن لنفسك الحذر فلا بد من قتالك وها أنا قد أنصفتك وأمهلتك فتعجب عمرو من قوة جنانه وتحير من قصته وتعين عليه قتاله (قال الراوى) فعند ذلك هز رمحه الاسمر وهدر وزمجر وقال والله يا ابن ظالم لقد أنصفت وما تعديت ثم حمل عليه فالتقاه الحرث واصطدما وما جاءت أذيال الدجا وتقاربا حتى غاب منهما الرجا واندمجا حتى بان البرض يقاحرجا ودام بينهما القتال حتى مضى أكثر الليل مندرجا ثم وقف كل واحد منهما عن صاحبه وعرف الحرث بن ظالم ان عمرا بطل صنديد ما فيه مطمع فعاد الى مكره وخداعه وقال له يا عمرو ما قولك فى الاقالة وترك القتال لانى ما طلبت منك ذلك الا لاجل الكلام الذى سمعته منك فى البيت الحرام وكان ظنى أنى أقدر عليك وعلى أسرك ثم

أطلقك بعد أن تقر لى بالفروسية والآن قد انقطعت منك آمالى وتعبت أوصالى وما بيننا دم نطالب به بعضنا البعض ولا أريد أن أبقى مثلا فى الارض فاغمد سيفك حتى أغمد أنا الآخر سيفى واقضى شهوتك واقضى شهوتى واسمع كلامى لانى كنت سمعت منك شعرا فى البيت الحرام وأردت أن أجيبك على عروضه فاسمع نثرى والنظام ثم انه أشار اليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول



علانى وعللا صاحبيا * قبل أن تعظم الامور عليا * قبل أن تطمع العواذل حقا
اذ تراني الى الملام صفيا * ما أبالى اذا اصطبحت ثلاثا * أرشيدا يدعوننى أم غويا
من دم الكرم لم نزل نجتليها * فى الاباريق بكرة وعشيا * غير انى ما خشيت لله عهدا
فى حياتى ولا أخون صفيا * بلغتنى مقالة من حسود * مكنت فى الفؤاد داء دويا
انما أقتل النيام ولا أقتـ * ـل يقظان ذا سلاح كميا * فقطعت القفار فوق جواد
أدهم يشبه الظلام الدجيا * طالب للعلا بأسرع علام * يثربى لا ينظر الرشد غيا
زرته والظلام قد مد ساقيـ * ـه بخف يسعى بكاس الثريا * ثم ناديته فاسرع كالليـ
ـث ولبى لما رآنى وحيا * وطلبت البراز منه فابصر * ت شجاعا عند البراز قويا
فارس ترجف الفوارس اذ هز حساما وذابلا سمهريا

﴿قال الاصمعى﴾ فلما سمع عمرو آخر هذه الابيات تعجب من فصاحته واستحى منه كيف مدحه وذكره فى شعره وفى قصيدته وقال مثل هذا الفارس يجب أن يكون صديقا فنزل عن جواده وسعى اليه ليعانقه ويمسك عنانه ويحلف عليه أن يسير معه الى يثرب ويأكل معه خبزا وملحا فلما رآه الحرث قاصدا اليه مد باعه وفتح ذراعيه وغطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فرماه فى الارض قتيلا ثم ثنى عليه بسيفه ذى الحيات فقده نصفين ثم نزل اليه وأخذ سلبه وتركه ملقحا فى الفلاة ورجع الى مكة يا أبا الفوارس ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام زادت نيرانه اضطرام ثم قال آه عليك يا ابن الملعونة والله لاجهدن فى قتلك وأريح العرب منك ومن شرك ثم انه ترك عليه العيون والارصاد وأما الحرث فانه باع سلب عمرو وشرب به الخمر فاختفى الامر على أهل عمرو ولانه كان له أمر فى مكة قرابة وأصحاب أجواد وضعوا على الحرث العيون والارصاد فعلم الحرث بذلك فصار لا يفارق مكة طرفة عين حتى علم أن عبد المطلب سار الى أرض بنى عبس وأصلح بين بنى فزارة وبين بنى عبس وأطلق الملك الاسود وتوجه الى أرض العراق فقال ما بقى الا رواحى اليه وأدخل عليه ثم انه غير زيه وخرج من مكة فى الظلام وسار على غير طريق ليالى وأيام حتى وصل الى الحيرة ونظر فرأى الملك النعمان وقد جمع قبائل كثيرة وعول على غزو بنى عبس وعدنان وان يقطع آثارهم ويخرب ديارهم لاجل ما فعلوا فى حقه وكيف أجاروا قاتل ولده ولم يطيعوا أمره ﴿قال الراوى﴾ ثم أن الملك الاسود لما تخلص من بنى عبس لم يزل سائرا فى البرارى والقفار الى أن وصل الى أرض العراق ودخل على أخيه الملك النعمان فلما رآه فرح بخلاصه وسأله عما جرى من بنى عبس وعدنان فاخبر اخاه بما جرى وكيف كان وكيف أعاده عنتر الى الشد والاعتقال ولولا السيد عبد المطلب كان السبب فى خلاصى والا كنت الى الآن فى الشد والاعتقال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام زاد به الغيظ والغرام وحلف وشدد فى الايمان لا بد من مسيره الى بنى عبس وعدنان ويمحق شأفتهم ويبيد حاميتهم ثم جمع القبائل والفرسان وعزم على المسير الى بنى عبس وعدنان فعند ذلك قال له أخوه الملك الاسود اعلم يا أخى أننا اذا لم يكن عندنا فارس يلقاه والا فما بلغنا منه آمال ولو كان معنا عساكر بعدد رمل البيداء والجبال أبادهم عنتر بن شداد وشتتهم فى الآفاق والرمال فعند ذلك قال الملك النعمان ومن أين نجد فارسا يلقاه فقال له أخوه الملك الاسود ماله يا أخى الا الحرث بن ظالم لانه يساويه فى الفروسية والشجاعة وفى المكر والخداعة أوفى منه بطبقات ثم انه أخبره كيف كسر بنى فزارة الابطال وجرح عنتر بن شداد فى المجال فقال الملك النعمان وأين نجد الحرث بن ظالم فقال له أخوه الملك الاسود أنا أرسل وراءه وأحضره بين يديك واذا حضر تعطيه الامان

فانه يقتل عنتر بن شداد وما نجد أحدا سواه لانه يساويه فى الفروسية والشجاعة وأنا الضامن لك أيها الملك السعيد أنه يقتله و يبيد من بعده عشيرته (قال الاصمعى) راوى هذا الكلام فلما سمع الملك النعمان من أخيه هذا الكلام قال له أرسل خلفه واذا حضر أمناه على نفسه ﴿ قال الراوى ﴾ ثم ان الملك النعمان أقام يجمع القبائل والفرسان فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان * وأما ما كان من الحرث بن ظالم فانه ما زال سائرا الى أن دخل على الملك الاسود فى جنح الظلام والناس نيام فلما رآه الاسود فرح به غاية الفرح واستبشر بقدومه وانشرح وأخبره أنه كان يريد أن يرسل و راءه نجابا وقال انه قد جرى حديث بينى و بين أخى الملك النعمان وقد ضمنت عندك لاخى الملك النعمان هلاك عنتر بن شداد وقلع بنى عبس وعدنان فقال الحرث يا مولاى اضمن عنى لاخيك جميع ما يصعب على الفرسان وقتل من أراد من الاعيان لانه اذا كان ظهرى مثل النعمان ألتقى قبائل العرب جميعا والعربان فقال الاسود أنا غدا أدخل عليه وآخذ لك منه الامان وأدعه يغمرك بالاحسان و يقدمك على سائر العربان وبعد هلاك عنتر تسود على ملوك الزمان ثم قدم له الطعام وقضى معه بعض الليل بشرب المدام والحرث يحدثه كيف خدع عنتر وجرحه وما جرى له مع عمرو بن الاطنابة الخزرجى وكيف خدعه وقتله والاسود يتعجب من حديثه و يقول فى نفسه مثل هذا الرجل يدخر للشدائد ثم انهم باتوا الى الصباح فاراد الاسود أن يركب واذا برسول أخيه النعمان قادم عليه واستأذن فى الدخول عليه فاذن له فدخل وقال له الملك النعمان قد باكر الرواح ودنا الى الاصطباح وقد جمع ملوك العرب ونادى بالمسير الى بنى عبس وقد قبل رأيك وأنفذ خلفك لتحضر دعوته وتكون عنده فى مشورته فلما سمع الاسود هذا الكلام قال للرسول ارجع الى أخى وقل له انه قد أتاه ضيف وهو فزعان فان أرادنى أحضر دعوته يعطينى على ضيفى الامان فرجع الرسول الى النعمان وعاد اليه بما قاله أخوه الاسود فاعطاه خاتم الامان فرجع الرسول الى الاسود وقال له يا مولاى سر أنت وضيفك ولو انه الحرث بن ظالم هذا خاتم الامان ففرح الملك الاسود لذلك وأخبر الحرث بما جرى ثم أخذه وسار الى حضرة النعمان ودخل عليه والمجلس محتفل بالامراء والفرسان فلما وقعت العين على العين قبل الحرث الارض ثم قبل يد النعمان ودعا له بالعز ورفعة الشان ثم شكا اليه ما قاسى من خوفه فامنه الملك النعمان لاجل حضوره وفى قلبه منه الغش والغليل لاجل قتل ولده شرحبيل ثم انه جلس الى جانب الاسود وأكل معه الطعام ودارت عليهم كاسات المدام وعزفت القينات وجرى حديث الفرسان وسأل النعمان للاسود عن حرب فزارة و بنى عبس وعدنان فاورد عليهم كل ما جرى بينهم من العجائب ومن قتل منهم من الاقرباء والاجانب فقال الحرث على ما جرى له من العجائب وما أهلك من الفرسان بقتاله وما عمل مع عنتر من خدعه ومكره فقال النعمان أما احتيال الرجال عند الغلبة فهو من الفروسية وان لم تكن فروسية وفيها محال وخداع فما يسمى صاحبها شجاع فلما سمع الحاضرون هذا المقال صدقوا الملك النعمان فيما قال وما فيهم الا من ذكر ما فيه من الشجاعة وما عنده من الاحتيال ولم يزالوا على ذلك الحال وفى تلك الامور والمعالم حتى وصلت النوبة الى الحرث بن ظالم فاراد النعمان أن يسمع حديثه من فمه فى ذلك المقام فقال يا حارث قال لبيك يا مولاى قال حدثنا هل رجعت قط عن فارس وأنت مغلوب وغدرته وقهرته وأنزلت به الكروب فقال بلى والله يا ملك الزمان هذا الامر جرى لى عند رجوعى من بنى فزارة فى هذا الاوان فقال النعمان هل يمكن أن تحدثنا بشئ من شجاعتك وغدرك فى هذه الساعة فقال الحرث بلى يا ملك الزمان ولكن اريد أن تخلى لى سمعك أنت والحاضرون فانى أحدثكم بحديث ما طرق الاسماع أطرب منه لا فى الاولين ولا فى الآخرين وذلك انى أخبركم عن الفرسان والشجعان المشهورين والحرامية الغدارين فقال النعمان يا حارث فكم عددهم عندك فقال يا ملك ان الفرسان المنصفين من أنفسهم سبعة والغدارين سبعة فقال النعمان فمن هم يا حارث فقال يا ملك أما الشجعان الموصوفون بترك الغدر والاسراف فهم دريد بن الصمة الجشمى وسبيع بن الحرث الحميرى وعمرو ابن معديكرب الزبيدى وملاعب الاسنة وغشم بن مالك العمرى وحجاز بن عامر الكندى وعنتر بن شداد

العبسى وسكت فقال النعمان ومن هو السابع فسكت فقال النعمان أنت يا حارث هو قال نعم فقال النعمان ومن هم الغدارون فقال الحرث منهم القدموس بن ماجد ومرة بن عبد العزى وجرير بن مبادز و و زر بن جابر رفارس بن أوس وعمرو بن كلاب القضاعى ثم سكت فقال النعمان وأنت السابع فقال نعم فقال له شجاعتك عرفناها ولكن ما عرفنا غدرك فاخبرنا ما عملت من المغادر والمكائد فى دنياك فقال الحرث يا مولاى أنا اقص قصة عجيبة يطرب منها من حضر وتؤرخ من بعدى فى السير وتروى وتذكر ما دامت الشمس والقمر من ذلك أنى كنت لما حصل لى مع أخيك ما حصل من النكباد ورحت الى بنى فزارة وقد لقيت هنالك عنتر بن شداد وقابلته فرأيته أسدا جسورا فخدعته حتى انى أقتله وضربته بالسيف فجاءت الضربة خفيفة لطول عمره لكنى جرحته جرحا بالغ وخفت ان أقيم فيخرج يطلبنى فما أقدر أتخلف عنه وان نزلت اليه فلا أعلم ما يجرى على منه فاخذت معى عشرة من قومى بنى مرة ما فيهم الا من وافقنى كذا وكذا مرة وقصدنا الغارة على أموال بنى فزارة فسقنا منها قطعة جيدة وسرنا حتى وصلنا الى مكة بعناها وأكلنا وشربنا بثمنها حتى قل ما فى أيدينا فخرجنا للمعاش والمكسب من بعض أحياء العرب فسرنا عن مكة مدة أيام فى تلك البرارى والآكام فلما صرنا فى تلك القفار والدكادك وقعنا فى برية قليلة المسالك فلحقنا فيها الدهش و بلينا بجوع وعطش فجددنا المسير لعلنا نخرج من تلك الارض قبل أن يحل بنا الويل وتكل من تحتنا الخيل فبينما نحن كذلك اذ بان لنا بيت مضروب وعلى بابه رمح مركوز وفرس ملجوم وسيف معلق اذا ضرب به الصخر انفلق وجالس على بابه غلام صغير وهو مثل القمر المنير والشجاعة تشهد له لا عليه وقدامه قدر يوقد عليه فلما رأيناه استرحنا وقلنا قد زال عنا الوبا والوبال بذلك الحال فسرنا اليه على الاقدام حتى وقفنا على ذلك الغلام وكل منا ملهوف وقلنا له يا فتى هل تقبل الضيوف فوالله يا ملك ما سمع كلامنا حتى رفع رأسه وتبسم وقال على الرحب والسعة والكرامة والدعة انزلوا يا موالى فهذا الطعام راج وما بقى فى أكله احتجاج لانى ما قعدت أطبخه الا لمن يأتى يأكله فنزلنا يا ملك لما سمعنا كلامه وتعجبنا من حسن نظامه وصار يترحب بنا و يكثر ابتسامه ثم وثب قائما على قدميه ومضى الى الخباء ودخل اليه وخرج وفى يده قصعة ملآنة من لبن اللقاح مخلوط بالعسل مبرد فى الرياح وقال دونكم يا وجوه العرب وهذا الشئ اليسير ترمقوا به من كرب الهجير الى أن يستوى الزاد الكثير فأخذنا تلك القصعة وشربنا منها كل واحد جرعة وأطلقنا خيلنا فى ذلك البر ترعى وجلست أنا وأصحابى نتحدث فى قصته وحسن فرسه وعدته وكرم نفسه لرضيه وكيف انفرد وحده فى تلك البرية فقال لى بعض رفاقى والله يا حرث ما فى خيلنا مثل هذا الجواد الذى لهذا الغلام وما اظنه اذا جرى الا يسبق النعام فقلت له اتركنا من هذا الكلام وانظر للذى فى داخل الخباء وهى جارية كانها البدر التمام وأبهى من الشمس وأبهج وأشرق وأبلج وانها والله قد ملكت قلبى وغيرت عقلى ولبى وكنا يا ملك نحسب حساب الرجل وحرمته وندبر فى اتلاف مهجته وهو قاعد يصلح لنا الطعام ونحن نريد أن نسقيه كاس الحمام ولما راج الطعام وما بقى عن أكله احجام أخذ جفنة كبيرة بحلقتين غلاظ وأخرج ثلاث طواميس مثل الدرق وكسرها فى الجفنة وغمرها بالمرق وجعل اللحم من فوق وحملها و وضعها بين أيدينا وقال قوموا يا وجوه العرب للعشا واعذرونى فى التقصير لانى ساكن فى هذا البر فريد فتقدمنا يا ملك وأكلنا وذلك الغلام يحدثنا ويباسطنا و يلقمنا حتى فرغ الزاد واكتفينا فهم أن يشيل القصعة من بين أيدينا فقلنا له اعلم يا وجه العرب انا اكرامك علينا قد وجب لاننا يا غلام من فتاك العرب الذين لا يعرفون حسبا ولا نسب وما أحسن الينا أحد الا واسأناه وما طلب أحد حياتنا الا أخذنا روحه من بين جنبيه وانت الآن أكرمتنا وأحسنت الينا وقد وقعت رحمتك فى قلوبنا و رحمناك لحسن شبابك فنحن لا نقتلك ولا نعدمك الاحبابك فخذ لك أى فرس شئت من خيلنا وانج بنفسك من ههنا واترك هذا الجواد والخبا وهذه الصبية التى فيه ولا تشير معنا حربا فى هذه البرارى والربا ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الغلام كلامى عبس بعد الابتسام وتغير لونه غضبا وفارحنقا ثم التفت الينا وقال

ياسادات العرب هذه الجارية أختي ومطلبي وبنت أمي وأبي واني من شدة غيرتي عليها سكنت بها في الفلوات لانه قد خطبها من أبيها الملك قيس بن مسعود الملقب بذي الجدين وغشم بن مالك سيد بني عامر فلم ترض باحد منهم ولا أجابت بجواب بل طلبت الوحدة وابعادها عن الخطاب وعزمت على أن أقيم بها في هذه البراري المقفرات الخراب حتى لا يراها أحد من الشيوخ ولا من الشباب ففعلت لاجل خاطرها هذه الفعال وفارقت بها الاهل والعيال وأما أنا فقد صار بيني وبينكم حرمة الطعام وأريد أن تقبلوا هذا الكلام وترحلوا عنا بسلام ولا تقابلونا على جميلنا بقبيح الخصال ولا تفعلوا فعل الجهال من أنذال الرجال فلما سمعت يا ملك لمقاله ورأيت تكدر أحواله قلت له هذا الحديث لا أسمعه ولا أصغي اليه فلا تطل فما بقي ان لم تمتثل الاقتلاك ولو أن حولك الف فارس من الابطال وان كنت ما تقبل هذا المقال تهمنا جسدك باسنة الرماح الطوال وتركنا لحمك رزقا لوحوش الدحال وان كانت هذه الجارية كما ذكرت أختك فاحسن الدر الذي لم يثقب وأصح النوق التي لم تركب ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك قال الغلام يا وجوه العرب اذا كنتم لا ترجعوا وعن هذه الفعال لا تنتهوا فاصبروا علي حتى أودع أختي وأوصيها بما توصله من أمري لامي وأبي فقال الحرث هذا شي لا نمنعك منه ولا نعيقك عنه فافعل ما بدالك وانجز أشغالك فعند ذلك دخل الغلام الى أخته وقد أخذته الاوهام وأخبرها بجميع ما جرى بيننا وبينه من الكلام وقال لها يا أختاه اعلمي ان هؤلاء القوم الذين نزلوا علينا لئام غير كرام وانهم قد أطمعوا أنفسهم في أخذك وهتك سترك وها أنا أبذل مهجتي دون خدرك فان نصرت عليهم كان ذلك من الرب القديم الذي هو بوساوس الصدور عليم وقادر على حماية الحريم وان قتلوني في هذه الفلوات فانك تبقي مع النساء الثكالى ثم بعد ذلك ركب جواده وعشى الى ناحية الاقوام وأخته من ورائه وهو يقول اسمعي يا هند انا بلينا بقوم لئام غير كرام ضيعوا حرمة الطعام ثم انه أشار اليها ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ودعيني يا هند قبل هلاكي * واسعديني على البعد ابدعاك * فعسى خالق السموات والار
ض ينجي من الهلاك أخاك * قد بلينا بقوم سوء لئام * ليس فيهم حر يرق لشاكي
ضيعوا حرمة الطعام وخانوا * واستحلوا قتلي وهتك حماك * فقفي وانظري فعالي اذا ما
جاءت الخيل قاصدين خباك * واندبيني اذا بقيت طريحا * بعد قتلي مع النساء البواكي
واذا ناح في الاراك حمام * ساعدي بالبكاء حمام الاراك * يا ابنة العامري لو أنصفوني
في برازي أفنيتهم في فناك * واذا القوم أسرفوا وتعدوا * في قتالي حملت روحي فداك
آه واحسرتاه ان مت قهرا * وسبتك العداة بعد حماك * بلغي والدي السلام وقولي
مات غيظا من عصبة الاشراك * فعليك السلام ما هب ريح * وتعالى نجم مع الافلاك

قال الحارث ثم ان الغلام اقبل على أخته بمقاله وما فينا من يرق لحاله ثم قال لها يا أختاه هذه ثاني مرة أوصيك وأكرر القول عليك ان الذين أتونا قوم لئام غير كرام أكلوا زادنا وطلبوا هتيكتك وأنا وحق من أنزل القطر من الغمام لا أسلم فيك حتى أشرب كاس الحمام * هذا وأخته تبكي وقد تعلقت به وقبلت غرة جواده وكشفت برقعها ودقت على صدرها وأشارت اليه تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

فلا كان يوما صبحتنا كتيبة * ترى نهبنا من بغيها صار ثابتا اسلبا
يرومون سبيي من يديك تعمدا * بلا سبب بل كان اكرامهم ذنبا
وقد غدر وك اليوم يا فارس الوغا * وأشجع فرسان الاعاجم والعربا
أتوا بالقنا طعنا وبالسيف ضاربا * وانك تدري كيف تثخنهم ضربا
تذب عن الاخت التي قد صحبتها * فكنت لها أخا وكنت لها أبا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتي * وتأخذني قهرا وتملكني غصبا
يكون عليك اليوم عار مؤبد * وتحدو بك الركبان شرقا كذا غربا

فكر عليهم واحمي في اليوم انني * سأذكر فعلا منك يا فائقا ركبا

﴿قال الاصمعي﴾ ثم بعد سماع كلام أخته نادى يا أوغاد غير أمجاد أيما أحب اليكم الرواح والانصراف والا تبقوا رزقا للطيور وتخطف منكم الاطراف يا ويلكم ما أنتم من البشر ولا تعرفوا للزاد حرمة ولا تصرتم من له عهد وذمة فلا سلمكم الله ولا حياكم ولعن الله بطنا رماكم فما أقل خيركم وأكثر شركم وما أسرع غدركم فدونكم والحرب فارس لفارس كما تفعل الرجال وان كنتم ما تعرفون الانصاف وطبعكم لا يميل الا الى الاسراف فدونكم والجملة بجمعكم فاني كفؤا لكم وقوي على قتالكم فلما سمعت يا ملك هذا الكلام علمت أنه فارس همام وكل من خرج اليه يقتل ولو أنه فارس السهل والجبل فقلت لبعض أصحابي اخرج اليه يا ابن العم واقتله وخذ فرسه وسلاحه فاجابني الى ذلك وحمل عليه صاحبنا حتى حاذاه وأشار اليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

خل عن الحرب أيا كاب العرب * وسلم المهر عجولا والسلب
واقبل النصح وبعد في الهرب * وخل هندا اقبل أسباب العطب

﴿قال الاصمعي﴾ ثم قال الحرث فلما سمع الغلام كلام صاحبنا سار حتى قاربه وقال له ما اسمك يا فتى لاني حلفت يمينا الا أقاتل من اسمه كاسمي فقال له اسمي داهش فاجابه على شعره وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

من دون هند والجواد والسلب * سيف اذا سل من الغمد التهب
وفارس كالليث من نسل العرب * لو نظر الموت عيانا ما هرب

قال الحرث ثم انه جال مع صاحبنا ساعة وطعنه في صدره فاخرج الرمح يلمع من ظهره ونادى يا هند هذه عاقبة البغي والغدر فابصري اليوم ما لم ترى طول الدهر فاردت أن أخرج اليه فقلت حتى يقتلوا أصحابي وبعد ذلك أغدره حتى لا يكون لي أحد مشارك في الجارية وسلبه لاني يا ملك نظرته بعين الفروسية فرأيته جبارا عظيما فقلت لاخي المقتول انزل اليه وخذ بثار أخيك فتحدر اليه فقال له الغلام ما اسمك فقال اسمي ضمرة فقال الغلام أحرق الله أضمارك وخرب ديارك ثم انه أشار اليه وقال شعرا

ها أنت في ذا اليوم يا نذل البشر * تظن أني في اللقا أخشى الضرر
فالحق بأصحابك يا صميدع * في هذه البيدا لكي تبقوا عبر

﴿قال الحرث﴾ ثم حمل عليه وألحقه بأخيه ثم طلب البراز وسأل الانجاز فنزل اليه واحد من أصحابي حتى قاربه وطلب أن يحاربه فقال له ما اسمك فقال اسمي بكر فقال له أبشر يا بكر ببكور النوائب والبلا والمصائب ثم أشار اليه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قد جئتمو يا بكر شيأ نكرا * وما عرفتم للطعام قدرا يا أرذل الاعراب جما طرا * أسقيكم اليوم شرابا مرا

﴿قال الراوي﴾ ثم قاتله ساعة وطعنه فقلبه وعن جواده كركبه وما زال ينزل اليه واحد بعد واحد حتى بقي عندي من العشرة واحد يسمى خائنة الحرب فالتفت اليه وقلت أما تنزل حتى تأخذ بثار أصحابك فقال ويلك يا حرث أما أنت المقدم علينا أريد أن تعرفني بعزمك تزعم أني أنزل اليه حتى انه يقتلني وتعدده وتأخذ جواده وعدته وأخته انزل اليه أنت فلما سمعت يا ملك كلامه تعين علي قتاله وطعانه فنزلت اليه ووقفت بين يديه فقال لي ما اسمك فقلت له اسمي الحرث بن ظالم فقال صدقت أنت ظالم لنفسك وحارث ديار أبيك ارجع واشكر ربك الذي سماك الحرث لان علي يمينا باني لا أقاتل من اسمه كاسمي لانني اسمي الحرث فما صدقت أن أسمع منه هذا الكلام حتى رجعت الى صاحبي قوام وقلت له سمعت الكلام فقال خائنة الحرب وحق ذمة العرب لو كنت تعرف انك تثبت بين يديه ما رجعت عنه ولكن أناله ثم انه انحدر اليه فجال معه غير ساعة حتى قتله الغلام ورجع آخر النهار تعبان فقال لاخته خذي رأسي على ركبتك حتى أرتاح قليلا ثم انه رقد على ركبتها فصبرت يا ملك ساعة وسرت حتى وصلت الى المضرب فرأيت الغلام راقدا وأخته مكفية عليه فتقدمت قليلا قليلا وسحبت الخنجر وذبحته من أذنه الى أذنه فانتبهت أخته ورأت تلك الحالة فاخذت خنجر

أخيها وحطت القبضة فى الارض والذبابة بين نهديها وانحنت عليه حتى طلع من بين كتفيها فاخذت العدة والجواد والسلب وسرت الى مكة و يثرب فلما سمعت بان أخاك الاسود رجع الى العراق أتيت اليك وحضرت بين يديك وكان فى المجلس رجل شيخ فكذب الحرث وقال له تكذب ان كنت قتلته فهل معك من أمارته شئ فانى أعرف هذا الغلام * فهنا كان جواب الحرث على نوعين ففى الرواية العراقية يقول ان الحرث كان معه سيف ذلك الغلام وخاف أن يقول له هذا سيفه فيأخذه و يضرب به عنقه و يكون هذا أخرافا فى حق ملك العربان . وعلى ما روى فى السيرة الحجازية قال له الحرث هذا خاتمه فاخذه و باسه و بكى واشار ينشد و يقول صلوا على طه الرسول

أرى الدهر يسطو هكذا بالاكابر * و يفعل فعل الحادثات الدوائر

وعيش جميع الناس فرحى ببدئه * وآخره مر كطعم المرائر

و يتركهم حتى يعيشوا و ينتشوا * ومن بعد ذا يلقيهم فى المقابر

نظرت الى الدنيا تخون باهلها * وقد غدرت بى فى فؤادى وناظرى

أيا أيها النعمان فاصغ لقصتى * لقد كان ابنى فارسا فى العشائر

وكانت له أخت كبدر اذا بدا * بوجه زهى ناعمات الخناصر

وفى طول عمرى ما ولدت سواهما * فما حلنى صرف الزمان المحاصر

أتاهم ردىء الاصل فى وسط قفرة * فأفناهمو بالمرهفات البواتر

فدرت جميع الارض شرقا ومغربا * وطفت جميع البر باد وحاضر

وقد جئت فى ذى الارض أقفو لاثرهم * وجدت ابن ظالم عند نعمان حاضر

حكى لى حديثا كان فى الاصل ثابتا * محيها بمن أجروا دموعى كزاخر

وذا اليوم خذ لى يا مليك بثارهم * فقد بان صدق القول من لفظ خابر

واشف فؤادى باليمانى وارتجى * من الملك النعمان قتلا لغادر

فقد كان ابنى نائما حين خانه * و ياليته ما نام فعل المحاذر

فلو جاءه فى حربه وهو راكب * على ظهر طرف سابق كل طائر

لقد كان كفؤا لا يخاف ملمة * من العرب العربا ولا من عساكر

ولولاك يا نسل الكرام غدرته * لأورثك حربا وسط حر الهواجر

ولكن قضاء الرحمن يفعل هكذا * بكل جميع الخلق قدرة قادر

فكم ملك يفنى وتفنى رجاله * ويمسى حديثا فى الورى كل غافر

سلامى على الدنيا اذا كان واحدى * قتيلا طريحا من لئام العشائر

فلما فرغ الشيخ من شعره قال له الملك النعمان يا شيخ لا يمكن أن تأخذ من حضرتى غريمك ثم فزع فى الشيخ فسكت ثم ان النعمان أمر باحضار الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وأمر بعد ذلك باحضار المدام وغمز الساقى فحط على الحرث حتى غاب عن الوجود فامرهم الملك أن يحطوه فى القيود ففعلوا ذلك ثم قال لهم فوقوه فلما صحا وفاق فى الحال و رأى روحه فى القيود والاغلال أطرق برأسه الى الارض فتذكر النعمان ولده فبكى وأن واشتكى وأشار ينشد و يقول صلوا على طه الرسول

دع القلب يا هذا يبوح بشكوتى * فمن قتل شرحبيل زادت بليتى

ومن يوم فارقنى فحيلى يخوننى * من البين والاحزان أثقلن حملتى

أيا دهر فانعيه وساعد على البكا * لفقد أمير كان يحمى عشيرتى

فلو عاش أقرى الضيف يوما برحبه * و يضرب بالسيف اليمانى بهمتى

لقد غادرته العين يوما بغدرها * وأسقاه كأس الموت مرا بخدعة

فياليت جميع القوم كانوا فداءه * وزوجى ومالى ثم أهلى وعترتى

ولكن قضاء الرحمن فرق بيننا * بكأس الردى امضاه حكم المشيئة

فصبرا على ما قد قضاه الهنا * بتشتيت شمل من فراق الاحبة

أيا شيخ قم وانظر اليه مصفدا * بقيد ثقيل من قيود المنية

فان كان ذا الشيطان خان بمكره * فسوف يراه الناس وسط المصيبة

ونصلبه بعد العذاب بشعره * ونتركه من فوق باب المدينة

فياليت نجلى كان حاضر موته * و يشفى غليل الصدر من بعد لوعتى

فلو كان فى قبر عرفناه كان لى * اليه ارتياح القلب عند الزيارة

وكنا نبشنا قبره يا ابن ظالم * وكنا كشفنا جنب تلك الحفيرة

فلما فرغ الملك النعمان من شعره تباكت العربان وأعلنوا بالاحزان ونهضوا فى ساعة الحال الى الحرث وهو ساكت وسبوه فى أربع سكك من حديد وجلدوه جلدا شديدا وهو لا يبدى ولا يعيد بل هو ساكت لا يتكلم ولا يرحمه أحد من الامم فلما فرغوا من عقابه قام اليه أبو الغلام من بين رفقائه وصار يحدث الملك النعمان عن الولد وشجاعته وقد جرت دموعه على شيبته وتزايدت حسرته وتصاعدت زفرته وقال والله يا ملك ما رزقت فى طول عمرى غير هذا الغلام والبنت وكان خطبها منى الملك قيس الملقب بذى الجدين وكان قد بذل لى من أجلها المال الجزيل فقالت يا أبتاه أنا لا أتزوج الا برجل مثلك حتى لا يرانى غير أشكالى فلما سمعت كلامها ما رأيت على روحى أن أتبع كلامها وأخلى الملك قيس قتيل غرامها فاخذت فى اصلاح حالها فوقعت على أخيها فاخذها ورحل ولا أعرف أين بها سار وتركنى على مقالى النار حتى سمعت هذا الكلام فى حضرتك من هذا الغدار الذى دهانى فى أولادى وأحرق عليهما فؤادى وشهدت للشيخ جماعة من الحاضرين فقال النعمان اشرح صدرك ولا تندم ولا تخف من بؤس ولا من نقم فمن طالب بثار أولاده فما ظلم * هذا وقد أمر النعمان أن يركبوه على جمل عرى و ينادى عليه فى المدينة و يصلبوه على الباب الذى قتل عليه شرحبيل فازدحم الناس من خلفه وامامه حتى بقى على القدم ألف قدم وصاروا يضربونه حتى وصلوا به الى باب المدينة وصلبوه وقتلوه وكان اصابه يوم ما جرى مثله لاحد من سائر العباد من سكان المدن والبلاد فلعن الله أما حملته ومرضعة أرضعته فما كان أنحسه وأخبثه فلقد استراح عنتر من صورته وقد اطمأنت جميع الفرسان من طلعته

فلا رحم الرحمن تربة قبره * ولا زال فيه منكر ونكير

فما كان أشأم وجهه بين عشيرته وقد مضت قتلته هدرا فلا جبر الله له كسرا ولا رحم الله له قبرا ولا بل ثراه وما حزن عليه الا الملك الاسود لانه كان يترجى أن يقطع به أثر بنى عبس وعنتر و يتكل على مكره ودهاه و يجعل ذلك لحذيفة بن بدر من طريق المكافاه فجاءه الموت فجأة فأخفى الكمد وأظهر الجلد وقال وحق ذمة العرب أنا كنت دايسح أقتله قبل أن يقدم عليكم ولكن ظننت أن يكون لنا عدة ونستعين به على عنتر بن شداد فقال له النعمان و يلك يا أسود ونحن ما فينا كفاية لعنتر بن شداد ولمن معه من الاوغاد ولو انهم عدد ورق الشجر قلعنا منهم الاثر وتركناهم عبرة بين البشر وحق الركن والحجر ومن طاف بهما من أمة ربيعة ومضر لأقهرن الكل بالذل والاحراق وأسوقهم حفاة عراة الى أرض العراق وهم فى السلاسل والاوثاق و بعد ذلك ان خضعوا عفوت عنهم لاجل ما بينى و بينهم من المصاهرة وعندنا جيوش تملأ الفدافد والقفار وكان قد حضر عنده فى ذلك اليوم جماعة من أمراء القبائل فقالوا له لا تأخذ على خاطرك يا ملك الزمان فها نحن بين يديك ولا نبخل بار واحنا عليك فلما سمع النعمان منهم ذلك الكلام ضحك وانبش فاذا هو ببعض حجابه دخل عليه يخبره بقرى الوحش فارس بنى غسان ﴿ قال الراوى ﴾ وكان ذلك الجبار من أرض حوران وكان نشأ فارسا عظيما و بطلا جسيما وكان اسمه نصير وكان من شجاعته وتجبره اذا أسر فارسا مرة يأخذ منه ناقته و بغلته و يطلقه وكذلك اذا وقع الثانية وفى الثالثة يجز ناصيته وفى الرابعة يقتله وكان جميع ما يأخذه

من الجمال يذبحه و يفرقه على وحوش البر حتى انقلب اسمه بمقرى الوحش ولا بقى أحد يعرف له اسما الا مقرى الوحش ومما اتفق له مع ملك حوران انه كان له بنت يقال لها مسيكة وكان أبوها لين الجانب لين العريكة يقال له مجير بن سهل وكانت له هذه البنت التى فاقت على أهل حوران بالحسن والاحسان والجمال الفتان فخطبها مقرى الوحش من أبيها فلم يقدر يخالفه فى شئ من الاقاويل لكنه قطع عليه مهرا ثقيل وهو ألفان من الدنانير وألف ناقة من النوق العصافير فلما سمع مقرى الوحش هذا الخطاب أجاب وفى ساعة الحال تجهز للسير وأخذ معه خمين فارسا صناديد وجد فى المسير طالبا الملك النعمان وأرض العراق يقطع تلك البرارى والآفاق وهو ينشد ويقول

أسير الى أرض العراق واننى * أريد أبيد الكل طردا بصارمى
أسير الى النعمان آخذ ماله * وأفنى جميع رجاله بتهجم * لاجل مسيكة غاية القصد والمنا
وأرجع الى الاوطان يوما بغنم * وأقهر فرسان البلاد بأسرها * وتخضع لى الابطال عند التقدم
وتشهد لى الابطال فى حومة الوغا * اذا حضرت فى يوم طعن بلهزم

ولم يزل سائرا فيمن معه من الفرسان حتى وصل الى دار الملك النعمان فعند ذلك أرسل من هناك رسولا يخبره بقدوم مقرى الوحش ففرح الحاجب وقام ثم دخل على الملك النعمان وأعلمه بقدوم فارس غسان وانه جبار من جبابرة أرض حوران وقهر كل من كان هناك فى حومة الميدان وخطب بنت عمه ثم شرط عليه المهر العتيق وأرسله الى أرض العراق وقد أرسل الى مع الرسول يقول اضمن عنى للملك النعمان انى ما أطلب نوقا ولا جمالا ولا فصلان حتى يجمع لى ألف فارس من الفرسان وأبارزهم قدامه فى حومة الميدان وبعد ذلك يجمع لى الابطال من العراق والحجاز ويخرجهم لى فى البراز وألقاهم فى الحرب والطعان ان شاء مبارزة أو معاندة وان شاء ألقى الكل فى مرة واحدة فلما سمع النعمان من الحاجب هذا الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وحار كل من حضر من العرب وقال النعمان وحق دينى ان فعل هذه الفعال لأعطينه جميع ما طلب وأنزله عندى وأعطيه جميع ما يتمنى و يأخذ كل ما يريد لانه فارس خبير واذا كان فارس مثل هذا يغنى عن جيش كثير واذا كان جسورا على النائبات يكون لنا عدة من كل الآفات وان سرت به الى بنى عبس وعنتر لا يخلى لهم ذكرا ولا ذكر حتى يأتوا الى خدمتى ويدخلوا تحت طاعتى واذا ظفرت بهم بهذا السبب أعفوا عنهم لاجل عبد المطلب فعند ذلك طلع الحاجب فوجدهم هناك وقوفا على خيلهم فلما نظر مقرى الوحش الى الحاجب تقدم اليه وسلم عليه فأعلمه الحاجب بما قال عند النعمان وقال انه أمر باحضارك حتى تجتمع أنت واياه فى فرد مكان فعند ذلك نزلوا وساروا من وراء حاجب الحجاب حتى أقبلوا على الملك النعمان وهو جالس بين الجند والفرسان فدخل مقرى الوحش وقبل الارض بين يديه فنظر الملك النعمان الى رجل كانه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد أشقر نطاط قليل الشعر عريض الاكتاف صلب العظام كبير الهام والراس متغير الحواس تلوح الشجاعة بين عينيه تشهد له لا عليه وفى وجهه علائم وآثار تدل على انه لاقى الاخطار وأجلسه الملك فى أعز مكان وأمر باحضار الطعام فأكل وهو مثل الاسد الغضبان وهو يلوح بعينين مثل السقر القتال يمينا وشمال والفرسان يقولون هذه دلائل الفرسان الكرام الى أن فرغوا من أكل الطعام وقدموا آنية المدام ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال النعمان ما هنالك أحد يأمر من الارامل والايتام التى تنفق عليهم النفقات والصدقات فانهم أفضل من الوحش فى الآكام فقال له أيها الملك ما فى حلتى الامن شملته نعمتى وتركت للفقراء أكثر من مال الاغنياء وانما هذه النوق أجعلها قربانا لان الهدا قوم نصارى لا يأكلون الجمال لانها عندهم حرام فلما سمع الملك النعمان منه ذلك قال له يا فارس ان كنت طالب النياق فنحن لنا عدو فى أرض الحجاز وما نريد الا أن تقتله فى البراز لان جميع الابطال عجزت عنه ﴿قال الراوى﴾ ولما أن فرغ النعمان من صلب ذلك الشيطان وقد رآه كل من حضر ففرح واستبشر اذا هو بحاجب من بعض الحجاب قد دخل عليه وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك الزمان

وفريد العصر والاوان وخليفة كسرى أنوشروان قد ورد علينا فارس من الفرسان وشجاع من الشجعان وهو من أرض حوران وحامية بنى غسان وهو يريد الاستئذان ليدخل اليك و يقبل يديك ويقص قصته عليك واعلم يا ملك انه فارس شجاع وقرن مناع لا يخاف من الموت ولا يخشى من الفوت والشجاعة لائحة بين عينيه تشهد له ولا تشهد عليه فان أمرتنى أحضرته عندك و يصير من جملة خدمك وجندك ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الانسان فارسا من الفرسان وهو من بنى غسان وله قدر وشان وله صولة على الاقران وهو صاحب قوة و بطش و يقال له مقرى الوحش وكان له كلام عجيب وأمر مطرب غريب نحن نذكره على الترتيب حتى يسمع المستمع و يتلذذ و يطيب وذلك أن هذا الفارس قد نشأ فى بنى غسان وكان له شان وأى شان لانه قهر الشجعان وأذل العربان وسائر الاقران فى حومة الميدان بطعن السنان وقد شهدت له جميع الفرسان أنه فريد العصر والاوان و زاد عليهم وساد وشهدت له بذلك كل العباد ﴿قال الاصمعى﴾ وما سمى بهذا الاسم بين الرجال الا لاجل أن تضرب به الامثال وذلك أنه كان تخشاه الابطال لانه يظهر فيهم الاهوال و ينهب منهم الاموال ويذل الملوك وجميع الابطال من أصحاب الرتب و يقهر سادات العرب وكان فارسا شديد وبطلا صنديد وجبارا عنيد قلبه كانه من حديد تهابه الملوك وتكرمه وتهاديه وكان اذا نهب شيأ من الجمال وعاد به الى الاطلال ينحره منها فى ساعة الحال و يفرقه على الوحوش فى البرارى والتلال وهذه عادته على طول الايام والليال لانه كان نصرانيا وقومه نصارى فى تلك الايام لم يأكلوا لحوم الجمال لانه فى دينهم حرام فلاجل ذلك الحال كان يفرق لحمها على الجبال و يجعله رزقا للوحوش والعقبان فلذلك تسمى بهذا الاسم بين العربان ﴿قال الناقل لهذا الديوان﴾ ولما أن قوى باسه واشتد أساسه و زاد مراسه وكبرت همته وعلت كلمته و بانت عند جميع الناس فروسيته صار له عند ذلك قدر وشان وخطب ابنة ملك حوران وكان هذا الملك يهوى الشجعان و يذم الجبان و يحب الانصاف و يكره الاسراف وكان يقال له مجير بن سهل كريم النسل وطىء الجانب محسن للاقارب لين العريكة وكان له بنت يقال لها مسيكة وهى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كانها الغصن الميال ولما أن خطبها مقرى الوحش من أبيها بين أهلها وذويها ما قدر أن يخالفه فى الاقوال بل أجابه على ذلك السؤال وقد بلغه منها الآمال ولكن قطع عليه مهرا ثقيل خوفا من الاقاويل وهو ألفان من الدنانير وألفان من النوق العصافير ومائتان من الخدم وألف رأس من الغنم وعشر رؤس من الخيل الجياد وعشر عقود من خالص الاعقاد وعشر ثياب من الديباج ولم يكن له بذلك احتياج ﴿قال الاصمعى﴾ فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام وما طلب منه من المرام قام من بين الجماعة وأجاب بالسمع والطاعة وفى ساعة الحال تجهز للسفر وأجاب صهره فيما به أمر ولم يطق المقام لما صار عنده من الهيام وقد أخذ معه من الفرسان الكرام خمسين بطلا همام وقد زاد به الوجد والغرام وصار يقطع البر والآكام وهو ينشد و يقول صلوا على طه الرسول

أسير الى أرض العراق واننى * أريد اغتنام الكل عرب وأعجم * وأسعى الى النعمان آخذ ماله
وأقهر أعدائى الجميع بصارمى * لاجل مسيكة غاية القلب والمنا * وأرجع الى الاوطان حقا بغنم
وأقهر فرسان الجبال باسرها * وتخضع لى الابطال عند التقدم * وتشهد لى الشجعان فى حومة الوغا
اذا حضرت فى الحرب وقت التهجم * أنا فارس الفرسان لست مقصرا
بطعن القنا يوما وضرب بلهزم * ولا أنثنى فى الكر عن كل فارس
* ولو كان ذا بطش شديد كضيغم *

﴿قال الراوى﴾ ولم يزل مقرى الوحش سائرا هو ومن معه من الاكابر طالبا أرض العراق وتلك الآفاق وهو على ذلك الشان الى ان قرب من ديار الملك النعمان فلما ان بانت له تلك الطلول أمر فرسانه بالنزول واراحة الخيول وأرسل رسولا فى ساعة الحال لاجل أن يعلم الملك النعمان بقدومه وارتاح بقية يومه هو ومن

معه من فرسان قومه وانتظر ما يكون عند وصوله ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من مقرى الوحش ونزوله (وأما ما كان) من الرسول النجاب فانه ما زال سائرا فى الهضاب حتى قرب من الابواب واذا به قد التقى بحاجب الحجاب فتقدم بين يديه وقص القصة عليه وأخبره بجميع الاسباب وبالذى ما كان حمله من الجواب والخطاب من عند مقرى الوحش ومن معه من الاصحاب وكيف أتى من أبعد مكان يريد الدخول على الملك النعمان * قال فلما سمع الحاجب هذه الاقوال سار فى ساعة الحال ودخل على الملك النعمان واعلمه بقدوم فارس بنى غسان وشرح له ما سمع من المقال واطلعه على جلية الحال ثم انه قال اعلم أيها الملك انما صار هذا الاسم اسمه والكنية كنيته لانه قهر الفرسان بفروسيته وكان اذا أسر فارسا بقوته أول مرة يتركه يسير فى حاله وان وقع الثانية فى يده يأخذ منه فديته وان وقع الثالثة يجز شعر ناصيته ويطلقه وان وقع الرابعة يقتله ولا يعتقه وكان هذا فعله مع الفرسان ودأبه طول الزمان وكان الذى يجمعه من النوق والفصلان من سائر البلدان يأتى به الى بنى غسان وينحر منه كل يوم ويطعمه للوحوش والعقبان ويجعله على سبيل القربان فلاجل ذلك شاع ذكره فى جميع الآفاق وسمى بذلك الفعل مقرى الوحش وفارس النياق وانه يا ملك ما زال على ذلك الشان الى أن قهر جميع بنى غسان وأذل بطارقة حوران واستأسر فرسان بنى غسان ولما صار له عندهم قدر وشان خطب ابنة ملك حوران وأراد أن تكون له أهلا ويكون لها بعلا وقال له أبوها أهلا وسهلا وأجاب سؤاله ولم يرد عليه مقاله بل زوجه بابنته لما رأى من شجاعته وسمع من فصاحته وقد شرط عليه ألفى دينار مقدم الصداق ومثلها من النياق وطلب منه شيأ كثيرا واحوجه للمسير الى العراق ليجلب له منها النياق ليفتخر بها على أهل الشام وأهل العراق وانه يا ملك شرط على نفسه انه لا يأخذ شيأ من الحطام حتى يجرب روحه مع فرساننا فى الصدام ويفعل بأبطالنا كما فعل بأبطال الشام ويبارز من عندنا من الخاص والعام وها هو قد وصل الينا ومن أجل ذلك قدم علينا وانه يا ملك قد أرسل مع الرسول يقول اضمن لى عند الملك النعمان انى لا أطلب منه نوقا ولا فصلان حتى انه يجمع لى ألفا من الفرسان الشجعان وأبارزهم بين يديه فى حومة الميدان ويشهد لى بالزيادة ولقومه بالنقصان وبعد ذلك يجمع لى فرسان العراق والحجاز ويخرجهم لى فى ساحة البراز كى أتلاطم معهم فى الميدان وأريه ما أفعل بهم بالرمح والسنان من تشتيت شملهم وقطيعتهم مرة واحدة وان كنت فى شك من هذا المقال فامره أن يضيف اليهم ألفين من العجم وجبابرة الديلم من كل فارس منتخب وأنا أريه فيهم العجب (قال الراوى) فلما ان سمع الملك النعمان من الحاجب ذلك الكلام تعجب وأخذه الابتسام وحصل له فرح واتسع صدره وانشرح وقال فى نفسه بهذا الفارس أنال المراد من بنى عبس وعنتر بن شداد ثم ان الملك النعمان بعد ذلك الكلام قال وحق النار والنور والظل والحرور ان فعل هذا الفارس ما قاله وقام بما نطق به فى فعاله لاعطينه جميع ما طلب من المال والانعام وأرفع شأنه عندى فى أعلى مقام ويكون سيف نقمتى وأقاسمه فى نعمتى لان الفارس الخبير بملاقاة الابطال يغنى عن الكثير من الرجال ويكون جسورا على النائبات فيكون لنا عدة فى كل الاوقات وبعد ذلك أريد أن أنفذ لبنى عبس وعنتر من قبيلتى عسكر ولا أدع لهم ذكرا اذ كر الأن يأتوا الى خدمتى ويدخلوا تحت طاعتى والا أرسلت اليهم هذا الفارس المفضال الذى شاع ذكره فى جميع الابطال وهو الفارس الغسانى الذى ما له فى زمانه ثانى وأرسل معه جماعة من العربان الانجاب وأتسبب فى قبضهم بكل الاسباب واذا ظفرت بهم وصاروا فى قبضتى انزلت بهم الذل والعذاب ولا أرجع عن هذا السبب وبعد ما أبلغ منهم الارب أعفو عنهم لاجل سؤال الشيخ عبد المطلب ولا أخالف له قولا ولا انكر له فضلا ﴿قال الراوى﴾ ثم ان النعمان بعد ما تصور فى قلبه هذا الشان التفت الى الحاجب الكبير وأمره أن يركب ويسير ويحضر بذلك الفارس النحرير الذى اليه يشير حتى يسمع مقاله وينظر فعاله فعند ذلك سار الحاجب فى ساعة الحال الى ذلك الفارس الرئبال ومعه جماعة من الابطال وأخذ معه جوادا من الخيول العوال وهو من جنائب الملك النعمان وصار فرحان بملاقاة ذلك الفارس المنصان وما

زال على ذلك الشان حتى وصل اليه وقدم عليه ﴿قال الراوى﴾ وكان الرسول الذى أتى لهم فى الاول قد سبق وجواده أرسل ليبشر بقدوم الحاجب عند أصحابه ورفقاه ويأمرهم بالركوب الى لقاه فعند ذلك دعا مقرى الوحش بجواده ولبس أفخر ثيابه وركب فى ساعة الحال وركبت بعده أولئك الابطال الا انهم ما ساروا غير يسير حتى تلقاهم ذلك الحاجب الكبير فلما ان رآه مقرى الوحش قد أقبل ففى الحال ترجل وللارض قبل فلما رآه الحاجب وقد فعل هذه الفعال نزل على الرمال وتقدم لذلك الفارس وأخذه بالاحضان وفعلت كذلك جنود النعمان وسلمت الفرسان على الفرسان وبعد ما فرغوا من السلام على بعضهم البعض وهم جميعا واقفون على وجه الارض أمرهم الحاجب بالركوب وطيب منهم القلوب وبشرهم بنوال المطلوب وأراد مقرى الوحش أن يعود الى ظهر جواده الذى أتى به من بلاده فلم يمكنه الحاجب من ذلك الشان بل انه قدم له ذلك الحصان الذى أتى به من جنائب الملك النعمان وأمره بركوبه بين الفرسان حتى يدخل به الى عند النعمان وكان ذلك الجواد من أفخر خيول العرب بسرج من ذهب وعدة كاملة وآلة شاملة فركب مقرى الوحش على صهوته وأوقره بجنته وسار بين أهله وعشيرته * هذا والحاجب بجانبه وهو يباسطه ويحادثه وهم سائرون وأصحاب النعمان بذلك الفارس مستبشرون وكان الحاجب قد أعلم مقرى الوحش بما جرى بينه وبين النعمان من مبارزة الفرسان ومجالدة الشجعان وبما أوعده الملك النعمان من الخير والاحسان ومن النوق والفصلان والخيول الحسان وقال له انه أمر بحضورك اليه لتجتمع معه فى أسر مكان فعند ذلك فرح فارس بنى غسان وعلم أن سعادته فى زيادة غير نقصان وقد سار مع الحاجب من خلفه من الاصحاب حتى دخلوا من الابواب فعند ذلك ترجلوا عن الدواب وسار الحاجب ومعه فارس بنى غسان يريد الدخول على الملك النعمان وهما يتحادثان الى أن وصلا الى النعمان فلما رآهم مقبلين الى ذلك المكان تأمل له الملك النعمان فوجده فارسا لا تماثله الفرسان وبطلا لا تقاومه الابطال فى محل الضرب والطعان كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد وهو أشقر اللون ظريف طويل الاطراف عريض الاكتاف صلب العظام كبير الهام تلوح الشجاعة بين عينيه وهى تشهد له ولا تشهد عليه وفى وجهه علائم وآثار تدل على انه قد لقى الشدائد والاخطار فعند ذلك دخل وتقدم وحيا وسلم ودعا للملك النعمان بدوام العز والنعم فرحب به الملك النعمان وأجلسه فى أعلى مكان ثم انه أمر الخدام أن يأتوه بالطعام فأكل وهو جالس على ركبتيه مثل الاسد الغضبان وعيناه تلوح فى أم رأسه كأنهما عيون النمر الحردان وجميع الحاضرين ينظرون اليه بالعيان وهو يقول والله ان هذه دلائل الابطال والفرسان الاقيال ولما ان كان ما كان من أكل الطعام دارت عليهم بعد ذلك كاسات المدام فابتدأه الملك النعمان بالكلام وقال له يا فارس الشام أليس فى حلتك من تبره من الارامل والايتام حتى تخرج صدقاتك للوحوش والهوام فقال مقرى الوحش يا مولاى ما هناك أحد فى عشيرتى الا وقد شملته بركتى وعمته نعمتى وقد تركت الفقراء أحسن من الاغنياء واغنا هذه النوق اجعلها قربانا لان فينا من لا يأكل لحوم الجمال من بنى غسان لانهم قوم نصارى وهو فى ملتهم حرام الا من يكون غريبا من تلك الوديان أو يكون فقيرا وجيعان فلما سمع الملك النعمان من مقرى الوحش ذلك المقال قال له يا فارس الزمان اعلم أن لنا فى أرض الحجاز قبيلة تسمى بنى عدنان وفيها فارس قد قهرنا فى الميدان وكسر عسكرنا وبددهم فى القيعان وقد عجزنا عنه فان أنت قهرته وقتلته أو أسرته وأتيت به عندنا وهو أسير أعدتك الى ارضك وبلادك بالخير الكثير وأجعلك عندى أميرا وأعطيك ملكا كبيرا * قال فلما سمع مقرى الوحش كلام النعمان قال وحق المسيح والصلبان والست مريم بنت عمران هذا الذى كنت أريده يا ملك الزمان لانك أنت شهدت له بهذه الشهادة وقد أقررت له بالزيادة على سائر الفرسان وقد شاع عنه فى جميع البلدان بأنه أذل الاقران واذا خرجت أنا اليه فى ساحة الميدان وأنزلت به الذل والهوان يرتفع بذلك قدرى بين العربان وأكون قد أخذت الطبقة العليا فوق الفرسان وأصير أوحد العصر والاوان على أننى ما أعود من عندك ولا أفارق أرضك حتى أقهر أعداءك وأبلغك منهم مناك وأذل منهم الاعناق وأخلى

منهم الآفاق ومن الغداة أيها الملك السعيد كافني ماتشتهي وتريد واخبرني انه ميونختار وقد بان لك فعلي بين أولئك الحضار * قال فلما سمع الملك النعمان ذلك الامر والشان اشتهى أن ينظر فعاله بالاقران في حومة الميدان وقال له يا فارس غسان أريد منك هذا بعد برهة من الزمان وأراك في الحرب والجولان كيف تفعل بالفرسان عند معترك الطعان فقال له مقرى الوحش ها أنا يا ملك حاضر بين يديك ولا ترى الا ما تقر بعينيك فقال النعمان نحن ما نكلفك بذلك الشان في هذا الاوان حتى يطيب لك عندنا المقام وتلتذ معنا بالطعام وشرب المدام ثم انهم عادوا لما كانوا عليه من شرب الراح ومداومة الافراح في المساء والصباح وزادت عندهم الافراح وزالت عنهم الهموم والاتراح ولم يزالوا على ذلك المرام مدة عشرة أيام وبعد ذلك طلب مقرى الوحش من الملك النعمان البراز وسرعة الانجاز مع فرسانه المعزاز فاجابه بسائر المطلوب ونادى في فرسانه بالركوب حتى ينظر الغالب من المغلوب ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ركبت جميع الشجعان وقد اعتدت الفرسان وأتت الابطال الكرام تريد بجمعها الصدام وقد خرج الخاص والعام وكان ذلك اليوم عظيم المرام ما رؤى مثله في سالف الايام وأيضا خرجت البنون والبنات والنساء المخدرات وقد زينت البلد وأخرجت العدد ثم ركب الملك النعمان الليث الهمام وعليه حلة حمراء مطرزة الاكمام وقد عقدت على رأسه الاعلام ونشرت الرايات ودقت عند ذلك الطبول والكاسات وقد صار الملك النعمان الى الميدان واصطفت الابطال والاقران وبرزت الشجعان وقد لعبوا بالسيف والسنان في حومة الميدان وجرت لهم ساعة عظيمة الشان عاملوا في محل الرهان وبعد ذلك خرج مقرى الوحش الى ساحة الميدان واشتهر بين الاقران ولعب برمحه بين الفرسان في حومة الميدان ثم انه ترنح على ظهر جواده وفاض الشعر من فؤاده فنطق به لسانه وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

تسميت مقرى الوحش في كل معرك * أبيد العدا بالمرهفات الصوارم
وشاع بمقرى الوحش اسمي وكنيتي * مكيد الاعادي والليوث الضراغم
وقد طار صيتي اليوم في كل بلدة * وسدت جميع الخلق عرب وأعجم
وذا اليوم يا نعمان تشهد أنني * أنا فارس الفرسان بين العوالم
وتشهد لي الابطال في حومة الوغا * كما شهدت لي في الحروب الاكارم
وان لم أكد ذا اليوم عنتر وقومه * فلا حملت يدي سناني وصارمي
واترك دياره بعد موته خلية * وأقود فرسانه كقود البهائم
ألا يا مسيكه احفظي العهد بيننا * ولا تسمعي قول العداة المياشم
سألقى ملوك الارض شرقا ومغربا * واغمد سيفي في رقاب الاعاجم
والا فلا نلت الذي قد طلبته * ولا بلغت نفسي المنى كابن ظالم
سلام عليكي يا بنت العم واعلمي * باني اليكي قادم بالغنائم

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغ مقرى الوحش من هذه الابيات الحسان انحدرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان مثل العقبان كانهم أفراخ الجان حتى أنهم ملؤا الميدان وكان الحاضر من جيش الملك النعمان في ذلك المكان عشرين ألف عنان وكلهم شجعان وفرسان وقد ملؤا الميدان فلما أبصرهم فارس بني غسان لم يتغير له عقل ولا جنان فعند ذلك خرج منهم فارس على جواد جوال صبور على المجال وعليه زردية قصيرة الاكمام مليحة الهندام لا يعمل فيها الحسام الصمصام ولا الرماح السمهريه وهو متقلد بصفيحة هنديه أقطع من المنيه معتقل بقنطارية خلنجية ترد أسباب الرزيه وعليها سنان كانه كوكب يأخذ بالابصار أزنار ذات لهب والشرار فلما صار ذلك الفارس في حومة النزال صال وجال ولعب برمحه العسال الى أن أذهل عقول الرجال وسابق في طرائق المجال والجولان حتى لين عريكة الحصان وبعد ذلك الشان طلب براز الاقران فبرز اليه فارس من بني وائل وكان عليه للشجاعة علائم ودلائل وهو غريق في شبكته معتقل بعدته ﴿قال

الراوي﴾ فلما رأى مقرى الوحش ذلك الشان ارتكن في جانب الميدان حتى ينظر ما يكون بين الفرسان وأما هذان البطلان فانهما قد اعتركا واشتبكا ساعة من النهار وقد اعتدلا في سرجهما وحملا على بعضهما وتطاعنا بسيفهما وسنانهما وأتقن أحدهما الى خصمه طعنة خبير فأخذه بها أسير وشاله على رأس السنان ورماه في قاع الصحصحان ولم يؤذه ولم يصبه بشيء من الهوان فعندما علم من مقرى الوحش هذا الشان التفت الى مقرى الوحش وطلب معه المجال وحمل بكليته عليه وصوب سنان القنطارية اليه ليفعل به مثل ما فعل بالفارس الذي تقدم وظن انه يطعنه ويأخذ الفخر على العرب والديلم فلما اقترب القنطارية اليه زاغ عنها برفقته وحاد عنها بخبرته وصبر عليه حتى حاذاه ولاصقه وساواه وأخرج رجله من الركاب ورفسه بها في صدره فطيره من سرجه على التراب فبرز اليه ثاني فارس من بني لخم وجذام وقد جرد في يده حسام وحمي جواده وأطلق له عنانه وما زال في قوة جنانه حتى قرب منه وأراد أن يضربه يقضي عليه واذا بمقرى الوحش قد مال عليه ووكزه برمحه فقلبه وعن جواده كركبه فخرج له ثالث من بني شيبان وكان من الشجعان فثبت له فارس بني غسان الى أن حاذاه وشال السيف بيده وهو مجرد من غمده وأراد أن يضربه وبه يعدمه فما شعر به الا وقد مسكه من أطواقه وضيق عليه خناقه وجذبه بزنده واقتلعه من بحر سرجه ورفص الجواد في جنبه فقصف أضلاعه وحذف الفارس بطول باعه وقوة ذراعه حتى كاد أن يطير نخاعه فعندها انذهل كل من رآه واختل عقله وتاه ولما أبصرته الفرسان ونظرت فعاله صار وايخرجون اليه أولا بأول الى أن اجتمعت خمسون من حنقها عليه وهو يبدد كل فرقة حملت عليه ووقفت بين يديه وقد طاب له العمل وجال برمحه وحمل وقد هجم على الفرسان ونثر الاقران وعلم الشجعان وبطحهم في ساحة الميدان ولم يزل على مثل ذلك الحال الى أن عول النهار على الارتحال فعادوا الى منازلهم والاطلال ﴿قال الراوي﴾ لهذا الكلام وفي ثاني الايام فعل مثل ما فعل بالاقوام وفي اليوم الثالث حلف فارس بني غسان باعظم الايمان وأجل الاقسام لا يخرج اليه الا ألف فارس تمام ومن قدر عليه في الميدان يضربه بالسيف وبالسنان أو يقتله وينزل به الدمار والفناء وهو برىء من دماه ثم انه بعد ذلك الشان أمر بقصعة من خشب الخولنجان توضع في جانب الميدان مملوأة ماء ورد وزعفران ﴿قال الراوي﴾ لهذا الديوان فلما سمع ذلك الملك النعمان أمرهم أن يفعلوا ما طلب فارس غسان فقالوا السمع والطاعة فما كانت غير ساعة حتى أحضروها وفي جانب الميدان وضعوها فتقدم حواليها وأرمى قطعة من شاش أبيض فيها وأخرجها بعد ما بلها وعلى طرف رمحه لفها وقال هذه عوض السنان لا علم بها على الاقران ﴿قال الراوي﴾ فلما أن تم أمره وما احتاج اليه أوما الى الفرسان أن تحمل عليه فعند ذلك حملت ألف فارس حملة واحدة وأرمت عليه أرواحها ومدت اليه أرماحها وجردت سيوفها وخففت ملبوسها فصرخ فيها صرخة عظيمة أزهق منها نفوسها وقد شالت الخيل لها رؤسها وقد جال فيها جولانا وأي جولان وهو كالاسد الغضبان وقد غرق في ذلك الجيش الجرار وطار عليهم الغبار وطال النهار وحميت الاقطار وطاب الطعان والضراب وقل الخطاب وكثر العتاب وما زالوا على ذلك الحال الى أن عول النهار على الارتحال ومالت الشمس الى الزوال وقد علم الامير مقرى الوحش على نصف الابطال فعند ذلك تراعقت تلك الاقيال وجاءت من اليمين والشمال ومدت اليه قطع الرماح الطوال وهو يلاقي منهم المضارب ويبطلها برأي صائب ويطعن في الصدر والجوانب وهو يهدر هدير أسود الغاب ويخدشهم في الحزوز والرقاب وهو تارة يكون في الميمنة وتارة يكون في الميسرة وتارة قدام وتارة خلف وهو مثل النسر الحوام الذي لا يخشى صروف الليالي والايام الا انه ما تصرم النهار الا وقد علم على ذلك الجيش الجرار وما أحد منهم قدر عليه لا بسيف بتار ولا برمح خطار ثم انه بعد ذلك الشان خرج من ساحة الميدان وقد دارت به تلك الجموع والفرسان وأتوا به الى الملك النعمان ﴿قال المؤلف﴾ لهذا الديوان ولما أن صار مقرى الوحش قدام الملك الهمام قبل الارض باحتشام ودعا له بالعز والدوام فأخذه برضاه وقبول وقدم له الخيول وأفرغ عليه الخلع الغوال وأفاض عليه من الاموال وقد فضله على سائر

الانام وقدمه على ألف فارس همام مافيهم الاكل أسد ضرغام وليث قمقام ثم انه جداهم له فى انلدمات
وأخرج اليه الخيام والسرادقات وأخرج له الجمل والخيل والبغال وقد صار مقرى الوحش كانه ملك من
ملوك الزمان ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى مقرى الوحش الى مافعله معه الملك النعمان فعندها قال له يا مولاى
وأى شئ عملت من الشان حتى أستحق هذا الاحسان وأنا ما أريد أن يكون منك هذا العطاء والاسعاد الا اذا
قدت بين يديك عنتر بن شداد ومن معه فى القيود والاصفاد ولا أترك الى دولتك أحدا من الحساد ولا من
المعاندين والاضداد * قال فلما سمع الملك النعمان من مقرى الوحش هذا المقال قال له اذا فعلت هذه الفعال
ما أخليك ترجع الى بلاد الشام بل تكون عندى مادامت الليالى والايام وأرسل أحضر لك زوجتك الى
هذا المقام وتقوم عندى طول الشهور والاعوام وبعد ذلك اقاسمك فى نعمتى وتبقى نديمى فى حضرتى باقى
الايام ﴿قال الراوى﴾ ياسادة يا كرام فلما سمع مقرى الوحش هذا الكلام فعندها قبل يد النعمان وحمده
فى ذلك الوقت والزمان وقد علم ان السعادة انقادت اليه وان سعده صار فى زيادة غير نقصان وقد دام على ذلك
الحال عند الملك النعمان مدة من الزمان وهو يطرب معه بالمدام وأيضا مع سائر الفرسان الكرام ﴿قال
الراوى﴾ لهذا الكلام وفى تلك الايام شاع قتل الحرث بن ظالم فى القبائل وفى كل مكان ووصل الخبر الى
بنى عبس وعدنان وبنى فزارة وغطفان فأكثروا عليه التأسف والاحزان وكان أكثر الناس حزنا على هذا
الامر حذيفة بن بدر لانه كان متكلا عليه فى أوقات المكر والشر والغدر وأما بنو عبس فانهم فرحوا بهذا الامر
الذى تم وعلموا أن ركن بنى فزارة قد انهدم فزادوا فى الافراح والنعم وقال عنتر قبح الله من ظلم واعتدى
وأهلك الخائنين العدا لان المظالم مذمومه وهى على من يفعلها مشؤمه فلله در بنى عبس وما فعلت وما نسلت
فانها ما حكمت الا وعدلت ﴿قال الاصمعى﴾ وكان الملك قيس قد صفا لحذيفة بن بدر وظن انه تغير عن ذلك
الغدر ولم يعلم ما فى قلبه من الخبث والمكر وصار أكثر الاوقات يقضيها معه باللذات وينادمه فى الولائم والدعوات
وكذلك أهل القبيلتين قد اتفقوا على ذلك وزال عنهم الشين ﴿قال الراوى﴾ وكانوا فى تلك الايام قد جدوا فى
عرس عنتر وصاروا يتقربون اليه وشرعوا فى دخول عبلة عليه هذا وعنتر قد انفذ الى أصدقائه وأصحابه
ورفقائه وعمه مالك قد ذاب صميم مهجته وتأسف على ابنته كيف تخرج من بيته بغير شهوته فلما أن زاد به
الهم وضيقة الصدر بعث يشكو حاله الى الربيع وحذيفة بن بدر فتوجعوا لوجعه وسار وايدعون على عنتر
ومنهم رجل يسمى عماره لان فى قلبه من عبلة حراره ومازال بنو عبس على ذلك وأفراحهم كل يوم تتجدد حتى
وصل الى حذيفة كتاب من عند الملك الاسود وهو يخبره بخبر فارس الشان المنصان وما هو عليه من الشان
وهو يقول له أبشر يا حذيفة فقد دنا من بنى عبس القلمان الى آخر الزمان لانه قد وصل الى أخى النعمان
فارس لا يقاس بالفرسان وشجاع قد فاق كل الاقران لانه أسر فى ثلاثة أيام ألف فارس همام ولا تعب
ولا شق عليه ذلك الشان بل بقيت الابطال بين يديه مثل النسوان وأخى النعمان قد عول أن ينفذه الى بنى
عبس وعدنان ليقلع منهم الآثار ويخرب الديار ويقتل الكبار منهم والصغار ويهلك عنتر بن شداد
ويجعله معفرا فى الوهاد ويسكن عرب اليمن فى ديار بنى عبس وتلك الدمن لان أرض اليمن قد أقحطت
وأقبلت منهم قبائل تملا الفلا وتسد المستوى وقد شكوا الى أخى القحط والغلا وقلة العشب والمرعى فقال لهم
اجتمعوا حتى انى أنفذكم الى أرض الحجاز وتلك البيداء فان لى هناك أعداء فأهلكوهم عن آخرهم وانزلوا فى
ديارهم واتخذوها لكم وطنا ومرعى وسرحوا أموالكم فى جنباتها تسعى واجعلوا بنى فزارة لكم جوار وكونوا لهم
مساعدين وانصار ومعهم هذا الفارس الهمام الذى ذكرت لكم أنه يسير فى هذه الايام وهو فارس الشام
وسوف ترى معه مواكب مثل الجبال وكتائب مثل الرمل اذا سال فى جنح الظلام فدبر هذا الامر كما تريد
بحسن الاهتمام * قال فلما أن سمع حذيفة هذا الكلام أيقن ببلوغ المرام وأمل أن يصل الى ما أراده مع بنى
عبس وعنتر بن شداد الا انه لما أن سمع هذا الحديث كتمه ولم يطلعه على أحد مخافة أن يعلم بنو عبس فيحترزون
على أنفسهم ويكاتبوا حلفاءهم ويستخفوا بهم ثم انه بقى حائرا كيف يفسخ الصلح وينقض العهد حتى يكون

عونا للعساكر القادمة فيما بعد ﴿قال الراوى﴾ وأما عنتر بن شداد فانه قال للملك قيس الهمام الرأى يا ملك
اننا نجبر قلوب الارامل والايتام ونغمرهم بالانعام ثم نغير عليهم ثياب الاحزان ونلبسهم أفخر الالوان
والا لا انتهنى بولائم ولا باكل طعام ولا نلتذ بشرب مدام فلما سمع الملك قيس وأصحابه هذا الخطاب علموا أنه
صواب وصار قيس كل يوم يجمع الصعاليك وأصحاب الاحزان ويذبح لهم النياق والفصلان ويفرق على
النساء والصبيان ويسليهم عمن فقدوهم من الخلان ومازال على هذه الاحكام تمام العشرة أيام وبعد ذلك
تلافى قلوب النسوان وقال لهم يا بنات الاعمام ما يفيد هذا النوح والبكاء والانين والاشتكا ولا يرد الذى فقد لكم
وذلك انكم تبطلوا هذا الامر لاجل هؤلاء الاقوام الذين دعوناهم فى هذه الايام ﴿قال الراوى﴾ لانهم كانوا
جمعوا حلفاءهم لاجل الوليمة التى فعلوها ثم انه بعد ذلك كسى العريان وأشبع الجيعان وردف البنات
والصبيان وكذلك فعل عنتر بن شداد حتى قلعوا جميع النساء ما كان عليهم من لبس السواد وأبطلوا النوح
والتعداد هذا وعنتر واخوته قد أقاموا بخدمة من أتى الى الوليمة وكذلك والده شداد واخوته بادروا فى ذلك
العمل وساروا يجلبون له الخمر من سائر الحلل ويسعون فى قضاء أشغاله لانهم فرحوا بما حصل لابى الفوارس
عنتر وما ناله من الزواج وبلوغ الامل وكذلك عمه زخمة الجواد وقد أظهر ما عنده من الوداد * قال فلما انجزت
الاشغال بطل البكاء والعويل وأمر الملك قيس باخراج الهوادج وان تزين بيت الحلة وأبياته ومضاربه وتنشر
أعلامه وتعلى مراتبه فلما فعلوا ما أمرهم به وظهرت أعلام الديباج صاروا من الفرح غاية الابتهاج وبرزت
الولدان والبسوها من سائر الالوان وعقلوا فى أعناقهم قلائد الجوهر والمرجان واللؤلؤ غالية الاثمان وقد
لبست النسوان ثياب الافراح وقد تساوى عندهم المساء والصباح وأشهروا السلاح وركبوا الخيل الملاح
(قال الراوى) وكان أحسن الحلة بيوت بنى قراد وكان أفرح الخلق بذلك أبو الفوارس عنتر بن شداد وقد
أظهر العمارية الفضة التى قد أتى بها من عند الملك كسرى وكذلك التاج الذى هو محبوك بالجواهر والذهب
الوهاج وقد أظهر العقود واللؤلؤ والثياب الديباج (قال الاصمعى) فعند ذلك زاد الحى ارتجاج وقد صارا النسوان
والبنات والاماء يضربن بالدفوف واشهر العبيد بأيديهم السيوف وذبحت الاغنام والنياق وروقوا المدام
الى أن صفا وراق وصار اصفى من دموع العشاق وقد طاب لهم الزمان وغفلت عنهم طوارق الحدثان وقد
صفت الخمور فى الدنان وهم يذبحون الاغنام ويروقون المدام ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا على هذا الحال الى
تمام ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع والسرور اليهم متتابع وهم فى لعب وانشراح وأمر الزفاف قد انتجز
غاية الانتجاز وما بقى فيه خلاف فعند ذلك انفذ الملك قيس الى حذيفة واخوته وجميع الاكابر من عشيرته
وهو يحثهم على القدوم فى ذلك اليوم فاجاب حذيفة بالسمع والطاعة وقد تأهب من تلك الساعة فيمن
وافقه من الجماعة وقد عولوا على المسير الكبير منهم والصغير وقد كان سنان بن أبى حارثة منتظرا فى هذه الايام
للقبائل الذى قد جهزها الملك النعمان وهم مرتقبون فارس بنى غسان لان حذيفة كان اعلم سنان بما وصل اليه
فى الكتاب الذى أنفذه اليه الملك الاسود وقد أعلمه بالامر الذى حدث وتجدد وقال أنا أعلم يا سنان بان
العساكر تصل فى هذه الايام ولكن أنا خائف أن ينهى عنتر بوليمته ويدخل على زوجته ويقضى شهوته
وتدوم مسرته وأنا أريد أن أنقض العهد الذى بينى وبين بنى عبس ولا أحضر لهم عرس بل اننى اريد أن أكون
عونا للطوائف القادمين على قطع آثارهم وخراب ديارهم وأنا من ذلك حرت فى أمرى لا أدرى بأى شئ أفتح
لهم باب حتى لا أقرب لهم ديار لان فى أفراحهم حزنى وقتل فرسانهم غاية فرحى فياليت شعرى كيف حال عمارة
ابن زياد لانى أعلم أن جسده يذوب من شدة الغرام وان دخل على عبلة فى هذه الايام مات عمارة قهرا وذابت
أحشاؤه من الآلام ﴿قال الناقل﴾ ان كان الذى حسبه حذيفة صحيح فعمارة تعبان القلب من يوم ما صنع عنتر
هذه الولائم ولما قامت له الافراح زادت عند عمارة الاتراح لاسيما من يوم زينة عبلة فانه قد ابتلى بالهم
والدبله وقد أصابته ألف علة وكلما سمع صياح الافراح قد علا يزداد هما وبلا وكذلك اخوته اغتموا الغمه

وقد حملوا بعض همه وما حضر الوليمة منهم الا الربيع بن زياد لانه كان أعقل اخوته فواظب عند الملك قيس فى مقام الافراح وترك أخاه عمارة فى الهم والاتراح وهو يبكى عند أمه فى الابيات ومن حسده لعنتر قدمات وأما باقى اخوته فانهم أوسعوا فى البر وساروا الى المرعى وقد اشتغلوا بشرب الخمر ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ماروى فى هذه السيرة العجيبه والاحاديث المطربة الغريبه ان الحصين بن ضمضم الذى كان عنتر قتل أباه فى يوم وقعة المريقب وأسقاه كأس المنيه كما أشار لهذا الكلام فى القصيدة الميميه حيث يقول صلوا على طه الرسول

ولقد حفظت وصاة عمى فى الضحى * وتقلص الشفتين عن وضح الفم
ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن * للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما * والناذرين اذا لقيتهما دمى
ان يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

﴿قال الراوى﴾ وكان الحصين بن ضمضم هذا من بنى فزارة وهو ابن خالة حذيفة فاتفق انه ركب فى ذلك اليوم الذى نحن فى حديثه وطلب الصيد والقنص الى أن وصل الى المراعى التى لبنى عبس وقارب مراعى بنى زياد فنظر الى طالب أخى الربيع وهو تحت شجرة يستظل تحتها من الحر وهو جالس يشرب من الخمر وأرخى وراء ظهره عواقب الايام والدهر وهو يغنى بغناء العرب ولا يعقل لنفسه أمر وجماله قدامه تسعى وهى صحبة عبيده ترعى فاقبل عليه الحصين بن ضمضم وقال له ويلك يا ابن زياد ونسل القوم الاوغاد أنت أمنت فى هذا البر والربا وقد غنيت عجبا وطربا فقال له نعم يا حصين لان العرب فى ساحتنا والنصر على ألويتنا وسيوفنا نقد بها رقاب حسادنا لان رماحنا مداد وسواعدنا شداد فلما أن سمع الحصين مقاله تغيرت أحواله ولم ينظر ما بين يديه فرد رأس الفرس اليه وحمل عليه وطعنه فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره وحل به الفناء والخساره وعاد الحصين طالبا بنى فزاره ومازال سائرا الى أن دخل على حذيفة بن بدر وأخبره بما فعل من الغدر فلما سمع حذيفة مقاله فرح بأعماله وأجاد رأيه فى فعاله وقعد عن المسير الى وليمة عنتر هو مع اخوته واعلم بذلك فرسان عشيرته لانهم قد تجهزوا للسير والسفر لأجل افراح أبى الفوارس عنتر الا انهم لما علموا بهذه الفعال أخذوا أهبتهم للحرب والقتال وصاروا لبنى عبس فى الانتظار وقد خافوا ان يدهموهم على غفلة ليلا أو نهار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما جرى وكان من الأيراد (وأما ما كان) من أمر بنى زياد فبينما هم جلوس فى الحلة وهم يذكرون الوقائع فى سائر البيد اذ أقبلت عليهم العبيد وألقوا الصياح فى الحلة وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور فعندها أقبلت عليهم الفرسان وسألوهم عن تلك المصائب فقالوا لهم قد قتل سيدنا طالب فقال لهم من قتله وأنزل به البلا وألقاه قتيلا فى البر وهذا الفلا فقالوا لهم الذى قتله ابن ضمضم الحصين وكان على قتله قويا متين فعند ذلك أقام أهل الحى بالصياح وأقبلت الفرسان من سائر النواح ولبسوا عدة الحرب والكفاح واعتقلوا بالسيوف والرماح وأما بنو زياد فقد حلت بهم المصائب وهدوا الخيام والمضارب وأما زوجة الملك قيس فانها لما أن بلغها الخبر كاد قلبها ان يتفطر وهدت أبياتها وقد اجتمعت العساكر وهمزت الخيل بالارغاة وقصدوا أبيات بنى فزارة ﴿قال الاصمعى﴾ فبينما أهل الحى يتحدثون فى عرس عنتر ودخوله على عبلة اذ أتى اليهم بعض الرجال وأخبروهم بتلك الاحوال فقاموا وخرجوا من الحلة ليكشفوا الخبر عند طلوع الشمس فتبينوا العساكر واذاهم بنو عبس فقالوا لهم ما الذى أقدمكم علينا هل أنتم زائرون حتى نأخذ منكم حظنا والا طالبون حربنا وقتالنا فقالوا لهم ان الحصين قتل طالب بن زياد وعفره فى التراب والمهاد ونحن جئنا نخلص له بالثار من قاتله ونحل دماره ومرتحله فعندها قام فى وجوههم مشايخ بنى فزارة وقالوا لهم بالله عليكم احقنوا دماء القبيلتين ولا ترموا بيننا الشر والفتن فقال لهم بنو عبس ان اردتم أن تسلموا من التعس والنكس فسلموا الينا قاتل أخينا فقالت المشايخ لقد كان ما كان ونحن نعطيكم دية المقتول ونسألكم فيها القبول فعند ذلك أقبل حذيفة بن بدر الذى طبعه الخبث والغدر وهو يقول ابن خالتى كان سكران وما عنده علم بهذا الشان وهو زوج ابنتى ومن أهلى وقرابتى وأنا لا أسلمه لمن

يحكم فيه و يقتله بل ان أردتم دية المقتول على هذه الحالات فانا أنفذ اليكم عشر ديات ولا أنقض الايمان ولا أكون خوان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال هذا رجل فى الحرب جوال ولا حاجة فى جواره وسوف أقلع آثاره ثم انه ركب وركبت بنو عبس وقد عولوا على المسير فعندها أقبل عليهم نجاب من صدر البر والهضاب فوقفوا ليسألوه وأحدقوا اليه النظر ورمقوه واذا به عبد من عبيد المتجردة فعند ذلك تلقاه الملك قيس مع رجاله وأخذ يسأله عن حاله وسبب مسيره وقطع الفلاه وما معه من الخبر وما وراه فقال لهم العبد ورائى الويل والحرب وشئ يؤدى الى الموت والعطب فلما أن سمع الملك قيس ذلك المقال قال له ويلك وأى شئ هذه الفعال قال له أيها الملك الهمام دع عنك هذا الكلام وخذ أهبة الحرب والطعان فقد أرسل اليك الملك النعمان من عنده عسكرا جرار ومعهم فارس جبار وبطل مغوار وهو يظن انه يقطع من بنى عبس الآثار وأنا أخبركم أيضا أن الملك النعمان تخشى بأسه العربان لانه صاحب الحسب والنسب الذى حاز الفضل والادب بقى ثائرا بأى حجة يحتج بها فى قتالكم والنيران تتوقد فى قلبه من فعالكم حتى أتت اليه عرب من أطراف اليمن ومن تلك الأطلال والدمن وشكوا اليه القحط والغلا وقلة العشب والكلا فأمرهم بالمسير الى أراضيكم وأباحهم منازلكم ومراعيكم وسير اليكم قبائل جياع ما فيهم من يفزع من الموت ولا يرتاع ومعهم هذا الفارس الغسانى الذى ماله فى الحرب ثانى فى عرب الآفاق وهو يقال له مقرى الوحش فارس النياق وقد قال لأخيه الاسود اعلم يا أخى انه قد صار لنا حجة نحتج بها عند سائر العرب من بعد منها أو اقترب وان لامنا السيد عبد المطلب على هذه السبب نقول له ان هذه قبائل غريبة من بلاد اليمن وتلك المفاوز والدمن وقد طابت الاقامة فى أرض الحجاز وأرادت السكن فى تلك المفاوز وكان لها على بنى عبس دماء وثار وقد طلبتها من دون عرب القفار ﴿قال الراوى﴾ ثم ان العبد قال لهم وأنتم يا موالى خذوا الآن حذركم ودبروا أمركم للقاء عدوكم وأما أختك المتجردة فلا يسئل عنها الا جلكم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس من العبد النجاب ذلك الخطاب قال له ويلك أى شئ هذا الحال ولم لم تعلمنا بهذا المقال قبل توجه هذا الجيش الجرار حتى كنا نستعد لهم ونأخذ لأنفسنا الاحذار ونجمع حلفانا ومن نعتمد عليه فى شدتنا ورخانا فقال له العبد والله يا مولاى ان الملك النعمان قد وكل بسائر الطرقات رجال فزعا من مثل هذا الحال وما وجدت فرصة حتى سارت العساكر ولا بقى أحد يحتج على خارج ولا داخل فارسلت أختك الى بعض الاماء وقد أمرتنى بالمسير فى هذا المعنى وقالت لى الحق بقومى واركب بعض النجب واقطع البيداء وسر اليهم وأخبرهم من قبل أن تدركهم الاعداء وهم غافلون فيكون سبب هلاكهم وسوء ارتباكهم فعندها يا مولاى فعلت ما أمرتنى وشددت عزمى والحيل وقد سرت من الحيرة بالليل وقد أوسعت عنهم فى جانب البر مخافة أن تقع على العين ويعرفونى فيمسكونى ويقدمونى الى الملك النعمان فكان يسقينى كؤس الذل والهوان ويجرد على أختك المتجردة من أجل ذلك الشان ومازلت أقطع الاوعار والقفار أسير بالليل وأختفى بالنهار الى أن وصلت الى اطلالكم والديار ولى من حين ما فارقت الاعداء أربعة أيام وها أنا قد وصلت اليكم وأنا حيران من ذلك الشان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس كلامه وفهم معانيه اشتغل قلبه عما كان فيه وفى ساعة الحال رجع هو ومن معه طالبا الاطلال ولما وصل واستقر به القرار أرسل خلف عنتر الفارس الكرار فلما أتاه الخبر ركب هو وأعمامه مالك وزخمة الجواد وكذلك أبوه شداد وجميع فرسان بنى قراد ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر قد تخلف فى الاول عن الركوب ولما أتاه رسول الملك قيس احتاج أن يركب حياء منه وخوفا من عتبه ﴿قال الاصمعى﴾ وكان عنده ابن أخته الهطال فى جماعة من بنى غطفان الابطال لانهم كانوا قد أتوا ليحضروا عرس عنتر فأتاهم الامر بخلاف ما على بالهم فدخطر ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل عنتر عند الملك قيس خدم بعد ما سلم فعندها أخبره الملك قيس بالخبر وبكثرة الجيوش السائرة اليهم وأعلمه أن أخته المتجردة هى التى أرسلت اليهم من خوفها عليهم وقد أخبره بما تجدد وقال له يا أبا الفوارس ماذا تقول فى المعروف الذى حصل من أم الملك الاسود فلما سمع عنتر بن شداد كلامه اشتد به الغيظ وقال له ما أعظم ما قال وتكلم وقال يا ملك هذا كله من أيديكم حتى وصلت أذيته اليكم والا

لو كنتم مكنتموني من ضرب رقبة الاسود وقتل الفرسان الذين وقعوا في أيدينا ما كان جرى نصف ما جرى علينا
فعند ذلك قال له الملك قيس يا أبا الفوارس هذا الامر قد فات وذهبت منه الاوقات وقل لنا أى شئ عندك من
الرأى في هذا الامر والشان قبل أن تدهمنا طوارق الحدثان فان هذا العسكر الموسوم عدد النجوم ﴿قال
الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه وفهم هذه العبارة قال يا ملك ان نسير كلنا الى بنى فزارة ونضع فيهم السيف
قبل أن تصل الينا عساكر النعمان ونفرغ منهم ونعود الى هذا الشان ونلتقيهم ولو كان معهم عسكر خراسان
فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من عنتر قال له يا أبا الفوارس ما بقى علينا الا أن نفعل هذه الفعال لان
الاعداء قد قربوا الى الديار ووصلوا الى المعالم والاطلال ولو سرنا اليوم الى بنى فزارة ما وصلنا اليهم الا عند المساء
ونحتاج للمبيت الى غد وفي يوم أو يومين نبلغ منهم المنى ونحن نخاف من هؤلاء العرب الغريبة أن ينزلوا عند
غيبتنا وتبقى أموالنا بلا محامى ولا أحد منا عندها فينهبوا الاموال ويأسروا العيال وانى قد رأيت من الصواب
أننا نقيم ونتأهب الى الخصم والعدا ونقاتلهم حتى يبقوا مطروحين في أقطار البيدا فلما سمع العبد الذى
قد أتاهم بالخبر قال يا مولاى ما أظن القتل يكون فيكم الا القليل لكن الاسر كثير لان النعمان حرضهم على الاسر
ونهاهم عن القتل وقد أوصى بذلك القريب والبعيد وقال أحضروهم الى أسارى حتى أعذبهم وبعد ذلك
أسيبهم من الاعتقال لانهم قرائبى ونسائبى على كل حال وأما فارس غسان فقد ضمن رأس عنتر بن شداد وقال
للنعمان أريد منك ألف ناقة من النوق العصافيريه وتكون من جملة المهر والصداق وأنا آتيك برأس عنتر
ابن شداد ان شئت قتيلا أم أسيرا في الوثاق فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام قال له يا عبد الخير كذب هذا
الوغد اللئيم في مقاله فوحق من أوسع البيداء وبيده رقاب كل مخلوق لاتركنه أسيرا في أرضنا وهو بالذل موثوق
فعندها عاد الملك قيس الى الخيام وهو يقول الى فرسان بنى عبس ما فيكم الليلة من ينام الا وهو معتقل بالسلاح
ولا يصبح الا وهو معتد للحرب والكفاح ثم انه بعد ذلك أقبل على الربيع بن زياد وقال له لا تحزن يا ابن العم
وتظن أننا عن دم أخيك غافلون أو أننا بهذه الفعال راضون ولا نتركه يمضى هدرا فلا بد لنا من بنى فزارة مرة
أخرى ويصير لنا واياهم شان ونتمكن منهم كل الامكان واذا كسرنا عسكر النعمان ما نبقى من بنى فزارة
انسان فوالله لقد كان جوارهم بئس الجوار وان لم نقلع منهم الآثار لا يكن لنا معهم في تلك الارض قرار وبعد
ذلك لا يكون الا ما يريده الرب القديم الذى خلق الخليل ابراهيم وموسى الكليم ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان
من بنى عبس وأما ما كان من حذيفة بن بدر الذى طبعه الخبث والغدر فانه بقى بعد قتله طالبا بنى زياد منتظرا
ما يتجدد من بنى عبس وعدنان ومنتظرا قدوم عسكر الملك النعمان حتى يبادر بنى عبس بالحرب والطعان
فبينما هو على ذلك الحال واذا بالخبر قد أتاه من بعض الرجال أن عنتر والملك قيس كانوا ركبوا مع الربيع بن زياد
معولين على قتالكم وخراب دياركم فأتاهم الخبر بقدوم عسكر النعمان ومن قد سار اليهم من الفرسان فعند
ذلك رد الجواب وأمرهم أن يأخذوا أهبة الحرب والقتال فلما سمع حذيفة هذا المقال مضى عنه همه وزال
وانكشف غمه بعد ما كان قد اعتراه الذل والانذهال وقد أقبل على اخوته وسنان وقال لهم والله ما بقى لبنى عبس
الا القلقان وقد دنا هلاكهم ولا بقى أحد يقدر على فكاكهم ثم انه بعد ذلك نادى في بنى فزارة وقال يا بنى عمى خذوا
أهبتكم ولا تبالوا وبادروا الى أخذ الثار ما دام قد أمكنكم البدار فعند ذلك بات الحى يموج بالعدد والسلاح
والنساء قد قابلن البر بالصياح خائفين من الاسر والافتضاح ولم يزالوا على ذلك الحال حتى أصبح الله
بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها ركب حذيفة بن بدر على جحرته الغبراء وظهر الى الصحراء وقد تتابعت
وراءه الفرسان من كل جانب ومكان فلما كان وسط النهار قد وصل اليه فارس من عسكر النعمان وقال
له يا حذيفة ان كنت قد عزمت على أخذ الثار فالتقى غدا باكر النهار هذا العسكر الجرار والقبائل التى تسد
عين الشمس وقد سيرها الملك النعمان الى أرض بنى عبس وعدنان لانها غداة غد تصل حول الشربة والعلم
السعدى فلما سمع حذيفة ذلك الكلام زاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وما صدق أن الصباح يصبح
حتى انه صار في جيش جرار وجحفل يطير من حوله الشرار لانه ما وصل الى بنى عبس حتى أقبل عسكر النعمان

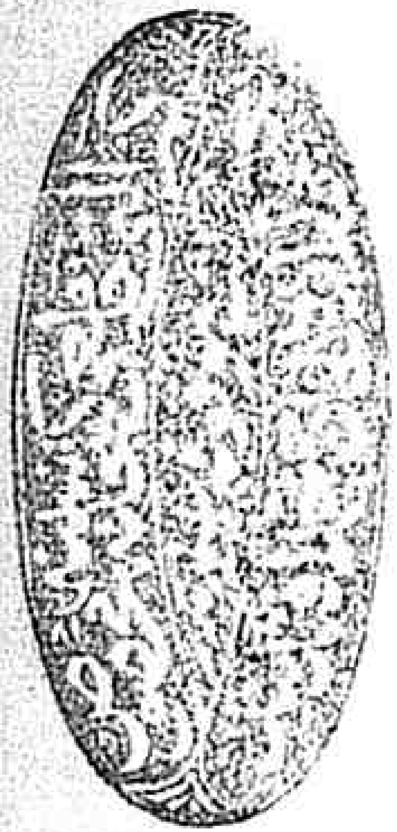
وطلع غبارهم حتى سد الاقطار وتتابع كموج البحار وضجت البرارى وعنت دهوتهم وانقلبت الارض
من ركض خيولهم وانتشرت في تلك القفار طولا وعرضا وأقبلت من سائر الجنبات وضاقت بهم جميع الجهات
واندهشت القوم من كثرة الرايات ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر عنتر بن شداد الى هذه الاحوال هانت عليه
المنايا والمصائب الثقال ورمى نفسه على الموت بلا خوف ولا محال ثم زعق زعقة دوت لها الجبال وقد أقبلت
العساكر متتابعة على نداه وقد كان صوته مثل الرعد في الغمام ثم أكب رأسه في قربوس سرجه وأرخى الى
فرسه اللجام وقد هدر وزمجر وزعق زعقة الرجال وحمل على الاعداء في المجال وردهم على أعقابهم عن الخيام
قوة واقتدار هذا وطعنه وضربه مثل شعل النار ﴿قال الراوى﴾ فلما رأت الفرسان ذلك الشان تراجعوا
من هيبته وارتعشت الابدان من زعقته وحامت بنو عبس لحملته وانبهرت بنو فزارة لما نظروا الى صورته
ودعس فيهم عنتر دعس الجمال وانزل بهم الذل والخبال فبينما هو على ذلك الحال واذا بالحصين بن ضمضم
قد التقاه وهو مشغول بالفرسان فطعنه بالسنان في صدره وضربه بالسيف على وجهه وقال له خذها وأنا
الحصين بن ضمضم فوقع الحسام في جبهته وجرحت عيناه فما قتله بل أرسل دماه فعند ذلك الامير عنتر زعق
زعقة ارتج لها الفلاه وحمل عليه وعلى من والاه فما وقف قدامه أحد الا وحل به فناه ﴿قال الراوى﴾ هذا
كله يجرى ومقرى الوحش وأصحاب النعمان واقفون ما فيهم من جرد حساما ولا مد سنانا لان مقرى الوحش
قال لهم لما أن رأى الحرب من أول الليل بينهم قد انتشب والله ان هذا بئس التدبير ومن هذا يتم لبنى فزارة
التدمير ولو كان مع حذيفة رأى ما قاتل في ظلام الليل بهذه الطوائف الغريبة المجهولة لهذه الطائفة القليلة
المملولة لان أكثرهم يقتلوا بعضهم البعض ويبقوا مطروحين على وجه الارض وبهذا ينكسر ناموسنا وتقع
بنا الخسارة وربما نهبت العرب أموال بنى فزارة وهذا قتال ما فيه فخر ولا فائدة لان الشجاع والجبان في
هذا الوقت سيان وبعد ذلك أنتم تعلمون أن الملك النعمان ما أمرنا بهلاك هذه الفرسان بل أمرنا أننا
نحملهم اليه ونقدمهم بين يديه ونسيرهم الى العراق وهم في أشد الوثاق لانهم قرايب على كل حال وهم
شجعان وأبطال وهو ما يريد منهم غير الطاعة ولا يخرجوا عن سنة الجماعة وأنا وحق دينى كنت أقدر أقضى
هذا الشغل وحدى سريع وأعود بالجميع ولكننى ما قدرت أرجع بهم الى الملك لما أنفذنى هذه القبائل لانه
أراد أن يأخذ بالثار من أجل حذيفة بنزول هذه العربان في هذه الديار لاجل ما بينهم من القرابة والنسب
ويذل بهم سادات العرب وما أراد أيضا أن يترك عندهم وفي جوارهم الامن يكون طوعهم وتحت يدهم
والصواب أننا نصبر حتى يطلع ضوء النهار ويبان ونعرف الرابح من الخسران ومن عمل في ذلك الوقت شيأ
يبين للفرسان وتشهد له جميع العربان ﴿قال الاصمعى﴾ ثم انه أقام الى أن طلع الصباح وقد ذكرنا ان عنتر
قد جرى له ما جرى وكيف دفع عن قومه العدا وكان قد قتل من بنى عبس ثلثمائة بلا خلاف وقتل من بنى
فزارة نحو ثلاثة آلاف وأصبحت الدنيا فضائح والقتلى مطروحة مثل الذبائح والدماء خضبت الارض
والربا والقرايب تندب على الاقربا ﴿قال الاصمعى﴾ ولما هدأت نيران الحرب وعادت الفرسان عن
الطعن والضرب أقبلت أصحاب النعمان على مقرى الوحش فارس الشام وقالوا له ما تقول الساعة في الحملة على
بنى عبس ونجعل يومهم هذا يوم تعس ونكس ونتركهم على الارض والرمال ونبلغ منهم الآمال وتكون
هذه وقعة الانفصال فقال لهم ما هذا الرأى صائب ولا نبلغ به شرف ولا يشكرنا عليه أحد ممن سلف لان بنى
عبس على كل حال طائفة قليلة ولا سيما انها تعبت في هذه الليلة وقد أصبح أكثرهم جرحى ومشرفين على
الهلاك والسالم منهم ما يقدر على نقل السواك وحملتنا عليهم في هذا الوقت ليست هى من الفخار ولا نبلغ
منهم محصولا وهم في هذا المكان طول النهار واذا كان في غد وأتى الصباح خرجت وضمنت لحذيفة بلوغ
آماله وآخذ له بثاره من بنى عبس وأقود فرسانهم وأقهر أبطالهم وأسبى أولادهم ونساءهم ولا أترك منهم
أحد واجعل هذا اليوم عليهم اسود ثم انهم نزلوا عن ظهور الخيل وقد مضى أكثر النهار وقرب دخول الليل
ونزلت الرجال وهم يشكون من التعب والملال وكان عنتر قد رجع وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال

عليه من أدمية الفرسان وذلك من كثرة ما ضرب بالسيف وطعن بالسنان وكان أكثر جسده جراحات لانه أظهر فروسيته وقوى صبره من غير شكوى ثم انه انطرح يطلب الراحة بعدما افتقد جراحه فعند ذلك أتى اليه الملك قيس واخوته ليفتقدوه وعن حاله يسألوه وقد جرى عليهم ما جرى من عظم القتال وفقد الرجال فتوجعوا له وشكروه على فعاله وسألوه عن جراحه لئلا يكون قد انفسدت صحته فقال أبو الفوارس عنتر الى الملك قيس أيها الهمام لا تخف ولا تحذر وحق الرب القديم الذى فى ملكه قد احتجب لا بد من هلاك الاعداء وأرينك فيهم غاية العجب وجميع هذه الجيوش انزل بهم الذل والعطب وأسوق بين يديك الفرسان وأرباب الرتب وصار أبو الفوارس عنتر يتحسر على من تخلص من بنى بدر من ضرب السيف الابتر ولا يجد للجراحات ألم ويقول ان لم أنل غرضى أموت وأعدم وقلبى خائف ان أموت ولا أقتل الحصين بن ضمضم وألحقه بأبيه وأنزل به العدم وان لم أنل الجواز لعبله فلا تزول عن قلبى هذه العله وان لم أدخل بابنة عمى فهذا عندى من كل شئ أصعب وأخاف أن يكون الاجل قد اقترب ❊قال الاصمعى❊ فلما سمع الملك قيس كلامه ومقاله رق له ورثى لحاله وقال لهم يا أبا الفوارس هذا أمر لا تحمل همه فسوف يكشف عن قلبك غمه وأنا أرجو من الرب القديم أننا نكسر هذا العدو والغريم ونفرقهم فى جنبات البيدا ولا نبقى من بنى فزارة أحدا ونعود الى مكاننا الذى كنا فيه ونتمم الافراح ونداوم بها مساء وصباح وتدخل أنت بابنة عمك عبله ويزول عنك الهم والعلة فقال عنتر هذا الامر ما يتم الا بعد قتل هذا الفارس الذى أرسله الملك النعمان وتكفل له بقتلى فى الميدان وأقول انه البارحة ما قاتل ولا خاض العجاج وان كان فعل ذلك فما هو الا فارس كريم وغدا تولى الحرب والبراز وتظهر شجاعته لاهل الحجاز ويكون ما قضاه رب زمزم ومنى اذا ما اختلفت بيننا سمر القنا فقال ابن اخته المطال والله يا أبا الفوارس ما نتركك تلاقى القتال وانت على هذا الحال بل نحن نتولى عنك ونلقى هذه الفوارس والابطال الى ان تبلغ الراحة وحسن الحال فقال عنتر وحق من احتجب عن العيون وعلم ما كان قبل ان يكون ما أنت يا مطال الا من اهل الافتعال ولكن بنو عبس لا يقوم لها عز الا بعنتر بن شداد فتبسم قيس من مقاله وعلم ان سعد العشيرة مقرون فى فعاله وقام الى تدبير الرجال ومداراة الابطال (قال الراوى) وكان أول من عبر الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب عنتر بن شداد وقد اصطلى بنفسه الحرب وقد دارت راحات الدائرات ورقصت الصافنات وكثر الصياح فى سائر الجنبات وظهرت بنو عبس من سائر الجهات بالتحرب امن بين المضارب والخيام ونشرت على رأس الملك قيس رايته العقاب وحمل عنتر بن شداد فى موكب بنى قراد وقد أظهر الجلد واخفى الكمد خوفا على قبيلته من كثرة العدد ❊قال الاصمعى❊ ولما أخذ كل انسان مقامه ومكانه وتأهب لضربه وطعانه وقد عولت المواكب على الحملة خرج من حجاب الملك جماعة وردوا الناس والفرسان وقالوا لهم امهلوا اليوم حتى يخرج فارس غسان ويقضى الاشغال للملك النعمان والا ينقضى علينا الزمان ويقع فينا النقصان لانكم البارحة خسرتم غاية الخسران وكسرتم ناموسنا بتلك الفعال فلما سمعت العربان الغريبة ذلك الكلام عادت وقبلت وأطاعت ❊قال الاصمعى❊ وأما بنو فزارة فانه غرها الطمع فطمعت وقال الحصين بن ضمضم لحذيفة بن بدر ايش هذا التدبير الفاسد أيكون الفعل لنا والاسم لغيرنا وحق ذمة العرب العربا ما أرضى بهذا الحكم أبدا ولا بد لى أن أكون اليوم أول من يبرز الى هذه الابطال وأطلب منهم القتال والنزال لانى شظيت عنتر بن شداد بالجراحات وما تركت فيه رمق وما أريد قتله الا على يدى حتى تعلم فرسان العرب باشاعة صفاته عند ذوى الرتب ولا أكون أنا قد جرحته ويفوز غيرى بقتله فيكون من أعجب العجب ثم انه صاح فى جواده وخرج الى حومة الميدان وصال وجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

يا أم قرى واهجعى واستبشرى ❊ فاليوم اشفى غلتى من عنتر
واذا رأيت الطير ينهش لحمه ❊ تحت العجاجة فاحمدينى واشكرى
أسد تركت لطعنتى فى وجهه ❊ أثرا يظل به قبيح المنظر

وأملت فوق سنان رمحى عينه ❊ وتركته مثل البعير الاعور
وديار عبس تنظرى عرصاتها ❊ من بعده مثل الفلاة المقفر

❊قال الاصمعى❊ فلما سمع عنتر مقاله ونظر فعاله تغيرت جميع احواله ورأى عروة بن الورد وابن أخته المطال قد تأهبوا للحرب والقتال وكل منهم قد عول أن يخرج اليه فى ساحة المجال فقال لهم اقصروا ودعونى حتى أشفى قلبى بقتله ثم انه فى عاجل الحال قفز اليه وشرار النار يطير من عينيه لانه كان قد تألم قلبه من بكاء عبلة لما اشتدت جراحاته عليه وكثر حزنها بين يديه فطيب قلبها وسكن فزعها فلما برز ذلك الوقت الى الحصين بن ضمضم فاجابه بشعر منظم وجعل يقول صلوا على طه الرسول



يا عبل لا يحزنك جرحى وابشرى ❊ بالنصر من سيف الغلام الاسمر
يا عبل لا تخشى على من العدا ❊ واملى جفونك بالكرى لا تسهرى
يا عبل دون خباك فى غسق الدجا ❊ ليث أشد من الهزبر القسور
قلى بكاك ان دمعك فى الحشا ❊ امضى من الرمح الاصم الاسمر
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ❊ ان كنت جاهلة فهل لا تنظرى
يخبرك من خاض العجاج باننى ❊ فرقت جمع القوم فوق الابحر
وتركت جمع فزارة متفرقا ❊ فى البر يرجف خيفة من عنتر
وكذاك شجعان الزمان ابدتهم ❊ بالرمح والسيف الصقيل الابتر
لا تفتخر يا ابن اللئام بطعنة ❊ وتقول قد شققت حجاب المحجر
أبدى الشجاع جراحه فى وجهه ❊ وجراحكم يوم الوغا فى الاظهر

❊قال الراوى❊ ثم انه بعد شعره طبق على الحصين وثار الغبار على الاثنين حتى غابا عن نظر العين هذا ومقرى الوحش قد زاد به الغضب لما رأى بنى فزارة قد فعلت هذه الفعال وقطعته عن ساحة المجال بعد أن كان قد عول على القتال ثم انه نظر الى فرسانهم وقد تقدمت الى عنتر وقربت اليه وهى تريد الحملة عليه فقال وحق دينى ما بنو فزارة الا قليلى الانصاف كثيرى الجور والاسراف وهم لا يبرحون فى الذل والخبال من أيدى بنى عبس الابطال وهى أكثر من عددها وأزيد من مددها هذا وهو ينظر الى عنتر وقد جعل اليه باله وقد أحب أن يرى قتاله لكثرة ما سمع عنه من فعاله فرآه بحر الايجال وجبلا لا تطاوله الجبال فلما نظر مقرى الوحش الى عنتر وهو فى قتال الفرسان قال وحق مكون الاكوان ما هذا العبد الا أعجوبة الزمان ولئن قهرته أناف الحرب والبراز لآخذن الطبقة على فرسان الشام والحجاز ❊قال الاصمعى❊ هذا وعنتر قد انطبق على الحصين بن ضمضم ومن كثرة ما لحقه من الالم تمطى فى كعوب الرمح وقام فى ركابه وطعنه فى صدره فاخرج طرف الرمح من ظهره الا انه ما وقع عن ظهر الجواد حتى ماجت بنو فزارة وصاح فيها حذيفة بن بدر وعول على الغدر فعند ذلك أتته الحجاب الذين للملك النعمان وقالوا له اقصر عن هذا الشان واصبر حتى تبصر ما يفعل فارس بنى غسان فلعله أن يبلغنا من عنتر المراد والا حملنا كلنا ونبلغ منه القصد والاسعاد ونجتهد غاية الاجتهاد واذا نحن فعلنا هذا الشان أمنا من عتب النعمان ولا يقول لنا انى أنفذت معكم فارسا من الابطال وهو الذى يقضى الاشغال فاخرتموه وقد متم الانذال حتى يفتخر بنو عبس عليكم بالبراز قدام عرب اليمن وعرب الحجاز ❊قال الراوى❊ فلما سمع حذيفة هذا الخطاب رجع حياء من الحجاب وخوفا من العتاب ثم برز مقرى الوحش الى الميدان وصال وجال ولعب بين الفريقين حتى حير كل عين وكان فارسا موصوفا وقد حير الحذاق وذكره قد شاع فى الحجاز والعراق وهو راكب على حجرة جيدة السبق تفوق لمعان البرق لا يبعد عليها الغرب ولا الشرق قد أخذت من الرياح عواصفها ومن البروق خواطفها وفى يده قنطارية خولنجية مكتوب عليها انا رسول المنية متقلد بمهند يقطع الدروع وعليه درع معلم مصنوع ❊قال الراوى❊ فلما قرب عنتر وصار معه قال له ويلك يا ولد الزنا قد أشرفت على الفنا وأنت سابح فى بحار العمى فوحق

المسيح انني قد اشفقت عليك وعلى عشيرتك من القتل والضيق لانكم فرسان المنايا على التحقيق وأنتم قد جلتم أنفسكم من عداوة النعمان مالا تطيق على ان كل احد يطلب لنفسه العلو والافتخار ولا يريد الاما يختار الأن العاقل يجب عليه أن يسمع كلام الناصح ولا يكون فى بحر الجهالة سابح فيكون عمره غاديا ورائح وأنت قد صار لك اسم فى هذه الديار وقد سمعت أيضا انه قد شاع فى جميع الاقطار وشهدت لك الفرسان بانك فارس نجيب وهكذا يكون الترتيب ومن لم يكن أبصر الاسد يصفه بالذيب والرأى عندى انك تسلم الى نفسك من قريب وأنا أحلف بدينى والصليب اننى آخذ لك الامان من الملك النعمان واتخذك لى صديقا على طول الزمان ولا تكلف نفسك قتالى وأنت بهذا الحال وترجع تطلب منى الاقالة فلا تقال فتحط منزلتك وتشمت بك أعداؤك وحسادك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام قال له ويلك يا قرنان يا مهان ايش هذا الهذيان اخبرنى من تكون من الفرسان حتى تذكر لى هذا الكلام يا جبان فقال له أنا مقرى الوحش فارس بنى غسان الذى قد شاع ذكرى فى سائر البلدان * قال فلما سمع عنتر هذا المقال حمل عليه فى ساعة الحال ونادى يا ابن الانذال خذ حذرك فى المجال واحترس على نفسك قبل ان أسكنك فى رمسك فلما سمع مقرى الوحش كلامه حمل عليه وأخذا فى الطعان والضراب وأظهرا ما حير عقل المشايخ والشباب وما زالا فى كر وفر حتى صارت الشمس فى قبة الفلك فرآه مقرى الوحش فارسا لا يطاق وعلقما مر المذاق فقال فى نفسه أطاوله فى القتال لعلى ان أأسره فى وسط المجال ثم انه ظهر من شجاعته له ما حير الاوهام وأخذ معه فى القتال والصدام وقد شاهدت العربان فى ذلك اليوم بطلين من أهل القوة والبراعة تبطل عندهما الشجاعة وقد زعق كل واحد منهما على صاحبه وصار يطاعنه ويضاربه * هذا وعبلة قد سمعت ببراز عنتر الى فارس الشام فخرجت الى أذيال الخيام وهى فى جماعة من النسوان ووقفن يتطلعن من حول الفرسان ويتضرعن الى رب العباد وأكثرن من الدعاء لعنتر بن شداد هذا وعنتر مبارز لمقرى الوحش فى موقف المزاد ولم يبلغ أحد من صاحبه مراد الى ان أقبل الليل بالسواد فعند ذلك انفصلا على سلامه وكل منهما محترز من طعن صاحبه ثم عاد كل واحد الى مقامه طالبا خيامه وأما عنتر فان الملك قيس تلقاه وبالسلامة هناه لانه رأى عصائب جراحه قد انحلت وفاضت بالدماء وانهلت وكان ذلك من كثرة الجولان وكان حين رجع فى حال لا يسر الخلان فعند ذلك سأله قيس عن خصمه لانه رأى فى عينه قوة ونشاط فقال له يا أبا الفوارس هل يكون الحرث بن ظالم فى طبقة هذا الفارس فقال له يا صاحب السعادة ان الحرث بن ظالم ما كان يتكل الا على غدره بالابطال والسادات على اننى لو لم يكن بى هذه الجراح العظائم ما كنت تركته يرجع من قدامى سالم (قال الراوى) ثم ان عنتر سار الى أبياته وهو مما هو فيه لا يعقل فدار به أعمامه وشدوا جراحاته والناس دائرون اليه وأما أمه زبيبة فانها ساعة عند رأسه وساعة عند رجليه وهى تخور خور البعير وتبكى بصوت كأنه صوت الحمير فقال لها عنتر أخفى عنى هذا الصوت الشنيع فلعن الله هذا الوجه المريع ثم انه بات وهو فى أشد الحال من ألم الجراح الى ان بدت غرة الصباح هذا ما جرى لعنتر بن شداد (وأما ما كان) من مقرى الوحش فانه لما رجع من حومة الميدان تلقاه حذيفة بن بدر وهناه بالسلامة والخلاص وقال له لا يضق صدرك أيها الفارس الهمام فوحق البيت الحرام لولا انك أوحد الفرسان ما وقفت قدام هذا الشيطان فلما سمع مقرى الوحش كلامه وفهم مراده قال له أما فروسيته وحق دينى ما أجحدها ولم أزل طول عمرى أذكرها لان انكار الحق من الانسان قبيح وما يجب على الانسان يقول الا الكلام الصحيح وأما عودتى عنه فانى أملت أنى اذا طاولته فى الحرب أصل اليه وقلت انه اذا أبصر جودتى وخبرتى بالحرب وكثرة معرفتى بالطعن والضرب يقبل على ويسلم نفسه الى ويطلب منى الامان من قبل الملك النعمان والا لو كنت طلبت قتله كنت قتلته من أول النهار ولكن فى غداة غد أعود اليه وان أيست من اسره أهلكته وعفرت خده وأتولى قتل عشيرته بعده (قال الراوى) فلما سمعت العرب منه تلك القضية منهم من صدق ومنهم من كذب مقاله لأجل خبرته بعنتر وشجاعته على فرسان

الجاهلية ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قيل وقال حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعندها تبادرت الابطال تريد الحرب والكفاح واصطفت الكتائب وتقابلت المواكب وترتبت الفرسان من كل جانب فلما اصطفت الصفوف وتعددت المئات والألوف فكان عنتر أول من برز الى الميدان وطلب براز مقرى الوحش لانه بات حامل هم عظيم الجلان فبرز له مقرى الوحش بين الصفين واشتهر بين الفريقين وافتكر حبيبته التى أقلقته وتيمته وآلمت منه الفؤاد وأتى من أجل مهرها الى تلك البلاد فافتكر أرضه وبلاده وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

نسيمك يا أرض الشآم يطيب * فداوى عليلا فى حشاه لهيب
وهبى عسى تلقاك ريح مسيكة * وأنفاسها من نشر طيبك طيب
فتاة يفوح المسك تحت لثامها * فتمزجه من ريقها فيطيب
اذا خطرت يهتز لين قوامها * كما اهتز من ريح الشمال قضيب
وان رنيتها أبصرت عين غزالة * تجاذبها عند العشية ذيب
تقول وقد جد الرحيل وأدمعى * تفيض على خدى كنهر صبيب
أما اللقا يا مقرى الوحش عودة * فقلت بلى ان الرجوع قريب
تودعنى والقلب تطلب قربها * دواما وتدعو مغرما فيجيب
وسرت الى النعمان ذا الملك الذى * له أين ما حل السحاب نصيب
فاوهبنى مالا ونوقا ونعمة * عطاء كريم والكريم وهوب
وسيرنى فى جحفل نحو فارس * تقر له الفرسان وهو نجيب
فقارعته بالطعن حتى اختبرته * فافسدما الاصلاح منه قريب
وعاركته عند البراز وبان لى * نهار برازى منه حرب عجيب
فان لم أهد اليوم بالسيف ركنه * فلا سر لى قلب بوصل حبيب

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ مقرى الوحش من شعره صال وجال ولعب برمحه يمينا وشمال وطلب البراز من الابطال فعند ذلك خرج اليه الهطال ابن أخت عنتر الفارس الريبال وصار معه فى مقام الكفاح لان خاله عنتر قد أصبح منكرو بامن ألم الجراح فتخلف ذلك اليوم عن الركوب وقلبه من الغم كاد يذوب الا ان مقرى لما رأى الهطال قد برز اليه أنكر غيبة عنتر وأقبل على الهطال وقال له ويلك يا غلام أين عنتر الفارس الهمام فان كانت جراحاته قد منعته عن الركوب فلا يلام وأنا وحق المسيح بالامس قد نصحته وأبقيت عليه وعن قتالى عدلته فركب معى طريق الزال وقال لى انه قد حان منك الاجل وقد حل بك الخبل فقال له الهطال اما سؤالك عن عنتر وتخلفه معك عن القتال فذلك احتقارا بك وبامثالك لانه رآك ما تصلح لقتاله ولا لحربه ونزاله ولا تعد من رجاله والافهو أحب ما اليه الجراح ورائحة دمائها فى أنفه أزكى من ريح التفاح لانها عنده عز وفخار وعند غيره ذل وعار وقد سمعت أنت وغيرك مقاله وما به نطق وتكلم عند خروجه للحصين ابن ضمضم لما كان عليه فى الجرح الذى بوجهه مفترى اذ يقول فى آخر أبياته

أبدى الشجاع جراحه فى وجهه * وجراحكم يوم اللقا فى الاظهر

وأما سبب خروجى أنا لقتالك فانى سألته البارحة فى نزالك وأقسمت عليه بعظيم الاقسام حتى سمح لى بالخروج اليك فى هذا المقام فدونك الآن والضرب بالحسام ولا تحتقر بالرجال الكرام ثم انه هجم عليه وصاح وارتجت لعظم صيحته البطاح وكذلك فعل الآخر ونزل عليه نزول القضاء والقدر ثم انهما أخذا فى الانطباق والتواصل والافتراق ولم يزالوا على ذلك الحال حتى كلت الخيل من المجال وافترقا عن القتال فعند ذلك أشار الهطال وأجابه على شعره يقول صلوا على طه الرسول

نسيمك يا أرض الحجاز يطيب * وريحك في وجه العدو لهيب
فقولي لمقري الوحش يرجع دياره * سليما والاعاد وهو سليب
فلولا حبيب غاية القلب والمنا * لما صرت من جور الهوى متعوب
تقول وتذكر حسنها وجمالها * وتبغي رضاها وهي منك غضوب
خليلي غزلي ملي ذكر سادة * فاني على حد الحسام كثيب
فكم قد سالنا نسمة عن ديارهم * فلا ذكرت خود النسا والطيب
فشكوى الهوى بين الانام مذلة * ولو كان في نشر النسيم مجيب
اذا كنت يا هذا صموت الى الهوى * فما تبتغي ان نازعتك حروب
فكم مثلك المذلول أرداه عنتر * بحد حسام فهو ليس يطيب
فلا تطمعن في حربه حين جرحه * فكل هزبر جرحه مخضوب
هو الليث لا يثنيه خوف كتيبة * وكل قضاء صرفه مكتوب
فعنتر خالي سيد الناس كلهم * ويمينه العوج والعيسوب
وما عنتر الا كليث كتيبة * وأفرس أهل الارض وهو رحيب
فان تدعي حقا بانك في الورى * كليث هياج دع فانك ذيب
فما أنت مقري الوحش أنت بخيلها * بقنص نياق في الورى محسوب
وأنت اذا ما رمت تبلغ قدره * وتلحق مجراه فانت كذوب
أنا نسله أنا فرعه أنا شبله * جارت عليك نوائب وخطوب
وذا اليوم قد وافاك بعض رجاله * واني الهزبر الليث والعيسوب
واني أنا الهطال اسمي حقيقة * سأسقيك كأس الموت فهو ينوب

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ الهطال من شعره وقد طربت الفرسان من نظمه ونثره قال له مقري الوحش أنت الهطال فارس الميدان وشجاع بني غطفان قال نعم أنا فارس البدو والحضر وابن أخت الامير عنتر قال مقري الوحش قد عرفتك بصفاتك ولكن اسمع نقيض أبياتك ثم انه أنشد يقول صلوا على طه الرسول

تعايرني بالعشق يا أنذل العرب * وأنت جبان ليس في الحرب تنتسب
وعنتر العبسي قائد عبلة * ومن حبها في قلبه النار تلتهب
فادم على فقد الجنان لقد بكى * ومن فقدحوا صار ينعى وينتحب
فمن هو أنا يا ابن اللئام تلومني * وقلبي كواه البين والضر والتعب
وحق المسيح الطاهر الاطهر الذي * نشا الطير من طين وفي زيه عجب
وأحيا الميت بعدما كان داثرا * رهينا ببطن الرمس والروح قد سلب
لاجري جميع الخيل في وسط أرضكم * أقود جيادي المقربات وانتخب
أنادي بأعلا الصوت في حومة الوغا * تعالوا الى عندي ترو امني العجب
فان كان عنتر قد توهن جرحه * فلا بد اذا القاه أشمت به العرب
واترك ديار القوم منه خلية * وأسقيه كأس الموت والمر والعطب
وأفني جميع القوم حقا بصارمي * واترك دما الابطال في الارض تنسكب

﴿قال الاصمعي﴾ ولما فرغ مقري الوحش من شعره انطبق على الهطال وأخذ في الكر والفر الى أن تضاحى النهار وأخفاها الغبار عن النظار فعندها وقع التعب بالهطال ورأى بين يديه بطلا لا يقاس بالابطال وفارسا لا يقع له أحد على عيار ولا يوجد مثله في سائر الاقطار فعند ذلك أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد لانه ما رأى على نفسه الهرب فصبر وقد أيقن بالعطب * هذا ومقري الوحش قد

عرف بحاله فعوّل على هلاكه لأجل ما قد سمع من غليظ كلامه ولاسيما وقد عرف أن عنتر خاله فصوب اليه السنان وأراد أن يطعنه وينجز أمره واذا بزعقة قد أخذته وعما عوّل عليه أوقفته قارتجت لها الجبال وقد شخصت لها جميع الابطال ليعلموا من هو الذي زعق هذه الزعقة التي تفلق الصخر والجلاد واذا به عنتر بن شداد وهو يقول ويلك لا تفعل يا فارس الشام مع من هو ليس من رجالك فقد أتاك من يعجل فناك ثم انه رد الهطال عن المجال وزعق على مقري الوحش وعليه قد صال ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في مجي عنتر انه لما كان قد انقطع عن البراز وصى أخاه شيبوب بالاحتراز وقال له اذا رأيت الفرسان قد حملت عليكم فاعلمني حتى أخرج اليهم واذا رأيت فارس بني غسان قد طلب البراز وقد خرج الى الميدان فعد الي وأخبرني بالخبر من قبل أن يؤثر في فرساننا لاني أعلم انه فارس جبار فاجابه شيبوب الى ذلك المقال وخرج من عنده لينظر ما يجري من القتال وانطرح عنتر ليأخذ له راحة مما به من ألم الجراحه ولم يزل كذلك الى أن عاد اليه شيبوب المحتال وأخبره بخبر الهطال وما جرى له مع مقري الوحش وقال له الحق ابن أختك في الميدان والا سقاه مقري الوحش كاس الهوان فلما سمع عنتر ذلك الخبر هدر وزمجر وركب في ساعة الحال على ظهر جواده الابجر وركض الى مكان القتال خوفا على ابن أخته الهطال حتى أدركه في ساحة الميدان وقال لمقري الوحش ذلك المقال ورد ابن أخته عن القتال وطلب مقري الوحش في عاجل الحال فلما نظره مقري الوحش قال له ويلك يا ولد الزنا هو أنت الذي تدعي الانصاف وأراك اليوم قد ركبت طريق الغدر والاسراف فلما سمع عنتر من مقري الوحش هذا الكلام قال له وايش الذي بان مني من الخلاف حتى تعايرني بقلة الانصاف فقال له مقري الوحش لانك قد أخرت عني خصمي بعد ما تعين لي أخذه أو قتله فقال له عنتر يا قرنان يا ابن ألف قرنان انت الذي تدعي أنك فارس الشام ومبيد الابطال وتطلب الفخر باسر الرجال فوحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم فيها مثقال وقدر الارزاق والآجال لو أن أعدائي بعدد الرمل وكلهم مثل هذا الغلام ما جعلتهم لي على بال فدع عنك التكلم بالمحال ولا تفتخر الا باسر الابطال واعلم ان هلاك هذا الصبي ما كان ينفعك لانك ما أتيت من عند النعمان الا في طلبي اذا أنت قتلتني أو أسرتني فتبقى كل بني عبس بين يديك ما فيهم بعدي من يلقاك فخذ الآن في حربي امتثال مثالك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع مقري الوحش من عنتر هذا المقال أطلق الاعنة وقوم الاسنة وهان على الاثنين فقد الحياة وما فيهم الا من أيس من الحياه وخاب أمله فيما ترجاه ولم يزالوا في قوة واجتهاد حتى صار بياض النهار سواد وهاج عنتر بن شداد وتعجبت من قتالهم العباد وما فيهم الا من أخذه القلق مما جرى عليهم من الخوف والفرق وتواعدت بنو عبس انها بعد عنتر تتفرق وصبر يومها كامس مضى وصبروا للاحكام والقضا وأشاروا بالدعاء لرب السماء في سواد الليل والظلماء ودام القتال بين مقري الوحش وعنتر حتى استهال النهار وتغير الاوان الا أن عنتر لما أن رأى حسن معرفته بالطعن سل حسامه الضامي وضرب به رمح مقري الوحش فابراه وطعنه بعد ما برى رمحه فصبر لها مقري الوحش حتى قاربته الطعنة فسلك مقري الوحش رمحه وقصفه نصفين وسل أيضا حسامه وقاتل به وبذل اهتمامه وما زال بينهما الامر على هذا القياس حتى ضاقت من الطائفتين الانفاس وما فيهم الا من انذهل وقال قد قربت الآجال وعمل بينهما القتال وثار الغبار واشتعلت بينهما النار الى أن مضى أكثر النهار وتعب مقري الوحش وضعفت أوصاله وخاف من عنتر وقتاله وصارت الدنيا في عينيه ظلام وطلب من عنتر الانفصال وقد انحلت منه المناكب والاوصال فقال عنتر لا وحق من لآدم خلق من صلصال ما نفترق الا بالانفصال فقال مقري الوحش يا عنتر وحق خالق البشر وخالق المسيح من غير ذكر ما قدر أحد يثبت قدامي الا انت لحسن صناعتي وطعن الرمح وأنا أعلم انك عجزت عن طعن السنان فضربته بالحسام الضامي والا ما كنت وقفت قدامي وان كنت أنت ممن يطلب الفخار فاصبر حتى أعود الى أصحابي وآخذ لي رمحا وأعود اليك ولا أفارقك الا بأمر الانفصال فقال عنتر لمقري الوحش أنا ما بقيت أرجع مشغول البال وهذا زور منك ومحال وأنا أعلم انك تخرج من قدامي

وترجع لي أبدا الا في قد ثبت لي انك مقصور على الثرى وفي هذه الساعة تكون ممدود وحق الملك المعبود
ما بقيت أرجع عنك وأعود الا بالانفصال والمقصود ثم أطبق عليه وقد طمع فيه لانه كان جرحه في موضعين
فانكب عليه وحمل فتلقاه مقري الوحش وقد استقتل ودام الضرب بينهما وأخفاهما الظلام عن أعين
الانام وتمايلت الصفوف وجردت السيوف وأنكر القريب قريبه وكل فريق حسب حساب صاحبه وهما
تارة يفترقان وتارة يلتزمان وطامت عليهما الغبرة وكثرت الهمهمة ومازالوا على ذلك حتى مضى من الليل
نصفه وأيقن مقري الوحش بزوال أجله ولاح له ملك الموت فاطلق عنان حجرته وطلب الهرب وأوسع في البر
والسبسب فصاح عنتر بأخيه شيبوب وقال ويلك يا أبا رياح أدركه قبل أن يوسع في البطاح * قال فتبعه
شيبوب كأنه البلاء المصبوب فهذا ما كان من هؤلاء ﴿وأما ما كان﴾ من حذيفة بن بدر صاحب الخبث
والغدر فانه صاح في بني فزارة وقال لهم دونكم وخلاص صاحب النعمان وقطعوا أنتم بسيوفكم هذا الشيطان
فعند ذلك غدرت بنو فزارة وصاحت بنو عبس من فزعها على عنتر هذا وقد انصبت عليهم المصائب وانشقت
البطون والترائب ثم تضاربوا بالضرب الوجيع هذا والعرب الغرباء ماجوا شرقا وغربا وأشبعوهم طعنا
وضربا ولم يعقل تلك الليلة الاخ أخاه ولا الولد أباه ولم يزالوا ينهبوا من بعضهم البعض الارواح الى أن أقبل
الصباح وعرف كل واحد رفيقه وبان له عدوه من صديقه فنظر الملك قيس يمينا وشمالا فما سمع لعنتر
حسا ولا خبر فعند ذلك حار في أمره واعتقدت بنو عبس فقد حاميتها فقصرت همتها وتأخرت الابطال الى
أطراف منازلها وعادوا يسألون عن عنتر فما وجدوه وسألت عليهم فرسان اليمن وبني بدر فاشتد الخوف
وعظم الامر وهجمت عليهم العرب الجياع وزادت فيهم الاطماع وخاف البطل الشجاع وتحير الجبان وارتاع
وارتفع الصياح من حولهم أي ارتفاع وندبت النوادب على المنازل والمضارب ونظر الملك قيس الى الموت
وقد لاح فهمز جواده وقد دار على فرسانه رآهم حيارى وصار ينادي يا بني عمي اتبعوني الى رأس التل والعلم
السعدي لان ما لكم طاقة بهؤلاء العربان واتركوا هذه الاموال فلعل هذه العرب تشتغل بالنهب ويقل
عنا هذا التعب وتذهب الآلام وتندفع عنا هذه القضية حتى تنكشف أمر هذه البلية ﴿قال الراوي﴾
وكان الملك قيس قال هذا المقال لما رأى بني عبس قد عولت على الهرب وخاف عليها أن تتفرق في البر فلا
يرجع يجتمع لهم شمل وتتمكن من قتلهم العدا الآن بني عبس لما أن سمعوا ما أشار به الملك قيس رأوه أوفق
لهم من الهرب وخافوا انهم يبقوا معيرة بين العرب فعندها اجتمعوا كلهم عند العلم السعدي وتركوا المال
والنعم والعبيد والبيوت والخيام والاولاد والحريم ﴿يا سادة﴾ فعندها تسابقت الابطال الى نهب الاموال
من الرجال واشتغلت بذلك الحال عن اتباع الرجال ووقع النهب في الابيات وانهتكت المخدرات وعلت
الضجات وسبيت عبلة وزوجة شداد وكانت أشد النساء حسرة بشرية أم عبلة زوجة مالك بن قراد وصارت
تنادي باسم عنتر وهي تتلفت يمينا وشمالا فلا ترى من يحميها من الرجال هذا وعرب اليمن قد وقعت في
نهب الاموال وقتل من تلك القبائل خلق كثير وكان الوغد منهم ينزل عن جواده ويحمل واذا أوسعه
يحمل على كتفه حمل وفي دون ساعة قلعوا المضارب والقباب وتركوا الديار خراب وعولوا على
الذهاب وكانت بنو عبس على رأس العلم السعدي وقد أخذت الراحة من كرب الطعان وعادت أرواحها
الى الابدان ونظروا الى النساء وهم يشيرون اليهم بالايادي وكل واحدة منهن تصيح بحاميها وهم يساقون غصبا
مع الاعادي * قال فقام من الابطال الامن قال أيها الملك المفضال والله ان ضربنا بالقواضب أهون علينا
من هذه المصائب وما عملت معنا خيرا بهذه الفعال ولا تركت لنا بين العرب رأسا تشال وقد سبيت الحريم
والعيال ونهبت الذخائر والاموال فقال لهم الملك قيس يا بني عمي أنا ما فعلت هذه الفعال الا حتى تستريحوا
أنتم من القتال ويشتغلوا عنكم الغربا وتنظروا بعد ذلك بأعينكم عيالكم كيف تسبى وتساق مع الاعداء
غصبا هنالك يبان الرجل الغيور من الذليل وها نحن قد تساوينا في المصائب وما بقي غير الجد والطلب
لان حاميتكم لا شك قد هلك والا فما كان يصبر على هذه الفعال ولا يمكن الاعداء من سبي العيال فليعرف

الساعة كل واحد منكم غريمه ويخلص منه حريمه من قبل أن تتفرق النساء وتصير لانذال العرب اماء ثم
انه كشف رأسه وحمل وانحدر من رأس التل وطلب الحرب وكان في أوائل الخيل عروة بن الورد وناجح بن
أسيد والهطال ومافيهم الامن ذكر عنتر يا ساده فانكادت بنو عبس في هذه الحالة من سبي العيال وعمارة
القواد يقول لاخيه الربيع بن زياد يا أخاه اجعل حملتنا الى الناحية التي فيها عبلة لعلنا نخلصها من أعداها
لعلها تكون من رزقي وأريد أبذل نفسي وأنتزعها وأكون أنا واياها أسارى فقال الربيع وقد أغاظه هذا
المقال ويلك يا مذلول السمال كيف أنت تشتغل بهذا الحال وقد سبيت نساؤنا ونهبت ذخائرنا وقتل أخونا
باقرنان وافتضحنا عند كل انسان فوحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم ان في قلبي حسرة أن أنظر عنتر
ولكن اذا كان حاضر ونظرت عينه الى عبلة وهي مسبية وعاين أيضا سبي النساء ما كنت ترى الا رؤسا طائرة
وفرسانا هاربة ثم انهم حملوا بعد ذلك وانتشروا فالتقوهم حجاب النعمان وبنو فزارة الفرسان لان حذيفة
منعهم من نهب الاموال فزعا من هذا الحال وفي تلك الساعة دارت المقادير ونزلت عقبان المنايا على الصغير
والكبير وسمع من القتلة من الاوداج شخير وما في الطائفتين الا من ينادي الثار الثار ويطلب فناء أعداه
وخراب الديار وكانت بنو عبس تقاتل وقلوبها على النساء والاطفال خوفا أن تبعد بها العرب الغربا وتتفرق
في القفار ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم كذلك واذا بالصيحات ارتفعت من كل مكان والقبائل قد اجتمعت
بعد تفريقها وانضمت الابطال وماجت يمينا وشمالا وأكثرها طلب رؤس الروابي والجبال ورمى
ما نهبت من الاموال وسمعت بنو عبس مناديا ينادي يا عبلة ابشري بالفكاك وهلاك أعداك فقد عاد
الفارس الفاتك والقرم المشابك * قال فلما سمع الملك قيس هذا النداء فرح قلبه وهدا وأيقن بالنصر
على الاعدا ثم طلع على رأس الجبل فأبصر عنتر قد رد جميع الاعداء ولهم من جنبات البيداء ومقري
الوحش عن يمينه يطعن في الاعداء وبين يديه شيبوب وقد مسك على جميع قبائل الاعداء الطرق * قال
فلما أبصر الملك قيس عنتر ومقري الوحش وشيبوب انجلت عنه الكروب ونادى يا بني الاعمام دونكم
والاعادي بالحسام فقد عاد البطل الجواد والفارس الطويل النجاد حاميتكم عنتر بن شداد فخذوا على
أعداكم الطرق حتى لا ينجو منهم أحد * قال فلما سمع بنو عبس نداء الملك قيس أمنوا على البنات والنسوان
واخلصوا في القتال الثبات وقلت من بني فزارة الحركات وحارت منهم السادات لانهم كانوا ظنوا ان عنتر
ومقري الوحش قد هلكوا ولما نظروا صورته وأبصروا مقري الوحش ناصحا في معونته خابت منهم الآمال
وأيقنوا بالوبال ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في ذلك ان مقري الوحش لما هرب في الليل من قدام عنتر وصاح
عنتر في شيبوب فجد في طلبه وطلبه أيضا عنتر حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكانت الخيل قد
قصرت وعلم مقري الوحش أنه ما له منه خلاص فمسك حجرته ووقف وقال له يا وجه العرب قد أهلكتني
من التعب وأهلكت نفسك خلفي بالطلب وما لك على مال تطلبه ولا معي مال تنهبه وان أخذتني فما
حياتي فداء ولا يلتفت الى أحد لان بلادي بعيد وأنا ههنا غريب وحيد على ان القتل كان لي أصلح من
الهزيمة وما لي سوى هذه الحجرة خذها مني وارجع عني واتركني وخلني أصير راجل وأنوح على نفسي بين
القبائل فعند ذلك رق له عنتر بعد أن كان على قتله قد عول وقال يا فتى والله ما تبعتك في طلب مال وانما
قصدي أسرك حتى لا تشغل قلبي في وقت آخر لانك تعلم من نفسك القوة والشجاعة وتقول في نفسك انك
أوحد هذا الدهر والبراعة فقال مقري الوحش وحق ديني أنا ما أحدث نفسي بهذه الاشياء فاني بقيت ميتا
بين الاحياء غريب الديار وما كنت تركت لي على كل بطل ناقة الا خوف القهر والبغي ونوائب الدهر فقال
عنتر يا وجه العرب ان كانت قصتك هذه القصة فارجع معي الى الخيام حتى أعطيك من النوق والجمال
والاموال ما تبلغ به الآمال وان كان ما لك قدرة على خلاص زوجتك فأنا أسير معك الى أبيها وآخذها لك
غصبا فان لم يجد بها والا فرقت شملهم وبددت جمعهم شرقا وغربا وأنا والله عاشق وقلبي يحب العشاق فقال
مقري الوحش ان أوفيت لي بهذا المقال خدمتك طول الدهر وأنا ما بقي لي الى النعمان مرجع ولا عوده

ومابقى اتكالى الا على الله وعليك ثم انه ترجل وسعى الى أقدام عنتر وقبلها فى الركاب فقبل عنتر رأسه وبين عينيه وشد صافحوا وصفا منهم الوداد وأخلص مقرى الوحش نيته وقال يا أبا الفوارس انا عن أمرك أفرق القبائل التى أتت معى ولا تضيق صدرك وأنا اقسم بالمسيح الذى اتى من غير أب ما بقيت أنزل من على ظهر الجواد حتى أفرق هذه القبائل ولو انها بعدد الكواكب فقال عنتر ما يحتاج يا أخى أن نتعبك نحن فينا كفاية لهم ولغيرهم ﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك قال عنتر لشيبوب يا ابن الام سر بنا حتى نلحق قومنا ونبصر ماجرى لهم فاعطى شيبوب ساقيه للريح وتبع عنتر أثر أخيه فما مضى غير ساعة من النهار حتى أشرفوا على بنى عبس والعرب قد ملكوا المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والاولاد وعبلة تنادى كانها حمامة الواد تقول أين أنت يا أبا الفوارس يعز عليك أن أساق مع الاعداء فسمعها عنتر وهى تنادى هذا النداء فغاب عن الدنيا وحل جملة من هانت عليه الحياة وبدد فى الفلاة شمل الذى سبى عبلة وقتله شر قتلة وبدل خوفها بامان وقال لها يا بنت العم من أبصر وجهك من هذه الرجال حتى أسقيه كاس الوبال فقالت كلهم يا ابن العم قال الكل سقيتهم كاس العدم وجعلتهم على الثرى رمم وكان الملك قيس وبنو عبس لما رأوا عنتر قد فعل هذه الفعال جدوا فى الحرب والطعان فى صدور الفرسان وصاحت صياح من أيقن بالاصلاح وكان يومهم شديد الحر والهجير وأشرفت فيه بنو فزارة على الهلاك والتدمير وطابت العرب الهرب وتفرقت فى كل واد وسبسب وانهزمت طوائف بنى فزاره وعادر بجها خساره ﴿قال الراوى﴾ وكان أخو حذيفة سبى تماضر أم الملك قيس فاخذها وطلب بها بطن الوادى فعندها صاحت تماضر من خوفها على نفسها وقالت يا حمل ما تريد منى فقال لها أنا قصدى هتكك وأذبح أولادك على صدرك فصاحت واويلاه واقلة رجالاه وقالت له ويلك يا ولد الزنا ما هذه الفعال ثم أرمت نفسها من على البعير الى الارض فماتت لوقتها وساعتها ﴿قال الراوى﴾ وقد عمل الحرب بين الطوائف الى أن قاربت الشمس قبة الفلك وسط النهار * وانهزمت بنو فزارة فى البرارى والقفار واجتمع بنو عبس على عنتر وهنوه بالسلامة والنصر على الاعدا وسأل الملك قيس عنتر عن غيبته فحدثه بما جرى بينه وبين مقرى الوحش * قال وكان من جملة من نهب حمل بن بدر أخو حذيفة فانه قد سبى تماضر أم الملك قيس وركبها على بعير وأخذها وسار بها الى الوادى فتبعها جوارها وخدمها فعندها قالت له تماضر الى أين داخل بى فى هذا المكان حتى تقول عنى العرب شيأ ما كان فعندها قال لها حمل يا تماضر انى أريد اليوم هتك سترك وذبح أولادك على صدرك فلما سمعت تماضر ذلك الكلام صاحت وبكت وأنت واشتكت ثم انها من غيرتها على نفسها من الفضيحة ألقت نفسها من على البعير فاندق عنقها وماتت من ساعتها فبكت جوارها عليها وصاحوا الى أن أقبل الملك قيس بعد الحرب والقتال فوجد البكاء والنواح وقد سأل عن ذلك فاخبره الجوارى بذلك الامر وبما كان من حمل بن بدر وما جرى منه فعند ذلك بكى الملك قيس وأن واشتكى وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ألا يا عين فيضى اليوم عبرا * تسيل على الخدود دما ونثرا * ألا يا عين فابكى من غرام
لفقد السالفين وذوقى حرا * ألا يا عين ابكى على زهير * وبعده مالك بن زهير فخرا
ألا يا عين أبكيهم بوجد * من الاحزان ما فى القلب صبرا * ألا يا عين ما تبكى لقوم
بقوا فى الارض بعد العز عفرا * غدرهم ذا الزمان وصادفتهم * حوادثه فذاقوا فيه قهرا
ألا يا آل بدر قد بغيتم * بقتل أميمتى ذا اليوم جهرا * ظننتم انكم ذا اليوم تنجوا
وتحظوا بالفخار وبالمسرا * فقد وافاكم صرف المنايا * وقد جئنا كمو بالسيف جهرا
أتاكم عنتر يبغى لقاكم * ولو كنتم بعدتم ألف شهرا * فلو جاء قيصر والروم معكم
وأهل الشام والافرنج نصرا * ولو جئتم باهل الارض جمعا * ولو جاكم مليك الفرس كسرى
لقينا كم باسياف حداد * على خيل مضمرة وشقرا * بنى بدر لقد جرتم علينا
وكنا قد تركنا الحرب مرا * بنى الاعمام ما هذا مرادى * ولا فى خاطرى ذا الفعل يجرى

فانتم قد بدأتم بالرزايا * فعاد الظلم منى مستمرا * أيا خونى لوالدتى تماظر
سقاها اللعين الكاس مرا * سأفنى جمعهم بالسيف قهرا * وأترك دمهم فى الناس هدرا
وآخذ ثارنا منهم ويبقى * حديثا فى الزمان يدوم دهرا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الملك قيس من انشاده تناثرت من جفونه العبرات فتقدم عنتر وقال يا مولاى أنا أقضى هذا الشغل عنكم وأقتل جميع أعداكم ولو اجتمعت عليكم سائر العرب والقبائل ولا أحوجك الى تعب نفسك قال فلما سمع الملك قيس كلامه قال له جزيت خيرا وشكره وقال له يا أبا الفوارس ما أشفى فؤادى الا بيدى وأنا لابد لى من قتال حذيفة وأشفى غليل كبدى ولكن أنت يا أبا الفوارس تجمع بنى قراد فى موكب واحد وتأخذ فى الطريق اليسرى وأرض الحنظل وغدير ميسر حتى أسير أنا واخوتى على اليمين لانى أخاف أن يكون ظنى قد خانى فيفوتنى المقصود ولا أتمكن من هلاك بنى بدر والجنود ﴿قال الراوى﴾ فعندها قبل عنتر ما به أشار وأخذ مقرى الوحش وسار ومعه عروة بن الورد وبنو قراد وقصدوا الطريق اليسرى وقد ترتبت القبيلة هذا الترتيب والملك قيس واخوته يضجون بالبكاء والنحيب وكيف أصابهم هذا المصاب من الاقارب والانساب ﴿قال الاصمعى﴾ ولما بعدوا عن مكان الواقعة وقربوا من الاوطان فعندها عرف الملك قيس أثر فرس حذيفة الغبراء فى الرمل فتبعها فسار عليه قليلا فى الصحرا واذا مع الحافر أثر قدم حذيفة متمكن فى الرمل فصح له انه بو سار على الاثر وهو يقول لهان الدليل عندى أثر الفرس وما زال يتبعه

﴿تم الجزء التاسع من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد﴾
﴿ويليه الجزء العاشر وأوله من بقية هذه القصة قال الراوى وكان حذيفة﴾

الجزء العاشر

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليه





م

محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندي شرف
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر



الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قال الراوي﴾ وكان حذيفة مع الهزيمة وهم مهزومون قد انحل حزام فرسه فعند ذلك نزل فشده وعاد الى سرجه فبقي أثر قدميه في الرمل فسار الملك قيس واخوته على هذا الاثر وقد صح عندهم الخبر ولم يزالوا سائرين والى ديار بني فزارة قاصدين الى وقت العصر فعندها أشرفوا على بني فزارة وهم على جراحها فلما رآهم الملك قيس ازداد لهبا * قال وكان بنو بدر على الغدير نزول وقد طارت منهم العقول وكان جماعتهم حذيفة وحمل أخوه ويزيد وبلال وباقي سادات بني فزارة وتمام الاربعين بطلا * قال وكانت بنو فزارة في هذه الوقعة قد أفناهم السيف وما نجا منهم الا القليل من ساداتهم وأبطالهم والذي نجا منهم ما قعد يقرب من الاوطان بل هجوا على وجوههم في البيداء واستجاروا بقبائل العرب لانهم علموا أن بني عبس بعد هذه الوقعة لا يتركون منهم انسان وأما حذيفة واخوته فانهم نزلوا في هذا المكان الا أنهم طلبوا الهلاك والقلمان فضاقت عليهم الدنيا من كل مكان وغدروا بني عبس مرارا وما بلغوا منهم غرضا فنزلوا على الماء وهم مثل الاماء وما فيهم من يقدر يرفع رأسه ولا يحرك لسانه * قال وكان حذيفة قد أخذ ولده حصن في هذه النوبة حتى يعلمه المجال والفروسية مع الابطال لانه كان ولدا نفيسا تام الخلقة في صورة حسنة وكان عمره خمسة عشر سنة الا أنهم لما نزلوا على هذا الماء سرحوا خيلهم ترعى وقد أخذ حذيفة ولده حصن الى صدر الوادي وقبله وقال له يا ولدي هذه قبلة الوداع وما بعدها لقاء واعلم أنني وأعمامك راحلون من الدنيا وفي قلبي من بني عبس نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وأريد يا ولدي ان بقيت بعدي وقدرت على بني عبس لا تبقي منهم أحد وكذلك اخوته نزلوا على شفير الحفر وقد هجروا المنازل والاطلال والنساء والعيال وكاد زمان القوم ينقضي بالنكاد لانه لم تكن لهم شريعة تردهم ولا دين يصدهم وما كان قصدهم غير الفخار على بعضهم والاسم الشائع في جنبات الارض وكان ثارهم أبدا لا ينام وجارهم لا يضام وانطرح حذيفة واخوته وما فيهم الا من هو على صفة القتيل فعند ذلك أقبلت عليهم بنو عبس وأسنة رماحهم تلوح في شعاع الشمس وكان حذيفة في ذلك الوقت يعاتب اخوته ويبكي من شدة الغلبة ويقول وحق الرب المتعال الموت على أهون من هذا الحال وحق رب العباد خالق الخلق من تراب لو علمت انكم تطيعوني على ما أريد لأمرتكم بقتلي واهراق دمي على

الصعيد لان القتل بقي عندي أحسن لي من معاداة بني عبس الذين قد فنيت عمري في عداوتهم وما شفيت غرضي منهم فعندها قال له حمل أنا والله يا أخي ما أنحل جسدي وأذاب كبدي الا عنتر بن شداد ولولا عودته في هذه النوبة كنا قلعنا أثر بني عبس وكنت أريد بعد ذلك كله من يضرب رقبتي ويفرج كربتي حتى لا أنظر ولا أسمع فعندها نظر حصن بن حذيفة خيل بني عبس فنزل الى أبيه وهو يبكي وقال قم يا أبي فان الاعادي قد تبعوا آثارنا الى هاهنا وهم يزجون الحديد وقد انتشروا حتى ملؤا الارض والبيد وقد أخذوا علينا الطرقات من كل الجنبات فعندها قال حذيفة وهذا الذي كنت أريد وحق الرب القديم لا عدت أجرد في وجوههم سيفا ولا قنا ولا طلبت عليهم نصرا ولا نجا مادام قد أذاني لهم رب الارض والسما فعندها قال حمل كذلك فلما سمع باقي بني فزارة هذا المقال هان عليهم القتل بلا قتال فتواثبوا يطلبون الخيل الجياد واذا قد سبقهم موكب بني قراد وفي أوائلهم مقري الوحش وعنتر بن شداد فقال مقري الوحش يا أبا الفوارس دعنا نبذل السيف في هؤلاء الاشباح ونتركهم مجندلين في الروابي والبطاح وتلاقي الملك قيس برؤسهم فوق الرماح فقال عنتر يا أخي ما هذا صواب لان القوم أقارب وأنساب ونحن نريد أن لا يكون لاحد علينا لوم ولا عتاب لاني لو كنت طلبت هلاك القوم ما تركت منهم ولا ابن يوم فعندها قد وصلت بنو عبس وفي أوائلهم الملك قيس وهو ينادي لبيك يا ولدي * قال وكان نداؤه على ولده الذي قتله حذيفة في وادي اليعمورية بالنبال وقال له حذيفة ناد يا بيك يخلصك من الهلاك والوبال قال وقد سمعت بنو فزارة نداه فعلمت معناه فعندها قال حذيفة لاخيه القتل ما بقي منه خلاص فلا نذل انفسنا ولا نطلب منه خلاص فقال حذيفة ومن ذا الذي يريد الحياة ويهرب من الوفاه وحق من أنزل الغيث وأجراه وخلق الانسان وسواه لو أتاني كتاب من السماء فيه توقيع بملك الدنيا وبنو عبس فيها ما أردتها طول الحياة وأنا قد علمت أنهم في هذه المرة لا يخلوا منا أحدا (يا ساده) وقد اصطفت خيل بني عبس على شفير النهر وملكوا عليهم الطرق من سائر الجهات وقد وقف الملك قيس واخوته تحت الرايات ونادى يا ويلكم يا بني بدر الى كم أحلم عليكم وأنتم تجهلون وأعفو عنكم وأنتم تغدرون وأصدق وأنتم تكذبون فاريد اليوم تروني من يخلصكم من هذه المصائب والآفات ومن يحميكم من السيوف المرهفات وأنت يا حذيفة اذكر ما قدمت يداك من قبيح الفعال وتحرك الى الاطفال وضربك فيهم بالنبال وأنت يا حمل يا نذل العرب اذكر قولك لامي في ذلك اليوم وقد أخذتها من بين القوم وقد سألتك أن تسترها فقلت لها يا عاطر ما قصدي الا فضيحتك وهتك سترك وذبح أولادك على صدرك يا ويلكم ما حسبتم حوادث الايام كم تحلفون وتكذبون وتعاهدون وتغدرون فعندها صاح حذيفة وقد استقتل وهان منه الاجل وقال ويلك يا ابن زهير لمن تعني بهذا الكلام ولمن هذا العتب والملام وحق من أفنى الامم الرب القديم لو حلفنا لكم في كل يوم ألف مرة لغدرنا ولا عن ذبح اخوتك نحيد اذا قدرنا فافعل ما تريد ودبر أمرك ولا تدع منا ديار ولا تخلي منك ومن اخوتك الديار ولا يكون لنا ولكم هدو ولا قرار والقتل لنا أبرح ولكم أصلح لانه ما بقي فينا من يجرد لقتالكم حسام ويدفع عن نفسه غائلات الحمام لاننا من قبل أن تصلوا الينا أردنا أن يقتل بعضنا البعض ونستريح من الحياة ما زلتم على وجه الارض ولكن يا بني عمي بحق ما بيننا من صلة الانساب ما فيكم من يأتي أحدنا من بين يديه حتى لا يقع عينه في عينه فيشق ذلك عليه بل ينحره من نقرة قفاه ويعجل له الوفاه لان المواقفة صعبة ثم بعد ذلك الكلام نكس حذيفة رأسه وبكى بكاء شديدا فعندها صاح الملك قيس يا للثارات من الاعداء دونكم واياهم وعجلوا فناهم ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ترجل قرواش بن هاني وفي يده حربة ماضية على الارواح قاضيه وضرب بها حذيفة في صدره فرقت من ظهره ونزل من بعده الحرث بن الملك زهير وفي يده سيف أخيه مالك صاحب الوجه الضاحك وهو ينادي يا ثارات أخي وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

فلو نبشوا المقابر عن أخينا * وعاين يومنا ذا لا نبالي * فليت الارض شقت عنه يوما
لينظر مالك فعل الرجال * تركنا بالحياة سراة بدر * يعجون المنايا بالعوالي

حذيفة والفتى حمل أخوه * وجابر مع يزيد مع بلال * تركناهم بأرض النهر صرعى
بأسياف مهندة صقال * فنقتلهم وعن بكرة أبيهم * وتنساق المنية بالنبال
سراة الناس كانوا أين حلوا * أسود الحرب في يوم القتال
بغوا فخروا وطغوا في كل أرض * قفارات أجنتها خوالي

﴿قال الراوي﴾ ياسادة ولما نظر الربيع بن زياد الى فعل الحرث بن الملك زهير صاح واحرباه عليك ياطالب اليوم آخذ بالثار وأطفي ما في قلبي من لهيب النار ثم ترجل ونزل الى حمل بن بدر وطعنه في صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ومسكه من ذقنه وذبحه وقطع رأسه وأخذها في يده وأنشد وجعل يقول

سقيناهم في القتال سراة قوم * كؤس الموت من بيض وسمر * أدرناها عليهم مسرعات
فما لواهي الفلاة بغير خمر * وكانوا أعظم الثقلين قدرا * وأوفى همة في كل أمر
اذا ركبوا جياد الخيل ثارت * عجاجة خيلهم في كل قطر * وان وهبوا يسيل ندى عطاهم
الى الاقطار في بر وبحر * ولولا خلفهم لبكيت حزنا * على ما نالهم في كل فخر
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي يقلع كل أثر * ألا كم قد نهيناهم فعادوا
وقادهم الهلاك بكل فقر * وغرهم الزمان فخادعونا * وصرف الدهر يخدع كل حر
فنحن الخاسرون بما فعلنا * فواشوقي على أولاد بدر
قطعت بقتل سيدهم بناني * ولكني شفيت غليل صدري

﴿قال الراوي﴾ ثم نزل من بعده الربيع بن الاصلع وقطع رأس يزيد أخي حذيفة وطلع وقد تتابعت الفرسان أصحاب الثارات فعندها قتلت باقي السادات وامتزجت الحفر بالدماء وانهتك الستر عن بني فزارة وبقيت ملوكهم مطروحين في الفلا هذا والملك قيس يعاين ماجرى ويبكي على سادات بني بدر وبني فزارة كيف أصابتهم هذه المصائب لانهم قرائب ونسائب * قال ومن شدة ماجرى عليه من البكاء والاحزان ترجل عن الحصان ونادى واحسرتاه وابلوتاه عليكم يابني فزارة ويابني بدر الابطال الكرام والملوك العظام والله لقد نزل الذل بعدكم على بني عدنان وقد جرى على قلبي كثير من الاحزان ثم بعد ذلك بكى وأن واشتكى وأنشد وجعل يقول

ان يوم القتال أورثني الذل فاصبحت ظالما مظلوما * يوم فقدي سراة أبناء بدر
حين كانوا العالمين نجوما * اطعموا داحسا وكان جوادا * قتلوا مالكا وكان كريما
فجعوني في مالك بن زهير * واحدا كان منهم معلوما * فقتلت الجميع حتى أزلت
بدماهم ناري فزادت سموما * ليتني كنت قبل فقد بني بد * ر قتيلا وقد فقدت النعيما
طال حزني لما سمعت نداهم * بعدنا من يكون يرعى الحريما * اطعم القوم داحسا حذر السيـ
ـف لقد كان داحسا ميشوما * ظلمونا ببغيهم وظلمنا * معشرا كان يومهم محتوما

﴿قال الراوي﴾ ياساده ولما فرغ الملك قيس من شعره في بني بدر السادات انهلت من بني عبس العبرات وجرت على الوجنات ﴿قال الراوي﴾ وقد طلع حصن بن حذيفة وشق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه وقبل رجل الملك قيس في الركاب ودموعه تجري على خدوده وقبل يداه وقال له ياعماه ان كان قلبك ماشتفي وقد عولت انك لاتبقي من بني بدر أحد فاذبحني أنت ياعم بيدك حتى تطفي نارك بدلك ثم سلم اليه سيف أبيه واضطجع بين يديه * قال فعندها زادت بالملك قيس أحزانه وأوقدت نيرانه وجرت دموعه من أجفانه وبكى أيضا اخوته وفرسانه فعند ذلك قال والله ياولدي لو كنت فعلت هذا الفعل من قبل هذا الامر ما كان نال أباك ولا اعمامك هذا المنال والآن قد فات الامر فيمن مضى وننظر حوادث الزمان فيمن بقي وأنت ياولدي المقدم فيهم بعد أبيك وأنا أحفظك وأراعيك ﴿قال الراوي﴾ ثم أقام تلك الليلة على بساط العز وعند الصباح عولوا على العودة والرواح فاذا بغبار قد ثار من نحو بني فزارة وعلا وضوته قلب الدنيا في جنبات الفلا وضجيج ونواح وبكاء وصياح فعندها قال الملك قيس أنظروا ماهذا السواد المقبل والغبار وآتوني بما تحته من الاخبار فلا شك ان بني فزارة وفرسانها أتت تطلب الامان على الاولاد والنسوان لانهم خلق كثير وسوادهم أشد من سواد الليل فعندها تجارت الفرسان وتبادرت الشجعان من ساعتها وعادت وهي تقول ياملك الزمان هؤلاء نساء بني فزارة اجتمعوا وهم للشعور ناشرات وفي أيديهم السيوف المشرفيات يطلبون قتالنا فلما سمع الملك قيس ذلك المقال قال يحق لهم أن يفعلوا هذه الفعال لاننا فجعناهم في ساداتهم وتركناهم بالحسرات ثم قال لحصين بن حذيفة اركب جوادك ورد النساء قبل قدوم المساء ثم انه ركب جواده وردهم الى الديار وأما الملك قيس وبنو عبس فانهم عادوا طالبين أرضهم وجبال بني عبس قطعوا رؤس بني بدر ورفعوها على رؤس الرماح ولهم طرب وأفراح وقيس دائم البكاء عظيم الاشتكاء لايعول على أحد وهو سائر في أول الجيش يترنم بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

أبيت مسامرا نجم الثريا * وقل تجلدي ووهى بناني * رجعت ونوم جفني قد جفاني
وقد ألقى بكلكله الجران * وبات الليل مشتملا علينا * كذا البدر ثم الفرقدان
وناح من الشمال حنين ثكلى * تقارب من أواخرها التداني * وبت أرى نجوم الليل حتى
كأن بجانبي وخز الاسنان * فهمت وغابت الشعراء عني * تلوذ بها كحائلة القيان
وصار الدمع ممزوجا بدم * على حفر الهباة من الهوان * لقيت اذن بني بدر بن عمرو
وسيفي من حذيفة قد شفاني * شفيت النفس من حمل بن بدر * وأصبح لونه كالارجوان
أثاروا الحرب عدوانا وظلما * وان الاهل حقا من أواني * وكانوا أهلنا فبغوا علينا
كما لاقت بنو عبد المدان * ولجوا في عداوتنا فلاقوا * بسبق الخيل في سبق الرهان
فلو طلبوا الامان عفوت عنهم * ولكن خالفوا والموت داني
واني قد شفيت بهم غليلي * فلم أقطعهم بسوى السنان

﴿قال الراوي﴾ ودخلت بنو عبس ديارهم وأوطانهم وصارت الفرسان تدخل على الملك قيس وتعزيه وبالنصر والظفر تهنيه وهو متواصل الاحزان على بني عمه وهو مشغول بهمه وغمه سبعة أيام قال وفي اليوم الثامن دخل عليه عنتر بن شداد وجماعة من بني قراد والربيع بن زياد ومقري الوحش والرجال الاجواد وقد أخرجوه من بيت الاحزان وأنسوه نوائب الزمان وقال له عنتر بن شداد أنت اليوم ملك العربان من بني عبس وغطفان وبني فزارة وذبيان وحكمك نافذ في القبائل والفرسان والذي جرى على أعدائك بسعادتك ياملك الزمان يجب عليك انك تولم الولائم وتترك الاحزان ﴿قال الراوي﴾ ومازال به عنتر بن شداد والربيع بن زياد حتى أسقوه المدام وسألوه عما أحدثه في هذه الايام ولما كان في اليوم التاسع صنع وليمة عظيمة وجمع فيها سائر السادات والاقارب ودارت الكاسات واغتنموا اللذات ثم أخذوا في حكاية ماجرى لهم في أمر بني فزارة والقتال ومن هلك بينهم من الابطال وما لاقوه من الاهوال فعند ذلك قال الملك قيس والله يابني الاعمام مالقينا في سائر الاوقات والايام أشد من يوم بني فزارة لما أتوا مع قبائل اليمن وحجاب الملك النعمان ولا أشد ضربا ولا طعان ولا أعظم قتالا ولا جلاد وما فرج عنا الكروب الشداد الا فارس القبيلة عنتر بن شداد ومقري الوحش فارس الشام الجواد ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك قام مقري الوحش على قدميه وشكره وأثنى عليه وقال والله ياملك الزمان أنا قد كنت أعد نفسي من الشجعان بين الأمم قبل ما ألقى هذا الفارس الادهم والاسد المطمطم ولما ذقت حربه علمت أن قولي باطل وأني كنت بالفرسان جاهل لان الفروسية قد قسمت على فرقتين من غير زيادة ولا نقصان الفرقة الأولى لكل العباد والفرقة الثانية الى عنتر بن شداد ﴿قال الراوي﴾ فعندها وثب عنتر اليه وقبله بين عينيه ثم بعد ذلك أقبل على الحاضرين وأشار بيده اليهم وقال ياسادات بني عبس وعدنان اشهدوا على أني عبد الى هذا الغلام على مدى السنين والايام وكل ماتحويه يدي من الاموال والنوق والجمال هو محكم فيه ليلا ونهارا وقد ضمنت له

أنى أجمع شملى بمحبوبتـه وأبذل مهجتى دون مهجته وهذا الامر غداة غد أشرع فيه وأجازيه على فعله وذكافيه لانكم تعرفون يا وجوه العرب أننى ما ألوم العشاق والله برد لهفته ولهفة كل مشتاق وكل هذا الفعل كنت أفعله وأقول ان غصتى به تزول وان مدتى تقصر بعد الطول ولكن الدهر عادانى وكلما طلبت منـه القرب أبعدنى وأقصانى وهذا ما أقوله على سبيل الشكوى ولا اعتراض على القضاء والبلوى لان الامور لها أواخر وانتها ثم ان عنتر بن شداد بعد ذلك المقال زاد به البكاء وانهملت دموعه على خديه تشهد له بالاشتكاء *قال فلما نظر عمه مالك الى حاله قام اليه وقد علم أنه ما بقى يقدر يخلص من بين يديه وما له معاون يساعده على الغدر الذى كان يعمله فى كل وقت بعد هلاك بنى بدر فعندها أقبل عليه عمه وترضاه وقبل رأسه وقال له لا تبك يا ابن أخى فانا أقصر مدتك وأنجز حاجتك ولولا أننى أخاف أنى أقطع وليمـة الملك قيس كنت زفيت بنت عمك عليك فى هذا اليوم قبـل غـد ولـكن اذا فرغت الولائم شرعنا فى أمورنا وأدرنا كاسات سرورنا وأنت تعـلم يا أبا الفوارس اننا كنا قد أنجزنا الحال وبلغنا الآمال ولولا قدوم هذه القبائل وتقلبات الايام والزمن كانت انكشفت عنا الشدائد والمحن وانصرفت عنا بسيفك وسنانك ولـكن أنت أهلكت العـدو والمعاند وما بقى يعيقنا عن مرادنا لا أبيض ولا اسود ببقاء هذا الملك الجواد الذى يجعـل ليالينا مواسم وأعياد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس كلام مالك أبى عبلة وما قال من المقال قال والله يا مالك هذا عذر ما بقيت أقبـله ولا أسمعه ثم ان الملك قيس التفت الى الساقى وقال أيها الساقى اسمع ما أقول من الكلام تسلم هذا القدح واحفظه فوحق البيت والكعبة الغراء وأبى قبيس وحراء لا أقبل كلام انسان حتى ندخـل عبـلة على حامية عبس وعـدنان وتنفصـل الامـور وتنقضى نوبة حاميتنا وابن عمنا لانه والله حامية العشيرة وقـد مضت عليها الشهور والاعوام وأنا أعاونه بالنوق والجمال واعمل وليمة جميعها مدة سبعة أيام فـعد أنت يا مالك الى بنتك ودبر حالها وانجز شغلها للزفاف فما بقى لك حجـة لا عـذر ﴿قال الراوى﴾ ولما ان حلف الملك قيس بتبطيل الكاس فعند ذلك عض مالك على أصابعه ندما وقال والله أخـذ بنتى هذا العبـد ولد الزنا ثم سار الى مضاربه والخيام وقد تسامعت الرجال والنسوان والعبيد والغلمان بما تكلم به قيس من زفاف عبلة على حامية القبيلة الامير عنتر بن شـداد فباتت الحلة تلك الليلة فى أفراح واهتمام فى أمر العرس فعنـدها اجتمع قيس مع اخوته وأقاموا يتشاورون فى عنتر وقصته وهم يخافون عليـه من كيد الاعـداء عند فرحه وخلوته ﴿قال الراوى﴾ وكان مذهب العرب فى ذلك الزمان عند زواجهم انهم يلبسون العروسـة الحلى والحلل والقلائد وما يقدرون عليه من المتاع والذهب والفضة ثم يعملون لها أقتابا ويبنوها على الجمال بعضها فوق بعض حتى تبقى كالدكة العالية ويقعدون العروسة على تلك الدكة فاذا جلست العروسة واستقر بها الجلوس فعند ذلك تلبس الرجال صـدور الزرد النضيد ويتساوى الاحرار والعبيد وتضرب المولدات بالدفوف وتشتهر الفرسان الرماح والسيوف كل ذلك لاجل عنتر بن شداد الذى حماهم من سائر العربان ولولا سيفه والسنان ما كانت العرب تركت منهم انسان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت أم عبـلة كلام زوجها أخذت فى تجهيز بنتها وانجاز أمرها وقد فرحت بانحلال عقدتها وعلمت أنه لا يصلح لها الا عنتر بن شداد فهذا ما كان من مالك أبى عبـلة وزوجته *وأما ما كان من عنتر فانه لما وصل الى مضاربه والخيام دعا بعروة بن الورد فلما حضر بين يديه قال له عروة ما الذى جرى بينك وبين عمـك يا أبا الفوارس قال يا أبا الابيض الامر قد تيسر وقد أمرنى عمى ان أصلح شانى واعزم أصحابى وخلانى واعلم يا أبا الابيض ان عمى قد أجابنى ان يجمع شملى بعبلة وواعدنى بعـد ثلاثة أيام يكون الزفاف من غير مهلة فانا قصدى أجعلها عشرة أيام واغتنم الفرصة وأزيل عن قلبى هذه الغصة فقال عروة صدقت يا أبا الفوارس الرأى عندنا اننا ندعوا أصدقائنا ومن يعز علينا من خلفائنا لا سيما صاحبك الامير بسطام بن قيس الذى تعب معنا فى نوبة بنى كنده وكنت عاهدته بان يحضر الى الوليمة وهو ينتظر رسالتك أن تصل اليه فيحضر عندنا وتفرح به قلوبنا فقال عنتر لعروة يا ابن العم انفذ اليه والى جميع أصـدقائنا ومن يلوذ بنا لاجـل انه لا يبقى علينا عتب ولا لوم لان قصتى يا ابن العم شاعت فى جميع قبائل القوم فقـال عروة

صدقت يا أبا الفوارس ومن الساعة أرسـل النجابة الى جميع أحبابنا ونجبر قلوب الارامـل ولا يقال عنك دخلت على ابنـة عمك ولم يحضر زفافك أحـد من القبائل ويقولوا عنك خفت من أمر يأتى فى العرضيات والامور المقضيات وأقل ما تذبح يا أبا الفوارس فى عرسـك خمسـة آلاف ناقة من النوق والجمال فلما سمع عنتر كلامه قال له والله يا أبا الابيض ان الخمسة آلاف ما تكفى عبيدهم الذين يقدموا بها علينا وأقل ما أريد انحر عشرة آلاف ناقة وعشرة آلاف جمـل وعشرين ألف من المعز والضأن وألف راس من الخيـل ومن السباع ألف سبـع لان الطارق علينا كثير وأريد أن أعمل فى عرس عبلة شيأ كثيرا واصنع خمسـة ولائم حتى يتحدث بها الناس الى يوم القيامة لانى أريد أن أطعم الرجال والنساء والوحوش والطير ولا يبقى أحد من خلق الله حتى يأكل من وليمة عبـلة فرحا بعرسـها ﴿قال الراوى﴾ يا سادة ثم بعـد ذلك قال عنتر لعروة اكتب الآن الى بسطام كتابا فيه سلام واشتياق ووصـية بالقدوم والحضور الى الوليمة فلما كتب عروة الكتاب دعا بعبد من عبيده وأمره بسرعة السير الى ديار الملك قيس بن مسعود الشيبانى فأخذ العبد الكتاب وسار ليلا ونهارا حتى وصل الى ديار بنى شيبان وأوصل الكتاب الى بسطام فعندها أخذه وقرأه وفهم ما فيه وأكرم العبد غاية الاكرام وخلع عليه لاجل مولاه وأجاب بالسمع والطاعة وفى الحال جهز شغله وسار بصحبته أبوه فى ثلاثة آلاف فارس الى خدمته ليمشوا فى ركاب عنتر بن شداد ليلة دخلته على محبوبته فعند ذلك قال قيس يا بسطام أنا ما طلبت هذه الثلاثة آلاف فارس الا تخفيفا عن قلب عنتر بن شداد وما كان فى نيتى الآن أسير فى جميع بنى شـيبان الا انى قلت ربما يثقلوا عليـه فى الكلفة لان الوارد عليه كثير واسمه بين العرب كبير فعند ذلك جهزت الفرسان أحوالها وفرغت من أشـغالها وسار بسطام تحت الرايات والاعلام طالب ديار بنى عبس الكرام ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر بن شداد لما أرسل الكتاب الى بسطام أمر عروة فكتب كتابا ثانيا الى حصن المازنى أخى مالك بن زهير من الرضاع وهو يحثه فيه على القدوم وكتب كتابا ثالثا الى جبار بن عامر وكتب كتابا رابعا الى معد يكرب الزبيدى وكتب كتابا خامسا الى شاجع بن حسان وكتب كتابا سادسا الى زياد سـيد بنى غطفان والى ابن أخته الهطال ثم كتب كتبا كثيرة وأنفذها الى جميع أصـدقائه من الفرسان والابطال وبعد ذلك أنفذ الكتب مع العبيـد والنجابة ﴿قال الراوى﴾ فلما أرسـل الكتب وقد خلا قلبه من التعب فعند ذلك أقام يدبر نفسـه فى الولائم بعد ان قال لعروة بن الورد يا ابن عمى الرأى عنـدى انك تركب جوادك فى هـذه الساعة وتأخذ جماعة من الفرسان وتمضى الى أرض الشام وتنزلوا بوادى الازيلم وتستخبر وأخبار التجار الذين يبيعون الخمر وتأتونا بما يكفينا مقـدار عشرة أيام لان الطارق علينا كثير فعنـدها قال لعروة بن الورد يا أبا الفوارس ولم لا تعلم الملك قيس بذلك الامر فقال أنا ما أريد ان أحدا يكلف نفسه بشئ من هذا الامر بل أداوى أشـغالى بيدى فاحضر لنا يا ابن العم الخمر وعندها يظهر لنا المحب من المبغض والشفوق من المعرض (قال الراوى) فلما سمع عروة مقال عنتر سكت ولم يرد جوابه وامتثل أمره وسؤاله وركب من وقته وساعته وأخـذ معه جماعة من أصحابه وسار الى نحو بلاد الشام ولم يزالوا سـائرين حتى وصـلوا الى أرض الشام ونزلوا هناك وأقاموا فى انتظار التجار حتى يقدموا من بلاد الشام ويشـتروا منهم المدام ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما جرى من هؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شـداد فانه أمر الملك قيس انه يشرع فى أمر الزواج وبعد ذلك أمر الملك قيس عبيـده وغلمانه وأرباب دولتـه باخراج المضارب والسرادقات والاعلام ورفع القباب ومد الاطناب وقد امتثل العبيد وفعلوا ما أمرهم به الملك (قال الراوى) وكان ذلك اليوم يوما عجيب مما نصبت فيه الفراشين من الخيام الملونه والمضارب المزينه وقد أفردت الفراشين خياما للرجال بانفرادهم وخياما للنساء بانفرادهـم وبقيت الحال خاليـة من النساء والبنات وفرح بنو عبس وانشرحوا وقـد أمنوا من طوارق الحـدثان وتصاريف الزمان وهذه الاشياء لها حـدوث باذن مكون الاكوان فسبحان الواحد المنان قديم الاحسان الذى لا يشغله شان عن شان (يا سادة) الآن عنتر بن شداد قد وافقـه فى ذلك الزمان طالع سعيد بشير بالافراح والسرور والنجاح ولما نظر عنتر الى نصب الخيام والسرادقات والاعلام

صار كل يوم يركب ويخرج الى الجبال وينزل الى بطون الاودية الخوال ويصيد النمور والسباع حتى انه حصل سبعمائة سبع ولبوة وخمسمائة من النمور ثم جعلهم فى واد من أودية بنى عبس وجعل عليهم رجالا تقوم بواجبهم فى كل صباح * قال وكان عنتر بن شداد فى كل صباح يذبح ألف جمل يأكلونها ويسوق النوق والجمال والمعز والضأن والخيل الجياد ولما جهز عنتر ما يكفى الرجال والنساء والبنات والصبيان أرسل رسالة الى الحلال والبلدان بحضور الرجال والغلمان فعندها استراح خاطره وبردت جوارحه ودخل الى مضاربه وأمر عبيده وغلمانه أن ينصبوا العبلة السرادق الكبير الذى أتى به من عند كسرى (ياسادة) وهذا السرادق كان مطرزا بالذهب الاحمر مكللا بالدر والجوهر مفصلا بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر وكان هذا السرادق لشداد بن عاد الذى بنى ارم ذات العماد ثم ان هذا السرادق كان للنمرود بن كنعان * قال فلما هلك النمرود قعد مدة من الزمان ثم وصل الى فرعون ذى الاوتاد فكان يجلس فيه هو وأرباب دولته ورؤساء مملكته فلما هلك وأغرقه الله فى البحر على يد موسى بن عمران ومضى كأنه ما كان وصل هذا السرادق الى اسكندر فلما نظره أعجبه واستحسنه وكان يجلس فيه هو وأرباب دولته ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل هذا السرادق ينتقل من ملك الى ملك الى أن وصل الى الملك كوبرت قال وكان كوبرت يحمل الى كسرى الجزية فى كل سنة فعند ذلك سار كوبرت الى الملك كسرى فى بعض السنين فلم يكن عنده ولا فى مملكته شئ أحسن من هذا السرادق فعندها حمله معه وقدمه الى كسرى قال فلما نظره اندهش وأعجبه وفرح به فرحا شديدا وقد خفف عن كوبرت الجزية مقدار عشر سنين ﴿قال الراوى﴾ ياسادة وصار هذا السرادق عند كسرى حتى نزل عنتر الى أرض العراق فى طلب المهر والصداق وجرى له ما جرى فى أخذ النوق العصافيرية وجرى له أيضا ما جرى مع الخسروان الذى قتله عنتر وكسر عسكره وكان عدتها عشرين ألف فارس وقد خاف الملك المنذر من هذا الشان وكيف نزل عمرو بن نفيلة يسأل الموبذان فى المنذر وكيف قتل البطريق الذى أتى بالحمل من عند الملك قيصر سيد ملوك النصرانية وقال أنا ما أسلم هذا الحمل الا لمن يقهرنى فى الميدان فان كان عندك فارس يقهرنى فدمى اليه حلال وان قهرت أبطالك وجندلت أقرانك تزيل عنا هذه الجزية وأرجع بها الى صاحبها وقد جرى من البطريق ما جرى مما سمعتموه فيما تقدم من هذه السيرة العجيبة وما كان لهذا البطريق ضد ولا ملاقى الا عنتر بن شداد فانه قهره ودمره فلما نظر كسرى الى عنتر وفعله قال له يا غلام تمن على فتمنى عليه التاج الكسروى والعمامة المجوهرة والعمارية الفضة ولما طلب منه عنتر بن شداد السفر أعطاه هذا السرادق الذى نحن فى حديثه ورجعنا الى سياق الحديث والخبر ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل هذا السرادق الذى نحن فى قصته محفوظا عند عنتر بن شداد فى الصناديق الى أن قرب زفافه على عبلة وجرى لبنى عبس ما جرى الى أن سهل الله الامور فعند ذلك أخرج عنتر بن شداد هذا السرادق ونصبه وكان يرهج بالذهب والجوهر فلما نصبه أشرق الوادى وأشرق الجو وقد طلع منه الضياء وانزعجت الاقطار وأشرقت الشمس بالانوار وبعد ذلك أمر أن تزين الحلل بما فيها من القماش والذخائر فزين كل انسان على قدر ما يملكه مما عنده ﴿قال الراوى﴾ ياسادة وكان الملك قيس قد فرح بفرح عنتر بن شداد وكذلك فرسان بنى عبس وقد كانت عندهم تلك الايام كأنها أعياد وأما بنو زياد فانهم كانت النار تتقد فى أجسادهم فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عروة فانه ما غاب أكثر من تسعة أيام ثم عاد وقد اشترى من الخمر ما يكفى الوليمة عشرة أيام أو أكثر من ذلك ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل عروة الى الحلل ومعه أحمال الخمر فعندما نظره الملك قيس حين أقبل التفت الى عنتر بن شداد وقال له يا أبا الفوارس لأى شئ فعلت هذه الفعال والله ما كنا نريد ان تكلف نفسك شيأ ولا الى مشترى هذا الخمر وأى شئ هذه الاحوال فقد كان موجودا عندنا من الخمر ما يكفى وليمتك فعند ذلك قال عنتر بن شداد أيها الملك ما كان هذا الامر الا من بعض نعمتك وخيراتك ولولا همتك وسلطانك ما كانت انحلت عقدتى ولا قصرت مدتى ولا دخلت على زوجتى ثم ان عنتر بعد ذلك صار يمدح الملك قيس ويثنى عليه وجعل يقول صلوا على طه الرسول

عطفا على خادم داع اليك ضحا * من دهره بامان العز والظفر * يامن تملك رق الحمد فهو له
دون البرية من بدو ومن حضر * يفدى النديم كما يفدى الغريم له * كأنه البدر فى الاشراق للبشر
يعطى الى القوم جزلا من مواهبه * ويبدل العسر للقصاد باليسر * اذا همى من غوادى كفه مطر
على مدا الدهر قرم من بنى مضر * يعفو ويسطو وكلتا الحالتين رضا * منهم شريف وذا عفو لمعتذر
سقى السحاب ندى من فيض راحته * والناس تأتى له على قدر
فلا عدمنا الذى عم الملوك ندا * فى سيرة حسنة من أحسن السير
ياقيس لولاك ما أدركت منزلة * ولا تزوجت بين البدو والحضر
أفديك بالاهل والاموال كلهم * أيضا وبفديك منى السمع مع بصرى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره طرب الملك قيس وكذلك الفرسان من بنى عبس وعدنان وقال جميعهم لا فض الله فاك ولا كان من يشناك والله أنت فارسنا وحامية بلادنا (قال الراوى) وما فرغوا من هذا المقال حتى وصلت النوق والجمال من الاودية والجبال والعبيد تسوقها وكان عدتها خمسين ألف ناقة وجمل فعند ذلك أمر العبيد عنتر ان يذبح منها ألف ناقة وتكون ملقحة فوق الجبال فساقت العبيد الجمال ومشت وراءها الى أعلى الجبال وشيبوب فى مقدمتها فلما وصلت العبيد الى أعلا الجبل نحرت الجمال وعرتها عن جلدها فعند ذلك طلع شيبوب فوق الجبل ونادى بأعلى صوته أيتها الوحوش الدائرة والسباع الكاسرة هذه وليمة عنتر بن شداد وقد أضافكم فكلوا واشبعوا فى ضيافته وقد أزال الله عقدته ودخل على ابنة عمه وبعد ذلك رجعت العبيد الى الاحياء (قال الراوى) فلما كان من الغد أمر عنتر ان يذبح ألفين جمل وألفين من المعز والضان فذبحوا ما أمرهم به عنتر وقد روقوا المدام فشربوا ولعبوا وطربوا وأكلوا الطعام ورقصت العبيد على الميدان وضربت بالدفوف ربات الحجال هذا وقد ركبت الرجال ولبست الفرسان العدد والسلاح برسم اللعب والمزاح وتطاعنوا بالرماح وتجالدوا بالصفاح وكان فرحهم بعنتر أطيب الافراح وكان أفرح الخلق فى ذلك اليوم الملك قيس ابن زهير واخوته وأهله وعشيرته وكان هنالك من جملة الفرسان المعودين للقتال والطعان مقرى الوحش الغسانى وكان من أفرح الخلق لعنتر ولكن قلبه على زوجته يتحسر وهو يعلل نفسه بلعل وعسى ويرجو من الايام بلوغ الآمال وان تساعده على مصائبه بالهنا ونيل المنى (قال الاصمعى) فبينما الناس فى أكلهم وشربهم ولهوهم ولعبهم وطربهم اذ قدمت عليهم بنو غطفان أصحاب الاكاليل والتيجان يقدمها الهطال وهو فى ألفين وسبعمائة فارس ومعها من العبيد والغلمان تسعمائة عبد وغلام لانها كانت أقرب الحلل الى بنى عبس وعدنان فعند ذلك أمر عنتر ان تذبح الغنم والفصلان فذبحت الذباحين وطبخت الطباخين هذا وقد تقدمت الاطعمة وروق الخمر والمدام ودارت عليهم الكاسات والطاسات (قال الراوى) ولما كان من الغد أقبل على بنى عبس بنو زبيد ويقدمهم معديكرب الزبيدى وهو فى خمسة آلاف فارس وكلهم أسود عوابس من صناديد الفرسان المعودين للقاء الاقران فترحب بهم عنتر فارس الميدان والملك قيس وأنزلوهم فى سعة الفضاء وذبحوا لهم النوق والجمال والخرفان وقدموا لهم الطعام فأكلوا من ذلك الطعام حتى اكتفوا وبعد ذلك قدموا لهم أوانى المدام بعد ما صفا وراق وصار أصفى من دموع العشاق (قال الراوى) ولما كان وقت السحر قدموا لهم ثانى مرة الطعام فأكلوا وشربوا والعبيد بين أيديهم طول ليلتهم وهم فى أفراح الى ان أصبح الصباح (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بغبرة قد طلعت عليهم فعندها ركبت بنو عبس خيولها واعتدت فى آلات حربها وبعد ساعة انكشف الغبار عن فارس مضيق اللثام كامل القوام فعرفه الابطال وهو جابر بن عامر الكندى ومن ورائه تسعة آلاف فارس من بنى كندة وأصحاب الصولة والشدة فترحب به عنتر بن شداد وأكرمه غاية الاكرام وأنزلهم فى أعز مكان وقد نحروا لهم النوق والجمال والفصلان وأكثروا لهم الطعام

والشراب وأما بنو كندة فانهم بعد مجيئهم بيوم واحد قدم عليهم روضة بن منيع فى خمسة آلاف فارس فعندها أكرمهم بنو عبس غاية الاكرام ولما كان من الغد أقبلت عليهم بنو خولان فى تسعة آلاف فارس فعندها أنزلوهم فى الاودية والجبال وقد ترحب بهم عنتر بن شداد وأكثر لهم من الطعام والشراب (قال الراوى) ولما كان من الغد أقبلت عليهم غبرة عظيمة فتلقاهم بنو عبس وقد تبين من تحتها الفرسان واذا هم عشرة آلاف فارس من الشجعان وفى مقدمتهم نعمة بن الاشتر صاحب جبل الدخان فعندها سلم عليه عنتر بن شداد وأكرم مثواهم وصار فى كل يوم يذبح لهم الاغنام والنوق الجسام ودارت عليهم كاسات المدام فأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا ورفعوا الطعام وانثالت الكاسات وتمايلت الرجال والسادات فطابت لهم الاوقات باللذات وما أقبل عليهم حتى انطرح الفرسان وهم سكارى من الخمور والدائرات الحان أصبح الله بالصباح واذا بغبار ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن فارس ضرغام وهو الامير بسطام قد أقبل وورائه ثلاثة آلاف من الفرسان وحوله العبيد والغلمان فتلقوهم بنو عبس وترحبوا بهم وذبحوا لهم النوق والاغنام (قال الراوى) وبعد ذلك قد اعتنى بنو عبس بالرجال والنساء والايتام والارامل والاطفال وكل الخلائق اليهم يهرعون ومن ولائم عنتر يأكلون (قال الراوى) وكان الذى اجتمع بفرح أبى الفوارس عنتر بن شداد مائة وسبعين ألفا جواد وكان عدة من اجتمع فى جلاء عبلة على عنتر مائتين وخمسين ألفا ما بين أنثى وذكر ولاجل ذلك اشتهر زواج عنتر بن شداد فى السهل والجبال وضربت به الخلائق الامثال (قال الراوى) ولما حضرت هذه الامم فى أرض الشربة والعلم السعدى وقد ضاقت بهم الارض فمنهم من نزل فى الجبال ومنهم من نزل فى بطون الاودية الخوال ومنهم من طاب وجه الارض والرمال وقد ازدحمت الخلائق وما بقى اخ يعرف حرمة أخيه ولا الولد يلتقى بابيه وقد أمر عنتر بن شداد الجزارين أن تذبح بالليل والنهار وكذلك أمر الطباخين ان يطبخوا اللحوم ويجعلون القدور فوق النيران وأمر الفراشين بالمواظبة على مد السماط وأمر الغرافين أن يكونوا على القدور مواظبين حتى ان الطعام لا ينقص من القدور وصار عنتر يقدم الى الفرسان العشاء والسحور والغداء والفطور وكانت عليهم كاسات الخمر تدور وأما المولدات والجوار فكانوا برسم العجين والخبيز ليلا ونهار حتى كان الماشى والمتفرج يأكل ولم يبق أحد الا اكتفى من كثرة الاطعمة (قال الاصمعى) وكان أبو عبيدة قد سمع بخبر هذه الوليمة بمكة فأتى الى بنى عبس لينظر ما سمع من الاخبار فرأى فى هذه الوليمة زيادة عما سمعه بمكة ورأى من صنف الذرة والقمح والحبوب مائة وخمسة وتسعين ألف أردب وصاروا القوم كل يوم يأكلون ويشربون فاذا فرغوا من أكلهم تدخل عليهم الجوارى المطربات وتدور بينهم بالكاسات وقد طابت لهم الاوقات من كثرة اللذات (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح علت الفرسان على ظهور الخيل الملاح وأشهروا آلة السلاح ومدوا الرماح وجردوا الصفاح ولعبوا كرا وفرا وهزلا وجدا فاذا حمى عليهم الحر فعند ذلك يعودون الى الخيام وينزلون عن خيولهم ويجلسون فى أماكنهم فاذا جلسوا أتاهم الطعام والشراب فاذا أكلوا واكتفوا قدمت لهم العبيد صافى المدام ودارت الكاسات الى غسق الظلام (قال الراوى) يا سادة فداموا على ذلك الحال تمام سبعة أيام والملك قيس يكثر لهم من الطعام والشراب والاكرام وفى اليوم الثامن وثب الامير بسطام على قدميه حين حضر ما أمر به من الهدية التى كانت آتية خلفه وقدمها الى عنتر بن شداد وكانت مائتين رأس خيل من الخيل الجياد بلامتها وعدتها وألفين ناقة وألفين جمل ومائتين عبد ومائتين جارية وعشرين نافجة من المسك الاذفر ومائة عقد من خاص الذهب الاحمر مفصلة بقطع الياقوت والجوهر ومائة طبلة من العنبر ومائتين ثوب من الديباج ثم ان بسطام قبل الارض وطلب من عنتر قبولها وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

بدوام سعدك تسعد الامداد * وبفضل مجدك تشهد الامجاد * بك كل يوم للانام مسرة
ومواعد من نعمة تزداد * عشر بعشر أنامل لك فى الندا * للخلق من بركاتها امداد
الله رأفة للناس فيها رحمة * بين العباد نوالها ميعاد * كف بكف فى السخاء مروفة

وبد ابن ذل دائما تنقاد * قد شاكلت فى الجود سبعة أبحر * فيها انبساط فى الفلا وسداد
لم تخل من بذل عينك مثل ما * لم يخل فيك من الولاء فؤاد * يهنيك هذا العرس ما بين الملا
يا فارسا ذلت له الاطواد * فاقبل هدية صاحب لك شاكر * وتحائفا جاءت بها القصاد
لا زلت فى نعم تتم بعيشة * مرضية ومزيدة تزداد

(قال الراوى) فلما فرغ بسطام من هذه الابيات شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته فعند ذلك قبل بسطام الارض وتأخر قعد فى مرتبته وتقدم من بعده معد يكرب الزبيدى وقبل الارض وقدم له خمسمائة فرس بعددها وآلاتها وألف ناقة وألف جمل ومائة ثوب من الحرير الاحمر وعشر عقود من خاص الجوهر وعشرين طبلة من العنبر وعشرين نافجة من المسك الاذفر ومائة عبد ومائة جارية وبعد ذلك سأل عنتر فى قبولها وأشار يمدح ويقول صلوا على طه الرسول

يوم بعرسك أشرقت أنواره * وعلا بطالعك السعيد مناره * ونظام مجدك لا يحل زمامه
ودوام عزك لا يحل ذماره * يا عنتر الفرسان أبشر بالمنى * وبلوغ سؤلك فى الدنا تختاره
لك منزل جو الفؤاد فروعه * غصن بدائرة السما أزهاره * فالليل أين نزلت زال ظلامه
والفقر أين حللت حل قفاره * فافخر على كل الانام بسودد * قد أيقنوا ان الفخار فخاره
فاقبل بفضل للهدية سيدى * من صاحب حلت بدارك داره * واعطف على عبد دعاك فان من
أعرضت عنه فقد أتى ادباره * ويقال من يستقيل مروءة * عند القتال من الجواد عثاره

(قال الراوى) فلما أنشد معد يكرب الزبيدى هذه الابيات طربت لها الفرسان والسادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته ووثب من بعده حجار بن عامر الكندى على قدميه وقدم ألف ناقة وألف جمل وخمسمائة من الخيل الجياد وخمسين عقدا ومائة ثوب من الديباج المقصب وعشرين نافجة من المسك الاذفر وسبع طبلات من الكافور والعنبر وثلاثة آلاف راس من الغنم ومائة عبد ومائة أمة ثم قبل الارض وسأله فى قبولها وأشار ينشد يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أرى الجود كل الجود ما أنت أهله * تصول وذل الناس حين تجول * يرى حاتى بؤس ونعم لهايد
ومجد وطول فى الانام يطول * وعدل له فوق البسيطة شامل * وظل على كل الانام ظليل
ونشر فسيح الحالتين مبشر * وعرق باسعاد العفاف يسيل * عظمت الى أن بات كل معظم
ينادبك بالاغضاء وهو أصيل * وأبذلت ما توليه نطقا ونائلا * فلفظك جزل والعطاء جزيل
نطقت فأحرزت الفصاحة كلها * وجدت فكف المكرمات بخيل * غرائب ذو فضل وغاية مفضل
تكمل اقبال له وقبول * تكملت فى خلق وخلق ومنطق * وفضل على رغم الحسود جميل
فتى يرتقى طود الثنا وهو شامل * ويحمل صعب الحمل وهو ثقيل
بلغت ذرى أعلى الملوك سلوكها * ودون انقطاع السالكين وصول
فيهنيك هذا العرس يا فارس الوغا * ويا أوحد الفرسان حين تجول
تقبل فدتك النفس منى هدية * وعذرا فانى صاحب وخليل

(قال الراوى) فلما فرغ حجار بن عامر من شعره طربت له السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته فقبل الارض وتأخر ثم وثب من بعده حصن المازنى وأحضر ألف ناقة وألف جمل وخمسمائة من الخيل الجياد وخمس عقود من الجوهر وعشرين نافجة من المسك الاذفر وخمس طبلات من الكافور والعنبر وألفين من المعز والضأن ومائة عبد وخمسين جارية ثم بعد ذلك أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

غيرى يهنى بالزمان وانى * بك لا أزال أهنى الازمان * يا فارس الفرسان يوم كريهة
أنت الهزبر وفارس الفرسان * أضحى بنعمتك الولى مهنأ * وغدا بسطوتك العدا بهوان
فابشر بهذا اليوم يا كنز الورى * يا سيد الاقران والشجعان * أعطتك ميراث الفصاحة سادة

حقا فكنت أحق من سحبان * مجد به شرفت نزار وأهلها * بعد الاوائل من بنى عدنان
أوليتنا نعما وأوليت الملا * كرما فانت العز للشجعان
فاقبل هدية من أتاك محبة * يا كهفنا يا معدن الاحسان

﴿قال الراوى﴾ يا سادة ولما فرغ حصن المازنى من شعره طربت له السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه الى جانبه فى مرتبته * قال ثم وثب مشاجع بن أسيد من بنى خولان وقدم اليه ألف راس من الخيل الجياد وألفين من النوق والجمال وألفين من المعز والضأن وأشار يمدحه بهذه الابيات صلوا على سيد السادات

سخاؤك والاحسان ليس لها حصر * لقد ضاق عن شكرى لك النظم والنثر
وكيف ينال الشكر غاية ماجد * يقصر عنها البحر والسيل والقطر
له من صفات الفضل ما بأقله * تجملت الايام وافتخر الدهر
أنامله غيث وجدواه وابل * وأخلاقه روض وألفاظه زهر
تهن بافراح أتتك سعيدة * وعرس به تأتى المسرة والفخر
تقبل فدتك النفس منى هدية * ويا سيدى صفحا فعندك لى العذر

﴿قال الاصمعى﴾ ولما فرغ مشاجع من أبياته شكره عنتر وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه فى مرتبته ﴿قال الراوى﴾ فعندها وثب من بعده عباد سيد بنى القيان وقدم خمسمائة فرس بعددها ولامثلها وثلاثة آلاف جمل وناقة وألفين من المعز والضأن ومائة طبلة من العنبر وعشرين نافجة من المسك الاذفر وألف ثوب من الحرير وعشرة عقود من الجوهر وسأل عنتر فى قبولها وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

هل للفضائل غير يدك معدل * أم غير بابك للانام مؤمل
والله لو صيغ الكلام جميعه * شعرا لأقصر عنك فيما تفعل
أنت الذى لولا مواضى عزمه * ما كان فى هدى البلاد مؤمل
عرس جميل فى النفوس وانه * يزدان عند وقوع ما يستقبل
سعد خصصت به وما ذو فخرة * الاوأنت له الذراع الاطول
كرم واقدام ورأى نافذ * ما الغيث ما أسد الشرى ما المفضل
بطل الفوارس ان تضايق جحفل * ليث الكتائب ان تلاحق جحفل
أخلاقه سهل لطالب رفده * لكنها يوم الكريهة حنظل
أقبل هدية من أتاك بفرحة * متحققا فيك الولاء الاكمل
لم أمتدح أحدا سواك واننى * بصفات مجدك فى الورى أتمثل

(قال الراوى) ولما أنشد عباد هذه الابيات طربت لها السادات وشكره عنتر وأثنى عليه وأجلسه فى مرتبته فعندها وثب من بعده نعمة بن الاشتر وكانت هديته عظيمة وهى ألف فرس من الخيل الجياد العربية بما عليها من العدد والسيوف والرماح وخمس عقود من الجوهر وألف ثوب من الحرير القسطنطونى وألف جمل من جمال جبل الدخان وألف ناقة وعشرة آلاف من المعز والضان ومائة نافجة من المسك الاذفر ومائة طبلة من العنبر وسأل عنتر فى قبولها وأشار يقول صلوا على طه الرسول

صفاتك تسمو ما نقول ونكتب * فلا عجب أنا نطيل ونطنب
وفعلك فى العلياء يعرف دائما * فلم لا نجيد المدح فيك ونغرب
اذا لم ننل ما قد بلغت من العلا * بوصف ولو كنا نطيب ونرغب
فذا القول منا عن صفاتك قاصر * فلا حد فى مرضى مجدك يطلب
وكيف ينال الشعر غاية اتك التى * ذرى النجم أدنا من مداها وأقرب
وأعيا جميع الناس مدح لماجد * همام به يزهو المديح ويعجب
وأفعاله فى الجود شمس منيرة * يضىء بها شرق البلاد ومغرب
وأقلام سمر الخط تكتب فضله * وألسن بيض الهند فيه تخطب
تقر له بالسيف فى حملة العدا * الى الغاية القصوى وأعداه ترهب
يبدد أقواما يرومون شأوه * بقرب أفلاك العلا اذ تقرب
فيهنيك هذا العرس يا فارس الوغا * وبشراك أن قد نلت ما كنت تطلب
فلا زالت الدنيا بظلك روضة * تصوب عليها من نوالك صيب

تقبل فدتك النفس منى هدية * فانك أدرى بالامور وأدرب
فما فاتنا يوما وجدناك مطلب * الى ان ظننا ان كفك مطلب

﴿قال الراوى﴾ يا سادة ولما فرغ نعمة بن الاشتر من هذه الابيات طربت لها السادات وقد شكره عنتر بن شداد وأثنى عليه وقبل هديته وأجلسه فى مرتبته وبعد ذلك قدمت سادات القبائل الى عنتر جميع ما كان معهم قال فقبل عنتر الجميع وأثنى عليهم ﴿قال الاصمعى وأبو عبيدة﴾ رواة هذا الحديث لولا خوف الاطالة كنا ذكرنا حكاية كل مقدم بنثره وشعره فعند ذلك بسط عنتر لهم بساط الانس * ثم انه بعد كلامه للفرسان التفت الى مقرى الوحش وقال له يا فارس الشام ما وصل اليوم من النوق والجمال فهو لك وبين يديك هدية منى اليك وأما الثياب والمسك والعنبر والطيب فهو لابنة عمى عبلة وأما العبيد الذين جاؤا مع الهدايا فانهم فرسانى وجندى (قال الراوى) وكان جملة ما اجتمع لعنتر بن شداد من الهدايا فى ذلك اليوم من العبيد الفين ومائتين عبد والفين جارية من سائر الاجناس ثم بعد ذلك أعطى عنتر بن شداد للعبيد العدد والسلاح والخيول والجنائب وقد صارت العبيد يركبون الى ركوب عنتر وينزلون الى نزوله ويقفون فى خدمته وصار اذا سير سرية يكون فى مقدمتها ﴿قال الراوى﴾ ثم ان سادات العرب وأكابر القبائل بعد ما قدموا هداياهم لعنتر بن شداد قاموا على أقدامهم وطلبوا من عنتر الزفاف خوفا من الغدر والخلاف وقبلوا الارض قدام الملك قيس فعندها شكرهم على ذلك وأثنى عليهم وقال يا وجوه العرب لقد أنصف الزمان وجاد لنا عالم الخفيات الملك الديان قبل أن يرسل النوم على الاجفان الذى أجار عنتر بن شداد من رق العبودية وأعطاه الكرم والشجاعة والفروسية فهو والله حامينا وفارسنا وعامر حلتنا ﴿قال الراوى﴾ فعندها غضب الربيع بن زياد فقال له قيس يا ربيع يستاهل أكثر من هذه الاشياء لانه والله صبر وما قصر وما حمى حريمنا فى هذه النوبة الا هو والا كانوا أخذوا حريمنا فى هذه النوبة الاعداء وباعوهم بيع الذل والهوان وما بقى الا انجازه وبلوغ مراده ثم قال الملك قيس يا وجوه العرب لاعدمنا سعيكم واشفاقكم علينا فانتم والله فرسان النجدة والفرج بعد الشدة ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قبل الحاضرون الارض وشكروا الملك قيس وقام من بعدهم عنتر بن شداد وصرخ بأعلى صوته ونادى وقال يا معاشر العرب الكرام اشهدوا على انى عبد لاهل هذه القبيلة العبسية وأفديها بروحى وأهلى ومالى من جميع الآفات واكشف عنها البلاء والنوائب فان زفونى على ابنة عمى قبلت وان تركونى أعالج أمرى صبرت وان طلبوا تعويقى فالامر اليهم مردود وجميع ما يفعلوه معى فهو محمود ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع فرسان بنى عبس كلام عنتر بن شداد نادوا بأعلى أصواتهم وقالوا والله يا أبا الفوارس ما فى الزفاف خلاف والله يا فارس الزمان وجود هذا الاوان نحن منتظرون وليمتك يا بطل الزمان ﴿قال الراوى﴾ فبعد ذلك ذبح النوق والجمال والغنم والخيول السمان والفهود والسباع وذبح فى ذلك النهار خمسة آلاف ناقة وتسعة آلاف جمل وألف فرس وخمسين ألفا من الضأن وسبعمائة سبع وبعد ذلك استلمت الرجال أشغالها وأما بنو عبس فانها قد أسرعت وصفت الكراسى وأبرزت الاصنام بعد أن ألبسوها الحلى والحلل والجواهر واليواقيت وقد خرجت المخدرات والنساء والبنات وركب بعد ذلك بسطام فى بنى شيبان وركب بعده جبار بن عامر فى بنى كندة وركب بعده معد يكرب الزبيدى فى أبطال بنى زبيد وركب مشاجع فى فرسان بنى خولان وركب الهطال فى بنى غطفان وركب الملك قيس فى فرسان بنى عبس وعدنان وركب حصن المازنى فى بنى مازن وركب الامير روضة بن منيع فى فرسانه الشجعان وركب الملك نعمة بن الاشتر صاحب جبل الدخان فعند ذلك استحى الربيع بن زياد من الملك قيس ومن العربان فاحتاج أن يركب فى بنى زياد وركبت سائر الشجعان والفرسان وأشهروا السيوف والرماح من كل جانب ومكان وقد ماج البر بالعدد ولمعان الزرد على أجسادهم (قال الراوى) فعند ذلك أطلقوا الاعنة وتطاعنوا بالرماح بلا أسنة قال وكان هذا الوقت أواخر الربيع وكانت الارض مشعشعة بأزهارها والروابى فى لون السماء والغدران تتلاطم بالامواج وقد هب على تلك الاشجار والازهار نسيم الصبا والهواء

ففاحت روائحها كالمسك فى تلك الزوابى وعندها لعب القوم حتى تعالى النهار بالرماح والصفاح الى ان استوت الشمس على سائر الاقطار فعند ذلك عادت الفرسان والابطال وتتابعت العساكر مثل النجوم أو مثل السيل اذا انحدر وسال (قال الراوى) ولما استقر بهم الحال فعندها كل واحد منهم نزل فى مكانه فوجدوا الاطعمة قد تهيأت فنزلت الفرسان الى أكل الطعام وأكلوا من لحوم الجمال والنوق وما فيهم الامن أعطى له هبرة لحم من لحوم السباع اما مطبوخة واما مصلوقة ولما اكتفى الرجال وشبعت فعند ذلك ترقبوا الى شرب الخمر والمدام فشربت الفرسان بالكاسات الكبار والصغار هذا وقد أمر عنتر بن شداد الفراشين أن يمدوا سماطا ثانيا الى الارامل والايتام ففعلوا ذلك (قال الراوى) ونادى مناد وقال من أراد الطعام والزاد فعليه بطعام عنتر بن شداد فعند ذلك أتت النساء والبنات من كل جانب ولما فرغ عنتر من مد السماط وقف على رؤسهم فى الخدمة مع جملة العبيد والغلمان فنعه الملك قيس عن ذلك (قال الراوى) وكان قعد الملك قيس واخوته يتفكرون فى عنتر وقصته ويخافون عليه من كيد الاعداء ليلة دخلته على عبلة وجلوتها عليه (قال الراوى) وكان للعرب رسم من قديم الزمان عند زواج البنات وقد صارت عادة فى سائر العربان أنهم كانوا يزينون البنات والعروس بما يقدرون عليه من الملبوس وكانوا يضعون أقتاب الجمال بعضها على بعض حتى ترتفع على وجه الارض وتبقى مثل الدكة العالية وتجلس العروس من فوق تلك الدكة فاذا جلست العروس واستقر بها الجلوس تركب الفرسان وتلبس الحديد ويتساوى الاحرار والعبيد وتدق الاماء بالدفوف وتشهر الفرسان الاسنة والسيوف وتجتمع أبطال الحلة وفى أيديهم الاعمدة والعصى فعند ذلك يشرعون فى زفاف العروس ويزفون العريس محمولا الى مكان زوجته لينال منها منيته فعندها يضربه الجهال بما فى أيديهم من العصى والاعمدة ويرفع له الصياح وينزلون عليه بالضرب حتى يمنعوه عن عروسته وهو يدافع عن نفسه فان كان اقترب أجله مات وان كسر فيه شئ من أعضائه ولم يمت يكون ذلك بسعادته وان كان العريس يصل سالما العروسته فعند ذلك تنكشف عنه الفرسان وتبعد عنه من كل جانب ومكان وكان هذا الرسم فى جميع العربان وكان لهم فيه شان وأى شان وكانوا يقصدون بذلك اشتهار افراحهم والرغبة فى بناتهم الى أولاد أعمامهم وكانوا يخرجونهم بأفخر الزينة والملبوس حتى ينظر اليهم الفرسان والسادات وتكون فى وسطهم العروس فاذا وقعت محبة احداهن فى قلب أحد من الفرسان واشتغل قلبه بالمحبة مثل النيران يخطبها من أبيها ويتزوج بها وكانت هذه سنة العرب عند الزواج فى بناتهم * قال ولما كان فى ذلك اليوم تشاور أولاد الملك زهير بعضهم مع بعض فتقدم الحارث أخو الملك قيس وقال له يا ملك اعلم أن عنتر كثير الاعداء والحساد لاسيما بنو زياد لانهم كانوا متوانين عليه ونخاف من عبيدهم أن يوصلوا الاذية اليه ويضيع تعبنا وتعبه ولا يعود ينفعنا الندم من بعد هلاكه فقال الملك قيس يا حارث كيف الحيلة فى هذا الامر الشنيع وهذا رسم جارى بين العربان وقد رضى به جميع السادات ذو و الرتب وسائر الفرسان فقال الحارث يا ملك نبطل هذا الرسم فى زفاف عنتر ونعيده فى زفاف آخر فقال الملك قيس هذا هو الرأى الصواب ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من الملك قيس واخوته وأما ما كان من بنى زياد وعمارة القواد فانه لما رأى ذلك الحال قد انقطعت منه الاوصال وقال الليلة يزفون عبلة على عنتر فلعن الله وجهه الاغبر ثم انه بكى واشتكى ولطم على وجهه حتى طار منه الشرار ثم قال وامصيبتاه واتعب قلباه وكيف يأخذ عنتر بن شداد محبوبتى وثمرة فؤادى ولى زمان صابر على جورها وبلواها ثم انه سار الى أبياته وصار يبكى بين اخوته وأهله وعشيرته * قال فلما رأوه على تلك الحالة قال له اخوته طول روحك يا عمارة فنحن نسعى ليلة الزفاف ونأخذ لك عبلة ونحن كلنا وقوف ليلة زفافها ونرتب عبيدنا وفرساننا يقفون الى عنتر بن شداد فى الاماكن الصعبة فيضربه واحد منهم يعطبه ونحن هنا مائة فارس وعبيدنا أكثر من مائتين عبد ونفرغ عليهم صدور الزرد ونركب على ظهور خيلنا ونظهر الفرح ونديرامورنا فلما سمع عمارة من اخوته هذا الكلام أظهر الابتسام وطاب قلبه بهذا المرام ثم استخار من عبيده عشرة عبيد شداد أجلاد وقد ألبسهم صدور الزرد وأعطاهم خناجر يقتلون بها عنتر بن شداد ثم وعدهم بالخلع والاموال

وقال لهم اذا طلعت عبلة للجلاء وأراد عنتر ان يأخذها فيكون فى أيديكم الاعمدة الغلاظ واهجموا عليه عند زحمة الناس واضربوا بها رأسه عند غفلته واطلبوا هلاكه وقتله ولكم على ما قد ضمنته لكم من المال ومهما أردتم من النوق والجمال ولا تخافوا من تلك الفعال فما عليكم ملام لانه رسم من قديم الزمان وسنة جارية من سنين وأعوام وقد رضيت بها الملوك والفرسان فعند ذلك أجابته العبيد الى ما قال وتأهبوا رغبة فى المال وأيقن عمارة ببلوغ الآمال * قال ولما جاء وقت العصر تحزم العبيد وشدوا وسطهم فقال عمارة أسرعوا فانكم لا تصلوا الى مكان العرس الا وقد أتى الليل فعند ذلك خرج العبيد خارج المضارب وقد دخل وقت غروب الشمس فعندها أسرعت العبيد حتى وصلت المحل المعهود فعند ذلك سمعوا مناديا من قبل الملك قيس ينادى بين المضارب والخيام وهو يقول يا بنى عبس وعدنان الكرام ويا معاشر العرب كافة عامة قد أمر الملك قيس سيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان أن كل من قصد عنتر بن شداد عند أخذه عبلة بعصا أو بسيف أو بشئ من السلاح كان دمه لعنتر بن شداد هدرا لانا قد أزلنا هذا الرسم فى هذا الوقت ونرده فيما بعد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عمارة هذا النداء غاب عن الدنيا وذاب كبده وتحير بأى شئ يعامله وبأى حيلة ينكد بها عيشه وقد اجتمع باخيه الربيع بن زياد وقال له يا أخى أودعتك عند الله فانى هائم على وجهى من هذه الحيلة ولا أبصر عنتر بن شداد يأخذ محبوبتى عبلة ويتلف مهجتى وينكد على عيشى ومسرتى فقال الربيع والله يا عمارة ما بقى لى سبيل ولا وصول الى هلاكه ولا بقيت أبلغ منه غرضا ولا أمول لانى كرهت معادات هذا الانسان وقد دبرت له ألف مرة الهلاك والقلعان ويعود التدبير على وبالا وخسران وأنظر بعينى الذل والهوان فقال عمارة يا أخاه أنت قد سافرت الاقطار ونادمت الملوك الكبار فما تعرف بعض الحشائش القاتلات أو العقاقير المهلكات فتدلنى عليها وترشدنى اليها حتى انى أبرطل من يضعها له فى الطعام ونبلغ بهلاكه المرام ثم قال عمارة بالله يا أخاه انظر لى شيأ أبلغ به المراد فعندها قال الربيع والله يا عمارة انى أعرف من العقاقير المهلكة شيأ ما يعرفه حكيم فى هذا الزمان ولا يقدر عليه ملك ولا انسان ولكن أخاف بسعادته يقلب التدبير علينا واذا عملنا شيأ يأكله فنخاف أن يأكل معه غيره فقير أو أمير ولاسيما الملك قيس ابن زهير أو أحد من اخوته أو من يلوذ به من أهله وعشيرته وأعمامه وأقاربه وانى أخاف أن يقتل منهم أحد وينجو هذا العبد بسعادته ولكن قد انفتح لى باب أبلغ به من عنتر بن شداد الارب وهو عليه أشأم من القتل فلما سمع عمارة كلام أخيه انفتحت أذناه وصفق بيده وهز رأسه وانطلى عليه كلامه وبعد هذا قال عمارة يا أخى قل لى ايش هذه الحشيشة التى يأكلونها قال له الربيع يا عمارة هذه حشيشة قد جلبتها معى من أرض العراق وهى معدومة فى سائر الآفاق وقد عرفتها من بعض ندماء الملك وقالوا لى يا ربيع هذه حشيشة اذا أكلها الانسان أطفأت جميع الحرارة التى فى جسده والاضلاع فيبقى عاما كاملا لا يقدر على الجماع وان كان مبرد الاشياء فانه يعود طنجير ويحك بدنه كثير ويكون طبعه مثل القدور فى غليانها اذا أحكمت نيرانها وربما انقلبت شهوته الى دبره ويفتضح بين أهله وخلانه فعند ذلك قال له عمارة أطلب العون منك يا أخاه فى هذا الدواء وحق اله الارض والسماء ان هذا أشد من القتل على ذلك العبد ولد الزنا فيا أخى بحق أبيك تعطينى اياه حتى أشفى من عنتر الغليل فقد ترك جسمى نحيل وليلى طويل ونومى قليل فعندها قال له الربيع ومن أين لك من يتسبب فى ايصاله اليه ويضعه فى الطعام بين يديه فقال له مولاتى كحلا لانها صديقة حميمة لعبلة وأنا أعلم انها تدعوها الى الوليمة وتطلب منها المساعدة فانا أعطيها الدواء فتكون مستعدة الى هذا الشان فاذا قعد الى أكل الطعام فى أى مكان تضعه قدامه فى بعض الالوان وقد انقضى الشغل علينا وهان فاذا أكله قر قرارى وأخذت ثارى ﴿قال الراوى﴾ وكانت لعمارة هذه المولدة التى ذكرنا اسمها وكان يحبها ويلوذ بها وهى التى كانت تشاغله عن عبلة فى أكثر الاوقات لانها قد كانت تشبه عبلة فى المعانى والصفات واذا نظرها الانسان وهى مبرقعة يظن انها عبلة لان جفونها وعيونها تشبهها وكانت تشاكلها فى مشيها وخطواتها وكان عمارة من محبته لهذه الجارية يشرب عليها المدام * قال وكانت هذه الجارية كحلا تبغض عمارة ولا

تصفي له الوداد وكانت تعشق عبدا من عبيد بني قراد وكان كلما حجبها عمارة عن المرعى والخروج الى الصحراء فيزداد بها الهوى لاجل عشقها فانزرع بها البغضة في عمارة وكانت تتمنى له نكبة أو بلوى من بلاوى الزمان لانه لما ذكرها لاخيه الربيع واعطاه الدواء وأوصاه بكتمان السر قال عمارة لا تخف من هذا الامر ثم أخذ منه الدواء وأحضر مولدته كحلا وقال لها عمارة اريدك اذا عملت خمسة أمة عبلة وطلبت منك المعونة في نقل الطعام الى الرجال تضعين هذا الدواء في بعض الاطعمة والقصع الجياد وتتركيه قدام عنتر بن شداد فعندها أجابته على ما أراد وقالت له يا مولاي اعلم ان خمسة أنفذت الى من أول النهار وكنت لك في الانتظار حتى أستأذنك بالرواح اليها والقدوم عليها ولكن يا مولاي ايش يعمل هذا الدواء حتى أكتم سره ان كان قاتلا أخفيته عن كل انسان والا أقع في شيء يؤدي الى الهلاك ولا يكون لي من بني قراد خلاص ولا فكاك فعند ذلك قال عمارة يا كحلا ما عليك منه باس لانه لم يكن قاتلا وانما هو جالب للبغضة وأنت تعلمي ما في قلبي من عبلة وما قاسيت من محبتها وهواها وفي آخر الامر بعد العناء غلبني هذا العبد ولد الزنا على ما نابني من أحوالها وأنا اريد أن أطعمه هذا الدواء حتى يبغضها ويقمعها ولا يتهنا بها ولا يقيم معها وأنا أريد انك ما تتركيه في الطعام حتى تنظريه قعد بين الكرام وربما يقف في الخدمة فرحا بما وصل اليه من عبلة وأنا أعلم ان الملك قيس يحلف عليه ويجلسه الى جانبه أو بين يديه فقالت له يا مولاي طب نفسا وقر عينا فاني أقدر ان أضعها له في لقمة وأحطها بيدي في فمه لانه يحبني محبة كثيرة لاجل ابنة عمه عبلة وبيني وبينه انبساط وأين ما وقع بي لاعبني ويرفع مكاني وموضعي ويقول انت فيك مشابهة لابنة عمي واذا رأيتك يا كحلا زال همي وغمي فقال لها عمارة وهذا الذي كنت أريد ثم بات وهو طيب القلب بهذا الكلام وقد خف عنه الوجد والغرام وعند الصباح أصبح الحي يموج بالافراح ونحرت النحائر ونشرت الاعلام وروقوا المدام ونصبت الكراسي وبرزت الاصنام وخرجت المخدرات لابسات الالوان فعندها تقدم بسطام في بني شيبان ومشاجع في بني خولان وعباد في بني القيان ونعمة بن الاشتر في عساكر جبل الدخان ومعديكرب في بني زبيد وجبار بن عامر في بني كندة الاجواد والهطال في بني غطفان والملك قيس في فرسان بني عبس وعدنان وماج البر بالعدد وأشرق بلمعان البيض والزرد وقد أطلقوا الاعنة وتطاعنوا بالرماح والاسنة * قال وكان في زمان أواخر الربيع والارض مشقوقة بفنون زهرها البديع والروابي بلون السماء والغدران تتلاطم بصافي الماء وقد لعب القوم في ذلك اليوم الى أن حمى البر وارتهج الحر وعادوا وقد صفت لهم الجفان مملوأة بالطعام وراق المدام ومد أيضا سماط للارامل والايتام وقد أراد عنتر بن شداد أن يقف كجملة العبيد والخدام فما مكنه من ذلك الملك قيس واخوته بل حلفوا عليه وأجلسوه بين الكرام وكان عليه خلعة خضراء من خلع الملك النعمان لا يقدر عليها ملك من ملوك الزمان * قال وما شرعوا في أكل الطعام حتى سجدوا للاصنام * قال وكانت كحلا مولدة عمارة قد حضرت في ذلك اليوم من جملة المولدات والكل لابسات الحلي والحلل المزينات وكحلا معهم ومعها ذلك الدواء الذي تريد ان تطعمه لعنتر بن شداد حتى يبغض عبلة لانها قد نظرت محبوبها نعيم الذي ذكرنا أنها تحبه وهو واقف في الخدمة مع العبيد لابس ثوبا أخضر وعلى رأسه عمامة حمراء وأطرافها منقوشة بالقصب وهي أحسن من الشمس والقمر ثم ان كحلا لما نظرته بعين محبتها رأته أحسن من كل من كان في الوليمة فعندها تحسرت عليه واشتاقت اليه وقالت في نفسها ان مولاي يحبني وأنا أبغضه ومن محبته في قد حجبني عن محبوبي واني أريد أن أطعمه هذا الدواء حتى يبغضني ويرجع يستخدمني في المرعى وأخرج الى الصحراء واجتمع بمحبوبي نعيم ولما قوي عزمها على هذه الفعال قالت لخمسة أمة عبلة والله يا خمسة قد تحيرت كيف أطعم هذا الدواء الى مولاي حتى يبغضني فاسألك يا ستاه أن تأخذي هذا الدواء لانه لا ينكر عليك اذا قدمتيه بين يديه وأنا أخاف أن ينكر علي فيما بعد ويقول لي يا كحلا أنا أعطيتك دواء تطعميه لعدوي فأطعمتيني اياه وربما يقتلني فقالت لها خمسة علي به وأنا أكفيك اياه ثم أخذته منها وألقته في الطعام وحطت الطعام في قصعة صغيرة وأتت به الى قدام عمارة بن زياد وقالت له أمتك كحلا قد تولت خدمة مولاي عنتر بن شداد وأنا أريد

أن أتولى خدمتك لاجل ما بيننا من المحبة والوداد ﴿قال الراوي﴾ يا سادة فلما سمع هذا الخبر فرح فرحا شديدا واستبشر وقال في باله انهما ما تولت خدمة عنتر بن شداد الا لتبلغني منه الارب في هذه الليلة فاذا اجتمع بعبلة في المساء لا يحظى منها بغير البوس والعناق ولا يقدر يرفع لها قدما ولا ساق ثم بعد ذلك مال الى القصعة فأكلها وحده من شدة فرحه ﴿قال الراوي﴾ فلما استقر ذلك الطعام في بطنه حس بسريان الدواء في سائر بدنه هذا ما كان من عمارة (وأما ما كان) من بني عبس الكرام فانهم لما فرغوا من أكل الطعام دار عليهم كاس المدام وغنت القينات ورقصت المولدات وانغمست السادات في مناهل اللذات وفي أواخر النهار قد اكتفوا من شرب العقار وقد هانت عليهم الاخطار وبرزت البنات الابكار وقد اختلط الجوار بالنساء الاحرار وقالوا نحن ما نريد بعد عبلة استتار ثم كشفن عن وجوههن البراقع ورموها وقد ظهرت وجوههم الطوالع وأشرقت الوجوه اللوامع وسرت النواظر والمسامع وقد ماست أغصان القدود من شدة الطرب الموجود (قال الراوي) وكان لهم يوم أعجب من كل عجب وتوردت منهم الخدود من الحياء والخجل وأشرقت بدور الحلل وقد راق العيش واكتمل وقالت النسوان والبنات ونسوان السادات وحق الاصنام والارباب ما بقينا نستتر خلف حجاب حتى ننظر عبلة في كرة واحدة ونمشي كلنا بين يديها خدمة لها ومساعدة لاهلها لانه لا أحسن من هذه الليلة يكون وما يفوت هذا الوجه الا كل مغبون فقالت نساء بني قراد نحن نشرع في زفاف العروس فعندها دخلوا على عبلة مع المواشط وأرخوا ذوائبها وأصلحوا حواجبها وألبسوها الحلل الملونات والملابس المزركشات والثياب الكسرويات والغلائل المذهبات (يا سادة) وقد ذكرنا أن عنتر بن شداد جلب من عند كسرى والمنذر ما أعطوه من العقود والجوهر وقطع الزمرد الاخضر ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ألبسوا عبلة حلة من تلك الحلل وجعلوا التاج على رأسها وعصبوها بعصابة من الجوهر فعندها أشرق المكان وأزهج وجهها مثل الشمس والقمر وهي مستغنية عن الزينة بحسنها وجمالها البديع * قال ولما ألبس النسوان عبلة من تلك الحلل وأرادوا أن يخرجوها الى الجلاء فعندها أمر عنتر ابن شداد أن يضربوا لها سرادقا من الديباج الملون وان تصف فيه الزرابي والنمارق وينصب في وسطه كرسي شاهق وأوقدوا فيها الشمع المدبس بالعنبر وأطلقوا في السرادق العود القاقلي وبعد ذلك صاح عنتر باخيه شيبوب وأخيه جرير وجماعة من العبيد والفرسان الصناديد والابطال الاماجيد وقد أمرهم أن يدوروا حول السرادق من كل جانب وبايديهم الرماح الخوارق والسيوف البوارق وانهم يكونوا على يقظة من عدو وطارق فعندها صفت الابطال من كل جانب وصفت النساء والصبيان والجواري والغلمان وأوقدوا الشموع في الشمعدانات الذهب وأشعلت المشاعل بحطب العود القاقلي وازداد البخور وفرحت النسوان ورفعت أصواتهم بالزغاريت وارتفعت الضجات من كل جانب ومكان ﴿قال الراوي﴾ فبينما الناس يمرجون والى نحو السرادق يهرعون وينظرون واذا بالمواشط قد خرجن من السرادق وفي أيديهم الشموع بالعنبر والاماء بين أيديهم يضربن بالدف والمزهر وبين أيديهم عبلة البهية كأنها الشمس المضيه بحواجب كأنها عيون الغزلان وفم كخاتم سليمان وأسنان كأنها اللؤلؤ في سلك مرجان وعنق غزال عطشان وعنبة كأنها خشتنان في سماط سلطان ووجه كأنه القمر وقد أسعده مولاه وصدر كأنه شاذروان وسرة محققة تسع أوقية دهن بان وبطن كأنها طيات عجان وكفل يحكي قنطارا بالقبان وأفخاذ كأنها وسائد قد حشيت بريش النعام وسواعد كأنها عواميد رخام وهي بنفسها تخجل البدر من تحت الغمام ﴿قال الاصمعي وأبو عبيدة﴾ مصنفا هذا الكلام العجيب سمعنا عن عبلة انها لما أقبلت بين المواشط وقد أتت من الحي وابرزوها الى الجلاء حين أخرجوها من السرادق وكانت مثل البدر اذا خرج وبدر في ليلة أربعة عشر وكان يومئذ عليها حلة من الحرير الاخضر وقد قلدوها بالسيف الابتر وكان من فولاذ افرنجي مجوهر وقد جعلت يدها فوق رأسها والاخرى على صدرها وقد ارتجت الشموع في وجهها وهي بين أهلها ونسائها

{قال الراوى} وقد حكى مما اتفق لها انها لما أقبلت على الناس من باب السرادق ونظره الخلق فى هذه الزينة والمنظر الفائق فعند ذلك صرخت الخلائق صرخة واحدة دوت لها الجبال وقيل انه غشى على بعض الرجال مما نظر واوتعجبوا من تلك الغريبة البديعة الجمال الرائقة التى فتنت النساء والرجال وكانت ذلك الوقت كما قيل فى بعض الاقوال

تبدت من الحمام فى الحلل الخضر * مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التى * شويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها ما ألاقى من الاسا * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد أنبع الله الزلال من الصخر
فقالت لى اصبر لست منى بنائل * وصال الذى تهوى اذا كنت ذا ضجر
فقلت لها انى على الصبر دائما * مقيم الى أن تبعث الناس للحشر

{قال الراوى} ولقد حكى بعض المتقدمين من رواة هذه السيرة ان الله عز وجل خلق عبلة بديعة الجمال وفتن بها هذا الفارس الرئبال وقد أعطاه من القوة والشجاعة ما قهر به الجبابرة والابطال وأذل الله به الاكاسرة والقياصرة وفرسان الجاهلية الموال لانه مهد الارض والاقطار وقد أعطاه هذه القوة الملك الجبار وان الله عز وجل كان أسكن فى عنتر بن شداد سرا خفيا لا يعلمه الا الله اللطيف الخبير وكان من عادته أنه يقاتل الفارس الى أن يمل هو ويحل به التعب فاذا انفصل منه وتأخر قليلا عنه قدر باع أو ذراع رد الله عز وجل عليه قوته وضاعفها فيرجع الى خصمه ويأخذه من الميدان أسيرا أو يتركه قتيلا {قال الاصمعى وأبو عبيدة} مؤلفا هذه الاخبار ذكر أصحاب السير ان عدد الذين أسرهم وقتلهم وجز نواصيهم وأطلقهم من الهوان سبعون جبارا من جبابرة الفرسان مثل ذى الخمار فارس بنى حمير ومثل صهره دريد بن الصمة ومثل زيد الخيل وعامر بن الطفيل ومثل معديكرب الزبيدى ومثل ابن عمه خالد بن محارب ومثل عمرو بن ود العامرى الذى كان فى ذلك الزمان فارس من كفر ومثل جبار بن صخر ومثل عمرو بن ضمرة الغسانى ومثل عمرو بن عقاب فارس بنى كندة ومثل معاوية بن النزال ومثل مسعود بن مصاد ومثل عفريت السواحل فارس جزائر البحار ومثل جبار بن عامر ومثل سليكة بن سلكة ومثل اياس بن قبيصة ومثل أنس بن مدركة الخثعمى ومثل مسحل بن طراق وأبى الاشبال ومثل طود الاطواد ومثل عبد زنجير ومثل عبد هياف ومثل هذه الفرسان الذين لا يوجد مثلهم لا فى مشارق الارض ولا فى مغاربها فكان عنتر بن شداد يأسرهم أو يقتلهم أو يجز نواصيهم ويطلقهم مثل الملك الاسود ومثل الملك الغيداق ومثل شارب الدماء ومثل نقمة ومثل الملك معاوية ومثل الملك الجون ومثل الملك الرميم ومثل الملك المسعود ومثل الملك فائز القضعى ومثل الملك قيصر ومثل ملوك الافرنج ومثل الملك صافات صاحب بلاد الظلمات ومثل الملك كسرى ومثل ملوك أرض خراسان وبيوت النار الحميه والمملكة الفارسية * قال وقد أسر عنتر بن شداد وردشان فى وادى السيل وأسر ظالم وعمرو والحارث بن ظالم واللقيط بن زرارة ومثل هذه الابطال {قال الراوى} يا سادة ولو شرحت ذلك وذكرت قصة كل منهم لملأت الكتاب وكل اللسان عن الجواب وكانت صفات عنتر بن شداد فى ذلك الزمان كزناد قد خرج منه نار فهد الله عز وجل به الارض فسبحان من خلقه وسواه وأعطاه حتى قتل حساده وأعداه (قال الاصمعى) ونرجع الى سياق الكلام فنقول ولما خرجت عبلة للجلاء وبيدها سيف مشهر يأخذ لمعانه بالبصر فعندها صرخ كل من حضر وقال الاعداء والحساد يا خسارة هذا الحسن والبياض لذلك السواد ولكن القضاء والقدر لا يرد ان هذا وعمارة بن زياد حس بظهره قد انقطع وحار فيما يفعل ويصنع وقد هم أن يقوم فوقع ورشقته باسهم من جفونها فانصرع وكف طرفه ودمع ثم قال يا ليتنى ما حضرت ولا قشمت ولا سمعت ولا نظرت وأنا أعلم أن هذا العبد يلتذ بهذه الصورة العربية الاشراق ويطيب بلذة الضم والعناق وان كان الدواء قد عز معه فما يريد يصنع يعنه وأنا وحق الرب الكبير وجبل يثرب أريد

أبالغ فى التدبير ولا أتركه يلتذ بها الا القليل فعند ذلك أنفذ مولدته كحلا الى أبياته وقد تزايدت حسراته وأتته بعقد من الجوهر الكبير يساوى ألف دينار مثل قص الاظافير وقد تقدم الى سمية وبيده هذا العقد وقال لها يا سمية تقدرى تعاونينى على هذا الامر بكلمة واحدة وتكونى لى مساعدة وتأخذى هذا العقد اللؤلؤ منى من غير مطال ولا مكايدة فقالت له وما هى الكلمة وما فيها من الفائدة فعند ذلك قال لها تقولى لزبيبة أم عنتر قولا شنيع فاذا قالت لك وكيف ذلك وما الذى تعنى بقالك فقولى لها انك رضعت عبلة مع ولدك عنتر مرارا عديدة وهم الاثنان صغار وتربيتك وتعبك فيه ضاع لانها صارت زوجته وأخته من الرضاع فلعلها تعلمه بذلك الكلام فتكبر نفسه عليها ولا يدنو منها أبدا والا أموت كمدا لانه لا يقدر عليه أحد يعارضه ولكن أرتجى أن يكون هذا فى غير هذه الاوقات ولا تكون عبلة على هذه الصفات وأنتظر له المرضيات من رب السموات فعند ذلك تبسمت سمية من كلامه وقد تعجبت من حسده وعداوته وقد نظرت الى هذا العقد فمالت بكليتها اليه فعندها أخذته وعاهدته على انها تقضى له حاجته ثم انفصلت سمية من عنده وأتت الى عند سرادق عبلة فوجدت الصياح عالى والصراخ نامى والخلائق يترامون بعضهم على بعض والشموع أوقدت والمشاعل أرهجت والمواشط أقبلت والشموع فى أيديهم وهم يزفون عبلة والاماء تضرب بين أيديهم بالدفوف والمزاهر وبين أيديهم صبيه كانها الشمس المضيه بحواجب كقسى نبال وعيون كانها عيون الغزال وفم كانه خاتم سليمان وأسنان كانها اللؤلؤ فى سلك المرجان ووجه كانه القمر وقد أسعده الزمان وصدر كانه شاذروان وسرة محققة تسع أوقية من دهن البان وبطن كانها عجان وأفخاذ كانها وسائد قد حشيت من ريش النعام وساقين كانهما عامودان من رخام وكاف وسين يبلغ قنطارا بالقبان {قال الاصمعى} ولما أقبلت بها المواشط على الرجال تعجبوا من ذلك الحسن والجمال ومازالوا بها سائرين الى أن أوقفوها قدام الامير عنتر والملك قيس جالس بجانبه وجميع السادات حوله فعند ذلك قام الملك قيس من مكانه قائما على قدميه وقد نثر على رأسها النثار من الذهب والفضة وهنى عنتر بذلك النهار الذى كان له زمان يتمناه ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

أدامك ربنا طول الدوام * على الفرسان مرتفع المقام * أيا من قد حوى عقلا وفضلا
وجودا فى الوجود مع احتشام * يعمك الاله بكل خير * ويكفيك المضرة مع سقام
لانك قد كشفت العار عنا * وحق الله والبيت الحرام * فلولا أنت كنا فى هموم
وعشنا فى المذلة ألف عام * ولا نعلوا الخيول ولا البغالا * ولم نحمل علاقات الحسام
ولولا أنت لم نلبس حريرا * ونمشى فى الديار بالاهتمام * وأنت خفيرنا فى كل وقت
وتخدم فى وطاقك والخيام * فعش فى عزة وعلو جد * بطول الدهر مع نوح الحمام

{قال الراوى} فلما ان فرغ الملك قيس من شعره قام عنتر على حيله وقبل الارض قدامه وقال له يا مولاى ان هذا كله ما نلته الا باهتمامك ولولا أنت وأبوك الملك زهير ما كان لى رأس تشال بين الناس ولا زلت فى رق العبودية الى الآن وان احسانكم على من قديم الزمان {قال الراوى} كل ذلك يجرى والعيون ناظرة الى عبلة وجمالها وبعد ذلك جلس الملك قيس فى مكانه وعنتر أيضا بجانبه وقام الحارث ابن الملك زهير نثر النثار على رأس عبلة وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا آل عبس فاسمعوا المقالى * واصغوا لما أبديه من أقوالى * هذى عروس ما رأينا مثلها
قد صاغها ذو العز والاجلال * وهذا كله من أجل عبلة * أميرة قد حوت كل الجمال
لها وجه يحاكى للثريا * وفاق البدر فى وقت الكمال * لها شعر يحاكى الليل لونا
على أكتافها مثل الحبال * حواجبها الملاح بلا شبيه * كما قوسين ترمى بالنبال
وعيناها تبارك من براها * تفوق بحسنها عين الغزال * لها خدان تفتن من رآها
لها ورد وما فيهم ذبالى * لها أنف كما سيف مجرد * له نور تبدى من صقال
لها فم كما خاتم عقيق * به در تنظم مع لآلى * لها صدر يحاكى لوح فضة

به رمان فى الاغصان حالى * لها بطن يحاكى التبرلينا * وسرة حشوها بالمسك غالى
لها خصر نحيل تحت ردف * كموج ماج فى بحر الآلى * وأفخاذ غلاظ تحت ردف
وبينهما شويخ ذو اتصال * هو الكافى الذى ما حد شافوا * هو السلطان والاعضا موالى
وحامينا بها ذا اليوم يحظى * اذا فرغ الجلا عند الوصال * لها ساقان أعمدة كمرمر
نعومتهم كزبد فى المثال * وتتمشى بأقدام لطاف * وكعب أخضر حسن الخصال
وقد فاقت ما فيه ميل * كغصن البان عند الاعتدال * وهذا بعض وصفك يا عبيلة
وانى موجزلك فى المقال * حواها فارس بطل همام * تخاف الاسد منه فى الدحال
سألت الله خالقنا جميعا * الها واحدا فى الملك عالى * يديمك فى الهنا مع جمع شمل
وهذى ليلة خاص الليالى * وهذا المدح من حارث يسمى * نديما ناظما حسن المقال

(قال الاصمعى) ولما فرغ الحارث ابن الملك زهير من شعره ومدحه لعبلة طربت العربان وكل من كان حاضرا فى ذلك المكان من هذه الابيات الحسان والمواشط واقفات وهن يضربن بالطارات من خلف عبلة وهى تجلى على السادات وهى زائدة الحسن والمعانى وقد صارت تجلى بينهم كأنها الطاووس وشذى عطرها ينعش النفوس وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية وهى بين تلك الجموع تجلى والمواشط والمغانى يزفونها وهم يضربون بالدفوف والمزاهر الى أن أتت الى المكان الذى قد خرجت منه وأخذت منها أمها ذلك السيف وقاعتها ما كان عليها وألبستها ثيابا غيرها وكانت بدلة خضراء من خاص الديباج وقد أخرجتها بين المواشط فصارت تتمايل عجبا بنفسها بين العوالم الى أن قربت من المنصة وكان أمراء العرب من حول أبى الفوارس عنتر وهم جالسون يهنونه بتلك العروس وازالة الهم والبؤس ﴿قال الراوى﴾ ولما أن صارت عبلة عند المنصة قام اليها الامير حجار بن عامر ونظرها وهى فى تلك الحلة الخضراء وكانت مطرزة بالذهب ومرصعة بالجوهر وكانت عبلة من غير ذلك يتحير فيها النظر فاشار عند ذلك الامير حجار وانشد يقول صلوا على طه الرسول

قد أقبلت فى حلة خضراء * تزهو محاسنها العين الرائى * سلبت عقول الناظرين بحسنها
لما بدت تزهو على الندماء * وسبت قلوب الناس لما أقبلت * ثم انجلت أنوارها بضياء
رقت معانى لطفها وتمايلت * بقوامها وبقامة هيفاء * يا حسن قامتها ولينة عطفها
زادت محاسنها بكل بهاء * تجلى على بطل جليل ماجد * هو عنتر الفرسان فى البيداء
صاحت له وهو الحقيق بحسنها * وجمالها الفتان للفصحاء * وبقدها فاقت على غصن النقا
والشعر يحكى ليلة الظلماء * والفرق فرقد والجبين كأنه * بدر منير ساطع بسناء
ولها حواجب شبه قوس اذ بدت * ترمى بأسهمها لقلب الرائى * وكذا العيون السود أقوى مضربا
من كل هندى لدى الهيجاء * والانف أقنى والخدود توردت * فى كل خد وردة بضياء
والثغر فيه لؤلؤ وجواهر * والريق شهد فيه كل شفاء * وكذلك الشفتان شبه عقائق
والعنق يحكى فضة بصفاء * ومعاصم فيها كؤس للعطا * بأصابع العناب بحر عطاء
والصدر لوح من رخام قد حوى * نهدين كالرمان فوق صفاء * والبطن طيات الحرير وقد حوت
فسقية للمسك والزنداء * والخصر منحول وردف حائر * يحكى كثيب الاح فى البيداء
أفخاذها مثل العجين وفيهما * سلطان لذات لدى الكبراء
سيقانها تحكى لعمدان النقا * من مرمر وبياض مع بهجاء
أقدامها ما قدم والفواحش * الا عروس الدرة العذراء
فى حلة خضرا أتتنا تنجلى * سلبت عقول الخلق والندماء
قم يا فريد العصر واحظ بحسنها * هى بنت عمك أنس كل عناء

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ حجار بن عامر من شعره اهتزت العرب طربا وتمايلوا عجبا وشكره عنتر وجميع من حضر وقد نثروا على عبلة النثار من الذهب والفضة وعادت المغانى بالعروس وما زالوا سائرين بها الى أن وصلت الى مكانها الاول وقلعوها ما كان عليها من الحلى والحلل وألبسوها خلعة مسح أسود وقد وضعوا على رأسها عصابة من الجوهر ورجعوا بها الى المغانى وهم يزفونها بحسن المغانى وما زالت تتمايل بين المواشط والمغانى الى أن قربت من المنصة فاطلقت فى قلوب الناس ألف غصة وقد تأملها الامراء والملوك وكل من حضر من غنى وصعلوك وهى كأنها حورية من الجنان وقد سلبت عقول الرجال والنسوان فعند ذلك قام اليها الامير زوضة بن منيع وأشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

جاءت لنا فى حلة سوداء * كالبدر يشرق فى دجا الظلماء * سبحان من جعل المحاسن كلها
فيها وزادت بهجة ببهاء * أخفى لانوار الصباح جبينها * والعين منها شبه عين مهاء
والانف منها مثل سيف مصلت * والخد يحكى وردة بصفاء * والثغر فيه لؤلؤ وجواهر
والريق شهد فيه كل شفاء * وكذلك الشفتان مثل عقائق * والريق للعشاق أصل شفاء
هذا من الله الكريم وصنعه * يعطى المحاسن مع صفا وبهاء * والصدر يعلوه نهود أشبهت
رمانتين وفى اليدين نداء * والبطن طيات الحرير ولينه * والخصر ناحل رقة كهواء
وكذلك الارداف شبه كثائب * جل الذى قد خصها بعلاء * أفخاذها قد اختفى من بينهم
سلطان محجب عن النظراء * سيقانها شبه الحرير نعومة * من مرمر وكفضة بيضاء
سبحان من قد صاغ عبلة فتنة * بشرا سويا كاملا من ماء * قم خذ لطلعتها وشاهد وجهها
يا فارس الاقطار والبيداء * هنالك رب العرش جل جلاله * طول الزمان بعبلة العذراء

﴿قال الاصمعى﴾ ولما فرغ الامير روضة بن منيع من شعره شكره عنتر وجميع من حضر من السادات والامراء الجالسين وقد نثروا على عبلة النثار من الذهب والفضة وبعد ذلك رجع المواشط والمغانى بالعروس وصاروا يجلونها على الحاضرين شمالا ويمين الى أن وصلوا بها الى المكان الذى خرجوا منه وقد غيروا ما كان عليها من الملبوس وألبسوها حلة زرقاء وعادوا بها المواشط والمغانى وهم يزفونها الى أن أتوا بها الى المنصة وقد أرمت فى قلوب الابطال ألف غصة فعند ذلك قام الامير بسطام على قدميه وقد رآها وهى لابسة تلك الحلة الزرقاء التى هى من ملابس الملوك فعندها أنشد يقول صلوا على طه الرسول

أتت تنجلى بين المواشط فى السعد * بخلعتها الزرقاء كاملة المجد * ففى رابع الخلعات أنشد قائلا
نظاما وفى مدحى لعبلة أستبدى * عروس تحاكى البدر عند كماله * مطوقة بالعز والسعد والعقد
فقلت لها سودى على سائر الورى * بحسنك والاحسان والقد والمجد * عليك سلام الله يا بنت مالك
يدوم عليك الآن فى القرب والبعد * ومن بعد هذا اليوم عنتر صاحبى * ويحظى بكى ليث يفوق على الاسد
فأنت سلبتى كل عقل لعاشق * اذ مست ما بين المواشط بالجد * وفرقك شبه البدر والشعر ليله
وحسن جبين نوره صار فى وقد * حواجب حقا قد رمونى بأسهم
ولحظك أقوى فى القلوب من الغمد * وأنفك أبهى من مليح مقوم
كذا من خدودك تجتنى حمرة الورد * وفى ثغرك المعسول خمر وقرقف
وقيل شراب سكرى كما الشهد * وعنق كعنق الريم والصدر صادر
كلوح رخام فيه مقتبل النهد * نهودك كالرمان والبطن نزهة
منعمة شبه الحرير من الهندى * وخصر نحيل فوق أرداف قد علت
مرجرجة تحكى ضروبا من الزبد * وكاف وسين لا يرى وهو بارز
كذا نقلوا عنه المواشط فى النشد * وأفخاذها مثل العواميد خلتهم
وسيقانها ساقوا لها نضرة السعد * وأقدامها تمشى بها نحو فارس

همام برسم الفرح والسعد والرشد * ومسكى قد غصن بان قوامها
اذا خطرت فاقت على الخرد الجرد * كان الثريا علقت فى جبينها
وباقى نجوم الليل فى الصدر كالعقد * يكاد صبيب الماء يجرح جلدها
اذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد * ويخدشها لبس الحرير للينها
وتشكو الى الدادات من ثقل العقد * ولو لبست ثوبا من الورد خالصا
لاخدش منها جلدها ورق الورد * ولو تفلت فى البحر والبحر مالح
لاصبح ذاك البحر أحلى من الشهد * ولو واصلت شيخا كبيرا على عصا
لاصبح ذاك الشيخ يغتال للاسد * تهن بها فى الدهر يا فارس الوغا
بطول المدا والضد فى القهر والكمد * واستغفر الله العظيم من الخطا
* اله تعالى فى الجلال وفى المجد *

﴿قال الاصمعى﴾ ولما فرغ الامير بسطام من شعره ومما نظم من تلك الابيات المطربات تمايلت لها السادات وانشرحوا ومرحوا فى تلك الربوات وقد شكروه على ما قال من تلك المقالات المبدعات ونثروا على رأس عبلة النثار من الفضة والذهب وأعطوا المواشط والمغانى وقد عادوا بعد ذلك بها وهى تتمختر بينهم كانها حورية من الجنان وقد غفل عنها رضوان والناس يتعجبون من حسنها وجمالها الذى قد أعطاه الله لها وما زال المواشط يجلونها الى أن أتت الى المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس وهى الحلة الزرقاء وألبسوها عوضا عنها حلة حمراء وهى مرصعة بسائر المعادن واليواقيت وقد خرج وابها المواشط والشموع تتقد فى أيديهم وما زالوا يجلوها حتى وصلت الى المنصة التى جلس عليها الامير عنتر الفارس القسورة ونور جبينها قد أخجل شمس النهار وقد أذهبت عقول الحضار مما قد شاهدوا من تلك الانوار فعند ذلك قام الامير معديكرب الزبيدى من بين الرجال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

تبدت فى ثياب الاحمرار * وحلتها كمثل الجلنار * بوجه مثل بدر التم أبهى
علا فوق السما وعلى المنار * وحسن قوامها مع لين خصر * تزيد لمن يراها افتكار
وهذه ليلة بالفرح جادت * فلم نبرح هنا طول النهار * لها غنت مغانى مطربات
على جنك ومزمار وطار * وألحاظ تجرح من يراها * اذا مالت لذى خلع عذار
ويحظى بالعروس أبو الفوارس * ويتهنى ويعمر للديار
سألت الله يبقيكم جميعا * لنا فى العز مع قرب المزار

﴿قال الاصمعى﴾ ولما فرغ الامير معديكرب من انشاده تلك الابيات طربت لها السادات وقد نثروا النثار على رأس عبلة من الفضة والذهب وعادت المواشط بالعروس وهى تجلى بين هؤلاء الجلوس وهى كانها طاوس وما زالوا بها حتى أوصلوها الى المكان الذى طلعت منه وقد قلعوا ما كان عليها من الملبوس وألبسوها حلة غيرها وهى الحلة السادسة وقد خرجوا بها الى الجلاء بين تلك الخلائق وهم شاخصون الى ما أعطاها الله من الحسن والجمال والبهاء والدلال وما زالوا يزفونها الى أن وصلت الى المنصة فعند ذلك قام الامير عروة بن الورد على الاقدام وأبدى الضحك والابتسام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

تبدت فى ثياب اللازوردى * ونجم الليل فوق الصدر عقدى * لها وجه يفوق البدر حسنا
ويخجل من سناها حين تبدى * حواجبها كما قوسين ترمى * على عشاقها هزلا بجد
وأعينها كما عين المهاة * لها فى الفرس طردا بعد طرد * لها خدان حمر موردات
لها أنف يحاكى سيف هندى * لها فم كما خاتم عقيق * وريقتها كما سكر وشهد
لها صدر كما لوح مربع * يزينه بها رمان نهد * باعطاف وأرداف ثقال
اذا بانت لمثلى صار يحدى * لها بطن كطيات حرير * وسيقان ثقال فوق قد

وقد صالحت العنتر وهى تجلى * عروس الخيل ذو عز ومجد
تهنى بالعروس وعش سليما * بطول الدهر فى أمن وسعد

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عروة بن الورد مما أبداه من ذلك الشعر والنظام طربت له جميع الملوك والسادات ومن حضر فى ذلك المقام وبعد ذلك نثر عليها النثار سائر الحضار وهى تجلى بينهم كانها بدر التمام وقد شقت القلوب من جفونها بسهام ثم ساروا بها وأوصلوها الى المكان الذى خرجت منه وخلعوا ما كان عليها من الملبوس وألبسوها حلة أخرى وهى الحلة السابعة ووضعوا على رأسها التاج الذى أتى به عنتر من عند الملك كسرى وألبسوها العصابة الجوهر التى يأخذ ضياؤها بالبصر فصارت مثل البدر اذا بدر وأجلسها المغانى على المنصة وقد وضعت فى قلوب الناس ألف غصة وهى تتباهى بالحسن والجمال والقد والاعتدال وصارت تفضح بطلعتها الهلال فعند ذلك قام الامير مقرى الوحش من بين الرجال وزاد به البلبال وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

عروس مهرها مهج البرايا * تبدت فى الثياب لها الثنايا * سبت عشاقها عجبا وتيها
وكاد العقل يذهب للزوايا * كسلطان تحكم فى البرايا * اليه تشتكى عظم البلايا
ويرشد نورها من ضل عنها * برؤيتها وكم أسرت برايا * عروس قد حوت كل المعانى
فما أبقت لحسن من بقايا * تهنى بالعروس وعش سليما * أيا بطلا لا تراعيه الرعايا
ترقى وارتفع درج المعالى * فانك ذخرنا معطى العطايا * فعش واسلم مدى الايام دوما
وكل عداك يلقون الرزايا * فهذى ليلة بالسعد نارت * بقيس الرأى ذا ملك البرايا
وعبس كلهم جمعا ينادوا * له بالنصر من رب البرايا
وأبدع عنتر ادوما الطى * بنصر منك مع وفر العطايا

﴿قال الاصمعى﴾ يا سادة يا كرام ولما فرغ الامير مقرى الوحش من هذا الشعر والنظام شكره الحضار ونثروا على عبلة النثار من الفضة والذهب وقد فرح جميع الاصدقاء والاحباب وزال عنهم الهم والارتياب ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قام الامير شيبوب وتقدم الى عبلة فقال له الملك قيس ما بالك يا شيبوب قد أتيت ووقفت قدام عبلة وصرت باهتا كالابله فقال شيبوب وأنا الآخر يا ملك مالى نصيب فى رؤية الحبيب فقال له الملك قيس وما نصيبك يا شيبوب فقال له رؤية عبلة لانها تزيل عن القلب الهم والغم والكروب فقال له صدقت يا شيبوب ولكن شيئا من أشعارك الحسان وصف لنا ما أعطاها الله من الحسن والجمال وعلو الشان فقال له يا مولاى أنا لا أقدر أن أصف لك ما فيها من المعانى لعجز لسانى ولسان أمثالى لعلمى بما هنالك من المعالى ولكن يا مولاى اسمع بعض وصفها وما أقول فيها انها كان أول ليل فشعرها مثل شعر الخيل وهو أسود مثل الليل ولها جبين وضاح يحاكى المصباح وعينان تحاكى الغزلان يرشقان من يراهما بنبال وفوقهما حاجبان كانهما قوسان ولها خدود موردات صنع مدبر الكائنات ولها أنف كحد الحسام اذا جرد على الفارس الهمام ولها وجنات تحاكى الجلنار وهى تذهل الابصار ولها فم كالعقيق يسيل منه الرحيق ولها شفتان كالمرجان ولها أسنان كانها اللؤلؤ المنظوم صنعة الحى القيوم ولها عنق كانه البلور يضىء منه النور ولها صدر كانه لوح من الرخام تتحير فيه الافهام ولها بطن كانها طيات الحرير الذى ليس له نظير وفوقهما نهدان كانهما رمان يتمايل فوق الاغصان وتنتهى منه الى ردف يقعدها اذا هى أرادت القيام تورث به الجسد السليم السقام ولها خصر نحيل يداوى العليل ولها أفخاذ كانها مصاطب من المرمر يأخذ ضياؤها بالبصر وبينهما شئ لا أقدر أن أذكره مخافة من أخى عنتر وهذا ما عندى من القول والخبر * قال فلما سمع الملك قيس هذه الاوصاف من شيبوب هو ومن كان حاضرا من السادات تضاحكوا عليه وأعجبهم كلامه فقال له الملك قيس والله يا شيبوب ان هذا الكلام ليس له مزية ولكن يا شيبوب نحن نعذرك فيما قلته من الكلام لانك أنت لا تعرف شيئا من

الاشعار ولانك مثل أخيك فى التذكار ولوكان ذلك فهم كنت أنشدتنا شيأ من الشعر والنظام ﴿قال الناقل﴾ كل ذلك يجرى بين الملك قيس وشيبوب وهم يتضاحكون عليه وكانت عبلة واقفة تسمع وترى فعندها تبسمت وتمايلت فافتتنت العقول وكل من نظر اليها صار مذهول وقد أعجبها كلام شيبوب وما نطق به من الكلام الذى يريح القلوب وبعد ذلك التفت شيبوب الى الملك قيس وقال له يا مولاى ان كان ما أعجبك نثرى فانا أسمعك شيأ من شعرى فقال له الملك قيس أسمعنا ما خطر ببالك نجح الله كل أعمالك فعندها أشار شيبوب ينشد ويقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

خذوا حذركم من لحظها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر
ولا تخضعوا من رقة فى كلامها * لان لها جسوا القلب مجامر
فلو فى الكرى مر النسيم بطرفها * سرى أبدا من طرفها وهو عاطر
قلائدها تشكو الظما ووشاحها * اذا أشرقت من معصميها الاساور
بعيدة ما بين المخلخل والطلا * وذا الطرف عنها ينثنى وهو خاسر

(قال) فلما افرغ شيبوب من شعره ونظامه الذى ذكره فى وصف عبلة وهى تسمع وصفها افتكال وجهها بالعرق وفرحت بما به نطق فتمايلت الخلائق على بعضها وقد أعجب عنتر وصف أخيه شيبوب لعبلة هذا ثم تأخر شيبوب الى وراه وقد نثر على عبلة النثار ثم عادبها المواشط الى المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس وألبسوها خلعة غيرها وأخرجوها وهى تجلى بتلك الخلعه فعندها غنت المولدات والمغانى وضربوا بالدفوف والمثانى وقد تقدمت مقدمة المغانى الى قدام عنتر البطل القسور وأشارت اليه تقول صلوا على طه الرسول

ياصاح جاء الليل هالك الرواح * والفجر قد أقبل وبان الصباح
فيا فتى انهض وقم قائما * نحو الحمى واسع لزين الملاح
واحظى بعبلة وارتشف ثغرها * وافرح بوصل الغانيات الرداح
الله يبقيك فى الهنا دائما * ما غرد القمرى بدوح وناح
هذا تمام السعد ياذا الفتى * لم يبق الا الحظ والانشراح
فكن الى عبلة من القادمين * واغمد حسامك صاح ماذا مزاح
وهذه ليلة بلوغ المرام * فانهض أيا عنتر لذات الوشاح
واطعن غزال البر ياذا الهمام * ودع العواذل يكثرون النواح

﴿قال الاصمعى﴾ فلما فرغت المغنية من هذه الابيات طربت لها جميع السادات فعندها تقدمت مغنية أخرى الى قدام الامير عنتر وأشارت تصف ما فى عبلة من الحسن والجمال والقد والاعتدال وأشارت تقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

لها فى لحظها الفتان سحر * يذل لسطوتها الرجل الجليد
وتسبى العالمين بوجنتيها * كأن العالمين لها عبيد

﴿قال الاصمعى﴾ وبعدها تقدمت مغنية أخرى وأشارت تقول صلوا على طه الرسول

ان قلت بدرا فالبدر بهجتها * أو قلت شمسا فليس الشمس تحكيها
كأن يوسف أعطاها محاسنه * فكل حسن الورى من بعض ما فيها

﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب الفائق المطرب البديع الغريب ثم انهم عادوا بها الى المكان الذى خرجت منه وقلعوها ما كان عليها من الملبوس وألبسوها خلعة مزركشة كلها بالذهب مطلية وقد دار بها المغانى حول الحلة والشموع فى أيديهم والمشاعل بايدى العبيد وقد هرعت الخلائق الى الفرحة وهم فى فرح بتلك الليلة وبعدها أقبلت المغانى والمواشط وبايديهم الشموع يزفون عبلة وهى تتبختر وتعجب بنفسها والنسوان قد ارتهجوا وهم يزغرتون من خلفها هذا وصياح الناس قد علا وعبلة قد طلعت على كرسى الجلا والارض صارت ترهج والدنيا ترتج باصوات الدفوف وهى بايدى الاماء والنظار الذين كانوا واقفين لا يدرون أهم فى أرض أم فى السماء لانهم قد بهتوا من تلك الصورة البديعة (قال) وكانت عبلة محتقرة لهؤلاء الرجال

واستهانت بالابطال لانها قد سبيت مراز وسافرت الاقطار فعند ذلك صارت عبلة تبسم عجايبة بها فيلمع البرق من ثناياها عند ابتسامها وتتلفت يمينا وشمالا فترشق القلوب بصايبات سهامها وتنعطف فتخطف العقول وهى تكلم اترابها فيتمنى الحضار سماع كلامها ولها من جفونها لحظات أحد من السيوف المرهفات كما قال فيها الشاعر

بدوية لعب الجمال بعطفها * وبطرفها يهتزلين قوامها
وتلفتت فرمت نبال جفونها * نادت محاسنها الى عشاقها
لا تجهلوا أو تقلقوا من تيهها * سبحان خالق حسنها وجمالها
هى فتنة الدنيا بضوء جبينها * وكمالها ودلالها وكلامها
يجلو ظلام الليل حد حسامها * تسبى العقول من الملا بقيامها

﴿قال الراوى﴾ يا سادة ولما أقبلت بها النساء على الرجال وقد رأوا ذلك الحسن والجمال وأخذت أمها السيف من يدها وأرادت أن تردها عن الخباء ليجلوها ثانى مرة فما صبر عنتر بل أخذته الغيرة والحمية والنخوة الجاهلية فهجم عليها هجمة الاسد واختطفها ودخل بها الخباء وصار بها من داخل السرادق وترك فى القلوب حرارة وبوارق وقد سبيت عبلة تلك الخلائق فعند ذلك زاد بالحساد الحسد وذابت قلوب الاعداء من الكمد فعندها قال عمارة لا هناك الله يا ابن ألف قرنان وسلط الله عليك وعليها آفات الزمان كما بخلت علينا بالفرجة عليها فعندها قال الحمون لعنتر بن شداد يحق له يا عمارة أن يفعل هذه الفعال ويصون هذا الحسن والجمال لانه قاسى ما لا يقاسيه انسان ولا صدق فى مثل هذه الليلة أن يظفر بها فما خسرت بضاعته ولا ضاع تعبه فعندها قال عمارة يا بنى الاعمام ورب الارباب ان هذه الليلة ما هى غاية بزوال النعم وفاز بها والله هذا الاسود الادهم ثم انه انصرف وفى قلبه بعض ما فيه من شدة الحرارات وقد بقى شيبوب وجرير على باب السرادق يحفظها من الطوارق * قال وكانت سمية زوجة شداد قد حدثت زبيبة بما أعلمها عمارة بن زياد فوفت له الوعد لاجل العقد * قال وكانت زبيبة ناقصة عقل ومعها طرف من الغفلة فتركت عنتر ابنها حتى اختلى بعبلة ثم دخلت عليه وأفهمته بما وصل اليه وقالت له يا بنى ها أنا أحدثك بحديث عجيب يتحير فيه العاقل اللبيب ولكن لا تحدث به أحدا من البرية فتعاير به أكثر مما عيرت بالعبودية فعند ذلك خفق فؤاده وقال لها يا أماه ما هذا الحديث قالت له أنت يا ولدى قد تزوجت باختك فى الرضاعة وقد مضى تعبك باطلا فعندها قال لها وكيف ذلك يا أماه ولما لم تعلمينى بذلك من زمان فقالت له انى ما كنت أقول انك لا تصل اليها أبدا لاجل ذلك الشان والآن فقد كان ما كان وقد أعلمتك بهذا الحديث حتى تكون منه على برهان لانى قد أوضعت عبلة من ابنى مرارا فعندما قالت لعنتر تنغص عيشه وتكدر وقال اذا كانت أختى من الرضاع كما زعمت فانا أكتم أمرى وأمرها ولا أتقدم اليها بل أتركها فى أبياتى ولا أدع أحدا علمكها ما دمت فى حياتى ثم قعد بجانب عبلة وفى قلبه دبلة وقد صار يتفكر فى سهام المصائب فهذا ما جرى لعنتر بن شداد (وأما ما كان) من عمارة بن زياد فانه قد مضى الى أبياته وقد أضرمت النيران فى فؤاده وتصاعدت حسراته فعندها دعا بولدته كحلا وقد أراد أن يبرد قلبه بنومه معها وكانت كما ذكرنا أشبه الناس بعبلة وأراد أن يتمتع بحسنها وجمالها * قال فرأى نفسه كما يعهد ولا تحركت عليها آلته فافتكر فيما جرى منه فعند ذلك قال لها يا كحلا أظنك غالطتينى وأطعمتينى الدواء الذى أعطيتك اياه وقلت لك أطعميه الى عنتر بن شداد فعندها قالت كحلا ما هذا الكلام يا سيدى أنت قد أبغضتنى لما أبصرت عبلة فى هذا الحسن والجمال فقال لها الا والله يا كحلا فقالت له يا مولاى أنا أعطيته الى خميسة أمة عبلة وقلت لها اطعمى هذا الدواء الى عنتر ابن شداد وما أدرى بعد ذلك ما جرى فعندها قال لها عمارة يا لخناصير تمنى طنجير وقد فضحتينى بين الصغير والكبير لان خميسة أطعمتنى اياه وقد أتتنى بصحفة ملآنة من الطعام وامضيتاه من هذه الاحكام واغبناه من هذا الاسود الحجام ثم وقع فى قلبه الوهم العظيم واشتعل بنيران الجحيم وقال

لاشك انى أكلت الدواء ﴿قال الراوى﴾ ولما أصبح الله بالصباح دخلت النساء على عبلة ينظرن ماجرى لها وأمها بالجملة فرأوها على غير الاستواء وسألتها أمها عن حالها وقعدت تسمع مقالها فقالت ياأماه مادنا ابن عمى منى بل سمع حديثا أشغله عنى فما قربنى ولا ابتكرنى فعند ذلك دعت أمها بعنتر وقالت له ياطنجرايش هذه الفعال أنت تريد تتركنا فضيحة بين العربان وتكسبنا العار طول الزمان فعندها قال عنتر ولماذا ياستاه فقالت أنت أخذت بنتنا بالمحال ومنعت عنها الرجال ولما حصلت لك مادنوت منها بفعال ومابقيت أخرج من ههنا الابالانفصال وبلوغ الآمال فان كنت ماتريدها أخذتها الى عندى ونقطع القيل والقال وان كنت تريدابنتى فاطلب منها سنة الرجال وان كنت طنجيرا البستك ثياب الاماء وقدمت لك المغزل فعندها تبسم عنتر من هذا المقال ومابقى يمكنه كتمان الحال وقال لها ياستاه هل رأيت من يتقدم الى أخته بحال من الاحوال فعندها قالت شريحة أم عبلة وكيف حدثت نفسك بهذا الكلام والله ياعنترانى ماأعرف لها أخا غير ولدى عمرو فعند ذلك أعاد عليها ماسمعه من الاخبار وان أمه أرضعت عبلة من ابنها مرار فعندها قالت شريحة لاعاشت العجوزة المشققة الاكعاب الواسعة الشدقين ثم انها أنفذت خلف زبيبة وأحضرتها من وقتها وقالت لها ويلك ياكشحانه متى أرضعت عبلة من ابن هذا العبد فقالت زبيبة والله ياستاه ماأعلم وماأدرى ماالخبر غيرأن مولاتى سمية قدذكرت لى هذا الحديث الذى تقدم والبارحة افتكرت فيها وفى ولدى عنتر فما علمت من منهما الاكبر فعندها تبسمت شريحة من هذا المقال وعلمت أن زبيبة مالها عقل فالتفتت الى سمية وهى الى جانبها وقدعظمت مصائبها وقالت لها ياسمية أنا أعرف أن فى قلبك بغضة من عنتر وماحل ذلك العناد أن يتغير حتى انك كدرت عيشه وأردت أن تفرقى بينه وبين محبوبته فعند ذلك تبسمت سمية من هذا المقال وحدثتها بحديث عمارة بن زياد وقالت لها ياستاه مارأيت انه يفوتنى عقد يساوى ألف دينار فى كلمة واحدة فشار فى فشار وقدقلت ان عنترما يعتب على فى هذا المقدار بل يحسب أن هذه الليلة التى فاتت أنها من بعض الليالى التى سلفت ويقوم يركب هذه الجحرة العربية من أول النهار وطول الليل ويكتال حتى لايبقى فيه جلد ولاحيل ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر بن شداد هذا الكلام أبدى الافراح والابتسام وزال عنه الهم والغم ونال المرام وبعد ذلك قال للنسوان اخرجوا الآن من ههنا فعندها خرجوا متبسمات ضاحكات الاانهم مابعدوا عن السرادق حتى انهم سمعوا حس صوت عبلة وهى تتألم وقداقتنصها عنتر بن شداد كما يقتنص الغزالة سبع الاجم ونزل عنها وقدفرح وتبسم مما لحقه من الطرب وأشار يقول صلوا على طه الرسول

زعمت زبيبة ان عبلة بنتها * كذبت زبيبة والذى أغواها * فزبيبة مثل الظلام اذابدا
والليل من قدامها وو راها * وعبيلة مثل الصباح وحسنها * يختال من قدامها و و راها
من ذا يشبه بومة بحمامة * أومن يعيب الشمس وقت ضحاها * فلقد أتت أمى بقول منكر
والزور فى اثنا تهادعواها * تبا لها فى قولها من جهلها * تالله قلة عقلها أغواها

﴿قال الاصمعى وأبوعبيدة﴾ ثم ان عنتر بن شداد لما حصل له بلوغ الآمال والمرام وقدساعده على ذلك الملك العلام وقدبلغ مناه وملك ماتمناه فعند ذلك وقع فى الحلة الصياح وزادت بينهم الافراح وزالت الهموم والاتراح وقدحركت المولدات الدفوف من سائر الاقطار وقدرقصت البنات والجوار فعندها أتى الملك قيس واخوته وأعمامه ووجوه عشيرته وهنوه بالزفاف وجددوا الولائم والدعوات ورقصت الاماء وغنت المولدات وقدفرحت جميع الناس وأوفى الملك قيس بمقاله وشرب الكاس ولم يزل هؤلاء الابطال فى أكل طعام وشرب مدام مدة سبعة أيام وعنتر يكرم المدعوين غاية الاكرام الاانه كلما أراد أن يشترى خمرا عنعه الملك قيس من ذلك الحال ويقول له ياأباالفوارس نحن تحمل عنك هذه الاثقال لانك صرت صاحب بيت وعيال (ياساده) ولما انقضت هذه الولائم خلع عنتر بن شداد الخلع المثمنة على الملوك والسادات مثل بسطام وأبيه قيس الشيبانى ومشاجع الخولانى وعباد القيانى وعلى الملك قمعة بن الاشتر

وعلى محار بن عامر وعلى معدى يكرب الزبيدى وعلى من معهم من وجوه العشائر والابطال وقدقادلهم الخيول والجنائب المزينات باجلال الابريسم والمراكب المذهبات * قال ثم رحل كل منهم طالبا أرضه والاطلال وقد فرحوا لعنتر بن شداد ببلوغ الآمال ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر فى هذه الايام لايفارق مقرى الوحش فارس الشام وكان أكثر الاوقات لايقضيها الاعنده وهو فى منادمته ويبالغ فى اكرامه وخدمته وصار يقضى الليل عند عبلة بالافراح والسرور والانشراح وقدزالت عنه الكروب وفرح المحب بلقاء المحبوب هذا والملك قيس يهنيه بما وصل اليه من السرور والذى قدم عليه فعند ذلك قال له الملك قيس كيف رأيت ليلتك ياأباالفوارس وياعدن السماح مع ست الملاح فعندها أشار عنتر يقول



فديتك انى بت فى خير ليلة * أعانق من أهوى الى مطلع الفجر * وبات يفوح المسك من نشر عبلة
وأنفاسها عندى ألذ من القطر * أقبل منها صدغها ثم خدها * يقوم به الدر المنضد فى النحر
توسدنى منها كفعلى بمعصم * وخد على خد ونحر على نحر * ولست أرى بين الانام كعبلة
بوجه لها أبهى من الشمس والبدر * اذا ماأتت يهتز لين قوامها
كمثل اهتزاز الغصن بالورق الخضر * وأقسم انى ماهويت لغيرها
زمانى ولاأسلو هواها مدا الدهر * وماعبلة الافتاة بديعة
مهذبة الاعطاف طيبة النشر * سرى حبها فى القلب منى وفى الحشا
كماسار دمعى فى العروق وفى نحرى * فهيهات أن أسلو هواها من الدنا
بطول المدا حتى أوسد فى قبرى * هى السؤل من كل البرية والمنا
* فلاسلوة عنها الى موقف الحشر *

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عنتر من شعره وانشاده فعندها طربت له جميع السادات وقدتعجبوا من فصاحته وقالوا سبحان الله العظيم الذى أعطاه الشجاعة والفصاحة ثم انهم جددوا الولائم ثلاثة أيام وبعد ذلك خلفوا فرسان القبائل والعربان وانصرفوا يطلبون منازلهم والاوطان شاكرين حامدين والى أياديهم ذاكرين وقدازداد عنتر بن شداد فى ذكره ورفعة قدره ووقعت هيبته فى قلوب العربان وقدأمنوا به من نوائب الزمان واذا فى يوم من بعض الايام وقدعمل الملك قيس وليمة عظيمة واذا بغبار قدثار حتى سد الاقطار وقدطبق الآفاق وحجب نور الشمس عن الاشراق فلما نظره عنتر بن شداد وثب كانه أسد هدار وقد تبعه الفرسان وركبوا خيولهم وغاصوا فى الحديد والزرد النضيد من كل فارس صنديد وهم بالسيوف الهندية والرماح الخطية والخيول العربية وفى مقدمتهم عنتر بن شداد والى جانبه مقرى الوحش وعروة بن الورد وباقى الفرسان وراءه متتابعة ﴿قال الراوى﴾ فلما اقربوا من الفرسان واذا فى مقدمتهم فارس كانه طود من الاطواد وعلى رأسه بيضة عادية كانها مرجل وعيناه تتوقد كانهما مشعل * قال وكان هذا الفارس يقال له العقاب بن سمعمع وكان قدخرج فى هذه الفوارس طالبا أرض الحجاز من بلاد اليمن فمازال حتى وصل الى بنى عبس فعندها ظهر له بعض الوحوش فطلبها فى أصحابه وكان معه ثلثمائة فارس * قال فلم يزل يطرد الوحوش حتى وصل الى أرض بنى عبس وقدثار غبار الفريقين ووقعت العين فى العين * قال وكان العقاب قدسمع بشجاعة عنتر بن شداد ومابان منه وماظهر * قال ثم ان عنترا التفت اليه وقال له أيها الفتى ماالذى أقدمك الى أرضنا أماسمعت بذكرنا أما نحن بنوعبس الكرام الضاربون بالحسام فعند ذلك قال له العقاب ويلك ياولد الزنا وابن اللئام أنت تفزعنا ببنى عبس ونحن أسود الفلا وأبطال البيداء فانت من تكون من فرسان بنى عبس فقال له أنا عنتر بن شداد * قال فلما سمع العقاب أنه عنتر بن شداد اهتز على سرجه وزعق عليه وقال له ويلك ياولد الزنا أنا طالبك من زمان حتى أريح العرب منك ومن شرك وأفنى عمرك فعندها صال وجال وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أياعنتر الفرسان وافاك فارس * له سطوة تخشى بسيف مقاصد * يقد به رؤس الفوارس والعدا

ويجاهم صرعى بكل مهند * فكم فارسا أرديت فى حومة الوغى * يجر على الارض بين غير موسد
فدونك انى فارس ذو عزية * ولى همة تسمو على كل سيد

(قال الراوى) فلما سمع عنتر بن شداد منه هذا الانشاد أجابه على شعره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

كذبت وبيت الله ياذا الشقاشق * وياذا الخنا وابن اللئام الفواسق * فدونك حربى سوف تلقى صميدعا
له همة فى الحرب فوق الخلائق * له سطوة عبسية عنترية * تهد لاركان العدا بالحقائق
يجندل أبطال العدا بمهند * ويجزرهم جزر النياق الشواهق
ويتركهم رزق الوحوش وغيرهم * ورزق طيور البر حتى البواشق

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل وتلقاه وقار به ودا ناه وزعق عليه زعقة تهتز منها شوامخ الجبال * قال وكان العقاب من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة لايخاف الرجال ولايهاب الابطال وكان له وقعات كثيرة وحروب عظيمة بارض صنعاء وعدن (قال الراوى) وكان يتمنى أن يلتقى عنتر بن شداد لانه سمع بفروسيته وشجاعته وكان قد جاء فى طلبه فحمل عند ذلك عليه واشتعلت نار الحرب بينهما وقد طلب بعضهم بعضا وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح * قال وقد دام بينهما القتال واشتدت الاهوال وصاح كل أحد منهم على صاحبه وقد نظر عنتر بن شداد عزم فارس جيد خبير بابواب الحرب والكفاح بصير فعند ذلك زاد به الغيظ والحنق فزعق عليه وطبق وضربه بالسيف على مرفقيه طير رأسه مع شدقيه فعندها خر صريعا يعالج علقما وقد حملت بنو عبس وفى أوائلهم مقرى الوحش وعروة بن الورد فقتلوا أصحاب العقاب وما نجا منهم الا القليل الذى كان جوادا سابقا يا سادة (قال الراوى) ثم رجع الملك قيس وعنتر ومقرى الوحش وباقى الفرسان وقد جمعوا الاسلاب وهم فى فرح الى ان بعدوا عن محل تلك الوقعة هذا وعنتر ابن شداد قدام الفرسان والابطال وهو ينشد هذا المقال

صحا قلبى من الكاس الدهاق * وزال النوم عنى بالتلاقى * وأسعدنى الزمان فصار سعدى
يشق الحجب مع سبع طباق * أنا العبد الذى ألقى المنايا * شديد البأس مر فى المذاق
وجندلت العقاب وكان قرما * غداة النقع أضحى فى المحاق * هوى فى الارض منجدلا بسيفى
يحرك فى الدماء قدما بساق * وأسقيت الفوارس من سنانى * شراب الموت ممزوجا دهاق
أنا الرجل الذى خبرت عنه * غداة الروع مر فى مذاقى * فتى يلقى الفوارس يوم حرب
ولا يخشى مقابلة الرقاق * ألا يا عبل لو عاينت فعلى * وطعنى بالمهندة الدقاق
أدمت محبتى وشكرت فعلى * مدا الايام عن كل الرفاق
وفى سعدى على فلك الثريا * يفوق اسابع السبع الطباق

(قال الراوى) وقد عادوا الى الحى والاوطان وقسموا الاسلاب والنهب على الفرسان وجددوا الولائم والدعوات وشبعت العبيد مع السادات وقطعوا الاوقات باللذات والمسرات وهم على الغدران والجوار والاماء بالدفوف مغنيات هذا وعنتر بن شداد لا يفارق مقرى الوحش ولا يقضى الاوقات الا به فى منادمته ويبالغ فى اكرامه وخدمته (قال الراوى) وقد ترك له مضارب لاقامته وغلمانا برسم خدمته وحكمه فى ماله وأمتعته * قال ولما انقضت الولائم والدعوات وانصرفت المواكب والسادات خرج عنتر بن شداد فى بعض الليالى من عند عبلة وقت السحر وقد تمشى يطلب خيمة مقرى الوحش ليسأله عن حاله لانه قد نظره فى تلك الايام مقصرا فى الاكل والشرب فعند ذلك علم عنتر بن شداد انه منكسر الفؤاد لأجل غربته وبعده عن عزه فى دياره وشوقه الى مسيكة محبوبته فاراد أن يسليه بمنادمته ويوعده بالمسير فى صحبته ويعاونه على قضاء حاجته لان العاشق يعرف باحوال العاشقين ويعلم بمواقع الفراق عند المحبين (قال الراوى) ولما دخل على مقرى الوحش سمعه وهو يذكر أرض الشام ومضاربه ومضارب مسيكة والخيام وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

نسيمك فاح بأرض الشام * اذا ما زارنى أبرى سقامى * فهى ان استطعت على فؤاد
عليل يشتكى كرب الغرام * وان راعيت عهدى فاحمل لى * الى محبوبتى طيب السلام
وان خطرت مسيكة من خباها * وماست بين أطناب الخيام * سليها أن تمن على وقتا
بطيف تحت أستار الظلام * قصدت الى العراق وقلت انى * أعوذ بنعمة الملك الهمام
وألقى كل جبار عنيد * بطعن الرمح أو ضرب الحسام * فلاقانى فتى من آل عبس
كأن حسامه برق الغمام * اذا خاض العجاجة يوم حرب * يشيب ضربه راس الغلام
ويقطع سيفه سبل المنايا * ويسبق رمحه رسل الحمام * همام قد بنى مجدا رفيعا
لعبس فى الورى دون الانام * وشيده بفعل شريف مجد * وقوى منه أركان الدعام
اذا ما سار نحو عداه يوما * وفى يده علاقات الحسام * نرى برق المنية منه يبدو
ورسل الموت تسرع بالحمام * وان ناديته يوما مخيفا * أظل عليك ظلا من غمام
وجاء بنعمة منه وفضل * كفيض البحر منه وهو طامى * علا فخرا على كل البرايا
بطعن الرمح أو ضرب الحسام * يبيد عداته يوم التلاقى * على خيل معودة الصدام
شجاع قد رقى درج المعالى * وحاز فضائلا بين الانام * فان فخروا عليه وقد تعالوا
وقالوا انه نسل الحرام * فقد كذبوا وحق أبى قبيس * ورهبان بنجران كرام
فافعال ابن شداد عنتر قد تناهت * وفاق بجوده السحب الهوامى * فتى حاز المكارم والعطايا
منيع الجار محفوظ الذمام * وقد فوضت أمرى نحو ليث * كريم الجد من نسل الكرام
فان جاد الزمان بجمع شملى * بهو بسيفه العضب الحسام
والا مت بين الوحش حتى * يذيب الشوق لحمى مع عظامى

(قال الراوى) فلما سمع عنتر بن شداد هذه الابيات تناثرت من أجفانه العبرات وألحقها بحسرات متتابعات لانه أخبر باحوال الاشتياق وقد ذاق طعم مرارة الفراق فعند ذلك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم يارب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام اجمع شمل كل محب بمحبوبته وبرد ما به من كربه وعلته وبلغه يارب أربه مثل ما بلغتنى المنى من بنت عمى وبعد ذلك دخل عليه وسأله عن حاله فعندها شكره مقرى الوحش على مقاله وقال له أنا فى كل خير وعافية مادمت فى انعامك وتحت ظل حسامك فعند ذلك قال عنتر بن شداد لا والله يا وجه العرب ما يشكر الانسان زمانه الا انه اذا كان حبيبه قدامه وقد نال منه مرامه وهدأ من هجرانه ونحن على كل حال ظالمناك وطولنا عليك الوعد الذى به وعدناك والآن ما بقى لنا فى الديار حاجة ولا مقام الا المسير الى بلاد الشام وخلاص محبوبتك مسيكة بالحسام والا فلا يكون لك قرار ولا يطيب لك مقام فى هذه الديار على انى ما أتيت اليك الا أشاورك فى الركوب الى الصيد والقنص فسمعت ما أشغلنى عن هذا الغرض فاشرت عليك حتى نسير الى قضاء اشغالك وبلوغ مرادك وآمالك فعند ذلك أنفذ أخاه شيبوب فى طلب عروة بن الورد وابن أخته الهطال يأمرهم بالركوب فى ثلاثين فارسا أبطال وقد قال مقرى الوحش يا أبا الفوارس أخر هذا الامر والترتيب عنك خوفا من الدهر فعندها قال عنتر بن شداد لا وحق من شعشع الشعاع وشق الابصار والاسماع وتفرد بالعلو والارتفاع لا أشتغل باحد ولا بمضاجعة النسوان عن قضاء حوائج الاخوان حتى أقضى حاجتك وأبلغك مناك والآن قد بلغنا المنا وزال عنا العنا فقم حتى نقضى أشغالك وأسرع الى بلوغ آمالك (قال الراوى) وما طلع النهار وأضاء فى الاقطار حتى ركبت الابطال وفى مقدمتها عروة بن الورد والهطال بعد ما أوصى الملك قيس على الحريم والعيال والاولاد فعند ذلك قال له قيس يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا وكن آمنا على الاموال والحريم ولولا أننا نخاف من أمر يتجدد ما كنا مرنا الا كنا معكم لان بنى فزارة قد جمعها سنان وأخذ حصن بن حذيفة وسار وافى جميع الابطال والحريم والنسوان يشتكون الى الملك النعمان وربما يسير الملك النعمان الينا بنفسه فى سائر العساكر

والفرسان فعندها قال له عنتر بن شداد يا ملك الزمان اترك من بالك هذا الامر ولا تخف من أحد بعد حذيفة وأولاد بدر لانه ما كان ينفذ الينا العساكر والقبائل والفرسان الا حذيفة بن بدر الناكث الغدار ونحن يا ملك الزمان ان شاء الله تعالى ما نبطي في الشام غير شيء يسير من الايام الى أن يرجع سنان من أرض العراق ويجمع النعمان الفرسان من سائر الآفاق ﴿قال الراوي﴾ ثم ودع الملك قيس وعاد الى بنت عمه عبلة وودعها وأوصى عليها أباها وأمها وأخذ أخاه شيبوب ومقري الوحش وقد لحق الثلاثين فارسا الذين ركبوا مع عروة ابن الورد والطال واستقبل أرض الشام ومهب الشمال وقد سلك بهم شيبوب أرض حاجر وضهير وأخذوا في جد المسير حتى أمسى المسا وباتوا على بعض الغدران والمناهل وحوطها مراعي وشعب كثير النبات وهي ما بين حاجر وضهير وقد باتوا هناك تلك الليلة وعند الصباح جدوا في المسير وقطعوا القفار الى أن طلعت الشمس وتضاحي النهار فعند ذلك وقف عنتر بن شداد وتذكر عبلة بنت عمه فعندها تنهد وتحسر وأنشد وجعل يقول

هل عرفت الدار رسما محيلا * دارسا بعد جده معلولا * لعبيلة كأنه رسم وشم
زاده قلة الانيس نحولا * زعزعته الصبا في كل وقت * ثم جادت له الشمال قبولا
فكان اليهود في يوم عيد * ضربوا في خلاله ذاك الطبولا * غير أن السيول والريح خلت
تربها في رسومها محلولا * عمرت دارها تهامة بالامس * وفيها بني معد حلولا
فتراها وأهلها أهل صدق * في فنون من الربيع نزولا * حتى تبدي لنا عبيلة وجها
مستنيرا وعارضا مصقولا * لم يكن حبها جديدا ولكن * كان قديما مخالطا عقولا
قصدتني بسهمها اذ رمتني * طفلة في الشباب لا في الكهولا * ذات ثغر كأنه نظم در
ولما ها يشفي فؤادا عليلا * وكأن العنبر والمسك فيه * وفروع الرضاب والزنجبيلا
ما غزال يدعى الصبر وبد * ين نحو صدا اذا أراد المقيلا * اذا تبدى لنا بأحسن منها
فلربما عدح الخليل خليلا * ما جزائي ان يقال عني باني * سرت عنهم أقضي حقوق الخليلا
فابشر الآن يا خليلي بظعن * يترك المرء والشباب كهولا * بسيري الى الشام محثا
انني مسرعا لامر عجولا * والقني في كتائب وجيوش * ضاق سهلها بجرد الخيولا
ودعاني أجول فيها بمهري * حين أبغي البراز عرضا وطولا * ما فخاري اذ لم يكن في فخار
اطعن القنا وضرب النصولا * فابشر الآن يا مقري الوحش * اني لك خلا وفيا ونعم الخليلا
ان تكن عاشقا مسيكة اني * فهوى عبيلة غدوت قتيلا
واسأل النصر من الله القديم * دائما كل ما يشا مفعولا

﴿قال الاصمعي﴾ ولما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها السادات والفرسان العبسيات وقالوا لله در أبي الفوارس وزين المجالس فانه سيف بني عبس القاطع ودرعها المانع وأما مقري الوحش فانه تعجب من تلك المقالات المطربات وقال له يا أبا الفوارس لا فض الله فاك ولا كان من يشناك وبلغك الرب القديم مناك فقد حملتني من المنن ما يعجز عن حمله البدن يا فارس الزمان وفريد العصر والاوان فعندها قال عنتر البطل الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام انك فارس البطاح وليث الحرب والكفاح وقد انفردت بالفصاحة والكرم وحسن الشيم فقال مقري الوحش ما أنا الا طليق سيفك وأمين خوفك يا ليث البراز وفارس اليمن والحجاز ثم ان مقري الوحش أنشد وجعل يقول

بات ليلي بالانعمين طويلا * أرقب النجم ساهرا كي يزولا * وأراعي بنات نعش مع الجوى
وجسمي قد حان منه النحولا * كيف أنساك يا مسيكة أو أسلو * عن هواك وما شفيت غليلا
بل تغربت مشردا عن حماكي * قد كساني الغرام منه نحولا * وسقاني من حبها كاس وجد
فشربت منه شرابا شمولا * وسبتني مسيكة بهواها * وكذا تسلب الملاح العقولا

فلنفسي زجرت وقلت قولا * أطلبي العز فما نبلغ المراد ذليلا * وحملني هوى مسيكة حتى
أطلب الفخر فوق ظهر الخيولا * بحد الحسام في حومة النقع * وصدر المثلم المصقولا
والقيت الفرسان من آل غسان * وأرديتهم بحد النصولا * وخطبت مسيكة من أبيها
قال لي اقصر فما الى ذاك سبيلا * دون أن تأتيني بخيل ونوق * وجمال ترضي والاماء جزيلا
فقطعت البلاد غربا وشرقا * وقفارا ومهمها وسهولا * ليس فيها الا العظام وأرض
لا يجيب فيها الخليل الخليلا * تسمع الجن في دوي وحنين * أي لا يعرف الدليل الدليلا
فطلبت العراق نحو مليك * سيدا ماجدا هماما جليلا * ابن ماء السماء من ملك الخلق
باحسانه ويعطي الجزيلا * ثم لاقيت منه ليث كفاح * أسد يترك العزيز ذليلا
يرعد الضد منه في رهجة الحرب * ويفني شبابها والكهولا * واذا أشهر الحسام ترى الموت
على شفرتيه حقا نزولا * يا ابن شداد أنت ذخري * وركني ورجائي لكل أمر مهولا
أبدا تردي الفوارس في الوغا * ثم تخضع لك الكماة الفحولا

﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك تعجب عنتر بن شداد من شعر مقري الوحش وشكره الفرسان من بني عبس وعدنان وقالوا والله يا وجه العرب لقد قلت بعض ما فيه قال وكثير من الابطال لا يقدر يلاقيه لانه أسد الميدان وفارس الزمان فعند ذلك شكرهم عنتر بن شداد وأثنى عليهم في هذا المقال وقال يا بني الاعمام ما أنا الا منكم على كل حال وأنتم رجال في المجالس وأبطال وبسيوفكم أضرب وبهمتكم أغلب ثم انهم بعد ذلك ساروا وشيبوب يقطع بهم البر والقفار وقد أكثروا عليهم من الزاد والعدد والابكار شائلات الزاد وقد استعدوا للحرب والمصائب وأيقنوا بخوض الليل والنوائب فعندها بهت مقري الوحش وتعجب من قلة اكتراثه بالفرسان وكيف يريد يلاقي أهل الشام وما فيهم الا كل فارس همام وأسد ضرغام لانهم أبطال مذكورين وقد التقوا الوقائع وخاضوا المعامع وتفكروا في خلاص مسيكة من بلاد الشام ودونها فرسان كرام وبعد ذلك فما استكثر له هذا الامر والعقل ولا خاف عليه من لقاء الابطال لان السعادة مقرونة بعنتر ولا فارس مثله يوجدوا السعادة من الولادة ولا بد ما يبلغ صاحبها ما يشاء من الارادة ولو لم يعلم انه قادر على هذا الامر ما كان سار اليه واني أرجو أن يكون أهلا على ما قد ذكر ولا تلم به حوادث العبر ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه الجارية الذي قد سار عنتر في طلبها يخلصها الى مقري الوحش من أحسن البنات الموصوفات بالحسن والجمال والبهاء والكمال قال وقد اشتهر جمالها على ألسنة الرجال وشاع ذكرها في سائر الاقطار وقد تعايدت به النسوان على المغازل وهي الذي قد جسرت مقري الوحش على الاهوال وأذلته وهو بطل لا يقاس بالابطال لانه غرق في بحر هواها وتمنى الهلاك الى أن بلغت نفسه مناها الا انه لما وقعت هذه الجارية مسيكة بقلبه واشتغل بها خاطره وأبه وكان قليل المال وما كان معه شيء يتقرب به الى أبيها وأهلها ولا شيء يرضيها ولاجل هذا ركب الاخطار وطاعن الفرسان حتى بلغ المنزلة في الفروسية بالهمة العلية ﴿قال الراوي﴾ وقد صار وحيد زمانه وما كان أحد يساويه من الابطال ولا يضاهيه من الرجال وقد شاع ذكره في بلاد الشام وقد أحبه الخاص والعام قال ولما زاد به الغرام منعه عن أكل الطعام وشرب المدام ولما كثر هواه وزاد جواه فعندها تقدم الى أبيها في بعض الايام وسلم سلام الكرام وحياه بالاكرام وبعد ذلك قال له اعلم يا عم انني قد أتيتك خاطب راغب لما أنت عليه من الحسب والنسب والثاني لما في بنت عمي من الحسن والجمال والادب فهل أنت راغب فيمن هو راغب فيك ولا تخيب قاصدك وتحسن الظن فيمن أحسنه فيك فلما سمع عمه هذا المقال قال له أكرم بمن خطب وأجل من فيه رغب وهي لك أمة مسلمة وأنا لك عبد من جملة الخدم فعند ذلك قال له اعلم انني قد ارتقيت بك الثناء والمجد اذ أنت أجبتني على ما أريد والى ما في مرادي وشفيت غليل فؤادي فعندها قال مقري الوحش وقد فرح باجابته وقال ما الذي تريد يا عماه أطلعني على سرك وبين لي مكنون أمرك وما تريد حتى أقوم به ولو كان ما كان ولو أردت أموال جميع العربان من سائر البلدان فأنا ضمان عند لقاه

الاقران فعند ذلك قال له عمه أنا ما أطلب منك الاشياء يعلو به قدرك ويزداد فخرك وهو أنك تسير الى أرض العراق وتفعل بفرسانها كما فعلت بفرسان الشام من الآفاق وتحضر بين يدى النعمان بن المنذر وتشهر سيفك وتأخذ الطبقة بذلك والمرتبة الثنية وتأخذ منه ألف ناقة من النوق العصافيرية الذى ما لاحد مثلها فى العرب أرباب المناصب والرتب وتفتخر أنت على الفرسان ويعلو قدرك عند أهل هذا الزمان بانك قد فعلت فعالا تعجز الانس والجان فعندها قال مقرى الوحش سمعا وطاعة وها أنا طالب الى ما طلبت وسوف يصلك ما أفعل بفرسان العراق وكل بطل فى الآفاق وأضرب بسيفى أعلاهم وأبدد أقصاهم وأدناهم وأنا مبادر ومسارع ورب السماء هو المعطى المانع فعندها قد ودعه مقرى الوحش وسار الى أن نزل الى أرض العراق واتفق له الاتفاق وقهره عنتر بن شداد وقطع اياسه من سائر المواضع وتخلى عن المطامع وانكسرت نفسه عنده وما بقى له رجعة الى عمه والى بلاد الشام وانقطع رجاه ولا بقى له فى الجارية مطمع فعند ذلك سار يأخذها بالسيف كما ذكرنا ويعاونه فيها عنتر بن شداد ولما نظر عنتر بن شداد الى انكساره وانحصاره وتقصيره فى أكل الطعام وشرب المدام ساروا على ما ذكرنا يقطعون البيداء والآكام حتى أشرفوا على تيميا والقصور وقد عولوا على النزول فيها وأخذوا الراحة واذا بتلك الارض ملآنة من الخيام والاعلام وقد أبصر رايات وأعلام وخيام مختلفات الالوان وعبيد وغلمان وفرسان ﴿ قال الراوى ﴾ ولما نظر عنتر بن شداد ومقرى الوحش الخيام فعند ذلك قال لعنتر بن شداد يا أبا الفوارس أنا ما كنت أعهد فى هذا المكان ينزل الا الصعاليك والضعفاء من بنى غسان والرأى انكم تثبتوا فى أماكنكم حتى أسير وآتيكم بخبرهم ومن يكونوا من الفرسان فعندها قال له شيبوب يا فارس الشام لا تتعب نفسك فأنا أسير وآتيكم بالخبر ومن يكونوا هذه العربان فعندها قال مقرى الوحش لا يا أخى بل أنا أخبر ببلادنا وأسير على بلوغ مرادى ثم بعد ذلك أخذ أهبته وأرخى عنان حجرته وقد طلب تلك الاعلام المنصوبة والخيام المضروبة ﴿ قال الراوى ﴾ وكان السبب فى ذلك الجيش الذى فى أرض تيميا والفرسان من أجل مسيكة بنت عم مقرى الوحش بنت صاحب حوران الذى عنتر ومقرى الوحش سائرين فى طلبها لانه بعد مسيره الى النعمان فى طلب الصداق شاع خبرها فى كل مكان وشهرت بصفاتها بنو غسان وأتت الى أبيها الخطاب من سائر البلدان الاغراب وأبيها لا يلين الى خاطب ولا ينعم لطالب أبدا بل يقول يا بنى الاعمام ان الانسان على صدق اللسان يحلف ويعود ولا ينقض عهدا لان الامر قد فرط من بين يدى وما بقى لى فيه حكم لان ابن أخى مقرى الوحش قد زوجته ابنتى على شرط شرطته عليه وقد ضمن على نفسه أن يوصلنى اياه وقد سار يأتينى به وأنا ما يمكن أغدر به ولا أخونه فى مقاله فتمايرنى به الابطال وقد قصد أرض العراق ليأتى بالصداق وأخاف أفرط فى زوجته فلا آمن على روحى وعلى كل من كان يخطبها منه لان مقرى الوحش ما يؤمن من نكده والرأى أن تكفونى من هذا الامر والسؤال وتقضوا الى هذا الحال والمقال ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمعت الخطاب هذا المقال تقطعت بهم الاسباب وعلموا أنه صادق فى المقال وقد شرح لهم الحال ﴿ قال الراوى ﴾ وكان الحارث الوهاب ملك الشام والحاكم على الخاص والعام وهو نائب الملك قيصر وكان ملك حمار وأسد دار وفارس مغوار يحكم على سائر البلاد المسيحية والجزائر البحرية الدنية والقصية وسائر ملوك النصرانية وتعطيه أعناقها بالطاعة وتحمل اليه الجزية والخراج من سائر البلدان وكان حسن السيرة فى بلاده عادل فى رعيته وأجناده قال وكان اتخذ الحارث الوهاب له نائبا فى بلاد الشام وولاه على الخاص والعام لما نظر فيه من النجدة والحمية والشجاعة والفروسية وقد سكنه دمشق وما يليها من بلاد الشام وولاه على الخاص والعام وحكمه على رقاب العباد ﴿ قال الراوى ﴾ وكان للملك الحارث ولد مليح الشباب يسمى غدير وهو مثل البدر المنير وكانت بنو غسان تسميه بدر النصرانية وسراج أهل ماء المعمودية وهم منعكفين على محبته قيام فى خدمته وكان من ذوى الالباب وكان متخذا من فرسان بنى غسان ندماء وأصحاب وأمراء وحجاب يقضى معهم اللذات ومجالس المسرات بينهم قال وقد ذكرت مسيكة بين يديه ووصل حديثها اليه وما هى عليه

من الحسن والجمال والادب وعلو الجاه والحسب والنسب قال ولما سمع بدر بهذه الصفة هام فؤاده لما سمع بجمالها وما بقى له جلد ولا مصطبر مما دخل على قلبه من محبتها والجوى ومن شدة عشقه دخل على أبيه الوهاب وكثر به الالتهاب وقال له يا مولاى الامر كيت وكيت وقد وقعت محبة مسيكة بنت صاحب حوران فى قلبى واحتوت على عقلى ولبى ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع أبوه هذا المقال صار الضياء فى وجهه ظلام وزاد به الغيظ والغرام وصاح فيه ونهره وقال له ايش هذا المقال وسوء الفعال وطريق الضلال أفنكون نحن الحكام وملوك الشام وسادات الزمان وأمرنا نافذ فى البرارى والبحار وتتزوج ببنات حوران الى ما نرضاهم لنا عبيد وغلمان ونضيع أحسابنا وأنسابنا وقال أنا أقسم بالمسيح بن مريم والانجيل المعظم انى لو طلبك ملك الروم الذى أنا من قبله وطلبك الى بنته ويعطيك سيف الملك ويوليك مملكته ما رضيت ذلك ولا ضيعت نسبى وشرفى ولا أزوجك الا من بنات السادات العاليات ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع بدر هذا الكلام زادت نيرانه اشتعال قال وكنا قد ذكرنا أن لهذا الغلام ندماء وأصحاب من بنى غسان يأكلون معه ويشربون والى خدمته يسارعون وانه لما عاد من عند أبيه اشتعلت النار فيه وقد أحضر بين يديه من يعز عليه ومن يعلم أنه يكتم سره ويخفى أمره وقد شرح لهم ما يلاقى من محبة مسيكة بنت مجير وما فى قلبه من الوجد والغرام فعندها لما سمع هذا الغلام مقال غدير رثى لحاله وقال له وحق المسيح يا مولاى ما بقى لك الى هذه الجارية وصول خوفا من أبيك ولكن بقى هنا وجه واحد به يزول عناك ويتم غناك فعند ذلك قال غدير وما هو أشر على فعندها قال له تنفذ الى أبيها كتابا مع بعض الرجال فيخطبها لك ويرغبه بالمال وتقول له فى الكتاب أن تأخذ بنتك وتسير بها الى أرض العراق حتى أتبعك أنا فى جماعة من أصحابى والرفاق وتنزل على الملك النعمان وأتزوج بها وتقيم فى تلك الارض والمكان وانظر ما أعمل فى حقك من الاحسان على أنى ما يقدر على فقدى ولا على بعدى اذا سمع بمسيرى الى الملك النعمان فيمن معى من الفرسان فأنا أعلم انه يترضانى ويبلغنى غاية آمالى وتحظى أنت بمصاهرتى وتكون أعز الناس عندى فلما سمع غدير من الغلام ما أشار به من الكلام وقع فى قلبه الفرح والابتسام وقال وحق المسيح لقد أشرت وما قصرت فيما نصحت وذكرت ثم انه استدعى بعض حجابه وكان فيه فصاحة وأدب ماهر فى الرسائل والجواب ويصالح بين القبائل وقال له تمضى الى أبى مسيكة وتعرفه بما جرى بينى وبين أبى من المقال وأوعده عنى بالغنى وبلوغ الآمال ويبلغنى من مسيكة آمالى فعند ذلك قد أجابه الحاجب على ما أراد ومضى الى أبى مسيكة ودخل عليه وحياه وسلم عليه وتأدب وبعد ذلك قال له الحاجب اعلم يا مجير ان الواحد الديان اذا أراد سعادة انسان فتح فى وجهه الابواب الحسان ويسبب له أسباب لم تكن له فى حساب والساعة قد غمرك الله بالاحسان فعندها قال له مجير لماذا يا أمير فعندها أعاد عليه الرسالة بالوصف الذى ذكرناه والشرح الذى قدمناه قال ولما سمع مجير هذا المقال فعند ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال ما لى سبيل الى هذا الامر ولا أدخل على جسدى لظى الجمر ولا أتعرض لولد الحارث وأترك أباه على عاتب ومع ذلك الذى خطبها وأنفذ الى يطلبها ويريد فعل ذلك بسببها وأنا قد زوجتها بابن عمها فارس النياق وقد سار الى أرض العراق يأتى بالمهر والصداق من بعد ما أخذ على العهد والميثاق وقد قطعت عليه مهرا ثقيل وما بقى لى الى الغدر سبيل ولا يجوز هذا فى دين المسيح ثم انه رد الرسول بلا فائدة فلما سمع غدير هذا الخطاب اشتد به المصاب وانقطر جاه من مسيكة وخاب فعندها قال له الحاجب يا مولاى لا يضيق صدرك ولا تشغل فكرك فأنا أدبرك بامر يكون فيه السداد وبلوغ الآمال فعند ذلك قال له قل حتى أسمع وأعد على رأيك وارجع عن هذا الامر فعند ذلك قال له يا مولاى اعلم ان ها هنا جندك يا فارس كلهم يحبوك وبأموالهم وأولادهم يفدوك ولو قلت لهم خوضوا البحر لخاضوه وما يخالفوك والرأى انك تركب غدا فى خمسمائة فارس وتظهر الى أبيك انك طالب الصيد والقنص واذا بعدت عن عساكر أبيك اطلب وادى الفتاك وأقم بأصحابك هناك حتى انى آخذ خمسمائة فارس وأدخل بهم أرض حوران وأكبس ديار مجير

والاوطان وآخذ الجارية مسيكه وأقبض عليها وعلى أبيها واقتل كل من كان يدافع عنها ومن يحبها والحقك الى أرض الفتاك وأبلغك منها مناك وأزيل همك وغمك فان كان أباك يرضى بما فعلت فانه ينفذ اليك ويرجع يترضاك فنرجع كلنا الى الديار وتكون قد بلغت ما تختار وان كان يهمل أمرك ويطرح قدرك سرنا كلنا الى الملك النعمان أو ننزل فى أرض الحجاز على بعض الحلل والعربان لان مالك كثير ورزقك جزيل وبذلك واصلة الى كل غنى وفقير فعند ذلك تهلل وجهه وقال وحق المسيح هذا رأى صحيح ﴿قال الراوى﴾ فعندها أنفذ من وقته وساعته خلف ندماه ورفقته وقد أطلعهم على حالته وما قد عول عليه من هذه الفعال فعند ذلك أجابه الكل على مقاله وقال الكل نحن لك طائعين ولقولك سامعين قال وكان ما للملك الحارث ولد غيره وكان هؤلاء أصحابه ورفقاه يرجون أنه يتولى الملك بعد أبيه ليوليهم البلاد والضياع ويزيدهم فى الاقطاع ولاجل هذا يطيعوه ويسارعون الى رضاه ويحبوه ﴿قال الراوى﴾ وما مضت تلك الليلة حتى ترتبت الرجال والفرسان ولما كان عند الصباح ركب فى خمسمائة فارس من الخواص والحجاب وصار يطلب أرض الفتاك ليقيم بها هناك وقد قدم الغلام فى خمسمائة فارس أبطال صناديد متسربلين بالحديد وكل الفرسان يطيعوا ذلك الغلام ولا يخالفوه ﴿قال الراوى﴾ وكان ذلك الغلام يقال له مساعد بن معين وكان شيطانا من الشياطين معودا بخوض المعامع وضرب البيض القواطع فعند ذلك صاروا يقطعون البر والقفار حتى وصلوا الى أرض مجير بن سهل فعندها كبس عليه الحلة والاطلال فيمن معه من الفرسان والابطال وقتل جماعة من الفرسان وأوقع الهيبة فى قلوب الاقيال وقد سأل عن منزل أبى مسيكه دون حلته فارشدوه على ذلك خوفا من سطوته فعند ذلك هجم عليه وسبى بنته وأخرجها من خباها وأسر اخوتها وقبض على أبيها بعد ما قتل جماعة من الابطال وترك الاموال مطروحة والرجال على الرمال قال ولما وصل الى مراده وحصل له سرور فؤاده فعندها نادى فى أصحابه وأجناده كفوا عن أذى العيال وما أحد منكم يأخذ عقال وصاح فيمن معه من الابطال ثم أخذ مجيرا وابنته وأولاده وعشيرته وقد أمرهم بالرجوع عن سبى النساء والاطفال قال وكان غدير جالس ينتظر هذا الغلام واذا به قد أتى ومعه مسيكه مسبية وأبوها واخوتها وهى تبكى على نفسها خوفا من الانهتاك وعلى أبيها واخوتها فلما حضر الغلام الى غدير تلقاه وبالسلام حياه وبالنصر هناه وقد أمر باحضار مسيكه اليه وأوقفها بين يديه ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر الى بكاها وانتحابها قال لها طيبى نفسا وقرى عينا وقلى من بكاكى ولا تخافى على اخوتك وأباكى فانك هذا اليوم بقيت سيدة كل من كان فى هذه الديار وهذه الاقطار والممالك ثم بعد ذلك وعدها ومناها وهدى فزعها وبكاها الا أن ذلك اليوم لما دخل عليه الحاجب ﴿قال الراوى﴾ وقال يا ملك اننا بعد عن هذه الاطلال والرسوم وحالك مكتوم لان أباك يظن انك فى الصيد والقنص كما ذكرنا ونسير من ههنا الى أرض تيميا ونقيم هناك عن معنا من الابطال حتى اذا علم أبوك بأحوالنا القبيحة نكون نحن قضينا حاجتنا قبل أن يسمع أبوك الملك الوهاب فيأمر القبائل التى حوالينا تمسك علينا الطرقات ويضيع تعبنا فعند ذلك قال له لا تخف ولا تجزع لاننى ما خرجت حتى تركت على أبى عيون وأرصاد وفى أى وقت عرفوا بنفوذ واخلافى وخلاف رجالى يعرفونى بالحال قبل وصول العسكر والاجناد فان هو أنفذ الى خطاب جميل وحلف لى بالانجيل انى أعود اليه عزيز ولا أعود اليه ذليل وان أراد رجوعى غصبا مررت الى أرض تيميا وسعت فى البيدا ولا أعود أبدا فعندها قال له الحاجب هذا هو الصواب ثم بعد ذلك رحلوا يقطعون القفار ولم يزالوا سائرين الى أرض تيميا وضربوا الخيام والمضارب وركزوا الرايات والاعلام على غدير فايض بالمياه السارحات واسع الجنبات فيه من جميع الزهورات وحين نظروا الى هذا المكان نزلوا فى تلك المنازل والغدران وباتوا تلك الليلة وهم فى سرور وأفراح حتى أضاء الشرق وأبلج الصباح فعند ذلك أمر بدر باحضار أبى مسيكه اليه فلما أتى وأقبل عليه قال له يا شيخ أنا أنفذ اليك الاموال وأكون لابنتك خاطب وأرسل رسولى اليك ترده الى خائب وما وقع فى حقك منى هذه الفعال الا لما سمعت عنك من المقال ثم عاد يرأف به ويترفق به ويزيده فى الاجلال ويطيب

قلبه ويعده بالانعام والمال حتى أنعم عليه بزواج ابنته وأطفى لهيب كبده وطيب قلبه بالميعاد وفى تلك الوقت أشرف عنتر بن شداد ومفرج الوحش وفرسان بنى عبس وقراد ثم بعد ذلك نعود الى سياق الحديث الذى قدمناه وقد تقدم مفرج الوحش يكشف الخبر ويقف على جلية الاثر وينظر الى تلك الخيام وينظر من أين هذه الفرسان ولاى سبب نزولهم فى ذلك المكان ﴿قال الراوى﴾ وكانوا أيضا فرسان بنى غسان نظروا وغبار عنتر بن شداد والفرسان ومن معه من الابطال والشجعان هذا ومفرج الوحش قد انفرد عنهم فى تلك الساعة فانكروا ذلك وركب منهم جماعة وتقدموا حتى قاربوه ونظروا اليه وتقدم اليه فارس منهم وقال له ويلك ما أنت فارس النياق الذى مضيت الى العراق تأتى بمهر مسيكه والصداق فقال له مفرج الوحش بلى يا انسان ولكن عاندنى الزمان وغدر بى وخان ولم أظفر بما أريد وأنتم لاى سبب نزولكم فى ذلك المكان ولماذا أخليتم مساكنكم والاوطان ومن هو المقدم عليكم من الفرسان والى أين أنتم سائرون فى هذه القيعان وايش عندكم من الاخبار من أهل حوران وعن مسيكه وجمالها الفتان وما الذى جرى بعدى فى الاوطان فقال له ذلك الفارس يا مفرج الوحش أما سؤالك عن بدر الكمال مسيكه ذات الدلال فقد اقتنصها قانص كرار وما بقيت تراها الايام ولا الانهار فقال له مفرج الوحش وقد تفتت كبده وحسّ ان روحه فارقت جسده ويلك من ذا الذى مد يده وأخذ مسيكه وقهر أباها صاحب النخوة والحمية فقال المتكلم بدر الذى حكم أبيه نافذ فى البلاد القصية والدنية ثم عرفه بالقضية وأظهر له باطنها وظاهرها وكشف له ما كان مغطى وقال له بعد ذلك يا أخى أنا أشير عليك انك تعود من حيث أتيت ولا تكون فى هدر عمرك قد سعيت قبل أن يعلم بذلك الخبر غادر فما يكون لك من يده نصير لانه سمع انك تحبها فاذهب من قبل أن يعلم بك لانه ان علم بقدومك يعطبك وعلى بعض الجدران يصلبك فارجع أنت ناجيا بنفسك ﴿قال الراوى﴾ وما فرغ هذا الفارس من مقاله حتى هاج مفرج الوحش من صميم بلباله وهم أن يقتل الفارس فى الحال فصار يتفكر عاقبة الفعال ثم قال للفارس والله يا وجه العرب لا شك ان الزمان قد انقلب وصالحنى بعد الغضب والمسيح ابن مريم قد بلغنى الارب بغير عناء ولا تعب والصواب أن تقضى حاجة يا وجه العرب حتى أكون لك شاكر بين كل العشائر ﴿قال الراوى﴾ وهو أن تعود الى غدير بن الحارث الوهاب وتدخل عليه وتأمره بترك مسيكه من بين يديه فان أجاب الى ذلك واعترف فقد عفا الله عما سلف ﴿قال الراوى﴾ وان لزم اللجاج وطلب الزواج فانا أحسره على شم النسيم والهوى واتركه صريعا فى الفلا وأشتت شمله ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع منه ذلك الكلام تغيرت منه الاحوال وداخله الغضب وقال له ويلك يا مفرج الوحش هذا الكلام الذى ما أرضاك تتلفظ به فى حق أقل العوام فكيف يكون فى هذا الحاكم على الخاص والعام وتريد أن تقطع ما بيننا من الانساب وتعادى الملك الحارث الوهاب وتظن فى نفسك انك تلقى ألفين من الفرسان من بنى غسان وما فيهم الا من خاض المعمعة فى الميدان وتعود سالما من نائبات الزمان فاقصر عن هذا المقال فانى أخاف عليك من العربان لان الفرسان تحب أشكالها ونحن على أمثالها وهذا الملك الحارث يحكم على بلاد الشام ووراء الملك قيصر صاحب الكلام وقد نصحتك والسلام ﴿قال الراوى﴾ فقال له مفرج الوحش ويلك يا ولد الزنا ايش هذا الفشار والهذيان فانا وحق البيت والاركان لا أخاف من ترادف الميامن والمياسر ولا من جميع القبائل والعشائر ولا من كثرة الجيوش والعساكر فانا ألقاكم بقوة جنانى وصحد حصانى ولو كنتم ألوفا مؤلفة وصفوفا متضاعفة وأخلع منكم ثوب الانصاف ولا أصبر على الجور والاسراف وأبددكم شرقا وغربا وأنا اليوم عبسى ما أنا غسانى ولا بقى لى رجعة الى هذه الديار وقد وصل معى من البيت مقدام وأسد ضرغام مراده يخرب أرض الشام ويولى من عنده سلطان وسوف تنظروا فى يومنا هذا العجب وتتعلموا الطعن والضرب من فارس العرب ثم انه أشار اليه وجعل يقول

حلفت يمينا بالحطيم وزمزم * ومن طاف بالبيت العتيق المحرم * لأوقدت الحرب فى وهج الوغا
والقا كموا بالسمهرى المقوم * أو انه ذا أهلى انها لمصيبة * على وسيفى فى يمينى مخذم

الا تعلموا يا آل غسان أننى * علوت بفعلى بين عرب وأعجم * ألا تعلموا انى اذا الحرب أضرمت
وأشعلت نيرانها بتضرم * أخوض لظاها ثم أطفى لهيبها * وأردى فى هيجانها كل ضيغم
فدونكمو حربى ستلقون فارسا * يسقيكمو ضربا بابيض مخذم * ويردى غدير النذل فى وهج الوغا
واتركه شلوه ممزوجا بالدم * ويسعدنى ليث همام غضنفر * شجاع كمى فى اللقا غير مقحم
له عز لا ينال نظيره * لسواه رجال فى الورى مع مكرم * فداك له نفسى وأهلى ومعشرى
وانى به أرجو أعود منهم * وصلوا على زين النبيين أحمد * محمد الهادى النبى المكرم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ من شعره حمل عليهم وطلب وقد فاض فؤاده والتهب وطعن ذلك الفارس فانقلب وثنى بآخر فمال عن جواده وضرب الثالث ففاض دمه وانسكب وهاج فيهم كما يهيج الاسد عند الطلب ونفرت الفرسان من حوله تطلب الهرب وانقطع ما بينه و بين الفرسان من النسب ومالت الشجعان من شدة الطرب و ولى الجبان وطلب الهرب وقد ضاق فى وجهه كل مذهب وتطابقت على مقرى الوحش الرجال وضيقت عليه فى الميدان وهو يعطى السيف حقه والرمح صدقه و يطعم الوحش من لحم القتلى و يقابل كل أحد بما يستحقه و يطول عليهم فى الميدان لان مقرى الوحش كان من الفرسان المعدودين بالفروسية وقوة الجنان وخصه الله تعالى بشجاعة فى ذلك الزمان هذا وعنتر نظر الى فارس النياق وقد أقام الحرب على قدم وساق وكثر حوله الزعيق والزعاق وكذلك الفرسان قد طلبته من سائر الآفاق فقال لعروة ومن معه من الفرسان يا بنى الاعمام ادركوا صاحبنا والا قتلوه قبل بلوغ المنا و يضيع تعبنا وها أنا ملكتكم الطريق ومن عادمنهم من المنهزمين أعدمه السعادة والتوفيق فادرك أنت مقرى الوحش تحت القتام واعلمه انى ما أخاف عليه من كثرة الرجال وتزاحم الابطال لانه يلتقى بالف فارس فى المجال و يتركها مطروحة على الرمال ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر أطلق عنان الجواد وقوم بين آذانه السنان ومسك الطريق على بنى غسان وكذلك عروة حمل بمن معه من الابطال الصناديد وطلب مقرى الوحش فى المجال وقد عظمت الاوجال واهتزت الجبال وتقاربت الآجال وصاح عروة دونك يا مقرى الوحش وهؤلاء الاعدا ولا تخف من الردا فان ورائك ليوث البيدا ثم انه أنشد وجعل يقول

ألا يا بنى الانذال من بنى غسان * أتتكم ليوث الحرب من بنى عدنان * تبيدكمو فى كل شرق ومغرب
وتقطعكمو ما بين قفر وكثبان * وتجعلكم رزقا لسباع تنوشكم * طيور الفلا من كل نسر وعقبان
بكل حسام يقطع البيض والطلا * باسمر عسال مثقف مرانى

﴿قال الراوى﴾ ثم بعد انشاده حمل عليهم وأجاد فى حربه و جلاده وساعدته رجاله الابطال بجودة الحرب بالرماح الطوال ونظر مقرى الوحش الى عروة بن الورد وقتاله فاشتدت أوصاله فعند ذلك ركب بدر النصرانية وهو حردان وقد دارت به عباد الصلبان ثم سأل عن الحال وما سبب ذلك القتال فاخبروه بما فعل مقرى الوحش بالابطال ومن هلك من الاقران وانه معه جمع من الفرسان ولكنهم مثل الاسود عند البراز فعند ذلك زعق غادر فيمن حوله من الاصحاب وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فعند ذلك حملوا مثل أسود الغاب وقد علا الصياح وتمددت الرجال على التراب ونزل على بنى غسان العذاب وقد عاينت من فرسان الحجاز ما يشيب الشباب و رأت ما لم يكن لها فى حساب ففرت الابطال وتأخرت الانذال وعمل الفصال وتقصفت السمر الصقال وعظم الجلاد وتطرحت الاجساد على بسيط المهاد وازدحمت الخيل الجياد وضاق على بنى غسان وسيع الفضى والصحصحان وكثرت الآلام والاوجال هذا وعنتر قد صار من خلف القتام وهو ينظر من القوم الانهزام ولما أن طال عليه المقام صرخ وطلب الاعلام ونثر الابطال وهو يصول و يجول و ينشد هذه الابيات

أنا الفارس الدرغام حين ترانى * اذا فر يوم الروع كل جبانى * أبيد العدا فى يوم حربى بالقنا
بابيض ماض الشفرتين يمانى * لى صارم فيه المنايا قديمة * وتبدو الرزايا فوق رأس سنانى

ولى سؤدد لا يستطيع ينالة * مدا الدهر مخلوق من الثقلان * سلى عنى الابطال يا ابنة مالك
ولا تجهلى يوم النزال مكانى * ألاقى العدا يوم الوغا بمهند * وألقيهمو صرعا بذل هوانى
قد سمعت اذناك بالفرس ما جرى * وما لقوا من صارمى وسنانى * تركت رجال الكسروى هزائما
وقد ضاق بالفرسان كل مكانى * وصلت على الاعجام صولة ضيغم * وساعدنى دهرى وصرف زمانى
وخلفتهم فى مهمه البر جثما * وطير الفلا حوطهن مدانى
فهذى فعالى مدا الصبح طالعا * وما لاح صبح أوضاءت القمرانى

﴿قال الراوى﴾ ثم انه بعد انشاده صاح و زعق وعلى فرسان بنى غسان قد انطبق وهتك بحسامه الدروع والدرق وقد داست الخيل على الاجساد والحدق ﴿قال الراوى﴾ فقال بنو غسان لبعضها بعض يا ويلكم لا تعجبوا من هذه الفرسان وانظروا الى هذا العفريت الذى أتى من ورانا وأباد أقصانا وأدنانا هذا وعنتر يطعن فيهم قولى بنو غسان فصاح فيهم غادر فلم يلتفتوا اليه فسمعه عنتر وهو يرد الابطال فناداه يا ابن الانذال قد ضاق ميدانك فابشر الآن بحمامك من يد فارس الحجاز ثم انه استعمده وطعنه بين ثدييه طلع السنان يلمع من بين كتفيه وثنى على صاحب العلم فقتله ونكس العلم وميله وما انتصف النهار حتى طلبوا الفرار وما عاد عنتر من خلف المنهزمين حتى حل مقرى الوحش المأسورين وأطلقهم من الشد والوثاق وحدثهم بما جرى له من النعمان فى أرض العراق وعاد الى خبر عنتر بن شداد وما جرى له تحت الغبار والجلاد ثم وصف لهم فروسيته وشجاعته وقد شاورهم فى أمر الرحيل الى الحجاز بصحبته مع عنتر بن شداد ومقامهم فى أرض بنى عبس وقراد فقال مجير لما سمع هذا الكلام والله يا ولدى ما بقى لنا فى أرض الشام مقام لان الحارث الوهاب لا بد أن يطلبنا فى كل مكان و يصب علينا فنون العذاب و يقول ما قتل ولدى الا انتم يا كلاب ونحن اليوم بحكمكم فافعلوا بنا ما تشتهون واحكموا فينا بما تحبون ففرح مقرى الوحش بذلك واستبشر وحدث أبو سيكة لعنتر ففرح بهذا الخبر وقال له خذ الكل معك ومن أراد يتبعك ولا تضيق صدرك فان أموالى كلها تحت قبضتك فقبل مقرى الوحش صدره ويده وشكره وأثنى عليه ثم أمر العبيد بلم الاسلاب وأخذ الرماح للطعان والضراب وباتوا فى ذلك المكان وأصبحوا راجعين يطلبون الديار والاوطان وفى أوائلهم مقرى الوحش وعنتر بن شداد وهم فرحون ببلوغ المراد وكيف سهل الله لهم قرب الطريق وكان مجير أبو سيكة ذو فضل وأدب وسيد من سادات العرب محبوب عند الناس لعقله وحسن أدبه وصفاته ونسبه فاحبه عنتر وقربه من قلبه وما زالت القوم تخب بهم الخيل وتجرى وهم طالبين أرض الشربة والعلم السعدى وما زالوا فى جد المسير حتى اشرفوا على منازل بنى عبس والابيات فرأوها مقفرة العرصات خالية الجنبات مغيرة الحالات لا شيخ فيها يلوح ولا جسد ولا روح سوى الغربان على أطلالها تدور وتنوح فارتاعت الرجال واندهش عنتر وحار و جرت دموعه غزار فقال لعروة مما زاد به من الغرام هذا الذى تراه يا أبا الابيض يقظة أم منام وما فعلت باهلنا الحدثان ثم أنشد وجعل يقول

يا دار أين ترحل السكان * وغدت بهم من بعدنا الاظعان * من أمس كان بك الظبا
وأصبح اليوم فى عرصاتك الغربان * جار الزمان عليك بعد رحيلنا * حسدا لنا فتراحل الجيران
يا دار عبلة أين خيم ظعنهم * لما سرت بهم المطى ودان * اذا انسوا شجر الاراك لقد بكا
من وحشتى أبكت عليه البان * يا دار أرواح المنازل أهلها * فاذا ماتت تبكى لها الابدان
يا صاحبى سل ربع عبلة واجتهد * ان كان للربع المحيل لسان * يا عبل ما تم الوصال ليالينا
حتى دهانا بعدها الهجران * ليت المنازل أخبرت مستخبرا * أين استقر باهلنا الجريان
يا طائر اقد بات يندب الفه * و ينوح وهو موله حيران * لو كنت مثلى ما لبست ملونا
حسنا ولا مالت بك الاغصان * أين الخلى القلب ممن قلبه * من حر نيران الجوى ملآن
عرنى جناحك واستعر * دمعى الذى أفنى وما يفنى له جريان * حتى أطير مسائلا عن عبلة

ان كان يليق لمثلي الطيران * كم ذا يجرعني الزمان علاقما * لا يطيق حملها الثقلان
ولكن لي جلد شديد على الاسا * ورسيس وجدي ما به نقصان * يا عروة بن الورد يا من وده
ما شانه كدر ولا خذلان * انظر مصابا حل في أبياتنا * من بعد عيش قد أتاه زمان
يا مقري الوحش العزيز ومن له * يوم الكريهة تخضع الشجعان * ها أنت الفلك قد وجدت
بفرحة ما بخلت به الأزمان * وأنا عبيلة قد فقدت جمالها * وعدمتها وازدادت النيران
لا كنت من عبس ولا من نسلها * كلا ولا شهدت لي الفرسان * اذلم أخل الدم أحمر قانيا
تسقى به الربوات والكثبان * وآسر الاعداء في وسط الفلا * وأفني فزارة بالقنا المران

وأزعزع النعمان وأهدم جيشه * بالصارم الهندي والاشطان
وأذل كسرى ان أعان غريمنا * وأبيدهم وأهدم الايوان
وأنا ابن شداد الهمام وهمتي * فوق السماك علت على كيوان

﴿قال الراوي﴾ ومازال عنتر واقف حيران واذا بعبدين قد أقبلوا عليه وقبلوا ايديه فتبينهم واذا هم من عبيد الملك قيس وكان السبب في ذلك هو أنه لما قتل الملك قيس كبار بني فزارة تخلف حصن بن حذيفة فاحتمت به النسوان ورأوا رجالهم مطروحين في القيعان فلطموا خدودهم وشقوا أثوابهم وداموا على ذلك الى الصباح فنهاهم حصن عن ذلك ودفنوا قتلاهم وركبوا خيولهم وأخذوا جميع عيالهم وعمدوا الى النعمان وداموا مجدين في سيرهم والغبرة حتى وصلوا الحيرة فكشف النساء رؤسهم ولطموا خدودهم وثار غبارهم فرأوهم أهل الحيرة فركبوا خيولهم وعرفوهم فصاحت البنات والاولاد وامصيبتاه واذلاه وحصن ينوح ويبكي على والده وكان في الجملة الملك الاسود فلما أن رأى ذلك قال لهم ما وراءكم وما الذي بشره رماكم فقال يا سيدي ما دهانا غير قيس وعنتر وقد قتلوا أبي وأعمامي وسادات قومي وخلفوني يتيما وها أنا قد قصدتك فافعل معي ما تختار ولو انني قصدت غيرك يكون علي وعليك ذل وعار فلما أن سمع الملك الاسود خنقته العبرة وحار في أمره وقد بكى حتى كاد ان يغشى عليه ووصل خبره الى الملك النعمان أخاه فخرج له راجلا حتى لاقاه وكان حوله حجابه وأمراه فبكوا البكاء واشتد غيظهم على بني عبس الحرد فحلف انه ما يترك منهم أحدا ولا يسير اليهم الا جميع الفرسان ويبيع نساءهم في جميع البلاد ثم انه أقام في الحي سبعة أيام وفي اليوم الثامن زاد به الامر وأرسل النجابة الى سكان القبائل من القطان بعد ان أقسم بالنور والنار ان كل من تخلف عن المسير الى غزو بني عبس سار هو بنفسه الى ديارهم وقلع جميع آثارهم ولما عرفت المتجردة ذلك خافت على أخيها قيس وقومها من المهالك ولما أبصرت الجيوش والمواكب والعرب الذين قد أقبلوا من كل جانب أرسلت تعرف أخيها بذلك قال ثم انهم أخذوا أهبتهم في ثلاثة أيام ورحلوا بالحريم والعيال والاموال وساروا في البر على الطريق المألوفة المعروفة ثم تشاوروا في النزول على أي العرب يكون فقال الربيع بن زياد الصواب النزول يا ملك على جبال شهلان ونجاور بني حريقة لان سيدهم رجل جليل القدر له مقام مشهور ولابيك زهير عليه فضل من قديم الزمان مذكور وهو أنه كان وجده أسيرا مع بني الريان فخلصه منهم وأعطاه الذمام وسار معه الى أن أوصله الى أهله والاوطان فهو يتمنى من وقتها الى الآن أن تكون لبني عبس اليه حاجة يقضيها سيما يا ملك والجبال التي هو نازل بها مثل الحصون والقلاع لا يفزع من يلتجي اليها ولا يرتاع ثم اعلم يا ملك ان النعمان في سابق الزمان قد غزى جبال شهلان وكانت عسكر هذا الامير الذي تريد النزول عليه ومجاورته قليلة ضعيفة ومع ذلك لم يقدر عليهم النعمان ولا غيره من ملوك الزمان ﴿قال الاصمعي﴾ فلما سمع الملك قيس من الربيع ذلك الخطاب ورآه عين الصواب جد المسير في البراري والهضاب وقطع الروابي والشعاب وهو متفكر في غيبة عنتر بن شداد ومن معه من الفرسان الامجاد لخوفه على نفسه وقومه من النعمان الى أن أشرف على جبال شهلان فانفذ بعض فرسانه الى سيد تلك الجبال الملك الرميم يخبره بحاله ويستأذنه في النزول في أرضه والأوطان فسار رسول الملك قيس الى أن وصل الى الملك الرميم وتأدب بين يديه ثم ثنى وتكلم بالدعاء له بدوام العز والنعم ثم قبل يده وقص

القصة عليه في سبب رحيل قيس من دياره ونزوله عليه قال فلما سمع الملك الرميم من الرسول ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام وصاح في رجاله بالركوب فركب وسائر أبطاله وسار الى ملاقاة الملك قيس واستقباله فلما وصل اليه عانقه ورحب به وأكرم مثواه وسأله عن حاله وسبب ارتحاله ومفارقته لارضه واطلاله فحدثه بما جرى له مع بني فزارة وبما صار بينه وبين الملك النعمان قال فلما سمع الرميم منه هذا الشان قال يا قيس والله ان الملك النعمان قد كان أرسل الي يطلبني مثل القبائل التي أنفذ اليها يستنجد بها عليكم فابيت أن أسير اليه لاني لا أخاف منه ولا التفت اليه ولم يسبق اننا نخشى من ملك ولا سلطان وانما سار من سار اليه من خوفه من سطوته وخديعته ونحن لا نخشاه هو ولا غيره بطول الزمان ولما حضر عندنا رسوله ما عظمناه ولا جعلنا له قدرا ولا شان لان جبالنا شاهقة ورماحنا خارقة وسيوفنا بطول الدهر لرقاب أعدائنا قاطعة فاعلم يا قيس انك صرت في أمن من جميع أعدائك وبلغت سؤلك ومناك وكيف لا يكون ذلك وأنت ابن الملك زهير وعلينا له حق لا نضيعه وبيننا وبينه ود لا نقطعه فانزل أيها الملك حيثما شئت من هذه الارض واحكم في طولها والعرض فهي لك ولقومك وها نحن بين يديك وكل من تعرض لك أكون أنا وقومي لكم الفدا من الردى ولا نبخل بأرواحنا عليك فلما سمع قيس منه ذلك شكره وأثنى عليه وقال له لولا زيادة أملي فيك ومحبتي معك والود القديم ما قصدت اليك ثم ان بني عبس ضربوا الخيام وأمنوا على الحريم والانعام وأخذ الملك الرميم الملك قيس ومن معه من السادة الكرام وسار الى أن وصل مضاربه والخيام وأضافهم ثلاثة أيام وأكرمهم غاية الاكرام وأعطاهم الامان والذمام قال ثم بعد ذلك رجع قيس هو ومن معه من السادات الى المناهل والغدران التي ضرب عليها قومه الخيام وهو في أمان من غدرات النعمان وتقلبات الزمان وطاب له ولقومه المقام وسرحوا في كلا تلك الارض وعشبها الاموال والانعام فنظرت قبيلة بني حريقة أموال بني عبس في المرعى من الخيول السابقة والجمال الفائقة والمهارة الحجازية فذهبوا ينظروا البيوتهم فرأوها من القباب العليه والسرادقات الشاميه والنياق العصافيريه وكانت تلك النياق قصيرة الاعناق طويلة الوبر وكانت أعجوبة عندهم في ذلك الزمان فقالوا ان هذه النياق جميلة المنظر ويحق لمن ملكها أنه بها يفتخر فانها ليست عند أحد من سائر الاقران ولا رأينا مثلها عند ملك من ملوك الزمان لانها لم تكن من أرضهم بل كان جلبها الامير عنتر صاحب المهندات الرقاق من أراضي العراق ﴿قال الراوي﴾ فلما نظرت قبيلة بني حريقة لحسن هذه الاموال كما تقدم طمعوا في نهبها لقلة عدد أهلها وطلبوا الشر من العبيد وضربوا الاطفال والاولاد وطردوهم من المرعى وكان الذي أعان بني حريقة على ذلك فارسهم الاخيل بن عمرو لانه كان فيهم نافذ الامر وكان اذا ركب على جواده لا يقاومه أحد في حربه وجلاده وأراد اثارة الفتن بين بني عبس وقومه لينهب أموالهم ويبيد أبطالهم ولم يزل على ذلك الى أن وصل رسول من الملك النعمان للملك الرميم يقول له اعلم يا سيد بني حريقة اني أنا ملك العربان القاصي منهم والدان وقد اشتد بغي بني عبس وقتلوا أولاد عمهم بدر وأكثروا الفساد والغدر وعصوا علي وأوصلوا شرهم الي فجمعت لقتالهم سبعين قبيلة من قبائل العربان التي لها دماء عليهم من غابر الازمان وعولت على هلاك فرسانهم ومن انتصر لهم من سائر الخلان والملوك والاقران فبلغني أنهم رحلوا من ديارهم الى أرضكم ونزلوا عندكم في جبال شهلان فان كنت تعرف قدري وتحفظ حقي فاخرجهم عن أرضك واطردهم من ديارك ولا تمكنهم من المقام في ذلك المكان والا اهلكتك معهم في يوم وصولنا اليهم وقدومنا عليهم فالاحسن ان تسمع كلامي وتخرجهم واذا قاتلناهم لك الاموال والجمال ولنا الاسارى والعيال ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الرسول قال من عند نفسه لا تظن يا رميم ان الجبال تحميكم منه فانه حلف باكبر الاقسام والبيت الحرام ان كل من آواهم وقاتل معهم لابدان أنزل به العذاب الاليم قال فلما سمع الرميم من الرسول هذا الكلام خاف على نفسه وقومه من الانتقام وندم على اعطائه لبني عبس الذمام وكبرت حيرته وتحير أمره وزادت بليته ثم جمع سادات قومه وأكابر عشيرته وكان فيهم الاخيل وأعلمهم بالرسالة وشرح لهم تلك المقالة من غير اطالة واستشارهم في رد الجواب فقال له الاخيل وحق منشى

السحاب من اذا هى أجاب انك أعطيتهم الذمام وهم قوم لئام غير كرام لا يستحقون غير ضرب الرقاب وانى قد كنت عولت على نهب أموالهم وقتل رجالهم وأبطالهم لان بنى عبس ما لهم صديق فى سائر العربان فلما سمع الرميم من الاخيل هذا الكلام قال لرسول الملك النعمان عد أنت الى ملك العربان وقل له أيها الملك العظيم الشان لا تتعب وتجمع قبائل بل نحن نخرجهم من أرضنا بقولنا لهم ارحلوا عنا لئلا يصلنا بسببكم البلاء والوبال وانظروا لكم أرضا غير أرضنا وأريحونا من هذه الاحوال فاذا رحلوا من عندنا جعلنا لنا طريقا لنهب أموالهم وسبى نسائهم وأسر شجعانهم وسوقهم اليك وهم فى غاية الذل والهوان ﴿قال الراوى﴾ ثم ان رسول الملك النعمان رجع اليه من عند الرميم مغمورا بالانعام والاحسان وكان نقض الرميم ذمامه لبنى عبس خوفا من الاخيل وبقية قبيلته ان يخالفوه ولا يتفقوا معه على ما عاهد عليه بنى عبس فيقع فى التعس والنكس ويحل به البلاء وتنزل به النقم وكل هذا جرى فى المساء وبنو عبس لا خبر عندهم بذلك الشان ﴿قال الراوى﴾ وفى صبيحة تلك الليلة قدم الامير عنتر بن شداد فيمن معه من الفرسان بغنائم بنى غسان على ديار أهله فرآها خالية فسالت من أجفانه العبرات الا أنه لم يطل عليه الحال حتى خرجت عليه العبيد التى تركها الملك قيس بين الرمال القريبة من الاطلال تنتظر عنتر وتخبره عند قدومه بالحال وأخبروه فصعب عليه وكبر لديه وقال لمن معه من الفرسان وحق مكون الاكوان خالق الانس والجان لو لحقتهم ما مكنتهم من الرحيل بل كنت أمنعهم وألاقى القبائل التى جمعها النعمان ولو كانت عدد رمل وادى كنعان أو جن سليمان ثم أنه رحل من ذلك المكان طالبا آثار قومه والعبيد تدل به وكلما وقعوا بعبيد له أو ظعن سائر نهبوه وان مانع أحد قتلوه هذا وعنتر يقول لمقرى الوحش قوى قلبك واشدد عزمك واعلم أنه ما بقى لنا عودة على هذه الارض وكل ما كسبناه هو على ذمة زوجتك مسيكه ثم أنشد يقول

طربت وزادنى البرق اليمانى * تذكر الى منازل هاتيك المغانى
وأضرم فى صميم القلب نارا * أشد من ضرب الحسام الهندوانى

لعمرك ما رماح بنى بغيض * تخون أكفهم يوم الطعان * ولا سيوفهم فيها نبوا
اذا عرف الشجاع من الجبان * لكن يضربوا بالسيف طرا * ويقروا الضيف فى جدب الزمان
وكل خائض بحر المنايا * بيوم النفع والحرب العوان * وانى مقيم بابى قبيس
مع البطحاء والركن اليمانى * وعزمى يترك الابطال تهوى * وسيفى والقنا فرسى رهان
أعبلة لو سألت المهر عنى * أجابك وهو منطلق اللسان * بأنى قد طرقت الارض طرا
وأرديت كل غضنفر يوم الطعان * وخلصنا مسيكة بعد حرب * بها صال الشجاع على الجبان
وانى وان طرب الرجال بشرب خمر * وغيب رشدهم خمر الدنان * فرشدى لا يغيبه مدام
ولا أصغى لقهقهة القنان * ولا يزيدنى طربا وشفى * فؤادى غير ضرب الهندوانى
فاطرب كلما فر الاعادى * ونادوا الاغفر من الطعان * وبدر قد تركته طريحا قتيلا
كان عليه حلة أرجوان * طعنت حشاه لما ان تولى * بطرف مثقف ماضى السنان
فعاد على صعيد الارض ملقى * عفيرا الخد من ضرب البنان
وعدنا والفخار لنا لباسا * نسود به على أبناء الزمان

﴿قال الاصمعى﴾ ولما فرغ عنتر من شعره طربت السادات واشتدت عزائمهم فى نهب أموال العربان ومواصلة السير بالليل والنهار حتى لحقوا قومهم بأرض بنى حريقة وفرحت القبيلة بسلامة عنتر ووصوله اليها حتى كان يوم قدومه يوم عيد ثم انه بعد ان سلم عليهم عتب على الملك قيس فى رحيله عن الاوطان والاطلال فقال له قيس يا أبا الفوارس أنا ما خرجت من الاوطان الا خوفا على الحريم والعيال لما وصل الى الخبر من عند المتجردة أخت عاجمة الملك النعمان لقتالنا من القبائل والعربان ليهلكنا ويشمت بنا سائر العربان لا سيما سنان بن أبى حارثة الخوان ومن معه من بنى فزارة الاشرار فيركبنا بذلك العار ولو كنت أعلم ان

عودتك من السفر قريبة ما كنت تغربت عن الديار وأقمت فى هذه القفار فقال الربيع بن زياد والله لقد صدق قيس يا أبا الفوارس انما ما رحلنا الا من خوفنا من الجموع الكثيرة التى جمعها لقتالنا الملك النعمان وأنت حامينا وكنت غائبا عنا ولا قدرة لنا مع غيابك بملاقاة الاعداء الكثيرة فصدق عنتر وسكت وتبع رضاه وكانت رؤيته اعبلة غاية المنى لكنه لم يمض بعد حضوره الا زمن قليل حتى شكى اليه بعض بنى عبس الضيم والهوان الذى أصابهم من وقت نزولهم فى هذا المكان لاننا من وقت مجيئنا الى هنا ونحن نطرد ونهان ونبعد عن المناهل والغدران وتساق أموالنا ولا نقدر نبدى ولا نعيد لاننا نعلم اننا ان تكلمنا كلامنا لا يفيد فى ازالة الهم والتنكيد ﴿قال الراوى﴾ فتألم عنتر لما سمع شكواهم وقال ويلكم يا بنى الزوانى ولم تصبرون على الذل والهوان وتذلوا أنفسكم لاحد من أبناء الزمان والارض كلها لنا وأهلها عبيدنا وخدمنا اذهبوا وازحموا بابلكم فى الكلا وكل من تعرض لكم فاضربوه وان عجزتم ورأيتم أحدا خرج اليكم من سادات العربان الانذال فنادوا على وأنا أريكم ما أفعل بهم من قطعهم بهذا الحسام قال فلما سمعت عبيد بنى عبس من عنتر ذلك الكلام رجعوا وتأهبوا للشر بالعصى والسيوف المرهفات ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء من الكلام وما اتفقوا عليه من المرام وأما ما كان من أمر الملك الرميم والاخيل بن عمرو فان الاخيل أرسل الى ملك بنى عبس الملك قيس يخبره عن لسان الرميم بالرحيل من تلك الارض خوفا من أن يقع أمر من بعض الجهال فيضيق صدر الملك الرميم مما يقع بكم من الشر ويضيع ما صنعه من الجميل الكبير ولا نعود بعد الفساد لصلاح الحال بل يقع بيننا وبينكم القتال قال فلما سمع قيس من الرسول هذا الخطاب تحير فى رد الجواب ولم يستصوب الا ما قاله للرسول من أنه يذهب الى سيده ويقرئه من الملك قيس السلام ويقول له السمع والطاعة غدا نرحل ولا نقيم هنا بالكلية فعاد الرسول الى صاحبه وبلغه ما سمع من الملك قيس ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك قيس بعد مسير الرسول أنفذ الى الربيع بن زياد ليشاوره فيما جرى عليه وما أرسل به الملك الرميم فلما حضر عنده الربيع وأخبره الخبر قال له يا ملك وحق الاله المتعالى فى ملكه انه ما أرسل اليك بهذا المقال الا ليجعله سبب الحرب والقتال لانى أظن أن الملك النعمان أنفذ اليه وأمره بقتالنا فالرأى اننا نجمع فرسان قبيلتنا ونسير الى بلاد اليمن وان لم نفعل ذلك وقع بيننا وبين هؤلاء القوم القتال قال فلما سمع الملك قيس من الربيع ذلك الكلام قال له ان رأيك صواب لكنى أخشى من عدم موافقة عنتر لنا اذا بلغه هذا الكلام فيثير الحرب والجلاد ويحوجنا الى التعب والعناد فقال الربيع قل له يا ملك ان هذه الارض ضيقة علينا وما نزلنا هنا الا ننتظر حضورك من أرض الشام وها أنت حضرت فسر بنا الى أرض اليمن ونقيم فى اطلالها والدمن ولا تخبره بهذا الكلام الذى أخبرنا به الرميم بل نأخذه ونسير الى هاتيك الارض والحال مكتوم والسر على كل الفرسان مبهوم ﴿قال الاصمعى﴾ فما دخل المساء حتى فشى الخبر وبلغ عنتر فزاد غيظه وغما وقال قد ألبسنا قيس لباس الذل والعار بسبب رحيله عن الديار ونزوله هنا ورحيله وسماعه مشورة الربيع بن زياد مع أن جميع العربان تطمع فينا اذا نزلنا بهاتيك الدمن من أرض اليمن وتسبى عيالنا وأموالنا (قال الراوى) ثم ان عنتر أرسل أحضر مقرى الوحش وعروة بن الورد وأخبرهم بالقصة فقالوا له يا أبا الفوارس دبر أنت ما تريد ونحن لك وبين يديك عبيد فبينما هم فى ذلك الكلام واذا برجل شيخ أقبل فدخل وقبل يدى عنتر وبكى بين يديه وكان ذلك الرجل من صعاليك بنى عبس فلما رأى عنتر تتابعت دموعه مثل الامطار فقال له ما قصتك وما حالك فعرفنى قصتك وما جرى لك وأنا أبلغك آمالك وأقضى أشغالك فقال له يا فارس أنت تعلم ان بنتى لها دلال فائق وجمال رائق وكنت أخرجتها معى الى المرعى لتعيننى على ما أنا فيه من الشقى فنظر اليها غلام من بنى حريقة يقال له غادر بن جفال دأبه عشق الحريم والبنات وصار يقف لها فى الطرقات يرمى عليها الكلام ولا يرعى لى ذمام فخشيت على ابنتى وتركتها فى الخيام ومنعتها من الخروج الى المرعى من مدة أيام وفى كل يوم يخرج هو الى المرعى فلم يجدها فلما ازداد به الغرام وأقلقه حسنها الهيام سأل عنها من بعض

الرعيان فاخبروه بانی منعتها خوفا عليها منه ان يفضحها ولو يزيل بكارتها فی الحرام فجاء الی وهددنی وقال لی
كيف تمنعها من المرعی وتتركها فی الخيام وانا بحسنها قتيل من الغرام لا آتهنی بشراب ولا طعام فقلت له ان
كان ولابد فتزوج بها على رؤس الاشهاد والا فاتركها وارحم ضعفی وكبری ولا تفضحنی بين قومی واهلی
وان لم ترجع عنها ذهبت الی سيدكم الملك الرحيم وسألته ان يكشف عنی هذا الامر العظيم لانك تطمع من
ابنتی فی الفساد والخنا فما ازداد الا طغيانا وظلما وعدوانا وقال لی والله يا كلب العرب واخس من ضرب
فی البيداء طنب ان لم تخرج الليلة بها الی المرعی لاسقينك كاس العطب وها انا جئتك فكيف تكون
حاميتنا ويركبنا العار وتوخذ بناتنا منا بلا درهم ولا دينار (قال الراوی) فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام
ازداد به الغيظ وقال له يا شيخ اذهب الليلة الی بيتك ونم بجانب ابنتك وانا اغفيرك الليلة من جميع الانام
فقال مقری الوحش يا حامية عبس ان هذا الرجل آلم قلبی بشكواه واريد ان انوب عنك الليلة فيما ضمنته له
وا كفيك شر اعداك واكون ابنة الشيخ حيا فبحق عينی عبلة تنعم لی بهذه الخدمة فقال عنتر لقد
اقسمت علی بقسم عظيم لكن اجيبك بشرط انك ان ظفرت بهذا الشيطان تقتله وتحمله الی ظاهر الطريق
لاجل ان قومه اذا راوه بعد رحيلنا من هذه الديار يخرجوا خلفنا ويطلبوا حربنا وقتالنا ثم ان مقری الوحش
صبر حتی اظلم الظلام وقام على الاقدام واخذ بيده الحسام وكمن قريبا من ذلك الشيخ فی الخيام فما استقر
مقری الوحش غير ساعة حتی قدم غادر الملعون الفاجر يتبختر الی ان وصل خيمة تلك البنت فرآها بجانب ابيها
فقال يا شيخ اتركك لی ابنتك الليلة وانظر ما ياتيك من الخير والنعم واراد ان يجلس واذا بمقری الوحش قبض
عليه ورفعه حتی بان شعر ابطيه وجلد به الارض رض عظامه رض واجری دمه على الارض وتركه
وذهب الی خيمته ونام الی الصباح فاتاه شيبوب وامره بالركوب وقال له لا تركب الا مستعدا للقتال لان اخی
انفذ خاف عروة يعلمه بالحال وينبه عليه بالركوب هو والفرسان مع التاهب للحرب والنزال لان بنی
حريقة يريدون نهب ما معنا من الاموال (قال الراوی) فعند ذلك ركب مقری الوحش بعد ان اركب زوجته
مسيكة فی هودجها وسلم زمام ناقتها الی ابيها واخيها وسار حتی وصل عنتر فوجد العبيد ردت رؤس النوق
الی بلاد اليمن وسلم عنتر زمام ناقة عبلة لاخيه شيبوب واما الملك قيس فانه صار هو ومن معه فی غاية العجب
ولما ركب وصار تقدمت العبيد بالنساء والاموال وتاخرت الفرسان والابطال ثم قال عنتر للملك قيس على
ای رادة قوات ان تسير وفی ای ارض تقيم فقال له عولت ان ادخل ارض اليمن وانزل فی اطلالها
وها تيك الدمن ثم قال الملك قيس يا عنتر انی اراك قدمت هودج عبلة امام الحمول مع اخيك شيبوب فتبسم
عنتر وقال له يا مولای اما تعلم انها قرة العين بل هی الروح التی بين الجنبين فبينما هم فی الكلام واذا بغبار قد
ارتفع ومن تحته خيل بنی حريقة وفی يد كل واحد منهم سيف ضياؤه يلمع وقد ملكوا البر من كل جانب
معتدين بالقنا والقواضب وفی اوائلهم الاخيل وعليه درع من زرد وفوق عاتقه رمح مسدد وهو
ينادی الی اين تسيرون يا كلاب العرب بعد قتل عمی غادر ابشروا بالموت من يد الفارس المبادر (قال الراوی)
وكان السبب فی خروج بنی حريقة خلفهم انهم سمعوا رغاء جمالهم وقت التحميل وصهيل خيلهم فركبوا
خلفهم عبيدهم فراوا غادر مقتول فعادوا الی فارسهم الاخيل صائحين واخبروه بقتل غادر فركب هو وفرسانه
وصارت عيناه مثل الجمر ينادی واحرباه قد اردنا ان نبتدئهم بالقتال فبدؤنا هم وفعلوا بنا هذه الفعال وقتلوا
غادرا والقوه على الرمال فوحق البيت الحرام لابد من قتل ساداتهم الكرام فلما عرف عنتر انهم اليهم قاصدون
والی نهب اموالهم وسبی حريمهم طالبون قال لعروة هذا ما كنت اطلب واريد فالآن اشفی فؤادی من هؤلاء
الانذال فشدوا عزائمكم واقطعوا اقصاهم وادناهم ثم انه التفت الی مقری الوحش وقال له كلما جری بسعادتك
يا فارس فاليوم تاخذ النياق وتدفع لزوجتك المهر والصداق وتصير صاحب مال ولا يبقی لاحد عليك افضال
فقوا الطعن وارق الدماء ولا تقصد اخذ اسير بل كل من ادركته اقتله وانزل به التدمير فقال له مقری الوحش
يا حامية عبس انا لا احتاج الی وصية ثم انه حمل واقتحم الغبار وطلب هو وعروة الميسرة وعنتر والطال

الميمنة وصدموا الرجال واشتدت الاهوال وصار الطعن يمينا وشمال وحكمت فی الجماجم السيوف الصقال
وفر الجبان من القتال وترنح الشجاع فی سرجه ومال وانقطعت من الحياة الآمال فلما انتصف النهار ما بقی
فی القوم الامن انتشا وشكی بعد الری عطشا ومن شدة الغبار استوی عندهم النهار والمسا وصار الجبان
مندهشا لما اكتسی ضوء النهار غلسا وفرق عنتر بسيفه المواكب وكر كب الفرسان عن المراكب وتلاقی
مع الاخيل تحت القتام وهو يجول على بنی عبس بحد الحسام ويصيح يا بنی عمی دونكم ونهب اموال هؤلاء
الانذال فلما سمع عنتر مقاله زاد منه البلبال وقال له الی اين يا سلالة الانذال فدون سبی الاموال طعن يهد
شوامخ الجبال ويشيب مفارق الاطفال ثم صرخ فيه من شدة الغضب ارعده وكاد عقله ان ينسلب ثم اشار يقول

دع عنك يا نذل المحال والطمع * فدون اخذ المال هول نار تطلع
وسيف عبد كلما مال قطع * لولامس الصخر الاصم لانقطع

(قال الاصمعی) ثم انه صدمه بعد هذا المقال صدمة الاسد الرئبال وطعنه فی صدره اطلع السنان يلمع
من ظهره فصار قتيلا وفی الارض جديلا ولما نظرته بنو حريقة حل بها الخوف والوجل وطلب ساداتهم عنتر
من سائر الجهات باسنة السمهريات وهم ينادون شلت يداك يا عبد يا زنيم يا وغد يا لئيم لقد قتلت فارسا
ما ولدت مثله الحرائر فسوف نريك ضربا يحير النواظر ويشتت الفكر ويبهت الخواطر فطعن فيهم عنتر
الاسد الكاسر وقال لعن الله من يبقی منكم بادی او حاضر لاجل ان تتعلموا مكارم الاخلاق وتعرفوا حقوق
الرفاق واغمد سيفه الماضی فی قممها وكلاها ولله در مقری الوحش من اسد رئبال فما اعظم شدته فی تلك
الاهوال فكثيرا ما طرح من الابطال وكذلك مجير ابو مسيكة ومن معه من الرجال ودام الامر على هذا
الحال حتی ولی النهار واستحال ودنا وقت الزوال فانهزم بنو حريقة وطلبوا الجبال وتركوا الاموال والعيال
لانه وقع بهم ما لم يخطر لهم على بال فعفی بنو عبس عن الاموال والعيال وعادوا عند المساء الی الاطلال وعنتر
بين ايديهم مثل الاسد الرئبال وبجانبه مقری الوحش وابن اخته الطال وعنتر ينشد ويقول

حكم سيوفك فی رقاب العذل * واذا نزلت بدار ذل فارحل * واترك مجاورة اللئام وقربهم
ان الكرام عن اللئام بمعزل * واذا بليت بظالم كن ظالما * واذا لقيت ذوی الجهالة فاجهل
واختر لنفسك منزلا تعلو به * اومت كريما تحت ظل القسطل * واسمع مقالة عارف قد جربت
افعاله اهل الزمان الاول * واذا الذليل نهاك يوم كريهة * خوفا عليك من الرماح الذبل
فاعص مقالته ولا تحفل بها * واحمل اذا حق اللقا فی الاول * فالموت لا ينجيك من آفاته
حصن ولو شيدته بالجندل * فلقد نكبت بنی حريقة نكبة * لما طعنت صميم قلب الاخيل
ناديت عبسا فاستجابت بالقنا * وبكل ابيض صارم لم ينفل * وبكل معتدل الكعوب مثقف
فی يد كل سميدع لم يجهل * نادوا الی فما اجبت نداءهم * الا بضرب كالقضاء المنزل
امست زبيبة فی الظلام تلومنی * خوفا على من ازدحام الجحفل * وانت تخوفنی الحتوف كاننی
اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل * فاجبتها ان المنية منهل * لابد ان اسقی بذاك المنهل
كفی ملامك يا زبيبة واعلمی * انی امرؤ ساموت ان لم اقتل * والخيل شاخصة الوجوه كانما
تسقی فوارسها نقيع الحنظل * امی زبيبة است انكر اسمها * سوداء يشرف جيدها فی المحمل
الساق منها مثل ساق نعامة * والشعر منها مثل حب الفلفل * وانی فشداد الحسام المنتضی
عند القراع حدوده لم تفلل * انی اذا الداعی دعانی ليلة * احدی ليالی الشر لم اتعلل
اسعی اليه ولا ترانی جاشما * بين النساء مع الجبان الاعزل * وكذا المنية لو تمثل شخصها
لی فی الهياج طعنتها فی الاول * لا تسقنی ماء الحياة بذلة * فی العز اسقنی نقيع الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم * وجهنم فی العز افخر منزل

(قال الراوی) فلما فرغ عنتر من ابياته طربت لها السادات وتعجبت من فصاحته وشجاعته وقال له

مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لقد جمعت الفصاحة والشجاعة والبيان وسبقت فى منازلك أهل الزمان فشكره عنتر على ذلك الكلام ووهب له كل ما حصل من الغنيمة وكل شئ له قدر وقيمة ولما نظر عروة بن الورد الى هذه الفعال وافق عنتر هو ومن معه من الرجال وأعطوه ما غنموه من الاموال فصار لمقرى الوحش نعما عظيمة وأموال جسيمة ﴿قال الراوى﴾ ثم ان بنى عبس بعد أن خرجوا من جبال بنى شهلان قاصدين أرض اليمن خوفا من النعمان تقدم عنتر بين يدى الملك قيس وقال له أيها الملك ان مقرى الوحش قد فارق بلاد الشام وتغرب معنا فى هذا المكان وقاتل معنا وقتل الفرسان والرأى عندى أن نساعده على زواج ابنة عمه ليزول بذلك همه ويطيب له عندنا المقام وينسى بلاد الشام قال فلما سمع قيس هذا الكلام أظهر الفرح والابتسام وقال لعنتر افعل يا أبا الفوارس ما تريد من الاحكام وتحكم فى أموالنا والانعام فأمر عنتر العبيد بذبح الاغنام ففعلوا ونصبوا القدور للطعام فطبخوا ثم صفوا آنية المدام وصار بنو عبس فى لذات أكل وشرب مدام ثلاثة أيام وكسى عنتر الارامل والايتام وغمر بالخير الخاص والعام وخلع على مقرى الوحش خلعة من ملابس كسرى ما نظر أحد مثلها فى الورى وألبست عبلة لمسيكة من أجل ملابسها وضربت قبة الزفاف فى تلك الساعة بلا خلاف ودار بها الجوارى والبنات وضربت الدفوف من سائر الجنبات ورقصت البنات وتعجبت من جمال مسيكة جميع الحضار وأجلوها عليه فى ذلك المكان وبات معانقا فرحان وانقضى العرس والمهرجان ﴿قال الراوى﴾ وعند الصباح بدوا فى الارتحال وبنو حريقة تنظر اليهم من أعلى الجبال ويتعجبون من ثباتهم فى الحرب والقتال وقلوبهم فى نار الاشتعال والملك قيس يقول يا بنى الاعمام ارحلوا بنا من هذا المكان حتى نبعد عن الملك النعمان ولا يعود يسمع لنا خبر على طول الزمان ثم انهم ساروا واستقبلوا القفار وعروة وعنتر ومقرى الوحش يحرسونهم فى الليل والنهار وما زالوا على ذلك الحال أياما وليالى حتى شكت النساء من تواتر السير والترحال فقالت الجمانة بنت الملك قيس يا أبتاه نحن سائرون أم الارض سائرة بنا لانى أرى الكثبان وتلال الرمال تسير بنا وقد أخذنا والله التعب والعنا قال فلما ان سمع أبوها مقالها قال لها اسكتى لا تشمت الاعداء بنا فتصيبنا الفضيحة والعنا قال فلما كان بعد أيام قلائل وقعوا فى أرض يقال لها ذات المناهل وهى كثيرة الماء والعشب والكلا واسعة الاقطار والفلا وفيها أشجار باسقة وأطيار ناطقة تسبح من له العز والبقا وروائح زكية عابقة ومنازل ومراعى رائقة فنزلوا هنالك وقد أمنوا على الحريم والبضائع وسرحوا أموالهم فى المروج والمراضع وضربوا خيامهم على العيون والمنابع وانفرشوا فى تلك الارض وابتهجوا فى طولها والعرض فقال الملك قيس هذه الديار نتخذها لنا وطنا ونجعلها لاهلنا سكنا ونحميها بسيوفنا ورماحنا والقنا ﴿قال الراوى﴾ وكان بالقرب من تلك الارض عرب يقال لهم بنو سعد وهم أهل تلك الارض من قديم الزمان وكانوا خلقا كثير وعالم غزير وفرق وحلل متصلة بعضها فى الاطلال وكان سيدهم والحاكم عليهم من دون الابطال يقال له معاويه بن النزال وكان معدودا من جملة الابطال وكان بنو سعد مطيعين أمره وسامعين لقوله الا أنه لما سمع بنزول بنى عبس فى أرضه جمع وجوه قومه وعشيرته وأصحاب الرأى من جماعته وقال لهم يا بنى عمى هذه طائفة بنى عبس وعدنان قد خاضوا بلادنا وزاحمونا فى أرضنا ونزلوا على مراعينا وقد سمعت انهم هاربون من الملك النعمان وساقوا جميع أموال القبائل والعربان وأخاف أن تدخل العساكر خلفهم تطالبهم بالثار وينزلوا فى الديار وتنهب أموالنا وأموالهم وعيالنا وعيالهم وعلى أنى ما أدرى هل القوم مقيمون أو راحلون لانى ما أرى أحدا منهم أتى الينا وطلب منا الذمام ولا أحدا منهم أتانا بسلام وأريد أن تشيروا على بما أفعل فى حقهم قبل أن يصل الينا بعض شرهم ﴿قال الاصمعى﴾ فاختلف القوم لما أن سمعوا كلام سيدهم فبعضهم قال الصواب أن تدعنا نسير اليهم فى الليل ونكبسهم وننهب أموالهم ونأخذ جميع ما نهبوه وما جلبوه لان هذا رزق ساقه الينا رب السماء لانهم نهبوا أموال بنى عمنا وقد رماهم الله لنا حتى تنزل بهم العطب ونأخذ ما معهم من السلب وما فيهم الا من قال يا ملك الصواب انك لا تسمع كلام الجهال ولا تفعل الا فعل الرجال الكرام ولا يدخل عليك المحال وكلام

الجهال لان هؤلاء قوم غربا رماهم اليك الزمان وقد كثرت عليهم الاعادى والاضداد والصواب يا ملك أننا نحسن اليهم فى المعاشره والجوار لان أفضل الناس من يرد لهفة الملهوف ويحسن الى الجيران والضيوف ولا سيما هؤلاء القوم الذين ذكرهم فى البلاد والقبائل قد شاع وقد تحدثت الخلق بشجاعتهم فى سائر البقاع والصواب يا ملك أنك تمن عليهم بترك الغدران وتشكر الرب القديم رب موسى وابراهيم الذى أوسع البيدا وأخرج النبات والمرعى وصيرها نسمة تسعى وقد عظم قدر الكعبة الغرا وأبا قبيس وحرى وأوسع لك فى الارض وأحوج كرام الرجال الى حلك فقال معاويه والله يا بنى الاعمام انى لست أدرى ان كانت هذه الابطال راحلة أو مقيمة حتى أعمل على قدر ما أرى لانى أخاف أن يداخل القوم فينا الطمع فيحل بنا الهلع ولابد لنا أن نكشف أخبارهم حتى تظهر لنا حقيقة أمرهم والان سكتنا عن كشف أخبارهم فلا نأمن من شرهم على انى متعجب كيف انهم عبروا من جبال شهلان وبنى حريقة الشجعان وفاتهم الاخيل سيد الفرسان ثم ان معاويه قد صرف الجماعة وأحضر بعد ذلك عجوز كانت قد ربته وكان يعرف منها الفصاحة فقال لها يا أمى أنا أعرف انك وافرة العقل حلوة الكلام خبيرة باحوال الناس وأريد منك انك تركبى ناقتك وتدخلى بها بين خيام بنى عبس وتظهرى انك محتاجة وتتحدثى مع نسائهم وتسألين عن حالهم وأى سبب أدخلهم الى هذه الارض وتنظرى ان كانوا مقيمين أم راحلين لان النساء يخبر بعضهم بعض بما لا تخبر الرجال لاجل نقص العقول فقالت السمع والطاعة ثم ركبت فى الوقت والساعة حين توقد الحر وسارت حتى دخلت على الخيام والقباب فرأت نعما لا تعد ولا تحصى ولا توصف وما زالت تخترق الخيام حتى عبرت على أبيات بنى قراد فرأتها أحسن زينة وأكثر جمال فوقفت بالامر المقدر على باب سمية وطلبت منها الماء لتشرب فخرجت سمية وأسقتها وأبصرتها فرأتها حزينة فتعجبت منها وحلفت عليها وأنزلتها عن ناقتها وأدخلتها البيت وأضافتها وكانت العجوز شاطرة حاذقة فلاعبت سمية ومازحتها وسألتها عن القبيلة فحدثتها سمية بجميع ما جرى لهم مع بنى فزارة وقصة أولاد بدر وكيف طلبهم الملك النعمان وكيف نزلوا على بنى حريقة الشجعان وما فعلوا معهم من الغدر والعدوان وكيف نهب بنو عبس أموالهم وقتلوا رجالهم ﴿قال الراوى﴾ فبينما هى معها فى الحديث واذا بعبلة بنت مالك بن قراد دخلت اليهم وهى مزينة بالحلى والحلل والجوهر المكلل وهى كأنها البدر الزاهر وعليها العقود والجواهر فلما رأت العجوز الى جمالها وكمالها قالت سبحان من خلق هذه البنيه وسواها فقالت عبلة لسمية من أين هذه العجوز فقالت لها هذه امرأة غريبة الاهل والديار أعجبنى كلامها فلما أن سمعت عبلة من سمية ذلك المقال التفتت الى تلك العجوز وقالت لها يا عجوز اخبرينى من هو المقدم عليكم فقالت لها ياستاه معاويه بن النزال فقالت لها عبلة ولما أتى الى الملك قيس يسترضاه أما سمع بفرسانه الاجواد أما بلغه حديث حامى قبيلتنا عنتر بن شداد ولكن يا عجوز اعرضى هذا الكلام عليه اذا عدتى اليه واطلبى منه أن يكرم ملوكنا وأبطالنا حتى اننا نسكن عنده الاذيه فقالت لها العجوز وهى باهتة الى حسنها وجمالها ومن أكون أنا حتى أصل اليه وأشير بهذا الكلام عليه ثم انها أطالت مع عبلة الحديث وخرجت عبلة الى ابياتها وبقيت العجوز متفكرة فى محاسنها وذاتها ثم ان العجوز قالت لسمية من تكون هذه الجاريه هل هى زوجة ملككم قيس أو ابنته فقالت لها سمية لا هى زوجته ولا هى ابنته وانما هى عبلة بنت مالك بن قراد زوجة عنتر بن شداد وهو عبدها وحاميها وموقد نار حربها ومصطليها وهو عبد أسود الا أن قلبه أقوى من الصخر والجلمد ثم انها أعادت عليها أفعاله ووقائعه ومن قتل من الفرسان والابطال فقالت لها العجوز ان الملبوس الذى عليها وتلك العقود ما يقدر عليها أحد من الملوك فقالت سمية ليس هذا الملبوس والعقود من العرب وانما أخذه بعلها من ملوك الروم وملوك العجم وألبسها اياه ولها من القلائد والعقود والجواهر والتحف شئ كثير وعندها أيضا تاج الملك كسرى أنوشروان ملك الفرس والاعجام الذى لم تملك مثله العربان ولا أحد ملك ملكه فى سائر الصحرا ﴿قال الراوى﴾ وما زالت العجوز تسمع عجائب الخبر عن عنتر وصفته حتى برد الهوى فقامت الى ناقتها وركبتها وسارت الى بنى سعد ودخلت على معاويه بن النزال فسألها عن بنى عبس هل هم راحلين أم مقيمين

فقالت له دعني من هذا الحديث ثم انها أعادت عليه ما سمعته من سمية وما أبصرت وعاينت من محاسن عبلة
وجمالها وقدها واعتدالها وما رأت عليها من الجواهر والعقود وما سمعت من المقال فتغيرت منه الاحوال
لما أن سمع ذلك المقال وقد أخذه الوسواس والخبال وصاح من كثرة ما جرى عليه يا للعرب ان هذه الجارية
تكون لهؤلاء القوم سبب وأنا ذا لم أنظرها وأنال منها مرادي والاطال سهادي ثم انه استعاد الحديث ثانيا وثالثا
من حلاوته وقال لها يا أماه لقد أوقعتيني في بحر الغرام فقالت له العجوز وكان اسمها حليمة يا ولدي لا تضيق
صدرك فان القوم نازلون في أرضك وان الجويرية قالت لي خل ملككم يعرض أرضه ومراعيه على أبطالنا
وملكنا وهذا الحديث كان منها وهي موردة الخدود والنهود خارجة من تحت المخانق والعقود والامر يا ولدي
كله يرجع ويعود وانا أبذل لك في اجتماعك بها كل المجهود وان عجزت أنا أفعل ما بدا لك ولكن يا ولدي
لا تطمع فيهم لقتالهم فاني سمعت من المرأة التي أضافتني عن أبطالهم انهم يحيروا الفكر والعقول فان أردت
هلاكهم فاكبسهم في الليل وكاثرهم بالرجال والخيل فقال لها معاوية هذا أمر ما أحمل همه لاني لو أردت هلاكهم
ما تركت النهار يمضي عليهم وما منعني عن ذلك الا عقل قومي والساعة فقد حدثتيني بحديث يفسخ الذمام ولكن
لا بد ما أنظر الى تلك الجارية لانه ليس الخبر كالعيان فقالت العجوز يا ولدي غداة غد أسوقها اليك وآتي بها
بين يديك فقال لها معاوية اعلميني بما عولتي عليه حتى يطيب به قلبي فقالت العجوز قد عولت أن آخذ
من عبيدك عشرة وأسير الى بني عبس وقت الهجير وأكمن بالعبيد في التلال وادخل أنا الى المرأة التي أضافتني
وأقول لها يا ستي أنا عدت اليكي لما أعجبتني أخلاقك وحسن شيمتك وما أعطاكي رب السماء من الفصاحة
وأيضا لما رأيت حسن عبلة وصفاتها وفصاحتها وحسنها وجمالها وأريد أن آخذها البنات وهن ثلاث بنات أيتام
فاشتهوا أن ينظروها وقد أتوا معي فلما ان رأوا الى تلك الربعة والخيام وضجيج الجمال فقلن لي يا أماه ما فينا
أحد يقدر يدخل الى تلك المضارب من الهيبة وقد قعدن الى الارض من شدة الحياء والفزع وقلن يا أماه ما بقي
الا أننا نستريح ونرجع بلا فائدة فلما سمعت منهم ذلك الخطاب تألم قلبي بالعذاب والحسرات ومع ذلك
ما خرجن من الخبا وما نظرهن أحد فتركتهن قريبا من الخيام وأتيت لكي أسألكن الخروج معي اليهن لان
أفضل مكارم الاخلاق مشي الستات الى الجوار وأفضل الناس من جبر القلوب بعد الانكسار قال فلما سمع
معاوية هذا الكلام خف عن قلبه ما كان يجده من الغرام وبات تلك الليلة وهو كثير الاهتمام ولما أصبح
أحضر عشرة عبيد أجلاد يدخرهم للامور الشداد وقال للعجوز أنا أعلم أن الجارية ما تخرج من الخيام اذا
انطلى عليها ذلك الكلام الا ومعها جماعة من الاماء والخدام وهذه العبيد العشرة يكونون معكي حتى لا ينفلت
منهم انسان فقالت العجوز ما بهذا من باس ولا يذمه أحد من الناس ثم انها أخذت العبيد وسارت الى
أن بقيت بظاهر الخيام وقالت لهم اسبقوني الى المكان الفلاني واختلفوا فيه واكمنوا في نواحيه حتى آتي
اليكم وسارت العجوز حتى أتت الى أبيات سمية فوجدت عبلة عندها بالاتفاق ففرحت بذلك وقالت
لهن والله ما بقي لي عنكم صبر يا ستات ثم قصت عليهن ما ذكرنا من الصفات ففرحت سمية بتلك المقالات
وقالت لها وأين الساعة أولادك فقالت بظاهر الخيام فقالت أي والله يا ستات وقد تركتهن بين الاشجار وهم على مقالي
النار لاجل الانتظار فقالت سمية لعبلة ايش تقولي في جبر قلبها والفرجة اليوم على بناتها والعودة عند
المساء فقالت لها عبلة ما هذا صواب لاني أخاف من ابن عمي عنتر أن يعتب علي اذا سمع ذلك الخبر فقالت
سمية أنا أكفيك هذا الوجه وأقول أنا الذي أخرجتك ولكن اخفي هذا الحال من بنات عمك قال فهمت عبلة
أن تذهب مع العجوز في البر والاكم واذا بعنتر قد أقبل وهو يدمدم وهو ملآن غيظا وحرد فقالت له سمية
ما حالك يا أبا الفوارس فقال لها ايش يكون حالي والربيع بن زياد والملك قيس قد اتفقوا أن يأخذوا قطعة من
المهارة والنوق والجمال ويسيروا الى معاوية بن النزال ويبرطلوه بها وان فعلوا ذلك فما يبقى أحد في تلك
الديار الا ويطلب منهم مثله وأما ما كان عندي رأي الا اذا ما كان هو راضي بجوارنا والا كنا قلعنا آثاره وخربنا
دياره وحميناه هذه الارض بقوائم سيوفنا لحفظ حريمنا وأموالنا (قال الراوي) ثم التفت فرأى تلك العجوز

وهي كأنها اللبوة الشمطا أو الحية الرقطا الا انها لما رأت عنتر تجمعت في بعضها وبهتت الى عرض أكتافه
وطول قامته فنفر قلبها واصفر لونها فقال عنتر لسمية من تكون هذه العجوز الغريبة فاخبرته سمية بحالها
وقالت له يا أبا الفوارس هذه قد اجتازت علينا أمس وطلبت منا ماء فسقيناها وذكرت أن لها بنات أتوا
ينظرون الى عبلة وهم خارج الخيام ولولا قدومك لكنا خرجنا اليهن بغير علمك والآن ما بقينا نخرج
الا برضاك وعن اذنك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام خفق قلبه على بنت عمه وعاد
يكرر النظر الى تلك العجوز وقد زاد به الغيظ وسل حسامه ونهض الى حمار وحشي كان قد اصطاده عمرو
ابن عمه وهو على باب الخبا فضربه بالحسام قطعه قطعتين وصاح في العجوز ويلك يا عجوز النحس ان لم
تصدقيني الحديث والا شطرتك مثل هذا الحمار بالسيف نصفين أما أنت داية معاوية بن النزال ولما جئتني
هاهنا وعدتي اليه وصفتي له ابنة عمي فأنفذ معكي بعض العبيد لتأخذي بنت عمي بالخديعة والمحال وتسلميها
اليه في الحال حدثيني بالحق يا بنت اللئام والا جعلتك ملقحة على الآكام (قال الراوي) وكان حدث عنتر
بذلك الحديث عبد من عبيد معاوية بن النزال وكان يحب أمة من بني عبس كان تعلق بها لما نزلوا في ذلك
المكان فقالت له العجوز يا ولدي لا تفعل فاني امرأة غريبة ومن أنا حتى يسيرني معاوية الى ما ذكرت ثم ان
العجوز قبلت أقدامه وجعلت تتعطف بخاطره فاستحيا منها ومن سمية وقال لعبلة احفظيها حتى أعود ثم انه
صاح في أخيه شيبوب فقدم له الجواد وخرج الى ظاهر الخيام ثم انه قصد الى كثبان الرمل وكان العبد وصفها له
واذا بالعبيد هناك كامنين فقال لشيبوب خذ عليهم الطريق التي لبني سعد ففعل ما أمره به أخوه واذا بالامير
عنتر قد نظر واذا بهم تسع عبيد وكان العاشر قد اختفى وهرب فقال لهم عنتر يا ويلكم ان العجوز الذي أتت بكم
الى هاهنا ضربناها فأقرت عليكم فقال العبيد نحن مأمورون والعجوز أطمعت معاوية بالمحال وأتت بنا
لنأخذ عبلة ذات الجمال فعندها ضرب عنتر رقاب الجميع وعاد الى العجوز وقد امتلا حنقا عليها وأخبر عبلة
بالامر فخنقتها وأتى العبد الذي أخبره وطلب منه الامة فأعطاه اياها وقال له أقم عندنا فقال شيبوب يا أخي
نحن قتلنا هؤلاء العبيد وقلبي حاسب حساب آخر وهو أن العبد الذي هرب فانه يخبر معاوية بن النزال بهذه
الفعال ويكون الملك قيس وصل اليه هو وسائر اخوته بالخيل والجمال فيقبض على الجميع ويأخذ كلما
وصل معهم وان كان حصل في هوى قلبه عبلة فالشيطان يزين له هذه الفعال ولا بد ما تنفر علينا أهل هذه
الديار والاطلال وتطلبنا سائر العشائر التي تطيع معاوية بن النزال وتطلبنا من بعد قتل ساداتنا القتال
فقال له عنتر وقد رجف قلبه من ذلك الحديث والله يا أخي لقد حسبت حساب الرجال وهذا أمر
يؤدي الى الوبال اذا لم نحسن فيه التدبير والا أوقعنا رأي الربيع في أمر كبير ثم انه أحضر أخاه
جرير وقال له يا أخي ان المسا قد أقبل بالانسدال والملك قيس واخوته مضوا الى معاوية بن النزال وأنا
خائف عليهم من الوبال فالبس ثياب حيلتك وقوه همتك واذهب الى بني سعد وأكشف أخبارهم وعد
الينا وأخبرنا بأحوالهم فقال له سمعا وطاعة ثم انه غير لباسه وسار من تلك الساعة وبعد ذلك أرسل عنتر الى
عقري الوحش وفرسان بني عبس وأخبرهم بما جرى وأمرهم بالاستعداد ﴿قال الراوي﴾ وكان الملك قيس قد
ترك مكانه أخاه الحارث وركب هو وباقي اخوته وأهله وعشيرته وتبادرت الخيل للسير في ذلك الشان ولم
يبق في الخيام غير النسوان وقليل من الفرسان الا أن الليل ما انسدل حتى وصل جرير من بني سعد وحضر قدام
أخيه عنتر وقال له والله يا أخي لقد صدق أخي شيبوب وما أخطا الان ساداتنا الكل في الاسر والاعتقال عند
معاوية بن النزال فقال عنتر وكيف كانت قصتهم أخبرني بالحال فقال له يا أخي لما وصلوا الى عند معاوية بن
النزال بالنوق والجمال وطلبوا منه الذمام ورققوا له في الكلام زاد طمعه فيهم لانه كان عول أن يغدر بنا
ويسفك دماءنا لكن محبته لعبلة أشغلته عنا لان العجوز له وصفتها وزادت في المعنى وأشارت عليه أنه لا يحرك
ساكن حتى تحضر بها اليه فجرى ما جرى وأتى العبد وأخبره بالخبر وما جرى لرفقته فتغيرت حالته وقال لاصحابنا
ويلكم يا أنذال الحجاز تقتلوا عبيدي ودايتي وبعد ذلك تطلبوا حمايتي ثم انه أمر فرسان عشيرته أن يقبضوا

عليهم بعدما كلمهم الكلام الشنيع وخرق حرمة الجميع وما أتيت اليكم الاوقد ثارت اليكم بنو سعد من جميع
الاماكن وعولوا أن يهجموا عليكم عند الصباح فقال عنتر لمقرى الوحش ماذا تقول فى كبس هؤلاء الانذال
ودهمهم من قبل أن يجمعوا جموعهم من الجبال فقال مقرى الوحش نعم ماذكرت من المقال فقال جرير
مالكم عليهم قدرة بالليل لانهم خلق كثير مثل الرمل السيال وهم بالقسى والنبال فان كبستموهم فما تبلغوا
منهم آمال فقال عنتر يا ابن الزانية ان لم ندهمهم بالليل وننزل بهم الحرب والويل والا طال علينا المطال
ويجمعوا الابطال ونتعب معهم فى القتال فقال شيبوب ان لم تسمعوا منى ذلك المقال والا وقعتم فى الوبال
والعنا والخساره لانكم طائفة قليلة وأهل هذه البلاد ما ذاقت حربكم ولا لكم فى قلوبهم هيبه وأنا أعلم اذا وقعت
العين على العين يرمون أرواحهم عليكم ويطمعون فى نهب أموالكم وتبطل الشجاعة عند الكثرة
والصواب أن ترحلوا بالاموال والاولاد الى غير هذا المكان حتى اذا أشرف الاعداء على منازلكم ورأوها خالية
زاد طمعهم ويقولوا لما سمعوا باسر ساداتهم نجوا فى الحال بانفسهم ثم يشتغلوا بالنهب عنكم لان أكثرهم رجالة
ولا يصل اليكم الا بعض الفرسان فتقابلوهم وتنزلوا بهم الذل والهوان قال فلما سمعوا فرسان بنى عبس من
شيبوب ذلك الخطاب رأوه عين الصواب فقال شداد وأى طريق نذهب اليه وأى مكان نعتمد عليه فى
حفظ الحريم والاموال فقال له شيبوب بين أيدينا مكان يسمى عقبة الفروق وهى شعاب ومضايق ومنها
ينزل الانسان الى البر المنقطع القليل السكان فالصواب أن تنفذ قدامنا العبيد الى تلك العقبة بالنسوان
والعيال فاذا انتصرنا على أهل تلك الديار قطعنا البر والقفار فقال عنتر افعلوا ما بدا لكم وكل واحد يوكل بحريمه
حارسا شديد فعندها شدوا الرحال العبيد وتأخرت الرجال الصناديد وما مضى من النهار ساعة حتى
انقضت الاشغال ودارت بنو عبس بالهوادج واستقبلوا عقبة الفروق ونظر عنتر الى عبلة فرآها تبكى فقال
لها تخافى يا بنت مالك من أعداكى وأنا وراكى فلا عاش من يشناكى ثم شد لها على جمل وجعل محملها فى
أول المحامل وعاد الى أصحابه وهو ينشد ويقول

حدثى نفسك العزيزة بالامن * ولا تفزعى من الانهتاكى * وأقلى بكاك يا قرة العين
ان فى القلب لوعة من هواكى * كيف تدنوا العدا اليكى وسيفى * وسنانى والموت دون خباكى
يا ابنة العم سائلى الليل والخيل * جميعا عن عبدك الفتاكى * فهما يخبراكى عن فعل ليث
هزم فى الورى الى أعداكى * يصيد الاسود فى وسط قفر * ويجندل لكل قرن محاكى

﴿قال الاصمعى﴾ وفعل مقرى الوحش بزوجته مسيكة مثل عنتر وكذلك فرسان بنى عبس وسار واتحت
غسق الدجا وتركوا النوق والجمال هذا ما جرى لهؤلاء الابطال (وأما ما كان) من معاويه بن النزال
فانه لما أن قبض على قيس وأصحابه وأرسل الخيل الى الحلل كما ذكرنا وأعلمهم بنزول بنى عبس وأخبرهم
بما معهم من الاموال والذخائر ولما شاع ذلك الحديث زاد الطمع فى رؤس الرجال وتبادروا الى الجنائب
وامتلأ البر بالراجل والراكب وأراد معاويه أن يسيرهم فى موكب واحد فما أطاعوه ولا التفتوا اليه بل
تسابقوا يطلبوا القتال ونهب الاموال ولما أن أشرفوا على خيام بنى عبس ورأوا النوق والجمال باركين بين
الاطناب فقال بعضهم لبعض أذل الله رجال عرب الحجاز لانها ضعيفة الجنان وهؤلاء بنو عبس الموصوفين
بالشجاعه والقوة والبراعه الذى كانت تتصل الينا أخبارهم بان العرب تحيرت من أفعالهم وها نحن قد
رأيناهم أفدوا أنفسهم باموالهم وخافوا من هلاكهم ثم انهم هجموا على المضارب والخيام ونهبوا الاموال
والنوق والجمال ﴿قال الراوى﴾ هذا المقال فبينما هم على ذلك المثال واذا بمعاويه بن النزال قد أشرف
عليهم وعلم بحقيقة الحال فصعب ذلك عليه وجعل يصيح على الفرسان ويقول لهم دعوا عنكم هذا المال
يا رجال والحقوا بنى عبس الانذال فان معهم نساء وجوار كل واحدة منهن تساوى هذه الديار قال وما زال يرد
الابطال حتى رجعوا عن نهب الاموال وتبعوا بنى عبس الابطال فى عسكر جرار وكانت بنو عبس من وراء
العيال متأهبة للحرب والقتال الا انهم ما لحقوا أن يصلوا الى عقبة الفروق حتى لحقهم بنو سعد فى أرض يقال

لها أرض النقا وهى واسعة الفضا تصلح للحرب والقتال والطعن والنزال الا انهم ما لحقوهم حتى علت
الضجات وصاح بنو سعد من كل الجهات على بنى عبس الاسود الضاريات الى أين الذهاب يا أنذال الحجاز
أبشروا بالموت العاجل وسبى النساء والحلائل ثم طلبوهم بهذا الطمع وانتشروا فى هذا المقام انتشار الغمام
اذا طاع ولما نظر عنتر بن شداد اقبال عرب اليمن الاوغاد قال لبنى عبس يا بنى الاعمام قد أتاكم الامر كما
تريدون فدونكم وهؤلاء الانذال وجودوا ضرب الحسام الفصال حتى انهم يعرفوا قدركم عند الحرب والقتال
وتقع هيبتكم فى قلوبهم ثم اخترق العجاج وجال فى أقطارها فحملت خلفه بنو عبس ورفعت أصواتها ونادت
بانسابها وكان مقرى الوحش فى أوائلها وقد نكس الفرسان وأباد الاقران وقد بذل فى بنى سعد الطعن
بالسنان ولله در بنى عبس عند عودتها فقد شفت القلوب بحملتها وضربت الجماجم فنثرتها وصاح عنتر
فى المواكب ففرقها وسفك الدماء وأهرقها فلما نظر بنو سعد من بنى عبس خلاف ما كان فى حسابهم قل
نشاطهم وكان معاويه بن النزال قد وقف تحت الاعلام ووقفت من حوله السادات والابطال ولم يزالوا
وقوف حتى نظر معاويه الى بوادر مواكبه قد تأخرت وأبطاله قد ولت وضجات بنى عبس من خلفها قد
علت وخيولها قد صهلت ورماحها لمعت والدماء من أسنتها قطرت فخاف عند ذلك على عزمه من
الانفلال فحمل فيمن كان معه من الابطال وصاح فيهم صيحة الاسد الرئبال فاشتد القتال واختلفت
سهام الرجال وجاء الحق وذهب المحال وقد كان عنتر لما نظر معاويه تحت الرايات والاعلام جد فى طلبه وصار
كلما طعن فارسا قلبه وعجل عطبه ولم يزل على هذا الحال الى أن تنصف النهار فتبدد شمل بنى سعد فى القفار
وصار بعضهم يقول لبعض والله ما على وجه الارض أجهل من معاويه لان القوم كانوا هربوا من أرضنا وخلفوا
أموالهم فتبعهم بقلة عقله وبغيه عليهم فاخرق هيبتنا معهم ﴿قال الراوى﴾ وكان معاويه لما حمل فيمن
يعتمد عليهم من الابطال بذل المجهود فى القتال وهو تارة يقاتل يمينا وتارة يقاتل شمال وتارة يرد الخيل
والمنهزمين من بنى سعد الى الحرب والقتال الى أن صارت قتالهم مدافعة وممانعة فلما علم عنتر انهم ضعفوا عن
القتال جد فى طلب معاويه فتميز معاويه وتعقله فبان له منه الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر ورأى مضاربه
مثل الصواعق فخاف على نفسه من البوائق لانه تأمل فى رجاله فرآها تنفر من بين يديه كما ينفر القطا من
الباشق فقال لمن حوله وحق اللات والعزى ما قلنا ان هذه الطائفة القليلة العدد تفعل هذه الفعال وأقول
ان هزيمتهم مثل الاول ما كانت الا محال وما هو الا تدبير قبيح الاعمال وأنا وحق من قدر الارزاق والآجال
وأرسى بقدرته شوامخ الجبال لا يخرج من هذه الديار أحد منهم لا أبيض ولا أسود لانى قد انفتح لى باب من
المكر والمحال ما يقدر عليه أحد من الرجال ولا بد لى من قطع هذه القبيلة الى الابد حتى لا يقال جرى على
معاويه وعلى قومه أوشم الفعال من هذه الطائفة القليلة العدد وأنا الحاكم على من ضرب طنب ودق وتد ثم
انه قال لاصحابه احملوا أنتم عليهم ولا تهابوهم ثم انه لوى عنان جواده وطلب الهرب فاتبعه خدامه وقومه
وقطعوا البر والسبسب ولما عاين عنتر هزيمة بنى سعد التفت الى عروة بن الورد وقال له يا ابن العم خذ معك
من قومنا ألف فارس أجواد واتبع الحريم والاولاد وانزل بهم فى عقبة الفروق وأرض المصانع حتى انى أسير
خلف هؤلاء الانذال وأخلص الملك قيس ومن معه من الاسر والاعتقال ونسترد ما لنا هناك من الاموال
قال ففعل عروة ما أمره به عنتر فى الحال وسار بالحريم والعيال وسار عنتر بباقى الرجال من بنى عبس
الابطال فهذا ما كان لهؤلاء من المقال (وأما ما كان) من معاويه بن النزال فانه لما وصل الى قومه رآهم
فى خيام بنى عبس مشغولين بنهب النوق والجمال وكانوا قد أقاموا لجمع الاموال وهم فى أطراف الخيام الى
أن أقبل عليهم معاويه ورآه قومه وهو عائد مهزوم لا يعقل على نفسه من شدة الخوف والفزع ورأى بنى عبس
خلف المنقطعين فما خفى حال بنى عمهم عليهم وعلموا أن ملكهم مكسور فسألوه عن حاله وتلك الامور
فحدثهم بحديث بنى عبس وما لاقى منهم وكيف بلوهم بالتعس والنكس ثم قال لهم فى آخر كلامه والله يا بنى

عمى ما أقول انه عاد معى نصف العسكر وما نجا منهم الا من كان جواده سابق وكان له أجل مديد وكل ذلك من الاسود العنيد والشيطان المريد فلما سمع المتخلفون من ملكهم معاوية هذا المقال وقع بهم الانذهال وقالوا له عد بنا اليهم حتى نلقاهم بالفارس والراجل ونأخذ ثارنا منهم بالسيوف الفواصل فقال لهم معاوية ما هذا صواب لانهم خلفنا يحثوا الركاب وأنا أعلم انهم ما بقوا يندفعوا عنا الا بكثرة الرجال وان التقيناهم صدونا على الرمال وسبوا حريمنا والعيال لانه صدق من قال فيهم هذا المقال انهم فرسان المنايا والموت الزؤام وان لم أخدعهم وأحتال عليهم والا قلعوا آثارنا وأخربوا ديارنا وسبوا نساءنا ولا يبقوا علينا فقال له العقلاء منهم وكيف ذلك وما الذي تريد تفعل وما قد خطر ببالك فقال معاوية ان الذي خطر ببالي انني أدخل على ساداتهم الذي عندي في الاعتقال وأظهر لهم التخضع والاذلال وأعتذر اليهم فيما فعلت من الاعمال ثم أطلقهم بشرط انهم يردوا الينا حريمنا والاموال فان أجابوا الى ذلك خلعت عليهم وسيرتهم الى قومهم والعيال وبعد ذلك أسير بكم الى أرض المصانع لبني تميم ونأخذ أموالهم والحريم لانهم قد سيروا العيال الى عقبة الفروق وأرض المصانع في طائفة قليلة وقد تبعونا بعد ذلك ليخلصوا ملوكهم من أيدينا وما بقينا ننال منهم غرض الا بهذه الاعمال لاننا اذا اتبعنا الابطال الذين قد سار واتبع الحريم والعيال بفرسان بني تميم هان علينا ذلك الامر العظيم ونبقي حريمنا في أمن منهم اذا نحن سرنا بهم الى رفقائهم ونرجع بعد ذلك نقطع أقصاهم وأدناهم قال ولما سمع بنو عمه ذلك المقال استصوبه الذين جربوا قتال بني عبس وذاقوه وأما المتأخرون فانهم استعجزوه وصاروا يقولون والله ما نترك هذه الغنيمة الا عجزا ووهنا فقال معاوية يا بني عمى لا تقولوا هذا المقال واطلبوا لانفسكم الفرج من الملك المتعال لانكم تعلمون أني فارس اليمن وشجاعتي يضرب بها المثل في أرض صنعاء وعدن ومالي من يقاومني الا جابر سيد بني تميم وقد رأيت ما قد أهالني من هذا الفارس العظيم الذي لبني عبس المداعير وأقول انه زوج الجارية التي وصفتها الى دايتي وقالت ان اسمها عبلة ومن أجلها جرت علينا هذه البلية وجميع المصائب ولا بدلي منها ولو قطعت بالسيوف القواضب لاني لا أريد شيئا من الغنائم غيرها ولا سواها وأنتم في حل من جميع الاموال ومع ذلك قد رأيت بعلها لا يقاس بالعبيد ولا يقطع في جلده الحديد ثم انهم قالوا حدثنا بما رأيت فصار يحدثهم بما رأى من شجاعة عنتر وما قاساه في البر الاقفر الى أن وصلوا خيام بني عبس وهم بالتعس والنكس فاقبلت عليهم طائفة بني عبس وهم يجرون رماحهم في شعاع الشمس فلما قاربوا الخيام زعقوا يا آل عبس الكرام فما وجدوا بها ديار ولا نافخ نار فعلموا أن أعداهم طلبوا الديار فقال عنتر اتبعوا هؤلاء الانذال حتى نقطع منهم الاوصال ونخرب ديارهم والاطلال فقال مقري الوحش لا تعجل يا أبا الفوارس ولا تفعل ذلك فاننا ما نعلم ما جرى بين أيدينا ونخاف من حيلة تتم علينا والصواب انك تمهلنا الى الصباح وتسير بنا الى بني سعد الاوقاح ونمكن منهم الصفاح قال فلما سمع عنتر منه ذلك المقال استصوبه وكان بنو عبس لما نظروا الاموال على حالها فرحوا بوقوع هيبتهم في قلوب أعداهم وقد قال لهم عنتر والله يا بني عمى لو تقدم الى أحد منكم وقال لأخذت فيه معاوية بن النزال وأنا أعلم انهم ما مضوا الا في طلب الذمام من الملك قيس على حريمهم والعيال والاموال (قال الراوي) ولما كان عند الصباح ثار بنو عبس الاوقاح وقد ركبوا الجرد القداح واعتقلوا بالسمر الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح وقد سار قدامهم عنتر وصاح وطلبوا لبني سعد الاوقاح وأقبل عليهم الملك قيس ومن كان معه من الرجال الكل على الخيول العوال وعليهم الخلع الغوال قال فلما رآهم عنتر على هذه الحالة وعلم ان حسابه قد أصاب وان معاوية قد أخذ من الملك قيس الذمام على الحريم والعيال فعند ذلك ترجل عنتر وسائر الابطال وهنوا ساداتهم بالسلامة من الاعتقال وسأل عنتر من الملك قيس عن حاله فأخبره بما جرى له مع معاوية بن النزال وقال له يعلم همتك يا أبا الفوارس تخلصنا من الاعتقال وردت الينا الاموال واعتذر معاوية الينا وجاد بالعطا علينا وسألنا في الذمام على الحريم والعيال وقد أعطيناه الذمام وأعرض بعد ذلك علينا سائر أمواله والديار والاطلال فما قبلنا منه مقال ثم انهم عادوا معه الى الخيام وهم في غاية

السرور والتمام بالنصر على أعداهم اللئام ثم تفرقوا يجمعوا أموالهم وقد قضوا باقي ذلك اليوم في أشغالهم وقد استراحوا تلك الليلة من التعب ولما كان من الغد ساروا يطلبون عقبة الفروق وأرض المصانع ومعهم الملك قيس والاعلام والرايات وأبطال عشيرته خلفه مثل السباع الضاريات وعنتر قدام الجميع والى جانبه مقري الوحش أبو الهمات وفرسان بني قراد ولما تمادى أنشد يقول هذه الابيات

رحلنا وأوحشنا الحجاز وأهله * وأصبح منا موحش الدار خاليا * رعا الله ربعا بالحمى ظل باكيا
ولا نحن قلنا واشماتة عاديا * وما بلغ النعمان منا مراده * أيا منا من بعده والياليا
وكان لنا دون الفروق مواقفا * وجلنا عليهم بالرماح العواليا * ونحن حمينا من بني سعد حريما
عيمنا بهن أرسى الجبال الرواسيا * حلفت لقومي القتل بقرع القنا * محيفا بها ذكر السنين الخواليا
وبادرتها بالطعن حتى تركتها * وفرسانها ما بين باك وشاكيا * بأني أرد الخيل وهي خلية
بفرسان عبس اسم أهل المعاليا * وصلت عليهم صولة عنترية * ترى السهل من فوق المنية عاليا
ومن قال لي أب وعم ونسبة * قطائع بهم في خلا وبواليا * وخليتهم في جنح ليل كأنهم
ولا موتي بين النساء البواكيا * فيارب لا تجعل حياتي ذميمة * فسيفي وهذا الرمح عمي وخاليا
أنا عنتر العبسي فارس قومه * وينهشني وحش الفلا في الفيافيا * ولكن قتيلا يدرج الطير نحوه
رشمري وتوكيدي انظم القوافيا * سموت على فرسان عصري بهمتي * بنو عبس سادة كرام مواليا

﴿قال الراوي﴾ فلما طربت بنو عبس لابياته وعلموا حقيقة ما ذكره ساروا يقطعون الجبال والعبيد تسوق الخيل والجمال ﴿قال الراوي﴾ لهذا المقال وقد ذكرنا ان عنتر قال لعروة خذ معك ألف فارس من الابطال وتقدم بالحريم والعيال وانزلهم في عقبة الفروق والحق الظعن والاموال وكن لهم حافظا ومراعيا حتى نعود فاجاب عروة بن الورد الى ذلك ولحق الظعن والاموال في عقبة الفروق والاماء تسوق الهوادج والمحامل والنسوان متلهفات وعلى الرجال خائفات فعندها بشرهم عروة بن الورد بالنصر وكسر العسكر الذي لبني سعد وتركهم في الشعاب ﴿قال الراوي﴾ ولم يزالوا يقطعون الارض حتى وصلوا عقبة الفروق وأرض المصانع فرأوها قفرا خراب ما فيها داعي ولا مجيب الا الوحش يضرب في جنباتها والغربان تزعق وتنعق في ربواتها ولما رأى عروة ذلك المكان وهو خال من السكان قال يا بني عمي الصواب اننا ننزل في هذا المكان قريبا من الجبل الى أن يصل الينا باقي العشيرة ثم انه نزل بذلك الظعن والعيال والبنات والنسوان وعول على طلب الراحة في هذه الساعة فبينما هم كذلك اذ رأوا خيلا تسابق في طلب الصيد والقنص فحرك عروة الجواد نحوهم وطلب بذلك كشف أخبارهم من فزعه على الحريم والعيال قال وكان القوم من بني تميم مع رجل يقال له داثر بن نجاد وكان هذا الفارس أخو جابر الذي ذكره معاوية بن النزال الان داثر هذا هو الاصغر وقد أتى الى هذا المكان والارض التي هو نازل فيها عروة مع الظعن يطلب الصيد والقنص في ألف فارس الا انهم مازالوا يطردون الوحش حتى صاروا قدام ظعن بني عبس وأبصروه فانكروه في أرضهم فتجارى اليه الالف فارس وتتابعوا من كل جانب ومازالوا يتحدثون في أمره حتى التقوا بعروة بن الورد وهو قاصد اليهم والرجال خلفه فلما وصلهم صاحوا عليه يا وجه العرب من أي الناس أنتم ولمن هذا الظعن والعيال فقال عروة هذا ظعن بني عبس وعدنان وأنا من بعض فرسانهم الشجعان ومن انتم ومن يقال لكم من العربان فقالوا نحن من بني تميم أصحاب هذه الارض والمواضع وملوك ارض المصانع وقد سمعنا أن بني عبس نزلوا على معاوية بن النزال ولاجل هذا قصدناه في طلبهم وامسكناه عن اخذ اموالهم فاخبرونا ما الذي جرى لهم ولماذا بقي حتى رحلهم عن دياره وأرماهم عن جواره فقال عروة بن الورد لانه رجل غدار باغ مكار مفسد لا يعرف رفقه ولا يعف عن حرمه ثم حدثهم بما جرى وكيف قاتلوا بني سعد دون عقبة الفروق ثم قال لهم في آخر الكلام وقد نزلنا في هذه الارض ننتظر قومنا حتى يصلوا الينا ونختار والهم منزلا يقيمون فيه ﴿قال الراوي﴾ وكان داثر مقدم السرية قائما مع قومه يسمع كلام عروة بن الورد الى أن عرف المعنى لعب به الغيظ والعجب وقال لقومه يا ويلكم يفعل هؤلاء

الانذال بجيرانها هذه الفعال ويأتونا بدون عندنا منازل وأطلال دونكم واياهم لا تعفوا عن دماهم وأنا أقسم بينكم عبيدهم واماءهم لانهم لو لم يكونوا رزقا لنا من الرب القديم ما كان ساقهم الى هذا الاقليم قال فلما سمع عروة من داثر ذلك الكلام لم يجاوبه دون أن حمل عليه ومد السنان اليه وطعنه بين ثدييه أخرجه يلمع من بين كتفيه فلما نظر بنو تميم صاحبهم قتيل حملوا على بني عبس وعدنان واشتد الحرب والقتال وما انتصف النهار حتى ولى بنو تميم الادبار وركنوا الى الفرار وعاد عروة وبنو عبس فرحين بالنصر والظفر فقال لهم عروة يا بني عمي كونوا على يقظة قبل أن يجمع بنو تميم حلفاءهم ويأتوا الينا فباتت العبيد يشعلون النار ويحرسون المال والنسوان الى أن أصبح الصباح فعندها اطلعت عليهم الغبار وقد سد الاقطار وبعد ساعة انكشف الغبار وتمزق وفي الجو تعلق وظهر من تحته أسنة الرماح وبيض الصفاح يقدم ذلك العسكر والابطال معاوية بن النزال والى جانبه بطل كانه قلة من القلل فانزعجت بنو عبس من ذلك العسكر (قال الاصمعي) وكان سبب مجيء معاوية انه لما صالح بني عبس وأخذ منهم الذمام عاد الى الخيام وهو يتجرع مرارة العشق والغرام ثم انه جمع عسكره وأبطاله الذين يعتمد عليهم في قتاله وأرسل الى جابر مقدم بني تميم وأمره أن يجمع رجاله ويسير بهم الى عقبة الفروق وقال له المراد يا جابر أن تأخذ من العسكر جانب وتتبعهم الى تلك الطريق وان المال والجمال لكم وأنا آخذ عبلة بنت مالك قال فلما سمع جابر هذا الكلام غره الطمع وأجاب معاوية الى ما أراد وركبوا الخيل وطلبوا تلك المهاد فبينما هم كذلك واذا بالمنهزمين الذي انهزموا من قدام عروة أقبلوا من كبد البر وأخبروا جابر بن نجاد بقتل أخيه داثر على يد عروة بن الورد فلما سمع جابر سيد بني تميم هذا الخبر كاد أن يطير من عينيه الشرر وحلف انه لا يبقى من بني عبس بشر ثم ان الرجال تنافرت ولاعنة خيولها أطلقت وقطعوا بكثرتهم السهول وتلك الطرق حتى انهم أدركوا بني عبس وهم في عقبة الفروق وكان عروة خائفا من بني تميم فادركوه بذلك الجمع العظيم ولما رأى عروة ذلك الحال نبه رجاله والابطال فعندها أفرغت على أجسادها الحديد وتسربلت بالزرد النضيد واستقبلت ذلك العسكر والابطال وفي دون ساعة جرى الدم وسال وتخضبت البقاع والرمال وتصادمت الرجال بالرجال ولعب الرمح العسال وغنى السيف الفصال وعميت أبصار الرجال وحار الشجاع في المجال وارتجت الاقطار وأظلم النهار وانعقد الغبار وكان ذلك اليوم على بني عبس الفرد يعد بألف شهر أو أكثر فلله در بني عبس في ذلك اليوم الاغبر وما أظهرت من الفعل المنكر ولما أمسى المسا افترق الفريقان من بعضهم البعض وكل منهم نزل في بقعة من الارض وكانت بنو عبس في حال العدم لاجل قتالها لتلك الامم وبات عروة وهو يتفقد جراح الابطال ويسكت الحريم عن البكاء والاعوال حتى بدت غرة الصباح فتقدم الفريقان في طلب الحرب والكفاح وكان لهم يوم أمر من العلقم وفي ثالث يوم تضعضعت بنو عبس من تلك الامم وقاتلت قتال العدم وعروة صعد الى الجبل وصعد وراءه الابطال من قومه ووقع النهب في بعض الخيام وتخاذل بنو عبس وعلموا أنه لم يبق لهم من الموت فكاك وقد وقعوا في ضيق الاشراك ولو كان طال عليهم النهار ساعة واحدة لما بقي لبني عبس نسمة واحدة فعادوا عن بعضهم البعض عند اقبال الظلام وصار الرجل لا يعرف أين يضع الاقدام فلما عاد بنو عبس الى الخيام جمعهم عروة حوله وقال يا بني عمي كيف يكون الحال وقد أشرفنا على الوبال ولم يبت منا رجل خاليا من الجراح فقال العقلاء منهم يا عروة لما لا ترسل جريرا الى قومنا عسى يحثهم على قطع الطريق لعلهم يلحقونا وينقذونا من الهم والضيق وان لم تشد عزمك يا أبا الابيض في اصلاح أمرك وحالك والا أصبحنا طعاما للوحش والرخم ولم يبق منا من يمشي على قدم ولا يظهر لنا خبر وهذا غاية العجب ونحن نخشى من تأخير ذلك السبب والصواب أن ننفذ بعض العبيد يكشفوا لنا خبر قومنا فان كانوا سالمين وعلى آثارنا سائرين أصبحنا القوم قاتلناهم وصبرنا على بلاهم وان كان قد تم عليهم أمر من الامور طلبنا لانفسنا الامان ورمينا سلاحنا لهؤلاء الفرسان لان القتال في موضع الغلبة من سوء التدبير لا سيما ونحن ما لنا فيه خل ولا صديق قال فعند ذلك دعا عروة بجرير أخي عنتر وطلب منه كشف الخبر وأعلمه بما قد تدبر فسار جرير من وقته على الاثر وأقام بنو عبس حتى طلع الفجر وظهر

واذا هم بالرجال قد طلعت من كل جانب وكان معاوية بن النزال ومن معه من الرجال يصيحون على بني عبس ويقولون يا ويلكم ما لكم خلاص من بين هذه الجبال سلموا أنفسكم واطلبوا الامان حتى تكونوا من جملة الاعوان وما أتيت الى ها هنا الا وعندي قومكم عريان بعدد الرمال لان قلبي معكم أسير في هوى من وجهها مثل القمر المنير فقال عروة يا بني عمي قاتلوهم ولا تسمعوا مقالهم فقاتلوا واصبروا ولا تأسفوا على الحياة فعندها قاتلت الرجال وصار كل من طلب الراحة ودخل الى الجبال ترده النساء الى الحرب والقتال الا أن يكون مثخنا بالجراح هذا والسيف بينهم والاعداء قد ضيقوا عليهم وصار القتال في باب الشعب والمضيق وسدوا على بني عبس الطريق وقاتل بنو عبس قتال الموت والعدم وأنزل بهم أهل اليمن المحن وعلى الحقيقة أشرف عروة ومن معه على الفناء لان عددهم قليل وأعداهم كثير وهم أهل البلاد ووصل اليهم عسكر وأجناد ولولا أن بني عبس رجال أجواد لما كانوا اصبروا واقداءهم ساعة واحدة لانهم على الحقيقة رجال المنايا والموت الزؤام وما كان يقتل واحد منهم حتى يهلك كثير من الرجال هذا ولما رأى جابر صبر بني عبس ترجل عن ظهر جواده وأخذ سيفه وترسه وطلع خلف بني عبس وصاح على ذلك الخلق الكثير وصاح أيضا معاوية على بني سعد يا بني عمي احملوا بابلكم من الحريم واسبقوا بني تميم لعلي أن أدرك زوجة الاسود الزنيم والا فتبقى في قلبي حرارة منها الى الابد ما قام قائم وقعد ﴿قال الراوي﴾ فعندها زاد الامر على حد القياس وتكاثر على بني عبس عرب اليمن ووقع بالرجال المحن والقتل في الرجال والسبي في الحريم والعيال وتهتكت البنات وبكت المخدرات وكان النهار قد تقضى منه الاكثر وبقي الايسر وفي ذلك الوقت سمع أهل اليمن صيحات عاليات من رأس عقبة الفروق وصراخ متصل كانه رغاء الجمال ووقع حوافر خيل على الصفا أشد من الصواعق العاصفات وكان ذلك بعد وصول بني عبس وأبطال عدنان وفي مقدمتهم عنتر بن شداد والملك قيس وهم راجعون يسوقون الجمال بما عليها من الاحمال لان العبيد مع الحريم والعيال قال الناقل لهذا المقال لان جريرا التقى فيهم النفير وحدثهم بما جرى وكان وما جرى على عروة ومن معه في الجبال من بني تميم ومعاوية بن النزال وشرح لهم جميع الاحوال فضجت الابطال والرجال وقال عنتر خدعنا والله معاوية لما أطلق ساداتنا من الاعتقال وبلغ منا الآمال وهذا كله من أجل عبلة ولابد لي أن أجازيه على فعله ثم ان عنترة ركض في أوائل الخيل وقد تتابعت من خلفه الفرسان وترك الملك قيس وأخاه ومعه مائة فارس يسوق النوق والجمال وركب جواده وأحسن وأطلق له العنان وفعل أصحابه كذلك وتسابقوا وهم طالبوا النسوان اللاتي لهم وخلاص النهب والعيال وما زالوا كذلك حتى أشرفوا على عقبة الفروق قبل المغيب وكان أول من وصل الى ذلك المكان عنتر سيد الابطال والى جانبه نازح الهطال ومن خلفه باقي الرجال الا أنه لما أبصر السبايا تساق والولدان قد أكثروا الصياح والزعيق ورأى عروة بن الورد يقاتل من دونهم ودرج عبلة ورجال معاوية قد قدموا اليه أسنة الرماح وأكثروا من حوله الصياح فاسود في عينيه وسيع البطاح وقال هذا القرنان معاوية يا له يوم ما أوشمه عليه ثم ترجل عن الابجر وسلمه لمن يحفظه وسل حسامه الضامي الابتر لان المكان ضيق لا تقدر الخيل فيه على مجال وأيضا خيل بني عبس من التعب صارت في أسوأ الاحوال ولاجل هذا ترجلت الرجال وفعل عنتر تلك الفعال ولما ان رآه بنو عبس قد ترجل ترجل الباقي وفعلوا مثل ما فعل ورموا أرواحهم على الاعداء لان قلوبهم حنقة عليهم وكان أشدهم وأصبرهم على خوض الاهوال فارس الطراد عنتر بن شداد فنزل على الاعداء نزول القضا من السما وصار يقصد الرجال الذين ساقوا الحريم والاما وينثر جماجمهم بين الاحجار ويخلص منهم الكواعب والاحرار وأما شيبوب فانه كان على الحقيقة كالبلاء المصبوب لاجل خفة سعيه في الجبال وهمزاته من فوق التلال وحسن خبرته برمي النبال هذا والصياح قد ارتفع يمينا وشمالا والسيوف تعمل في المفارق والاوصال والشجاع قد افتخر وصال والجبان وقع به الانذهال وأعداء بني عبس قد عادوا على أعقابهم والسيف يعمل في صدورهم وأجنابهم وما كان أكثر من ساعة حتى عاد بنو تميم وبنو سعد في أذيال الجبل بعد ما ضربت منهم خمسمائة رأس أو أكثر وانفرجت عن بني عبس تلك الكربة وعن عروة بن الورد

وأصحابه وعادوا الى بعضهم البعض واتقوا بالظعن وقد قعدوا فى طلب الراحة وصارت فرسان بنى عبس تشرف من رأس العقبة تبصر القتال يعمل فتقاتل وتستقل ومازال بنو عبس على ذلك العمل الى أن دخل الليل وبقوا فى اذيال الجبل لان رجاله كانوا تعبوا من المسير ولما ان أخذوا الراحة وأمنوا على حريمهم وصلت اليهم خيولهم ونوقهم وجمالهم وقد نزل العبيد لحفظها من رأس العقبة وكان عنتر قد طمن بنت عمه عبلة وسكن روعها وطيب قلبها وقلوب النسوان واطمأنوا من ذلك الصياح وأعلنوا بالافراح بعد البكاء والنواح هذا والاعداء باتوا يعوجون من حول الجبل ويلومون بعضهم على مافاتهم من الهوادج والمال وأما معاوية بن النزال فانه لما ان عاد ونزل قال لجابر سيد بنى تميم كيف ترى من هذه الطائفة عند اللقا والله ان هذه الرجال الذين ذكرتهم لك لاقيت منهم الاهوال على انهم اليوم كانوا رجاله وكانوا وصلوا من التعب الى الغاية فاذا صاروا على ظهور الخيل تنظر منهم العجب فقال له جابر لا تصف مالا تعرف والله مافيهم أشد بأسا من الفارس الذى ترجل فى الاول ولا أشد منه ولا أرجل وهو الذى أنزل أصحابنا من أعلى الجبل وساقهم سوق الغنم وهو الفارس الاسود الذى تاره فى الحرب لا تخمد ورفيقه الاشقر تام الطول والقامه عريض الاكتاف والاوصال وهو الذى يقاربه فى أفعاله ويقاتل دون قتاله وكان يعنى بقوله عن فارس النياق الذى ما يوجد مثله فى الآفاق وفى آخر كلامه قال له يا معاوية لابد من هلاك هؤلاء الانذال وأخذ أموالهم والعيال وأنا الضامن لك اذلالهم فى البراز ولا أترك أحدا منهم يعود الى بلاد الحجاز لانى اذا أخذت هذا العبد الذى لهم وقتلت ذلك الطويل الاشقر هان أمر الباقى وتيسر وتأخذ أنت يا معاوية محبوبتك فقال له معاوية اقتل أنت ذلك العبد وأنا أكفيك شر عشيرته أجمع لان محبوبتى زوجة ذلك الاسود وهو لا يتركها حتى يهلك ويلحد وهى والله تستاهل ذلك لانها تخجل البدر اذا كان الظلام حالك ﴿قال الراوى﴾ وكان معاوية فى تلك النوبة واقفا فرأى عبلة وهى تصيح بالبكاء بين النساء وتلطم على خدودها خوفا من السبى والانهتاك وتهتف أحسن من حمام الاراك ولها عيون تقود السادات الى الهلاك وتصيد القلوب بلا أشراك فزاد به الطمع والجنون والولع وشرب من كؤوس العشق جرع الآن معاوية مازال يصف لجابر بن نجاد سيد بنى تميم عبلة حتى أشغل سره بها وقال فى نفسه أنا أقتل بعلها وآخذها ولو طلبها كل من فى الدنيا قاتلته عليها ان كانت كما يصف معاوية من الحسن والجمال والقد والاعتدال ولما تصور هذا فى قلبه أراد ان يزهد معاوية فيها فقال له يا وجه العرب ما تأنف نفسك وأنت سيد بنى سعد أن تحب جارية وزوجها عبد فقال له معاوية دع عنك هذا الكلام يا جابر فهذا شئ يرجع اليه أرباب البصائر وحق من كسى الليل حلة السواد وخلق العباد ان هذه الجارية لو زوجت عشرين زوجا وبلغت من العمر مائة عام كانت أحسن من كل من فى البرية من الانام فلما سمع جابر ذلك الكلام زاد به على عبلة الغرام والقلق والهيام وقال أنا أعلم ان هذا النوبة سبب ضرب رقبة معاوية بن النزال ولا يقتله غيرى ان هو لج فى طلبها (قال الراوى) ولهذا الامر كانت عرب ذلك الزمان تسمى الجاهلية لاجل جهلها بالشرائع وزيادة المطامع الا ان دين القوم كان الصدق فى الكلام واعطاء الذمام واطعام الطعام ﴿قال الراوى﴾ ومازالت الطائفتان يحرسون بعضهم بعض الى الصباح فركب بنو عبس على متون الخيل وانحدروا من الجبل مثل السيل وهم طالبوا الحرب والقتال وقلوبهم ملآنة على معاوية بن النزال لاجل ما غدر بهم وفعل تلك الفعال وكان عنتر قد حنق عليه لاجل محبته وتولعه بعبلة فجعل قصده اليه ومقرى الوحش لجابر بن نجاد سيد بنى تميم وتبادر وافارس لفارس وتطاعنوا بالرماح الدواعس كما جرت عادة العرب الآن جابر اشتهى أن ينظر قتاله ويجربه فى نزاله فقال لبنى عمه يا بنى عمى اصبروا الحملة على قليل وانظروا من منكم يخرج الى البراز حتى نجرب قتال فرسان الحجاز فى النزال واما العبد الذى ذكره معاوية يخرج اليوم ويطلب البراز وانظر صناعته بالرمح العسال وضربه بالسيف فى المجال لان معاوية وصفه لى فى القتال قال ولما تصور هذا فى قلب جابر خرج عشرة من الابطال وأوسعوا فى المجال طولا وعرض وتدانى بعضهم لبعض فنادى واحد منهم وقد قرب من بنى عبس وقال يا فرسان الحجاز هذا يوم الافتخار دونكم

والبراز قدام هؤلاء الحضار حتى يبان الفارس المغوار من الجبان الفرار قال فلما سمع فرسان بنى عبس هذا الكلام تبادروا الى القتال والصدام فعند ذلك برز مقرى الوحش فى المجال وحلف وحق الملك المتعال لا يخرج الى البراز غيره أحد من الرجال ثم انه قفز الى الميدان وقال ويلكم يا أنذال العربان وأقل من نزل فى تلك الاطلال والدمن أتحسبون انكم أبطال وتصبرون على طعن الرماح الطوال فها أنتم عشر رجال تقولوا انكم تقوموا بجيش زائد وها أنا فارس واحد فدونكم والحملة كلكم ثم انه بعد ذلك جال وصال ولعب بمهج الرجال فلم يكن ذلك الاقدر طرفة عين حتى قتل سبعة وجرح اثنين وهرب منهم واحد وجابر افعال مقرى الوحش يعاين ويشاهد الآن جابر لما رأى تلك الفعال حل وقد حل به الويل والنكال بعدما قال لاصحابه اثبتوا مكانكم حتى أخرج الى ذلك الفارس الذى وصفته لكم وهو الذى كان خلف الاسود فتك بالرجال ثم انه تأهب الى الخروج وجال قدام مقرى الوحش وتموج الا أنه ماخرج وظهر حتى قتل مقرى الوحش عشر فوارس أخر فصدمه جابر وصده عن الرجال والخروج الى الابطال وأشار اليه بالرمح العسال فلما رأى مقرى الوحش الى جابر وصدمته أشغله عن ما هو عازم عليه وقال له اسمع يا نذل العرب كلام يبقى الى آخر الزمن ثم انه أنشد يقول

اسقنى يا صاحبى كاس الحميا * فضياء الصبح قد لاح مضيا * اسقنيها فى رياض كلما
تنسمت أهدت انفاسك ذكيا * بين أقمار خلقهن انارينا * خلقا سويا آدميا
بخدود كلما قبلتها * نشرت من خجل وردا طريا * وثغور تمزج الراح لنا
برضاب يشفى الداء الدويا * فابذل النفس لادراك المنى * واهجر الذل وعش عيشا هنيا
لا تخف للموت ميقاه شهرا * لا ولا يحتاج رمحا سمهريا * انما الموت قضاء منزل
قد حكم الله به حكما خفيا * فأين غسان والقوم الذين مضوا والدين القويم الازليا
خلق الله السيف بكفى ويدى * وصحبنى مذ ما كنت صبيا * وكذلك الرمح قد صاحبنى
واختبرنى فرأى قلبى جريا * فهو يشكو عند غيرى عطشا * واذا صاحبنى بات رويا
يا سباع البر سيرى نحونا * واصحبينا تشبعى لحما طريا * وكى بما تريدى وادعى
وبلغى أصحابنا سعدا وطيا * واشعرى الابطال عن فهموا * باننا قتلنا جبارا عتيا *

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ مقرى الوحش من انشاده أوسع فى ميدانه وطلب بلوغ مراده فاجابه جابر يقول

قد بلوت الدهر حتى بان لى * كل سر كان فى الخلق خفيا * وشربت الخمر فى حاناتها
ونهبت العمر والعيش هنيا * وجبت الخيل فى عرض الفلا * وعسفت بها الليل دجيا
كم ظلام خضته فى مهمه * أنظر الاقطار مستورا خفيا * خضته والجن تخشى سطوتى
وسنانى وحسامى المشرفيا * يسمع السائر فى أقطارها * ضجيج الغول والذئب عويا
كم شجاع فاتك قد قدته * بعدما كان جبارا عتيا * من رأى أسد الشرى فى غابها
ورآنى حقر الليث الجريا * يا بنى عبس ابرزوا واحترزوا * واحذروا الليث الهمام القسوريا

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ جابر من هذه الابيات جالت الفرسان على بعضها البعض وزلزلت حوافر خيلهم الارض ولم يزالوا فى قتال وضراب حتى كثرت فيهم الاقوال هذا وعنتر أبصر فارس بنى تميم شديد القوى والحيل فخاف على مقرى الوحش من الويل فصاح فيه وقال له ويلك يا فارس النياق استر أهلاك واحذر من الهلاك وكان عنتر ماقال هذا الكلام لمقرى الوحش الا أنه رأى جابر قليل الخبرة بحفظ رأسه فاعلم مقرى الوحش بذلك الكلام فهيأ نفسه وهز حسامه وأقام قامته الى فوق وأومأ اليه الحسام فاحترز جابر من خصمه وقد خاف على نفسه فعند ذلك ضربه مقرى الوحش على رأسه فطير قحفه وقد نزل السيف فى رأسه وأعدمه لاهله وناسه فلما نظرت فرسان بنى تميم ما قد جرى على سيدهم جابر حملوا جميعا على مقرى الوحش وقد قدموا فى أيديهم رماحهم وقدروا واعند ذلك البيض من على رؤسهم وكشفوا جماجمهم وقد هان عليهم شرب حمامهم

والبعض منهم قد جذب حسامه من غمده فعند ذلك صاح الملك قيس فى بنى عبس فحملوا ولاعنة خيولهم أرسلوا وقد حمل معاوية بن النزال و بنو سعد الابطال وكان قد ازداد غيظهم على قتل جابر بن نجاد سيد بنى تميم وقد حمل عنتر و بنو قراد وقد تصادمت الخيول الجياد وملأت الوهاد والصلاح قد عاد فساد واكتسى النهار بحلة السواد وافتخر الشجاع على أقرانه وساد وانقطع من الفرسان الصياح وقد خفقت منهم الارواح وصار والأشباح بلا أرواح وصار الشجاع ينادى لا براح والجبان قد خلى المعمعة وراح وصار ذلك اليوم مثل يوم الميعاد وكان الامير عنتر بن شداد نثر الجماجم من على قامات الابطال الجياد وصار يقصد رايات معاوية ابن النزال ومازال على ذلك الحال حتى فرق عنه الابطال وصاح فيه ويلك يا غدار كيف أردت أن تحظى بعبلة طيبة الاخلاق وتحظى منها بالضم والعناق فنظر معاوية الامر عليه قد ضاق وقد تخلى عنه الاصحاب والرفاق وقد أيقن من الدنيا بالفراق وقد تضاربا بالصوارم الرقاق وامتدت نحوهما الاعناق ودام بينهما القتال واتسع المجال و بعد ذلك اختلف بينهما طعنتان فاصلتان قاتلتان وكان السابق بالطعنة معاوية بن النزال الا أنها طعنة خائف ولهان لانه استقبل وأيقن بالزوال فلما وصل رمحه الى عنتر مسكه بيده وهزه عليه فكسره و بعده صاح فيه عنتر وانطبق عليه وكان معاوية قد عول على الانفلال والهرب فطعنه عنتر فى جنبه قلبه الى الارض وصار يختبط فى دمه و يضطرب و بعد قتله بذل الطعن فى بنى سعد وصراخ فى جنباتها بصوت كأنه الرعد وقد عاونه على فعله عروة بن الورد ونازح بن أسيد والخطال ومقرى الوحش ومالك ابن قراد وولده عمرو وأبيه شداد وعمه زخمة الجواد وسادات بنى قراد وفرسان بنى عبس الاجواد وقالوا له نحن نفديك بالارواح يا فارس الزمان ثم انهم حملوا وللطعن فى أعدائهم جودوا وما كان أكثر من ساعة حتى ولت بنو سعد وأتبعهم بنو تميم وقد أحاط بهم البلاء العظيم فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وفى دون ساعة افترق ذلك الجمع العظيم لانهم كانوا قدروا والاميرين قتلوا والقبيلتين بلا مقدمين افترقوا وطلبوا لأنفسهم النجاة وقد أوسعوا فى الفلاة وعروة ومقرى الوحش يطاردوا خلفهم فى القفار الى أن انقضى ذلك النهار وأقبل الليل بالانسدال وعاد جميع الابطال يطلبون الاهل والعيال وقد جمعت بنو عبس الاسلاب والاموال وما كان فى ذلك المكان وهم فى غاية الفرح ببلوغ الآمال ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح تشاوروا فى الرحيل من تلك الارض أو المقام فقال الملك قيس الرحيل أصوب لنا من المقام لانها أرض مقفرة موحشة قليلة النبات كثيرة الآفات ومع هذا لا نأمن على أنفسنا من بنى سعد ولا من بنى تميم أن يجمعوا لهم جيشا عظيم و يتقدموه الينا فعند ذلك رحلوا وقد وقعت هيبتهم فى قلوب أهل اليمن وشاع ذكرهم فى هذه المعاهد والدمن بهذه الفعال والوقائع والفتن ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر عند رحيلهم ركب فى المقدمة هو ومقرى الوحش وعروة ابن الورد والخطال و بنو قراد أصحاب الوقائع والجلاد وهم مع ذلك يقطعون الوهاد و يتعاهدون حديث معاوية بن النزال وكيف عاد عليه غدره الى الوبال وصاروا يتذكرون ما جرى لهم فى أرض المصانع من الاهوال والفجائع وان خبرهم قد أصبح فى هذه البلاد فعند ذلك أنشد عنتر وجعل يقول

اذا كشف الزمان لك القناعا * ومد اليك طرف الدهر باعا * وان حانت منيتك التقيها
ودافع ما استطعت لها اندفاعا * فمت فى ظل معركة كريم * ولا تبك المنازل والبقاعا
ولا تختر فراشا من حرير * وتبكى فوقه تخشى النزاعا * وتصبح لا تعين على صديق
اذا ما جاء فى طلب الوداعا * وحولك نسوة يندبن خوفا * و يكشفن البراقع والقناعا
يقول لك الطبيب دواك عندى * اذا ما جس زندك والذراعا * ولو عرف الطبيب دواء دائى
نهار الموت ما قاسى النزاعا * وفى يوم المصانع قد تركنا * لنا بفعالنا خبرا اشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرب * وأشهرت النفوس لها امتناعا * ورمحى كان دلال المنايا
نخاض جموعها وشرى وباعا * وسيفى كان فى الهيجا حكيما * يداوى الرأس من ألم الصداعا
أنا العبد الذى خبرت عنه * وقد عاينتنى بعد السماعا * اذا الحرب العوان رمت شرارا

أخوض جارها اذا زادت شعاعا * ولا اسمع الجبان قريض شعرى * أمسى بعده يخشى الشجاعا
ولو أرسلت سيفى مع ذليل * لكان بهيبتى يلقى السباعا * ملأت الارض خوفا من حسامى
وحربى لا ترى فيه اتساعا * اذا الابطال ولت خوف باسى * ترى الاقطار باعا أو ذراعا

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر بن شداد من هذه الابيات فأول من طرب لها مقرى الوحش وكذلك طربت لها السادات من بنى عبس الاجواد لانه كان فصيحا شجاعا فزاد شكر عنتر فيهم وما منهم الا من مدحه وأثنى عليه وكان أكثرهم مدحا مقرى الوحش لانه قال والله يا أبا الفوارس لا خليت لأحد مقال ولا فعال ولولا سيفك فى أرض المصانع ما نزل أحد منا من الجبل فقال عنتر والله يا مقرى الوحش ما لنا عليك فى هذه الوقعة فضل لانك أنت قتلت فارس وأنا قتلت فارس وهما كانا سبب الكسرة وتفريج الكربة على ان الفارس الذى قتلته أنت أشد وأقوى فقال مقرى الوحش وقد تبسم من مقاله والله يا أبا الفوارس ما قتل الاثنين الا أنت ولو لم تزعق على وتدانى على مقاتلته ما كنت أعرف من أين أضربه ولا كيف أقتله وأهلكه ﴿قال الراوى﴾ وساروا على مثل ذلك يتحدثون وللخبر ينظرون حتى وصلوا الى واد يقال له ماء النعام فرأوا تلك الارض واسعة الجنبات وفيها مياه سارحات فنزلوا فيها وقال الملك قيس يا بنى عمى نقيم كلنا فى هذه الارض لانها طيبة المعاهد ونكتفى شر كل معاند فقال عنتر أيها الملك ومتى تخلو منازل اليمن من السكان والله ما نقدر نقيم فى مكان الا اذا استغلبنا عليه بتضارب السيوف الحداد والرماح المداد ولا نحمل لأحد على وجه الارض مالا ولا جمالا ولا نياقا وان قبلت منى تركت خيلك تملك الآفاق والشرق والغرب والسهل والجبل فقال له الملك قيس افعل ما بدا لك ما فينا أحد يخالف مقالك ثم انهم أقاموا فى طلب الراحة ولما استقر بهم المقام سأل عنتر أخاه شيبوب عن تلك الارض وما فيها من السكان فقال له يا ابن الام فيها قوم يقال لهم بنى فهد وهم منا على أربعة فراسخ ولهم ملك يقال له الجون بن روضة الفهدى وهو يا أخى رجل جليل القدر كثير الفرسان والاصحاب منيع الجناب وله مروءة وذمام وله خيل كثيرة وأنعام وهو صاحب نخوة وذمام ولكن ما يخلو من يحرضه على أذيتكم والتعرض لكم فقال له عنتر ومن يحرضه على ذلك و يشير عليه حتى يسير فى طلب المهالك فقال شيبوب اعلم انه فارس الارض وشجاعها وأميرها ومقدمها عمرو بن ضمرة القينى فارس جبار و بطل مغوار و يقول فى نفسه انه يلتقى أهل الارض لانه جاهل وقد طول عمره يغير على القبائل و يهجج العرب عن الماء والمناهل و يسير فى الليل فارسا وراجل و يسبى البنات والحلائل و يركب الخيول الاصائل وأنا أعلم انه يأتى الى الملك الجون ولا بد أن يطمعه فى أموالكم و يحرضه على قتالكم فقال له عنتر يا ابن السودا وذمة العرب لابترن عمره ولاتركنه جسدا بلا روح ولا شك انى ما وصلت الى هنا الا لانقطاع أجله وانصرام عمره وخراب بيته من بعده ولا بد لى أن أنفذ جاسوسا يرصده فى أرضه و يطلعنى على أخباره و ينظر ما يجرى منهم و يعود على الآثار ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال له شيبوب حيث ما الامر كذلك يا ابن زبيبة ما هذه الا أن أسير أنا وما أعود الا بآثار الاخبار وما أرجع الا ببلوغ الآمال ولما أقام بنو عبس فى تلك المضارب ففى ذلك اليوم وصل خبرهم الى بنى فهد وعلموا بهم و بنزولهم على ماء النعام وقد كثر عند الملك الجون الكلام وقال العقلاء من الواجب أن نشكر لرب القديم العلام الذى نور الارض التى نحن فيها وقد جعلها آمنة وأسقاها الغيث وأخرج منها المرعى وساق هذه القبيلة الى منازلنا فقال لهم الملك الجون يا بنى عمى اعلموا انى عولت على ان أعطيهم الذمام والمنزل الذى نزلوا فيه ولكننى متعجب منهم كيف انهم عبروا أرض المصانع وسلموا من معاوية بن النزال و بنى تميم وهم العرب الطماعة الخداعة ولا بد ما تصل الينا الاخبار فى هذه الايام وتدبر على قدر السماع ﴿قال الاصمعى﴾ عفى الله عنه ثم انهم أقاموا بعد ذلك ينتظرون ما يكون من بنى عبس الكرام ان كان يأتى من عندهم رسول بسلام أو بطلب ذمام فما أتى أحد منهم لا شيخ ولا غلام هذا وقد وصلت الاخبار بنزول بنى عبس فى ذلك المكان المشار اليه الذى قد ذكرناه وقد سمع فارسها عمرو بن ضمرة بما

أتى مع بنى عبس من الاموال والنوق والجمال ففرح بذلك نازجال وقال والله لقد انفرجت عنى الهموم والاهوال والشدائد وقد بلغت الآمال مما كنت أرجوه من الاحوال قال نجد وما كان فرح عمرو بن ضمرة من أجل أموال واغناله فى ذلك غرض فى بنى عبس سوف نذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى ونسوقه على الحالة التى جرت الا أنه لما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قام عند ذلك وأراد أن يغير على بنى عبس من اول ما نزلوا فقالوا له ما هذا صواب لاننا نخاف أن يكون الملك الجون أعطاهم الذمام وأخذ منهم خفارة وصار وافى جواره ونحن نفعل هذه الفعال فلا نأمن عتبه والملام والرأى عندنا انك تسير اليه وتنظر ما الذى جرى له مع بنى عبس وعلى أى وجه نزلوا عليه وبعدها نفعل على قدر ما ترى فقال لهم عمرو نعم الرأى فانه صائب من كل الجهات الاول ننظر ما دبروا والثانى نعرف حالنا معهم ثم ان عمرو ركب فى خواص قومه وسير بعض العبيد امامه وما زالوا كلهم سائرين الى أن وصلوا الى ديار بنى فهد فسمع بخبرها الملك الجون ولما لاقاهم استقبلهم وسلم على عمرو بن ضمرة وأنزله فى خيامه وعقر له ونحروا كرمه غاية الاكرام وسأله عن سبب قدومه فى هذه الايام قال نجد فلما سمع عمرو ذلك قال له أيها الملك الهمام اعلم انى ما أتيت اليك هذه الايام الا لأمر مهم وقد زاد بى الهيام وهو انى سمعت بنزول بنى عبس فى ديارنا من غير كلام واقامتهم فى أرضنا بغير اختيارنا فلما سمعت ذلك فرحت وأردت أن أقضى منهم اشغالى وأبلغ آمالى ولكن خفت من عتبك وملامك وقلت فى بالى من قبل أن أعمل ما أردت من أعمالى أسير الى الملك وأنظر جوابه قبل عتابه وها أنا أتيت اليك آخذ أخبارهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك الجون من عمرو ذلك الكلام قال له والله يا عمرو قد طال انتظارى وزادت بى أفكارى وقد تحيرت وأنا أيضا منتظر فى هذه الايام أن يأتى أحد منهم ويعرفنا حالهم فما طرق أحد منهم ومن أمس وصلنى عنهم خبر أشغلنى وزادهم ذلك انى كنت متعجبا كيف عبروا أرض المصانع وكيف سلم لهم بنو تميم فسمعت انهم قد أفنوا الطائفتين وقتلوا معاوية وجابر وأخيه داثر من بعد ما جرى لهم عجائب وأهوال ومن يكن فعله هذه الفعال لا يجب أن يهمل أمرهم ولا يؤمن شرهم فقال له عمرو وحق الهبل الأعلى لقد فرحت بذلك وسر قلبى بنزولهم قال نجد فلما سمع الملك الجون ذلك الكلام قال وكيف ذلك يا عمرو وايش السبب الموجب لذلك وما هو الذى بينك وبينهم فهل لك دم تريد أخذه منهم فقال لا ولكن تزوجت بابنة عمى زهرة بعد ما جرى لى من تحتها شدائد وأهوال وقاسيت من أجلها أمورا وأعوال وقد كان أباها شرط على شرطا وهو أنه لا يزفها الا ومعها من عرب الحجاز وعدنان جماعة يخدمونها وفى هذه الايام كنت معولا على المسير الى ديارهم وأسبى حرائرهم فلما سمعت بنزولهم هنا شكرت الرب القديم الذى قرب لى الطريق ولو كنت علمت أن ما بينك وبينهم ذمام كنت قضيت شغلى ومرادى منهم والآن فما بقى غير التدبير فى هلاكهم وأخذ أموالهم وأكثرها من نوق بنى عمنا والجمال وقد صار بيننا وبينهم دم ان كان كما ذكرنا انهم قتلوا معاوية وجابر وداثر فقال سادات بنى فهد والله يا عمرو ان هذا هو الصواب وهو أن تعود الى بنى عمك وتجمع فرسانا كثيرة وتغير على هؤلاء الشياطين بعد يومين وتكون قد انفذت لى مع بعض العبيد بغارتك حتى اركب فى سائر بنى فهد وندهمهم من ورائهم ونضع السيف فى أقصاهم وأدناهم ونسوق اولادهم ونساهم وان لم تفعل ذلك والا داخلهم فينا الطمع ويظنون اننا ما قعدنا عنهم الا فزع فقال عمرو بن ضمرة والله يا ملك ما كنت محتاجا الى معونة وأنا ما أقدر أخالفك وأنا يا ملك أقنع بأن آخذ ثلاث جوار حرائر من بنى عبس ولك جميع الباقى فقال الملك الجون والله ما أحكمك الا فى الجميع وأعطيك غناك وأبلغك مناك ولكن بحياتى عليك ما يكن تلك الثلاث اللاتى تريدهن وبالك فيهن قال الاصمعى فقال لى يا ملك أن الاولى منهم عبلة بنت مالك زوجة ذلك العبد والثانية الجمانة بنت ملكهم قيس والثالثة بنت عياض بن ناشب والابنت الربيع فقال الملك الجون والله يا عمرو ما اخترت أنت هؤلاء الا وهم خيار بنى عبس وهذا مما لا أطاوعك عليه بل انى أعطيك واحدة منهن وآخذ أنا الاثنتين وأعوضك أنا خلافهم من تريد فقال له عمرو وان كان ولا بد فأنا أريد عبلة زوجة عنتر حتى أجعلها البنت عمى خادمة اتنال بذلك شرفا وفخرا فقال له الملك الجون الامر فى ذلك اليك واعلم اننا اذا

تحكمنا فى الحريم فالكل بين يديك قال محمد بن هشام ثم انفصل الحال بينهم على مثل ذلك وكان شيبوب واقف يسمع كل ما اتفقوا عليه من المقال قال كان السبب فى ذلك ومجىء شيبوب الى ها هنا انه لما جرى بين عنتر وبينه ما ذكرنا فقال له ما تمضى فى الملك الا أنا وقد سار من عنده وأتى الى بنى فهد وما زال معهم الى أن أتى عمرو بن ضمرة الى أهله بعد ان أوصى الملك الجون أن يكون على أهبة القتال فقال له السمع والطاعة يا سيد الرجال فعند ذلك عاد شيبوب الى أخيه الامير عنتر وأعلمه بما جرى وقص عليه ما قد سمع من بنى فهد وما اتفقوا عليه الاتفاق والوعد من أمر الغارة عليهم وانهم قد تهيؤا للمسير كلهم اليكم فكونوا على حذر من أمركم ولا تغفلوا عن أنفسكم فتبتلوا منهم بالمصائب والاحزان لانهم على كل حال أصحاب البلدان وهذا ما عندى والسلام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام التهب قلبه بالنار مما قد سمع من هذه الاخبار فقال عنتر والله لاقابلنه على ما أضمر فى نيته وأصر وأقطع عمره بهذا الحسام من قبل أن يجعل عبلة بنت عمى خادمته فقال شيبوب وايش فى نيتك أن تفعل فقال عنتر اعلم يا ابن الام انى أسير اليه فى مائة فارس وافعل به كما أراد أن يفعل بنا واذا نحن فرغنا منه عدنا الى بنى فهد وأمحق عددهم وأسبى حريمهم وآخذ أولادهم ونصير نحن أولاد هذه البلاد فقال له شيبوب يا أخى ما تبلغ من بنى الفين مرادك لانهم فى عالم كثير وخلق عظيم ولكن الصواب عندى أنك توصى بنى عبس باليقظة وتترك عندهم مقرى الوحش وتسير أنت كما ذكرت وأنا أعرف أكمن بكم ولا أزال أراعى عمرا الى أن يجمع كل من فى الحى من الرجال ويسير طالبا لنا كما استقر بينه وبين الملك الجون الوعد فقال له عنتر ومن أين تخرج بنا الى لقاهم فقال شيبوب أنا أقصد لكم حريمهم وعيالهم وأدعكم تهتكوا فى أموالهم واذا نحن أخذنا ما أردنا وبلغنا الامل لحقنا القوم وكشفنا عنهم الغمم بالسيوف والاسل لان عمرا اذا رأى زوجته معنا وهى مسبية على بعض الجمال وقومنا فى القتال انقطع ظهره وحار فى أمره وقد تمكنت أنت من انصرام عمره فقال له عنتر على مثل ذلك كنت معول وقد أردت أن أقوله لك فسبقتنى أنت اليه وكنت أهدى من غيرك عليه وقد أشرت بما خطر يا ابن الام فى بالى ﴿قال الاصمعى﴾ ثم ان عنتر بعد ذلك قام ودخل على الملك قيس وأعلمه بما سمع وبما قد عول عليه عمرو بن ضمرة فقال الملك قيس والله يا أبا الفوارس ما هذا الأمر صعب ولو كنا علمنا اننا نلتقى هذا الملتقى كله ويحصل لنا هذا التعب والعنا فى أرض اليمن لما كنا دخلنا الى هذه الديار لاننا كل أرض أتيناها ونزلنا فيها داخل أهلها الطمع فينا وهذا كله نعب وما أقول اننا بعد ذلك نرجع ننظر أرض الحجاز الا أن تدركنا عناية من رب الارض والسماء فقال له عنتر يا ملك ايش هذا الكلام فلا تقل هذا المقال فتنقطع قلوب رفاقنا من الحرب والنزال ولكن يا ملك طب نفسا وقر عينا فانت ابن كل من فى أرض الحجاز واليمن ما دامت هذه الراس على أعلى البدن واعلم انى والله ما أترك فى بلاد اليمن ملكا يملك ولا يكون سواك ولا أترك لهذه الديار نوق ولا جمال حتى انى أسوقهم اليك واعلم انه قد ثبت عندى ان الرب القديم ما أدخلنى هذه الديار وهذه الاقاليم الا لاجل قوم أعمارهم تقارب بزوالها ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر أنفذ خلف مقرى الوحش فحضر وأعلمه بالقصة وأوصاه بالاحتراز فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو اجتمع حوالينا كل من فى الارض قدرت أن أطاولهم بالبراز اليوم والعشرة الى أن تعود وان كان قلبك غير طيب فاقم ها هنا عند الحريم والعيال وان أردتنى أتكلف لهذه الخدمة فدعنى أسير الى بنى القيان فى عشرين فارسا شدادا وأكفيك مؤنتهم ومؤنة عمرو بن ضمرة وكل من معه من الفرسان ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع عنتر من مقرى الوحش ذلك الكلام قال له يا أخى اعلم انما يشفى قلبى ومعانى لأمرى بروحى ومرادى أورى هذا الذى تولع بابنة عمى عبلة وأذيقه كاس الوبال واعلمه كيف تكون خصومة الرجال ثم ان عنتر بعد ذلك الكلام عاد الى مضاربه وأنفذ الى عروة بن الورد وأصحابه الكرام وأمرهم أن يستعدوا ويركبوا ثم ركب جواده الابجر وأوصى أباه شداد بعبلة وسار فى مائة فارس من فرسان بنى عبس القناعس ﴿قال الاصمعى﴾ وكان الامير شيبوب بين يديه حتى أشرف بهم على ديار عمرو وكمن بهم هناك ولبس أثواب خلقة وغير زيه ودخل الحله وسأل عن عبيد عمرو فأخبره العبد انه سار الى غزو بنى عبس فعند ذلك فرح

شيبوب وأطرب ورد الى أخيه عنتر وأخبره بما سمع وعند ذلك ظهر عنتر من بين الرمال وسارت من خلفه الرجال وأظهر وأصواتهم وكبسوا الحلة وقد بذر عنتر الرجال وفي دون ساعة ارتفع الصياح في سائر الجهات وانقلعت الغبرات وهجت النسوان وبكت البنات المخدرات (قال الراوي) لهذه الاشارات وقد ساق شيبوب أخت عمرو الى بين يدي أخيه الامير عنتر وأخذ أيضا زوجته زهره التي كانت تريد أن تستخدم عبلة وأخذ تمام المائة من الحرائر والبنات وسمع عنتر بكلامهم فتألم قلبه وقال لعروة يا أبا الابيض اترك هؤلاء النسوان لان مالنا عليهم ثار نستوفيه والذي كنا طالبينه هاهو حصل وامض بنا الى قومنا حتى نلحق الرجال ونعرفهم قدرهم في المجال وقت الحرب والقتال قال فعند ذلك أطلقوا الجميع وعادوا راجعين يريدون أهلهم وكان عبورهم على مسارح المواشي فساقوا قطعة جيدة بين أيديهم من النوق والجمال وساروا وهم مجدين في السير طالبين أهلهم وقلوبهم على حريمهم في التهاب وجدوا في السير غدوا وابتكارا ولم يركنوا الى هدو ولا قرار وهم يحسبون ألف حساب ﴿قال مجدة﴾ فهذا ما كان من أمر هؤلاء وما فعلوا وأما ما كان من عمرو بن ضمرة فانه لما سار هو وأصحابه سار وهو فرحان بما معه من الابطال ومازال سائرا الى أن قارب الارض التي فيها بنو عبس نزول فرآهم قد أشرفوا على مراعيهم وأموالهم والطلول فرأوا بني عبس كذلك فركبوا الا انهم عارفين بذلك قال وكان عمرو أنفذ الى الملك الجون يعرفه بوصوله ثم قال عمرو لرجاله ابشروا بالخير الوافر كل هذا رزق أنفذه الرب القديم اليكم ثم حمل وحملت رجاله خلفه وفي دون ساعة اختلطت الرجال بالرجال وعظم الزلزال ﴿قال الراوي﴾ وكان الملك قيس تحت الرايات وقد مسكوا معهم نصف فرسان بني عبس وجددت لهم قوة ونشاط ومعهم أيضا فارس النياق الامير مقري الوحش واختلف الطعن والضرب واشتد البلاء والكرب وطلع الغبار فوق الاقطار وهطلت الدماء فكانت مثل الامطار وقد دام الامر كذلك الى نصف النهار ﴿قال الراوي﴾ وقد استظهرت بنو عبس على بني القين وأبعدوهم عن الديار قدرة واقتدار وقد جرى لمقري الوحش وعمرو ما يحير النظار ويذهل الافكار لان كل واحد منهم قد اشتغل بصاحبه ثم اقتتلا فكانا في المقام سواء وفي اللقاء كفؤا حتى أن كل واحد منهما لو كان حاضر والآخر غائب لكان كسر الفريق الذي بين يديه وسطا وتغلب عليه قال مجدة وعند المسا أشرف بنو فهد بكثرة عددهم وقد أشرق البر من لمع زردهم فرأوا القتال يعمل فحملوا بجملتهم فكانوا جملة عظيمة وتتابعوا في طلب الغنيمة فعندها ردوا بني عبس الى الخيام وقتلوا منهم جماعة وقد انسدل الظلام ولما انفصلوا التقى عمرو بالملك الجون وشكره على أفعاله وقال له وحق اللات والعزى ما لفرسان بني عبس مثال وفي طول عمري ما رأيت أخبر منهم في القتال ولولا حاميتهم وقع اليوم في قسمي لكنت كسرت جملتهم ونهبت مالهم وما كنت وصلت أيها الملك الا والسبي واقع في نسائهم وأموالهم على ان فارسهم كان وصف لي أنه عبد أسود وذلك الفارس الذي قاتلته رجل أشقر طويل ولكنه خبير بطعن الرمح وكان ينبغي السؤال عن أصله ولكن في غد أخرج الى القتال وأطلب البراز وأنجز أمر هؤلاء انجاز وأسمح لاصحابنا بنهب الاموال فقال الملك الجون افعل ما بدا لك وان رأيت أحدا من أبطالهم ما لك به طاقة ناد حتى اننا نحمل عليهم بجمعنا ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم بعد ذلك القتال نزلوا وضربت لهم المضارب والخيام ونزلوا فيها للراحة والمنام وأكل الطعام وكان القوم قد أيقنوا ببلوغ المرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء اللئام وأما ما كان من بني عبس الكرام فانهم لما عادوا عند المسا كانوا قد خسروا غاية الخسران وصار الملك قيس يشكر مقري الوحش على فعاله ويقول له والله لو كان حصل أمر كان وقع بنا المحاق وكنا تشتتنا في سائر الآفاق فقال له مقري الوحش يا ملك طب نفسا وقر عينا وافعل الآن ما تريد وما تختار فانا أنوب عنك وأقاتل بين يديك جهدي وأفعل ما أقدر عليه في الليل والنهار على انا اليوم ما كنا الا رابحين لولا وصول بني فهد عند المسا وان شاء الله تعالى أنا بفارس بني القين ما كنا خاسرين لكن في غداة غد أخرج لي البراز أنا بنفسي وأريك ما أفعل بفرسانهم وأردهم عنا الى أن يقدم عنتر بن شداد الهمام الينا لانه حاميتنا وردنا ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم نزلوا في الخيام وأخذوا الراحة وأكلوا ما تيسر من الطعام وتولى الامير مقري الوحش حرسهم ومعه جماعة من الابطال الذين عليهم المعتمد

في الشدائد والاهوال فهذا ما كان من بني عبس وما جرى لهم وأما ما كان من بني فهد وبني القين وفارسهم عمرو فأيقنوا انه عند الصباح يتفرق شمل بني عبس في الاقطار وتسبي نساؤهم الاحرار وباتوا وهو يقول لابن عمه على ذلك المقال ثم انه تولى حرسهم ولما كان عند السحر وصل اليه عبد من عبيد زوجته زهرة وأخبره بما تم في حلته وما جرى على قومه بعد مسيره وقص عليه القصة من أولها الى آخرها وما فعل عنتر في الاحياء وأهلك وسبى ومازال يكرر عليه الحديث الى أن بكى مما سمع من العبد وأن واشتكى ثم قال واكرباه منك يا عبد السوء يالها من مصيبة وهي والله شنيعة فوحق اللات والعزى ما أبقي من بني عبس أحد قال مجد بن هشام ثم ان عمرو بن ضمرة عاد الى الملك الجون وأخبره بما جرى وما تم في حلته عند غيابه وما جرى وما فعل بنو عبس مع أهله وعشيرته من الفعال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك الجون بذلك ضاق صدره وتبلبل فكره واحتار في أمره مما جرى على بني القين فعندها قال لعمرو والله لقد أضرني سبي الحريم والعيال ولكن ما فعل هذا العبد تلك الفعال الا بسبب أخذ زوجته وروحه بعدها لانه أخطأ معنا بهذه الفعال ولكن اعلم يا عمرو ان الرأي عندي أن تنجز أمر هذه القبيلة عند الصباح حتى اذا عاد عنتر من غيبته فما يكون له ملجأ ولا حمى بعد ذلك أبدا ونقتله هو ومن معه من الرجال ونخلص منه الحريم والعيال ﴿قال الاصمعي﴾ ثم انهم قضوا باقي الليل بمثل ذلك الهذيان والفشار الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعندها ركب عمرو وزعق في المواكب فركبوا وللحرب طلبوا ولما ان ركبوا وتهيؤا للقتال أعلم عمرو بني القين بما تم على عيالهم وأموالهم فلما علموا بذلك اشتعلت في قلوبهم النار وهاجت في كبودهم فقال جماعة منهم يا عمرو عد بنا الى هذا الشيطان نصرم عمره ونقابله على هذه الفعال ونرغم أنفه ونأسر أباجده ونخلص منه المال والعيال فقال يا بني عمي اعلموا أننا ما نحتاج الى هذا ولا نولي من بين أيديهم ونترك علينا اسم الهزيمة والهرب ونترك بني فهد تملك هذه الطائفة وتفوز بالذكر وتأخذ الغنيمة وتحتوي عليها ولكن الصواب يا بني الاعمام أننا نقيم نبذل في بني عبس السيوف والقنا ونصبر الى أن يأتي فارسهم عنتر العبد الزنيم وأريكم ما أفعل به وأجازيه على فعاله والى أين يمضي وأنا خلفه ولا بد له من الوصول الى هنا اليوم أو غد فاحملوا أنتم على هؤلاء واعلموا اننا كلنا في الكائنات سواء ﴿قال الاصمعي﴾ ثم انهم حملوا على بني عبس وصاح أيضا الملك الجون في مواكبه قال وكانت بنو عبس أرادت أن تطاول القوم بالبراز فما وجدوا الى ذلك سبيل وكان أراد هذا مقري الوحش أيضا ولكن ما ساعده الا انه حمل وتلقى أسنة الرماح بصدره وأظهر جلاده وقاتل قتال الرجال المجبورة قال وكان الملك قيس واقفا تحت الاعلام قبال الملك الجون وأما بنو زياد وفرقة أخرى من بني عبس معهم فانهم اصطلوا نار الحرب والجلاد لان العرب دارت ببني عبس كما ذكرنا فترتبوا على هذا الترتيب وصار كل جماعة تقاتل من ناحية وأحكموا السيوف في البعيد والقريب وكان ذلك اليوم مذكور ومن أعجب العجب سبقت فيه النفوس الى سوق السماح وقد تناثرت الجماجم من أعلى غصون الاشجار وقد علا الضجيج والصياح وأبصرت الفرسان ما حيرها واشتهت أن تنظر طريق النجاة وصبرت أبطال بني عبس على كثرة العدد ومازالت تقاتل الى أن قل منها الجلد وضعفت عن حمل الحديد والزرد وتراجعوا لما كثر عليهم العدد الى أطراف الخيام وصار القتال يعمل بين أطناب الخيام وصار الامير مقري الوحش يغير على الخيل ثم انه يحمي جانبها وكان كل ما رأى طائفة بني عبس تضعضعت عن القتال وضعفت يعينها ويلتقي عنها النوائب ولما أن نظر الملك قيس الى ضعف بني عبس وعدنان وتأخرهم عن الحرب والطعان وقلة عزمهم وهمهم لانهم قد خافوا من أعدائهم حل باخوته وأهله وعشيرته وقرائبه وعمومته وما فيهم الا من بذل المجهود وصار حاضر في صفة فقود ولما حملت تلك الرجال وقاتلت الابطال في المجال وضرب السيف الفصال وطعن الرمح العسال لم يزالوا على تلك الاحوال الى ان ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فوقع النهب في أبيات بني زياد وصار الربيع يدافع عن نفسه ويمانع ويجادل مع الاعداء أشد جدال وفي ذلك الوقت نظرت عبيده فرأت الحال عليه قد زاد وقد ذكرنا ما في

الربيع من القوة والشدة وقد قاتل الرجال الاجواد حتى عاث فى جسده الرماح المداد والسيوف الحداد وأشرفت قبيلته على سبي الحريم والاولاد وباتت القبيلتان على ذلك المنهاج الى ان طلع النهار بالابتهاج وظن بنو عبس انهم وقعوا فى بحر عجاج متلاطم بالامواج ولما ان تضاحا النهار طلع عليهم غبار وعلا وثار وسد منافس الاقطار وأظلم منه ضوء النهار فتبينوه الرجال الاجواد واذا هم رأوا من تحته قمر الدواقين وحامى القبيلتين وفارس الاقطار ومشبع الاطيار الطويل النجاد الضارب بالسيوف الحداد الامير عنتر ابن شداد وصحبته الامير عروة بن الورد ورجاله الاجواد وقدامهم سبي بنى القين الذين أحلوا بهم البلاء والشين ولاسيما وامام الكل هودج عالى قد حازه صاحب الفخر والمعالى ومن داخله زهرة زوجة عمرو ابن ضمرة الا انهم لما أشرفوا فى ذلك الساعة تبينوا الى قومهم فرأوهم فى أذيال الخيام وقد ضاقت عليهم المضارب والآكام فهنالك قال عنتر لعروة بن الورد يا ابن العم وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام لولا اننا لحقنا قومنا فى ذلك النهار والا كانوا ولوا فى البرارى والقفار ونحن ما كانت غيبتنا بعيدة لكن يا شقاهم من بعدى فقال له عروة والله صدقت يا أبا الفوارس ويا زين المجالس وأنا أعلم انهم بعد وفاتك لم يبق منهم راجل ولا فارس لان سعادة هذه القبيلة مقرونة بك ولم يبق لهم ذكر من بعدك وأولهم أنا الا انك اذا كنت أنت حاضر ألقى الالف والالفين وان كنت غائب ما أقدر أثبت قدام فارس وان كنت فى شك من حديثى هذا فاصبر ساعة وانظر ما أفعل ثم انه بعد كلامه حمل وصاح حتى تصور للقوم انه قلب البطاح هنالك التفت عنتر الى أخيه شيبوب وقال له سق خلفى هذا المال وأنا أوسع لك الطريق وأجندل هؤلاء الابطال حتى نوصلهم الى أهلنا والاطلال فقال له شيبوب نعم الرأى يا ابن الام ثم انه زعق فى الابجر زعقة تفلق الحجر واقتحم الغبار والقسطل وقتل الرجال وجندل الابطال وصاح شيبوب فى العبيد وأمرهم بسوق المال والرجال التى معه فقال لهم كونوا من خلفهم حماية لهم هنالك ففعلوا تلك الفعال وساقوا الهوادج والاموال وجمعوا النياق والجمال باطراف الرماح الطوال وفى تلك الساعة تأمل عمرو بن ضمرة الى تلك الفعال ونظر هذه الاهوال فصح عنده الخبر والحال ولما سمع نداء زوجته زهرة طار عقله وتخبل أمره وقال لرجاله يا بنى العم هذا العبد الذى نحن كنا له فى الانتظار أتينا الى نهب حريمه فسبقنا هو الى الديار فدونكم واياه ومن له قتيل يبغاه لاننا صرنا فى البلية سواء وما عاد لنا منه دواء الا الضرب بالسيف الفصال والرمح العسال فاطلبوه قبل أن يصل الى الاطلال وتزيد معه الرجال ﴿قال الراوى﴾ فعندها طلبت عنتر الاقيال وأقبلوا عليه مثل السيل اذا سال أو الظل اذا مال وفى ذلك الوقت زاد الصياح وعظم الكفاح ولما علم عنتر بهذه الاحوال علم ما فى ضميرهم ومأمولهم وعرف أن مرادهم خلاص أسراهم وأموالهم فاستقبلهم وترك بنى عبس بهلاك النفس وكلما أتت عليه رجال متتابعة يضرب فيهم ضربات ساطعة ويجعل رؤسهم مقطعة لان ضرباته لا تردها بيض ولا خود بل تفلق الهام وتخرق الزرود وقد فعل فى تلك الساعة فعلا مهولا وخلى الشجاع مذلولا فهذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الرجال التى تقاتل مع مقرى الوحش فانهم لما سمعوا صياح أبى الفوارس عنتر زال عنهم كل أمر منكر وحملوا نحوه واقتفوا منه الاثر فاغتاظ مقرى الوحش من ذلك وأيقن بالبلاء والمهالك لانه صار وحيدا فريدا الا انه مكن من أعدائه الضرب وأشعل بقوته نار الحرب فرجعت الرجال التى هربت من بنى عبس وقويت شوكتهم وعظمت نخوتهم وحملوا وأملوا النصر بوجود حاميتهم هذا كله يجرى وعنتر يقتل الابطال ويجندل الاقيال لكنه طالب حيه والاطلال لاجل وصول هذا المال من وسط تلك الاعداء الانذال وهو فى أثره وشيبوب تابعه وعروة بن الورد قد فعل فعلا منكر وحير بضرباته البصر وشاهد تلك الامور عنتر ففرح واستبشر وعلم أن كلامه الذى قاله فى محله وما زالوا على هذا الحال وهم فى قتال وجدال الى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وفى ذلك الوقت وصلوا الى حيهم والاطلال وما زاح من المال الذى معهم ولا عقال وقد انفصلوا عن الحرب والقتال ورجعت كل طائفة الى مكانها واستقرت فى أوطانها وكان أعظمهم حرقة وأكبرهم مشقة عمرو بن ضمرة لاجل سبي زوجته زهرة وقد تحسر على ما جرى

لانه ما حمل فى ذلك اليوم بل وقف ينظر ضرب عنتر وقتاله فهالته أعماله وكان تعبانا لا مقدرة له على حر القتال من كثرة ما عمل فى غياب أبى الفوارس عنتر وكان قد تبعه مقرى الوحش وفى ذلك الوقت أحصى من قتل من ابطاله فرآهم نحوا من ثلثمائة فارس من كل بطل مداعس فاشتعلت بقلبه النيران وحل به الذل والهوان وقد قال يا بنى عمى واأسفاه على ما فعل ابن الرعاة لكن واشوقاه الى الصباح حتى انى أخرج الى الحرب والكفاح وأعلموا ان هذه النوبة ما يفعلها الا أنا من هذا العبد ابن الزنا وما زالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح هنالك حمل بنو القين وبنو فهد بعد ما اعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالصفاح وركبوا الجرد القداح وتقدموا ليشاهدوا الحرب والكفاح فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر عنتر الفارس المنصات فانه لما وصل الى الحى والاظعان تلقته الابطال والنسوان وشكوا له ما لاقوا من الاعداء اللئام وما شاهدوا منهم فى تلك الايام فقال لهم يهون الامر يا بنى عمى وأنا أكون لكم الفدا من كل سوء وردى ثم بعدها تقدم الى ابنة عمه عبلة وسألها عن حالها وما قد جرى لها فقالت له بخير أراك فلا عاش من يشناك وقتل الله أعداك فقال لها يا ابنة العم تسلمى هذه زوجة من أراد بسبيك الذى أضمر فى نفسه انه يستخدمك فقالت له يا ابن العم ما دمت أنت تعيش لا أرى بؤسا ولا شقى لانك أينما غبت غاب السرور معك ثم قبلته فى عارضه ونحره والآخر قبلها بين عينيها وفى ثغرها وعاد من وقته وساعته الى الملك قيس وهناه بالسلامة وازالة البؤس والندامة فقال له والله يا عنتر ما كان حامينا بعدك الا فارس النياق الذى فاقت شجاعته على جميع الورى والآفاق وباتوا فى هنا وسرور الى أن ولى الليل واستحال وأقبل النهار هنالك تأهبوا للحرب والقتال والطعن والنزال وركب أيضا الامير عنتر جواده الابجر وتقلد برمحه الكعوب الاسمر وركبت بنو عبس بكليتها فرحا بقدوم حاميتها وقد انحدروا الى الميدان ومحل الضرب والطعان وهم مثل البحار الزاخرات أو السباع الضاريات ﴿قال الراوى﴾ الا ان أول من طلب الطعن والضرب والقتال والحرب عمرو بن ضمرة وكان راكب ذلك اليوم على حجرة مكرمة وفى يده قناة مقومة ومتقلد بصفيحة وأفرغ على جسده زرديه ثم انه تقدم الى بنى عبس وأظهر لهم الدلال والاعجاب وقد اغتم بسبي بنت عمه وهو زائد بها غمه وهمه ولما ان صار بين الصفين وجال بين الفريقين صال وجال وأنشد وقال

لا تلمنى قد قادنى * كل هم وغم وأصبح عندى * وفؤادى بنار اللهيب
موقد من عظم وجدى * لانه قد سبا مهجة قلبى * عبد أسود وابن عبدى
وأنا فارس قحطان * سطوتى فى أرض نجدى * فابرزوا الى عنترا
لاريه التعدى * منه أشفى ما بقلبى * ثم أطفى لهيب وجدى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عمرو من هذه الابيات وسمعها عنتر بن شداد ورأى محاله قال لاشك أن هذا الذى بسببه تلك المصائب والنوائب لم يزل فى جهله حتى تدوس الخيل على قلبه ويتقاسم الوحش لحمه ويذوب جلده وعظمه ثم انه بعد هذا الكلام قاربه وأجابه على عروض شعره وهو يقول

حقا أنا عبد وابن عبد * وجميع تطلبه عندى * وما أنا عبد الا لربى
فهو الواحد الفرد الصمدى * واذا ذقت ضرباتى * سريعا تعرف عمى وجدى
لا تقل جدى فلان * وأنا عمرو بن معدى * كم أمير وابن أمير
جاءنى للحرب يبدى * فى كتائب مع مواكب * فوق جرد من خيل نجدى
حين يرى والجرى أقبل * مثل سبع البر يعدى * ولى منى شاردا
وما قدر يقرب لعندى * أنا طعان الفوارس جمعا * وأشبع الاطيار وحدى
وأما أنت يا ابن ضمرة * سوف أوريك التعدى * وأقتلك قتلة شنيعة
وأجعلك على الارض مردى * انده الى عمك وجدك * يلتقونى اليوم وحدى
وان عدت منى سليما * فالتقى من شئت بعدى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ الامير عنتر بن شداد من هذه الابيات وعمرو يسمعها على تلك الصفات حمل الاثنان على بعضهما البعض واقتتلا طولا وعرض وقد أوسعا فى الميدان وأجادا باوطعان وكان ضربهما تتعوذ منه فروخ الجان وقد جرت الخيل بهم جريا رحيبا حتى رأت الفرسان منهم العجيبا وكان قتال عنتر مع غريمه قتال من ضاع حريمه وقد وقع بعد الاياس بغريمه وكان عمرو بن ضمرة أعظم حنقا وأشد من عنتر قلق لانه كان تقرب من بنى عبس وسمع صياح زوجته وهى تقول يا فارس بنى القين ويامن اذا رأيته تقر منى العين تمنعنى وتركتنى فى يد الاعداء أضرب وأهان وأقاسى من العذاب ألوان بعد ما وعدتنى بخدمة عبلة العبسية صرت أنا مسبية وأحلب اللبن وأضرم لها النار وأخدمها أيضا الليل والنهار وأنا عندها مثل بعض الجوار فما هذه عادتك وما هذه همتك أيهون عليك يا ابن العم ما أنا فيه فجود الطعن والضرب واعمل على خلاصى من هذا البلاء والكرب ﴿قال الراوى﴾ ولما سمع من زوجته هذا الكلام حتى صار الضياء فى وجهه ظلام واشتد قلبه على الحرب والصدام لان كلام زوجته كان عليه أشد من ضرب الحسام الا أن الحرب لم يزل بين الفارسين حتى حمى الحر وأوهج البر وقد تطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح حتى أثخنوا بالجراح وقد رأى عمرو من عنتر شيأ ما كان فى حسابه وقد تقطعت به الاسباب واستدت فى وجهه جميع الابواب وضاقت عليه الاماكن والرحاب وهان عليه الهلاك والذهاب الا أنه ارتمى على عنتر وطعنه طعنة عظيمة وأظهر فيها قوته والعزيمة وطلب بتلك الطعنة جنب عنتر الشمال وأراد قتله والارتحال فصبر عنتر على الطعنة الى أن قربت منه وقد أخذ تلك الطعنة من الهوى بشدة حيله والقوى وهزها حتى لم الموت من سنها وقطعها قطعتين ومسك نصاب السنان وطلب به صدره وأراد أن ينجز أمره فولى من بين يديه هارب وللنجاة طالب لانه أهاله فعله بالحربة قال ولما رأى الملك الجون الى قتال عنتر أظلمت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقد التفت الى من كان حواليه وقال والله يا بنى عمى ما كان تعرضنا لهذا الفارس الظالم بصواب لانه والله جعله الله سحابة عذاب وان فارسنا الذى كنا نعتمد عليه قد أشرف على الذهاب وأنا كنت أقول ما على وجه الارض أفرس منه قبل ما أنظر هذا الفارس العبسى الذى كانه من أولاد فروخ الجان فوالله ما هو الا فريد العصر والاوان ونتيجة هذا الزمان وفارسنا معه على خطر ونخشى عليه من قلع الاثر والصواب يا وجوه العرب اننا ندبر قصتنا من قبل ما يعظم أمرنا وانه هو الآن تبع فارسنا فما نعرف ايش يجرى عليه منه فقالوا له أيها الملك المهاب احمل بنا عليهم حتى اننا ننجز أمرهم قبل أن يرجع فارسهم لانه جبار ولا أحد يقع له على عيار وما للقضاء عليه من سلطان لانه تفزع منه شياطين الجان فقال لهم الملك الجون ما هذا صواب لاننا ان حملنا رجع الينا أبادنا ويقوى القتال ويعظم النزال وانما الرأى عندى اننا نصبر حتى ينتهى أمر هذين الفارسين واذا سلم فارسنا حملنا باجمعنا على بنى عبس ونبزل بهم التعس والنكس ﴿قال الراوى﴾ فبينما الملك الجون مع رجاله فى مثل هذه الاقوال واذا بصيحة عظيمة من تحت الغبار وأحد الفارسين ينادى يا آل عبس يا آل عدنان لا شقيت أبدا أنا حبيب عبلة على طول المدا وقد بلغت المراد من هذا الطاغى ابن الاوغاد وكان السبب فى هذه الزعقة ان عنتر لما أراد أن يطعنه بقاطع حربته ولى هارب والى النجاة طالب فتبع عنتر منه الاثر الى أن لحقه فى هذا البر الاقفر وسل سيفه الظامى الابتر وضربه ضربة هاشمية أطاح رأسه من بين كتفيه فوقع على الارض مثل الجذع الممدد وصار كأنه من بعض العمد ولما أن انكشف عن عنتر الغبار وبان للنظار صال وجال وأنشد يقول

ما أشهر السيف فى كفى وأغمده * الا وفى حده للضرب آثار * والمهر يشهد أنى أخوض به
بحر العجاج وفى أطرافه النار * وذا اليوم من بعض أيامى الذى سلفت * وللشجعان أحاديث وأخبار
ضربت عمرا على الخيشوم معتمدا * وهكذا الدهر اقبال وادبار

﴿قال الراوى﴾ وما فرغ عنتر من هذه الابيات حتى ماجت الصفوف من بنى فهد وبنى القين لما علموا

بان عمرا ذاق العذاب المهين وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وصرخوا وولولوا وللحرب استقبلوا وعلى قتال عنتر عولوا فبينما هم كذلك واذا بالملك الجون أقبل عليهم فى عشرة فوارس من أرباب دولته ورؤس عشيرته لانه لما خرج من تحت علمه رايته فلما قرب من الصفين وصار عند الفريقين قال لهؤلاء الرجال ردوا الطوائف عن الحرب والقتال لان مرادى أطلب من بنى عبس الصلح بحسن الملاطفة لانا ان طلبنا حربهم ما يبقوا معنا نسمه ثم أمر عليهم رجلا جليل المقدار الى أن وصل اليهم وردهم عن الحرب والقتال وأخبرهم عن أمر الملك المفضال فرجعوا عن ما عزموا عليه من الاعمال وقد قصد الى بنى عبس الاقبال الى أن وقف قدام عنتر فارس الرئبال وحياه بالسلام والتحية والاكرام فاجابه عنتر الى التحية وزاد له فى الاكرام وقال له ما حاجتك أيها الحاجب الجليل ولأى شئ أبعدتنى عن بلوغ قصدى وأعقتنى عن مطالبى فقال له يا سيد الفرسان وعروس أهل هذا الزمان أحب مقدم القوم وأهل علينا قليل لحين تنظر منه ما يقول والاسر بنا الى المقدم عليكم المشار اليه فيكم حتى أبلغه الرسالة وأخبره بما معى من المقالة فان قبلتموها كان والا فما بيننا وبينكم الا الحرب والطعان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من الحاجب هذا الكلام عاد به عاجلا الى الخيام فتعجبت فرسان بنى القين مما رأت وحارت من هذه الامور لما شاهدتها واذا هم بالملك قيس جالس على سرير مملكته وحوله أهل دولته وباقى الرجال واقف فى خدمته الا أن الحاجب لما صار قدام قيس سلم وترجم وأحسن ما به تكلم وقبل يد الملك قيس وخدم ودعا له بطول البقاء والنعم وازالة البؤس والنقم وقال حيا الله الملك المهاب وأدام سعادته والاقبال ونشر عدله فى سائر الاماكن والبلدان اعلم أيها الملك المطاع والقرم المناع ان صاحبنا وملكنا الجون يقول لك ان أصحاب المنازل العوال وسادات العرب أهل الكمال لا تكمل أحسابهم ولا يتم نسبهم الا بالانصاف وترك الجور والاسراف والعفو عند المقدرة ومن أساء وجفا فله الذم ثم انه يا سيد الفرسان سيدى الملك الجون أرسلنى اليك فى ترك الحرب والقتال والطعن والنزال والرحيل من ديارنا والاطلال لان ما بيننا وبينكم دم ولا مطالبة تحوج لهذا الامر والعناد وما حملنا على قتالكم الا عمرو بن ضمرة وقد تصرم عمره لانه كان رجلا جاهلا ولا يعرف أهل القبائل فلولاه ما وقع بيننا حرب ولا قتال وما كان جواركم لنا الا أحسن الجوار وما أمركم الملك الجون بالارتحال من هذه الارض والاطلال الا خوفا من الجهال أن يثيروا الفتنة ثانيا وان لا يطيب لنا ولكم عيش فلهذا أمركم بالرحيل من ههنا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس من الحاجب هذا الكلام قال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما ما كان) من عنتر البطل الهمام والاسد الضرغام فانه حين سمع منه هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام واحمرت عيناه وأزبد شدقاه فلما رأى قيس من عنتر هذا الامر خاف أن يبطش بالرسول ويقتله فما زال يلاطفه الى أن هدأ روعه وسكن ولوعه والتفت الى الرسول وقال له يا وجه العرب لاى شئ ما كانت هذه الرسالة من الاول ولكن صاحبكم قد داخله فينا الطمع لما رأى قلتنا وظن اننا من فرسان اليمن وما يعلم ان عبدا من بعض عبيدنا يلقى الوفا من هذه الارضين والدمن ونحن لولا نعلم اننا كهؤلاكم ولغيركم ما كنا نزلنا بارضكم ولا أقمنا فى جواركم وما نحن مقيمون الا بقدر راحة العيال لاننا ما أعجبتنا هذه الارض والاطلال وأيضا أعلمك انه لو أعجبتنا أرضكم لأخذناها منكم غصبا عنكم وكنا نبيدكم بالحرب والطعان وكنا نشتتكم الى أقصى مكان ولا نترك منكم انسان ولما أن فعلتم تلك الفعال وباديتمونا بفعائل الانذال أراد حاميتنا أن يشتتكم الى أقصى البلدان وحلف أنه لا يبقى منكم صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير ولكن لما أرسلك سيدك بهذه الرسالة أجبنا الى ما أراد لاننا نحن أصحاب الذمام وجارنا ليس يضام ولكن عد اليه من وقتك وساعتك واعلمه بهذا الحال وقل له يرد الى ماله من الاطلال ﴿قال الراوى﴾ فعاد الحاجب بهذه الرسالة وبلغ الملك الجون تلك المقالة فلما وقف على هذا الخبر فرح واستبشر وأمر رجاله بالرحيل بسرعة الجدر والتحويل ومن وقته وساعته ركب وسار الى دياره

و بلاده وأمصاره وقعد فيها وقد قر قراره فهذا ما كان من أمره وما جرى له وأما ما كان من الملك قيس فانه ما زال قاعدا بأبطال عشيرته ورؤس دولته وعنتر مغتاظ على ما فعل وصار يلومه على هذا العمل ويقول له لأى شئ أيها الملك المهاب والاسد الوثاب أجبت هؤلاء الكلاب فى الصلح بعد ما أشرفنا على أخذ أرضهم وقتل فرسانهم وهلاك عيالهم فقال يا أبا الفوارس ويا زين المجالس نحن ما قلنا لهم هذا الكلام خوفا من غلبة ولا من قهر ولكن بر اليمن قدامنا واسع وفيه أراضى كثيرة ومنابع وقبائل لها ما يعلم لها أول من آخر وما خشيت الا أنهم يرسلون اليهم ويستنجدون علينا بهم فتتواتر علينا الحروب ليلا ونهارا ولا يبقى لنا هدو ولا قرار والصواب اننا ندور المناهل والمنازل وننظر المراعى والاماكن حتى نقع فى أرض من يعرف قدرنا ولا يجهل أمرنا فلعلنا أن نقع على من فيه نخوة وحمية أو نقع فى أرض قليلة الطارق بعيدة عن الاذية والبوائق فنقيم فيها باقى عمرنا والايام التى بقيت فى زماننا ونتخذها لنا مسكنا ووطنا ﴿قال الراوى﴾ ثم أن بنى عبس باتوا تلك الليلة وهم يتشاورون فى أمر الرحيل الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأتاهم الخبر بأن بنى تميم وبنى سعد قد اجتمعوا فى جحافل كثيرة وعشائر غزيرة وقد تبعوهم من أرض المصانع وعقبة الفروق طالبوهم بثارات ملوكهم منهم معاوية بن النزال وجابر بن نجاد فلما سمع الملك قيس من الذى أتاهم بذلك الخبر زاد به البلبال ووقع به الخوف والانذهال وفى عاجل الحال التفت الى بنى عبس وقال يا بنى عمى ويا من بهم يزول همى وغمى من مثل هذا يخاف الانسان لان الزمان كثير الغدرات والآفات وأيضا أعلمكم انه بقى علينا فى أرض اليمن دماء وطالبات وصرنا أعداء الملوك والسادات فالصواب عندى أننا نسير من هذا المكان ونترك تلك الارض والوديان ولم نزل كذلك الى أن نقع بمكان يحمينا قبل أن يسمع بنو القين وبنو فهد فيرجعوا الينا ويعيقونا وبالحرب يشغلونا الى أن تأتى وائل الرجال فينهبوا أولادنا والمال فانهضوا يا بنى عمى واقضوا جميع أشغالكم قبل أن لا يصير لنا فى هذه الارض هدو ولا قرار ولا يبقى منا ديار ولا من ينفخ النار هنالك نهضت الفرسان وجمعوا أموالهم وأصلحوا شأنهم ورفعوا رحالهم وساروا من يومهم وقطعوا الآمال من ديارهم وسعوا فى البرارى والقفار والسهول والاوعار ليلا ونهارا وغدوا وابتكارا حتى انهم قاربوا أطراف البلاد وأتوا على ساحل البحار فوصلوا الى قوم يقال لهم بنو كلب بن وبرة فرأوا فيها ديارا عامره وأنهارا واسعه فأمرهم الملك قيس بالنزول فى هذا المكان والاقامة فى هذه الاوطان وقد قال لابد أننا اذا استقر قرارنا نتعرف بصاحبها ومن يقال له من الملوك لأجل أن نسير اليه ونطلب منه الذمام على أموالنا والعيال لانى أيست على نفسى ولا عدت أنزل فى أرض ولا مياه حتى أتعرف بصاحبها ومالكها لاجل أن نكتفى من اذية أهلها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر منه ذلك المقال قال له والله ان تدبيرك بئس التدبير لاننا اذا كنا أقمنا فى الديار ما كان النعمان يأتينا بأشغل من لاقيناهم من الابطال فسكت الملك قيس حتى مضت ساعة من الزمان ثم رفع رأسه والتفت الى عنتر بوجهه وقال يا أبا الفوارس الآن قد جرى القلم بما هو كائن وهذا الامر قد فات ومضى ثم ان الملك قيس بعد كلامه مع عنتر التفت الى شيبوب وقال له فى أى أرض نحن يا أبا رباح وما اسم هذه الارض والبطاح ومن ملكها من الرجال وما اسمه بين الابطال فقال شيبوب يا مولاى نحن قاربنا البحار وبين أيدينا مياه يقال لها مياه عراعر ولهذه الارض ملك يقال له مسعود ابن مصاد الكلبى وهو ملك عظيم الشان واسع السلطان كثير العسكر والغلمان وهو معروف فى هذه الارض بالجود والاحسان وأبوه كان كذلك من قديم الزمان وهو فارس جبار لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار كبير الهامه طويل القامه يقاتل بسائر السلاح ولا يعجز من ضرب ولا كفاح وحوله من الفرسان نحو من خمسين ألف فارس وعنان والكل مستمعين لقوله يركبون لركوبه وينزلون لنزوله والرأى عندى يا ملك انكم تقصدوه وتطلبوا منه الذمام والامان على عيالكم وأموالكم والنسوان واعلم انه لم يبق قدامك بعد هذه البلاد السودان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس من شيبوب هذا الكلام التفت عاجلا الى الربيع بن زياد وقال له ما الذى عندك من الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب وما تشير علينا به هل

تسير اليه ونطلب منه الذمام والانعام على رغم أنف كل بطل همام فقال له الربيع مسيرنا اليه أصوب وقدومنا عليه أوجب وكثير من الناس حصلت لهم الشده وطلبوا من الملوك النصرة والنجده ثم انهم أقاموا ذلك اليوم فى مثل هذا الكلام وباتوا ليلتهم بالتمام ولما كان عند الصباح لبس الملك قيس أفخر ثيابه وركب جواده وكذلك اخوته وركب الربيع مع أجناده وساروا طالبين حلة هؤلاء القوم الذين قد ذكرهم ﴿قال الراوى﴾ وكان لذلك القوم الملك الذى قدمنا ذكره مقامه عند رأس الماء الذى يقال له مياه عراعر وكان فياض ومن خلفه مكان يقال له الرياض يهب له نسيم فى الاسحار أذكى من العطر لكثرة الازهار والنبات والاشجار وغرائب الثمار وهى أرض طيبة المزار لا يوجد مثلها أرض ولا أطيب منها ديار يا ساده فسار الملك قيس وبصحبته الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد ومن صحبهم من الاجناد وما زالوا يتفرجون على هذه الاماكن ويخترقوا الحلل والعشائر حتى انهم وصلوا الى مياه عراعر ونظروا الى تلك المياه والغدران التى ما رأوا مثلها فى سائر البلدان ثم رأوا قبيلة كبيرة عامره وخيراتها وافره فعلموا أنهم وصلوا الى ديار القوم فلما دخلوا بين المضارب والخيام فعارضتهم العبيد والرجال وقصدهم جماعة من الابطال وسألوهم عن حالهم فقال لهم الربيع بن زياد يا وجوه العرب نحن قوم من عرب الحجاز وقد أجدبت أرضنا وأقحطت بلادنا فجئنا اليكم وقصدنا ملككم والجوار لكم والنزول فى أرضكم فلما سمع الرجال مقالهم قالوا لهم اهلا وسهلا بكم ومرحبا أبشروا يا وجوه العرب بطيب الذمام والمزار وعظم النخوة وجلالة المقدار واذا صرتم فى جوار هذا الملك العزيز السلطان عادوا من شئتم من سادات العربان واذا عارضكم معارض نادوا باسمه تأتيكم رجال كأنها أسد الدحال اذا ركبت خيولها تهتز لها البرارى والقيعان فلما سمع بنو عبس من العبيد هذا المقال فرحوا بهذه الاحوال ودعوا لهم بعلو القدر والشان وما زالوا سائرين الى أن وجدوا خياما مضروبة ورايات منصوبة وفساطيط ملونات وسرادقات مزينات فانذهل بنو عبس مما رأوا وتحيروا مما أبصروا والتفت قيس الى الربيع وقال والله يا ابن العم ان صاحب هذه الارض ملك عظيم الشان وما خاب والله قصدنا اليه ودخولنا عليه ومثل هذا الملك لا يكره أن يكون مثلنا تحت ذمامه ومن جملة رجاله وأعوانه هذا وكل أقبلوا على فريق من الرجال يقومون لهم ويترحبوا بهم ويعظموا قدرهم ثم قالوا لهم ملكنا لم يكن حاضرا فى هذا المكان بل انه ركب عند الصباح وطلب الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص وقد قرب وقت عودته وها هنا من ينوب عنه فى جميع أحواله وما تروا يا بنى العم الا ما يسركم ويطيب خواطركم على مدى الشهور والاعوام طول ما أنتم فى جوار هذا البطل الهمام والاسد الضرغام ثم ان العبيد بسطوا لهم الفرش ونصبوا لهم الكراسى وأنزلوهم فى الخيام وزادوا لهم فى الاكرام وأخذوا خيولهم وقاموا بحق واجبهم ولما أن استقر بهم الجلوس مقدار ساعة زمانية أقبل عليهم الملك مسعود بن مصاد الكلبى فى موكب عظيم من خواص مملكته وأرباب دولته والكل معتقلون بالرماح متقلدون بالصفاح كأنهم أسد البطاح وما فيهم الا من أوقر جواده من صيد البر والوهاد ﴿قال الراوى﴾ هذا والملك مسعود سائر فى المقدمة وعلى رأسه علم أصفر وهو سائر مثل الاسد الغضنفر وكان عظيم الخلقة هائل جسيم طويل عن الرجال مقدار ثلاثة أذرع بوجه مليح ظريف الثياب شجاع القلب مهاب فلما نظره الملك قيس قام له على الاقدام هو وكل الرجال الكرام مع العبيد والخدام ولما أن قرب منهم تقدم له الملك ابن الكرام ودعا له بالعز وطول المقام على مدى الازمان والايام وادامة المسرة والانعام وازالة البؤس والانتقام وقد أطنب له فى الدعاء والثناء فشكره الملك مسعود على ذلك وقال له أبشر بنجاتك من المهالك ولكن أخبرنى من أنت ومن يقال لك ومن هم عربك وهؤلاء الذين معك فقال له اعلم اننا من أرض الحجاز أصحاب الحرب والبراز ولكن غربنا الزمان وكرهتنا الاوطان لما غضب علينا الملك النعمان وعادانا بعد الامان وأحوجنا أن ندخل هذه البلدان وكلما ننزل فى أرض يأخذ أهلها فينا الطمع وبيننا وبينهم الحرب يقع ونحن الآن قد وصلنا الى جنابك العزيز بعد ما ضاق بنا الخناق ووقع فينا النقص والمحاق ومرادنا أن نعيش فى ذمامك ونقعد تحت

كنف لك فى بلادك فان قبلتنا نزلنا باهلنا وان لم تقبلنا فقد ولى سعدنا وعدم نار شدنا وعادانا زماننا
﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك مسعود ذلك الكلام رق قلبه وتزحزح من مكانه واقعده جنبه لانه رآه نظيف
الثياب وهو فى زى فاخر فعلم انه من بعض الاكابر واعتنقه وجبر قلبه بلين الكلام وقال أهلا وسهلا بكم أيها
العرب الكرام أصحاب الجود والانعام فوالله ان هذه الارض لكم ومن الآن لا أنزل فيها الا امركم لا كون
جاركم ولا أخفى من مالى شيأ عنكم ولا أحد يصل باذيه اليكم ولو هلكت أنا وقومى لاجلكم فانا لكم الفدى من
كل سوء وردى فابعثوا خلف أولادكم ورجالكم ونسائكم من يأتى بهم وانزلوا فى أى محل يعجبكم و يليق بكم
ثم انه فارقهم ودخل الى منزله بعدما أمر العبيد أن يذبحوا الجمال والاغنام وأن يزيدوهم فى الاكرام مدة
ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أخرج لهم الملك مسعود الخلع الحسان وأمنهم من دون العربان وقعد يتحدث
معهم مقدار ساعة من الزمان ثم سألهم عن أحسابهم وانسابهم فقال له الربيع بن زياد اعلم أيها الملك الهمام
والفارس الضرغام أننا من بنى عبس الكرام وهذا الملك قيس بن الملك زهير الفارس القمقام سيد بنى
عبس وعدنان وفزارة وذبيان وأخته المتجردة زوجة الملك النعمان سيد ملوك العربان الحاكم على
كل القبائل والبلدان وهو من قبل الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان وما كنا عنده الا فى
أعز مكان وانما الزمان له غدرات والسعادة لها آفات والايام لها حسرات متتابعات ثم انه أخبره بما
جرى لهم مع بنى فزارة من أول الديوان وكيف انهم قتلوا أولادهم ولما أخذنا ثارنا منهم مضوا الى الملك الاسود
أخو النعمان لانه صهرهم فشددهم أيضا الملك النعمان وغضب علينا من أجل هذا الامر والشان ونحن
ما لنا قدرة أن نقيم فى وجهه سلاح ولا نقدر نباشر قدامه ضربا ولا كفاح ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك
مسعود من الربيع هذا الكلام فهم المضمون وبشرهم بالامان بعد الخوف والاحزان وأراد أن يضيفهم
تمام السبعة أيام فما رضى الملك قيس بهذا المرام بل قال له نحن ما بقى لنا غنى عنك وها نحن نازلون فى أرضك
وكل هذا من خيرك وانعامك كفاك الله شر زمانك وأيامك فلما أن سمع كلام الملك قيس أمر لهم
بالجنائب فركبوها وعادوا الى أهلهم وعيالهم ولما وصلوا اليهم أخبروهم بما جرى وتحرر فلما سمعت الرجال
ذلك الكلام فرحت واستبشرت وما منهم الا من صار يختار له منزلا على غرضه هذا ما كان من الرجال وأما ما كان
من الربيع بن زياد فانه قال للملك قيس أيها الملك الهمام نحن قوم كثير والاعداء فالرأى الصائب عندى أن
ننزل بعيدا عن القوم لئلا يطمعوا فينا ويكون بيننا وبينهم مقدار يوم لاجل أن لا نزاحمهم فى أرضهم ومراعيهم
ولا ندع للجهال علينا مقال لانهم اذا نظروا أموالنا يطمعوا فينا ويحوجوا ملكهم أن ينقض العهد والذمام
﴿قال الراوى﴾ فلما تكلم الربيع بهذا الكلام قال الملك قيس والله يا ربيع ان هذا هو الرأى السديد
والقول المفيد وفى عاجل الحال أمر الملك قيس أن ينادى فى الابطال أن تكون مراعيهم بعيدة عن هذه
الاطناب ففعلوا ذلك فى الوقت والحال ونصبوا خيامهم وركزوا أعلامهم وسرحوا نوقهم وجمالهم ولما
استقامت أحوالهم وقر قرارهم وهدأ روعهم أحضر الملك قيس قطعة من الجمال وأيضا قطعة من
النوق العصافيريه وكساها بالجوخ الملون وأخذها وأخذ الربيع بن زياد واخوته وجماعة من أكابر
عشيرته وسار بهم نحو الملك مسعود بن مصاد وما زالوا سائرين الى ان قدموا عليه ووقفوا بين يديه فقام لهم
على الاقدام وأجلسهم فى أعز مقام وزادهم فى التحية والاكرام ثم قدم له قيس تلك النوق والجمال فقال
لأى شئ هذا المال فنحن واجب علينا اكرامكم لكن لا أخيب سعيكم فقبلها منهم وشكرهم على فعلهم
فقال له قيس هذا ما هو الا من بعض انعامك علينا أيها البطل الجليل والفارس النبيل واعذرنا لاننا غربا
وهذه الارض ليست لنا فقال له الملك مسعود أيها الملك الاعظم والليث الافخم لا تقل هذا المقال هذه
الارض لكم وأنا نزيل عندكم ولكن اخبرنى أين نزلتم لانى تخيلت باحد منكم ولا براع من رعيانكم
فقال له الملك قيس نحن فى آخر المرعى خوفا أن تضيق عليكم منازلكم فقال الملك مسعود لاى شئ هذه الفعال
فنحن بحمد الله أرضنا واسعة ومياهها كثيرة متتابعة فقال الربيع بن زياد اعلم أيها الملك المفضال وليث

الحرب والقتال ان المحب اذا كان فى الشرق وحبيبه فى الغرب لا تبعد عليه المسافة والقلوب عند بعضها وافقة ان
الملك مسعود شأنكم وما تريدون فان الارض أرضكم واى محل اخترتموه هو لكم ولا تقولوا انكم تضيقوا
علينا المرعى فالذى نريده ان جمالنا لا ترعى الا فضلة رعيكم وأتعهد لكم اذا أتاكم عدوكم دفعته عنكم فشكره
الملك قيس على هذا المقال وابتدأ يمدحه بهذه الابيات

أتيناك أيها البطل الهمام * فاسمح اننا من جودك بالذمام * واعلم اننا أبطال عبس
كرام لا نزال على الدوام * نخوض الى الحروب وكل قفر * ولا نخشى بما فى حرب من حمام
ونخوض البحر اذا ما * تلاطم موجه من كل حام * خلقنا للقا من كل فج
ونحن الهاشمين الى العظام * ولا نرضى المذلة والهوانا * ولا نرضى بفسخ من ذمام
ونجير المستجير اذا أتانا * ولو شربنا لأجله كأس الحمام * ولا نبخل اذا عطينا
ولا نخشى من قوم لئام * تركنا الحى من أجل المسعى * بنعمانا ملك الانام
وقد جئنا اليك لتحمينا * من الاعدا فكن للقوم حام * لانك من ملوك الارض أقوى
وانك للعدا فى الحرب حام * فلا تخشى الملامة يا مليك * لانك فارس بطل الانام
وان أتى من أعدائك أحد * فنحن فرسان الزؤام * فنضرب بين يديك لكل قرم
ولا نخشى من جميع الانام * فنحن الضاربون السيف جهرا * ونحن القاهرون لدى الخصام
ونحن نسمى بفرسان المنايا * وسيوفنا رسل الموت الزؤام * فلا تسمع فينا كلام الاعادى
ولو أتى به كل بطل همام * لان الشخص ان لم ينتصف زمانه * تجسر به فرسان الانام
وان صبرت على ما أنت فيه * من حفظ العهد مع الذمام * تعلو على كل الملوك جميعا
دائما طول الدوام * وندعو لك فى كل ليل * ويوم عند ادبار الظلام
بان يبقيك ربك دائما * وينصرك على أعاديك اللئام

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الملك قيس من هذا الشعر والنظام وما أبداه من الكلام شكره الملك
مسعود وزاده فى الاكرام وقد اراودا العودة فحلف عليهم أن لا يخرجوا من عنده الا بعد سبعة أيام
وأعطاهم عطايات كثيرة وفى اليوم الثامن ساروا الى أهلهم ورجع الملك مسعود من بعدما ودعهم الى محله
وجلس بين أهله وأقاربه ﴿قال الراوى﴾ كل هذه الامور تجرى من الربيع بن زياد والملك قيس ابن الاجواد
وعنتر لا يسأل عنهم ولا يحاشرهم ولا يعبأ بهم الى أن بلغه انهم أخذوا قطعة من ماله ونوقه وجماله فصعب عليه
وكبر لديه وقال والله العظيم ان هذه الغنيمة العظمى كيف يؤخذ مال الانسان وهو بالحياة غصبا عنه فلو مات
كان يغدر وهذا شئ لا يصلح من الملوك وأيضا ان هذا المال لا ينفع الا للبذل والعطاء وللمساكين والفقراء وأما
من يعطى ماله لاعاديه فلا خير فيه فقال له مقرى الوحش دعهم يفعلوا ما يشتهون وان الهدايات جرت بين كثير
من السادات فقال عنتر اذا كانت القلوب متحابة يليق لها الهدية وأما هؤلاء فاعدانا وما فيهم أحد الا ويتمنى
اهراق دمانا وقد أقاموا على ذلك الحال مدة أيام وليالى فى هنا واطمئنان ولما كان فى بعض الايام أتت
نحوهم رعيان بنى كلب بن وبره وأشرفوا على مراعيهم ونظروا جمالهم ورأوا حسن حالهم فداخلهم الحسد
وذاب منهم الجسد ولكن هيبة ملكهم منعتهم من ذلك الحال فلم يقدروا أن يأخذوا لهم عقال ﴿قال الراوى﴾
ومن أعجب العجب والامر المطرب الذى يجب أن يكتب ويؤرخ فى الكتب ان الملك مسعود بن مصاد
اتفق له انه كان فى الصيد والقنص مع رجاله وأبطاله وأراد بكثرة صيده فى هذه الايام أن يفعل وليمة لقيس
ويقدمها على الغدران وقد أمر عبيده أن يرفعوا قدور الطعام ويوطى المدام الى المكان الفلانى ففعلوا
ذلك ولما أن رجع من الصيد أراد أن يدعو قيس الى هذا الامر وأن ينقله فى الحال من عنده بعض
الرجال فقيل له ما هو حاضر فى الاطلال بل هو فى الصيد والقنص مع جماعة من الابطال وكان خطر ببال
قيس انه يصطاد شيأ كثير ويصنع وليمة لاجل أن يدعو فيها الملك مسعود كريم الآباء والجدود ولما رجع

ذلك القاصد الذي يدعو الملك قيس الى الملك مسعود قال له ما هو حاضر يا سيدي هنالك بل هو الآن خرج الى الصيد والقنص فقال الملك مسعود يا سادات العرب وكيف حالهم في هذه الايام فقال له في خير وانعام وأنا أقول ان ما على وجه الارض أحسن منهم حال ولا أكثر منهم مال أيها الملك المفضال ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك مسعود من الرجل تلك الاقوال أراد أن يحقق ذلك بالعيان فقال لمن حوله من الابطال سيروا وها أنا في أثركم متابع لكم ففرحت رجاله وساروا طالبين أرضهم والديار وأما الملك مسعود فانه عطف على خيام بني عبس ودنا منها لينظر حالهم والشان وما زال سائرا الى أن أشرف على مراعيهم وتعجب من كثرة مالهم وحسن حالهم واعتدالهم وقد هان ما ملكه عنده حتى ما بقي يسوى حبة واحدة ولما ان وصل الى خيامهم ونظرها رآها قبابا مصنوعة من الديباج وحبالها من الابريسم الغالي الاثمان ورأى لهم شيأ تعجز عنه الاكاسرة والقياصرة فاراد العودة الى دياره فلاحت منه التفاتة فرأى مضربا عالي كبير وحوله عشر مضارب مثله لكن هذا يفوقهم ومنصوب على رابية عالية عنهم وهو من الديباج الاخضر عبرة لمن اعتبر وفيه يحتار النظر وقد رأى أيضا في بابه جارية قائمة وهي من داخله وعلى تلك الجارية ثلاث حلل ملونات محبوكة بالذهب وقد أضاء منها المكان وعلى نحرها ثلاث عقود فن الجوهر وهي متكئة على بعض الجوار المولدات تتمايل عجبا ودلالا كأنها غصن بان أو قضيب خيزران ولها التفات كالتفات الغزلان وتضحك على من بين يديها من الاموات فلما رأى الملك مسعود بن مصاد تلك الجارية التي نحن في ذكرها وهي في الابيات العاليات يقصر عن وصفها الواصفون غاب عن الوجود وبقي حاضرا في صفة مفقود وقد رجفت أعضاه وحس من عاقبة بلاه وان سهام جفونها وقعت في حشاه ولا بقي له في الدنيا وجود مما جرى عليه من تلك اللواحظ السود ثم ان الملك مسعود ثبت جنانه وقوي قلبه وتقدم الى أن صار بين المضارب والخيام ثم انه نادى بالجارية المقدم ذكرها وقد انعجم لسانه لما رأى حسنها ودلالها وقدها واعتدالها ورأى تلك العقود التي على نحرها وتاج كسرى على رأسها والعصابة اللؤلؤ على جبينها وهي في نفسها غنية عن حليها ولما رآها زاد به عشقها وغرامها فثبت جنانه ونطق بلسانه لكنه صار ملجلج وقال لها يا بنت الملوك والسادات الكرام بالله عليك من بعض الفضل والاحسان ناوليني شربة من الماء ان كان عندك مبرد في الهواء فقد الهبني العطش والظما ولك الاجر من باسط الارض ورافع السما لانني قد أضرني هذا الهجير والظما فقالت له تلك الجارية حبا وكرامة اصبر قليل حتى آتيك بما تشتهي نفسك وتشفي الغليل ثم انها ولت فتلاطمت أمواج أعطافها وأردافها فزاد بالملك مسعود الهيمان من حسنها وانعطافها ثم انه قال لها بالله عليك لا تبعثي لي الماء مع بعض الجوار فانك ان فعلت ذلك تأبى نفسي الشرب من الماء بل أتمنى احسانك واتيانك أنت به في الحال فقالت له حبا وكرامة ثم ان الجارية المذكورة دخلت الى الخبا وعادت كأنها بدر التمام وروائح أردافها تسبقها وهي تشفي السقام ولما أن أتت بالماء تقربت منه وقالت له خذ يا فتى هذا الماء المبرد واشرب وتهنى وان أمكنك عندنا النزول فانزل ها هنا على الرحب والسعة والكرامة حتى يبرد الحر والقيلولة وبعدها سر الى أهلك في أمان واطمئنان ولا تخف يا فتى من غير الزمان فعندها أخذ الملك مسعود الشربة من يدها وصار يشرب وهو ينظر اليها ويظهر التشرق والغصص وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت حتى صار كطير في قفص ومن طول تأمله وتغصصه بالماء وعيناه تلج بالنظر الى الجارية فما خفي عليها حاله وعرفت منه محاله فقالت له لما ضجرت من الوقوف قدامه اعلم يا فتى ان شربك في الماء ليس هو شرب ظمآن وما هو الا شرب بطران فان كان قصدك الماء فها أنت قد رويت وان كنت ضالا عن الطريق عد الى قومك وعربك من حيث أتيت ولا تطل النظر فيطول تلهفك وتحسرك ولا ينوبك مما أنت مؤمله شيء فهذا منك قبيح لا يقال فيه مليح واعلم ان الناس ما هي كلها سواء فانه قد يموت الانسان بعلة لا يوجد لها دواء وقد سمعت يا فتى المثل السائر يقول من أطلق نظره أتعب خاطره ومرائره وما أحسن قول الشاعر اللبيب في مثل هذه المعنى حيث يقول

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

﴿قال الاصمعي﴾ ثم انها تقدمت اليه وأخذت الماء من يده وعادت وتركته قائما لا يرد جواب ولا يبدي خطاب ولم يجد لما به الا العطش والالتهاب ولما غابت عنه الجارية صارت الاماء يتضاحكن عليه وقد هانت عنده نفسه وقل ما ملكه في عينه وعاد بلا قلب ولا فؤاد وضاقت في وجهه الاراضي والبلاد ولا يدري أهو في أرض أو في سماء ولما وصل الى الاحيا كان قد أمسى المسا وعند دخوله الى الخبا زاد به العشق والغرام وقد كتم حاله وبات وما أكل طعام ولا عبر الى أجفانه منام ولما طال عليه الليل أن وناح وبشوقه قد باح ثم غلب عليه العشق والجوى وتباريح الهوى وما وجد لصبره دواء غير انه أنشد وجعل يقول

قد قلت لما طار عني الكرى * أيا ليل قد طلت أما تصبح * وكيف يلتذ بطيب المنام
من قد بدى سقمه المبرح * فيا آل قومي رماني الهوى * وأصبحت والله لا أفلح
هويت عزيزة ذي عزة * عزيزة قوم بهم تصبح
فأصبحت لا أرعوي لداع * دعاني ولا لقول من ينصح

﴿قال الاصمعي﴾ وكانت أمه أتت اليه تلك الليلة زائرة فابصرته على غير الاستواء فأنكرت حاله ودخلت عليه وقالت له يا ولدي بالله لا تخفي علي شيء من أحوالك فصل المضرة اليك لانك قد ركبت الى الصيد والقنص وأنت مثل الاسد وعدت لا تعرف منا أحد وبنو عمك رجعوا قبلك وأخبروني انك دخلت الى خيام بني عبس وأراك قد عدت بحال التعس والنكس وقد تغير حالك فبالله عليك يا ولدي اكشف لي عن خبرك ودعني أدبر قصتك فقال يا أماه ما أظن لقصتي دواء ولا من دائي شفاء ثم انه حدثها بما جرى ووصف لها الجارية التي جرى له معها ما جرى فلما سمعت أمه كلامه صعب عليها وكبر لديها وقالت له يا ولدي وأنت تجري عليك هذه المجرى من أجل جارية عبسية فوالله قد أهنت نفسك بين أهلك وأصحابك والله يا ولدي ان هذا الامر لا أرضاه أنا لك ولا أصل أنسابنا بأنسابهم ولا أرضى أن تكون نزوجتك منهم لان ساداتهم يزوجون عبيدهم بالحرائر وقد طعنت في أنسابهم سائر القبائل وأنت يا ولدي نسبك فاخر وحسبك صحيح وافر وحكمك نافذ في البوادي والحواضر فاصرف عنك هذا الحال ولا تذل نفسك بالمحال وتجعل روحك رهينا للغرام وتترك بني قحطان يضربوا بنا سائر الامثال فلما سمع الملك مسعود من أمه ذلك المقال زاد به الغرام والبلبال وقال لها يا أماه لا تعذليني في هذا الحال ولا تزيديني بعد ذلك جنون ولا تهوني علي ما لا يهون فلا بد لي من هذه الجارية ولو انها أمة ترعى الجمال وأنا ان لم أرها في أبياتي وفي حكمي من قبل طلوع الشمس والا صرت من الهالكين فقالت أمه يا ولدي فاذا كان الامر ينتهي الى الهلاك فأنا أجعل روحي فداك وأسعى لك في بلوغ مناك وأزيل عنك تعبك وعناك ولكن بعد مسيري في حالة الانفراد والاختفاء وأرى هذه الجارية تسوى هذا التعب والعنا ولها بعل أم لا ونحن بعد ذلك ندبر على ما قد نرى ثم انها أشغلته بالكلام حتى ولى الظلام والملك مسعود كلما تذكر الجارية يزداد به البلا والاشتكا قال ولما طلع النهار قالت له أمه يا ولدي صف لي صفاتها ودلني على أبياتها فوصف لها صفات الرابية العاليه والخباء وبعد ذلك قال يا أمي وأما صفة الجارية فما تخفي عليك لما عليها من الملبوس الفاخر والعقود والجواهر فعندها تحققت أمه ذلك كله بأوصافه وحققت الجارية ومن شدة خوفها على ولدها ركبت ناقتها وسارت وأخفت حالها وتزينت بزي العجائز الكبار وسارت تقطع الطريق بالهموم والافكار ولم تزل سائرة حتى أشرفت على خيام بني عبس وعرفت المضارب بالصفة التي وصفها ولدها فقصدت اليها فرأت عبلة واقفة على باب المضرب فاندهشت من ذلك الحسن والجمال وقالت في نفسها والله ما هذه الجارية الا من بنات الملوك ثم ان العجوز نزلت عن ناقتها وسارت تطلب المضارب بوقاحتها وكانت الجارية التي وصفها الملك مسعود واقفة على باب مضربها ولما سمعت حس العجوز وثبت اليها وظنت انها قد أتت اليها زائرة فترحبت بها وأكرمتها وعادت قدامها الى صدر البيت وأمرت الاماء بخدمتها والقيام بواجبها وكانت أم الملك مسعود حلوة المحادثة والكلام والمزاح طيبة اللقا والانشراح فلما أعجبتها ونظرتها وجدتها

غريبة الجمال بديعة الحسن والكمال وملفظها سحر حلال لانها ان تكلمت أفتنت وان تبسمت قتلت فقالت أم الملك مسعود في نفسها والله لا ألوم ولدي على ذلك الهيمان وان هذه الجارية لبست غالية بالمال والارواح ثم قالت يا سنناه ما اسمك فقالت لها أنا يقال لي عبلة بنت مالك بن قراد قالت لها نعمت أملك والله وما ربت فبالله عليك أنت ذات بعل وحما أم ذات خدر وخبا فقالت لها عبلة والله يا أماه ما أنا الا ذات بعل وحما ولكن ما الذي تريدين بسؤالك عني ان كنت ذات خدر أو ذات بعل فهل عندك من تزوجيني به فقالت لها أي والله ان كنت خالية من البعول وكان قولك حقا فان أبواب النجاح قد فتحت بين يديك والخير والاقبال قد نزل عليك فقالت لها عبلة وكيف ذلك يا خالة انا أمله يكون لك ولد وأتيت تريدين له عروسة فقالت لها أي والله يا بنيه ولكن أقول لك من هو ولدي اما رأيت الفارس الذي عبر عليك بالامس وطلب منك الماء الما ردفاسقيته فقالت لها عبلة والله عرفته معرفة تامه فقالت العجوز يا جارية الخير أخبرك من يكون انه والله لسيد كريم وملك عظيم في ذلك الزمان وأوحد هذا العصر والاوان وهو علي النسب كريم الحسب وهو يا ابنتي صاحب هذه الارض التي أنتم فيها نزول وكل قومك في ذمامه وان كنت ما تعرفي اسمه فانا يا ابنتي أعرفك به هو الملك مسعود بن مصاد وانه والله من تلبي وحشاشة كبدي ومن حيث سقيتيه الماء ما روي وما زدتيه الا عطشا وظما واعلمي يا جارية أنك قد ملكت فؤاده وبقي في يدك قياده فان كنت ذات خدر فاعلميني بالحقيقة وابشري بالسعد وحسن الطريقه وان كنت ذات بعل فاجعلي بينك وبينه ميعادا ومكانا وانظري بعد ذلك ما يصل اليك من الهدايا والاموال والتحف الغوال وتبقي عنده أعز ما يكون من الاهل والعيال قال فلما سمعت عبلة من أم الملك مسعود ذلك الكلام صار الضيا في عينيها ظلام وقد نشف ريقها وتغير لونها واضطربت مفاصلها ووقع بها الانبهار وصار وجودها عدم وردخدودها مثل البهار وهو بلون الاصفرار وقالت لها يا عجوز سألتك بالله أنت أم الملك مسعود قالت لها نعم قالت وذمة العرب لولا سبق لك مني الاكرام لكنت خنقتك والسلام ولكن سيري اليه وقولي له ان لم ينته عن هذا الامر والشان أشكوه الى بعلي عنتر يقطع منه الاثر ولا يدع له ذكرا يذكر وهذا آخر ما عندي والسلام قومي لا كنتي ولا استكنتي ولا عمرت بك أوطان فعندها قامت العجوز وهي تقول لعبلة والله لابد لقومك من القلعان وأنت تكوني السبب في هذا الشان ثم انها سارت الى أن وصلت الحلة ليلا ولما وصلت الى ولدها وهي تقاسي فنون الويل والعنا وكان ولدها قد قتله الانتظار حتى يسمع ما يتجدد من الاخبار ولما أن عادت عليه أمه بما جرى لها مع عبلة زاد لهيبا وشوقا وغاب عن الصواب وبقي كانه مجنون أو مصاب تارة يقول أنقض ما بيني وبين هؤلاء القوم من الذمام وآخذ هذه الجارية بحد الحسام الصمصام وتارة يقول قبيح على قدري وأخاف من عاقبة أمري قال ومن شدة ما جرى على قلبه من الحيرة أنفذ خلف رجل من أصحابه وكان يقال له جندله وكان قد رباه في أيام صباه يشرح له هذه الامور المشكلات لانه كان مدبر ملكه في أكثر الاوقات وكان شيخا كبيرا وبالامور والدهر خبير وهو داهية من دواهي الزمان فلما حضر عنده في المكان أعاد عليه الملك مسعود ما جرى عليه من أمر عبلة ووصف له حسنها وجمالها وفصاحتها وحسن كمالها وقال له وأنا قد عولت على فسخ الذمام وآخذ أموال قومها بالحسام لان ما في العشيرة أحد الا وقد اشتكى لي من جورهم وسمعت أيضا حديثهم قبل اليوم وحدثوني بفعالهم في أرض اليمن في حق القبائل التي نزلوا عليها وأنا الا كف الاذى عنهم رحمة مني اليهم وأرعى الذمام الذي سبق مني لهم والآن قد أتاني أمر لم يكن لي في حساب وقد انقطعت بهم الاسباب وأريد منك يا عماه أن تشير علي بما يكون فيه الصواب لانك أهدى مني اليه ومن كل الاعراب قال فلما سمع الشيخ جندله من الملك مسعود هذا الخطاب تعجب من هذه الاسباب وقال والله يا ولدي قصتك مشكله وان لم تحسن فيها التدبير والا ما لها الا التدمير لان يا ولدي نقض الذمام ما هو من أفعال الكرام وطلب نساء الابطال حرام في حرام وعاقبته الخزي والنكال وهذا الامر الذي وقعت فيه اجعله من جملة المحال ولا تجعله لك على بال واصرف عن قلبك هذا الحال واعلم يا ولدي أن هذه الجارية اذا لم تقتل بعلها بسبب من الاسباب والا وصولك اليها غير صواب

والرأي أن تبقى مع قومها على ما أنت عليه وتصبر حتى أدبر أنا على هلاك بعلها بأي وجه كان فاذا صارت هذه الجارية خالية من الازواج تنفذ أنت الى أهلها ثم انك تتزوج بها على رؤس الاشهاد ولا يقع عليك لوم من أحد من العباد ولا تكسب المذمة بفسخ الذمام ويقال عنك ان الملك مسعود بن مصاد أعطى قوما عهدا وميثاقا ونقضه من أجل جارية ذات حيض وأولاد قال فلما سمع الملك مسعود ذلك الكلام هدأت ناره من الغرام وقال يا عم كيف يكون التدبير في هذا الامر الخطير فقال الشيخ أنا آمر زوجتي أن تسحرها وتجمع بينك وبينها في الحال كما سمعت أنت عنها فقال الملك مسعود يا جندلة اني قد سمعت عن زوجتك عجائب وأمور وأريد منك أن تحضرها بين يدي ﴿قال الراوي﴾ وكان لذلك الرجل زوجة كهينة ساحرة مكاره يقال لها البلقاء بنت الزرقاء فانفذ خلفها فلما حضرت العجوز قص عليها الملك مسعود قصته وطلب منها المعونة على بلوغ مراده فقالت له يا مولاي اخرج الليلة معي وأنت وحيد فريد حتى نقارب خيامها وأنا آتي بها اليك تمشي على أقدامها قال فشكرها الملك مسعود على مقالها وأقام ينتظر اقبال الليل حتى يهدأ ويعمى ما هو فيه من الويل ﴿قال الراوي﴾ ومما جرى من الاتفاق العجيب المطرب البديع الغريب ان الملك قيس ملك بني عبس وعدنان أنفذ ثلاثة من اخوته الاعيان خلف الملك مسعود بن مصاد يدعوه الى وليمته ويحضر لدعوته في كامل من يعز عليه من أهله وعشيرته وسأله الاجابة في ذلك فقبل ولم يخالف وقبل مسيره اجتمع بالساحرة وأخبرها أنه ماض في وليمة بني عبس وما يدعني الملك قيس أن أعود من عنده الا بعد ثلاثة أيام وأريد منك عند خروجي من الوليمة الليلة الثالثة تبلغيني ارادتي من هذه الجارية محبوبتي فقالت له يا مولاي اجعل الوعد بيني وبينك كثيب الصفا لانه قريب الرابية التي عليها مضارب محبوبتك ولكن لا تأت الا وحيدا فريدا فتجدني قد قضيت الاشغال لكن لا تأتي الا مع انبساط القمر في الصحراء وعندما تطلع كواكب الجوزاء وأسرع تجد الامر تيسر وهان فعندها شكرها الملك مسعود بن مصاد على ذلك المقال وسار مع اخوة الملك قيس ﴿قال الراوي﴾ وكان الربيع بن زياد قد ألبس أموات الحي من الثياب والحلي الفاخر وأمرهم أن يضربوا بالدفوف والمزاهر وجردت السيوف والخناجر وكان لهم يوم مشهود لقدوم الملك مسعود فأكرمه الملك قيس غاية الاكرام ولما أن نزل هو ومن معه من فرسان قومه تكلفت العبيد لخدمه واجتمعت سادات بني عبس وقد أنفذ الملك قيس الى عنتر وأعمامه ومقري الوحش وعروة بن الورد وسائر بني قراد وفرسانهم الاجواد فلما نظر الامير عنتر الى ما فعل الملك قيس في حق الملك مسعود بن مصاد ازداد به الغيظ والحنق وتمنى انه لم يكن خلق لان عبلة كانت حدثته بجميع حديثها وما جرى لها مع مسعود بن مصاد لما سقته الماء وأخبرته بحضور العجوز والحديث الذي تقدم لها وان عنتر شاور نفسه فيما يفعل فقالت له عبلة الصواب عندي يا ابن العم يا كاشف عني الغم أن تستر هذا الحديث عن جميع الخلق وتسير الى دعوة الملك قيس ولا تنكد عليه وليمته فعندها سار عنتر ومعه عروة بن الورد ومقري الوحش وجماعة من أبطاله وأبوه وأعمامه ولما أن حضر خدم ودعا للملك قيس بدوام العز والنعم فتزحزح له الملك قيس وأجلسه بجانبه ولما أن استقر به المقام وحضر بعده السادات الكرام وبنو زياد وسائر بني عبس وعدنان ومن كان له في هذا المقام مكان وبعدها قدمت العبيد والخدام موائد الطعام وما أعد الملك قيس للملك مسعود من الاكرام ﴿قال الراوي﴾ وكان الملك مسعود كلما قام وقعد يدير عينيه الى ناحية خيام عبلة فقال عنتر لمقري الوحش أما تنظر الى هذا الشيطان وهو يطيل النظر الى نحو خيام عبلة بنت عمي فلا بد لي من قتله وانصرام عمره فقال له مقري الوحش الصواب انك تصبر حتى تفرغ وليمة الملك قيس ويرجع هذا الشيطان الى الديار فاذا عاد نلحقه أنا وأنت وعروة بن الورد ونقتله أو شر قتله ولو كان معه ألف فارس من قومه فعندها طاب قلب عنتر بهذا الحديث ولما أبصر الناس قد اجتمعوا واشتغلوا مع بعضهم البعض قام عنتر وأخذ مقري الوحش وعروة بن الورد وعاد الى مضاربه

وهو ينشد ويقول

لقد أنكرت بعد عرفانها * عبيلة مواثيق ايمانها * من العرب هى لم ترع جارا
وعاداتها حفظ جيرانها * وما ضرها لو وفت بالعهود * لداع لها يريد اختيانها
ولو واصلت أبرت عبلة * لمن أطالت بهجرانها * ظبا البيض أحداق الظبا
وأجفانهن كأجفانها * سواحر تكسر فى بابل * بألحاظها سحر كهانها
كأن قلائدها نظمت * بدر دموعى ومرجانها * ألا يا راكب الخيل مستحثها
ببرق بان اين زمامها * وسائل لسان تلك الديار * لأن الديار بسكانها
رياض بها زهت كالرياض * ليالى صفت بين اخوانها * وتحكى الخدود دلتفاحها
وتحكى الغصون برمانها * وأخفى حديثا لحادثات * تضيق الصدور بكتمانها

﴿قال الراوى﴾ فلما انتهى عنتر من شعره ونظامه قضوا ليلتهم على التمام وما زالوا على ذلك الحال تمام الثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع طلب الملك مسعود انه الى أهله يعود فقدم له الملك قيس المهاره والنوق العصافيريه وما كان أعده له واعتذر اليه فى التقصير فحمده وشكره وأثنى عليه ورد الجميع وقال أيها الملك الكريم أنا رغبتى فيك وفى رجالك لا فى عطائك وأموالك ثم انه أخذ من الجميع سيفا بارق ومهرا سابق ورمحا حديدا خارق وأراد بذلك جبر قلبه وكان الملك مسعود قد صرف أكثر رجاله وما ترك عنده أكثر من خمسة رجال مع جندلة زوج الساحرة وسار الملك مسعود المفتخر ينتظر طلوع القمر ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الخبر وأما ما كان من الامير عنتر فانه صبر حتى أمسى المساء وخرج معه عروة بن الورد ومقرى الوحش وبعدوا عن الخيام وكمنوا قريبا من الطريق التى يعرفون أنه لابد أن يعبر منها الملك مسعود بن مصاد واذا هم قد رأوا بالقرب منهم نارا وهى تضرم فى لحف جبل فقال عنتر لعروة سل سيفك واقصد هذه النار وانظر ما عندها من الاخبار فعندها سار عروة وما غاب غير ساعه وعاد وهو على غير الاستواء فقال له عنتر ما الذى رأيت يا أبا الابيض فقال له رأيت شيأ ما أبصرته وسمعت شيأ قط ما سمعته وهو وذمة العرب من أعجب العجب لانى دنوت من النار فرأيتها وهى تضرم ورأيت عندها عجوزا شمطاء زرقاء العيون سمراء عابسة اللون وقد شمرت عن أذيالها ودارت حول النار وألقت فيها شيأ من حوافر الدواب وأضلاع الغنم وتتكلم بكلام لا يفهم والى جانبها مقاطع من حديد وتماثيل مختلفات الصور كلهم من الرصاص وألواح من النحاس وغير ذلك من الانحاس وكلما أشارت الى النار تحركت وجرت التماثيل بحركات وتزعجها العجوز باصوات منكرات مذعرات تذهل عقل الانسان والذى يسمعها يا أخى يبقى حيران ولهفان وأنا والله يا أبا الفوارس لقد حرت فى ذلك لما أرأيت واندهل عقلى لما سمعت وأنا أقول ان هذه العجوز ما هى من بنى آدم ولو انها أبصرتنى ما قدرت أن أهرب ولا أنتقل ولا أتحرك من مكانى قدما واحدا الا انها يا أبا الفوارس قدها التى صورتها وما صدقت بنجاتى من صوبها ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الكلام من عروة تحير واندهل عقله وقال لمقرى الوحش هذا والله خلاف ما نحن فيه من العمل فايش تقول أنت يا أخى فى هذا الحال فقال مقرى الوحش أقول ان هذه العجوز ساحرة وما كرة وقد أتت الى هذا المكان تعمل تدبيرا وحيلة وأكثر ظنى انها تأخذ عبلة ومسيكة وتقدمهم الى الملك مسعود يفعل بهم ما يشاء والرأى عندى اننا نسير اليها ونتفرج عليها وبعد ذلك نقتلها ونكتفى نحن وغيرنا شرها فقال عروة وان علمت بنا قبل أن نقرب عليها تصيح فى الجن الذى حولها وتأمرهم بقتالنا فيتواثبوا علينا ويخنقونا ونكون قد خرجنا نقتل مسعود فنموت موت القرود ويشمت بنا العدو والحسود فقال عنتر البطل الهمام ايش يا عروة هذا الكلام والله لو اجتمعت جنود ابليس وقبائله على قتالنا وحربنا ونزالنا لقطعت آجالهم بهذا السيف اليمانى

وسأريك ما أفعل فى هذا المكان ﴿قال الراوى﴾ فعندها حرك عروة رأس جواده وسار وتبعه عنتر الأسد الضرغام ومن خلفه مقرى الوحش البطل الهمام وقد سترهم الظلام وأحاقيف الرمال وأبصروا ما قال عروة وكشفوا عن حقيقة الحال فرأوا العجوز تسرع فى العزائم والكلام وكلما دارت حول النار سبع مرات تام تومى الى المضارب والخيام التى فيها عبلة بنت الكرام وتنادى باسمها واسم أمها وتشير الى الابيات بكمها وتقول أقسمت عليك يا سمعان بالذى خلق الانس والجان وكون الاكوان وأظهر البرهان وتكلم بالبيان بين لى بيانك واظهر لى برهانك ودورلى على جميع الجان فى سائر الدور والقيعان يا مخرج المخدرات من القصور والعذارى من الخدور أخرج لى عبلة بنت شريحة أسرع من البرق الخاطف ومن هتف الهاتف وهى شاخصة البصر كثيرة الفكر ألقيت شعر عبلة بنت شريحة فى النار فالتهب القلب وطار واتقد وسار واستد البحر وغار وجاءت عبلة بنت شريحة باذن الواحد القهار وانفتح فى الارض سرداب وخرجت وهى مشقوقة الثياب فلاقوها عشر عفاريت كبار وساروا قدامها وخلفها ومن تحتها وفوقها وقالوا لها زادك الله نارا على النار قل صبرك وزاد لهيبك فى محبة مسعود بن مصاد سحبتها وجلبتها الى هذا المكان بقوة الملك الجبار لا يأخذك نوم ولا اصطبار سلطت عليك زوبعه ومن معه والعفاريت الاربعه هلال بن بلال وهيازع وزعازيع ومتمتع الجبال أجيبوها واجلبوها الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر بذكر عبلة تغيرت أحواله وابيضت شفتاه بعد السواد ورقصت شعرات شاربيه وما بقى ينظر بين يديه فقالوا له يا أبا الفوارس ماذا رأيت قال يا بنى عمى هذه مصيبة انتم مصوبه ولو لم نخرج فى هذه الليله ونطلع على تلك الامور والاسباب ساقت أهلنا هذه الى الخنا وأقول ان هذه المصيبة من مسعود بن مصاد الاتر وا الى هذه العجوز وهى تنادى باسم بنت عمى كلمات تكلمت فى القيام والقعود وقتل هذه العجوز أحسن من قتل مسعود فقال عروة ترفق على نفسك يا أبا الفوارس قدر ساعة حتى نبصر كيف تعمل ويتبين الدليل ونتفرج عليها قليل فقال عنتر أخاف على بنت عمى يذهل عقلها وأموت بحسرتها ثم انه هز حسامه وهجم عليها وقال لها ويلك يا بنت اللئام ايش بينك وبين عبلة من الخصام حتى تفعلى بها هذه الفعال وتسلطى عليها الجن يطيروا عقلها ويورثوها الخبال وهم أن يضربها بالحسام ويسقيها كأس الحمام فعندها صاحت فى وجهه صيحة عظيمة أوقفته عما كان عازما عليه وعرفت انه من العبسيين فقالت له يا وجه العرب ترفق بنفسك ولا يحل بك الندم أما تدرى بعد قتلى على ماذا تقدم غير انك تعطب ولا تسلم لان عمار تلك الارض كلها حولى ينتظرون أمرى ويطيعون قولى وان الغيرة والحمية التى أخذتك على بنت عمك وقد سمعتنى أعرض بذكرها فى الكلام غيرتى أنا أشد منها يا ابن الكرام وهى التى أحوجتنى أن أفعل هذه الفعال لان بنتى زوجة مسعود بن مصاد وهى أحسن من الشمس وهلال الاعياد وانها لم تزل معه فى نعمة زائدة حتى نزلتم أنتم فى أرضنا وأبصر مسعود بن مصاد عندكم هذه الجارية العبسية فهجر بنتى فاسقمتها الغيرة وأمرضها هجره لها واتصاله بغيرها فلما رأيتها وقد قل صبرها ضاق صدرى عليها ورصدت بعلها حتى أتى الى دعوة ملككم الملك قيس ورأيته يقرب للجارية التى يهواها فعلمت أن ذلك الوقت يصلح للبغضة بينه وبينها فأتيت وفعلت هذه الفعال حتى تقع البغضة لعبلة فى قلب مسعود بن مصاد ويعود لابنتى جميع الفرح والسداد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام انخدع لها وعول أن يتركها ويعود فصاح عليه مقرى الوحش وقال يا أبا الفوارس ما الذى سلب عقلك ومن الذى يمنعك عن هذه الملعونة أيدخل عليك المحال وزخاريف المقال وأنت أخبر الناس بهذه الاحوال ثم ان مقرى الوحش تقدم الى العجوز وضربها بالسيف رماها نصفين وجعلها على الارض قطعتين وبعدها التفت الى عنتر وقال والله يا حامية عبس ما تحدثت معك هذه العجوز الذميمة بكلمة صحيحة وانها كانت تريد أن تجر بنت عمك الى الفضيحة ﴿قال الراوى﴾ وكان عروة بن الورد

لما رأى ذلك الحال كاد أن يغشى عليه من الفزع ولا بقى يعرف ما بين يديه فقال له عنتر لا تخف يا أبا الابيض فوالله انى لما أبصرت هذه الشيطانة كاد عقلى أن يذهب وأيقنت بالعطب لانى لما رفعت يدى بالسيف خذلت مفاصلى ولا قدرت أضرب بها ولا أتمكن منها فقال مقرى الوحش صدقت ولاجل هذا قتلتها لانى علمت انك لا تقدر تدنو منها الان ما معك مثل ما معى فقال عنتر ايش الذى معك من الاحتكام يا أخى فقال مقرى الوحش على ساعدى كتاب كتبه لى القسوس الذى فى الشام من أيام الصبا وهو نافع لهذه الاشياء ولا يقرب حامله شيطان أبدا ولولا قوة قلبى به ما كان لى ثبات مع هذه الفعال فقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام أنا ما حرزى الا هذا الحسام الذكر الذى لا يبقى ولا يذر فقم بنا نسرع الى ما كنا فيه من أمر مسعود بن مصاد وان لم أقتله لا يطيب لى فؤاد ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم عادوا على عجل يطلبوا الطريق الواضح فبينما هم كذلك واذا بالامير شيبوب ينادى عليهم وهو على غير الاستواء وقد حلت به الكروب وعقله مسلوب فقال عنتر ما حالك وما الذى جرى عليك من الدبلة ولاى شئ تركت عبلة فقال شيبوب وأين عبلة يا أخى والله انى تركتها فى حالة العدم وهى مرمية بين الاطناب والخيم وحولها نساء أعمامك وجماعة من الخدم ولا نعلم هل كانت فى وجود أو فى عدم فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحس بان قلبه قد انفطر مما حصل عنده من الغيظ والكدر وقال أى شئ جرى على عبلة ونحن قتلنا العجوز النحس وأزلنا بها النحس والنكس فقال شيبوب والله يا أخى ان هذا شئ أشد من القتل لان بنت عمك قد عدمت عقلها وتغير حالها عن ما كنا نعهد منها لانى كنت من حول مضرب بها أنا وأخى جرير وجماعة من العبيد ونحن لكم فى الانتظار وفى قلوبنا لغيبتكم لهيب النار واذا بعبلة وهى حاسرة بغير خمار هاجة على وجهها فى القفار فانكرت أنا منها ذلك غاية الانكار ولحقت بها أسألها عن حالها فرأيتها مثل السكران الطافح من الخمر وهى تنظر الى تلك النار ولا ترد جواب ولا تبدى خطاب بل كل ما أسألها عن حالها تقول النار النار وانى لما زدت عليها فى اللجاج وأردت أن أردها بغير احتجاج صاحت وأرمت نفسها الى الارض وهى لا تعرف الطول من العرض فتركتها بين الخيام لا تعقل كلام قال محمد بن هشام فوالله ما انتهى شيبوب من هذا الكلام حتى غاب عقل عنتر وحس بان قلبه قد انفطر وعلم أن العجوز كانت تعمل على أخذ عبلة وأراد أن يرمى نفسه الى الارض مما جرى عليه فامكنه مقرى الوحش من ذلك بل انه طيب قلبه وسلاه عن أحزانه وقال له يا أبا الفوارس لا تخف على بنت عمك وابشر بما يسرك فسر بنا اليها اعلق عليها هذا الكتاب يزول عنها العارض وتعود على ما كانت عليه من الصواب ولولا هذا الحرز الذى معى والا كانت هذه العجوز بنت الارغاد ساقت نساءنا الى مسعود بن مصاد وأنا أعلم أننا من حيث قتلناها مضت عن عبلة العمار وما بقى منها الا الخيالات فسر بنا اليها حتى أريك كيف أفعل بها ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل به حتى برد نيرانه والفؤاد ورده عن ما كان عازما عليه من قتل مسعود بن مصاد وما زالوا حتى وصلوا الى فريق بنى قراد فابصروا عبلة بين المضارب والخيام وهى لا تعقل كلام وحولها جماعة من الاماء والكواعب الاتراب وقد أكثروا من البكاء والانتحاب فعندها أخذ عنتر من مقرى الوحش الكتاب ثم علقه على عبلة ففتحت عيناها من ساعتها وعقلت بما أصابها واستحت وردت كمها على رأسها وعادت الى خيامها والمضارب ففرح أهلها بخلاصها من تلك النوائب وشكروا الرب القديم الذى رد عليها عقلها ورشدها وبعد ذلك حدث أبوها وأمها بما رأى من فعال العجوز وما تم له معها فتعجبوا من ذلك وسألوها عن مبتدا أمرها فقالت لا أدرى الا انى كنت قاعدة فى البيت وشخصان قد دخلا على ولهم رؤس مثل الدواب وأرجل مثل أرجل الكلاب وفى أيديهم حراب تلتهب بالنار فسلبا عقلى وسحبانى بغير أمرى وقد غاب صوابى ولبى وما تنفس عنى كربى وهدأ خفقان قلبى الا من حين فتحت عينى ورأيت عنتر ابن عمى فقال عنتر لما رد اليها عقلها يا بنت العم هل كنت ترى فى جسدك فتورا قالت نعم

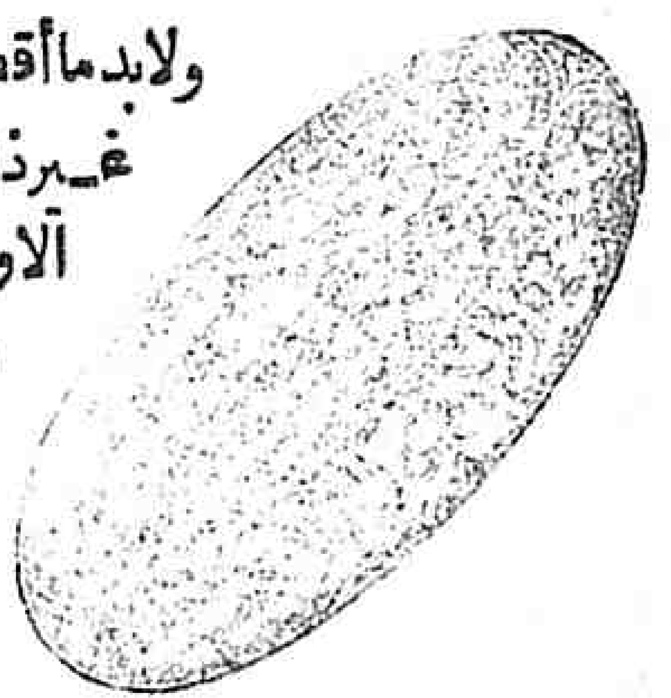
والآن كما كنت أعهد العافية من نفسى فالحمد لله الذى صرف عنى هذا الامر العظيم فعندها طاب قلبه بذلك وعلم ان كتاب مقرى الوحش نافع وأخبر عبلة أنه قتل العجوز الساحرة التى فعلت بها تلك الفعال ﴿قال الاصمعى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الايراد وأما ما كان من مسعود بن مصاد فانه لما كان فى دعوة الملك قيس وقد عزم على المسير الى دياره وقد أراد الملك قيس أن يسير فى خدمته حتى تصل الى أبياته ومضاربه فلم يطاوعه مسعود على ذلك بل انه حلف عليه ورده ولما أن بعد عن المكان عدل الى الموضع الذى فيه العجوز الساحرة وطلب صوب النار وجندلة زوج الساحرة معه وهو يقول يا ملك أريد منك حتى امرأتى زوجتى التى جمعت بينك وبين محبوبتك عبلة والساعة تزيل عنك المضرة وترى فيها الفرح والمسرة فقال مسعود أبشر يا عم بالاموال والنعم وقبل هذا ما كنت أمنع منك شيأ وما بقى لى والدسوالك ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى كثيب الصفا ودنوا من النار فابصروها خمدت والعجوز عندها مرمية قطعتين وقد احترق بعضها من النار واللهب ولاجل ذلك بقيت النار الى تلك الساعة وكان مسعود كلما أبصر النار يزيد به الفرح والاستبشار الى أن تحققت الحقائق وعرف جندلة زوجته الساحرة ورآها على تلك الحالة فنزل اليها ولطم على رأسه حتى انزعج سائر حواسه وتقعقعت أضراسه فسكته مسعود وطيب أنفاسه فقال جندلة وحق اللات والعزى ما قتل زوجتى الا العبسيين واذا لم تأخذ لى بالثار وتزيل عنى العار مت مكمود وزالت عنى جميع السعود لانها فى حاجتك قد بذلت المجهود ولولا قضاء حاجتك ما قتلت فى هذا المكان ولا بعدت عن الاهل والاوطان فقال مسعود وقد ايس من عبلة وحلت به ألف دبلة أبشر يا جندلة أنا آخذ لك بالثار وأبلغك من قتلهم ما تختار ثم انه سار الى أبياته وقد زادت على عبلة حسراته وصار يقضى بالمشاغلة أكثر أوقاته وهو يدبر لبنى عبس فى الآفات وسائر البليات ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من مسعود بن مصاد (وأما ما كان) من عنتر بن شداد فانه عول عند الصباح أن يعلم الملك قيس بما تم له فما مكنته عبلة من ذلك وقالت له ايش تريد أن تصنع يا ابن زبيبة تريد أن تهتكنى بين العباد وتقول ان مسعود بن مصاد عشق بنت عمى وسحرها وغيب عقلها وتدعى مسيرة بذلك طول الزمن وترمينى والله ان فعلت ذلك قتلت روحى وسكنت ضريحى وانك اذا أعلمت الملك قيس بفعال الملك مسعود لا تنال بذلك مقصود ويتجدد الغيظ وتكثر الحقود من وجوه الاول أن قيس قد عمل هذه الوليمة بالامس لمسعود واده ومن أجلى وأجلك ما يعاتبه والثانى انك لو حلفت بعد انتهاء خبرى بكل يمين ان عقلى قد ذهب ورد الى ما صدقك أحد من العباد ولا شك أن أهلى حسبونى من بعض المجانين والصواب أن نكتم سرنا الى أن يضجر هذا القرنان ويقطع أمله منى فعندها سكت عنتر على مضض وبقى كل يوم هو ومقرى الوحش وعروة بن الورد يخرجون الى البر ويشرفون على رعاة النوق والجمال والانعام وينفذوا العبيد قدامهم بالطعام والمدام ويخرج عنتر مع عبلة ومقرى الوحش مع مسيكة ويخلو بانفسهم فى تلك الصحراء الى وقت المسا ويعودوا الى الاحياء وكان يشكو من جور الاعداء وخوفه على عبلة فقال له عروة يا أبا الفوارس أى شئ هذا الكلام والهم الذى لم نجد لك منه مدافع وأنت بالك واسع وسيفك قاطع وما منا الا من هو لقولك سامع وكلنا تحت أمرك فاشرح صدرك وواظب بنت عمك ولا ترجع تفارقها وتبعد عنها حتى تنظر ما يكون من أمر هذا القرنان ولابد من تحرك الساكن فتنزل به الذل والهوان وتدبر على قلع أثره وأثر قومه فقال مقرى الوحش والله لقد قلت الصحيح يا أبا الابيض ونحن كل يوم فى هذه القيعان نخلو بانفسنا على بعض الربوات ونقضى الاوقات بالخلوات مع من يعز علينا من السادات ونسمع من الجوار والاموات هذه الاصوات الحسان الى أن نبصر ما يحدث الزمان وندبر على قدر ما نرى ونرى من العشيرة الشكر والثناء ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم كتموا أمرهم وسيروا خيولهم وسرحوا نوقهم وجمالهم وكانوا قد اتخذوا لهم موضعا واسع وماء نابع وشجرا وظلال ومكانا مشرفا على مراعى النوق والجمال

وصار وا ينفذون العبيد والخدم بالطعام والمدام وصار عنتر يخرج ببنت عمه عبلة وكذلك مقرى الوحش بزوجته مسيكة ويخلوا بانفسهم كما أشرنا فى هذا المكان الى وقت المسا ويعودوا الى الاوطان ﴿قال الراوى﴾ كل ذلك وأهل القبيلة يتعجبوا من فعل عنتر ويحسبون فى حساب مايعملون فيما قد جرى من الاسباب بل العقلاء يقولون هذا رجل يحب ابنة عمه وقد قاسى من تحت رأسها ما لا يقاسيه أحد وما يريد الا انه يخلو بها ويشبع من حديثها وكذلك الملك قيس يقول مثل هذا المقال ثم انه بعث خلف عنتر وأحضره وعاتبه وقال له ياابا الفوارس اشتغلت عنا وعن كل أحد بمقرى الوحش وما بقيت تلتفت الينا فقال عنتر ياملك اننى أينما كنت أكون فى افضالك وتحت كنفك وأما مقرى الوحش فهو على كل حال رجل غريب وقد هجر الشام وسلى أهله والاوطان وقاتل بين أيدينا مرار وان لم نجبر كسر قلبه انكسرت نفسه ﴿قال الراوى﴾ وجعل عنتر يحتج بمثل ذلك على الملك قيس وأعمامه واخوته وهم يصدقونه فى ذلك لاجل انهم يعلموا أن محبته فى بنت عمه زائدة وفى بحر هواها غارق وما أحد من أهل الحل يلومه على ذلك ثم ان عنتر دام على ذلك الحال مدة أيام وليال وبعد ذلك بايام خرج هو وعبلة ومقرى الوحش ومسيكة وعروة ورجاله والهطال وأبطاله على ماجرت به العادة وجلسوا يشربون الخمر العقار وهم بمعزل عن النساء الاحرار فبينما هم على ذلك الحال واذا بالخيل قد طلعت من الفدافد وهى دائرة بفارس واحد طالبين قتله ودماره وقد أثخنوه بالجراح بعوامل الرماح فتبينه عنتر البطل الغضنفر واذا به الحارث ابن الملك زهير وكان من محبى عنتر ويريد له الخير فلما رأى عنتر ذلك الحال ركب جواده وأدرك الخيل وكشفهم عنه بعد ما أنزل بهم الذل والويل ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك ان الحارث قد عمل وليمة عظيمة لبنى زياد واجتمع فيها خلق كثير فلما كلوا الطعام ودار بينهم الكلام بعد أن سكروا من المدام ودار بينهم حديث عنتر الاسد القسور فوصف الحارث شجاعته ونخوته وبراعته فسبه عمارة وشتمه وساعده أخوه الربيع وعاونه فاغتاظ الحارث من ذلك لانه كان من محبى عنتر الاسد الفاتك وقال لهم ياأولاد زياد بعد هذا الزمان وطول الايام ماذهبت من قلوبكم بغضة عنتر بن شداد أتشتمون فارسا قد حماكم من الاعداء مرارا وصان حريمكم بعد الانهتاك والدمار ولولا هيبته تفرق شمل هذه القبيلة فى سائر الاقطار ﴿قال الراوى﴾ ومازال يصف مكارم عنتر بن شداد حتى زاد بعمارة الغضب وصاح بالحارث وقطع عليه كلامه وقال له ياابن زهير أما تستحى تذكر ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم وتفضله على كل سيد كريم وحق اللات والعزى ان ذكره عار وفضيحة وشنار وان كان قد قاتل كما ذكرت وسلم من الوقعات فما سلم الا باجله من النائبات وهو على كل حال عبد معدود بالشقى ولو هم به أحدنا وطلب قتاله تركه فى البرملق وجعله للطير والوحش رزقا فقال الحارث وقد تبسم والله ياعمارة انك كاذب غير صادق وأقبح خصلة فى الانسان أن يكون كذاب لان الكذب نفاق وان كنت نسيت أفعاله فأنا أذكرك ببعض أعماله أما هو الذى شالك على يديه لما خرجت تطلب عبلة ورماك الى الارض وكاد أن يقطع أوصالك وضحكت عليك النسا لما أحدثت فى ثيابك ثم انه أنشد يقول

دع الهذيان ياابن زياد واذكر * مقامك بين أهل المعانى
وقد أطلقت رأس وعالك خوفا * ورحت تجر أذيال الهوانى

﴿قال الراوى﴾ الاان الحارث بن زهير كان ذكره على سبيل المزاح ومنادمة شرب الراح وأما عمارة بن زياد فانه زادت به البغضة لعنتر بن شداد وقد حمى مزاجه وانتفخت أوداجه وغير السكر أحواله فطلب الحرب ثم سل حسامه وصاح فى اخوته وعبيده وهان عليه قتاله وأبصر الحارث فعاله فوثب الى جواده وركب وعول على الهرب فادركوه ولما رأى الهلاك دافع عن نفسه حتى انهم أثخنوه بالجراح وما أدركه عنتر حتى أشرف على الهلاك الا انهم عند وصوله اليه كفوا عنه وأراد عمارة الهرب فادركه عروة

والشرة وأسر مقرى الوحش أخاه الثانى والهطال أسر أخاه الثالث وبذلوا السيوف فى العبيد فقتلوا منهم ثلاثة وانهزم الباقون هذا وعنتر قد سأل الحارث عن القصة وسببها الذى أوجب القتال بعد المنادمة فقال ياحامية عبس مايلومك أحد على معاداتك لبنى زياد وقد رأيت مافعلوه لانهم قوم لئام لايحفظون ذمام ولا حرمة طعام وهم أنجس الانام ولو فعلت معهم خيرا مدى الايام كافؤك مكافأة اللئام وأقل مافعلت من الجميل والوداد فى هذا اليوم انى جلت لهم الزادفا كلوا وأحضرت لهم الشراب فشربوا ولما أن سكروا قاموا الى ليقتلونى والسبب فى ذلك انهم ذكروك وسبوك وشتموك وذكرت أنا لهم شجاعتك ورديت غيبتك ففعلوا بى هذه الفعال قال فلما سمع عنتر ذلك الكلام زاد به الغرام وقال ياحارث أنا أعلم ان بنى زياد يبغضونى ولابد ما أقطع منهم الآثار وأشتتهم فى القفار ولكن فى غير ذلك المكان لاننا عندنا شغل شاغل يبعدنا عن الاوطان وللغربه وقلة الانصار والاعوان ومافى الامر ياحارث الا انك تسوق غرماك الى بين يدى أخيك الملك قيس وتخبره بماجرى عليك



﴿تم الجزء العاشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد﴾



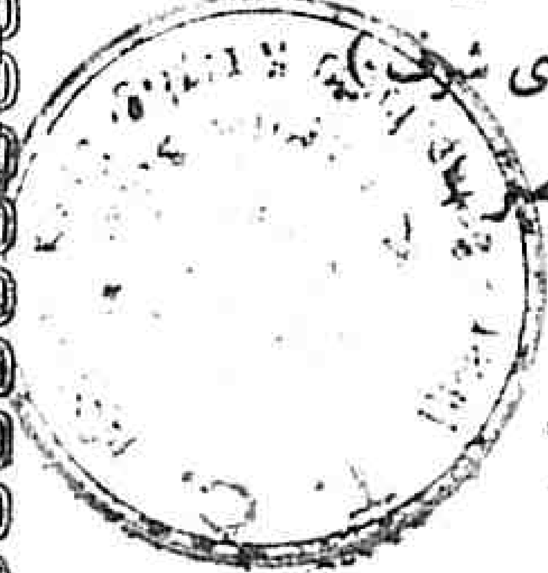
الجزء الحادي عشر

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله



محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندي شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)



الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

ما شاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قال الراوى﴾ ثم انه أمر أخاه شيبوبا ان يكتف عمارة واخوته و يسلمهم الى الحارث ففعل ذلك وسيرهم معه وعول على الرجعة فقال له عروة بن الورد بحق الله عليك يا أبا الفوارس تمهل على حتى أعود الى عند الحارث وأحمل العبيد ما قد فضل من طعامهم وشرابهم حتى لا يحظى به من لا يستاهله فقال له عنتر افعل ما بدا لك فما أخالف مقالك ثم تقدم يطلب المكان الذى ذكرنا والحال الذى وصفنا واذا قد خرج من بعض أودية الوادى خيل متسابقة وفرسان مترادفة بايديهم الصوارم البارقة والرماح الخارقة فوقف عروة بن الورد ونظرهم واذاهم ينادون يا آل كندة يا آل كندة يا آل بنى القين أين تنجوا يا عبيد الزنا وتربية الخنا ونسل الاما وبعدها أطلقوا نحو عنتر الاعنة وقوموا الاسنة وتقسموا عليه فرق ومواكب وداروا به من كل جانب ولما علم مقرى الوحش بهذه النوائب قال هذه خيل قد تيمتنا من ماء النعام تطالبنا بثار عمرو والذى قتلته وسبيت زوجته زهرة واليوم أشفى منهم قلبى وأطفى لهيب كربى فقال عنتر لمقرى الوحش ان كان لم يسر خلفنا غير هذه الطائفة فهذه أمرها قريب وقد ساقها أجلها الى تلافها ولكن قلبى يحدثنى أن مائة فارس ما تجسر من بنى كندة وبنى القين تدخل خلفنا الى هذه الديار وتطالبنا بالثار وقد أبصرت من فعالنا لهيب النار وعاينت من قتالنا ما حير منهم الابصار وأنا أقول ان هذه بوادر خيل كثيرة وعسكر جرار وأنا خائف على عبلة ومسيكة من ذلك الامر لانهم فى وسط البر الاقفر والمهمه الاغبر واذا كان الامر على ما ذكرت فالتقى أنت وعروة وابن أختى المطال هذه الخيل حتى أعود أنا الى النساء والعيال ﴿قال الاصمعى﴾ وما تم عنتر بن شداد هذا الكلام حتى طلع موكب آخر من بين تلك التلال والرمال أكثر من الاول عددا وأغزر مددا فانطبقوا مع الفرقة الاولى وبدوا بالصياح وانتشروا فى تلك الربا والبطاح فقال عنتر والله يا فارس النياق أنا ما أحسب الاحساب الرجال أهل الخبرة بالحرب والقتال وما طلبنا هؤلاء الانذال الا وقد علموا اننا أكثر منهم فى الحرب والنزال ثم ان عنتر ركض وسعى شيبوب بين يديه والاعداء من كل جانب تصيح عليه وهم يقولون الى أين يا ابن الاماء وعبلة قد بعدت عن هذه المواضع وأنت راجع فسلم نفسك واقطع منا طمعك قبل ان ينهب جسدك بالسيوف القواطع قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب ما رد عليهم جواب بل تم على حاله

وهو فى حمية قتال فقال لهم مقرى الوحش كذبتم يا أنذال ويا نسل غير حلال فدون عبلة سيوف حداد و رماح مداد تسبق الآجال فدونكم والقتال ثم انه حمل على الميمنة والمطال وعروة على الميسرة وطعنوا فى صدور الابطال واختلف الضرب بشفار الصفاح الصقال واختلفت المنايا وزادت الاهوال وكشفت الاسنة ستائر القلوب وخاضت فى الخواصر والجنوب وفعل مقرى الوحش فعال الجبابرة وجعل رؤس الفرسان متناثرة وصارت طاحون الحرب دائرة والجماجم من على الابدان طائرة وأما عنتر فانه ركض حتى غاب عنهم وقارب المكان الذى كان فيه النساء فابصر هناك طائفة أخرى ساقوا عبلة ومسيكة وسبوا المولدات وهن فى الهوادج باكيات متلفتات الى أقطار الفلوات وهم يسكبون العبرات و ينتظرون الفرج من رافع السموات الذى يعلم ما مضى وما هو آت ﴿قال الراوى﴾ فلما ان أبصر عنتر هذه الحالات تغيرت احواله وعلم ان مقرى الوحش صادق فى مقاله ثم انه قال لشيبوب دهينا ورب الكعبة من كل جانب ورمانا الدهر بسهام المصائب ثم انه طلب الخيل وهدر وزمجر ونادى ويلكم من أى الناس أنتم لعن الله أبا الحاكم عليكم أخبروا قبل ان تطير جماجمكم من على أغصان الاعناق وتروا الطعن فى المحاجر والاحداق ﴿قال الراوى﴾ وعند وصوله قتل منهم عشرين فارس وأنزل بهم الضر والوساوس فتشتتوا قدامه خوفا من المعاطب فى البر والسباسب ﴿قال الراوى﴾ وكان المقدم على هذه السرية جندلة زوج الساحرة بامر الملك مسعود بن مصاد لانه لما أيس من عبلة و زاد به العشق والغرام هجر المنام وصام عن الطعام وذلك بعد ما كان ملك ومقدام وهان عليه فسخ الذمام وذلك كله لاجل عشقه لعبلة بنت الكرام ثم ان مسعود استشار جندلة فيما يفعل فقال له الرأى عندى أيها الملك ان تجتنب هؤلاء القوم ولا ترجع تلمهم لانى بعد عودتى اردت أعرف من قتل زوجتى فانفذت ابنتى وقد قلت لها امضى الى بنى عبس فى زى سائلة حتى تعرفى من قتل أملك ومن فعل بها هذه الفعال فمضت وأقامت فى أبياتهم ثلاثة أيام وعادت الى وقالت لى يا أبتاه ما قتل والدتى وأنزل بها العبر الا عبدهم الزنيم عنتر لانه كان قد خرج لما فرغت دعوة الملك قيس فى جماعة من فرسانه وأعوانه حتى وصلوا الى أمى وهى فى عمائها وشفاها فقتلها ولولا اشتغل قلبه على بنت عمه عبلة وما جرى لها وعودته ما كان خروج هذا الشيطان الا قتل مملكتنا مسعود وما كان عاد من بين يديه سالم ﴿قال الراوى﴾ وكان جندلة أراد بهذا المقال تحريض الملك مسعود على فسخ الذمام الذى بينه وبين بنى عبس وطلب بذلك أخذ ثار زوجته واثارة الفتن فعندها قال الملك مسعود يا جندلة لقد كان الرأى معك من الاول لما قلت لى الصواب انه ان يقتل هذا العبد ولد الزنا ما تبلغ من زوجته منا والآن لا بد لى من قتله وأريد من اليوم أجعل عليه العيون والارصاد وأبصر أين ينفرد بنفسه وأرسل اليه من يضرب رقبته ويخمد حسه واذا أرسل الى الملك قيس وعتب على أقول هذا أمر ما علمت به حتى فات وانا طامن عنتر كان لانه قتل من أهلنا امرأة جليلة القدر بغير ذنب وعلم أهلها بذلك فاجتمعوا وأخذوا بثارها منه كما جرت عادة العرب فساروا اليه وقتلوه فقال جندلة اذا كان عزمك يا ملك قد قوى على ذلك فاذن الامر قد سهل فى قتله لانى قد بلغنى فى هذه الايام أن عنتر ما يفارق عبلة لا ليل ولا نهار ومن خوفه عليها كل يوم يأخذها و يبعد بها فى أواخر المروج والغدران و ينزل بها فى ذلك المكان يأكل ويشرب الى الليل و يعود فى وقت الظلام والصواب انك ترسل من أبطالك قدر خمسمائة فارس ليقطعوا من عنتر عمره و يخفون أثره وتأمرهم أن يكمنوا له فى ثلاثة مواضع وأوصيهم أن لا يخرجوا اليه حتى يقبل الليل لانه يكون سكران من شرب العقار وانهم يبادرون اليه و يضربون رقبته و يجيبوا اليك زوجته وان عتب عليك الملك قيس تقول هذه الخيل ما كانت من عندنا ونحن لا نعرفها ولا شك أنها من بنى كندة وبنى القين لانهم أتوا يطالبون عبدكم بالثار لفارسهم عمرو بن ضمرة ولا بد ما أنفذ اليهم من أبطالنا من ينهب أموالهم ويسبى عيالهم و يقتل أبطالهم الى أن تنطفئ الفتنة وتكون قد ظفرت بالفرصة فلا يكون مثلك ملك من ملوك الارض وكيف تبقى فى قلبك غصة وأنت صاحب هذا الاقليم وصاحب الحما والحسب الكريم قال فلما سمع الملك مسعود هذا المقال زاد به البلبال وقال يا جندلة كلما أشرت به صواب الا قولك خمسمائة فارس لعبد واحد فهذه

الكثرة لاى شئ الحاجة اليها فقال له جندلة يا ملك الزمان لان رجال بنى عبس مشهورين وهم فى الفروسية مذكورين خصوصا ذلك العبد الزنيم لانه فارس مغوار وبطل جبار وله فروسية ما عليها اعيار وانه لم يخرج بعبلة وحده بل لابد ان يخرج معه جماعة من فرسان قومه وكلهم أبطال وأقيال ما لهم فى الحرب مثال وقيل ان معه فارسا وهو أطعن أهل زمانه بالرماح بطل جبار وفارس مغوار وهو يسمى مقرى الوحش ويلقب بفارس النياق وهو أثبتهم عند الحرب والكفاح وأضربهم بالصفاح فدبرت هذا التدبير على سبيل المكاثرة لان يا ملك المداونة فى التدبير عائدة على الانسان بالتدمير قال فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام قال له افعل ما بدا لك لاننا لا نخالف مقالك ثم ان الملك مسعود دعا من خواص قومه أربع رجال وأطلعهم على هذا الحال فوجد عندهم لبنى عبس من الحسد ما قد ملأ القلوب وفادني من الصدور وما صدق القوم أن سمعوا هذا الكلام حتى أجابوا وقد عادوا وكل فارس منهم أنفذ خلف رجاله وأبطاله وأمرهم بأخذ الاهبة وأطلعهم على هذه القضية وصار كل رجل مع أصحابه وجندلة معهم ولما وصلوا الى بنى عبس كمن بهم فى هذه المواضع التى ذكرناها وكانوا الكل فى زى بنى فهد وبنى القين وقصدهم قتل عنتر وكان قصد جندلة بتفريق الاماكن انه اذا بلغ الفريق الاول واتبعه عنتر وأصحابه وبقيت عبلة ما عندها أحد أخذها وسباها ﴿قال الراوى﴾ وفى تلك الامور والفساد جرت قصة الحارث مع بنى زياد واتفق ذلك الاتفاق بطلب عنتر الغبار ووصل النوبة مع الحارث بن الملك زهير كما ذكرنا وأبصر جندلة عبلة وقد بقيت وحيدة لما بعد دواعنها فقال جندلة هذا وقت انتهاب الفرص وها قد أتانا الامر كما نريد فدونكم وهذا العبد الشيطان المريد اقتلوه ومددوه على الصعيد واهلكوا من معه من الفرسان الصناديد حتى نأخذ محبوبة الملك مسعود بن مصاد ونعود ثم انه طلب عبلة فى بعض الفرسان الذى كانوا معه فوجدها وحيدة فسباها وأخذ معها أيضا مسيكة ومن كان معها من مولداتها وعاد جندلة بالفرح والسرور فالتقى بهم عنتر وقد قتل منهم عشرة فوارس وجرى من القصة ما جرى واستخبرهم عن حالهم وكان المقدم عليهم رجل يقال له سعدان بن علوان ولما استخبرهم قال له سعدان يا ابن الأمة ونسل الحرام نحن بنو القين وقد أتينا نطلب الثار ونكشف العار وعبلة قد سبيناها كما سبيت أنت زهرة زوجة سيدنا عمرو بن ضمرة الذى قتلته وجعلته فى الثرى مجندل ثم انهم صاحوا عليه وقصدوه من كل جانب ومكان قال ولما ان رأى عنتر ذلك الحال طار الخمر من رأسه وجذب سيفه من غمده وفى دون ساعة ساقهم سوق الاغنام وبرى رماحهم برى الاقلام وصار معهم تحت القتام وقاتلهم حتى اتسع عليه المجال وعاد الى الرمح وقد طعن به فى صدور الرجال وأول من قتل منهم المقدم على السرية سعدان لانه حنق عليه وطعنه فى صدره نكسه عن جواده فلما أبصر الفرسان طعنته تفسحوا عنه وتجنبوه وصار تارة يطلبهم وتارة يطلبوه وجندلة قد ساق عبلة سوق العجلة وأخذ بها فى عرض البر ومعه عشرة من الفرسان فعلم شيبوب بهذه الفعال فتبعه ورمى رجاله بالنبال التى كانت معه وما زال يعوقهم عن المسير حتى قتل منهم فرسانا لهم قدر وقيمة وجازاهم على البغى والغدر وبعد ذلك أدركهم عنتر وكان قد سمع صياح عبلة فانتخى لها وطلبها خوفا عليها وعلى أخيه شيبوب من أعداه قال ولما رأى جندلة عنتر ونخوته خاف من الهلاك وقال لمن معه من الفرسان يا ويلكم ان هذا الشيطان ما يقابله الا من حضر أجله فاطلبوا بنايا بنى عمى النجاة والا عاد علينا شره ثم انه ترك عبلة ومسيكة وعدل عنهم فى تلك الطريق وطلب أثر المنهزمين ووصل عنتر الى بنت عمه عبلة فرآها تتبسم من فعاله وهزيمة الابطال من بين يديه وقد ظهر على وجهها السرور وبعد الخوف وهداها فازداد عجبه من ابتسامها وفرح بشكرها وكلامها فأمر أخاه شيبوب فقاد زمام ناقتها وناقة مسيكة وسار بهما حتى وصلوا الى المكان الذى كانوا فيه فعند ذلك قالت مسيكة يا حامية عبس أيطيب على قلبك أن تعود الى الحى وتخلى أخاك مقرى الوحش مع أعداه فى هذا البر وحيد فريد وبين يديه خلق كثير فقال عنتر أما مقرى الوحش فما بين يديه من يخشاه لان قدامه مائتى فارس أنذال ومعه عروة والهطال وأنا لابد لى من العودة اليهم ثم انه أوصى أخاه بحفظ النساء وقال له اذا رأيت بنى عبس ركبت الى نصرتنا فردها وقل للملك قيس ما هناك أمر يوجب انزعاجك ثم انه عاد يركض على ظهر

الابجر والرمح على كتفه ينقط دما الى أن وصل الى مكان المعمعة فرأى الحرب قائمة على قدم وساق والرجال قد داروا بأصحابه وأكثروا الزعقات وزاد الامر عن ما كان يعهد ومقرى الوحش يهجم على الاعداء هجمات الاسد والابر يهج من لمعان العدد والزرد وابن أخته الهطال قد أثخن بالجراح وعروة بن الورد قد خفق صوته من كثرة الصياح ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى كثرة الاعداء ان المنهزمين لما عادوا عن قدام عنتر لحقهم جندلة ولمهم من أقطار الفلا وقال لهم فتنا وحاجة ما لكنا ما قضيت لان هذا الاسود المشؤم خيب طريقنا وزاد تعويقنا وأنا كنت أسمع عنه هذه الفعال وكنت أظنه محال حتى انى حققت ما سمعت بالنظر وحق الرب القديم ان الجن تفزع منه وتعجز عن مقاتلته وأنا قد عززتكم واستصوبت رأيكم فى قلة الهجوم عليه وأقول انه قد اشتغل بمحبوبته عنا والا ما كان عاد منا أحد والصواب اننا ننظر لبنى عمنا ونعينهم على أصحابه ولم نزل نقاتلهم حتى نتركهم على الارض مطروحين ثم انه عاد هو وأصحابه الى المكان الذى قدمنا ذكره فوجدوا أصحابهم يدافعون عن أنفسهم مدافعة الاذلال فقال جندلة يا ويلكم أترضون لانفسكم بالحرب من ثلاثة رجال وأنتم مائتان وخمسون فارسا أبطال ثم انه حمل فيمن كان معه وقد نخاهم وردهم الى الحرب والقتال فعندها اشتد الطعن والضرب وزاد الحرب والكرب وبذل أصحاب عنتر الارواح وجودوا الضرب بالصفاح حتى أثخن الهطال بالجراح وخفق صوت عروة بن الورد من كثرة الصياح ولولا مقرى الوحش وشجاعته وحسن معرفته لكانوا قد هلكوا وشربوا كاس الممات الا ان الامور ما زالت متضاعفة والاسباب متلاطفة حتى وصل اليهم عنتر بن شداد ورأى أصحابه وهم على تلك الحالات التى ذكرناها فحمل وصاح وعرفهم بنفسه فوقع فى قلوب الاعداء الهيبة وانقض عليهم مثل القضا وكانت حملته أشد من حملة الاسد اذا خرج من الاجمة وطعن فى صدورهم طعنا أمر من الجمر فعند ذلك فرق شملهم فى البيداء ونظر عروة بن الورد اليه فقويت نفسه على الاعداء وعليهم هجم وعادوا جودهم الى عدم فانهزموا واجتمع مقرى الوحش بعنتر وسأله عن زوجته مسيكة فحدثه بسلامتها وما جرى له لما عاد وخلاص عبلة فشكره مقرى الوحش على فعاله وقال له يا أبا الفوارس ما قوى قلبى الا بك فلا زلت مسعودا موفقا ثم انهم عادوا يطلبون أهاليهم وما بقى قدامهم أحد من تلك الرجال وعنتر يهنى ابن أخته الهطال وعروة بن الورد بالخلاص من الوبال وبعد ذلك أنشد وقال

أرى لى كل يوم من زمانى * عتابا فى البعاد وفى التدانى * يريد مذلتى ويدور حولى
بجيش النائبات اذا رآنى * كأنى قد كبرت وشاب رأسى * وقل تجلدى ووهى جنانى
ألا يا دهر يومى مثل أمسى * وأعظم هيبة لمن التقانى * وما أسفى عليكم غير داع
دعانى وهو فى كرب الطعان * ونادانى وخيل الموت تجرى * فما أدرى نادى اسمى أم كنانى
ففرقت المواكب عنه كرها * بسيف كأنه البرق اليمانى * وكم قرم تركت الطير تأوى
اليه وهو مخضوب السنان * خضبت خدوده بدماه حتى * أعدت جواده كالارجوان
ولا أوهى مراس الحرب ركنى * ولا وصلت الى يد الزمان * ولا دنا شخص الموت الا
كما يدنى الشجاع من الجبان * أنا عنتر ولى قد شاع ذكر * فى الحروب وضرب الهندوان

﴿قال الراوى﴾ وما قاربوا الخيام حتى انسدل الظلام ولاحت الابيات فعندها ركب الملك قيس ومعه جماعة من الابطال وكانوا لهم فى الانتظار وكانهم من أجلهم على مقالى النار الا ان الملك قيس كان كلما هم بالمسير عنعه شيبوب من ذلك كما أمره أخوه عنتر لما أنفذه مع عبلة ومسيكة لان الخبر ما وصل الى الملك قيس الا فى أواخر النهار وما ركب هو ومن معه حتى أمسى المسا وكلما هم ان يخرج من الخيام فى طلب عنتر يمنعه شيبوب ويشاغله بالحديث والكلام حتى قدم أخاه فالتقى القوم بعضهم البعض وسأل الملك عن الخبر فحدثه عنتر بما جرى وقال له يا ملك وحق من انبع الماء فجرى واحتجب عن عيون الخلق والورى ما كانت هذه الفعال الا من صديقك مسعود بن مصاد وسوف ترى ولا بد له من يوم تفارق فيه الارواح الاجساد فقال الملك قيس يا أبا الفوارس وانت ايش بينك وبين الملك مسعود حتى تكمن لك الفرسان والجنود وبيننا وبينه الايمان والعهود فقال

عنتر بيني وبينه شيء ما أطلعك عليه فقال قيس وما هو يا أبا الفوارس أتخفي مني حالك وأنت لي مجالس فقال عنتر يا ملك انه تواع بابنة عمي عبلة وقد تصور في قلبه ان لم يقتلني ما يبلغ أرب وأنا أعلم يا ملك أن أجله قد اقترب فقال الملك قيس وقد تبسم العجب يا أبا الفوارس تنغص على نفسك عيشك مع أنك لا تلام لان المحب مولع بسوء الظن ويتصور له أن كل انسان يحب حبيبه والصواب انك تصبر حتى ينكشف لنا خبر هذه الخيل الذي عارضك أهلها أو نجازيها على فعلها ولا تعجل في الامور فتحمل أثقالها لان أخاك شيبوب ذكر لنا أنها من بني القين وبني فهر وانهم قد أتوا خلفك يطالبوك بالثار فقال عنتر يا ملك أخي تحدث بما سمع وأنا أعلم أن هذا محال وعند الصباح ينكشف لك الحال ثم ان عنتر كتم باقي القصة خوفا من فضيحة عبلة وعتبها وعاد الى مضاربه وهو حائر في أمره وعاد الملك قيس أيضا وقلبه قد اشتغل بما سمع من عنتر ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء • وأما ما كان من الملك مسعود بن مصاد فان فرسانه وصلوا اليه ولما ان حضروا بين يديه بكوا على من قتل لهم من السادات وحدثوه بما لاقوا من النائبات فزاد حرقه وكثر قلقه وقال والله يا بني عمي ما بقي بيني وبين القوم ذمام ولا بد لي ان أبذل فيهم الحسام وأملك هذه الجارية بدر التمام والا قتلني الغرام وأريد منكم أن تشيروا علي بما أفعل فقد قتلني الهوى وكيف يكون التدبير قبل أن أكاشفهم بالعداوة فقال رجل منهم وهو شيخ كبير وكان من جملة المنهزمين وكان قد قتل له في هذه الوقعة أخ وابن عم وكان يقال له مشير الفتن أيها الملك السعيد وحق اللات والعزى ما نقعد عن ثارنا ولا على من قتل لنا وقد رأينا أموال بني عمنا معهم في المرعى ونحن نتحمل ذلك من أجلك ونحفظ ذمامك أما سمعت شعر عبدهم لما عاد من جهينة وقتل سيدهم بشر وافتخر بنهب الاموال وقد ذكر ذلك في شعره وهو يقول

سلوا عنا جهينة حين باتت * تهيم من المهابة في رباها * رأت طعنا فوات واستقات
وسمرانا ط تعمل في كلاها * وما خليت فيهم بعد سفري * سوى الغربان تحجل في رباها

وبعد ذلك عاد على خثعم وسبى الحريم والنعم وأنشد يقول

جلبنا الخيل والابطال حتى * غشينا الحي من أبنا مرادي
وخثعم قد صبحناهم بكورا * وشهنا عند ما نادى المنادي
وعدنا بالبنات وبالسبايا * أسرناهم يقادوا في الصفادي

وبعد ذلك أيها الملك في نوبة وقعة خالد بن محارب لما أن سبي زوجته الجيداء وقتل خالد وكسر معدي كرب ورجع وأموالهم معه قد ملات البيداء وله وقعات تشيب الاطفال وهي مذكورة عند السادات ووقعة جبال الروم ووادي الرمال حاصر فيها الملك النعمان وفي وادي السيل لما قتل الحاجب زردشان وأسر جابر بن عامر الكندي وغيره من الفرسان وله وقايع لا تحصى يا ملك ومن أعظم المصائب أيضا والمحن ان رجع هذا العبد سالم من بلاد اليمن على اننا ما بقينا نأمن عليك من شره ان أنت توانيت عنه فما يقعد عن أذيتك لانه يا ملك عرف انك تهوى بنت عمه فما بقي يقعد عنك ولا ينام عن أخبارك قال فلما سمع الملك مسعود هذا الكلام زاد به الغيظ وزين له الشيطان فسخ الذمام وقال والله يا بني الاعمام ما أنا متفكر في هذا العبد ولا يخطر لي على بال واني قد بلغني ذلك الحديث غير اني متفكر بأي حجة أثير الحرب والقتال وأنا قريب العهد من دعوة ملكهم قيس ولكن ما بقي لي على فعال هذا العبد ولد الزنا صبر وان لم أحظ بزوجته لم أبلغ المنا فقال جندلة يا ملك أنا قد انفتح لي باب به تهون الامور الصعاب ولا أترك عليك لوم ولا عتاب وعند الصباح أريك ما يكون فقال له أخبرني كيف تفعل فقال يا ملك ان كنت أنت فزعان من فسخ الذمام وخائف من معيرة العربان فانا قد رأيت من الصائب اني أمضي غدا الى بني عبس في زي زائر واذا حضرت قدام ملكهم قيس أقول له على لسانك أنت تعلم أيها السيد ان الملك مسعود قد أنفذني اليك أهنيك بالنصر وبسلامة حاميتكم عنتر من هؤلاء الاعداء الذي تبعوه والملك مسعود قد حلف لابد أن يخرب ديارهم ويقطع آثارهم فاذا انطلى عليه هذا المحال أنا أعرض له بخطبة عبلة وأطلبها على اسمك ولا أرجع من هناك الا بالانفصال

والجواب منهم يكون سبب الحرب والقتال ولا يبقى عليك عتب ولا ملام وهذا آخر ما عندي والسلام قال فعندها طاب قلب الملك مسعود بهذا الخطاب ورآه عين الصواب ثم انه بات الى الصباح وجمع وجوه عشيرته وشاورهم في ذلك الايضاح فقالوا اما بهذا من باس ولا يذمه أحد من الناس ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه قال لاخوته والربيع بن زياد ومن كان يعتمد عليهم في الامور الشداد اعلموا يا بني عمي انني قد أصبحت غريب في بلاد اليمن وكلام عنتر أنا مشكك فيه وان كان كما ذكر فنحن والله الاعلى غاية الخطر فقال الربيع والله ان هذه قصة مشككة وكيف تسمع من بنت عمه عبلة فان كان سكت اليوم لا يسكت غدا ولا يلام فيما يفعل وأنا قد حرت في هذا الكلام فقال عمارة يا ملك ان جاهر ثم هذا الرجل بالعداوة فما يبقى لنا مقام ولا تخلي العرب منا الاشياخا ولا غلام وهذا الرجل ما لنا به طاقة لانه على كل حال ملك وجاهل بامور الزمان وعاشق وان كان قد وقع في قلبه هوى عبلة فهو سبب القلقان والبلوى وأنا يا ملك الرأي عندي انكم تأخذوها من عنتر شاء أو أبى وتزوجوها بهذا الملك الجليل القدر لان عنتر قد قضى منها وطر ونال من وصلها الحظ الاوفر ولا سيما ان صار هذا الملك صهرنا ارتفع قدرنا وهابت القبائل أمرنا فاحمدوا الرب العظيم على خلاصكم من هذا الامر الخطير فقال الحارث هكذا يا عمارة اذا أحد عشق أختك أو امرأة أخيك أو أحدا من أولاد عمك تسلمها للعاشق وتبقى تحت المذلة والاحتراق فقال عمارة ايش هذا الكلام بلا نخوة ولا حمية فقال الحارث وكيف يسلم عنتر زوجته فقال عمارة يا حارث لا تعد العبد الحقير مثل السيد الخطير فقال الحارث والله ان العبد الحقير هو الذي يهرب من اشتباك الرماح وأما عنتر فقد شهدت له الابطال الملاح بانه أوحد الزمان وفريد العصر والاوان ﴿قال الراوي﴾ وما كان مراد الحارث بهذا الكلام الا غيظ عمارة وذلك لأجل ما تقدم من نوبة ما لقاهم وهم في القتال لما جمع عليه عمارة بني زياد الانذال وخلصه وسلمهم الله حتى ساقهم كلهم الى الحي وصار واقدام الملك قيس فاطلقهم وأصلح بينهم ولما جرى بينهم ذلك الكلام قال عمارة بن زياد يا حارث كيف يكون جوابك اذا أرسل الملك مسعود يطلب عبلة فعندها قال الحارث يا عمارة الامر ما هو لك وانما يتولاه أخي وأخوك وأنا أعلم اذا بلغ الامر الى أبي الفوارس عنتر خربت ديار مسعود وقتل واندثر ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم في ذلك الكلام واذا بعنتر قد دخل عليهم ثم سلم ومنهم تقرب وقد نظرهم بزكاوة عقله واذا بوجوه القوم تلعب فعلم عنتر انهم كانوا في مشورة وسبب فاراد أن يسألهم عن ما كانوا فيه واذا هم بجندلة زوج الساحرة قد أتى من عند الملك مسعود بن مصاد في زي رسول وهو راكب على ناقة عالية السنام لابس ثيابا واسعة الاكمام وعلى رأسه عمامة كبيرة منقوشة الاعلام ولما صار بين الخيام برك ناقته وأمر عبده ان يعقلها بفاضل الذمام ثم انه تقدم الى بين الحاضرين وحياهم باحسن التحية والاكرام ولما سلم على جميع السادات الكرام أدار وجهه الى الملك قيس وشرح له الكلام وقال له أيها الملك الكثير الجود والانعام ان مولاي الملك مسعود بن مصاد قد أنفذني اليكم أهنيكم بسلامة فارسكم وحاميكم عنتر البطل الهمام من هذه الخيل الغائرة التي أتت نحوكم متبادرة وهو يقول لكم انا ما علمنا بها الا وقت المسا وسواد الليل الحالك وقد ركبت من عندنا الفرسان وأخذت في أثر الاعداء والى الآن ما رجع منهم أحد وما لكنا قد حصل من ذلك هم عظيم وغم كبير وأمر جسيم وقد مت بنو فهر وبنو القين الى هذه الارض وتعرضت لكم وأنتم تحت كنفه وذمامه وانه قد عول أن يغزو ديارهم ويخرب أطلالهم اكراما لكم ورغبة في قربكم ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل جندلة يترنم بمثل ذلك الكلام حتى دعا له كل من كان حاضرا ذلك المقال وحمد الملك قيس صاحبه الملك مسعود بن مصاد وشكره وأثنى عليه وقام الملك قيس الى جندلة وأخذ بيده وأجلسه بجانبه وقد استخبره عن قومه وعشيرته وسأل عن الملك مسعود صاحبه فقال جندلة يا ملك ان صاحبي اليوم قد حاز في محبتكم حد الوصف وما صار له حديث الا انت وقومك وانه يا ملك من شدة رغبته فيكم أنفذني اليك أهني وخاطب وجعلني له نائب وقال لي يا جندلة اني عولت أن أصل حبلي بحبل هؤلاء القوم حتى أفتخر بذلك ولا يبقى علي لوم وأيضا ما بقي أحد يتعرض لهم ما دمت أنا صهرهم والسبب في ذلك ان الملك مسعود رأى عندكم جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد وسمع ان بعلها

عبد يقال له عنتر بن شداد وانه في الزمن الاول قد أخذها من أبيها غصبا وهذا النكاح لا يصح ولا يحكم به أحد من العرب ﴿قال الاصمعي﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام ما أمهله أن يتم خطبته حتى عمل حيلة ووثب الى جندلة وتقرب منه وقبض على حلقومه وكبس على رأسه وخرج به خارج المضرب وشاله على ذراعه وجلد به الارض رض عظامه رضا وخلط طوله في العرض فتبرشرش دمه على بسيط الارض وعول على الانصراف وهو لا يبدى ولا يعيد وصارت عيناه مثل لظى الجمر وما بقي يعرف ما بين يديه فخاف الملك قيس من غضبه فقام بنو عبس كلهم اليه وقالوا له أحسنت يا أبا الفوارس فيما فعلت في هذا القرنان ماله جواب غير القتل والعذاب ثم انهم تفرقوا الى منازلهم والخيام ثم نهض عبد المقتول وشده على ناقته وأخذه وسار حتى أشرف على الديار وكان ذلك لوقت آخر النهار فاحضر العبد مولاه قدام الملك مسعود وهو غارق في دماه وأخبره بما جرى وبقتل مولاه فانقلب الحي بما فيه وأنفذ الملك مسعود خلف من كان يعتمد عليه وقال لهم يا بني عمي أنتم أحوجتموني ان أفعل هذه الفعال فخذوا أهبتكم للحرب والقتال وانهبوا من بني عبس الاموال والحريم والعيال ﴿قال الراوي﴾ وعلى الحقيقة باتت مياه عرا عرتموج من سائر الروابي والتلال حتى ان البراري امتلأ بالجيوش والابطال وكان للملك مسعود خال يقال له عقاب وكان ناقص عقل وأدب الا أنه كان جبار لا يصطلى له بنار فقال له الملك مسعود يا خالاه ما لهذا الامر غيرك وأريد منك في هذه النوبة تقضي حاجتي وتأتيني بمحبوبتي وان رأيت القوم أطاعوك فاعف عنهم واصرفهم بجميل فقال له خاله ايش يا ملك هذا المقال ولا يعرف هذا الامر الا أنت تعلم اني اذا سللت حسامي فلا أبقي على أحد يقف امامي ولا أغمد سيفي حتى أرى الدم يجري قدامي وما بعد الى سمر حتى أفعل ما هو في مرادي فارسل في هذا الامر أحدا غيري والان فعلت شيأ فلا تلمني فقال الملك مسعود يا خال افعل ما تريد لان القوم قد أرسلت اليهم رسول فقتلوه وأقول انك لم تلحقهم في المكان الذي كانوا فيه ولا بد انهم رحلوا في الليل فزعا منا لانهم ندموا على ما فعلوا من الفعال في حقنا فقال له خاله أين هم يهربون وأنا خلفهم ثم انه اعتد وركب وكان الوقت ضحى نهار وسارت من ورائه الكتائب والمواكب وأسنة رماحها قد سدت شعاع الشمس في المشارق والمغارب وعقاب أوائل الفرسان كانه الاسد الغضبان وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على المكان الذي كانت بنو عبس فيه نزول فوجدوهم قد رحلوا بالمال والعيال والانعام ونزلوا في جبل الغمام ونصبوا فيه الاعلام والخيام وأدخلوا من داخله الحريم والعيال وبقوا جرائد على ظهور الخيل قيام وهم ينتظرون القتال والصدام وكان هذا كله من تدبير الملك قيس لان عنتر لما قتل جندلة وفعل به ما فعل وقد رأى القبيلة قد استصعوبت فعاله ركبوا الركوب وعولوا على المسير لقتال الملك مسعود وذلك تبعا لعنتر بن شداد فقال الملك قيس تمهل علي يا أبا الفوارس حتى نحسن التدبير فاني قد رأيت من الرأي السديد اننا أولا نلتجي الى ذلك الجبل الاسود ونحصن فيه العيال والمال وننظر أمورنا بعد أن ندبر أحوالنا وبعدها نقيم في انتظار ما يتجدد لان من حولنا قبائل كثيرة يتوقعوا لنا غدرات الزمان ومن الصواب التدبير قبل التدمير قال ولما اتفقوا على ذلك توكل كل واحد منهم بحريمه وعياله ثم ان عنتر دخل الى عبلة فوجدها تبكي مما نالها من الفزع فقال لها لا تحزني يا ابنة العم ثم انه طيب قلبها وأمر عبيده برفعها على جمل بازل وسار بها العبد في أول المحامل وهو ينشد ويقول

يا ابنة العم قد جربت الزمانا * وكان الدهر صعب على فلانا * حاربتني صروفه والرزايا
فرأتني أشد منها جنانا * فاسكني يا نور عيني ثم قري * واضمني للنساء مني الامانا
واذا ما رأيت خيل الاعادي * جائلات تطاب الميدانا * فاعلمي أن دون بيتك ليثا
وشجاعا يرى الشجاع جبانا * قد بلغتني رسالة من لئيم * غادر كلما أمنته خانا
فوحق البيت الحرام ومن * طاف وابي ثم قبل الاركانا * لاترك النفوس تباع الا
بيع من لا يرى الهوان هوانا * يا سباع الفلا زوريني غداة الحر * بخماصا تعودي بطانا
واحضري وانظري وليمة عبد * طيب الاصل يكرم الضيفانا * واقصدي بعدها المناهل تروى

من دماء تركتها لكم غدرانا * واذا ما سألت بعد مسيري * سائلا سلي عن حديثي العقبانا
فهي تخبرك انني تحت ظلي * من غبار أطاعن الفرسانا

﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت عبلة ذلك الكلام طاب قلبها وانشرح صدرها ﴿قال الراوي﴾ وبعدها نزلت الفرسان وانحدرت الى ابن وبرة مقبلة وفي المقدمة الفارس الضراب والاسد الوثاب المسمى بالعقاب ومن خلفه العساكر والجنود وقد أيقن من تجبره انه قد احتوى على بني عبس وأخذ أموالها وقتل أبطالها ولا يعلم بان دون أموالهم رجالا من السباع الضاريات وكل فارس منهم يلقى قبيلة ويكون على قتالها رابح غير خسران فقال عقاب لمقدمي العساكر يا بني عمي اعلموا أن الاموال كلها لكم مباحة الا الجارية زوجة عبدهم الاسود فما لكم فيها نصيب لانها من قسم الملك مسعود فقالوا له وكل الاموال تساق اليه حتى يفعل بها ما يريد ﴿قال الراوي﴾ وكان فرسان بني عبس قيام كأنهم كرنا على متون الخيول متقلدين بالنصول وحاميتهم عنتر في أوائلهم وهو راكب على جواده الابجر متكي على رمحه الاسمر متقلد بسيفه الظامي الابتر الذي لا يبقي ولا يذر وهو أمامهم وقد رتب عسكره ميمنة وميسرة فعندها صاح وزمجر لما رأى تلك العساكر التي كأنها البحر الزاخر الا أنهم ما اختلطوا حتى غسق الظلام وزاد سواده من شدة القتام وصارت بنو كلاب بن وبرة ينادون على بني عبس يا غدارين يا مكارين أظننتم انكم تقتلون الرسول وتنجون من الهول المهول فقال عنتر لاصحابه لا تجيبوهم بجواب ولا تبدوا لهم خطاب بل نحمل عليهم ونجود الضرب بالسيف القرضاب وأنا الضامن لكم تفريقهم قبل الصباح فقالوا له أنت حاميتنا يا أبا الفوارس ومن نعتمد عليه عند الوقائع ﴿قال الراوي﴾ ومن الاتفاق العجيب الذي يلتذ به السامع ويطيب انها كانت ليلة مظلمة وما يسمع فيها الا وقع حوافر الخيل الضوامر واصطكاك القنا والبواتر وقل خطاب المخاطب وتخضبت بالدماء اللحا والشوارب وعملت في الرؤس القواضب وزادت النوائب وأظلمت المشارق والمغارب وعزت في ذلك الوقت المطالب وزعق عقاب على الفرسان وحمل وفعلوا مثل ما فعل وكذلك بنو عبس عملوا مثل ذلك العمل ولاقى بعضهم البعض والتحموا في جنبات الارض ووقعت العين على العين وقد تصادمت الطائفتان والتقى العسكران وحان بينهم الحين وزعق على رؤسهم غراب البين وتطاولت منهم الاعناق وشخصت منهم الاحداق ونظرت بنو كلاب بن وبرة من كان معها من الشجعان الحاقة بني عبس وعدنان فطمعت فيها لاجل قلتها فاستقبلتها برماحها وأسنتها وتحدر بنو عبس من ذروة الجبل ووطنوا أنفسهم على ذلك العمل فانقلبت أقطار الارض واهتزت جنباتها طولا وعرض وحمل عنتر على العسكر يمينا وشمالا وفرق الابطال والاقيال وأجرى بحاري الدما وما بقي يعرف هو في أرض أو في سما وزادت نيران الحرب تضرما وتلهف كل واحد منهم على شربة من بارد الما وصلصل الحديد وبرق الزرد النضيد وجال في تلك الوقعة كل فارس صنديد وليث شديد وشجاع جليد وقعد الجبان البليد وجالت العساكر في تلك البيد وطحنت أرجل خيولهم الحصا والجلاميد لان الاطفال في تلك الليلة شابت والرؤس طارت والاكباد ذابت والدماء فارت والطيور حامت والقيامة قامت وبريق الصوارم للمفاصل قطعت وسهام المنايا رشقت وقد عمل السيف اليماني والرمح المراني الى أن طلع الزبرقان وأدبر الدبران واستتر السرطان وتفرق الفرقدان وانصدع سلطان الصباح فخلع الليل السواد وطلب من الفجر الامان وضربت الجوزاء اشراق الفجر فانصدع بعدما كان كالسنديان وهب نسيم الحرب فالم الخلائق حتى اشتد الطعان وهجم الاسد فانفلق الصباح وبان وحصدت السنبلة مناجيل السيوف ومالت كفة الميزان بوقوع الحرب العوان فبان عليها الخسران ولسعت حية الضياء والثعبان وانكسر القوس وتعطل السنان وجرى على الجدي من الثور رمايه هدمن كواسر العقبان وانخرط الدلو عند فقد اياسه من أصحابه والخلان وتزحزح زحل عن موضعه وطلب من بهرام الامان وانباع المشتري بابخس الاثمان وأهريق دم المريخ بالسيف

اليمان فانجرح وأسه وتخضبت بادميته الفرسان وتقدمت الزهرة الى سائر الكواكب وهى تطلب لنفسها الذمام والامان وطار عطارد الفجر فضمخ بالنجيم القان وقام القمر بارواح الابطال ومهج الفرسان والشجعان وامتد الضوء من مشارق الجو الى كل مكان فهذه قدرة الاله الواحد الديان الرحيم الرحمن مكون الاكوان وملون الالوان وجاعل السماء ايوان والارض ميدان الذى حكم على هذه الخلائق بالفنا والانتقال الى دار الآخرة حكم الاله الديان العظيم السلطان الذى لايشغله شان عن شان فسبحان رب الانام الملك العلام ﴿قال الاصمعى﴾ هذا والرؤس طائرة والسيوف جائرة والغبرات ثائرة والشجعان هاجمة والانذال حائرة والقيامة قائمة والرماح حاطمة وكل هذا والامير عنتر هائج فى المعمعة بصدر جواده الابجر يلتقى تلك الكتائب والمواكب وقد هانت عليه النوائب وكل من وقع به فتكون منيته قد حانت وآجاله قد تدانت ويلتقى بصدره عوالى الرماح ويبذل نفسه الى مضارب الصفاح وكان تارة ينادى بعروة بن الورد البطل الهمام وتارة ينادى بعقرى الوحش فارس الشام وعلى ابن أخته الهطال وهو يحرضهم على القتال والصدام ويصيح فى العساكر صيحات الاسد الضرغام فيتشتتوا منه فى البرارى والآكام لما يسمعوا زعقاته مثل الرعد فى خلال الغمام وكان تارة يطعنهم بالرمح اللهذام وتارة يضربهم بالحسام هذا وشيبوب يزعق فى الرجال من خلفه ويرمى بالنبال فيصيب بها مقاتل الابطال فتتفرق بين يديه يمينا وشمال وكان عنتر ينادم عروة بن الورد بهذه الابيات

ياعروة بن الورد ليث عبس * كن آمنا من غلبات الانس * واشهد بانى قد بذلت نفسى
للموت حتى يطمئن عرسى * وقد عاهدت صارمى وترسى * ان لم ارى النصر ماخلعت لبسى

﴿قال الراوى﴾ ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ملت الفرسان من الحرب والكفاح فعندها وقع عنتر بعقاب خال الملك مسعود وسمعه وهو يقول دونكم يابنى الاعمام وبنى عبس اللئام وهو يصيح على الابطال ويحرض الرجال على القتال فعلم عنتر أنه هو المقدم عليهم الذى يعتمد الفرسان عليه فطلبه عنتر وقاتله حتى كلت منا كبه وصاح فيه وأتعبه وأكر به وطعنه بالسنان خرق أمعاه وبدد أحشاه فمال عن الجواد الى الارض والفلاه وبعده وقع الفنافى بنى كلب بن وبره ورأت من بنى عبس فعال من لاتحيط به خبره وانكسرت وعادت والاسنة فى ظهورها خرقت وهى هاربة لاتصدق بنجاتها من العطب وكان ذلك الوقت ضحى نهار فرجعت بنو عبس حتى قاربت الديار وهى فرحانة وهم يشكرون عنتر ويثنون عليه ويصفون مافعل من الفعال وماقتل من الابطال وكان من جملة من وصفه عمرو أخو عبلة لانه قال والله ما كسر الجيش الا عنتر فقال الملك قيس لاخوته ولعمرو والله انك صادق فيما تقول مع ماعلموا وتحققوا أن عنتر اصطلى الحرب بنفسه وأفنى أكثر القوم حتى لايبقى عليه عتب ولالوم ثم انهم عادوا الى الخيام والمضارب ومعهم من الخيول والاسلاب والجنائب مالاعين رأت ولا أذن سمعت ودخل عمرو على أخته عبلة وهو كثير الثناء والشكر على عنتر الاسد العسود وهو يصف لها مارأى من عجائبه وماعانى من طعانه ومضاربه وقال لها والله ياأختاه لقد فعل الليلة بعلك فعال تعجز عنها صناديد الرجال ولولاه لاصبحت مسبية فى أيادى الاعداء الانذال وسائر الحريم والاولاد وما كان يخلصوك بنو زهير فعندها تبسمت عبلة لما سمعت هذا المقال من أخيها عمرو عن بعلها عنتر وقد زادت فيه محبة ومنزلة حين سمعت بقوة فروسيته وشجاعته وبراعته فعندها مشت بنفسها اليه وصعدت بين يديه فابصرت الدما يسيل من على رمحه فقبلته فى عارضه ونحره وقالت الحمد لله على سلامتك ياابن العم الذى عدت سالم غانم ورجعت من هذه الاهوال العظائم فقال لها عنتر اى وحياة عينيك رجعت سالم بعد ماقتلت من أعداك كل ظالم وتركت فارسهم عليه الطير حائم ولأقصدن الملك مسعود فى دياره وأخلى منه ومن قومه الربوع والمعالم وأضرب رأسه بحد الحسام الصارم أو أطعنه بالرمح الهادم وأترك لحوم فرسانه رزقا للوحوش وطعاما للنسور القشاعم وان كان فى قلبك شك من مقالى فسلى أخيك عمرا عن

فعالى ثم انه أجابها يقول

سلى ياعبل عمرا عن افعالى * باعداك الذى طلبوا قتالى * سليه كيف كان لهم جوابى
ان شك قلبك من مقالى * أتونا فى الظلام على جياد * مضمرة الخواصر كالسعالى
وفيهم كل جبار عنيد * شديد الباس مفتول السبال * ولما أوقدوا نار المنايا
باطراف المثقفة العوالى * طفاها أسود من آل عبس * بسيف باتر حسن الصقال
اذا ماسال سال دما طريا * وأحرقت ناره صم الجبال * ورمحى كلما رفعته يدى
يلوح سنانه مثل الهلال * تراه اذا التوى فى عينى * تسابقه المنية من شمالى
ضمنت لها الامان ضمان صدق * وأتبعت المقالة بالفعال * وفرقت الكتائب عند ضرب
تخر له صناديد الرجال * وماولى شجاع القوم الا * وبين يديه شخص من خيال
ملات الارض خوفا من حسامى * فبات الناس فى قيل وقال * ولو أخلفت الوعد معك قالوا
بنى الانذال دع عنك السؤال * أمسى عمارة فى محال * يريد جمالك ياذات الجمال
لاصبح لحمه للطير رزقا * وأنت مع السبايا فى الحبال

﴿قال الاصمعى﴾ ولما سمعت عبلة هذه الابيات ازدادت فرحا ومسرات وأثنت على عنتر ثناء كبيرا وقالت له وحياتك ياابن العم أنا ماسمعت ذلك الامن أخى عمرو فقال لها عنتر أنا ماذاكرت عمارة فى هذا الكلام الا لما أتى جندله زوج الساحرة رسول الملك مسعود لان عمارة أشار على الملك قيس أن يأخذك منى ويعطيك للملك مسعود من فزعه وجبنه وما أسعى الا لاجل جمالك أحل له ولقومه الضيم وهم لو قدروا على لحمى لا كلوه ولو تمكنوا من دمى لشربوه ولكننى أصبر فالصبر نعم الناصر ولكل أول آخر ثم انه أخذ الراحة قدر ساعة واذا بعقرى الوحش قد أتى اليه وقال له ياأبا الفوارس أى شئ هذا القعود عن قتل الملك مسعود ملعون الآباء والجدود ومابقى غير المسير له قبل أن يجمع علينا القبائل ويجد فى قلع آثارنا وخراب ديارنا فقم نحن نسبقه بذلك ونجتهد فى قلع آثاره وخراب دياره مادام قد صحت بيننا وبينه العداوة والاان تهاونا فى أنفسنا جمع علينا هذا القرنان كل فارس وشيطان وكل من فى بلاد اليمن وأخذ ثاره منا وأثار الفتن فقال عنتر والله ياأخى لو كان الامر لى مانزلت عن ظهر الابجر وكنت جديت فى هلاك الملك مسعود وقلعت منه الاثر وانما رأيت أصحابنا قد أصبحوا تعابا وفيهم جماعة جرحى فقلت انفسى امهل عليهم حتى ياخذوا لانفسهم راحة من كرب الكفاح وأسير غداة غد عند الصباح فقال له عقرى الوحش دبر كماترى ولا تمنعن من لاينام عنك أبدا قال فلما مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ركب عنتر فى الرجال الذين يعتمد عليهم عند الحرب وينكشف بهم البلاء والكرب وأرسل استأذن الملك قيس فى المسير الى مياه عراعر وانجاز أمر الملك مسعود بن مصاد قبل أن يجمع علينا القبائل والعشائر وتأتينا قبائل اليمن وتعظم القصة والفتن وأنا ياملك لم أدع هذا القرنان يملك فينا فرصة وياملك أنت واخوتك تريحوا أنفسكم وخاطركم ونحن نبلغكم المقصود ونكفيكم أمر الملك مسعود ولانعود الا بكيد الحسود فقال الملك قيس والله لارضيت أنا لنفسى بالتأخير ولابد ماأبذل المجهود فى لقاء الملك مسعود خائن الايمان والعهود وأنا فى الاول كنت ألوم عنتر على مايقول فى حق هذا القرنان حتى صار لنا هذا الامر عيان ثم انه ركب من وقته وساعته وصاح فى قومه وعشيرته فركبوا وتركوا فى البيوت الربيع بن زياد واخوته وسارت بنو عبس من أول الليل وقد اكثروا من الجنائب والخيل ﴿قال الاصمعى﴾ وكان الملك مسعود منتظرا خاله عقاب أن يعود اليه بسبايا بنى عبس وأموالهم وتحدث عن عبلة بكل حساب ولم يحسب تقلبات الليالى والايام ومازال على هذه الاحكام حتى وصل اليه المنهزمون وهم قوم قدر عشرة أو عشرين وأخبروه عن خاله عقاب وكيف قتله النسر الكاسر أبو الفوارس عنتر قال فلما سمع الملك مسعود هذا الخبر حس أن قلبه قد انفطر وغاب عن الوجود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وقال يابنى عمى ماكان ظنى انى القى من هذه القبيلة هذا الملتقى والا ما كنت ذكرت عشقا ولا غيره

أبدا على انى أنا الذى فرطت فى أمرى بقعودى عنكم والا لو كنت سرت معكم كنت أرحتكم من هذا العبد الاسود الذى طغى وتمرد وفعل بكم هذه الفعال وأهلك الرجال وأفنى الابطال والآن ما بقى غير مسيرى معكم بكل من فى الاحياء والاشمتت بنا الاعداء لان هؤلاء القوم ما يفعلوا عنا لكن لا يغلبونا الا بالمكاثرة وقلة النصفة ما داموا على هذه الصفة فقال رجل من قومه وحق ذمة العرب يا ملك لو سرت الى هؤلاء القوم بكل من فى الارض لقبضوا أرواحهم وأخذوا أموالهم وسلاحهم ما دام فيهم ذلك العبد الاسود والصلد الانكد فلعن الله وجهه الاغلس وأنفه الافطس والصواب انك تجمع فى هذه الليلة كل من فى هذه الارض من القبائل والفرسان والجحافل وتحرسوا أنفسكم قبل ان يدهمكم هذا الاسود وينزل بكم النكد فقال الملك مسعود بن مصاد لابد ما أريك ما أفعل بهؤلاء الاوغاد فان سائر سكان اليمن لاموني على مصادقة هؤلاء الشياطين وعنفوني كيف انى أعطيتهم الذمام ولولا خوفهم منى وهيبتى لكانوا قطعوهم من شهور وأعوام ثم انه أقبل على قومه وقال لهم الرأى عندى انى أنفذ لهؤلاء القبائل وأجمع على هؤلاء القوم كل فارس وراجل ثم انه أنفذ النجابة تعلم ملوك اليمن وسكان الديار والدمن وأيضا أنفذ الى الحلل القريبة منه فما أصبح الصباح الا وحوله سبعة وعشرون ألف فارس من الابطال الصناديد سوى الغلمان والعبيد وكانوا الكل بثياب الحديد ومتقلدين بالزرد النضيد ومعهم الرماح الخطية والسيوف الهندية راكبين على الخيول العربية والجنائب البحرية ولما ان رأى الملك مسعود هذا الجيش الكبير عول على المسير ونشرت على رأسه الاعلام والرايات ودارت من حوله الملوك والسادات وارتفعت الاصوات وأظهر الشجعان النخوات وقويت عزائمها على أخذ الثار وكشف العار وفى تلك الساعة أشرفت بنو عبس وهم مثل السباع الضاريات اذا خرجت من الغابات وطلعت غبراتها الثائرات من وقع حوافر خيولها العربيات ولمعت الصوارم المشرفيات قال ولما وقعت العين على العين وحصل تقابل الفريقين فعندها زادت الاحقاد الكامنة حين تقابل الفريقان وزادت الصرخات وعلت الضجات وكان عنتر فى مقدمة بنى عبس وفى قلبه من الملك مسعود ابن مصاد حرارات وأحقاد ولما ان رآه واقفا تحت الرايات هانت عليه البليات والآفات وصاح مقرى الوحش وحمل فاهتز لحملته السهل والجبل وكذلك فعل عروة بن الورد الليث البطل وفعلت عبيده مثل ما فعل وفى مقدمتها أبو الموت البطل وحمل مقرى الوحش بلا كسل ولا مهل وحمل الفتى الهطال ابن أخت عنتر وحمل نازح فحل الرجال وما قصر وحمل شداد بن قراد أبو عنتر وعمه زخمة الجواد الفتى القسور وحمل مالك أبو عبلة وولده عمرو وحمل عياض بن ناشب وصابر بن عاطب وحمل بنو عبس الشجعان الاطايب وحمل مجير أبو مسيكة صاحب حوران واخوته الشجعان وكامل بنى عبس وعدنان وقد تماسكوا بالاذقان وعلا الغبار الى السهل والجبل وظهر الشجاع البطل وانهل سحاب العذاب ونزل وبطلت الاسباب والحيل ووقعت أسنة الرماح فى الاحداق والمقل ونثرت الجماجم نثر الحرمل وصار للغبار قسطل وذهب الحياء والخجل وضجت نساء الحلل وضرب بالقوم المثل وعمل عنتر ما لا تعمله الجبابرة الاول فلله دره لانه نثر الجماجم من على الابدان نثر الحرمل وأمامه مقرى الوحش يا ما عمل وكذلك عروة بن الورد البطل وكذلك شداد وأخوه مالك وزخمة الجواد فانهم بطحوا الفرسان على المهاد وكان شداد يحمل أمامهم وهم يحمون ظهره ويصيح أنا فارس عصرى وحامى النسوة أفوق على الفرسان بولدى وعنتر يحمل على الفرسان فى الميمنة يقلبها على الميسرة وأما الهطال فكان يسمع له فى الحرب همهمة وزمجرة وأما عنتر فانه كان يضرب فيهم ضرب من له فى الحرب معرفة وخبرة وينثرهم بحسامه خمسة خمسة وعشرة عشرة وأما جواده الابجر فانه كان يلطم الحصان الذى قدامه بحافره وعنتر من فوقه يقاتل ويطلب الملك مسعود بن مصاد الذى جرى من أجله هذا الحرب والعناد ويريد قتله لاجل ما تعرض لابنة عمه وخان العهود والايمان ونقض ما كان بينه وبين قومه من الذمام وكان فارس الشام فى ذلك الوقت عن يمينه يطعن طعنات متداركات يشك بها الاضلاع والكبود وأبو الموت مقدم العبيد عن شماله كانه أسد من الاسود وعروة بن الورد والهطال يحمون

ظهره من الاغتيال الا ان عنتر ما زال يقاتل تحت القتام هو ومن معه من الرجال الكرام حتى فرق المواكب بالحسام وزعق فى الابطال فتنافرت من بين يديه كما تنفر الغنم من الاسد الهجام وما وصل الى الرايات والاعلام حتى أقبلت عليه جيوش الظلام وكان حول الملك مسعود الرجال الذين يعتمد عليهم فى الشدة وهم من بنى كلب بن وبرة وجماعة من بنى كنده وما زالوا يقاتلون عنتر حتى أظلم الظلام واعتكر فعندها نادى المنادى من قبل الملك مسعود بالانفصال فرجعت بنو عبس الى الجبال ومنهم من نزل حول الاعداء من سائر الجوانب وأحاطوا بهم من كل جانب وأما بنو كلب فانهم اجتمعوا للمشورة واتفقوا كلهم على حفظ الحريم والعيال وتحصينهم فى الجبال قبل ان تسبى الجميع عند الصباح ويكثر فينا البكا والنواح لان فرسان هذه القبيلة ما تلتقى ولا سيما هذا العبد الاسود الذى تعرض ملككنا لزوجته وقد أبلانا بشجاعة قبيلته فقال الملك مسعود وقد اشتد عليه مقالهم وعظم عليه وبالهم يا بنى عمى هذا المقال ما ألومكم عليه لان الانسان لا يحمل ما لا يطيق وأنا الابدلى من معادات هذه القبيلة وما بقيت أسكت عنها ولا عن أذيتها وأنتم تعلمون انى أرسلت النجابة الى سائر القبائل والعشائر ولابد ان يقصدوا الينا ويطلبوا معونتنا مع أبطال الحلل وترون الذل بهذه القبيلة قد نزل والرأى عندى انكم تفعلوا ما أشرتم به من تحصين العيال فى الجبال حتى يصبح الصباح وتكونوا جرائد على ظهور الخيل وتجتهدوا فى قتال هؤلاء القوم وما زال مع أصحابه على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوبهم للقتال والحرب والنزال وأخذوا فى رفع أموالهم والعيال فما أصبح الصباح الا والكل متحصنون فى الجبال وأبصر بنو عبس فعالهم فعلموا بحالهم فعندها صاح الملك قيس فى الابطال وقال لهم بادروهم يا بنى الاعمام قبل ان تصل اليهم فرسان القبائل فما تنال منهم طائل لانى أعلم ان الملك مسعودا يجمع علينا كل من فى بلاد اليمن وربما كثر علينا العدد ويرسل الى جبل الغمام من يشغل قلوبنا على الحريم والعيال فقال عنتر لعن الله من يترك الملك مسعود بعد هذا اليوم الى قومه يعود ولو كان معه كل من فى الارض من الفرسان والجنود ثم انه صاح فيمن كان يعتمد عليهم فى قتاله وحمل بنو عبس خلفه وصاحت صيحات أزعجت السهل والجبل ونكس بحملته الاعلام والبنود واشتعلت فى ذلك نيران الوقود حتى عادت الوجوه بعد البياض سود وقاتل عنتر بن شداد وبذل المجهود وقد من الاعداء الجلود وخيم الغبار على رؤسهم مثل الغمام الممدود وتقطعت العلائق والكبود وما كان نصح فى ذلك القتال مع الملك مسعود غير أربع عبيد سود فداروا به فى ذلك اليوم من كل جانب وأظهروا الاهوال والعجائب وكانوا تارة يضربون بالصفاح وتارة يطعنون بالرماح واذا اشتد القتال رشقوا بالسهام فلما رأوا عنتر قاصدا سيدهم زمجروا وتصايحوا عليه وزجوا اليه أربع حراب من حديد فوصلت واحدة الى مقرى الوحش جرحته والثانية قد وقعت فى جواد عروة والثالثة راحت خائبة والرابعة وقعت فى عنتر فسالت دماه بعد ما صطلت فى حديده فلما احس بها عنتر نزعها بعد ان كادت تهلكه ورمى بها وزعق زعقة عظيمة تطير عقل من يسمعها وطعن العبد بها فى صدره مرقت تلمع من ظهره وضرب العبد الثانى بالصماصم على هامته شقه الى نصف قامته وقتل شيبوب العبد الثالث وطعن مقرى الوحش الرابع وكان لاصحابه تابع وأما عروة فانه ركب جوادا غير الذى قتله العبد من الخيول الشاردة وأراد ان يتبع عنتر بن شداد واذا بعنتر قد أدرك الملك مسعود وهاجمه مهاجمة الاسود وضربه بالسيف على صدره طلع يلمع من سلسلة ظهره فمات وعدمه أهله فابصر عروة فعاله فصاح فى رجاله ونبه أبطاله وأجاد فى قتاله ولاح النصر لبنى عبس ففتكت فى أعداها افتك وسفكت فى دماها اسفك وعلمت فرسان مياه عوار بقتل ملكهم الملك مسعود فاقشعرت منهم الجلود وتبادرت وانهزمت تطلب الشعاب وعملت أسنة رماح بنى عبس فى صدورها والاجناب ومددوا أكثرهم على التراب وزعق فيهم البوم والغراب وتصايحت الكواعب والاتراب وعلا البكاء والانتحاب وبطل الطعن والضراب وجمعت بنو عبس الغنائم والاسلاب وقد صار وقت الضباب فعندها قال الملك قيس لبنى عمه عودوا الى الحريم والعيال فان هؤلاء القوم التجوا الى الجبال وما فيهم من ينزل الى الحرب والقتال الى ان تأتى اليهم فرسان القبائل والبلاد الذين

أرسل اليهم مسعود بن مصاد ويكون لنا يوم معهم تشيب فيه الاولاد قال فعندها استصوبت الجماعة رأيه لما يعلموا من تدبيره ومقاله ورجع عنتر فى مقدمة الفرسان وهو فرحان بقتل الملك مسعود وقد بلغ آماله والمقصود وافتقد جراح مقرى الوحش فرأى شيبوب قد شدها وعادت بنو عبس تطلب الجبال وكان الليل قد دخل والامير عنتر أمامهم وهو يترنم فى سرجه وينشد ويقول

بصدر سنان السمهرى المثقف * أطفأت لظى قلبى ونار تلهفى
وقد كان فى قلبى هموم كثيرة * الى ان هوى مسعود من حد يده مرهف
تركت طيور الجو تحجل نحوه * وتقسم فى أعضاه قسمة منصف
بغى فسقاه الله كاسات بغيه * وسر الاله الخلق فى الباغى خفى
حلفت يمينا للذى أنا عاشق * وقلت مقالا صادقا غير مخلفى
بانى أرد الخيل ثم رددتها * تقوم وتكبو وفيها من مثقف
ضيقت أرض الهائلات فاصبحوا * يرون كان الارض دارات أجنبى
فعلت فعالا يومافى مياه مراعر * تشفى لانفسنا ان كانت النفس تشتفى
وخلفت مسعودا طريحا على الثرى * يعض على يديه كالمتأسفى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت بنو عبس من تلك المقالات ولم يزالوا سائرين حتى انجلى الظلام وعند الصباح أشرفوا على جبل الغمام وعلموا بهم العبيد والاما ففرحوا فرحا بالنصر والظفر على الاعداء والتقت النساء بالرجال وتقاسموا الاسلاب والاموال ونزلت الرجال فى الخيام والمضارب وضجت الاقطار من رغى الجمال وصهيل الخيل والجنائب وفرحت الرجال والغلمان بزوال المصائب وصار الملك قيس كلما اجتمع مع وجوه القبيلة وسمعهم يتشاورون على النزول من جبل الغمام ويحكمون فى القيعان والآكام فيقول لهم يا بنى عمى أنا ما أطاوعكم على ذلك حتى أنظر ما يكون من أمر القبائل والفرسان الذين أنفذ اليهم الملك مسعود بن مصاد لانى أعلم ان كل من فى بلاد اليمن يقصدنا ويطالب ثاره منا وما نقدر نحكم فى هذه البلاد حتى نكسر أهلها فى هذه الكرة ونذل رقابها وقد عرفت قدرنا ودخلت تحت أمرنا وكان عنتر اذا سمع ذلك يصدقه فى الكلام ويوعده بالنصر وطيب المقام ﴿قال الراوى﴾ وما مضى على ذلك الأيام قلائل حتى أتت القبائل والجحافل وكان أول من وصل الى جبل الغمام بنو فارق ثم بنى العنقا أصحاب الرماح الخوارق وتتابعت بعدهم القبائل يتلو بعضها البعض وهى تأتى وتنزل وكان بنو عبس عولوا على النزول واذ قد أشرفت عليهم القبائل كما ذكرنا حتى ملات البر والآكام وداروا بهم من كل جانب ومكان حتى صار جبل الغمام كانه مركب فى وسط بحر زخار وضجت بنو عبس واضطربت وخافت مما عاينت وأبصرت فلما نظر الملك قيس الى ذلك قوى قلوب الرجال وقال لهم يا بنى عمى وأهل عشيرتى أما لكم اسوة بى وباخوتى قال ولم يزل الملك قيس على مثل ذلك حتى قويت قلوب الرجال وهانت عليهم الامور الثقال فقال عنتر أيها الملك ان هذا الكلام قد صح وما بقى خلاص من أرض اليمن وهذه المعالم والرسوم ان لم نضرب بالسيف حتى تصيح الجن من تحت التخوم وهل رأيت يا ملك أحدا قبلنا خلد وبقى فى الفلوات ما قتل ولا مات والحرب ما يصعب الاعلى البنات المخدرات والنسوان المحجبات من داخل الستور وربات الخدور لا على من يطعن برمحه فى الصدور ويضرب بسيفه فى النحور لانه ليس يفزع من الموت والنشور وبعد هذا فقلبى يحدثنى بالغلبة والقهر واقبال المسرة والنصر ولو كانوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر أفنيهم بحسامى الضامى الابتر ورمحى الكعوب الاسمر وسوف ترى من عبدك عنتر ما يكتب من بعدى ويسطر قال ففرح الملك قيس بكلامه واستبشر وانشرح صدره بكثرة العسكر ثم ان الملك قيس قبل صدره وشكره واثنى عليه ثم ان بنى عبس تواثبوا من وقتهم فى اصلاح عددهم والسلاح وآلات الحرب والكفاح فبينما هم على مثل ذلك اذ وصلت اليهم فرسان الحلل والقبائل وبرقت أسنة الرماح الذوابل وداروا بجبل الغمام وكان له أربع

جوانب وكل جانب منها منيع عال ما للخيل عليه مجال هذا وبنو عبس قد نزلت الى البر بعدما تاهبت للكر والفر وكانت عند اشرافها معتدة للحرب والكفاح وفى مقدمتها عنتر الفارس الجحجاح وأبوه شداد وأعمامه مالك وزخمة الجواد وطائفة بنى قراد والى جانبه مقرى الوحش وعروة بن الورد وأبو الموت وعبيده الموصوفون بالحرب والقتال والرجال الذين يعتمد عليهم فى الشدائد والنوائب وهم يتحدثون فى كثرة الاعداء وازدحام المواكب ومقرى الوحش يقول والله يا أبا الفوارس ان بارزونا وطلبوا منا الانصاف فرقناهم ولو أنهم على أمثالنا وأضعاف وان عمدوا علينا بهذه المئات والآلاف خشينا على فرسان القبيلة من التلاف والا فنحن نقدر نخلص أنفسنا منهم اذا زاد علينا العدد ونزيد عليهم بقوة الصبر والجلد فقال عنتر وقد تبسم والله يا فارس الشام ما أتركهم يصلون الى فارس من بنى عبس بل أطلبهم بالانجاز وأمر ساداتهم فى البراز وأنا أقسم بالرب القديم رب موسى وابراهيم انى أكون وحدى ولا يكون عندى من أحمل همه ولا يشغل قلبى قدرت أقاتلهم يوم وعشرة ولا أنصرف عنهم حتى املا الارض من قتلاهم على أننا لابد أننا نعجل فناهم ونفرق جمعهم ونقل عددهم ﴿قال الراوى﴾ وكانت سائر الطوائف التى أقبلت قد عولت على النزول والراحة فاصبرت بنو كلب لما فى قلوبهم من الاحقاد على بنى عبس الاجواد لما قتلوا ملكهم مسعود بن مصاد فحملت من كل جانب وهزت القنا والقواضب فالتقاهم من بنى عبس الصبيان أولاد الفرسان الذين نشؤا فى ذلك الزمان لان بنى عبس لما دخلوا فى تلك الدمن كان عدتهم أربعة آلاف فارس فقتل منهم فى هذه الوقعة خمسمائة وأربعين فارس همام وكان الذين نشؤا من أولاد الفرسان خمسمائة وستين من الصبيان الذين تعلموا الضرب والطعان لان عنتر كان هذبهم وعلمهم الضرب والطعن فطلع كل واحد منهم بطلا أمجد وهماما أوحد فاقتتلوا فى ذلك اليوم حول جبل الغمام وفعلوا فعل أولاد الكرام فعندها تزايد عليهم العدد وكثر المدد فلما رأى عنتر الى ذلك حمل هو ومقرى الوحش فارس الشام وحمل أبو الموت البطل الهمام وعروة بن الورد شجاع الزمان وجال كل فارس همام وحمل الابطال الاسد القمقام وحمل أبو عنتر الامير شداد وعمه مالك وأخوه زخمة الجواد ونازح بن أسيد فارس النوائب وعياض بن ناشب وحمل أخوه الملك قيس وورقة والحارث ونوفل الابطال الكواسر فحملوا عليهم وجالوا فيهم واستقبلوهم باسنة رماحهم وبذلوا فيهم صفاحهم وصاروا يلتقطون رماحهم بصدورهم وصالوا على شجعانهم وأظهروا فيهم قريحتهم وصبرهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأبلوهم بالذل والتعثير وأما عنتر فانه ساق الابطال قدامه سوق الجمال وجندل الاقيال واستطال على الرجال وما زالوا فى قتال وصدام حتى أظلم الظلام ورجعت كل طائفة الى مضاربها والخيام ﴿قال الراوى﴾ وفى اليوم الثانى جرى بينهم حرب لا يوصف حتى أيقنت الفرسان بالتلف ودافعت بنو عبس عن حريمها ونفوسها ومانعت فلله در عنتر وما فعل فانه نثر الاعداء نثر الرمل وأغرق سنانه فى نحورهم والمقاتل لانه فى ذلك اليوم حمل فى الجانب الذى سلم اليه فاحماه كما تحمى السباع الاشبال وترك الاعداء مطروحين على الرمال وكان قدامه فى ذلك اليوم ثلاثة طوائف يزيدون عن عشرين ألف فارس وراجل وكان هو فى خمسمائة فارس الا أنهم شجعان الجحافل وكانت هذه الفعال كلها من تدبير الملك قيس لانهم استشاروه فى الليل فى أمر القتال والحرب والنزال فقال الملك قيس يا أبا الفوارس كيف يكون التدبير فى هذا الخلق الكثير لانهم داروا بنا من كل الجهات وقد عولوا أن يقاتلونا الامن ثلاث جهات والرب القديم قد كفانا مؤنة الرابع لانه على كل حال عال مرتفع الجنبات كثير الصخور والاوعار والصواب اننا نحترز على أنفسنا وندبر أمرنا فقال عنتر الرأى عندى يا ملك أن يكون مقرى الوحش وعروة بن الورد فى ألف فارس فى جهة من الثلاث جهات ونازح بن شداد وزخمة الجواد وعمرو وأخو عبلة على الميسرة فى ألف فارس وتكون أنت يا ملك فى القلب فى خمسمائة فارس واقف تحت الرايات والاعلام وأنا يا ملك ألقى القوم فى خمسمائة فارس لا غير فقال له يا أبا الفوارس وتخاطر أنت بهذه القبائل فى الخمسمائة فارس فقال له عنتر نعم أيها الملك وأبدد شملهم وأحيرهم فى أمورهم وان رأيتنى يا ملك قصرت عن الطعن والضرب فاحمل أنت خلفى بالخمسمائة

فارس التي تحت الاعلام حتى نعلم العدا يا ملك أن لنا خيلا مستريحة وأبطالا صريحة وما نحن محتاجين اليها وهذا كله ما يكون أكثر من يومين أو ثلاثة أيام وتنكسر عددهم ويزول طمعهم وبعد ذلك نخرج الى برازهم ونكسر بالذل أنوفهم واعزازهم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك قيس كلامه فرح وجرى من القتال ما جرى وكر عنتر بالخمسمائة فارس على الاعداء وصير أجسادهم أكواما في عرصة البيداء وهدر وزمجر وصار يلتقى الرماح بصدره وأظهر في هذا اليوم جلده وخبره وجال عليهم بشجاعته وبذل فيهم قوته وصولته وساق قدامه الرجال الكرام كأنهم الاغنام وقتل منهم خلقا كثيرا وبلاهم بالذل والتدمير وأكثر القبائل تنظر اليه شذرا وترمقه حذرا وقد أشبعهم طعنا وضربا وملا قلوبهم خوفا ورعبا لانه قبل ما يصل بالابطال قال لاخوته شيبوب وجرير يا كرام عدوني أنتما بالرماح حتى أفرج الملك قيس على الحرب والكفاح ثم انه صار يلتقى بالفرق التي تحمل عليه ويطعن المقدمين منها ويتمطى في كعوب الرمح ويترك الآخر ملقى ويأخذ غيره ويطعن في صدور الرجال طعنا يقطع الآجال ﴿قال الاصمعى﴾ لقد أخبرني من أثق به وأعتمد في الكلام الصدق عليه وهو أني صادق في حديثي هذا ولا قلت الا حقا ولا تكلمت الا صدقا وقال لي يا أصمعي انى كنت في هذه الوقعة حاضرا وناظرا ولقد شاهدت بعيني فرأيت العجائب وقدرويت على قدر جهدي واقتصرت غاية الاقتصار وهو ان عنتر بن شداد ذلك اليوم أظهر في قتاله العجب وكسر اثنين وخمسين رمحا مكعب وكانت الطوائف والسادات في فرسان العرب والقبائل من عرب اليمن اذا رأت تلك الطعنات الهائلات والرماح المتبدلات تعلم سائر القبائل والفرسان المجتمعات لان الذي يطعن بها أوحد الفرسان وفريد العصر والاوان لان الطعنة ما تقع في مقتل وتعمل هذا العمل الا من قلب غير فزعان ﴿قال الراوى﴾ فانفرج عن قلب الملك قيس ذلك اليوم الغم والهم والكرب وتعجب من قتاله واندهل من حربه ونزاله وما فعل من أفعاله وأعماله وقال لمن بقي حوله والله يا بني الاعمام ان الزمان ما بقي ينتج مثل هذا الاسد القسور ولا أقوى منه ولا أعرف بالحرب والقتال في وقت الزحام في المجال ولما رأت فرسان اليمن منه ذلك تجنبته وصارت الخيل تجفل من ضربته وصدمته وتولى من زعقته وانضم بعضها لبعض لما انها تسمع صرخته فترمي أصحابها وتدوس ركابها وأما فرسان اليمن فانها صارت تصيح عليه ولا تجسر تقربه ولا تقف بين يديه فعند ذلك عاد عنتر الى عند الملك قيس وهو يهمهم ويزمجر ويخب في بطون القتلى بجواده الابجر ولما ان عاد الى الملك قيس قال له احفظ أنت هذا المكان بهذه الفوارس الذين معك لانها مستريحة فان الامر قد هان لاني عولت ان أشرف على عروة ومقري الوحش وأعود لان الصياح عندهم عال مرتفع ومرادي أمضي الى نحوهم وأقوي عزمهم ثم انه نزل عن ظهر الابجر وتركه يلوك في لجامه والدماء تقطر من جنبيه وحزامه وركب من بعض خيله الجياد وأخذ أخاه شيبوب بركابه وخب في عرض الصفوف يطلب مقري الوحش وعروة بن الورد ورفقاهم السادة الاجواد هذا والرجال هاربة من بين يديه وما منهم من أحد يلتفت الى أحد ولا يمن عليه وصارت ترمي أرماحها بين الصخور والاحجار ثم انهم يستريحوا من هول المعمعة وهول ذلك اليوم الشديد الغبار ومنهم من ينزل الى بطون الاودية الخوال ومنهم من يتعلق برؤس الجبال مما قاسوا من تلك الوقعة من الاهوال هذا وعنتر طالب مقري الوحش وأقرانه الا انه ما لحق أن يفتل عنانه ولا يتحول من مكانه الا وقد أبصر الامير عمارة الوهاب قد أقبل عليه وهو يهز أردافه وأعطافه وهو راكب على حصان أشقر عال من الخيل مضمر وله بين عينيه غرة تزهر كأنها دائرة القمر وهو محجل الاربع رابي الكفل على ظهره تحائف من الحرير الاصفر وعمارة راكب وقد تخيل له في نفسه انه من دولة الملك كسرى أو قيصر أو ملوك بني الاصفر ولكنه لابس من فوق قماشه ثوبا أحمر ومتقلد برمح أسمر من عمل سمهر ومعه سيف أبتر ثقيل المتن من الفولاذ المجوهر وتحت فخذيه حربة منها تشعل النار وهو يصيح من رأسه عندك قف يا أبا الفوارس حتى انني أكلمك في هذا المكان فعندها شكم عنتر فرسه الى ان أقبل عليه عمارة وقد انقطع نفسه وهو يلهث ويصرخ وفرسه يشخر وينفخ وعنتر من ذلك زادت به الفكر

فقال له يا أبا الفوارس لا تشغل سرك من جهة أصحابك والرفاق عروة بن الورد وفارس النياق فان المكان الذي سلمته اليهم محفوظ ما عليه بأس وأما أنا فقد أشرفت عليهم وكشفت عنهم ما لقيت قدامهم من الاعداء واني رأيتهم في خير كثير وعلى أعدائهم مستظهرين وان زاد عليهم العدد فرقت عليهم النفير ونصرت منهم الكبير والصغير فقف أنت يا أبا الفوارس مكانك ولا تخلي العرب تستصغر واشانك واسلك المكان الذي سلم اليك ولا تخل مثل أخي والملك قيس يعتبون عليك واحفظ حق الملك قيس وقومه وقم بواجب خدمته وارع جانبه واسلك حرمته لان الاعداء من هذا الجانب الذي جئت منه كثير وجمعهم غزير وقف حتى انني أعود أيضا الى مقري الوحش وعروة بن الورد وان كثرت عليهم الاعداء أعنتهم ورددت عنهم العرب الذين طلبتهم رعاية لما بيني وبينهم من القرابة والوداد فعند ذلك قال عنتر يا أمير عمارة يا وهاب لاعدمتك من بين القرابة والاصحاب لانك عزنا وكبيرنا وأنت المشار اليك فينا فلا عدمناك من أمير ومحامي ونصير ثم ان شيخ العرب عمارة بعد كلامه لسيده عنتر أطلق عنان جواده الاعور وجرد سنانه في ذلك البر الاقفر فبينما هو سائر في تلك البراري والاكم اذ وقع بين يديه سرية خيل من عساكر اليمن وكانت قد أقبلت من صوب ديار الملك مسعود بن مصاد وهي تنادي وتريد تعين أصحابها على الحرب والطراد وملاقاة الابطال الشداد فنظروا الى عمارة وهو سائق فرسه ومن شدة الكد والجد كاد أن ينفطر فارادوا أن يسألوه عن عساكر بني عبس وعدنان وما جرى لهم مع فرسان اليمن وما وقع لهم من الحرب والطعان فعند ذلك وقف عمارة وقد أحاط به الهم وأيقن بالذل والخسارة وقال لهم ما خبركم يا وجوه العرب ومن تكونوا من ذوي المفاخر والرتب فعند ذلك نظر اليه رجل منهم لما أن قرب منهم وحاذاهم فعرف انه من بني عبس أعداهم فعند ذلك صرخ الرجل في أصحابه وقال لهم يا فتيان وقعنا من أعدانا بانسان ورأى عليه ثيابا حمراء وخضراء وصفراء مصبغات وهو كأنه طنجير وقد لحقته العاهات والامراض المختلفات فلما ان سمع الفرسان من صاحبهم تلك المقالات أقبلوا عليه في عاجل الحال فتطلع اليه رجل منهم وصرخ وقال يا آل العرب الاجواد هذا يقال له عمارة ابن زياد النواد وله أخ يقال له الربيع بن زياد وقد قتل لي أخا وابن عم أول ما دخلوا هذه البلاد وهذا أخوه وابن أمه وأبوه وعربه وما أتيت من دياري الى ههنا الا من أجله ومن سببه ولا بقيت أسيبه ولا أفارقه من هذا المكان حتى انني أوصله الى غرمائه ليأخذوا بثارهم من هذا القرنان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك تقدموا اليه وأنزلوه عن فرسه من غير حرب ولا قتال لانهم كانوا جمعا كثيرا والفرسان الجياد لا تقاتل عند الغلبة وانهم سلبوه القباء الاحمر وأخذوا من وسطه المنديل الاصفر وقلعوه عمامته من على راسه وضربوه الضرب الوجيع حتى كادوا أن يقطعوا أنفاسه فعند ذلك قالت العرب أصحاب القتلى يا وجوه العرب من حيث أخذتم فرسه وعدته وأخذتم ما عليه من السلب فاطلقوه وخلوه يذهب الى حال سبيله واحسبوا انكم ما وقعتم به ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك دخلوا على بعض العربان فاطلقوه عريان فسار عمارة وهو كيوم ولدته أمه وكان الليل قد أقبل والنهار قد ولى وارتحل فجعل يمشي تارة ويقعد تارة ويرقد تارة وصار يسب الزمان كيف أوقعه في هذا الذل والهوان والمشقة والحرمان وبقي في تلك القضية حيران فزعان ورعاية نظره أحد من بني عبس وعدنان على تلك الحالة وهو عريان خصوصا اذا نظره عنتر بن شداد وبنو قراد وهو ذليل حيران بردان جيعان فزعان اذ وقع في فريق عربان فتنابحت عليه الكلاب من كل جانب ومكان ودارت من خلفه ومن بين يديه يخمشونه بأظافيرهم حتى سال الدم من سائر جسده وانسلخ من كثرة الخمش في ذراعيه وركبه فعند ذلك انتبهت الخلائق على حس الكلاب وأتى اليه العبيد من كل جانب ومكان ومسكوه وداروا حواليه وبهتوا فيه وتأملوه طويلا فنظروا الى انسان أغبر عريان مكشوف الراس بادي الحواس وقد سال من منخريه المخاط وعلى أكتافه وأجنابه آثار الضرب بالسياط وسائر جسده مخدوش من نهش الكلاب فمسكه العبيد والاحرار الانجاب وعملوا في رقبته حبلا طويلا طوله عشرين ذراع وقالوا هذا والله السلال الذي كان يدور حول مضاربنا

والخيام ويحرمنا كل ليلة أن ننام ويريد يسرق خيلنا والمتاع ثم انهم كتفوا يديه من خلفه وأتوا به الى عند مضاربهم والخيام وقد فعلوا في حقه ما لا يرام وقدموه الى بين يدي مقدم القبيلة وقالوا له يا مولانا وقعنا بهذا الرجل في هذه الليلة ونظن انه من سلالي الخيل الذي أحرم العرب أن تنام ان كان في النهار أو في الليل وها هو يا ملك قد أتينا به اليك وقدمناه بين يديك فافعل به ما تشاء وما تريد واحكم فيه حكم الموالي على العبيد فقال له ويلك يا شيطان أين الجواد الذي سرقته البارحة من هذه الابيات وانك قد أتعبتنا وأتعبت خيلنا خلفك في البراري الواسعة القيعان وأهلكت خيولنا من الطرد والجري وذمة العرب ان لم تأتنا بالجواد الذي سرقته البارحة من هذه الابيات والا صلبناك على قرون الجمال بعدما نذيقك أنواع العذاب والنكال فعندها قال عمارة والله يا موالي أنا ما أنا سلال ولا حرامي محتال بل انني أنا أمير من أمراء العربان ولكن غدر بي الزمان وخانني زماني بالذل والحرمان وأهانني وأذاقني النكال فقال له مقدم السرية تكذب يا شيطان يا كلب يا قواد يا مهان بل أنت كل ليلة تدور حول مضاربنا والخيام وتستغفل عبيدنا لما يغرقوا في المنام وتسل خيلنا في غسق الظلام وتبيعهم بأبخس الاثمان يا ميشوم يا قرنان يا ابن ألف قرنان ثم انه أمر به أن يبطحوه على وجهه فبطحوه وأمرهم أن يضربوه فعند ذلك شبحوه بأربع سكك حديد وسحبوه حتى ظن كل أحد منهم أنه هلك من الضرب الشديد ونزل عليه عبدان شديدان يضربوه وعمارة يستغيث فلا يغاث ويقول ارحموني يا وجوه العرب السادات والله ما أنا سلال ولا محتال وما أنا الا من أكابر السادات ولا تقال في حق هذه المقالات فلم يرق له أحد منهم بحال من الاحوال ولم يزالوا يضربوه حتى ان عمارة نكت حسه وهد أنفسه ويتبدل عليه الغلمان الى أن حن عليه النسوان وزجروهم فاجتمع جماعة من النسوان ودخلوا على القبيلة وصاحوا بأعلا لسان والله ان هذا المسكين ما هو وجه سلال ولا حرامي محتال وهذا ما هو الا وجه مطنجر مؤنث مدلول من أنذال الرجال اما تنظر الى فعله وما يبديه من المقال وما هو الا قد غدر به الزمان فاطلقه يا مولانا لأجل العزيز الديان الرحيم الرحمن ﴿قال الراوي﴾ فقال لهم سيد القبيلة أكرمته لكم أيها النسوان وأعتقته من القتل والهوان ولكن ما أطلقه حتى آمر هؤلاء العبيد ينادون عليه ويجرسوه بين هؤلاء العربان وأشهره وأتوبه أن لا يعود الى هذا المكان ثم انه أمر بتجريسه فأخذه العبيد والغلمان ووضعوا في رقبته حبلا طويلا وصاروا يشحطوه بذلك الحبل الذي في رقبته ويدوروا به من مكان الى مكان وينادوا عليه وهو مما جرى عليه في ذل وقد قل منه القوى والحيل وهم يقولون هذا جزاه وأقل من جزاه فهذا الذي يسرق الخيل في ظلام الليل ويمشي بين المضارب والخيام وما زال العبيد به بين المضارب والخيام والابيات وهو يستغيث فلا يغاث وحل به التعس والنكس حتى قربتهم المقادير الى خيام بني عبس فلاحت من عمارة التفاتة فرأى عنتر ابن شداد وهو واقف بين يدي الملك قيس يحرس الفرسان ويحرضهم على القتال والحرب والجلاد فصاح عليه عمارة من شدة الفرح لما أن أبصر قومه وعنتر وقال يا ابن العم ويا كاشف عنا الكرب والهم ادركني ومما أنا فيه خلصني لانه لم يكن لنا أحد يخلصنا الا أنت يا سيد العرب فانا عمارة بن زياد وقد صار لي شيء كان أصعب علي من القتل والنكاد اغثني يا سيد الفرسان والا حل بي القتل والهوان وكان أخوه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد مع الملك قيس وهو يحدثه بفقد عمارة الوهاب وعنتر يوعد الربيع ويقول له عند الصباح تكشف خبره وفي هذا الوقت التفت عنتر لينظر من الذي يصيح واذا به رأى صياح العبيد عالي وعياطهم متلالي ونظر الى رجل وفي رقبته حبل طويل وأدميته من سائر جسده تسيل وهو قد أشرف على الهلاك والوبال فعند ذلك تأمل الربيع زياد فرآه عمارة أخاه القواد وهو على تلك الحالات فعندها تقدم الى عنتر بن شداد وقال له يا ابن العم ويا كاشف عنا وعن قومك الهم والغم هذا أخي عمارة فادركه قبل أن تحل به الخسارة فلما رأى عنتر عمارة في هذه الخسارة سر قلبه والفؤاد وشفي من عمارة القواد لكن أظهر خلاف ما عنده وصاح واحرباه عليك يا وهاب ثم ان عنتر سل سيفه الضامي الابتر وهوى به على العبيد فتهاربت من بين يديه وقد احترقت مهجته عليه وقد أسبلت دمعته وتقدم اليه نشف دماه وسأله عن الهم الذي اعتراه

فقال له يا أبا الفوارس ما هو الا أني رددتك عما كنت تريد تفعل وعن رواحك الى عروة بن الورد فارس النياق وسرت أنا اليوم أفتقدهم وبعثتك لهم أعلمهم فوقع بي هؤلاء الانذال الكلاب ووقع لي معهم ما لم يكن لي في الحساب من الاهانة والعذاب ولولا وقعت بي أنت في هذا المكان لكان وقع بي الذل والهوان فقال له عنتر أنا قلت لك مرارا لا تسر اليهم ولا تقدم عليهم لان جميع الاوقات ما يخلص الانسان فيها من الآفات لان الاعداء في هذه الارض كثيرة ثم ان عنتر سار بعمارة الى مضاربه والخيام وأوصى عليه العبيد والخدام وبعد ذلك سار يطلب مقري الوحش وعروة بن الورد وهو يضرب بحسامه في المناكب والمواكب الا انه ما وصل اليهم حتى ملأ الارض من القتلى وتركهم عجبا وأشرف على القوم فوجدهم في أعظم الحرب ومقري الوحش يفرقهم يمينا وشمالا فصاح به عنتر أحسنت يا فارس الشام اخطف لي أرواح هؤلاء اللئام فلما سمع مقري الوحش كلامه زاد في قتاله وصدامه وحمل عنتر بن شداد وكشف عنهم الرجال وما خلاهم الا على غاية الاستظهار وعاد الى الملك قيس فوجده قد حمل بنفسه وترك موضعه عمه السيد وبعض اخوته وكان الملك قيس فارس مذكور وبطل مشهور وليث جسور وعلى النوائب صبور يحمي جانبه بهمته وزعزع المواكب بحملته وصولته وهو ينادي بأعلا صوته يا آل عبس يا آل عدنان أنا قيس بن زهير صاحب النصر وما زال كذلك حتى أتى اليه عنتر وسمعت القبائل زعقته فتهاربت من بين يديه وقد قاتل الفارس الهمام الغضنفر الى أن أقبل الظلام وهجم الليل على سائر الانام وانكفت الطوائف عن بعضها البعض بعد أن تكاومت القتلى في جوانب الارض ورجعت وهي تصف ما رأت من عنتر ومن حملاته وزعقاته وصرخاته في الحرب وهماته ويتعجبون من صبره ويقولون هؤلاء ما يعمل فيهم الا الكثرة وقلة النصفة ولو لم تكن هذه الفعال فعالهم ما كانوا غادروا مثل الملك النعمان وما كانوا قدروا أن يدخلوا بلاد اليمن ويفعلوا هذه الفعال لانهم فعلوا ببني حريقة أفعالا قبيحة وقتلوا فارسهم الاخيل بن عمرو وفتكوا في أرض المصانع وخانوا معاوية ابن النزال وقتلوه وأوصلوا اليه القتل والخذلان وفعلوا كثيرا من تلك الافعال وأضيق المسالك والمصانع حازوها وعقبة الفاروق وفتكوا ببني القين وبني فهد وقتلوا فارسهم عمرو بن ضمره وسمواز وجنته زهره وقتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب مياه عراعر وشتتوا بني كلاب بن وبره ونزلوا في جبل الغمام وها أنتم في هذه الايام نظرتم أفعالهم وقتالهم وكيف سبوا تلك القبائل وساقوا نوقها وجمالها فقال عمرو بن نفيل يا وجوه العرب الكرام ذكركم الذي ذكره سيد قضاة الزمان السيد عبد المطلب بن هاشم سيد أهل مكة والصفا وهو خير من على الارض مشى وقد أنشد فيهم هذه الابيات

قوم ضياء البشر في أبصارهم * يحكي شعاع الشمس في الاشراق * دلت على أسلافهم أخلاقهم
وكذا الفروع زكية الاخلاق * ان سئلوا فعطاهم سيل وان * سئلوا الجواب فافصح النطاق
واذا العدو أتاهم فرماحهم * رسل المنون تشك للاعناق * قوم تلاقي المرهفات صدورها
في يوم معمعة ويوم سباق * لا يخشون من الجراح لانهم * ساروا في الورى بالفضل والاشراق

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الحاضرون منه ذلك الكلام تكلم منهم شيخ شجاع يقال له ابن دفاع وقال يا عمرو ومتى سمعت السيد عبد المطلب قال في حق بني عبس هذا المقال قال يا ابن العم قاله عند عودته من أرضهم حين أصلح بينهم وبين بني فزارة فلما سمعت فرسان القبائل وحماة العشائر هذا الكلام داخلها الحسد لبني عبس حتى كادت أن تنفطر مرائرهم والكبود وفيهم من قال ما جهد بني عبس وما تفعل واليوم بذلوا كل المجهود وفيهم من بات لا يقدر يرفع يده ولا يعود ﴿قال الراوي﴾ الا أن بني عبس قد عادت مفللة الصوارم من وقع المرهفات على الجماجم لكن قد بات فيهم النقص لأجل قلتهم الا أن الجراح كانت فيهم قليل وما نظرنا رجلا منهم قتيلا ولا ذليل وذلك لعظم شجاعتهم ومع ذلك جعلوا يعللون أنفسهم بالنصر ويحدثونها بالغلبة والقهر ولما جن الليل واعتكر الظلام أخذوا الراحة للمنام بعد أن أكلوا شيئا من الطعام وبعد ذلك جمعهم الملك للمشورة فقال عنتر يا بني عمي أما هذا الجمع الذي اجتمع فنحن نقدر عليه ونطلبه بالرماح والنصول لان

أكثرهم ما أتوا الا لنهب الاموال والخيول وان هلا كنا صعب على من يطلبه وليس لهم اليه وصول فقال الملك
قيس والله يابنى الاعمام مافينا الامن يقاتل حتى يبقى مطروح ويضرب بالسيف حتى يبقى جسدا بلا
روح اما انت فو زبالمحامد وانه انصير فى بطون اللحايد فقال عنتر يامولاى ان من دون ذلك عبدك عنتر
يحمل عنك الاثقال والمهالك وحق من تعالى واحتجب وأضاء بقدرته النهار وأظلم الغيهب وبحق النبى
الذى يبعث فى آخر الزمان الذى يظهر بين زمزم والمقام سيد العرب والعجم وأفضل من مشى على ساق
وقدم انى قادر أخوض أوّل المعمعة وآخرها ونحن اليوم أسرنا أبطالهم وكسرناهم ومحقنا ساداتهم لان كلما
قتل من العشيرة واحد أتألم لفقده وأبذل المجهود باطراف القنا حتى آخذ ثاره ولو انى أصير قتيل من بعده
فقال عروة بن الورد ماتقول انه ابعدها نرجع الى أرض الشربة والعلم السعدى لان عرب اليمن جميعها تقصد
الينا وتجتمع بجمعها علينا وتجمع علينا الجموع لانها الينا متتابعة مثل العيون النابعة ونحن مانسلم
أرواحنا الا لاسنة رماحنا فى أيدينا وشفار صفاحنا ونحن قادرون على هلاك أعدانا وأنا والله مابى غم
الا من شماتة الاعداء لان أخبارنا تصل الى أرض الحجاز وتشمت بنا بنى فزارة لانهم من جملة الاضداد والحساد
ثم انه بكى على أخته سلمى التى كان يسميها أم حسان ويعرض فى شعره باسمها فضحك عنتر من كلامه وعظم
عليه مرامه وقال له ويلك يا أبا الابيض اذا كان هذا حالك وأنت الآن مستظهر فكيف يكون حالك اذا أبصرت
عين الغلبة والقهر فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس اذا كان حال عروة وبكاه على أخته سلمى وماهى ههنا
حاضره معه فكيف حالنا نحن اذا رأينا عيلتنا ومسيكة مسبيات مع الاعداء يساقان بجملة العبيد والنسوان
والبنات وأنا الابدلى فى غداة غد عند الصباح أننى أنوى الخروج الى الميدان وأبارز الابطال والشجعان
واذا قتلت أنا تحت الغبار أكون قد أنفذت لنفسى بالثار ثم انه قام يطلب مضاربه والخيام فقال عنتر
وأراد أن ينشرح مع مقرى الوحش حيث انه رآه فزع من عرب اليمن وقال هذا المقال فقال الى أين يا فارس
الشام أما تتولى الحرس معى فى هذا الظلام فقال لا والله يا أبا الفوارس أنا الليلة ما أنا رفيقك فى الحرس وأنا
أريد أشبع من زوجتى مسيكة وولدى سبيع اليمن وكان مقرى الوحش رزق بهذا الولد فى بلاد اليمن
وسماه بهذا الاسم الحسن وقال لان عروة بن الورد قد قطع ظهرى بحزنه وان عشت الى الصباح بدلت أتراحه
بافراح قال فلما سمع عروة ذلك علم انهم قد احتقروه لما سمعوا كلامه وفزعه فاقسم بيمين العرب الصعبة
أنه لا يحرس الناس تلك الليلة الا هو وحده ولا يتبعه الا رفقته ثم نزلوا الى ذيل الجبل واعتقلوا بالرماح بعد ماقال
لعنتر ودع أنت الآخر اهبلة يا أبا الفوارس فانا نوب عنك الى الصباح فتبسم عنتر من كلامه وعلم ان الفزع غير
حاله لكنه رجع عن شان ايمانه وعروة أخذ اصحابه ونزل بهم الى اسفل العقبه خوفا من الاهل والاقرباء هذا
وعروة جعل ينظر الى ناحية أرض الحجاز والعراق وهو يهيم الى أخته سلمى ويحن اشتياقا ويتحسر على فراقها
ويعلل قلبه بارياح الصبا ويبردها على نيران الصبابة والجوى ويشير الى البرق اذا لاح او اضاء وهو مع ذلك ينشد
ويقول

اذا هبت الارياح من علم السعدى * طفى بردها حر الصبابة والوجدى
واذا لاح ضوء البرق من أرض عالج * ذكرت به ربها على العلم السعدى
فبالله ياريح الحجاز تحملى * رسالة مشتاق يحن الى نجدى
وهى على تلك المعالم واخبرى * لساكنها انى مقيم على العهدى
وان سألت عنى سلمى وتربها * فقرلى غريب يشكو من البعدى
ومن حوله جيش اذا ماج بحره * أثار غبارا بالمثقفة الجردى
وعند ضياء الفجر تنهبه العدا * بعزم شديد البأس كالحجر الصلدى
وأطعن بالخطى حتى يخوننى * سنانى وتجرى الصافنات على خدى
وتسمع عنى أم حسان اننى * قتلت مع الاشراف بالصارم الهندى
فتندبنى فى كل غاد ورائح * وتبكى على حال الصعاليك من بعدى

ألا أيها البرق اليمانى الانجلى * أذقتنى نارا حرها زائد الوقدى
وقد بت أشكو ما الاقى من الهوى * اليك واخفى فى الحشا ضعف ما أبدى
وعند بنى عمرو من الضعف والاسا * ومن نائبات الدهر غير الذى عندى
ونحن جميعا قد ايسنا من اللقا * ولكن أنا المشتاق من دونهم وحدى

(قال الراوى) ومازال عروة على مثل ذلك حتى بدت غرة الصباح وتحدرت اليه الفرسان من العشيرة من سائر
البطاح وكان مقرى الوحش قد نزل ذلك اليوم الى جانب عنتر وهو يقول له ان رأيت القوم قد أجابونا الى
البراز فانا أنوب عنك يا أبا الفوارس فقال عنتر وان لم يجيبوا ارجع أنت يا فارس الشام الى أصحابك الذى كانوا
يقاتلون معك أمس واحفظ الميمنة كما قد حفظتها بالامس ولما سار عنتر عند عروة بن الورد قال له ارجع يا أبا
الابيض وخذ لك راحة من تعب الليل والسهر فى هذه الارض والجبال ودعنا نطلب من هؤلاء القوم النزال
ونكفى أصحابنا شرهم فيهون علينا أمرهم ثم رتب الشجعان وصف الفرسان وكانت القبائل قد ثارت
وطاعت غبراتها واجتمعت مقدمة الخيل لانهم قد تواتحدثوا بفعل عنتر وفعال بنى عبس وفعال فارس الشام
وهم يتنادمون بذكر هؤلاء الاقيال وأصبح مقدموا اليمن والشجعان يطلبوا براز عنتر وفيهم من يطلب
الفرجة على قتاله مع الفرسان لانه قد صار حديثه مع القوم بعد ان انفصلوا عن القتال واجتمعوا للمشورة
فى ذلك المكان وصار وايصفون شجاعته وقوته وبراعته فقال مقدموا العساكر وقادات الجحافل يابنو الاعمام
لا كلام حتى يذهب الظلام ونبارز هذا العبد ونجرب رواحنا معه فى الصدام فهذا كان الاصل فى عدم حملتهم
وكان هذا من سعادة بنى عبس وعنتر وأتاهم الامر كما يريدون ولما علم عنتر بحالهم والطوائف كلهم مقصرة
عن الحملة فرح بذلك الحال وأراد أن يخرج ويطلب البراز والمجال لانه علم مافى قلوب الاعداء واذا
بمقرى الوحش قد خرج على حجرته وهو غائص فى سرجه وعدته متقلد بلامته متقل بعمامته على رأسه
خوذة وبين كتفيه درقة قدام القبائل من العرب ونادى باعلى صوته وقال ياسادات اليمن وأصحاب المعاهد
والدمن أنتم سكان الارض وأهل هذه الديار على كل حال ولكم المنازل العالية فى الفروسية والاقتدار ونحن
قوم قليلين الانصار وعلى قلة عددنا نحن أقوى منكم فى الحرب والبراز ولا تفتخر الفرسان الكرام الا بالبراز
والانصاف فى مقام الحرب والطراد وها أنا من فرسان بنى عبس وعدنان فالبراز الينا ياساداتكم فنحن
قصدنا الانجاز ونحقن دماء قومنا وقومكم وبالامس قد رأيتم قتالنا وأبصرتم أعمالنا وكيف هزمناكم
جملة وأنتم ترونا بعين القلة مع اننا نقول نحن أفرس منكم وأقوى جلدوا كثر عددلان أضعف فرساننا تلق
ألفا ألفا وشجعاننا تلقا كم صفاصفا وان أردتم الحملة بالجملة فعلينا اثارة الفتنة فانى كفؤ لجمعكم ولى قلب يلاقيكم
كلكم ويفنيكم باسركم وأنا الابدلى من قتالكم ونهب أموالكم وسلب أرواحكم ان رحلتم أو اقمتم ثم انه أوسع
فى مجاله وتذكر أوطانه ومحبوبته مسيكة فانشد وقال هذه الابيات

مسيكة قبل بينك ودعينا * ومنى بالوداع وزوّدينا * وان جد الفراق وكان حتما
وجاء البين فينا فانديبنا * وان مر النسيم عليك يوما * وذكرك المنازل فاذكرينا
ربوعا فى الشام لنا قفار * بما كانت تسر الناظرينا * كثيرات الظلال عذاب ماء
أنيسات أنيقات الفنونا * تركناها المكان سوانا * ورحنا نحو قوم آخرينا
أناس أنزلونا فى محل * من العليا الاعلى الطالبينا * رأينا كل ليث قسورى
ولكن مثل عنتر ما رأينا * اسود عليه السمر العوالى * وأسياف تقد الدار عينا
سكنا فى القفار بكل أرض * يبيت دليلها فيها حزينا * فقرى يامسيكة واطمئنى
ولا تخشى من الاعداء علينا * فنحن القاصدون اذا قصدنا * ونحن الغالبون اذا التقينا
ونحن العادلون اذا حكمنا * ونحن المنصفون اذا قضينا * ونحن الشاربون الماء صفوا
وشرب غيرنا كدرا وطينا * ملأنا سائر الاقطار خوفا * وبتنا نحن فيها آمنينا

تطيع أكفنا سمر العوالي * وعنتر سيد الفرسان فينا
همام كلما كثر الاعادي * رأيناه لنا حصنا حصينا

(قال الراوي) ولما فرغ مقري الوحش من كلامه وشعره ونظامه ترنحت بنو عبس لنظمه فعند ذلك قصد أبطال اليمن والفرسان فازدحمت عليه الابطال والشجعان وتقدمت اليه سائر القبائل وقصدته بالرماح الذوابل وكانوا أكثر من مائتي فارس ولما رأوا كثرتهم استحيوا من البغي والكثرة والاسراف فتراجعوا وطلبوا معه العدل والانصاف ثم خرج اليه فارس من بين الصفوف وكان من عرب يقال لهم بنو بارق وبيده رمح خارق ومقلد بسيف ماحق وكان يقال له وارق بن طارق ثم انه جال وصال وأنشد وقال

توقف لا تسرع البغي علينا * ودونك والمجال اذا التقينا
وانظر من أتاك وكن حذورا * ولا تك من رجال أرذلينا
وكن من السادة الغر العوالي * ذوي الاحسان ثم الانسبينا
ستلقى اليوم في حربنا كل بأس * تصير له الجبابرة أضعفينا
وتبقى في الفلاة رهين رمس * عفير الخد مخضوب الجبينا
لاني وارق بطل مسمى * وطارق عمرو ابن الامجدينا
علوت على الانام بعظم مجد * شريف فائق للعالمينا

(قال الراوي) فلما فرغ من شعره وانشاده صبر عليه مقري الوحش حتى هدأ شعث الحصان وتم جولانه وكان راكبا على جواد أبيض ما به علة ولا مرض يبلغ صاحبه عليه ما يريد وهو أبيض قرطاسي كما قال فيه الشاعر اللبيب هذه الابيات

وطرف مثل رجع البرق جريا * يسابق في مجاريه الظلالا
شددت له حزام الحزم لما * حللت الى الوغا منه الشكالا
تضيق عنه صدور الارض جريا * فيوسع في السماء له مجالا
فما أسرجته الاهلالا * وما حللته الا حلالا

(قال الراوي) وكان معه رمح خارق كما قال فيه الشاعر

أصم رديني كان كعوبه * أنابيب فولاذ تحاكي الكواكبا
عليه سنان كالصباح كانه * شجاع تبدى السنا وعقاربا

(قال الراوي) الا أن وارق بن طارق لما جال مع مقري الوحش ما دام معه أكثر من ساعة حتى اختبره وعلم ما هو عليه من الفروسية والشجاعة ثم قاربه مقري الوحش وكزه بعقب الرمح قلبه وهو غير مكترث به فتعجبت الابطال من ذلك الطعن والثبات وقصده فارس ثان يسمى وثاب بن ناهض وكان يكنى بابي باغض فصاح فيه وحاربه وقاربه ولما أن رآه مقري الوحش مستيقظا للحرب محترزا من الطعن والضرب طلب معه الانجاز في البراز دهمه وأوهمه أنه يطعنه وعلق الرمح في يده حتى لاصقه ومد يده الى أزياقه وقبض على جلباب درعه وجذبه ورجله وحيره وأذهله وسلمه الى أخيه فشده كتاف قوي منه السواعد والاطراف لانه كان خلفه حذرا عليه ولما ان رأى الفرسان تتواثب اليه وتتقدم عليه وكان من الفرسان الاجواد الا أن الفرسان ما أنصفت مقري الوحش في ساحة الطراد الا بقدر ما أخذ منها عشرين فارسا أمجاد وبعد ذلك تكاثروا عليه لما رأوا أفعاله وعظيم قتاله وصاروا يحملون عليه من العشرة الى العشرين وأكثر من ذلك فابصر هو قلة انصافهم فاعتمد على تلافهم وصار لا يأخذ فارسا أسيرا حتى يقتل عشرة أو عشرين (قال الراوي) وما انتصف النهار حتى قتل مائة فارس كرار وأسر سبعين يا أخيار فوقفت عنه الرجال لما أبصروا منه هذا القتال والافعال ورأوا القتلى مطروحين يمينا وشمال وهم في عرصات المجال ففرح عنتر بفعاله وقربه منه غاية التقريب وقال والله ما خلق مقري الوحش الا للبراز وطعن الرمح العسال ولو كان قتاله في ازدحام المواكب والكتائب مثل طعنه وقتاله في البراز والمجال ما كان له مثال (قال الراوي) وقد ذكرنا في مقري الوحش من الفروسية وكم قهر في أرض الشام من فرسان النصرانية وأخبرنا بما جرى له لما وصل

الى الملك النعمان وكيف سار الى بني عبس وعدنان قال وزادت فروسيته وزاد عزمه في الحرب والجلاد أضعاف ما كان عليه في تلك البلاد من حين صاحب عنتر بن شداد الا أنه لما قتل ذلك اليوم قدام عنتر واستظهر في المجال وسطا عليهم بالخبرة والنزال وأبصر فعله الرجال والت من قدامه ووقفت عن قتاله وعن صدامه رجع غير جواده وغاص في عدة جلاده وحمل بين صفوف القبائل والحلل وكانت قبائل تلك الحلل عليه حنقه وكذلك فرسان أهل اليمن على قتله وهلاكه متفقه فحملت عليه الكتائب وتطابقت اليه المواكب وطلبته الابطال من كل جانب فصاح وبربر وحمل وزمجر ولحق بالعساكر على الاثر وطلب عنتر الفرقة التي طلبت مقري الوحش لان عنتر رأى قلة انصافهم فخاف على مقري الوحش وحمل وزعق زعقة دوى لها السهل والجبل وحمل عروة بن الورد البطل الامجد في رجاله الكرام وكذلك أبو الموت بعده حمل وسودانه تبعوه في العمل وحمل الفتى الهطال ابن أخت عنتر البطل القسوز وحمل نازح بن أسيد عم الملك قيس فحل الرجال وبذلوا القنا والصفاح وحمل عياض بن ناشب وجلاح بن ثابت وشداد بن قراد وأخوه مالك وزخمة الجواد وحملت بنو قراد من خوفهم على عنتر سيد الفرسان وحملت بنو زهير يقدمهم الحارث معدن الجود والخير وحمل بنو زياد مع اخوة الربيع الاجواد وتتابعت بنو عبس مثل البحر السائح ولمعت الاسنة اللوامح والسيوف اللوافح وصاح في القوم بالهلاك صائح وما اتقت نداء النائح ولا صياح الصائح ولم تسمع الجهال مقال الناصح وبان برق الموت لائح وتكردست فيه القتلى فصار وامثل الذبائح وبطل في هذا اليوم نصح الناصح وبان النصر ولاح وعلم السعادة قد مد لبني عبس جناح فلله در عنتر الاسد الاغبر الفارس الغضنفر فانه ساق الاعداء قدامه سوق البقر ونثرهم كما تنثر أوراق الشجر وبذل فيهم الصفاحي الابتر وهو يصيح صيحات تفلق الحجر وتحول البصر وكان القتال قد اشتد في القلب وعظم الكرب وهان كل صعب وزاد البلاء على الاطراف وعظم الفزع والمخاف واشتد البلاء والكرب وقطع الصارم العضب وعظم البلاء والمخاف وزاد الهلع في الارجاف وجرى بين القوم ساعة يا لها كانت ساعة من ساعات التلاف وطارت جماجهم أحقاف وابست الخيل من دماهم أخفاف وقد كان عنتر خرق الصفوف وشتت الكتائب وطحطح الالباب والمواكب ونثر الرجال عن المواكب ومازال بحصانه جائل الى أن أدرك مقري الوحش فرآه قد قتل جواده باسنة الرماح الذوابل وهو واقف على قدميه يدافع عن نفسه ويمانع ويحامي عن روحه ويقاتل وقد أحاطت به أبطال الحلل والقبائل وصاروا حواليه مواكب وجحافل فصاح عنتر ونادى واحرباه عليك هلك والله فارس النياق ولم أدركه اذ نهبته الاعداء بالسيوف الرقاق ثم انه طعن في ذلك الجمع فتفرقت الجيوش والجحافل من حوله ومزقهم وتهاربت الفرسان لما رأت طعناته خارقة فتخلت عن مقري الوحش كل الفرسان ونادى من وقته بجواد فركبه وعاد معه يمانع عن من يطلبه ومازال السيف يعمل حتى تقضى أكثر النهار وأدرك الناس الظلام فافترقوا عن ضرب الحسام وكان عنتر قد أوصى فرسان بني عبس بأخذ الاسارى فعادوا ومعهم أوفى من مائتين وكان بنو عبس على قلة عددهم انتصروا على تلك الخلائق الكثيرة ولما صاروا في جبل الغمام شدوا الاسارى في بعضهم البعض وكلوا بهم العبيد وقال عنتر لعروة بن الورد طاب قلبك واندفع عنك الهم والمرض ابشر بالنصر والامان واجتماعك باختك سلمى أم حسان فقال عروة ابن الورد ما دمت تعيش لي وتبقى ما أرى بؤسا ولا شقا فقال له عنتر والله يا عروة ما قصر مقري الوحش فارس النياق لانه أسر في الميدان من كبار فرسان اليمن جماغزير وعند الصباح أخرج أنا الى الميدان وقد تيسر الامر وهان فقال مقري الوحش ان فعلت ما فعلت وكان على يديك خلاصي ولولا ما كنت رأيت أنا فرجا من قناصي فقال الملك قيس والله يا بني عمي ومن بهم يزول همي وغمي لقد كنا في غنى عن ذلك وعن هذا التعب والعنا ولو كنا علمنا اننا نلاقي هذا الملتقى أو كنا حازمين في رأينا ما كنا برحنا من أرضنا لان الملك النعمان ما كان ينفذ الينا أكثر من هذه القبائل بعد قتل أولاد بدر ولا ينالون منا طائل وربما كانت أختي المتجردة مالت بعلها في اصلاح حالنا اذا اطلعت على أحوالنا وأطلعته على طول المدا وكنا استرحنا نحن وقومنا من

هذا الامر المهول فقال له عنتر يا ملك هذا الامر ما يفوتك اذا عولت عليه لان الليلة باتت عندنا أسارى نخلص بهم أنفسنا ونرجع الى بلاد الحجاز وعند الصباح آتيك بمثلهم فقال الملك قيس هذا أمر قد فات لاننا صرنا فى هذه الفلوات وما يصلح لنا عودة الا ان كان يأتينا من عند أخى خبر لانى أعلم أنه لا يصلح أمرنا مع بعلها غيرها وترسل خلفنا رسولا يخرجنا من هذه الديار والبرارى والطلول والا فاين الشربة والعلم السعدى وأين أرض اليمن ومياه عراعر وكم جهد ما نلتقى من القبائل والعشائر لاننا أول دخولنا هذه البلاد كنا جاهلين وكانوا أهلها عنا غافلين والآن قد أصبح كل من فى بلاد اليمن لنا عدوا ولا بد لنا من بذل المجهود فى الاعداء ثم انهم باتوا على مثل ذلك وباتت القبائل تموج حولهم وهم يقولون وحق اللات والعزى ما كان صواب برازأصحابنا لهؤلاء الكلاب وما فى الامر الا اننا نكاثرهم عند الصباح بالراجل والفارس ونضيق عليهم غاية الضيق فقال رجل منهم يقال له سهل بن السلال يا بنى عمى ايش هذا الحال والمقال من أين آدمى فى الارض يقتل ولا يموت الا أن يكون جنى فقال رجل آخر وكان شيخا كبيرا وقد عمر سنا كثيرا وحق الرب القديم رب موسى وابراهيم لقد سمعت عن عنتر أنه قتل فى يوم خمس مرات وقطعت رأسه سبع مرات وعاش بعد الممات وفرق القبائل التى كانت حوله من سائر المواضع المقفرات أما هو الذى قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

انكنت تجهل وصفه فاسأل به * من كان حاضر القتال نقولا
هذا الذى لولا اتساع مقاله * ما كان يدرك عاقلا معقولا
يدعى بعنتر عند كل كريهة * وفعله مر المذاق وبيلا
من تحته مهر كايل حالك * وبكفه ماضى الفرند صقيلا
والرمح ضمان الكعوب بحمله * للموت فى قبض النفوس رسولا
لا يختشى يوم الحروب اضامة * لو ان ما فى ملقاه عزرائيلا

﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الحاضرون هذا المقال تعجبوا من تلك الفعال وأخذهم التعجب والانذهال وقالوا ان ملك الجن لا قدرة له على هذه الفعال وما زالوا فى قيل وقال حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا على الجرد القداح واعتقلوا بالرماح وقد اتفقت نياتهم على قلة البرازة لا تفترسهم فرسان بنى عبس فبينما هم كذلك اذ وصلت اليهم خمس قبائل أخر وهم يزيدون على عشرين ألف فارس وهم من أطراف وأقطار بلاد اليمن وهم عرب لا تعرف خالق ولا تسجد لصنم بل انها تعبد بحر اذا زخر وتسجد له كلما هاج وهدر وكانت قد أتت فى طلب المكسب وفى نهب الاموال لانها سمعت ما جرى لبنى عبس مع قبائل اليمن وانها طائفة كثيرة الاهوال وقد حازت من قبائل اليمن الاموال وقد وصل معهم فارس عظيم البأس قوى المراس وكانت أهل اليمن تسميه عفريت السواحل وكان يسبى الحلائل وكان يشتت العرب عن أماكنها والمنازل وكان شجاع وقرم مناع ويحب الفرسان فى موقف الحرب والطعان ويكره كل ذليل جبان وكان السبب فى حضور هذا الفارس المنتخب لانه كان بلغه حديث بنى عبس وذكر عنتر وما جرى له مع ملوك اليمن وفعله معهم فى ابتداء حديث بنى حريقة وقتله فارسهم الاخيل بن عمرو وما فعله فى عقبة العقار وقتله معاوية بن النزال وحديث بنى فهد وبنى القين الفرسان وقتله فارسهم عمرو بن ضمرة وما وقع لهم مع الملك مسعود بن مصاد وما نالهم فى الافعال ولما بلغوا الحديث تعجب من ذلك وقال ان دام هذا الفارس ملك الآثار فاهل اليمن يحتقر وابى ولا آمن على نفسى منه فلا بد لى من أن أسير اليه وأقطع رأسه من حد كتفيه وأهلك عشيرته الذى تعتمد عليه وآخذ ما معهم من الاموال والنوق والجمال وأحظى أنا بالذكر بين الانام ثم انه جمع هذه الطوائف وسار بهم على أشرف على جبل الغمام ولما وصل وعرفته القبائل مالت اليه وسلمت عليه وما منهم الا من قال هذا اليوم تنظرون الحرب والقتال والضرب والنزال ما دام قد وصل عفريت السواحل ثم انهم تحدثوا بما جرى لهم من فرسان بنى عبس فقال لهم عفريت السواحل هذا أمر هين ولكن اكتموا اسمى ولا يجب لاحد منكم ان تبيحوا به لان هؤلاء القوم ينزلون من هذا الجبل اذا سمعوا باسمى فيزيد معهم عنادى وأبلغ منهم مرادى فاجابوه الى ما قال ثم انه قال لهم وما كان مرادكم ان تفعلوا فى هذه الساعة وكم يكون هؤلاء اللئام وكم عددهم من الابطال فقالوا له أما سؤالك عن أفعالنا فانه كان مرادنا قبل حضورك ووصولك

الينا ان نحمل كلنا على أعدائنا وأما سؤالك عن عددهم فما يكونوا أكثر من أربعة ألف فارس لكنهم أسود عوابس فتعجب عفريت السواحل من ذلك وقال هذا أمر ما سمعته أبدا بطول العمر والمدا والله هذا عجز منكم وشرف لاعدائكم وهم والله على فعلكم هذا يستحقون المدح عن غيرهم ﴿ قال الراوى ﴾ وكان بنو عبس قد انحدروا من الجبال يطلبون الحرب والقتال ولما انهم رأوا هذه الطوائف أقبلت وملأت البر وتلك البطاح وقد وقفوا ينظرون ما يفعل هؤلاء واذا وجدوا أفراحهم عالية وهم يموجون فى بعضهم البعض فعلم بنو عبس ان القوم وصلت لهم نجدة من فرسان اليمن لان الفرسان اليهم واصلة مثل العيون النابعة فقال الملك قيس والله يا بنى عمى هذه نوبة صعبة ثم انه شاورقومه فى النزول فى الجبال فقال له الربيع بن زياد ما هذا صواب لان أكثر الناس هربوا والباقون مشرفون على الهلاك وان لاقيتم هذه الطائفة أفنتهم وما فى هذا الامر الا اننا نترحل عن خيولنا وندور حول حريمنا ونقاتل حتى نقتل ﴿ قال الراوى ﴾ وكان عنتر قد نزل الى أسفل العقبة ومعه خمسون فارس من كل ليث مداعس لانه كان فى تلك الليلة قد تولى الحرس فلما أصبح الصباح رأى الطوائف القادمة فتأهب للكفاح ولما ان رأى عنتر الى وقوف الملك قيس وقال يا ملك ما هناك أمر أوجب انزعاجك ووقوفك وتريدان تطمع فينا عرب اليمن ويقولون انهم قد أحاط بهم الذل والمحن من شرذمة قليلة فوالله يا ملك أنا لم أرض لك بهذه الفعال والرأى عندى أن تنزل من على الجبال وتصف قومك والابطال فان الذين أتوا قد رأيتهم بعين الشجاعة فما هم الا أكلة لجائع أو شربة لظمآن وعبدك يا ملك فيه الكفاية لكل من فى الارض وما زال عنتر يهون الامور الصعاب على الملك قيس حتى ترى الملك قيس نزل من ذروة الجبل والخيل متتابعة مثل العيون النابعة وكلهم من حوليه وهم ينادون يا آل عبس يا آل عدنان لان عنتر قوى قلوبهم واصطفوا من حول جبل الغمام وتقدم عنتر البطل الهمام ونزل مقرى الوحش فارس النياق وعروة بن الورد شجاع الزحام والهطال ابن أخت عنتر البطل القسور وعبده أبو الموت وسودانه وأبوه شداد وأعمامه وتتابعت الابطال وأخذوا فى الترتيب ووقفوا يريدون من أعدائهم البراز واذا هم بنباح ابن النهاش المسمى بعفريت السواحل قد تقدم الى الجيش وما أمهل وصار بين السادات الاول وكان يومئذ راكبا على جواد عظيم تربيته سواحل البحر وهو فيه عجب وفى مشيته ترتيب وخبب لانه لا يدرك اذا طلب ويلحق اذا طلب وهو جواد أدهم لكنه معود على خوض اللجج له طول مثل العاج وقوائم ما فيها اعوجاج وهو كما قال فيه الشاعر ابن حجاج هذه الابيات

قطعت الارض مجتازا وتحتى * جواد ينهب الارض انتهابا
وكان البرق فى اثرى منادى * الى فلم أرد له جوابا

﴿ قال الراوى ﴾ وعليه زردية تردأسباب الرزية وعلى رأسه بيضة عادية مكملة بحليه وتحت فخذه أربع حراب الى رسل المنية لانه كان يقاتل بسائر السلاح وكان خبيرا بطعن الرمح وضرب الصفاح ولما ان توسط الميدان بين الصفين عربيده الحصان وسار قدام الخيل نادى برفيع صوته وقال ما بالكم يا بنى عبس اعتصمتم فى الجبال الشامخات وما تأتونا بالبنات خوفا من شرب كأس الممات فان كنتم فزعتم من الكثرة فما عليكم لوم وعذركم فيها واضح لانكم أنتم فى قلة وجمعكم يسير وهؤلاء أعداكم فى عالم كثير وأنا الذى منعت هؤلاء من الحملة عليكم وذلك من شفقتى عليكم لانى علمت ما فى هؤلاء القوم فارس له خبرة بالحرب والطعان يبرز الى الميدان ويلقوا أحدا من فوارسكم الشجعان وأنا وحق البحر اذا زخر انى اليوم أشبعكم انصاف وأسقيكم كاس التلاف لانى أعلم ان ما يفضل منكم أحد ويرجع الى أرض الحجاز ويتحدث ويقول قد اجتمعت علينا طوائف اليمن وسكان تلك الاراضى والدمن وكنا أربعة آلاف فارس جسور ولا غلبنا الا بالمكاثرة وقلة الانصاف وما قتل منا فارس حتى قتلنا كل فارس مشهود وبطل مذكور والآن فقد برزت لكم فى الميدان ولا بقى لكم عذر عند أحد من العربان وأنا لم أترك لاحد على ملام ولا أزال فى

الميدان حتى انكم تطلبوا منى الامان وأنا وحق دينى لكم فيما تريدون والافا رزوا الى فرسانكم وشجعانكم لاجل ما تتحدثوا عنى بكل خبر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا كلامه رأوا الامر كما طلبوا فعندها قفز منهم فارس شديد له جواد جليد غارق فى الحديد وحمل عليه حملة الصنديد الا انه ما قرب منه حتى طعنه عفريت السواحل قلبه وخرج اليه الثانى قتله فابصر فعله عروة ابن الورد فطلبه وجال معه وضايقه هذا وعنتر رجع الى الجبل المنيع لما رأى الملك قيس واقفا فى أكثر الفرسان من بنى عبس فقال له يا ملك أطمعت فينا الاعداء بهذا التدبير وقطعت ظهر الكبير منا والصغير ومازال حتى نزلوا باقى العشيرة وترتبت من حوله الاعلام كما ذكرنا فى أول الكلام وعاد عنتر يطلب المقدمة فوجد عفريت السواحل قد أخذ عروة أسير و رأى مقرى الوحش انه متأهب للخروج اليه فقال عنتر يا فارس الشام لم سمحت لعروة بالخروج الى هذا الشيطان فقال له مقرى الوحش انى ما علمت به حتى انه صار معه فى الميدان ولكن يا أبا الفوارس لا يضيق صدرك فانا آخذ له بالثار وأبلغك ما تختار ثم طلب الميدان وموقف الضرب والطعان وعنتر يوصيه و يقول له ان قدرت عليه فلا تقتله بل ائتنا به أسيرا لعله أن يفدى نفسه بعروة ابن الورد والا انهدم منا ركن ﴿قال الراوى﴾ والتقى مقرى الوحش مع عفريت السواحل وقد لاح الموت بينهما لائح ودلائل أو تحدثت فيهم السن القبائل لانهما لعبا بالرماح وأوسعا فى البطاح وبان عليهما اتلاف الارواح وتعجبت منهم القبائل ووقعت فى قلوبهم هيبة عظيمة وقالوا والله اليوم يبين الحق من المحال هذا وان مقرى الوحش صار ينشد و يقول

الا هكذا توفى الكرام ذوى الجدى * وتعلو منار الغر بيض الظبا الهندى
و يسرى الخيل المنى كل أذرعى * فيسبق رجع الطرف بالضمر الجردى
يصيد بجال العزم والحزم والسرا * قريب هنالك العفو والعرف والفردى
وكم أحرجت نارا من الزند قادحا * ولو كان يدرى ما أثارها من الزندى

﴿قال الراوى﴾ وطاب من الاثنين الجدال وتحيرت من اختلافهما الرجال وأكثروا على بعضهما الزلزال وسمع عنتر صيحات ناجح بن النهاش فعلم انه فارس شديد الباس قوى المراس بطل شديد الزلزال والزحام فخاف عنتر على مقرى الوحش وقال لمن حوله من الرجال والله لقد خاطرنا نحن بفارس رئبال ودام القتال بين الفارسين حتى انقضى نصف النهار وتطاولت منهم الاعناق الى الغبار ورأى ناجح خصمه مقرى الوحش فارس عظيم الاخطار فاظهر له الكسرة وأطمعه فى جانبه حتى مد السنان الى صدره وأراد مقرى الوحش أن يطعنه فمد ناجح يده الى حسامه وجرده وضرب رمح مقرى الوحش فبراه وطيره علاه وزعق عليه وفاجاه وأخرج من تحت فخذه حربة أمضى من نوائب الزمان وأراد أن يضرب بها فؤاده فوقعت فى فخذ مقرى الوحش فشككته فى أضلاع الجواد وأرمته الى الارض والمهاد وقد وقع وكاد أن يهلك فتواثب اليه أصحاب عفريت السواحل وشدوه كتاف وثق وأمنه السواعد والاطراف ﴿قال الراوى﴾ ولما ان أبصر عنتر هذا الامر سكر من غير مدام وسقط من على ظهر جواده وهو مغشى عليه لا يبدى ولا يعيد ولا يرد كلام فهذا ما كان من عنتر وما جرى له من الاحكام وأما ما كان من بنى عبس الكرام فانهم لما نظروا عروة قد أسر ومقرى الوحش قد قهر وعنتر أغمى عليه انقطعت ظهورهم وذلوا وندموا على دخولهم أرض اليمن فعندها تجمعوا كلهم عند الملك قيس وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا ملك ما رأت بنو عبس طول عمرها مثل ما رأت من الملك النعمان من المصائب فان يا ملك حماة القبيلة قد أسروا وعنتر قد غشى عليه ونحن مما جرى صرنا لا نسمع ولا نرى فلما سمع الملك قيس هذا الكلام لطم على وجهه وخرق لباسه ورمى عمامته من على رأسه والتفت الى فرسان بنى عبس وقال لهم يا بنى عمى اعلموا ان أصحابنا البعض منهم مجروح والبعض مأسور وحامينا قد شق عليه ذلك فلما تكلم الملك قيس بهذا الكلام تقدم اليه عمارة بن زياد وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك اذا كانوا أصحابنا مجروحين فما عندهم من يحفظهم وعاندنا نحن أمورنا بانفسنا وقاتلنا أعداءنا حتى لا تقول العرب

ان بنى عبس كانوا بعنتر قال ثم انه التفت الى أخيه الربيع بن زياد معدن الغدر والفساد وقال له ان صح موت الاسود الزنيم والوغد اللئيم تزوجت أنا بعبلة وما أرد من بلاد اليمن حتى تصير زوجتى وأجيب منها الاولاد ولما تكلم عمارة بهذا الكلام قال له أخوه ما الذى أقول فيك يا مذلول الشارب والله ان مات عنتر وانقبر لا تترك العرب منا من يخبر بخبر ولا أحد يعود منا من هذه الديار ولا يبقى من بنى عبس من ينفخ النار فبينما الناس فى قيل وقال واذا بعنتر قد أفاق من غشيته وفى الحال مد عينيه الى ناحية المعمعة فرآهم شدوا مقرى الوحش كتافا وأخذه العبيد ومضوا به الى الخيام فعند ذلك نزل عفريت السواحل وسط الميدان وجعل يصيح و يجول فى وسط الميدان عرضا وطول وهو مع ذلك ينشد و يقول



أنا الذى فخره بالذكر قد علما * بنيت لى فى العلى بيتا شددته كرما
أنا الذى سجدت شمس الضحى له * على السواحل ونجمى قد علا وطمى
ولى حسام اذا جردته بيدى * يحده ينثر الهامات والقمما
وكلما جردته كف مصقلة * أعددت فيه بضربى للعدا قلما
أنا الذى شردت منى بنو مضر * من خوف باسى وعادت تطلب الاجما
كذاك الجن تحت تخوم الارض تحذرنى * خوفا كما يحذرنى الليث فى الاكما
أبى يسمى بنهاش وليس له * سوى نهش أنفس الاقيال وسطهما
والآن قد حضر العفريت عندكم * يذيقكم آل عبس الضرب والالما
فاذر وارحلا فى الارض مقعده * وقد علا عزمه فوق العلا وسما

﴿قال الراوى﴾ وما تم أبياته حتى انطبق عليه عنتر انطباق العدو بالانتقام فايقن عفريت السواحل بالهلاك والاعدام فقفز عن الارض وعاد الى سرجه فى الحال فرأى عنتر أفعاله فجد فى قتاله وأظهر من الجلاد والدراع شناره فتارة يكون فى الميمنة وتارة يكون فى الميسرة ومازالوا على مثل ذلك الحال حتى تقضى باقى النهار وأظلم الليل واعتكر غاية الاعتكار وعلم كل واحد منهم ان ماله فى رفيقه مطمع وعاد عنتر الى جبل الغمام وفى قلبه على عروة ومقرى الوحش النار التى لا تطفى وكان الملك قيس سأل عنتر عن صاحبه فقال له والله ما هو الا فارس عظيم و يحق للعرب أن تسميه عفريت السواحل لان مثله فى أرض اليمن ما لقيت وفارس النياق ما كان دونه وانما ضربه وهو غافل غير يقظان والا ما كان قدر عليه ولا أصاب منه بعض المقاتل وأنا خائف عليه من الجرح الذى أصابه فى الميدان أن يموت به فيبقى والله فى قلبى غصة الى الممات فقال له الملك قيس اعلم يا أبا الفوارس ان لهم عندنا من كل قبيلة جماعة وعند الصباح أقول لهم اطلقوا النار رجلا برجل فقال له والله ان طلبوا منا يا ملك كل أسير عندنا أطلقناه لهم ولولا ان الليل قد هجم لانفذت اليهم هذه الرسالة فان قلبى خائف على أصحابى غاية الخوف لان كل واحد منهم يساوى عندى كل من فى بلاد اليمن ﴿قال الراوى﴾ ولما أن زاد به الامر دعى باخيه شيبوب وقال له يا أبا رياح اريدك فى هذه النوبة تريني أفعالك الملاح تخف وتختلط مع القوم وانظر ما يجرى لعروة بن الورد ومقرى الوحش وعد الينا بالخبر اليقين وان رأيتهم على الهلاك مشرفين فاسرع فى العودة بلا مهل فقال له شيبوب والله يا أخى ما هم الا فى خلق كثير يضيع رأى الانسان بينهم ثم انه بعد ذلك قام على قدميه وقدم بين يديه آلة حيلته ولبس شيأ أسود وعصب رأسه بعصابة صوف أزرق وأرخى له شيأ أسود من قدام وجهه وذبح له غزالة ولطخ بدمها جسده ووجهه ووقف فى الهواء ساعة حتى جف الدم ونشف ولبس ثيابا خلقة فنظر اليه أخوه عنتر فارتجف وقال فى نفسه أعوذ برب الفلق من هذا الشيطان وما يفعل من الدواهى والحيل ثم ان شيبوب فارق بنى عبس وصار فى كهف الجبل حتى صار خلف الاعداء ودخل اليهم من طريق بلادهم ﴿قال الراوى﴾ فلما صار فى الخيام وجد العربان فى خصام وجدال من أجل ناجح بن النهاش وعنتر بن شداد فوقف شيبوب يسمع ما يقولون واذا بقائل يقول وحق ذمة العرب ان عنتر أفرس من صاحبنا وأدرى بامور الحرب والضرب وقوم يقولون وحق البيت الحرام

وحق زمزم والمقام ما على وجه الارض أفرس من عفريت السواحل وجعل الناس يتفرجوا على عروة ابن الورد ومقرى الوحش ونظر قوما قد أتوا يطلبون قتلهم لاجل قتالهم وقوما قد أتوا يطلبون شراءهم لاجل يفدوا بهم أسراهم هذا وعفريت السواحل بارك على ركبتيه مثل الشيطان المارد وقدميه مثل الانسان الطويل اذا كان قاعد فوقف شيبوب ينظر الى عفريت السواحل فقال للرجال يا وجوه العرب أنا ما أتيت من ديارى الا فى طلب العلا والافتخار والتقدم على الفرسان بهذه الديار ولا الى رغبة فى درهم ولا دينار بل عولت انى أظهر فى تلك الساعة بين هؤلاء القبائل شجاعتى فى هذه الطائفة العبسية الذى ذلت عرب اليمن وقتلت ملوكها وفرسانها ونهبت أموالها وفعلت فعلا تذكر به مدى الايام وانى عولت ان أملك بشجاعتى فرسانها وأبيح الى هذه الخلائق أموالها لكن يا وجوه العرب لا يصح لى هذا الا بعد أسر عبد بنى عبس الاسود الذى خرج أمس الى الميدان وفعل بفرسانكم تلك الفعال ولولا أنا رددت شره عنكم وبرزت اليه البارحة لانى رأيته فارسا جبارا وأخشى أفرط فى هؤلاء الاسارى وأقع فى يده فيأخذنى أسير ويطالبنى بما لا أقدر عليه فيحل بى الوبال مع هذا العبد الجبار ثم انه بعد هذه الاخبار صار يتحدث مع العربان حتى غلب عليهم المنام وطلب كل واحد منهم مضاربه والخيام ولم يبق عند عفريت السواحل أحد من المقدمين الا الخدم الذين يخدموه وقد أوصاهم بحفظ عروة ومقرى الوحش وأراد أن يدخل الى المنام فلاحت منه التفاتة فنظر شيبوب لابدا بين المضارب والخيام وعليه ثياب سود خلقه وهو يتأوه من قلب مكمود ويشهق ويبكى وينوح فتفكر عفريت السواحل فى أمره وامتنع عن الدخول والتفت الى عبيده وقال لهم ائتونى بهذا العبد المريب فما كان الا زمن قليل حتى مثل بين يديه فقبل الارض وتقدم وقال بلسان فصيح العبارة حيا الله الامير الكبير أمير الامراء والحاكم على هذه المياه والمناهل أدام الله سعدك ونشر بالعدل قواعد مملكتك وعزك فانت صاحب الاحكام وانت سيد وهمام وصاحب أعلام ومالك جحفل الغمام وقائد العساكر والجنود وصاحب الكرم والجود ومغنى الفقير والمنقطع الحزين وعمدة المساكين ﴿قال الراوى﴾ فلما تكلم شيبوب بهذا الكلام تعجب عفريت السواحل وبهت اليه وقال له من أين أنت يا وجه العرب فقال له يا مولاى أنا من ديار بنى كلب بن وبرة فقال له وعلى من أنت لابس السواد فقال له على سيدى مسعود بن مصاد لان هؤلاء العبسيين دخلوا الى بلادنا وأعطاهم سيدى الذمام واعتنى بهم وأكرمهم غاية الاكرام وفى الآخر غدروا بنا وقتل عبدهم سيدنا وأنا يا مولاى قد أنفذنى اليك اليتيم ولده حسان يقول لك وصيتك الحرص على من وقع فى يدك من فرسان هذه القبيلة ويعطيك من الاموال ما تريد وأوفى مزيد وان وقع أسودهم فى يديك فابشر بما تقر به عينيك فقال له عفريت السواحل يا مولد العرب اذا انشق الفجر ابرز الى الميدان وأطلب هذا العبد الكشحان الذى قتل سيدكم وأذيقه الهوان فان برز الى ونصرت عليه افتخر أنا بذلك على سائر الفرسان والشجعان وان وقعت فى يده كانوا أصحابه لى الفدا لانى سمعت عن هؤلاء القوم العبسيين أنهم أعداء الملك النعمان وهو من فعالهم على مقالى النار وأنا قد عولت ان أسير اليه بهذين الفارسين الاسيرين وآخذ منه الخلع والاموال وأريح قلبى من قتال هؤلاء الطوائف المجتمعة فعند ذلك قبل شيبوب الارض بين يديه وقال له يا مولاى انا أكثر طلب الملك النعمان أن يقع فى يده هذا الذى ذكرته وهو العبد الاسود الزنيم والبغل اللئيم والشيطان الرجيم فاذا نصرت عليه وقدمته الى الملك النعمان ما كنت ترجع من عنده الا وأنت ملك كبير لانى سمعت هذا الكلام من ملككم قيس وتبقى أنت أوحد الفرسان وفريد العصر والاوان اذا قهرت هذا العبد الشيطان الذى اذل الملوك والعربان وما قال شيبوب هذا المقال حتى رغب عفريت السواحل منه فى المقام لانه أراد أن ينفذ الاسارى الى الملك عروة بن الورد اذا نظر مقرى الوحش يشتم شيبوب يقول له لا تستعجل يا فارس النياق واصبر على غصتك وتأنى فى أمرك فهذا شيبوب أخو عنتر بن شداد عسى اذا نامت هؤلاء العبيد يخلصنا من الاسر والاعتقال فقال له مقرى الوحش يا أبا الابيض أنت ما بقى معك من العقل محصول كيف يقدر شيبوب يخاطر بنفسه بين هذه

القبائل انما هذا شيطان من عبيد حسان بن مسعود أما ترى انه لابس على مولاه السواد فلعن الله أباه وأمه ولا كتب الله عليه سلامه ما أسود وجهه كيف هذا الشيطان يجسر أن يتكلم بهذا الكلام فقال شيبوب سوف ترى يا أشقر يا أزرق العينين من فعل ناجح شيئا يكل عن وصفه اللسان لانه اذا أخذ أسودكم يفنى باقيكم بالرمح والحسام ولا يترك منكم شيخا ولا غلام ومن أسره منكم يبيعه بيع الهوان ﴿قال الراوى﴾ ثم ان شيبوب لج على مقرى الوحش فى الكلام والحديث والمخاصمة والمشاحنة والمشاجرة حتى كره الحياة وكان عروة بن الورد اذا سمع ما بينهم من الكلام يقول له يا فارس الشام طول روحك ولا تطل معه الكلام والجواب يا فارس النياق حتى يبلغ بخلاصنا الارب فقال مقرى الوحش أما أنت يا أبا الابيض قد خرفت وذهب عقلك وذهل لبك وهذا عفريت أعرفه وحققه تراه من جهة مولاه مسعود بن مصاد الكلبى صاحب مياه غراعر وما أتى هذا الشيطان الى هذا المكان الا يطلبنا الى مولاه حسان ليأخذ منا بالثار وأنا والله يا أبا الابيض ما أصبر على خطابه ومابى هم فى الدنيا الا من مفارقتى لزوجتى مسيكة وولدى سبيع اليمن وصاحبى عنتر فوا أسفاه على الخلاص والرواح قبل طلوع الصباح قال شيبوب ابكى على روحك يا قرنان وعدد كما تعدد النسوان والله يا أشقر يا أزرق العينين لا تزال بعد ذلك فى الاغلال يا أقبح الوجه كما فجعتنا فى أصحابنا وكانوا رجال أقيال وفرسان عوال فقال مقرى الوحش يا عبد النحس أنا مثلك مقلوب الصورة وذميم العرب لقد ضيقت صدرى بقعادك قدام وجهى قم وانصرف من قدامى لا كنت ولا استكنت يا ابن ألف قرنان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قالت له العبيد قم يا شعيب وخذ ثارك وثار سيدك من هؤلاء الاثنين فوالله ان دخولهم الى أرض اليمن قد أرعب قلوبنا وصدع أفئدتنا فاقتل هذا الاشقر فلا كتب الله عليه سلامه فعند ذلك وثب شعيب مثل الذئب الامعط أو الثعبان الانقط واندق على مقرى الوحش وصار يعضه فى مرافقه وأكتافه ويقرصه فى أوراكه وينهش وجهه وذردمته ويعض أكتافه وظهره ومقرى الوحش يستغيث فلا يغاث وفى الحال نط وقعد بجاره بطول الليل فهذا ما فعل شيبوب من عياقته عند عفريت السواحل من الحيل وأما ما كان من طوائف اليمن وبنى عبس فانهم ما بات منهم فى تلك الليلة أحد الا وهو غارق فى الحديد الى الصباح فعند ذلك تواثبت الابطال والرجال والفرسان الى ظهور الخيل لما ذهب عنهم الليل واصطفت القبائل واعتدلت الجحافل وجردت النواصل وهزت الذوابل وتقدمت بنو عبس تطلب الحرب بأخيار وعليهم لفقد عروة ومقرى الوحش ذل وانكسار الا ان الصفوف ما اعتدلت والابطال ما تعبت وترتبت حتى خرج عنتر بن شداد وطلب القتال والحرب والجلاد وكان قد أصبح كثير الهم والافتكار من وجوه عديدة أحدها لاجل مقرى الوحش الفارس الغضنفر وعروة بن الورد والوجه الثانى لاجل انقطاع خبر أخيه شيبوب عنه وكيف أصبح الصباح وما عاد اليه والوجه الثالث بكاء زوجة مقرى الوحش مسيكة وانكسار قلبها وغربتها والوجه الرابع تذكر بعد قومه وغربتهم عن ديارهم واتكالهم عليه وكثرة الجمع الذى بين يديه فخرج ذلك اليوم وهو فى صورة وعزة الى الحرب والقتال فجال بالابجر وطلب البراز وسأل الانجاز وجعل يقول هذه الابيات

ما يطفئ اليوم نيرانى ولا حرقى * الا اختلاف القنا والطعن فى الحدق
ولا يزيل همومى غير معركة * تسيل فيها الدما كالعارض الدفق
اذا الم الخيل طيور والجو حائمة * على الغبار فلا ابل الندا رمق
وأرمى الهام بالعضب الحسام كما * ترمى العواصف منها يابس الورق
وأترك الخيل فى الاقطار شاردة * تدوس من جيف القتلى على الحدق
تغدو خفافا خلاوة من فوارسها * عبس مغبرة الالوان بالعرق
يا ساقى الموت أدر كاس الحمام فقد * أصبحت أشتاقه من همى ومن حرقى
وقد عاهدت حسامى أن أصيغ له * غمدا من الراس أو من خالص العنق

فبارزوا وانظروا طعنا تشيب له * رؤس المفارق من خوف ومن قلق

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من هذه الابيات برز اليه فارس طويل معتدل القوام الا أن عليه ثوب خام قصير الاكمام ضيق اللثام خالى من الزرد عليه للفروسية دلائل وعلائم وهو حافى الاقدام غير متأهب الى الحرب والصدام ولما برز قدام عنتر وصاح فيه ورأى هذا الحال وقاربه أنكر امره فقال فى نفسه وقد زاد به الغيظ والغضب ماهو الا ان الفراعنة الكلاب احتقرونى عند الحرب والقتال والا ما كانوا أخرجوا لى هذا الفارس الصعلوك وان لم أملأ منهم الميدان انحط قدرى عندهم وهان ثم انه صاح بالفارس صيحة الغضب وهم أن يطعنه واذا به قد اعترضه فارس آخر ثانى ولكن أعظم خلقة من الاول وأشد نشاط فطلبه عنتر مثل القضاء المنزل وصار معه مثل السهم المرسل فلما قاربه صاح فيه وأراد أن يطعنه فكشف عن وجهه اللثام وقال جئت يا أبا الفوارس وهناك الله بخلاص أصدقاك من شر أعداك واليوم تدور على هؤلاء القوم طاحون الدوائر ويبقى لنا الله ببقاء شعيب وبقاك قال فتأمل عنتر من المتكلم واذا به صديقه ورفيقه مقرى الوحش والفارس الاول عروة بن الورد فلما تحقق عنتر معرفتهم خفق فؤاده من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال يابنى عمى لقد خففتم بذلك كربى وأرحتم سرى ولبى وقلبى فكيف كان خلاصكم من الهلاك والوبال فقال عروة كان سبب خلاصنا أخوك شيبوب المحتال ولولاه وما كان أصبح الصباح الا ونحن فى أرض بعيدة فقال عنتر وحق ذمة العرب هذه بغيتى فقال مقرى الوحش الله يحفظ لنا الامير شعيب قال عنتر انا مالى اخ يقال له شعيب فقال عروة هو شيبوب الا أنه أتى الى ناجح وعليه ثياب سود وتسمى بهذا الاسم وقال أنا عبد الملك مسعود وكان ناجح قد عول أن يأخذنا ويسير الى الملك النعمان فخدعه أخوك بالمقال ورغبه فى السؤال ومازال يخدعه حتى وكله بنا وقعد يتحدث معنا حتى نام العبيد فقام الينا وأطلقنا وسار بنا على غير طريق خوفا علينا من الحرس وقال لنا اركبوا من هذه الخيول الشاردة وتفرقوا بين هذه الطوائف الى أن يصبح الصباح واقبلوا الى الميدان من جملة الطوائف كأنكما تطلبان البراز والطعان ففعلنا مثل ما أمرنا ونحن متعجبون فيما جرى وأتينا اليك كما ترى فلما سمع عنتر ذلك زادت أفراحه من أفعال أخيه فقال عنتر وشيبوب اين تركتموه فقال عروة تركناه حول مضرب ناجح الذى أسرنا لانه قال لنا امضوا أنتم واطلبوا من الله الفرج فأنا ما أبرح من حول مضرب هذا القرنان حتى أذبحه واكفى الناس شره فتركناه وما ندرى بعد ذلك ما جرى له وما ظننا الا أنه قد سبقنا الى هنا فقال عنتر لا والله ما رأيناه وانى خائف عليه أن يعرفه هذا القرنان فيهلكه ثم انه قال لمقرى الوحش اذهب أنت الى زوجتك وأرها وجهك حتى يذهب عنها الهم والغم لانها البارحة ما نامت وأقم عندها حتى تبرأ جراحك ثم انه سأله عن الحربة لئلا تكن أفسدت صلاحه فقال ما هو شئ أبالى به ولولاه ما كان ظفر بى هذا الشيطان وانه والله من الفروسية فى أعلا مكان ثم انه طلع وبل شوقه من زوجته وولده برؤياها وجهه ورجع الى الميدان يطلب البراز وقد حارت مما جرى جميع الشجعان وما فيهم من علم كيف سلمت الفرسان نفوسها الى عنتر من غير قتال وقد كثر فيهم القيل والقال وفى العرب من ظن انهم جواسيس لبنى عبس وقد عادوا اليهم ومنهم من قال الان بعض الاسارى هرب هذا وبنو عبس قد ضجت على الجبل بالافراح بخلاص عروة بن الورد ومقرى الوحش وعنتر لما أبصر فرسان العرب ووقوفها عن القتال حمل على بعض القبائل واضرم نار الحرب فحميت وازداد الاشتعال وارتفع عليه الصياح ومالت عليه الابطال وكان فى قلبه النار من كثرة الجموع فبذل حسامه فى الرجال وطعن فى الصدور طعنا يسابق الآجال ومحق الاعمار الطوال وما خرج من تحت الغبار حتى ارتفعت الشمس وتعالى النهار وأهلك سبعين فارسا جبارا وخلاهم عبرة بالصارم اليمانى وعاد الى الميدان وقد أروى الارض من الدما وعاينت القبائل ما حير الاذهان وهو يجول ويطلب البراز وانحت الفرسان لنفوسها وقد صارت تخرج اليه وتقصده بسيوفها ورماحها وهو يقبض أرواحها والذى يراه متقدم يعلم أنه فى عشيرته معظم فيأسره وما زال على ذلك حتى عبر عليه نصف النهار واعتدل فوقفت عنه الفرسان وسادات الابطال وكان قد أسر فى ذلك

الوقت مائة فارس ما منهم الا كل ليث بطل والذين قتلهم مائة وعشرين وكان آخر من برز اليه ناجح بن النهاش الذى كان أسر عروة بن الورد ومقرى الوحش وما كان أخره عن البراز الى ذلك الوقت الا شغل قلبه بخلاص أسراه من يده لانه عند الصباح افتقدهم فما وجدهم بل انه رأى العبيد نيام فنبههم وسألهم عن الاسارى فقالوا له وذمة العرب ما عندنا منهم خبر ولا غفلنا نحن الا وقت السحر لان شعيب صار يظاهرهم ويعاونهم ويباكتهم على أمرهم حتى سار وقت السحر وهب علينا نسيم الهوى فنمنا كما ترى ولا نعلم ايش جرى فقال ناجح اذا كان الامر على هذا فقد أخذهم شعيب القرنان ومضى بهم الى مولاه وما أظن ان كلامه كان معى خديعة وهذيان وأنا أقسم بالبحر اذا زخر والموج اذا هدر وتلاطم وبدر ان كان هذا الامر صحيح لاضربن رقبته واسلب نعمته لاجل ادخاله على المحال واضرب رقابكم معه يا بنى الانذال فانتم اتكلتم على شعيب العبد ولد الزنا وغركم بمحاله فأمنتم اليه على ان قلبى كان نافرا منه لما سمعت انه حجازيه ولكن قلت ربما يكون مولاه اشتراه من أرض الحجاز ورآه عاقلا فقربه والا ما كان تم علينا المحال ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو مع عبيده فى الكلام واذا بثلاث فوارس قد وصلوا اليه من عند الملك حسان بن مسعود وسلموا عليه بعد ما قبلوا الارض بين يديه وخدموه وقالوا له أيها الملك الجليل والسيد الفضيل ملكنا حسان بن مسعود يسلم عليك ويقول لك لا تقطع ما كان بينك وبين أبيه مسعود من الصحبة والمودة والايمان والعهود وقد علمت ما جرى عليه من هذه الطائفة العبسية التى أذلت ملوك اليمن وقتلتها وفعلت هذه الفعال ويريد منك ومن افضالك ان تحفظ الاسارى الذين فى يدك وتخرج اليوم الى البراز وتجتهد فى أمر عنتر بن شداد وأمر من يخرج اليك حتى انك تأخذهم ومن عنتر بثار أبيه ويعطيك من المال والجمال كلما تطلبه وتشتهيه ولا تحوجه الى غيرك فى أخذ الثار وكشف العار ومن البارحة كان عول ان يرسل اليك من قبل هذا المعنى وانما رأى فرسان القبائل قد مالت اليك فخفف عن قلبك وعلم انك لم تنس صداقة أبيه ولا يرى منك الا ما تشتهيه فلما سمع ناجح هذا المقال زاد به الويل والخبال وقال للفرسان الذين أتوا اليه وهل الاسارى ما وصلت اليكم مع عبدكم شعيب فقالوا له لا والله أيها الامير قال فحدثهم بما تم عليه فقالوا هذا حديث ما سمعناه الا منك أيها الامير فقال لهم أما تعرفون ان أميركم له عبد تسمى شعيب فقالوا لا والله ما نعرف لا شعيب ولا قصيب وان كان قد أتاك أحد وتسمى بهذا الاسم فما هو الا من تلك القبيلة الغريبة العبسية وما قصدك الا لاجل خلاص أصحابه من يدك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك تحقق صدق حديثهم وزاد به الغيظ على عبيده فضرب رقابهم وركب يطلب الحرب والقتال فرأى عنتر وقد فعل تلك الفعال وقتل من قتل وأسر من أسر فخرج اليه وطلب النزال والحرب والقتال فلما رآه عنتر وأبصره سالما أيس من أخيه شيبوب هذا وناجح يقول يا غدارين يا محتالين يا مكارين نحن نقتنصكم فى الميدان ومقام الحرب والطعان ونذيقكم الهوان فى المجال وأنتم تخلصون بالاحتيال وحق معبودى ان وقع فى يدى أحد منكم لا أبقى عليه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا المقال عرف معناه وان أخاه شيبوب بالحياة لانه لو كان قتله كان ذكره فى الكلام هذا وناجح قد جال فى المجال وجعل ينشد ويقول

وحق العيون الجاريات من البحر * وما فيه من موج وما فيه من درى
لئن وقعت عينى على من أتى لنا * بحيلة محتال وما خاف من شرى
وبات يداهننى بحسن كلامه * حتى خلص الاثنين من قبضة الاسر
لاتركه بالسيف الصقيل تنوشه * طيور الفيافى والوحوش والنسر
فان كان خلصهم بحيلة مكره * فسوف آخذ الجمع فى ظلمة القفر
وآسر الشيطان عنترة الذى * ترى اسمه قد شاع فى السهل والوعر
وأحمله للنعمان قهرا مكبلا * ليجعل لى شأنا من العز والفخر
أقودهما للاسر فى حومة الوغا * ويخلصهما منى بالخداع وبالمكر
ولابد ما أسرى لشرق ومغرب * وأملك ما أختار فى البر والبحر

أنا ناج المشهور في كل معرك * أبيد الاعادي بالمهندة البتري
أكنى بعفريت السواحل كنية * لانى ملكت الارض جامع البحر

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر هذا الشعر والنظام أجابه على عروض شعره يقول

أيا من سعى في حتفه وهو لا يدري * تأن واسمع وزن ما قلت من شعري
فان شئت للاشعار كنت مهذبا * وأوحد هذا العصر في موقف الكرى
اذا نظرت عيني الى طعن فارس * مزجت له كاسا أمر من الصبر
وان سمعت أذنى مقالة شاعر * نظمت له قريض شعر أغلى من الدر
ملكت بفضل الله كل مليحة * وتوجني ربي بتاج من النصر
أطهر هذى الارض من كل طاغ * الى ان يأتى المبعوث بالنهى والامر
لقد خبر الكهان أن محمدا * يكون له نور يفوق سنا البدر
فان كان لى عمر الى يوم بعثه * نجوت به والله من ظلمة الكفر
وأقتل من أعداه كل جاحد * وأمحو لأهل الظلم بالسيف والسمر
أما سمعت أذناك بفعل من فعائلى * وقد شاع في الآفاق بين الورى ذكرى
أنا عنتر الموصوف سيد قومه * أموت ولا أنسى الى موقف الحشر

﴿قال الراوى﴾ ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ في المجال حتى طلع الغبار وتحيرت مما جرى لهما الابصار واختلف بينهما طعن وضرب يحير الابصار والافكار وتشيب من هوله الاطفال وقل منهم القيل والقال وجال كل فارس وصال ومازالا على مثل ذلك حتى انقضى النهار وحل بناج التعب والانبهار وندم على مقامه في هذه الديار وعلى خروجه الى هذا الرجل الجبار وقال في نفسه مامنعني عن المسير الا ذلك العبد العيار وكنت أشتهي أن أقع به لاذيقه العذاب والبوار وأطفى بقتله مابقلبي من النار ثم انه وقف عن المجال يستريح من كرب القتال وقال له امهل على حتى أشاورك فيما يكون لك فيه الصلاح والاخلاص من تعب الحرب والكفاح فقال له عنتر وقد امهله قل ماتريد فقال له أول ما أريد منك خبر العبد شيبوب آخر العبيد الذى خاص أصحابكم ما كان منه وبعد ذلك أسألك ان تبقى على حتى أعود الى أهلى وأرحلهم عنك وأكفيك أمرهم وأمر تعسيرى ولا تخرق ناموسى في بلاد اليمن بأمرى وان كنت ماتفعل ذلك فانا في غداة غد أحمل عليكم بهذه العوالم ولا أبقى منكم قاعد ولا قائم لان الليل قد أتى والنهار قد مضى ولم يبق لنا غير الانفصال والعودة الى قومنا فقال له عنتر يا قرنان وابن ألف قرنان ياذليل يامهان أنت تدعى بما ليس فيك وأنك فارس اليمن وتطلب الاقالة من عبد قد أذل ملوك هذه الاطلال والدمن وأى انفصال ههنا اذا كانت هذه نيتك ثم زعق به زعقة الاسد اذا جاع وطعنه بالرمح دق منه أربعة أضلاع فاصيب وانصرع ومن على ظهر جواده الى الارض وقع فوقف على رأسه حتى يدركه أخوه جرير واذا باخيه شيبوب قد أقبل كانه القضاء المنزل وصار على صدر ناج مثل البرق اذا برق أو مثل الشهاب اذا زرق وقال له أدركنا فلك ياوجه العرب فها أنا كتفت لك في الطلب ثم انه شده بساقه قدامه عنتر ومن فعال أخيه شيبوب قد تحير وقال له ويلك وأين كانت غيبتك يا أبا رباح ياشيبوب فقال له في طلب هذا الكلب الملكوب لانى لما أطلقت مقرى الوحش وعروة بن الورد صرت من بعدهم أرصد هذا القرنان وأريحك منه وأقتله فما قدرت عليه ليقظته وقلة نومه ولما أصبح على الصباح اختلطت في هذه القبائل المجتمعة وقلت ما أبرح حتى أنظر ما يفعل هذا الشيطان اذا خرج الى براز الفرسان وان وقع أحد في يده من أصحابنا خاصته منه مادام أمرى معه مكتوم وحالى غير معلوم ولا زلت على مثل ذلك حتى رأيته قد وقع وانخذل بين يديك وانصرع وقد حصل له ذلك العذاب ووقع فعلمت ان الشرعة قد اندفع فانيت أشتفى بكتافه وعذابه وأوفيه باقى حسابه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ناج بن النهاش كلام شيبوب عرفه وحققه بوصفه وشال اليه رأسه وقال له ويلك ما أنت شيبوب عبد حسان الذى أردت البارحة أن تمضى معى

الى الملك النعمان فقال له شيبوب نعم يا ألف قرنان كلما تحدثت معك فهو زور ومحال وبهتان حتى خاصت من يديك فرسان عدنان وأبطال الزمان قال فلما سمع ناج ذلك تعجب وقال وحق دينى والبحر اذا زخر عمرى أدور القبائل والحال قط ماسمعت من اسمه شيبوب ومارأيت من يفعل مثلك ياكلب ياوجه الذيب ﴿قال الراوى﴾ فارتجعت بنو عبس بالنصر والظفر الى جبل الغمام وباتت في سرور واطمئنان بخلاف الليالى الاول وباتت القبائل تموج كما يموج البحر الزخار واجتمعت سادات الطوائف وقد عجزوا عن لقاء هذا العبد الاسود والبطل الامجد ومازالوا حتى اتفق رأيهم على قتالهم بسائر الجموع وعند الصباح زحفت عليهم سائر القبائل تروم القتال وتقدمت الى جبل الغمام وانعقد القتام ونزلت بنى عبس الى ذيل الجبل وعنتر يوصى أصحابه يجدوا في القتال ولم يعطوا الاهمال وقال لهم يابنى عمى هذا اليوم يوم الانفصال فلا تخشوا من كثرة الاعداء الانذال وفعلت بنو عبس مثل فعالها الاول وكانوا قد أصبحوا كثيرى الفرح والانبساط بخلاص أصحابهم وأسر ناج بن النهاش فجردوا الصفاح وصاحوا صيحة عظيمة ارتجت لها سائر البطاح وزعقوا زعقة واحدة زعزعت الجبال وجاوبتهم قبائل اليمن وجردوا في أيديهم النصال وأرادوا الحملة على بعضهم البعض وماثار والحرب حتى أبصر واغبارا قد أقبل من ناحية أرض المصانع وتحته هدير بوقات ودق كاسات وخفقان رايات وصهيل خيل صافنات وزعقات عاليات والرجال قد أكثرت الضجات ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم في ذلك الحال واذا هم بغبار ثان قد طلع من نواحى سواحل البحار وله زعقات وتحته زجال مثل الامطار وقد نظروا اليه وتفكروا فيه واذا هم بغبار ثالث وقد طلع من نواحى أرض اليمن من تحته صياح وزعقات وهو يدل على فرسان مثل الاسود مقبلين على عجل فاخذ الجميع الحيرة والانبهار وأكثروا في ذلك الاقوال ومازالوا على تلك الاحوال حتى انكشفت تلك الغبرات فحققوا الغبار الاول واذا تحته رايات وازدهارات وأعلام مرتفعات وقضبان من ذهب وفضة عليها تماثيل طيور وصور بازات وشئ تعجز عنه ألسن الواصفين وعلى الجيش هيبة ووقار لان فرسانه كلها مسربلة بالحديد المطلى بالذهب الاحمر ﴿قال الراوى﴾ فلما قاربوا جبل الغمام رأوا قبائل عرب بنى عبس على نية القتال فتجارت منهم الفرسان وساروا بين الصفين وجردوا السيوف وصاحوا على قبائل العرب ارجعوا عن اثارة الفتن واستعملوا الادب قدام الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان ملك العرب من بعد منها ومن اقترب فانه من أجل بنى عبس قد دخل الى هذا المكان لانهم أصهاره وسيوفه القاطعة وقد رضى عنهم بعدما كان غضبان عليهم وأنفذ خلفهم يردهم الى ديارهم والاوطان ويحسن لمن أحسن وأولاهم الاحسان ويقاتل من تعدى عليهم بالظلم والعدوان ﴿قال الراوى﴾ وأما الغبار الثانى فانه انكشف عن عشرة آلاف فارس من كل بطل ممارس وقرم مداعس وملكهم الملك نعمة بن الاشتر صاحب جبل الدخان وقد تقدمت قدام الفرسان وهم ينادون عن لسان واحد ابشر يا أبا الفوارس بالنصر على العدى فنحن بنو الاشتر قد جئنا نعادى من عاداك ونكون من الاسى فداك ومن أجلك قد دخلنا بلاد اليمن فلا كان من يشناك فنحن بنو الارقط سكان أرض السواد وجبل الدخان وأما الغبار الثالث فانه ظهر من تحته الملك عباد ومن حوله فرسان بنى القيان الضاربين بالحسام والسنان وتقدمت منهم الفرسان وهم ينادون عن لسان واحد ابشر وايابنى عبس بالنصر والامان وادعوا بحياة أبى الفوارس والشجعان وسيد الفرسان وقاهر ملوك هذا الزمان عنتر بن شداد ولما ان رأت فرسان اليمن كثرت قدام هؤلاء المواكب والكتائب وهم مقبلين من كل جانب بهتت نواظرها وتحيرت في أمورها وقل نشاطها وعزمها وعلموا ان تلك الخلائق القادمة اعانة لبنى عبس وخدمة لابى الفوارس عنتر وعولوا على الفرار والهرب وخافوا من العطب ولولا قدوم أخى الملك النعمان ما كان بقى منهم انسان لكن لما أبصروا الملك عمرو بن هند قويت عزائمهم وأقاموا ينتظرون الاخبار وعاشت أرواحهم بعد الممات وأما السبب في وصولهم وهم الملكان نعمة بن الاشتر وعباد سيد بنى القيان النجابة الذى أرسلهم

الملك مسعود بن مصاد الكلبى فى أول الديوان كما ذكرنا وأرسل الكتب وسارت بهم النجابة الى جميع قبائل أهل اليمن حتى بلغ خبر تلك الوقائع الى صنعا وعدن وتحادثت بها السفار والتجار فى شعب ووطن وبلغ ذلك الى أرض السواد وجبل الدخان واتصلت الاخبار الى الملك نعمة بن الاشتر صاحب جبل الدخان فجمع من قومه عشرة آلاف فارس من الشجعان المعودين بالضرب والطعان وسار بهم طالبا نصرة عنتر وقصدوا فى سيرهم سواحل البحار الى أن وصلوا الى جبل الغمام وكذلك فعل عبادة مقدم بنى القيان لما بلغه ذلك وفى السير اجتهد لانه خاف على ابنته أن تسبى فى بلاد اليمن وتتعب فى خلاصها لانها كانت زوجة الامير نازح بن أسيد بن جذيمة فجد فى مسيره ومعه أربعة آلاف عنان الى أن وصل الى هذا الغبار والغبار الاول غبار عمرو بن هند أخو الملك النعمان من أبيه وكان هو الاصغر الا أنه كان عاقلا كامل المروءة والادب وكان يحب الانصاف ويكره الجور والاسراف وكان السبب فى دخولهم أرض اليمن الى بنى عبس سبب عجيب وهو ان المتجردة زوجة الملك النعمان أخت الملك قيس لبست بعد أهلها السواد وصارت تبكى عليهم الليل والنهار وترثيهم بهذه الاشعار ومن جملة ما قالت هذه الابيات

هل أنت مبلغ أيا نسيم * سلاما من قلب السقيم * الى ديار رحلت عنها
والقلب فى أهلها مقيم * أرواحها راحت وقلما * عاشت بلا أرواحها الجسوم
أنفاسها جنتى وعندى * من حر أنفاس الجحيم * راق لشعرى النسيم لكن
باب غرامى هو الغريم * لاتسألوا عن حديث شوقى * فانه حديث عظيم
قضيت دين الاسا ولكن * ان هيامى هو الهموم * صاحب ذاقربكم وصالا
لوانه كالهوى يدوم * لكن همومى لقد تلاشت * مهجتى من جوى الجحيم

﴿قال الراوى﴾ وقد صارت المتجردة تبرطل العبيد بالاموال ليأتوا لها بجميع الاحوال والاخبار وهم يذكرون لها ما وقع لبنى عبس من الاخطار وأخبروها من ابتداء دخولهم بلاد اليمن والوقائع التى سارت حتى وصلها حديث جبل الغمام ومن اجتمع فيه على بنى عبس الكرام ويقال انها من يوم غضب الملك النعمان على قومها ما دخلت حمام ولا استلذت بأكل طعام ولا بمنام ومازالت كذلك حتى تغير عليها ناموس الملك الى أن أتى أيام نعمته وسروره وانصرفت أيام نقمته وهمومه وقد ذكرنا فيما تقدم من الكلام انه قد كان له هذين اليومين النعيم والبوس فكان فى يوم البؤس يسفك الدما ويصادر الاغنياء ويهجر اللذات ويغلق الاسواق وفى أيام النعيم يقضى الحاجات ويعمل الدعوات ويأمر بزينة البلد وكان سبب دخول أخيه الى بلاد اليمن انه كان فى أيام سروره دخل على زوجته المتجردة ليلة النعيم وهو سكران فرآها منهملة العبرات كثيرة المضرات لما قد بلغها ما جرى لاخيها فى عقبة الفروق وأرض المصانع وغيرهم من الوقائع كما قد ذكرنا فزادت بها اللوعات كما جرت عادة النسوان والبنات وزاد بها الهيمان وفى ذلك الوقت دخل عليها الملك النعمان وهى زائدة اللوعات تعدد بعديد وحنين زائد كالثاكلات وهى تنشد وتقول هذه الابيات

لوكان لى من ساعدنى على حزنى * ماذاب جسمى ولا هوى اضنابدنى
وبلاه من أنفاس أرددها * شوقا الى عرصات الدار والدمن
ياطائرا بات طول الليل منتحبا * يردد النوح فى سر وفى علن
ان كنت تندب الفا فقد فجعت به * فقد فجعت أنا فى الاهل والوطن
أصبحت أندب ياطير الاراك على * ظعن تخطفه الاعداء فى اليمن
عرنى جناحك ياطير الاراك عسى * أرى الاحبة فى صنعا وفى عدن
وذكر النعمان عهدهم * فعفوه واسع جار على الزمن
وخوفه ترك الاقطار آمنة * ولو خلت منه ما تحركت من فتن
ولو رأى قلقى فى الليل منعكفا * من علمه باشتياقى كان يرحمنى

وكيف ننصف أهل الدهر كلهم * بعدله ويرى ضعفى فيظلمنى

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع النعمان من زوجته المتجردة هذا الشعر والنظام وهذه الابيات انهملت من أجفانه العبرات لانها كان يحبها محبة عظيمة لما فيها من الحسن والجمال فقال لها لم ننصف الناس ونظلمك بل انا نرد أهلك الى بلادهم ونكرمك ثم انه خلا معها فى تلك الليلة وطيب قلبها ومسح دموعها فزالت النار التى بين ضلوعها وشكت اليه ما تجده من الوحشة وتحسرت حسرات متتابعات مع جمالها البارع فتغيرت أحوال الملك النعمان ونسى أيام البؤس والنعم وصار يعانق ويبوس ويضع يده على الملبوس يعنى الكاف والسين فقام الدبوس وبقى يدخله سكوس هذا قبل أن ينام وهى تقول أناما أريد منك الارد بنى عبس الى ديارها قبل أن تتصل أنسابها بانساب غيرها من أهل اليمن وآل قحطان فضمن لها الملك ما تريد وبات عندها الى الصباح وقام من المنام وغير ثيابه وجلس على كرسى مملكته وحضرت أرباب دولته وقد قضى حوائجهم فلما قضى حق الناس خلا بالوزير عمرو بن نفيلة العدوى وحدثه بما جرى له مع زوجته واستشاره فى ذلك وقال له انا قد أصبحت حائرا فى تلك الامور فان بنى فزارة قد استجاروا بى وطلبوا منى أخذ ثارهم من بنى عبس وعدنان وأخى الاسود يشدهم لاجل ما بينه وبينهم من القرابة والانساب وأخاف ان أنفذت خلف بنى عبس ورددتهم الى ديارهم أن يقع الشر ويتجدد بينهم وبين بنى فزارة الحرب ويتعب قلبى فى صلحهم وأريد منك أيها الاب الكبير أن تدبر هذا الامر بتدبيرك ﴿قال الراوى﴾ وقد ذكرنا ما فى هذا الوزير من الخير والصلاح وانه من جملة المعمرين فلما ان استشار الوزير فى رد بنى عبس الى ديارهم قال له أيها الملك الرأى عندى انك لا تفرط فى هذه القبيلة تندم لانهما من الشجاعة بمنزلة جليلة واذا كان خلفك مثل هذه القبيلة عاد من شئت من الملوك ولا يكن عندك خوف ولا فزع وقد عاينت أفعالهم أكثر مما وصل اليك من أخبارهم لانهم قوم مسعودون والصواب انك ترسل الى بنى فزارة وتقول لهم تسلموا أرض عدوكم واحفظوها وخذوها فى دية قتلاكم فاذا رجع بنو عبس أنزلهم على أرض بنى عامر وأرسل الى الاحوص بن جعفر بذلك وقد حال البعد بينهم وبين بنى فزارة بكل ما يتجدد من الاحقاد واذا طال بينهما البعد وهم فى الحياة فانت قادر ان تصل بينهم بالصلح بحسن الوفاء والذى بلغنى يا ملك ان بنى عبس ما كانوا الملومين ابنى فزارة ولا أعرف منهم بغيا ولا عدوان وانما حذيفة بن بدر كان رجلا غدارا مكارا وخان فى الايمان بعدما أصلح بينهم السيد عبد المطلب قاضى قضاة هذا الزمان ولما خان حذيفة أراه الله عاقبة البغى لما تعدى وخان ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع النعمان هذا المقال من الوزير فى ساعة الحال دعا باخيه عمرو بن هند وأخبره بما عول عليه من رد بنى عبس الى أرض الحجاز ثم انه جهزه بالفى فارس وأمره أن يسير الى بلاد اليمن ويأتى ببنى عبس وكتب كتبا الى سائر القبائل بطاعة أخيه وترك الفتن والدخول تحت أمره ونهيه وأيضا بالاحسان الى بنى عبس والملك قيس صهره فاجاب بالسمع والطاعة وأخذ ما يحتاج اليه من كل ما يصلح للملوك وسار والنوق تحمله والخيل والبغال وهو يقطع المنازل والقفار حتى دخل بلاد اليمن وعلمت به فرسان تلك الحلل والدمن فخدموه وصاروا يضيفونه ويكرمونه وقد سار معه من كل قبيلة عشرة وعشرون وأكثر من ذلك ﴿قال الراوى﴾ ومازال كذلك حتى أشرف على جبل الغمام وكان قد سمع باخبار بنى عبس وما جرى لهم من الحرب والقتال فجد فى مسيره حتى وصل اليهم كما ذكرنا وتقدم الى خدمته الملكان الملك نعمة بن الاشتر وعبادة سيد بنى القيان لما علما أنه أخو الملك النعمان ونظرا ما على الجيش من الهيبة والوقار وشاع الخبر أن قدوم بنى الارقط وبنى القين نجدة لبنى عبس وعنتر فتقدم فرسان القبائل وحماة الجحافل الى عمرو بن هند وخدموه ودعوا الى أخيه الملك النعمان بطول العز والبقا على الدوام فقال لهم عمرو يا وجوه العرب الكرام ما هذه القبائل وعلى من تجمعتم أما كان فيكم رجل عاقل يرد الجاهل عن جهله وعن أقارب الملك النعمان أما خشيتم المعيرة والمذمة بين القبائل والعرب بان يقال ان ملوك اليمن وفرسانها وأبطالها اجتمعوا على جبل الغمام فى خلق كثير لا تحصى على شرذمة قليلة من العربان وهم دون أربعة آلاف من الفرسان لا غير وقد أوقعوا بكم الذل والهوان وما كان وصل اليهم هذان الملكان

بهذه العساكر التي قدملأت الفضا وسدت عين الشمس والمستوى ولولاحضورى أنافى هذه الساعة ما كانت تبقى منكم بنوعبس فى هذه النجدة شيخا ولاغلام وتخرب دياركم وتنهب أموالكم وتملك أرضكم وتسبى حريكم وتشتتكم عن أوطانكم ولكن اشكر والرب القديم رب زمزم والحطيم واله الخليل ابراهيم الذى أرسلنى اليكم والا كان فنى أكثركم ودارت الدائرة عليكم لان كل أحد يعلم ان هذا الملك نعمة ما اقامه فى الملك الذى هو فيه الاعنتر بن شداد وانه ما أتى فى هذا الجيش الاوفى نفسه لايبقى منكم أحدا وكذلك عماد سيد بنى القيان صهر بنى عبس وعدنان لان ابنته متزوجة بمازح بن أسيد ولو وصلوا اليكم قبل وصولى ما أبقوا منكم انسانا فقالوا والله وحق من أوسع البيدا ما تعرضنا لهم حتى أنهم قتلوا الملك مسعود بن مصاد صاحب تلك الاراضى ومايخفى عليك أيها الملك العظيم ماصنعوا فى عقبة فروق المصانع وقتلهم معاوية بن النزال وفى بنى فهد ومافعلوا بالرجال وانهم قتلوا عمرو بن ضمرة القينى وعملوا شيأ يذكر وافيه مادامت الشمس والقمر بالمدح ونحن بالمذمة والعجز ولولاحضورك أيها الملك الجليل كاطلبنا منهم الاقالة وخصوصا من حاميتهم عنتر ابن شداد الذى ساد بفعله على جميع العباد وانه أمس قبل حضورك أيها الملك الكريم أسر من شجعاننا وفرساننا أوفى من مائتى أسير وآخر من أسره فارس اليمن وصنعاء وعدن عفريت السواحل ناجح بن النهاش وصار عنده فى الذل والوبال أيها الملك المفضال ولونعلم ان أخاك كان غضبانا عليهم ماتعرضنا لهم لاننا ماقاتلنا أحدا منهم حتى قتلوا مناعالما عظيما ولاسيما حاميتهم الاسمر المسمى بعنتر فانه مثل النار ذات الشرر التى لاتبقى ولاتذر والآن قدبلغ الامر منتهاه ومضى مامضى مادام أخوك قدجاد عليهم بالرضا وان لنامع القوم أسارى وأموالا ملا الصحراء فيطلقون لنا الجميع ويرحلون ويسيرون من جبل الغمام ويبعدون عنا بسلام ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم شرحوا له ماجرى عليهم ونالهم مماذكرنا وليس فى الاعادة افاده فتعجب الملك عمرو بن هند من ذلك وعظمت بنوعبس فى عينيه وصدق كلام الوزير فى حقهم لانه كان شك فى وصف الوزير فيهم ثم انه ضمن لهم اطلاق أسراهم وابعاد بنى عبس عن جبل الغمام وأنفذ اليهم وأعلمهم بذلك الكلام فنزلوا عن الجبال الى الصحراء بالاضعان والاموال والعيال وفرحوا بعودتهم الى الديار والاطلال وتقدم الملك قيس بن زهير واخوته الى الملك عمرو بن هند هو وأقاربه وجماعته ودعواله ولاخيه وعلموا أنه قد انصلح الامر والشان فاخبرهم ان ذلك كله سؤال أخته المتجردة لز وجها الملك النعمان وأعلمهم انه قد أرضى بنى فزارة بارضكم وانه قد أقطع لكم عوضا عنها ديارا واسعة فى أرض بنى عامر أهل الثناء والمفاخر وأمركم بالنزول لتسرحوا أموالكم فى جوانبها وفى نواحيها ولما سمعت بنوعبس ذلك رضوا بما قال الملك عمرو ودعواله ولاخيه بالعز والنصر وطلب الراحة من معادات قبائل اليمن وكان أفرح الخلق بذلك الامير عمارة بن زياد ﴿قال الراوى﴾ ثم تقدم الملك نعمة بن الاشتر بين أيادى أبى الفوارس عنتر وقبل صدره ويديه وقال له يا أبا الفوارس لماذا عبرت أرض اليمن ولم تقصد بقومك أرض السواحل وجبل الدخان أما تعلم أنها بلادى وفيها تحت بسيفك وأنا وأولاد عمى أمنا من سطوتك ثم انه بعد ذلك الكلام أشار اليه وجعل يقول

أعنتر مابرحت قرير عين * من البين فى ظل الجبال * فليس المجد الا ماينته
ظباء الهند والاصل العوالى * وليس العز الا ماجنته * باطراف القنا أيدى الرجال
فى أول من تشاء تجده سهلا * نسير خطبه وافى المقال * ومن والاك والته الامانى
ومن عاداك عادته الليالى * وقد طبعت سيوفك للمنايا * كما خلقت يمينك للنوال
بلغنا فيك مانرجو ونلنا * منانا منك من قبل السؤال
فدم بسيادة مع ظل عز * كنهر ليس يفرغ من نوالى

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر من الملك نعمة ذلك الكلام شكره وأكرمه غاية الاكرام وعرفه أن بنى عبس لما دخلت بلاد اليمن كان هو بارض الشام ولو أنى كنت فى أرض الحجاز ما كنت تركت أحدا من بنى عبس يطرق هذه الديار وكنت كاتبت الحلفاء والاصحاب والاخوان والتقى بهم عساكر الملك النعمان ولوان معهم

الانس والجان أوجن سليمان ﴿قال الراوى﴾ وتقدم بعده عماد سيد بنى القيان وقال له يا أبا الفوارس لاتحسب أنى نسيت جميلك والاحسان فانى وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم مقادير الارزاق والآجال وأطلع الشمس وأنار الهلال من يوم وصلتنى الاخبار ما أخذنى هدو ولاقرار بل أخذت معى من بنى عمى من كان حاضرا فى الديار وسرت بهم حتى وصلت هذه الاماكن ثم انه أشار يمدحه بهذه الابيات

قد نلت فضلا لاعكنا ببيان * حتى كل عنه نطق كل لسان * وعلت فعالك عن مقالة مادح
ماذا ينال معانيا بعيان * فى كل يوم يعتليك من العلا * مالم يجل فى خاطر الامكان
ماذا يقول الواصفون بوصفهم * فى وصف مجدك لوأتوا ببيان * أوليت احسانا فمالك مادح
الاوقد أربى على حسان * ولقد غنيت عن الثنا * منح السماح وضوعها الاعيان
وكفاك ماخضبت به بيض الظبا * فى الروع فوق فوارس الفرسان
فاسلم ودم فى عيشة مع غبطة * مشبوبة مقرونة بامان

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ذلك الكلام شكره وأثنى عليه وقبله فى صدره وبين عينيه وتقدم اليه زوج ابنته مازح بن أسيد وهناه بالسلامة من الاعداء وجاء الى ابنته وسلم عليها وباتوا يستشيرون فى أمر الرحيل الى ديار بنى عامر وكيف يكون الحال فقال لهم عنتر والله يابنى الاعمام ان عودتنا على هذا الحال مذلة ومقامنا فى أرض غيرنا هى المصيبة العظمى ونترك أرضنا لعدونا ونشمت الاعداء بنا فان هذا الرأى ليس بصواب ولايرضى به أحد من الاحباب وان مقامنا هنا أهون وأصوب لاننى فى هذا العام عولت ان أملككم سائر بلاد اليمن وأترك أهل الديار كلها تطيعكم وتدخل تحت نهيكم وأمركم ومانحن والله بمقهورين فى هذه الديار والاطلال حتى نرجع عن هذا الحال ولاسيما وقدقدمت الينا هذه النجدة فى أربعة عشرة آلاف فارس من كل ليث ممارس وقرم مداعس فنهض الامير عمارة بن زياد وقال له بالله عليك خلنا من رأيك فاننا ان قعدنا هاهنا الى عام آخر فما يبقى منا من يخبر بخبر لاسيما وقد دارت بنا هذه القبائل والابطال فدعنا يا ابن شداد نرجع الى أرضنا والديار ويكون علينا فيها ظل صهرنا الملك النعمان ونستريح مما نحن فيه من القتال والغربة وشماتة الاعداء فعندها قال الربيع بن زياد صدقت ياعمارة ياوهاب فان هذا القول ما به ضرر بل ربما تكون هذه البلاد قد طابت لحاميتنا عنتر بن شداد وهو بشأنه أخبر قال فلما سمع عنتر كلام الربيع وعرف أنه يريد قربهم وهم يريدون بعده فاستغنوا عنه ولم يرقواله الا اذا احتاجوا اليه وأرادوا القرب منه فاخفى ذلك فى قلبه وقال لهم الملك قيس يابنى العم دعونا من هذه العناد فان كل من فى هذه الارض أعداء لنا ولكم يابنى العم وأنا لا أصوب الرجوع الى أرض الحجاز فلما أصبح الصباح ركبوا الى سرادق الملك عمرو بن هند أخى الملك النعمان وسلموا عليه فترحب بهم وقال لهم اعلموا ياوجوه العرب الكرام أنه مابقى لكم فى هذه الارض مقام بعد قتل ملوكها والسادات فاقضوا اما لكم فيها من الاشغال واطلقوا ما فى أيديكم من الاسارى الذين عندكم فى الاعتقال ففرحت العربان وتباشرت أمراء القبائل والحلل فعندها دقت الطبول وتباشرت العسكر بالخلاص وأمر الملك عمرو بفتح صناديق الخلع المثمنات فخلع على الملك قيس واخوته وعلى عنتر وأبيه وعمومته وعلى الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وباقى اخوته وعلى أصحاب عنتر مثل مقرى الوحش وعروة ابن الورد البطل الهمام وخلع على الهطال سيد بنى غطفان وعلى عياض بن ناشب وعلى قرواش بن عم الملك قيس وعلى نعمة بن الاشتر وعلى مقدمى عساكره وعماد القيانى ووجوه عشائره وعلى السادات والملوك وفرسان اليمن وبعدها رحل كل واحد منهم طالبا دياره وقضى بنوعبس فى ذلك أشغالهم وأحوالهم وباتوا تلك الليلة فى أما كنهم يدبرون أحوالهم قال ولما كان من الغد أمر الملك عمرو بدق طبل الرحيل فرحلوا وتركوا فى قلوب أهل اليمن النيران لان أكثرهم مارضى بما جرى عليهم من قتل فرسانهم ولاسيما مافعل عنتر بعفريت السواحل وكيف كان خلاصهم على يد عمرو بن هند ولما غابت على أهل اليمن المقدمون وجدت بنوعبس فى المسير وأموالها بين أياديها سائرة وقد دخلت فى البرارى والقفار وقد ذكرنا ماقطعته بنوعبس

عند دخولهم أرض اليمن من المنازل والمناهل وقطعوا عند فودتهم أطول الرواحل هذا كله يجرى فى مسير
بنى عبس الاجواد وأما عنتر بن شداد فانه كان سائرا الى جانب الملك عمرو والى جانبه الآخر الملك قيس بن زهير
وهم يتحادثان والجيوش يدوى طعنهم كدوى البحار وقد اشتاقوا الى أرض الشربة والعلم السعدى ثم انهم
رحلوا وفرحوا بالبعد عن ديار الاعداء وانتزاعهم عن تلك الاراضى والجبال لان الملك عمرو بن هند قد أشار على
الملك قيس ابن زهير سيد بنى عبس وعدنان لاتدع أحدا من فرسانك يركن الى راحة وكونوا على أهبة من أمركم
ومستيقظين على أنفسكم حتى لايتعرض اليكم عدو بسوء فتحوجونا معهم لاخراق الهيبة وكشف الحجاب واثارة
الفتن فى أرض اليمن وترجعوا معهم الى المنهاج الاول واعلموا ان أخى النعمان أوصانى بمثل ذلك فاجاب الملك
قيس الى ماذكر ثم ان الملك جد فى المسير ولله المشيئة والتدبير حتى انه نزل فى منزلة يقال لها عربان جابر
ومياه الرباب فنزل فى تلك المنزلة لطلب الراحة وقد أضر بمن معه التعب من كثرة السير والسرى فى تلك
البرارى وماقاسوه من النصب فى تلك الآكام وقعدوا ثلاثة أيام ﴿قال الراوى﴾ ولما ان ضربوا مضاربهم
والخيام التفت عمرو بن هند الى فرسان بنى عبس وجمعهم اليه ولما جلسوا بين يديه قال لهم اعلموا ياوجوه
العرب ويافرسان الزمان من ذوى الرتب انى أعرف انكم فرسان المنايا وأبطال الزمان وشجعان القبائل
من آل عبس وعدنان فلا تتركوا فى هذه القبيلة من أحد الا أذقتموه العذاب وآذيتموه وأخذتم ماكان له من
الذهب والاموال والنوق والجمال والصواب انكم تحفظوا أرواحكم وأموالكم وأولادكم وترموا الحديد عن
أبدانكم لانى أشتهى ان أكون فى فريق ويغاب وأريد منكم أن تقبلوا رأيى ولاتخالفونى حتى تخرجوا من هذه
الديار والبر الاقفر فلما سمعت بنى عبس هذا المقال علموا ان قوله صواب وان رأيه لايعاب فصاروا كل
يوم يخرجون الى الصحراء ويقولون لبعضهم كل من له مال أو جمال يركب ويسير الى المراعى ويكون للقوم حافظا
وحارسا وراعيا حتى ان الملك قيس صار يخرج فى جميع اخوته وكذلك صار يفعل الربيع بن زياد والاقران
وأما أموال الامير عنتر بن شداد ومقرى الوحش فارس النياق والاقران وأموال عبلة فان عروة بن الورد حلف
بالايمان التى كانت تحلف بها العرب لايركب أحد جواد ولايخرج الى المرعى أحد غيرى ولايحرسها الا أنا وهن
متمرضات فقام كم عندهم أصوب ثم ان عروة بن الورد قسم رجاله قسمين وصار يخرج ويأخذ منهم كل يوم
خمسين فارس ويخرج مع الاموال والجمال وصار عروة على ذلك المنهاج أول يوم والثانى والثالث وفى اليوم
الرابع خرج مع رجاله على حسب العادة وآخر النهار عند اقبال الظلام عاد رجاله بلا مقدمهم
وكان عنتر انتظره عند المساء يعود من المراعى كما جرت عادته فابطأ عليه فاشتغل عليه قلبه فالتفت الى
مقرى الوحش وقال له يافارس النياق ان قلبى قد اشتغل وسرى قد انتقل من غياب أبى الابيض عروة
ابن الورد ورجاله فانه قد تغير معادهم وانا أقول لابد أن يكون جرى عليهم أمر من الامور ومامن المروءة أن
نقعد عنه وعن أخباره بل نركب نحن ونسير الى ملتقاهم فان كانوا فى خير هنيناهم وان وجدناهم فى ضيق
أعناهم وأنجدناهم فقم بنا يافارس النياق نبادرهم أنا وأنت ونكشف أخبارهم ونعانى أمورهم
بانفسنا ﴿قال الراوى﴾ فبينما مقرى الوحش وعنتر فى الكلام وقد ركبوا الخيول واعتقلوا بالرماح واذا
باصحاب عروة بن الورد قد أقبلوا وقالوا له ياأبا الفوارس نحن خرجنا على العادة ومقدمنا أبو الابيض الامير
عروة معنا فما زلنا سائرين الى الصحراء وتفرقنا فى نواحى المرعى وأخذ مقدمنا عروة فى طرد الوحش وقد
أوسع فى البر ونحن نقول انه عند المساء يعود فما عاد وقد تغير الوقت والميعاد واشتغلت قلوبنا عند غيبته
فتفرقنا فى أقطار البر ودرنا فى جنبات الصحراء حتى أقبل علينا الظلام وقد عدنا الى هاهنا ولم نقع له على أثر
ولا أعطانا أحد عنه خبر وهذا كان السبب فى اعاقتنا الى هذا الوقت ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع عنتر
كلام أصحاب عروة احترق قلبه عليه وأصابه غم عظيم وحصل له خطب جسيم وقال انه قد حبسه حابس
أو أمره آسر أو قتله قاتل لان قبائل اليمن من حولهم مثل النبات ومافيهم الامن يتمنى لبنى عبس الممات
فقال مقرى الوحش ان صاحبنا قد خرج فى خدمتنا ونتوانى عن كشف خبره ولانتبين له أثر هذا شئ لايصح

أبدا ثم ان عنتر ومقرى الوحش ساروا ومعهم شيبوب وكان الامير عنتر قد قال لابيه شداد اذا نحن أبطينا عليكم
وطلب الملك قيس الرحيل فدعوه يرحل ونحن نتبعكم الى ديار بنى عامر وقد سار عنتر هو ومقرى الوحش وغاصوا
فى البرارى والقفار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عنتر ومقرى الوحش فى دعوة عروة وأما ماكان
من بنى عبس والملك عمرو بن هند أخى الملك النعمان فانهم باتوا تلك الليلة فى الحى وأصبحوا معولين على السفر
والرواح وعند الصباح وصل اليهم الخبر بأخذ أموال بنى زياد وبعض أموال الملك قيس فعند ذلك اضطربت
القبيلة غاية الاضطراب وركبت الرجال وتجهزت الى الحرب والقتال وركب الملك قيس بن زهير فى سائر
أعمامه واخوته وكذلك الربيع بن زياد وركب الامير عمارة الوهاب وركبت بنو قراد وركبت بنو عبس ولم
يتخلف عن الركوب الامن لايقدر على الركوب وقد خرجوا من الحى والمضارب الى ظاهر البيوت فلما انهم
أوسعوا فى البرارى والقفار والسهول والاوعار افتقدوا الامير عنتر بن شداد ان يخرج من فريق بنى قراد
فما خرج وأيضا عروة بن الورد ومقرى الوحش فما ظهر لاحد منهم خبر ولا أثر فعند ذلك سأل الملك قيس عن
عنتر من أبيه شداد بن قراد فقال له شداد اعلم أيها الملك العظيم الشان صاحب الجود والاحسان وسيد ملوك
هذا الزمان ان ولدى عنتر قد سار مع مقرى الوحش فارس النياق فى طلب عروة بن الورد وفى ركابه أخاه شيبوب
أبا رياح فلما سمع الملك قيس وسمعت بنو عبس مقال شداد بن قراد صعب عليهم وكبر لديهم وخافوا من
تلك الارض ومن سكانها الا يحصل لهم أمر من الامور ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان منهم وأما ماكان من الملك
عمرو بن هند فلما سمع ذلك الكلام جرى عليه مالم يجر على قلب بشر وقد التفت الى الملك قيس بن زهير وقال له
هذا الحساب الذى حسبته ومن هذا كنت أخاف عليكم وما كان الصواب الا قطع الارض من قبل أن تجتمع
عليكم هذه القبائل لان أخى الملك النعمان قد أوصانى بذلك وقال لى لاتفارقهم حتى توصلهم الى ديار بنى عامر
أصحاب الثناء والمفاخر وقد أعطانى كتابا الى ملاعب الاسنه ورداد الاعنه غشم بن مالك والى سيدهم
الاحوص بن جعفر وأما الوزير الكبير والهمام المشير صاحب الرايات النبيله والاقوال الجليله والفضائل
الجميله الوزير عمرو بن نفيلة العدوى وزير الملك النعمان فانه من أكبر المحبين للامير عنتر بن شداد وان
المتجردة أخت الملك قيس زوجة الملك النعمان هى التى كانت السبب فى ذلك الامر والشان وسبب خروج بنى
عبس من هذه الديار والاوطان ورجوعهم الى الحى على رغم الاعداء والحساد واعلموا أنها أوصتنى بذلك
أعلى الوصية وأكدت على بكل التأكيد فى هذه القضية وأنا ما أشتهى أن أكون أنا المقدم عليكم ويضيع
لاحد عقال بعير فاذا حصل ذلك يكون فينا نقصان المروءة ﴿قال الراوى﴾ فقال الملك قيس ماكان هذا صواب
وأما الملك عمرو فانه التفت الى الملك قيس وقال له هذا هو الحساب الذى حسبته من هذا الامر والشان وما كان
الصواب الا قطع هذه الارض والهضاب ثم انه ركب فى الجيش الذى صار معه فى أثر العدو والذى طرقهم وتبعه
الابطال والشجعان من كل جانب ومكان ﴿قال الراوى﴾ وان الذى كان ساق أموال بنى عبس شيخ العرب
دريد بن الصمه صاحب العزيمة والهمه ومعه أخوه عبد الله وزوج ابنته سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار
الخائض الناكس ويسمى أيضا مشبع الاطيار وخائض الليل والنهار وكان قد خرج فى خمسين فارسا من
شجعان العرب الى بلاد اليمن فى طلب المعاش والمكسب وكبس القبائل ونهب الحلال والجحافل ومازالوا
يقطعون الارض وتلك المهاد حتى وصلوا الى غدران جابر فرأوا أموال بنى عبس قد ضاقت بها تلك البلاد وملأت
الدنيا وجنبات البيدا فقال دريد بن الصمه هذا المنزل ما كنت أعهد فيه أحدا نازل وأنا اشتهى أن أعلم من
نزل فيه من أهل اليمن وسكان تلك الدمن قبل ما نأخذ أموالهم ونبيد رجالهم فقال سبيع بن الحارث
ايش هذا المقال ياصاحب الرأى وانظر من خرج فى طلب المعاش والمكسب يسأل عن البدو والحضر لانسرق
ديار العدا وما معنا أحد من حلفا أنا ومع هذا لو أنى وقعت بمال أبى نهبته ولو قاتلنى عليه قاتلته لانه كما تعلم أنى
ما خرجت من عند قومى فى هذه المرة وخليت عندهم قوت يوم واحد وما كان عندى ضيعة وهبته وكلما أخذته
من أهله ونهبته لان أموال العرب كلها الى مباحه ويحفظونها من أجلى ﴿قال الراوى﴾ وكان سبيع هذا ابن

الحارث المسمى بذى الخمار وذلك أنه كان اذا خرج الى الحرب ووقف الطعن والضرب يشد خمار زوجته على قتاله فسموه ذى الخمار وكان فارسا جبارا وأسدا هدارا وشجاعا مغوارا وبطلا قهارا لا يصطلى له بنار وهو الذى عاش حتى تلاقى مع على بن أبى طالب مظهر العجائب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وأراد هذا اللعين بجهله أن يقاويه ويقاتله بقلة عقله فدمره على رضى الله عنه تدميرا وتركه بذى الفقار مجندلا عفيرا وكانت العرب قد اختلفت فى سبيع بن الحارث وقالوا انه كان يعد بسبعة آلاف فارس وكان تزوج ببنت دريد بن الصمه وكان دريد من شجعان العرب وكانت العرب تسميه راحات الحرب وقد ذكرنا ما عاش من العمر الطويل وما كان له من الاسم الكبير الجليل الا أنهم لما أشرفوا على أموال بنى عبس تشاوروا بينهم واتفقوا على أخذها برأى ذى الخمار فقال للخمسين فارسا الذين معه سوقوا أنتم هذه الخيل والنوق والمال وما قدرتم عليه من الانعام واطلبوا الديار والاطلال ودعونا نرد عنكم من ينفر اليكم من أبطال الفرسان وساقوا المال وفعلوا تلك الفعال وساقت الاموال وهى من أموال بنى زياد وأخذوا معها من أموال قيس قطعة جيدة من النياق وعادوا وقد فرحوا بكثرة الاموال وقرب الطريق والتلاق الا أنهم ما بعدوا عن الديار حتى ثار من خلفهم غبار وعلا وثار وكان أول من رآه سبيع بن الحارث فقال له دريد يا أبا انظر ها قد جاءت الخيل وتبعك أصحاب المال وما نحتاج لكشف أخبارهم ولا نتعب فى معرفتهم فعندها وقف دريد وأخوه عبد الله ابن الصمه وعشر فوارس أخر مع ذى الخمار وتقدم باقى الرجال بالمال فلما أن انكشف الغبار وبانت الخيل للنظار قال دريد لسبيع بن الحارث أنظر وصف لى هؤلاء الفرسان الذين تبعوا من خلفنا الاثر فانت أقوى منى نظر وأنا قد ضعف منى بصرى من طول السنين والكبر ولكن أعرف كل قبيلة وعشيرة اذا ركبت البر الاقفر فقال سبيع بن الحارث ما أرى الا جيشا متتابع سربا وفرق وفى أوائلهم رجال على خيل حمر وبأيديهم رماح سمر لكنهم قد ركزوا الاسنة بين آذان خيولهم وهذا يدل على خوفهم وبالهم فقال له دريد هذه صفة ما أعرفها الا فى بنى زياد وهى فرقة من بنى عبس وعدنان الا أن تكون فرسان اليمن قد صارت تفعل مثل ذلك فانظر يا سبيع ما وراءهم فقال وراءهم طائفة أخرى على خيول دهم مثل الظلام ورماحهم تجر من ورائهم بغير اكترات وهم أهدى من الفرقة الاولى وأكثر ثبات فقال دريد هذه صفة بنى قراد الذى قد نشأ فيها عنتر بن شداد فانظر ان كان قد بقى غيرهم أحد قال نعم على آثارهم فرقة أخرى رماحها مسلولة على أكتافها وهيبة الملك تلوح عليها وهم يدفعون الخيل دفعا ويقلعونها من الارض قلعا فقال دريد بن الصمه واحرباه هذه والله صفة الملك قيس ابن الملك زهير واخوته ومن يتبعه من فرسانه الاجواد فانه ان صدقنى حذرى ولم يخطئ فهمى فالنعمان قد رضى عنهم بعدما كان غضبان وأنفذ خلفهم الى أرض اليمن وردهم الى الديار والوطن فان كان هذا الحساب صحيح فالرأى عندى يا سبيع رد الاموال والنوق والجمال ونعتذر لهؤلاء القوم ولا يقع علينا عتب ولا لوم ولا يعتب علينا الملك النعمان فى ذلك الامر المذموم الذى لا يحصل فيه الا العتب واللوم فقال سبيع بن الحارث والله يا دريد لقد غيرك الكبر وأذلك الزمان الذى عليك غبر وكنت تسمى راحات الحرب وحق الرب القديم ومن هو بأحوال عباده عليم لو حضر الملك النعمان بنفسه الى هنا ما رديت منه عقال وما مكنته منه الا بعد حرب يهد شوامخ الجبال فان كنت أنت تفزع من بنى عبس وعبدهم عنتر والملك النعمان فاتبع أنت الاموال بلا توان واتركنى أنا التقى بنى عبس الانذال ﴿قال الراوى﴾ فوافق على هذا المقال عبد الله أخو دريد وتأهبوا للحرب والقتال فاحتاج دريد أن يوافقهم على ما يريدون وأخذ آلة الحرب وتجرد للطعن والضرب فقال سبيع ابشر بالنصر على هؤلاء العبيد لا سيما ان كان فيهم العبد الشديد عنتر بن شداد الذى له الذكر الكبير فقال ما فيكم أحد يذكر له نسبا ولا حسبا ولا يبدى كلام ولا نظام وخلوا أمرنا مخفى الى أن ينسدل الظلام ونسير تحت غياهبه ويبعد كل أحد منا عن صاحبه فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم تقدموا يطلبون الحرب والكفاح هذا وخيل بنى عبس قد جاءتهم مثل هبوب الرياح والدنيا قد تزلزلت ثم ارتجت من ركض الصافنات وانقلبت باختلاف اللغات والاصوات وكان بنو زياد فى أوائل الخيل لان المال الذى

أخذ كان لهم وهم أصحاب القريحة والاحقاد فتلقاهم سبيع بن الحارث بقلب لا يهاب الرجال ولا يفزع من لقاء الابطال ولا من قدوم الرجال وكذلك دريد بن الصمه وأخوه عبد الله ومن كان وقف معهم من الابطال واشتد بينهم القتال وخف حمل الاثقال وهانت الشدائد والاهوال وعظم الويل والخبال وانحطت مراتب السادة والاقيال ولم يخطر الموت لاحد منهم على بال وصارت بنو عبس تطلب رد الاموال فتجد بين يديها سبيع بن الحارث جبلا لا ينقاس بالجبال وأسدا لا يشبه بأسد الدحال وفى دون ساعة جرى الدم وسال وتمددت القتلى على الرمال وجالت الابطال يمينا وشمال وطرحت الاقيال فى المجال وسال النجيع مثل الرمح اذا سال أو الرمل السيال ووصل الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان فأبصر جيش بنى عبس قد انكسر وعليهم الفترة لفقد عنتر فتعجب من ذلك غاية العجب وقال لمن حوله يا وجوه العرب كل أحد يتحدث عن بنى عبس ويصف شجاعتهم وفعالهم مع عنتر فقال أصحابه أيها الملك الارض ولادة كل من قال أنا أوحد العصر خانه الدهر على ان هذا الفارس الذى فى وجوههم ما رأينا مثله ولا عاينا شكله ولا رأينا أحدا من العرب يفعل كفعله لا عنتر ولا غيره وما نظن ان عنتر يقف قدامه ويثبت لحربه وصدامه يا سادة ودام الامر على ذلك الحال حتى اقترب وقت الزوال فرأت بنو عبس الليل قد أقبل ولا بلغت من أعداها أمل فانحت لنفوسها وبغضت حياتها وان بنى عبس أطلقت خيلها على عبد الله أخى دريد بن الصمه وكان أسبقهم اليه رجلا من بنى زياد يقال له ذوات ابن أسماء فهجم عليه وطعن عبد الله بن الصمه بالرمح فأخرجه من أحشاه وقد أخرج امعاه وقلبه عن فرسه وهو يصيح الى أخيه دريد بن الصمه فلما سمع أخوه وعلم بقتله وحاله حمل واظهر عجائبه وأراد أن يخلصه من تحت أرجل الخيل فسبقه اليه أنس الحافظ أخو الربيع وعمارة وضربه بالسيف ضربة جبار فقضى عليه فأبصر دريد أخاه عبد الله على تلك الحالة فاسودت الدنيا فى عينيه وصار يحمل على الابطال ولم يزل كذلك حتى أهلك من بنى زياد فرسان وفى حملته التقى بعمارة أخى الربيع وسبق اليه بهمة عربية وطعن دريد بن الصمه وكان على آخر نفس قلبه عن ظهر الجواد ولولا تحصيل الآجال وحضور وفاته بالسعادة والاقبال ما كان جرى على دريد بن الصمه واخيه عبد الله هذه المجرى من عمارة بن زياد وابن اسماء ولكن الله عز وجل انفذ عليهم احكامه وأما سبيع فان الفرسان الذين كانوا قدامه من طائفة بنى عبس وانهم ذاقوا مرارة طعنه والضراب ما حير نواظرهم الى ان هجم الليل وأقبل الظلام وهو كلما رأى فارسا من الفرسان وقد قارب عليه عاد اليه وناشبه فأشبعهم حربا وبددهم شرقا وغربا وقد ردها بسيفه وخاف ان يأخذ غنيمته من يده بعدما احتوى عليها وما قدر احد من الفرسان يقف قدامه ورد عزمه على بنى عبس وصار يتنهد ويتحسر على ذلك وبنو عبس قد اشتهت ان تفعل به وبفرسانه أقبح الفعال وما رات بنو عبس ان تكل حالها الى رجل واحد ولا ينظرهم الملك عمرو بعين النقصان وان بنى عبس لم ترات العودة قاتلت الى ان اهلكوا الرجال الذين كانوا مع سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وذو الخمار رأى بعينه الهلاك من قتال بنى عبس وقد صار يقاتل بنى عبس يوما كاملا وتعجب بنفسه وهو سالم ولو كان احد غير بنى عبس كان بددهم ذو الخمار وأخذ غنيمته ورجع منهم سالما ولكن قد أبصر من فرسانهم حربا صادقا لم يره من غيرهم فعرفهم لأجل ما لاقى من البوائق وأيضا أبذلوا المجهود فى قتال ذى الخمار وخلصوا أموالهم منه بعد قتل أصحابه قوة واقتدار وأيضا خافوا من معيرة العرب لهم وأول ما كان يعايرهم الملك عمرو بن هند فصدقوا فى القتال وكان ذو الخمار قد صار وحيدا فريدا غريبا فهانت نفسه عنده ووقف منهم بالبعد فرأى الاموال راجعة وأصحابه مطروحين فى البيدا وقد هجم عليهم الظلام فسترهم عن عيون بنى عبس الكرام وما زال واقفا حتى عادت بنو عبس عليه وهى عائدة بأموالها وكانوا قد علموا ان أخوة النعمان يراهم بعين العجز والنقصان وانها قد اشتهت أن تعرف من فعل بها تلك الفعال فدخلوا على مكان المعمعة وتقدموا الى القتلى فرأوا الارض ملآنة بالرمم وتبينوا بنى عبس وغيرهم فرأوهم من بنى هوازن وجشم فقال الملك قيس وذمة العرب وشهر رجب نحن ما دهينا الا من دريد بن الصمه وان صدقنى حذرى فان الفارس الذى نجا من

بين أيدينا ما كان الا ذو الخمار وان كان هذا صحيح فنحن والله خاسرين لان العرب كلها قد أجمعت على ان هذا
يلقى من الفرسان سبعة آلاف فارس ويكون عليهم رابح ليس بخاسر لا سيما ان كان معه صهره دريد بن الصمه
فقال الملك عمرو بن هند يا قيس يكون سبيع ابن الحارث في طبقة اسودكم عنتر عند الحرب والقتال فقال نعم
يا مولاي وفي بعض الاوقات يفعل عنتر بن شداد فعالا يعجز عنها ذو الخمار وغيره من الابطال فقال الربيع بن
زياد ايش هذا المقال ومن هو عنتر عند هذا الفارس الرئبال وحق ذمة العرب ما يقف بين يديه عنتر ساعة
من النهار وما غاب عنتر في هذه النوبة الا من سعادته والا كان ذو الخمار سقاه كاس منيته قال فلما أتم هذا الكلام
واذا بلطمة من الهواء على أصول رقبته صدمت الارض بخلقته وأرمت من على رأسه عمته ففتح عيونه من دهشته
ثم انه التفت لينظر من هو الذي لكمه واذا به شداد بن قراد أبو عنتر وهو يقول له يا ديوث كم تذم ولدي في غيبته
وتنافق عليه في حضرته وتفضل عليه من هو دونه ولم يقدر أن يصل الى طبقته ولا يعد من فرسانه ولا من أبطاله
وكان يقطع من الدنيا آثاره ولو كان في هذه النوبة حاضر وشاهد ذلك بالعين ما كان أحوج أحدا منكم الى
حرب وطعان أما نظرت عيناك فعله وما فعل في بلاد اليمن وكم دفع عنكم من كل شدة ومحن ففرق بينهم
الملك عمرو بن هند وقال لا بد أن أدع أخي الملك النعمان عند عودتي وأتركه يبارز بين الاثنين ثم انهم جدوا في
المسير وطلبوا المنزل الذي كانوا فيه نزل واستراحوا من التعب وأراحوا الخيل التي كانت تحتهم ﴿قال الراوي﴾
وكان سبيع بن الحارث قد نزل عن جواده وقد قصد بين يديه في الليل البر حتى انقطع عنه حس بني عبس وخلا له
البر وبقي متفكرا فيما جرى كيف تؤخذ غنيمته منه غصبا وما زال الى الصباح وعول على الانصراف وفي قلبه
النار لا تطفا لاجل قتله دريد وعبد الله فلما عول على ذلك فما طاوعته نفسه ولا طاب له أن يروح ويخلي دريد
في البر مطروح في عرض البيدا معدا بين القتلى فحدثته نفسه أن يحمله الى الاحياء فعاد على الاثر وجد في سيره
حتى وصل الى مكان المعمعة فدار بين القتلى على دريد فرآه ملقى ودمه يسيل وهو يصيح ويطلب النهوض فلا
يقدر على ذلك ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك ان الملك قيس وسادات بني
عبس لما نظروا الى دريد وهو ملقى وقفوا عنده لاجل أن يعرفوه وقد حققوه وانصرفوا وتركوه وكان آخر من وقف
عليه عمارة بن زياد وأخوه أنس وقد نظروا الى عظم خلقته وكبر جثته فتعجبوا منه وقال عمارة ما كانت هذه
الطعنة الا طعنتي وفي الحال ترك سنان رمحه في مكان الطعنة وهو يرتعش وينتفض ثم انه قوى قلبه وكبسها
فجاءت سواء بسواء فقال عمارة هذه طعنتي وذمة العرب ورافع السماء ثم انه كبسها ثاني مرة في هذا المكان
وصار الدم يجري مثل فم القربة لان الدم كان حبس في جوفه وسار عمارة الى أبياته فلما ظهر الدم من جسد
دريد أفاق على نفسه وفتح عينيه وصار من حلاوة الروح يطلب الجلوس وهو لا يقدر على ذلك فوصل اليه سبيع
ابن الحارث بعد انصراف عمارة من عنده فوجد دريد على هذه الحالة فشد جراحه وسنده حتى قعد وتكلم
وقال له يا سبيع ما اظن الذي طعنني الا مريض أو متجر من تجار العرب فما كانت طعنته بالغة
ولو كانت طعنة شجاع كانت أخرقت أحشائي فقال له سبيع يا أبا النظر الآن كان الذي كان وسوف
أريك ما أفعل ببني عبس وعدنان بعدما قتلوا أخاك عبد الله وقد أثاروا الدماء بيننا وحق الكعبة
الغراء وأبي قبيس وحرا لا أبقيت من بني عبس أحدا ثم ان سبيع ركب دريد على بعض الخيول الشاردة وقد فرح
بسلامته ﴿قال الراوي﴾ هذا ما جرى لدريد بن الصمه وأخيه عبد الله وسبيع بن الحارث وأما ما كان من بني
عبس فانهم وصلوا الى منازلهم واستراحوا تلك الليلة وعند الصباح استشاروا الملك قيس في أمر الرحيل فقال لهم
اتركوني فان هذا الامر قد حرت فيه واذا رحلت أخاف على حامية القبيلة عنتر ان يرجع فلا يرانا وربما يقع في
أمر صعب فلا ركن له ولا معين وان أقمت هاهنا فما أدري ما يطرقني من النوائب ﴿قال الراوي﴾ فلما تكلم الملك
قيس بهذا الكلام تقدم شداد بن قراد وقال له أيها الملك ان كنت عولت على الرحيل فارحل فان ولدي عنتر
أوصاني بذلك وهو يا ملك يلحقنا في ديار بني عامر وانه ما يعود حتى يكشف خبر عروة بن الورد فلما تكلم شداد
بذلك قال الملك والله هذه عادته ما يعالج لاموره الا بنفسه من غير أن يعلمنا وأنا ما أرحل من هاهنا حتى أسمع

خبره فتقدم عمارة بن زياد الى الملك قيس وقال له ما انا أصوب من الرحيل وأما عنتر فانه ما يبالي ما دام معه
مقري الوحش وأخوه شيبوب قال وكان عمارة بن زياد قد نظر الى نفسه بعين عظيمة لما ان رأى دريدا مطروحا
من طعنته وكان اذا خرج من المضارب يهز أكتافه ويخلع أطرافه ويلعب بهم ولما قال هذا الكلام قال
أخوه الربيع بن زياد هذا هو الصواب الذي ذكره عمارة الوهاب لان معنا رجالا كثيرة وهم ضعفاء
ومجروحون وما زال الربيع وأخوه عمارة على مثل ذلك حتى استحى الملك قيس ابن الملك زهير وأقام بالناس في
ذلك المنزل بقية الثلاثة أيام ولما ان مضت تلك الايام رحل وقلبه عند الامير عنتر بن شداد لئلا يحدث فيه
أمر من الامور لانه لم يسمع له خبر ولم يبلغه عنه بجلية تر ﴿قال الراوي﴾ وعند الرحيل تولى الاظعان بن
أخت الامير عنتر خدمة الاميرة عبلة بنت مالك بن قراد ومسيكة زوجة الامير مقري الوحش فارس النياق
وأخوها عمرو وشداد بن قراد فارس جروه وحامي النسوه ورجال عروة بن الورد ﴿قال الراوي﴾ فهذا
ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان وأما ما كان من الامير عنتر سيد الفرسان فانه في الليلة التي
أخبر فيها بفقد عروة أبي الابيض ابن الورد فانه بقي قلقان القلب خائفا عليه لئلا يكون حصل فيه أمر من الامور
فاخذ صحبته مقري الوحش وأخاه الامير شيبوب وساروا ولو كان لهم أجنحة طاروا فما طلع عليهم النهار الا
وهم في الارض التي كان يتصيد فيها عروة وضاع منها فعند ذلك اقتفى شيبوب أثره وسار يركض الارض يمينا
ويسارا وأيضا سار يسأل عنه من السفار في الليل والنهار في البراري والقفار والسهول والاوعار ويرجع
الى أخيه عنتر الفارس الكرار بلا فائدة ولا أخبار ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل كذلك على هذا المدار مدة ثلاثة
أيام ليلا ونهار فلما ان كان في اليوم الرابع ترك أخاه عنتر ومقري الوحش في بعض الاودية وأطلق قدميه
للريح وطلب البر الفسيح وسار كانه الريح الهبوب الى ان خفي عن الابصار ثم انه طلب البر فرأى مضارب
وخيام فطلبهم ليأخذ أخبار الامير عروة بن الورد وما زال يركض حتى انه قارب خيام القوم واختلط بعبيدهم
وصار ينادي برفيع صوته يا بني الخالة حييتم وحيي عرب أنتم منها فانتم السادات العظام والفرسان الكرم
وأنا يا وجوه العرب رجل فقير الحال وذو عيال ووحيد وليس لي سند وقد ضاع لي خمسة من الابل النياق
السمان وفحل من الابل عظيم الشان وقد شردوا مني من بين المضارب والخيام وأصبحت من أجلهم هائما
في البراري والآكام فقولوا لي وذمة العرب الكرام يا ابن الخالة ما رأينا شيئا من ذلك هذا وقد داروا من حواليه
وسألوه عن حاله وعن ربه ومن يقال لمولاه فقال لهم اعلموا انني من بني دوران وصاحبي يقال له هابيل بن
عبد اللات وهو رجل سيئ الخلق وما أقول الا انكم تعرفوه أكيد المعرفة وكان شيبوب قد سمى لهم رجلا من تلك
الارض ثم انه بكى وان واشتكى وقال لهم يا بني الخالة اعلموا انه كان قد سلم لي أمواله ونوقه وجماله وقد
ألزمني بحفظها ورعايتها والدوران بها وألزمني ما ليس لي به طاقة وما زلت على مثل ذلك حتى غفلت عن
النوق فخرج منها عشرة وشردوا وقد خرجت أدور عليهم في تلك الاماكن الى ان رمتني عليكم المقادير
واعلموا اني ما أطلقني وخرجت أدور عليهم الا بعد ان أقمت لي ضامنا يضمنني والى الآن ما ظفرت بهم
﴿قال الراوي﴾ ثم انه بعد ذلك الكلام أظهر لهم الذل والانكسار وأجرى دموعه وصار يبكي ودموعه غزار
فلما رآه العبيد على ذلك الحال رقوا له وقد رحموه وأخرجوا له من زادهم وأطعموه وبعد ذلك جلس
يحادثهم وينادمهم ويطاولهم الاشعار ويحكي لهم على ما جرى للرجال الذين تقدموا من الحكايات والاسماء
﴿قال الراوي﴾ هذا وقد نظر شيبوب الى دخان طالع من جانب حلتهم وحولهم جماعة كثيرة وجمع غزير
وأهل الحي في فرح وسرور وبهجة وحبور وصياح عال وهم يزعقون فقال شيبوب لواحد من العبيد
اليوم عرس أو وليمة فقال له أحدهم لا يا وجه العرب وما الذي قد بان لك من العرس وانما صاحبنا صميد وقع
في يده من بني عبس رجل وقال انه ما له شيء من المال يشتري به نفسه ومن غيظ صاحبنا صميد لما بلغه عنه وعن
قومه وما فعلوا في أرض اليمن قد عول على هلاكه وقال ما أقتله حتى أعذبه بالنار وأشفي منه قلبي وقلب أهل
هذه الديار والدخان الذي تراه من شأن عذابه لان الامير صميد قد أمر عبيده أن يوقدوا النار ويضعوا الحجر

حتى يحمى ويضعوا عليها هذا الرجل العبسى حتى ينسر لحمه من عظمه فلما سمع شيبوب ذلك الخبر احترق
قلبه على عروة بن الورد وقد فرح بظهور خبره ثم قال للعبيد والله يا بنى الخالة لقد أخطأ صاحبكم فى حرق هذا
الرجل بالنار وان حرقه جاب لكم البلاء والدمار لانى أنا اليوم التقيت طائفة من بنى عبس يدورون عليه
ويسألون عنه فقال لى فارس منهم طويل أسود بعد ما شرحت له حالى وضيعان جمالى وقال ان وقعت
لصاحبنا على خبر ووقعت له على اثر خلفنا عليك ما ضاع منك وأعطيناك ما تشترى به نفسك وتعيش
به باقى عمرك وها نحن فى هذا المكان مكمنين حتى نسمع له خبر لاننا قد أنفذنا جواسيس الى سائر المحلات ولا
بد ما نقع بالحلة التى نراه فيها وندمرها تدمير وأنتم تعلمون ان المال محبوب وأنا رجل صعلوك منكوب ولكننى
ما أختار بنى عبس على أهل اليمن ولا تتكامل الافراح حتى انه لم يخرج أحد منهم من أرض اليمن ويرجع
سالما لاجل ما فعلوا باهلنا والصواب عندى أن يركب صاحبكم برجاله ويسير الى هؤلاء العبسيين بالطائفة التى
معه ويكبسهم فى الكمين ويضع فيهم السيف ومن وقع فى يده منهم يحرقه بالنار مع هذا الشيطان أو يبيعهم
أنفسهم بالمال لان أموال اليمن قد عادت كلها مع بنى عبس وهم فى أرضنا عابرين وفى سيرهم مجدين وما فيهم
من يلتفت الى صاحبه من شدة التعب ولولم يكن هذا الرجل عندهم عزيزا ما كانوا انفذوا خلفه هذه السريه
قال فلما سمع العبيد هذا الخطاب والكلام من شيبوب فرحوا فرحا عظيما واستحسنوا ما ذكر وقالوا له والله
يا غلام لقد خرجت من بيتك فى وقت سعيد ونحن نعلم سيدنا صميد يعطيك كل ما تريد ان أنت أوقفته على سرية
بنى عبس لانه عليهم يتجرع مثل المرأة الثكلى أو كالحبة على المقلى لاسيما ان كان فيهم حاميهم عنتر فقال
شيبوب يا بنى الخالة أنا ما أعرف منهم أحدا لكننى نظرت مع هؤلاء القوم عبدا اسود طويلا عريضا غائصا فى
الزرد النضيد والذى معه سود من حديد فان كان لصاحبكم غرض فامضوا اليه واعلموه بهذا الخبر وقولوا له
يركب فيمن يريد حتى ندركهم وندرك هذا العبد الاسود الذى قلتم انه عنتر قال فعندها تجارت العبيد تطلب الحلة
وكان كل واحد من العبيد يريد ان يسبق الآخر لاجل أن يأخذ البشارة وصياحهم قد علا وعجاجهم قد
ضاقت منه أرض الفلا فلما أبعدوا عن شيبوب عاد هو على اثره وأطلق رجليه مثل الريح الهبوب وطلب أخاه
وكان غرضه بذلك المقال اشتغال القوم عن حرق عروة بن الورد وتقع المهلة عليه الى أن يعود هو الى الامير عنتر
ويخبره بذلك الخبر لان شيبوب لما سمع من العبيد أن سيدهم صميد قد أحمى النار لعروة ويريد يحرقه عند
الصباح ويضعه فوق الصخر وخاف من أخيه لم يلحقه فاشغل قلوبهم بهذا الحديث ﴿قال الراوى﴾ وكان
السبب فى وقوع عروة بن الورد فى يد هذا الفارس أنه كان قد أخذ أصحابه وخرج على حرس الاموال وحفظها
كما ذكرنا وأراد بذلك التخفيف عن قلوبهم وترك رجاله فى المرعى وتولع بالصيد وأخذ فى طرد الوحش حتى قارب
زوال الشمس وأراد أن يركض ويعود الى أصحابه وكان قد أبعد فى البر عنهم واتسع فى الفلوات الخاليات
فاتفق له هذا الشيطان وهو عائد من بنى هوازن ومعه هذه الفرسان وأموال كثيرة وهو فرحان فلما رأى
عروة وهو فى البر يهيم فقال للفرسان الذين كانت معه وكانت أوفى من ألف فارس يا ويلكم هذا البر ما أعرف
أحدا فيه ساكنا وأرى هذا الفارس فيه وحيدا فريدا فدونكم واياه ولا تعودوا الا به حتى نبصر حاله ومن أى
العرب هو فعندها تجارت الفرسان الى عروة بن الورد ودارت حواليه الرجال والشجعان وكان عروة من
الصيد تعبان وصار يدفع عن نفسه ويمانع حتى جرح وأخذ بعد قتل جواده وساروا به قدام سيدهم صميد فقال
له من أى الناس أنت فاخفى عروة نفسه فزعا من عطبه وقال يا مولاى أنا رجل من أرض العراق من أصحاب
الملك النعمان وأنا ما دخلت هذه الارض الا فزعا منه لانى قتلت له قتيلا يعز عليه وان هذا الملك مطاع وعلمكم
ان قبائل العرب تطيعه ولا أحد يجيرنى من يده فدخلت الى تلك الارض هائما على وجهى ولا أدرى أين التجى
ولا ممن أطلب فرجى وها أنا قد وقعت فى يدك وانقدت اليك فان كنت ترحمنى وتحلم على كان والا فافعل
ما شئت لانى لى أيام ما شبعت فيها من طعام بين الملا ولا اقتات الا من وحش الفلا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع
مقدم السريه صميد كلامه رق له وأراد أن يطلقه فعرفه بعض أصحابه وقالوا له يا أمير لا تسمع كلامه فانه محال

وهو أشد الرجال هذا يقال له عروة بن الورد العبسى وأنا قد رأيته فى بلاد الحجاز مرارا وأبصرت قتاله تحت القتام
والغبار ولو لم يكن تعبان وجواده قصر وقاتلناه ما كنا قدرنا عليه بوجه من الوجوه وكان يهلك منا أكثر من
نصفنا وهو فى الشجاعة فى مكان عظيم وفى البراعة بقلب جسيم قال فلما سمع صميد بن مانع هذا المقال اهتز
فى سرجه ومال وقال يا لها من طريق ما كان أسعدها وأقلها خطر وذمة العرب هذا صديق بنى عبس عنتر
ابن شداد ثم انه أوقف عروة بن الورد على ذلك فانكر ولا عاد عن قوله الاول ولا بدل ولا غير فقال صميد بن
مانع لاصحابه شدوه على ظهر جواده واياكم أن تقصروا وأوثقوا رباطه وشداده ولا تتوانوا عن ذلك حتى انه
يقر بالذنب الذى هو فيه ويتكلم بالصحيح ويخبركم بما كان فيه من غير تلويح ثم انه أخذه معه وسار هو وقومه
ولم يزل سائرا حتى انه وصل الى دياره وقد قر قراره فعند ذلك أولم وليمة لها قدر وقيمة الى قومه ثم انه بعد ذلك
فرق عليهم المال الذى أتى معهم ومازال كذلك الى أن فرغ قلبه مما كان فيه ثم انه عاد الى عروة بن الورد ونزل
عليه بالضرب الشديد والعذاب الاكيد حتى انه أقر من كثرة الضرب انه من بنى عبس وعدنان أسود الغاب
ورجال الطعن والضراب التى تصفهم العرب بفرسان المنايا والموت الزؤام وقال له أنا كنت قاصد الى الملك
النعمان ملك العرب رسولا من عند صاحبنا الملك قيس ابن الملك زهير سيد بنى عبس وعدنان وكان معى كتاب
الى أخته المتجردة زوجة الملك النعمان يسألها عن قومها وتسأل بعلها الملك النعمان حتى يردهم الى أرض
الحجاز لانا ما دخلنا الى أرض اليمن الا خوفا من سطوته وها أنت قد أعقتنى وعن طلبى عوقتنى وأنت ان
قتلتنى خلفى من يأخذ بالثار ويكشف العار الذى يقطع الاصول ويطفى لهيب الاكباد وهو الامير عنتر
ابن شداد حامية بنى عبس الاجواد وسيد آل قراد ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال صميد بن مانع يا كلب
بنى عبس لو أنك أنت تكون الملك النعمان ابن الملك المنذر ما عدت ترى من الاسر الا أنواع العذاب والنكال
وعادتنا نلتقى الابطال فى البر باسنان العوالى وأنت بعد ما سمعت بصميد وأصحابه وما ذقت طعنه ولا ضرابه
ولا بد أن تذوقوه منه فوحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لاشفين منك ومن أصحابك قلب
كل من فى بلاد اليمن ولاشربن من دماكم كما يشرب الانسان اللبن لان حديثك وحديث صاحبك
عنتر الاسود والبغل الانكد عبد بنى عبس قد وصل الى بالتمام والكمال وأيضا سمعت عنكم كم من حلة
قلعتم وكم من جموع فرقتم وكم من عشيرة قتلتم لاسيما يوم وقعة عقبة الفروق وأرض المصانع يقول أسودكم
عنتر هذه الابيات

اذا كشف الزمان لك القناعا * ومد اليك صرف الدهر باعا * فلا تخش المنايا والتقيها
ودافع ما استطعت لها اندفاعا * وفى أرض المصانع قد تركنا * لنا بفعالنا خبرا وشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرب * وأشهرنا السيوف لها متاعا * ورمحى كان دلال المنايا
فخاض جموعها وشرى وباعا * ولو أرسلت سيفى مع ذليل * لكان بهيبتى قهر الشجاعا

﴿قال الراوى﴾ ثم قال يا عروة وا أسفاه الذى ما كنت فى هذه الوقعة حاضرا وناظرا حتى كنتم تنظرون منى
حقيقة الحرب وقوة الطعن والضرب ولكن تم ذلك بسعد عبدكم وقد بلغنى أيضا بعد ذلك ما جرى لكم فى
القتال فى أرض أعمار عامر وما وقع بينكم وبين الملك مسعود بن مصاد الكبير وسمعت أنك أنت يا عروة
وصديقك عنتر بن شداد كنتما تركضان على الناس وعنتر يخوض الحرب ويخوض جموعها وهو يحرضك على
القتال وهو يقول هذه الابيات

عروة بن الورد ليث عبسى * كن آمنا من غلبات الانس
الا ترانى قد بذلت نفسى * للموت حتى يطمئن عرسى

وهذه الابيات ما تزول يا عروة عن قلبى أبدا الا ان التقى بهذا العبد ولد الزنا وأكافئه على ما كان منه فقال له
عروة يا صميد ان شاء رب هذه السماء الزرقاء أن يجمع بينك وبينه وتشاهد منه عيان حربا تتعوذ منه الانس
والجان والله يا صميد ان هذه البغضة التى قد ثبتت فى قلبك هى التى تكون سببا لضرب رقبتك لانى أعلم أن

مرادك أن تقتلني وان سمع عنتر خبري فلابد يأتي و يأخذ بثاري وسوف ترى رجلا لا تشابهه الاسود من الرجال
ولا تشابهه الاد واسخ الجبال و يكون ذلك يا صميد قدامي حتى اني أذكرك بذلك لان هذا الرجل اذا كان قدامه
الالاف أو الالفين أو العشرة بالسواء لانه أسد أدعر أرغم يبدد شملهم كما يبدد الذيب شمل الغنم وفي ذلك الوقت
ترى والله وتندم حيث لا ينفعك الندم اذا قاتلت هذا الفارس الادهم الذي قد أذل ملوك اليمن وقهر الامم
وما كنت أشتهي الا أن أكون بعد هذا الكلام بالحياة وأنظر بعيني تشتيت شملك في الصحراء غربا وشرقا وتبقى
أنت لوحش البر رزقا و بعد هذا افعل ما تشاء وما تختار ودبر ما تهوى ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع صميد ذلك
الكلام زاد غضبه وكثر غيظه وأقسم بربه انه لابد له أن يحرقه ثم انه أمر غلمانه أن يجمعوا له الحطب ويحملوا له
الصخر الجلمد وقال ان أنا أمهلت عليه يقولوا العرب اني قد فزعت من عبدهم الاسود وقد تركته بالحياة حتى
أفدي به نفسي ولابد لي ما أبرد كبدي بحريق كل من وقع في يدي وعلى الحقيقة أشرف عروة بن الورد على
الهلاك وسوء الارتباك ولما قال لعبيده ذلك المقال أوقدوا النار على الصخر حتى صار مثل لظى الجمر
وما وصل العبيد الى سيدهم صميد الا والصخرة قد صارت حمراء وهجة بالغضب وبقت شبه النار التي توقدوا ما بقي الا
أن يحملوه ويتركوه فوقها حتى انه يذوب فقال له العبيد ابقى يا مولانا على هذا الرجل العبسي لقد أتاك من
يرشدك على رفقاه وأتاك الامر كما تريد وقد وصل رفيقه الاسود الشيطان المريد وقد أتاك من يرشدك عليه
و يوصلك اليه وتأخذ روحه من بين جنبيه ثم انهم أخبروه بحديث شيبوب فكاد قلبه من الفرح يذوب
فركب وصاح في الخيل فتبادرت اليه الابطال وقد اعتدت للحرب والقتال وسألوه عن الحال فاخبرهم
بما سمع من عبيده من المقال وأبعد عن عروة العذاب والنكال ثم سار الى المرعى والمناهل النابعة والخيل
خلفه متتابعة فلما وصل قال للرعيان وأين العبد الذي قد أخبركم بهذا الحال ائتوني به وبشر ومني بالغنى
اذا هو أوصلني الى بلوغ المنى فعند ذلك سارت العبيد في أثر شيبوب وتفرقوا في طلبه فما رأوه فزاغت أعينهم
في البر والفلاه وقالوا لسيدهم صميد ها هنا تركناه وما ندري أين مضى في واسع الفضا فقال صميد وحق
الرب الكبير المتعال ما كان هذا العبد الا مكار محتال فان صدقني حذري فانه من عبيد بني عبس وما أتى
الا جاسوس من الكمين الذين قد ذكره لكم والساعة ترون الجيش وقد ظهر وفي أوائلهم زعقات الاسود
المسمى بعنتر ﴿قال الراوي﴾ ثم انه فرق الابطال الذين حوله في أقطار الارض وقال لهم دوروا على هذا
العبسي الذي طرق هذه الديار ثم خرجت الرجال تطلب الاوديه ورؤس الجبال وكان عدتهم يومئذ ألفا
ومائة فارس فانقسموا الى ثلاث جهات وخبوا في اقطار الفلوات وكان شيبوب قد عاد الى أخيه عنتر وأخبره
بالاخبار وقال له يا أخي الحق عروة بن الورد والا ما تلحقه الا وهو محروق لان هذا الشيطان الذي قد ظفر به
أراد أن يحرقه وأنا ألقيت الى عبيده حديث وقد ساروا يعلموه به وأنا أقول انه يشتغل عن هلاكه ويركب
هو وأبطاله في طلبنا فدبر الآن ما ترى من قبل ان تقوم عليك الخيل فقال عنتر وايش بقي هنا تدبير غير طعن
الصدور وضرب الاعناق والنحور ولكن يا شيبوب كم يخرج من الحي من الفرسان لاني أعرف انك خبير
الابطال بالعدد ولكن ما لك على لقاهم صبر ولا جلد فقال شيبوب وقد اغتاظ من كلامه والله أنا أشجع
منك يا أسود والله لاعرفنك قدرك وأجازيك على قولك فعلم عنتر انه اغتاظ فطيب قلبه ومسح أعطافه
الى أن هدات أخلاقه وزال ما عنده من الغيظ فقال شيبوب أما الحلة يا أخي يخرج منها ألف فارس ومائتان
من الصناديد غير المشايخ والعبيد وأما أنا فاني أقوى منك وأنهض يا ابن شداد وايضا أظهر في الامور الشداد
لاني اذا لقيت الاعداء قاتلت جهد ما أقدر عليه واذا كثر علي الجمع نجيت وأخلي الديار الى أهلها وأما أنت اذا
قتلوا الاعداء جوادك بقيت مثل الحرمه اذا استلموا لسيقتها أنت وغيرك وأريد من اليوم ان أعرفك وأدعك
وأخليك تتلقى المصائب بنفسك حتى أنظر هذه الشجاعة التي أنت فيها وتذل بها الفرسان يا ابن ربيعة و بعد
ذلك أقول ان الخيل الساعة تطلبكم وتفرقت حولكم فرق وأنا أي فريق رأيته أقدر أشتته في البر الاقفر لان
الفرقة التي تكون قسمي وقفت بالبعد منها وأومي اليها وأسير الى بعض الجهات وأعدو بين يديها والوح بكمي

اليوم كاني أدلهم على الكمين وأخليهم في البر مشتتين لانهم اذا أتوا على قفاي يقفوني ولا يلحقون لي أثر ولا يقفون
لي على خبر ﴿قال الراوي﴾ و بعد هذا المقال ركب عنتر ومقرى الوحش وخرجا من الكمين كانهما أسود
هائمين الا انهما ما انبسطا في الصحراء حتى انهم رأوا حسيس البغال في أقطار البيداء فقال شيبوب دونكم الآن
والاعداء فعندها صاح عنتر وقصد الى بعض الطرق ومقرى الوحش في أثره وأما شيبوب فانه سار الى
الفرسان و أوسع قدامهم في القفار وكان قد بقي من القوم خمسمائة فارس مع مقدمهم صميد فلما رأى عنتر
ومقرى الوحش قال لاصحابه يا ويلكم هذا أول الكمين قد ظهر واليوم أريكم قتال الهجين المسمى بعنتر فدونكم
واياهم حتى ننظر من يغلب وهما الاثنان وان طلع غيرهم نأخذهم على أطراف القنا حتى ننظر حديثهم فاطلقوا
نحوهم الاعنه وقوموا الاسنه فالتقاهم وحده مقرى الوحش و وقف عنتر الفارس الغضنفر فلما طلع عليهم
الغبار ما دام غير ساعة واحدة حتى قتل منهم مقدار خمسين فارس وتأخر عنه الباقون وقد طلبوا الفرار واذا قد
ظهر غبار الخمسمائة فارس الذي كانوا خلف شيبوب وحملوا في معونة أصحابهم هذا وقد حل عنتر في أوساطهم
وقد ضرب فيهم وفي وجوههم وظهورهم وأجنابهم وفرق شملهم فلما نظر مقدمهم صميد الى هذا الحال حمل على
مقرى الوحش بجنانه و برز لقتاله وحملت معه أصحابه فتلقاهم مقرى الوحش بجنانه و جرد فيهم حسامه وبددهم
بسنانه وأبرى بسيفه أعناق الرجال الذين تصدته عن يمينه وشماله فرأى ذلك اليوم منه عنتر ما شد ظهره وأزال
همه وفكره وعلم انه يقدر على الخيل التي احتاطت به ولكن أراد الانجاز فزعق في ذلك الجمع فتبدد وقل عن
مقرى الوحش العدد وما وصل الى مقرى الوحش حتى انه قتل سبعين بطل وطلب صميد مثل الاسد وصاح
فيه صيحة ارتج منها السهل والجبل وقال له ويلك يا قرنان وابن ألف قرنان أنت الذي عزمت على حرق صاحبي
بالنار ابشر اليوم بخراب الديار وقلع الآثار وحلول الدمار فانا عنتر الفارس الكرار مبيد الفجار والاشرار
ثم انه طعنه بعد ذلك الكلام شك سنان الرمح في أضلاعه فخرق أحشاه وبدد أمعاه وصار عبرة لمن يراه
و بعد ما قتله فرق مقرى الوحش أصحابه وخذلانه وقد نفروا من ضرباته وصاروا يطلبون الخيام والطعن في
ظهورهم يسابق رسل الحمام الا انهم ما قاربوا الديار حتى ظهر من بين أيديهم فارس كرار وقد انحط على
الرجال أخف من ذكر النمام وهو يصيح و يشير اليهم الى اين يا اولاد الزنا تطلبون الهرب وقد نزل عليكم البلاء
والغضب ﴿قال الراوي﴾ وكان هذا الفارس هو عروة بن الورد وكان السبب في خلاصه شيبوب وهو انه لما خرج
اخوه من الكمين وقد أبصر الناس عن الخيل متفرقين في أقطار البيداء فقصد هو الى بعض الطرقات وصار
يصيح بأعلى صوته و يشير اليهم بأكمامه فظنوا انه يدلهم على الكمين فتبعوه ولم يزل بهم حتى ضيعهم في البر الاقفر
و رجع هو الى الاحياء لما علم ان القوم قد اشتغلوا بالقتال ولم يبق احد على احد وقد وجد عروة بن الورد
مشدود وبالقيد مقيد وبالاكتاف موثوق وهو في اشد الضيق فدنا منه وقطع كتافه وأتاه بجواد من خيل صميد
وعدة كاملة من عدد القتلى المطروحين ولما خلص عروة وصار على ظهر الجواد ومعه آلة الحرب والجلاد
عاشت روحه بعد الاياس ورجعت روحه اليه وقد التفت الى الامير شيبوب وقال له لله درك يا شيبوب ودر أخيك
عنتر الفارس الجسور والفتى المشهور ﴿قال الراوي﴾ ثم انه هز الجواد وقد خرج من الحي وطلب البر
والآكام والحي قد انقلب بالصياح والبكاء والعديد والنواح حتى انه ملأ الارض والبطاح قال فلما راوا
عروة بن الورد وقد خلص طلبه العبيد من اليمين والشمال وداروا به من جميع الاماكن والجهات وقصدوه
من سائر الفلوات فلما رآهم عروة قال لهم والله خابت آمالكم وصار يطعن فيهم برمحه و يضرب بسيفه وشيبوب
من بين يديه يضرب بخنجره وقد صاح فيهم فطلبوا الهرب وقد حل بهم العطب ومازال يركض خلفهم بالجواد
حتى انه راى فرسانهم رجعوا على الاعقاب وهم يندبون على الاهل والاصحاب وقد عرفوا ان لا طاقة لهم بحرب
ابي الفوارس عنتر بن شداد وقد عاينوا الموت من صورته وتعجبوا من صولاته وفروسيته وهجومه على الفرسان
في المجال وصولاته وقد ارتجفت منهم القلوب وكادت ان تذوب وتقطعت الاكباد والامعاء وكثرت منهم الزعقات
﴿قال الراوي﴾ فعندها سمع الامير عنتر بن شداد صوت اخيه شيبوب وهو يصيح فعرفه وقد علم انه خلص

عروة ابن الورد من هلاكه وتلفه ورأى المنهزمين قد داروا من كل جانب ومكان فحمل عليهم حتى انه ادخلهم الى الابيات والمضارب بعدما قاسوا منه الهموم والمصايب واجتمع الامير عنتر بن شداد بعروة بن الورد وقد هناه بالسلامة وقال له يا ابن العم وحق ذمة العرب وبحق شهر رجب والرب القديم الذى اذا طلب جميع العباد غلب لوكان تم عليك أمر من الامور ماخليت فى هذه الديار والارض فارس يدور ﴿قال الراوى﴾ وقد علمت فرسان الحلة بقتل مقدمهم صميد فنادوا بالويل والثبور وعظائم الامور وخافوا أيضا النسا والبنات من السبي والانهتاك فخرجوا الجميع الى بين يدين عنتر مرخيات البراقع منشورات الشعور يطلبون من عنتر الامان على مدا الدهور والازمان وكان عنتر قريب المرجوع وعلى النساء غيور فقال لمقرى الوحش يا أخى ان صاحبنا خلصناه ومن حرقه أنجيناه وعدوه قد قتلناه وانهتاك النساء ظلما وعدوان وما هو من شأن الفرسان ولا سيما جور وعدوان ونحن طالبين الديار والاوطان والمسافة بين أيدينا بعيدة وأقول ان أهلنا رحلوا من المكان الذى خليناهم فيه وان اشتغلنا عنهم بسوق الجمال والنياق والعيال فما ندرى ايش يتم على قومنا فى هذه الديار والاطلال وانا الرأى الذى عندى فيه الصواب والامر الذى لا يعاب ولا يذمه أحد من الناس عودتنا وقطع الطريق الذى ما لنا فيها خل ولا صديق ولا خليل ولا رفيق فقال له مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس لو أنهم أعطونى نوق ما فى الارض ما سقتها ولولا أخى عروة بن الورد لما كنت وطئتها ولا كنت خليت مسيكه ولا فارقتها ثم عادوا وقد عفوا عن الحريم والعيال وما تعرضوا لها بشئ سوى قطعة من الخيل العوال حتى انهم يركبوها ويريحوا خيلهم بجانبها ثم انهم جدوا المسير فى الطريق وهم راجعين على أعقابهم وركبوا الطريق الواضح وهم لا يصدقون ان يرواقومهم وعيالهم وعروة بن الورد لا يكل لسانه بالمدح فى عنتر وقد أشار يقول

أبا الفوارس أنت الضيغم البطل * مردى الاشاوس بالعسالة الذبل
وهازم الخيل والابطال قد نشرت * منها الجماجم يوم الخوف والوجل
وطاعن الفارس الحامى كتيبته * وناصر الجار من بؤس ومن ذال
لولاك ما فخرت بنو عبس وما شرفت * على القبائل فى سهل وفى جبل
ولا غدت قمة الجوزاء تحسدها * على علاك ولا المريخ مع زحل
ولا سما ذكرها فى العرب أجمعها * ولا علا ذكرها لولاك من رجل
فكل من رام حربا أنت قاهره * بالسيف والرمح فى قلب وفى مقل
كم وقعة لك الابطال أجمعها * تبغى الفرار ونار الحرب تشتعل
يا طاعنا بالقنا فى كل معركة * يا مشعل السيف تحت النقع فى القلل
كم جحفل عرمرم فرقت شملهمو * فانجلا لانظمها من سيفك الصقل
وكم من فريق بغى فرقت شملهمو * وصار واحيارى من شدة الوجل
وأنت أشجع من يرجا اذا حميت * نار الوطيس ونار الحرب فى الحال
وأنت أشجع من فى الناس كلهمو * يوم الحروب بطعن مذهب الاجل
لولا سنان سيفك الماضى لما رفعت * أبناء عبس عمادا قط فى الدول
خلصتنى من حياض الموت مقتدرا * وكنت لى أملا يا غاية الامل
فلا عدمتك ما ناحت مطوقة * ورقا وما هطلت سحابة الغيث بالبلل

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عروة بن الورد من شعره ومدحه لعنتر شكره وأثنى عليه وأطنب فى شكره ولا زالوا سائرين وخيلهم اجتنبوها وركبوا غيرها حتى وصلوا الى مياه حومل فنزلوا هنالك للراحة واستشوروا فى أمر بنى عبس ان كانوا يلحقوهم أم لا فقال شيبوب وحق من علم آدم الاسماء وأتقن الاشياء وأنار الظلماء ان كانوا قد رحلوا من بعدنا بثلاثة أيام وسمعوا عن أخى عنتر خبر أنا ألحقكم بهم فى البر الاقفر بعد يومين أخر فقال

عنتر ويلك كيف تفعل أعلمنا حتى اننا نعلم بهذا الحال فقال ما أبين لك ذلك حتى نقع على آثارهم ونعلم باخبارهم والرأى عندى أن تقيموا أنتم ههنا وتأخذوا الراحة حتى أسير أنا على نواحى جبال صاروخ ورمال عالج ومن هناك آتيكم بالاخبار واكشف لكم الآثار ثم انه بعد هذا الكلام اخترق الظلام وهام كانه ذكر النعام فلو رآه فى ذلك الوقت انسان ظن انه شيطان وصار عنتر بعد ذلك يلوم نفسه ويقول لو كنا بعد خلاص عروة بن الورد عدنا الى الغدران والمياه التى تركنا قومنا عليها كان أريح الى قلوبنا ولكن التفريط كان منا الا اننا ما جعلنا بيننا وبينهم موعدا نلتقى فيه فقال مقرى الوحش لا شئ فى هذا يا أبا الفوارس فما يشق علينا الا اذا قطعنا منهم الاياس فان قصدنا ديار بنى عامر والاطلال فانه لابد منها على كل حال فقال عنتر هذا شئ لا أعرفه ولا أفعله أبدا ولا أرضى لنفسى أن أنزل على قوم دماؤهم باق على سيفى وأنا ولا مراعاتى لملك قيس وحياتى من عمرو بن هند أخى الملك النعمان ما كنت خرجت من بلاد اليمن وتلك المناهل والدمن بعد ما أذل فرسانها وشجعانها وكنت ملكت بسيفى سائر البلاد ومهدت تلك الاراضى والمهاد وكانت الغفارة تحمل الى من بنى قحطان وخضعت لى سائر الفرسان والشجعان وما زالوا على مثل ذلك حتى أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فاخذهم القلق لاجل شيبوب لانهم انتظروه الى الوقت الذى قال لهم عليه أن يعود فيه فما عاد واشتغلت قلوبهم لما أنه غير الميعاد فقال عروة بن الورد ما أظن الا شيبوب قد أصيب فى هذا البر الاقفر واتفق ما اتفق له من القضاء والقدر وبقى نحن فى هذه الارض الذى ما نعرف فيها طريق ولا لنا ههنا محام ولا صديق فقال مقرى الوحش والله يا عروة لقد قطعت ظهرى وزدتنى فكرا على فكرى على انى ما أتأسف على مسيكة زوجتى وسبيع اليمن ولدى وكان قد رزق من زوجته فى ارض اليمن هذا الولد وسماه هذا الاسم الحسن ثم انهم أقاموا فى تلك الفلوات وفى قلب عنتر النار المسعرات على أخيه لهيبا وحسرات فبينما هم كذلك واذا بشيبوب قد طلع عليهم مثل ريح الهبوب كانه النسر الادرع من نحو جبال صاروخ ورمال عالج والوحوش تركض من بين يديه والعيون لا تستطيع النظر اليه فلما رأوه فرحوا برؤيته وأرادوا أن يسألوه عن غيبته واذا به قد أتاهم وهو أشعث أغبر مما قاسى فى ذلك البر الاقفر فقال له أخوه عنتر ويلك يا شيبوب انضجت لغيبتك الكبود والقلوب ايش معك من الاخبار أما سمعت لبنى عبس آثار فقال شيبوب يا أخى بنى عبس قد عبروا الشعاب ولكن يا أخى المنايا خلفهم تعلو فى المنازل والرحاب ولولا مسيرى من عندك واطلاعك على هذه الحال والاسباب كان قد تم عليهم شئ ما كان لهم فى حساب فقال مقرى الوحش لم ذلك يا ابن الاموات أما عبلة ومسيكة سالمات أو هن مع شياطين العرب مسبيات فقال شيبوب لا تسأل الا عن شئ يعنيك ولا تسأل عن أحد سواك فقال مقرى الوحش يا عروة هذا شئ قدتم على قومنا فى غيابنا ولا لنا فيهم صديق ولا خل ولا رفيق فدعنا من هذيانك وشقشقة لسانك حتى نسمع ايش جرى بعدنا على حريمنا فقال شيبوب انصتوا أنتم الجميع واسمعوا الخبر واعلموا انى لما سرت من عندكم وقت السحر وأنا كثير الفكر وصلت الى الشعاب والليل قد بقى منه اليسير فاقمت الى الصباح لعلى أقع لقومنا على خبر واقفوهم على أثر واذا أنا قد سمعت حس حوافر الخيل وبريق الاسنه عند ظلام الليل وضجة عظيمة وازدحام وكثرة فرسان وكلام فقلت فى نفسى لا شك هذه الخيل خيل بنى عبس وظننتهم قد وصلوا وكان بينى وبينهم ميعاد الى هذا الجبل ولما أيقنت بذلك أمنت حتى انى أسمع كلام أحد اعرفه واذا أنا رأيت فى أوائلهم فارس كانه الفتيق وهو على جواد عتيق وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد فهويت ان أدنو منه وأتقدم بين يديه واسأله وأقص القصة عليه واذا له يا اخوان همهمة مثل همهمة الاسد وهو يتكلم بغيظ وحرد ويقول يارب البيت والحجر وبحرمة الركن المطهر والبيت الذى ذكره قد اشتهر مكن سنان هذا الرمح الاسمر من صدر عبد بنى عبس المسمى بعنتر ابن زبيبة الذى غدر بى وأسر أخى وقال آه واأسفاه عليك يا عمرو بن ضمرة كيف تمكن هذا العبد ابن اللئام منك وأنت الاسد الهمام والفارس

الضرغام ثم انه يا أخي تنهد وتحسر وصاح وزعق وأنشد يقول

يا جفوني بفيض دمعك جودي * واندبي فارسا كريم الجدود * فارسا كان يلتقي حوادث الدهر
بقلب أقوى من الجلمود * كان فارسا لكنده وحماها * يقد الحديد فوق الجلود
فرماه صرف الزمان بسهم * قاطع من أخس العبيد * عنتر لا سقيت قطر الفؤادي
غير سم مفتت للكبود * أنت أفجعتني بعمرو وبقيت * كما أفجعت عين المسودي
قسما بالذي أمات وأحيا * وتعالى عن قول أهل الجحود * لاقيمن في ديار بني عبس
ضجيجا بالنوح والتعديد * تصير النساء به حيارى * من جوى الحزن لاطمات الخدود
بحسام اذا رأته المنايا * في يميني أومت له بالسجود * كم دحال هجمتها في ظلام الليـ
ل وحيدا على كبار الاسود * وقنصت السباع فيها بكفي * مثل قبض الفارس الصنديد

﴿قال الراوي﴾ ثم ان شيبوب قال يا ابن الام فلما سمعت بذكرك في أعقاب هذه الابيات وهو بغاية الحسرات علمت أنه من بعض أعدائنا وانه سائر وراءنا فاشتهيت أن أعلم من هو من فرسان العرب ومن هو من أهل اليمن ومن يقال له من أهل اليمن فصبرت للجيش حتى انه عبر وقد حزرته بعيني فرأيته في ألف فارس أو أكثر فتبعت فرسانهم وسألت بعضهم عن شأنهم وحالهم فقال واحد منهم يا وجه العرب نحن من قبائل وطوائف شتى قد اجتمعنا وسرنا خلف بني عبس نطالبهم بالثار ونقلع منهم الآثار ونجازيهم على فعالهم بأهل هذه الديار وفينا فارس اليمن زاجرة بن ضمرة القيني الفارس الهمام الذي قتل عنتر أخاه على ماء النعام لماسبي زوجته زهرة وأنشد يقول

ما أشهر السيف في كفي وأغمده * الا وفي حده للضرب آثار
ضربت عمرا على الخيشوم معتمدا * بصارم في حواشي حده نار
فعاد يهوى ذليلا بعد عزته * كأن الدهر اقبال وادبار

ثم ان شيبوب قال يا ابن الام فلما سمعت ما قال شكرت الرب القديم الذي عرفناه ذا الحال والا كان هذا الشيطان أحل بقومنا الخبال والنكال وبعدها عدت يا أخي على الاثر فلما سمع عنتر ذلك تعجب غاية العجب وقال يا شيبوب ايش هذا القرنان أين كان ولاي شيء ما كان طالبنا بالثار ونحن في بلاد اليمن حتى كنت أسقيه كاس الحمام ثم قال له ويلك يا شيبوب تقدر تجمعنا به قبل ان يدرك بني عبس ويغتنم الغفلة ويرجف قلب عبلة وعبلة فقال له شيبوب وحق ذمة العرب اني ألقيكم عليه في أقل ما يكون سيروا خلفي حتى أريكم العجب في ضوء النهار والا في ظلمة الليل ﴿قال الراوي﴾ وكان زاجرة أخو عمرو بن ضمرة بطل مغوار وفارس جبار وكان يصطاد السباع ويأكل لحمها ويشرب دمها وكانت أمه يقال لها سارحة من قوم يقال لهم بنو غمرة فلما اقتل أخوه عمرو ووصل له الخبر فامر فرسانه بالتأهب للمسير فامكنته والدته من ذلك وقالت له يا ولدي نفسي مشغولة بالنظر اليك في هذه الايام فاذا أنا مت ولحقت بالذي مضى قبلي أو حدث لي أمر فافعل بعدي ما تريد ومن كثرة خوفها عليه صارت تنظر له المنامات الرديه وتقصها عليه ومن جملة ما رات له كان ولدها دخل الى دحلة عظيمة وقد ساق منها سبعين لبوة فتبعه أسد أسود من ورائه وقفز عليه وأكل من لحمه وشرب من دمه فزادها هذا المنام خوفا وفزعا على ولدها فما خرج من عندها هذا العام حتى ماتت وكان ولدها يحكم على ألفي فارس وانه ما صدق بموت والدته حتى انه عول على المسير لقتال بني عبس وكانت بنو عبس قد خرجت من بلاد اليمن طالبين أرض الحجاز فلما بلغه ذلك صعب عليه وكبر لديه فقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاتبعتهم لآخر الدنيا ثم انه سار في ذلك الجيش الذي رآه شيبوب وكان خلف بني عبس رجال الشياطين من عشرة وعشرين يطلبون المعاش والكسب لاجل قلة بني عبس والتقوا بقوم زاجرة الطماعة وسار وامعهم يقطعون البراري والقفار ومازالوا سائرين وزاجرة يجد السير حتى بقي بينه وبين بني عبس يوم واحد فاشرف عليهم شيبوب وقد قطع بأصحابه السباسب فلما نظر الى خيلهم ترعى قال يا أبا الفوارس ها أنت قد أدركت الاعداء

فتشاور أنت ومقري الوحش وعروة بن الورد في أمر القتال فقال عنتر الصواب اننا نطلب خيلهم ونجول بيننا وبينهم يوما تذكره الابطال فقال مقري الوحش هذا ما يتم انما الابطال رجال فقال عنتر ولكن شيبوب تقاومه بنصف رجل فقال عروة خلوا شيبوب ولا تغضبوه فقال شيبوب ويلك يا عبد السوء ما هذا وقت مزاح وأنا أقسم بمن يعلم عدد الجراد اذا انتشر وخالق الصور وانزل القطر والمطر لئن لم تقصر عني لاتركنك تسأل عني من غاب ومن حضر فقال عنتر لا تقسم يا أبا رياح فما قولي لك الا مزاح والآن يا أبا رياح ما الذي ترى من الفعال فقال الرأي عندي اننا نحمل عليهم فقال هذا هو الصواب والصحيح لان معهم فارسا جبارا ولا بد ما يتكافأ به واحد منكم في الحرب ويبقى الاثنان ما يلقوا ألفين فقال شيبوب وها أنا عندي تدبير الذي هو أحسن من الاول ولكن يا أبا الابيض عندي رأي تعلموه تمانكم تتركوني أنا وأخي ها هنا مختفين ومر أنت ومقري الوحش الى عسكر الاعداء حتى تقاربوهم واذا امترتم معهم وسألوكم عن حالكم فقولوا لهم نحن قوم من زوايا اليمن وقد سمعنا بخروج بني عبس من هذه الديار وما من أحد الا له على بني عبس دم وثار وكنا خائفين من فرسانهم فلما سمعنا بمسير الامير زاجرة اليهم فسرنا وقوينا قلوبنا وأتينا الى ها هنا فعندها يتقدم منكم واحد الى زاجرة ويسلم عليه ويضربه بالرمح في صدره يدعه يطلع من ظهره فعندها يقع السيف فيهم وتنادون يا آل عبس يا آل عدنان فعند هذه المناداة يقع السيف فيهم ولا يلتفت أحد الى أحد فاذا رأينا نحن ذلك نخرج بالخيل التي معنا ونزعق ونصيح فيها بزعقاته أخي عنتر ويقول يا أوغاد غير أنجاد أنا عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد ومع زعقته وغبار الخيل تظن الاعداء انها خيل بني عبس ويكون مقدمهم قتل فتطلب السهل والجبال فقال عنتر أحسنت يا شيبوب يا مفرج الكروب فلا عدمت من أخ ورفيق لانك معيني في كل شدة وضيق ورأيك هو الصواب والامر الذي لا يعاب ﴿قال الراوي﴾ ثم ان مقري الوحش أخذ عروة بن الورد وسار حتى انه أقبل على ذلك الجيش فصاح زاجرة في الفرسان فتقدم اليه مقري الوحش وعروة بن الورد فقال زاجرة من أين أنتم فصاح به مقري الوحش كأنه يخاطبه وطعنه جندله فعندها صاح عروة بن الورد يا آل عبس يا آل عدنان وقد حملوا على الجيش وجردوا في أيديهم الصفاح واذا عنتر خلفهم وقد حمل حملة تهد الجبال وزعق زعقة أذهل منها عقول الرجال فلما نظروا الى مقدم الجيش وقد قتل وغبار الخيل وقد أقبل ومن تحته صياح عنتر قد دوى له الجبل وشيبوب يطردها وهو يصيح في أعقابها وفي أعراضها وغبارها قد ملأ القفار فقالوا هذا جيش كبير ثم انهم قاتلوا ساعة واحدة حتى تبطنوا في البراري والقفار وطلبوا الاهل والديار واجتمع عنتر ومقري الوحش وعروة بن الورد وهنوا بعضهم البعض بالسلامة ثم انهم جمعوا الخيل والاسلاب وساروا خلف بني عبس الانجاب الى أن قاربوا الجيش عند انبساط الشمس ففرحوا بالقرب من لقاء الاحباب فلما قاربوا أصحابهم اعتد بنو عبس للحرب فالتفت عنتر بن شداد فرأى عمارة بن زياد وهو يجر رمحه امامه وعليه الحديد والزرد النضيد وهو يفتخر بنفسه وينفش سباله لانه من يوم طعن دريد بن الصمة عظمت نفسه عنده ﴿قال الراوي﴾ فلما نظر اليه عروة بن الورد فقال لعنتر يا أبا الفوارس انظر هذا صديقك ورفيقك الامير عمارة بن زياد قد أتى في أوائل الخيل لان قومنا ظنوا اننا أعداهم فدعني حتى اني أقتل جواده وأعرفه نفسه واذا عظم الامر أقول لهم نحن كنا في مزاح وأعرفهم بنفسي فقال له عنتر لا يا أبا الابيض لا تفعل ذلك لان عمارة لا يعرف مزاح وأيضا ان قومنا على خوف وخبل ونخاف ان تعظم الاشيا معكم مع حماقته وكراهته لنا واذا أنت قتلت جواده تحمل عليك اخوته وانهم لا يرجعوا يسمعوا كلامك فقال له يا أبا الفوارس اذا عرفته نفسه كشفت عن وجهي اللثام واذا رأيت الامر قد تعسر فيما بعد ردني أنت يا عنتر فقال له عنتر افعل يا أبا الابيض ما بدا لك لا نخالف مقالك ونتبع أفعالك فعندها زعق عروة بن الورد وقال له يا ابن الانذال وأرذل البشر ابشر بقرب الاجل واستعدوا للحرب والقتال فقد تبعتكم فرسان اليمن بعد قتل عبدكم عنتر وأصحابه الذين كنتم تعتمدون عليه ثم انه استقبل عمارة بن زياد وصاح فيه وأذهله وطعن حصانه قتله ومن على ظهره نكسه فلما ان رآه اخوته قد وقع حملوا من كل جانب وأشهروا القنا والقواضب بعدما خرقوا الثياب وأرخوا

العمائم فى الرقاب ونادوا يا أسفاه عليك ياوهاب ثم انهم طلبوا عروة بن الورد ومدوا عليه عوامل الرماح واضطربت بنو عبس ورجعوا على عبس الصباح ورجع الملك قيس ابن الملك زهير فى جميع الفرسان وكذلك الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان وقد اهتز البر بالشجعان وتراعقت الفرسان وقد صار الاخ لا يعقل على أخيه فقال عنتر لمقرى الوحش هذا الحساب الذى حسبته لان قومنا على خيفة وقد أزعجناهم ثم انه سل حسامه وزعق فى الجيش وكذلك فعل مقرى الوحش مثل ما فعل ومازال الاثنان كذلك يردوا الخيل حتى انهم كشفوا عن عروة بن الورد الفرسان وصار عنتر يصيح يابنى الاعمام كفوا أيديكم واعلموا ان هذا الامير عروة بن الورد ما فعل ذلك الا انه يمازح الامير عمارة الوهاب ﴿قال الراوى﴾ وكان عمارة قد جرد سيفه لما رأى اخوته من حواليه وجعل يحمل على عروة بن الورد فمنعه بنو عبس عن ذلك وقالوا هذا صديقك ورفيقك عروة وما أراد معك الا المزاح فقال لهم والله يابنى الاعمام ما أراد عروة الاهلاكى ولولا فى أجلى تأخير لكنت فى الحفرة سائر ولابد لى ان آخذ ثارى منه فصعب ذلك على قيس بن زهير وخاف من اثارة الفتن فقال له الملك عمرو بن هند أخو الملك النعمان والله ياقيس ما كانك قيس بين العرب مشهور ولا عليك هيبة ملك ولا وقار فقال له ياملك والله لقد عجزت عن هاتين الطائفتين ولم ينتهوا عن بعضهم البعض حتى يصير واحد منا لاهل الارض وأنا أعلم ان هذه الفتنة من عنتر بن شداد وأيضا انه حرض عروة على ذلك الامر المنكر فقال الربيع بن زياد صاحب المكر والفساد ياملك اذا لم تأخذ لنا ثارنا من عروة بن الورد ومن عنتر بن شداد لا عدنا نجاورنك ﴿قال الراوى﴾ فلما نظر وسمع الملك قيس هذا الكلام اشتد غضبه على عروة وعنتر وأيضا انه كان استحى من الملك عمرو بن هند أخى الملك النعمان أن يصير عنده فى النقصان فعند ذلك التفت الى عنتر ابن شداد وقال له ان هذه الدماء التى ثارت بيننا وبين العربان من قديم وجديد أنت الذى كنت فيها السبب ولولم يدركنا أخو الملك النعمان فما كانت أهل اليمن تركت منا انسان وأنت ترى نفسك بالمحل العظيم لانك تقول انك فارس شجاع وقرم مناع وأنا أعلم انك أتيت معنا الى ديار بنى عامر وغنى وكلاب جددت بيننا الدماء بما اقتلك والصواب يا ابن شداد انك تدبر نفسك كيف تشاء وتبعد عنا أنت ومن أرادك من الرفاق وتأخذ أموالك وجمالك وسائر أصحابك فلولا مالك علينا من الخدمة القديمة وزعلك جمالنا لكنت جعلتك فى القيود والاصفاد وتركتك ترعى النوق والجمال حتى تموت بكمدك ودام قهورك وذلك لاجل اخرافك بالامير عمارة بن زياد وخرق حرمته بين الاصحاب لان الامير عمارة أراحنا من شيخ العرب دريد ابن الصمة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الامير عنتر بن شداد ذلك الكلام فهم المعنى حيث سمع بذكر دريد ابن الصمة فقال له هدى اخلاقك ياملك لو كنت أنت أرسلت لى مع بعض العبيد ولا كنت سمعتنى هذا الكلام الشنيع الذى لا يفيد ولولا أنت وأبوك الملك زهير ما ارتفع عند الناس قدرى ولا شاع فى جميع الآفاق ذكرى ولكن ياملك أنا أرحل عنك بمن يتعلق بى من الاهل والجيران والاصحاب والخلان وأكون أنا ومن معى فى فريق وأنت أيها الملك وعمارة واخوته فى فريق لاجل ان ينشرح بذلك صدرك وتستريح من معادات العربان ببعدى عنك أيها الملك المنصان ويهدا خاطرك ثم بعد ذلك لوى عنان جواده الابجر الى ناحية الظعن وأمر أخاه شيبوب أن يقطع جمل عبلة من المحامل ويتركها هناك تأخذ الراحة ففعل أخوه شيبوب ما أمره أخوه ونادى على العبيد أن يردوا الاموال ويلووا رؤسها على المسير ففعلت العبيد ما أمر وفى دون ساعة اختلفت بنو عبس وعنتر وفعل مقرى الوحش بزوجته مسيكة مثل ما فعل عنتر وأبوه شداد وأيضا أعمامه وأصحابه وباقى بنى قراد وقوم عروة بن الورد وجماعته وأبو مسيكة ومن تبعه وسار مع عنتر نحو اعن أربعمائة وخمسين فارسا كرار فقال مقرى الوحش لعنتر يا أبا الفوارس ما فى نيتك ان تفعل بهؤلاء القوم المناحيس كم تحسن اليهم وهم يؤسون عليك وانى وذمة العرب لولا أخاف التشويش على قلبك لاقتلن عمارة بن زياد وأخاه الربيع الكياد وبنى زياد وان تكلم الملك قيس خرقت به غاية الاخراق وضربته بهذا الحسام الفصال وجعلته أول مقتول وهو صريع ولكن سوف يندمون واليك يا أبا الفوارس يحتاجون ثم قال له يا أبا الفوارس هان عليك الامر وأنت ما مرادك من

الدنيا الا بنت عمك عبلة وأنا قد اخترتك على جميع أهلى وأصحابى وأينما سرت فنحن نتبعك والبر بين أيدينا واسع وسيفك قاطع ورمحك خارق فقال له عنتر بعد ما شكره وأثنى عليه والله يافارس النياق لو فعل الملك قيس أضعاف ذلك ما خالفته لانى عبده وعبد أبيه من قبله وما أنفى يامقرى الوحش الا على جميل فعلته وصار ضائع وزمان تضيعه بركوب الاخطار والمطامع وبعد ذلك سمع كلام عمارة والربيع ﴿قال الراوى﴾ فتعجب مقرى الوحش من حلم عنتر على قومه وكرم أصله وعلم أنه لو أراد شتت شملهم وابلى بنى زياد بالشتات فزاد فيه محبة وصحبة ورغبة فى العشرة وفى الصحبة وقال لو كان فى الزمان انصاف ما كان هذا الفارس الا ملكا من الملوك المشهورة أصحاب الرتب هذا وقد شاع فراق عنتر من بنى عبس فى سائر البقاع فمال اليه كل بطل شجاع وقرم مناع وما بقى فى العشيرة الا كل جبان يكره القراع والذى تبع عنتر فرسان جليله كل فارس منهم يقال انه يلقى قبيله سوى عروة بن الورد ورجاله وما معه من بنى غطفان وسار الملك قيس وفرحت بعد عنتر بنو زياد فعند ذلك قال عمرو بن هند للملك قيس بن زهير من خلف مثل أخى الملك النعمان يهين نفسه لعبد لا قدر له ولا شان من عبيد العربان فقال قيس ياملك ما كان لى به حاجة وانما كنا نرعاه لاجل وصية أبى الملك زهير فى حال حياته فصار يتجارا على الفرسان والسادات ولا يهاب أصحاب النسب والعزمات وانه مر يوما ودخل على بنت عمه عبلة ووقعت فى خاطره وذكرته الناس بالفروسية والرشاقة والآن فقد طردناه لاقرب أجله لان العربان كلها أصبحت أعداءه واذا سمعوا انه قد طردناه طلبوه من سائر الاقطار فيعود الينا وهو أقل من كلب زوبار ﴿قال الراوى﴾ ومازالوا سائرين أيام وليالى تمام حتى انهم قاربوا ديار بنى عامر وغنى وكلاب فعند ذلك قال عمرو بن هند انزلوا ههنا حتى انى أتقدم وانظر ما تجدد من أمر أخى الملك النعمان وهل أرسل جوابا الى بنى عامر كما قال أم لا فقال الملك قيس سيد بنى عبس افعل ما بدا لك فما أحد فينا يخالف مقالك ولا فعالك وافعل ما فيه الصواب فسار فى خمسمائة فارس الى أن وصل الى ديار بنى عامر وغنى وكلاب فركبت اليه سائر فرسان القبائل والعشائر وساروا حتى انهم قد عرفوه فترجلوا اليه وتقدم اليه عامر بن الطفيل فارس الخيل وتقدم اليه غثم بن مالك ملاعب الاسنه ورداد الاعنه وسيد القوم الاحوص بن جعفر وهنوه بالسلامة فقال لهم الملك عمرو اعلموا انى أتيت ببنى عبس من بلاد اليمن وقد تركتهم خلفى لا ينظرمكانا يأوون اليه ويجعلونه لهم منزلا فما أتاكم رسول يعلمكم بهذا الشأن فقال الاحوص بن جعفر أتى رسول من عند الملك النعمان وهو يقول لنا انى أنفذت خلف بنى عبس أنزلهم فى دياركم واريد منكم أن تزيلوا الحقود القديمة وتعودوا الى الوفاء حتى أتخذكم سيفى على الاعداء وان تقبلوا منى وصيتى أدبتكم وخرقت حرمتكم ثم قالوا نحن أيها الملك متفكرون فى هذه القضية من حين ما أتانا كتاب الملك النعمان وأوصانا بنزول هؤلاء القوم فى أرضنا وأنت تعلم أيها الملك هؤلاء القوم قد تحملوا دم أهل اليمن ولا لهم فى هذه الارض صاحب ولا صديق وان نحن حامينا عنهم احترقنا بنارهم وقد اتفق رأينا أن نخلى لهم ديارنا لاجل سؤال الملك النعمان ولم يبق لهم علينا ملام وأنت تعلم أيها السيد الهمام ان عنتر قد فشا اسمه فى جميع الاقطار والبلاد ولاجل سؤال أخيك الملك النعمان نحفظهم من العدا والحساد واذا جاءهم أحد من أهل اليمن يريدون قتالهم نساعدهم ونقاتل معهم وأما أهل الحجاز فما نقدر نقاومهم لان أنسابنا ياملك متصلة بهم هذا ان كفينا شر عبدهم عنتر فقال لهم الملك عمرو اعلموا ان عنتر قد طرده قومه وأغضبوه وأبعدوه والملك قيس طرده أيضا وان عاد اليهم عنتر قتلوه وأما قولكم ان العرب تطالبهم فهذه حجة لا نسمعها لان أخى النعمان أمنهم وهم أصهاره على كل حال ولا يقدر أحد يذكرهم لا بشفة ولا بلسان فيكون أخى خصمه والسلام وانه يخرب أوطانه ثم انه حدثهم بحديث طرد عنتر ففرح به بنو عامر وعلموا ان بنى عبس بعد عنتر تذل وانها تدخل تحت طاعتهم فعاهدهم أخو الملك النعمان على انهم يكونون لبنى عبس أعوان وجيران ويكفون عنهم أذية من يقصدهم من شياطين العربان فاجابوه الى ذلك الشان وأضافوه ثلاثة أيام وعاد الى بنى عبس وأخبرهم بما جرى له فقالوا نحن ما نريد منهم معاونة ثم انهم رحلوا الى جذع الطواف واجتمع سادات القبيلتين وجددوا لبعضهم الولائم ومضت لهم أيام كانها أعياد ومواسم وقد جدد الملك عمرو بن هند أخو

الملك النعمان بينهم العهود والميثاق وبعدها طاب المسير الى أرض العراق فركب الوداع من كل قبيلة جماعة ولما ان عادوا الى مواطنهم وجدوا بنى عامر قومهم فى حديث بنى عبس وأكثروا فى وصف مامعهم من الاموال فقال الاحوص بن جعفر ياقوم دعونا من ذكر النوق فانه بلغنى خبر أن بنى عبس عند عودتهم من بلاد اليمن قتلوا شيخ العرب دريد بن الصمه وأخاه عبد الله وسبيع بن الحارث قاتلهم يوما كاملا ونجا بنفسه فانا لو كنت سمعت هذا الحديث ما كنت أنزلتهم هنا فقال ملاعب الاسنة والله ان كان هذا جرى لا يترك سبيع ابن الحارث من بنى عبس ديار ولا من ينفخ النار وهذا أمر لابد منه ونحن ماضمنا لهم المعاونة الا على أهل اليمن فقال عامر بن الطفيل وكان فارس بنى عامر يا وجوه العرب لابد لى ان أبعث عبيدى يكشفون لنا أخبار عنتر وينظرونه أين هو نازل حتى انى أسعى اليه وأقطع أثره لانه أسرنى وأنا صغير فلما بلغت هذه المنزلة بقيت متأسفا على عدم أخذ ثارى من عنتر وأهلكت ذلك العبد الردىء اللئيم فقال ملاعب الاسنة ان القوم ياعامر مالهم فى جوارنا مدة طويلة فاصبر حتى اننا ننظر ما يجرى لهم مع بنى هوازن فان سبيع ما يسكت عنهم ولو كان فيهم الملك النعمان ولابد ما يجمع عليهم العرب على قدر ما لهم من سائر الاقطار فقال عامر ماقلت الا الصواب لاننا نعلم ان بنى عبس هالكة على التحقيق لانها قليلة العدد وقد نقص منها ذلك العبد الانكد الاسود لانه حاميها ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أبى الفوارس فانه لما فارق قومه وجرى له ولقيس ماجرى خلا بنفسه وتفكر ماجرى عليه فاشار يقول

رمتنى صروف الدهر بالجور والغدر * ومن ذا الذى فى الناس خال من الكدر
وكم قد أتتنى نكبة بعد نكبة * ففرجتها عنى ولم يعسنى ضرى
أيا دهر لا تبغى على فان لى * دموعا تجرى كما النهر
ولو بان لى شخص الحمام تركته * كامس تولى لا يبين له أثرى
اذا ما اغنى الرحمن ضد المن طغى * ودانت لى الدنيا وشاع الذكر ذكرى
ولولا سنانى والحسام وهمتى * لما ذكرت عبس ولا نالها فخرى
ولو شئت حزت الارض شرقا ومغربا * وطاعتنى الابطال فى البر والبحر
بنيت لهم فى المجد بيتا من العلى * يعلو على الجوزاء والفرع والنسر
وكم لى عتيق من حسامى عتقته * بان ليس يحصيه بعد ولا حصر
وبعد منال واشتهار ورفعة * وسير وتجديد يعاندنى دهرى
ولما رحلنا اليوم أسلمت قصتى * الى من له الحكم بالنهى والامر
ستذكرنى قومى اذا جد جدهم * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر
وعما قليل يندمون اذا التقوا * عليهم بذى الهيجاء بالبيض والسمر
يعيبون لونى بالسواد سفاهة * ولولا سواد الليل ماطلع الفجر
وان كان لونى أسود ففعائلى * بيض وكفى أسخى من القطر
محوت بذكرى من كان قد مضى * فسدت فلا زيد يقال ولا عمرو



﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره التفت الى أخيه شيبوب وقال له أما تعرف لنا مكانا خاليا من الناس فقال له نعم أعرف منزلا فى هذا البر الاقفر بعيدا عن الجوار ولكن يخشى علينا من طوارق الليل والنهار فقال له عنتر نحن لا نخشى من كل جنى وشيطان وجبار ولا من سائر البرارى والقفار سر بنا ولو خل البر ينفخ علينا من كل جنى وشيطان النار فلو انى أخاف من جن سليمان ماركبت على ظهر حصان فقال شيبوب اعلم يا أخى أن عن يمين ثنية بنى غيلم وتحتها أرض تسع مثلنا أمم وفيها شعاب ومياه سارحه ومروج وأزهار وعيون وأنهار وأطيار وغزلان ترعى فلما سمع عنتر من أخيه أمر العبيد أن يسوقوا النوق والجمال وتبعتها الرجال

الاقيال وشداد يتحدث بما جرى لهم فى عودتهم من بلاد اليمن مع سبيع بن الحارث وكيف كسر العساكر وحده وكيف قتل عمارة دريد بن الصمه فقال عنتر صدقت فلاجل هذا انتفش سباله وفعل معنا من أجله قبس ذلك الشان والآن قد كان لك ما كان ونحن قد انفردنا عن القوم وأنا أسأل من له البقاء والدوام أن يغنيهم عنا بعمارة بن زياد وكيف عمارة يقتل دريدا وهذا من العجب العجاب ولكن الاجل يأتى على أهون الاسباب وأما قتال سبيع لكم يوما كاملا فهو كثير لانه فارس شهير وبامور الحرب خبير فقال له عمرو أخو عبلة والله يا ابن العم انى شاهدت له حملات هائلات وطعنات نافرات ماشاهدت مثلها الا لك وأفعاله تشبه أفعالك فقال له عنتر صدقت ياعمرو ومن كون الارض ولاده والاوقات لها سعاده والايام تأتى بالعجائب ولكن ما يظهر الافتخار الا عند المعاينة والاختبار واذا اجتمعت أنا وذو الخمار يعلم الفارس الكرار من الجبان الفرار وما زالوا سائرين وعنتر يتحدث بمثل ذلك حتى انهم وصلوا الى ثنية بنى غيلم وبانت لهم الارض والنعم فرأوا أرضا منقطعة عن العمار والعمران بعيدة العهد من السكان فقال عروة والله ماهذه الارض الا صعبة المقام موحشة الآكام فقال عنتر هذا الذى أريد حتى لا أرى قريبا ولا بعيد ثم انهم نزلوا هناك وضربوا الخيام وعولوا على الانقطاع والمقام وسرحوا الجمال والانعام وكانت الوحوش كثيرة فافنوهم بالصيد فى تلك الايام ﴿قال الراوى﴾ وكان مقرى الوحش قد صعب عليه فعل بنى عبس بعنتر وصار يشكو لعروة بن الورد ويقول له أنا عولت أن أنفذ بعض العبيد الى بنى عبس لاعلم فى أى المنازل نزلوا وأسير اليهم وآخذ نوقهم وجمالهم وأذل فرسانهم وأبطالهم ولا ألتفت الى أحد من البشر ولا أسمع كلام عنتر فقال له عروة افعل ما تريد وأنا أنفذ جماعة من الرجال وهم رجالى من غير علم عنتر وأنا أساعدك على ما تريد وافعل ما بدا لك وان وقع عمارة فى يدى سقيته كاس المنية واترك مع بنى زياد عداوة أصليه فلما سمع مقرى الوحش كلام عروة اشتد عزمه وأنفذ عبدا الى ديار بنى عامر وأمره أن لا يعود الا بالاخبار فاجابه العبد بالطاعة وسار العبد كما أمره مولاه فما غاب أكثر من يومين حتى عاد فقال له مقرى الوحش ما الذى أدركته من الاخبار أخفت من ركوب الاخطار فقال له لا والله يا مولاى ما خفت ولكن ربى من فضله سهل لى الامر وبنو عبس نزلوا فى جزع الطوائف وأما أنتم فاحذر والانفسكم وخذوا حذركم من قوم كثيرين الجور قليلين الانصاف لانى لما سرت من عندكم أقمت ذلك اليوم سائرا الى أن لقيت عبدا من عبيد بنى عامر فلما رآنى تقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وسألنى عن حالى ومن أى الاماكن أنت فقلت له أنا من بنى هوازن وقد أنفذنى مولاى ذو الخمار سبيع بن الحارث أكشف له عن بنى عبس الاخبار حتى يسير اليهم ويأخذ الثار بدريد وأخيه عبد الله منهم بالثار ولى غائب مدة أيام ادور الربا والآكام حتى وقعت بفرقة منهم مع عنتر بن شداد وهى أربعمائة وخمسون فارسا صناديد فقلت فى نفسى ما أعود حتى أعلم أخبار الباقين وكنت قد سألت بعض العبيد عن باقى القبيلة فذكروا الى انهاف ديار بنى عامر وقلت له لولم تكن عبدا مثلى ما ذكرت لك ذلك ولا أطلعتك على هذه الحالة فلما ان سمع العبد منى ذلك الكلام قال لى ابشر يامولدا العرب بقرب الطريق وراحتك من التعب والتعويق ان بنى عبس نزلوا فى جزع الطوائف وفى أى المنازل عنتر نازل فقلت له حول ثنية بنى غيلم فما الذى تريد منه فقال لى اعلم انى عبد من عبيد بنى عامر بن الطفيل فارس الخيل وهو الذى انفذنى آخذ له اخبار هذا العبد الولد الزنا حتى يرسل له الخيل ويسير اليه ويبلغ منه المنى والرأى عندى ان تعود الى مولاك وتعلمه بهذه الاخبار وتقول له بنو عبس نزلوا بجزع الطوائف وان عدد فرسانهم ثلاثة آلاف وان بنى عامر ما انزلوهم فى ارضهم الا لسؤال الملك النعمان فيهم بعد ما شرطوا عليهم انهم لا يعينوهم على عرب الحجاز سكان تلك المنازل ولو تمكنوا من شرب دمائهم لقطعوهم واهلكوهم فاقصدوهم وخذوا ثاركم من رجالهم واسبوا نساءهم واطفالهم وعيالهم وهذا الذى سمعته من عبد بنى عامر وها أنا عدت اليك لتدبر ماترى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مقرى الوحش ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال والله لولم يخطر لى هذا الخاطر لكان دهمنا بنو عامر وهذا الخبر لا بقى كتمانه عن عنتر ثم انه قام وأتى الى عنتر وقص القصة عليه فصارت عيناه مثل

الظلام وقال اما بنو عبس فعلى فرسانهم ونساؤهم اخبر وأما نحن فيجب علينا أن نحترز لانفسنا واذا وصل الينا عامر بن الطفيل قابلناه على فعاله فقال له عروة بن الورد اذا كان الامر على مثل ذلك فرتبوا الى الحرس كل ليلة خمس فوارس فقال لهم شيبوب ناموا انتم ولا تغيروا ما كنتم عليه فانى أبعد عنكم يومين أو ثلاثة أيام أقتفي لكم الآثار وأرصد الاعادي على بعد من الديار فاذا رأيتهم قربوا منكم عدت اليكم ودبرتكم بشيء يعود نفعه عليكم لانهم ان كانوا عزموا على كبسكم وقصدهم يحوطونا بالخيل خرجنا على أعلى هذه الثنية بالعيال ونترك المنازل خاليه ولا نعارضهم حتى ينزلوا في بطن هذه الثنية ونطبق عليهم من كل جانب فقال مقرى الوحش وذمة العرب لقد نطقت يا شيبوب بالرأى السديد والقول المفيد ثم انهم أقاموا على مثل ذلك يدبرون ما ذكرنا من المثال وقالوا ان كانوا يريدون القتال بالنهار وأتونا عيان حبسنا الاموال بين الجبال وقاتلناهم عن الحريم والعيال (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عبد عامر بن الطفيل فانه وصل الى مولاه وأخبره ان عنتر نازل في ثنية بني غيلم ففرح بذلك وانشرح ثم جمع من أصحاب العشيرة سبعمائة فارس من كل ليث ممارس بالخيول العربيه والسيوف الهنديه وأخبرهم بما عول عليه ففرحوا كلهم برأيه وأعلم بذلك ابن خالته ملاعب الاسنه فقال ما هذا صواب ولكن أصبر ودعنا ننظر من يتعرض لهم من الشجعان ونرى ما يفعل في حقهم الملك النعمان فقال عامر ان هذه القبيلة قد دنا منها الهلاك والفنا وأول من يبادر الى هذا المعنى أنا حتى يصير الذكر لى فقال له ملاعب الاسنه يا عامر لا تفعل فانى أخاف عليك ان يظفر بك عنتر ويعظم الامر وربما احتجنا الى سؤاله وان قتلناه فقد انصلح أمر فساده فقال عامر أنا ما أريد منكم ولا من أحد سؤالا ولا مقاتلا معى واذا ظفر بى دعه يفعل بى ما يختار ثم انه تجهز في الليل وطلب بذلك اخفاء أمره وما يعلم ان عنتر استعد له وصار يعلل نفسه بالظفر حتى فارق قومه وقرب من الثنية التى التجأ اليها عنتر وعاينه شيبوب وصح له الخبر فسار بقية يومه الذى رآهم فيه وقصد عنتر وأعلمه بما شاهد من الخبر فجمع عنتر رجاله وقال لهم يا بنى عمى الرأى عندى أن ترفعوا العيال الى رأس هذا العلم حتى تكون قلوبنا عليهم مطمئنة ففعلوا ذلك وما أتى آخر النهار حتى فرغوا من أمر العيال وانتجزت الاشغال فقسم القوم ثلاثة أقسام وقدم على كل فرقة فارسا هماما وكان مقرى الوحش في فرقة وشداد في فرقة ثانية ومعه عروة وتقدم هو في الفرقة الثالثة كانه المصيبة الحادثة ثم قال يا بنى عمى هذا الليل قد أقبل وبعد ساعة تكبسكم الاعداء فاطلبوا عرض البيداء وخلوا الخيام خاليه والنيران عاليه ولا تخرجوا حتى تروهم في وسط الاطناب فخذوهم وادهموهم بالصياح لكن يا بنى الاعمام بحق ما بينى وبينكم من الصحبه والذمام اقبلوا منى ما به أشير فقال مقرى الوحش قل ما بدا لك فقال أريد منكم كل واحد يقلع سنان رمحه ويركبه على قربوس سرجه فاذا خرجتم عليهم أوهموهم بالطعن بالاسنه وخذوهم أسارى وشدوهم كتافا حتى نكون أصحابا ولا يقع بيننا وبينهم الدما فقال عروة يا أبا الفوارس هذه وصية ما نقبلها فكيف يطلبون سفك دمائنا وأخذ أموالنا ونعفو عنهم ولا بد لنا ما نقاتلهم فقال مقرى الوحش دعنا نشتفى من هؤلاء الكلاب الذى أتونا لهذه الرحاب فقال عنتر بالله عليكم يا بنى الاعمام هذا يورث الخصام ولا تؤاخذوهم بما قدموا الينا من قبيح الفعال وما زالوا على ذلك حتى انفصل الامر على أنهم يخرجون اليهم بلا أسنة الرماح واذا رأوا منهم غلبة يردونها الى رماحهم ثم تفرقوا على الاماكن وأخذوا لهم مرابط ومكامن وما لبثوا أكثر من ساعة حتى قدمت الخيل كانها ظلام الليل فهجموا على الخيام ونادوا يا أولاد اللئام فما أجابهم احد لا أبيض ولا أسود فقال عامر ان القوم حسبوا حسابنا ونصبوا لنا فخاخا يريدون به هلاكنا فبينما هم في الكلام واذا الصياح أخذهم من كل مكان وأقبلت بنو عبس تهز في كفوفها الرماح وتنادى يا بنى عامر ما بقى لكم ملجأ ولا مهرب يا كلاب العرب وتساحبت عليهم الكمناء فاحتاروا في أمورهم ولا بقى أحد منهم يعقل على أحد واحتاطت بهم بنو عبس من جميع الجهات ورماهم العبيد بحجارة مثل قطع الحديد وما زال الامر في تكذيب وتصديق حتى ظهر عنتر من وسط المضيق وزعق يا أولاد اللئام ويا أوغاد غير أمجاد كرام أما تعلمون انى عنتر البطل الهمام فسمع بنو

عامر صوته مع الهيبة التى وقعت لهم منه فانقطع منهم الرجاء وضاقت في وجوههم البيداء وما بقى يسمع للمنادى نداء ولا لخطاب بل انهملت سيول الدماء على التراب وعامر بن الطفيل يحمل تارة يمينا وتارة شمالا وقد أخذتهم الزعقات من سائر الجهات فطلب من قومه قضاء الاشغال وقد رأى بنى عبس يقاتلونهم بلا أسنه فعلم عامر ابن الطفيل انهم ما خطروا لبنى عبس على بال والا كانوا قاتلوهم بالاسنة والنزال وما زالوا على ذلك حتى بدت غرة الصباح وهم في حرب وطعن وضرب وبعد وقرب الى أن كلت بنو عامر وبانت عليهم الخسائر والناس في صدام والزام وتجرع الموت بالحسام حتى تعبت الخيل والبهائم وشربوا الموت سمائم فبينما عامر بن الطفيل في أشد الجلاد واذا التقى به الامير شداد بن قراد وتقاتل معه الى أن أتعبه فاراد عامر أن يأسره واذا بزعقة أرعبت الاثنين وفرقتهما عن بعضهما البعض فالتفت عامر لينظر من زعق هذه الزعقه واذا به فارس شديد البطش فقال عامر من تكون يا جبان فقال له أنا مقرى الوحش قال دونك والقتال والطعن والنزال فما هذا الحال فتجالد معه أشد جلاد فبينما هما كذلك واذا بصرخة قلقت الجبال والاودية والتلال فغشى على الابطال من هذه الصرخة وقد نظر الفارسان لمن زعق هذه الزعقة واذا به ميتم الاولاد ومخرب البلاد وليث الطراد عنتر بن شداد فلما رأى مقرى الوحش قال أعوذ برب الكعبة من هذه الزعقة فبينما مقرى الوحش ينظر الى عنتر واذا به انطبق على عامر بن الطفيل وضربه بعقب الرمح قلبه من غير اكتراث ولا خوف ولا فزع وكان أخوه جرير قريبا منه فتقدم اليه وقال له لا بأس عليك يا حامى بنى عامر وشده كتاف ومن بعده وقع على قومه العذاب والتلاف وقد طرح عنتر في ساعة منهم سبعين فارسا وتركهم ممددين وقد دام الامر على ذلك الى وقت السحر فبينما هم كذلك واذا عنتر ينادى ويقول يا بنى عامر عن من تقاتلون وفارسكم ابن الطفيل قد اندرس تحت أرجل الخيل فلما سمعت بنو عامر هذا النداء نادوا عن آخرهم بلسان واحد يا بنى عبس ارفعوا عنا السيف ومنوا علينا بالذمام كى نعود الى ديارنا والسلام والذى قد بغى عليكم لقد لقى بغيه امهلونا حتى نهتدى الى الطريق فى الظلام فلما سمعت بنو عبس ذلك أخرجوهم الى وراء الجبال فلما خرجوا طلبوا الاهل والعيال وصار الرفيق لا يلتفت الى الرفيق ولا أحد منهم اهتدى الى الطريق وانطعن في ظهورهم أمر من نار الحريق وما طلع النهار حتى ولت بنو عامر الادبار ولا بقى منهم ديار ولا نافخ نار وعادت بنو عبس للم الاسلاب والاسارى في أيديهم مثل البهائم وعامر ينظر ذلك وعيناه تدمع من شدة الخوف والفزع وهنأ بعضهم وقد جمعوا الاسارى فرأوهم مائتين أعرضوهم على عنتر بن شداد فاشتفى قلبه منهم وكان من جملتهم عامر بن الطفيل فعاتبه عنتر بن شداد وقال ويلك ما الذى بلغك من ذلك حتى أتيت الى حربنا ما بلغك ما جرى لنا في بلاد اليمن حتى أتعبت نفسك وجئت الى ها هنا فقال عامر يا أبا الفوارس ها نحن بين يديك افعل بنا ما تريد فقال عنتر يا غلام لو أردنا قتالكم على فعالكم القباح ما كنا عند قتالكم قلعنا أسنة الرماح ولا كنا نسامحكم اذا اعتذرتم وأقررتم بالخطا وان كنتم قد أتيتم تحاربونا بشفار السيوف فنحن نعفو عنكم لاجل أن أهلنا عندكم ضيوف ﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك قال عنتر لاخيه شيبوب حلهم من الاعتقال وقل للعبيد يروجون لهم الطعام ففعل شيبوب ذلك وحل الجميع ورد عليهم خيولهم وسلاحهم فعند ذلك تقدم عامر بن الطفيل الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس والله ما كان زادا ولا طعام ان لم تبلغنى المرام فقال عنتر قل ما تريد يا غلام فقال له يا أبا الفوارس تمهل على حتى أركب جوادى وأتناول عدة جلادى واحمل على وأنا أحمل عليك وأتحارب أنا وأنت مقدار ساعة من النهار ولا يفترق عن بعضنا البعض حتى تشهد الفرسان للغالب الكرار لان نفسى تأبى الذل وأنا لم أطاوعها على ما تشتهى في الكل فلما سمع عنتر ذلك قال له دونك وما طلبت فركب الاثنان على الجوادين وتجالدا أشد الجلاد وظهر الزبد على أشداق عنتر بن شداد وهجم على عامر بن الطفيل فلما رأى ذلك عامر رمى الرمح من يده وترجل وأقبل في عاجل الحال الى الامير عنتر واعتنقه وقبل عارضيه وباس في الركاب قدميه وقال له يا أبا الفوارس غرق جهلى في بحر حلمك وقد عفوت عنى بكرمك وأصلك وأريد

من احسانك وفضلك انك تسير معي من هذا المكان الى مكاني وربعي لان لي أرضا واسعه ومراعي شاسعه وقد حميتها بهمتي ولا احد يقرب بها من هيبتي ولا ينزل فيها أحد بغير ارادتي وأشتهي من احسانك وفضلك وامتنانك أن ترحل معي وتنزل فيها من بعدما أشهد على أهل عشيرتي انها لك واني نزلت عنها لك وانك أخذتها بسيفك وملكتها لما أسرتني فديت نفسي بها وهذا كله يا حامية عبس رغبة لجاهك وعلو قدرك لاني لو سألتك المسير معي قبل قتالك كنت تأبى ذلك ولا ترضى لنفسك ان تكون نزيل أحد لا أبيض ولا أسود والآن ما أخذتها الا بسيفك والسنان يا سيد جميع الفرسان وان لم ترحل معي من هذه الارض والمقاطع الخراب والا لا آكل لك طعاما وحق رب الارباب قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب استحى من فرسان الاعراب وقال يا عامر لقد أقسمت علي بقسم عظيم حتى تريد أن تكلفني أمرا جسيما من وجوه شتى الاول انني ما كان في نيتي قرب بني عبس والثاني أخاف من قومك اذا هم رأوني يتذكرون الدم القديم ويسير بيننا الحرب وتصير الامر صعب فقال عامر يا هذا المقال ومن في قومي يخالفني في حال من الاحوال أو يجرد في وجهي سيفا أو نصالا وأنا حاميتهم الذي أدفع عنهم كل مضره وما فيهم الا من خلصته من الاسر اكثر من مره وأنا قومك فانهم في جزع الطواف وبيننا وبينهم يوم للفارس المجد وهذا أمر ما عليك فيه مضره وأنا ما بقي لي عن مفارقتك اصطبار فدع عنك الاحتجاج وارحل من هذه البراري والفجاج ومازال معه حتى أنعم وأجاب بعد ما شاور من معه من الاصحاب فقال له أبوه شداد والله يا ولدي هذا الامير ما يفرط فيه سيد قبيلته وفارس عشيرته وان كنت تخشى معيرة بني عبس انك عدت طالب قربهم فحجتك في هذه واضحة لانك سرت الى أرض ملكتها بسيفك وأخذتها فدية أسيرك وصاحبها رضي أن يكون نزيلك وباقي بني عبس فقد سال فيهم صهرهم النعمان حتى أنزلهم في ذلك المكان فحقق في هذه المسائل وأبصر ما بين المسؤل والسائل قال ثم انهم عادوا الى الخيام وقد راج الطعام وراق المدام فاكلوا مع بني عامر وشربوا وأكرم عنتر عامر واجلسه بجانبه وتركه نديمه وصاحبه وأعرض عليه أمواله وجنائبه وسأله قبولها وأن تكون من بعض هداياه ومواهبه فقال لا وحق الملك المتعال ما قبلت من هداياك عقال ولا نوقا ولا جمال لاننا جميعا سائرون وفي أرض واحدة نازلون وأموالنا بعضها تخلط ولم يبق بيننا غلط وأنا اخترتك عن أهلي وعشيرتي وحكمتك في أموالي ومهجتي قال ولم يزالوا على مثل ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح وركبوا جميعهم وساروا طالبين أهلهم هذا وقلب عامر طائر من شدة الفرح بسير عنتر في صحبته وهو لا يصدق أن يراه معه في قبيلته فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من بني عامر فان الخبر وصل اليهم ان عنتر أسر حاميتهم فقامت عليهم القيامة ووقعت عليهم المذلة والندامة ووصل الخبر الى كبشة أم عامر فنالها من ذلك منال عظيم وفزعت على ولدها من القتل والهوان وعلمت ان عنتر ما يبقي عليه مثل ما فعل سابقا في غيره من الفرسان فاقبلت الى ابن أختها غشم بن مالك وبكت بين يديه وشكت أمرها اليه فقال لها طيبي نفسا وقري عينا ولا يأخذك من هذا الامر فزع ولا جزع ومن هو هذا الاسود الزنيم حتى يتجرأ على أمراء العرب وعبيده الى أصحاب الحسب والنسب وها أنا الساعة ارسل اليه واطلب ذلك منه فان لم يطلقه فانا اعلم ان الفتنة تقع بيني وبين بني عبس الجميع ولا اخلي منهم لا فطيم ولا رضيع وانا ارسل بعد ذلك الى النعمان واعرفه أن حامية قبيلتنا عامر بن الطفيل كان قد غزا أرض اليمن في جماعة من الفرسان فوقع به عبد شداد في الليل وكاثره بالرجال والخيل واخذه اسيرا ونحن ندري عذرنا عنده على كل حال وارسل الى قيس قبل كل شئ بهذا المقال فاذا انفذ الى عبده وخلص حاميتنا من يده فقد استرحنا من القتال والحرب والنزال ثم طيب قلبها وصرفها واقام يوما وليلة وكل ما هم ان يسير الى قيس فتعز عليه نفسه ويأبى المذلة والهوان ورضي بالقتال والمحال قال وما مضى على ذلك اكثر من ثلاثة ايام حتى وصل عامر وعنتر وعلم بنو عامر بصحة الخبر فركبوا الى لقائه وبشر وامه بسلامته من اعدائه هذا وعامر قد انفذ الخيل التي كانت صحبته مع عنتر وامرهم ان يحكموه في الارض طولا وعرضا ولما وصل الى بني عمه وعشيرته وسلم عليهم واراد أن يشرح لهم قصته قال له ابن خالته يا عامر نحن كنا سائرين اليك لان المنهزمين

أخبرونا ان عبد بني عبس قد اسرك ونراك عدت سالما وقد حضر معك فقال عامر يا غشم ان كان عنتر عندك عبدا فهو لي مولى لانه ملكني مرتين واعتقني وبقيد الجميل قيدني واوثقني وقد وهبته اموالي وارضي وجعلته من الدنيا حظي ثم حدثه بما جرى له من الامور والاحوال ووصف له مكارم عنتر البطل الرئبال وقال من كان يحبني من عبد ومن حر فلا يرجع له قلب ولا يضيق له صدر قال ولما انتهى الى آخر حديثه ومقاله تعجبت جميع رجاله وابطاله وعشيرته من حسن وفائه ومودته وأما ملاعب الاسنه فانه قال وقد آلم قلبه هذا المقال ويلك يا عامر ما هذه الفعال أترضى لنفسك ان تقول فرسان العرب الاجواد حامية بني عامر أسره عنتر بن شداد وما قدر قومه على خلاصه حتى بذلوا فيه ارضهم ومراعيهم وعجزوا عنه وما قدروا على ملاقاته فقال عامر نعم وان كان عنتر قد أسرني فقد أسر من هو أعلى مني قدرا وشان وأرفع مكان وأذل في هذه المرة ملوك اليمن وأذل أبطالها وشجعانها وان ادعيت اني ألاقيه في الحرب كنت كاذبا والكذب أكبر عيب في الانسان وقد رأيت من كرم نفسه وطيب أصله وشجاعته ما رأيت مثله من بشر مع ما رأيت أنت من شجاعتي التي لا تحتاج معها الى خبر وان كنت تقول ما له نسب فان نسبه حسن فعله وادبه وأنا قد رضيته لي معينا وصاحبا على الشدائد والنوائب يا قوم أما هو الذي قال في حقه مالك بن مواثب حيث يقول

يروعك في الميدان منه المضرب * همام شجاع في الحروب مجرب * وماشرف عبسا ولا غطفان غيره
وكان له بين القبائل منصب * وما غلبت عبس لفرسان عصرها * الا لان تدعى اليه وتنسب
شجاع فلولا جده وجلاده * وصولاته في الحرب ما كان يرهب * وقد ورث المجد المؤثل بعا بني
من المجد لا بما بناه الجد والاب * بني لنا دار الشجاعة منزلا * عليه رواق العز وهو المطنب
وان مقالي هو صدق ولم ازل * على هذه الاحوال لا أتكذب

قال ومازال عامر يصف لقومه ما أبصر في عنتر من المناقب والمكارم حتى أجابوه وساروا جميعهم الى عنتر وخدموه وعرضوا أموالهم بين يديه وشكروه واثنوا عليه وفضلوه وفي قبولها سألوه فقال والله يا وجوه العربان عامر قد أغناني عن كل قاص ودان لانه رآني شريدا طريدا فآواني وسمح بما لا يسمح به انساني قال ولم يزل عنتر يصف عامرا ويشكر مكارمه حتى تحيرت قومه من حسن أدبه وفصاحة لسانه وتعجبوا من عذوبة كلامه وقوة جنانه قال ولما كان من الغد صنع عامر وليمة عظيمة واحضر فيها سادات بني عامر ووجوه القبائل والعشائر وقدمت العبيد الطعام فاكلت الرجال الكرام ودارت عليهم أقداح المدام قال فلما شربوا وسكروا وطربوا وأخذت بعقولهم الخمرة ودار الكلام بينهم قام عامر على الاقدام ووقف بين السادات الكرام واعترف لعنتر بالجميل وكيف أطلقه من الوثاق بعد الغلبة والقهر وأنشد يقول

أبا الفوارس قد أوليتني نعما * جزيلة ذكرها في البدو والحضر * لله در بني عبس لقد شرفت
اذ أنت منها محل السمع والبصر * شرفتها فعلت حقا وقد ارتفعت * بمثل فعلك قد تسمو على البشر
يا فارس الخيل يا حامي الحريم ويا * مغني الفقير ويا غوثي على الضرر * أمان لما في البر ماجد أسد
يوم الكريهة يعفو عفو مقتدر * فكم حللت حمى قوم على غضب * اجريت فيه نجيع الدم كالمطر
وكم هزمت شجاعا ومقتدرا * يوم النزال بحد الصارم الذكر * وكم سمعنا بفعل ذكره حسن
واليوم نظري قد أغنى عن الخبر * لو يعلمون بنو عمي بفعلك بي * جازوك بالروح بعد المال والدرر
فيا بني العم اني قد لقيت فتى * جلت مناقبه عن سائر البشر * قد شرفت منزل الجوزا مناقبه
برفعة الشمس في العلياء والقمر * يا راكبا للعلا فوق السماء ثويا * فخر القبائل من عبس الى مضر
أطلقتني وعفوت الآن مقتدرا * لا تدرك الشمس في الافلاك بالبصر

قال فعند ذلك طربت جميع الفرسان وشكره عنتر وأثنى عليه وخلع على سائر أصحابه وعليه وما خرج أحد من الوليمة الا وعليه خلعة عظيمة من عنتر بن شداد وقاد كل واحد منهم جواد يا سادة ودامت الافراح والولائم وقضوا اياما كالاعياد والمواسم قال وكانت كبشة أم عامر أيضا وافرة الذهن ضاحكة السن

فسلمت عقل عبلة ومسيكة ونسوان بنى قراد وخلعت عبلة عليهم انخلاع الملاح وانبسطت معهم فى الكلام
والمزاح وصارت أم عامر ليلا ونهارا عندهم وتخدم عنتر وتمازحه وتدعو له بطول العمر وعلو المنزلة لاجل عفته
عن ولدها ومحبة ولدها له وعنتر يكرمها وهم فى عيش هنى * وأما ما كان من بنى عبس فانهم سمعوا بعنتر فى بنى عامر
فقال قيس ان بنى عامر ما أنزلوا عنتر فى أرضهم الا نكاية لنا لعلمهم انا اطردناه وهذا كله بغض لنا فقال الربيع
هو وقع على حريمهم وبكى بين أيديهم بانهم يسترضوك لانه يا ملك فى هذه المرة نظر الموت بعينه ورأى العرب تحويه
وهو الذى نزل عليهم واذا أتاك كل من فى الدنيا وطلبوا منك أن يرجع لما كان هان عليه فقل لهم أنا حلفت بغالب
الاقسام انى ما أدخله عندنا حتى يلبس العباءة على لحمه كما كان ويرعى جمالنا والاغنام حولا كاملا أو نصف عام
وبعد ذلك أقبل سؤالكم فيه لان ركوب الخيل هو الذى عظم نفسه عليه فقال قيس وعلى مثل هذا كنت معوّلا
يا سادات وفى تلك الايام وصل كتاب دريد الى غشم بن مالك والاخرص بن جعفر وكان فيه يا بنى عامر أنتم أمراء
العربان وانتم أولاد عمنا من قديم الزمان والمراد منكم أن تخبرونا عن بنى عبس وعدنان نزلت على أى
القبائل من العربان حتى نركب عليهم ونأخذ بثار أخى عبد الله والسلام فقال الاخوص الحمد لله على سلامة ذلك
السيد العظيم نحن قد عرفنا يا عبد الخير بقتله هو وأخوه عبد الله ونسأل الله ان لا يفجعنا فيه وبعد ذلك ان بنى
عبس قد أنزلهم النعمان فى ديار غطفان بالرغم برضانا واذا ركب دريد عليهم فنكون يا عبد الخير لا لهم ولا عليهم
فهذه غرماؤه فى أرضنا وتلك الوهاد فليطلبهم فى أى وقت أراد ونحن دماؤنا عندهم طريه وربما اذا نظرنا دريد
وقد أتاهم بالفرسان واحتاج الينا ربما نكون له عونا على القوم اللئام قال وأرسل ذلك العبد بهذه الرسالة وذلك
القال والقيل وسمع بهذا الخبر عامر بن الطفيل فهان عليه هذه الاحوال فاعلم عنتر بهذه الاخبار وقال
له يا أبا الفوارس دريد قصده يركب على قومك ويقلع منهم الآثار فارسل من عندك عبدا يخبرهم بهذه الاخبار
فقال له عنتر يا أخى يا عامر ان اردت محبتى معك تدوم على طول المدا لا تذكر لى بنى عبس أبدا فعلم عامر ان
قلب عنتر قسا على بنى عبس مما قد فعلوا فيه من التعس والنكس وسكت الجميع ولم يردوا خطاب ولا أحد
أجابه بجواب وأخذوا فى شرب الكاسات وانتهاب المسرات الى ليلة من بعض الليالى شربوا كثيرا من
المدام وهم فى دعوة عامر بن الطفيل الفارس الهمام ولما عادوا الى الخيام التفت مقرى الوحش الى
الامير عنتر وقال له يا أبا الفوارس هذه الليلة احتاج أخوك عامر الخمر فانفذ الى تاجر الحلة يشترى منه فما وجد
عنده ولولا ابن خالته ملاعب الاسنة أنفذ له فضلة خمر كانت عنده والا كنا نعدنا الخمر فى دعوته وقد سار عامر فى
طلب المدام من وقت تفرقنا للمنام فقال عنتر هذا شئ ما علمته يا أخى الا فى هذه الساعة والا لو علمنا كنا
سرنا معه وكان أخف لقلبه ولكن أنا ألحقه وقت السحر فى طلب شراء الخمر ولا أكلفه الا ما لا يقدر عليه من ذلك
الامر فقال مقرى الوحش هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم صبروا الى وقت السحر وركبوا
واستعدوا الى السفر وأنفذ عنتر أخاه شيبوبا الى عروة يأمره بالركوب فى خمسين فارسا همام وأعلم أباه شدادا
بما هم معولين عليه من المرام وأوصاه بعبلة ومسيكة وسار وافى طريق أرض الشام لطلب الخمر والمدام وعند
الصباح لحقهم عروة بن الورد فى خمسين فارسا همام من الرجال الابطال ومعه ابن أخت عنتر الهطال وجدوا
فى المسير ثلاثة أيام فى البر والآكام وفى اليوم الرابع نظروا جمالا وخياما ورايات منصوبة فى البر والآكام فعلموا
انهم من تجار الخمر وقد أتوا من بلاد الشام فاشترى عنتر كلما كان معهم بالربح الكثير فشكره على فعله الكبير
منهم والصغير وقالوا له يا أبا الفوارس لا تعد بعد هذا اليوم تتعب نفسك مع أحد من القوم فنحن نأتى
ببضائعنا اليك ولا نبيعها الا عليك وكان تجار الخمر اذا أتوا بالخمر فى زمن الجاهلية بعد ان ينصبوا خيامهم
ينصبون الرايات على باب مضاربهم فتعلم الفرسان ان التجار قد أتوا بالخمر فيأتون من البر الاقفر ويشترون ما معهم
من الخمر واذا نزلت الراية عن مضاربهم يعلم العرب ان الخمر فرغ من عندهم وما كان عنتر فى زمانه يجوز على
تجار الخمر ويبقى لهم راية لانه كان يشترى منهم جميع ما معهم الا أن عنتر لما اشترى الخمر وقلنا ماله من الامر
عاد راجعا حتى قارب أرض بنى عامر وهم فرحون بما معهم من ذلك الخير الوافر فقال لمقرى الوحش يا أخى

قد حصل معنا كثير من الخمر ونريد شيأ من النوق لاجل النحر وقد عولت ان أنفذ هذه الاحمال والمهمات
الى أبى شداد فى الابيات وأسير فى طلب غنيمة ننفقها فى الولائم والدعوات فقال مقرى الوحش افعل ما تشاء
وسر بنا الى أين أردت من الفلاحى لانك لف صديقنا عامرا أكثر ما كلفناه فعند ذلك أفرد عنتر للخمر
عشر فوارس وسيرهم به الى الحى وسار فى بقية أصحابه طالبا جبال بنى طى وأرض شهلان وصار شيبوب يقصد
بهم المنازل العامرة يجدها خالية من الاهل والسكان فانكر ذلك وحار فى سبب خلو تلك الديار فعلم عنتر منه تلك
الاحوال لما رآه يقصد رؤس الروابى والتلال ويأخذ تارة يمين وتارة يسار فقال له ويلك يا شيبوب ما قصدك
ان سلكت بنا هذه الديار الخراب المتباعدة من الاهل والاصحاب أو تقضى الايام بغير فائدة فقال له شيبوب
والله يا ابن الام ما كنت أعهد هذه الارض الا عامرة باهلها قبل دخولنا الى بلاد اليمن وأراها اليوم قد
تبدلت وخانتها صروف الزمن ولا بقى قدامى يا ابن الام الا قوم يقال لهم بنو هلال وكنت أعهدهم مجملين الحال
كثيرين المال والرجال والصواب انكم تنزلون ها هنا وتقيمون فى انتظارى حتى أشرف عليهم وأعود فان كانت
أرضهم مثل هذه الارض مقفرة عولنا على العودة والرواح ولا نفلح فى طلب ما لا يصلح ثم انا ندرج على المسير فى
البر الاقفر ولا نتعب فى طلب ما قد تعسر فقال له عنتر افعل ما بدا لك واجتهد انك تعود فانا ما بقيت أرجع الا بما
أريد ولو أن الارض ملئت رجالا وفرسانا صناديد لان رماحنا خارقه وسيوفنا بارقه وللاعداء ماحقه
ورجالنا فى الحملات صادقه قال ثم أقاموا فى تلك الارض وكانت كثيرة الغدران واسعة المروج والقيعان
مياهها نابعة ووحوشها راتعة وروائحها عاطرة سابغة فاشتغلوا فيها بالصيد والقنص وانتهاب اللهو
والفرص ومضى شيبوب فى ذلك البر والطلل يدور لهم على حلة من الحلل وكان قد فارقهم ضحوة النهار
فعاد اليهم والشمس قد لبست ثوب الاصفرار قال فلما رأوه تباشروا بسرعة عودته وسألوه عن أخباره وقصته
فتبسم ضاحكا وقال لأخيه والله يا ابن الام لقد سبقك أخوك الى ما كنت له طالب وعاد بما يريد وعدت أنت
خائب فقال له عنتر ومن هو أخى وما هذا المقال فقال له شيبوب انى لما سرت الى أرض بنى هلال فرأيتهم
وقد تعلقوا برؤس الجبال ودرت أرضهم فوجدت آثار المعمعه ورؤسا عن الابدان مقطعه ووحوشا فى
الجثث راتعه وطيورا على الاجساد مجتمعه وهم فى أسوأ حال ونساؤهم ينددن على الرجال فسألت بعض
العبيد عن ذلك الحال فقال لى من مدة ثلاثة أيام غارت علينا فوارس مع عامر بن الطفيل لانه كان دائما يشن
الغارات الى أرضنا فقتل رجالنا ونهب أموالنا وسبى حريمنا وتركنا كما ترى فقاتله الله ما عاملنا ولا أمهله
لانه ترك ديارنا قفار وأخلاها من السكان والجوار وانى لما سمعت كلامه تعجبت من هذا الاتفاق فقلت له
يا ابن الخالة وانتم كيف وقفتم فى هذه الديار من بعد سكانها الذين افناهم عامر بن الطفيل بكثرة الغارات وهجج
أهلها فى البرارى والفلوات فقال لاننا كنا اذا سمعنا بخبره نصعد الى رؤس الجبال ونحصن فيها الاموال
والعيال الا فى هذه المرة انقطعت عنا اخباره مدة من الزمان وسمعنا انه قد اشتغل بصاحبة عنتر بن شداد وعمل
الولائم ومواصلة شرب المدام فامنا ونزلنا الى الصحارى فجرى علينا ما ترى ثم قال شيبوب لأخيه عنتر فى آخر كلامه
والله يا أبا الفوارس ان عودتنا أصلح لنا وقد أعلمتكم بالحال وأمرتكم بالارتحال قال فلما سمع عنتر هذا
الكلام أخذه الفرح والابتسام وقال لشيبوب نعود الى أرضنا بعد النصب والتعب بالامال وحطام لا وذمة
العرب عرج بنا ولا يأخذك الضجر فان الرزق كثير كما شاء رب البشر الذى قضى وقدر والرزق تارة يسهل
وتارة يتعسر ثم انهم باتوا بتلك الارض هم يتحدثون فى شجاعة عامر بن الطفيل ويتعجبون من فروسيته وكيف
أخلى تلك الارض بهيبته ففرح عنتر بصداقته ومصاحبته قال وباتوا تلك الليلة ما لهم حديث الا فى الشجعان
والابطال والفرسان وأخذ القوم يثنون على عامر بن الطفيل ويصفوا عظم هجومه على الخيل وخوضانه
الحرب فى النهار والليل فقال واحد وحق الكعبة الغرا وأبى قبيس وحرى ما سمى عامر بالشجاعة والقوة
والبراعة الا من حين أبعد عمرو بن ود العامرى عن هذه الديار وهج فى البرارى والقفار والا ما كان لعامر اسم
يذكر فى الاقطار فقال عنتر يا ابن العم والله لقد سمعت به وبطرف من شجاعته وقوته وبراعته وكيف

انه رحل عن هذه الديار وطلب سكنى البرارى والقفار فقال الرجل يا مولاى من عظم تجبره وتكبره لانه يرى الناس دونه والارض كلها فى قبضته فطلب أن يسكن القفار والسباسب والاوعار وانتزح عن الاهل والديار وقال أنا مالى فى البلاد قرين ولا أحتاج الى مساعد ولا معين وانا حسامى أغنانى عن الاصحاب ولا أحتاج الى قرين من الانذال ولا اسكن الا البرارى والرمل مثل ما يسكن الاسد الرئبال ولا أخاف من الابطال ولو كان البر يسيل على كله رجال وأفيال ثم ان الرجل أنشد وقال

سكنت قفار البر ثم السباسب * وقد عفت نفسى عن قرين وصاحب
فلا صاحب لى فى البلاد أريده * ولا مؤنس الا حسامى بجانبى
اذا ما عسفت البر أنظر وحشه * وأسده ما بين جاء وذاهب
لأن جميع الاسد فى القفر تختشى * مقامى فتغدو عند وقع مضاربى
فكيف مجال الانس فى حومة الوغا * اذا ما رأت وجهى عند التجارب
وليس بوجه الارض مثلى مقاوما * ولا تحتمى سمعها والكتائب
وقد حكم الكهان أنى همامها * وليث الورى فى شرقها والمغارب
ولا أختشى الا اذا جاء فارس * شريف عفيف من بنى آل طالب

قال ولما انتهى الرجل من كلامه وانشاده شعر عمرو بن ود العامرى قال له عنتر وما رجعت سمعت له قط من خبر فقال له لا وحق البيت والحجر الا انى سمعت كلامه من بعض زوار البيت الحرام وبعضهم قال انه نار أيناه فى بعض الاعوام عند الركن والمقام لأن الكهان ذكروا انه فارس دهره وفريد أوانه وعصره ان سلم من فارس يظهر من آل طالب ويكون فارس المشارق والمغارب وقد تساعده على سعادته الكواكب فقال مقرى الوحش وحق خالق العباد وجاعل الجبال أوتاد ما يقدر أن يقف قدام عنتر بن شداد الطويل النجاد الرفيع العماد الذى علا على سائر الشجعان وساد وسما على الكرام الاجواد وقهر بالسيف جميع فرسان البلاد فشكره عنتر على ذلك وأثنى عليه وباتوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الصباح وركبوا ظهور الجرد القداح وساروا فى البر والبطاح يطلبون أموالا ينهبونها ورجالا يقتلونها وقد أخذبهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم أجمع وفى اليوم الثانى أشرفوا على مرج بزهور فائحه ومياه سائحه وطيور تسبح رب البريه وذلك المرج الموصوف بما ذكر كانه من مروج الجنة الهنيه وفى وسطه روضة بهية بهجة كافوريه وتلك الارض أزهارها فائحه وأمياهها طافحه وأنوارها كالبروق لائحه وزهرها قد أينع وحسنها قد أبدع وبمثلها لم يسمع ودائرها حدودها جبال أربع متعلقة بالسحاب الهمع فسبحان الذى خلق وأبدع فلما نظرها عنتر تعجب من حسنها وتحير مما رأى فيها وأبصر من معانيها وهى كما قيل فيها

منزل قد صبت به الانهار * وتغنت فى دوحه الاطيار * فرخ لوحش به والطيور جميعا
وكساه من المهيمن الانوار * خير أرض يحل فيها * أعنى منزلا نعم المزار

﴿قال الراوى﴾ فامرهم عنتر بالنزول فيه فنزلوا فى ذلك المرج الفائق وباتوا فيه الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وعولوا على الرحيل والرواح واذا بغبار قد ثار وأقبل من صدر البريه قاصدا تلك الروضة البهيه والجو قد أظلم منه واعتم وسمعوا فيه فوارس تهمهم وتدمدم فدخل القوم فى العدد والسلاح وتأهبوا للحرب والكفاح وجعلوا يحدقون الى ذلك الغبار وينظرون ما تحته من الاخبار فقال مقرى الوحش انظر يا أبا الفوارس ما هذا الغبار وما يكون تحته من الاخبار فقال عنتر يا فارس الشام وأى شئ علينا نحن من الغبار والقتام ولو أن من فى الارض يكون لهم علينا ثار ما لهم عندى هيبة ولا مقدار فان كانوا أصحابا فيا بشراهم وان كانوا أعداء أفنيناهم ومن كؤس الردى سقيناهم ولو انهم ملء هذه البيدا ثم انه التفت الى شيبوب وقال له ما وقوفك يا ابن السوداء امض اليهم وخذ لنا خبرهم وبشرهم ان كانوا أعداء بهلاكهم ودمارهم فمضى عبدها التى ساقيه فى البر الاقفر ساعة وغاب عن البصر

فرأى جيشا جرار وفيه كل ليث مغوار ويقدمهم فارس همام مضيق اللثام كانه أسد ضرغام لا تهوله المصائب وخلفه فوارس كانهم الكواكب على خيول مثل السلاهب وغبارهم يحكى الغياهب متقلدين بالصوارم ولهم من تحت الغبار همهمة ودمادم قال فلما رأى شيبوب الى هؤلاء القوم فنادى بعد ما تقرب منهم حيتكم اللات والعزى وخصتكم بالنصر من الهبل الاعلى أخبرونا من تكونوا من الفرسان بين العرب ومن تعرفون من أصحاب الحسب والنسب فما استتم كلامه حتى ناداه فارس منهم وكشف عن وجهه لثامه وأرخى لجواده عنانه وقال له يا ابن اللئام ما لك بالسؤال عن فرسان الزمان وملوك العصر والاوان ارجع ثكلتك أمك الى من أرسلك من قومك اللئام وأمرهم ان يتقدموا الى خدمة فارس البيت الحرام وحامى حوزة الارباب والاصنام قبل ان يسقيكم كؤس الحمام لان هذا الفارس هو الليث الكرار والبطل المغوار ومن تفزع منه سكان البرارى والقفار المعروف بعمرو بن ود العامرى والذين معه كلهم أولاد عمه وأقاربه ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الفارس قد نشأ من صغره وصباه وهو يقهر من الفوارس جميع من لاقاه وكان له سبب عجيب وأمر مطرب غريب تقدم ذكره على الترتيب بعد ما نسمع من يصلى على النبى الحبيب ويعلم السامع كيف كان حديث العرب ومنشأ الفرسان لان مثل هذا الفارس لا يهمل أمره ولا يجب على المؤلف تركه وكيف لا يكون فارسا مذكورا وبطلا مشهورا وقد بارز الامام الادرع والبطل السميدع الكمى الانزع امام بنى طالب والد السبطين على بن أبى طالب وذلك يوم غزوة الخندق وقد شهد له الرسول المحقق لانه يعلم ان ما فى زمانه مثله ولا من يفعل كفعله وكان قد انحطم ظهره واعوج صلبه وقاتله الامام على رضى الله عنه وعمره نحو من عشرين سنة وعمر ذلك الملعون مائة وعشرون سنة وجرى له مع الامام ما جرى لما ضربه بذى الفقار فوقعت على فخذه فطار ووقع على الارض وتعفر فاخذه اللعين فى يده كالمقلاع وضرب به الامام على فحاد عن ضربته بحسن شجاعته فخرجت مثل الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب فوقعت فى خيمة من خيم الانصار وكان فيها رجلان من الصحابة الاخيار فاصابهما الفخذ فقتلهما وكان بينه وبينهما أكثر من ثلثمائة خطوة ولما بارزه الامام على رضى الله عنه نصره عليه الملك العلام ولو عاش عنتر الى أيامه لصار من جنده وأعوانه والا كان أسقاه كاس الحمام قال وذلك ان أبا هذا الفارس الذى نحن فى ذكره كان يسمى ود بن سنان وكان قد جرى بينه وبين اخوته خصومة وكلام فرحل من قبيلته وهى بنو عامر الى بيت الله الحرام وقصد مجاورة الارباب والاصنام وطاب له هنالك المقام وأقام مدة من السنين والاعوام الى ان كبر سنه ودق عظمه ولم يرزق من ظهره بولد همام يحمى عشيرته بعده من الاعداء والمبغضين وكانت الكهان تبشره بهذا الولد كل حين وتوعده بالبنات والبنين حتى تزوج بامرأة من قريش يقال لها حليمة بنت الحارث المخزومى ولم يكن فى زمانها أحسن منها فعمل لها عرسا ومهرجان وحضر فيه الخاص والعام وتقدم ود العامرى الى الاوثان والاصنام وقدم لهم النذور الحسان وسألهم ان يرزقه الملك العلام بولد يكون بطلا همام ودخل بزوجته وواقعها فحملت من ليلتها ففرح بذلك فرحا شديد ما عليه من مزيد وأخذها فى بعض الليالى الى البيت الحرام وطاف بها سبعا وقد استقبل الاصنام وقال يا رباه انى أشهدت على هذه الاوثان ان وضعت زوجتى ذكرا كان هبة منى اليك ثم انه شدد على ذلك وقوى يقينه الى أن أتاها المخاض فولدت ولدا كانه الاسد مفتول الذراعين غليظ الساعدين الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه فلما رآه أبوه بهذه الصفة فرح به فرحا شديد ما عليه من مزيد وسماه عمرا وعمل له وليمة عظيمه لها قدر وقيمه وتكرم وبذل الاموال والنعم وخلع على الاصنام وكسى الارامل والايتام وعم الناس بالاحسان وعكف على تربيته الى أن كبر ومشى وترعرع وانتشى ومرت عليه الليالى والايام واجتهد أبوه فى تأديبه وفروسيته فاكتسب الشجاعة والبراعة وصار يبارز الابطال كل وقت وساعة حتى قهر الشجعان والفرسان فى سائر النواحى والبلدان واستطال عبد المطلب بن هاشم على جميع العرب المخالفين لطاعته والخارجين عن ارادته وسماه فارس الهبل وكان كانه قطعة من جبل ومات أبوه وأخذ

مرتبته وسار بسيرته وكان أكثر غاراته الى بلاد اليمن وأرض صنعا وعدن وكان موصوفا بحسن الاخلاق والشيم وبلغ من الشجاعة كثيرا ولاقى فى غزواته الاقران وقهر كثيرا من الشجعان مثل شبيب بن الحارث الحميرى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وجبار بن العنكبوت والاسود بن برهوت وكلما بلغته أخبار عنتر ابن شداد يقول لفرسانه وأبطاله وأجناده يا بنى الاعمام هذا رجل مسعود ولا يقاتله أحد الا يموت مكمود ومن يقدر يمنع الامر العميم ان أسعد الرب القديم عبد ازنيم والوجه الثانى انه يقاتل عن البيت الحرام ويحامى عن الارباب والاصنام وان اجتمعت أنا واياه فى حومة الميدان ما يكون الا ما يريده الملك الديان قال وكان أول اجتماعه بعنتر فى هذا المكان وكان أنفذه الشيخ عبد المطلب الى الملك النعمان فى طلب حقوق البيت الحرام واستخلاص أموال الارامل والايتام وكان له عليه رسم فى كل عام على وجه الهدية والاحترام وكان سار فى مائتين من الفوارس من بنى عمه وفرسان البيت الحرام فلما انقضى أمره وأخذ من الملك النعمان رسمه أقبل على الفرسان الذين معه من بنى عبد المطلب وقال لهم امضوا أنتم بهذه الاموال فى البر والسبسب الى البيت الحرام واسبقونى بها الى زمزم والمقام وأنا أسير بهؤلاء المائة فارس الذين هم من قومى وبنى عمى عسى ان ألاقى غنيمة نكسبها أو قبيلة عاصية ننهبها فودع بعضهم بعضا وأخذوا الاموال وافترقوا من تلك الارض وعرج عن الطريق والآكام وقصد جهة أرض الشام فى طلب الكسب والحطام وقطع فى البرارى أيام فما مر على طائفة الا ونهبها ولا حلة الا وكبسها حتى اكتسب أموالا عظيمة لها قدر وقيمه وكان له عبد يقال له أبو الخير وكان يقاتله فى الشجاعة والبراعة وكان أحيل من شيبوب وأمكر وأخبث وأشطر فامره عمرو أن يحفظ الاموال والنوق والجمال وأفرد معه جماعة من الاقيال وأمرهم أن يسيروا بها الى الاطلال وسار هو فى البر والمهاد الى أن التقى بعنتر بن شداد ونظر غباره هو ومن معه من الاجواد وأنفذ عنتر شيبوبا يكشف له الخبر كما ذكرنا وخرج له ذلك الفارس كما قدمنا وخاطبه بذلك الخطاب ورد عليه الجواب قال فلما سمع شيبوب من الفارس ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام فرماه بسهم فى فاه خرج يلمع من قفاه فوقع عن ظهر فرسه وقد انقطع من نفسه فلما رأت أصحابه الى ما حل به من شيبوب تصايحوا عليه ومالوا جميعهم اليه وطردوا خلفه مثل الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب فعاد شيبوب أسرع من الريح الهبوب فاندهلوا منه وقالوا ان هذا الشيطان من البادية أو هو من عفاريت الارض الطاغيه فلم تكن الا ساعة حتى عاد وخلفه فارس كانه طود من الاطواد وهو ينادى يا أوغاد غير أمجاد أنا عنتر بن شداد اتركوا الاظعان والاموال والاحمال بكم الذل والخبال وان كان فيكم أبطال وأقيال فدونكم الحرب والقتال والطعن والنزال قال فلما سمع عمرو بن ود صياح عنتر وكلامه ورأى هجمه واقدامه نادى بعلو صوته يا للعرب هذا الفارس المنتخب الذى سمعت به وبخبره وكنت منتظرا النظره ثم أمر قومه بالانعزال عن الحرب والقتال وقال لهم قفوا يا رجال فما الحديد الا بالحديد ودعونى أجرب رمحى مع هذا البطل الشديد الذى قد امتلات الدنيا بذكره واجتمعت كل الطوائف على شكره فمن قهره نال الشرف والفخر وسمى فريد الدهر وفارس العصر ثم انه صاح وقال مهلا يا أبا الفوارس لا تغتر بالزمان فان للبغى مراره وانه مصرع للرجال الغداره فلما سمع عنتر كلامه ورأى قلة افتخاره وسرعة جوابه علم انه فارس همام وأسد ضرغام وليث قمقام فتبسم عنتر عند ذلك الكلام وقال له أيها الفارس المغتر بنفسه أى بغى رأيت منى وأى عجب صدر حدثت به عنى وأنا المنصف على نفسى ولا أعجل على أبناء جنسى فدونك والميدان والضرب والطعان ومقام الفرسان وأظهر ما عندك من الشجاعة والحميه وبادر فى طلب الفداءات كان لك نخوة وعلمان الفرسان تتفاضل والشجعان فى الحرب لا تتقابل ثم ان عنتر التفت الى مقرى الوحش وأصحابه وقال لهم على رسلكم دعونى أنا وهذا الفارس فانه ليث عابس وبطل مداعس ثم انه شد على جواده الابجر من بعد ما حل له حزامه وتفقد له لجامه وغاص فى عدته واستوى على ظهره وفعل عمرو كفعله وقدم كل واحد منهما سنانه وأرخى لجواده عنانه هذا وعنتر صرخ فى جواده الابجر وقال له انتبه من نومك يا أبجر فما أقول

انك لاقيت مثل هذا الفارس التى شجاعته لا تنكر ثم انه صال وجال وأنشد وقال



شربت القنا من قبل أن يشترى القنا * ونلت المنى مع كل أشرس عابس
فلا كل من يشرى القنا يطعن العدا * ولا تحتوى كل الفوارس فارس
وقلت لمهرى زر القنا بقرع القنا * تنبه يا ذا المهر ان كنت ناعس
فخاوبنى مهرى الكريم وقال لى * أنا من جياد الخيل كن أنت فارس
فقلت لمهرى أيها المهر أنت بى * خبير كما انك جوادى مؤانس
ولما تجاذبنا السيوف وأبرقت * سيوف المنايا كنت أول لابس
ورمحى اذا ما اهتز فى يوم معرك * تخر له أسد الدحال القناعس
وما هابنى يا عبل فيك مهابة * وما راعنى يوم الطعان الفوارس
أنا الفارس المرهوب فى حومة الوغا * بسيفى ورمحى آخذ بالمنافس
فدونك يا عمرو بن ود ولا تحل * فرمحى ظمآن وسيفى عابس
ولا لك عندى فى الحروب مهابة * وسوف أخلى رأسك اليوم ناكس
وان لم تكن يا عمرو رب حمية * فانت من القوم اللئام الاراجس
وسوف أدعك اليوم ملقى معفرا * بوجه الثرى كبوا برغم المعاطس
أنا عنتر العبسى فارس قومه * فريد وحيد فى الورى غير ناكس
وسعدى علا فوق السماكين رفعة * وشق جميع الافق للجو قابس
فعلى كضوء الصبح نورا ورفعة * ولونى يحاكى ليل الحنادس

قال فلما سمع عمرو هذا الكلام وسمع الشعر والنظام صار الضياء فى عينيه ظلام لانه ما كان يظن أن أحد يخاطبه بمثل هذا الكلام وانه أشجع من جميع الانام الا انه نظر الى عنتر نظر من له معقول ثم أجابه على شعره يقول

اذا قلت فى دعواك انك قاتلى * وانك يا عبد اللئام مجالس * قد خضت القنا قبل كل من
شراها وأنت المبتدى بالمنافس * فانى صحبت السيف من قبل آدم * وكان ضجيعى قبل خلق الابالس
ورمحى اذا ما اهتز وسط راحتى * تخر له أسد الشرا والدواعس * وسوف ترانى هاما غضنفرا
يهزم فى الوغا كل الفوارس * فان كانت لاصنام حقا تعيننى * عليك فانت اليوم واهى المطالس
وان قلت فى ذا اليوم انك هالكى * كذبت وهذا قول زور راجس * لان جميع الخلق من كل كاهن
حكيم عليم بالامور النفائس * يقولون انى سوف أبلغ منتهى * سنين عديدات أبيد الفوارس
وأبقى الى ان يظهر المطهر أحمد * وأصحابه الاخيار زين المجالس * هناك يكون المنتهى بى لمدتى
صحيحا حقيقا القول هاجس * فدونك منى أدرع متغشرم * أبيد بسيفى كل ليث شارس
وقد شاع ذكرى اننى أوحد الوغا * ونجمى علا شهب النجوم القوابس * شمس نورها الاراضى جميعها
تضىء وتجلى فى ظلام الحنادس * وأنا ابن ود ليس ينكر موقفى * اذا ازدحمت سمر القنا عند التلابس

قال فلما فرغ عمرو بن ود من شعره نادى لعنتر ويلك أنت تقول انك أحق منى بالشجاعة وعظم الشان أو يغرك حديثك انك قهرت الفرسان وما لقيت لك مقاوم فى هذا الزمان وان الاصنام لم تعجز ان تسبب لك من يقهرك فى هذا المقام فوحق الملك العلام انى ما تركت المسير اليك فى هذه الايام الا احتقارا بك وبامثالك لانك هجين ودنىء فى النسب ومركوس العرض بين العرب وقد أخبرنى الكهان انى أقاتل السادات والاصفياء فكبرت نفسى ان أقاتل أبناء الاماء ولا خطر قتالك لى على بال ولا قلت ان حالى يرجع معك الى هذه الاحوال لانك ما أنت من أشكالى ولا تعد من أبطالى قال فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء

فى وجهه ظلام وقال له ياعمرو وحق من خلق من كل نطفة انسان وجعل هذه الصور تنطق بكل لسان ما احد من هذا الزمان يخطر لى على بال فدع عنك الهذيان والمقال ثم ان عنتر صال وجال وانشد وقال

يا ابن ود العامرى الخائب * دونك حربى والتق مضاربى * السيف أدنى نصرة من صاحبى
ومن بنى عمى وكل أقاربى * دونك حربى انى اصميدع * لا أختشى فى الحرب ذات محارب
ملا الشرق خوفا عزائم هيبتى * وقد غدا خوفا الى المغارب * أعطانى الرب المهيمن قوة
ألقى بها الاعجام والاعارب * سعدى قرينى أينما سرت سار بى * وان أقم فهو لى مصاحب
وان هممت بالسير لم اكن * الا كنجم فى السماء ثاقب * والارض ملكى والملوك فى يدى
وكل ما فى الارض جمع كتائبى * نجمى على السبع الطباق صاعد * حتى علا نجمى على الكواكب
فان كنت حقا يا ابن ود فارسا * فابرز لتلقى منى العجائب

﴿قال الراوى﴾ فاجابه عمرو على شعره يقول هذه الابيات

يا دهر كم تبدى لنا من عجائب * وأحوالنا بين محط ومصائب * وجدت لى عبد الئيما فاجرا
لاصبرن لعاذل وعاتب * قد قالت الكهان انى لم أمت * حتى أرى ليث الحروب الغالب
وقاهر الابطال فى يوم الوغا * وفى الحروب مظهر العجائب * الطيب الاصل الرفيع قدره
مؤيد من خير قوم طوالب * وما أرى الالئيما أسودا * مشوه الخلقة نسل كاذب
ان صح هذا منه حقا أننى * أبقيه لى طول الزمان مصاحب
واهجر اهل العلم جهادا ئما * وأتبع الكهان بالنوائب

﴿قال الراوى﴾ ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى معه الطعن بالقواضب وابدى كل منهما العجائب وهدر كل واحد منهما كالاسد الهدار أو البحر الزخار وعلم عمرو ان عنتر ابطل مغوار وفارس جبار فصرخ فى وجهه صرخة الغضب وعبس فى وجهه وقطب حتى اهتزت لهما الاقطار ونفرت منهما الجن والعمار هذا وقد زعقا زعقات متواليات كادت أن تزول منها الجبال الراسيات وتتابعت منهما الصرخات والعيطات والهمزات الى ان بقيت القلوب مرتاعه وكانا بطلين عند الشجاعه وكان لهما ساعة يا لها من ساعه صرخا فى أعقابها صرختين مختلفتين صرت لها الخيل اذانها وارتعدت أجسامها وتأخرت على أعقابها وظن الحاضرون بان السماء انشقت والمواعيد قد حقت وان الارض تزلزلت والجبال تدكدكت الا انهما بعد الانطباق أخذا فى الانفساح كأنهما كباش النطاح أو كأنهما بحران زاخران فاض كل منهما على الآخر وصاح وكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرها الحجر الجلمود ويعرف الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود لانهما تصادما تصادم الماء فى أيام الزياده وكل من نظر لقتالهما ظن انه طار فؤاده وما لا عن ظهور الخيل من فوق السروج حتى تعلمت منهما الابطال حقيقة الدخول والخروج ولم يزالا فى طعن وضرب وهما تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وهما كانهما النيران المسعره وهما فى كر وفر وصد ورد وهزل وجد وبعد وقرب وكان كلما افتتح أحدهما بابا سده الآخر بحسن صنعته التى يختبرها فى الطعان والضراب لان كل واحد منهما كان وجهه ترسه وصارمه قلبه وكان الاثنان كانهما أسدان ضاريان لا يغفل الواحد عن صاحبه طرفة عين حتى أيست منهما الطائفتان خوفا عليهما من الهلكان وانكسر منهما الرمحان وتثلم منهما السيفان وأشرفا على ذهاب الروحين واقاما على تلك الاخطار من الصبح الى آخر النهار وذهب النهار بضيائه وأقبل الليل اليهما بظلامه وسقطا على وجه الارض بعد العراك والفرسان ينظرون بالاحداق وخشيت عليهما الطوائف من الهلاك واضرمت فى قلوب أصحاب عمرو النار وقد تقدموا لينظروا ما يجرى له مع هذا البطل الجبار وقد نوى كل واحد منهما ان أصابه شئ على الفرار والتشتت فى الاقطار وكذلك فعل أصحاب عنتر مثل فعلهم ومقرى الوحش فى أوائلهم وهو يقول ان حمل أصحاب هذا الفارس على عنتر حملنا نحن عليهم ونفرقهم فى هذا الليل الدامس قال وكان عمرو بن ود قد كل ومل وضعف قواه واضمحل

هذا وعنتر حين أبصر منه التقصير ترجلا عن ظهور الخيل وعرفا انه قل منهما القوى والحيل فاستطال عليه عنتر فلما تحقق خصمه منه ذلك الامر قال له ما قولك يا أبا الفوارس فى الانفصال والرواح الى أن يصبح الصباح ونعود الى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق مسير الرياح وفالق الاصباح ما بقى لنا براح الا ان ذهبت الارواح ولا اغنى عن طعن الرماح وضرب الصفاح لانى فارس جحجاح لانى أدهم والليل أدهم وجوادى أدهم ثم وثب اليه مثل الاسد الضيغم فلما سمع عمرو بن ود كلامه بهت وتحير وحصل له الغيظ والضرر واشتد حرقه وزاد غيظه وحنقه وخطف سيفه ودرقته وركب على ظهر جواده الغمام وقال وذمة العرب الكرام لاسقينك كؤس الحمام فى حنادس الظلام أتظن انى أفر من الحرب أو أمل من الطعن والضرب لا سيما وقد حكمت لى الكهان والعلماء والاقران ما على موت فى هذه الازمان ولا أخاف من هذا الاوان لانى أعيش الى أن يظهر المبعوث من عدنان ومعه فارس الزمان وسيد الشجعان والتقيه فى حومة الميدان ويبان فى ذلك الوقت الرابح من الخسران قال وكان عمرو بن ود العامرى أخبر الخلق بضرب الحسام وقد استطال به على سائر الأنام ولا خلق قبل سيدنا محمد احد فى طبقته ولا قاومه فى الجلاد الا عنتر بن شداد الذى اخمد ذكره وعليه ساد ولا ترك له ذكرا يذكر ولا حديثا يشهر لان عنتر كان أكثر حربا وأقدر وقاتل كل جبار غشمشم من العرب والعجم ومارس الطوائف والامم وكان كثير الاسفار فى الاقطار وكان يحب السبق الى كل مكان وأحوجه حب عبلة لملاقاة الفرسان وكان يسمع بذكر عمرو على ممر الايام ويرافيه لاجل محاماته عن البيت الحرام ولولا ذلك ما رماه القضاء والقدر الى ذلك المرج الاخضر وما عمرو يطلب القتال مع عنتر وانما كانت الكهان تبشره بقتال فارس عدنان فكان يوفر روحه على ممر الازمان وتكبر عليه نفسه عن أن يقاتل أحدا من الفرسان وكان يطلب العلى وتصغر عنده الفرسان الا أنه لما خطف الدرقة كان أقبل الظلام وقد خطف عنتر من عمرو الآخر سيفه الهندوان وحمل عليه كانه الاسد الغضبان فالتقاه الآخر فى حومة الميدان وتدانيا من بعضهما الاثنان فتضاربا بالسيوف على الدرقات حتى أضاءت من بريق سيوفهما الطارقات وأضاء الافق والمحلات وخيل للناس ان البرق قد ودق وسال منهما العرق من كثرة الغيظ والحنق وأخذ الناس عليهما القلق ولم يزالوا فى كر وفر وهزل وجد وأخذ ورد وعرك واشتباك والزام وفكاك الى أن أصبح الصباح وطلع الضوء ولاح وبنوره قد أشرق وانهزمت عساكر الدجا والغسق وما بقى فى أيديهما غير مقابض الدرق فاخذا مع المقابضة بقوة السواعد وقاسيا الاهوال والشدائد واعتركا ساعة كاملة والتزما واصطدما حتى طلعت عليهما الشمس فى الآكام وهما فى صدام والزام حتى جثيا على الركب واضر بهما التعب وايقن الاثنان بالعطب ولم يبق فى الطائفتين احد الا وبهت منهما وتعجب هذا وعمرو قد تحير من فروسية عنتر وأخذه التعب والضجر وتعجب من صبره على الاهوال وجلده على الحرب والقتال والطعان والنزال ورآه فلاذ كر لا يمل ولا يضجر وأبصر نفسه معه فى مقام الخطر فخاف انه بعد الربح يخسر فصاح يا أبا الفوارس تمهل واصبر فى هذا المقام المنكر فانت فى زمانك أوحد البدو ثم الحضر ولا تطمع نفسك انك ترمينى قتيلا وعلى الثرى جديلا فمالى ولالك فى هذا الزمان عديل الا انى انا الفارس القليل وأنت الفارس النبيل وقد بشرتنى الكهان انى اعيش الى زمن النبى العدنان المبعوث باشرف الاديان واحارب فارسه المشهر للايمان وقد كفينا ما لقينا من الحرب وتحيرت من أفعالنا الشجعان ولا بيننا أخذ ثار ولا كشف عار ولا زاحمتك على عبله ولا فى قلبك منى دبله وانا مقر لك بالفروسيه والشجاعة والحميه وغرضى ان أتخذك صاحبا ورفيقا وركنا وثيقا عند نوائب الزمان وقد يكفيك قولى بين هذه الفرسان وحق من ركب الارواح فى الابدان ما عدت بعد يومى هذا اركب حصان ولا أضرب بحسام ولا أطعن برمح ولا بسنان ما دمت أنت موجودا فى العصر والاوان الى أن يظهر النبى العدنان الذى دينه ينسخ الاديان ويكسر الاصنام والاوثان وانظر ما قالته الحكماء والكهان ولقد رأيت منك ما لا أراه من الخلق قال فما صدق عنتر أن يسمع هذا المقال ويحقق هذا

السؤال لما أضربه الحال لانه أراد أن يطلب منه الاقاله لما أبصر منه ما أهاله فقال له عنتر وحق ذمة العرب أنا الذى أشرفت منك على العطب ورأيت مالا أراه من أحد من النصب ثم انهما تعانقا وتحالفا وأقسما انهما لا يخون بعضهما بعض والتأم شملهما وباتا فى تلك الارض وما زالا فى حديث ومزاح الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعزما على الرحيل والرواح وودع كل واحد صاحبه وزالت من قلوبهما الاحقاد وعاد عمرو بن ود العامرى وهو يمدح عنتر بن شداد وهو ينشد هذه الابيات

لقيت الهمام الاسود اللون فى الوغا * رأيت هماما بين أسد ضراغم
فلاقيت منه كل صعب وانه * شديد القوى فى الضرب والحرب قائم
جرىء قوى أسود اللون حالك * كمثل ثناء المسك عند النظائم
كأن نقا أسنانه فى سواده * بيض الضيا فى حالك النقع قاتم
ولولا سواد المسك ما كان غاليا * كمثل سواد الرمح بين اللهاذم
ولكنه عبد سعيد وقد غدا * بأفعاله كسادات قوم أكارم
ومن كان ذا أصل ولا فضل عنده * ولا خير عنده كبعض البهائم
هنيئا لمن كان الزمان مساعدا * له فى المعالى بين أولاد آدم
ولما اصطلحنا فرق الدهر بيننا * وما زال حكم الدهر ضربة لازم

قال ولم يزالوا سائرين فى الآكام الى أن وصلوا الى البيت الحرام وأما عنتر بن شداد فانه فرح بما جرى له من الايراد مع عمرو بن ود العامرى من الوداد فسار وهو يصف لقومه شجاعته وبراعته وقوته وجلادته وخفته فى الحرب ونهضته ويقول يا بنى عمى ما رأيت قط فارسا أشد ولا أشجع ولا أقوى ولا أمنع من عمرو بن ود العامرى الفارس الصنديد ولقد فرحت بصداقته وكفينا شره وشر قوته ثم انهم ساروا وعنتر ينشد ويقول

أقسمت بأفلاك العظيم الدائر * وبما حوى من كل نجم زاهر
واللات والعزى وأصنامنا * وحق خالقنا الاله القادر
لا التقى فى الحرب من أسد الوغا * ليثا حكى مثل ابن ود العامرى
يا عبل قد كذبوا بما قد بلغوا * عنى العداة بقول زور وفاجر
هاقد أتيتك سالما فاستبشرى * وأملى قلوب الاصدقا ببشائر
وقلوب أعداك اللئام ضغائنا * حتى تفيض بدمعها المتحادر
من بعد ما لاقيت عمرا فى الوغا * وعلمت منه وهو ليث كاسر
عمرو بن ود المرتجى يوم الوغا * للقا الامام الابطحى الفاخر
لا تختشى يا عبل منى واعلمى * أنى لاقهر كل ليث قاهر
وأنا ابن شداد الذى قد شاع لى * طيب الثناء بين وفود وتفاخر
ما زلت للحرب العوان أخوضها * وأجوز منها كل بحر زاخر
ولقد نصرت على الليالى والعدا * بعزائمى وبحد سيفى الباتر
وبرمحى العسال فى يوم الوغا * وبأبحرى يوم الغبار الثائر
من رمحى العسال أفصح ناظم * وحسامى الهندى أبلغ باتر
لا يفخر غيرى بفضل فى الورى * وأنا الحقيق بكل فاخر
وعفوت عن بعض العدا فى قدرة * ليرون كيف يكون عفو القادر
ما زلت فى كل الامور مسددا * أنهى وآمر كل ليث آمر

قال ثم انه ساروا والفرسان معه يتعجبون من فصاحته وشجاعته وبراعته وهم يثنون عليه ولم يزالوا سائرين فى تلك البطاح الى أن أمسى المسا فباتوا الى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فساروا يطلبون أموالا ينهبوها ورجالا يقتلوها وأخذهم شيبوب فى عرض البر ذلك اليوم والليلة الى ثانى يوم الى أن تضحى النهار واذ قد أشرف عليهم أعرابى يهم من بين تلك التلال والروابى وهو يعسف فى تلك الصحراء على ناقة حمراء وقد انطوت من كثرة السير فبادر اليه شيبوب حتى قاربه وتأمله واذا هو من بنى عامر يقال له الحطيئة الشاعر قال وكان هذا الرجل من شعراء العرب وفصحائهم المذكوره ومن أصحاب الدواوين المشهوره فلما عرفه شيبوب سأله عن حاله وقال له من أين أنت يا وجه بنى عامر والى أين أنت سائر فقال له دعنى يا فتى من السؤال وهنى بالسلامة والعودة الى الاهل والعيال فانى قد خلصت من قبضة الاسد وعاينت الموت الاسود ثم انه تأمل

شيبوبا وأطال اليه النظر وقال له يا مولد العرب أأنت شيبوب أخو عنتر فقال له نعم يا وجه العرب فقال له هل هو حاضر معك فى هذا المكان قال له ما الذى تريد منه يا ابن الكرام قال كى أخبره بالذى جرى على أخيه عامر بن الطفيل من الاسر والويل وكيف وقع فى قبضة زيد الخيل ثم أسرع فى السير حتى قارب عنتر وترجل عن الناقة أسرع من لمح البصر وبكى حتى فاض دمعه وانحدر وقال له يا أبا الفوارس أدرك أخاك عسى أن تخلصه من قبضة الهلاك فانه وقع فى يد الاسد الفتاك والبطل الهتاك الذى لا يوجد له فى هذا الزمان ثانى ولا يرى له مقاوم ولا مدانى وهو زيد الخيل بن المهلهل النبهانى ثم زاد فى بكاه وتتابعت دموعه على وجنته من شدة جواه وأشار الى عنتر ينشد ويقول

يا فارس الخيل يوم الطعن بالسمر * وضارب الهام بالهندية البتر
لولاك ما أمنت عبس ولا برحت * من خوف أعدائها الا على حذر
يا من اذا قلت هذا القول تشهد لى * كل البرية أنى من أصدق البشر
بادر أخاك فقد أضحى على خطر * مع فارس قلبه قد من حجر
ليث اذا سل فى الهيجاء صارمه * سال القضا على حديه بالقدر
سطا علينا بعزم من شجاعته * همام له عزم كالصارم الذكر
وساقنا بعد ما أفنى فوارسنا * بالطعن تحت غبار القسطل الكدر
والشعر خلصنى من أسره وبه * نجوت من شرك الآفات والقدر
شرحت حالى له لما تملكنى * فرق لى وعفا لى عفو مقتدر
وقلت لى حرم فى مضرب خلق * يسحبن للفقر أذيالا من الحقر
والشعر قد كسدت أسواقه وغدا * مضيعا فى البدو والحضر
ولا بقى أحد ترجى مكارمه * ولا يرق لمن يشكو من الضرر

قال فلما سمع عنتر هذا المقال تكدر عيشه من وجهين الاول على عامر والثانى شكوى الشاعر فقال عنتر يا وجه العرب ما أمرك لنا أكشفه وما حديث عامر بن الطفيل فبينه لى على الحقيقة حتى أعرفه فقال الحطيئة الشاعر اسمع ما جرى لأخيك عامر بن الطفيل مع الامير زيد الخيل ثم انه قص عليه القصة من أولها الى آخرها وكشف له باطنها وظاهرها حتى كأنه حاضرها قال وكان السبب فى ذلك أن عامرا طلب عنتر بعد رواحه الى طلب الخمر فما وجده فسأل عنه أباه شدادا فأخبره بخبره وأعلمه انه سار تحت الظلام يتلقى تجار الخمر على طريق الشام ليشترى منهم ما يكون من المدام فلما علم عامر انه سار فى هذا الوجه علم انه أراد يحمل عنه الكلف ولما سمع هذا الكلام عاد الى أبياته وجمع رجاله وندماه ومن يعز عليه من أنصاره وأعلمهم بما فعله عنتر واستشارهم فى الغزاة فقالوا له افعل ما تريد فنحن بين يديك مثل العبيد فان كان عنتر سار فى طلب الخمر فنحن نسير فى طلب النياق للمهر فقال عامر هذا الذى كنت أريده منكم يا بنى الاخيار ثم تأهب فى عشرين فارسا كرار وقصد بهم الارض التى طمع فى أصحابها وفعل بهم تلك الفعال وأنجز الاشغال حتى وقع فى بنى هلال وفعل بهم ما ذكرنا من المقال ولما عاد أعجب بنفسه وطلب الزيادة وما أراد أن يقيم فى الديار وعنتر غائب عنها فأرسل النوق مع عشرة من الفرسان وسار مع العشرة الأخر يقضى الزمان حتى وصل الى بنى أسد وكان وصوله اليهم وقت السحر فعدل الى الغدير وقال لأصحابه الصواب أننا نقيم فى هذا المكان حتى يبتهى النهار ونسرح النوق والجمال الابكار ونوسع فى هذا المرج الفياح ونتفرق عليها من كل النواح ونأخذ منها حاجتنا ونعود الى حلتنا قال ولما أشرف على الغدير وجد عليه عشرة جوار من بنى أسد قد خرجن بالليل يطلبن الفرجة والنشاط وكان معهن جارية يقال لها هند بنت دراع وكانت زوجة زيد الخيل وفى تلك الليلة كان دخوله عليها وخرج حين رأى طلعتها لانها كانت موصوفة بالبهاء والجمال ولها وجه مثل الهلال قال وكان السبب فى دخول زيد الخيل على هذه الجارية أنه كان أغار على ديار أبيها وساق القبيلة عن آخرها وعاد الى دياره فلما أعرض السبى عليه وقعت عينه

عليها وتسمى هندا من جملة السبيات فوجدها كأنها القمر وأحسن من الشمس وأنور فأخذت منه قلبه وسبت عقله ولبه فدنا منها وقال لها يا جارية من أبوك ومن يقال له من الملا وهل هو سالم من القتل أم لا فكلمته هند بكلام يشفي السقيم وضحكت عند سماع كلامه الرخيم وقالت له يا مولاي ان أبي سالم وهو معك من جملة الاسرى والغنائم يقال له ذراع بن عياض ثم انها أشارت بيدها اليه فاحضره زيد الخيل بين يديه وحل وثاقه وهدا روعه وطيب قلبه وأركبه جنيبا من جنائبه وقال له اعلم يا شيخ انني قد وقعت عيني على ابنتك بلا قصد ولا اتفاق فوقع حبها في قلبي وزادني احتراق وقد زادني اليها الاشتياق وأريد أن تزوجني بها واطلب من المهر ماشئت والصداق ولا تطلب شيئا تستقله الابطال بل اطلب ما تعجز عنه الرجال فقال له يا مولاي كيف أزوجك بنتي وأنا على هذا الحال من الذل وشغل البال فاذا أردت الجارية اطلقني أنا وسائر من معي من قومي من الاسر ولا تشمت بنا الاعداء ولا الحساد واخطبها بعد ذلك ولك الخير والسداد قال فعند ذلك حل زيد الخيل الرجال من الحبال وخلع عليهم في عاجل الحال وذبح الاغنام وروج الطعام وصفت آنية المدام فلما تمكنت الخمرة في رؤسهم وغابوا في سكرهم قام ذراع على قدميه وقال اعلموا يا سادات العرب ان هذا الامير زيد الخيل قد طلب مني بنتي وقد أجبته الى ما طلب ولكن أشتهي منه أن يعود الى قومه ويأتي منهم بثلاث أو أربع مشايخ ذوي قدر وشان ويخطب مني بنتي بحضرة الفرسان الاجواد حتى يطيب قلب الجارية ويسر منها الفؤاد حتى لا تقول الفرسان والنسوان عن ذراع انه زوج بنته وهي مسبية وأفدى نفسه بها من شرب كاس المنية فقال زيد الخيل السمع والطاعه أنا أفعل هذا في هذه الساعه وآتيك بهم يذكر طول الدهر قال فعاهده على ذلك فزعا من الغدر وعاد الى الاطلال وأخفى عن قومه الاحوال وعزل ألف ناقة من نوقه الغوال وأظهر ما كان مدخرا من الجواهر والاموال وقال لكبراء عشيرته يا بني عمي انه قد بلغني حديث هند بنت ذراع وقد وصفها لي بعض الفرسان فصرت في أمرها حيران وقد عولت على خطبتها وأريد منكم المعونة على قضيتها فأجابوه على هذا الحال واهتم وسار ومعه جماعة من بني عمه الاقيال وعشرون عبدا تسوق النوق والجمال والخيل الغوال وصاروا يجدون السير في الفلاه الى أن قرب الى بني أسد ووصلهم الخبر فخرجوا الى لقائه وفرحوا به عند ملتقاه وقاموا بواجب خدمته وأكرموا مثواه وكذلك من معه من رفقاه وعملوا له وليمة عظيمه لها قدر وقيمه وأكثروا فيها من الطعام وشرب المدام وأقاموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وبعد ذلك خطب زيد الخيل الجارية من أبيها وأطلق لسانه بالشكر وأثنى على أبيها فلما سمع ذراع من زيد الخيل ثناءه عليه لما خطب قد أجابه لما طلب وأنعم بالزواج والاتفاق وقبض المهر والصداق وضربت خيمة الزفاف وما بقي بينهما خلاف وزفت عليه هند بكمال جمالها والاوصاف ودخل بها وقرت عينه بقربها قال فلما كان وقت السحر خرجت الجارية مع أترابها لتغتسل فوقع بها عامر بن الطفيل بالاتفاق فسباها ومن معها من الرفاق وقال لاصحابه هؤلاء أجود الينا من الجمال والنياق فليأخذ كل واحد منكم واحدة وراءه واطلبوا بنا السلامه والنجاه فأجابه الفرسان الى ذلك وأردفوا الجواري خلفهم وجدوا في مسيرهم حتى تعالى النهار وانبسطت الشمس في الاقطار ونظر عامر الى هند بنت ذراع فرآها احسن من البدر ليلة أربعة عشر فقال لها وقد بلت برقعها بدمعها يا جارية على من هذا البكاء والنواح وما هذا الصياح فأخبريني ان كنت ذات بعل أم ذات خدر فقالت أنا ذات بعل وهذه الليلة الليلة التي مضت دخلت فيها على بعلي فقال لها ما يقال لبعلك من العرب والى من يتصل اليه النسب فقالت له بعلي أشد العربان باسا وأصعبها مراسا وأفخرها نسبا وأعلاها حسبا الذي ماله في زمانه من يقاومه ولا يثبت بين يديه اذا سل صارمه وهو المعروف بزيد الخيل وخائض الميل حامية بني نبهان وسيد شيوخها والشبان وحاوي قصب الرهان قال فلما سمع عامر كلامها علم انها ذكرت بطلا موصوفا وفارسا معروفا وقرما لا يهاب كثرة الالوف اذا هجمت الصفوف لان اسمه قد شاع في قبائل الحجاز ووصف بالشجاعة والافتراز فلما ثبت عنده معرفة بعلها طيب قلبها ورفق بها وقال لها يا جارية لا تحملي هم أسرك فما اخذتك من بيتك وما تكونين عندي الا مكرمة حاكمة على كل حرة

وأمهلك رهنا عندي الى أن يبعث زيد الخيل فداك والا اصطفيتك لنفسي قال ثم انهم ساروا حتى تعالى النهار واذا قد ثار من خلفهم غبار وبان من تحته خيل جرار وهي لبعضها بعض متلاحقه والفرسان على ظهورها صايحة وزاعقه وهي اليهم لاحقه ومتسابقه وكان السبب أن زيد الخيل انتظر زوجته عند الصباح ما رآها عادت لاهي ولا الذي معها فمضى الى الغدير فما رآها ولا من معها ووجد أثر حوافر الخيل على جانب الغدير فعلم ان الاعداء قد سبوها وفي دون ساعة قد شاع خبرها ولم يخف أثرها فركبت الفرسان من كل جانب ومكان وصح عند زيد الخيل ان زوجته غالبتها صروف الزمان فركب بعض الجنائب ولبس العدة التي يحترز بها من المصائب وركض في أقطار البر والسباسب وكان زيد الخيل قد ركب في مائتي فارس فتفرقت أربع فرق وركبت كل فرقة طريقا وكانت الفرقة التي لحقت بعامر بن الطفيل احدى الاربع فرق الا أن زيد الخيل ما كان فيها فرجع اليهم عامر وحده بعد ما أمر باقي أصحابه أن يسبقوه وينجوا بما معهم وعاد يطلب الخيل أشد الطلب وقد زاده الغيظ والغضب فطلبهم مثل الشهاب فهتك صدور الفرسان وبدد الرجال على الصحصحان وظن انه عفريت في صورة انسان وشيطان ما للقضاء عليه سلطان وما كان الا دون ساعة حتى قتل منهم عشرة فرسان وتركهم يتخبطون بدمائهم يمينا وشمالا فلما رأى باقيهم هذه الاحوال عادوا متفرقين والى باقي الفرق طالبين وفي عرض البر صارخين فلما رأى عامر هزيمتهم من بين يديه فظن أنهم لا يرجعون ولا له يطلبون فلحق بأصحابه وحدثهم بما فعل واذا قد ثار من خلفهم الغبار وتقسطل ولمع القتام من بوارق أسنة الرماح الذبل وهرب الوحش من جنبات البر وتجفل وبانت سائر الفرق لما انجلى الغبار وتفرق ولمع حسام المنايا وبرق وظهر زيد الخيل في أوائل الجيش على جواد يسمى الورد صهيله مثل الرعد وعلى جسده درع مانع لم تقطع به شفار السيوف القواطع وعلى رأسه خودة كأنها مرجل لما انها قد اشتعل وفي كفه سيف عريض بتار ورمح رديني خطار قال ولما أن رآه عامر قد أقبل وحقق ركبته عرف صورته فقال هذا والله زيد الخيل واليوم يبان الجبان في حومة الميدان وتنظرون ذلك بالعيان ولابد ما يجري بيننا حرب يبقى ذكره طول الابد ما قام قائم وقعد ثم تقدم يطلب الحرب هو وأصحابه بعد ما وكلوا بالسبي فارسين وعادوا الى القتال فسمعوا زيد الخيل وهو ينشد ويقول

يا من سبى هندا جهلا من بني أسد * أما سمعت بزيد الخيل في العدد
تسبي حريمي وكل الارض تفزعني * والانس تحذر من شري ومن نكد
بركبتي يفتخر الجواد اذا علا * على الخيل يوم الحرب بالمدد
والسيف يشهد اني ماضربت به * يوم الكريهة الا لابس الزرد
وكم أبات رمحي يشتكي عطشا * سقيته من دم الاضلاع والكبد
حميت قومي بني نبهان مجتهدا * وما تركت لهم كلا على أحد
والطفل منا اذا عدت فوارسنا * في الحرب نعدو به في أول العدد
وفي تميم تركت الخيل شاردة * ويوم طيء وهذا اليوم في أسد

قال فلما سمع عامر شعر زيد الخيل صح له الخبر ونادى والله يا زيد الخيل قد خاب أملك وأخطأ سهمك وان كنت كسرت بني طي وتميم فاليوم أسقيك من حسامي كاس الحميم فقال زيد الخيل يا فتى من يقال لك من الابطال ومن تكون من الرجال حتى تلفظت بهذا المقال فقال له أنا حامية بني عامر وغيثها الماطر فتبسم زيد الخيل وقال له يا عامر يا ابن الطفيل والله لقد كنت في غنى عن مدح نفسك وأنا حاضر والصواب انك تتخلى عن هند قبل أن تدور عليك الدوائر قال فبينما هما يتكلمان ويتحدثان بهذا الشان والوصف واذا بهند تشير الى بعلها بالبنان والكف والدمع على خدها جار من الطرف ونادته برخيم الكلام مع غاية اللطف وهي تطلب منه الخلاص من ضيق الاقفاص فلما سمع زيد الخيل من زوجته ذلك النداء اسودت في عينيه البيداء وضاقت عليه الدنيا وظن ان الارض قد سقطت عليها السماء فقال لفرسان بني أسد لا يبرح أحد

منكم من مكانه حتى أهدم من هذا الشيطان أركانه ثم انه حمل على عامر بقلب قد تعوّد على الاهوال وجنان قد لاقى به الشجعان والابطال وتلقاه عامر كانه أسد رئبال وكان قد امر أصحابه بالثبات وطلب من خصمه الانصاف كما تطلب السادات هذا ولما التقى عامر بزيد الخيل وخاض الاثنان فى بحار الويل وعاد النهار كالليل وتعجبت من قتالهما الفرسان وكل عن وصف ماجرى بينهما اللسان وخرجا عن حد صور الانسان وهما كانهما عفريتان من عفاريت سيدنا سليمان ولم يزالا كذلك الى نصف النهار وسطا زيد الخيل على عامر بن الطفيل ومال عليه كل الميل وانحط عليه انحطاط السيل وصاح فيه فتخلل ولاصقه فتمامل وحل ركابه بركابه ودنا منه ومسك بيده جلباب درعه وجذبه فاقتلعه من بحر سرجه وفى دون ساعة أسر ستة من رفقته وساقهم الى أصحابه بشدته وعاد بعدما خلص البنات وفعل فعالا كما سبقت له بها عادات وزادت هيبته فى قلوب السادات الذين هم من بنى أسد وهنوا أبا هند الذى اتصل بهذا البطل الامجد ثم عادوا يطلبون الديار وزيد الخيل قدام بنى أسد الاخيار وهو ينشد ويقول

ياهند قرى ولاتخشى ولاتخفى * فدونك اليوم ليث غير منحرف
ياهند لونظرت عيناك مافعلت * مضاربى فى أعالى البيض والحجف
وقد أسرت هماما طال ما أسرت * يداه أسد الشرا فى موقف التلف
أسرته وغبار النقع مرتفع * والطعن أسرع من أنفاس ملتهف
ياهند هذى فعالى لا أغيرها * ولا أحل ضربى فى ثقلة الكلف
ياهند كم من غبار خضت ظلمته * والخيل تمشى على القتلى والجيف
قحمته وهو مثل الليل منعكف * وعدت وهو صباح غير منعكف
هشمت طعن القنا والخيل جائلة * فصرت أبلغ محاسن العلياء والشرف

قال فلما فرغ زيد الخيل من أبياته تعجبت بنو أسد من فصاحته وقوة قلبه وشجاعته وعلموا انه بطل الاوان وفارس الزمان قال وكان الحطيئة الشاعر الذى تقدم ذكره من جملة المأسورين فقال لزيد الخيل الا يا فتى أنت قد أسرتنا وصرنا أسراك اخبرنا الى أين سائر بنا وما الذى تريد منا فقال زيد الخيل أنا سائر بكم الى ديار قومى بنى نبهان أشدد كم وأعذبكم العذاب المهين وأطحنكم الشعير وأخضكم الالبان وأرعيكم النوق والجمال التى لى وللفرسان حتى تقطعوا على أنفسكم لاموال والنوق الكثيرة والجمال والاضرب رقابكم وفجعت فيكم أحبابكم فقال الحطيئة الشاعر والله يافتى نحن نستاهل مثل هذا واوفى لاننا سبينا حريمكم وتعدينا عليكم وسبقت منا الاذية اليكم لكن ياوجه العرب لاتظلمنا ولاتطلب منا الاعلى قدر أحوالنا فاما أنا فرجل شاعر فقير قليل المال ولى عيال كثير ومن منذ خلقت مادل عقلى ولارأيت غارة وملت عليها ولا رجالا وتقدمت اليها ولاتقدمت لحرب ولاجلاد الا فى هذه المرة لما عدمت الاجواد وخابت المقاصد وأصبح سوق الشعر كاسد فخرجت مع ابن عمى عامر بن الطفيل من شدة الفقر والويل وقلت لعلى أكسب شيأ أعود به الى زوجتى مع البنات فوقعت فى هذه البليات وأنا أقسم بمن بسط الارضين ورفع السموات العالم بما مضى وماهو آت ماخرجت من بيتى وعندى شئ به أقتات فان كنت تقنع منى بشئ من الشعر والمديح والا اقتلنى هاهنا كى أستريح ولاتتعب فى حملى الى بنى نبهان وتقضى الايام فى الهذيان لان فرسى أخذتها أنت وأهلكتها وسيفى ورمحى وعدتى عارية وأنت قد أخذتها ومااملك الساعة الاما على جسدى وهذه الجمال الذى قد أتعبت رجلى ويدى فقال له زيد الخيل المنتسب وحق ذمة العرب متى فرجتنى فى يومك الان كنت تمدحنى وتهجو قومك فقال له يا مولاى هذا أمر هين ثم أنشد وقال

وقر الشيب فالشيب وقار * واغنم المدح فالمديح فخار * كن رحيما اذا ملكت فقيرا
وحليما اذا أعداك جاروا * احذر صروف الزمان يازيد * ر بالاتجد لديها انتصار
انصف فى يوم وراق القوم * غيرته قبل المسا الاكدار * أعاذك الله من بلاء يازيد

مدى الدهر ليل أونهار * يافريد الزمان يافارس العصر يامن له العلا والافتخار
لك سيف يقد حادثات الدهر فهو فى حده لهيب ونار * وسنان تنتدب حوله المنايا
كلما اهتز متنه الخطار * وجنان وعزة مثل موج * كالبحر ماللحسود فيه قرار
قد علمنا يازيد ما قد جنينا * ما لجانى القبيح الا الاعتذار * وما بنو عامر وأنتم سواء
فهم ليل داج وأنتم نهار * وأنت ليث الثرى ونحن ذئاب * وقتال الذئب لليث عار
أنت بحر ونحن خليجات * منك تروينا اذجفتنا البحار * فاغنم المدح والثنا من فقير
لادرهم معه ولادينار * فارس كلما رأى نار حرب * تلظى يقول طاب القرار
وسيفه الغمد من ظلمة لم يزل * عليه من الصدائم واصفرار
واذا نظرن لى حريمات قفر * زاد منهم الهوى الانتظار

قال فلما سمع زيد الخيل شعره ضحك وفرح كيف ذم قومه ومدحه وخاف من مذمة الشعراء والمشايخ الكبراء فاطلقه وأعطاه الناقة التى تحته واعتقه وقال له اذهب الى قومك وقل لهم يعجلوا فى فدية أصحابهم والاضربت رقابهم واعلم انى جعلت جائزة قصيدتك اطلاق مهجتك ولولا انك أتيتنى محارب لاغنيتك واغنيت من خلفك من الابطال والاصحاب والاقارب على اننى فى هذا المكان غريب بنفسى ولاأملك غير عدتى وجوادى ورمحى قال فشكره الحطيئة الشاعر على مقاله وأثنى عليه ودعاله ثم تقدم الى عامر بن الطفيل ورجاله وقال لهم ماالذى أقوله وماالذى توصونى به الى أهلكم وماأقول لهم اذاسألونى عن حالكم فقال عامر لانقول لك يا ابن العم الاقد كسوتنا عار الابد حتى أبدا يهجوك لنا ومدحك للاعداء ولكن أنت حذرك واضح والذى فى رأسه عقل يكون لك مسامح لانك رجل فقير ووقعت مع الاعداء أسير ومالك خلاص الابهذا الوجه الحقير فاذهب الى عنتر واعلمه بماجرى من قصتنا وحدثه بمارأيت من نائبتنا وان سألك قومنا عن حالنا فلا تحدثهم قط بماجرى لنا حتى لاتشمت بنا أعداؤنا فانى أعلم اليوم ان من عظم أعدائى ويطلب لى المهالك ابن خالتى غشم بن مالك فقال الحطيئة الشاعر والله مارمانا فى هذا البلاء الا انت ياعامر لاننا كنا أول الحال قد ظفرنا بأموال بنى هلال ووقع فى أيدينا مانعود به الى العيال فما قنعت أنت بذلك بل سرت بنا الى هذه المصائب والمهالك ثم ودعه بسرعة العودة وسار يقطع الروابى والقفار حتى التقى بعنتر فى ذلك المكان وحدثه بماجرى وكان فلما فرغ من شرح هذه القصة دخل على قلب عنتر غصة واى غصه وقال لقد كان عامر غنيا عن هذه الفعال لاننا مافارقناه وسرنا بغير علمه الا لنخفف عنه الاثقال ولكن نحمد رب السماء الذى التقيناك هاهنا واسترحنا من التعب والعنا حتى لايطول على عامر المطال ولايقيم فى الاسر والاعتقال فعد بنا من هاهنا الى بنى نبهان حتى أريك مافعل بزيد الخيل ومن معه من الفرسان واخلص عامرا من قيد الاسر والهوان وأطلقه من يد ذلك الاسد الهدار الذى امتلات بذكره القفار وانا اتمنى لقاه واشتهى ان اراه ولكن كثرة الحروب منعتنى عن نيل المطلوب والآن قد سهل ماتعسر والذى قد طلبته تيسر قال فلما سمع الحطيئة الشاعر هذا المقال وقع به الانذهال فقال يامولاى وانت فى أربعين من الفرسان تريد تسير الى بنى نبهان وتخلص عامرا من يد ذلك الجبار الشيطان الذى قد أسعده الزمان ياوجه العرب ماانا ممن أشير عليك بهذا السبب ولا اتبعك فى طريق ولا اكن لك برفيق لاننى ان وقعت هذه المرة فى اسر زيد الخيل انزل بى الذل والويل ولايعود يطلقنى من الهوان ولو مدحته بكل شفة ولسان وان كان ولابد لك من المسير اليه والقدوم بهذه الفرسان عليه اكمنوا فى أرضه لعلكم ان تصلوا اليه والا ابقوا كما كنتم فى هذا المكان واكمنوا فى بعض المكامن حتى اسير الى بنى عامر وارسل لكم بعض أصحابكم على الخيول الضوامر وان شئتم القيت فى القبيلة النفير وسيرت اليكم الكبير والصغير على ان عامرا قد أوصانى ان لااعلم احدا بقصته سواك ولا أبوح بها الالك ولكن اخشى عليك من اجتماع القبائل وتلقى ذلك البطل الهائل فقال عنتر ياوجه العرب ماهذا الكلام

فوحق الذى أرسى الاعلام و رفع قدر البيت الحرام لامكنك من هذا المعنى ولابدلك ان تسير معنا باختيارك
ليكون طبق المرام ولا كتفنك وآخذك بغير احترام حتى تنظر قتالنا وتتفرج على وقع مضارب أسيافنا
ولك اسوة بنا واى شئ جرى علينا يجرى عليك مثلنا فقال الشيخ وقد اغتاظ انا علمت والله انه نهار عجيب
وهلاكى فيه قريب وهذه فرحة بغير الاختيار وعودة غصب واضرار واقد كانت سفرتنا مع عامر من أشئم
السفرات وغارة أبشع الغارات لاننا عندما نجونا من التلف صادمنا من يشدمنا الساعد بالكتف ويأخذنا
على رغم الانف فقال عنتر يا وجه بنى عامر هدمعنا ولا تخف فاننا الا نسلم نفوسنا حتى تلعب الخيل برؤسنا فما
نحن مثل غيرنا ومن حين انتشينا ما رافقنا جبان ضعيف الجنان فقال الشيخ يا مولاى اذا كانت هذه النية
نيتكم فلا تأخذونى صحبتكم لانى جبان ضعيف الجنان ومذ ركبت الخيل ما حضرت قتالا ولا باشرت حربا ولا
نزالا ولا عمرى لاقاتلت ولا دعانى أحد الى براز ولا سللت ثم انه انشد وقال

وفارس ما مثله فارس * يهزمه ضعيف من القمل * اذا جرى فى الجيش أغناهم
بضرطة فيهم عن الطبل * يضبط أقدامه حذرا * من هوج فيه ومن خبل

ثم انه قال الرأى عندى انكم تمضون الى حال سبيلكم وتدعونى أمضى الى حال سبيلى واحسبوا انى ما لقيتكم ولا
لقيتمونى فتبسم عنتر وقال وحق ذمة العرب ما تبرح من هذا المكان الان تسير معنا فى ذلك الامر والشان
ولابد ما اعطيك شيأ من اموال بنى نبهان تكفيك انت وعيالك طول الزمان ثم امر شيبوبا فاحضر له فرسا
من جنائبه وطيب قلبه و وعده بنيل مطالبه فقال يا مولاى كونى اريد ان أعود سالما وأعيش فقيرا خير لى
من الاموال والتدمير ثم انه سار معهم وهو يعالل نفسه بعسى و يقول أنا أعلم انى اقتل فى هذه السنه واحترم
الصباح والمساء هذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان * وأما ما كان من زيد الخيل فانه بعد اطلاقه للشيخ سار فى
البر والفدفد حتى انه وصل الى بنى أسد واقام عندهم يومين وفى اليوم الثالث ودعهم وسار بزوجته حتى وصل
الى دياره واشرف على قومه وعشيرته فوجدهم فى حرب شديد وقتال يشيب منه الطفل الوليد ورأى بنى سليم
قد أغارت عليهم فى خلق كثير وأدخلوهم الى الخيام والمضارب ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم والبنات
الكواعب قال فلما تحقق زيد الخيل ذلك الحال وعرف الصحيح من المحال صار يهمهم كما يهمهم الاسد
الرئبال ووكل بزوجته والاسرى من كان صحبته من العبيد والرجال فعند ذلك لبس درعه و ركب جواده
واعتد فى آلة حربه وجلاده وحمل على بنى سليم حملة أسد لا يوصف ولا يحد وفتك فيهم فتكا هذا وقد عرفت بنو
نبهان صوته فتصايحت من بين الاطناب وقويت عزيمتهم بعدما كانت أشرفت على الذهاب وأخذتهم الحمية
على الكواعب الاتراب واجادوا الطعان والضراب قال وكان زيد الخيل قد أشرف عليهم نصف النهار فما
ترك المساء حتى رد بنى سليم وأخرجهم من الاطناب وفرقهم فى البيدا وهم يطلبون النجاه فى عرض البر
والفلاه وخلص من أيديهم الاموال والاحرار واجتمع بسادات عشيرته وحدثهم بما جرى له فى غيبته ففرحوا
بذلك وزادت عندهم منزلته لاجل فعاله وقتاله واسره لفرسان بنى عامر وباتوا على ذلك الايضاح الى ان أصبح
الصباح فنزل زيد الخيل وطلب من بنى سليم الحرب والكفاح وكان مقدم بنى سليم مرداس بن جابر وهو الذى
مسكهم الى اليوم الثانى ووعدهم بقتل زيد الخيل و برد الغنيمة التى أخذت منهم ومايعود الى أرضه حتى يغنيهم
ولا يترك منهم انسان وكان حسابه فيه نقصان وعاقبته خسران لان زيد الخيل لما حمل وللحرب استقبل
سمع وقع مضاربه فى صدور اقوامه فاستدل عليه بحملاته وصياحه ومازال يطلبه حتى وقع به فى الميدان وجرى
بينهما ساعة تتعوذ منها الانس والجان وتزهق منها قلوب الابطال والفرسان من صعوبتها وشدة أمرها
ولهيب جمرها وزاد الامر حتى اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة زيد الخيل فوقع السنان فى صدره
خرج يلمع من ظهره و بعده وقع الذل على بنى سليم فقاتلوا الى قرب المساء وولوا الادبار تحت الظلام وعادت
فرسان بنى نبهان بالغنائم والاموال وما فيهم الا من يدعو لزيد الخيل ويثنى عليه ويصف قتاله وفعاله وكان
المهلهل أبو زيد الخيل سيد القبيلة ومقدم العشيرة فقدم من الغد عرس ولده وشرع له فى وليمة عظيمة جمع

فيها السادات والامراء والكبار والصغار ومابقى من الحى أحد الا أكل من الوليمة وبات فرحان شبعان ريان
وشكر والمهلهل وزيد الخيل على ذلك الشان فلما كان عند الصباح تبدلت أفراحهم باتراح وسمع فى
مضاربهم بكاء وصياح وعديد ونواح فسأل زيد الخيل عن ذلك وقد انزعج وقال ما الذى دهاكم فقيل له
أسرالك هربوا مع عامر بن الطفيل وما أصبح لهم فى الديار خبر ولا اثر وماندرى أفى الليل هربوا أم فى النهار
لان العبيد الذى كانوا بهم موكلين قد أصبحوا على الارض مطروحين قال فلما سمع زيد الخيل هذه الاخبار
طار من رأسه السكر وطار من عينيه الشرار وصاح صياح القهر وصارت عيناه مثل الجمر وقال لبعض
عبيده آتنى بالجواد الهطال حتى ألحق عليه هؤلاء الانذال وانهب فى هذه النوبة أجسادهم على أسنة الرماح
الطوال ولو بلغوا الى منازلهم والاطلال فعندها مضى العبد وعاد وهو أصفر اللون مسلوب الفؤاد فقال له
زيد الخيل ويلك أين الجواد وايش الذى جرى عليك حتى عدت على هذا الحال يا ابن الاوغاد فقال العبد
يا مولاى جوادك قد سرق والذى كان يحفظه ممدد فما أدرى من قتله قال فزاد به الغيظ عند سماع هذا الكلام
والطم على رأسه من شدة الاحتراق والآلام وخرج بنفسه الى بين المضارب والخيام وتقلد بسيف عريض مهند
و ركب جوادا أجرد وانقلب الحى عند ركوبه و وقع فيه الصياح والانزعاج وشاع الخبر بما جرى و ركبت الفرسان
وخرجت الى الصحرا و ركب المهلهل أيضا على اثر ولده وكانت بنو نبهان أوفى من خمسة آلاف عنان فتسابقت
وتتابعت وطلبت رؤس الروابى والقيعان وتفرقت فى جميع الروابى والوديان وكان زيد الخيل فى أوائل
الرجال يركض يمينا وشمالا و يفتقد الحوافر والنعال فبينماهم كذلك واذا ببعض الفرق قد لحقته وقالوا له
أيها السيد اعلم اننا عبرنا ونحن نطرد على وادى الجماجم فرأينا فى جنباتها قوما من أصحابنا قد قتلت والجورة
التى كانت فيه مع المهارة قد أخذت وأصبح الوادى منها خالى الآثار من الحجرات والامهار قال وكانت هذه
الخيل والجورة التى ذكرناها أزيد من ألفى فرس و يتبعها مهارتها وكان فيها لزيد الخيل وأبيه ألف حجره
والباقى لسادات القبيلة ومقدمى العشيره وهى التى كانت بها بنو نبهان تفتخر على سائر العربان وكانت من
أعلى الخيل الجياد ولما بلغه أخذها زاد به الجنون والطم على وجهه حتى كاد أن تطير منه العيون ثم هام فى
جنبات البر الاقفر ليقتفى من الارض الاثر فلما أبصر أبوه حاله شق عليه ما جرى له فقال له يا ولدى ترفق بنفسك
ولا تقتل روحك لاجل شئ ما أحطت به علما واعلم ان هذه المصائب التى نزلت علينا ما هى الا من بنى عامر وما
فعل هذه الفعال الا جماعة كثيرة قد طرقت ديارنا وطلبت قلع آثارنا والصواب انك تصبر حتى يصح عندنا
الخبر وننفذ عبيدنا الى سائر القبائل تكشف لنا باطن هذا الامر الهائل واذا عرفنا الامر على الحقيقة قصدنا
من كان لنا قاصد وتركنا دياره شماتة للعدو والحاسد فقال زيد الخيل لا تطل الخطاب فما صابنا الا من
بنى عامر لانى اعلم انهم أتوا فى خلاص بنى عمهم فرأونا مشتغلين بالافراح والولائم فبدلوا افراحنا ترح وهذا جزاء
من تهاون بالامور العظائم ثم انهم عادوا على وادى الجماجم وافتقدوا آثار الخيل التى أخذت وصارت
الفرسان تركض حتى أمسى المساء وعادوا وقد تبينوا حوافر الخيل فرأوها طالبة نحو ديار بنى عامر فقال زيد الخيل
لابيه ما قلت لك العامر وهم الذين دهونا وأخذوا أموالنا وسبونا فقال المهلهل يا بنى ما قلت الا الصواب
بنظرك المستطاب والرأى عندى انك تعود بنا الى أرضنا حتى ندبر غير هذا التدبير والا حل بنا الامر النكير
وحلت بنا الخساره من وجوه كثيرة أحدها ان غرماءنا قد فاتونا ونعلم انه ليس معهم نوق ولا جمال حتى نقول
اننا نلحقهم اذا جدينا فى آثارهم فى البرارى والجبال ولا أخذوا الاخيولا أنت أعلم الناس بها يا سيد الرجال
انها تسبق الاطيار وما أحد يلحق لها غبار والوجه الثانى ان الليل قد أقبل واشتد ظلامه ونخاف أن نسير
على غير اثر فيضيع من المرء أيامه كمن ألقى نفسه فى التعب والويل وان تبعنا بنو عامر ونحن هكذا على ظهور
الخيل يبلغوا منا المراد بلا امهال ونكون قد فعلنا فعال الجهال من الرجال ورمينا نفوسنا فى الهلاك والوبال
وبنو عامر خلق كثير وفيهم فرسان الموت وأبطال المنايا بلا نكير خصوصا ملاعب الاسنة غشم بن مالك
البطل الخطير ومن يجرى مجراه من النظير وهم ثلاث قبائل على ماء واحد وفى هذا العام قد جاورهم بنو عبس

وعدنان وأنا أعلم اننا ان سرنا اليوم مسير الطمع خسرنا وفي المهالك نقع وانما الصواب بعودتنا الى الديار ونأخذ الاهبة والاستظهار فلا بد لي ان أنفذ الى ملوك بني طي وأعلمهم بما قد جرى علينا من البغي وأطلب منهم فرسانا ومواكب تسير بين أيدينا واجمع حلفاءنا ولا أسير الا ومعي عسكر جرار أبلغ به ما أختار حتى لا ينكسر عزنا ولا نهان قال فلما سمع زيد الخيل من أبيه هذا الخطاب استحى واجاب وعلم أنه قد أتى بالصواب والامر الذي لا يعاب فرجع وهو ياكل كفيه ندما ويعمهم من شدة ما جرى عليه ولا يعلم كيف كان هروب الاسارى مع عامر بن الطفيل ولا يدري من قتل عبيده وساق الخيل قال وكان السبب في ذلك ان عنتر لما جرى له مع الحطيئة الشاعر ما جرى وأخذه معه وسار وطلب ديار بني نبهان الا انه جد في مسيره حتى شارف ديار القوم وأنفذ أخاه شيبوبا ليكشف له الاخبار عن الاحياء وتفكر من أين تدخل عليهم المصائب ويبصر ما تم لفرسان بني عامر وما جرى للأسرى فسار شيبوب وقد ترك عدته عند أخيه في المكان الذي أوصاهم أن يكمنوا فيه وما زال سائرا على هذا الشان حتى قارب ديار بني نبهان ورأى المضارب والخيام قد ملأت الصحصحان وعبيدا وغلمانا وأبطالا وشجعان ورجالا وفرسان والكل مشغولون بشرب المدام عاكفون على الخمر واللذات وسماع غناء القينات هذا وقد حضرت الغلمان وهم آمنون من نوائب الحدثان غافلون عن طوارق الزمان قال فلما رأى شيبوب هذا الامر علم ان القوم قد صرفوا الهم في تناول الخمر وسماع صياحهم قد قلب الفكر فقال هذا وقت اغتنام الفرصة وتمام ما أريد من القصد بالاتفاق والليلة أخلص عامر بن الطفيل من الوثاق ومن معه من الرفاق وأفرج عنهم ما هم فيه من ضيق الخناق ولا أحوج أخي الى تعب ولا أكلفه هم القتال والنصب ثم عاد الى غدير الماء وجلس بجنبه وجعل يحك رأسه ويفلي ثيابه وهو كأنه قائم من منام وهو ينتظر المساء وقدوم الظلام واذا بجماعة من مولدات الحي قد أقبلن في طلب الماء فقال لاحداهن يا مولدة لمن أعندكن جارية تزف على بعلها أم هذه عادات بني نبهان على طول الزمان لاني أرى الحي منقلبا بشرب الراح والصياح والافراح فقالت الجارية كيف لا تكون الافراح عاداتنا والامان في ديارنا بوجود فارسنا الاوحد وسيفنا المهند وحامينا الذي ما مثله في الحرب يوجد زيد الخيل بن المهلهل النبهاني الذي كمل بالوصف والمعاني الذي قال في حقه حسان بن هاني

همام كمي في الحروب مروع * تهون عليه في المعامع الكبائر * بصير اذا الابصار زاغت مهابة
ولم يبق الا ماخلا الرمح ناصر * عليه من الصبر الجميل تجمل * يرى دارعا من تربها وهو خامر
يخاطر في الامر الجليل بنفسه * ولم يدرك الاخطار الا المخاطر

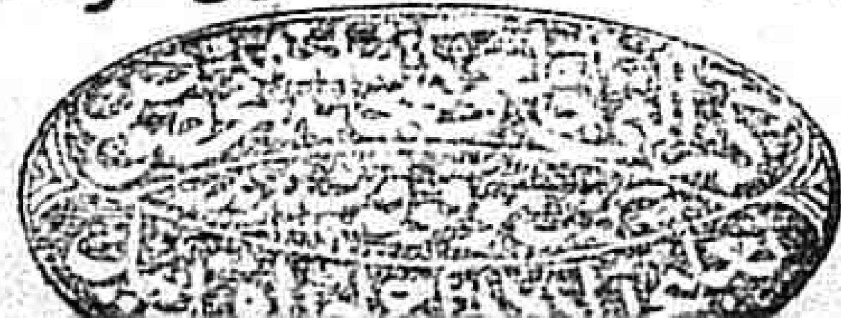
قال ثم ان الجارية حدثته بزواج هند بنت دراع وعودته بفرسان بني عامر وكسرهم ابني سليم وأعلمته أن هذه الافراح والولائم من أجله وقالت له في آخر حديثها وانت يا فتى مالك قد قنعت من ضيافتنا بالماء والنظر فدونك والخيام فان الخير فيها كثير وقد شبع من فضل سيدنا كل غني وفقير ونحن نعرف انك عابر سبيل وزادك قليل فادخل واشبع واحمل ما تطيق مما يعينك على قطع الطريق فقال شيبوب يا جارية وعلى هذا معولي وما نزلت هاهنا الا لاصاب الراحة لاني اليوم قطعت أرضا بعيدة على ضعفي فاين تكون أبيات زيد الخيل عرفيني بها حتى أقصدها وأستجدي منها فاشارت الى المكان المعهود للفرح وعادت الى جملة الاماء وملأت القرب وبقي شيبوب مكانه حتى اسود الظلام ودخل الناس في المضارب والخيام وهو يتوكا على عصا ويجر رجله من الامام الى القفا ولما توسط الحي رأى أكثر أهله نياما والباقون لا يقدرون على القيام ولا على الكلام وما فيهم من يقدر يتحرك من لذيذ المنام كما قال فيهم الشاعر حيث يقول

جلينا تحت أستار الظلام * عروس الكرم ما بين الكرام
ونام الدهر عنا فانتبهنا * مع الطاسات أقداح المدام
وفرق بيننا الساقي فرحنا * وفينا كل منعجم الكلام
تصير أميرنا في الحي عبدا * ويرقد بين أطناب الخيام

قال فلما رأى شيبوب القوم على تلك الحالة أمن على نفسه وقصد أبيات زيد الخيل فرآها خالية لانه كان في أبيات أبيه وأعمامه وجواره وخدمه نائمون فمد شيبوب نظره الى خيمة تعرف بها بذكائه ومعرفته فقصدها وتحققها واذا فيها عامر بن الطفيل ورفقته وعندهم ثلاث عبيد نيام وكل منهم غلب عليه السكر والمدام فرمى نفسه على باب المضرب والعبيد غطيطهم قد علا وزاد فعند ذلك فرح شيبوب وعلم أنه قد بلغ المنى وسمع عامر بن الطفيل وهو يقول لاصحابه يا بني عمي لو ان لنا في هذه الليلة من يخلصنا ويقطع أكتافنا لكنا خلصنا وقطعنا البيداء من غير أن يشعر بنا أحد واذا بشيبوب قد دخل عليهم وقال ها قد أتاكم من يقطع عنكم حبالكم ويقضي شهواتكم وتبلغون آمالكم ثم عرفهم بنفسه وأعلمهم ان أخاه عنتر آتي في طلبهم ثم قطع أكتافهم وقال لهم اطلبوا المرج الذي في آخر الغدران واجعلوا قصدكم كثيب الغزلان فان أخي عنتر هناك في الانتظار وما في طريقكم من تخافون منه انكار واسرعوا فاني لاحق بكم اذا أخذت اماما ماركب من هذه الخيول التي ما رأيت مثلها في حلل العرب فقال عامر يا شيبوب ان لزيد الخيل في هذا المضرب الذي بجانبنا جوادا يقال له الهطال وحق من أحصى عدد الرمال ما فوقه على وجه الارض له مثال وزوجي على الدوام تتمناه ثم ودعه وسار مع رفقته وما فيهم من يصدق بالنجاة وبعد ما ذهب عامر ولحق برفقائه مال شيبوب على العبيد الثلاثة وذبحهم ليأمن أمرهم وقصد بعد ذلك المضرب الذي فيه الجواد الهطال ودخله وهو هائم فرأى فيه عبدا نائما فنام بجانبه وذبحه أيضا لانه كان معه خنجر أمضى من الشفر وأسرع من لمح البصر ثم أخذ مفتاح قيد الهطال من رأس العبد ودنا منه ليفتح قيده واذا بزيد الخيل قد أقبل ومعه جماعة من العبيد والاماء وهو مثل ثنية الجبل طافح من السكر يتمايل من كثرة ما نهل الا أنه لما أراد أن يدخل الخباء واذا هو بالجواد قد صهل فلما سمعه زيد الخيل أنكر أمره وقال ويلك يا عبد الخير لاي شيء يصهل في هذا الليل فقال شيبوب يا مولاي ما أدري وأقول انه الساعة طالب الماء فقال له دونك أخرجه وسيره عند أذيال الخيام واعرض عليه الماء يا ابن اللئام فقال له شيبوب يا مولاي أنا الليلة أريد أن أسيره في الفضا لان لك أياما ما ركبته ولاجل هذا زاد صهيله وغضبه وأنا لا أقدر أقاربه اذا لم أتعبه فقال زيد الخيل اذا كنت تعرف هذا منه فاخرجه الى ساحة الفضا واركض به جهد قدرتك عليه فقال شيبوب وحياة رأسك يا مولاي لاسيرنه طول هذه الليلة لانك تعلم محبتي له دون خيل الحلة ثم صبر حتى دخل زيد الخيل المضرب الذي لزوجته هند وحل الحصان وخرج من الحلة بأمان ولما ان صار به في الفلاه ركبه وطلب به أخاه وقد أخذ به في عرض البر الاقفر والمهمه الاغبر خوفا من افاقة الاسد الغاشم وركض به فاتى طريقه على وادي الجماجم وكان هذا الوادي حصنا من أرض بني نبهان وفيه كانت ترعى الجوره ومهارتها الحسان سوى الخيل التي كانت لسادات العشيرة الا أن شيبوبا دخل فيه فرآه يموج بتلك الخيل المسومة فقال شيبوب هذه غنيمة ما لها قدر وقيمة ولا بد وأن أحي سوقها بين يديه وبعوض المال الذي أخذه من بني عامر وتم على هذا الحال في الليل حتى وصل الى أخيه عنتر قبل ما يصل عامر بن الطفيل وأصحابه الذين كانوا معه وما كان أكثر من ساعة بقدر ما حدث أخاه بما فعل واذا بعامر قد وصل فرآه انه سبقه فقال له يا شيبوب أنت من بعض العفاريت الطيارة ويلك كيف سبقتنا ونحن تركناك وراءنا في الخيام وما فينا الا من ركض حتى ورمت منه الاقدام فقال شيبوب أنا سبقتكم على ظهر الهطال بعد ما ذبحت جماعة من العبيد الانذال ثم أعاد عليهم ما جرى له مع زيد الخيل فضحك عامر بن الطفيل وقال جزاك الله يا شيبوب عنا كل خير

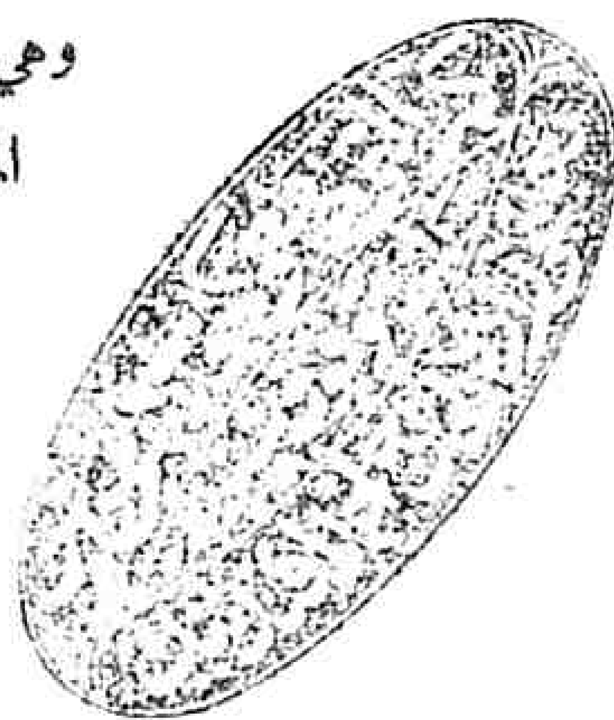


ثم الجزء الحادي عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد



الجزء الثانى عشر

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله





م

محل مبيعه

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندي شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

ماشاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

ولقد قضيت شهوتي وفرجت عني كربتي وانقذتني من هلاك مهجتي ولكن ياشيبوب اذا ركبت أنا هذا الجواد ما الذي يركبه رفقتي فعندها حدثهم بحديث الجوره والمهارة التي رآها في وادي الجماجم ووصفها لهم وقال رأيت من الرأي انكم تتبعوني حتى أدلكم عليها من جهة بني نبهان وأدعكم تسوقونها وتذبحون العبيد الذين عندها وتطلبون الديار مادام الليل راخي الاستار فقال عنتر ويلك ياشيبوب كيف نترك زيد الخيل الذي فعل هذه الفعال يا اخي عامر بن الطفيل سالما ولم نذقه ألم التعب والويل فقال شيبوب الرأي عندي انكم تمضون وأنتم سالمون وأما ان اثرتم حربا لقيتم تعبا وكربا والصواب عودتكم وأنتم راجعون من كل جانب حتى لا يغركم الطمع بحبال النوائب وتجتمع عليكم المواكب والكتائب وتقصدكم العرب من كل جانب وترجعون تخاطرون بانفسكم حتى تخلصوا ارواحكم وتفوتوا الغنائم ويعود كل واحد منكم وهو نادم فقال الحطيئة الشاعر ياشيبوب لقد صدقت ولا يقع موضع الخسران الا من انقطع أمله ودنا أجله وأما زيد الخيل فانا أعلم انه اذا أصبح الصباح وأبصر ماقد جرى عليه تبع آثارنا مع جميع قبائل العرب من بني طي وصار خلفنا الى ديارنا لانه يعد نفسه بالبطل العظيم وأبوه المهلهل رجل مطاع كريم في هذه الديار وله عز ومقدار ونحن اذا صح هذا الحساب وسار معنا الى ديار بني عامر بلغنا المقصود ولو جاء الينا أهل عاد وثمود قال فلما سمع عنتر هذا الكلام قال لاخيه شيبوب دعنا الساعة من هذا الكلام وسر بنا حتى نسوق الخيل الذي ذكرتها ونرجع ومن تبعنا كان لنا وله حساب يسمع فسار شيبوب قدامهم على الطريق الذي أتى منه ومامضى من الليل ساعة حتى حطهم على وادي الجماجم من ناحية بني نبهان وفرقهم ثلاث فرق حتى لا يفلت من الوادي انسان وحملوا على الخيل في ظلام الليل فساقوها بعدما قتلوا العبيد الذين كانوا عندها وساروا في عرض القفار يطلبون الاهل والديار وشيبوب يخالف بهم الطرقات الى ان أصبح الصباح وغاص بهم في السباسب والبر الاقفر وقال اعلموا ان الانسان ينال بالتدبير مالا ينال بالصارم الذكر وصار يدلهم على الطريق الواضح ويجد بهم السير في البراري والقفار طالبين الاهل والديار قال وركب زيد الخيل كما ذكرنا وجرى ماوصفنا وعاد راجعا كما قدمنا ومن مشورة أبيه المهلهل نزل والنار في قلبه تلتهب وتشتعل وأرسل الى سائر العرب من بني طي وطلب منهم النجدة على بني

عامر وأقام يتأهب لهما وأما عامر بن الطفيل وعنتر بن شداد ومن معهم من الرجال الاجواد فانهم ساقوا الخيل وأوصلوا سير النهار بسير الليل وكان عنتر قد اشتاق الى عبلة وأقلقه الهوى وتباريح الجوى وكلما لاح له نور الصباح يهيم ثم تحيا اذا هب عليه نسيم محبوبته عبلة عند الدجا فتنفس صعدا وأبدا لوعة قلبه وأنشد يقول

كيف اصطباري وطيب العيش مسلول * بعد الانيس ودمع العين مسكوب
شوقا ووجدا وأشواقا مؤبدة * وبعد الف غدا بالبين محجوب
ولوعة كل وقت لا انقضاء لها * بين الضلوع لها وهج وتلهيب
وعبلة قد أدناها البعد عن نظري * وقد غدوت حزين القلب متعوب
ياعبل لو عاينت عيناك ماصنعت * يد الفراق بات متعوب
بكيت لي رحمة ياعبل حين غدا * نائي المزار بنار الوجد ملهوب
يابنت مالك أشواقي اليك لما * تأجج في سويد القلب مصبوب
ان كنت جاهلة ماقلته فسلي * يوم النزال وذيل الحرب مسحوب
في يوم كنا على وادي الجماجم في * حرب تصير طفل الشبان اشيب
والخيل قد رجعت من خيفتي هربا * والسيف بالدم مصبوغ ومخضوب
سلي الفوارس عنا يوم قام لنا * سوق النزال وأضحى الليث مرعوب
وقد أخذنا الخيل القوم حين بغوا * حتى غدوا بين مقتول ومنهوب
وعامر كيف خلصناه حين غدا * عنا أسيرا عن الابصار محجوب
اذا تعلمي أن لي عزما أقدمه * كل الجموع اذا ما القرن منهوب
كم من كمي لقد صيرت مهجته * يوم الكريهة رزق الوحش والذيب
لو ان عين القضا قرن ينازلني * صيرته في رحاة الحرب مغطوب

(قال الراوي) ثم انهم ساروا وجدوا في المسير حتى أشرفوا على ديارهم والمنازل فما صدق عنتر ان تظهر له الخيام ويرى عبلة حتى يبل شوقه منها ويقبلها تحت اللثام وبين عينيها فلما قابلها سألها عن حالها وكيف كان مقامها في ديار بني عامر فقالت والله يا ابن العم مازالت طيبة العيش في حظ وافر ومابرحت من عندي كبشة أم عامر تؤانسني وتهون علينا أسباب الردى والخطر وأما بني عبس فانهم انقطع منهم الاثر وماترك لهم دريد بن الصمة ذكر يذكر ولهم ثلاثة أيام وهم يرسلون في طلبك وأتى من عند الملك قيس جماعة من الرسل يسألون عنك وأنا أردهم خائبين وأقول لهم والله ماأدري أين مضى من حيث انفذ اجمال الخمر وقد سمعت يا أبا الفوارس انهم في شدة شديدة وعمارة بن زياد أسره دريد وانزل به كل مكيدة وقد عول على صلبه اذا فرغ من بني عبس وينزل به التعس والنكس وقد حلف انه لا يبقي عليه ولا على بني زياد كلهم ولا يترك منهم أحدا في الفلا لانهم كانوا السبب في هذا البلا فقال عنتر أنا أعلم شؤمهم تغطى على الملك قيس واخوته وأما انفاذهم خلفي وارسالهم الي فأنا منهم وماهم مني ومابقي بيني وبينهم قرابة وماطردوني الا انفا على أنفسهم من عبوديتي فبأي وجه ينفذوا خلفي ثم أقام عند ابنة عمه يطفي نار أشواقه كلما نظر اليها ويبل شوقه منها ويقبلها بين عينيها قال هذا ماجرى من حديث هؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من حديث بني عبس وعدنان فانه كان حديث عجيب وأمر غريب نسوقه على الترتيب بعد ما نسمع من يصلي على النبي الحبيب لانهم سمعوا ان دريد سالم من طعنة عمارة وانه جمع قبائل العرب وعول على غزوهم ويطالبهم بدم أخيه عبد الله فتفكروا في ذلك ولم يصدقوا بل رجعوا واتفق رأيهم على ارسال الجواسيس الى بني جشم وهوازن وكشف الاخبار عن حديثهما فأرسل الملك قيس ثلاث عبيد من عبيده وأوصى الربيع بسرعة العودة فساروا وغابوا أياما وعادوا يخبرون بصحة الحديث الذي بلغهم عن دريد انه صحيح وانه قد جمع فرسان القبائل وأتى في خمسة عشر ألف مقاتل سوى الطماعة والنهابة وانه قد سار الى نحونا طالب قتالنا وقد كاتب اللقيط بن زرارة وقال له اتقينى على بني عبس الذين قد نزلوا على بني عامر حتى أخرب ديارهم وآخذ منهم بالثار قبل قبائل العرب ما تعايرنا بالباس العار قال فلما سمع قيس ذلك المقال انذهل وتحير وجمع وجوه العرب وأخبرهم بذلك الخبر وقال يابني عمي هذه خمسة عشر ألف فارس سائرون الينا وفيها مثل دريد بن الصمة وسبيع بن الحرث وان لم نحسن التدبير والا وقع بنا الهلاك والتدمير فقال بعض الجواسيس ياملك سبيع بن الحرث لا تخافون منه فانه مريض جريح وقد تخلف عن المسير مع دريد لانه غزا الى بلاد اليمن مع خمسمائة فارس وأغار على الملك الريان بن معمر صاحب أرض العنبر وأخذ أمواله ونوقه وجماله ولما عاد

نبئه في خمسة آلاف فارس وأرادوا خلاص الغنيمة فما قدروا على ذلك وكسرهم وقتل أكثر فرسانهم المذكورة
وعادوفيه ثلاث جراحات وقد وعد دريد انه يلحق به اذا برئ من جراحه فقال قيس الله لا يشفيه ولا يوريناوجهه
لانه والله لا يلتقي ولا يخاف حيشا عند اللقاء وهذه محنة أعاذنا الله منها ولا بقي الا التدبير لان الموت قدم على
الحريم والاجتهاد في دفع الغريم فقال الربيع مرادنا نعلم ما في نفوس بني عامر ان كانوا يعينونا او يتخلوا عنا
فقال الملك قيس بن عامر لا نراسلهم ولا نبعث خلفهم فأنا أعلم انهم علينا أحقد من الاعداء ولو قدروا على أذيتنا
ما تركونا الى غداء والصواب اننا نأخذ حذرنا منهم ونترك لنا عليهم عيون وأرصاد قبل أن يدهمنا دريد ويقع
القتل والجلاد لانني أعلم انه اذا قارب أرضنا أرسل لهم مرسال ودبروا على قلعنا ثم أخذ قيس في التدبير والتأهب
للحرب وصار يبيت ويصبح متفكر يقاسي الهم والكرب قال فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الكلام
وأما ما كان من دريد فانه لما برئ من جراحه جمع له من قومه خمسة عشرة ألف فارس من كل قرم مداعس وسار
بهم يجد المسير في ذلك العسكر الجرار والبحر الزخار بهمة لا تقاس بالهمم وعزم لو صدم به جبل لانهدم قال
ولما أبعد عن أرضه وأبصر طول عسكره وعرضه فرح بذلك وجد في مسيره وهو ينشد ويقول

أتتني جياد الخيل عن أم معبد * بعافية أم أخلفت يوم موعدي
وبانت ولم أحمد لديك جوارها * ولم تدع فينا درة اليوم أو غدي
كان حمول الحي اذ طلع الضحى * تناصفه السخنا وعصبة مزودي
فقلت لهم ظنوا بألف مرجج * سراتهمو في السابر المتسردي
أمرتهمو أمرا بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا النصح مني الى غدي
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم أو انني غير مهتدي
وهل أنا الا عاذر قوما وان غوت * غويت وان ترشد به غير أرشدي
تناخا وقالوا اردر الخيل فارسا * فقلت أعبد الله أخي وأرشدي
فان كان عبد الله أخلى مكانه * فما كان وقافا ولا طايش اليدي
تراه خميص البطن من غير حاجة * عنيدا ويغدو في الحروب ويرشدي
نظرت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياح في الفسيح المنضدي
دعاني أخي والخيل بيني وبينه * فلما دعاني لم يجدني بمجدي
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت * الى أن علا من حالك الليل أسودي
فمازلت حتى جرحتني رماحهم * وعدت رهينا في البقاع ممددي
فعال امرئ أفدى أخاه بنفسه * ويعلم ان المرء غير مخلدي
وأهون وجدي انني لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي
أعاذلي كف بعد لومك مقصرا * وان كان علم الغيب رأي فارشدي
أعاذل ان الدهر مهلك خالد * ولا عذر فيمن أهلك الدهر عن يدي
فقالت ألا نبكي فقلت وما البكا * عروف باحداث الزمان المبددي
أعاذلي كل امرئ منه مانع * كزاد منع من ركب غير مرددي

قال ومازال يقطع الفجاج ويسير بهذا الجيش الذي يحاكي البحر العجاج حتى بقي بينه وبين أرض بني عامر
ثلاثة أيام وقال لاخيه خالد كن أنت مقدم القوم في المسير وارفق بهم حتى أتقدم بين أيديكم وازور الاحوص بن
جعفر سيد بني عامر واسأله عن بني عبس ومن أنجدهم من العرب وهل علموا بمسيرنا اليهم ام لا واسمع ما يقول في
حقهم وان كان يشق عليه هلاكهم او يسره لان الملك النعمان قد اوصاه بهم وأكشف سائر الاحوال قبل الحرب
والقتال حتى لا يبقى من بني عمنا كلام ولا ملام قال ومن وقته وساعته دعا بعشرة من الرجال وكان هؤلاء
الرجال من اولاد عمه الذين يعتمد عليهم لاجل كشف همه وغمه فركبوا وساروا وكان بينهم وبين جذع الطواف يوم

أو بعض يوم فجدوا في مسيرهم وركضوا بالخيل وكان مرادهم الدخول في الليل حتى لا يعلم أحد بهم ويعودوا الى
عساكرهم قال وسار دريد مع العشرة فرسان الى أن قرب من الدار فسمع حس رجال وركض خيل فقال لقومه
اكشفوا الخبر وما هؤلاء القوم الذين سائرون في ظلام الليل المعتكر فما تم كلامه حتى أتى منهم فارس وسار قدامه
وقال لهم من أنتم من الفرسان وكيف انكم سائرون تحت ستور الظلام قال وكان هذا الفارس الذي يخاطبهم
الربيع بن زياد وكان السبب في ذلك الايراد ان الملك قيس من حين ما سمع بركوب دريد أمر الربيع بن زياد
ان يأخذ في ليلة مائة فارس ويبعدبهم في الصحرا ولم يزل كذلك الى الصباح وكان تلك الليلة دائر ومعه المائة
فارس ولم يزالوا سائرين الى أن مضى من الليل الربع الاول فأراد أن يرجع فسمع حس رجال تركض على الخيل
والى تلك الديار قادمة في الليل فقال الربيع لمن معه نظرتم الذي أنا ناظره فقالوا بلى يا أمير هذه خيل الى عندنا
قادمة وقاصدة فقال الربيع ما يكشف خبرها الا أنا ثم انه حرك جواده حتى قارب الخيل وأنتم يا سادة تعلمون ما كان
في الربيع من المكر والخبث والخداع الا انه لما قارب الخيل وسألها تقدم اليه دريد وقال له يا أخا العرب اننا قوم
من بلاد اليمن وقد أتينا برسالة للاحوص بن جعفر فأنتم من تكونوا فمن حذاقة الربيع استاعى دريد وأمكنه
ما حققه بل انه استند على الاقوى وقال له يا وجه العرب ونحن من بني عامر والمقدم علينا غشم بن مالك واننا كل
يوم وليلة نخرج ونطوف أطراف الجبال ننتظر فارس الاقطار ومشبع الاطيار دريد بن الصمة لان مقدمنا
الزمه النعمان أن ينزل أعداءه في جواره وهم بنو عبس الذين قتلوا خالد بن جعفر وتركوا عليه نحسر ومن
حرارة مقدمنا في كل وقت من الاوقات يفرق الفرسان في سائر الطرقات لاجل كشف أخبار راحات الحرب
وشيخ العرب دريد بن الصمة وها نحن سائرون مع أخيه طراد في مائة فارس أجواد وقال انا سيروا في الليل
ولا تتركوا الصباح يطلع عليكم الا وأنتم في أرض بعيدة حتى لا يعلم بكم أحد من بني عبس وأينما لقيتم شيخ العرب
دريدا استحثوه على الخير ولا تتركوه يفرق في المنازل لا يفوته ما هو مؤمل ونحن كما ترى مجدين في هذه الامور فأنتم
من تكونوا من العرب وأي أرض أنتم طالبون تحت ظلام الغيهب فقال دريد وقد فرح فرحا شديدا ابشر يا وجه
بني عامر فقد قرب عليكم الطريق ووصلتم الى من أرسلتم اليه بلا تعويق فأنا دريد بن الصمة وتركت خلفي
عساكر تملأ القيعان التي بها بنو عبس والملك النعمان ولو كان معه سائر العربان وما جئت أرضكم الا بهذا
المعنى زائرا ومستخبرا والا ما كنتم لقيتموني قريبا من الديار وكنت عدت الى قومي وما أضيع تعبي ولا بد من زيارة
ابن عمي الاحوص بن جعفر لان زيارته واجبة علي وهي مثل الفرض فعد الى صاحبك طراد واعلمه بما سمعت حتى
نعود جميعا وندبر على هلاك أعدائنا ثأرنا فيهما وضيعا فعندها عاد الربيع وهو ينادي بكره ودهاه ابشروا يا بني عمي
فهذا دريد سيد العرب أتاكم زائرا ولكم معينا وناصرا ومعه قبائل وعساكر لم تدع من بني عبس ساعيا ولا ناظرا
ومازال كذلك حتى صار مع بني عبس وقال لهم يا بني عمي ابشروا يا ابا النعمة فهذا دريد بن الصمة ومعه عشر فوارس
وطالب أرض بني عامر ليدبر على قلع آثارنا وخراب ديارنا وأخذ أموالنا وسبي حريمنا وعيالنا وقد جرى لي
معه كذا وكذا والصواب انكم تظهرون الفرح بلقاه ويترجل اليه منكم عشرون فارسا ونكون قد ملكناه
ونحمل بعد ذلك على الخيل التي معه والان صحنا وطلبناه وعلم اننا من أعداه ما نقدر عليه ولا نصل اليه لانه كما
سمعتم راحات الحرب وما فينا من يقدر يقاتله اذا كان متأهبا للطعن والضرب هذا ان طلب قتالنا وان توهم اننا
خلق كثير نجا في الليل وقطع خلفه الخيل ويجمع علينا العرب من سائر القبائل لانه ما ثم في البر قبيلة الا وله
فيها مكرمة وفضيلة من سائر الفرسان وأرباب الضرب والطعان (قال الراوي) فلما سمعوا كلامه قالوا له رأيك
صادق وما في الامر غير ذلك ثم ان الربيع أخذ منهم جماعة وأتوا الى دريد وداروا حوله ولما علم الربيع أن دريدا
ما بقي له سبيل الى النجاة صاح دونكم يا بني عمي ثم صاح يا لعبس يا لعدنان فلما سمع دريد كلامه أراد أن يجرد حسامه
فما مكنه الربيع ومسكه وتكاثروا عليه وقتلوا جواده ثم أخذوه أسيرا وداروا ببقية بني عبس بالخيل التي كانت
معه وقتلوا منهم ثلاثة وأسروا سبعة وعرضوا الجميع على الخيل وعادوا طالبين بني عبس في ظلام الليل فلما بقي
بينهم وبين جذع الطواف ساعة من النهار تقدم الربيع وأرخى عنان جواده قاصدا الى الملك قيس يعلمه بالامر

دريد بن الصمه فلما وصل الخبر الى الملك قيس فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وركب في سائر اخوته الى لقاء الربيع وركبت بنو زياد الى لقاء أخيهم وفرح الحي فرحا بذلك الاخبار وخرجوا الى أذيال الخيام الكبار منهم والصغار والتقى قيس بالربيع وشكره على هذه الفعال وقال له يا ابن العم بهذا الفعل ننال المقصود وتتفرق عنا العساكر والجنود وان لم يامر دريد عساكره بالرحيل عنا هددنا بقتل دريد ركن العسكر وكان دريد سامعا هذا الكلام فقال له يا قيس ان أردت أن تقتلني دونك وما تريد واترك هذا الكلام فانا أهون ما عندي شرب كأس الحمام لاني قطعت من العمر بمائة وخمسين عام ونفسي كرهت ممر السنين والايام وانا أعلم بعدي ما يبقى لكم ذكر يذكر ولا بد ما ينقطع منكم الاثر لان خلفي خمسة عشر ألف فارس مع أخي خالد وفي غد يكون عليكم قادم ولا أحد الا وله عندكم دم وخلفي أيضا صهري ربيع بن الحرث الذي رأيتم فعاله وسمعتم بأعماله وكذلك اللقيط بن زرارة يطلبكم في بني مشاجع وأنا أعلم ان ما يطلع لكل خمسمائة رجل من أعداكم واحد منكم اذا ثارت نار الحرب واشتد الطعن والضرب والصواب أن تقتلوني وتقتلوا كل من معي وكل من وقع في أيديكم وخذوا بثار أنفسكم قبل فناكم فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام احتار وعلم انه جبار من الجبابرة الاقيال لا يبالي بقرب الآجال وما يخطر له الموت على بال فقال له أنا ما أقتلك في هذا الوقت وانما اذا قدمت هذه القبائل اللاتي هددتنا بها وان عجزنا عنها كان لنا معك تدبير آخر ثم انه شده في بعض الخيام وأقام عليه الحرس وقال الملك قيس يا بني عمي الصواب اننا نتأهب من اليوم الى غد او نسير كلنا واذا لاح لنا غبارهم انقسمنا فرقتين ونترك فرقة تنادي يا لعبس يا لعدنان والفرقة الثانية تنادي يا لعامر الشجعان حتى يظن العدا ان بني عامر سارت معنا لاجل الجوار وانهم قبضوا على دريد لما أتاهم زائرا وركب طريق الاخطار لتنفذ به الاقدار ومن لا يركب النوائب انحطت منزلته عند أرباب المناصب فلما سمع الربيع هذا الخطاب قال له والله يا ملك أشرت بالصواب فاعمل رجالك بما خطر ببالك وابشر ببلوغ آمالك وقوة عزمك لتنال النصر والظفر وتعلم سادات القبائل ان عنتر كان بيننا ما كنا نحن بعنتر فارسل الملك قيس عبيده الى رجاله ليعلم فرسانه بحاله وباتت القبيلة تتهيئ للقتال ويتفقدوا العدد والزرد للجدال وما أصبح الصباح حتى خرج كل منهم الى ظاهر المضارب وترتبوا كتائب ورموا كتب وانقلب البر من صهيل الخيل والجنائب وبريق السيوف القواضب وركب الملك قيس في موكب كبير من بني عمه والاقارب ودارت حوله فرسانه وعشيرته وركب الربيع في سائر اخوته وما في القوم الا من خرج على نية الحرب والجلاد بعد ما ودعوا الحريم والاولاد وساروا وهم ثلاثة آلاف فارس كأنهم الاسود العوابس وكان سيرهم بلا عجل ولا وجل لانهم سمعوا من دريد ان العساكر تشرف عليهم ذلك اليوم أو غدا فوقفوا بالخيل حتى تعينهم عند اللقاء ويجادلون بها الاعداء في الملتقى وما زالوا يقطعون الآكام حتى اعتكر الظلام فنزلوا وباتوا الى الصباح فما سمعوا للعدا خبر ولا وقعوا لهم على أثر فقال الملك قيس ارحل بالناس يا ربيع فكلما ابعدنا عن الأوطان والاطلال تعظم هيبتنا في قلوب الشجعان والاقيال اذا علموا بأحوالنا يقولون لولا أنهم في غاية الاستظهار ما جدوا في طلبنا وساروا في القفار فرحل الربيع في المقدمة وتبعه الجيش وكان سيرهم في المرحلتين اللذين رحلوها دون المرحلة للفارس المجد ثم باتوا على مثل ذلك وزاد بينهم الحديث والافتكار حتى مضى الليل وأقبل النهار وساروا الى أن انبسطت الشمس في الاقطار وساروا وقت الضحى ومدوا أعينهم فرأوا غبار وقتام قد علا وغا وصعد الى عنان السما وله جلبة ولمعان أسنة رماح وبريق صفاح وأمور تدل على حرب وكفاح وجيوش سدت الآفاق وملأت الطرقات وسدت البراري والفلوات كما قال فيه القائل هذه الابيات

جيش اذا صاب وجه الارض عارضه * أفنى المصارع آخره وأولاه

بعيد ما بين أولاه وسابقه * كالبحر لا تدرك النظار أقصاه

والسابقات تبارى تحت نار وغا * تجري عليها من الهامات أفواه

والماشقات اذا انشرت كواكبها * رأيت أسفل ما في الفرق أعلاه

كذا النبال تبارى عند رشقتها * مثل الجراد اذا ما سار مرعاه

فلما رأى الملك قيس ذلك قال والله ان هذه مواكب الاعداء وان صدقني حذري فقد وقع بينهم أمر وهذا سبب ابطائهم عنا ثم قال لبعض الفرسان يا ابن العم حرك جوادك وائتنا بالاخبار وابصر لنا ذلك الغبار حتى ندبر على قدر ما نرى فيه الصلاح فاطلق الفارس عنان جواده وطلب القتام وما غاب الا قليلا وعاد يركض بالجواد فقال له الملك قيس ما هذا الخبر وما حال هؤلاء فقال يا ملك حالهم غير مبارك عليهم لاني مضيت خلف أذيال الغبار أطلب من أسأله عن الأخبار واذا برجل خرج مجروح وهو يطلب أقطار الصحراء لاجل يشم الهوى فقلت له يا وجه العرب كيف حالكم وما هذه الطوائف المتقابلة وعلى أي شيء وقع بينهم الحرب والقتال فقال لي يا فتى أما أنا فلا تسأل عن حالي فاني قد جرحت وأخذ رمحي وحسامي وقتل فرسي وأما هذه الطوائف بتقاتلوا على حطام الدنيا التي يطمع فيها كل أحد والسبب في ذلك اننا اخرجنا من بني كليم ابن صارم مع صاحبنا الكليم ونزلنا على بني غراب وتركنا ديارهم قفرا خراب وسقنا نوقهم وأموالهم والدواب ولا تركنا لهم مضارب ولا قباب وعدنا نطلب الديار فالتقانا هذا العسكر الجرار الذي ما تقع له على عيار فابصروا الغنائم معنا والدواب فتبادروا الينا مثل الذئاب وأرادوا أخذ الاموال منا فقاتلناهم وما رأينا على أنفسنا أن نفوت غنائمنا ولنا يومان في هذا القتال نرد القبائل التي سدت الاراضي والجبال وهي تضرب بنا بأمواجها من كل جانب ونحن ندافع عن أرواحنا وغنائمنا ولولا فارسنا وشجاعنا الكليم بن صارم ما بقي منا الا قاعد ولا قائم وهذه قصتنا يا فتى شرحتها لك وان كان عندك فرج والا ارجع من حيث أتيت فلما سمعت قصته ضمنت له النصر ورجعت وهذه أخبارهم (قال الراوي) فلما سمع الملك قيس هذه الاخبار قال لاصحابه هذه الاسباب قوة لنا وضعف لاعدائنا ولكن الصواب اننا نقيم على ما نحن عليه من التدبير ونقسم فرقتين فرقة تنادي يا لعبس يا لعدنان وفرقة تنادي يا لعامر الشجعان ونحمل على هذه الفرسان لعلنا نكسرها ويكن الامر قد هان فقال الربيع هذا هو الصواب والرأي الذي لا يعاب ورب البيت قد بعث لنا من يعيننا بغير حساب وأنا أعلم اننا اذا حملنا ورأى هذا الفارس فعالنا وصارت له معونة منا فانه على الاعداء يعاونا ثم انهم انقسموا فرقتين وأطلقوا الاعنه وقوموا الاسنه (قال الراوي) وكان هذا الفارس الذي قدمنا ذكره فارس مذكور وبطل مشهور من أبطال العرب الاقيال اذا عدت الابطال يذكر في أول الرجال ويحسب من الاقيال وكانت الفرسان تسميه بحر الهلاك ومرج المنايا وكانت قصته كما ذكرنا في هذا الكتاب وانه عند عودته من غزوة بني غراب جرت له هذه الاسباب وقاتل عساكر دريد كما ذكرنا أول يوم الى آخر النهار ولما رأى كثرتهم طلب منهم البراز فقاتل معهم الى المسا وقتل منهم خمسة وسبعين وحملت عليه تلك الفرسان فردهم بالسيف والسنان وحمى أصحابه وثبتهم للطعان فانهم كانوا أرادوا أن يطلبوا الهزيمة ويتركوا الاعداء الغنيمة فطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر على أعدائهم وقال لهم بالله عليكم يا بني عمي اصبروا على قليل حتى أشبع من الحرب مع هذه العسكر وأترك لي ولهم حديث يذكر ما بقيت الشمس والقمر ما دام انهم مقيمون على برازي وان تكاثروا علي احموا أنتم ظهري وأنا أظهر فيهم عجائبي وأفرجكم على طعاني ومضاربي ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى طابت قلوب أصحابه وباتوا يصلحون رماحهم وصوارمهم وأما خالد أخو دريد فانه لما عاد من القتال جمع فرسان القبائل والمقدمين على الجحافل وقال لهم ضيعتم اليوم والنهار وأخطأتم بمبارزة هذا الفارس الجبار لان الفرسان الجبابرة ما تغلب الا بالمكاثرة لاسيما هذا الفارس الذي أذل الشجعان ورمته الارض الينا من أبعد مكان ولو لم يكن ذو قوة ظاهرة ما سمي بين الفرسان بحر الهلاك والرأي عندي انكم عند الصباح أقصدوه كلكم باسنة الرماح ثم انهبوا جسده ومن معه بشفار الصفاح والا ألقى الهيبة في قلوبكم ويكسبكم عار ما دام الظلام وطلع الصباح لاسيما أخي دريد وراكم وطالبكم فكيف تنفروا من فارس واحد في البراز فهو عليكم عار وأنتم أبطال الحجاز وأخي أراد أن يلقى بكم فرسان بني عبس وهي قبيلة قد قاومت الاعارب وهذه فعالكم من فرد فارس واحد منقطع في القفار وليس اسب فلما سمع الابطال منه هذا المقال عرفوا المقصود من خالد فقالوا والله لا تلمنا ولا تعتب علينا فما قدامنا فارس

دون وهذا الشجاع ومثله لايكون على ان الذى لم بارزه لم يعرفه ولو عرفه ماقاربه وعند الصباح نحمل كلنا فى
سائر القبائل ونقصده بالرماح الدوابل ونجز أمرنا مع هذا الجمع اليسير ونساق غنائمهم بين أيدينا ونسير
وماصدقوا بان الليل ينقضى والصباح يضئ حتى نار الفرسان مثل الاباس وقصدوا الكليم وأصحابه الالف
فارس وأخذوا معاهم فى القتال وطلبوهم بكل صارم فصال فعندها حمل الكليم عليهم وجال فيهم وهو
عائم بمائة العقاب القاتل ويبرى بسيفه الرماح الدوابل وصارت أمواج المراكب تلاطمه كيف مال وهو
يخطف الارواح من الاجساد وينثر الرؤس تحت الاقدام حتى قتل أوفى من مائتين فارس تمام وكثرت عليه
الاقوام وساعدوه أصحابه من بنى كريم الكرام فكنت ترى الادما فائرا وجوادا غائرا ورأسا طائرا
وعظمت المصائب والكبائر ودارت بهم الابطال والعشائر ثم طلبتهم أمواج العساكر وخسرت الاوائل
والاواخر وطلع الغبار الثائر وأيقنت بهلاك الكليم وأصحابه الضمائر ولا بقى يدرى لمن يحارب ولا لمن يبادر
وخالد يحس عليه العساكر ومابقى الا أخذه بالكف فاقبل الملك قيس فى أبطال بنى عبس وأسنة رماحهم حجبت
ضوء الشمس ونظروا الى القتال فحملوا من سائر الجهات بعد ان تفرقت قبائلهم ثلاث فرق وزعقت فرقة
بالعبس يا لعدنان وفرقة يا لعامر وفرقة يا لغطفان ابشروا بالهلاك والخسران ياويلكم دريد قتلناه وعلى
فعاله جازيناه وقد امتثلنا أمر الملك النعمان وقبلناه (قال الراوى) وكان هذا من تدبير الربيع بن زياد حتى يلقى
الهيبة فى قلوب الاعداء والاجناد فلما سمعت القوم هذا النداء تفرقت فى جنبات الميدان هذا وبنو عبس باعت
النفوس ببيع السماح وعلا منهم الضجيج والصياح وسدوا وجوه الجميع أبواب النجاح حتى تثلمت الصفاح
وتقصفت الرماح فانكشفت عن الكليم الغمه وبرق برق المنايا من حسامه ولاح وتفرقت عنه العرب
وأخذوا فى الهرب فقال خالد ياويلكم يا بنى عمى تهدموا مجدكم بالفرار وستندمون اذا بانت لكم حقيقة الاخبار
على ان أخى دريد سالم وعن قريب ترونه اليكم قادم فاجتهدوا فى جودة الطعن والضرب وابشروا بالغنائم
والكسب ومازال على ذلك حتى رد الفرقة المنهزمة من رؤس الجبال والتلال وقتلت الخيل هربا وشكت الرجال
كربا وأتبع كل انسان سبيلا وجرى الدم وادا .. كما ولا يلتفت الحبيب الى حبيبه وعاد الصبر منقلبا وصار النهار غيهبا
وأظهر الكليم العجب لما انكشفت عنه الكرب وعلم ان هذا الاتفاق من سعادته قد اتفق فصاح وزعق ولمع
صارمه وبرق وسال الدم واندفق وامتلأ غيظا ومازال الامر كذلك حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار
وعاد كل جمع عن الآخر وافترق ونزلت بنو عبس فى وسط الاعدا وملأت جنبات الارض بالقتلا وما قتل منها
الا نفر يسير وأخذ من بنى عبس خمسين فارسا أسير لان خالدا صاح فى الرجال وقال لهم كل من قدر على عبسى
لايقتله بل يشده كتاف يحفظه حتى نفدى به أخى دريد من الاتلاف ووقع كما ذكرنا فامتثلوا أمره ومقاله
وكان هذا رحمة لهم ولما وقعت الاسرى فى يد خالد أحضرهم بعد الانفصال من الحرب والقتال وسألهم عن أخيه
دريد بن الصمه فقال له العقلاء منهم والله ياوجه العرب ماظفرنا به وهو سائر الى بنى عامر وعند فراغنا من سيره
سرنا الى اقفاكم طمعا فيكم وقلنا نبدد شملكم وكان الذى كان ولولا فعالك ولم شمل الناس كنا طمعنا فيكم فقال
خالد ومن الذى خلفتموه فى الديار لما رحلتم لحفظ المال والعيال بعد مسيركم فقالوا له أيها السيد أهلنا فى أمان من
تغير الزمان وأكثر القبيلة تخلفت فى الابيات وماسرنا الا فى نفر قليل من الناس وهى هذه الطائفة التى تراها
فقال خالد كذبتم يا بنى الزوانى وكان عدتكم حين خرجتم من بلاد اليمن أكثر من هذا الجيش ونحن ماسرنا فى
طلبكم حتى صح عندنا اخباركم وسمعنا ان عبدكم الذى كنتم تتكلمون عليه غضبان عليكم وان القبائل كلها
طلبتكم فقالوا له صدقت ياوجه العرب أما الذى حدثكم بغضب عنتر فهو صادق ولكن عند مسيرنا اليكم
صالحناه وتركناه عند خيامنا ومعه الفرسان والحماة مثل مقرى الوحش وعروة بن الورد وابن أخت عنتر الهطال
وعبده أبو الموت سيد السودان وجماعة من بنى غطفان وفرقة كانت تبعتنا من بلاد اليمن وهذه فعال ملكنا
قيس خوفا من بنى عامر لانه فزع منهم أن يضيعوا حرمته عند غيبتنا لما بيننا وبينهم من الدما (قال الراوى) وكان
السبب فى كون العبسى قال هذا المقال خوفا على الاهل والعيال لاجل ماسمع من المقال الآن خالد لما سمع

منه ظن انه صحيح فجرد من ليلته خمسة آلاف فارس من الشجعان وأمر عليهم رجلا جبارا من بنى جشم يقال له
سابق بن ثابت وقال له يا ابن العم سر بهذا الجيش من وقتك هذا ولا تفتر ولا تهدأ لعلك أن تصبح مضارب بنى
عبس صباحا وتخلص أخى دريدا ويكن انفصل الحال وبلغنا الآمال فقال له ومن بقى فى بنى عبس حتى تمشى
اليهم فى هذا الجيش فقال له أخبرنى بعض الاسارى ان عنتر هناك ومعه طائفة قويه فان كان الامر صحيحا فبهذه
خمسة آلاف تدهمهم وتكسرهم بها وان لم يكن الامر صحيحا فانزلوا فى خيام القوم وخلصوا دريدا واقسموا
مضاربهم على الفرسان والذى يأمركم به الشيخ دريد افعلوه لانه يفعل على قدر مايرى فقال سابق السمع والطاعة
ثم تقدم امام الجيش وسار يقطع الارض تحت أذيال الاعتكار وبقى خالد فى دون العشرة آلاف فارس ينتظر
الصباح ويعد الابطال بالنصر والمال المباح فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من بنى
عبس فانهم لما نزلوا عن ظهور الخيل عند اقبال الليل أتاهم الكليم فارس بنى كريم وشكرهم على فعالهم
وسلم على الملك قيس وحياه وكان حوله سادات بنى عبس مثل الربيع بن زياد واخوته فقال لهم لاتظنوا أيها
السادات أن فعلكم معى ضائع فانى ما أنساه مادامت الرماح اللوامع ولابد ما أقاتل حتى تنهب جسدى السيوف
القواطع لانكم أحسنتم الى وفرجتم عنى الكرب على انى لو كنت أطلب النجاة كنت نجوت ولكن نفسى
لم تحدثنى بالهرب وماسرت فى بنى عمى الا لاجل المعايش والمكسب وها أنا التزمت وكان الذى كان ولابد من
تفريق هؤلاء القبائل والفرسان كى لا أصير عندهم حديثا على طول الزمان (قال الراوى) فلما سمع الملك قيس
كلامه أعجبه وقام اليه وأجلسه بجانبه وقال له يافتى لو كان هنا انصاف كنا كلنا سعينا بالاسعاف لانك نصرتنا
على الاعدا والجميل لمن بدا ونحن والله ماتسببنا فى معونتك قصدا وانما اتفق لنا هذا الاتفاق والهدى من
سعادتنا أو علو مجدنا والا ما كنت تخلصت فى أمسك وكانوا أعدموا رفقاك لاجلك ولا كانت أهلك تراك
فكفاك مالقيت من الحرب فى أمسك ويومك فخذ لنفسك الراحة من هذا الصدام واطلب النجاة برجالك
تحت أستار الظلام ونحن دعنا نقاتل من بلينا بقتاله من هؤلاء اللئام فقال الكليم لا وحق مسير الغمام
لا أفارقكم حتى أشتت هذه القبائل فى البرارى والآكام أو أشرب معكم الكاس الذى تشربون منه والسلام فقد
صار لى على هؤلاء القوم ثار أطلبه ودين أخلصه ولا أتوانى عن سببه فشكره الملك قيس والجماعة وقال بعضهم
لبعض يا أجواد أخلف الله علينا عوض عنتر بن شداد هذا الفارس وهو أثبت من عنتر فى الحرب والجلاد
ومعه ألف فارس شداد ثم قدموا لهم الطعام وصار بين القوم حرمة وذمام وأضرموا حولهم النيران وما أظلم
الظلام حتى أخذوا فى المشورة والتدبير والحيلة فى تفريق هذه الاعداء والجيش الكبير فقال الملك قيس
الرأى عندى اننا نأخذ الراحة ساعة من الليل ونعود الى ظهور الخيل ونحفظ حريمنا بالاحياء ونجعل قتالنا
قدام الحريم بلا امتراء ولا نأمن من خالد أن يرسل أحدا من فرسان هذه القبائل حين يأتى الظلام الهائل
فيسوقون الكواعب وتعظم علينا المصائب لانهم ان فعلوا هذا وعادوا علينا وصاروا من خلفنا وبين أيدينا
تعظم الامور علينا وهذا الحساب خطر ببالى وقلبى منه خائف وان دريدا ذكر لى انه أرسل الى لقيط بن زرارة
وأعلمه انه يلاقيه على أرضنا ويشغل قلوبنا ونحن ههنا ويطول المطال فتهلك الحريم والعيال وتملك ديارنا
والاطلال والاهل والعيال والذخائر والاموال ونفتضح بين القبائل فى الارض والجبال فلما انتهى الملك
قيس من هذا الحديث علم جميع رجاله والاصحاب انه أصاب وان خاطره قد حدثه بالصواب فقال الربيع
ابن زياد يا ملك لقد حسبت حسابا مناسب ونظرت فى العواقب نظر اللبيب بالفهم الثاقب وان كان أعداؤنا
على هذا الرأى الصائب نخيلهم ولابد سارت من الليل تحت ظلام الغياهب فسر بنا أيها الملك على الاثر حتى
نرى أحوالهم وأعمالهم فلما سمع الكليم بهذا الامر العظيم قال لهم ارحلوا أنتم الساعة واطلبوا أهلكم حتى أسير
أنا خلفكم على أثركم ومن تبعكم كفيتكم أمره وقطعت عمره فعندها رحل بنو عبس الكرام طالبين
المضارب والخيام تحت أستار الظلام وتركوا النيران على حالها زائدة الاضرام ولم يعلم بهم أحد من الانام

لانهم جرائد على الخيول الجياد وتخلف بعدهم الكليم ومن معه بسيوف حداد ورماح مداد ولما أصبح الصباح صحت قبائل العرب أرضهم فلم يجد والبنى عبس خبر فانذهل خالد وتحير وعلم انهم طلبوا الديار فعندها أقبل خالد على رفقاه وبنى عمه وأقرباه وقال لهم لابد ان بنى عبس علموا بما دبرناه وسمعوا بخبر الجيش الذى سيرناه ورحلوا على أثره خوفا على مالهم وحريمهم وعيالهم ونريد نحن أن نلحقهم ر الاضيقوا على دريد لانهم علموا ان المصائب من أجله فساروا عليه باسم الهزيمة وها نحن خلفهم نجد فى طلبهم ومتى أدركناهم نعول على هلاكهم وفناهم ثم انه ركب وركب معه ذلك الجيش الجرار الذى كأنه البحر الزخار وفى قلبه على أخيه دريد لهيب النار وجدوا على هذا الحساب فى الروابى والهضاب وكان أول من أشرف على خيام بنى عبس ثابت بن واثب الذى سار فى الاول يطلب خلاص دريد من الاسر والعذاب فلما قرب من الاحياء فرق الجيش فى سائر الجنبات وانتظر أن يخرج اليه أحد من بنى عبس القناعس فلم ير الادون المائتى فارس ظهرت فى أذيال الخيام وهم مع نوفل أخى الملك قيس الا انه لما رأى تلك المواكب والكتائب تفرقت من كل جانب وأحاطت بالحريم وصارت بين المضارب ورفع الصياح من المشارق والمغارب ورجفت قلوب النسوان على فقد الحبائب وانقلبت الدنيا بضجيج البنات الكواعب واختلطت الاحرار بالعبيد وقاتلوا القتال الشديد ومانعوا عن الحريم والعيال وقد ظهرت من سابق وأصحابه الاهوال فصاح وأعلن بالصياح وقال عليكم بأبيات الملك قيس باستعجال فما يكون سيدكم دريد الا هناك فيمن معه من الرجال ومتى خاص انصلح الحال وبلغنا الآمال فعند ذلك مالت الابطال وعظمت الاهوال وركضت بين الاطناب الخيل والرجال واشتد على الملك قيس القتال وبرقت النصال فما كان أكثر من ساعة على هذه الاحوال حتى أقبلت بنو عبس مواكب وأسراب وطلع غبارهم مثل الزوابع ورأوا القتال دائرا بين أطنابهم وشائع فصار الغيظ فى قلوبهم متتابع وصاحوا صياحا منكر وأقبلوا مثل موج البحر اذا زخر وفى الحال صار وامع أعدائهم فى الخيام وحارت الافهام وأظلمت الاقطار مثل القتام وما تضاحى النهار حتى عادت بنو جشم الى القفار وأخرجتهم بنو عبس من خيامهم بقوة واقتدار ونهبت منهم نفوسهم وطيرت رؤسهم وادركهم فارس بنى كريم فى الالف فارس المقدم ذكرها ورأى القتال يعمل فاقبل هو ورفقته وجودوا العراك وأشرف بنو جشم وبنو هوازم على الهلاك وعلمت انه مابقى لها من الموت فكاك وقاتل سابق قتالا شديدا وكثرت الآلام بينهم والبوائق ومانجا الامن كان جواده سابق وهلك من نفذ فيه الحمام الماحق وانقسمت المواكب فى سائر الجنبات ونفخ على بنى هوازم وجشم بوق الشتات وبقوا فى هزيمتهم حيارى وبعد الربح عادوا فى خساره وفى ذلك الوقت أشرف عليهم اللقيط بن زراره فى خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس ورأوا غبار الحرب ثائرا وقتام المعمعة فائرا فمالوا عليه وحملوا على بنى عبس وطلبوهم من كل المواضع لانهم حارسون أنفسهم بأشد الموانع ودارهم لا يقصدها الامن له على بنى عبس ثار وقصده هلاكهم والدمار وكان عندهم علم ان دريدا يلقاهم فى تلك الارض كما تقدم الحديث فقصدوا الغبار ومالوا اليهم فى سائر الجهات والاقطار فلما نظرهم بنو جشم مالوا اليهم وأخبروا اللقيط بحال سيدهم دريد وأن أخاه خالدا أرسلهم لاجل أن يخلصوه من أسر بنى عبس فلما سمع اللقيط ذلك الكلام صاح فى أبطاله وحثهم على حرب بنى عبس وركب فى أوائلهم جواد النوبه وقلبه ملآن بالحنق والحرب لانه تذكر ما سابقا ما بينه وبين بنى عبس من الثار وماجرى لهم من الحرب القديم خوف العار فطلب بنى عبس بفرسانه وحمل عليهم بشجعانه وكان قد وصل معه عشرة من اخوته لانهم كانوا تسعة عشر أخا من أم واحدة وأب واحد والكل فرسان وأبطال خبيرون بالطعن والنزال ورماحهم طوال فتفرقوا خلف الهاربين فى رؤس الجبال وعاد بنو عبس خوفا على الحريم والعيال واجتمعوا لما رأوا ذاك الجيش الذى هو كالرمل السيال والتقوا أعداءهم على هذا الحال وصاح الملك قيس يا بنى عمى هذا اللقيط بن زراره أتانا بهذا الجيش الكبير فاقنوهم قبل أن يصل الينا الذين تركناهم خلفنا فيكثر علينا العدد وتشتد مصائبنا وعلى الحقيقة اهتزت أرض جزع الطوف وتزلزلت النواحى وملئت البطاح وبيعت النفوس بيع السماح وانحطمت الرؤس والاكتاف وقطعت الايادى

والاعضاء من خلاف وفزع الجبان من الموت وخاف وحمل الكليم فى بنى عبس وعدنان وصار يقاتل بالسيف والسنان وكاد بحر الهلاك وموج المنايا كما تمنته الفرسان ففتك فى بنى دارم وأذاقهم الهوان وما زال القتال يعمل حتى تضاحى النهار وبنو عبس على قلة عددها قاتلت ونصحت فى قتالها الا انها أيقنت بالهلاك وو بالها وفى تلك الساعة وصلت عساكر دريد مع أخيه خالد وقد ذكرنا انها عشرة آلاف الا انها لما رأت الغبار ثائر والحرب دائر حملت وطلبت القتال وما أمهلت وكلت بنو عبس من القتال وتعبت عند ذلك عادت الى الخيام وقد أظلم على الناس الظلام وبات بنو عبس سكارى من الصدام أقوى مما يسكر من شراب المدام ولما أخذوا الراحة واستقروا فى الخيام أخذوا فى المشورة والتدبير وكانت قلوبهم قوية بالكليم لانهم أبصروا منه شيأ ما أبصروه من غيره هذا والملك قيس أعرض عليه الاموال والخيل وأن يأخذ ما أراده هو وقومه ويعول على الارتحال فى الليل فأبى وقال وحق من جعل الليل سكنا والنهار معاش وفى علم غيبه قد احتجب لا رحلت عنكم ولا ذكرت ديارى حتى أبصر آخر أمركم كيف يكون مع الاعداء واجعل روحى وروح أصحابى لكم الفداء ثم قال الكليم اعلم ياملك أنى من قوم يحفظون الوداد ويعرفون حق الزاد وعند الصباح أنا أخرج الى البراز وأطلب منهم الانصاف فان بارزونى بلغت منهم المقصود وباتوا فى انتظار الصباح وافتقدوا آلة العدد والسلاح وهم يدبرون أمرهم للكفاح وتقرب الكليم من قلب الملك قيس وعول أن يزوجه بنته الجمانة ان تفرغ قلبه من هذه المصائب ودارت حولهم القبائل واحتاطوا بهم من كل جانب والتقى خالد مع اللقيط بن زرارة وأخذوا يتشاورون فى خلاص دريد فقال اللقيط عند الصباح نهجم على بنى عبس ونخلص دريدا ونجز أمر هذه القبيلة التى عادت سائر القبائل وننهب أموالهم والحلائل ولما كان عند الصباح تبادرت الفرسان من كل جانب وضيقوا على بنى عبس المذاهب وقاتلوا بنى عبس فى أذيال المضارب واشتدت الاهوال والمصائب وبطل خطاب المخاطب وفاضت بحار الاعداء على بنى عبس سواكب لانهم اجتمعوا عليهم فى عشرين ألفا ما بين ماش وراكب وأوهموهم بالصياح وأغلقوا فى وجوههم باب النجاح وكان لهم يوم عظيم الشان مما صار فيه من الضرب بالصفاح والطعن بالرماح كما قال فيه الشاعر حسان فى هذه الابيات الملاح

ويوم طال فيه الافتكار * به نار يلوح لها شرار * وخيل تحرث الميدان حرثا
وأقحاف الرؤس لها بذار * ودم السيف يضب مثل سيل * ومن حد القنا تروى القفار
فشق به المفارق عن شقيق * يظل مبرقعا منه النهار * ربيع لم يشم به فؤادى
ولم تشمم برائحته عذار * وقد عادت سماء النقع أرضا * بهم تهوى الى جهة القرار
هتكت حجابه ببريق سيف * وللغمرات طى وانتشار * وطعن للقلوب به انتظام
وضرب للرؤس بها انتثار * وخيل للغبار مشردات * وهامات تطير وتستطار
وأجساد هناك مطرحات * وقد أبدت أنينا واختوار

(قال الراوى) ولولا الكليم فارس بنى كليم ما كانت طائفة بنى عبس أتى عليها الظلام ولابقى منها شيخ ولاغلام واذا كان فارس جيد فى طائفة ضعيفة حماها وجرأها على الثبات الا أن الليل ما دخل حتى قتل من بنى عبس أوفى من مائتى بطل وباتوا وهم حيارى فى غاية الخذلان يودعون الاولاد والنسوان وأما الكليم فانه قال لاصحابه يابنى عمى لو علمت أمرنا ينتهى الى هذا الحال كنت أنفذت الى قومنا رسولا يعلمهم بمصائبنا ويأتى بهم الى نصرتنا ولكن كان الذى كان وانى خائف على هؤلاء القوم الذين أكلنا زادهم وصرنا بين حريمهم وأولادهم والله لا تخليت عنهم حتى تلعب الخيل برأسى وأبقى تحتهم لا أعرف ما أقاسى (قال الراوى) وقد قاتلوهم فى ثانى يوم يوما كاملا وهم بين الخيام والاطناب ودافعوا عن الكواعب والاتراب وتعددت وتفتت الاكباد وصارت النساء أرامل والاولاد أيتام وما صدق بنو عبس بدخول جيش الظلام حتى تفرقوا ووقع الانفصال فقال الملك قيس للربيع بن زياد مابقى يابن العم الا أننا ندخل على دريد بن الصمه ونسأله فى الصلح ونطلقه من الاسر وان طلب منا الفداء أعطيناه ولو طلب ماتملكه لبذلناه ونطلق سبيله وينصرف عنا بهذه القبائل والا صرنا مثلا لكل

قائل لانا قتلنا أخاه وعمارة أخاك طعنه فى أحشاه وجعله ممدودا فى الفلاه وهذه الفعلة ما تزول من قلبه ولا ينساها الا ان نطمعه فى المال ونرق له بالسؤال والا جمع علينا كل الفرسان والابطال فانه رجل عالى القدر فى القبائل والحلل وأمره مسموع وممتثل والمال الذى يأخذه منا ان عشنا رجع الينا واستخلف وأما الارواح فلا ترجع بعد الهلاك والتلف فقال الربيع ما هذا الا نعم الرأى فافعله أيها الملك حتى يكون على قدر جوابه التدبير وأما أنا فلا أقع فى عينيه حتى لا يلزم اللجاج لاجل ما فعلت به من الانزعاج فاخذ قيس جماعة من عشيرته ودخل على دريد وسلم عليه وقال له اعلم يا سيد بنى جشم اترك بيننا العناد وترميل النساء وتيتيم الاولاد وأنت تعلم انا ما قط ما ذللنا البشر وما برحنا فى القتال أصحاب النصر والظفر وانما قتل لنا فى بلادا أعين فرسان كانوا لنا عند الحرب اركان ونريد نتخذك صديقا لنا ويكون فى مصادقتك عز وفخر لنا ونبلغك الآمال فاطلب ما أردت فدا أخيك حتى انا نحمله اليك ونبلغك الآمال ولا تكن من أدنى الرجال فلقد أعطيت هذا العمر الطويل وتفعل فعل الجهال وقد سألناك أن لا تبغى علينا ولا ترد السؤال لان الدهر ما دام لاحد على حال وطبعه التغيير والانتقال وأمرك يا شيخ العرب أولى وأنت الى طريق الصواب أحرى فلما سمع دريد بن الصمة ذلك خاف من عاقبة البغى والنكال وقال للملك قيس اسمع يا قيس أما الاحوال التى فعلها بنو زياد فقد ملأت قلبى أحقاد وأما كلامك فاسمعه وحق سؤالك لا اضيعه وأما قولك تعطينى مالا فالمال مردود عليك ولكن أريد منك أن تسلم لى الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد وطائفة بنى زياد حتى آخذ منهم دم أخى عبد الله فانك تعلم أن الربيع فعل معى هذه الفعال ورمانى فى الاعتقال بالمكر والاحتيال ولا ترك لى بين العرب رأسا تشال ولا عادت العرب تسمع لى مقال واذا أطلقتنى أطلق كل من كان معى أيضا فى الاعتقال بغير فداء ولا مال وبعدها اتكافح أنا وبنو زياد حتى استوفى دم أخى منهم بالحسام الفصال أوهم يقتلونى ويبلغون بقتلى الآمال وان كان يصعب عليك تسليم بنى عمك وهم بنو زياد وتخاف من معيرة العباد فلا تلام على هذا الايراد وانفهم بعيدا عنك فى البر والوهاد وها أنا اطلبهم فى كل شعب وواد واذا كانوا يحتجون بالمكاثرة وقلة الانصاف فأنا أبارزهم فارسا الفارس بلا اسراف فلما سمع الملك قيس هذا الكلام قال له لابد من المشورة فى هذا المرام وقام الملك قيس من عنده وأتى الى الربيع وأعلمه بذلك فقال عمارة اطلقه ودعه يطلق أسرانا فان رجالنا أنفع لنا فقال الملك قيس خائف ان أطلقه فما عندنا من يقاومه فى الميدان ولا يثبت له فى جولان فقال عمارة يا ملك أطلقه هو من المضره وأنا على به أيضا هذه المره ولا تخش يا ملك من باسه وسوف أهدم أركانه من أساسه وأقطع يديه مع راسه فان ما أسرته فى مقام الطراد ما كنت أنا الامير عمارة القواد والا فأعد من الاوغاد ولا أحد ينادينى يا امير بل أكون بين العربان كالطحير واتفق الرأى على اطلاق دريد والمبارزة بينه وبين بنى زياد ثم أرسل الملك قيس الى دريد من يأخذ عليه العهد والميثاق ويطلقه من الوثاق فأطلقه وخلع عليه وأعطاه عدته وجواده وسيره الى أخيه وكان وقت السحر وما أصبح الصباح الا وهو عند قومه وعشيرته وحدثهم بما جرى ففرحوا بخلاصه وما طلعت الشمس حتى أطلقوا كل أسير لبنى عبس وردوا عليهم خيلهم وعددهم فقال له أخوه خالد لو كنت صبرت اليوم كنا خلصناك بلا فدا وأهلكنا جميع العدا فقال دريد خفت يا أخى من عاقبة البغى والردى لان الملك قيسا دخل على وتذلل بين يدى فأجبته فى اطلاق أسراه وان هذا لا ينفعه ولا أرضاه ولابد من أخذ الجميع وأصنع بهم أقبح صنيع ان ما عفونى عن عمارة وأخيه الربيع ثم انه أمر ذلك اليوم بترك القتال لاجل السلام على الفرسان والابطال ولما كان من الغد اصطف سادات العرب فى المجال وعرفوا ما هم متفقون عليه من البراز والنزال وركبت طائفة بنى عبس وبنى زياد وفى أوائلها فارسها شيخ العرب عمارة المنتخب وسار فى المقدمة يفتل سباله وينفش لحيته ويهز أكتافه ويجر الرمح من خلفه ويرقص أردافه وعزم على براز دريد بن الصمة حتى يصدقوه الناس فى مقاله ويعلو أجناسه وكان راكبا على مهرة حمرا يقال لها خضرا ومعتقلا بقناة سمرا فسار يمشى قدام القوم ويجر رمحه من ورائه جرا وينتظر خروج دريد حتى يخرج الى لقائه ليسقيه شرابا مرا فبينما هو كذلك واذا بدريد برز

الى الميدان وجال وصال كما يجول الفرسان وتذكر انقلاب الدهور والازمان فعندها أنشد وقال

قطعت من الدهر عمرا طويلا * وأفنيت أجيالا وأبقيت جيلا * هذبنى الشيب حتى عرفت به
أمان الصديق وصرت به خليلا * شببت وما شاب عزمى ولا * أوهن الدهر من حيلى ويلا
ما بت الا وظهر الحصان مقيلى اذا قل عنى المقيلا * فيوم ترانى قتيل المدام
وبين الرياحين أمسى جليلا * ويوم ترانى رويحات الحروب * أجود الطعان وأشفى الغليلا
فويل لمن أبيت فى نومه * يرانى أمرا لحسام الصقيلا * وويل لمن ظن فى نفسه
* مقاتلتى أو يرانى قتيلا * أنا من نائبات الزمان الذى * أذل العزيز وأرفعه ذليلا
وجارى مجاز من النائبات * وخصمى صريع فى معامعه قتيلا * وفى السلم لى فى المعاطى نخار
وأهب المال والملك الجزيلا * ولى همة فى نهار الطعان * ترى الخصم منها عفيرا جديلا
واحتقر الجمع عند القتال * وعندى كثير الاعادى قليلا * وان أردت بالليل ردع العدا
لدى أصبح لم ترى لهم مقيلا * فقل لمن ساقنى بالخداع تأملا * وصار بأسرى يجر الذيولا
اذا كنت يوم اللقاء فارسا * تهز القنا وتظهر ان الخيولا * فبارزنى لتلقى فتى شرسا
* انتظر نهارا عليك ويلا *

وقد عنى بالبيت الاخير الربيع بن زياد لما خدعه وأسره هذا وعمارة لما نظر الى دريد وسمع مقاله هز رمحه وحرك جواده وسار يميز أعطافه نسبقه ذوات بن أسماء من فرسان بنى زياد المذكوره وهو الذى قتل عبد الله أخى دريد وصادم مع دريد فى المجال وصرخ فيه وزجره وقال له ويلك يا دريد أنت تدعى انك فارس شجاع لا تنكل من القراع ولا تفزع ولا ترتاع وتفتخر بما أعطيت من العمر الطويل مع انه لا يطول الاعمر من كان جبانا ذليل ولو كنت فارسا شجاعا وقرما مناعا فأنا أفرس منك فى الحرب والقراع فانى أنا الذى قتلت أخاك فى منعرج اللوا ومنتظرك حتى ألحقك به لتلتقيا سوى فانك احتقرت الناس وغرك طول عمرك وبعد الاجل وافتخرت بفروسيتك فى السهل والجبل وهذا يدل على انك ذليل مهان لان الشجاع لا يكون عمره طويلا وعمرك قد دنا واليوم أذيقك كأس الفنا وأجابه على عروض شعره يقول

لقد خضت فى الجهل عرضا وطولا * وجاوزت فى الدهر عمرا طويلا
وغرك طول الامل والزمان * وجردت للبغى سيفا صقيلا * ومن جعل البغى سيفا له
ومد به يده كى يطولا * ولا يخشى عاقبات الزما * ن فوسط المعامع يمسى قتيلا
أما تستحى بعد فقد الشباب * تمادى الجهل باعا طويلا * وتحتقر الناس يوم الطعان
وتبصر كل كثير قليلا * وجسمك قد انحلته السنين * وغادره الدهر رسما وقيلا
فما قتل الدهر الا شجاعا * ولا وهب العمر الا ذليلا * فبادر حتى تكن صبورا
فانك خصمى رأيتك مقيلا * قتلت أخاك بهذا السنان * وأنت به اليوم تضحى قتيلا

فلما سمع دريد بن الصمة من ذوات بن أسماء ما قاله وما أنشده من الشعر والمقال علم ان هذا الذى قتل أخاه على كل حال وبان له الصدق من المحال وهذا هو خصمه وما بقى يمكن امهاله وعلم أن هذا ذوات بن أسماء وقد غابت عنه الارض والسماء فرمى الرمح من يده وجذب الحسام من غمده وهزه فى يده حتى دب الموت فى فرنده ومنعه الغيظ عن الكلام فطلب خصمه كما يطلب الصقر أبراج الحمام وضرب رمحه بالحسام براه برى الاقلام ثم قاربه وانحط عليه انحطاط جبار قاسى النوائب والاخطار وفتح باعه ومد بالحسام ذراعه وضربه ضربة مشبعة بهمته فنزل حد الحسام الى وسط قمته فقطعت البيضة والرفادة ونزل السيف الى نصف قامته وزيادة فمال وانقلب وصاحت فرسان العرب وتعجبوا من ذلك الضرب كل العجب ولما نظر عمارة ما وقع بذوات ابن أسما فابتلى بداهية عظيما ورفع رأسه الى السما وأدركه الويل والعمى وطارت من رأسه الشجاعه وبقى فى غاية الخوف والضراعه وذهب عنه فشاره وتجبره وأراد أن يولى دبره فاستحى من العربان فثبت جنانه

في الميدان وهو تائه العقل حيران فقوى جنانه وأطلق عنانه وقوم سنانه وتلقى دريد وقال في نفسه ان الفزع ما يفيد فأخذ معه في المجال واستقبله دريد ولما أبصر عمارة ان دريدا قد قاربه حمل عليه وقاتله فصار عمارة من فزعه يأخذ في الميدان عرضا وطولا ويحاول خصمه وخصمه عنه لا يحول ولا يزول ولما زاد عليه الغبار أراد أن يطاول دريدا بنشيد الاشعار فأنشد يقول

اليوم طاب الضرب بالقرضاب * والطعن بالسنان والحراب * دونك حربي يا دريد فانني
أنا عقاب الطعن والضراب * أنا عمارة الفارس الندب الذي * أدعى لدى الحرب بالوهاب
صبور لطعن القنا يوم اللقا * ولم أكن من العدا هراب * أيا دريد اثبت لتنظر همتي
ومهرتي في مشيه العجاب * انظر لبسي في الحديد وركبتي * وحربتي وسيفي القرضاب
أبي زياد وأنا عمارة ابنه * ذو الفضل والاحساب والانساب * كم من فوارس في اللقاء قهرتهم
وقد تهم في الحبل مثل كلاب * فأخي حامي بني عبس الذي * يدعى الربيع الفارس المهاب
وسوف ألقيك في الثراء مجندلا * معفر الخدين بالتراب

(قال الراوي) فقال له دريد يا نذل بني زياد تعسا لك ولأخيك ولأمك ولأبيك أمثلي تقول هذا الكلام الذي تذكر به نفسك في شعرك قطع الله أصلك وفرعك خسارة فيك الكلام لانك نذل من دون عرب الانام فعندها انحط عليه الامير دريد انحطاط الباشق الجسور على أضعف الطيور وعقد على رؤسهما الغبار فصار الربيع يتطاول وينظر الى أخيه وهو محتار وقد علم عمارة انه في مقام الاخطار والربيع خائف على أخيه من القتل والدمار ويتمنى له الامر ويدعوله بالنصر الى أن تعالى النهار وانجلى الغبار عن الفارسين واذا بعمارة قدام دريد أسير وهو يسوقه سوق الحمير لان دريدا تعبه وأكربه وطعنه بعقب الرمح قلبه وكانت طعنة من يد رجل جبار فقصفت ضلعين من جنبه اليسار وتبادرت فرسان بني جشم اليه وكزوه في أفخاذه وظهره باسنة الرماح وقالوا له أين الفخار يا فشار ونادوا يا لثارات عبد الله هذا والربيع لما رأى ذلك ما كان منه الا انه تعطى في شعر ذقنه نخله ونزل على وجهه وقد عدم عقله وشق ثيابه وعمامته ولم يدر ما فعله وصار يلطم وجهه ورأسه حتى كاد أن يقلع أضراسه وصار يقول واذل بني زياد بعدك يا عماره لقد شمتت أعداؤك بما أصابك من الخساره وصاح جميع بني زياد وا أسفاه عليك يا وهاب لا طابت لنا بعدك الحياه ولا فينا من يريد المقام في دنياه ثم حملوا عليه من كل جانب ومدوا الى دريد الأسنة والقواضب ولما أبصر دريد ذلك حمل عليهم حملة الليث الواثب وصار يضرب فيهم ضربا مثل صواعق العذاب وصاح وقال طاب الموت يا كلاب وخاض فيهم بطعن مستبق وساعد في الضرب منطلق وصار اذا طعن فارسا رماه وان قبض على أحد أعدمه الحياه وما زال كذلك حتى قتل سبعة عشر وأسر خمسة وكان نصف النهار قد عبر فلما رأى الربيع بن زياد ذلك الحال زادت ناره اشتعال فقفز الى دريد في الميدان وقاتله بهمة قوية وهجم عليه وكان الربيع كما ذكرنا فارسا شديد الباس لا يقع به ملل اذا اشتد المراس فبقى مع دريد حتى أقبل الليل ورجع وهو يشكو عدم القوى والحيل فتلقاه الملك قيس وهناه بالسلامة وقال له كيف رأيت خصمك فقال يا ملك ما هو الا كاسمه راحات الحرب لانه لا يخاف من الطعن ولا من الضرب ولكن نحن أخطأنا حيث حكمناه على أنفسنا وأطلقناه من الاعتقال بعد اذلاله وأمسى أخي وبني زياد في حباله وأنا خائف عليهم من الهلاك لانه ان أهلكهم بدم أخيه ألبسنا العار الى الممات وتركنا بعدهم نتقلى على الجمرات فقال أسيد بن جذيمة عم الملك قيس الخطأ في الاول كان منكم في ابعادكم عنتر بن شداد لانه سعادة هذه القبيلة العبسيه ومذ غاب عنها فارقتها البليه وكان حاميها وجامع شملها وانتم ما عرفتم قدره وكرهتم ذاته ومهره فان بني عبس ما ثبتت في هذه الايام وقاتلت الاعدا وكانت مهولة على العرب فلو كان حاميها معها لم يقدر أحد اليها يتقرب واعلم يا ربيع أن كل من كان في القبيلة من كبير ووضيع يدعو عليك وعلى قيس بن أخي حيث كان لك مطيع وقد فرح فيك وفي أسر أخوتك العدا وأحبوا أن يقتلوهم ولا يطلقوهم لما لهم عليكم من الثار من ابعادكم عنتر الفارس الكرار ولا بقي لكم ذكر يذكر فقال

الملك قيس صدقت يا عماه والرأي عندي ان ننفذ اليه ونأخذ بخاطره ونطلب منه النصر على الاعداء ونتذلل بين يديه حتى يرضى فقال أسيد هذا هو الصواب بأن تنفذوا اليه وتعتذروا اليه من أفعالكم الرديئة فان أجاب كان ذلك خيرا منه وكرما وان لم يجب فهو معذور لان الطرد أعظم ما يكون في الامور فقال الربيع وان كان الامر كذلك فأنا أسير اليه وأقبل يديه ورجليه وأتذلل له وأبذل له ما تملكه يدي وأسأله أن يعاونني على كشف بلوتي فقال الملك قيس قصدي أن أرسل اليه رسولا واسمع منه ما يقول ثم انهم أنفذوا اليه بعض الفرسان وأمره قيس أن يسير اليه ويحدثه عما هم فيه ويلين له الكلام ويترضاه بحب الاوطان ومشاهدة الاخوان فسار الرسول اليه وهم باتوا تحت الظلام يحرسون أنفسهم ويتشاورون فيما نزل عليهم من الاحكام هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من دريد بن الصمة فانه لما عاد الى قومه وكان أشفى فؤاده وفرح بأسر أعدائه وأخذ ثاره أشار الى خالد بأن يقتل كل من وقع في يده من بني عبس وبني زياد ويطلب الجميع حول بيوتهم وان رأينا الملك قيسا حامي عنهم بذلنا في بني عبس سيوفنا وحملنا عليهم بجمعنا وأرحنا العرب من شرهم ثم انه بات ينتظر الصباح بعد ما وكل بعمارة واخوته جماعة من العبيد وأمرهم بان يعذبوهم العذاب الشديد فلما ذهبت أذيال الدجا وأقبل الصبح مبتلجا زعقت الخيل وترتبت للقتال فقال اللقيط بن زرارة اصبروا اليوم حتى ان الشيخ دريدا يأخذ غرماه وينال ما تمناه ويبلغ من بني زياد مناه ونحمل نحن على الخيام والمضارب ونسبي النساء والبنات الكواعب حتى لا نكون قد أتينا من بلادنا المتباعده ونعود بلا فائده وترجع بنو عبس عن هذه الحالة المقدم ذكرها وكان أول من خرج وطلب البراز دريد بن الصمة ونادى يا بني عبس أخرجوا الى غرمائي كما وقع الاتفاق بيني وبينكم ثم انه صال وجال وافتخر في المجال وأنشد وقال

يا نديمي اسقني كاس الحميا * في ثنايات الحمى من كف ريا * بين روض ونبات مزهر
حسنه أهدى لنا مسكا زكيا * من كل عذرا جنوب قدها * يخجل الاقمار والشمس المضيا
قد شفت كاساتها من قرقف * فتعيد الميت للذات حيا * يا نديمي اسقني واجتهد
ودعاني أبصر الشيخين شيا * ففؤادي قد صحا من سكره * واشتفى الداء الخفيا
ليت عبد الله خلاه الردى * في نعيم أو يعود اليوم حيا * ليته يرجع كما أعهده
حسن القامة وضاح المحيا * ليرى اعداءه مع وحش الفلا * تنهب من جسمهم لحما طريا
زرتهم والخيل تركض في الحما * وعليها كل جبار عتيا * فتركت الارض في عرصاتها
تدعى بعد الظما شبعا وريا * يا بني عبس لقد أورثكم * قتل عبد الله ذلا سرمديا
فوحق البيت والركن ومن * طاف بالاركان والحجر النقيا * لا تركت اليوم في أرضكم الا من
* كانوا شمطا أو شيوخا منحنيا *

وكان دريد يقول هذه الابيات والربيع يتأهب للقائه والملك قيس عن ذلك ينهاه ويقول له يا ابن العم لا تخرج الى هذا الشيطان الذي أخذ من الزمان أمان وتخاوى معه مخاواة الاخوان فانه ان ظفر بك أهلكك وأهلك أولاد عمك وأنا أعلم أنه ما أبقى عليهم الا حتى يظفر بك فالصواب أنك تصبر حتى يعود رسولنا من عند عنتر واذا أتى معه فرج عنا ما نحن فيه من الكربة والغمه ودفع عنا شر دريد بن الصمة فبينما هم في المجادلة واذا بالكليم فارس بني كريم تقدم الى الملك قيس وقال أيها الملك ما هذا التوقف عن هذا الشيخ المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه وأنا ما تأخرت عن برازه الا لاجل الشرط الذي بينكم وبينه والا كنت برزت اليه فقال الملك قيس يا فتى جزاك الله خيرا أما أنت فقد أوليتنا من الجميل ما لا نقدر على حمله ومع ذلك فانا خائفون على ابن عمنا الربيع أن يظفر به هذا الشيطان فيهلكه وهو شيخ القبيلة والعشيرة كلها تحت مشورته وقد عولنا أن نتعاين اليوم حكم ما كان أول مره ونصبر على هذه المضره ونساعد بعضنا بعض حتى لا نصير معيرة في سائر الارض فقال الكليم ان كنتم عولتم على ذلك فاصبروا حتى أجرب روحي مع هذا الشيخ الذي في قلبي منه النار ولي عنده أيضا ثار ثم انه قفز الى الميدان مثل السلهب وانتخى نخوة العرب وامتزج الغضب ثم أنشد هذه الابيات

ياحسامي آن لك أن تراعي الذماما * وتواقي العهود والصداما * وتقد القدود ظهرا وبطنا
وتريق الدما وتبري العظاما * فحرام علي ان عدت في النقع * أشهر السيف أو أسل الحساما
* قد نزلنا بحي قوم كرام * أكرمونا وودونا احتراما * والتقينا معهم صدور الاعادي
وكان أكثرهم قوم اثاما * مالهم ناصر على مادهاهم * ونهلكهم وان كانوا كراما
قسما بالبيت الحرام ومن حج * وزار من بعد الطواف مقاما * لا تخليت عن حماهم بجهدي
* حتى أمسي بالفلا رماما *

(قال الراوي) فلما نظره دريد قال له أنت لست من بني زياد بل أنت الكليم فارس بني كريم فما سبب نزولك هل انتقض الشرط الذي كان بيني وبين قيس فقال له الكليم دونك والميدان لا تحتج بما يكون وكان ثم انطبقا انطباق الجبال واقتتلا قتال من لا يهاب الرجال وداما كذلك حتى عبر نصف النهار وكلت الابطال من الانتظار وانحصرت تحت الغبار غاية الانحصار وكثر الكلام بين الخاص والعام وكان لكل واحد من هذين الفارسين محبون وأنصار فتلقوا قلة معرفتهم في الاخبار وفي تلك الساعة وصل الرسول الذي كان أرسله الملك قيس في طلب عنتر وأعلم الملك قيس انه غائب فاشتدت على بني عبس المصائب وقالوا ما بقي لنا من يفرج عنا كربتنا غير الكليم فيا رب اجعل فرجنا قريبا على يديه (قال الراوي) وكان دريد قد تعجب من فروسية الكليم وأبصر من قتاله الهول العظيم فوقف عنه وكان عبر نصف النهار وقال له يا كليم فأي شيء رأيت من بني عبس من الخير حتى عرضت نفسك للهلاك واخترتهم على محاقك وفناك وكان أبوك أصدق الناس الي وأحظاهم لدي فوقف الكليم عن قتاله وسمع مقاله واعتمد على مكره واحتياله وقال له يا راحة الحرب الذي أحوجني الى القتال مع بني عبس سبب ما يمكنني أطلعك عليه فقال له دريد وذمة العرب ان قلت لي على قصتك لاوصلنك الى غرضك واردن اليك غنيمتك وأعطيك من أموال بني عبس ما تحتاج ولا تعاود مثلي ونلزم اللجاج بين هذه القبائل التي كأنها البحر العجاج لان الشرط الذي بيني وبين بني عبس انفك بخروجك وفي غداة غد آمر القبائل بالحملة عليهم وأنهبهم باطراف الرماح الذوابل وأنت تندم حيث لا ينفعك الندم فقد برجالك الينا واجعل معولك علينا وابشر بما يسر فؤادك ان صدقتنا وان كنت هويت بعض بنات العرب فأنا أجعلها لك خادمة ولو كانت الجمانة بنت ملكهم قيس أو غيرها من بنات سادات قبيلتهم حتى نقلع منهم الآثار ونأخذ منهم بالثار فاظهر ما في قلبك بلا حيا وابشر بالمنى فقال الكليم وقد أتاه الامر على مراده حيث حدثه في حديثه بما كان عول عليه من بني عبس وأضمر في فؤاده تبسم وقال لله درك يا أبا النظر لقد فقت بالفصاحة في حال الكبر والصغر لاني في هذه الايام نظرت الى الجمانة بنت الملك قيس فهام قلبي بحبها وما خرجت الى قتالك الا من أجلها ودخل في عقلي اني أقدر عليك وأتقرب الى قلب أبيها قيس وجدها الربيع وأخطبها منهم اذا انكشفت هذه الشدة عنهم والآن فقد خاب ظني في أمرك وعجزت عن أسرك واستحيت من علو قدرك لكني ما آمن من غدرك الا أن تعطيني يدك وتحلف لي بالرب المعبود انك لا تزول عن الايمان والعهود حتى اني أحول معك في هذه الساعة التي بقيت من النهار وأعود واذا كان عند الصباح ومالت الطوائف تطلب الحرب والكفاح حملت أنا على اعلام الملك قيس برجالي وأجتهد في معونتك بكل آمالي اذا اشتغلت قلوبهم باخذ ملكهم حملتم أنتم بعدي عليهم وانقضت تلك الاشغال وبلغنا الآمال واذا لم تفعلوا ذلك طال عليكم المطال وتنقضي الايام والليال لانهم في الليل أنفذوا المال الى الفرسان المذكورة في القبائل وسوف تأتيهم بالفارس والراجل وتمتلئ عليكم الارض كتائب وجحافل وأرسلوا أيضا يسترضون فارسهم الاوحد وحسامهم المهند الذي ما مثله في هذا الزمان يوجد وهو عنتر بن شداد الفارس الاسود فلما سمع دريد مقاله انطلى عليه محاله وانه قد انخدع وبذلك حدثته نفسه وقال هذا رجل غريب وما ركن لبني عبس الا من أمر عجيب فظن ذلك الظن الحسن وظن انه يكون من حزبه أو يبقى معينه على تصاريف الزمن وأما الكليم فانه حسب حساب آخر وقال هذا رجل أسعده الزمان والوصول اليه بالطعن والضرب على غير الامكان وكان الكليم يخادع

دريد بن الصمة ولما رآه انخدع رمى الرمح من يده الى الارض ومد يده الى الشيخ دريد ففعل دريد كفعاله ولكنه ما خفي عليه من رجفان الكف والزنود وانزعاج الاحشاء والكبود وعاد الاصطلاح بينهم مفسود وصاحا صيحات الرعود وتجاذبا مجاذبة الاسود وكان لهم وقت مشهود يشيب منه كل طفل مولود ويذهب منه الصخر الجلمود وما زال على مثل ذلك حتى تعبت منهم الخيل ووقعت الى الارض من شدة التعب والويل وتراكضا في الميدان حتى بحت من أفعالهما الابطال والفرسان وحار من أفعالهما الاقران وظن الكليم أن دريدا تعب عند المعاركه لانه دخل عليه الاسا من ملاقاة الفرسان شيأ ضايقه فرآه عرقا الابلين ومضاربه كالاسد العرين وداما على المواثبة والمجاذبة حتى آيس كل واحد من صاحبه من الحياة عند المقاربه فقال الملك قيس لمن يحبه يا بني عمي ما هو من المروءة أننا نتخلى عن هذا الرجل الذي أحسن الينا وبذل نفسه دوننا ونتركه مع هذا الجبار في مقام الاخطار والصواب أننا نحمل عليه حملة واحدة ونخلصه والا أهلكه وأهلكنا من بعده فهم في الكلام واذا بالفرسان الذين مع الكليم حملت تطالب خلاص فارسها وشرعت أسنتها وأشهرت سيوفها ونادت واغوثاه واقلة ناصراه فأبصرهم خالد فحمل عليهم في بني هوازن وجشم وحمل اللقيط بن زرارة في بني دارم وبني مشاجع وتتابعت القبائل من سائر المواضع فعند ذلك حمل الملك قيس وركضت أبطال بني عبس وعدنان من كل جانب ومكان ولم يتخلف منهم ماش ولا راكب وارتجت الارض بما عليها من المواكب وظنوا أن اسرافيل قد نفخ في الصور وبعث الله أهل القبور وثبت الصنديد الغيور وولى الجبان الخائف المذعور وغنى الحسام على الرقاب والرمح في الصدور وفاض الدما على اللحى والشوارب وطارت الرؤس بشفار القواضب وقد غاصت الاسنة في البطون الى الكواعب واشتد الامر المهول وكان بنو كريم قد أدركوا صاحبهم وأركبوه على بعض الخيول وناولوه عدة الجلاد وكذلك فعل بنو جشم واركبوا دريد بن الصمه وأعطوه آلة الحرب ولما ركب الفارسان قاتل كل واحد منهما مع عسكره وفرسانه حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكانت بنو عبس قد خسرت اقلة عددها وقل صبرها وجلدها وفرحوا بخلاص الكليم وهنوه بالسلامة من يد دريد بن الصمه وهو يقول يا وجوه العرب ما كنت عن خصمي بعاجز وما كان على رايحا لما كان لي مبارز وخدعته لانجز زأمره وقطع أثره وأكف عنكم شره لانه رجل كبير وبضرب السيف خبير وقصدت هد ركنه بالمعاركه لابلغ منه الامل بالمشابكه وظننت اني آخذه على عجل فرأيته شيطان في صورة انسان لا يبالي بقتال فقال الملك قيس ما هو ممن يلين بالخداع ولا ينقاد للقراع ثم انه أنفذ رسولا ثانيا الى عنتر ابن شداد وقال له اكشف خبر ابن عمنا لعله يكون قد عاد فهذا ما جرى لهؤلاء (قال الراوي) وأما دريد بن الصمه فانه لام خالدا أخاه على حملته وقال يا خالد أي شيء جرى علي حتى حملت أنت في العسكر وحق ذمة العرب ما كنت مع خصمي الا في غاية الاستظهار وكنت قادر على مصارعته ومقارعته باقي النهار وما كنت أرجع من الميدان الا أن آخذه أسيرا فقال له اللقيط بن زرارة يا أبا النظر دعنا من لوم أخيك والعتاب فما كان فعله الا صواب وما بقي لنا نية في براز ولا مجال ولا نحمل الا كلنا سواء كي ينجز الامر والحال والا طال علينا المطال وانقضت الايام والليال وربما أتى الى بني عبس ناصر من بعض القبائل والعشائر أو يصل الحون أسودهم ويعظم علينا شرهم وكيدهم ولو كان الاسود حاضر في بني عبس ما تخلى عن مساعدتهم ولا طال علينا حربهم وسألت من الاسرى فاخبروني أنه غائب والرأي عندي ان نغتنم الفرصه بهذه الكتائب الذي جمعناها من أقطار البلدان قبل حضور عنتر الشيطان (قال الراوي) وباتوا على انهم يزحفون عليهم بسائر العساكر والدساكر والفرسان وما زالوا يتقلبون تحت مشيئة الرحمن الى أن أصبح الصباح وتبادرت الرجال مثل العقبان وزحفت جميعها الى بني عبس وعدنان واقتتلوا بالصارم اليمان وتطاعنوا بالاسنة حتى جرى الدم من الابدان وسال كأنه طوفان وفنيت العدد الغالية الاثمان ودافعت بنو عبس عن الحريم والولدان وعمل السيف اليمان والرمح المران الى أن طلع النيران وغابت الثريا والميزان وتسرطن السرطان وتفرقد الفرقدان وحمل الحمل ضيغم الليل

فلين سواده وطابت الابراج الامان وضربت الجوزاء بشروق الفجر فانصدعت كالسندان وتحرك نسيم الحرب فأعمى الخلائق واشتد المجال وكثرت العوائق وجاوبت الرعود زعقات البوائق وهجم ضيغم الاسود فانفلق الصباح بانوار الاشراق وبان وصدمت اسنة مناجل السيوف ومالت كفة الميزان ووقع الحوت وبان عليه الخسران ولدغ العقرب بحية القضاء واللمعان وانكسرت الحود وقطعت العنان وجرى على الجدي من الثور ما يهدكو اسر العقبان وتزخرح زحل من موضعه وطلب الانهزام وبيع المشترى باخس الاثمان ولم يزالوا على هذا الحال حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ورجعت بنو عبس بالضر والعيش المر وداموا كذلك ثلاثة أيام ولم يرسل أسيرا الى عنتر وتعود بالاخبر وفي اليوم الرابع صار معهم القتال في الخيام والمضارب وكثر على بني عبس العدو دهمتهم المواكب وجالت عليهم الخيل والجنائب وندبت النوادب وعظمت المصائب وشبكت بهم أنياب النوائب ودافعوا عن أنفسهم الى أن أظلم الظلام وعادوا وهم سكارى من غير شرب مدام وكان آخر من مضى الى عنتر قرواش بن هنى ابن عم الملك قيس فرآه عاد من السفر من عند زيد الخيل مع عامر بن الطفيل فهجم عليهم في السرادق وبكى وانتحب وصاح وقال يا أبا الفوارس أطلت الغيبة وتركتنا من بعد الصحبة بالخيبة وان لم تدركنا والا فما بقى لنا ولد ولا حرمة ولا قدر ولا قيمة والحرائر تسبي سبي الاماء وحدثه بما جرى لهم من دريد بن الصمة وما هم فيه من الكربة والغمة وقال في آخر الكلام يا حامية عبس ما تريد تصنع والعرب طمعت في قومك أي مطمع فبادرهم الى ان تلحقهم وفيهم رمق والا انشتت شملهم وتفرق وقل عددهم وانمحق وهم قد ندموا على معاداتك وعادوا الى محبتك ووادك وحلفوا انهم يكونون لك عبيد ولا يفعلون الاما تريد لاسيما بنى زياد فانهم ندموا كثير الندم وعزم كل منهم ان يكون لك من الخدم وهم ينادون لك تجيرهم من العدم لانهم من يوم أبعدوك ما كانوا كفو فيهم أسفا يا أكرم ومرادهم يسترضوك ولو تطلب أموالهم يعطوك وبأرواحهم يفدوك وعمارة وأخوته في العذاب الشديد والذي أسرهم دريد أذلهم ذل العبيد وما بقى الا الربيع ودريد بن الصمة معول على صلب الجميع وأما الملك قيس فلا تسأل عن حاله فانه خابت آماله وقتلت رجاله وندم على فعاله فالعجل العجل قبل قدوم الاجل وانقطاع الامل (قال الراوى) وكان قرواش يحدث عنتر بهذا الكلام وعنتر منكس راسه يسمع ولان قلبه وخشع وركع طرفه ودمع وأراد أن يشاور عامر بن الطفيل ويسيرهو واياه فتفكر طرد الملك قيس وكلام الربيع وما سمع من الكلام الوجيع فقسا قلبه عليهم وقال يا مولاى أنا سمعت هذا الحديث من بنت عمى عبله واخبرتني بما جرى لهم مع دريد بن الصمة فلو كان لى نيه كنت سرت اليهم بالكليه ولكن يا قرواش كم أهان وأسمع وكم يطردوني وأرجع واقى روحى في كل نائبه وتعود أعمالى معهم خائبه وانت أكبر شاهد بما فعلت في أرض اليمن ببنى حذيفة وبنى كنده وبنى سعد ومعاوية بن النزال وبنى تميم وبنى كلاب بن وبرة في مياه عراعر ولولا سيفى والسنان ما كان عمرو بن هند أبقى منهم انسان وما كان نفعهم الملك النعمان ولما وصلوا الى ههنا وسلموا من نوائب الزمان فعلوا معى تلك الفعال بلا ذنب وطردونى طرد الكلب وما عادوا ذكرونى بذكر حتى ظنوا انى أصبحت هالكا وأصبر بين القبائل والاحياء متهتكا والآن كان الذى كان وقد استرحت من الذل والهوان ومعاداة العربان وملاقاة الفرسان وبعد ذلك يا ابن العم ما أنا من فرسان دريد بن الصمة ولا أقدر أقف قدامه اذا سل حسامه وهو المسمى براحات الحرب ولاسيما ومعه جشم وهوازن فارجع الى قيس وحدثه بما أنت به سامع ولا تعتب على فيما مانع (قال الراوى) فرد قرواش على عقبه ودموعه على خده تسيل وكان قد خرج من بنى عبس فى أول الليل فرجع اليهم وقت السحر وأعلم بنى عبس بما سمع من عنتر فارتجف قلب الملك قيس وتحير وقال يا ابن العم ما عسى المساعد وفينا رمق وما بقى لنا غير الحرب والا أهلكنا هؤلاء العرب ثم ان الملك قيس أحضر الربيع بن زياد وجمع أعمامه وأعلمهم بالحال وما قال قرواش من المقال فاخذتهم الحيرة والاندهال فقال الربيع ما بقى فى الامر الا اننا عند الصباح نجتمع موكبا واحدا ونترك الاموال ونبذل أنفسنا للرماح الطوال ونقاتل جهدنا بكل ما نقدر عليه من الفعال وندفع الخيل الجياد الى أبيات عنتر بن شداد فاذا

نحن وصلنا اليه طرحنا أنفسنا عليه وأحوجناه أن يقاتل معنا ويعيننا على الاعداء فان القبائل لا بدان يتبعونا فقال قيس يا ربيع ما أظن أن يصل منا من المائة واحد لان المكان بعيد وتنهب الاموال ولا نستفيد وأنا أعلم غير هذا رهو أن نرسل لعنتر جماعة من النساء الاحرار والبنات الابكار ونوصيهم اذا وصلوا اليه أن يكشفن رؤسهن بين يديه ويقبلن يديه ورجليه ويطلبن منه صيانة الحريم والمساعدة على هذا الامر العظيم لانى أعلم أنه شديد الغيرة على النساء والبنات والاطفال المرضعات فقال الربيع هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب فافعل يا ملك ما أشرت به من الكلام وارسلهن الى عنتر الهمام لعله يدركنا قبل تلف أرواحنا والاجسام وها أنا أيضا أرسل له بنتى وزوجتى ونساء اخوتى مع نساء أكابر العربان فلعله يلين قلبه بهذا الشان وما مضى من الليل غير ساعة حتى اجتمعت ثمانون امرأة من حريم سادات بنى عبس وأعلمهم الملك قيس ما يقلن لعنتر وما يفعلن اذا وصلن اليه وما هم فيه من الامر المنكر وشدوا لهن على الخيل فركبن وسرن فى ظلام الليل وكانت القبائل دائرة ببنى عبس من كل جانب وما تركوا مكانا الا وملكوه الا طريق بنى عامر فانهم تركوه لعلمهم أنهم ما يركبون ذلك الطريق أبدا وان كان بنو عامر لهم من جملة الاعداء وما زالت النساء تقطعن البر والآكام تحت أستار الظلام وهن فرحات بالقدوم على عنتر البطل الهمام وأخفين حسهن عن الكلام هذا ما جرى بأكرام هؤلاء (قال الراوى) وأما عنتر فانه لما أصبح الصباح أتاه عامر بن الطفيل ومقرى الوحش وعمرو بن الورد والمطال ولما دخلوا عليه وجلسوا يشربون المدام ويتذاكرون بنى عبس وما هم فيه من الشدة والقتال وما منهم الا من هو متعجب من قساوة قلب عنتر عليهم وصبره على ما فعلوه فى حقه فبينما هم كذلك واذا بالنسوان أقبلت على الابيات ونزلت وهن مهتكات بعمائم منهملات وغرقن ابرقع بالمدامع ولم يلتفتن الى بشر غائب أو سامع وعقدن النواح وعالين البكاء والصياح وكشفن الوجوه وأرخين الشعور ونادين بالويل والثبور وأشرن جميعا الى عنتر وقلن له يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب وما بيننا من حرمة القرابة والنسب لا تعجل عن نصرتنا الغضب ولا تؤاخذنا بذنوب غيرنا فاننا أشرفنا على السبى والانهتاك وما لنا أحد غيرك يحرسنا الا ان رجالنا هلكوا وساداتنا هلكوا والذين طردوك وأبعدوك قد ندموا ولاموا أنفسهم على فقدك وأصابتهم نوائب الدهر لما عاندوك لاجل ما لقوا من آفات الزمان وطوارق الحدثان فارحم من بقى فى الحى من يتيم ويتيمه وأجرنا على عادتك القديمه ثم تقدمت الجمانة بنت الملك قيس وقد ذكرنا ما أعطيت من الملاحة والفصاحة فوقعت فى صدر عنتر وفاض دمعها وانحدر وقبلت يده وأشارت له تشكى وتنشد وتقول

حامية عبس يا ابن السادة النجبا * يا من له الفخر والاحسان والادبا
حامية عبس لا تنس مودتنا * واحفظ لنا حرمة الود الذى ذهبا
أجرنا فقد أصبحت خيل العدا سربا * من حولنا ينهبون المال والسلبا
حامية عبس لو أبصرتنا سحرا * بين المضارب نشكو الويل والحربا
مهتكات ننادى أين فارسنا * أغضبتموه وما راعيتم النسبا
أبعدتمو رجلا لولاه ما ذكرت * عبس ولا ضربت بيتا ولا طنبا
لو كان فى الحى ما خاط العدو بنا * ولا استقام لدينا فى ساعة هربا
ليث اذا سل يوم الحرب صارمه * أعاده بدم الابطال مختضبا
وان تفاخرت الفرسان قال أنا * قد اتخذت حسامى صاحبا وأبا
حامية عبس قد خاب الذى قدموا * من بعد دارك لما عاينوا العطبا
وقد غدا بعضهم فى البر منطرحا * تهوى الطيور عليه كلما انقلبا
والبعض فى الاسر لا يرثى له أحد * اذا بكى من عذاب اشتد وانتحبا
فلا تؤاخذنا بالقول من رجل * غرقان فى جهله لا يعرف الادبا
فما عمارة من يرجى لمكرمة * ولا له هيبة تخشى اذا غضبا



فارحم بكانا ولا تنس مودتنا * فقد بكيت لبكانا أعين الغربا
عودتنا العز من بعد الهوان فلا * تنس الوداد ولا تشمت بنا العربا

(قال الراوي) فلما فرغت الجمانة من شعرها تناثرت الدموع من أجفان الحاضرين ورموا من أيديهم أقداح المدام ودبت فيهم نخوة العرب الكرام وعلا منهم الضجيج والكلام ورمى عامر بن الطفيل من يده القدح وبكى وانتحب وقال للامير عنتر وحق ذمة العرب الكرام ما بقيت آكل معك زادا حتى تسير الى نصرة قومك الامجاد فخذ الاهبة من يومك وتخوفا عليهم من تلك الاوغاد لانى آلمني بكاء النسوان وانساني ما جرى لي طول الزمان وكذلك قال مقري الوحش وعروة بن الورد وما زال الوامع عنتر حتى جرى دمعه وانحدر ورق قلبه وكاد أن ينفطر وقال يا وجوه العرب وحق من في علم غيبه احتجب ما بقي بعد هتك الحريم والاولاد الا الرواح والاقادر بد الفارس الحجاج ومن معه من الفرسان الاوقاح (قال الراوي) ثم انه صاح في أخيه شيبوب وأمره في ساعة في الحال أن يشد له الابجر ويحضر له عدته وكذلك سائر الفرسان تأهبوا للمسير في صحبته فعند ذلك ارتفع الصياح في الحى من النساء وابنات الكواعب وركبت الرجال على الجنائب وتقلدوا بالسيوف القواضب واعتقلوا بالرماح الكواعب وأنفذ عامر بن الطفيل الى أصدقائه وأصحابه ورفقائه فاجتمع معه خمسمائة فارس أبطال قناعس تعودوا خوض الحروب في المهاد وركبوا جرادا على الصافنات الجياد فلما هموا الى المسير والرحيل أمر عنتر النساء أن يقمن عند زوجة عمه عبلة وقال لعامر بن الطفيل يا أخى الرأى عندي أن تشاور في رحيلك معى ابن خالتك غشم بن مالك والاحوص بن جعفر وتعلمهم بالمسير الى قتال دريد بن الصمة لان ذلك أظن ما يعجبهم ويوجب عليك لومهم وعتبهم فقال عامر يا أبا الفوارس ابن غشم وغيره من العرب الكرام وحق الملك العلام خالق الضياء والظلام لو كان من بني عامر الذين يعادونك لوضعت فيهم الحسام وأحرمتهم لذيذ المنام فانك عندي أعز من أهلي وأقاربي فشكره عنتر على مقالته ثم ركب وسار وسار معه عامر في أبطال عشيرته وكان من جملتهم الخمسمائة فارس الاسود العوابس وكلهم في الحديد غواطس وهم بالخيول الصواهل والسيوف القواصل والرماح الذوابل وجدوا السير باقي النهار وتمام الليل وفي مقدمتهم عنتر وعامر بن الطفيل ولما قربوا من جزع الطواف نزلوا للراحة لما عولوا الليل على الانصراف ورحلوا طالبين بني عبس الكرام فرآهم كأنهم أشباح بلا أرواح مما نالهم من الحرب والكفاح وكان وصولهم قبل الصباح ومدوا أعينهم فرأوا الثلثمائة خشبة منصوبة على رؤس الروابي والتلال وتحت كل خشبة واحد من المأسورين من الرجال وعمارة وأخوته بجملتهم مربوطين تحت الاخشاب بالحبال وفرسان بني جشم حولهم بالسيوف الصقال منتظرين اذن دريد بن الصمة في قتلهم قبل وقوع الحرب والكفاح وهذه العبارة كان السبب فيها اللقيط بن زرارة لانه قال لدريد بن الصمة يا أبا النظر أنت شيخ كبير وما تحتاج الى مدبر ومشير وما الذى تنتظر في هؤلاء الاسارى اضرب رقابهم وارم رؤسهم لاصحابهم وبهذا تقطع ظهورهم ويحتارون في أمورهم وبذلك يعجزون عن القتال وتبلغ منهم الآمال فقال دريد يا لقيط أنا ما عولت على هذا اذا ملكت الكل أصلب الجميع في هذه الديار وأفرق عليكم نساءهم ليكونوا لكم جوار وأقلع منهم الآثار ولكن ما أخالف لك مقال ولا أرد لك سؤال فانى أعلم ما في قلبك من هؤلاء الانذال وعند الصباح خذ منهم القادات واضرب رقابهم بالسيوف المشرفيات ثم ان دريدا أمر عبيده أن ينصبوا لهم الاخشاب من الليل فأيقن جميع الاسارى بالكرب والويل وكان في أوائلهم الامير عمارة بن زياد وكان ذلك التدبير في الليل وفي الصباح أشرف عنتر بن شداد وكان دريد قد أخرج الاسارى للصلب من حنقه عليهم وغيرته وقارب بهم أبيات بني عبس وأوقف كل واحد تحت خشبته وجعلهم ثلاثة أقسام وعزم أن يسقيهم كأس الحمام وقال لرجاله وعشيرته اذا رأيتموني صلبت عمارة بن زياد وأسقيته كأس منيته فيقتل كل من كان معه أسير بضرب رقبته (قال الراوي) ولما نظرت بنو عبس الى هذه الفعال خافت وماجت كما تهيج الجمال وماجوا يمينا وشمالا وقصدوا حوا خوفا على الرجال ولطم الربيع ابن زياد على راسه حتى كاد يوقع أضراسه وهو ينادى واحسرتاه عليك يا ابن أبي وأمي ويا من أرجوه لكشف همي

وغمي ويا حزني عليكم يا أخوتي وبني عمي ومن بعدكم من أرجوه لكشف همي وغمي ثم أراد أن يحمل هو ومن معه من أقارب المأسورين حتى يخلصوهم مما هم فيه من العذاب المبين واذا قد أشرف عليهم في ذلك الوقت عنتر ابن شداد ومن معه من الرفاق الاجواد ونظر بنى عبس محصورين بين الخيام ليسوا قادرين على الكلام فحمل بمن معه بقلوب ملآنة حنق وصاح في أوائلهم عنتر وزعق وأطلقوا رؤس الخيل فقال عنتر لابيه شداد وعامر بن الطفيل ومقري الوحش جودوا أنتم الطعن والضرب ولا تشغلوا أرواحكم بالاسر ولا بالنهب وجدوا بنا حتى نخلص هؤلاء المأسورين الذين أشرفوا على الهلاك ونجود عليهم بالافكاك ونبعد الاعداء عنهم في فسيح البر وبعد ذلك لنا تدبير آخر (قال الراوي) وان قبائل العرب ارتخت عزائمهم وضعف منهم الحيل لما رأوا ذلك الجيش وعلموا أن هذا عنتر ورآه عامر بن الطفيل وعلموا انه صالحهم وما بقي لقعودهم فعند ذلك ترتبوا للقتال وقال اللقيط يا دريد بد هذا الحساب الذى حسبناه وأنا كنت أقول لك في غيبته أطلب الانجاز وأنت تطاولهم في الابراز فقال دريد وما الذى تغير علينا او بعد ساعة تفنى هذه الطوائف التى قدمت علينا وأقول ما هم أكثر من خمسمائة فارس وفيهم طائفة من بني عامر وأتوا اعانة لهم على ما نزل بهم وأنا أريك ماذا أفعل بهم وبني عامر من بعدهم وما أنزل بهم من التعس والنكس بعدما أفنى بني عبس ثم انه صاح في فرسانه وكل بالاسارى جماعة من العبيد وأوصل الطعن بسن الاصل واختلف الضرب تحت الغبار والقسطل وفرحت بنو عبس بقدوم الامير عنتر فصاحت وكادت قلوبهم من الصياح أن تنفطر وخرجت من بين المضارب والخيام وحمل الملك قيس ينادي ها قد أتاكم الفرج يا بني عبس الاخيار فخذوا لانفسكم بالثار وقاتلوا الاعداء الاشرار وساعدوا من أتاكم يعينكم ويحفظ أموالكم وحريمكم فنادوا كلهم بلسان واحد يا ملك قيس ما بقي لنا حاجة تمنعنا عن القتال ومن لم يجود الطعن والضرب فما هو بولد حلال ثم انهم تبادروا وايركضون بالخيل خبب وانتخوا بنخوة العرب وماج البر وانقلب وتزعزعت جوانبه واسود من الجو مشارقه ومغاربه وهاج الجيش واضطربت مواكبه وصاحت الخيل بالصهيل وضاق على الهارب فسيح البر وسباسبه وسدت طرقه ومذاهبه وشاب الطفل الصغير وابيضت ذوائبه وانعجم اللسان عن رد الجواب لمن يخاطبه هذا وأبو الفوارس حامية عبس عنتر أظهر عجائبه وشاهدت الشجعان طعناته ومضاربه وما زال هو ومقري الوحش وعروة بن الورد وعامر بن الطفيل ورجاله وأقاربه حتى ردوا القبائل الى الفجاج وضعضعوهم وساقوهم أفرادا وأزواج وبانت الاخشاب الذى نصبها دريد للاسرى وصارت من رآهم في البر والفلا ونجوا جميعا بشجاعة عنتر حاميتهم من الصلب والبلا وجعل كل من له قريب يحله من كتافه بعدما كان أيقن بتلافه وطلب كل واحد أهله وأقاربه وهم لا يصدقون بالنجاة وكان من جملة الذين خلصوه الامير عمارة وهو الذى كان أصل هذه العبارة فارتخت مفاصله وزادت به الحسارة وما بقي يساوي بين الفرسان شعرة عمارة فاقبل اليه بنو عبس وحلوه ومن لحيته سحبوه فوجدوه مما حصل به خزيان فاشتبك ثوبه في الخشبة فشقه وصار كأنه عريان ولكنه بخلاصه من القتل فرحان وبقي يجرى ويلتفت من خلفه كأنه لدغه ثعبان ونظره دريد وهو يجرى في القيعان وعورته مكشوفة وحاله لم يسر انسان فعند ذلك التفت دريد الى بعض الفرسان وقال له الحق هذا الرجل الهارب واسقه كأس المعاطب وان لم تدركه فاضربه بنبلة تهلكه وحسر عليه ناسه فان هذه الفتنة من تحت راسه فاطلق الفارس لجواده العنان وطلب عمارة مثل الشيطان ونظر عمارة ذلك الفارس قاصدا اليه فشد عزمه وهو خذلان وبقي من شدة خوفه يجرى مثل الحصان فما كان من الفارس الا انه أخرج نبلة من كنانته وضربه بها من حرقته وقهره وبالمصادفة أتت عمارة في دبره فحملها عمارة وهاربا حتى دخل الخيام ودار به العبيد والخدام وهنوه بسلامته وصبره وأخرجوا النبلة من دبره فزادت فرحته ومسرته بعدان أيقن بنزول قبره (قال الراوي) هذا ما كان من الاسارى وشيخ العرب عمارة وكيف حل به من الخسارة وأما ما كان من بني عبس وبني عامر وما فعلوا في ذلك اليوم من الهول القاهر فان عامر بن الطفيل عمل في بني مشاجع وبذل هو وبنو عمه فيهم السيوف القواطع وطعن سعدا أخا اللقيط فقتله فعندها حمل اللقيط عليه وقاتله وعلى أخيه جرت مدامعه ودام الضرب مختلف والغبار منعكف والدماء

ترفرف حتى أقبل الليل وافترقت الرجال والخيل ولما عاد عنتر لقاه الملك قيس واخوته والربيع بن زياد وجماعته ونزلوا عن الخيل وتباشروا بالقا وصاروا يبكون ويدعون له بالعلو والارتفاع ويقولون له يا ابن العم سامحنا عن ما سلف ولا تؤاخذنا بما جرى من العيوب والكلف فأنت المالك ونحن المماليك ولاك فينا شريك فشكرهم عنتر على مقالهم وترجل اليهم وقبل صدورهم وقال يا سادتي ما أرحل الا اذا طردتموني لاجل التخفيف عن قلوبكم ولو اعلم انكم تردوا عني بعد يوم أو يومين مثل ما تفعل المصائب ما كنت أغيب عنكم ولا أكون غاضب ولو قطعتم جسدي بالسيوف القواضب ثم انه دخل الى المضارب وكل من كان من بني عبس تقرب اليه حتى نساء الحي أعظمته أعظم حي وهم يدعون له ويثنون عليه ويقبلون يديه وصدره ويقولون له لا أوحش الله منك يا سيفنا القاطع ودرعنا المانع وبات بنو عبس تلك الليلة فرحين غير حيارى بخلاف الليالي الماضية لاجل الاسارى واطمأنوا على البنات العذارى ولما غسق الظلام قدموا ألوان الطعام وانتقد عنتر عروة بن الورد فما رأى له خبر وسأل عنه فما أعطى عنه أحد خبر فتنغص عيشه وتكدر والتفت الى من عنده وقال الليلة ما أخوفني عليه ممن يقتله فقال شداد رأيته مع دريد بن الصمة يقاتله ويجادله وما أدري أمره أقتله أم نزل به شيء من النقم فقال عنتر ان فعل ذلك لاقتلنه أشر قتلة وأهلك بني هوازن وجشم وأذبح الجميع ذبح الغنم وبات عنتر ضيق الصدر على عروة وما يدري ما حل به من البلوى وأما دريد بن الصمة فانه رجع وقد خسر في ذلك اليوم أعظم خساره وبات وهو يعض يديه أسفا على ما فاته من قتل الاسارى وكيف كان خلاصهم وكذلك جرى على اللقيط بن زرارة من أجل قتل اخوته وما جرى عليهم وصار يقول لمن معه من الرجال يا بني عمي لابد ما أبذل المجهود وأجمع العساكر والجنود وأبطال وفرسان أنجاد حتى أقلع من بني عبس الآثار وكذلك بني عامر الاشرار ولو تعلقوا بالفلك الدوار وكذلك جرى على دريد من معونة عامر بن الطفيل لعنتر وما صدق ان الفجر قد انفجر حتى خرج الى الميدان وطلب البراز وأراد بذلك الثبات لمن معه من الفرسان لان أكثرهم عولوا على الهرب والارتحال وعند مجيء عنتر قد خابت الآمال فخرج دريد يصطلي نار الحرب بنفسه وبروحه وينظر صهره ذا الخمار سبيع بن الحرث لاننا ذكرنا انه تركه قادما على أثره الى هذه الديار ويعلم انه اذا أتى قضى الاشغال وقتل الابطال فبرز الى الميدان وصال وجال وطلب البراز والقتال واذا بمقرى الوحش هم أن يبرز اليه فمنعه من ذلك عنتر وقال له يا فارس الشام أنا أعلم ان ثبات هذه القبائل كان بهذا الشيخ ولولاه ما ثبتوا وان ظفر بواحد منكم عادت عزائمهم قوية كما تواقعه انت للملك قيس وعاونه على ترتيب الصفوف ولا تزالوا وقوف حتى تروني أخذت هذا الجبار الموصوف فاحملوا ذلك الوقت بحملة صادقة بنية موافقة وتمكنوا من الاعداء بالسيوف الماحقة ونكون قد بلغنا المنى لان هذا الرجل ما يخفى عليه من أبواب الحرب ما بعد أو دنا لاجل ما لاقى من الفرسان ولاقى من الابطال والشجعان في هذا العمر الطويل من اعنا وان لم يبرز له عنتر بن شداد ما أحد يبلغ منه مراده لانه جبار مكار فتبسم مقرى الوحش من كلام عنتر وعلم انه بمثل هذه الامور أدرى وأخبر لاختباره الفرسان بين يديه حين تذكر فتأخر مقرى الوحش وتقدم عنتر الى الميدان ولما قارب الاعداء صال وجال حتى حير عقول الابطال ثم تذكر ما جرى عليه من الاحوال فانشد يقول هذه الابيات

سكت فغر أعدائي السكوت * وظنوا انني أهلي نسيت * وكيف أنام عن سادات قوم
وفي افضال نعمتهم ربيت * أنا عبد لهم ان أبعدوني * بعدت وان هم رضوا رضيت
وان دارت بهم خيل الاعادي * ونادوني أجبت كرها أبيت * بسيف حده نقم المنايا
ورمح سنه الموت المميت * أنا العبد الذي ألقى الاعادي * بقلب فرح في لقا الهيجا ثبوت
ففي الحرب أمواج ولدت طفلا * وفي حجر المعامع قد ربيت * أرى الدنيا تحت أقدامي تزلزل
وتهتز الجبال اذا مشيت * فلا للرمح في جسمي نصيب * ولا للسيف في الاعضاء قوت
خلقت من الحديد أشد قلبا * وقد بلي الحديد وما بليت * وأهوى الطعن بالسمر العوالي
ومحياي بها وبها أموت * ولو أني شربت دم الاعادي * بأقحاف الجماجم ما رويت

ولي بيت علا فلك الثريا * تخر لعظم هيبته البيوت * واني قد برزت اليك حتى
أذيقك من يدي الموت المميت * أنا عنتر بني عبس المسمى * اذا دعيت فوارسها دعيت

(قال الراوي) فلما سمع دريد بن الصمة كلام عنتر وشعره زاد به الحقد والغيظ فصاح فيه وقال له ويلك يا ردىء اللبن ويا أسود البدن عدت وذللت لبني عبس بعد ما طردوك وأبعدوك وأنكروا نسبك وما جدوك واستعروا من النسب وما أعطوك وأهانوك والآن احضروك وفي قتالي أطمعوك فقال عنتر يا دريد لقد خانك دهرك وطاش سهمك ولا بقي لك من الخلاص سبيل الا ان كنت تعتذر لي قبل أن أقطع عمرك الطويل وأتركك في هذا البر قتيل وأما قولك اني رجعت الى قومي بعد الغضب فما هذا عجب لان المولى لابد على عبيده تارة يرضى وتارة يغضب وهذا مقام القتال ما هذا مقام المحاججة والمقال وفي هذا اليوم يبين الراجح من الخاسر اذا سال الدماء من الاوداج والمناخر فدافع عن نفسك بالسيوف البواتر والا تبقى طعما للوحوش في قفور الكواسر (قال الراوي) ثم انه انطبق عليه وصاح وقد اشتد بينهم طعن الرماح وضرب السيوف على الصفاح وتكافح الاثنان أشد كفاح واندهشت منهم المقل الصحاح والحمام أرسل بينهما سهام وملك الموت سل على رؤسهما حسام واختلف بينهم الضرب والصدام وكثرت بينهما المعاركة والخصام وقل منهما الكلام وكان دريد بن الصمة عرف الابطال الان وأبصر فارسا ما نظر مثله في سالف الازمان فاظهر الجلد حتى تقطعت الرماح فرمياها وتقاتلا بالصفاح التي هي أقرب الى نهب الارواح ودام الامر بينهما على ذلك الحال حتى اعتدلت الشمس في قبة الفلك وتعب كل واحد منهما وهلك وما كان أكثرهما تعبا وملل الا دريد بن الصمة لكثرة ما فعل لانه أحس ان مفاصله قد انفصلت وسهام المنية اليه قد أرسلت فخاف ان تحط منزلته عند قبائل العرب ويقال عنه انه أسره عبد لا قدر له ولا نسب فقال دريد وقد وقف للراحة وقال اعلم يا حامية عبس ان مثلي لا يدخل عليه المحال والصدق عند العاقل أحب الاشياء والانصاف من أعلى مراتب المروءة في الاتصاف وأنا وحق ذمة العرب أصدق من نفسي ولا أتخلق بالكذب ولا أرضى به وأنا قد قل مني الحيل والقوى واسودت في عيناي أقطار الدنيا ورأيت منك ما لا رأيته من أحد الان يكون من صهري سبيع بن الحرث المسمى بذي الخمار وهو الذي شاع ذكره في الاقطار وأريد منك ان تستر حالي وتخفيه ولا تظهر لاحد ما نحن فيه حتى لا تحط منزلتي بين القبائل وتخالف الفرسان أمري وجميع المحافل فتفعل ما أقول لك وتخليني لك عدة عند كل نائبة وشدة وترى بعد ذلك ما أفعل وما يصل اليك من الهدايا والمال اذا قبلت مني هذا المقال وتتركني أعود سالم وعلى جاهي قائم فان الشجاع ما يكمل في الشجاعة حتى يكمل بالمروءة والكرم والقناعة وأريد منك أن تقاتلني ساعة وتعود عني وتظهر للسادات قولك انك طلبت الاقالة مني ثم تشير على الملك قيس أن يأتي ويسألني حتى أعود عنكم بهذه القبائل وأفرقها الى غدرانها والمناهل وتكون عودتي عودة المذلول في رفق الراجح المسؤل وترى بعد ذلك ما يصل اليك من الانعام وما في حقك أقول بين محافل الكرام وان كنت تظن هذا الكلام خداعا أو غفول ولا دخل في أذنك والمعقول فأنا أسلم روحي اليك وأبقى أسيرا بين يديك حتى يأتي صهري سبيع ويخلصني بالمال أو بالحرب والقتال وانما فوتك صداقة مثلي وتندم حيث ما سمعت قولي فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذه الانبهار ورغب في صداقة هذا الجبار والاسد الكرار الذي تطيعه سائر القبائل والسادات وأراد أن يبني له بذلك مجدا ويكسب شكرا وحمدا فقال له افعل ما بدا لك وان كنت طلبت الاقالة فان عنتر قد أقالك لان مثلي لا يخيب سؤالك ولا يرد مقالك ولا يخالف أمثالك على اني وحق ذمة العرب لو أردت قتلك من أول النهار لقتلتك وتركتك رزقا لوحش القفار وانما أردت أسرك ليلا ونهار لما سمعت ذكرك فعظم على أمرك وانك فارس كرار فغلب على الحياء منك وعاملتك بالاعتبار وبعد ذلك أراد عنتر أن ينزل الى دريد ويضمه ويقبل صدره واذا بالمواكب تتابعت وأقبلت الخيل وخالد قدامها يزعق وهي مثل البرق اذا لمع وهم طالبون عنتر من كل موضع ولما أبصر عنتر الى هذه المصائب علم أن دريدا كاذب وانه خدعه وطلب أخاه يقاتله معه فقال له يا دريد على مثلي ينطلي هذا المحال قطعت شيبتك وقطع منك المحال وأما أنا فلا بد لي أن أفرق هذه الجيوش في البراري

والتلال ثم صاح به صيحة أرجف بها فؤاده وضربه بالسيف رمى به عنق جواده فوقع دريد واشتغل بنفسه واستقبل عنتر الخيل القاصدة اليه وبرى أكثر رماحها بحسامه ونزل عليه باهتمامه وحمل مقرى الوحش وعامر ابن الطفيل وصاح الملك قيس فى باقى الرجال والخيل وحملت رجال عروة بن الورد وزعق عم عنتر مالك بن قراد والامير شداد وتصايحت الفرسان على الخيل الجياد وقد حملت الصوارم الحداد وعاد الصلاح فساد وتمددت من القتلى الاجساد على الارض والمهاد (قال الراوى) وما كان قول دريد الاحق لانه لما رأى شجاعة عنتر اشتهى أن يكون له صديقا وجبير ولكن جرت الاحكام بخلاف الضمير لاجل آجال تقاربت وأعمار تناهت والاصل فى ذلك ان خالدا أخا دريد كان يعرف منه اذا بارز بعض الفرسان وطال معه فى الميدان وأبصره يحدثه لاجل أن يخدعه فيشغله الى أن يحمل الفرسان وفى حملتهم اما أن يقتله واما أن يأسره وكانت هذه اشارة بينهم حتى لا يقال عنه انه ناكث العهود فلما أدارت الحرب ضربه فالقاه حيران ولما وقع على الارض تضعضع وانهان وكان وقوعه بشدة وما أفاق على نفسه حتى أدركه شيبوب وشده كتاف ولم يزل السيف يعمل بهم حتى مضى النهار وطلبت القبائل الغريبة الفرار الى الاهل والديار وأراد اللقيط الهرب فأدركه مقرى الوحش وطعنه بعقب الرمح قلبه وأخذه أسيرا وما أقبل المساء حتى مابقى من القوم نسمة واحدة قدام بنى عبس الا بنى هوازن وجشم وكانوا معولين على الهرب فثبتهم خالد أخو دريد وقال لهم ياقوم أخو دريد فى المصائب ونطلب الهرب والنجاة من النوائب ونبقى حديثا بين الاعراب اصبروا باقى اليوم على الاثقال لما ننظر على أى شئ ينفصل الحال فحامية تناسبيع لابد مايصل الينا فى الحال وأخى دريد لابد له يصالح بنى عبس ونرجع بسلام وان لم تتم هذه الامور ورأينا الغلبة تهربنا لان الهرب مايفوتنا ولا معنا شئ يعيقنا وداموا على مثل ذلك حتى أقام من القبائل التى يلزمها من دريد ملزم مثل بنى هوازن وجشم وأما بنو سليم وبنو مشاجع فاقاموا مع أخى اللقيط ينتظرون مايكون من أخيهم وكان عروة معهم أسيرا فعولوا على ان يفادوا به اللقيط ويعودون وجملة المقيمين كانوا عشرة آلاف فارس وأما العشرة آلاف الاخر فقتل منهم من قتل وأسر من أسر وهرب منهم من هرب هذا ماجرى (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم عادوا مسرورين بالنصر والظفر وما منهم الا من يشكر عنتر وهو مشغول القلب لاجل عروة فاحضر دريدا وسأله عنه فقال وذمة العرب ماهو عندى بل عند اللقيط بن زرارة وان خلاصه هين مادمت أنا فى يدك ولكن من الرأى ان تتخذنى صاحبك لاجل الصلح حتى آخذ هؤلاء القبائل وأرحل بهم عنكم قبل أن يصل من لايقبل مصالحه ولا يحترز من المكافحة وهو ذو الخمار لانه ان وصل وأنا فى الاسر سفك الدما وهذا الرأى لكم فيه الحظ الاوفر من وجوه عديدة ولو لم تقع محبتك فى قلبى ماقلت لك هذا المقال وما كنت صاحبتك بعد هذه الفعال وأريد أن أتخذك لى صديقا على ممر الايام والليال فقال عنتر يادريد مابقى ينطلى على خداعك والمحال بعد مافعلت الذى فعلته فى القتال وأشغلتنى بالمحال حتى حمل على أخوك خالد فى فرسانه والابطال وأما قولك عن سبيع وتخويفك لى منه فهذا شئ لايدخل فى قلبى منه خوف ولا بد لى أن أفضحه بين الصفوف وآتى به أسيرا أو أتركه على الارض طريحا عفيرا وان عاقته الاقدار عن دخوله الى هذه الديار سرت الى بنى حمير وأقلع منهم الارض وأخفى منهم الاثر ولا أخلى أحدا غيرى بالفروسية يذكر ولا يوصف فى قتال وأسود بذلك على جميع الاقيال فحلف له دريد بن الصمة ان خالدا ما كانت حملته باختياره ولا أراد حملته ولا أمره بذلك ولا استشاره وانما يا أبا الفوارس هذه أقدار وآجال كانت تقاربت عندها الاعمار (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بجرير أخى عنتر أقبل من بنى عامر ودخل على عنتر وعلى وجهه آثار تدل على أنه فزعان فقال له عنتر ويلك ياجرير مالى أراك فى هذه الحاله وهذه الخبله فأخبرنى من تركته عند عبله فقال جرير يا ابن الام ان نوائب الدهر تأتى بما لم يكن فى الحساب وعبله وسائر النساء أشرفن على السبى والذهاب وان لم تدركهن والا نزل عليهن المصائب والعذاب لانه من بعد مسيرك من عندنا صابحتنا بنو نبهان مع زيد الخيل وأحاطوا بنا وبنى عامر وأنزلوا بنا وبهم البلاء الغامر وداروا حول القبيلة بالخيول الضوامر وتدفقوا مثل موج البحر الزاخر لانهم قبائل مجتمعة وعشائر وأول مافعلوه نهب الاموال وسوق الخيل والجمال وأوقعوا بين القوم

الحرب والقتال وزيد الخيل يجرح ملاعب الاسنة جرحا قد أشرف منه على الوبال ونسف بعده الابطال وساق بنى عامر بالحسام حتى ردهم الى أذيال الخيام مخضبين بدماهم الروابى والآكام وترك بنى عامر مشرفين على الهلاك ولا بقى لهم من الموت فكاك ولولا كبشة أم عامر بن الطفيل لكان سقانا زيد الخيل كؤوس الويل لاننا لما كنا فى أطراف الخيام واختلطنا بأهل الحى بغير أمر الاحوص بن جعفر ونحن فى الليل والنهار ياأخى فى شدة الخوف والحذر فقال له عنتر ان بنى عامر ماعلموا بنزولكم بجوارهم فقال جرير ياأخى ماهم راضون بجوارنا ولاهم قادرون أن ينظرونا فقال عنتر ان لم يكونوا راضين بجوارنا فانا أخليهم يرضوا غصبا ثم ان عنتر دخل على الملك قيس وقال له يامولاى أنت تعلم ان حريمكم فى بنى عامر ونحن جميعا بين أيديكم وفى هذه الايام قد طرق أرضهم زيد الخيل مع بنى نبهان واذا سبيت حريمهم سبوا حريمنا معهم وأنا لابد لى أن أدركهم وها أنتم مستظهرون على أخصامكم ولا بقى عندكم من تحملوا همه واذا حضر الفارس ذو الخمار ولا لكم به طاقة فصالحوا دريدا وهو يرده عنكم وأنا لا أغيب الا مسافة الطريق فقال عامر بن الطفيل يا أبا الفوارس أهل الميت أولى بالبكاء وأنت أقم عند أهلك وأنا أمضى الى بنى عامر أتحمل هذه المكائد فقال عنتر هذا لا يكون ثم انه أوصى مقرى الوحش بالحرب والقتال وأوصى الملك قيس بالتدبير والاحوال وبعد ذلك اعتد وسار أول من الليل هو وعامر بن الطفيل وأبو شداد وتمام العشرة فوارس من بنى قراد وكان قد ترك ابن عمه مالك عند عبلة يحفظها فى نفر قليل من الابطال ولما أبعد عن منازل بنى عبس وعسعس الليل صار يذكر الحروب التى تواترت عليه والنوائب التى تتابعت اليه فأنشد يقول

حاربينى يانائبات الليالى * عن يمينى تارة والشمال * واجهدى فى عداوتى وعنادى
فــرزايالك لاتلم ببالى * لى قلب أشد من عزم الحديد * وعزم أقوى من راسيات الجبال
وحسام اذا ضربت به الدهر * تنجلى به القرون الخوالى * وسنان اذا انعسفت فيه ليلا
هدانى وردنى عن ضلال * وجواد اذا ماسار بارق البرق * أراه يعدو أثر النعال
أدهم يخجل الدجا بسواده * بين عينيه غرة كالهلال * يفدينى بنفسه وأفتديه
بحروبى ومهجتى ثم مالى * فاذا قام سوق حرب العوالى * وتلظت بالمرهفات العوالى
كنت دلالها وكان حسامى * تاجر يشترى نفوس العوالى * سباع الفلا للحرب لما أشعلت
نارا أذابت اشاهقات الجبال * وتقول خذوا من اللحم قوتا * لبنيك الصغار والاشبال
واشكروا واذكروا ما رأيتم * واحمدوا واشهدوا لى بالفعال

فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات أطرب من كان حوله من السادات ومامنهم الا من تحركت حواسه ومالت به نخوة راسه وصار الموت عنده ألذ من الشهد وساروا حتى حصل لكل منهم الجهد الى أن تنصف الليل ونزلوا حتى استراحت الخيل وركبوها الى أن صبحوا أرض بنى عامر صباح الا انهم ماقاربوا الخيام حتى سمعوا الضجة والصياح وبان لهم بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وعلموا أن القوم فى حرب وكفاح وتبينوا أحوال الطائفتين فرأوا فرسان بنى عامر خامدة الاصوات قريبة الحركات وهى تقاتل بين المضارب والابيات وتدافع عن النساء والبنات وملاعب الاسنة تارة يحمل يمينا وتارة يحمل شمالا وهو موثوق بالجراح والمواكب تصدمه من كل جانب كما تصدم الغريق الموجات وزيد الخيل ينادى فى أوائل القبائل ويقول هيهات هيهات يابنى عمى الاطايب ابذلوا أيديكم اليوم فى ضرب القواضب ولا تبقوا على ماش وراكب فاليوم تملكون المضارب والنساء الكواعب (قال الراوى) فلما سمعت الرجال كلام زيد الخيل تدفقت من كل جانب لانهم كانوا عالما كثيرا بعدد الكواكب وقد ذكرنا سابقا ماجرى لزيد الخيل مع عامر بن الطفيل لما أسره وأخذ خيل القوم من وادى الجماجم وعاد عامر بن الطفيل من أرضهم بالاموال والغنائم وأحوج زيد الخيل ان يجمع هذه القبائل ويسير بها الى ديار بنى عامر وكان قد أشرف على قلع آثارهم وخراب ديارهم لولا وصول عنتر بن شداد فى

أبطال بنى قراد ولما نظر القتال عمال والدم يهدل قال لمن معه البدار يا بنى عمى البدار فبادروا واقبل ان تسبى الاحرار ويعتريكم العار فانا اليوم أترك بنى عامر تسترضى عنى وتحمد جوارى وتتحدث عنى بكل خير فقال عامر بن الطفيل أنا الابدلى من خصمى زيد الخيل لعلى آخذ منه الثار وانى لم اجد لذلك سبيل والا أشغلته عنك الى ان تلقى الهيبة فى قلوب الاعداء وتبيدهم فى البيداء فقال له عنتر اذا كان ولا بد من ذلك فخذ معك أبى شداد ومن معه من فرسان بنى قراد حتى أصدم أنا وأخى شيبوب الرايات والاعلام ونقضى النهار بالصدام وضرب الحسام واذا كان فى غداة غد أتولى أنا برازهم وأشفى قلبى وقلبك من زيد الخيل وأفرق هذه الطوائف قبل قدوم الليل ثم ان عنتر صاح صيحة الغضب ودخل تحت غبار الحرب وغاص فى قبائل العرب وفرق جموعها وحمى شيبوب جواده بنباله وقد أبصر من ذلك اليوم ما هاله هذا وعامر بن الطفيل قد حمل وكان فارس قومه كما ذكرنا وحامية عشيرته كما وصفنا ففعل ذلك اليوم فعل الرجال وكذلك شداد ومن معه من فرسان بنى قراد هذا وبنو عامر لما أبصرت فارسها ارتفع صياحها وعاشت بعد الموت أرواحها بعد ان لم يبق من الابطال الا أشباحها واستوى عندها فسادها وصلاحها وهربت الانذال ورضيت بافتضاحها ورأت سلامتها أجل أرباحها ومازال عامر بن الطفيل حتى وصل الى زيد الخيل وتزاعقا وتلاصقا وأوسعا فى المجال حتى بعدت عنهم الرجال وأخذا فى الصدام والالتزام وتجريع الموت الزؤام الا ان زيد الخيل سطا على عامر سطوة الجبابرة وأيقن عامر بالممات وما أشغل زيد الخيل الا صيحة علت من تحت الاعلام فالتفت فرأى الاعلام مالت وعنتر فعل فيهم كما يفعل الذئب فى الغنم نخاف على أبيه المهلهل فعاد اليه وترك عامر بن الطفيل (قال الراوى) وكان الذى ميل أعلام بنى نبهان وفرق جموع القبائل والفرسان عنتر بن شداد لما حمل هو وأخوه فى طلب الاعلام ووصل اليها بعد نصف النهار وقد ترك الارض مملوءة من القتلى مخضبة لوجوه بالدماء ولما وصل الى الاعلام جرح أخوه شيبوب ووقع على الارض مطبوب فرجع اليه عنتر كالريح الهبوب وأجلسه وهجم على الفرسان بطعن فى غاية الامعان فوقع شيبوب ثانى مرة وأطبقت عليه الفرسان فرجع اليه عنتر كالاسد الغضبان ففرق الخيل من بين يديه ومن حواليه وزعق فيه فقام على قدميه ويرميهم بالنبال حتى وقع فى الموكب الكبير فلما علم عنتر ذلك صرخ فى صاحب العلم الكبير وطعنه فانصرع وتفرقت المواكب وأبصر المهلهل هذه الامور فجعل يقاتل عن نفسه وكان حوله أبطال المعامع وارتفع الصياح من سائر المواضع ومازال عنتر يدافع الابطال ويطعن فى صدور الرجال حتى التقى به زيد الخيل وتواصلت معه الكتائب والعشائر وبان الحق من الباطل وتناثرت الجماجم مثل الحصى والجنادل ووقعت الرجال من على ظهور الصواهل وكان زيد الخيل قد وقع بعنتر عند المساء وقاتله حتى انفصلت المعامع وافترقوا وفى قلب كل واحد منهم لهيب النار كيف ما بلغ من خصمه ما يختار على ان عنتر لولا انه تعبان من الضرب والطعان ما كان فارقه الا بالانفصال ولما رجع دارت به فرسان بنى عامر وقد زال الحقد وعرفوا قدره وقد صفت لبنى عبس نياتهم وعاد عنتر هو وعامر بن الطفيل الى أبياته واجتمع مع ابنة عمه مالك وسألها عن حالها فشكرت كبشة أم عامر على ما فعلت معها من الجميل فى غيبته وطيب عنتر قلب مسيكة وأعلمها ان مقرى الوحش قد تركه عند بنى عبس يحفظهم وبات النساء يشكرون عنتر وأما زيد الخيل فانه عاد الى بنى نبهان وهو مثل الاسد الغضبان وهو يقول لهم لولا هذا العبد ولد الزنا وهجومه عليكم اليوم كنا قد فرغنا من هؤلاء القوم فقال المهلهل يا زيد الخيل لا تقول هذا عبد ولا تحتقر باحد فوحق الواحد الاحد لم تلد مثله النساء ولقد رأيت منه عجائب عند هجومى عليه ما لا رأيت من السباع الضوارى الذى أصيدها طول عمرى فقال زيد الخيل وحق من أتى بهذا الليل لانثرن عمره عند الصباح ولو ان يده تمسك الفلاح وتدرك النجاح ولا فرحنك عليه ولا اتركه الا والطير والوحوش يأكلوا فى لحمه وعينيه ثم انه أقام على مثل ذلك حتى ذهب الليل الحالك وطلع الصباح الضاحك وركبت الفرسان واعتدلت الصفوف وكانت بنو عامر قد باتت طول الليل حول أبياتها وكان عنتر قد دخل على أخيه شيبوب عند الصباح وقد سأله عن ما هو فيه من ألم الجراح فقال له والله يا أخى ما بت الا وأنا مسكين لان جراحى مشطبة وقد توهم منها قلبى من أجل منام رأيته فزاد

كربى منه فقال له عنتر وما الذى رأيت يا شيبوب فربما يكون أضغاث أحلام لانى بت بكر وبافقا يا ابن الام ما كنت عن نفسى مغلوبا وانما صبرت على ألم الجراح الى وقت السحر وقد غلب على النوم فنمت من أجلها وأنا كثير الهم والفكر فرأيت انى عند الكعبة الحرام وأشكو الاصنام وأطلب منهم العافية من الآلام وكان الصنم المسمى بالهبل يقول لى ابشر فان جراحك تبرأ عن قريب ويكون لك ولاخيك حديث عجيب وعند الصباح تنتصرون على بنى نبهان وتظفرون عليهم بالطعان وتتفرق عنكم العربان ولكن قل لاخيك يحسن الى زيد الخيل ولابيه وان ظفر به لا يؤذيه لانهما يخلصا كما من الغلبة اذا ظهر عندهم الرجل المكنى بالاسد الرهيص ويكون على قتالكما حريص ويبدل حياتكما بالتنغيص ويبطل عليه أخوك بعض أعضاه وفى ساعة واحدة يموت هو واياه وهذا الامر بارادة الله وقد اقترب الاجل وفى أثره تطلع الشمس ويظهر الرجل كريم النسب ويدل الناس على الطريقة الواضحة وينال الطالب المطلوب وترمى هذه الاصنام من على البيت الحرام ويرتفع عند الناس قدر شهر رجب ثم بكى شيبوب وانتحب وقال يا ابن الام انى أخاف ان أجل أحدنا قد اقترب وقد استحى هذا الصنم ان يخاطبنا بالصحيح فلوح لنا هذا التلويح وما كنا نريد الا الحياة والعمر الطويل الى ان يظهر هذا الرجل الجليل ونتعلم منه طريق الهدى ونكون من جملة أعوانه على العدا فقال عنتر أما هذا الرجل فقد تواترت الاخبار بظهوره وأما العبد والذى لنا فقد أشكلت على أموره وقد اشتغل قلبى بهذا المنام وقد أحوجنى ان أمد يدى بحسام لشيخ أو غلام ومالى الا انى أعتمد على أخذ الاسارى وأسلم أمرى الى صاحب هذه القبة الخضراء فاكتم أنت يا شيبوب هذا المنام حتى اننا نفرغ من هذه النوبة ونقصه على بعض الكهان ونسمع تأويله ثم انه افتقد جراحه وشدها وعاد على ظهر الجواد وأخذ أخاه جريرا وخرج من المضارب فوجد الصفوف قد اصطفت فقفز من بين الصفوف الامير عنتر وجال وصال وهو على ظهر الجواد الابجر وهو متفكر فى المنام الذى رآه أخوه شيبوب وكان قد سار وهو كثير الفكر فسلم نفسه للقضاء والقدر فخطر فى نفسه أبيات تناسب أحواله فجعل ينشد ويقول

اذا كان أمر الله أمرا مقدرا * فكيف يفر المرء منه ويحذرا
ومن ذا الذى يرد الموت أو يدفع القضا * وضربته مسمومة لا تعترا
وقد هان عندى الدهر بما عرفته * على أننى فى ذى الملمات أخبرا
فليس سباع البر مثل ضباعها * ولا كل من خاض العجاجة عنترا
سلوا من صفوف كانت ملمة * فرحتها والموت فيها مشهرا
بصارم حد لو ضربت بحده * ظلام الليل ولى وهو بالصبح نفترا
دعنى أحد السيف فى طلب العلا * وأعلو ولا أموت وأقبرا
وكم من منام قد أتاك محذرا * وكان رسولا بالسرور مبشرا
قفى وانظرى يا عبل فعلى وعاينى * طعانى اذا طار الغبار مكدرا
ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا * ويرجع عنه وهو أشعث أغبرا
ولا ينثنى حتى يخلى جماجم * تمر بها ريح الجنوب فتسعرا
وأجساد القوم يسكن الطير حولها * الى ان يرى وحش الفلا فينفرا
هذى فعالى يا ابنة العم دائما * وانى بما دون البرية أخبرا

(قال الراوى) ولما ان فرغ الامير عنتر من هذه الابيات تبادرت اليه الفرسان من سائر الجهات ومدت نحوه أسنة المرهفات لان جملة القبائل باتت تشتغل بفعاله وتنتظر الصباح حتى تخرج الى قتاله ولما ان أبصر هؤلاء الابطال نحوه تبادرت خاف من بنى عامر أن تحمل الى معاونته وتبطل عليه مبارزته فأمر أخاه جريرا أن يرجع بنى عامر ويوصيهم بالامتثال عليه والتقى هو والشجعان المبادرة اليه وطلبها مثل ما طلبته ثم انه كفها بحسن خبرته ومعرفته وما عاد اليه جرير حتى طرح على الارض عشرة وجرح جماعة فلما ألقى الهيبة فى قلوبهم

وأبعدهم عنه واتسع عليه المجال قصد الرجال الذين من بني نبهان واعتمد على أسرهم لاجل المنام الذي ذكره شيبوب وأخذ معهم في الطراد الى ان عبر نصف النهار فأسر مائتين فارسا وكان زيد الخيل كلما هم أن يبرز اليه عمه أبوه المهلهل من شفقته عليه ومازال يمنعه الى ان بان من عنتر ما بان وأسر من أسر من الفرسان هذا وزيد الخيل قد زاد به الغيظ وصار النهار في عينه مثل الليل ومن شدة ما جرى عليه اطلق عنان جواده وخرج من غير أمر أبيه وكان تحته جواد يسميه الورد فانطلق به مثل الرعد حتى صار مع أبطال قومه فاقسم عليهم وردهم الا أنهم قد ملوا وقصروا ولما رجعوا اظهر حسامه وهزه بقوة اهتمامه وطلب عنتر وهو يقول هذه الابيات

اذا جرح كفي حساما مهندا * تمخض موج البحر منه وأزبدا * وأطرق وجه الارض جر هيبه
وفرق ما بين النفوس وأبعدا * ونحن طرقنا أرض عبس بخيل * عتاق لاتخاف من الردى
وصلنا عليهم صولة بعزيمة * بنينا بها في العز حصنا مشيدا * ولما أونا قد تركنا ديارهم
لوحش الفلا في عرصة الدار موردا * أتانا بنو عبس بعبد يعزهم * ويصلح والعبد مازال مفسدا
فلا بد لي من أن أخليه ثاويا * تقلب الطير منه عظما مجردا * لقد علمت نبهان اني جيتها
واني جمعت الشمل أن يتبددا * وكان جوادي كلما مال ميلة * أقويه حتى يرى الموت أسودا

(قال الراوي) فلما سمع عنتر كلامه ورآه قد اركز رمحه أيضا فاستقبله بفؤاد ملآن وأجابه على عروض شعره يقول هذه الابيات

خليلي طاب الموت والنقع أسودا * بطعن الرديني والحسام المهندا
لحا الله شخصا قد يبيت وقلبه * من الموت وجل اذا راع واعتدا
فخلني أوفي الرمح حقه اذا * ماطما بحر المنية مزبدا
أنا الليل في كوني وكوني ومزبدي * أنا الصبح في رفدي اذا الصبح بدا
أنا البحر الا أنني غير مطعم * أنا الليل الا أنني سمح اليدا
أنا القطر الا أنني غير جالس * أنا الجبل القاسي لقرن اذا بدا
أنا كاشف الغمات عند حلولها * أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
سلي المشرفي المهند عني في الورى * يخبرك أني فارس الدهر أوحدا
تعودت خوض النقع مذ كنت بالغا * وكل امرئ جار على ما تعودا
خليلي شرب الموت حتما على الفتى * ولو كان في قصر عليه مشيدا
* تعايرني يا نذل اني أسود * واست جبانا أو مقصر اليدا
فان غيبت جلدي بالسواد ماترى * بريق حدود السيف حين تجردا
وان كان يوم الكريهة ماضيا * فلا عيب فيه كلما مر هندا
كذلك لوني أسود وفعائلي * تزداد على نور الهلال اذا بدا

(قال الراوي) ثم ان عنتر استقبل زيد الخيل بقلب قد اعتاد للقاء الفرسان وانصب عليه أيضا زيد الخيل انصباب الغيث اذا هطل فطلبا بالسيوف الهامات والقلل وتضاربا حتى حارت من فعالها المقل وصار عليهما الغبار وتقسطل واشتد الموت واقترب الاجل وحكمت اصحابهما كل طائفة بالموت المعجل وارتفع الصياح حتى أسفر السهل والجبل وتقدم المهلهل باعلامه وراياته من خوفه على ولده وكذلك فعل عامر بن الطفيل فلله در الامير عنتر في ملاقاته لهذا البطل الجواد بعدما أسر من أسر وقتل من قتل من الفرسان ومازال مع خصمه يطاوله ويضرب بالصارم البتار حتى تقارب آخر النهار لانه كان يريد أسره لاجل المنام الذي رآه أخوه شيبوب والا ما كان داراه هذه المداراه وكثير من يطلب أسر غريمه وغريمه يريد قتله الا عنتر لما سمع ضجيج الرجال ورأى النهار قد تغير لونه واستحال خاف أن يعود بغير انفصال فصاح في زيد الخيل صيحة أذهلته من عظمها حتى سمعها القاصي والدان وضربه عمدا بسيفه فطير الراق الفوقاني فسمع للضربة جلبة عظيمة فأوهنت أعضاه وقد ظن

انها طيرت أعلاه وفي هذه الدهشة صدمه عنتر وفاجاه وقبض على رقابه وجذبه من على ظهر الجواد وسلمه الى أخيه جرير هذا والليل قد عبر ونشر أجنحة السواد ومنع الطالب من المراد ورجعت سائر الطوائف والمهلهل أبو زيد الخيل يعض كفيه لهفا من فزعه على ولده وكذلك قبائل العرب فزعانه على فارسها زيد الخيل ومن فيهم الامن ذم الليل كيف انه أقبل والنهار كيف ولي وارتحل وقد انكسرت أغراضها وانهدمت منها اركانها وأبصروا من عنتر ما هالهم وأما عنتر فانه قد عاد وقد تلقاه عامر بن الطفيل وهناه بالسلامة وشكره على فعاله وكذلك فعل ملاعب الاسنه والاحوص بن جعفر وسائر فرسان بني عامر وما فيهم الا من قال والله يا حامية عبس لقد كسرت اليوم نفوس الاعداء ولا نقول انهم يقيموا عندنا اكثر من غد وقد فرقناهم في سائر البيداء وجنباتها فقال عنتر والله يا وجوه العرب ما هم الا خلق كثير وفيهم كل بطل شهير وان لم أداومهم هكذا يومين أو ثلاثة ماينكسرون ولا يذلون وهذا أمر يريد طولة الروح وأنا والله قلبي الى قومي وبني عمي مشتاق ويحترق غاية الاحتراق لاني جئت وخليتهم تحت الوعد والفزع من هذا الجبار وأخاف بعدي أن يكون وصل اليهم وفتك فيهم والرأي عندي اذا جاء الظلام تشرفون على زيد الخيل وعلى سادات قومه الذين أسر وامعه وتقولوا لهم قد أقلنا لكم ناصحين وفي اصطناع المعروف لكم راغبين فاذا قالوا لكم وكيف ذلك فقولوا لهم ان هذا العبد الاسود الذي أسركم اليوم في الكفاح قد عول أن يضرب رقابكم جميعا عند الصباح ويحذف رؤسكم الى بني عمكم حتى ينكسرون وهذا نحن ما نشتهيه لانكم في أرضنا ودماؤكم تبقى علينا ونطالب بها صباحا ومساء وهذا الرجل ضيف ان أقام عندنا اليوم ما يقيم عندنا غدا ونريد منكم أن تحلفوا لنا انكم ترحلوا عنا حتى اننا نطلق سبيلكم بغير علة في هذا الليل فان أبيتم فأنتم تعرفون ما تلقون عند الصباح فوحق رافع السماء انه عول انه لا يبقى منكم أحدا أبدا وهذا كلامه الساعة سمعناه عند أكل الطعام وما قدرنا نرد عليه لانكم أنتم أسراه فاحفظوا دماءكم والا هذا العبد ييتم أولادكم ويرمل نساءكم وعلى كل حال هذا عبد زنيم لا حسب له ولا نسب واذا قتل أمثالكم ما يكونون مغبونين في هذا السبب واجتهدوا في هذه الاقوال حتى انكم تملأون قلوبهم خوفا ورعبا اهلهم يرحلون عنكم ويتفرغ قلبنا لغيرهم والا دخلت المضرة علينا كلما أقاموا عندنا قال فلما ان سمع الحاضرون كلام عنتر تعجب كل من كان حضر من حسن فطنته فأجابوه الى ذلك ونزلوا الاجل أكل الطعام وصبروا حتى امتد رواق الظلام فعندها قام عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والاحوص بن جعفر وجماعة من فرسان القبيلة وساروا الى المكان الذي فيه الاسارى وكان في وسط الحلة والعبيد دائرة بهم وكان جرير قد ساق زيد الخيل اليهم وتركه عندهم وفي جملتهم الا انهم لما صاروا عندهم أعاد عليهم ملاعب الاسنة كلما سمعه من عنتر في حقهم وأكد في الكلام وصعب النوبة عليهم حتى ارتعدت أبدانهم فقال زيد الخيل والله يا وجوه العرب ان القتل علينا أصعب الاشياء وأنتم فرسان وتعرفون هذه الاشياء والامور وتعلمون ان أحدنا اذا ركب جواده لا ينزل عنه حتى يقول انه يلعب برأسه جواده وهذا الكلام أصعب الاشياء وهذه النوبة ما سببها الا فارسكم عامر ابن الطفيل لانه أتى الى ديارنا وسبي زوجتي هند وأتى العداوة بيننا ولما لحقته وأسرته وطالبته بالفداء والمال فتسبب له الخلاص من حيث لا أعلم وما كفاه حتى انه ساق خيلنا وخيل أهل الحلة عن آخرها بعد خلاص نفسه وأحوجنا أن نجمع هذه العساكر لاجل خلاص أموالنا منكم وقد أتينا اليكم ولولاه ما كان اتفق لنا هذه الامور والآن قد ملكتم فاحكموا وأمروا بما شئتم حتى اننا نفعله وحلفونا على جميع العسكر حتى اننا نرحل به والاموال التي كانت لنا فدية لنفوسنا وجزية لرؤسنا قال فهم في الكلام الا وجرير أخو الامير عنتر داخل عليهم ومعه حبل طويل وهو يعيط وينفحم والدموع تجري من عينيه فقال له عامر بن الطفيل مالك يا جرير وما حالك فقال له ان أخي شيبوب قد أشرف على الهلاك والعدم من الجراح التي فيه والساعة دخل عنده أخي عنتر ليفتقده فرآه هالك لا محالة ولم يبق له عمر يوديه الى الصباح فبكى أخي عند رأسه وناح وقال له يا ابن الام اطلب مني حاجة قبل رحيلك من الدنيا فقال له ما أريد منك يا أخي الا عشرة فوارس من بني نبهان وتكونوا من أعز الفرسان وتذبحهم بين يدي قبل ان تخرج روحي من جسدي لانني تحت اعلامهم جرحت فلما سمع منه ذلك أخي عنتر قال

له هذا أهون الاشياء الى ثم انه نادانى وأعطانى هذا الحبل وقال لى امض فى هذه الساعة وشد زيد الخيل وعشرة من الفرسان المشاهير من ساداتهم وأتينى بهم مسحوبين مذلولين حتى انى انحرهم قدام أخى شيبوب واذا بقى الى الصباح ضربت رقاب الباقين بين يديه وكانت هذه الرسالة من صاحب الهمة شيبوب لان عنتر لما تفرغ مما كان فيه سار الى افتقاد أخيه شيبوب وكان مطرحا عند أمه زبيبة فأعاد عليه ما فعل ومن قتل ومن أسر وذلك الكلام بعد ان رآه قد انصلحت أحواله وهو قاعد يحدث أمه بما جرى ففرح بسلامته وأعلمه أيضا بما دبر حتى تنفك عن بنى عامر هذه الجيوش فقال شيبوب هذا تدبير جيد وأنا أوكد القصة بكذا وكذا حتى يذل زيد الخيل و يفزع وان أمروه بشئ لا يمتنع لان نفسه عليه عظيمة وانه لا يختار القتل على الهزيمة فلما سمع عنتر ذلك رآه صوابا وانفذ جريرا بذلك الخطاب فأتى الى قومه وهم فى الحالة التى ذكرناها فبلغهم الرسالة وأدى المقالة فما فيهم الا من ظن أن هذا الامر صحيح الا عامر بن الطفيل فانه من كثرة مخالطته بعنتر علم ان هذا تأكيد فى القصة فشد قلبه وقال يا مولد العرب ان هذا الامر لم نطاوع أخاك عليه ولم نفرط فيمن وقع فى أيدينا ما دام فى خيلهم قوة وهذا الامر الذى عزم عليه فيهم يكون فى أرضه و بلاده وهذا شئ لم نمكنه منه ما دام ان هذا صار فى بلادنا وأرضنا وهذه الكثرة كانت عندنا وهم حوالينا على أننى أعلم انك ما رجع الى أخيك الا بما طلب والاشتد على أسراه الغضب وما فى الامر الا اننى أسير أنا اليه وأسأله فى ذلك ولا أتسبب لهؤلاء القوم فى أسباب المهالك ثم انه قام الى جرير يسأله عن هذه القصة ان كان لها حقيقة أم لا فقال له زيد الخيل وقد انقطع مما لقيه وقال يا عامر انى حلفت بالله العظيم رب زمزم والحطيم انى لا عدت أجرد فى وجهه سيفا ولا أمد له قناة ما دمت فى دار الدنيا ان هو أطلقنى سالم وان رأيته لج فى هذا الامر وطال وانه لا يقبل منك سؤال فاشير عليه أن يحمل له عشرة فرسان من الذين هم مأسورين معنا فى هذا المكان من مجاهيل قومنا ودعه يذبحهم قدام أخيه و يتركنا ونحن نحمل اليه دية رؤوسنا ولو كان وزنهم ذهبا اذا هو أطلقنا من أسرنا والاعتقال وكان فى الاسرى رجل صعلوك وكان بعيدا عن الديار وقد أتى فى طلب المكسب والمعاش وكان اسمه المدفوق ولقبه المذلول وقال يا زيد الخيل لم يقبل فى هذه النوبة سؤالا ولا يقبل عوض أخيه الا رجل منسوب وقتل الذليل ما يشفى غليل فلا ترد عن نفسك بسؤالك ولا تفر من الموت اذا أتاك قال فضحك عامر بن الطفيل من هذا الخطاب وعلم أن الجميع قد فزعوا من ضرب الرقاب فقال لهم عامر ابشروا بما تريدون فما يأتيكم الامر الا بما تشتهون ثم انه أخذ جريرا وغاب قدر ساعة وعاد بعد ما علم بالمقصود والمراد وقال للاخوص بن جعفر خذ القوم يا أمير وحلفهم وأطلقهم قبل الصباح والا نهبت أجسادهم بشفار الصفاح لان هذا الرجل ما يفكر فى عاقبة ولا يخاف من النائبة وان مات أخوه شيبوب قبل ذهاب الظلام فلا يصبح من هؤلاء القوم لا شيخ ولا غلام فعندها قال الاخوص لزيد أى شئ تقول يا وجه العرب تحلف ان تأمر قومك وآباك بالرحيل حتى نطلق لك السبيل أو تلزم اللجاج وتقوم فى أمر هذا الشيطان الرجيم فقال زيد الخيل أيها السيد ما بقى فينا من يريد المقام ان تفضلت علينا بالاطلاق بل نحلف لك برافع السبع الطباق اننا نرحل بقومنا من قبل ذهاب الظلام وما ندع الصباح يصبح وحولكم منا ديار ولا من ينفخ النار ثم انه حلف له عن نفسه وعن بنى نبهان وكذلك حلفت باقى الاسرى من فرسان القبائل فحلوهم بنو عامر من الوثاق وأفرغوا عليهم عددهم وحلوهم من وثاقهم وقد انسلوا تحت ظلام الليل والدجا وهم لا يصدقون بالنجا ولما وصلوا الى مكانهم كل طلب منهم قبيلته وعشيرته وأخذهم وسار يطلب ديارهم والاطلال وأما زيد الخيل فما صدق أبوه أن رآه سالما وقد أعلمه بقصته وقد كره المال والجمال وما طلع النهار الا والدنيا منهم بلاقع وعلمت بنو عامر بذلك فطابت قلوبهم وانجلت كروبهم وخلى أيضا بال عنتر ثم انه ركب صهوة جواده الابجر وقال لابيه يا أبت هذا باب عنا قد انسد وهذه النساء اللاتى قد آمنا عليهم ولكن أنا فزعان من هذا الجبار على قومنا أن يكون وصل اليهم من بعدى وسطا عليهم بفروسيته فان كان هذا الامر كما خطر ببالى وقد جرى فأنا أعلم أنه يخلص دريد بن الصمة من الاسر وربما انه أسر مقرى الوحش ان كان كما سمعت عنه أنه من أهل الشجاعة والبطش فقال له شداد والله يا ولدى ما حسبت الا حساب الرجال وما فى الامر الا العودة اليهم والكشف عن

أحوالهم ثم انه ركب هو ومن معه من الابطال وكذلك فعل عامر بن الطفيل وقد استكثر من فرسانه والشجعان وعلم الاخوص بن جعفر بذلك فركب وسار فى فرسان بنى عامر فرده عنتر وقال له يا ملك ما قدامنا أمر يوجب الى اتخاذك والمسافة بيننا قريبة وأما ملاعب الاسنة فانه حلف أن يكون بصحبته ولم يقدر عنتر أن يمنعه من ذلك فشكره عنتر وساروا طالبين ديار بنى عبس وما زالوا سائرين حتى قاربوا الديار واذا بالغبار قد ثار والقتال عمال وأهوال تدل على حرب شديد مهول فقال عنتر يا لعرب ما هذه والله علائم خير ثم حرك الجواد وساق وتبعته الرجال والرفاق الى أن وصلوا تحت الغبار فأبصروا فرسان بنى عبس وهم نافرون ومن خلفهم فارس طويل القامة هائل الصورة عريض الاكتاف وعليه حلة حمراء وفوقه ثوب من الزرد وهو راكب على مهرة حمراء وبيده قناة سمراء وهو يطعن فى ظهور الرجال وكلما طعن فارسا أرماه ومعه فارس آخر كأنه النسر المعمر وهو يرد الابطال ويقصر الاعمار الطوال وهو ينادى يا آل جبير أنا المسمى بذو الخمار ومشبع الاطيار وخالد الآخر عن يمينه وكذلك دريد بن الصمة ينادى أنا دريد بن الصمة عالى العزيمة والهمة وعن شماله اللقيط بن زراره وقد اشتهر بالقوة والشطاره والابطال من حولهم متتابعه والرايات والاعلام من كل جانب مخفقه والسيوف تلمع من تحت الغبار والصيحات مرتفعه والجماجم مدحرجه فلما نظر عنتر ذلك ابيض سواده ورجف قلبه ونادى يا بنى عمى أما تنظرون الى تلك المصائب والله لقد حسبت ذلك الحساب واذا وصلنا الى الصفوف ما فيكم من يرد جواب بل احملوا وجددوا الطعن والضراب ثم انه مد عينه فرأى مواكب بنى عبس والملك قيس فى الانقلاب وقد مالت عليه كالعقاب فصرخ صرخة الغضب وكان جواده مع أخيه جرير بجنبه فقدموه وركبه وصار يطلب آخر الهاربين وأوائل الطالبين وركبت فرسان بنى عامر النجائب وتصارخت فرسان بنى عبس من كل جانب وعرفت عنتر وسمعت صوته فردوا الاعنه وقوموا الاسنه وصاحوا من شدة الفرح وانقلب البر بالصياح والتقى عنتر بذى الخمار واصطدما مثل موجات البحار وكذلك ملاعب الاسنه مع دريد بن الصمه واللقيط بن زراره مع عامر بن الطفيل (قال الراوى) لكن صدمة ذى الخمار مع عنتر كانت مصيبة عظيمة لانها ارتجت منها الابدان وشيبت الولدان وحيرت الشجعان وطال بينهم الامر وصار كل واحد منهم يهمهم كما يهمهم الاسد الجيعان وزين لهم وجه الهلاك فيا لها من ساعة ما أشد هولها لان بنى عبس عند عودتها رأت ذا الخمار ودريدا مشتغلين عنهم فطحنت المواكب التى خلفها وما كانت الا ظاهرة على أعدائها وانما ذو الخمار كسرها وأنزل بها العذاب لانه صبحهم فى الليلة التى صار عنتر فيها الى بنى عامر وقد ذكرنا انه خلى عندهم دريدا أسير وكذلك اللقيط بن زرارة وانه أصعب الاعداء الذين كانوا مع خالد بن الصمه وترك مقرى الوحش وقواه بثلثمائة فارس وما فارقهم الا وهم على غاية الاستظهار ولما ان أتى ذو الخمار تلقاه خالد بن الصمه وبكى فى وجهه وأعلمه ان أخاه أسير وأعلمه أنه لولا استظهاره كان قد هرب فى الليل فقال ذو الخمار وقد آلمه ذلك الكلام من أسر دريدا وفعل معكم هذه الفعال فقال له يا ابن العم فعلها معنا عنتر بن شداد ثم انه حدثه كيف ان عنتر كان غضبانا فى بنى عامر وكيف انهم كانوا أشرفوا على نهب أموال بنى عبس وهلاكهم وكيف أتى عنتر وأسر دريد بن الصمة فى المجال وفعل بهم تلك الفعال فلما سمع جبير منه ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينيه وقد غشى عليه وقال الحمق يا خالد تحدثنى بهذا الحديث فانه قرح القلب والاحشا وحق من حال بين الظلام والمسا لا خليت من بنى عبس من يمشى على عصى ثم انه غير جواده وغرق فى عدة جلاده وكان بنو عبس قد ركبت وتعدلت وعلى أعدائها قد استظهرت ولولا وصول ذى الخمار ما كانت حملت وانما اشغلها وصوله اليهم لانها كانت سمعت بأخباره وعرف منهم مقرى الوحش ذلك فتقدم اليه لاجل أن يتلقاه و يكشف عنهم شره و ينوب عن عنتر عند غيبته وكذلك فعل الكليم فارس بنى كريم لانا قد ذكرنا قتاله وفعاله مع بنى عبس وأخبرنا أنه كان فارسا جبارا وكيف لحقه بنو عبس وهو يقاتل عساكر دريد لما أخذوا أغنامه قبل هذا الكلام لانه كريم من نسل قوم كرام وكان معه ألف فارس همام وهم مقيمون معه فقتل منهم أوفى من مائة فارس والباقى معه يقاتلون بنيات صافيات وكان هذا أيضا مقامه وحفظه للعهود وقد وقع فى حبال الهوى والقيود لانه نظر الى الجمانة بنت

قيس لما خرجت مع جملة النساء وسارت الى بنى عامر ترضى عنتر بن شداد وكان نظره لها سبب هلاكه فى هذه البلاد فلاجل ذلك طاب قلبه على القتال وقد تصور فى قلبه أنه اذا قاتل ونصح فى القتال وانكشفت الشدة عن بنى عبس يطلبها من أبيها ويتزوج بها ويقيم عندهم بالكلية وهذا من جملة الاطماع التى تضرب بها الرقاب ولقد أحسن مجنون ليلى لما ذكر فى شعره هذا البيت

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تضرب رقاب الرجال المطامع

قال وهكذا صاحب هذا الرجل لانه تقدم فى الاول ينتظرون سبيع بن الحرث حتى يحمل عليه ويرد شره عن بنى عبس ويتقرب بالخدمة الى الملك قيس فطعنه سبيع فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره وأبصر مقرى الوحش هذه الطعنة فهالته وقال والله ما رأيت مثلها الا لعنتر ولقد صدق الواصف فيه وما نحن مع هذا الرجل الا على خطر ثم انه قاربه وتلقاه وقد خاف من غيبة عنتر أن تطول فطاعنه بالرمح ساعة من النهار فرآه جبار لا يقع له على عيار وأبصر سبيع أيضا مقرى الوحش فرآه فارسا عظيما وانه يجود فى الطعان فخاف أن يقضى معه الاوقات ولم يستدرك ما فات فاظهر التقصير والكسل وتبين للطعن موضع ومقتل وأمهله حتى طمع فيه وقاربه وضربه ضربة جبار على عاتقه الايسر فقطع الزرد وحل كتفه ورماه من على ظهر الجواد فلما نظر بنو عبس ذلك حملوا عن آخرهم وسائر جموعهم وحملت معهم فرسان بنى كريم وقد أصابهم على صاحبهم مصاب عظيم وكذلك جرى على قيس واخوته وما فيهم الا من قال قتل الكريم وما جازيناه على جميله وحملت مع سبيع الاربعين الالف فارس التى وصلت معه من بنى حمير وحمل أيضا خالد بن الصمة فى العسكر التى بقيت معه من بنى هوازن وجشم وتغيرت الاحوال والشيم وذل الجبان الغشمشم وتساوى الذليل والمحتشم وعاد الوجود عدم وأظلم النهار واغتم وولى الجبان وانهزم وتساوت العبيد والخدم وما أمسى المساء الا وبنو عبس يقاتلون حول البيوت والمضارب وقد فنى منهم جمع كثير من الفرسان والاقارب لان ذا الخمار نسفهم بسيفه نسفا وفرق صفوفهم بالطعن صفا وسقاهم من الموت كأسا صرفا وما مضى النهار وأقبل الليل حتى عدم من بنى عبس القوى والحيل ودارت بهم الرجال والخيل فقال ذو الخمار لاصحابه امسكوا عليهم الطرق والمذاهب وابصروا ما افعل بهم اذا طلع الفجر ولاح لانى قتلت فرسانهم الذين عليهم المعتمد وفى غداة غد ما أبقى منهم أحد وكان يحق لهذا الفارس أن يقول مثل هذا المقال لان العرب كانت تعده فى الحرب بألف فارس واذا كان معه ألف فارس كان يلقى بها سبعة آلاف فارس ولولا فرسان بنى عبس فرسان المنايا ما كانت أقامت بين يديه ساعة واحدة على أنهم ما باتوا الا وهم مشرفون على الهلاك وأرادوا أن ينفذوا الى عنتر رسول فما وجدوا لذلك وصول فباتوا يدبرون فى أحوالهم ويعدون رجالهم وعيالهم لانهم قد أبصروا أهوالهم وصار بنو زياد يقولون هذا فارس عظيم وهو أفرس من عنتر وأشد قتال وجلاد لان مقرى الوحش كان يناظر عنتر فى الشجاعة وما أقام مع هذا الشيطان الا ساعة وكانت بنو جشم قد شالت مقرى الوحش من تحت أرجل الخيل وشدته كتاف وتركته عند عروة بن الورد ثم ان الملك قيس لما رأى ذلك الامر أرسل الى سبيع يطلب منه الصلح فقال له يا قيس هذا الامر ما تراه ولا فى المنام والا تسلم الى بنى زياد الذين اشتركوا فى قتل عبد الله بن الصمة والا تركتكم كلكم مطروحين بين أطناب الخيام قال فلما سمع قيس ذلك الكلام عظم الامر عليه وأيقن بالاتراح وبات يفرق على عبيده وعبيد أهل الحلة العدد والسلاح ويطلب منهم المعونة على الحرب والكفاح وما زال على ذلك الايضاح الى ان أصبح الصباح وزحف ذو الخمار عند اقبال النهار وطلعت المواكب من سائر الاقطار وارتفع الصياح من العبيد والاحرار وعملت الصوارم عمل النار وأبذلت بنو عبس المهج وقاتلت قتال من أيقن بالهلاك وما فيهم من فكاك ونظرت يوما ما رأت أضيق منه وباتت تصيح بالنوائح وأنت أصحابهم من ألم الجرائح والقتلى بين الاطناب مثل البطائح ولما أن كان اليوم الثالث ترجل سبيع بن الحرث وأخذ ترسه والحسام وهجم على بنى عبس وهم فى الخيام وأطمعهم من المضارب قوة واقتدار وأنفذ جماعة الى دريد ومن معه يخلصوهم من الوثاق وأركبوهم على الخيول العتاق ولما أن وصلوا الى بين يديه هناهم بالسلامة والاطلاق وركب هو والرجال الذين ترجلوا

معه واتبعوا بنى عبس الذين تفرقوا فى أقطار الفلا وجرى من القصة ما جرى الى ان التقاهم عنتر بن شداد وعدنا الى سياقة الحديث والخبر واقتتلوا قتال من أيقن بالرحيل الى دار الآخرة وقد ذكرنا أن ملاعب الاسنة مع خصمه دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل مع اللقيط بن زرارة والامير عنتر مع خصمه ذى الخمار وهم فى قتال ونزال ومصارعة ومطاعنة تتعوذ منها الجبابرة والفراعنه ورجعت بنو عبس وقويت بالفرسان الذين وصلت مع عامر ابن الطفيل ظهورها وعادت على الاعداء بقلوب حنقه ورجعت من أقطار البر بعد ما كانت متفرقه ونادى بعضها بعض وقد استبشرت بوصول عنتر اليهم وقالوا يا بنى الاعمام حامينا قد كفانا شر ذى الخمار فخذوا أنتم من أعداكم بالثار واكشفوا عن أنفسكم العار (قال الراوى) وكان للقوم يوم ما أعجب منه فى الايام ولا أشد حربا منه والسلام لان الفريقين كانت تقاتل وقلبها متعلق بالفرسان الذين عليهم المعتمد وكان أكثر الاعتماد على ذى الخمار وعنتر بن شداد (قال الراوى) يا كرام وقد تطاعن الاثنان حتى طارت الرماح قطع وما بقى منها شئ ينفع وأراد كل واحد منهم أن يجرد حسامه فما أمكنه خصمه من ذلك بل انهما زعقا وافترقا واصطدما والتزما واعتركا على ظهور الخيل حتى قل منهما الجلد والحيل وأبصر عنتر تقصير جرة سبيع وقد تعبت من شدة ارتكاضها وقد انزعجت من شدة جريانها فزعق الامير عنتر بها فتخبل ورفس الجرة فى جنبها فوقعت ووقع سبيع من فوقها كأنه سنية الجبل ووقع عنتر فوقه كالصخر الجلمد فرض عظامه رض وهو فوق الحصى والجلمد وما وعى على نفسه وفاق حتى شدوا منه الوثاق فأبصر اللقيط هذه العجائب والاهوال فلوى عنان جواده وطلب المنازل والاطلال فرأى عامر بن الطفيل خصمه وقد هرب فرجع وضرب جواد دريد فانقلب وعاونه ابن خالته عليه حتى ملكه وكتفه فنظرت باقى المواكب الى ما حل بصاحبها فولت على أعقابها وقد تقطعت أسبابها وحملت رماح بنى عبس فى ظهورها وما زالوا بين هارب وطالب حتى وصلوا الى خيامهم والمضارب وكان الليل قد نشر دجاه وكل واحد منهم قد طلب النجاه ولم يسأل القريب عن القرائب ولا الصاحب على الصاحب وملكت بنو عبس خيامهم وأثقالهم وما بقى من أموالهم ورحالهم وخلصوا مقرى الوحش وعروة بن الورد وكان عنتر قد تخلف بعدهم ساعة زمانية وعادت روحه اليه حتى أبصر ما بين يديه لانه أبصر من ذى الخمار ما أهاله ولما أخذ لنفسه الراحة هناه ملاعب الاسنة وقال له يا أبا الفوارس لو بلى بهذا الفارس جن الارض السفلى لعجزوا عنه ومن قتاله فقال له عنتر صدقت يا غشم وانما أنا ما وصلت اليه الا لاجل القضاء والقدر والا فما هو ممن يغلب فى الحرب ولا يقهر ثم شدوه هو ودريد بن الصمة وأركبوهم وساروا بهم الى بنى عبس فرأوهم وهم فرحين بالغنائم والنصر والقهر لاعدائهم فهنأ بعضهم البعض بكشف الغمة وزوال الظلمة وشد عنتر الاسارى والتفت الى مقرى الوحش وسأله عن حاله فقال والله يا أبا الفوارس ما جراحى الا بالغة وما أقول انى أسلم منها وما تبقى يدى تنفعنى فقال عنتر يا أخى لا تضيق صدرك فجرحك هون ولا كنت فى قتاله مغبون ثم انه حدثه بما جرى له مع ذى الخمار حتى أسره وفرح بذلك مقرى الوحش وأصبحت القبيلة تحت أذيال المسره يهنى بعضها بعضا بكشف المضرة هذا وملاعب الاسنة قد دخل على الملك قيس وكان معه جماعة من قومه فهنوه بالسلامة وقالوا له يا ملك ان أعداءك صاروا أعدانا ودماك قد امتزج بدمانا ونخاف تتعب قلوبنا اذا كنا متفرقين والصواب انكم ترحلوا معنا وتنزلوا فى جوارنا حتى تهابنا قبائل العرب ويقاتل عنا وعنكم الطالب ويصير بيننا صلة ونسب وما زال على مثل ذلك حتى أجاب الملك قيس ورآه صواب وقد أمر بالرحيل الفرسان حتى يكونوا بجوار بنى عامر واختلطت العشائر بالعشائر وعملوا لبعضهم بعض الدعوات والولائم وتساووا فى الاموال والذخائر وتم الامر على ذلك عشرة أيام وتساووا فى الاموال والانعام وأصبحوا فى وسط الحى يتشاورون فى أمر دريد بن الصمة وذى الخمار وما يصنعون فى حقهم وكان بنو عبس قد عولوا على قتل الاثنين لاجل ما فى قلوبهم منهم فقال الاحوص ابن جعفر وسادات بنى عامر الصواب أن تمهلوا عليهم فى هذا الامر وتنظروا فى عواقبه واعلموا ان دريدا على كل حال شيخ القبائل وله فضل على كل حال على الجحافل والرأى اننا نأخذ عليه الميثاق والعهود ونمن عليه

بالاطلاق وعلى ذى الخمار ونكفى شر بنى حمير وبنى جشم وبنى هوازن ومن لهما من الحلفاء والفرسان قال فبينما هم فى الكلام واذ قد طلع عليهم غبار وقتام من ناحية أرض العراق فحققه بنو عامر وبنو عبس فركبوا على صهوات الخيل العتاق وقد قربوا من ذلك الغبار وحققوه واذا به سائر على مهل فحدقوا اليه بالابصار حتى بان للنظار واذا تحته أعلام مذهبات ورايات مكتوبات وجنود وازدهارات وهوادج مرتفعات وفيها جوار حبشيات وروميات وعربيات ومن بين أيديهم المقومات وهم مثل البدور وصبيان أحسن من اللؤلؤ المنثور وحولهم فرسان مثل الصقور وهم على خيول تسابق الطيور فلما رأى بنو عبس هذه الامور فأيقنوا بالافراح والسرور فقال الملك قيس والله هذه الاعلام كسرويه والرايات عراقيه نعمانيه وان صدقنى حذرى فهذه أختى المتجرده قد أتت زائرة الينا فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد صدقت وهذا الذى تحت الاعلام عمرو بن هند أخو الملك النعمان ثم ترجلوا من على الخيول وحققوا تلك الاخبار فظهر والهم وتبينوهم فعرفوهم وسعوا لهم على الاقدام وعقدوا المواكب الكبيرة وتقدم عمرو بن هند وهم أن يترجل فاقسم عليه الملك قيس أنه لا يفعل ثم انه سأله عن الاحوال وعن أخيه الملك النعمان فقال كما تعهدونه وهو عند الملك كسرى فى أعلا المراتب وهو حاكم على أعلا سادات العرب وأما أنا فقد أتيت فى خدمة وخدمتك لان أختك شكت اليه شوقها اليكم مرارا عديدة وسألته فى زيارتكم فأذن لها بذلك وسيرنى بها كما ترى وقد أتيت معها لاجل أن تقضى حاجتها وتبل شوقها بكم فلما سمع الملك قيس ذلك شكره وتقدم الى أخته وسلم عليها وأخذ بزمام ناقتها وسار يطلب أبياته وسائر الفرسان يمشون حوله فى ركابه وركاب عمرو بن هند وقد رفعوا أصواتهم بالافراح قال ولما وصلوا الى الخيام دخل الملك قيس باخته الى المضارب وأدخلها فى خيمته واجتمع اليها اخوتها يسئلوها عن حالها وهى تبكى وتبوسهم وتقول لهم ما أنا الا روح الملك النعمان وكل أشغالى تقضى بما أريد وما أنا الا عادمة رؤيتكم فقال الملك قيس وكذلك نحن أينما نزلنا تكون سيوفنا فى أعلى مكان ولكن والله اشتقنا الى الاوطان لاننا من حين قتلنا أولاد بدر ما برحنا الا مهججين فى البر ولولا سؤالك الى الملك النعمان ما كنا خرجنا من بلاد اليمن ولا شفنا هذه الاطلال والدمن فقالت المتجرده يا قيس ان أرضكم قطعها الملك لبنى فزاره حتى ترجعوا أنتم من بلاد اليمن وأنا فى هذه النوبة ان رجعت اليه ان شاء الله تعالى أخليه يصلح بينكم وبين حصن بن حذيفة ويردكم الى دياركم فقال قيس هذا الذى أريد حتى لا نكون قد خرجنا من تحت طاعته والا فنحن نقدر نقطع بنى فزارة الى الاثر ولا نخلى منهم فى الدنيا بشر ولولا هيبته ما تركنا لهم ذكرا بذكر ثم أخذ اخوته وخرج الى أخ الملك النعمان وترك المتجرده عند النسوان (قال الراوى) وكان أخو النعمان قد نزل على العيون والمناهل ومدت له الخيام والسرادقات وكان الكل من الديباج الرومى فدخلوا عليه هم والسادات من بنى عامر من بعد ما أمروا عبيدهم ينحرون النوق والاغنام ويروقوا لهم المدام وفى دون ساعة صحت الاغانى بالاصوات ودارت الافراح وكان الملك قيس واخوته عن اليمين وبنو عامر عن الشمال وأراد الامير عنتر أن يجلس فى ذيل المجلس فقام الملك عمرو اليه وأخذه فى يده وأجلسه عنده فى الجملة ولما دارت أقداح المدام ودار بينهم الكلام قال عمرو بن هند للملك قيس عجبا يا قيس اننى قد أتيت اليكم فى هذه المرة وأنتم فى راحة من الحرب فقال قيس يا ملك ومتى خف عنا كرب الحرب وبقى له عشرة أيام مقيمين فى الخيام ثم انه حدثه بما جرى لهم مع دريد بن الصمة وذى الخمار وما قاسوا فى الحرب الليل والنهار فتعجب من ذلك وقد سمع الحديث على صحته فقال له والساعة دريد وصهره عندكم فى الاسر والاعتقال فقال له قيس نعم واليوم كنا متولين على قتل الاثنين وأنت سعادتك لما أشرفت علينا أشغلتنا عن ذلك فقال له عمرو والله يا قيس ما كنتم معولين الا على بئس الفعال لانكم لو قتلتم دريدا الاود وذا الخمار ما كان يبقى منكم ديار ولا نافخ نار ولا يبقى لكم فى البر قرار يا قيس أما علمتم ان أمر دريد فى العرب مطاع مثل أخى النعمان لاجل ما قدر به من الشجعان وتفضل على الفرسان وحق خالق الشمس والقمر ان بقى عندكم شهرا آخر لا يقدم عليكم الا كل من ركب قتب وضرب فى الارض طنب والصواب أنكم تحضروه حتى اننا نقيم عليه فعاله ونصلح بينكم وبينه ونمن عليه بالاطلاق فعندها أمر قيس

باحضار دريد فمضى شيبوب خلفهم وأحضرهم قدام عمرو بن هند فلما نظروا الى أخى الملك النعمان خدما ووقفا ثم قال عمرو يا دريد ما هذه الفعال التى ما تصلح الا للجهال وأنت قد بلغت من الكبر الى هذا الحد ما آن لك أن ترجع عن جهل الصبا وترق فقال دريد وما الذى فعلت يا ملك هل أنا خرجت عن سنة العرب وأنت تعلم ان بنى عبس لما كانوا خارجين مرحلين من بلاد اليمن قتلوا أخى عبد الله عند منفرج اللوا وتركونى أنا طريحا بين القتلى ولما تسببت لى أسباب السلامة خفت من معيرة العرب فى أقطار الفلا فصرت أكشف عارى وأطلب ثارى فانكسبت عليه عار وأسرت أنا وذو الخمار بعد ما قتلت رجالنا ونهبت أموالنا وانخرق جاهنا غاية الانخراق وبقينا معيرة فى سائر الآفاق فقال عمرو الآن مضى ما مضى وأنت تعلم يا سيد هوازن ان الملك العادل كسرى ما ترك أخى مقدما على قبائل العرب الا حتى يصلح فسادها ولكن أشتهى منكم أن لا تشغلوا خاطره ولا تتعبوا سرائره بل يحالف بعضكم بعض وتطلبون طريق السلامة وتقبلون سؤالى وأنا أكتم عنكم ما جرى ولا أخبر أخى بذلك ولا أترك عليكم عتب ولا لوم لانك تعلم يا دريد ان بنى عبس اليوم أعز الناس عليه فيجب عليك أن تحترمه وتحفظ جاهه وتعاونه فى اصلاح القبائل ولا تتبع رأيك الجاهل فقال يا مولاى لو أمرتنى أرعى جمال بنى عبس رعيتها اكراما لك ولاخيك الملك النعمان ثم انه تقدم الى الملك قيس وعانقه وأخذ بيده على الصلح وعاد الى عنتر ليفعل معه كذلك فقام الامير عنتر اليه وقبل صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وأما ذو الخمار فانه قال لا أصالح عنترا حتى انه يبارزنى بين يديك ويجول معى ساعة من النهار ولا يفارقنى حتى يقر أحدنا لصاحبه بالغلبة وتشهدون أنتم للغالب بعلو المنزلة ولا أمضى الى أهلى وفى قلبى حسره لانه لو ما علم بما كان فى تقصير حرقنى وضعفها ما كان بلغ منى ما أحب وما أختار وهذا أمر قد خطر ببالى واشتهى أن أحققه عند الانصاف حتى لا يبقى لى عند العرب خلاف فلما سمع عمرو من ذى الخمار ذلك الكلام علم أنه جبار لا يصطلى له بنار وخاف أن تزيد الاحقاد بينه وبين عنتر بن شداد فقال يا سبيع نحن قصدنا اصلاح الحال وما قصدنا عودة الشر والكفاح فقال ذو الخمار والله يا ملك ان هذا القول ما قلته على سبيل البغى ولكن أنا أبين لك قصدى بهذا الكلام وهو انى فى هذا العام كنت معولا على الحج الى بيت الله الحرام وأعلق لى قصيدة من شعرى حتى تشهد لى ملوك الاقطار ويعلو بها قدرى عند سادات العرب والآن فقد أصبحت مأسور وما بقيت أعتمد على أمر من الامور الا ان قهرت هذا الجبار وتشهد لى العرب بعلو المرتبة والاقتدار فعندها قام عنتر على قدميه والغضب قد غلب عليه وقال والله يا سبيع ما أنت الا فارس مليح الاوصاف ولولا انك أوحد الزمان ما ندق العرب بسبعة آلاف من الفرسان ولكن يا وجه العرب ان السعادات لها أوقات وان اشتهيت أن تبارزنى على سبيل الاختبار أنا أبلغك ما تحب وما تختار ولكن فى غداة غد يكون من أقبال النهار حتى لا نتغص على هؤلاء السادات وما أبرزك وحياة رأس هذا الملك الا وروحى خال من السنان وما أبرز اليك الا وأنا عريان من الزرد وتشهد علينا الفرسان وان دمى لك حلال ودمك على حرام قال فلما سمع الحاضرون كلام عنتر تعجبوا منه وقالوا ان هذا والله أمر عظيم وما حكم به أحد من فرسان العرب على نفسه لان قليلا من يطلب قتل خصمه والآخر يطلب بقاءه هذا وذو الخمار قد التهبت أحشاه بنار لانه من حين ركب جوادا ما أسر ولا جرى عليه مثل هذه النوبه ولا قهر ولما رأى الجماعة تعجبوا من قول عنتر قال يا سادات العرب أما هذا الشرط الذى شرطه على نفسه ما أقبله ولا أدخل تحته ولا أريده ولم يخرج لى الا وهو كامل العده ويكون فى رؤس الرماح خرقة مغموسة بالزعفران ومن وجد فى صاحبه مقتلا طعنه فيه وعلم عليه واذا افترقنا تتقدم الفرسان وتعد الطعان وتبصر مواضعها فى الاعضاء وتحكم للمغلوب والغالب على قدر الطعن الصائب وان حكم على نفسه وطلب الانصاف فليبرز على جواد خلاف جواده الابجر ويركب على الخيول المجهولة مثل ما أركب حتى لا يبقى عليه حجة ولا كلام لانكم تعلمون ان الخيل اذا ألفت فرسانها وعرفت مواقع طعانها هابتها فى ميدانها وأطاعتها على الانقلاب والالتفات وساعدتها وقت المقابضة باللقا فلما ان سمع الحاضرون كلام سبيع عرفوا معناه فأجابه عنتر الى ما قال وانفصلوا على مثل ذلك الكلام فقال أخو النعمان نحن غدا نجعل شرابنا على الغدير العظيم وتكون فرجتنا على برازهذين

الفارسين ولا نعود الى المضارب حتى نشهد على المغلوب ونخلع على الغالب ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من انتهاب اللذات وشرب الاقداح الدائرات ودريد يحدثهم بحديث الملوك القدما وينشدهم اشعار الفصحاء والحكما حتى دارت فى رؤسهم نشوة المدام وكان أول من انصرف ذو الخمار وقد سكر من الغيظ أكثر مما سكر من العقار لاجل عزة نفسه ونخوته فمضى الى المضارب التى كانت خليت لدريد بن الصمة ونقل لهم ما يحتاجون اليه ودخل عليهم الظلام وفرق الكاس شمل الناس وما فيهم من انصرف الا وهو يهجس على قدر سكره بما يريد يجرى عند الصباح بين عنتر وربيع بن الحرث وكان عنتر قد مضى مع أبيه وعامر بن الطفيل وهو لا يصدق أنه يرى وجه عبلة ويحظى منها بالوصال والذى جرى من أمر البراز والقتال لم يخطر له على بال (قال الراوى) وكان عند الصباح جلس الملك عمرو بن هند وسادات العرب والمتقدمون للسلام وذكروا ما جرى بينهم فى السكر من الكلام قال واذا بعنتر قد أقبل وهو على مهرة صفراء صلبة العصب والعظام وبيده رمح بلا سنان وعلى جسده ثوب خام قصير الاكمام وهو مكشوف الرأس حافى الاقدام فلما وصل الى الباب ترجل وسلم عدته الى أخيه ودخل وسلم على الملك والموت يلوح من بين عينيه ولسان سلم وقف مع جملة القيام وسأل عن خصمه ذى الخمار فقالوا له يا أبا الفوارس ايش هذا الاحتقار اما تخاف من ذى الخمار فقال لا والله يا بنى الكرام ولا خطر كلامه لى على بال ولابد ما أخليه فضيحة بين الرجال قال فبينما هم فى الكلام واذا بدريد بن الصمة داخل عليهم فسلم وخدم فقام له كل من كان حضر وأجلسه أخو النعمان الى جانبه فلما استقر به الجلوس سألوه عن ذى الخمار وعن مبيته وسكره فقال يا سادات العرب ان أحوال الزمان عجيبه وما يحق لاحد أن يتكلم فى أصحاب السعاده ولا يطلب ما لا يقدر عليه الا أصحاب المشيئة والارادة بل نخضع للصورة المسعوده ولو انها من الحجر منحوته ويبصر ان قضى عليه القضا والقدر وأنا من اليوم أريد أن أجعل عنتر عضدا وسندا وأتخذ بنى عبس ذخرا ومعتمدا فقال له عمرو وكيف ذلك يا أبا النظر وما الذى قد لاح لك من البرهان فقال يا مولاى ان ذا الخمار قد أصبح فى حالة العدم وهو ينتفض فى جور أم ملدم وقد خلته مدثرا مزملا لا يعقل على من غاب ولا من حضر واما قوله عن أم ملدم فهى الحمى الصلبه وأما قوله مدثر مزمل فلقوله صلى الله عليه وسلم عن المجاهدين زملوهم فى ثيابهم يعنى ادفنوهم فيها وادفنوهم والحق سبحانه وتعالى خاطبه بالمزمل فلما سمع الحاضرون ذلك تعجبوا من هذا الامر فقال عمرو بن هند يا قوم ما هذا من سعادته وحده بل انا كنا فى ذلك الحظ الاوفر لاننا قد استجرنا من اللجاج وحفظ هذين السبعين الضاريين لانهم ما كانوا يفصلوا بخير وسلام ثم انهم عادوا الى ما كانوا عليه من شرب الراح واغتنام اللذات الى ان انقضى من النهار ساعات وبعد ذلك أحضر أخو النعمان الخلع التى كانت وصلت معه من عند أخيه الملك النعمان فخلع على الملوك والامراء والفرسان وما فيهم الا من راح وهو يسحب أذيال الحرير والديباج ويميل سكرا وابتهاج وكان عنتر قد أتى وعليه ثوب خام فعاد وعليه خلعة من ملابس الملك النعمان كلها مكتوبة بالذهب الوهاج وعلى رأسه عمامة كبيرة خضراء كأنها من رياض الجنة وكذلك كانت حلة دريد ابن الصمه لان عمرا طلب بذلك جبر قلبه وبعد ذلك بقيت الدعوات والولائم فى خيام الملوك وتساوى فيها الغنى والصعلوك تمام عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب دريد الرواح والانصراف ثم قال لعمرو بن هند يا مولاى قد ثقل ذو الخمار فى مرضه والصواب أن أحمله الى قومه واقصد بذلك التخفيف عن قلوبكم على ان لى فى ذلك الفائدة العظمى الكبرى لان خبرى ان غاب عن قومى جمع أخى خالد القبائل وأزعج العرب وطلب خلاصى وما بقى فى الامر غير المسير فلما سمع عمرو كلامه استصوب فعاله وسائر من حضر فعند ذلك رد عليه الملك قيس ما كان نهب من الخيام والمال والخيل والرجال وسيره وهو شاكر وخدم عمرو بن هند أخو الملك النعمان تمام العشرين يوما تمام وبعد ذلك قال عمرو اعلم يا ملك ان أخى النعمان ما أمرنا أن نقيم أكثر من عشرة أيام فنحن قد أقمنا عندكم عشرين يوما ولا بقى لنا مقام ولابد من المسير فى هذه الايام فودع أختك واوصها بما تريد وجهزها حتى أعود بها على بعلها لانك تعلم انه ما يقدر يصبر عنها فقال قيس سمعا وطاعة ثم انه أخذ فى تجهيزها وكانت هى قد أخذت من الزيارة وطرها وأعطت نسوان الحى من الخلع والهدايا وجددت بانزالها العهود فلما أخبرها أخوها

قيس بما سمع من عمرو قالت والله يا أخى صدق وما بقيت أقدر على هذا المقام عندكم ثم انه جهزها فى ثلاثة أيام وخرجت الى الخيام التى فيها عمرو بن هند وسارت فى اليوم الرابع وقد سار معها كل من كان فى الاحيا ولم يبق فى الخيام غير النسوان ذلك اليوم الثانى وفى اليوم الثالث ردهم الملك عمرو بن هند وحلف عليهم وودعهم وعادوا الى الابيات وانجلت لهم الاوقات ووقعت هيبتهم فى قلوب السادات وكان مقرى الوحش قد برئ من جراحه ومرضه وفرح به عنتر الفرح الشديد وصار يقضى معه الاوقات فى الخلوات وشرب المدام الى ان عادوا فى الصحبة كما كانوا ثم ان عنتر صار مواظب الشرب على المروج والغدران مدة من الزمان وكان يخرج ومعه عامر بن الطفيل وجماعة من الفرسان فجرى بينهم حديث ذى الخمار وما قاسوا منه فقال عنتر يا بنى عمى ما هو الا فارس همام لا يوجد مثله فى الانام وما سار الا وقد ترك فى قلبى نارا وكلام فقال له يا أبا الفوارس وما هذه النار والكلام ابديه لنا ولا تخفيه فقال لهم ان ذا الخمار لما كان بحضرة أخى الملك النعمان والملك قيس والفرسان قال لهم ان قبل أمرى له فى ذلك المقام كان أراد أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويترك سادات العرب يسجدوا لها فزعا من رمحه والحسام وها أنا اقدر منه عليها ولابد لى ما أبذل روحى فيها وأترك ابنى عبس شرفا يبقى من بعدى فقال مقرى الوحش والله يا ابن العم ما أنت الا قد وعدت على تعبنا الى مطالع الشمس وتحرم أحدا يقول أنا من بنى عبس وتجاب انا فرسان العرب من بعد منها ومن اقترب ومن سائر البرارى والقيعان وتترك المنادى ينادى فى ديارنا بالقلمان والله يا فارس الزمان ان هذا الامر ما يقدر عليه الملك النعمان ولا كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ولو استعان بملوك عبدة الصلبان فقال له عنتر قصدك تكسر أغراضى فوحق من ركب الارواح فى الابدان وجعل الارض ميدان وسمى نفسه بالرحيم الرحمن لابد أن أبلغ هذه المنزله ان ساعدنى الملك الديان خالق الانس والجان وان قتلت ونفذت فى سهام الحمام فلا عتب على الايام لانى ما أظن أحدا يبقى قد خلد من الانام ولا ترك الموت شيخا ولا غلام قال فلما سمع عامر بن الطفيل هذا الكلام ظن انه سكران ولم يعب على انسان فغمز مقرى الوحش وقال بالله عليكم يا وجوه العرب دعونا الساعة من هذا الكلام وأدير واعلينا أقداح المدام لان هذا حديث ما يجاب الا منه عسره وما هو الا هم ومضره ولا يمكننا أن نعزم على هذا السبب حتى نشاور عليه ملوك العرب والا كانت آثارنا تنقلع عن آخرهم وتزعق فى ديارنا الغربان ثم انهم أخذوا فى شرب المدام وتحدثوا فى عنتر بهذا الكلام قال وكان عروة بن الورد قد قدم من وليمة الربيع ابن زياد وراهم مجتمعين كما ذكرنا على المدام وجرى بينهم ذلك الكلام كما وصفنا فقال له عنتر يا أخى أوحشتنا فى هذه الايام فأين كانت غيبتك يا ابن الكرام فقال عروة يا أبا الفوارس كنت فى دعوة الربيع بن زياد ويا ليتنى ما كنت حضرت دعوته فقال له ولم ذلك فقال له أنت تعلم أنه كثير اللجاج من دون الانام وقد جرى بينى وبينه مخاصمة وهى من أجلك فقال له عنتر ولم ذلك فقال له وقع بيننا فى الشعر والنظام فقلت له يا ربيع ما يوجد اليوم فى بنى عبس وعدنان أفصح من عنتر لسان ولا أقوى منه جنان ولا أبطش بنان فعند ذلك قال الربيع يا ابن الورد أنا عملت قصيدة زهريه لا يقدر ولد شداد ولا غيره من فصحاء الزمان يقول منها بيتا أو بيتين وها أنا أنشدك اياها فافهمها منى وأنشدها وأظهرها عنى ولا تخفيها ثم انه أنشد يقول

قدم الربيع بزهرة المتسلسل * والغيث بين مروجه متجدول
وعلى الرياض من الزمرد خلعة * أطرافها رقت بأنواع الحلى
من أبيض فى أصفر ومعصفر * متعقر فى أزرق متجلى
والطير يشجع فى الاراك مغردا * والغصن يرقص حين غنى البلبل
وتصفق الاوراق فى أوداجها * بثمارها والشرف فيها ينجلى
فانهض الى الراح القديم مبادرا * ودع العزول مع العذول بمعزل
فالعمر ايسر ما يكون وينقضى * ودع أعداك البلا بالمفصل
أما الجبان يموت بين غوانى * وكواعب يندبنه فى المنزل

وأما الشجاع يموت فوق صوامر * تحت السيوف مع ازدحام القسطل
فانهب زمانك اذ يكون مواليا * ما بين ندمان وبدر مكمل
وأنا الربيع أخو عمارة في الوغا * ابن الاكارم والاناس الفضل

(قال الراوي) ولما فرغ عروة بن الورد من انشاد زهرية الربيع بن زياد قال عنتر هذه القصيدة التي لا يقدر أحد يعمل منها بيتا أو بيتين ولا ينظر شكلها ولكن اسمع مني على البادية ما سمح به الخاطر وما تبديه السرائر وما أكنت به الضمائر في وقتنا هذا الحاضر قصيدة مثلها أصحاب القصائد المعلقة على البيت الحرام ولا ينال أحد غيري هذه الطبقة من سائر الانام ثم ان عنتر ترنم وجعل ينشد ويقول

قم واسقني وانهب رحيق السلسل * واشرب ولا تحفل بقول العذل * لا غرو ان راض الربيع رياضها
قبل اقتناء اجليت بانواع الحلل * والروض بين تألف وتهتف * وتعطف وتصرف وتململ
بمخضر في أصفر ومعصفر * ومعنبر ومكوفر ومصندل * ومفضض ومذهب ومكثب
ومقمع ومرصع ومحلل * والجو بين معاس ومعبس * وتنزل وتبرق وتسلسل
والطير بين مغرد ومعزم * وترنم وترخم وتجلل * والزهر بين مفتح ومطرح
ومفلج وملوج لم يكمل * ما بين منشور ركثوب معلم * لكنه بيد امرئ لم يعمل
والورد بين مبهج ومفرج * ومتوج ومرهج ومكلل * يزهو باحمر كالعقيق وأصفر
كالزعفران وأبيض كالسجل * غصن النبات بديعة ألوانه * حكته ألوان السحاب المهطل
وبنفسج يحكي اذا عاينته * آثار قرص في ذراع ممثل * والنرجس يحكي العيون اذا رأت
أجفانها لكنها لم تكحل * وكأن مبيض الاقاح ثغور من * يزهو على حسنه المتدلل
وكأنما الشيح الزكي نسيمه * يحيي النفوس اذا جرى في شمل * وكأنما شجر النخيل عرائسا
يجلون في حلل الشعور راسبل * وكأنما النارنج في أغصانه * حضر المطير في حريق يشعل
وكأنما جرى المياه اذا بدت * من جدول وتحدرت في جدول * حيات فرت تختفي من مستطلب
يسعين سعي الخائف المستعجل * والروض بين أوانس وعرائس * ومنافس بمذهب ومثقل
بادر الى خلس الزمان لانها * فرص وان الدهر ليس بمقبل * والزم هذا واجسرن له
وأقبل اليه اقبال دهر مقبل * هذا هو العيش الذي ما مثله * في دهرنا ولا الزمان الاول
وأنا ابن شداد واسمي عنتر * فوق الثريا قد علوت بمنزل

ولقد وقفت على دواوين المتقدمين والمتأخرين وجميع النظام فاسمعت ولا رأيت أعظم وأحسن من هذا الكلام ولما سمعت الحضار هذه الزهرية من عنتر بن شداد فما منهم الا من تحير من فصاحته ثم انهم أثنوا عليه بكل لسان وتمايلت الحضار طربا واهتزت عجبا وقال عامر بن الطفيل لعنتر لا فض الله فاك ولا كان من يشناك فما أفصح لسانك وأقوى جنانك وحق ذمة العرب لقد شوقتني الى الشعر والنظام وقد اشتهيت أن أعارض الربيع في الكلام وأنشد يقول

راق الربيع لنا باحسن منظر * والنرجس الغض الرطيب كناظري * والغيم باك والزهور تبسمت
والوقت صاف لم يكن متعكر * وكذا بكاء السحب فيها قد حكت * تخرج لنا زهر الرياض العبقري
فانظر اليه محبب ومكتب * ومعشب ومذهب ومجوهري * من أزرق ومحقق ذو رونق
وشقائق وحدائق ومعطري * مع أصفر وأحمر متعصفر * في أصفر ومدور ومنثري
وكذلك العصفور فوق غصونها * تبدي فصاحة راهب في منثري * وكذا الهزار رقيا ومسبحا
ومقدسا ومهللا ومكبري * والغصن ساجد والزهار رواكع * صنعة الله قادر ومقدري
والروض جامع الازهار ببسطه * وقناديل الاترج فيه تنوري * والكاس دائر والحبيب منادمي
والدهر طوعي والزمان مدثري * فاذا شربنا الخمر في كاساتها * يبدو لها حبب ودر جوهري

بكرا شموسا عتقت في دنها * عذرا وان لم يلها مكبري * فكأنها شمس وبدر كاسها
قد خالط الجوزا يريد المشتري * ها حضرة الانس التي تسمع بها * فاشرب وامل وأزل تكدري
بيع القفا واشتري العقار تكرما * لا خير في مال يكون مكدري * واجل لنا بنت القسوس وزقها
في الروض بين منظم ومنثري * فالكاس قد راق اشتياقا لاجلها * وبقي علينا مثل عود أصفري
والشمع يحكي عاشقا آلم قلبه * نار الهوى خليت ولا تتفجري * هذا هو العيش الذي ما مثله
والزهر راق لم يكون معكر * فاشرب بكاسات السرور مبادرا * فالدهر لا يبقى وجل مغير

(قال الراوي) فلما ان فرغ عامر بن الطفيل من شعره تمايلت الفرسان طربا واهتزت عجبا وقال له عروة ابن الورد والله يا أخي لقد شوقتني أن أعارض الربيع في أقواله وأتبع منك مقالك لانني أنا من بعض رجالك وقد أردت أن أقول شيأ خطر ببالي ثم أنشد وجعل يقول

راق الربيع وأشرقت أنواره * والعبقري تفتحت أزهاره * والغيث هامل ثم هامي أدمع
والارض ابتهجت بطيب مراره * وأبدت لنا من سوسن وشقائق * وقرنفل وبنفسج وبهاره
وكذلك الخزام لم يعطره * والورد مايس والنسيم دثاره * والنرجس الذبلان يحكي عاشقا
بضعف حزين قد علاه صفاره * قد نظم النسرين معه نوفر * وكذلك المنثور أبدى بثاره
والدوح بين معبق ومغبق * ومطرق منسعر وزاره * وكأنما السرو الطوال اذا زهت
وتمايلت في سندس وخماره * يشبهن هيفا للتودد اذ بدت * مياسة ميالة بشعاره
وكذلك الاترج فوق غصونه * يحكي مشاعل ركبت في أنواره * وكذلك الغدران في جريانها
أحناش كل طالب أوكاره * فانهض الى هذا الرياض غمرة * محرو برد عن فؤادك ناره
وانهب زمانك لا تقول الى غدا * واسمع أديبا قد نظم أشعاره * فالدهر لا يبقى بحال واحد
* يصفو ويحدث بعد ذاك أمراره *

(قال الراوي) فلما ان فرغ عروة بن الورد من شعره ونظمه فقال مقري الوحش وأنا الآخر أعارض الربيع بن زياد وأما أبو الفوارس عنتر فان ما في عصره من يلفظ بلفظة من كلامه ولا يضاهيه في شعره ولا في نظامه فعندها قال عنتر يا فارس النياق ما أنا الا عبدك وعبد هؤلاء الشجعان وأريد أن أسمع منك ما قد خطر ببالك حتى انني أتبع مقالك فقال مقري الوحش أنا ما قلت الآن أعارض الربيع بن زياد لانه لي والك من جملة الاعداء والحساد فقال الامير عنتر هات ما عندك فما أنا الا من بعض غلمانك وجندك فشكره مقري الوحش وأثنى عليه وبعد ذلك جعل مقري الوحش ينشد وجعل يقول

الغيم يبكي في السماء ويهطل * بمدامع تنهل من قطر الندى * والزهر باسم في الرياض كأنه
بسط يحاكي لونهن زبرجدي * صنعة الله العرش جل جلاله * رب لطيف واحد متفردي
وكذا تكون الشمس عند طلوعها * يبقى ضياها أحمر متوقدي * ومفضض ومذهب ومدثري
ومجوهر ومعبقر ومعوردي * والآس بين شقائق وحدائق * والغصن بين موشح ومقلدي
والطير بين مسبح ومقدس * وتهلل وتكبر وتمجدي * والماء بين ترقرق وتدفق
وتبهرج وتسلسل وتجيدي * والدوح يرقص والنسيم مشبب * والنهر صفق في الجروف تقرري
والورد يحكي في الغصون محاجر * نار على ماء الحيا لم تخمدي * والياسمين مفتح ومغلق
يحكي به عقول الحسدي * وكذلك الزهر أصبح ناعما * في ثغره سيرا بأنه الندي
والاقحوان بقوسه وبسيفه * يلمع ولم يقطع بحده بندي * والنوفر أصبح غارقا في نهره
واصفر خوفا كاد ان لا يهتدي * والنشق ظهر بنفسج عطراله * حتى الشقيق شق الثياب تعمد
والنرجس العطشان أصبح عائلا * يشبه حزين مفارق لا يهتدي * والآس وسوسان حين تراهم
ما بينهم شيء يعاب من الردى * في جامع الازهار شبه قنادل * تشعل لنا نارا اللهيب توقدي

وأما الهزار مسبح ومؤذن * من فوق رأس الدوح بالصوت الندى
والطير يخطب والغصون منابر * وسائر الاثمار منهم سجدى * من بعد هذا قد رأيت عجائبا
الصبح يطرد الظلام الاسود * وذلك صنع الله جل جلاله * قد أتقن الاشيا عالم تهتدى
خلق الخلائق ثم قدر رزقهم * رب تعالى واحد متجدى * أجرى الامور بحكمه فى خلقه
من ذا يعارض حكمه أو يعتدى * خلق العباد مخالفا ألوانهم * بيض وحمر منهم وثم أسود
فيهم غنى حاله متيسر * يصبح ويمسى فى نعائم سرمدى * ولمن أراد لفقره لامسعد
يغنيه منه سوى الاله الواحد * يشقى ويسعد من يريد بفضله * يعطى ويمنع واحد لا يجحد
قسم المعايش بينهم من عدله * وكذا خزائن رزقه لا تنفدى * يقبض ويبسط ثم يرفع خاضعا
يدنى ويجعل من يشاء متباعد * فانظر لحكم الله فى أحكامه * جل الاله الواحد المتفرد
لارب غيره نعبده سبحانه * تبا لمن جاحد أو لحد * لا خالقا للناس غير الهنا
فتبارك الله العظيم الواحد * وأنا بعقرى الوحش اسمى فى الورى * لكن بعنتر صرت انى مهتدى

(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره ونظامه قال له عنتر لا رد الله فاك ولا كان من يشناك يا فارس النياق ومطير الاحداق ولكن أنا قد خطر ببالى انى أقول فى حضرتكم هذه الساعة شئ من الابيات قد خطرت بقلبى حتى تسمعها هؤلاء السادات فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس ويا زين المجالس هات ما عندك من الشعر والنظام فعند ذلك أنشد عنتر يقول

أرى ظلام جفاكم يتشعشع * وضياء فجر رضاكم يتقنع * فلقد أضاء الهجر منكم مهجتى
فمتى أرى التواصل قرا يطلع * ومتى أرى شمس الوصال منيرة * فى برج سعدى والكواكب تلمع
ومتى أرى ذاك الجمال مشاهدا * لا ارخيا سترا ولا متبرقع * واكرر النظرات فى روض ابها
وأنا باول نظرة لا أقنع * وأقول للعذال موتوا حسرة * هذا الحبيب وها أنا لمتمتع
أخجلت الحساد رؤيته عملة * فى غفلة الرقبا وطلى المرتع * وار وض بين مبيض ومخضر
ومحمر ومصفر يتشعشع * والشيح والمنثور ثم بنفسج * ثم الخزام تمدهن الزعزع
والسوسان بين مفضض ومذهب * ومصبغ ومجوهر ومخدع * والطير بين مترجم ومرنم
وموضح ومحبن ومسجع * والدر والقمرى فى أغصانها * ولهن فى تلحينهن تخضع
وكذلك الكيروان يشهو سوطه * ويهزوق دمغه ويشيع * يسمع لها سحرا سماعا مطربا
هذا يترجم ثم ذاك يجعجع * والعيش بها والحبيب منادمى * والكاس مترع والهنا يتردع
والوقت صاف والمدام يديره * بكرا عروس يجتليها الاروع * ماحازها كاس ولا علق بها
فى يد عصار ولا يتصنع * بل عمرها من منذ الست بربكم * وأنا بها لخطيتى أتشفع
ياصاحبى ان تردأن تحظى بها * فتذل طوعا للحبيب وتخضع * ماهنهما أمرى وقوة صفوتى
لاشك كنت بعملة متواح * وبعت نومى واشتريت شهوتى * ياخيبة الشارى وفرح البائع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات حتى تمايلت السادات وزادت الناس سكرا على سكرهم وتحير وامن هذه المقالات والصفات وهذه الفصاحة والبلاغة وتعجبوا من حيرتهم فى أمورهم ثم قال مقرى الوحش زادك الله فصاحة وشجاعة وبراعة يا أبا الفوارس وقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ويا زين المجالس مابقى أحد يقدر يسبقك الى هذه الفصاحة والمعانى فعندها قال عنتر يا أبا الابيض فمن يكون هذا المقال مقاله وهذا القتال قتاله ما يصلح أن يعلق له قصيدة على البيت الحرام ويفتخر بها على الخاص والعام فعندها قال عروة لابد ان كان لك فى الغيب آمال لابد أن تلحق بأصحاب المنازل العوالى والفصحاء من العرب والاقيال قال فبينما هم فى الكلام والشرب واللهو والطرب اذ أقبل عليهم رجل من صدر البر وهو طالب الخيام وعلى كتفه حقيبة من الطيب وهو يهمز من تحتها كهمزات الغزال فقال مقرى الوحش وقد طلب بذلك أن يشغل الوقت

بشئ مما هم فيه فقال يا شيبوب ائتنا بهذا الحدار حتى نقضى معه باقى النهار ونسأله عن ما لاقى من العجائب والغرائب عند دورانه فى الاقطار فقال عنتر والله يا ابن العم لقد أصبت ونلت الآمال فيما ذكرت بيننا من المقال فعقلاء العرب تستعمل المقال عقبا فعال ائتنا به يا شيبوب قال فانطلق شيبوب مثل شعلة النار وقد أتى ومعه الحدار فلما نظر الرجل الى ارتفاع القباب وكاسات المدام تدور رأيقن بالحبور ورمى الحقيبة من على أكتافه وخدد وسلم وقال جعل الله أيامكم كلها أعيادا ومواسم وجمام السحاب تمطر عليكم سرورا دائما لانكم فى أوقات الحظ والاغتنام فاذا رآها العاقل سعى اليها وتقدم فابقاكم الله بالفرح والارواح وأنزل على دياركم الفلاح والنجاح وعلى ديار أعداكم الاتراح ثم أشار ينشد يقول

ولازال النعيم لكم قديما * يخبركم بكاسات الخمور * فهذا يابنى السادات وقت
يسلى صاحب الهم الكبيرى * فهموا واقطعوا عيشا هنيا * ولذوا واسمعوا قول المشيرى
لقد ذل الزمان لكم قديما * بخيل تشتهاها ذات الشهور * فان أعطيتم الايام مالا
فلا تشروا بها غير السرورى * فكل فتى يرضى غنيا * يعيش عياله عيش الفقيرى
وعند الموت يلقى شر بؤس * ويسكن فى وسط نار السعيرى * فان أعطى وصدق واتقى الله
فيابشراه فى يوم النشورى * والله يخفف وزر ظهره * ويرقى فى الجنان أعلى القصورى

(قال الراوى) فلما فرغ الحدار من شعره وهذه الابيات تعجب الحاضرون من كلامه وحسن نظامه فقال له عنتر ان هذه مقالة بالغة تحث العاقل على نهب عمره قبل فناه وتهون عليه بذل جميع ما ادخره وحواه فى دنياه ثم انه أمر الحدار بالجلوس فجلس وأتى له بما أكل وشرب ودارت عليه أقداح المدام وبعد ذلك أقبل عليه الامير عنتر وقال له من أين طريقك هذا يا فتى فقال له الحدار من مكة يا مولاى فقال له عنتر هناك مقامك فقال لا والله يا مولاى ولا أقمت هناك الا خمسة أيام بقدر ما اشتريت الحصان وخرجت أدور رحال العرب كما ترى فقال له عنتر وما الذى رأيت فى أسفارك من العجائب فقال والله يا مولاى قد رأيت فى الكعبة كلما جرى للانام ورأيت كل عجيبة مع الاصنام التى على البيت الحرام فقال الجماعة وقد صغوا الى كلامه بالله عليك يا وجه العرب حدثنا بهذا السبب وأبشر بنيل الارب وبلوغ الطلب بلا تعب ولا نصب فعندها قال الحدار اعلموا يا سادات العرب أننى فى هذه الخمسة أيام التى أقمتها فى البيت الحرام عبرت ذات يوم الى الكعبة وأردت بذلك الفرجة فرأيت قصايد ملوك العرب التى هى على البيت الحرام وعبد المطلب جالس على العرنوس الذى يعظ الناس عليه وقد جمع أهل الحرم اليه ومعهم من الفرسان خلق كثير لا يقع عليهم عيار وهو يعظهم ويخوفهم من شدة هذه الاعوام ويقول يا معشر العربان اصدقوا فى الكلام واحفظوا الذمام واطعموا الطعام واحسنوا الى الارامل والايتام ففى هذا العام يظهر الرجل الذى يرمى الاصنام ويعظم قدر البيت الحرام ويجلو عن أبصاركم الظلام وينزل عليه من السماء كلام تعجز عنه الافهام وينشق له البدر التمام بأمر صاحب الاحكام ويبين لكم الحلال من الحرام ويوضح لكم الحق من الباطل بالمعجزات والدلائل فاجتنبوا الكذب والنميمة وراقبوا صاحب القدرة العظيمة لعل هذا الرجل يراكم وأنتم على الطريقة المستقيمة فيسكن هذه الديار ويتخذكم له أنصار ويذل بكم أهل الامصار وتنقلبون الى مقلب القلوب والابصار (قال الراوى) ومازال الحدار يحدث عنتر وأصحابه بهذا الكلام حتى اشتغل القوم عن شرب المدام وما فيهم الا من قال هذا الحديث قد سمعته مرارا عديدة وتواترت به الاخبار وكنا نشتهى على الله أن يمدنا بالاعمار حتى يبعث هذا الرجل ونراه وننصره على من عاداه فقال الحدار يا سادات العرب وما هذا الامر الا قد اقترب وفى اثره تطلع شمسه وأنا احدثكم بأعجب من هذا الحديث وأغرب لانى قد سمعت هذا الكلام من عبد المطلب وقد اشتغل خاطرى وبت وهو فى ضمائرى فرأيت فى المنام وهو كأنى واقف قدام الهبل وهو الصنم الاكبر الذى على الركن اليمانى وكأنى سألته عن هذا الرجل الروحانى وقلت له يا مولاى متى يكون ظهوره وفى أى مكان.

ينتظم سروره فقال لى اذا أينعت نخلات يثرب ووقع الجوع والغلاء فى بلاد المغرب وانشق ايوان كسرى وخرب ووقعت الوقعة العظمى وعلق قصيدته فارس بنى عبس الادهم وأحل سفك الدماء فى الحرم وذلت له رقاب الفرسان من العرب والعجم وأتته الهدايا من ملوك اليمن وانتصرت أهل صنعاء وعدن وكثرت فى الارض الوقائع والفتن وهنالك تطلع شمس النبوة من هذه الشعاب وتلمع أعلام الحقيقة على رؤس التلال والهضاب ويتبين الخطأ من الصواب ويصير للحقيقة أنصار وأصحاب وتتمنى المشايخ أن يعودوا شباب حتى يكثروا من العبادة لرب الارباب ويسألوه الرحمة يوم العرض والحساب ثم قال الحدار وبعد ذلك انتبهت من منامى مرعوب وأنا الى الآن من أجله مكروب وأريد أن أعرف أين نزل بنو عبس من حين خرجوا من بلاد اليمن لاجل أن أقصد فارسهم الذى يسمى بعنتر وأحدثه بما سمعت فى حقه من هذا الامر المعتبر الذى يصير له به الشرف العظيم ويفتخر بذكره بين زمزم والحطيم قال ولما فرغ الحدار من كلامه غشى على عنتر وكل من حضر وقالوا ان هذه القصة ينبغى أن تنشر وتسطر على أوراق الشجر لانها عبرة لمن اعتبر وقوى عنتر على تعليق القصيدة وفرح بذلك المنام واستبشر وقال للحدار ما اسمك يا وجه العرب فقال اسمى جابر يا مولاى فقال له عنتر ابشر يا جابر بغناك وبلوغ مناك لان وجهك وجه مبارك وما أنا الا فى انتظارك لاننا فى مثل هذا كنا نتحدث قبل وصولك الينا وما ساقك الله الا لبلوغ مأمولك واذا هو بفارس عبس الادهم والليث الغضنفر والاسد الضيغم قال له لابد فى هذا العام أن أسير الى البيت الحرام وأعلق عليه بعض قصائدى التى ذكرها الهبل الاعلى وأخبر بها وأترك العرب تصلى لها فى كل عام (قال الراوى) فلما سمع الحدار مقال عنتر قام وخدم وقال يا لها من طريق ما أجودها ومن ساعة ما أسعدها والله يا مولاى لقد حسبت هذا الحساب وقلت ان اتفق لنا هذا الاتفاق بان الصواب وأريد من اليوم أن تجعلنى لك غلام وتتخذنى لك من بعض الخدام الى أن ينقضى ما فى هذا العام ونحج الى بيت الله الحرام وأسير وأبصر صحة هذا المنام فاذا انتصرت على من تشاء وبلغت آمالك أنعم على بشئ أرجع به الى الاولاد والاحباب فقال عنتر وحق ذمة العرب لاجعلنك من اليوم فى منزلة أخى شيبوب المهذب وكذا أنت المحكم فيه الى أن تبلغ المقصود والمطلوب وترى ما أفعل فى حقك لتزول عنك الكروب لانى أعلم أن رب السماء قد ساقك لاجل سعادتك وعلو قدرك ورفعتك ثم عادوا الى ما كانوا عليه من اللهو والطرب وقد أركب عنتر للحدار جنيبا من جنائبه وعند الصباح عادوا الى الاحياء ثم انه خلع على الحدار خلعا سنية وأمر شيبوب بأن يكرمه ويخدمه للغاية ويزيد فى اكرامه ويقضى أشغاله بالكلية وشاع الخبر فى بنى عبس وكثر الكلام فى العرب فكان المحبون لعنتر يقولون لابد لنا والله من مساعدته على ما يريد أن يفعله وأما المبغضون فيقولون والله ما هذا العبد الا قد تجبر وقد دنا أجله وأما بنو زيادة فقد زاد بهم الحسد وذابت أجسادهم من الكمد فقال عمارة نخاف أن يفيض شؤمه ويسوق كل من فى الدنيا الينا وتحترق بناره وينقطع من آثارنا وآثاره فقال الربيع نحن اذا رأيناه قد جد فى هذا وطلب المسير الى البيت الحرام رحلنا نحن الى بنى فزارة وتركناه هو ومن معه يفعلون ما يشتهون ثم انه دخل على الملك قيس وشاوره فى ذلك وخوفه من عواقب الامور التى تأتى منه فقال الملك قيس يا ربيع لا كلام حتى ينقضى باقى هذا العام وننظر ما تحدثه الايام وندبر على قدر ما نراه من الاحكام لان عنتر ما شد فى الامور الا لما قص عليه الحدار ذلك المنام وكيف أخليه يهلك هذه العشيرة لاجل أضغاث أحلام وعلى أنه لابد له منه كان عليه أن يشاورنى فى أمره ويطلب منى المعونة فكنت أخليه يفعل ذلك ولا أبطل عزمه عما هو طالب وأخوفه من شر العواقب ثم انه طيب قلب الربيع ولم يرده خائب ومضى على ذلك أوفى من عشرة أيام وعنتر يزيد للحدار فى الاكرام الى ان كان فى ليلة من بعض الليالى وقد عاد عنتر من دعوة عامر بن الطفيل فافتقد الجواد الابجر فلم يجده ولم ير له خبر وطلب الحدار فلم يجده وما وجد له أثر فظن ان مفاصله قد تفصلت وان روحه من جسده قد طلعت وعلم ان الحدار كان سلال لا محتال وان المنام الذى رآه كذب ومحال فقال عنتر واحرقلباه من شماتة الاعداء والحساد ومن فرح بنى زياد والله لقد دبر هذا الملعون وما قصر وما قصد الا جوادى الابجر وأنا أقسم بمن أظهر النبات والشجر وفرق بين أصناف الثمر وأنبع

الماء من الحجر لابد لى ما أبدد شملهم فى البر الاقفر ولو أنهم بعدد الرمل والمدر ولو كانوا أمة ربيعة ومضر وقد طار النعاس من رأسه فقال لشيبوب ويلك ومتى راح هذا الملعون فقال له يا ابن الام من أول الليل كنت أنا واياه فى المنزل وأتيت الى خدمته وتركته على الطريقة التى هو عليها وهذا آخر العهد منه فقال عنتر يا شيبوب كيف العمل وكيف الاجتماع على من بكل حيلة قد اشتمل (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء هذا السلال الى بنى عبس أن اللقيط بن زرارة لما أبصر عنتر قد أسر ذا الخمار ودريد بن الصمة حين كان عنتر عائدا من دعوة بنى عامر بن الطفيل كما ذكرنا وهرب فى البر الواسع الاقفر فلا زال اللقيط سائرا ذلك النهار وطول الليل هو ومن انهزم معه من الخيل حتى قاربوا أرض بنى دارم وهم يتذكرون حديث عنتر وشجاعته وما أعطاه الله من السعادة والاقبال فقال رجل منهم والله لا أفلح رجل يعادى عنتر ولا بنى عبس ما دام فيهم هذا الرجال آفة الزمان من يلعب بمهج الابطال ولقد خلقه الله آفة لا يقدر عليه أحد فى عصر ولا فى زمن ولولاه ما خرج أحد من بلاد اليمن ولا كنت أبصرت منهم من يشرب اللبن لانى أنا كنت دخلت الى تلك الديار ورأيت بعينى ما حل منه بذى الخمار وشاهدت وقعة عقبة الفروق وأرض المصانع ورأيت منه ما لا أقدر أصفه بلسانى ولا يحيط به جنانى ولما عاد عنهم وهو بين الابطال تذكر ما جرى له من أصحابه وأهله فصار يردد القصائد التى له ومن جملة ما قال

رعى الله ربعا بالحمى ظل باليا * وأصبح منا موحش الدار خاليا

وكان لنا دون الفروق مواقف * محينا بها ذكر السنين الخواليا

حلفت لقومى والقنا يقرع القنا * عينا بن أرسى الجبال الرواسيا

بانى أرد الخيل وهى حبائك * وفرسانها ما بين شاك وباكيا

وبادرت كبش القوم حتى تركته * فى البر من خوف المنية واليا

وما بلغ الاعادى منا مرادهم * ولا نحن قلنا واشماتة الاعاديا

(قال الراوى) وكان فى أرض المصانع قد جرى لهم مع بنى تميم أمر مهول لان عنتر أباد شجعانهم وجندل أقرانهم وسار من أرض المصانع يريد مياه عراعر وجبال بنى كلب بن وبرة وهو ينشد ويقول

اذا كشف الزمان لك القناعا * ومد اليك صرف الدهر باعا

(قال الراوى) وأنشد الشيخ الشعر الذى قاله عنتر فى وقعاته وليس فى الاعادة افادة فلما سمعه اللقيط بن زراره زاد غضبا وقلقا وامتلأ قلبه حنقا وقال والله يا ابن العم ما هو الا رجل مسعود ومن تمام سعادته له أخ يقال له شيبوب وجواده الابجر لانى يا ابن العم رأيته عند القتال ان أشار عليه بالوقوف وقف وان طلب منه الانعطاف انعطف وان قام فى ركابه ليضرب خصمه شال يديه معه وأعطى جانبه وان أراد أن يطعن عدوه يأتيه عن شماله حتى تقع الطعنة متمكنة من قباله وان تقابض هو وقرينه ترسخ قوائمه فى الارض كالاوتاد وان رأى الاسنة قد دارت به انسرق من بين العساكر ومضى فلا يلحقه أحد من العباد وأما أخوه شيبوب فهو خلفه يرمى بالنبال ويعمل ما لا تعمله صناديد الرجال وحق ذمة العرب قد ثبت عندى لو لم يكن على حصانه الابجر ما قدر على ذى الخمار الاسد الابتر لان ذا الخمار كانت حجرته من تعبها تحته وقعت وأما حصان عنتر فانه كان كالحجر الجلمد ولو أن أحدا يسرقه لى كنت أعطيه من الجمال والنوق والعبيد ما يشتهى ويريد ومن المال شيا ما عليه من مزيد واذا حصل لى هذا الحصان كنت أريكم ما أفعل عليه بالفرسان كى أترك لى ذكرا يذكر شائعا فى كل مكان (قال الراوى) فلما سمع الحدار الذى أتى الى عنتر وكان اسمه المختلس بن ناهب الطميمى وهو من قوم يقال لهم بنو طميم فقال يا لقيط أنا آتيك به وأذبح لك شيبوبا وان أردت نفس عنتر أو ان آتى لك برأس عنتر لفعلت وان فعلت ذلك ما الذى يكون لى عندك من البراطيل فقال له اللقيط وحق ذمة العرب يكون لك عندى كلما تريد ولو طلبت ملكى وملك اخوتى سلمناه اليك فقال له المختلس ما أريد منك الآن تزوجنى ابنتك وتحكمنى فى أموالك ونعمتك فقال له اللقيط لك على ذلك وكلما تريد أسلمه اليك وهؤلاء بنو عمى يشهدون على وعليك (قال الراوى) ثم ان اللقيط مد يده للسلال الذى هو المختلس وعاهده على ما طلب وشهدت عليهم فرسان العرب وما فيهم الا من فرح لهلاك شيبوب وعنتر وما زال اللقيط يحث السلال حتى سار وجد فى المسير والرمال حتى وصل الى الديار وقرب الى منازله فدخل المختلس الى بنى طميم وجدد بأهله عهدا وأقام عندهم يومين وفى الليلة

الثالثة لبس فروة خلقة وعليها سجاف مقطع الاركان وتعمم بعمامة خضراء قد عبر عليها الزمان (قال الراوى)
وضيق لثامه وترك باقى أطرافها على أكتافه وأخذ فى حقيبته شيأ من الطيب وخرج من الخيام فى غسق الظلام
وتبطن فى البر والآكام وكان رجلا همام وكان من شجاعته يقدم على الامور العظام وكان يلتقى الاهوال
الجسيمه وكانت خلقته شنيعة كأنها خلقة الجان وكان أعجوبة تلك الزمان وكان داهية من دون الانام
وكان الذى حمله على هذا الخطر الخطيط محبته فى ابنة اللقيط لانه لما سمع بصفاتها وعلم انه ماهو من رجالها لان
اللقيط كان من الشجعان الكبار والمختلس رجل سلال جمل غدار فقال فى نفسه ارم نفسك فى بحر الهلاك
عسى أن يكون لك من الهوى فكاك فصادفت المقادير بما جرى بينه وبين اللقيط فسار يخاطر بروحه ويرميها
فى كل أمر خطير حتى وصل الى الارض التى فيها بنو عبس المشاهير واتفق له ما اتفق على جانب الغدير وقد
دخلت على عنتر حيلته وما فعل من خيانته من أمر المنام وزخارف ذلك الكلام وأقام عندهم تلك الايام
وهو مع شيبوب يخدم الجواد الابجر ولما رآه يخفره من دون كل أحد أكثر المخالطة معه وصار اذا مضى شيبوب
الى خدمة أخيه عنتر لم يتبعه بل يقول له يا مولاى لا عمل لى الا طاقة لى به لانك تشرب مع الملوك ذوى الاعتبار
وأنا رجل فقير حدار ما أقدر أجالس الامم من يكون مثلى ولا يكون بيننا تكليف ولا اعذار وكان ذلك القول منه
خبث وخداع وكتم أمره وصار يسوس مع شيبوب الابجر ويعاونه عليه حتى انه ألفه وصار لا ينكره حتى انه كان
يقول لشيبوب نم أنت يا مولاى وأنا أنوب عنك فى هذه الليلة فى خدمة فرس مولاى عنتر ومازال كذلك حتى انتهى
الامر وعول فى تلك الليلة أن يذبح شيبوب ويطير من عندهم مثل الهبوب ولم يقتنع بالابجر وانما الهيبة التى
وقعت له من عنتر وأسباب أخر وأتت المقادير بخلاف ما أضمر وابطأ عنتر فى دعوة عامر بن الطفيل ومضى
شيبوب الى أخيه الامير عنتر وكان ذلك سبب السلامة نفسه من الذبح (قال الراوى) فلما خلا الحدار بنفسه
ونظر أصحاب الخيام وقد استولى عليهم المنام قال الحدار هذا وقت بلوغ المرام بأخذ الابجر والنجاة به فى
الظلام وطلب الكثير برث الملام ثم انه لبس الجبة التى كان يلبسها شيبوب لما انه يسوس الابجر وترك القلنسوة على
رأسه وشد وسطه بحزامه وتقدم الى الفرس وهو فى زى شيبوب وحله من شكاله وقاده الى أذيال الخيام وأطراف
البيوت وسار به الى ساحة الفضا وقفز وثب عليه مثل القضا ولما عاد شيبوب من عند أخيه عنتر وتفقد
الحدار فما رأى له خبر وتقدم الى محل الجواد فلم ير له أثر فصرخ صرخة عظيمة وعاد الى أخيه عنتر وأعلمه بما
جرى فطار من رأسه الخمر وصارت عيناه مثل الجمر وما نام تلك الليلة ولا التفت الى عبلة لانه كان يحب جواده
أكثر من حب عبلة وقد ذكروا أن عبلة كانت عنده أعز من روحه التى بين جنبيه وانما كان يعلم ان سعادته
بالابجر وبه كان يبلغ المراد وقوة الجلاد وقد ذكرنا انه كان يسقيه اللبن بعده بنى الفضلة فعتبت عليه فى بعض
الايام وقالت له يا ابن العم من حيث انتشيت وأنت تدعى حبى وتحلف بحياتى وتقول ما عندى فى الدنيا أعز من عبلة
وأراك تختار فرسك على وتسقيه اللبن قبلى فما هذا السبب فى هذا المعنى ثم انها بكت وانتحبت فتألم قلبه من بكاها
فأنشد يقول

لاتحسدى مهرى اذا أكرمته * ففيه اذا هان العز يزمكرم * واذا غضبت فلى اليك وسيلة
أما بعقد أو بثوب مسلم * وابن النعامة ما اليه وسيلة * الا بطيبة مشروب ولذة مطعم
وأنا وأنت به ولولا ظهره * أمست ديار أبيك قدر الدرهم * ان كان حبك فى الفؤاد محكما
ففى أعظمى يجرى كما يجرى دمى * فاروى ظماه اذا عطش فانه * ينجيك من هول الغبار المظلم
انى أخاف أن تقولى مدة * هذا غبار الخيل أين الادهم * ذرى الجوع والعطش الذى
برثانه ضعفا عند التزاحم * والخيل كالسيل وهذا نارها * الابجر المسمى بالكحيل الادهم

(قال الراوى) وقد جرت عادة العرب بمثل ذلك لانها كانت تنتخب الخيل الجياد وتدخرها الايام الطراد وتفضلها
على الحريم والاولاد وحكى عن بعض الفرسان أنه خطب بنت عمه وانه بذل لابيها ما لا يجزيلا فقال له عمه يا ابن
الاخ أموالك بارك الله لك فيها وأنا ما أريد مهرا بنتى الا فرسك الذى أنت راكب عليها قال فسكت الغلام وبقى حائرا

ما يدرى ما يفعل ولما طال به التحير نظرت اليه بنت عمه وقالت له ويلك يا ابن العم ما هذا التوقف فى الكلام أنا
ما أساوى عندك مهر انجعله لى مهرا فلما ان سمع الغلام كلام بنت عمه أشار اليها يقول

وقعقعة اللجام برأس مهرى * أحب الى مما تعر بينى * فاما ان الجواد على حتى
أجود به ورمحى فى يمينى * أخاف اذا رقعت أنا بضيق * وجد السير أن لا تحمليني
فمهرى فى المعامع * نجاتى * اذا كان الاعادى طالبينى * فان كنت معى فى يوم حرب
فهو ينجينى من الهول المبينى * فمهرى لى ولك يحمى حمانا * بجولانه من الاعداء يحيينى
وان فارقت مهرى يوم حرب * تدوسنى الخيل وأنت تنظرينى * ولا لك أيادى تمنع عنى
فمنع جوادى حياة عينى * اذا جار الاعادى واكتنولى * بهذا المهر اخرج من كمينى
فمهرى اذا ركبته انتصر به * وأنت اذا ركبتك توقعينى

(قال الراوى) لهذه الاخبار ثم ان شيبوب بعد هذا التعليل والافتكار وثب على قدميه وقد غير زيه وسار وقد
تبطن فى تلك البرارى والقفار بعد ما قال لاخيه يا ابن الام انى سائر أبذل المجهود لا تنتظرنى فى هذه الكره فانى
لا أرجع الا بالمقصود ثم انه بعد ذلك الكلام سار تحت ظلام الليل المعتكر وقد أطلق ساقيه للريح وطلب
البر الفسيح (قال الراوى) هذا ما كان من أمر شيبوب وسفره وأما ما كان من الامير عنتر وخبره فانه بعد سفر
شيبوب أقام فى الديار وقد صار يقاسى الهموم بالافتكار وكان أشد الاشياء عليه شماتة بنى زياد ومن مثلهم
من الاعداء والحساد الا ان عنتر بعد ذلك أقام مدة من الزمان وهو قلق القلب على أخيه شيبوب وكاد قلبه من
أجله أن يذوب فصار عنتر كل يوم يركب مع ندمائه وأصحابه ورفقائه ويبعد هو واياهم فى البر الفسيح ويتعاهد
الطرقات التى يأتى منها أخوه شيبوب وكل حين يسمع من أطراف السفار أخبارا مختلفة ما فيها لمن سأل
استبشار الى ان كان يوم من بعض الايام وقد أبعدوا عن المضارب والخيام كما جرت بهم العادة فى ذلك البر
والآكام هنالك تذكر فى أحواله وشأنه وما جرى له وكيف قهره من لا يعد من أشكاله فانشد وجعل يقول
هذه الابيات سقى الغيث وادى الجذع من أرض نعمان * حتى امتلأ القاع من وادى البان

وهل عاد وادى البان بعد الرى مفتكرا * لمن كان ظمآنا غير ريان
وهل دافع اذ روت السحب أرضه * وانى من مياهه غير رويان
وفى القلب منى لوعة وصبابة * لواعج الشوق بل زفرات نيران
على من له قلب لا يضيق من الضنا * على كثرة أخطار وفرقة أوطان
منازل كان الدهر فيها أنيسنا * وعاد وحيشا من خطوب وهجران
ديار تخلت عن أنيس حاضرا * وكان لها ود وعز بجيران
اذا غنت فيها الحمائم هيجت * غرامى وأذكت نار شوقى وأحزان
فيا ليت شعرى اذ بكت هل ترنمت * وغنت على فنن الغصون بألحان
وهل عندها ما بى فناحت صبابة * على وأبكاها غرامى وأشجان
وشتان بينى فى الغرام وبينها * وان كان للذات فى القرب سيان
ولو أنها مثلى لكانت جفونها * تفيض بدمع واكف الودق هتان
وما لبست فى الجيد طوقا لزينة * ولا خضبت كفا بحناء القان
وما وجدت من يبكى آسفا متوجعا * كوجد الذى يبكى لصد وهجران
انى الى الله أشكو ما ألاقى من الاسا * لفرقة اخوانى وآخر أزمان
ألوم على صبرى فى زمانى تألما * وما ضرنى الا ثقتى باخوان
تعصب الناس على ظلمى بأجمعهم * وأظلم ما لاقيت أهلى وجيران
وكان زمانى اقبال ونصيحة * فأصبح خوانا العهدى كاخوان



اكل امرئ شيطان يكايده * وان لي بين الورى ألف شيطان
فمنهم بنوزياد أصل بليتي * لان ما فيهم مودة الانسان
ولما أتى الحداد زادني بلا * لاجل منام كان زورا وبهتان
وزاد سرورا للربيع وبهجة * وأيضا عمارة زاد في الحي فرحان
وشيبوب أبطأ في البلاد ولم يعد * يفرج لمابي من همومي وأحزان

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام وهو يتطلع الى تلك البراري والقفار الا وقد أقبل من كبد البر رجل وهو يهتف على الارض مثل السيل أو كأنه ذكر النعام اذا جفل فلما نظر اليه عنتر وقد صح عنده النظر والخبر وهو يظن أنه أخوه شيبوب لما رآه في البر يعدو وهو مثل الريح الهبوب فعند ذلك عدل بفرسه عليه وقد طار قلبه من بين جنبيه وقد تجارت الفرسان كلهم من حواليه فلما أن قاربته الابطال سلموا عليه وترحبوا به وقربوه فلما ان قرب منهم بدأهم بالسلام فردوا عليه السلام فقال لهم يا وجوه العرب هذه ديار بني عامر فقالوا نعم يا وجه العرب فقال لهم وبنو عبس فيها نزول فقال له عنتر وما حاجتك يا زين القادمين فقال له حاجتي عند أبي الفوارس عنتر بن شداد فلما سمع عنتر بذكره فرح واستبشر وفي الحال دنا منه وصار يسأله عما كان عليه قادم ويفهم ما عنده من اللغو والكلام وصار يرجو منه بلوغ المرام فنظر الى رجل طويل الساقين مخلوع الركبتين أسود الوجه أزرق العينين فعندها تعجب عنتر من خلقته وأيضا أصحابه من رؤيته وبعد ذلك قال له عنتر يا فتى ها أنا عنتر بن شداد أبشرك بما يسرك ويدفع عنك ما يضرك قل الآن ما بدالك نجح الله أعمالك فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا وفينا عنك دينك وخلصناك من مصيبتك وان كنت ضالا عن الطريق أرشدناك وان أردت الاقامة عندنا جعلناك من جملة فرساننا فلما سمع الاعرابي ذلك الكلام قال يا مولاي اعلم انني رجل سلال ومن حيث نشأت ما أكلت لقمة حلال ولا بت ليلة بلا سرقة مال أو حصان أو شئ من الرجال وهذا الكلام ما أقوله لك الا وقد صح عندي أنه فخر عند الرجال والشجعان فالشخص ان لم يكن مقداما على الاهوال لم تعده الرجال من جملة الفرسان واني يا أبا الفوارس سمعت في هذه الايام أن في ديار بني دارم مهرة يقال لها سكاب وقيل لي عنها انها في جريها تسير سير السحاب وتفوق القطر عند الانسكاب وتساوي اقليما عامرا ما هو خراب فقلت في نفسي من أخذ هذه المهرة ينال الغنى وبلوغ المنى فجهزت روحي وسرت الى ديار بني دارم ودخلت فيها فما وجدت الى سرقتها من سبيل وقد وجدت عندهم رجالا أكارم فأقمت هناك مقدار عشرة أيام فما وجدت لي قدرة ولا اقدام بل وجدت صاحبها عندها ينام ومن محبته لها دائما يتدبر روائح أنفاسها ويعيدها في ظلام الليل وضياء النهار لم تبرح من عندها وهم لها حراس فأيست من الوصول الى سرقتها وهممت أن أعود الى أهلي ولكن لم أزل مشغول القلب والبال من أجلها فسمعت بخبر جوادك الابجر انه قد وصل الى اللقيط بن زرارة وقيل انه أعطى للذي سرقه مالا كثيرا وانك أنت متحسر عليه وعلى من يأتيك بأخباره فقلت في نفسي لابد لي أن أطوّر روحي لعلي أصل الى هذا الجواد وأرسله وأرده الى صاحبه عنتر بن شداد وآخذ منه ما يغنيني على معاش العيال ثم انني وصلت الى المكان الذي قد تركوا فيه الجواد فأبصرته فرأيته سهلا على الطالب ولكن ما قدرت على سله وقلت ان تعديت عليه قتلني وان احتلت عليه وركبته رماني أو كسرني أو ربما شردني في القفار وخلاني وأكون أنا قد ضيعت زماني وخاطرت بروحي وجسماني والصواب اني أعود الى صاحبه وآتي به الى ههنا يركبه وربما يكون معه العبد الذي كان يسيسه ويألفه حتى أدخل أنا واياه عليه واذا لحقتنا الخيل يمانع عنا الفرسان وقد بلغنا الآمال ولما تصور في قلبي هذا الرأي سرت اليك يا أبا الفوارس كما ترى وها أنا قد أخبرتك بما تم لي وجرى فدبر الآن أمرك واشرح صدرك (قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا الخبر فرح واستبشر وبان السرور على وجهه وظهر وفي الحال قال للسلال ابشر يا وجه العرب ببلوغ الآمال والمطالب وأنا ما أردك خائبا ثم ان عنتر لما فهم كلامه التفت الى أبيه شداد وقال والله لقد ضاع تعب أخي شيبوب فلو كان هنا حاضرا ما رجعت الى الديار بل كنت أسير من ههنا

الى ديار بني دارم وأجازي اللقيط بن زرارة على ما هو عازم والرأي انني أنظره اليوم وغدا وان ما أتى أخذت معي أخي جريرا وسرنا فقال السلال يا وجه العرب وان كان قد عدم سائسه فمر أنت معي واستعجل العجل فأنا أخرجه الى أذيال الخيام ولو أنه أسد من أسود الآكام فقال عنتر يا أخا العرب سائس الجواد ما عدم وانما سار في كشف أخباره وان هو أبطأ علينا يوما واحدا فعندنا من يخلفه وهو أخوه ابن أمه وأبيه ثم ان عنتر بعد كلامه هم أن يأخذ السلال ويعود به الى الخيام واذا بالفرسان قد نظروا الى البر الاقفر واذا قد أقبل عليهم من البر غلام أغبر وهو يكد على الاقدام كأنه ذكر النعام ويصيح صيحات منكرات ويقول يا أبا الفوارس اقبض على هذا الشيطان السلال المحتال وهو الذي قد أتى اليك في زي جدار وسرق الابجر وطار وقد ساقته المقادير بسعادتك بهذا الزي والاخبار لانه كان مراده يقاع مثلك الآثار فلما سمع عنتر هذه الاخبار حار وأخذه الانبهار الا أن القوم لما رأوا ذلك الغلام تبينوه واذا به شيبوب ففرحوا به فرحا شديدا وقد بقوا حائرين من هذا الامر الذي أخبرهم به شيبوب فعندها التفت عنتر الى أخيه شيبوب وقال له ومتى رأيت هذا الرجل المسكين حتى انك تتهمه بهذه التهمة وذلك الشيطان كان أبيض أشقر وهذا أسود أدهم فقال شيبوب كل هذا حيلة ومكر وخداع وان كنت يا ابن الام تشك في مقالي فاقلع ثيابه وانظر الى أحواله فتبين لك الحقيقه وتظهر لك الطريقه فعند ذلك نزل شداد من على ظهر الجواد وكشف ثياب السلال واذا جسده أبيض فلما نظر عنتر الى ذلك تعجب وفي الحال سل عنتر سيفه من غمده وأراد أن يدنو منه ليضرب رقبته فعندها صرخ السلال بملء دماغه وقال لا تفعل يا أبا الفوارس فأنا الذي أخذت حصانك وأنا أرده عليك وأتوب على يديك فقال عنتر وقد أمهل أمره الى أين وديت الجواد يا نسل الاوغاد فقال يا مولاي هو عند اللقيط بن زرارة لانه قد لعب بعقلي ووعدني أن يزوجني ابنته وكان وعده كاذب وقد ردني اليك على الاعقاب فأتيت اليك ووقعت بين يديك وكان لهذا الحديث سبب وأي سبب وأعجب من كل عجب لان هذا الرجل الذي هو المختلس بن ناهب السلال لما تم حاله على عنتر وأخذ فرسه وقصد به أرض بني دارم ودخل به على اللقيط بن زرارة فلما ان نظر اللقيط ومعه الجواد فرح فرحا شديدا وفي الحال خلع على السلال وضرب له أبيات بجانب أبياته وقد نقل اليه كل ما يحتاجه وحكمه في نعمته وأمواله وقد كان اللقيط حوّل أن يجعل الابجر مركبه فما قدر على ذلك ولا جسر أحد أن يقربه لا من الاحرار ولا من العبيد لانه أنكر المكان الذي كان فيه واستوحش الموضع فصار الابجر كلما دنا اليه أحد يقتله حتى قتل تسعة من العبيد الاتايد فعندها توقفت عنه العبيد والفرسان وصاروا ينظرون اليه كما ينظرون للاسد الكاسر العنيد وقد حار اللقيط في أمره وتاه رشده وضاع عقله وفكره فقال في نفسه والله لقد ضاع تعبنا في هذا الجواد وما بلغنا منه المراد فقال له أخوه حاجب يا لقيط هذا أمر ما يجيء الا بطول الروح والصواب أن نخلي هذا الفرس حتى انه ينسى راكبه ونشيله على بعض الحجور وبعد ذلك تكثر من الدخول والخروج عليه فان أطاعك للركوب كان والا فاتركه برسم المباح واركب مهاراته المنسولة لانه يأتي بأحسن منه فلما سمع اللقيط ما قاله أخوه وجده في غاية الصواب وكان في ديار بني دارم مهرة يقال لها سكاب وكانت هذه المهرة لرجل يقال له مفرج بن وثاب وكان خبرها وصل الى الملك النعمان فلما سمع بها أنفذ الى صاحبها مفرج بأن يشتريها منه فأبى صاحبها ولم يسمح بها لاحد وقد كتب الى النعمان كتابا يقول فيه هذه الابيات

أيا ملكا زها فخرا ومجدا * ومن للجود قد زاد ارتفاع * أتطلب تشتري مني سكابا
سكاب لا تعار ولا تباع * فهذه مكرمة علينا * نجيع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع بها ملك البوادي * فبيع سكاب ما لا يستطاع

(قال الراوي) الا أن اللقيط من شدة فرحه بالابجر اشترى هذه الفرس من صاحبها وقد تقوى على مفرج بن وثاب وأخذ منه المهرة سكاب وقد شدها قريبا من الابجر وأراد بذلك أن يشيله عليها حتى انه ينسى أرضه وراكبه وصار اللقيط في أكثر الاوقات يقعد عند الجواد الابجر ويؤانسه ويطعمه من يده هو والسلال الذي أتى به وكان اللقيط قد قال للسلال يا أخي أنا قد أعطيتك يدي على زواج ابنتي اذا أنت أتيتني برأس عنتر بن شداد

وأخيه شيبوب وأنا وحق الرب القديم على كلامي مقيم فان قنعت مني بما أعطيتك فامض الى حال سبيلك
وان أردت أن تكون صهري فقم لي بما ضمنت من الضمان فعندها قال المختاس للقيط السمع والطاعة أنا أبلغك
كلما تريد فاكتم هذا الامر عن الاحرار والعبيد وأنا آتيك برأس شيبوب وعنترا عنديد فقال اللقيط كيف
تقدر أن تعود الى القوم وقد عرفوك قبل هذا اليوم وأكلوا معك لارادوا أفوك فقال المختاس يا مولاي هذا
أمر ما أفكر فيه لانني أقدر في هذه الساعة أتشكل باشكال عديدة وأدخل عليك وأفعل ما أريد من دون أن
تعرفني ان كنت من الاحرار أو من العبيد (قال الراوي) وكان سلالوا العرب في ذلك الزمان يعرفون حشائش
وعقاقير شتى كثيرة وكانوا بها يغيرون ألوان الخيل ويبيعونها على أصحابها ولا يعرفونها قال فنهض المختاس من
حضرة اللقيط واختلى بنفسه تلك الليلة وصبغ وجهه بعقاقير يعرفها فصار أسود صافي ولبس على جسده
ما يوافق لونه وفي الحال دخل على اللقيط في الصباح وقد أوراه ما فعل من الامور القباح فعند ذلك أيقن اللقيط
ببلوغ الآمال من شيبوب وأخيه الفارس الريبال فما كان من جواب اللقيط الا أنه وعده بكل ما يريد فعند
ذلك ودعه السلال وسار بعدما أوصاه برعاية الابجر وقال له يا مولاي ان العبد الذي يسوس الجواد قل له أن
يلبس الجبة الصوف التي أتت معي والقلنسوة ويتقرب اليه ويطعمه ويسقيه ثم ان السلال بعد كلامه خرج من
الحلة قبل أن يصبح الصباح وسار وقد جد في المسير يقطع الروابي والبطاح وقد هون عليه العشق تلك الامور
القباح (قال الراوي) وقد ذكرنا في أول حديثنا ان عنتر أمر أخاه شيبوبا أن يقصد احياء العرب فسار شيبوب
كما ذكرنا من عند أخيه عنتر وجد في البر الاقفر وقد ذهب الى ديار بني فزاره والى بني دارم التي فيها اللقيط بن
زرارة وقد قال في نفسه ان لم أجد الابجر في هذين الجهتين قصدت البيت الحرام ولا أعود من تلك الديار الا
بحقيقة الاخبار (قال الراوي) ومازال شيبوب يتذكر في هذا المقال حتى وصل الى ديار بني فزاره وأقام شيبوب
في أرضهم ليلة واحدة لان شيبوبا دخل الى الاحياء في أول الليل وخرج وقت السحر وقد أيس من خبر الجواد
الابجر من ديار بني فزاره ولم يجد له اثر فعند ذلك هج شيبوب على وجهه في القفار وقد طلب في طريقه أرض
بني دارم وهو مثل المجنون وكان أكثر سيره في ظلام الليل ومازال كذلك حتى وصل الى ديار بني دارم وبقي بينه
وبينها مقدار يوم وليلة فن هناك خاف شيبوب على نفسه فغيرزيه وسار فبينما هو سائر في الطريق اذ سمع حس
انسان فدارى نفسه منه حتى ينتظر ما يكون من الامر المكتوب واذا هو برجل مجد في المسير فتبعه شيبوب وكان
هذا الرجل هو السلال بن ناهب وقد سار من عند اللقيط ذلك اليوم وتلك الليلة الا أن شيبوبا لما أن نظره أخفى
نفسه حتى عبر عليه فعند ذلك اقتفى شيبوب أثره وقال في نفسه هذا الرجل قريب العهد من هذه الديار التي أنا
طالبها وأريد أن أتبعه مقدار ساعة من الزمان لعلي أسمع منه ولو كلمة واحدة في هذه القفار أستدل بها على
الاخبار ثم ان شيبوبا بعد هذه الافكار سار خلفه في القفار وهو منه في أفكار ولا له به اظهار فبينما السلال
سائر وشيبوب خلفه ولم يعلم به فتنفس السلال من فؤاد عليل وكان قد هجر عليه الليل الطويل وقد بكى بكاء
كثيرا من كثرة شوقه الغزير لانه تذكر محبوبته لما زاد عليه الغرام والآلام من أجل بنت اللقيط وكان اسمها بانة
العلم وكان هذا السلال قد نظرها في هذه النوبة لما انه جاور أباها في الخيام فنظر اليها وهي واقفة فزاد به العشق
والغرام فأنشد وقال

ها أنت عالمة يا بانة العلم * مما أقاسيه من ضر ومن سقم
لولا هواك لما أمسيت منفردا * لوأكابد الجن في داج من الظلم
ولا قدمت على عبس وفارسها * محكم الضرب فوق البيض والقمم
ليث اذا راى الابطال عابسة * من شدة الطعن ابدى وجه مبتسم
سرقت ابجره لما صنعت له * من المحال منا ما كان في الحرم
وها أنا راجع اسقيه من حيلي * ومن خداعي كؤس البؤس والنقم
واترك الذئب يسعى حول جثته * خوفا عليه من العقبان والرخم

واشفي النفس من شيبوب صاحبه * حتى أنال المنى من بانة العلم
فبلغي يا رياح الصبح مالكتي * عني سلامي وحييها بذي سلم
وأخبريها بأني في محبتها * قد بعت أهلي وما أحويه من نعم
وقد تبعت اللقيط في مقالته * ومانلت نظرة منك الا بسفك دمي

(قال الراوي) فلما سمع شيبوب ذلك الشعر والنظام قال بلغت والله المرام ولا شك ان هذا هو الغدار الذي
كان ينادمني بالليل والنهار ولاسيما وقد ذكرني في شعره أنه راجع ليقتلني ويقتل أخي ولكن وقع في الشرك
لا محالة وفي هذه النوبة أضرب رقبته وأكفي أخي مؤنته والصواب انني أسير خلفه ولا أعلمه بحالي لانني اذا
قاتلته أكون معه على خطر عظيم من سوقي له في جنح الليل البهيم والآن فها هو سائر من غير تعب ولا شقاء وأنا
وراءه في اللقاء أجد في البر الاقفر الى ان يحضر عند أخي عنتر وأنظر ما يفعل من الحيل وأنا أقتفي منه الاثر
فالسعيد من قضيت حاجته وسلمت مهجته ثم انه تبع آثاره حتى طلع الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح
فعند ذلك توارى منه شيبوب لانه يجمع الطرقات دروب وسار في عرض البر والبطاح ينظر اليه بعيونه
الصحاح وهو بعيد عنه وقد انبسطت الشمس على الاقطار فنظر اليه في ضوء النهار واذا هو أسود ووجهه
اسود فتعجب شيبوب من هذا العمل الانكد ومازال السلال سائرا حتى قارب ديار بني عامر التي فيها بنو عبس
نزول وأما السلال فانه نزل على بعض الغدران يشرب فطلع شيبوب على رابية عالية ونام على وجهه ونظر اليه
فرأى وجهه اسود مثل الغراب الابقع فعرفه شيبوب وقال في نفسه ما هذا الا شيطان في صورة انسان فلو وصل
الينا قبل ما أعرف حاله كان قد بلغ آماله ثم انه تبعه حتى وصل السلال الى أخيه وجرى ما جرى وقلعوه ثيابه
وبان أمره ومحاله وحدثهم شيبوب بما سمع من فعاله ومقاله فقال عامر بن الطفيل ما في حياة هذا القرنان
فائدة ثم انه سل حسامه وضربه على الهامه حذف رأسه قدامه وبعد ذلك تحدثوا في خلاص الجواد الابجر
فقال عنتر الصواب اننا نكتم هذا الامر من بين العباد ونسير من ههنا على سبيل الانفراد حتى لا تعلم بنا بنو زياد
ولا غيرهم من الاعداء والحساد لانهم ربما أنفذوا الى اللقيط وحذروه وبالخبر أعلموه فقال شيبوب هذا هو
الصواب والامر الذي لا يعاب فسيروا وانتم معي في ثلاثين فارسا ولا تعرفون خلاص الابجر الا مني فعندها أنفذ
أخاه جريرا وأمره أن يأتيه بعددهم وزردهم وقت المساء ففعل ذلك وما أتى الظلام الا وقد حصل عندهم
ما يحتاجون اليه ثم انهم لبسوا العدد والزرد وساروا تحت الظلام الاسود وكانت جملة الخيل عشر فوارس فمنهم
أربعة يلقون قبيلة من قبائل العرب مثل عنتر فارس الخيل وعامر بن الطفيل ومقري الوحش وعروة بن
الورد وباقي الفرسان الستة من رجال عروة بن الورد الذين يعرفون بالثبات يوم العرض وقد جربهم في
النائبات فساروا وتبطن بهم في القفار تحت ظلام الاعتكار وكان في قلب عنتر شعل النار من فعل اللقيط بن
زراره فعول في هذه النوبة على هتك أجراره وهلاك عساكره وأنصاره وكان عنتر راكبا على مهرة صفراء مثل
الذهب المصفى فأنشد يقول

اذا ما عسفت البر غابت كواكبه * وفر الدجا مني وشابت ذوائبه
لان ظلام الليل يعرف همتي * ومن جرب الاشيا كفته تجاربه
أراد اللقيط أن مهري يطيعه * ليركبه هيهات خابت مطالبه
جوادي غيور لا يعلو فوق ظهره * جبان ذليل ما استقرت مناكبه
تعودني كلما خاب قسطلا * من الحرب فاشتدت عليه مذاهبه
أخلصه منه بطعن اذا رأى * مواقعه صرف القضا الآن جانبه
ومن ركب الخيل الجياد ويبتغي * بها مهرا فالذل لا شك راكبه
وعما قليل يشهد السيف بيننا * وتنظرني يا لقيط مضاربه

ويبقى كلانا تحت ظل عجاجة * تصيح عليه بالعويل نوادبه
وأخزى الله من لا يترك الدار بلقعا * ولو أن جن الارض فيها تحاربه
زمحى رسولى كلما مال بادرت * طيور المنايا الذى هو طالبه

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت من فصاحته جميع الابطال وتموا على حالهم يقطعون الروابى والتلال وشيبوب يهيم بهم فى البر يمينا وشمالا حتى بدت لهم ديار بنى دارم وتلك الاطلال والمعالم فعندها انزلهم شيبوب فى واد كان هناك منقطع عن الطريق ليكمنوا فيه حتى يدخل على اللقيط بحيلة ويخلص الابجر من يده فبينما هو كذلك واذا بعبد قد اعترضهم فى الطريق وهو سائر لا يلتفت الى رفيق فقال عنتر ويلك يا شيبوب لقد زادنى أمر هذا العبد المريب وان صدقنى حذرى فانه عن هذه الارض غريب لانه لا ينظر الينا ولا من علينا والصواب انك تأتينا به حتى نسأله عن حاله ونسمع ما يقول من مقاله فانه لا يخلو عن فائدة ما لنا واما علينا فقال شيبوب السمع والطاعة ثم انه انطلق خلف ذلك العبد وعاد وهو معه والاثنان يتحادثان ويلعبان فانكر عنتر تلك العبارة وتبينها واذا هو عبد من عبيد بنى فزاره وهو عبد سنان بن أبى حارثة نحاه عنتر وقال له ويلك يا ابن الخالة أريد أن تصدقنى فى الكلام وما الذى ألفاك فى هذه الارض والآكام فقال العبد والله يا مولاى لم أكتم عنك شيأ مما أنا فيه لانى ان كتمت عنك شيأ ووقعت فى يدك مرة أخرى قطعت أوصالى وهو انى يا مولاى أتيت رسولا من عند مولاى سنان بن أبى حارثة الى عند اللقيط أقول له اجمع من قدرت عليه من الفرسان والابطال وابذل للعرب الاموال والنوق والجمال وبشرهم بهلاك بنى عبس فى الحال لان الحارث الوهاب سيد بنى غسان قد سار من دمشق فى جيوش وعسكر لا يعرف لها أول من آخر طالب بنى عبس كى يفنى أبطالهم ويأخذ أموالهم لاجل أن يأخذ بثار ولده بدر الذى قتلته أنت يا مولاى فى أرض تيما لما ضبت مع مقرى الوحش وخاصمت مسيكه لانه يا مولاى أرسل جواسيس تكشف له أخبار بنى عبس فغابت وعادت اليه وقالوا له اعلم ان الذين قتلوا ولدك كانوا من بنى عبس ولكنهم رحلوا الى بلاد اليمن وها تيك الاطلال والدمن خوفا من الملك النعمان لانهم قتلوا اولاد بدر الشجعان والصواب ان تصبر حتى يرجعوا وتصلح حالهم مع الملك النعمان ويقرون فى المنازل والاوطان فترسل لهم جيوشا يقودونهم بين يديك وتصلب ساداتهم على أبواب دمشق فاعتمد الحارث على هذا الحديث وكتب كتابا وأرسله الى سنان بن أبى حارثة وهو يقول له فيه ان عادت بنو عبس الى أرضهم من بلاد اليمن ارسل اعلمنى بذلك حتى أركب واقلع آثارهم واخرب ديارهم ففرح سنان بذلك وقال لحصن ابشر بالسعادة ونيل الارادة بايسر الاسباب لان هذه الاشياء ما كانت لنا فى حساب وأنا أعلم أن ملك الشام ينتقم منهم غاية الانتقام ثم انهم أقاموا على ذلك الحال الى ان رضى عنهم الملك النعمان وردهم الى المنازل والاوطان فصارت الرسل تختلف بينهم حتى سرق اللقيط جواد عنتر وسار طالبا خلاصه والتقى بالعبد فقال له يا مولاى ان الجيش خرج من الشام وأرسلوا النار ولا يقول خذوا أهبتكم للقتال فأنتم لكم المال والنوال ونحن لنا الرجال والعيال فلما ان سمع عنتر هذا المقال من عبد سنان ابن الانذال غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال له كذب فى مقاله ولا أرشد فى آماله والله لا تركت له طريدا من الجيش لا كثيرا ولا قليلا الا من كان عمره طويل ثم انه قال للعبد وأنت كم لك من يوم عند اللقيط فقال العبد يا مولاى سبعة أيام ومن يوم وصلت اليه انفذ اخوته الى سائر القبائل من العرب بالمال والذهب وما سرت من عنده حتى رأيت أول العرب قد أقبلت وبوادر الخيل قد وصلت واعلم أن الذى فى قلبه منكم أقل مما فى قلبه من بنى عامر لانه يريد أن يطالبهم بثار اخوته ومن قتل له من جماعته فقال عنتر هذا الحديث قد عرفناه فما عندك خبر من جوادى الابجر فقال نعم وهو عند اللقيط مخدوم مكرم لكن ما يقدر أن يدنو منه أحد ومن شدة ما فى قلبه منه أعلاه على حجرة يقال لها سكاب وهى قوية الاعصاب ويقول انه يركب من مهارته وقد ذكر لى أيضا أنه أرسل اليك من يقتلك وقال لى بشر مولاك بذلك وكان قد عول أن يمسكنى عنده حتى أحضر وليمة مالك بن حاجب أخو اللقيط لانه تزوج بجارية من العنبرتين يقال لها مهرية واليوم أو غدا يكون عبور العروس عليكم وأنا أعلم أنها

لم تتقدم من أيديكم وهذا الامر أظهرته لكم فدبروا أموركم كيف أردتم ثم ان العبد ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار قال ولما ان بعد العبد عنهم فقال عنتر الرأى اننا نكمن فى هذا المكان واذا عبرت علينا هذه العروس التى ذكرها العبد يسير أخى شيبوب على آثارهم ويدخل على بنى دارم وهم مشتغلون بوصول العروس فيسرع بتدبيره على خلاص الابجر ويعود الينا بسرية الاجل أن نروح الى أهلنا قبل أن تدهمهم عساكر الشام فقال شيبوب أما دخولى الى بنى دارم فلا تحمل همه وأما العروس اذا وصلت الى هنا نأخذها هى ومن معها حتى لا يكون سعيكم فى طريقكم خائبا وأنا أعود اليكم بالابجر ولو انه فى يد كسرى أو قيصر فقال عنتر يا ابن الام ان فعلت ذلك فلم أجد لك مكافأة أبدا ولكن العبد أعلمنا انه علاه على حجرة يقال لها سكاب من أجود خيول الاعراب وأنا أعرف انها ما له حصانا ماله نظير والابجر قد كبر وقلت حيله وهمته فقال شيبوب وكأنى أترك الحجرة والجواد لا وحق من خلق العباد بل أجيب لك الاثنين وأجعله عليهما مقروح الفؤاد ثم انه تم معهم الى الوادى وأخفاهم فيه وأكمنهم فى كهوفه ونواحيه حتى أمسى عليهم المساء فقال عنتر يا شيبوب سر اليهم فى جنح الظلام حتى تختفى بين المضارب والخيام فقال شيبوب لاخيه عنتر والله يا أخى لم أدخل الحلة وهذه الديار الا نهارا جهارا لان الامر الذى أنا عازم عليه لم يحتج الى استتار ثم انه أقام عندهم الى الصباح وقصد عرض البر والبطاح فلاقى العروس المقدم ذكرها قد أقبلت ومعها جماعة من الفرسان الصناديد وجماعة من الاحرار والعبيد وحول هودجها أربعة هوادج مزينة بالعقود والجواهر والثياب الفاخرة وهم سائرون فى أفراح وجلبة وصياح فلما ان رآهم شيبوب الاغبر عاد راجعا الى أخيه عنتر وأعلمه بالحال والخبر ثم انه قال للجماعة تفرقوا أنتم من كل جانب ومكان ولا تتركوهم ينفلت منهم انسان حتى يخفى حالنا ونقضى جميع أشغالنا فقال عنتر من يقدر أن ينفلت منهم ورمحى فى يدى يحكم ولو أن لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء فوحق من رفع السما وجعل البيت أمنا وحما لاهتكن صاحبة هذا الهودج ولأسقين هذه السنة القبيحة ولابد لبنى دارم من فضيحة وتركبهم العار والذل والشنار ويعلم اللقيط ان مثلى ما يضيع له ثار (قال الراوى) ثم انهم تفرقوا ثلاث فرق كل فرقة ثلاث فوارس فى جانب وطلب عنتر وشيبوب ظهور القوم حتى لا يهرب منهم هارب وفى دون ساعة أخذوا عليهم الطرقات والمذاهب وصاحوا عليهم صياح الاسود اذا خرجت من الدحال وضيقوا عليهم المجال ونهبوهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال وكان مع العروس خمسون فارسا وجماعة من العبيد فبددوهم على الصعيد وما انبسطت الشمس وطلع النهار حتى ما بقى منهم ديار ولا نافخ نار وقد انقضت جميع الاشغال وساقت رجال عروة الاموال وعادوا يطلبون عنتر الاسد الريبال هذا وشيبوب قال لهم ها قد انقضت أشغالكم فعودوا الى المكان الذى كنتم فيه ولا تغفلوا عن أنفسكم ولا ترقدون لانى فى الليل أكون عندكم بالابجر والحجرة واقدهان الامر وتيسر ثم انه ودعهم وسار طالبا الى ديار بنى دارم وهو كأنه الاسد الهائم وكان مسيره من أول الليل فأشرف عليهم وقت الزوال فرآهم قد زينوا المضارب والخيام وهم فى انتظار العروس وهم فى جمع كثير فقال شيبوب هذا وقت انتهاب الفرصه لان القوم كثر عليهم الطارق وزاد عليهم الجمع والمدد وما بقى أحد منهم يسأل عن أحد ولا الوالد يسأل عن الولد فعندها قصد شيبوب أبيات اللقيط وأكد بالبعد عنها وقعد هناك وهو ينظر الى الجواد الابجر والحجرة سكاب والعبد الذى يسوسه وأى طريق يسلك به اذا خلصه ومازال كذلك الى أن أمسى المساء وقد أقبل اللقيط وهو سكران وحوله جماعة من العبيد والغلمان لانه كان فى وليمة أخيه وهم منتظرون العروس فلما غابت وأقبل الليل فما أحد أجاب لهم خبرا فايس منها هو واخوته وتفرقوا افرقا وظنوا انها اعاقت لامر من الامور الا أن شيبوب لما رأى اللقيط وقد أقبل على ذلك الحال يتمايل فعند ذلك أقبل عليه وتقدم وقبل الارض بين يديه وخدم وأثنى عليه فلما نظره اللقيط وقف له وقد استغرب به لما ان وقعت عينه عليه وقد أنكره وبهت فيه ثم قال له ويلك من أى العرب أنت يا مولد العرب فقال له شيبوب وقد قوى قلبه وجنانه وانطلق عند ذلك لسانه وقد عرف من هو قدامه ففى عاجل الحال باس الارض وقال له يا أمير أنا من عند سنان بن أبى حارثة وقد أرسلنى اليك من أجل أمر قد وجب وأريد أن أقصه عليك فقال له اللقيط حيا الله ذلك الامير والسيد

انظر وبالامس مضى من عندى عبده لامع فقال له شيبوب صدقت يا مولاى وقد لقيته فى الطريق وأخبرنى انه قد اقام عنده سبعة ايام وقد رديته وهو شاكر منك بالاحسان والانعام لانه أخى أيها الامير وقد أخبرنى انه أمرك بجمع العربان من كل جانب ومكان وأما أنا فقد أتيتك محذرا من أعدائك وأخبرك بأمور سوف تبلغ بها مناك لان مولاى سنان من حين خرج لبنى عبس من بلاد اليمن قد ترك عليهم العيون والارصاد وأقام سيدى سنان ينتظر لهم العثرات امله يا مولاى أن يأخذ منهم بثار بنى بدر لما قتلهم بنو عبس على جفر الهباق الآن سيدى سنان بعد ارساله أخى لامع اليك أتاه بعض عبيده وأخبره أن السلال الذى أتاك بالابجر وعاد من عندك ليأتيك برأس عنتر قد عرفوه وأول من عرفه أخوه شيبوب وقد قبض عليه وضربه وقوى الضرب عليه حتى ان السلال أقر بكل ما فعل وقد أخبره بعد ذلك أن فرسه الابجر قد أتى به اليك فلما سمع ذلك عنتر أمر بضرب السلال وأن يصلبه على قلل الجبال ومن يومه أخذ جماعة من قومه وسار الى ديارك يطلب خلاص الابجر من يدك ولما سمع مولاى سنان بهذه الاخبار خاف عليك من دواهيه ومن خدائع أخيه شيبوب ذلك الكلب المكلوب الذى فتت بفعاله القلوب وترك كل أحد من فعاله مكروب وانه لما علم بذلك أرسلنى اليك لاحذرك من ذلك وأقول لك تطرح لاخيه شيبوب الرجال والعبيد والغلمان على سائر الطرقات فلعل أجله أن يكون قد اقترب وقد سار برجليه الى الهلاك والعطب وشيبوب أنا أعرفه انه لم يقدر أحد أن يخلص منه اذا هو طلب ولا يهرب منه لانه شيطان فى صورة انسان يغلب ولا يغلب ولا يوجد مثله فى قبائل العرب وراسك يا مولاى ما بقى يسلم من هذه الايام ويشرب كأس الحمام هو وسائر بنى عبس الكرام لاسيما اذا سرت أنت اليهم فى هذه الجموع واختلطت بعساكر الملك الوهاب فقال اللقيط بعد ما طار السكر من رأسه والله يا مولد العرب لقد قطعت ظهرى فى هذه الساعة وحيرتنى فى أمرى وأشغلت سرى بهذا الخبر وقلبى خاف على هذا الجواد الابجر لان عندى من قبائل العرب خلق كثير وما يمكن أن أحترز من أحد ولو أتى عنتر فى ألف فارس واختلط فى هذه الجموع ما بان من كثرة الفرسان وكان يفعل ما يريد ويدبر ما يختار وما بقى فى الامر يا وجه العرب الا أننى اجعل على هذا الجواد الابجر جماعة من العبيد والغلمان وآمرهم ان يحرسوه ويحفظوه من شر هذا الشيطان وانت يا وجه العرب تكون معنا الاننى قد بان لى راى واريد ان اقول لك عليه فقال شيبوب وما هذا الراى يا سيدى وانت صاحب العساكر والجنود والكتائب والمواكب فقل لى على هذا الراى حتى أننى اجيبك عليه ان كان رأيا جيدا قال فعند ذلك قال اللقيط اعلم يا وجه العرب انه قد خطر بقلبى راى بأن ارسل صحبتك عشرين عبدا وعشر فوارس من قومى حتى تحفظوا هذه الحجرة وهذا الجواد الى ان ينقطع خبر بنى عبس من هذه البلاد ونجتهد بعد ذلك فى قتل عنتر بن شداد وقد بلغنا كل المراد ما تقول يا مولد العرب فى هذا الايراد فقال شيبوب يا مولاى ان قولك كله صواب واعلم ان حفظ هذا الجواد الابجر من غاية الصواب ما دامت ارضكم بهذا الحال لان كل يوم يطرقها قوم بعد قوم خصوصا ومن هذا الشيطان شيبوب فانا أعرفه حق المعرفة دون غيره فنخاف منه عليه ولان القوم الذى يقال لهم بنو عبس كانوا لنا جيران كما تعرف وان وصل هذا الشيطان مع اخيه عنتر الى هذه الديار اعلم يا مولاى انه كان يفعل فيها من العبر والدواهى ما يختار ولو ان حول الجواد مائة عبد يحبهم ذلك المحتال ابن الاوغاد ولو كانوا من الفراعنة الشداد وانا وحق الكعبة الغرا وابى قبيس وحرا خائف منه ان يكون هذا سبق اخاه الى هذا المكان او يكون تركه خلفه مكمنا هو وعسكره وفى هذه الليلة يدور حول مضاربنا والخيام والصواب انكم تحترزون على انفسكم فى هذه الليلة الى أن يطلع الصباح واذا طلع النهار انا أتخفى وادور على هذا الشيطان شيبوب بين القبائل واقبض عليه وامسكه من رقبته واسلمه اليك تفعل به ما تريد وان كنت تريد ان تتم افراحكم فاصلبه بين الخيام او علقه من كعبيه حتى يتفرج عليه النساء والرجال والغلمان وبعد ذلك يرمى بالنبال والسهام واكون قد كفيتكم شره ومكره فتستريحون منه ومن شؤم طلعته على الدوام (قال الراوى) فلما سمع اللقيط من شيبوب ذلك المقال قال له وقد صغى الى كلامه ومقاله فقال يا مولد العرب دبرانت امرنا فى هذه الليلة بما يكون فيه الصلاح وما تنظر عينك من الصواب فافعله واحتفظ على أبياتنا ما دام ان فرساننا سكارى من الشراب وخذ معك

من اردت من هذه العبيد الانجاب وكونوا رقودا بين الخيام والاطناب واجعلوا بالكم من المكان الذى فيه الابجر والحجرة سكاب الى ان يقبل النهار وندبر على قدرنا من الاخبار ثم ان اللقيط بعد كلامه أمر عبيده وغلمانه بطاعة شيبوب ثم انه دخل الى أبياته وهو من حديث شيبوب سكران ومكروب من المشروب ومن الذى قد ساقه اليه من المحال شيبوب حتى انه غاب عن الوجود وبقى مولها مكمود ولما ان سار اللقيط الى أبياته تفكر فى أمره وفى الحال عبر فى فراشه ونام قال وأما شيبوب فانه لما انصرف اللقيط من عنده وثب على قدميه وقد صفق بيديه وأخذ من العبيد ثلاثة وقال للبقية انصرفوا أنتم يا أولاد الخالة الى أماكنكم لانكم تعابى مما قاسيتم من الخدمة فى هذا النهار وهذا الامر الذى ما ذكرته اسيدكم الا ليكون على يقظة من أمره واما من هذه الساعة الى خمسة أيام فلم يقدر عنتر وأصحابه على المجىء الى ههنا (قال الراوى) وكانت هذه العبيد الثلاثة الذين اختارهم شيبوب طافحين من السكر وكثرة شرب العقار لا يعرف أحد منهم الليل من النهار فجلس بهم شيبوب بعد ان صرف العبيد الذين تقدم ذكرهم على باب الخيمة التى فيها الحجرة سكاب والجواد الابجر وما استقر بهم المقام حتى أتاهم من عند اللقيط الطعام والمدام فأكل شيبوب من ذلك الطعام الى ان اكتفى وبعد ذلك وضع بطة المدام بجانبه وملأ وشرب الى ان طلعت الخمر فى رأسه فافتكر اصدقاءه وأحبابه فبكى وأن واشتكى وأنشد يقول هذه الابيات

فراق أحبتى قد زاد نحبى * وأسقم مهجتى وأضنى فؤادى *
أنوح أسا اذا ما جن ليلى * وتسهر مقلتى والليل هادى *
وان فراقكم قد زاد نارى * وبعدكم قد لزمنى وسادى *
هجرتمونى بلا ذنب ولا جرم * وأشمتم بنا سائر الاعادى *
تذكرون زمانا كنت فيه * مع الاحباب كانت لى أيادى *
فمن بعدكم قد صرت مضنى * كئيب النفس متعبا فى البلاد

(قال الراوى) وقد صار شيبوب يبكى وينتحب وتلك العبيد الى جانبه وهم يهدونه من بكائه ويسكتونه حتى هدأ من بكائه فقال العبيد طيب قلبك فان سيدنا يبلغك مناك وهو يوصلك الى هواك فقال لهم شيبوب والله يا أولاد الخالة مالى اليها وصول لان سيدى رجل جبار يقال له ذو الخمار وأخاف اننى ان سرت اليه وقع بى هذا الجبار قطعنى وأعدمنى الحياة والاصطبار وأريد اذا وصلت الى سيدى سنان وقضيت على يدى هذه الاشغال أسير الى البيت الحرام وأهجر المنازل والاوطان واجعل مقامى فى مكة الى آخر الزمان هذا وهو يحدثهم ويشاغلهم بمثل هذا الهذيان الى ان رقدت العبيد وانطفأت النيران ونام كل من فى الحى من الرجال والنسوان وقد انطرح العبيد مثل القتلى وارتفع غطيطهم وعلا قال فلما نظر شيبوب الى تلك الاقوام قد رقدت والنيران قد خمدت نهض قائما على قدميه مثل النمر الحردان وتخطى المضارب والاطناب وفى أسرع وقت دخل على الابجر والحجرة سكاب فنظر شيبوب الى العبد وهو راقد بين المدودين وهو الذى كان يخدم الفرسين قد نام منه شيبوب فرأى جبته وقلنسوته عند رأس العبد فأخذهم ولبسهم وقعد الى جانبه وسل خنجره وحطه على وريديه واتكأ عليه فراح رأسه من بين كتفيه وبعد ذلك تقدم الى الابجر قليلا قليلا وصفر له الصفرة المعروفة التى كانت بينه اذا قدم عليه فلما سمع الابجر تلك الصفرة بهت فيه ساعة زمانية فعرفه فحمحم عليه وتذكر ما كان منه اليه فصار يلعب بيديه ورجليه فتقدم اليه وحل شكاله وفعل بالحجرة مثل فعاله وفى عاجل الحال قاد الاثنين وخرج بهم الى خارج البيوت وقد صار على الطريق التى اختبرها بالنهار وعلم انها خالية من الاقطار والورّاد وسليمة من الاخطار قال ولما سار شيبوب فى البر الاقفر ركب الابجر وقد جنب الحجرة سكاب وسار تحت أجنحة الظلام والاعتكار وهو طالب الوادى الذى فيه أخوه عنتر وعامر بن الطفيل ورفقته هذا ما كان من أمر شيبوب وجسارته وأما ما كان من عنتر ومن معه من فرسان بنى قراد وعامر بن الطفيل وشداد فانهم لما أخذوا العروس ودخلوا بها الى الوادى وأنزلوها من هودجها فتأملوها فرأوها صبيحة الوجه أحسن من الشمس والقمر وأضوأ من الفجر اذا انفجر وكأنها من الحور العين وقد خرجت من الجنان أو من بنات الملوك أصحاب التيجان وعليها قلائد وعقود من الزمرد الاخضر والياقوت الاحمر وهى فتنة لمن -

لما ينظر والبنات التي معها يقاربنها في ملاحتها ويشاركنها في حسنها وبهجتها فعند ذلك قاموا يحرسون أنفسهم ويتحدثون في أمر شيبوب طول ذلك النهار الى أن أقبل الليل بالاعتكار فأكلوا وشربوا وواقعوا البنات واستحلوا المحرمات لانهم جاهلية قلوبهم على بني مشاجع متمائلة (قال الراوي) وأما الامير عنتر فانه كان من حيث سرق جواده الابجر مادنا من عبلة ولا ضاجعها وقد أبصر في ذلك اليوم الى مهرية وهي بذلك الحسن والجمال والقد والاعتدال فعند ذلك سابت عقله وتركها في تلك الليلة بحبيته ولم يزل معها الى ان وصل شيبوب بالجمرة والجواد فرآه الديادبة والحراس فأتوا وأعلموا الامير عنتر بقدوم شيبوب ومعه الجمرة والجواد ففرح بذلك وسر منه الفؤاد فوثب اليه وتلقاه وسأله عن حاله فأخبره شيبوب بما جرى له عند اللقيط بن زرارة وكيف تحايل عليه بالكلام المحال وكيف انه وكله بالجمرة والجواد وكيف انه ذبح العبيد بعدما اسكرهم بالكلام البهتان ثم قال لهم يا وجوه العرب المقصود انكم تلحقون في هدو الليل قبل طلوع النهار حتى لا تلحقكم سوابق الخيل ويحل بنا وبكم عظائم الويل لان الارض من بني مشاجع امتلأت بالفارس والراجل من كثرة العشائر والقبائل ونحن قلوبنا على أهلنا ولا ندري ما تم عليهم من عساكر الشام ومن بني قراد الشام قال فلما سمع عنتر هذا الكلام رآه عين الصواب وقال لابيه يا أبتاه ان شيبوبا قال الصواب ولولا هذا السبب ما برحنا من هذه الارض حتى أكافئ اللقيط على فعاله وما قد صنع ولو ان عنده كماة الفلا أو من مشى على الارض وعلا ولكن لابد له أن يسير الينا هو ورجاله ويرى منا ما يعجز عنه هو وأبطاله قال فنهض عند ذلك شيبوب وقد شد لاخيه عنتر على ظهر جواده الابجر وفي عاجل الحال ركب عنتر على ظهره وركب جميع رفقته وقد أركبوا النساء والبنات وكل من كان معهم من الاماء على الخيول الخاليات وبعد ذلك ساروا ولو كان لهم أجنحة طاروا وهم يقطعون الفلوات في تلك الدياجي المظلمات وما طلع عليهم النهار الا وقد بعدوا عن الديار فهذا ما كان من أمر هؤلاء من العبارة وأما ما كان من أمر اللقيط بن زراره لما انه صحا من سكره عند السحر وقد خطر كلام شيبوب في قلبه فاتفكر وارتجف قلبه على الجواد الابجر من أمر أبي الفوارس عنتر وما صدق ان يرى الفجر قد ظهر حتى انه وثب من منامه مثل الفهد اذا انذعر وقد خرج من خيامه وأتى الى المضرب الذي قد أمر شيبوب بحفظه فنظر الى العبيد حوله فرآهم نياما فصرخ عليهم فانتبهوا من خمرهم وهم في خبال قال فلما انتبهوا سألهم عن العبد الفزاري وقال لهم ما كان منه فقالوا له والله يا مولاي ما ندري أين قصد لانه لما أخذنا معه وأتى بنا الى ههنا قال لنا أنتم على كل حال تعابى وسكارى فناموا الى ان تخلصوا من غلبة المدام فأنبهكم للحرس وأنام أنا بعدكم فقبلنا يا مولاي منه ما قال لنا ونمنا وما استيقظنا من غلبة المدام الا في هذه الساعة كما ترى فقال لهم اللقيط لما سمع منهم ذلك وقد حس قلبه بالبلاء ويلكم ما أخوفني أن يكون هذا العبد ما هو من بني فزاره ولا هو من عبيد سنان بن أبي حارثه ولا أتى الينا هذا العبد الا عيارا محتالا وقد قال ما قال من شقشقة اللسان وزور الكلام ولكن ما قال لكم على اسمه ولا عن لقبه ولا شيأ يعرف به بين العبيد فقالوا له بلى والله يا مولاي انه قد أخبرنا ان اسمه جامع واذا مزح معه سيده يقول له يا مخادع فقال لهم اللقيط هذا والله هو الصحيح ولان الرجل عرفكم بحاله وما أخفى عنكم شيأ من أحواله لانه قد أتى الينا مخادعا ولكن أنتم ما عرفتم مقاله ولا وعيتم كلامه قال ثم ان اللقيط بعد كلامه للعبيد قام من عندهم ودخل الى المضرب الذي فيه الجواد الابجر والجمرة سكاب فما رأى لهم خبرا ولا أثرا ثم انه نظر الى العبد الذي كان يخدمهم فرآه مذبوحا وهو جسد بلا روح فعندها قال يا جامع لا جمع الله شملك على من تحب يا ابن الملعونه ثم انه نظر الى ما حل به من تلك الاشياء فأكل كفيه أسفا عليه وعلى الجواد والجمرة سكاب وقد أحس بان روحه وقلبه قد انفطر وقد علم ان العبد الذي فعل معه تلك الفعال هو شيبوب أخو عنتر فتلهب وتحسر وفي عاجل الحال جمع اخوته اليه وهم ثمانية عشر وقد أخبرهم بما جرى عليه فتوجعوا لما قد جرى له وأخذهم القلق عليه فعندها قال لهم اعلموا يا اخوتي ان هذا الشيطان قد جار علينا مرارا عديدة ونحن ما نعتبر زمن محاله ولا من شقشقة لسانه على أن هذا الشيطان ما يأتينا الا بالحديث والخبر الذي يكون فيه وما ندري من يعلمه باحوالنا كأنه هذا الولد الزنا يطلع على ما في قلوبنا بمكره وخديعته فقال له الحاجب يا لقيط هون

عليك هذا الامر فان الابجر لا ينفعك ولا ينقاد لما تريد من أمرك واذ تولعت به خاطر معه هذا يا أمير فنحن كنا سائرون الى ديار بني عبس ومجتهدون في قلع آثارهم وخراب ديارهم ونهب أموالهم وعيالهم فان تم لنا هذا كان عنتر والجواد الابجر وكلما تريد بحكمك وان هم رزقوا النصر علينا وعلى غيرنا من عساكر الملك الحارث الوهاب فهذا أمر ما لاحد فيه حيلة ولا أسباب (قال الراوي) فبينما هم يتحدثون في أمر شيبوب وما فعل وكيف تحايل عليه وكيف سرق الجواد والجمرة واذا بثلاث رجال قد أقبلوا من البر عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له أيها الملك اعلم ان العروس الذي زوجتموها للامير مالك قد سبيت والمال الذي معها قد نهب والعبيد والغلمان والنساء والبنات الابكار ملكوا والفرسان الذين معهم قتلوا (قال الراوي) فلما سمع اللقيط هذا الخبر وان العروس قد سبيت هي ومن معها من النسوان زاد باللقيط ومن معه الهم والاحزان ورموا بنوائب الزمان وقد اشتعلت قلوبهم بالنيران وجرى على اللقيط واخوته ما لا يجري على قلب انسان فقال اللقيط لاخوته ولاهل مملكته احفظوا أنتم يا وجوه العرب الحلل والمضارب والعيال والنوق والجمال فربما يصير علينا هذا الشان مرة ثانية ويجري لنا فضيحة عند سائر العربان (قال الراوي) فلما تكلم اللقيط بن زرارة بهذا المقال ما بقي أحد من بني مشاجع الا وقد احتفظ على ماله وعياله ونوقه وجماله وزاد بالقوم الفزع وقد احترزوا على أنفسهم جميع أهل الحلة باقامة البصاصين على الطرقات والحدود وبعد ذلك سار اللقيط واخوته وفرسانه الى وادي الاخدود ونزل في ذلك المكان أياما وليالي بمن معه من الجنود وصار يجمع العساكر من العربان وعلم أن الامر قد تم عليه من شيبوب وأخيه عنتر وعلم أنه ان تبعه كان معه على خطر فعند ذلك أنفذ اللقيط أخاه حاجبا الى الملك الجون سيد بني كندة يخبره بالخبر وأيضا الى ملك بني تميم واعلمه بقصته وما جرى عليه في نوبته وسأله هو ومن بصحبته من الفرسان في نجدته قال وأقام بعد ذلك اللقيط في وادي الاخدود هو واخوته وصار يتنهد ويتقهر ويمزق نفسه ويكابد حرقته ويتكمد بغصته ويفرق على قبائل العربان ماله ونعمته وما قد جمعه في طول عمره ومدته من النوق والجمال والخيل والانعام (قال الراوي) فهذا ما كان من اللقيط واخوته وأما ما كان من عنتر بن شداد ورفقته فانهم جدوا في المسير ليلا ونهارا في الغدو والابكار مقدار خمسة أيام ثم بعد ذلك ترفق على نفسه في المسير لاجل النساء المسبيات اللاتي معه فصار عنتر يكرمهن بالطعام ويترفق بهن في اللغو والكلام وأما العروسة المهرية فانها تبكي بكاء شديدا ما عليه من مزيد ولا تسكت لها لوعة ولا تنشف لها دمعة ولم تلتذ بطعام ولا غمضت عيناها للمنام فقال لها عنتر في بعض الايام يا مهرية بكائك هذا على مالك بن حاجب الذي كنت سائرة اليه وترق عليه فقالت له لا وحق عينيك يا مولاي ما هو عليه وما تزوجت به باختياري وما كان ذلك الا غصبا عني وانما بكائي على ابن عمي لانني قد ربيت معه من الصغر وقد ألفته وألفني من زمن الصبا الى الكبر فزوجني به والدي وقد مضى يأتي بالمهر المعتبر من بعض أحياء العرب فابطأ وقد أيسنا منه ولم نعلم ما قد جرى عليه من الخير أو الضرر وقد اتفق ان حاجبا زارنا في أيام عيدنا الكبير فرآني وسط البنات وأنا أدور حول الصنم فهويني فعاد الى أهله وأعمامه ومد أبي بالخيرات والنعم بعد ان شكا اليهم حاله وسألهم أن يزوجوه بي فأجابه اخوته الى ذلك فانفذوا الى والدي وخطبوني منه وأنفذوا له شيأ من المال والنوق والجمال ففرح أبي بنعمتهم وزوجني به غصبا وساقني اليه كما ترى وقد جرى على منكم ما جرى والى الآن يا سيدي وأنا متحسرة على ابن عمي ومتذكرة أيام الصبا فلما ان تكلمت مهرية بهذا الكلام قال لها عنتر يا مهرية هذا أمر هين وأنا أقضي حاجتك وأبلغك أمنيتك واني متى وقعت به أو سمعت خبره أنفذت خلفه وزوجتك به ولم شملك عليه (قال الراوي) وكان الامير عنتر وعد عروة بن الورد بهذه الصبية وقد عول أن يهبها من خوفه من بنت عمه عبلة البهيه الا ان عنترا وأصحابه ومن معه والجارية مهرية ما أتموا كلامهم حتى لاح لهم من صدر البرية خيل وجمال ونوق وأموال وهي تتسابق الى الغدران فعند ذلك قال عنتر هذا ركب سائر وأقول لا بد ان ما معه خبرا من بني عبس وعدنان وبني عامر فحرك جوادك يا أبا الابيض واسألهم عن تلك الديار وما قد جرى لهم من بعدنا ان كان معهم خبر عن الاهل والعيال لان قلبي خائف عليهم من هذه العساكر الجراره ومن سنان بن أبي حارثه ومن

اللقيط بن زراره فعندها أطلق عروة الجواد وقوم السنان وحرك العنان وتبعه خمس فوارس كأنهم العقبان وما زالوا يركضون بخيولهم حتى قاربوا الجبال والنياق وحققوها بأعينهم والاحداق فاذاهم بخمسة من العبيد وفارس واحد كأنه البرج المشيد وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد وتحته جواد شديد هذا ولما نظره عروة أراد أن يبدأه بالسلام واذا بالفارس قد قفز اليه مثل ثنية الجبل أو الغمام اذا هطل وطلبه كما يطلب الجارح الحمام فعند ذلك قال له عروة ياوجه العرب من أين طريقك والى أين غادى فى هذا البر الاقفر والمهمه الاغبر فقال البدوى بعد ما صرخ فى وجهه صرخة تهد الجبال ويلك ياجاهل ماهذا مقام السؤال فانزل عن جوادك وسلم ما معك من السلب والاموال والاوحق ذمة العرب ومن عن خلقه قد احتجب هتكت بسنان هذا الرمح منكم ودائع الصدور وتركتكم رزقا للوحوش والطيور ثم ان الفارس بعد كلامه طلب بسنانه صدور الفرسان الذين مع عروة وهو مثل المجنون العاشق الولهان الذى قد أبعد عنه أحبابه وهجره خلانه وأصحابه (قال الراوى) وفى دون ساعة جرح الفارس من أصحاب عروة ثلاث رجال وطمع فى جانبهم واستطال فلما أبصر عروة ماحل بأصحابه وجهل هذا الفارس وقتاله خاف منه على نفسه ورجاله فعندها حمل عليه حملة الحنق وصاح فيه وزعق وصدمه صدمة الاسد وفى عاجل الحال تضاربا بالرماح حتى تقصفت وبعد ذلك عادوا الى الصفاح ومازالا كذلك حتى آيس الاثنان من الارواح هذا وقد اختلف بينهما ضربتان قاتلتان واصلتان كانت منهما مضارب السنان وقد وقع سيف كل واحد منهما على بيضة صاحبه فانقطع وما بقى فى أيديهما الا المقابض التى لاتنفع (قال الراوى) وبعد ذلك القتال والضراب والنزال تقابضا على ظهور الجوادين وقد طال الامر بين الاثنين حتى كادت أنفسهما تجرع غصص البين ومازالا يتجاذبان ويتجاذبان ويتواثبان حتى ان عروة خاف عليه أصحابه منه فداروا بالبدوى من كل جانب ومكان وطعنوا فرسه بالاسنة والقواضب فوقع من فوقها وسقط على أم رأسه فانقلب فأخذوه أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وفى الحال عادوا به وبالعبيد الذين معه والنوق والجمال وقدموه بين أيادى الامير عنتر بن شداد وعامر بن الطفيل وأخبروهما بفعاله وجهله وما قد جرى لهم معه وطلبت الرجال قتله فقال عنتر اقتلوه وعلى الارض جندلوه وبعده جدوا بنا فى المسير لان لنا شغلا أهم من هذا كبير قال فبينما هم فى ذلك الكلام واذاهم بمهرية قد ألقت روحها الى الارض وارتمت عليه وقد بكت وعانقته فى صدره وقبلته بين عينيه والتفتت الى الامير عنتر وقالت له ياحامية عبس ان أردت قتل هذا الغلام فاضربنى قبله بالحسام واقتلنى لان هذا الفتى هو ابن عمى ولحمى ودمى وهو الذى كنت أشكو اليك أمره من قبل وما أجد من المحبة والوداد من أجله وقد سمعت عنك يا أبا الفوارس انك قاضى حاجات العشاق فى هذا الزمان لكثرة ما قاسيت من أجل ستى عبلة من المذلة والهوان وسرت من أجلها فى بلاد العراق وأصفهان حتى جمع الله شملك بها وأنا يا أبا الفوارس قد ربيت مع هذا الغلام من عهد الصبا فبحرمة ما بينك وبين سيدتى عبلة من المحبة والوداد والغرام لاتفجعنى فى ابن عمى هذا الغلام فلما تكلمت مهرية بهذا الكلام قال لها عنتر والله يامهرية لقد أقسمت على بقسم عظيم وما هو هين ولاجل قسمك آمنك على ابن عمك وأطلقه لاجلك وأطلقك أنت معه ولا نؤاخذه بما فعل بأبطالنا لاجلك فعند ذلك فرحت مهرية بكلامه فما كان عندها غير انها دعت له فعند ذلك حن قلبه عليها وعلى ابن عمها وقد تعجب عنتر من هذا الاتفاق وكذلك جميع من حضر معه من الرفاق فعند ذلك التفت اليها الامير عنتر وقال لها يامهرية أتحبيه فقالت له وكيف لا ياسيد بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان وهو الذى قد شكوت اليك محبته ووعدتنى بجمع شملى بشمله وقد قرب الاجتماع به على يديك وكان (قال الراوى) فعند ذلك تعجب عنتر من هذا الاتفاق الغريب السديد وأمر عروة ابن الورد ان يطلق الغلام والعبيد ويرد عليه فرسه وسلاحه ونوقه وجماله التى كانت معه رما يريد ففعل عروة ما أمره به عنتر وحله من اعتقاله فعند ذلك وثب الغلام على قدميه ولبس ثيابه وتقلد بسيفه وتمكن بدرقته واعتقل بسنانه ورمحه وتقدم الى ابنة عمه فوثبت اليه وهى مزينة بالملابس والعقود والجوهر ووقعت على صدره وقالت وا ابن عماه وامهجة قلباه فسأل عنتر بن عمها عن طول غيبته فقال والله يامولاى من حين

خرجت من عند قومى رميت بروحى فى المطامع والحروب والاخطار وقد درت سائر الاقطار حتى سهل الله لى هذه النوق والجمال ومع هذا لم تف ببعض ما طلب عمى من المهر والصداق الحال وما فعلت هذه الفعال مع أصحابك الا لاجل تحصيل ما بقى على من المال فقال له عنتر ها قد خلصت من حمل المال والنوق والجمال والاماء والعبيد وقد أتاك الامر كما تريد وقد حظيت بابنة عمك وهانت الامور عليك ولولا أنا ما كنت رأيتها لك صحيحة لان أباها قد غدر بك وزوجها المالك بن حاجب قال ثم ان عنتر حدثه بقصتها وما جرى لهم من قضيتها وقال له عنتر ياوجه العرب خذ بنت عمك وتزوج بها ولاترجع بها الى أهلها فتؤخذ منك غصبا واعلم أنا قوم كثرت أعداؤنا ولولا ذلك لكنا أخذناك معنا الى ديارنا وأوطاننا وعنتر ما قال له ذلك الا فزعا من عبلة وخوفه أن تسمع من بعض النسوان ماجرى له مع مهرية طول الطريق فتعمل على أذيتها وأيضا تكدر عيش عنتر معها فلاجل ذلك وهبها الابن عمها وجاد عليه بها وكان سيف الغلام ورمحه قد تكسر كما ذكرنا فأعطاه عنتر رمحا طويلا وسيفا صقيلا فكان عنتر يستعمله وقت الضيق ويستعين به على قطع الطريق وكان اسم ذلك السيف المضى قال فعند ذلك فرح ابن عم مهرية بذلك وقد شكره وأثنى عليه بعد ان عرفه انه حامية بنى عبس وعدنان وفزارة وغطفان فما كان عنده شئ يكافئه به غير جوهرة اللسان التى يفتخر بها بين السادات والعربان وهو المدح والثناء على الاصحاب والخلان فعند ذلك شمر عن عينيه وأشار يمدح عنترا بهذه الابيات

لك الله ما أعلى محلك وأرفعا * وأحرى الى كسب الثناء وأسرعا
وأعداك عدوا فى الانام كقطرة * اذا جاء سيل للبرية أروعا
وأمرع كفا والملوك بخيلة * وأشجع ان داع الى نصرة دعا
جمعت على الناس السماح ولم يكن * لولاك أنت لم يستجمعا
كما طبت خبرا فى الانام ومخبرا * كذلك جودك فى البرية مشبعا
فيافارسا فاق البرية كلها * علاء ومجدا كان طفلا ومرضعا
بلغت من العلياء ما أعجز الورى * ولم يبق فى مفخر لفخرك مطمعا

(قال الراوى) فلما فرغ الغلام من مدحه لعنتر شكره وأثنى عليه وفى عاجل الحال وهب له شيأ من المال وكذلك عروة بن الورد وهبه على قدر ما يليق وكذلك عامر بن الطفيل ومقرى الوحش نزل من على فرسه وسلمها اليه وما أحد من الفرسان الا وأنعم عليه ولم يبق غير شيبوب فانه لما نظر الفرسان تكرموا على هذا الغلام قال ياوجوه العرب ما أنا فارس حتى انى اتكرم واسعف هذا الرجل وأنا لا تعرفنى العربان الا صاحبا الا من مكان الى مكان وان كان هذا الرجل يريد أن يتعلم شيأ من المكر والشيطنة والحيل فأنا أعلمه فردا لاثن بلا أودان وأعلمه كيف يسرق الخيل من كل مكان ويبيعها الى أصحابها بعد الادهان ويأخذ المرأة من حضن زوجها وهو نائم أو يقظان فهذه تجارة لم تفرغ على مدى الازمان قال فلما سمعوا من شيبوب ذلك الكلام تضاحكوا عليه وعلموا انه يخرج من يده أكثر مما قال فعند ذلك أخذ الغلام ابنة عمه مهرية وودع القوم وسار الى حال سبيله وكذلك عنتر ورفقته قد ساروا وجدوا فى المسير وهم طالبون أرض بنى عامر هذا وعنتر تقدم الى أمام القوم وتذكر ما جرى عليه من هذا المجرى فأنشد يقول

الا اننى قد طفت كل المعالى * ودرت على عربانها والاعاجم
ولاقيت شجعانا وكل غضنفر * وفلقت هامات لهم بصوارمى
وحميت قومى عند مشتجر القنا * وصلت على أعدائهم فى التلاحم
فلا تجهلوا فعلى وعظم شجاعتى * فانى جسور فى اللقا والتهاجم
الا خبروا ضدى اذا الحرب شمرت * وصلت على الهامات بيض الصوارمى
الا خبروا عنى لقيطا اننى * سأرغمه عند اشتباك اللهاذم

وخبره عنى أنى سأذيقه * كؤس المنايا من سموم الاراقم
وأقهره رغما من بعد سبي حريمه * وأشهرهم بين الورى للعوالم
ليعلم أنى الفارس البطل الذى * ذكرى علا بالفخر ما الدهر قائم
تنبه يا مغرور ان كنت نائما * بانى غداة الحرب ليث القشاعم
أما سمعت أذناك يوما بوقعتى * وقد فر منى أرجال الضراغم
بانى أقطع فى الهيجا رؤسها * وحكمت سيفى فى الكلا والجماجم
ومن عرب العرباء فخرى ونسبتى * وذكرى فيما بينهم وبك قائمى
ستعلم يا هذا ويظهر ما خفى * بانك فى الهيجا قتيل بصارمى
أنا عنتر العبسى ألقى حماتها * غداة أريك كيف التصادم
ولا أرجع عن حرب قومك دائما * لانى أنا قرم شجاع ملازمى *
وانى قد لاقيت ألف مدرع * ملوك حماة لايخافوا التهاجى
قطعت نواصيهم وفرقت جمعهم * وشتتت عربانا لهم والاكارمى
أنا عنتر لاتنكرون فعائلى * اذا ما بدا لى الموت كنت مهاجمى
فلابد لى أن أخليك ثاويا * وأتركك ملقا عفيرا ونادمى
وتنظر أنصار الكم قد تهاربت * فزعا لما قد نالها فى الملاهذم
أسرت دريدا ثم فرقت جمعه * فماذا لقيط بعده فى تهاجمى
أقول لصحبى اذ ذكرت عبيلة * وزاد اشتياقى نحوها وتقادمى
وقد فاح من نحو الديار لميمة * أضاءت لنا الاكوان والليل معتمى
وأجلى الدياجى منه نورا كأنه * سنا الشمس بل أبها سناء وأعظمى
خليلى هذا النور منه لنا بدا * فهذا الفجر أم نار تشب وتضرمى
فقالوا رعاك الله ذا النور ضاونا * ديار أبيها ظعن الحبيب مخيمى
فقلت أميلا عن مثانى ركابنا * فهذا الذى كنا بدور مختمى
والآل والاصحاب جمعا وآلهم * ما ناح طير على الغصون وترجمى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك طربت جميع الفرسان وقالوا لافض الله فاك ولا كان من يشناك يا أبا الفوارس ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا غدوا وابتكارا حتى وصلوا الى المنازل والديار قال وكان وصولهم أول النهار فوقعت لهم البشائر فى الاهل والعشائر الا أنهم ما وصلوا الى المضارب والخيام حتى أقبلت اليهم رسل الملك وقد أمروهم بالحضور فأجابهم بالسمع والطاعة وقد امتثلوا الامر فى تلك الساعة وفى الحال خلعوا عنهم الزرد والحديد وآلة السفر ولبسوا ثياب الحضر ثم انهم عادوا ووصلوا الى الخيام فنظروا فرسان القبيلة كلهم مجتمعين وفى أصل أمورهم يتشاورون ولما أقبلوا وثبوا لهم بالحضور رقيا ما على الاقدام وهنوهم بالسلامة وعظم الشان وسألوهم عن سفرتهم وما جرى لهم فى غيبتهم فحدثهم عنتر بما جرى له مع اللقيط بن زرارة قال فلما سمعوا منه ذلك الكلام تعجبوا من تصاريف الايام فقالت أبطال بنى عبس يا أبا الفوارس لو أعلمتنا بهذه الاخبار حين سرت لكنا اتبعناك ونقاتل من بنى مشاجع الاثر ولا نخلى لهم ذكرا يذكر ما طلعت الشمس وغاب القمر فقال عنتر يا موالى ما أردت أن أتعب خواطركم فيما لا يسوى ولا أكلفكم أكثر ما كلفتكم فى قبائل الاعداء وبسعادتكم قد تم أمرى وانقضى وأنتم يا وجوه العرب ما الذى تجدد عندكم من الاخبار وكيف مقامكم فى هذه الديار فقالت الرجال والله يا أبا الفوارس ما كان مقامنا الا أطيب مقام الا انه كان فى الامس آخر النهار وقد كنا مجتمعين فبينما نحن هكذا اذ أقبل علينا رجل من بنى فزارة فنظرنا اليه وهو ضيق اللثام تام الطول والقوام وهو راكب على ناقة عالية السنام ولما قرب الينا الا تكلم ولا سلم الا أنه نزل من على ناقته ورمى فى

وسطنا ثوب خام وهو مشدود الاكمام ومربوط بربطتين وجعله صرتين وتركه بين أيدينا وعاد ركب ناقته وسار وقد غاص فى البرارى والقفار ونحن ننظر اليه باهتين فيه ولما غاب عنا تقدمنا الى ذلك الثوب وفتحناه فوجدنا فى الصرة الاولى رملا أصفر وفى الصرة الثانية شوكا مثل رؤس الابر ووجدنا فى الثوب عشرة أحجار صغار فلما نظرنا الى الثلاثة اشارات اندهلنا وتحيرنا من هذه الصفة وضاقت علينا المسالك ولا فينا من عرف هذا الحال ولا حل لنا هذا الاشكال وقد قلنا فى أنفسنا والله ما أتى هذا الرجل الا يحذرنا من قوم يصيبنا منهم ضرر وما فى الامر الا اننا نركب الخيل ونلحقه ونمسكه وانه يحدثنا بالذى فعله معنا يا كرام ولما همنا الى هذا الامر التفت الينا الملك قيس وقال يا بنى عمى الرجل مأخوذ عليه العهود والمواثيق انه لا يكلمنا بشفة ولا بلسان ولو انكم تشيلوه بعوامل الرماح ما أظهر لنا سره ولا باح وأما هذان الصرتان فأنا أحدثكم عن معناهما فأما الرمل فانه يقول لكم قد أتتكم عساكر بعدده وأما هذه الصرة الشوك فانه يخبركم ان هذه العساكر الواردة اليكم فانها فى شوكة قوية وكون ان الرمل أصفر فانه يخبركم ان العساكر من بنى الاصفر وأما هذه العشرة أحجار فانه يقول لكم بعد عشرة أيام يكونون عندكم قال فلما سمعنا ما تكلم به الملك قيس صدقناه فى معرفته ونطقه ولكن يا أبا الفوارس ما نعلم من أين تأتينا هذه العساكر فلما سمع الامير عنتر منهم هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وقال لهم يا وجوه العرب أما الملك قيس فهو حق ذمة العرب لقد أصاب فى تفسير هذا الاشكال المستغرب وأما هذه الجيوش القادمة عليكم فأنا أخبركم بخبرها واترك خيلنا تتعثر بجماجم فرسانها وركابها وهى منهزمة بين أيدينا تطلب ديارها وأوطانها ثم ان عنتر حدثهم بحديث خبر الشام وانهم يريدون أن يأخذوا بثار ابن ملكهم الذى قتلته أنا فى أرض تيما فأتوا الى هذه الديار يطلبون ثاره ثم انه أخبرهم أيضا بحكاية سنان بن أبى حارثة وانه سائر الى ملتقاه فى فرسان بنى فزارة هذا وقد عرفهم عنتر بالجموع التى جمعها اللقيط بن زرارة هذا ولما انتهى عنتر من كلامه وقد بين لهم القصة على جليتها التفت بعد ذلك الى فرسان بنى عامر وقال لهم اسمعوا يا وجوه العرب واعلموا ان طلبنا أكثر من طلبكم والدماء علينا أكثر مما عليكم فان كانت قلوبكم تطيب بجوارنا وأنتم تساعدونا على الاعداء فلا مانع والا فاعلمونا حتى نرحل من جواركم ونبعد فى البرارى والقفار عنكم ويدبر كل أحد ما يحب ويختار لانكم أنتم أصحاب هذه الديار ونحن لكم من بعض الرعية والجوار فلا تكلفوا أنفسكم الا بما تصلحوا به نفوسكم وشأنكم وأمركم وأوصيكم أن لا تعتمدوا على شئ يضركم (قال الراوى) ولما سمع بنو عامر كلام عنتر وما أبداه استحسنوه وشكروه وقالوا له يا أبا الفوارس أتريد أن تنسبنا بين العرب لفسخ الذمام وتتركنا معيرة بين الأنام والذى أرسى شوامخ الجبال وعلم عدد الحصا والرمال ما بقى أحد منا ينثنى عن صاحبه حتى انه يقتل الى جانبه فدع يا أبا الفوارس الملوك يدبروا نفوسهم ونحن نتبعهم فيما يدبرون فلما تكلم العامرى بهذا الكلام قال الملك قيس للاخوص بن جعفر سيد بنى عامر فاذا كنتم يا وجوه العرب قلوبكم طيبة بهذا القول فهو الصواب ونعم الرأى نجدد بيننا وبينكم العهود والمواثيق اننا كلنا نكون على عزم واحد ونلقى هذه العساكر والجيوش بغير معاون ولا مساعد فقال الاخوص أيها الملك افعل ما تريد وما تشتهى وما يخطر على بالك فعند ذلك التفت الاخوص بن جعفر الى بعض فرسانه وأمره أن يمضى الى الديار وأن ينفذ فرسان القبائل ومقدمى العساكر لانهم فرق تحت ادارته شتى وهم بنو كلاب وبنو عامر وبنو غناء وبنو الحرث هذا ولما سارت الرسل الى جميع القبائل والحلل أعلموهم بما أتوا فيه فلما سمعوا ذلك القول لبسوا عددهم وركبوا خيولهم وساروا طالبين طوع سيدهم الاخوص بن جعفر فلما وصلوا اليه قبلوا الارض بين يديه فقال لهم الاخوص بن جعفر اسمعوا أيها المقدمون من أصحاب الحلل والقبائل ان فرسان بنى عبس قد تحرك عليهم بعض عدوهم وهو الملك الحرث الوهاب الغسانى الحاكم على مدينة دمشق وأرض غزة والرملة وبلاد عسقلان الى ديار مصر ونيلها وصعيدها وقد التجأت الينا هذه القبيلة العبسية وقد أكلت زادنا بين حريمنا وأولادنا وقد اختاروا جوارنا من دون سائر القبائل وهذه عساكر وفرسان وأبطال حامية على هذه الربا وان لم نحسن المعاشرة والا داستنا الخيول الغائرة ونحترق بنارهم ونتفرق فى تيارهم ان لم نكن يدا واحدة وكلمتنا على بعضنا البعض نافذة

ومساعدة والاصرنا قطعا بالسيف ونذوق الحسرة والحيف فها أنا قد اعلمتكم بالحال فان وافقتمونا فيها والا فارحلوا عن هذه الديار واعتصموا بالروابى والتلال وقد بلغنا ان الآتى علينا مائتان وخمسون ألف عنان سوى العبيد والغلمان فلما سمع مقدمو الحلل والقبائل من أميرهم ذلك المقال قبل جميعهم الارض بين يديه وقالوا له أيها السيد اعلم انك لو أمرتنا بالبحار لخضناها ولو أمرتنا بالنيران لنزلناها ودسناها لانك صاحب رأينا ومشورتنا وأنت سيدنا وملكنا الحاكم علينا والآمر الناهى فينا فلما سمع الاخوص من قومه ذلك الكلام شكرهم وأثنى عليهم ثم انه أخذهم وأتى بهم بين أيادى الملك قيس وقبل الارض بين يديه وقال أدام الله أيام الملك المهاب والسيد المفضال اعلم انه قد انصلح الحال وتم الامر بين المقدمين وما بقى غير الرحيل من هذه الديار لتلقى هذه العساكر والجيش الجرار تجدد العهود والمواثيق بينهم حتى صاروا عصبة و يدا واحدة على الاعداء من بنى غسان وغيرهم من جميع الأنام وانهم يكونون مع بنى عبس وعدنان طول الشهور والسنين والاعوام قال فأجابه الملك قيس الى ذلك ولما انتظم الامر بينهم على ذلك الحال أمر الملك قيس هذه القبائل أن يركبوا خيولهم و يحفظوا طرقاتهم ثم انه أمر الجواسيس بأن يسيروا الى سائر الجهات من الارض و يتجسسوا الاخبار فسارت عند ذلك الجواسيس وقد أخفوا أمورهم وطلبوا الطريق الواضحة التى يمكن أن تدلهم على آثار أعدائهم قال فهذا ما كان من أمر هؤلاء * وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه قال لابيه يا أبتاه انى خائف على أختى مروة وعلى ابنها الطفل وأيضا على بنى غطفان لاننى أنا أعلم ان سنان بن أبى حارثة اذا اجتمع بعساكر الشام وفرسان بنى غسان لابد أن يقول لهم هؤلاء بنو عمى الذين قتلوا ابن ملككم فاقلعوا آثارهم واخربوا ديارهم فتملك عساكر بنى غطفان من أجلنا و يحترقون بنارنا فقال له شداد يا ولدى اننى متعجب كيف ان بنى غطفان يسمعون بهذه الاخبار و يقيمون فى الديار فقال عنتر لعلهم ما سمعوا بذلك لان سنان بن أبى حارثة ان اجتمع بطوائف أرض الشام وفرسان بنى غسان يهلكونهم عن آخرهم ولا يجد أحد من الفرسان ولا من أبطال بنى عبس وعدنان فى ذلك الوقت من ينجدهم فقال شداد والله لقد صدقت يا ولدى ولعل سنانا يكون من خبثه وملعنته حين سمع بخبر عساكر الشام وهذه الطوائف طلبتنا قد أوقف الرجال بالطرقات ومنع الناس من بنى فزارة أن لا يمكنوا أحدا من الخروج من الديار وكذلك سائر العشائر حتى لا يبلغ الخبر الينا ولا نسمع هذه الحديث من بشر وكان هذا الحديث من عنتر أعجب من كل عجب لانه قد أصاب فى الحديث والكلام وكان سنان قد فعل هذه الفعال وقد وكل بالطرقات الرجال حتى لا يعلم بنو عبس بما هم عليه وتدهمهم هذه العساكر على غفلة منهم وقد مسك سائر الطرقات والمذاهب وحفظ الخيام والمضارب ولا صار يترك أحدا من أهل الحلة ان يخرج من الديار الى مكان ولم يخرج من الاحياء الا ذلك الرجل الذى قد أتى لبنى عبس لان أمه كانت من بنى عبس فلما أن جرى هذا المجرى قالت لولدها يا ولدى اعلم ان هذه النوبة صعبة على بنى عبس وان غبت عن أخوالك فنوا بالحسام وتساق نساؤهم الى أرض الشام والرأى يا ولدى انك تتسبب فى الرواح اليهم وتقص هذه القصة عليهم لعلهم يرجعون الى بلاد اليمن أو يلتجؤن الى جبل يحميهم من طوارق الزمن ثم انها بكت حتى بكى ولدها وقال يا أماه على ان أبذل المجهود فى بلوغ المقصود ثم انه ركب ناقته وخرج يطلب البر فردته الفرسان الذين وكلهم سنان على الطرقات ثم انهم ساقوه الى بين يدى سنان فلما اقبل عليه قال له الى اين أنت غادى فقال له يا مولاى الى المراعى لان العبيد اخبرونى البارحة ان الفحل الذى لى قد شرد وأخذ النوق والجمال معه وانا ذاهب لاردها بلا امهال فقال له سنان هذا منك محال فما أنت سائر الا الى بنى عبس تخبرهم بما نحن فيه لان امك منهم وقد ضاق صدرها عليهم فلما ضاق صدرها على اولاد بدر الذين قد مزق قيس دماءهم بماء النهر فارجع الى الخباء والا وحقك بالحسام فقال له الرجل وكان اسمه الصامت والله يا مولاى ما عندى من هذا خبر وما انا سائر الا فيما قد ذكرت لك فقال سنان ان كان هذا صحيح وانت صادق احلف لى بالرب القديم وزمزم والحطيم انك لم تتحدث بحديث الى عبسى ابدا قال فحلف له كما اختار فاطلقوه وسار يقطع البيدا والقفار الى أن اشرف على بنى عبس وبنى عامر وقد بقى فى هذا الامر حائر ومن شدة حذقه ومعرفته وذكائه نزل عن ناقته وخلع ثوبه

وشدا كمامه وملأ جنبه الواحد رملا والآخر شوكا ورماه بين يدى القوم وعاد راجعا وعدنا الى سياقة الحديث والخبر فلما قال عنتر لابيه شداد أنا خائف على أختى مروة وعلى بنى غطفان ومرادى أرسل اليهم عروة بن الورد لان أخته سلمى عندهم وآتى بالجميع الى عندنا وأساويهم بأبى بأرواحنا فقال له أبوه يا ولدى قد نظرت موضع النظر ولكن اصبر اليوم وغدا حتى تكون قلوبنا طيبة لاجلك ونسمع ما يتجدد من الاخبار والاقوال (قال الراوى) ولما كان ثانى يوم واذا بنواصى الخيل التى كانت على الطرقات قد أقبلت تخبر الملك قيس ان قد بان لهم غبار وقتام أسود وهو قد ملأ الاقطار وما ندرى ان كانوا هم عساكر الشام أو خلافها أو بعض قبائل من الاعداء قد سارت الينا فعندها ركب الملك قيس واخوته وقد نادت العبيد فى القبائل فركبت الخيول الصواهل وفى دون ساعة امتلأ البر بالفارس والراجل وقد ركب عنتر وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد وركضوا فى طلب ذلك الغبار وكشف الاخبار وما هم الا ان قاربوا السواد فرأوا الخيل قد خرجت وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان يا لغطفان (قال الراوى) وكانت هذه الخيل المقبلة هى التى كان عنتر مراده يسير خلفها خوفا عليهم فأتوهم بحريمهم وأموالهم وعيالهم وهم يطلبون الحماية على أنفسهم خوفا من الاعداء وكان سيد القبيلة ومقدمهم زياد بن ماجد وهو على رأسه علم وهو كأنه أسد قسور فسلم على بنى عبس وعلى عامر بن الطفيل و بعد ذلك ساروا وهم يتحدثون فى أخبار القبائل والعشائر فقال لهم عنتر اليوم كنت على نية المسير اليكم من خوفى عليكم لاننا قد تعجبنا كيف قراركم فرارمع سماع هذه الاخبار فقال زياد ابن العم ما سمعنا بخبر صحيح الا فى هذه الايام لان سنانا من ملعنته قد مسك على بنى فزارة الطريق حتى لا نسمع أخبارا صحيحة عن عساكر الشام وما مكن أحدا من زيارتنا اليكم خوفا أن يظهر ما هم فيه رجل من بنى عمنا متزوج من بنى فزارة فقال لنا ارحلوا من ساعتكم من هذه الديار واطلبوا أرض بنى عبس الاخيار وكونوا لهم جوارا لان سنان بن أبى حارثة وحصن بن حذيفة قد ساروا بفرسان العشيرة وانتشروا فى أرض مثل الجراد ولولا اخلوا الطريق ما قدرت أن أصل اليكم فارحلوا من يومكم واسرعوا فى المسير لعلكم أن تصلوا الى بنى عبس قبل أن يأتيكم ما ليس لكم به طاقة وتشمت بكم الاعداء والحساد وتسبى نساؤكم والاولاد لان سنانا نيته عليكم رديئة اذا وصلت اليكم العساكر الغسانية فلما سمعنا ذلك رحلنا كما ترى وقد قطعنا الصحراء وفى طريقنا عبرنا على أرض بنى فزارة فرأينا أموالهم سائبة فسقناها قدامنا وهى لا يحصى لها عدد وهى التى تثير القتام الاسود لانها أموال كثيرة العدد (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام زياد فرح واستبشر وعاد القوم الى بنى عبس وعامر هذا وقد وقعت البشائر ونحرت النحائر وقد نزل بنو غطفان فى أعز مكان واجتمع عنتر بأخته مروة وكذلك عروة بأخته سلمى وقد اجتمع كل قريب بقريبه وقد أصبحوا يتشاورون فى لقاء الاعداء والاضداد وقد اجتمعت كل القبائل والسادات وفرسانها الجلاد وما بقى فى ذلك اليوم ممن له عادة بالحضور الا وقد حضر وحدث بما سمع وأبصر لحضرة زياد مقدم بنى غطفان وعنتر والملك قيس والاخوص بن جعفر هذا ولما طال عليهم الحديث قال الملك قيس لزياد يا ابن العم ومع هذا كله ما سمعت بعدد عساكر الشام التى هى واصلة الينا فقال له بلى اننى قد سمعت انها مائتان وخمسون ألفا سوى التبع والنهاب وأصحاب الطمع وقيل ان المقدم عليهم رجل جبار يقال له ضامر وهو ابن عم صاحب دمشق وربما ان هذا الكلام يزيد و ينقص ولا تظهر لنا الحقائق الا عند المشاهدة بالحدائق فقال له الملك قيس على كل حال لا يريد الانسان أن يكذب خبرا يكون من أمره على حذر وانا أعلم ان عساكر الشام تكون فى هذا العدد وأكثر والا ما كان يخاطر بها الى هذه الديار ولابد لسنان من المسير اليه فى بنى فزارة مع من يكون من حلفائها وأقل ما يكونون عشرين ألفا فيكون المجموع أقل من ثلاثمائة ألف عنان وهذا عالم عظيم الشان والصواب أن نجعل رأينا لرجل منا ونعتمد عليه فى المقال ولا نخالفه فى الفعال فعندها قال الاخوص بن جعفر سيد بنى عامر يا قيس اذا كان الامر على ما ذكرت فما فينا أجود من رأيك ولا أحسن من تدبيرك وأنا أول من يسلم أمره اليك و يعتمد فى أموره عليك وما يخالفك منا انسان لا من الملوك ولا من الفرسان (قال الراوى) فعندها أشار كل الحاضرين بذلك وقبل الجماعة أمرهم بالسمع والطاعة فقال لهم الملك قيس يا وجوه العرب اذا كنتم جعلتم الامر

لي والمعول على فابشروا بهلاك أعداكم ولا تعرفوا تفريقهم الأمني ولو كانوا عدد رمل البيدا ولكن اعلموا ان
الصواب عندي اننا نحترز على الحريم والعيال من قبل معانات الحرب والجلاد مع الرجال فقالوا له وكيف
ذلك أيها الملك فقال لهم هو اننا نرحل الى شعاب جبله ونترك المال والعيال في الوادي الذي تعرفونه بين
الجبال ونلقى الاعداء على رؤس المضيق ونكون قد حمينا انفسنا من هذه الخلائق قبل حصول التعويق
الى أن تأتينا عساكر الملك النعمان لاننا لابد لنا ان ننفذ اليه نجاب ونطلعه على هذه الأمور الصعاب (قال
الراوي) فان الملك قيسا ما قال هذا المقال الالما ثبت عنده ان بني عامر لم تثبت قدام العساكر القادمة وخاف
ان قبائلها عند اللقاء تتفرق في أقطار الفلا وتترك بني عبس في هذا البلا فقال ذلك المقال وأراد أن يجعل
الكل في الجبال حتى لا يبقى للهارب مجال قال فلما سمعوا مقاله استصوبوا رأيه ثم انهم تفرقوا من المجالس
وتوجهوا الى خيامهم وصار بهم يدبرون أنفسهم في أمر الرحيل وفي اليوم الثاني والثالث عادت اليهم
الجواسيس يخبرونهم بوصول الجيش وقربه من الديار وقد وصفوا لهم كثرة عددهم وزيادة مددهم وازدحام
راياتهم وصلبانهم وكثرة فرسانهم وأجنادهم (قال الراوي) ومازالوا يزيدون في الوصف حتى صاح فيهم عنتر
وقال لهم ويلكم الى كم تصفون أنذال بني غسان الذين مالهم شبيه غير النسوان فوحق من أرسى شوامخ
الجبال وعلم كم وزنها من مثقال ما التقيهم الا في ألف فارس ولو أن معهم الجن والابالس وها أنا مقيم في
هذا المكان حتى يصلوا وتبصرون صدق ما أقول (قال الراوي) ثم انه قال للملك قيس ارحل أنت بالناس الى
شعاب جبله كما أمرت وعلى الرأي الذي عزمت حتى أقيم أنا وعامر بن الطفيل في هذه الفلا والآكام حتى
تقدم عساكر الشام ونميز أولها وآخرها ثم اننا نغار سها ونختبرها ونبصر ما يحل بالتي أنت تحذرها (قال الراوي)
فعند ذلك نادى الملك قيس بالرحيل وكذلك الاحوص بن جعفر في بني عامر وزياد في بني غطفان ورحلت سائر
القبائل بالاهل والعيال والبنات والنسوان والصبيان والنوق والجمال فكانوا في عدد عظيم وكان بينهم
وبين شعاب جبلة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع استقروا في الشعاب ونصبوا المضارب والقباب وكان الوادي
واسع الجنبات كثير المنابع والغدران فسرحوا فيه الجمال والنياق والخيول العتاق فكان لهم ضجيج يسمع
من خمسة أميال من كثرة الاموال والعيال والعبيد والغلمان والصبيان (قال الراوي) هذا وقد باتوا فيه ليلتهم
وعند الصباح وثب كل واحد منهم وقد نصب خيامه وركز اعلامه وقد أمر الملك قيس بخروج الشيوخ والشباب
من الفرسان والابطال وأرباب الحرب والقتال فخرجوا عند الصباح وقد استعدوا للحرب والكفاح
وهم متقلدون بالصفاح معتقلون باسنة الرماح هذا ولم يبق داخل الشعاب غير الكواعب الاتراب أو
مجنون أو مصاب (قال الراوي) هذا وقد قام الناس جرائد على ظهور الخيل ينتظرون قدوم عنتر وعامر بن
الطفيل فأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم أقاموا بعد رحيل القبائل ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلع عليهم
غبار عساكر الشام وصار كأنه قطع الغمام ولم يزالوا منتظرين الى آخر النهار حتى ظهر المقدم الذي هو على بني
غسان وقد انعقدت على رأسه الرايات والصلبان وكان الى جانبه سنان ومقدموا الفرسان والابطال
والشجعان الذين هم من بني غسان (قال الراوي) هذا ولما أقبلت العساكر الى ديار بني عامر رأوا جذع
الطواف الذي كان فيه بنو عبس خاليا ليس فيه حس حسيس ولا أنيس ولا جليس فلما رأى سنان الارض
خالية بعدما كانت ملآنة بالفرسان في الطول والعرض تعجب من هزيمة بني عبس وبني عامر وقد صار يتفكر
كيف وصلت لهم الاخبار مع ذلك الاحتراز الذي كانوا فيه الا أنهم لما ان رأوا الديار خالية نزلوا فيها ونصبوا الخيام
وشرعوا في أكل الطعام فقال سنان عند ذلك لمقدم بني غسان يا أمير الظاهر أن القوم قد سمعوا بأخبارنا
فهربوا وهذه الديار هي ديارهم وان صدقني حذري ولم يخطئ بي فكري فانهم قد تحصنوا في تلك الشعاب بين
الجبال من خوفهم على الحريم والعيال فقال له ضامر وهذه الجبال تمنع هذه العساكر لا وحق المسيح لا أترك
منهم من يمشي على قدم ولا سوقنهم سوق الغنم لان الملك الكبير في قلبه نار السعير لاجل ولده بدر النصرانية
الذي قتله هؤلاء الكلاب وانه قد عول أن يصلب رجالهم على أشجار الفواكه (قال الراوي) هذا وعامر بن

الطفيل وعنتر قد أبعدوا عنهم في البر وترجلوا عن خيولهم لينظروا الى بحر عجاج وهو لا يقابل ولا يخاض
عميق الجاج فتعجبوا كل العجب فقال عامر بن الطفيل والله لقد اصاب الملك قيس في رحيله الى الشعاب
والجبال واحترازه على الحريم والعيال لان هؤلاء الخلائق يحير فيهم الشجاع وقد أشرفوا علينا ونحن في المنازل
ما ثبت قدامهم منا الا كل فارس بازل فقال له عنتر صدقت يا عامر ولكن لا تخبر قومنا بهذا الحديث لنقطع
ظهورهم ونحيرهم في أمورهم ولكن نصلى نحن نار الحرب بأرواحنا وتقوى بذلك قلوب رجالنا وفرساننا
هذا وبعدما وصل اللقيط ولا بان عنه خبر وما أظن اذا وصل يبقى للعساكر طريق الى الطلب والفرار والهرب
(قال الراوي) ثم انهم أقاموا على ما هم عليه الى وقت الغروب ثم رحلت العساكر والجيوش ودق الناقوس
وصاحت الرهبان والقسوس وأما عنتر وعامر ومن معهما فانهم مازالوا يجدون السير في عرض البر حتى قارب
الصباح وساروا ذلك النهار وتلك الليلة وفي اليوم الثاني أشرفوا على بني عبس فبادروا اليهم مع فرسان بني
عامر وهنوهم بالسلامة وسألوهم عن العسكر فطيب عنتر قلوبهم وقال لهم ما الامر الا دون ساعة وأما ما سمعتم يا بني
الاعمام فلا تحملوا على قلوبكم هما ولا غما وكان الملك قيس وسادات بني عامر الكل تحت الرايات قيام فسلموا
جميعا وأبدوا الابتسام وقالوا له يا أبا الفوارس اخبرنا بما شاهدت من هؤلاء اللئام فقال لهم والله ما جاءكم من
أرض الشام الا هدايا وانعام وملك تهنون به طول الزمان وتوسعون به على الارامل والايتام على ان الجيش
كثير الجمع غزير ولكنه في عيني حقير صغير وان منهم مزوقين بزي الحضر وما لهم هيبة الا عند النظر ولو
نظرتهم عند رحيلنا من الديار ما طاوعتكم على هذا السبب ولا تركنا علينا اسم الهزيمة والهرب (قال الراوي)
ولم يزالوا على مثل ذلك الكلام حتى اشتدت ظهور الرجال فعند ذلك قال الحرث أخو الملك قيس يا وجوه
العرب أين قول الجواسيس من قول ابن عمنا عنتر لان ابن عمنا نظر بعين فروسيته والجواسيس نظرت بقلة
معرفتهم فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس ومتى يصلون الينا فقال لهم غدا عند الصباح أو ضحوة النهار وترون
غبارا يذهل الابصار واعلاما وصلبانا تملأ الاقطار ولكنهم طعام الجائع ومنهل العطشان (قال الراوي)
ثم ان عنتر تركهم يتشاورون وفاتهم ودخل على ابنة عمه عبلة فرآها له في الانتظار وفي قلبها لاجله لهيب النار
هذا ولما رأت ابن عمها عنتر نثرت من أجفانها دموع الافراح على خدود أحسن من التفاح وخرجت اليه
وقد ترجل هو أيضا لها واعتنقها وقد قبلت يديه وقالت له يا ابن العم كم تركب طريق الاهوال والهلاك لما لا
تحل طريق المصائب سواك فقال لها عنتر يا ابنة العم أنا ما أعدهذه الامور من الاخطار لانني أنا أعلم ان
الذي حضر أجله في الليل لا يموت بالنهار ومن كان أجله بالنهار لا يموت وقت الزوال (قال الراوي) ثم انه أقام
عندها حتى أقبل الظلام وتناول شيئا من الطعام وعاد الى جواده وطلب الشعاب وشيبوب في ركابه مثل
العقاب فرتب للحرس ملاعب الاسنة غشم بن مالك وعامر بن الطفيل ومقري الوحش وعروة بن الورد
وتمام العشرين من بني عامر وأبعدوا عن الشعاب وركبوا الخيل وركضوا على طريق الجيش يكشفون الاخبار
ولم يزالوا على ذلك حتى عبر عليهم نصف النهار وقد مدوا أعينهم فرأوا على البعد غبارا قد ثار وكدر الاقطار فقال
عنتر الآن صحت الاخبار ومابقي غير الاستظهار والطعن بالاسمر الخطار (قال الراوي) ثم انهم وقفوا حتى
انكشف الغبار وبان للنظار وقد ظهر من تحته جيش كبير عرمرم وصليب من الذهب وعلم وكان هذا الجيش
طليعة بني غسان وهو يزيد عن عشرة آلاف عنان كلهم أبطال وشجعان معدون للحرب والطعان فقال
عنتر ما قولكم في قتال هؤلاء قبل قدوم رفقائهم فقال ملاعب الاسنة اعلم يا أبا الفوارس ان هذا الرأي خطر
ببالي لانهم كفاية واحد منا فقال عنتر يا غشم ماهذا وقت الافتخار والمطال وما في الامر الا نحمل كلنا مرة واحدة
خمسة منا على اليمين وخمسة على اليسار ونكون قصدنا الصليب والعلم لانه اذا افترقت هذه الجيوش وانهزمت
انقطع ظهر من خلفها من الامم لا سيما اذا سمعوا ان عشرة فوارس كسرت عشرة آلاف فارس وقتلت
أكثرها فقال ملاعب الاسنة افعل ما تريد ودبر ما تحب وتختار حتى انني أتبع فعالك يا قهار (قال الراوي)
ثم ان عنتر أراد الحملة على الميمنة وأراد أن يتبعه عامر بن الطفيل وثلاث فوارس أخر فقال عنتر ما هذا صواب

فأنا لا يتبعني في الميمنة غير أخي شيبوب المهاب وأنتم كلكم مع غشم بن مالك أعينوه على هؤلاء الكلاب قال وكان الامر كما ذكر وحمل عنتر على الميمنة ومعه أخوه شيبوب وحمل ملاعب الاسنة على الميسره كأنه البلاء المصبوب وتبعه مقرى الوحش الليث المهوب وعروة بن الورد فارس الحروب وحمل الفتى الهطال الفارس الرئبال وأوقدوا نار الحرب اشتعال وحمل نازح فحل الرجال والاربع فوارس الاخر وكلهم أبطال وقصدوا تلك الطليعة ولا خافوا من كثرة الجماعة فنظر مقدم الطليعة الى هذه الفعال فوقع به الانذهال وقال لمن حوله من الرجال وحق المسيح ما حسبت هؤلاء الفرسان الا رسل أرسلوهم لنا يطلبون منا الامان وأراهم قد انقسموا قسمين قسم منهم تسع فوارس والقسم الثاني راجل وفارس وأظن ان هذين الاثنين أباس والا ما كانا يحملان على خمسة آلاف فارس ان هذا الامر عجاب باقتحامهم هذا الجيش العرمرم من غير خطاب وما وجد فيهم أحد يرشدهم للصواب ولكن ما جاؤا الا لفراغ آجالهم وأقول ان خلفهم كمين يريدون أن يلقونا فيه والا ما كانوا فعلوا هذه الفعال فوحق المسيح قد حصل لي وهم من هؤلاء الانذال وأقول انهم يفنون لا محال فدونكم واياهم ومن قدر على واحد منهم فلا يقتله بل يحضره بين يدي حتى أكتفه وأقدمه لمقدمنا ضامر فألفان منكم يخرجون الى هؤلاء الاثنين الكواسر وألف يخرج الى هذه التسع فوارس وأتوني بالكل أسارى حتى تنالوا المنزلة العليا (قال الراوي) فعندها تناجت الفرسان ونادت باسم جدها غسان وقصد عنتر ذينك الالفين من فوارس الشام وغسان وكذلك غشم بن مالك ومن معه لانهم احتقروهم وما علموا أن بين أيديهم نارا لا تطفى ولهيبا لا يخفى وان كل واحد منهم يلقى قبيلة ويروح عليها الا أن الغبار ما طلع عليهم واعتكر حتى تساقطوا من على الخيل مثل أوراق الشجر وطارت جماجمهم مثل الاكر وعاد الاقل منهم يطلب الاكثر هذا ومقدمهم شاخص اليهم بالنظر وكان يقال له كافر بن فاجر فلما نظر ما جرى على أصحابه اشتد عند ذلك مصابه فما كان قدر ساعة الا والالف الذي قدام غشم ومن معه قد عاد منهم خمسمائة وهم يضربون أكفال خيولهم ويلتفتون الى ورائهم قال واذا بالالفين فارس الاخر الذين كانوا قدام عنتر وشيبوب قد عاد منهم الف فارس وهم يصيحون ويقولون واويلاه من هؤلاء العفاريت العتاه فعند ذلك التفت المقدم عليهم وقال لهم يا ويلكم دونكم واياهم وعودوا اليهم قبل أن تأتي العساكر ويفتضح لاجل ذلك الامير ضامر (قال الراوي) وما تم هذا المقال حتى أخذتهم الصيحات من اليمين والشمال وأبصر باقي الجيش يتسع ويضيق والطعن يعمل في جنباته مثل الحريق فخاف على الفرسان تنهزم ودخله من ذلك الفزع فحمل بنفسه وطلب القتال وطلع من تحت العلم وما هو الا ان تقدم حتى أدركه ملاعب الاسنة وضربه على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه فصار يلعب بيديه ورجليه فوقع في بني غسان الانذهال ورأت رجالا أشد من أسد الدحال وطعنا يسبق الآجال (قال الراوي) فعند ذلك ولوا على الاعقاب وانقلبوا أي انقلاب وما زال الطعن في ظهورهم حتى أقبل الليل وأظلم وأقبل السواد الاعظم ولاح الغبار الاقتم وأبصرت فرسان بني عبس وعامر الى غبار العساكر فعادت طالبة الجبال وقد نهبت بعض الخيول والاسلاب وأما الرجال الذين سلموا من الطليعة فانهم التقوا بني غسان بالبكاء والعويل قال وحدثوهم بما جرى عليهم من الحرب الطويل فتعجبوا من ذلك كل العجب فأوصلوا الخبر الى ضامر وحدثوه بأن عشرة فوارس التقت عشرة آلاف فارس من بني غسان وقد أهلكت أكثرهم فقال سنان نعم أيها السيد هؤلاء العشر فوارس الذين أتيت في طلبهم من أرض الشام وأنا أعرفهم حق المعرفة أولهم مقرى الوحش الذي أتى من عندكم وكنتم تسمونه فارس النياق فقد التجأ الى بني عبس وطاب له عندهم المقام وهو الذي ساق عندهم الاسود الى بلاد الشام حتى قتل ابن ملككم وخاص الذي يهواها وهي مسيكة وأقول ان معهم ملاعب الاسنة فارس بني عامر وان كان قد صحبهم عامر بن الطفيل فهو الذي أحل بهؤلاء الويل وعلى ان عنتر وحده يلتقي هذه العساكر كلها والرأي أن تكون منهم على حذر وان طلبوا منك البراز فلا تفعل بل تكاثرهم بالقتال الشديد لعلك أن تنال منهم ما تريد فقال ضامر وقد تبسم من مقاله ما أنت يا سنان الا قد جزعت من هذه الطائفة والا ما كنت وصفتها بهذه الصفة وسوف أريك ما أفعل بهذا الشجاع البطل على اني أقول انه لم يكن في هذه

الارض أشجع من مقرى الوحش ولا أشد منه في القوة والبطش وانه بقي قدامي يوما كاملا حتى اني أصبت منه بعض المقاتل وبعد ذلك خلعت عليه وطيبت قلبه ومن ذلك اليوم الى اليوم اسمه فارس النياق وارتفع ذكره وعلا أمره في الآفاق فقال له سنان يا مولاي ومن هو مقرى الوحش لو أن في هذه الارض ألف ألف مثل مقرى الوحش وألف ألف من الفرسان الصناديد قدام عنتر بن شداد الرفيع العماد يلتقطهم كما يلتقط الطير الجراد (قال الراوي) فلما سمع المقدم ضامر كلام سنان قال له يا شيخ حيث علمت ان هؤلاء بهذا الشان لم لا أعلمتنا وعرفتنا بذلك حتى كنا جمعنا كل من في البلاد من الخاص والعام وجميع العباد فقال له سنان يا مولاي أنا ما قلت ذلك الكلام الا على سبيل المبالغة لاجل ما وصفت مقرى الوحش بهذه الصفة وأما أنت فبهذه العساكر تبلغ الآمال وتقضي الاشغال وفي هذه الايام تنقضي الاشغال ويلحقنا اللقيط بن زرارة بفرسان بني دارم مثل النجوم السياره والكل غدا يكونون بين يديك فقال ضامر ولكن يا شيخ سنان لا يطمع اللقيط ولا غيره في أسير من بني عبس ولا من غيرهم لان الملك الكبير أمر لكم بالاموال وأمرني أن أسوق اليه الاسارى من بني عبس وعامر الطائفة الغداره فقال له سنان افعل ما تريد (قال الراوي) ثم انهم ساروا على هذا الترتيب ولم يزالوا سائرين الى ان أشرفوا على شعاب جبلة قبل المغيب هذا وقد دقت الطبول لاجل النزول وارتجت الارض عرضا وطول هذا وبنو عبس على صهوات خيولها لان عنتر وأصحابه لما عادوا وأخبروهم بما فعلوا في الطليعة من الاهوال ففرحوا بذلك الحال وأدخلوا الخيل والاسلاب وقد طابت قلوبهم وقلوب النسوان وقد باتوا تلك الليلة ولهم صياح وضجيج أشد من أيام الحجيج (قال الراوي) وما زال الحرس حارسا لهم حتى ولى الظلام وارتحل ولما أصبح الله بالصباح تهيؤا للحرب والكفاح وتراءت تلك الخلائق والفرسان الملاح ولمعت بروق الصوارم والقتوت والرماح كأنهم الاراقم وقد سبق فيهم حكم الحاكم وساروا بين عاطب وسالم (قال الراوي) وكان لشعاب جبلة ثلاث مواضع للقتال فسكنت بنو عبس وبنو غطفان القرن اليمين وبنو عامر القرن الشمال قال وأما عامر بن الطفيل وعنتر وملاعب الاسنة ومقرى الوحش وعروة بن الورد ففي المقدمة ومعهم تمام الالف فارس وهي الفرسان التي عليها المعتمد في الجانب الثالث (قال الراوي) هذا وقد صاحت بنو غسان وملأت البراري والقيعان وانتشرت حتى ملأت الجبال والشعاب وزحفت الى القتال من كل جانب ولاجل كثرتها ما ترتبت بل انها صاحت باسم المسيح ابن مريم وحملت وقد صاحت خلفها القسوس والرهبان (قال الراوي) فلما ان رأى عنتر الى حملتهم تلقاهم هو ومقرى الوحش ومن معهما من الفرسان وحمل أيضا الهطال فحل الرجال وحمل نازح البطل البارح وحمل أبو الموت في سودانه وهم باغم وبلاغم ودمدم ودماد ومداغ الشكل وزبلة الفرس وأصداغ الجمل وقاطم بوزه وأبو رجل عرجه وهؤلاء سودان عنتر البطل القسور وكانوا خمسمائة تمام وحملت بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان هذا وقد اختلطت اسنة الاشطان عند الضرب والطعان وقد بكت الابطال على فراق الشجعان والاوطان وصاح عليهم كل شيطان والقت خلق البطان ورملت النساء ويتمت الصبيان وقد ذل الشجاع وفر الجبان وخاف البطل الشديد الباس وتقطعت الدروع والاتراس وعملت الرماح في الاشباح ونادى المنادي وصاح وقد تمنى الفارس أن يطير بلا جناح وبيعت الانفس بيع السماح وقد تساوى المساء والصباح وبان شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وصاحت الفرسان من ألم الجراح كما تصيح النوق عند الرواح وزعق غراب البين عليهم وناح وفر الجبان وطلب الرواح (قال الراوي) وقد ضاق على عنتر الميدان والمجال وقد هانت عليه الاهوال وصار يكبكب الخيل التي بين يديه تارة يمين وتارة شمال وكيف مالت فرسان بني غسان كأنهم الجبال هذا والفرسان والابطال تطلبه مواكب وسرب وترجع من زعقاته تتكبكب وكان معه في ذلك اليوم مالك أبو عبلة وأخوها عمرو فأبصروا من فعاله العجب وصار عمه يلتقي عنه الاسنة ويظهر له المحبة ويقول يا أبا الفوارس الله يبين فضلك على أعداك ويزيد مجدك وعلاك (قال الراوي) وتقدم عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة

فلقد شفينا الصدور وفعلا فعلا لا يبقى ذكره على ممر الايام والدهور وكذلك عروة بن الورد ومقرى الوحش والعطال ومن معهم من الرجال لانهم لاقوا الاهوال وقاتلوا أشد قتال وتم السيف يعمل والدم يهذل والرجال تقتل والرؤس تتناثر الى ان اسود مفرق الشمس وغسق الظلام وعادت بنو غسان وهى متعجبة من عظم ما لاقت فقال ضامر لقومه ويلكم ما وراءكم ومن بشره رماكم وما الذى دهاكم وأراكم عدتم بالخساره وأخذ أكثركم أسارى فقالوا له لا تحقد علينا أيها الامير واشكر المسيح الذى أعادنا اليك سالمين فانا وحق المسيح ومن عبد الصليب وشد الزنار لقد قاسينا يوما ما مثله فى الايام لاننا رأينا رجالا لا يسابق طعنها سهام الآجال لا سيما هذا العبد الاسود الادهم الذى كان على الطليعة مقدم وحق المسيح ابن مريم ما مال على جمع الا وفرقه ولا قصد موكبا الا ومزقه ولا زعق زعقة الا وقلنا البرق قد خفق وما يلومنا على قولنا هذا الا كل أحمق لان هؤلاء القوم ما يقدر أحد يلقاهم ولا يصبر على بلاهم والصواب أن ندوسهم جميعا بالقتال والا أهلكونا فى المجال فلو قتل منا كل يوم ألف ومنهم كل يوم واحد كنا نحن الرابحين (قال الراوى) فعند ذلك قال لهم ضامر ها أنا صابر عليكم يومين أو ثلاثة فان فعلتم كما أريد والا صليت أنا الحرب بنفسى قال فهذا ما جرى لمقدم بنى غسان وأما ما كان من بنى عبس وعدنان وبنى عامر وبنى غطفان فان فرسانها رجعت وهى من الدماء مثل شقيقة الارجوان ورماحها قد تحطمت من ضرب السيوف وقد تعبت خيلها ولكن حيث بلغت الفرسان مأمولها لم تبال بتعب النفوس هذا وعنتر قدام بنى غنى وكلاب أبطال بنى عامر فافتكر ما قاله عمه مالك بن قراد فى وسط الحرب والجلاد فأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات



ولقد حفظت وصاية عمى فى الضحى * اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
اذ يتقونى الاسنة لم أحل * عنها ولكنى أضايق مقدم
لما لقيت الخيل أقبل جمعهم * يتبادرون كررت غير مذمم
ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنترة اقدم
يدعون عنتر والرماح كأنها * أشطان بئر فى لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها * برق تلألأ فى سحاب مظلم
يدعون عنتر والدروع كأنها * حدق الضفادع فى غدير رجم
ما زلت أرميهم بغرة أبجرى * ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا فى زجرته * فشكى الى بعبرة وتحمحم
لو كان يعلم ما المحاطبة اشتكى * أو كان يعلم ما الكلام تكلم
ما رآنى لا أبالى جمعهم * فاض الدما تحت الغبار المظلم

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذه الابيات ترنمت لها السادات ولم يزالوا سائرين حتى أقبلوا على الشعاب فعند ذلك نزلت الفرسان والابطال وما فيهم الا من يذكر ما قاله من الشعر والنظام وكان معهم جماعة من الجرحى فادخلوهم فى الشعاب فلما أخذت الفرسان الراحة تولى عنتر الحرس وعامر بن الطفيل ودار واحول الشعاب وهم يحرسون الاهل والعيال بطول ذلك الليل حتى رحلت جيوش الظلام وعاد الصباح أشرف بالنور والابتسام فعند ذلك عاد عنتر وعامر بن الطفيل ودخلوا المضارب والخيام يريدون الراحة وأكل الطعام فلما أكلوا وشربوا تواثبوا الى خيولهم ركبوها بعد أن أفرغوا عليهم الحديد والزرد النضيد واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف الصفاح وتمكنوا بالدرق ودفعوا خيولهم وخرجوا من المضارب والخيام فنظروا الى البر واذا بالصفوف تصففت والكتائب تقابلت فلما ان نظروا الى هذا الحال أطلقوا أعنة خيولهم وتجارت من خلفهم الفرسان من بنى عامر وبنى غنى وبنى كلاب وبنى عبس وبنى غطفان (قال الراوى) فلما ان نظر عساكر الشام الى عنتر وقد أقبل والفرسان من حوله جحفل بعد جحفل وقد لمعت أسنة الرماح من بنى عبس عند طلوع الشمس فعندها أشار سنان بن أبى حارثة الى مقدم عساكر الشام أن يحمل عليهم فى

وسط المجال ولا يطمعهم فى البرازى والنزال (قال الراوى) وما فرغ سنان من كلامه حتى أشار ضامر بيده الى عصابة من بنى غسان تنوف عن مائة ألف عنان وقد جعل عليهم مقدما من أرض حوران يقال له مالك بن حسان وقد أراه المقدم ضامر أن يحمل فى هذه الفوارس ويأتيه من فرسان بنى عبس بألف أسير فعند ذلك ثار مالك بن حسان ثورة الاسد الغضبان وقد أرغى وأزبد ووثب على حيله ولبس الزرد واعتد بعدته وركب على ظهر حجرته وسار وقد انحدرت خلفه الكتائب والمواكب ولم يزل سائرا حتى صار محاذيا لعنتر بن شداد ونظر الى فرسان بنى عبس الاجواد والكل لابسين الحديد والزرد النضيد وكاملين العدد وعنتر بينهم كأنه أسد فلما نظر اليه مالك بن حسان صرخ فيه وقال ويلك يا وغد يا لئيم ويا أسود يا زنيم اليوم آخر أيامك ثم انه أنشد وجعل يقول

خليلى لما طاب الموت والنقع أسودا * بطعن الردينى والحسام المهندا
رعى الله انسانا يبيت وقلبه * من الموت فزعانا اذا راع واعتدا
ذرينى أوف السيوف والحرب حقه * اذا ما طما بحر المنية مزبدا
أنا كاشف الغمات وقت حلولها * وان علاى بالسعادة قد بدا
وانا ممن تنكر الناس فعله * ولكن فعلى كل يوم يجددا

(قال الراوى) ولما فرغ حسان من هذه الابيات طرب لها بنو غسان السادات ثم انه أشار الى عنتر بالبراز وسأل الانجاز فحمل عليه عنتر حملة منكرة وجال الاثنان تحت الغبار وسمع لهما همهمة وزمجرة واعتركا اعتراكا كامليا وتضاربا ضربا وفيا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وأخذا على الخيل بالشكائم والمراود وطلع عليهم الغبار وغابا عن الابصار وفى دون ساعة عرف عنتر قتاله واختبر طعنه ونزاله فلاصقه واتممه وأبهره وطعنه بالسنان طعنة الغيظ والحنق فسقط مالك من على ظهر فرسه قتيلا وعلى وجه الارض جديلا فلما رأت بنو غسان الى مالك وقد قتل صرخت وحملت على عنتر وقالوا له شلت يداك وأنا ملك وقطعت مفاصلك يا عبد يا زنيم ويا وغد يا لئيم لقد قتلت فارسا كريما وحملت عليه المائة ألف حملة واحدة فعندها صرخ عنتر فى عروة ابن الورد ورجاله وعامر بن الطفيل وفرسانه ومقرى الوحش وأبيه شداد وأبطال بنى قراد الاجواد فعند ذلك نظر المقدم ضامر الى تلك العساكر وقد جالت والمواكب قد مالت والطيور فى الجو على القتلى حامت هذا وقد اشتد الحرب والقتال بين الطائفتين وقد حكم الصارم اليمانى بين الجماجم والابدان وهمهمت الاسود وحامت العقبان وطلع الغبار الى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى أنه ما كان وضاق الميدان وصحا السكران وقدحت سنابك الخيل شعل النيران وجاء الحق وخمد الزور والبهتان وقوى القتل بالصارم المران واشتد الضرب والطعان بعوامل الرماح والاشطان وتنكست من السروج الاقران وافتخر الشجاع على الجبان وغلبت فرسان الحجاز أبطال بنى غسان وهججوهم الى أبعد مكان واستظهروا عليهم استظهار الاسود على الغزلان فلله دره من يوم عظيم الشان حمى فيه الحديد على الابدان ولا رأوا مثله فى سائر الايام (قال الراوى) وأما عنتر فانه فى ذلك اليوم يصول ويجول فى عرصة المجال وهو يهول الابطال والفرسان وقد بلغ العرق فى ذلك اليوم الى الاذقان وعنتر ينادى فى وسط الميدان ويقول أنا الليث الغضبان أنا مشبع الوحوش والعقبان هذا وهو يخوض تحت الغبار وينهب النفوس ذات اليمين وذات اليسار ويأخذ مهج الفرسان والابطال وتناجت الرجال لانفسها وأقامت فى أيديها أسنتها فلم تكن غير ساعة حتى بددوا أقوامهم وأقرانهم وجندلوا أبطالهم ورجالهم ورملوا نسوانهم وصرخوا عليهم من كل جانب فعند ذلك اندقت الاقران والفرسان هاربة ولم يجدوا لهم صبرا على مضارب سيوف بنى عبس وغطفان فما كان عندهم أصوب من الفرار فهجت المائة ألف فارس على وجوهها فى القفار وقد لووا أعنة خيلها وطلبوا الهرب وقد اتسع واف وسيع الفضا وعموا منهزمين لا تسمع لهم الا هدير الخيل الشاردة فلا ترى لهم أثر وخلوا الاموال والغنائم والاسلاب والخيام والمضارب ورجعت بنو عبس عنهم وهم فرحانون بالنصر والظفر ولكن بقوا من الدماء مثل شقيقة الارجوان مما سال

عليهم من أدمية الفرسان وأما رماحهم فقد تحطمت من ضرب السيوف المواحق وذهبت خيولهم وقد بلغت مأمولها وكان لها السعد وافق وبعد ذلك رجعوا الى الشعاب والجبال وباتوا تلك الليلة ولهم صياح وعياط وصراخ فهذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من فرسان بنى غسان وأبطالهم فما زالوا فى هزيمتهم حتى عبر عليهم الظلام ووصلوا الى أصحابهم وهم فى الخيام فلما نظر المقدم ضامر ذلك الحال دق يدا على يد وفى الحال أمر باحضار سنان بن أبى حارثة فما كانت غير ساعة حتى انه حضر وباس الارض وتأخر فعند ذلك أعلمه المقدم ضامر بما جرى عليهم فى ذلك اليوم العبوس من انكسار عساكره وتفريق مواكبه فقال له سنان أيها المولى ما اقاتلك لا تبارزهم ولا تستعمل معهم البراز فان هؤلاء شياطين الارض ومعروفون فى البلاد وسائر المغازى بأنهم أسود الحجاز ولكن فى غداة غد آمر العساكر أن تحمل عليهم حملة واحدة وهى تكون وقعة الانفصال ونربط ساداتهم فى الحبال ونحطهم فى السلاسل والاغلال فعند ذلك سكت ضامر على الغيظ وقد بات تلك الليلة فى أعظم مبيت وهو فى هموم وغموم بطول ليلته كلها (قال الراوى) هذا ما جرى للمقدم ضامر وسنان بن أبى حارثة * وأما ما كان من عنتر بن شداد وأصحابه الاجواد فانهم لما أخذوا الراحة تولى الامير عنتر حرسهم هو وعامر بن الطفيل وقد دام عليهم الامر كذلك حتى رحلت جيوش الظلام وأقبل الصبح بالابتسام فعند ذلك عاد عامر بن الطفيل وعنتر الى الاصطباح وكاسات الراح من شفار الاسنة وضرب السلاح وكان يومهم الثالث أشد من اليومين وأعظم من الايام التى مضت وما زالت الحروب بين العرب وبين فرسان بنى غسان وهم على ساق وقدم وهى على هذا المنهاج ليلا ونهارا كذا مدة خمسة وعشرين يوما على التمام والكمال الى ان ضعفت الخلائق وسلب من القوم القوى والحيل من شجعانها وأبطالها قال ولما أصبح الله بالصباح وهو السادس والعشرون بردت نيران الحرب وقل الطمع من كثرة الجرحى من الطائفتين من تواتر الطعان وقد طلب الفريقان الراحة بالبراز فعند ذلك اصطفت الصفوف وتعدلت الميامن والالوف وترتبوا للطعن والضرب والقتال والنزال وكان أول من تقدم الى الميدان وأوسع فى الجولان كان مقرى الوحش فارس الشام لانه هو صاحب القريحة وهذه العربان والوقائع والحروب كلها من أجله وقد تعصبت له هذه الجنس قبائل وهذه العربان كلها (قال الراوى) فلما أن حصل فى طابق الجولان صال وجال ومد واستطال ولعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الفرسان فعند ذلك ثارت جيوش بنى غسان ولما دنا من فرسانهم ناداهم وقال لهم يا أولاد الزنا ما كان لكم أن تظاهروا بالعداوة لهؤلاء العربان وقد تعديتم عليهم فظلمتموهم وظلمكم قد عم عليكم لانى أنا خصمكم وأنا الذى سلطت عليكم من قتل ابن ملككم وخلصت محبوبتى من أرض الشام بطعن الرماح وضرب الحسام وها أنا قد خرجت اليكم حتى أجازيكم على أعمالكم القبيحة وأشتت شملكم وأفنى عددكم فابرزوا الىّ يا عبدة الصلبان والصور المصورة فى الحيطان ان شئتم فارسا فارسا أو عشرة فارس أو مائة فارس أو ألف فارس لانى أعرف أن ما فيكم أحدا يقوم قدامى ساعة من النهار اذا ملكت حسامى ومددت اليكم رمحى وحسامى الا أن يكون مقدمكم ضامر ولكنه اليوم مقدم على هذه العساكر والدساكر وانه ما يرى على نفسه أن يبرز الى مثلى فقير صعلوك حقير ولكن اذا اشتهى أن ينظر من شجاعته طرفا فليبرز الى أهل الحجاز وفرسانها ويخرج الى الميدان يطلب الضرب والطعان (قال الراوى) وغلظ مقرى الوحش فى كلامه حتى نفرت اليه الفرسان من بنى غسان وطلبته الشجعان من كل جانب ومكان لاجل ما فى قلبها عليه من الحقود قال وفى دون ساعة داروا عليه وقد خرج الكل عليه وقالوا له ويلك يا شيطان هجرت بلادك وتركت الاوطان وتخليت عن عبادة الصلبان والصور المصورة فى الحيطان وتخليت أيضا عن عبادة المسيح وصرت تعبد الحجارة والاوثان الويل لك مما تلقاه من القسوس والرهبان فعند ذلك ثار مقرى الوحش وقال والله يا كلاب بنى غسان لقد كذبتم فى قولكم والكلام وأتيتم بالزور والبهتان لان هؤلاء العربان ما يعبدون الاصنام والاوثان كما تعبدون أنتم المسيح ومارى حنا المعمدان وانما يجعلونها واسطة الى خالق الاكوان والانس والجان ومطلع النبات ألوان أخضر وأحمر وأصفر وأبيض صنع ربى فتبارك الله العزيز الرحمن

وأيضا لهم الذمام والقول الصادق فى الكلام والحج الى بيت الله الحرام وعلى اننى اليوم ما فى قلبى أحلى ولا أجل من الرب القديم الديان الذى كان من قبل الزمن والدهور وهو الحى القيوم الذى رزقنى من زوجتى مسيكة ولدا وهو سبيع اليمن وكناه كرناانه أتاها ولد فى بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان يحبه محبة عظيمة مفرطة زائدة لاجل حسنه وجماله وقده واعتداله وملاحته وصورته الان مقرى الوحش بعد ذلك الكلام حمل على الفرسان والابطال وجال فيهم وصال وجود الطعن والضرب بالعوالى والسيوف الصقال وفى الحال أشعل نار الحرب والقتال قال وما ارتفع النهار حتى أهلك مقدار خمسين فارسا كرار وجرح أكثر من ذلك المقدار (قال الراوى) فلما نظرت الفرسان الى ذلك حارت وصارت تطلبه من اليمين والشمال من غيظها وحقدها عليه ومقرى الوحش يقلل عددها ويعدمها هذا كله يجرى لفارس النياق وأما بنو عبس وعدنان وعامر بن الطفيل والامير عنتر بن شداد فانهم صاروا يتعجبون من أفعاله ويستحسنون لقتاله ونزاله وأما المقدم ضامر فانه انشقت مرارته من الغيظ الذى حصل له وذابت مهجته وقد حار فى قصته ومن شدة ما جرى عليه خرج بنفسه من تحت الاعلام والصناجق والبنود وقد سأل من كان حوله من الفرسان من بنى غسان عن مقرى الوحش فحكوا له عن ما كان له من الشجاعة وانه عند عنتر زاد فى الفروسية والبراعة أكثر ما كان فى بلاد الشام فعند ذلك قفز الى الميدان وقصد اليه وهو يهمهم ويدمدم ويزمجر وكان تحته فى ذلك اليوم حجرة عربية تسبق الرياح الغربية مع البروق البحرية وقد أخذ فى يمينه قنطارية خلنجية غليظة شديدة وعمل على رأسه خوذة باسم الاذى مسقية وقد لبس على جسده زرديه لها عيون بالذهب مطلية اذا لبسها الانسان كان آمنا من حلول المنية وهو متقلد بصفيحة هندية ضرب الهند وسقاية السندوان هذا المقدم لما كملت عدته وانصلحت حالته وصار على ظهر حجرته قفز الى الميدان كما ذكرنا وسار مقرى الوحش فى طابق الجولان كما وصفنا ولما حصل فى وسط الميدان فعند ذلك التفت عنتر الى من كان حوله من الابطال والفرسان وقال لهم يا وجوه العرب هذا الفارس الذى برز الى صاحبنا بخلاف الفرسان الذين برزوا اليه ولكن أرى الفرسان تظهر له الخدمة والحذر عليه وأما صاحبنا مقرى الوحش فانا أعلم انه تعبان من القتال وجواده قصر من الجول على ان صاحبنا لو نصر عليه ما تخلت عنه أصحابه ويقع والله بنا الخسران والصواب أن ينزل فارس منا ويرده ويتلقى هذا البطل لعله أن يقتله ويفرق هذا الجيش عنا ويتقلقل لانى أرى ركبته سلطانية وفى نفسه شهامة قوية فعند ذلك التفت ملاعب الاسنة الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أفعل ما قلت عليه وما تكلمت به من المقال وان لم أقتله بعد برازى له فما أنا ولد حلال فقال له عنتر دونك يا غشم وهذا الشيطان عندها قفز ملاعب الاسنة ورد الاعنة الى الميدان بين الصفوف وقد جال وصال ولعب بالقنطارية حتى حير عقول الابطال وبعد ذلك التصق الى جانب مقرى الوحش وحاذاه وأشار اليه بعينه وقال له ارجع عن طابق الجولان وخذ لنفسك الراحة من التعب والخذلان فقال مقرى الوحش لا وحق الاله الدائم بلا زوال الحنان المنان خالق الانس والجان ما أطلع من هذا الميدان ولا أرجع عن خصمى لان بينى وبينه حقود قديمة من زمان وما صدقت أن أراه معى فى الميدان ووقف الجولان وما أفارقه الا بالانفصال وبلوغ الآمال فاما أن يقتلنى ويأخذ ثاره واما أن أنصر عليه فاقتله وعلى وجه الارض أجندله وأشفى غليل صدرى وفؤادى منه وأفرق هذه العساكر قبل المغيب فعد أنت يا وجه العرب عنى الى خلفك ولا تشوش خاطرى واقر أسلامى على عنتر ومالى عنده وصية غير ولدى سبيع اليمن وزوجتى مسيكة وعلى الدنيا السلام بعد الاهل والاصحاب بل ان كنت يا غشم تعاوننى وتساعدنى اعطنى جوادك وخذ جوادى لانه قد تعب من تحتى وقصر وما بقى يقدر يتقدم ولا يتأخر (قال الراوى) فلما تكلم مقرى الوحش بهذا الكلام فعند ذلك ترجل ملاعب الاسنة من على ظهر جواده وسلمه اليه وقد ركب حصانه الذى كان تحته وتأخر عنه قليلا ووقف خلف ظهره من فزعه عليه فعندها طلب مقرى الوحش خصمه بالحصان المستريح وزعق فيه ووكزه فربه مثل الريح وفى الحال التقى المقدم ضامر وقد اتكل فى أمره على المسيح نصارا وتطاعنا حتى انهلا

بقدلهما النظر الصحيح وجرى بينهما من الحرب ما يخرس به اللسان الفصيح وعلم المقدم ضامر ان مقرى الوحش خبير بالطعن والضرب فرمى في الحال قنطاريته من يده وسل حسامه من غمده وعول على القتال والضرب والنزال فعند ذلك تضاربا بضرب الحذق حتى تطايرت السيوف على الدرق فلما نظر الى ذلك المقدم ضامر التفت الى قربوس سرجه ونظر الى الجراب الذى معه فاخرج منه حربة من تحت فخذه وفي الحال هزها حتى تخيل للخلائق انها تقطعت وتمزقت وأرسلها اليه فخرجت من يده كأنها شهاب من نار قد رمى بها شيطان من مردة الجان فلما نظر اليها مقرى الوحش وهى مقبلة اليه خيل له انها سحابة عذاب أو كأنها ثعبان فصبر عليها حتى قربت منه وسحبها على رائق درقته وكسر حد نهايتها وقد ما كانت كالصاعقه وفي الحال استقر في قربوس سرجه وقال في نفسه أعوذ برب الفلق من شر هذا القلق ومن شر هذا الفارس المنطبق (قال الراوى) وأبصر ضامر الى مقرى الوحش وكيف سلم من تلك الضربه والحربه وفعل ما فعل من أعماله من الفروسيه فزاد غيظه وحنقه وبلباله فعند ذلك أخرج حربة ثانية وهزها حتى برق الموت من سنانها ولمع فظن كل من رآها انها صارت قطعا وفي الحال ضربه بها فخرجت من يده كأنها شعلة نار أو صاعقة عذاب فوقعت في الدرقة عبرت فيها وخرقتها وفي الحال وصلت الى جسده فمن قوة نارها وقع السيف من كفه وكان مقرى الوحش من التعب مثل السكران فمال عن الحصان كأنه طود من الاطواد ووقع الى الارض والمهاد هذا وقد وقف ضامر على رأسه حتى تبادرت اليه بنو غسان من كل جانب ومكان فعندها حمل ملاعب الاسنه وقد طلب خلاصه وكذلك عنتر بن شداد وعامر ابن الطفيل وحمل عروة بن الورد والحطال وتمام المائتى فارس من الرجال الاقوياء الانجاب فصدموا بنى غسان وقد حال بينهم وبينه فعند ذلك صدمتهم بنو فزاره بأمر سنان بن أبي حارثه وقد وقع بينهم وبين بني عبس القتال والطعن والنزال (قال الراوى) وكان بنو فزاره في عالم عظيم ينوف عن عشرة آلاف فارس من الابطال القناعس فحالت بينهم وبين فرسان بنى عبس وقد أخذوا مقرى الوحش أسيرا وقادوه ذليلا حقيرا وطلب ملاعب الاسنه أن يرجع فما رجع من كثرة الخلائق والمواكب بل صدمته من كل جانب وكان الحصان الذى تحته قد هلك من التعب فما حمله أكثر من ساعة حتى صدمته الخيل فانقلب على ظهره وقد بقى مرميا في القفار وفي الحال أخذ أسيرا بعد ما سل حسامه الصقيل ودافع عن نفسه وقتل خلقا كثيرا وحملت بنو عبس وبنو عامر وبنو غطفان وطلبوا الوصول الى عنتر فما قدروا على ذلك من كثرة الخلائق لان سنان بن أبي حارثة زعق في بنى فزاره وقال ياويلكم أما تبصرون أعداءكم في هذا البلاء ومثل هذه العساكر تقاتل معكم فانصحوا واطلبوا أخذ الثار (قال الراوى) فعندها حملت بنو فزاره وهى تنادى يا ثارات بنى بدر يالثارات حذيفة وطلبوا عنترا بالصوارم والنبل وكان عنتر قد زعق في عساكرهم حتى قارب المضارب فطلب الاعلام هو وعروة ابن الورد وعامر بن الطفيل ومائتا فارس أخر فطاب العلم والصليب وملأوا الارض بالدما الخضيب وفرقوا المواكب بالطعن الصائب ولم يبق بين أيديهم الا الخيام والمضارب وكان قد حصل لهم تعب عظيم وجرح بعضهم وقتل من خيلهم وهم يقاتلون عن أنفسهم حتى ركبوا من الخيول الشارده وبذلوا الرماح والسيوف وكان عنتر على جواده الابجر وفي يده رمحه الغليظ الاسمر فما بدله وما كان معه من آلة الحرب غيره لانه لما أبصر مقرى الوحش قد وقع على الارض اسودت الدنيا في عينيه ورمى البيضة عن رأسه وخفف وأعطى سيفه لاخيه شيبوب وانصف وحمل على الصفوف وهو يقول هذا يوم طعن القنا ما هو يوم ضرب السيوف (قال الراوى) ولما بذلوا الرماح سمعوا أصوات أصحابهم من الصياح فساروا يطلبونهم من فزعهم عليهم (قال الراوى) وفي تلك الساعة وصل اللقيط بن زرارة بالعساكر التى جمعها في وادى الاخدود وكانوا ثلاثين ألف فارس وكان اللقيط في المقدمة يسمع ارتفاع الضجيج والزعاق ونظر بعينه الغبار قد سد الاقطار والآفاق فعلم أن القوم في ضيق الخناق وان الحرب قد قام على قدم وساق فقال لمن حوله من فرسان عشيرته هذا وقت انتهاز الفرص لان بنى عبس وبنى عامر ما التجأت الى هذه الجبال الا من خوفها من هذه العساكر وان لم نبلغ منهم غرضنا في مثل هذا الوقت ما نبلغه أبدا (قال الراوى) ثم انه فرق اخوته على سائر القبائل وأعلمهم بهذا الحال وأمرهم بالقتال ورمى الصياح

في اليمين والشمال فأقبلت المواكب مثل الجبال وحمل اللقيط يطلب الغبار الثائر واذا قد اعترضه سنان ابن أبي حارثة في جماعة من بنى فزاره وأخبره ان عنترا بين يديه في طائفة قليلة وانه انقطع عن بنى عمه وعشيرته فبادره قبل أن يخوض العجاج ويعتصم بالجبال فدعنا ننهب جسده بالرماح الطوال فعندها صاح اللقيط بن زراره وافرحتاه ببعد ترحاه وركض في أول العساكر وقدامه سنان بن أبي حارثة وتتابعت خلفه الفرسان وأبصر عامر هذه المصائب فأيقن بحلول الحمام الصائب وقال لعنتر يا أبا الفوارس ما بقى من الهلاك مهرب لاننا قد وقعنا في بحر متلاطم بالامواج فما ترى من الرأى فقال عنتر ما هنا من الرأى غير استقبال القادمين والطعن فيهم بالرماح وخطف الارواح لاننا ان رجعنا نطلب أصحابنا فتكت هذه الطوائف بنا وبت فنا ؤنا وما بقى في الامر الا أننا نلقاهم ونلقى بأنفسنا الهلاك لان الرجل اذا قتل لا يقتل الا اذا قتل خلقا كثيرا وبعد هذا يكون مغبونا ثم انه تلقى الخيل كما تلقى الارض العطشانه أوائل المطر والسيل وتبادرت اليهم الرجال التى كانت متخلفة في الحلة وعاد اليهم ضامر مقدم الشام وطال عليهم في قطعة جيدة وأمر بنى غسان أن تحمل كلها حملة عنان فحملت الابطال وحملتها اهتزت الجبال والارض يمينا وشمالا وجرى الدم وسال وفنيت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وارتجت الجبال والدنيا انقلبت والحياة منعت والسيوف قطعت والرماح كسرت والدروع تمزقت والرجال جالت والشباب شابت والآمال خابت والبطون تفجرت والظهور تقسمت والدماء من الجراح هطلت هذا وهم بين طريح وطارح ومذبوح وذابح وباك ونائح وزاعق وصائح وخسران ورابح وغاد ورائح وباك ونائح ومشبوح وشابح والدما على الارض سائح حتى صارت القتلى مثل الذبائح هذا وهم في صدام ولزام وتجرع الموت الزؤام (قال الراوى) وقد قال القبائل اذا كثرت الكلاب على السباع أنزلوا بها العذاب واذا اجتمعت العصافير على الباشق الصيود أتعبته ونالت منه المقصود الا أن القوم ما مضى عليهم أكثر من ساعة من النهار حتى قتل منهم جماعة وأسر عروة بن الورد والباقى سلموا أنفسهم الا عنترا وعامر بن الطفيل فانهما بطول نهارهما يقاتلان الى أن دخل عليهم الليل وأخذوا أسارى وقادوهم حيارى وسلموهم الى العبيد ورجعوا الى الخيام واستقر بهم المقام فعند ذلك جمع سنان بن أبي حارثة بين لقيط ابن زرارة وبنى ضامر مقدم العساكر فهنأ بعضهم بعضا بالسلامة والنصر وقال اللقيط لضامر أيها السيد يهنيك هذا النصر والارشاد فقد بلغنا كل المراد من الاعادى والاضداد الذين قد رملوا النساء ويتموا الاولاد فشكره ضامر على ذلك الايراد وقال له أيها الامير انى قد أمرنى صاحبى بفناء بنى عبس وها أنا قد أتيتهم قاصدا ولابد ما أسوق اليه منهم جماعة مع مقرى الوحش وأبيض وجهى عنده بهذا العبد الاسود وما نسأل عن الباقين فقال له اللقيط بن زرارة يا مولاى الامر اليك افعل كما تريد لان الاعداء حبسوا أنفسهم في هذا الوادى ولا تركوا لانفسهم نجاة ولابد ما نهلك الفوارس منهم والعوالم ولو رحمت بهم سقناهم قدامك الى أرض الشام وقد قاموا على رؤس الشعاب من يحفظها حتى لا يخرج هارب منها ودارت بهم الكتائب من كل جانب وباتوا فرحين شامتين على أعدائهم من العذاب فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم من حين أتى اللقيط بن زرارة وتلك الجموع والخلائق قد عادوا الى ورائهم وقاتلوا على رؤس الاودية والمضائق من فزعهم أن تملكهم الاعداء وما زالوا كذلك حتى أمسى المساء ورجعت الاعداء وانتظروا عنترا ومن معه فلم يروا لهم خبرا ولا أثرا فتقطعت ظهورهم وحاروا في أمورهم وعلموا أن القوم قد هلكوا فجمعوا رأيهم على أن يدخلوا في الجبال والمقاتلة هنا لك عن الحريم والعيال ولما صاروا في الوادى وأبصروا النساء مشققات الثياب كثيرى البكاء والانتحاب لان الخبر قد وصل اليهم وسمعوا ما جرى على رجالهم من النوائب واطموا على الخدود والترائب ومشوا بين الخيام والمضارب وهم مكشفات الرؤس منشورات الذوائب ولم يعلمن السالم من العاطب وأقمن العويل والبكاء وارتفع الضجيج في الوادى وعلا وودع الوالد الولد وتقطعت الاكباد من شدة الحزن والكمد وكان الملك قيس قد نشأ له ولد وسماه زهير وكان دون البلوغ وهو مبدع في الجمال وكان يحبه محبة عظيمة ومن شدة محبته له واشفاقه عليه خطر له خاطر وتصور في عينيه انه صواب وكان ذلك الهاما من رب الارباب والامر كان سبق في أم

الكتاب تجمع أمراء القبائل والمقدمين من العساكر وقال لهم يا بني عمي أنتم تعلمون انه لا كنا قد آن وما بقى انا طريق من خلاصنا من هذا الوادي لان فرساننا قد قتلت والاعداء فينا قد طمعت والجموع حولنا قد كثرت وأنا قد بان لي أمر وأريد أن تعاونوني عليه ولا تسألوني عنه فقالوا وما الذي تريد من المعاونة حتى اننا نعاونك على ما تريد فقال لهم يا بني عمي من هذه الليلة كل من كان له نوق او جمال يأمر عبيده باعتقالها وتوصوهم أن لا يمكنوهم من الماء والمرعى حتى أريكم تدبيرا تهلكون به الاعداء جميعا فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم انصرفوا وأمروا عبيدهم بمثل ذلك وأنفذ الملك قيس الى الاماء التي عند النساء ينهونهن عن البكاء وعدهم بالنصر على الاعداء وذكر لهم أن رجالهم سالمون غير هالكين وان الحراس قد أتت وأخبرتني بذلك وفي غداة غد ندبر في خلاص الجميع (قال الراوي) وكان هذا الكلام يطيب به قلوب النساء وفزعا من الاعداء أن تسمع النواح والبكاء فيزيدهم الطمع فسكت بهذا الكلام جميع الناس وأقام الحرس على رؤس الشعاب وباتت بنو عبس في أعظم ما يكون من الهم والاكتئاب هذا والربيع بن زياد قد أيقن بالهلاك وسوء الارتباك وقال عمارة ما زال الملك قيس يسمع من رأى عنتر حتى هلك وأهلكنا معه واحسرتاه على السلامة وعلى زواج عبلة ولو ليلة واحدة فقال له الربيع التهى جاك لوخفى ويلك يا مذلول السبال وأنت بعد ذلك مولع بزواج عبلة أما يكفيك ما أنت فيه في هذا الوقت من الخبال فقال عمارة يا أخي اني ما انسى هواها ما دمت في قيد الحياة واحسرتاه آه وآه وادهوتاه على ما أصابني وكان شيبوب قد جرى عليه ما لم يجر على قلب بشر وعلم أن الحرس شديد عند رؤس الشعاب فما قدر أن يظهر ولا فعل شيأ الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركبوا الجرد الملاح وتقدموا طالبون الحرب والكفاح فسد الشعاب بكثرة الخلائق وأبهر الابصار بلمعان البوارق وأدارت فرسان بني عبس وبني غني وبني عامر الحرب في ذلك اليوم وقاتلوا من داخل الشعاب خوفا على الحريم والاولاد وجمع الملك قيس جميع عبيده وعبيد القبائل الاجواد وأطلعهم على قرون الجبال وعاونوهم بالنبال والاحجار واشتد الحرب والقتال وعظمت الشدائد والاهوال وما زالوا على مثل ذلك الحال حتى تغير النهار واستحال وعادت العساكر والقبائل الى الخيام وقد زادهم الطمع والمحال وعند عودتهم عبر اللقيط بن زرارة على عنتر وقال له كيف ترى يا ولد الزنا حالك وعاقبتك وهذا الذي جرى عليك بسبب تعديك على الفرسان مدى الدهر والازمان فابشر بما تلقى وما يحل بك قبل القتل من العذاب وما ترى بعينك من الذل والهوان وحق رافع السماء لاقتلنك واقتل عبلة بين يديك وأقطع يديك ورجليك وبعد ذلك يحملك الامير مضر الى سيد بني غسان يصلبك على باب دمشق ويشفي منك قلوب عبدة الصلبان فقال له عنتر لوا خيبت يا ابن اللئام ما تكلمت بهذا الكلام لانك ذليل جبان لا تكشف شدة ولا تصلح لنجدة وأما أسري أنا فهو عار لاني ما أسرت حتى اجتمعت على عساكر الشام وعرب الحجاز وقتلت منهم أبطال يعجز غيري عن لقاء بعضهم في البراز ومن يكن كل يوم يطمع في لقاء الشجعان وأصحاب الاقدار وينكس الاعلام تحت قساطل الغبار لا بد ما يصيبه سهم من سهام الاقدار وبعد ذلك فما أنا قاطع من الحياة الاياس ما دامت تتردد في هذه الانفاس لان الرجل اذا كان له في الدنيا زاد لا تعمل في جسده السيوف الحداد واذا كان لي في الحياة حظ ونصيب فجزاؤك على يدي يكون قريب (قال الراوي) فلما سمع اللقيط مقالة هاله ذلك وقال يا ابن الامة ما بقي لك من الهلاك فكاك ولو نزلت اليك الملائكة من الافلاك ثم تركه ومضى عنه ودام القتال على ذلك الوجه خمسة أيام الى ان علم الملك قيس ان النوق قد جهدها العطش ودار في الليلة السادسة في القبائل وأمرها ان تصف النوق صفوفا وتترك رؤسها الى مقابل رؤس الشعاب وتدع فصلانها كما أمرها فقبلت ذلك وما في القبائل من علم ماذا يريد ان يفعل ولا سأله عن ذلك أحد بل أقاموا ينتظرون الفرج بأي وجه كان فلما كان وقت السحر قال الملك قيس للعبيد أخرجوا الفصلان الى البر قبل القتال وكانت شيأ كثيرا مثل الرمل اذا سال لا يقع عليها عدد ولا يحصى لها مدد الا ان لما خرجت حنت خلفها أمهاتها ورفعت بالحنين أصواتها وكذلك هي عند فقد أمهاتها وكانت العبيد تضربها بالعصى وتخرجها من الوادي فأقامت الدنيا بالضجيج فركبت العساكر على حسها وظنوا أن بني عبس خرجت

بالاموال تطلب الامان لان الفصلان قد تتابعت من مضائق الشعاب تطلب رؤس الاودية والهضاب وهي مثل الايتام لا تدري ما يفعل بها الان الفرسان لما رأتها تتابعت اليها ونهبتها وأمرت العبيد بذبحها هذا واللقيط ابن زرارة يقول لسنان بن أبي حارثة أنت على كل حال شيخ من مشايخ العربان وأقول انك أخبرني بحلول المصائب والنوائب فما تقول في خروج بني عبس الفصلان بين لي هذا الشأن وأوضح لي هذا البرهان فقال له سنان هذا الحال ما يحتاج الى برهان فان الماء عند أعدائنا قليل وهم خلق كثير وقد أخرجوا الفصلان ليردون الماء للناس الذين عندهم والصبيان والصواب انكم من اليوم تحلون القتال وتحفظون رؤس الجبال حتى يقل عنهم الزاد كما قل عنهم الماء فقال له اللقيط وقد سره ذلك وحق رافع السماء لا زحفت عليهم الا بسائر الجيوش والكبراء ثم انه قال اعذرني يا أمير ما تريد العودة الى بلاد الشام فقال بلى نادي في بني غسان وقل لهم يركبوا في هذا الصباح حتى نهجم على هذه الشعاب ونقود المشايخ والشباب ونترك الكل ينقادون قود الكلاب فقال مضر هذا وحق المسيح أكبر مرادي ثم انه أمر النقباء فنادت في العساكر وقد أعلمت سائر العساكر وكذلك فعل اللقيط بن زرارة مع بني مشاجع والعرب التي جمعها من سائر المواضع قال وما أصبح الصباح الا وقد ركبت تلك الخلائق وامتدت في المضائق وازدحمت الدروب واشتدت الكروب حتى كادت الاكباد أن تذوب فعلم الملك قيس بذلك الاتفاق فأنفذ العبيد الذين قد تركهم فوق الشعاب وقال لهم القوا بالكم الى آخر جيوش الاعداء واذا رأيتموهم قد جدوا في طلبنا وخلت منهم البيداء وما بقى لهم في البر أحد ارفعوا العلم الوسطاني حتى نعلم بهذه المعاني ثم انه قد نادى في القبائل وأمر فرسانها وأبطالها أن تقف قدام نياقها وجمالها ثم انه قال لهم واذا رأيتم بوادر الرجال قد ظهرت والى القتال تبادرت فحلوا جميع النوق والجمال من عقالها واضربوها بالاسنة في أنقابها حتى تنقضي الاشغال من غير قتال وتدوس من أعدائكم الرقاب وتطحنها تحت أرجلها في الروابي والهضاب ونكون نحن قد بلغنا الآمال وفدينا أنفسنا بالمال واشترينا بها النساء والعيال ولما سمعت فرسان القبائل هذا المقال بان لهم وجه التحقيق من المحال وقد عرفوا ما دبر الملك قيس واشتهر الامر وظهر وما فيهم الامن فرح واستبشر وقالوا لقد صدق هذا الرجل وما خاب من سماه قيس الرأي ثم انهم امتثلوا كلامه ومقاله ووقف كل واحد منهم يحفظ نوقه وجماله هذا وقد لج اللقيط في الطلب وغره فيهم الطمع ثم انه حمل بترسه والحسام وقد تقدم قدام عساكر الشام وهو يبشرهم بالنصر ويحدثهم بالغلبة والقهر ويشجع الابطال ويحثها على القتال وهو مع ذلك ينشد ويقول

اليوم أشفي النفس من كل العلل * وأشعل الحرب بأطراف الاسل
وأترك الطير يبيت حائما * على أناس سكنوا طرف الجبل
وأنا الهمام البطل الندب الذي * أنازل الموت اذا الموت نزل

(قال الراوي) هذا والملك قيس يدبر الناس ويصف السادات وينظر العبيد حتى انهم يرفعوا العلم الذي أمرهم به فبينما هو كذلك اذ سمع الصياح وقد علا وترعرعت الابطال الى الفلا وأبصر العلم وقد رفع والعبيد الذي عنده أظهرت الفرح والشعاب قد اشتدت بالكتائب ولعب السيف فيها من كل جانب والغبار قد حكى ظلمة الغياهب والاسنة تلمع مثل الكواكب هنالك نادى الملك قيس في الصفوف فحلت نوقها وجمالها وأطلقتها من شدادها واعتقالها ولذعتها بالاسنة في أكفالها وأجنابها وكان شئ كثير لانها أموال ستة قبائل وقد عطشت خمسة أيام وقد أخرجت فصلانها عنها الى البر والجبال فشبت على رؤس الرجال وصدمت الاعادي في أضيق الاماكن ولطشت رؤسها وصدورها وداست الفرسان والخيل وكانت الابطال الذين اجتمعت في الضروب أبصرت البلا قد أتاها فرجعت بالخيل الى وراها أنها تطلب الطلوع وكانت العالم مثل البحر الزاخر وما زالوا على مثل ذلك حتى ضربوا بعضهم بعضا بالسيوف ورموا عن أيديهم الرماح من ضيق المكان وضرب الاخ

أخاه والاب أباه وذهبت القرائب والانساب وكان لهم يوم مشهور وتزهادوا وابطالبون النجاة مما شاهدوا واندأسوا
تحت أرجل الخيل والجمل والقوا السيف فى أعناق بعضهم بعض وصارت العساكر تحت أرجل الجمال عبرة
لمن اعتبر وكان لذى سلم منهم يتوه مثل السكران الا أنه ما يفتح عينيه الا ويجد على رأسه فارسا من بنى عبس
وغطفان فاكان فيه روح أخذوه أسيرا وما تقارب النهار حتى امتلأت الشعاب بالقتلى وفاضت الدماء وما سلم
من العرب ذلك اليوم الا بنى فزارة لان سنان بن أبى حارثة أشار على اللقيط أن يحضر بين الجبال ويطاولهم الى
أن يقل عنهم الماء والزاد ويبلغ منهم المراد فخالف مقاله وما سمع ما به عليه أشار وأراد يبلغ من بنى عبس
ما يحب ويختار فقال سنان لبنى فزارة يا بنى عمى قفوا خلفى ولا تتبعوا اللقيط فى هذه المضائق لان قلبى خائف
من هذه النوبة وانا أعلم أن بنى عبس لا تغفل عن أنفسها ولا بد ما تعمل مكيدة لا سيما وعندهم الربيع بن زياد
بخبثه ودهاه وشيطنته وقيس بن زهير وعبارته وما أظنهم أخرجوا الينا الفصلان الا مكر ومحال وبما انهم
دبروا حيلة تكون عاقبتها وبيلة فاقبلوا منى ولا تدخلوا الشعاب فقبل بنو فزارة كلامه وأقاموا قدام
المضارب والاعلام حيارا وأما أبصروا من الاهوال التى رأوها فقال سنان لمن معه من الفرسان من سادات
بنى فزارة كيف رأيتم مشورتى عليكم فقالوا والله وما الذى ننتظر أطلب بنا الهرب قبل ما تخرج علينا بنو عبس فانهم
ان خرجوا الحقونا ببنى بدر وحذيفة وحمل فقال سنان لمن معه من الفرسان وحق من فى غيبه قد احتجب ما بقى
ينفعنا الا الهرب ولا لنا من يحمينا من قبائل العرب وهذه عواقب البغى والعدوان وهذا يدل على أنكم من
أول الزمان باغين على عنتر وعلى بنى عبس وعدنان فلما سمع حصن بن أبى حذيفة هذا المقال بكى وقال كيف
التدبير يا عمارة فقال سنان من هذا كنت فزعان من دخولنا الى هذا المكان والرأى أننا نتبع المنهزمين من
بنى غسان ونطلب أرض الشام فقال حصن هذا ما أفعله أبدا وما لنا الا أننا ندخل على المأسورين ونحلهم من
وثاقهم ونطلب من بنى عبس وعنتر الزمام فلما سمع بنو فزارة كلامه رأوه صوابا ثم انهم عطفوا نحو الخيام ونزلوا
على عنتر ومن معه وحلوهم من الشد والاعتقال وطلبوا منهم الذمام والامان فقال عامر بن الطفيل لسنان
ابن أبى حارثة ما فعلتها الا عن أمر صعب شديد ولكن ما نخيب قصدك وأنت من جهة بنى عمنا فى أمان فقال
عنتر أنا ما أذم لك من بنى عبس حتى ترضى عنك ساداتهم لانى أنا عبدهم والعبد ما يذم أحد ثم انهم تواثبوا على
ظهور الخيل وطلبوا أبواب الشعاب وما سلم فى هذه النوبة الا بنى فزارة وقتل اللقيط بن زرارة لاننا ذكرنا فى ذلك
اليوم أنه ترجل فى أول العسكر وترجلت معه بنو عبدوار وابنى عبس هم وعساكر الشام وكان اللقيط بين
يديها ومتقدم عليها وهو فرحان بوقوع عنتر وأراد أن يبين قدام ضامر شجاعته وقوته وبراعته وتذكر أيام سرقة
الجواد الابجر وكيف احتال عليه شيبوب وأخذه مع الجرة سكاب وكيف سبى عنتر امرأة أخيه حاجب وقد
ذكرنا هذا الحديث فيما تقدم فترجل وأمل أن ينال من بنى عبس غرضا فجاءه القضاء والقدر وعليه نزل وهلك
هو وثلاثة من اخوته والباقون سلموا الآن سنانا نجل بهم فى طائفة بنى مشاجع قبل خلاص عنتر ورفقته وكانت
هذه الواقعة من أعجب ما جرى فى ذلك الزمان وكان الذى قتل اللقيط بن زرارة الربيع بن زياد لانه أدركه وقد ثار
من تحت أرجل الجمال فقتله وأنشد يقول

أفاطم لو سألت الشعب عنا * أجابك وهو منطلق اللسان
بأخبار يشيب الطفل منها * ويهرب وهو مخضوب البنان
طفينا نيران حر الاعادى * بفيض دماء فرسان الطعان
وخلينا اللقيط بها طريحا * كأن عليه حلة أرجوان
شككت جنابه لما تولى * بسيف مثقف ماضى السنان

وخرجت بنو عبس من الجبال وهى تطعن فى صدور الرجال وقلوبهم مشتغلة بمن لهم فى الاسر والاعتقال لانهم
ما يعلمون كيف حالهم وما جرى عليهم وما زالوا وقوفا حتى انهم التقوا بعنتر ووقعت العين على العين وأبصر بنو عامر

ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل وأخبر الناس بانهم سالمين ففرحوا بذلك وهنوهم بالسلامة وكذلك فعلت بنو
عبس بعنتر ومقرى الوحش وأما بنو فزارة فترجلوا ورموا سلاحهم وتقدم سنان وحصن بن أبى حذيفة وجماعة
من المشايخ وقصدوا الملك قيس وهم رجالة واعتذروا اليه من فعالهم وقالوا أيها الملك انا ندمنا على ما فعلنا ونريد
أن تصفح لبعضنا ونرجع الى أوطاننا وتجعل مقابلة خطانا ما تطلب وتريد فانك قادر على هلاكنا وفنانا وهدم
حصوننا وقبل ركاب الملك قيس وسأله العفو والبقاء فاستحى الملك قيس من الطوائف التى حواليه وأعطى
بنى فزارة الذمام ورحلوا بعد ذلك يطلبون الديار وقد ملأت سائر الاقطار وفى اليوم الثالث رحلت بنو عبس
تطلب الديار والاوطان وركبت سادات بنى عامر وغطفان وساروا والوداعهم يوما كاملا وعامر بن الطفيل
تأسف على فراق عنتر بن شداد ويقول يا أبا الفوارس لولا ما يشق عليك لكنت حلفت انى ما أفارقك فشكره
عنتر وقال له يا عامر ان كنا تباعدنا عن العيون فالحب فى القلب مسكون فلما سمع عامر كلام الامير عنتر حمده
وشكره وبعد ذلك ودع بعضهم بعضا وساروا يطلبون أوطانهم بعد أن عانق عنتر عامر بن الطفيل وأنشد يقول

اذا ودعتنى أودعت قلبى * غراما لا يزول الى الممات
ولو انى أكون بحكم روحى * لما فارقت مثلك فى حياتى
ولكنى لعبلة عبد رق * فلو خالفتها كسرت قناتى

فلما سمع عامر بن الطفيل ما قاله عنتر بن شداد عذره وعاد مع قومه وبعد ذلك رجع عنتر مع مقرى الوحش
وعروة بن الورد وهو مسرور القلب والفؤاد بما قد وصل اليه من نيل المراد وهلاك الاعداء والحساد وهو
يمشى قدام العساكر ويفتخر على ظهر حصانه وهو يذكر ما جرى لهم من الوقائع فأنشد يقول

فؤادى قد برته يد السقامى * وعينى دمعها فى انحدامى
على زمن تقضى فى انتصاب * وعين الدهر تكحل بالمنامى
بكل خريدة خود رداح * كأن جبينها بدر التمامى
بقد كالقضيب وحسن طرف * وألحاظ أحد من الحسامى
وألفاظ تحاكى الشهد فيها * وقد مزجت حقيقا بالمدامى
وقلبى فاطر والدهر صاف * لنا والعيش فى حظ واغتنامى
وأيام الشبوبة والتصابى * لذيذات كما بين الخزامى
ولو أعلم بما فى الغيب مقضى * ومنهم حكم جار فى الانامى
ألا يا عبل لو أبصرتنى ما قد * جرى لى عند معترك الزحامى
وخيل الشام قد دفعت ودارت * على وقد أتتنى للصدامى
وجاءت مثل بحر وهو طامى * ومالت مثل غيث من غمامى
ولم أشعر بروحى اذ رمونى * أسيرا تحت قساطيل القتامى
وانطبقت على الارض حتى * انى قد شربت من الحمامى
وقد أطلقت من قيد وثيق * ولم أحفل بآل بنى اللئامى
سلى عنى كلابا مع نمير * وعامر يوم كربى واقتحامى
سلى يا عبلة عنى آل بدر * وقد أرويت من دمهم حسامى
وكيف تركتهم فى القفر صرعى * كأعجاز النخيل مع الصدامى
تنوشهم السباع بكل باب * عرايا بين أطناب الخيامى
وانى فارس أسد هصور * كريم الجد من أولاد حامى
ولم أحفل بأهل الارض جمعا * وحق الركن والبيت الحرامى

عليك سلام الله من بطل كريم * بطول الدهر ما هتف الحمامي

فطربت فرسان بني عبس السامعون وشكره جميع الحاضرين وسار عنتر يتبع قومه بني عبس وعن شماله عروة بن الورد وعن يمينه مقري الوحش وهو يقول لهم يا بني عمي نحن سائرون الى الاوطان وما في قلبي طيب بمجاورة بني فزارة وسنان بن أبي حارثة لانني أعلم انه لم يجيء من مجاورتهم خير وشرهم كثير فقال عروة بن الورد يا ابن العم دعني من بني فزارة وغيرهم وعاوني على أمر قد وقعت فيه ورزية قد طرقتني على غفلة وما لقيت أحدا يحمل لي منها خلاصا فلا استقل عقلي في هذا الامر لو قدرت على حمله ما استغثت بك عليه ولا كفاني من الامر ما كتمت وتمنيت القتل حتى لا أبوح به لاحد فما هو سهل فقال عنتر وقد قامت عيناه في أم رأسه ويلك يا أبا الابيض وما الامر الذي تريد القتل دونه والهلاك أخبرني به حتى أعرفه أما علمت أن الانسان اذا كتم مرضه يكون على مخاطرة من أمره فقال عروة وقد تحسر من قلب مجروح وهطلت من أجفانه الدموع لما كنا في ديارنا قبل قتال بني فزارة وقبل دخولنا بلاد اليمن ويجري هذا الامر الذي قد جرى علينا والمحن فكانت أختي سلمى قد أتت الى زائرة من بني غطفان وكانت تقيم عندي أياما وتعود الى زوجها وكلما أتت ورأتني خاليا أشارت علي بالزواج وتقول لي يا أخي ان في جوارنا جويرية يقال لها لميس بنت همام الغطفاني ما خلق مثلها في هذا الزمان فكأن الصباح يطلع من غرتها والليل يطلع من سواد شعرها والورد يقتطف من وجنتها والشهد من ثناياها ونكهتها واشتهي أن تكون زوجتك فانعم لي بالاجابة وقبولها حتى أخطبها لك من أبيها وأعينك بجميع ما أملك من المهر والصداق وادعك تتهنا بها حينا من الدهر لان النظر لوجهها يجلي ظلمة البصر والذي يضاجعها يفوز بالفوز والظفر يا أبا الفوارس اذا سمعت كلامها لا التفت اليها ولا يميل قلبي اليها وأقول لها يا أم حسان نقل الجفان الى الضيفان واغاثة الملهوف على جور الزمان أحب الي من مضاجعة النسوان ولاجل هذا كانت العرب تسميه عروة الصعاليك لانه كان كلما يكسبه في القتال والمال والعيال ينفقه على على اليتامى والارامل والصعاليك وانه قال لعنتر في آخر شكواه يا أبا الفوارس وما زالت على مثل ذلك حتى اجتمعنا نحن وبنو غطفان في هذه النوبة في شعاب جبلة وجرى من القصة ما قد عرفت وكان أكثر مقامي عند أختي سلمى في بني غطفان وفي بعض الايام رأيت لميس خارجة من بيت أمها داخلة الى بيت عمها فارتجف فؤادي وغاب رشادي فبهت ناظري وحار خاطري وأبصرت صورة غريبة الكمال والجمال زائدة الحسن والدلال قد خلقت في وقت سعيد وأعطيت من الملاحة أوفى نصيب فقلت لاختي يا أم حسان من هذه الجارية من بني غطفان فوالله لقد انعجم لساني ببعض صفاتها وأصابت فؤادي بينهم بسهم جفنيها عند التفاتها وسلبت عقلي مع قلة رغبتي في النساء ولحسن ذاتها لا أجد عنها صبرا ولا سلوانا فقالت وقد تبسمت هذه لميس ابنة همام بدر التمام وبديعة الانام التي كنت اشتهيها لك زوجة وأنت لم تلتفت الي ولا تعتني بكلامي فقلت يا سلمى ما علمت أنها بهذه الصفة وأريد منك أن تحدثي مع أمها بسببها حتى تنكشف هذه الشدة وأخطبها فقالت يا عروة ما بقي لك الى هذه سبيل ولا بقي لاحد في هذه الجويرية مطمع لان القوم قد زوجوها برجل جليل القدر عظيم الامر وقد عاهده أبوها على ذلك وقد غدا يأتي بمهرها ويأخذها فلما سمعت ذلك يا ابن العم زادني الوسواس والهم وقلت يا سلمى ويلك ولمن زوجوها من سادات العرب وكم جعل أبوها من المهر من الفضة والذهب فقالت أما المهر فما سألت عنه ولكن سألت عن الرجل فقالوا هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي وأبصرتها فرحانة وتصفه بالحسن والجمال وكثرة الخيل والمال والنوق والجمال وقالت انه حج الى بيت الله الحرام وشهدت له فرسان العرب بأنه أشجعها وأحسنها وأدفاها نسبا وذكرت في آخر حديثها أنهم ينتظرون أن يأتيهم بالمهر وقد انقطع خبره ولولا ذلك ما كانوا أتوا معها وانحصروا في هذه الشعاب بل كانوا أنفذوا خلفه وتركوه يرد عنهم عساكر الشام من بني غسان ولا يتركها بعيدة عن الاوطان فلما سمعت هذا الحديث يا أبا الفوارس طار فؤادي وجفاني رقادي وأردت أخبرك بهذا السبب فوقعنا في هذا الامر وأشرفنا على الهلاك

وقلت في نفسي ها قد أتاني ما أشغلني عن جميع الاشياء وأنا أعلم انه ما بقي يسلم منا أحد والصواب أني لا أجل ابن عمي هم آخر لانه يكفيه ما هو فيه والآن قد من الله علينا بالاطلاق وأنا حائر في قصتي خائف من هذا الامر سكران من غير شراب خمر ولو لم أكن قد عجزت عن حمل أثقالي ما شكوت اليك حالي (قال الراوي) فلما سمع عنتر حديث عروة تعجب منه وعذره في شكواه وقال يا أبا الابيض وما الذي أوصل هذه الجارية الى بني زبيد وكيف تزوج بها هذا الرجل العنيد وما سألت أختك عن هذا الامر فقال عروة يا أبا الفوارس سألتها فقالت لي يا عروة أمها من بني مراد وكانت سارت الى زيارة وابنتها هذه معها وأقامت عندهم أياما وكانت كبشة أخت عمرو في بني مراد لان القوم جيران في أرض واحدة وانها لما أبصرت لميس وصفتها الى أخيها عمرو وأتى اليهم وخطبها من أبيها وبذل له مالا جزيلا فأعطاها له وعاهده على أن القوم ما زوجوا بنتهم حتى أمرتهم أنا يزوجها وأنا قد عرضتها عليك من حين كان لها من العمر تسع سنين الى الآن وما سألت عنها مع أن أهلها قد اعتمدوا على قولي وتركوا معولهم علي وكنت اذا أتيتك زائرة وصفتها لك فأرى منك التهاون والفتور والنية الباردة فأعود بقلب مكسور وأكتم ذلك وأقول لام الجارية انهضوا أنتم وأتموا أمرها وكنت أرجو بذلك أن ترجع وتقبل قولي وما زال الحال على مثل ذلك حتى وقع بينكم وبين بني فزارة الوقعة الكبيرة وقتلتم حذيفة وأخوه حمل على أعدائه الهبا وغضب عليكم الملك النعمان ودخلتم بلاد اليمن وعلمت أنا بذلك فقلت في نفسي لا قطعت رزق هذه الجويرية ولا كسرت بختها ثم اجتمعت بأمها وقلت لها يا أم لميس جزاك الله عني كل خير لانك قد فعلت ما يعجز عنه غيرك من حفظ الذمام وحرمة الجوار والآن قد جاء الامر بما لم يكن في الحساب لان أخي قد دخل مع بني عبس الى بلاد اليمن ولا أدري يرجع أم لا وما هو من المروءة أن تتركي البنت بلا زوج فزوجيها من اليوم ان شئت ودبري ما هو بيت فوالله يا أخي لقد شق عليها كلامي وأقامت على ذلك برهة من الزمان حتى اتفق لها هذا الاتفاق وزارت أهلها وزوجتها لعمرو بن معد يكرب الزبيدي وجرى من القصة ما جرى فعدت أنا الى بني غطفان فرأيت أمها فرحانة وقالت يا سلمى قد عوض الله لابنتي مثل أخيك وأوفى وما قطع بنا رب السماء فقلت الحمد لله الذي وقع لابنتك رجل قوي وما علي ملام فقال عنتر وقد عرف القصة على جليتها وقال لقد سعى عمرو واقصر أجله وقد مشى في انقطاع أمله والصواب انك تكتم سرك وتخفي أمرك وتوصي أختك تنفذ تعلمك اذا جاء وقت الزواج ووصل عمرو الى بني غطفان وزفوا الجارية عليه حتى نكمن له في الطريق ونأخذها منه غصبا واذا لامنا أحد في ذلك نقول نحن أحق بابنة عمنا وقد جرى بيننا وبين بني زبيد وقائع من أيام خالد بن محارب وابنة عمه الجيدا أوفق من أن نخاطب أباها في ذلك ونطلبها منه لانه ربما يقول أنا مسكت ابنتي لعروة وعرضتها عليه مرارا ولم يقبلها ولما وقع لها من يسترها عاد يطلب هتكها وتقع الفتنة بيننا وبينهم ولا ننال غرضا ولا سيما ان كان هذا الرجل راغبا في بني زبيد كما ذكرت وهذا الامر نحن في غنى عنه ولا بد ما ندبر شيئا نبلغ منه المنا فقال عروة لقد صدقت يا أبا الفوارس لا عدمتك أصدقاك ولا برحت سيوفك في رقاب أعداك ثم ساروا الى الديار وقد بنوا أمرهم على ذلك المعيار وأوصى عروة أخته سلمى وكذلك أوصى عنه أخته مرة (قال الراوي) يا سادة يا كرام وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي الذي تزوج هذه الجارية الغطفانية في ذلك الزمان فارسا لا يخاف الجبابرة من الفرسان وتبطل عند قتاله حيل الانسان وكان من الشجعان قد كمل ومن الفصاحة والبراعة والكرم والملاحة وكان منشؤه في بني زبيد كثير الكرم والاحسان ولكن في صباه قد زاد به الهم فأكل الزاد وكانت العرب تسميه أولق بني زبيد والأولق في كلام العرب المجنون وقد ذكر في أشعار بعضهم حيث يقول

أسد خوامي فوق ظهر مضمر * كأن به من شدة السير أولقا

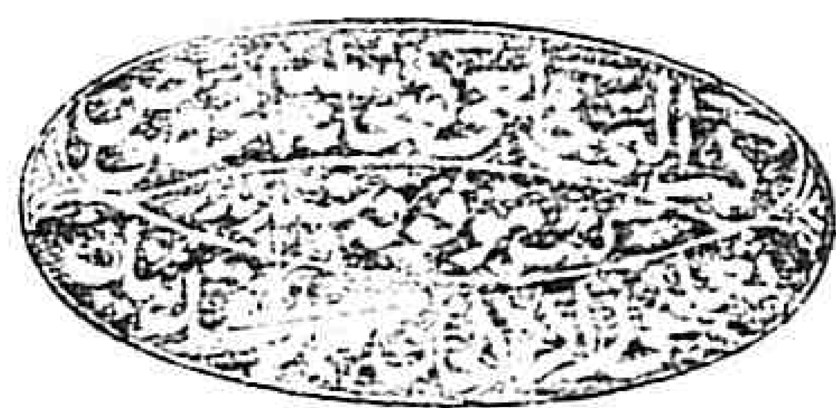
يعني جنونا وكان أبوه كلما رأى نفسه مهيئة يزيده هوانا ويلبسه الصوف ويستخدمه كما يستخدم العبيد والغلمان ويطلب بذلك أن ينتهي عن ما هو فيه وينتفي لروحه وهو لا يعرف ما يراه منه وما يطلب الاشياء

لاينزح يشتكى الجوع (قال الراوى) و بلغنى انه كان لايشبع الا اذا عمل أبوه وليمة أو نزل به قوم يعزون عليه وكان يأكل فى ذلك اليوم ناقة و يشرب زق خمر و يطلب بذلك استظهار الايام أن تأتيه ومع هذه الشهرة كان عظيم الخلقة كبير البطن طويلا واسع المناكب هائل الاكتاف والجوانب وكانت أصابعه تزيد عن الفتر وراحته أوسع من الشبر مكحول الطرف لطيف الشمائل وكان كلما أرسله أبوه فى رعى الاموال وأبعده فى البر يتعلق بركوب الخيل و يتعلم عليها الكر والفر ومازال على ذلك حتى وصل الخبر الى قومه ان الاشعث ابن ضمرة الكندى قد عول على غزوكم وقلع آثاركم وأخذ الخراج منكم والعدد (قال الراوى) وكان هذا الاشعث ملكا من ملوك الزمان كثير القبائل والاعوان والاجناد والفرسان وله منازل مقيمة بأرضه كلها تحمل اليه الاموال والانعام على ممر الشهور والاعوام ولما قوى وكثرت جنوده أخذ الخراج و بسط يده فى الظلم وكانت قبائل العرب تفزع منه وأما بنو زبيد فانهم ماطلوه بها وردوا رسوله خائبا مذلول الشارب فاشتد به الغيظ فسار اليهم فى جيش عظيم ولما علم بنو زبيد بمسيره اليهم اتفقوا على لقائه و ركب الجميع وساروا حتى أبعدوا عن الاحياء على ثلاث فراسخ فالتقوا بالاشعث ووقع بينهم القتال فكسر بنو زبيد و رأوا عين الهلاك من كثرة العدد وتزايد المدد فخافوا على أنفسهم وعادوا الى الخيام والمضارب وكانت عودتهم فى الليل عند ستور الغياهب وعند الصباح داسهم الاشعث بكتائبه والمواكب وضيق عليهم الطرق والمذاهب وسدت عساكره المشارق والمغارب ودارت عليهم من كل جانب ودخلهم الطمع و برق الحديد ولمع وطلع الغبار وارتفع و بكت النسوان من شدة الفزع وتجرعت الابطال كاسات الموت جرع وأبصر عمرو وأخته كبشة وقد نشرت الذوائب و وجد نساء الحى وهن صارخات على أبواب المضارب فقال لامه يا أماه واحسرتاه لو كنت شبعان من الطعام لكنت أفعل فعلا بهؤلاء اللئام وأضرب أعدائى برمحى والحسام فقالت أخته لا أشبع الله لك أحشاء ولا أروى لك ظمأ لانك ما تبرح تأكل وتشتكى الجوع ابعد عنا ابعدك الله ولا أشبعك لان عندنا شغلا شاغلا عنك وعن غيرك فقالت امه و يلك دعى ولدى يا كبشة ما الذى تريدين منه بالخنا ما كفانا هذا العار والفضيحة بان أموالنا قد صار أكثرها فى يد الاعداء و ولدنا ما يشبع منها ثم وهبت له ناقة وحكمته فى كل خبز كان فى البيت واشتغلوا عنه بما هم فيه وتسلم عمرو الناقة وذبحها واضرم النار على بعض الجبال وصار يشوى و يأكل و يتفرج على القتال وما أقبل عليه الظلام الا وحده ولم يترك منها غير العظام وعند المساء رجعت بنو زبيد وأكثرهم جرحى بعد ما قتل منهم فى ذلك اليوم خلق كثير وجمع غزير و باتوا يحرسون أنفسهم حتى أصبح الصباح واتصل الطعن بالرماح وقلعت الارواح من الاشباح و بيعت الانفس ببيع السماح وندموا كيف بعثوا للاشعث عداد وأيقنوا بسبى النساء والاولاد وكان عمرو على الجبل المقدم ذكره منبطحا على وجهه وقد أصبح شبعان ريان فطلبت نفسه القتال والطعان وضربت فيه نخوة العرب لما سمع بكاء النسوان وهانت عليه المنية وقلت فى عينيه الآلاف والمية ولم يهوله كثرة الفرسان و بدل الله قلبه من مكان الى مكان وغيره من حال الى حال وأنفذ فيه مشيئته التى جعلته من أهل السعادة وانفذ فيه حكمه وارادته حتى يحظى قدام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالشهادة فيكون من المختارين الذين قد مدحهم الله فى الدارين فنزل من على الرابية وهو يقول فى نفسه لابد لى من مقاتلة هذه العساكر وأترك الاول لا يلحق الآخر ثم انه هم ان يركب بعض الجنائب و يطلب من أبيه عدة واذا بأبيه معد يكرب قد أقبل منهزما ومعه بعض رفقائه وهو يكد الجواد و يلتفت الى ورائه فتقدم عمرو وقد ساواه بقامته وهو راكب فتمسك بأذياله وجذبه من على ظهر الجواد وركب مكانه وقال له اعطنى عدتك وامض أنت الى النسوان لانك قد كبرت وما يصلح لك مقام الفرسان فتعجب أبوه من فعاله لانه ما كان له بهذا سابقة فناوله السيف والرمح وقد تمنى هلاكه حتى لا يكون له ولد جبان هذا وعمرو قد حمل على الشجعان والاقران وكانوا دخلوا بين البيوت و بدؤا فى نهب الاموال وسبى العيال ومازال يطعن فى صدور الرجال و يضرب فى أعناق الابطال و يصيح

فى وجوه الاعداء حتى أخرجهم الى ساحة البيداء وكان صوته عاليا مزعجا فسمعه أبانو و وعرفه القريب والبعيد وقالوا لبعضهم بعض ماقصر أبوثور الأوان لان طعناته كلها صائبة لاتخطئ فى النحور والحدق فاحملوا بنا الى معونته لعل الله يكون جعل له سعادة يبلغ بها الارب ثم حملوا بين الخيام بالرمح والحسام وعمرو ينثر المواكب تحت القتام و يطلب الرايات والاعلام وقد قويت قلوب بنى عمه بحملاته وهالهم ما رأوا من تواتر طعناته وكان أبوه قد وصل الى أبياته وهو راجل خال من السلاح فسألته زوجته عن حاله

فأخبرها بما فعل عمرو به عند عودته وأخبرها انه فرق العساكر من الاعداء بحملاته
ففرحت عليه ولامت أباه كيف ما رده عن جهله فقال أبوه ما كان له معقول يسمع به
ما أقول ولقد رأيت له وجها أوحش من وجه الغول وهو يهمهم بكلام لا يقع
له الانسان على محصول ولولم أسلم اليه الجواد والعدة لكنت أمسيت
مقتول ومابقى فى قلبى حسرة الا أن يكون جائعا وقد ندمت
كيف انى أهينه ولم أحفظ قدره فقالت زوجته أما
جوعه فلا تحمل همه فأنا أمس وهبت له
ناقة فأكلها فقال و يلك لم لا أعلمتينى
حتى كنت أطعمه ناقتين
ليكون أشد على
الاعداء

﴿ تم الجزء الثانى عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد ﴾



الجزء الثالث عشر

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله

م





(محل مبيعه)
(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الراوى) وبينما هو مع زوجته فى الكلام والغبار قد علا وزاد حتى ارتجت من حوله الاقطار فد معديكرب عينيه فرأى عساكر الاعادى قد قتلت وعزماتهم انحلت فسر بذلك وبشر النساء وقال كسر والله عمر وجيش الاعداء بحملاته وفرقهم بصرخاته وشلت عين من يمنع عنه شيأ من النوق والجمال والمواشى والاغنام ولو أكل الكل فى عام ولما علم النسوان بذلك ارتفع منهن الصياح وتباشرن بالافراح وكان عمر وقد وصل الى صاحب العلم وطعنه فى فاه أخرج الرمح من نقرة قفاه وزعق بعده فى مواكب الاعداء فرقها وأدرك الملك الاشعث وقد عول على الهرب فضربه بقوة ساعده طير رأسه عن جسده ولما أبصرت العرب المجتمعة أنه قد قتل أميرها طلبت كل قبيلة منها ديارها لان أكثرها كانت سائرة معه بغير اختيارها وما أمسى المساء وقد بقى حول بنى زبيد أحد من تلك الخلائق وعاد رجال الحلة حول عمرو وهم يشكرونه ويثنون عليه وقد اشتغلوا به عن نهب الاموال وعجبوا منه كيف نقله الله من حال الى حال وأبصر عمر واجتماع القبيلة حواليه وثناءهم عليه فقال يا بنى عمى لو أتى اليكم من يطالبكم بخراج أو بعداد ألحقته بقوم عاد وأنا اقنع منكم كل يوم بناقة وأى عدو قصدكم ادعونى ولا تحوجونى الى زاد فقال بنو زبيد يا عمرو ما بقينا نريد حامية سواك ولا يكون علينا مقدما الا أنت ثم عادوا وكان فى حال عودته قد تنبه جنانه وسمح بالشعر خاطره ونطق به لسانه وأضاء قلبه باذن الله سبحانه وتعالى فذكر الواقعة التى جرت فسار وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا بنى العم عجلوا الى بزاد * والتقوا بى وقع السيوف الحداد
لا تعيبوا على ما كنت فيه * من خلاص فقد محاه رشادى
كان بى السر ذا خفاء فلما * نفذ الامر أصبح السر بادى
فدعونى يا أم اكسب مجدا * وعلا ما دامت احدى قيادى
ما فخار الفتى بخز وبز * ولباس الحرير والابراد
بل طعان اللقا اذا ما نادت * لى باسم الآباء والاجداد

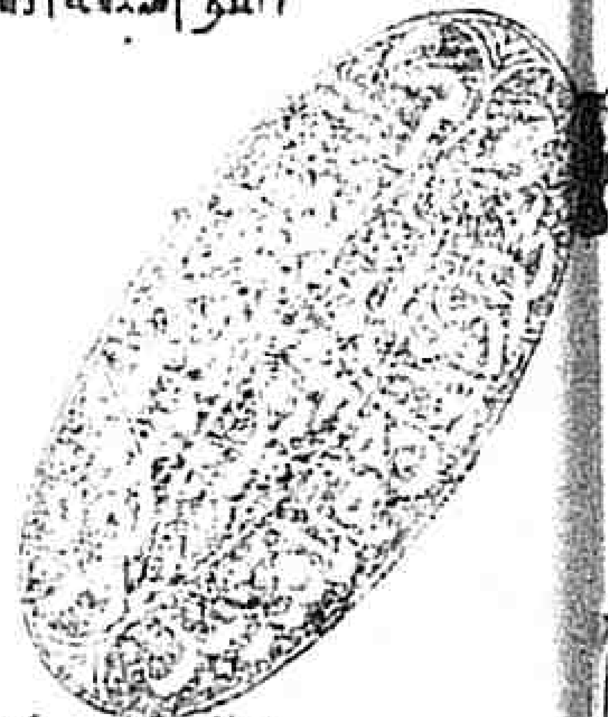
فابشروا يا بنى زبيد بليث * حاميا للحريم والاولاد
يوم قد غاب أمسه ثم أضحى * بعدما كان ناقصا فى ازدياد
فوحق المقام والبيت والحج * وساع اليه من كل وادى
لاجولن طالبا فلك المجد * ببيض الظبا وسمر الصعاد
وأردا العدا بكل غلام * ساهر لا يذوق طعم الرقاد
واذا ما أقبلت خلفت ذكرى * مثلا لا يزول بين العباد

(قال الراوى) ولما وصل الى الخيام تلقته النسوان بالفرح والاستبشار وهنأته أمه واخوته بما قد ظهر فيه من الشجاعة وبات كل من فى الحى يتعجبون من حديثه وفعاله وفصاحته ومقاله ونزل فى قلب أبيه معديكرب المنزلة العظيمة حتى قدمه على أخيه عبد الله الذى كان قد أوصى له بالتقدم من بعده وكان عمر وقد أخذ درع الاشعث سيد بنى كندة وجواده وسلبه وعدته وكانت أشياء تساوى أموالا كثيرة لانه كان ملكا جليلا ومن جملة عدته صمصامة ما اقتنت مثلها الملوك ويقال انها عتيقة ماضيه أنفذ من أسباب المنايا القاضيه (قال الراوى) وتفرس عمر ومن ذلك العام وواظب على الغارات والغزوات وهانت عنده البليات واستفرد بنفسه للنائبات واستنصر على صيد الاسود من الغابات وخرق الحرب نواصى السادات وشاع ذكره فى سائر الجنبات وأتته الهدايا والتحف من ملوك البلاد وحملت القبائل له الغفارة والعداد وكثرت أمواله وهابت أفعاله السادات ومات أبوه وشرب كأس حمامه واتفق هو وأخوه عبد الله على الاعداء ورسم له ميدانا وجعل حوله خيام المسافرين والضيفان وقصدته الفرسان من كل ناحية ومكان وبارز الابطال والشجعان وقهر فرسان القبائل وكل بطل حلاحل وأقرت له بالغلبة حماة القبائل ووهب وتكرم وكثرت عبيده وخدم وتحدثت البنات بحسنه وجماله وشجاعته وملاحته وفصاحته (قال الراوى) وفى بعض الاعوام حج الى بيت الله الحرام وزار الكعبة واجتمع بسادات العرب والزوار وملوك الاقطار فزاد فخاره وفخار وما بقى من الملوك احد الا احضره وأكرمه وخلع عليه وخدمه لاجل شجاعته ومروته ونظروا الى عظم خلقته وعذوبة منطقه (قال الراوى) وكان فى أرض حضرموت ملك يقال له زياد بن أكال الاكباد والمرائر وكان ملكا شديد العزمة والصولة قوى الهيبة عظيم النخوة مستقيم الدولة كثير الاموال والرجال والجيوش والابطال وكان معدودا من جملة الملوك المتوجة أصحاب الاكاليل والتيجان والاقاليم والبلدان وكان له بنت يقال لها غفران وقد أعطيت من الجمال والاحسان ما لا يقدر أن يصفه انسان وكانت الملوك يخطبونها والفرسان يطلبونها وهو يقول أنا ما أزوج ابنتى غفران ولا أسمح بها لاحد من ملوك الزمان ولا أملكها الا لرجل قد كمل بالحسن والجمال والشجاعة عنده ملتقى الرجال ودعه يكون فقيرا بلا مال ولا نوق ولا جمال لان فى الخلق من يكون كثير الاموال خاليا من الشجاعة والجمال وفيهم من يعطى هذه الصفة ويكون حظه الفقر والاقلال وأريد لابنتى من يسر قلبها اذا صاحبها وصاحبتها فى المنام ويحميها من بعدى اذا أنا شربت كاس الحمام ومازال كذلك يرد الخطاب ويمنع الطلاب حتى قال له وزيره أيها السيد هذا الذى تريده لا يقدر احد عليه فافعل ما أقول لك عليه فقال وما هو فانى لا أخالفك فيما تقول فقال الوزير أنت تعلم ان فى كل عام تجتمع قبائل العرب وفرسانها فى البيت الحرام والصواب انك ترسل بعض حجابك بخلعة سنية وصفحة هندية وفرس عربية الى الكعبة البهيه وتأمره أن ينادى فى الحرم اذا وصل اليه فتجتمع حوله القبائل وفرسانها ومن شهدت له الفرسان انه قد استكمل هذه الصفات فتأمره انه اذا رآه أن يأتى به اليك وتحكمه فى نعمتك وتزوجه ابنتك وتقضى شهوتك وتبلغ ارادتك فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام والمقال صغى اليه وأنفذ بعض حجابه وكان جليل القدر حسن السياسة وأوصاه بالاجتهاد فى ذلك فأجاب بالسمع والطاعة وسار يطلب البيت الحرام من تلك الساعة قال وكان وصوله فى العام الذى حج فيه عمرو بن معديكرب الزبيدى لان الله سبحانه وتعالى اذا أراد سعادة الرجل سبب له فى أسباب لا يهتدى اليها أولو الالباب ثم ان الحاجب لما وصل الى الكعبة وأبصر ما حولها من الامم

فعل كما أمره صاحبه وكان قد حج في تلك السنة جماعة من فرسان العرب منهم يزيد بن عبد المدان ومروة بن مسيكة والاصهل بن شرحبيل وجعفر بن عقيل وغيرهم من الابطال الذين تضرب بهم الامثال فلما سمع النداء في الحرم جميع القبائل تبادروا اليه من كل جانب واجتمعوا حول الحاجب وعرفوا القصة على جليتها فتقدم يزيد بن عبد المدان ليلبس الخلعة ويركب الجواد فقال بعض سادات بني قحطان يا يزيد كيف تتقدم على عمرو بن معديكرب وقد حضرت ميدانه وصرت من بعض أعوانه وشهدت لنفسك بالعجز عن ضربه وطعانه فاستحى يزيد بن عبد المدان وتأخر وتقدم من بعده مروة بن مسيكة المنبري فقيل له مثل ذلك ومازالت الفرسان تسمع النداء وتتقدم وتتأخر حتى بلغت النوبة الى عمرو وقد علمت بالهيكل والقدر الذي وصفناه به فضجت السادات لقدومه وهنوه بما قد وصل اليه من الشكر والثناء ووصفوه عند الحاجب بالشجاعة والملاحة والكرم وقالوا له هذا الرجل أحق منا بهذه القضيه فتبسم عمرو وتقدم ولبس الخلعة وركب الجواد الادهم وتقلد بالسيف وكان محلى بالجوهر المعلم فقال له الحاجب الذي أتى بالخلعة ان صاحبي قد أمرني أن لا أسلم هذه الخلعة الا الى أشجع العرب وأحسنها وأنت ما الذي بلغ من حسنك وجمالك وشجاعتك وقتالك فقال عمرو أما الذي بلغ من جمالي فانه ما نظرتني قط امرأة من سادات العرب الاحرار أصحاب النسب الاسنى الا وطلبتني وتقول لي أنا أخلي زوجي وأختارك عليه وأعطيك من المال ما تصل يدي اليه وأما البنات فانهن افتتن بي في سائر الجنبات وصرن يهذين باسمي في الخلوات وما فيهن الا من تمنت نظري وسألت عن خبري حتى رملة ابنة الملك الحرث باحت باسمي الى أترابها وقالت ايتوني بكعمرو بن معديكرب ولما بلغني هذا المقال علمت أني قد بلغت رتبة الجمال فقال الحاجب لمن اجتمع حوله من الابطال يا سادات العرب أصدق عمرو في المقال فقالوا نعم وحق من أرسى الجبال وقدر الآجال فقال الحاجب وما الذي بلغ من شجاعتك واغارتك وجسارتك فقال عمرو فالذي بلغ من شجاعتي انني ما زلت أطرق أحياء العرب في الليل والنهار حتى هججتها في القفار وصار الرجل منهم اذا خطب ابنته أحد غريب يمتنع ولا يزوجها الا لاهل عشيرته خوفا أن ألقاها في الطريق فآخذها سبية وسمعت ان منازل بن النهال سار الى بني جلهمة وخطب ابنة حسان وبذل لها من المهر ما يعجز عن وصفه كل انسان فقال له حسان يا منازل ما أنت الا كفؤ كريم وسيد عظيم ولكن يا وجه العرب ما أقدر أخرج ابنتي من عشيرتي ولا أظهرها من قبيلتي مادام عمرو بن معديكرب يركب الخيل ويعسف في الليل وقال في ذلك هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

منازل ما أعرضت عنك ملالة * ولكنني أخشى على البنت من عمرو
فتى أينما سرنا وسارت ركابنا * رأيناه خيال الامن قدامنا يسري
فلا الليل يثني عزمه عن ملمة * ولا نائبات الدهر تفنيه من عمرو
فمن كل أرض قد سبى بنت سيد * وأفنى ليوث الحرب بالابيض والسمر

(قال الراوي) فعند ذلك قال الحاجب ما تقولون يا سادات العرب فيما يقول عمرو فقالوا صدق فيما قال فقال الحاجب يا عمرو فما الذي بلغ من جسارتك وهجومك في الليالي المظلمات فقال عمرو والذي بلغ من جسارتي اني ركبت بعض الايام أطلب الغزو الى بعض احياء العرب حتى وصلت الى بني هوازن وأردت أن أدخل اليهم في الليل واذا بصوت من فؤاد مجروح يقول هل ههنا من يوصل خبري الى بني زبيد ليدركنا فارسنا المنتخب عمرو بن معديكرب لعله يبادر الى خلاصنا قبل الهلاك والعطب فلما سمعت الصوت لهبت النار في فؤادي فترجلت عن ظهر جوادي وقلت لاصحابي لا تزولوا من مكانكم الى الصباح فان عدت اليكم والا فارجعوا الى قومي وانعوني الى أخي فان صوت هذا المنادي قد أشجى فؤادي وأريد أن أخاطر في خلاصه بروحي حتى أبلغ مرادي ثم سللت حسامي وطلبت الخيام تحت ستور الظلام ووصلت الى الاسارى لاني كنت أسمع كلامهم وشكواهم فدنوت منهم وقطعت كتافاتهم وقلت لهم اتبعوني فاني عمرو بن معديكرب فتبعني القوم وهم لا يصدقون بالنجاة الا انني ما قاربت قومي حتى ثار من خلفي الفرسان وتبعتني الخيل من كل مكان فركبت



جوادي وقاتلتهم الى وقت السحر فاهلكت منهم الابطال واتسع على المجال فصحت في وجوههم ويلكم اسمعوا نصيحتي وعودوا الى ورائكم فأنا أبو ثور عمرو بن معديكرب فارس بني زبيد فارس الاقطار والعبيد فلما سمعوا ذلك رجعوا من قدامي وقد أرويت من دمائهم حسامي ورجعت مسرورا بخلاص بني عمي وكان القوم سبعة أنفار ثم رجعت أطلب قومي وأتذكر ما جرى وانشدوا أقول صلوا على طه الرسول

ألم تراني فارس البيد والقفر * أخوض عجاج الطعن بالبر والبحر
سمعت المنادي في الدجا فمرقته * فغاب رشادي من ندائي يا عمري
فقلت لصحبي ارفقوا بي فانني * أعود اليكم قبل اضاءة الفجر
وأشهرت سيفي ثم بادرت نحوهم * بعزم يقد الصلب من جامد الصخر
بزيد وسفيان ووهب ومالك * وسعد وعلوان وسابعهم جبري
ولما أتتني الخيل فرقت جمعهم * بطعن كشخص الموت في قلبه شرى
ونجيت أسرى مذحج من هوازن * ولا مسني خوف ولا خانني صبري

(قال الراوي) ثم قال الحاجب سمعتم أنتم يا سادات العرب بهذه الانباء فقالوا نعم وحق من رفع السماء ثم تقدم منهم رجل شيخ من مشايخ العرب وقال للحاجب الملك يا وجه العرب لا تطول العبارة ما أخذ الخلعة الا مستحقها ومن هو أولى بها من كل أحد وما بقي عليك كلام ولا ملام ثم أشار اليه يقول صلوا على طه الرسول

أيها المرسل الصلات الى البيت * بسيف وخلعة وجواد * أخبرني وأنت غير ملوم
اصلاح أتيت لا لفساد * أعط عمرا ما بلوت في الناس ودع قول معشر الحساد
ليس قيس ومروة بن مسيك * وابن ضبيان من قبيل مراد
فالعمرو وقائع لو حضرها * غيره ما رأى من الموت فادى

(قال الراوي) ثم تفرقت العرب وأخذ الحاجب عمرا الى جانبه وأحضر له الطعام والمدام وأكرمه غاية الاكرام وقال له يا عمرو أبشر بما قد نلته من السعادة بما ترى عند صاحبي من الكرامة لانه سنين يسأل عمن كل بالفصاحة والملاحة حتى يتخذ نديما ويساويه بما هو فيه من النعم حديثا وقديما وما بقي غير المسير معي حتى يرتفع عند صاحبي قدرك وأنا أعلم انه اذا رأى شجاعتك وحسنك والجمال ومالك من الاحسان ويعلم بما قد شهدت به الفرسان يزوجك بابنته غفران ويساويك بملوك الزمان لان هذه الجارية ما يوجد مثلها عند كسرى صاحب الايوان ولا ولدت مثلها حرائر النسوان فقال عمرو وقد فرح الفرح الزائد الشديد وعلم أن سعادته في مزيد اعلم أيها السيد أن الذي قد جرى هو اسعادتي وعلو قدري ولكن يمنعني عن المسير معك أمر وأزيد منك أن تبسط لي العذر وتصبر علي حتى أرد أهلي والنساء الى الاحياء سالمين وأخبر قومي بما قد جرى وبعد ذلك ألحقك عند صاحبك فقال له كم تكون المهلة بيننا فاذكرها حتى اذا رجعت الى الملك أعلمته بأخبارك فقال عمرو أكثر ما يكون أربعين يوما ان كنت سالما من نكبات الدهر وحوادث الايام فأجابه الى ذلك وافترقا من يومهم على ذلك وعاد عمرو بأهله الى الديار والدنيا لم تسعه من شدة الفرح بعلو مجده وفي عودته نزل على بني مراد وكانت الجارية لميس بنت همام القطفاني الذي شكا عمرو قد حبها العنتر قد أتت مع أمها وأبيها الى القوم زوارا كما قد ذكرنا وأبصرتها كبشة أخت عمرو في هذه مقامهم ووصفت لاخيها ما فيها من الحسن والجمال وأشارت عليه أن يخطبها وقالت له يا عمرو ان فاتتك هذه الجارية لا تجد مثلها في الدنيا وكان قصدها أن تعوقه بالزواج حتى لا يقيم عند الملك الذي قد بعث خلفه ولربما يتخلف عن دياره وأوطانه وينساهن كيف وقد تعودن منه الحمى والستر الآن عمرو لما سمع بذكر لميس اشتغل قلبه بها لكثرة رغبته في النساء وما برح حتى أبصر الجارية فسلبت فؤاده وقال لولا أنني رهنت لساني عند صاحب الملك وعاهدته اني أسير اليه والا ما كنت تعديته أبدا لانني ما أعلم هل يطيب لي المقام أم لا وهل يزوجني بابنته أم لا والرأي اني لا أترك هذه الجارية تفوتني بل أجعل هذه السفرة برسم مهرها وأعود آخذها ثم أتى الى أبيها وخطبها منه ورغبه في المال فزوجه بها وأعطاه يده بعد

ما شاور بني عمه فأشاروا عليه بذلك ووصفوا ما في عمرو من الفروسية ففرح همام بذلك وعاد الى بني غطفان وعمل شغل ابنته وقد وصل الخبر الى أهله وخاف أن يفوته الاجل الذي قد أجله فتجهز من ساعته وسار من بني زبيد في الخمسة فوارس الذين كان يعتمد عليهم الا انه جد في قطع أراضي حضرموت وقد أخذ معه عشر جنائب مسومة مجللة بجلالات الابريسم وعشر سيوف قواطع محليات بالذهب الوهاج وجماعة من العبيد الاجواد وعشر مولدات هدية للملك الذي توجه اليه وما زال يطوي المراحل حتى أشرف على القوم في اليوم الحادي والاربعين الا انه لما وصل أبصر براري واسعة وعيونا نابعة ومروجا يانعة وخلقا كثيرا وخياما ومضارب فتعجب من ذلك ثم انه لم يزل طالبا السواد الاعظم والخيام الابريسم واذا بالملك قد ركب في موكب عظيم وهو بينهم وعليه هيبة ووقار وكان ركوبه في ذلك اليوم لاجل عمرو وملتقاه لان حاجبه لما عاد اليه أخبره بما جرى له في البيت الحرام ووصف له عمرو بن معديكرب وكيف أعطاه الخلعة المقدم ذكرها وذكر له ما فيه من الحسن والجمال والخير والاحسان وما شهدت له به الفرسان وقدومه على الاهوال وذكر أنه في اليوم الواحد والاربعين يكون عندنا فقال الملك هذا الذي كنت أطلبه ثم أقام حتى قرب حلول الاجل وصار كل يوم يركب ويوسع في الفلا والبر ويطلب عمرا ويتشاغل بالصيد والقنص الى أن كان ذلك اليوم فأشرف عمرو وأبصر الملك فرسان بني زبيد فقال الملك ان كان حوله ان كان عمرو وقد صدق في مقاله فهو هذا بلا محال فعند ذلك خرج الحاجب المقدم ذكره فلما قاربه عرفه وقد دنا منه واعتنقه وقال يا عمرو لولا أنك أتيت في هذا اليوم لتلفت روحي وكان صاحبي قد كذبني في مقالي ثم عاد الى الملك وأخبره بوصول عمرو فعلا الصياح وبان السرور والافراح ووقع الصوت في حضرموت والتقوا عمرا أحسن ملتقى وترجل عمرو بن معديكرب ومن معه ودعوا للملك بطول العمر والبقا ولما عادوا الى ظهور الخيل باسط الملك عمرا في الطريق بالحديث وصار يكثر نظره اليه وقد أعجبه حسنه وجماله فأمر عبيده أن تضرب له سرادقا من الديباج بجانب سرادقه ونقل اليه كل ما يحتاج من الاواني والآلات وأكرمه غاية الاكرام وأوقف الخدم في خدمته ووقع في قلبه محبته وتركه ذلك اليوم لاجل الراحة فأراح واستراح ومن الغد حضر الملك الى حضرته وكان قد قدم قدامه الشراب وصنع وليمة عظيمة ومازحه وحادثه فرآه فصيح اللسان كامل الحسن والاحسان فزاد رغبة فيه ونزل في قلبه المنزلة الرفيعة وما زال على مثل ذلك الحال ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركب الملك الى ميدانه وأحضر كل من يعتمد عليه من أبطاله وفرسانه وأمرهم أن يتطاعنوا قدام عمرو لان الملك يريد أن يبصر طرفا من شجاعته لكنه يستحي أن يأمره بذلك فعرف عمرو ما في خاطر الملك فأخذ الرمح بيده وجال وصال وتقلب على ظهر الجواد حتى أذهل عقول الرجال وبعد ذلك قلع سنان رمحه وحمل على الابطال وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف بطل ففرقهم وجهم فألقى الهيبة في قلوب شجعانهم ورأوا من فعاله ما لا يرونه من غيره ومن شدة ما وقع للملك من محبته أن زوجه بابنته غفران وزفها عليه بجارية كأنها قضيب بان أو غزال عطشان أو هلال شعبان فنظر عمرو ذلك الحسن والجمال والقد والكمال والنعم والاموال فنسي قومه وأهله وما تذكرهم الا بعد ثمانية أشهر فتذكر الاوطان والاهل والخلان فاستحى أن يخاطب الملك في العودة الى أهله فشكا ذلك الى زوجته وأمرها أن تستأذن أباها في المسير معه وكانت قد افتتنت به وأحبته محبة عظيمة فلما رأته يشتكي اليها شوقه الى أهله خافت أن يزيد به الشوق فيمضي بغير علمها فتهلك فعند ذلك استأذنت أباها بذلك وأخبرته بما في قلبها وقالت في آخر كلامها وان راح من عندي بغير علمي فقدت روحي بعده فقال أبوها يا بنتي أنا ما فعلت ذلك كله الا من أجلك كيلا تتغربي عن وطنك فان كان قلبك يشتهي ذلك فافعلي أنت ما بدا لك وأنا أعلم أن بعلك كفؤ كريم قادر على حماية الحريم ولا بد له من أهله ثم انه عمل شغل ابنته في عشرة أيام بكل ما قدر عليه وسيرها سير بنات الملوك بالخيل والجنائب والاعلام والمضارب والهوادج والعبيد والخدم والصناديق والابغال والمال الممدود والخيرات التي ليس لها حدود والجوار الابكار النهود ولما نجز أمرها وسارت مع بعلها سار أبوها لوداعها ذلك اليوم ومن الغد عاد بعد ما أوصى عمرو بن معديكرب بأن لا يقطع زيارته ولا يكتم عنه حال ابنته على ممر الليالي والايام

والشهور والاعوام فقال يا مولاي ان لساني قصير عن شكر ما أوليتني من الاحسان وان لم أرع ما استودعتني فما أكون عمرو بن معديكرب ولا أصدق بعدها أو أكون موصوفا بالكذب ثم ان عمرا سار يقطع القفار ويطلب الديار وكان قد عول الملك أن يطير مع ابنته خيلا تخفرها فأبى عمرو ذلك وقال يا مولاي هذا شيء لا أفعله لئلا تقول فرسان العرب عني أخذ زوجته بخفير وسار يقطع القفار مدة خمسة أيام وفي اليوم السادس شكت الجارية الى عمرو من حث الركاب وتواصل السير وصوت وقع حوافر الخيل والدواب لانها كانت رقيقة المزاج والبشرة مترفهة البدن من منذ خلقت ما فارقت الجدار ولا خرجت من الوطن فأورثها ذلك مرضا وهنا فصعب على عمرو حالها وصار يقرب لها المراحل ويقيم من أجلها على المناهل وهي كلما سارت اشتد مرضها فزاد حتى امتنعت عن أكل الزاد وأقام عمرو في البر تمام العشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر شربت كأس الحمام وجرى على عمرو من أجلها ما لا يجري على أحد وقال وا خجلتاه يوم الملتقى ثم أمر جواره أن يواريها تحت الثرى وبكت حولها الكواعب الاتراب وحار عمرو في قصته وافتكر في نوبته فقال له رجل من بني عمه يا عمرو وما الذي تقدر أن تعمل في الموت الذي قد أعيا من قبلك من الحكماء والكهان والعلماء وما سلم منه جبار عنيد ولا ملك شديد ومن يلقى بصدره أسنة الرماح ويخوض معامع الحرب والكفاح ويعجب من مفارقة الاجساد والارواح فالصواب أنك تشكر الرب القديم الدائم البقا الذي جعلك نجما لمن يهتدي محرقا لم تزل وأنت على كل حال في عنفوان الشباب تسير وبنات العرب كثير ولك عروس مثل القمر المنير وهي لميس بنت همام الغطفانية ذات العقل والتدبير وربما تكون هذه الاسباب بسعادتها وبختها والصواب أنك تسير من ههنا الى بني غطفان وتسلم الجوير يه من هذه الاموال ما شئت وتأخذ زوجتك وتعود بها في هذا الهودج وتطلب حلتك حتى يكون سرورك قد اتصل والهم والحزن عنك قد انفصل وما زال الرجل يعدل عمرا ويهون عليه الامر حتى قبل رأيه وسار يطلب ديار بني غطفان وما زال سائرا الى أن وصل اليها وقدم عليها وعلم به القوم فخرجوا اليه وأكرموا مثواه وما في العشيرة الا من هنأ أبا لميس بما وصل اليه من مهر ابنته وفرحوا بعمرو بن معديكرب الزبيدي وقالوا هذا يكون حامية لنا من النوائب وحصنا نأوي اليه اذا جالت علينا فرسان الاعادي (قال الراوي) ونزل عمرو على بعض الغدران وضربت له العبيد المضارب والخيام وأقام ذلك اليوم في دعوة صهره همام ومن الغد حمل اليه من الاموال ما أغناه ومن الرجال ما ذهلت به عيناه وطالبه بزواج ابنته فأجابه الى ذلك وأخذ في تدبير أمرها وقد ذكرنا أن عنترا أوصى أخته مروة أن تعلمه بخبر عمرو بن معديكرب اذا أتى بزوجته لميس لاجل أن يكمن له عند عودته ويأخذها منه لعروة بن الورد وكان عروة أيضا أوصى أخته سلمى بمثل ذلك فلما وصل عمرو الى بني غطفان وجرى له ما جرى فاجتمعت مروة بسلمى واتفقتا على انفاذ بعض العبيد بالخبر الى عروة بن الورد وعنتر بن شداد بهذا الخبر وكان عنتر من حين وصل الى الديار وقر به القرار قد واظب على الصيد والقنص وشرب الراح واستراح من معاناة الحرب والكفاح واختلاس الايام بالهناء يتناول أقداح المدام ومعاشرة الكرام وكان يقضي نهاره بذلك وليله بمعانقة عبلة ابنة مالك الا أنه لما وصل العبد من عند أخته يخبره بزواج عمرو ما كان عنتر حاضرا بل كان توجه لجلب المدام هو ومقرى الوحش وأبوه شداد فأخبر العبد عروة بن الورد بما أتى فيه فلما سمع ذلك الخبر كاد قلبه أن يتفطر لاجل ما يجده من محبة لميس ابنة همام وزاد به الوجد والغرام وخاف أنه ان أقام في انتظار عنتر يفوته الامر ويسير بمحبوبته عمرو فأخذ من رجاله خمسين فارسا وسار في الليل حتى قارب الديار وعدل برجاله الى واد يعلم أنه لا بد لعمرو عند عودته من العبور فيه وترك أصحابه هنالك وأوصاهم باليقظة والاحتراز وقد غير زيه وسار الى بني غطفان ليبصر ما يتجدد من حوادث الزمان وخاف أن يكون عمرو أخذ العروس وما ناله من السعي اليها الا الخسران فشارف الخيام وقت الضحى ووقف ينتظر من يسأله عما جرى فرأى الحي منقلبا بالافراح منزعجا بالصياح مبتهجا بلمعان الصفاح وقد راج أمرهم وحسن حالهم وسمع صوت الاماء وهن يلعبن بالدفوف والطار فعلم أن القوم انتهى شغلهم بلا انكار وان لميس تزف على عمرو فزاد به لهيب الجمر وسكر من غير خمر وتأمل على

ظهر جواده الاذعر وبقي حائراً في أمره يتفكر ويتمنى حضور الامير عنتر * فبينما هو على مثل ذلك واذا
ببعض العبيد خارج من أطراف الخيام وفي يده كراع مشوي فناداه عروة وقال له يا مولد العرب أرى قومك
في أفراح زائدة وطرب هل عندكم وليمة لسيد من السادات أرباب الحسب والنسب فقال العبد نعم يا وجه
العرب عندنا عرس ما صنع لاحد مثله من جاه أو ذهب ولا في بلاد اليمن وكل من ضرب وقد أشبعنا اليوم في
البيداء أطنيب من اللحم والخمر وترك أرضنا غارقة منه كالماء والليلة تزف عليه جارية أحسن من بدر السماء فقال
عروة وقد طلب بالاطالة تحقيق ما هو فيه من سوء الحال يا مولد العرب ومن هي العروس ومن أبوها ومن بعلها
فقال العبد أما بعلها فهو الفارس الكرار مشبع الاطيار صاحب الغارات المتواترة والاحاديث السائرة
صاحب الحسب والنسب بلا كذب الامير عمرو بن معديكرب وأما العروس فهي لميس بنت همام التي
لا يوجد مثلها في المنام والليلة ترى بعينها ما يسرها من الاسد الضرغام وتحمل الى القبة الحمراء فاترك عنك
السؤال فيما لا يعنيك والمراد دونك والزاد ان كنت جائع الفؤاد فاملأ منه وعاك ولا تنتظرنا هناك ثم ان
العبد طلب الصحرا وبقي عروة لا يسمع ولا يرى ولا كأنه في دار الدنيا وما كان له غير الرجوع الى أصحابه
وقد زاد في مصابه فسار على أثره وجد في السير فوصل الى أصحابه في الليل وأخبرهم بما أبصر وتلهف وتحسر
وقال يا بني الاعمام أنتم تعلمون أنني عشت هذا العمر وما رأيت من بنات العرب غير القليل وقط ما مال قلبي
الى بنت عذراء ولا تركت للعشق علي من سبيل الا في هذه الحرة ذات الخد الاسيل وأريد منكم النصيحة اذا
عبر عمرو والمعاونة على هذا الامر لاني سمعت به مرار وقيل عنه انه فارس كرار ولا بد لي ما أصادمه بصدري
وأبذل معه جهدي وصبري ولا أفارقه الا أن أقتل أو أقتله وأبلغ الامل فقال رجل له يا أبا الابيض ما فينا من يتخلى
عنك حتى تذهب نفسه ويدخل في رمسه فطب نفسا وقر عينا ولا يضيق صدرك فاننا لا نحتاج الى وصية
فكمنوا العمر وفي الوادي وأقاموا له في الانتظار بعد ما ترك بعضهم على رأس الوادي يكشف له الاخبار (قال
الراوي) وزفت لميس على عمرو بن معديكرب في تلك الليلة فخلت عن فؤاده الهموم والكروب ولا أبصر
مثلها في بنات العرب وكذلك هي أبصرت رجلاً قد كمل بسائر الاوصاف ذا حسب ونسب قال وأصبحا وقد تألفت
بينهما المحبة وطابت لهما الصحبة ثم ان عمرا ما أقام في بني غطفان بعد أخذ لميس غير يومين وفي اليوم
الثالث استأذن أبا الجارية في المسير وشكا اليه من شدة غيبته وأنها قد طالت فأذن له في العودة وأراد أن
يسير معه بعض المال الذي أتى به فأقسم عمرو ولا يرجع معه شئ الا هودج زفافه برسم زوجته وجواده وعدته
ثم تجهز وسار من يومه وتبع لميس من بنات عمها وأبيها جملة من البنات وسرن معها الى الليل وبتن عنده الى
وقت السحر فودعنها ورجعن الى بيوتهن وسار عمرو طالبا وادي بني زبيد والخمس فوارس الذين صحبوه من
قومه معه فسار بجد السير ومازال يطارد وحش الفلا حتى قارب نصف النهار ووصل الى الوادي الذي فيه عروة
ابن الورد ورجاله وكان في الوادي غدير فعول عمرو على النزول عليه بالخيل واذا بالخيل قد تبادرت والرجال
من الكمين قد ظهرت وعروة في مقدمتها ينادي وافرحاه بعد ترحاه خابت آمالك بالسر والجهر وقد أتاك من
هو أحق منك بزوجتك يا عمرو ثم طلبه وقد هانت عليه البوائق لانه للجارية محب وعاشق وتجارت الخيل
خلفه مثل البواشق وأبصر عمرو ذلك فتبسم عجبا وزاد فرحا وطربا ومازال ينتظر الفوارس حتى خرج من
الكمين خمسون فارسا فهانت عليه فقال لصحبه وذمة العرب لا يحمل معي منكم أحد ولا يعاونني على هؤلاء القوم
بل احفظوا أنتم الهودج وتفرجوا على هؤلاء الانذال كيف أطرحهم على الرمال لان لي مدة ما خضبت
سناني ولا سقيت من الدماء حسامي ثم زعق وحمل بذلك الزي والقد والهيكل وكان أول من لقيه عروة بن
الورد وجال معه فرآه خبيرا في الحرب بالطعن والضرب وأبصر باقي الرجال خبيرين بالطعن والنزال وقد
أدركوه فعطف عنه وتركه وحمل على تلك الفرسان وصار يبري الرماح بصمصامته ويكفكفها بمعرفته
وخبرته حتى اتسع عليه المجال فقصد الطعن في صدر الجواد وما مضى عليه ساعة من النهار حتى طرح
منهم خمسة عشر فارسا كرار ومددهم على وجه الارض والقفار وطعن فيهم بعقب الرمح طعنات قويات وتركهم

مطروحين كالاموات ولما وقعت هيبته في قلوب الباقين عادوا الى عروة بن الورد وكان قد قارب الهودج طمعا
منه في العروس فرده الخمس فوارس ومنعوه عنها ورجع عمرو اليه رجوع الاسد اذا اشتد به الغضب والحرد
فقاتله حتى أتعبه وطعنه فقلبه وشد كتافه ومازال يطعن الحرب بتواتر طعناته حتى أخذ منهم تمام الخمسة
وعشرين الى أن أمسى المساء فولت العشرة الاخر تطلب الديار وقد سترها الظلام عن أعين النظار ولما هدأت
نيران القتال وانقضت الاشغال وشد عمرو الرجال وجمع الاموال أمر أصحابه بالنزول وبات على الغدير
فرحا مسرورا الا أنه لما أكل الطعام ودجا الظلام قدم عروة بن الورد وكان قد عرف انه عبسي وسمعه وقت
حملاته ينادي باسم قومه فقال له ويلك من تكون من بني عبس وكيف قد سمعت بخبري ووقفت لي في الطريق
فحكى له عروة القصة على جليتها وذكر انه طلب لميس قبله وانها كانت سميت عليه من أيام الصبا ولكن
ما همّ بها حتى رآها وعاد طالبها فرأى الامر قد فات فيها ففعل هذه الفعال فقال عمرو ويلك اذا كنت قد عرضت
عليك وما أردتها فلما ملكها مثلي عدت طلبتها ولكن ما كان منك هذا الطمع الا لاجل أن تقع وتجرع كاسات
الموت جرع على أنني أعجب كيف لم يأت معك عنتر بن شداد وأعانك على هذه النوائب الشداد لاني قد سمعت
أنه كثير الفضول وجسور على كل أمر مهول ولي عليه ثأر قديما لانه قتل منا خالد بن محارب وسبى
زوجته الجيدا وأسر ابي في نوبة جبال الردم ووادي الرمل وهذا الامر قبل زواجه بعبلة وما أشغلني عنه الا
الغارات والسفرات والآن فقد وقعت في يدي ولا بد لي ما أسير الى قومي وأسلمك الى أهل خالد ولكن ما أخليهم
يقتلوك حتى يجيء عنتر يطلب خلاصك فان ظفرت به بلغت رتبته على المدى وما فيكم من يرجع الى الاهل أبدا
وان ظفر بي كنتم أنتم لي فدا فقال عروة هذا الحديث لا بد أن يكون واذا لقيته بان لك الفارس الكمي من
المغبون وأما قولك انه كثير الفضول فهذا قول جاهل لا يعلم ما يقول وما الرجل الا فارس بهلول لا تقاومه
الفحول لانه أشد الابطال باعا وأخبرهم بالحرب قراعا وعن قليل تراه في أثرك في هذه الديار وتصح عند
ملتقاه الاخبار على انه لو كان وقت مسيري حاضرا في العشيرة كان أتى معي وقضى الاشغال وأظهر الحق من
المحال لانه قط ما توجه في أمر الا ونال فيه غاية المنى والآمال ولا قاتل عساكر الا ونادى ملك الموت في أقطارها
بالفناء والزوال فقال عمرو يا عروة وهذه الفروسية التي تصفها فيه ما قدرت ان تكتسب منها شيئا مع صحبتك
له في هذه المدة فقال عروة لو لم أكتسب منه فروسية وثباتا عند الخطر والبؤس ما كنت كمنت لك لآخذ منك
العروس على انني ما أنا قطرة من سحابه ولا دمعة من شرابه لان الشجاعة سعادة وعطاء من صاحب المشيئة
والارادة فتعجب عمرو من صفات عنتر وصار له في قلبه أثر واشتاق الى لقاه كما تشتاق الارض العطشانة الى وابل
المطر وكانت زوجته قد بكت وخافت عند خروج الخيل عليه وخافت من أيدي المنايا أن تصل اليه فعاتبها
على ذلك وقال لها يا لميس لا تفزعي علي من المهالك فما أنا ممن يفزع عليه فقالت لميس أنا قد سمعت بفعالك
وأخبرت بقتالك وقد ازدادت فيك المحبة وزدت في قلبي منزلة ورتبة والصواب أنك تطلق هؤلاء العبسيين
ولا تترك مثل عنتر لك من المبغضين لانني رأيت أفعاله لما كنا مع بني عبس محصورين في الجبال شيئا تعجز عن
بعضه صناديد الرجال فقال عمرو وما هذا المقال وحق ذمة العرب لا لقيته الا قداك وأتركه مطروحا في البيداء
وادعه يساق مثل العبيد والاماء ولولا شوقي الى لقاه كنت أطلقت لاجلك رفقاه ثم أخذ الراحة الى وقت
السحر وشد الاسارى على الجمال وسار يطلب الاهل والعيال ومازال يقطع البر والقفار حتى تضاحى النهار
وتذكر عمرو بكاء زوجته وخوفها عليه من الاعداء وأعجبه فعاله وبلوغ المنى فشرع ينشد ويقول صلوا
على طه الرسول

أجرت لميس الدمع من أجفانها * وتبدلت من خوفها باما نها * فزعا علي بأن أصاب وظنها
أني كمن في الحي من فرسانها * قالت اتركي عني كلامك واعلمي * اني أنا الايام في حدثانها
والخيل تعلم والفوارس أنني * عند اللقا أسطو على فرسانها * واذا الغبار علا وثار وأقبلت

أقرانها تدعوا الى أقرانها * لاقيتها وقبضت من فرسانها * أرواحها وعفوت عن أبدانها
فى كل أرض لى حديث شائع * تتهاون الابطال يوم طعانها * واذا حضرت الاسد فى غاباتها
قطعتها فى الليل عن أوطانها * وبنيت لى فوق الثريا غابة * شمس الضحى والبدر من أركانها
فتحملا يا صاحبى رسالة * وعلى بنى عبس قفا ببيانها * قولا لعبد بنى عبس انى
بددت عز رجالها بهوانها * واسرت عمرو وهو ليث فارس * حامى العشيرة من صروف زمانها
فلعله يأتى الى يزورنى * وتجره الاقدار فى ارسانها * وترى لميس بعينها من بعلها
* طعنا يبدل خوفها بأمانها *

(قال الراوى) وجد عمرو فى السير تمام خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف على أرض يقال لها القتال وكانت أرضا موحشة الآكام منقطعة عن العمران بعيدة عن السكان كثيرة الاوغال والادحال فلما والآن توسطها وصار بين أجماتها حتى رأى فرسه قد وقف ونخر وشخر ونشر ناصيته وتأخر وضرب بحوافره الارض والحجر واجتمع حتى بقى مثل الحجر لا ينفع راكبه ولا يحمى صاحبه فقمعه عمرو بالسوط وزعق فيه فدخل بين الادحال والشجر وسلك مسالك الخوف والخطر ومد عمرو عينيه فنظر واذا بأسد قد ظهر طويل الشعر أغبر كبير الراس غائر المحجر واسع المنخر طويل الاظافر يطير من عينيه الشرر وتهتز منه الاقطار اذا همهم الا أنه لما نظر عمرا كشر عن أنياب مثل الخنجر ومخالب مهولة المنظر فهاله ما أبصر وعلم أنه لا ينال منه ما يريد ولا يظفر به من ضيق المكان وقلق الحصان فأعطى الاسد ظهره وعاد الى الصحرا وحدث أصحابه بهول ما رأى وترجل عن الجواد وسلمه اليهم وقال ظهر الارض أثبت لى من ظهر الفرس وهز صارمه وعاد يطلب الاسد وقلبه قد امتلأ بالغيظ والحرد وخاف من زوجته أن تنظر اليه بعين النقصان لاجل الاسد فعاد اليه وقد ظن أنه فر منه ولما علمت بحاله ارادت أن تمازحه فدنت اليه وقاربته وأشارت تقول قد كنت أحسب أن عمرا اذا رأى ليث العرين يقوده كحمار مهين حتى رأيت الليث ثم رأيته لما رآه فر منه (قال الراوى) فلما سمع عمرو كلامها زاد جنونه وانقلبت عيونه فقال يا لميس لمثلى يقال هذا المقال ويفزع من سباع الدحال قفى وابصرى العجب ثم هجم على الاسد وكان قد طلبه وضرب بذنبه جوانبه فقفز عمرو وقد أخذه الغضب وتقدم اليه وشمر عن ساعده وساوى الاسد فى وثبته وضربه بصارمه فحكم بين عينيه فمر يقطع الى أن خرج من بين فخذيه ومسح سيفه فى جلد الاسد وقد تعجبوا من فعاله وقوة جلاده وقد اندهل عروة من فعاله وشدة تجبره وقال ما رأيت مثل هذه الضربة الا لعنتر بن شداد (قال الراوى) وسار عمرو وقد سكن غيظه وهو يعاتب لميس على مقالها وظنها فيه ويقول لها يا ابنة همام مثلك يحتقرنى عند تأخرى عن الاسد وهو أهون الاشياء على فقالت له يا عمرو يا سيد الفرسان أنا كنت أمزح معك لاجل ما فعلت من الفعال التى تعجز عنها صناديد الرجال وانى امدحك بهذه الكلمات التى سمحت بها الخواطر لما ضربته هذه الضربة التى حيرت النواظر فلما سمع عمرو كلامها خف عنه غرامه وانجلت أحزانه وصار بعد ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أكبشة لو شهدت بطن غاب * وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا * اذا لرأيت ليثا رام ليثا
وايثك ذاك لا يخشى هزبرا * تظن لميس ان الليث مثلى * وأقوى همة وأشد صبرا
وانى خفته ورجعت عنه * مخافة أن يعد الى ظفرا * وقد خابت ظنون لميس فيه
وأمسى البر خاليا منه قفرا * تأخر عنه مهرى وذراه * فقلت له فلا وقيت مهرا
أنا قدمى بظهر الارض انى * رأيت الارض أثبت منك ظهرا * وقلت له وقد أبدى اتصالا
بحذورة ووجه مستشرا * يدل بمخلب وبحد ناب * وباللحظات تحسبهن جمرا
فوافيته بعضب الحد ابقى * اصرته قراع الحرب قطرا * وقلبى مثل قلبك ليس يخشى
ولاقى المنايا وهى تترا * وقصدك تأتى للاشبال قوتا * وقصدى اليوم أنى نلت فخرا
فكيف تريد منى أن أولى * وأبتر فى يدى للنفس قهرا * نصحتك نصح ذى شفق فحاذر

فعالى لا تكن يا ليث غمرا * فما ظن أنى قلت هزلا * وخال بأنى قد قلت هجرا
هززت له الحسام فقلت انى * صدعت به مع الظلماء فجرا * وكانت ضربتى من غير رعب
فقدت جلده بطنا وظهرا * فخر مضرجا بدم كأنى * هدمت به بناء مستمرا
وقلت له بعز لى أنى * قتلت مناسبى جلدا وصبرا * ولكن رمت شيئا لم يرمه
سواك فلم أطق يا ليث صبرا * تريد بأن تعلمنى فرارا * فقلت له لقد حاولت نكرا

(قال الراوى) ومازال على مثل ذلك يقطع القفار ويشتغل بالصيد ويمدح لبس بالاشعار حتى وصل أرض ذات المضارب فرأى بالقرب منها أوفى من ألف ناقة وألف جمل تسير سيرا مزعجا بلا مهل وفى عراضها أوفى من خمسين فارسا أحرارا وعبيد وكلهم مدرعون بالحديد مسربلون بالزرد النضيد وبين أيديهم فارس أسود كأنه شيطان مريد الا أنه خال من اللباس والزرد ومكشوف الرأس عليه ثوب خام مشرف القوام أدهم كأنه لون الظلام مسفر اللثام وعيناه مثل المشاعل وللفروسية عليه شواهد ودلائل والخيل التى خلفه أخف من الطيور وعليها فرسان مثل الصقور فلما نظر عمرو ذلك أراد بعض بنى عمه أن يركض ويكشف الاخبار وما هؤلاء الاقوام ومن جابهم الى هذه البريه ومن أى الناس هم واذا بالفارس المقدم ذكره قد ميل اليه وقاربه وناداه من أنت من فرسان العرب اذكر حالك والحسب والنسب لعل أن يكون لك به الى السلامة سبب فقال عمرو بن معديكرب الزبيدى وقد تبسم بالعجب ويلك يا عبد السوء ارجع الى ورائك واطلب بقائك قبل محاقك وبلائك لأنى ما خليت التعرض بكم الا رحمة لكم وان كان قد غرك الطمع فى معرفتى فأنا أخبرك من اسمى وحسبى أنا عمرو بن معديكرب الزبيدى المكنى بأبى ثور المعبد الغور يا سادة يا كرام (قال الراوى) فلما سمع الفارس المقدم ذكره كلام عمرو هز قناته ونبه جواده وقال أهلا وسهلا يا ابن معديكرب وحق ذمة العرب اليوم يضيق عليك البر وتتعلم الابطال منك الفر والكر لأن هذه الغنيمة التى معى من قومك سقتها بعد ما جرحت أخاك عبد الله وقتلت جماعة من الفرسان من بنى زبيد وفرقتهم فى البيد وعدت كما ترى أطلب ثم غنيمة من هذه الارض فاتفقت أنت لى حتى تكون لمطالبة واحدة والسفرة محمودة العاقبة (قال الراوى) وكان هذا الفارس يقال له سليك بن سلكه وكانت العرب تسميه غول البر وتعده من جبابرة الفرسان وتحترز على أنفسها منه فى كل مكان لأنه ما كان يبقى على أحد لا عدو ولا صديق ولا يقر فى أرض يوما ولا يعرف له وطن وكان يقاتل فارسا وراجل ويقطع خلفه الخيل الصواهل وكانت صورته منكرة (قال الراوى) وهو الفارس الذى كان عمرو بن معديكرب رضى الله عنه يصفه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فرسان الاسلام اذا رأت قتاله هالتهم أفعاله ويسألونه عن فرسان الجاهلية فيصف لهم ما رأى من شجاعتهم وجسارتهم ويقول ما شرفت على غدير قط ورأيت عليه سوادا وخفت الا من عبدين وحرين أما العبدان فعنتر بن شداد وسليك بن سلكه وأما الحران فعامر بن الطفيل وزيد الخيل (قال الراوى) ولما التقى سليك بن سلكه عمرو بن معديكرب فى ذلك اليوم ومعه لميس بنت همام وما كان اجتمع به قط الا فى تلك المرة الا أنه لما رأى صورته وسمع مقالته تغيرت حالته لأنه من حين نشأ ما نابته نائبة ولا لقى فارسا الا وأذله وقهره وكان قد رآه خاليا من السلاح مكشوف الرأس فقال له ويلك يا سليك لقد عرضت نفسك للهلاك وقد مشيت برجلك الى أرض مالك بها فكاك ارجع لى قومك والبس من الحديد ما يرد عنك طرق المهالك ويدفع عنك سنان الرمح المتدارك حتى لا يبقى لك عذر اذا أيست من الفرج ولا يقال عنى ان ابن معديكرب استعجل على فارس بالحرب والمراس قبل أن يحترز بالعدة واللباس فقال سليك ويلك يا عمرو أنا لا أخاف ولا أحتاج الى زرد ولا أخاف من السنان والحسام المهند وحق البيت الحرام لألاقينك بهذا الثوب الخام ولأتركن الفرسان تتحدث بفعالى عاما بعد عام ولابد ما أعانق الليلة صاحبة الهودج وأنام (قال الراوى) وما كان من فرسان العرب أكثر محبة للنسوان من هذا الفارس الغضبان ومحبته هى التى جسرته على النوائب وهونت عليه البلاء والمصائب لأن أصحاب النسب والسادات ما كانوا يرون على أزواجهم أن يزوجوه

بالبنات العربيات وكان من عزة نفسه ما يرضى أن يتزوج بالاماء فانتهى الامر به الى الهيمان فى الفلوات واقتناص المخدرات لانه ما ظفر ببنت الا وهتكها ولا عربية الا سباها وما جرى بينه وبين عمر وهذا الكلام انطبق بعضهما على بعض انطباق الغمام وأخذا فى الطعان والصدام والفرار والاقدام واختلف الطعن بينهما وبان حتى تزلزلت من تحتهما الارض من شدة الجولان وغشيهم القتام ساعة من النهار واختبر بعضهما بعضا الاختبار وما جرى لاحد من فرسان العرب ما جرى لهذين الفارسين من البراز والصدام لانهما كانا مثل الجبلين اذا اصطدما بالابدان أو شبه الاسدين اذا جالا فى الميدان (قال الراوى) ولما طال بينهما الامر صعب على سليك أخذ عمر و فسل من تحت فخذه حربة أحد من البلاء وأمضى من المضاء وأخرج رجله من الركاب وصار على وجه الارض ونادى يا عمر واحترز على نفسك من هذه الحربة لانى كنت على ظهر الجواد بحكمك والآن صرت بحكمى ثم أطلق قدميه من الشكال فكان تارة يأتيه عن يمينه وتارة يأتيه عن الشمال وعمر و يرى قتاله فهالته أعماله وكانت لميس تصيح فيه وتخيه وهو مشتغل بما هو فيه فلما طال بينهما الامر أيست لميس من عمر و وقالت لبنى عمها ويلكم لا تعينون ابن عمكم قبل ما ترون ما يغمكم فقالوا يا حرة العرب نخاف اذا حملنا لمعونته تنطابق علينا هذه الخمسون فارسا الذين مع هذا الشيطان ويكون هو الهلاك الاكبر فقالت لميس اذا كان الامر كما ذكرتم وقد خفتم فما بقى لى أنا ان أخلى بنى عمى فى الوثاق تحكم فيهم الاعداء ثم انها خرجت من الهودج وألقت نفسها الى الارض وسعت الى عروة وحلته من الشداد وأمرت عبيدها بحل الباقين وقالت لعروة اعلم يا ابن العم ان أحوالنا قد اشتهرت والاعداء علينا قد ظهرت والصواب أن تنجو بأنفسكم قبل أن يعم شرنا عليكم على ان عمرا ما كان لكم فى نيته ردية وما جلبكم معه الا لما وصفت عنتر قدامه وهو قد قال لى لما سألته فى خلاصكم يا لميس لا تضيق صدرك لاجل قومك فما يكونون عندى الا مكرمين الى أن يأتى عنتر ويطلب خلاصهم وأجبر روحى معه فان ظفرت به بلغت من الفروسية المكان الرفيع وأطلقه وأطلقهم معه وان ظفر بى فديت روحى برفقاه واتخذته لى صديقا باقى عمرى والآن قد نزلت المقادير بخلاف التدبير وبلينا بهذا وجه الغول الذى قد حيرت أفعاله العقول وما أظن انه بقى لهم اليه وصول ولابد أن يمسى أحدهم مقتول فاذهبوا الى ديارهم ما دام عنكم مشغول وان قدرتم توصلون خبرى الى أبى فافعلوا ليتسبب فى خلاصى ثم بكت وبكى عروة وقال ما بقينا نتخلى عنك بعد هذا المقال ولابد أن نبذل المجهود بين يديك فى القتال (قال الراوى) وقد ذكرنا ما كان فى قلب عروة لها من المحبة فخطر فى قلبه أن عمرا يقتل وتخلص له ويتزوجها ويعود الى أهله سالما وعملت معه نخوة العرب وكان قد بقى معه خمسة وعشرون فارسا لانه كان أتى فى خمسين فارسا فقتل منهم خمسة عشر وانهزم الذى انهزم وبقى هؤلاء الذين قد ذكرناهم الا انهم وثبوا على خيولهم وهموا بالجملة واذا بصيحة عظيمة ترعب القلوب فدوا أعينهم الى نحوها واذا بسليك بن سلكة قد أتعب عمرا وضربه بالحربة التى كانت فى يده فخرقت الدرقة وكانت ثلاثة أطباق وعبرت الى الزردية ونفذت الى كتفه فهزته ومن ظهر الجواد رمته ونهض عليه سليك وشده كتاف فقال عروة هذا وقت الاجتهاد فى حماية الحريم وأبذل النفس فى قتال الغريم ثم ضاح فى رجاله وحمل ومدوا الى الاعداء أطراف الاسل وحملت الفرسان الذين كانت مع سليك بن سلكة والحروب بين الاثنين مشتبكة وكان المساء قد اقترب وفرق بينهم فى ظلمة الغيهب ولولا تعب عمر واقتتل بنى عبس وأفنيناهم الا انه عاد وهو فرحان ثم قال لاصحابه اعلموا ان هذا الفارس الذى أسرته هو سيد بنى زبيد وما بقيت أطلقه الا بما أريد ولولا هذه الجارية قد استجارت بهؤلاء الصبيين وأطلقتهم وبكت بين أيديهم حتى قاتلوا عنها وما قصروا ولولا الظلام كنا قد محقناهم وكانت العروس الليلة باتت ضجيعتى ولكن تفرقوا الى الصباح حتى لا يأخذوها ويهربوا الا انى تعبان والا كنت هجمت عليهم فى الظلام لان الفارس الذى أسرته لا تلد مثله النساء ولولا انه يكون أوحد زمانه ما كان قعد أمامى الى المساء فتفرق رفقاء حول عروة ومن معه من الرجال ونزل بهم على تل عال وبات على حر المقالى من وجوه عديدة أولها أنه قد اجتمع بلميس فى مكان غير أمان وما حظى منها بغير النظر والهيمان والثانى أنه خائف من سليك ومن شجاعته فقال لاصحابه يا بنى عمى

ما كان أحوجنا عند الصباح نبصر عنتر لانه كان يكشف عنا هذه الغمة وأسفاه عليه قبل ذهاب الليل واحسرتاه تركب الرجال بعد صواهل الخيل يا بنى عمى هنوه بنيات صحاح وابعثوا أنفاسكم اليه مع هبوب الرياح ثم زاد به الغرام فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لو كانت الريح حقا تحمل الخبرا * حملت ريح الصبا أخبارنا سحرا * الى الهمام الذى ما سل صارمه
الا وسال دم من خده وجرى * ليثا ملاقى رجال الحرب مقتدرا * وطعنه فى حشاها يسبق الحذرا
كأنما أنفس الابطال فى يده * فأيهم شاء فى يوم اللقا أسرا * يا ليث عبس تداركنا فان لنا
ليلا نقضيه من خوف العدا سهرا * وقد رجونا عند الصبح تدركنا * ومن دماهم تروى الصارم الذكرا
فقد ظفرت بمن قد كنت همت بها * ولا قضيت لها وصلا ولا نظرا * ولا صفا الدهر حتى لا أفوز بها
ولاله عاديه فوقظ اذكدرا * يا برق فى العلم السعدى انا جل * أقصى تمنيه أن يسمع انا خبرا
فامدد اليه بنانا منك وارشده * الى الحما فهو يقفو خلفنا الاثرا

(قال الراوى) وما فرغ عروة من مقاله حتى توجعت له رجاله ونام كل واحد منهم قدام جواده يحرس نفسه وحسامه فى يده مشهور وباتت لميس بين أترابها تذكر ما جرى لها وعلى جمالها تتحسر لانها عند الصباح ما تدرى ماذا تلقى ولما قارب الصباح قام سليك بن سلكة ولبس عدة الحرب والكفاح ونادى فى رجاله وصاح وكان خف تعبه واستراح فقال لاصحابه دوروا بهؤلاء القوم حتى ننجز أمرهم فى هذا اليوم ونعدوا فى أشغالنا مخافة أن يتفق لنا فى البر من يعوقنا عن بلوغ آمالنا فهو فى الكلام واذا واحد من فرسانه أتى اليه وكان من الفرقة التى مسكت على بنى عبس الطريق الذى كان عمرو بن معديكرب أتى منها فقال يا سليك قد رأينا الساعة وقد بقى على ظهور الخيل أن عبدا وقف ينظر الينا وأذيال الدجا تستره لانا لما رأيناه مخافيه وطلبناه فعاد على أثره مثل النمر اذا انذعر أو ذكر النعام اذا نفر وغاب عنا فى البر الاقفر فطلبناه فما رأينا له أثر ولا ندرى أى طريق سلك ولا فى أى الجهات انحسر وانفرك فقال سليك وأى شئ فى هذا مما يرتاب لان الطرقات ما تخلو من ظعن سائر أو قفل عابر ولا شك أن بعض الاظعان قد رأى سوادا فأنكر أمرنا وأنفذ الينا من يكشف خبرنا وان كان الامر على ذلك فهو أمر هالك وخبر متدارك ثم أكثر واحول عروة الصياح وأشهروا فى وجوههم الصفاح ومدوا اليهم قطع الرماح وأدنوا بعضهم من بعض يطلبون استلاب الارواح واذا بثلاث فوارس قد أقبلت مثل سهام المنايا اذا أرسلت ومقدمهم رجل أخف من الظبا وأسرع من ريح الصبا وهو يصيح يا بنى العم قروا وابشروا بالنصر وبشر والأعداءكم بالقتل والاسر فهذا حاميتكم عنتر قد وصل اليكم تابعا آثاركم من خوفه عليكم (قال الراوى) وكانت هذه الفوارس قبل عنتر وهم أبوه شداد ومقرى الوحش والرجل شيبوب لانا قد ذكرنا ان عروة بن الورد لما سار من بنى عبس الى بنى غطفان فى طلب عمرو ابن معديكرب ما كان عنتر حاضرا فى العشيرة بل كان قد صار فى طلب شئ من الخمر ولما قضى حاجته وعاد الى الديار طلب لعروة فلم يجد له خبرا فسأل عنه فاعلمه أعمامه أنه قد أتى اليه من عند اخته سلمى عبد وتحدث معه بشئ ما اطلعنا عليه بل رأيناه قد أخذ من رجاله خمسين فارسا وسار الى بنى غطفان وسألناه عن مسيره فقال أنا سائر الى زيارة أختى وان أتى عنتر وسأل عنى أخبروه بهذا فلما سمع عنتر بهذا الخبر أعلم انه قد سار يلتقى عمرو بن معديكرب لان عنده من حديثه خبر فخاف على عروة ورجاله من عمرو وقال لمقرى الوحش أنا أعلم يا فارس النياق ان عروة يخسر مع هذا الجبار الذى قد تواترت بشجاعته الاخبار وان لم ندركه والا أهلكه ثم بات تلك الليلة عند عبلة حتى استراح وأخذ أباه شدادا ومقرى الوحش عند الصباح وجعل قصده أرض بنى غطفان لانه قال من هناك نأخذ الاخبار ونقتفى الآثار وما زالوا سائرين الى أن أشرف على ديار القوم وعرج أخوه شيبوب الى المراعى وسأل عن لميس فأخبره العبيد بخبر العرس والزفاف فاعلموه ان عمرا سار من عندهم من منذ أيام قلائل يطلب ديار بنى زبيد فلما سمع شيبوب ذلك عاد الى أخيه وأخبره بما سمع فقال اتضح البرهان وانكشف وبان وعلم ان عروة كمن لعمرو عند عودته وان صدق حذرى فانه يقتله أو يأسره فاسلك بنا يا شيبوب الآثار فى وسط

البر والقفار واطاب بها وادى ذيال وجبال طويلع منازل بنى زبيد ففعل شيبوب ما أمره وسار على الاثر فى ذلك البر الاقفر ومازال كذلك حتى وصل الى بنى زبيد الذى كان عروة قد كمن فيه لعمرو ومن هناك عرف أن عروة فى الاسر والاعتقال لانه أبصر فى تلك الارض آثار المعمعة والقتال ورأى جماعة من بنى عبس قتلوا وهم ممددون على الرمال والذئاب من حولهم تعوى والطيور تحوم وتهوى فقال واحزناه هذا عروة بن الورد ورجاله قاده عشقه الى حتفه ووباله وأنا أقسم بحق من احتجب عن الابصار وأوسع القفار لآخذن له بالثار ولاتبعنه ولو غاص فى البحار أو تعلق بالفلك الدوار فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس لا تهتم لهذا الامر ولا يضيق صدرك لبعد عمرو والرجل ما هو ببعيد عنا وما هو الا قريب منا لان هؤلاء القتلى تدل على ذلك ثم جدوا فى المسير وقطعوا المفاوز والمراحل وشيبوب بين أيديهم يدلهم على الغدران والمناهل ويقتفى أقرب الطرقات والمنازل حتى أدركوا القوم كما ذكرنا وكان اشرافهم عليه وقت الغلس أول ما طلع النهار وبان الصباح وتنفس وأبصر شيبوب سوادهم وهم فى المندمة ووقف ومازال حتى عرف أحوالهم وسمع أصواتهم ومقالهم وعاد الى أخيه عنتر وأعلمه بالخبر وبما سمع وأبصر وجرى من القصة ما جرى وعرف عروة عنتر ومن معه عند حقيقة النظر فذهب عنه الهم واندفع هو ورجاله وصاح ثم مالوا الى أصحابهم بالافراح ونادى بعضهم الى بعض ما أبركه من صباح وتلقوا جماعتهم وحدث عروة لعنتر بما جرى عليه من عمرو بن معديكرب وما جرى لعمرو ومع سليك بن سلكة وأخبره بالقصة على جليتها فقال عنتر ابشر بهلاك أعدائك وأنا قد خطرت ببالى هذه الاسباب ولقد حمدت رب السماء الذى نجاك حتى لقيتك سالما من الاعداء فتأهبوا للقتال وتقدموا لطلب الطعن والنزال وكان لما رآهم سليك وجماعته وقفوا ينظرون اليهم والغبار قد انقشع فصاح سليك ويلكم يا بنى الاعمام ما وصل الى أعدائكم غير هذه الثلاثة فوارس وهى زيادة فى غنيمتكم فدونكم وهؤلاء الانذال وأبصروا اليوم القتال فعند ذلك حملوا مثل اللهب من كل ناحية وجانب وكانوا فرسانا وقاح قد تعودوا بنهب الارواح وهانت بلوغ الآمال فقاتلوا أشد قتال وثبتوا ثبات الرجال الا انهم ما طال بينهم المطال الا وقد طوى عنتر اكثرهم على الرمال وأبصر سليك طعنات عنتر لا تبقى ولا تذر ونظر اليه وهو كيف ما حمل قتل وأين ما زعق أرعب وأين ما ضرب أعطب فوقعت فى قلوبهم هيبته وعرفوا مقدار شجاعته وأبصر سليك أيضا قتاله فعلم أنه يفنى أبطاله فطلبه وانحط عليه انحطاط العقاب وتلقاه عنتر البطل الوثاب ووقع بينهم الضرب خطأ وصواب فتطاعنا بالطوارق والقنا حتى تقارب الموت منهم ودنا وأيقنت الارواح بالفنا وقلدا بالامانى لعلهما أن يبلغا المنى وتقصفت عوالى الرماح وتثلمت البيض الصفاح واشتعلت نيران الكفاح وضاقت الصدور وبهتت المقل الصحاح وتقضى أكثر النهار وعلا الغبار وسطا مقرى الوحش على باقى العرب ونثر أكثرهم بالسيف اليمانى والسنان وكذلك فعل شداد بالابطال الشداد وأما عروة بن الورد فانه شفى فؤاده وبلغ من الاعداء مراده وعلم سليك أنه خاسر من كل الجهات وأبصر من عنتر ما لا يعهده قبل هذه الاوقات واسودت فى عينيه أقطار الفلوات وخاف من نزول الآفات ومن شدة ما جرى عليه أخرج من تحت فخذه المزاريق ووثب على وجه الارض قائما على قدميه وأراد أن يفعل بعنتر كما فعل بعمرو وعادت عيناه من شدة الغيظ مثل لظى الجمر فسعى وجال وطلب خصمه واليه مال ورآه عنتر وقد عمل هذه الاعمال فخاف عنتر على جواده الابجر من شره وغدره فترجل الى الارض والمهاد وجالد خصمه أشد جلاد هذا وشيبوب دائر من حواليه ويرد سليك بن سلكة ويرعاه من غدر أعداه هذا ولم يزالوا فى عراك وشباك واقبال وادبار الى ان عول النهار على الارتحال ولم ينفصلوا عن بعضهم البعض وقد ردوا بأرجلهم رمال الارض وقد ضاق على سليك بن سلكة الحال وأيقن بخيبة الآمال فاستقبل عنتر فى الحال وكان فى يده حربة ماضية الآجال وتقصر الاعمار الطوال فزجها اليه وقد ظن انها تقضى عليه وقال له خذها يا ابن الانذال من يد سليك فارس الابطال فاستيقظ عنتر عند ذلك وصبر عليه الى ان وصلت اليه فخطفها من الهواء بشدة حيلة والقوى وجد وراءه فى وسيع الفلا فلما نظر سليك الى فعل عنتر اندهل وتحير فما كان منه الا انه ولى من امامه هاربا والى

النجاة طالبا وقد خاف على نفسه من المعاطب فعند ذلك زعق عنتر على الرجال ونبه فى الحال الابطال وقال هيا اتبعوا هذا ولد الانذال الذى خاف من حلول الآجال فعندها عقت الفرسان وجدت وراءه الشجعان وطلبته الخيل من اليمين والشمال وقد هرب أيضا عرب سليك فى وسيع الرمال وقد تبعهم فرسان عنتر الفارس الرئبال وقد أرخى الليل عليهم سربال هذا وسليك يهمز همزات الغزال لما نظر تتابع الرجال وهو يجرى مثل السهم اذا مرق أو الماء اذا اندفق وقد طلب النجاة من موت الفجاة فهو كذلك واذا بشداد أبى عنتر اعترضه وصار له معارضا لانه كان يتبع المنهزمين فى وسيع السباسب الى أن غابوا عنه وقد أظلمت الغياهب فغاب عنهم وقد التقى سليكا كما قدمنا فحمل عليه وأراد أن يوثر أذيته اليه وقد استقبله بطعنة من وراه وأراد أن يعجل بها فناه فنظره سليك وهو اليه قاصد فتجنبه وزج اليه حربة كانت فى يده وجرها عليه فخرجت من يده كأنها نار محرقة أو صاعقة مبرقة فوقعت فى جسده جرحته وعلى وجه الارض طرحته وفر هاربا والى النجاة طالبا وتم على حاله * هذا والخيل جدوا من وراه وشيبوب يجرى فى وسيع الفلاه الى أن غاب عنهم فى الاقطار وقد ابتلعته فلوات القفار حتى دجا الليل وأظلم الظلام وضاع منهم فى البرارى والآكام وانقطعت وراءه الخيول الجياد وعادت الفرسان خائبة من بلوغ المراد وما بقى على أثره الا شيبوب ولكن ما جسر ان يقف خلفه فى البر فى الليل فعاد عنه فجمعوا الخيول والاسلاب والنوق التى كانت مع سليك وكان قد ساقها من بنى زبيد وما فيهم الا من رجع يتعجب من فعال هذا الشيطان المريد وكان شداد قد وقع عن جواده من شدة الضربة التى ضرب بها ونزل عنتر اليه وشد جراحه وعض كفيه كيف نجا سليك سالما من بين يديه فقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ما يحق لاحد أن يفتخر ما دامت النساء تحمل وتضع لانى كنت أبصرت من عمرو بن معديكرب ما أذهلنى وتصور فى قلبى ان ما فى شجعان العرب من يقوم مقامه وان الجن تعجز عن فعاله فقال عنتر صدقت ولو لحقكم أفناكم على انى ما علمت ما يريد أن يفعل لما ترجل والا كنت سقيته شراب الاجل ولكن الرجل اذا كان له فى الدنيا عمر وحياه فتسبب له أسباب النجاة والآن هذا الامر قد فات وقد صفت لك الاوقات فاقتل عمرا وخذ محبوبتك حتى تأخذ الراحة ونعود عند الصباح الى بنى غطفان ونقول لابيها نحن أحق بابنة عمنا ولو علمنا من الاول انك قد زوجتها لعمرو بن معديكرب ما كنا تركناه يتم هذا الامر وبعد ذلك تصل أنت الى رضاك وتبلغ مناك فقال عروة يا أبا الفوارس ان هذا الرأى أكبر مرادى ولكن قصتى مشكلة وأنا خائف من سوء العاقبة فقال عنتر وكيف ذلك فقال لان الجارية قد تعلق قلبها بحب زوجها عمرو بن معديكرب وقد صار له عندها محبة عظيمة ومنزلة عالية لانى رأيت من وقت ما جرح وأسر ما نشفت لها دمعة ولا بردت لها لوعة والله قد كمل له الجمال والملاحة والفراسة ونحن والله اذا قتلناه وعدنا الى أبيها وطلبناها منه واستأذنها أبوها فى ذلك تقول أنا ما أريد بعد عمرو بعلا ونكون قد أهلكنا مثل هذا البطل الحلاحل وما حظينا بطائل والصواب أننا نطلقه ونمن عليه ونتخذه لنا صديقا وأصرف نفسى عن هذا الامر ولا أحمل ما لا أطيق لان الانسان اذا طلب من لا يميل اليه تعب واذا أحب من لا يحبه ذل فلما سمع عنتر كلام عروة تعجب من انصافه وقال يا أبا الابيض لو كان قلبى مثل قلبك ما كنت قاسيت فى هوى عبلة تلك المقاساة ولا لاقيت ذلك الملتقى فقال عروة بن الورد قد كانت عبلة تريدك مثل ما تريدها وكانت مخلوقة لك ومن رزقك والا ما كنت وصلت اليها ولا قدرت عليها فقال صدقت وكل شئ لا يقدر لا يكون ثم انفذ أخاه شيبوبا فأتاه بعمرو وحل شده وفك قيده ولما حضر خدم وحيا تحية العرب فترحب به عنتر وأمره أن يجلس وقال له اعلم يا عمرو ان هذه الجارية التى تزوجت بها ابنة عمنا وما عارضك صاحبى عروة الا غيرة عليها لانه ظن انك لست كفؤا لها فأراد أن يردها الى أهلها ويتزوجها أو يزوجها لمن يصلح لها وقد جرى له معك ما جرى وأبصر حسن دفاعك وشدة قراعك وظفرت انت به كما تظفر الفرسان والآن قد خلص من أسره وملك أمره وعفا عنك ويطلبك له أخا وقد رضيك لابنة عمه بعلا وتكون لها أهلا بعد ما أشار عليه أصحابه بقتلك وأخذها منك فقال لا أفعلن ذلك أبدا ولا عدلت عن طريق الانصاف والهدى وهذا الرجل أحق بها منى لانه أوفى حسنا وجمالا وأثبت فى القتال وقد أحضرناك لنختبرك ان كان فيك موضع

للصنيعة فعندها قال عمرو وقد نكس رأسه من شدة الحياء والله يا وجه العرب ما أقول الا قد وضعتم الصنيعة في موضعها ووضعتموها عند من لا يضيعها وان كان لي عمر فسوف أجازيكم بحسن المجازاة وما أعرف لي ذنبا أستوجب عليه القتل غير انني ما تزوجت بهذه الجارية وسمعت ان لكم فيها طالبا ولو علمت بذلك كنت تزوجت بغيرها من البنات الكواعب وأما السيد عروة فهو كمن لي في الطريق وظهر علي يطلب قتالي من غير اعذار ولا انذار ولما نصرت أنا عليه وظفرت به وعرفته أردت أن أطلقه فوصف لي شمائلك وشوقني الى لقائك فخشيته لاجل ذلك لان الصدق أجل الاشياء والآن ظهر ما خفي لانك قاتلت الذي أسرني وفعل بي هذه الفعال ورأيته بين يديك مثل الغزال أمام الاسد الرئبال فعلمت أن الخاطر الذي خطر لي أنا في لقائك محال وانك أوحد الزمان في الشجاعة والسعادة والافعال وقد أسأت أنا عندك وزوجتي أمتك فافعل فينا ما تشاء ودبر ما تختار وان كان قد جرى مني خطأ فها أنا واقف على قدم الاعتذار (قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا الكلام الجم بالجام بحسن أدبه فأجلسه الى جانبه وأكل معه الطعام وصارت بينهم حرمة وذمام ولما كان عند الصباح أعطاه جميع ما كانوا ملكوه من الخيل والاسلاب والرجال وأمر الخمسة فوارس الذين كانوا معه من بني زبيد يسوقون النوق والجمال التي كان قد غنمها سليك ويردها على أصحابها فشكره عمرو وعلى ذلك وودع عمرو عنترا وعول على العودة وقال يا أبا الفوارس ما أخليك تعود حتى تأتي الى دياري وتقيم أنت وأصحابك عندي أياما حتى نحظى بخدمتكم ومعاشرتكم لنا والقيام في أرضنا وما ندري بعد هذا الوداع والفراق متى يكون الاجتماع والتلاق فقال عنتر يا عمرو ان هذا الامر ما الى اليه سبيل لانني البارحة قد رأيت مناما أهول قلبي وقد أصبح منه مشغول ثم عاد على الطريق التي كان قد أتى منها ولما تمادى به السير وخلت خواطرهم قال مقري الوحش لعنتر يا أبا الفوارس اني سمعتك تقول عند وداعك لعمرو انك قد رأيت البارحة مناما مهول وخاطرك قد أصبح منه مشغول فبحق ذمة العرب بين لنا ذلك أحقا قلت أم حجة نقلتها حتى لا تسير مع عمرو الى ارضه فقال عنتر لا والله ما قلت الا حقا ومتى سمعت اني اقول محالا فقال مقري الوحش فما الذي رأيت في المنام بين لنا احواله وحملنا بعض اثقاله وكذلك قال عروة بن الورد فعندها قال عنتر اعلموا يا بني عمي انني بت البارحة وانا مسرور القلب بذل فرسان العرب بين ايدينا وبطاعتهم لنا فحمدت الرب القديم على كثرة حلفائنا وأصدقائنا الان وقد صار لنا مثل عامر بن الطفيل وزيد الخيل وملاعب الاسنة ودريد بن الصمة وعمرو بن معديكرب الزبيدي وما في هؤلاء الا من يحكم على عشيرة وقبيلة وجماعة غير قليل فلو اردنا ان نلتقي بهم كسرى ملك العجم أو قيصر ملك الروم للقيناه وربحنا عليه وما تحيرنا لما عرض هذا على قلبي وانا متفكر فرايت في نومي كأن عامر بن الطفيل في حرب شديد وكان حوله جمع كثير من الابطال والشجعان وهو معهم في ضرب وطعان وقد انقطع بطان جواده والعنان وهو يقاتل وينادي باسمي يا عنتر ادركني حتى أودعك واشبع منك بالنظر قبل ان اشرب كأس الحمام وهذا يدل على ان الرجل مريض مشرف على الموت او يريد ان يلتقي جيشا كبيرا وقد نادى باسمي ليودعني قبل الممات لان المنام يتقدم او يتأخر وهكذا سمعت من سادات مكة وما بقي لي بد من زيارته وكشف حاله وقصته لانه قد ناداني من دون اهله وعشيرته على ان زيارة الاخوان من مكارم الاخلاق والعاقل الذي يبادر صروف الدنيا قبل ان ينادي منادي الفراق (قال الراوي) فلما سمع بنو عمه مقاله تعجبوا من علو همته وعظم نخوته ومروءته وجوده وحفظه للوداد فقالوا له يا ابن العم ان كان الامر على مثل ذلك خذنا معك فانك ما تستغني عنا ولا تحرمنا امر افقتك فقال عنتر ما هذا صواب لان لنا عوائق واسباب وامورهم لا توافقنا على ما نريد لامور احدها اني بهذا الجرح الذي قد اشرف منه على الهلاك والبوار ولا يمكنني أني ابعد به في الاسفار وركوب الاخطار والوجه الثاني اني اخاف ان يكون هذا المنام له صحة ونزور هذا الرجل في هذا الجمع ونكلفه ما لا يطيق ونكون قد فعلنا افعال عدو في زي صديق والصواب انكم تقصدون الديار وتقيمون عند الحريم والعيال وانا ومقري الوحش وعروة نمضي في هذا الوقت ونعود اليكم بعد ايام قلائل ثم سار معهم ذلك اليوم لاجل بعد الطريق تلك الليلة وعند الصباح ودعهم وسار يطلب ديار بني عامر بعد ما اوصى اخاه شيبوب

بمداراة ابيه شداد وخدمته وسار هو ومقري الوحش وعروة يقطعون القفار ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون به أحاديث الاهل والاوطان والاحباب والخلان حتى أشرفا على ديار بني عامر وكان اشرافهم عليهم ضحوة النهار ولما قاربوا الديار أبصر واحول الخيام التي للقوم فوجدوا غبارا ثائر وفوقه الطير حائر ودائر وفي أطرافه بريق صوارم تلمع وتحته صياح قد علا وارتفع وأمور تدل على قتال وحروب وناهب ومنهوب وغالب ومغلوب فقال المنام الذي رأيته قد صح وبان واتضح البرهان وان صدقني حذري فان بني عامر غياب في بعض الغزوات والحي خالي من السادات وأقول ان أخي عامر قد تخلف لحماية الحريم في نفر قليل وقد طلبه هذا الجحفل الثقيل وهو اما أسير واما قتيل أو مشرف على الهلاك والصديق على مثل هذا يراد وههنا تبين الرجال الاجواد ويعرفون أهل الوداد فقال مقري الوحش يا أبا الفوارس اذا كان الامر على ما ذكرت انزل عن الخيل حتى نريحها قليل قبل أن نرميها في هذا الجحفل الثقيل (قال الراوي) وكانت خيولهما موقرة من الصيد فنزلا ورميا ما كان عليها وأرخيا لها اللجام والحزم حتى أخذوا الراحة ورجعا الى ظهورها واستلما الرماح وطلبا الغبار المظلم والصياح ولما خاضا كرب المجال وعرفا حقيقة الحال ونظر عنتر الى عامر بن الطفيل وهو واقف في صدور الخيل وخلفه دون العشرين فارسا أكثرهم جرحى قد أشرفوا على العطب وقد عولوا على الهرب وهو يصيح فيهم يا بني العم بحرمة البيت الحرام قفوا علي قليلا واحموا ظهري حتى أفرجكم على طعنات تعلمتها من أخي عنتر وحملاته في العساكر وهو ينادي يا لعبس يا لعدنان ويحاكي عنتر عند حملاته ويذكر اسم بني عبس ويترك بني عامر ولما نظر عنتر هذه الاحوال وسمع ضجة الرجال فزادت ناره اشتعال وقال لمقري الوحش هكذا والله أبصرت في المنام فدونك وهؤلاء اللئام ثم زعق وغاص في ذلك المقام وانقام والقسطل وصاح وقال ابشر بالنصر على أعدائك فانك ناديت ان ناداك وأجابك ولباك واليوم أبلغك مناك وحمل وبحملته زادت نيران المقامع لهبا وولى الجبان هربا وتفرق الجمع سربا وهطل الدم منسكبا وعرفه عامر ابن الطفيل فمال فرحا وطربا وزاد سرورا وعجبا وصاح أهلا وسهلا يا حامية عبس ومرحبا ثم غير جواده وجواد قتاله وجلاده وصاح على بني عامر ويلكم يا بني عمي عودوا الى حماية الاولاد والمحارم وابشروا بالغنيمة فقد أتاكم الفيل الاسود والبطل الامجد والنار التي لا تخمد (قال الراوي) يا سادة على ان الحساب الذي حسبه عنتر في بني عامر صحيح لان فرسانهم كانت غائبة وقد سار بهم الاحوص بن جعفر الى جبل في اليمن يقال له جبل مسافر يطلب سكانه بثار كان له عليهم وترك عامر بن الطفيل يحمي الديار في عشرين فارسا الا انه ما بقي بعد رحيلهم الا اياما قلائل وصحبه هذا الجيش الثقيل مع رجل يقال له نور بن عقيل وكان شيطانا من شياطين العرب قد ربي على أكل الحرام ونهب الاموال وكسب الخيام ولما بلغه ان ديار بني عامر قد خلت من الحماة والفرسان جمع هذا الجيش الشديد أحرارا وعبيد كلهم أبطال صناديد وقد عرفوا بالقوة والشجاعة وغزوا معه مرارا كثيرة فسار بهم الى هذه الارض لاجل كسب المال وسبي النساء والعيال وهم ألفان وخمسمائة فارس ما فيهم الا كل مدرع ولابس فصبح بني عامر قبل ارتفاع ستور الظلام وكبسهم في الخيام ولولا عامر بن الطفيل كان قد قلع منهم الآثار وخلى ديارهم قفار وانما هو الذي حمى في ذلك اليوم الحريم وفعل أفعال الرجال الكرام وبذل نفسه لاطراف القنا حتى لا يقال عنه انه عند أهله وعشيرته وتمكنت منهم الاعداء الا ان عامر بن الطفيل كان من جبابرة العرب وفرسان الجاهلية فقاتل ذلك اليوم القتال المنكر حتى وصل اليه مقري الوحش وعنتر وأخرجوا الاعداء الى الصحراء وأبصر واطعانا لا تجد له الابطال صبرا وضربا ينثر الاعمار نثرا فخاف كل واحد منهم على نفسه من الهلاك والوبال ولو زال طمعهم من كسب الغنائم والاموال ولولا فزعوا من الذل والعار كانوا تفرقوا وطلبوا الفرار ولكن ابصروها عيبة ينهزمون من ثلاثة فوارس وهم في ذلك الخلق الكثير فقاتلوا وصبروا على الشدائد ويحن بعضهم على بعض ز قبلوا بصباحهم على جنبات الارض وفعل هذه الفعال من لا يعرف عنترا ولا أبصره في قتال وأما الذين عرفوه فعلموا انه يكسر الجيش ولو كانوا أضعافهم فتفرقوا بالوصلات

أيديهم اليه من المال وولوا يطلبون النجاة ودام القتال كذلك حتى ولى النهار بضياه وأقبل الليل بدجاه وأبصر فسيح البر قد امتلا من رفقاه وأبصر طعنات عنتر كأنها سوابق القضاء اذا نزل من السماء فخاف أن يعتريه فيجل فناه فعاد تحت الظلام خائفا وقد أبصر جيشه شاردين فى الاقطار وخلت منهم الديار والقفار وعاد عامر الى خدمة عنتر وحمده وشكره وسأله كيف كان سبب وصوله فى ذلك الوقت فأخبره بالمنام الذى رآه وعرفه أنه أتاه زائرا وخاف عليه من غدرات الزمان الغادر فقبل عامر صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وعادوا يطلبون الخيام واذا بجماعة من بنى عامر قد التقوهم فى أذيال المضارب وهم يبكون فقال لهم ما حالكم يا بنى عمى فهل قتل لكم من يعز عليكم ووصلت الاعداء بالمضرة اليكم فقالوا أى والله يا أمير قد سبى من الحى سبع حرائر فى جملتهن أمك كبشة وأختك مارية وقد أتينا نعلمك قبل أن يبعدوا فى البيدا ولا تجتمع بهم أبدا فلما سمع عامر ذلك الكلام انحلت مفاصله ورجف فؤاده ووقف حائرا على ظهر جواده وما بقى يدرى كيف يعمل فقال عنتر وحق من احتجب عن النواظر وثبت عند كل أحد انه قادر لابد ان نتبع أعداك الى آخر بلاد اليمن ونخلصهم من بين أيديهم ولو غاصوا فى البحر الزاخر ثم تناولوا شيأ من الزاد وأخذوا معهم ثلاث جنائب من الخيول الجياد وساروا يقتفون آثار الاعداء ويقطعون فى الظلام أقطار البيداء وعنتر يقول ما كان أحوجنا فى هذا الوقت الى أخى شيبوب لانه أخبرنا بالمسير على الآثار وأعرف بسلوك البرارى والقفار فقال عامر بن الطفيل ما أقول الان النساء ما أخذوا الا فى أول النهار قبل وصولك يا أبا الفوارس وان كان هذا الحساب صحيحا فهم الساعة فى أرض بعيدة وأنا خائف أننا نتعب وما ننال مقصودنا لان هؤلاء الاعداء كانت مجموعة من قبائل شتى وما ندرى أى فرقة اتى معها الحريم ولا لأى جهة سارت فقال عنتر ان كانت آجالهم قد اقتربت لحقناهم ولو أنهم على ظهر الغمام لان الخيل ما تنجو بقصير الاعمار ولا تهتدى فى الليل ولا فى النهار ثم جدوا فى المسير حتى لاح ضوء النهار وتأملوا الآثار فرأوها ظاهرة الا انهم على غير طريق فاستراحوا على الغدران ساعة من النهار ثم ركبوا ظهور الخيل وساروا حتى تقارب المساء وقد أنكروا الارض التى وقفوا فيها ونظروا فى نواحيها فقال مقرى الوحش ما أخوفنى اننا نهلك فى هذا البر ولا ننال طائلا كان والصواب مقامنا فى الديار وأنفذ العبيد الى القبائل تكشف لنا الاخبار حتى اذا علمنا من سبى النسوان طلبناه عن يقين وبرهان فقال عنتر قد فات الامر وما بقينا نرجع الا ان نريد ولو صدمتنا جبال الحديد (قال الراوى) واذا قد لاح لهم بين أيديهم أشباح متفرقة فى أقطار البطاح وسمعوا بكاء ونواح فقال عامر ها قد أدركنا الاعدا وقرب الله عين المدا وهذا الصياح الذى نسمعه صياح النساء فقال عنتر أى وحق من رفع السماء ثم حركوا يطلبون الصياح * قال وكان الذى سبى النساء فارس جبار يقال له مشهر بن الاعرج وهو من قوم يقال لهم بنو معن وكان يعرف عنترا وقد شاهد قتاله مرارا عديدة مع الرجال فلما رآه فى ذلك اليوم قد أقبل علم انه يكسر القوم والجحفل فقال لقومه لما رآه يا بنى عمى هذا عنتر بن شداد العبسى واليوم يفنى هذه العرب المجموعة ويكشف عن بنى عامر الفجعة لانه حليفهم ومؤاخى عامر بن الطفيل والصواب أن لا نتعرض له بأى شئ كان وننجو بأنفسنا ما دام القتال عمالا والعرب مشتغلة عنا وان لم نفعل ذلك خسرنا وتعبنا ومن ظفر به هذا العبد أهلكه وأنا قد رأيته مرارا عديدة فى الحروب ورأيت منه شيطانا مريدا لا يرتد ولا يقع على فريسته أحد (قال الراوى) وكان مشهر هذا معه خمسون فارسا من قومه كلهم يرجعون الى رأيه ولا يخالفون مشورته فقالوا الامر اليك ونحن بين يديك والصواب اننا ننجو بأنفسنا ثم مالوا يطلبون الخيام والاوطان وقد تركوا الناس مشغولين بالضراب والطعان فأول من وقع فى أيديهم مارية أخت عامر وأمه كبشة لانهن قد خرجن الى أذيال المضارب ينظرون اليه ويدعون له من خوفهم عليه فسبوا الاثنين ودخلوا الى البيوت وأخذوا خمسة جوار أبكارا كأنهن الاقمار وعاد مسرورا وهو يقول اطلبوا بنا الديار ودعوا هؤلاء يصطلون كيف ما أرادوا ثم ركضوا فى عرض البر حتى أصبح الصباح ونظروا حولهم فرأوا أنفسهم قد ضلوا عن الطريق وقد أصبحوا فى بر أقفر أغبر لا يعرف فيه تل ولا علم فقال مشهر عدمنا والله توفيقنا وضل عنا طريقنا والرأى اننا ننزل فى هذا المكان ويقعد بعضنا عند النسوان ويتفرق الباقون يمينا وشمالا وخلفا

وأماما لعلنا نرى طريقا واضحا يرشدنا ثم نزلوا هنالك وقضوا أكثر نهارهم بالدوران وسارت الفرسان تضرب فى البر الفرسخ والفرسخين وتعود بغير فائدة (قال الراوى) وقد أشرف عليهم عنتر ومقرى الوحش وعامر وهم على تلك الحالة ولما بانت لهم الاشباح فى أقطار البطاح وسمعوا من النساء العويل والصياح وقع بهم السرور والافراح وركبوا الجنائب وحملوا عليهم بقلوب قريحة وما كانت الا ساعة حتى شكوا المقيمين بأسنة الرماح وخلصوا الحريم من ذلك الامر والبلاء وركضوا خلف الباقين فأهلكوا منهم الاكثر وعادوا وقد أرخى الظلام أستاره واعتكر ونزلوا فى ذلك المكان وما جسروا على العودة خوفا من الضيعان لانهم كانوا قد علموا أنهم قد أصبحوا ضالين عن الطريق وكان الله قد ألقاهم على أثر قوم قد فنيت أعمارهم وقصرت آجالهم على أيديهم لان الله سبحانه وتعالى له فى عبيده أحكام تحير فيها ذوو الافهام ولا تهتدى اليها الاوهام ومن ذلك الوقت صدق عامر قول عنتر ان الخيل ما تنجو بقصير الاعمار ولا تهتدى فى الليل ولا فى النهار (قال الراوى) ولما مضى الليل وكان وقت السحر رحل هؤلاء عائدين على الطريق التى أتوا فيها فازدادوا الا خيبة وضلالا وطلع عليهم النهار وكثرت عليهم الآثار واتسعت بين أيديهم القفار واختلفت عليهم الاقطار ووقعوا فى بر وعر كثير التلال والوديان ما فيه مجيب لمن صاح وزعق ولا ماء يبل به الانسان الرمق فتحيروا وأخذهم القلق واستشوروا فيما يعملون فقال عنتر ما فى الامر الا ان نسير الى جهة واحدة ونطلب الخلاص من هذه المفاوز ما دام فى الخيل رمق فان كان لنا نجاة أدركناها وان كانت المنية قد حضرت نحن واياها فقال مقرى الوحش ان كان الموت قد اقترب ودنا ما يكون الا من عدم الماء وأنا ما أسفى على الدنيا ولا أسفى على شئ الا انى ما شبعت من نظر ولدى سبيع اليمن لاننا ذكرنا انه قد أتاه من زوجته مسيكة ولد فى بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان له فى قلبه منزلة عظيمة وقد أمل فيه الآمال وترجى انه يركب الى جانبه ويعينه على القتال فأيس منه فى ذلك اليوم وخاف ان يموت قبل لقاه الا انهم ساروا كما قد أشار عليهم عنتر وأخذوا فى السير فى ذلك اليوم فى البر الواسع ودخل عليهم الليل وبكت النساء من شدة الفزع والتعب والتجؤا الى بعض الشعاب ونزلوا والخيل قل نشاطها وفتحت مناخيرها للهواء من شدة الحر والعطش وما فيهم الا من ارتاع من ذلك البر الواسع واستوحش وبقى عامر من أجل هذا الامر الصعب منكسر القلب لان مقرى الوحش وعنتر من أجل حاجته قد التقوا هذا الملتقى ووقعوا فى بحر الخطر والشقا فصار عنتر يهون عليه القصة ويقول له يا عامر لا يصعب عليك شغلنا واعلم أن لنا ربا عظيما قادرا اذا أراد نجاتنا وسهل لنا الماء وسقانا وان كان قد حكم الله بهذا فما يقدر كل من فى الارض على فكاكنا وقد رأيت كيف ساقنا الى قوم ما كانوا لنا فى حساب فضربنا منهم الرقاب وخلصنا منهم هؤلاء الكواعب الاتراب ثم باتوا على مثل ذلك حتى طلع الصباح وركبوا على برد الهواء وما زالوا يقطعون أقطار الفلا ومقرى الوحش قد زاد به الشوق والبلا وذكر ولده سبيع اليمن فبكى وسار ساعة يتأمل فى أقطار الفلا وتارة يتأمل الى رؤس الشعاب وعالى الربا وهو يتحسر وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ان جرى دمعى وأوهانى الحزن * فغزير الدمع أشفى للحزن
واذا الشوق تناهى حده * فارقت روح المعنى للبدن
يا خليلى اسعدانى وقفا * نحو تلك الدار منا والوطن
واذا مت اشتياقا بالغا * عظم أشواقى الى سبيع اليمن
ولقد كنت أرجوه اذا * نزل الشيب برأسى وقطن
فرمى الله علينا نكبة * حارت الافكار فيها والفطن
ووقعنا فى تلال قفرة * نزل الشيطان فيها وقطن
وترى الشيطان فى أقطارها * تائها ينشد بين آثار الدمن
يا حماما بات فى أغصانه * نائحا يدعو ولا يدرى لمن
نح علينا كلما جزت على * علم السعد سرا وعلن
واذا جزت على وادى الحمى * فاسأل السكان عن سبيع اليمن
وابك عنى كلما عاينته * سائل الدمعة من فرط الحزن
كان أنسى ومنى القلب الذى * أرتجاه وروحى فى البدن
فقضى الله علينا حكمه * ببعادى والضنى بعد الوطن
وبلينا بزمان غادر * صرفه يرمى سهاما من محن

ولنا رب عظيم قادر * يكشف الضر ولا يخشى الزمن

(قال الراوى) وما فرغ مقرى الوحش من هذه الابيات حتى انهملت من جفونه العبرات وجرت على الوجنات وبكت كبشة أم عامر ومن معها من البنات وفى الحقيقة أيس كل واحد منهم من نفسه وأيقن انه لا يخرج من ذلك البر وساروا حتى اشتد عليهم الحر وتوسطت الشمس فى كبد السماء وألقت حرها على الصحراء وصارت مثل اللظى وتلهبت أقطار الفلا وزاد على القوم البلا وقصرت الخيل من شدة العطش والظما وأيقنوا بالهلاك والفنا ولم يلتفت الرفيق الى الرفيق ولا الصديق الى الصديق وكشف النساء رؤسهن وقد زاد بهن البلاء ونادت كبشة الى رب السماء وقالت يامن احتجب عن خلقه فلا يرى يامن أنبت النبات والمرعى يامن بيده نواصى الخلق جميعا يامن أخرج من ظلمة الاحشاء نسمة تسعى يامن قسم الارزاق عطاء ومنعا أسألك بالرجل الذى ظهوره قد اقترب ونوره قد انتقل فى أصلاب سادات العرب الذى اخترت له البيت المحرم وخلقت من أجله الحطيم وزمزم ورفعت لذكره قبل ظهوره علما وجعلته هاديا للعرب والعجم وفضلته على سائر الامم الا ما سببت لنا فرجا وجعلت لنا من الضيق مخرجا وهديتنا على الطريق يامن ينجى من اللجج الغريق بعد الشدة والضيق سيدنا ومولانا حارت منا النواظر والافكار وأنت العالم بالاسرار والاستار أسألك باسمك المحيط بالعرش والفرش يارازق الطير والوحش ياذا الشدة والبطش أن ترزقنا من السماء ماء بردا كبادنا من الظما فأنت رب الارض والسما الذى لا تخفى عليك الاسما ياخالق النور والظلما (قال الراوى) والى دعاء العرب المنتهى ولاجل ذلك قال سيد الاولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أم القرى تعلموا منهم الدعاء الان كبشة ما تمت هذه الدعوات والكلمات حتى عطف الله عليهم بجميل العوائد وسبب لهم أسبابا تنجيهم من الهلاك والشدائد لانهم كانوا سائقين فى بر مقفر واذا قد سمع فى ذيل السماء قعقعة الرعد فعلا وارتفع وغما وابيض بعد الكدر وصفا بعد ما كان منعكر وما زال ينمو طولا وعرض حتى التحم بعضه الى بعض فمنع شعاع الشمس أن يقع على الارض ثم بعد ذلك انهل مثل أفواه القرب وسال وانسكب وفى دون ساعة سمع له دوى وخرير ولام وابى ... و زفير وامتلات الجفار واستأنست القفار ورويت أصول الاشجار ورويت الخيل من ماء السما ورويت الاكباد بعد العطش والظما ومازال الامر على ذلك حتى قارب المساء وبات القوم فى تلك الصحراء وقد صفا الجو وصحا وكان الماء فى ذلك الوقت لهم دوا ولما كان من الغد وطلعت الشمس وأنارت كشف السيل الطرقات الدارسه وبانت الآثار وضحكت الاقطار بعد ما كانت عابسة فساروا على بعضها وقد طابت أنفسهم ولاح لهم وجه السلامة وكان لهم فى المطر فوائد كثيرة احداها انهم رأوا الماء بعد العطش والظما والثانى ان الماء سحب لهم الوحش من الارض العامرة الى تلك الارض الخراب فأكلوا منها بعد ما صادوا وشربوا وساروا على النواحى والوحوش قد انسحبت اليهم من ناحية العمارة فجدوا فى المسير حتى قارب المساء وعولوا على النزول واذا قد لاح لهم أبيات وخيام منصوبة فى جبل عال حصين فدفعوا الخيل نحوهم حتى قاربوها واذا بغلام قد قصدهم عن أيمانهم وخرج من شعب هناك وتحته فرس عربى وعليه من صيد البر وقرة فلما رأى القوم مال اليهم وقصدهم وقد دنا منهم ونادى أهلا وسهلا يا وجوه العرب بحق الاله المعبود انزلوا عندنا فى أبياتنا وشرفونا بنزولكم علينا فى هذه الليلة فقال عامر بن الطفيل السمع والطاعة ياغلام سر بين أيدينا الى أين شئت واعمل فى حقنا ما هو يت لاننا من أقنع الخلق وأحوجهم الى الانس ثم حدثه بما جرى عليهم من الضيعان والضلال وما قاسوا من الشدائد والاهوال فشق ذلك عليه وعاد بين أيديهم يهرول حتى وصل الى أوائل البيوت واذا بامرأة عجوز فى جانب البيت فقال لها اضرمى النار واسمعى الاخبار ثم انزلهم وقدوطألهم وقامت أمه الى النساء وأدخلتهن الى داخل الخباء وأضرمت النار وروجت لهم الطعام من لحم الوحش وكان عندها طراميس مخبوزة من النهار فقدم الغلام الجميع الى بين أيديهم وكذلك فعلت أمه مع النساء وشرعوا فى أكل الزاد والحديث وقد طابت قلوبهم بالامان فقال عنتر للغلام ياوجه العرب من أى الناس أنتم فقال له يامولاى من بنى كنانة ولنا ههنا أكثر من عشرة أيام ونحن أربعون كما ترى ولنا مقدم

يقال له سريع بن قادر وسبب نزولنا فى هذه البرية ان مقدمنا كان بينه وبين ابن عمه مقاولة وحروب فصعب عليه ذلك فرحل بنا وأنزلنا فى هذا المكان من خوفنا من عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان وما مضى علينا يوم الا ونقول يصبحنا فيه أو يمسينا ويقودنا فى الجبال ويسبينا ياسادة يا كرام (قال الراوى) فلما سمع عنتر وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش ذلك داخلهم العجب من عظم ما وقع لعنتر من الهيبة فى قلوب العرب فقال عنتر والله ياغلام أزيلوا هذا الفزع من قلوبكم من هذا اليوم ولا تحدثوا به نفوسكم وابشروا بالامان فأنا عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان وقد ساقنى اليكم مكون الاكوان وصار لكم عندى جائزة وذمام فطار عقل الغلام من شدة الفرح وترك الطعام وقام يعدو الى المقدم الذى لهم وقال له يهنيك السلامه فان الذى كنت تخافه وتفزع منه قد أمسى ضيفنا وأكل طعامنا فقال سريع وكيف ذلك أنا ما كنت خائفا عليكم الا من عنتر بن شداد ومن فزعى أردت أن أرحل بكم من هذه الجبال وأنزل على بعض الملوك (قال الراوى) فعندها حدثه الغلام بما جرى فزال عنه الكرب وأخذه الفرح وقام الى مشايخ قومه فاستصحب منهم جماعة وساروا الى نحو عنتر فسلموا عليه وأكلوا معه الزاد وطلبوا منه آلة المدام فودعهم بكل جميل وقال لهم ارحلوا معى حتى أنزلكم فى أرضنا وديارنا وأحميكم كما أحمى أهلى وعيالى وأبذل روحى قدامكم ومالى فازدحموا لما سمعوا هذا الكلام والخطاب ونزل على قلوبهم أحلى من الجلاب وأجابوا بالرحيل معه الى أرضه وقد اهتدوا على الطرقات وعرفوا البرارى العامرة من المقفرات وقوضوا خيامهم مع عنتر بن شداد واستبشروا بالامان فساروا ذلك اليوم والثانى وودع عنتر عامر بن الطفيل ورجع يطلب ديار قومه وسار عنتر بن شداد يطلب أرضه وقد رآها واسعة ولاحظ أنه كيف يعود الى أهله خالى اليدين من المكسب والمال فصار كلما وقع فى طريقه بحلل ينهبها وكلما أبصر أبياتا يسوق أموالها ويقتل من يطلب حمايتها وبنو كنانة يبصرون ويقول بعضهم لبعض انه أراد أن يصيبنا ويكر علينا (قال الراوى) ولما وصلوا الى ديار بنى عبس أنزلهم عنتر فى وادى يقال له وادى القرى وكان من جملة منازل بنى عبس طيب الماء والمرعى فقال عنتر هذا المكان لكم وتحت أمركم وعلى حمايتكم ثم وهبهم من المواشى التى قد ساقها معه شيأ كثيرا وتم عنتر الى بنى عبس هو ومقرى الوحش ولما وصل الابيات أتى اليه عروة بن الورد وهناه بالسلامة وكان شداد قد برأ من جرحه فأتى اليه وسأله عن زيارته لعامر بن الطفيل وحدثه بحديث ابن الطفيل وما جرى عليهم من الضيعان وكيف هطل عليهم السحاب فى تلك البرارى والقفار فعجبوا من ذلك وقالوا لقد أيستم الا من نعمة أخرى ولقد سلمنا نحن أن تشمت بنا الحساد ويصح فينا قول بنى زياد فقال عنتر وكيف ذلك ياأبت فقال شداد يابنى انى لما وصلت مجروحا مع عروة وأخيك شيبوب ظن الحساد الذين هم بنو زياد انك قد قتلت وتحدثوا بكل قبيح (قال الراوى) وكان عروة بن الورد حدثه قد شاع فى الحلة من جهة عمرو بن معديكرب وسمع بنو زياد بما جرى لاجل لميس ابنة همام وكيف أسر واعروة وقتلوا رجاله وكيف علموا أيضا بعنتر لما وصل بالخمر الى أبياته وتركه وعاد وعرف القصة على جليتها الا انه كان هو واخوته دائما يتطلعون على أحوال عنتر وبنى قراد ويتوقعون لهم العثرات لاجل الحسد والحقد الذى كان بينهم * قال فلما اطلع الربيع بن زياد على هذه الامور اجتمع على الملك قيس وقال له ياملك أنت تعلم ما قاسينا من الفرقة والهجاج فى بلاد اليمن وعن هلاك منا من الفرسان ولولا أختك المتجردة سألت فينا الملك النعمان ما عدنا الى ديارنا والاوطان والآن قد عطف علينا الزمان وسبب لنا العودة الى الاوطان ثم حدثه كيف تزوج عمرو بن معديكرب الزبيدى بلميس ابنة همام وسار هو ومقرى الوحش وعروة وأخذها منه فأسره وقتل رجاله وان عنتر سار هو ومقرى الوحش وأبوه شداد يطلبون قتل عمرو بن معديكرب وخلاص عروة من يده وأنا ياملك خائف على القبيلة من جهل عنتر وقبيح فعاله لانه ان ظفر بعمرو وقتله أو أسره تقوم علينا بنو زبيد وتسير الى ديارنا مثل الجراد ونبتلى بالقتال والجلاد ويتجدد ما بيننا وبينهم من الاحقاد كما فعل معنا فى شعاب جبلة من شؤمه وقتل ابن صاحب دمشق وأخرج الينا بنى غسان وسلمنا من الهلاك والقلعان ولولا تدبيرك أنت وعملك تلك الحيلة وتعطيش الجمال ورددتهم عنا

بالمكر والاحتيال والا كانوا نهبوا الاموال وأخذوا العيال فلما سمع الملك قيس هذا الكلام من الربيع بن
زياد قال يا ربيع ما بقينا نرضى بهذه الامور ولا نطاوع عنترا على ما يقول بل ان رجع وأثار الفتنة وأتاه من
يطلبه قبضنا عليه وسلمناه اليه أو نقول له ارحل عنا وانفصل أنت وغرماك كيف شئت لان البر واسع والمنازل
كثيرة وأنا بعد ما قد نشأ لى هذا الولد ما بقيت أسأل عن أحد وقد ذكرنا ان الملك قيس كان قد نشأ له ولد وسماه
زهيرا لانه كان مليح الوجه وكان من محبته له قد حكمه فى أمواله ونعمته ولما انفصل الربيع من حديث عنتر الا
وقلب الملك قيس قد قسا على عنتر وبعد ذلك وصل شيبوب وعروة ومعهما شداد على هذه الحالة مجروح
واشيع ان عنترا قد قتل فقال عمارة أنا أسأل رافع السماء أن يجعل ذلك الخبر صحيحا حتى يخف كربى واستريح
لان مهجتى منه قد ذابت وذوائبى من فعاله قد شابت وآمالى فيه قد خابت وأنا أحمد الرب القديم حيث
أن عبلة لا تحمل ولا تلد ولا تخلف له خلفا لانى لو رأيت له ولدا مت حسرة وكمدا فقال الربيع ان كانت عبلة
حرمت الاولاد فقد عوضه بذلك رب العباد وقد أنتج له فرسه الابجر مهرا ما سبق مثله لاحد ولا يرجع الزمان
ينتج مثله ما دام الابد لانه أعجوبة الزمان وزينة لمن تعجب وحسرة فرسان العرب وهذا دليل أن الله فيه
عناية هذا ان كان ما قتل عمرو (قال الراوى) وهذا الخبر الذى ذكره الربيع قد ذكرنا كيف سببه وأخبرنا
ان لقيط بن زرارة لما سرق الابجر فرس عنتر أعلاه على الجحرة سكاب وأراد أن يركب من أمها حيث رآه ينفر منه
ولا يألفه وذكرنا موضع ما دخل منه وأخذ الجحرة معه بتدبير شيبوب وخلى فى قلوب أصحابها حرارة وكروبا
واحتوى على عروس القوم مهرية واقتنصها وهو سكران وردها على ابن عمها لما التقاه وجرى من القصة
ما جرى ولما تم حمل سكاب ولدت مهرا خلقة عجيبة أحسن من أبيه الابجر أيام صباه وكان عنتر قد جعل اعتماده
عليه بعد الابجر لما رآه قد استولى عليه الكبر وتغير من ملاقاة الحروب وخوضات الوقائع والكروب
والجروحات (قال الراوى) وقدم عنتر الى الحى سالما وعدنا الى حديثه وعودته بالغنائم وحدثه بنو أعمامه بما
قال فى حقه بنو زياد فتعاظم غيظه وزاد وقال والله لابد لى معهم من يوم تشيب فيه رؤس الاطفال ثم بات تلك
الليلة عند زوجته عبلة ومقرى الوحش وبل شوقه من سبيع اليمن وزوجته مسيكه ولما كان عند الصباح
سار عنتر الى الملك قيس وسلم عليه وهناه بالسلامة وسأله عما جرى له ولعمرو بن معديكرب وعتب عليه لاجل
ذلك السبب فقال عنتر يا ملك ما تعديت الواجب ولا فعلت ما لا يجب بل قد جعلت لك مثل عمرو صديق لكل
شدة وضيق وسيفه يعينك على الشدائد ثم أعاد عليه قصته وما جرى له معه وكيف أطلق سبيله واصطنعه
فخف على قلب قيس بعض الكروب التى كان قد جاها له الربيع بن زياد وعلم أن للقول بينهم حسدا وحقدا
فأزال عن قلبه الجميع وأمسك عنترا عنده ذلك اليوم وسقاه وأكرم مثواه وكان معه مقرى الوحش وعروة
ابن الورد وجماعة من فرسانه وندمائه ولما انقضى النهار وعادوا الى أبياتهم وجد دهم عنتر أوقات السرور
لما انقضى أيامهم بالافراح وشرب الراح لانه يحب الشراب مع أصحابه ويتكلف لهم الا ان الملك قيس علم أن
الربيع من بغضته لعنتر يتكلم فيه وأما عنتر فانه شرب تلك الليلة فوق طاقته وأصبح مخمورا لا يطيق القيام على
الاقدام وكان قد ركب قيس عند الصباح وحوله أعمامه وبنو زياد ورجعوا الى القبيلة وأخذوا فى طرد
الوحش حتى عبر نصف النهار ورجعوا طالبون الخيام وطريقهم على وادى القرى الذى أنزل عنتر فيه بنى
كنانة وأبصر قيس مضاربهم ورحالهم فأنكرهم ولم يعرف حالهم فوقف يريد الكشف عن أخبارهم واذا قد
ركب اليه سيدهم سبيع بن قادم وأتى امام الملك قيس وترجل وسلم فرد قيس عليه السلام وقال له يا شيخ من أى
الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذه الارض فقال سبيع يا مولاى نحن من بنى كنانة والذى أنزلنا ههنا عنتر
ابن شداد ثم حدثه بنزوله عليهم وما جرى له معهم وانه رحلنا وأنزلنا ههنا ووهب لنا المنزل وضمن لنا الجيرة والذمام
فتعجب الملك قيس من ذلك وقال أكرمت يا وجه العرب بنزولكم وعز من أنزلكم فاننا كلنا فى حماية عنتر
وفى ظل سيفه ثم تركه وعاد وقد علم الربيع أنه ما قال ذلك الا من قلب ملآن على عنتر فزاد غيظا وصار يقول
إن هذا ضيم لا يصبر عليه أحد لاننا ما صدقنا نعود الى الاوطان ونستريح من مقاساة العربان حينا من الزمان

حتى عاد هذا الشيطان علينا بما لا نريد ويقطع من لا تعرفه الارض والله ان هذه الفعال أنا ما أقدر أفعلها وأنا
الربيع بن زياد ولا أجير بغير علم الملك قيس فقال أسيد عم الملك قيس مثلك يا ربيع تنقل قلب ابن أخى على
عنتر الذى ما لمتم شمل العشيرة الا به على ان هذا الذى فعله فخار ما هو عار واست أنت تريد الفخار والشرف
أليس فى هذا بقال عند سائر العرب اذ صارت عبيد بنى عبس تجير الخائف وتشبع الجائع فقال الربيع وقد
زاد غيظه والله يا أسيد ما قامت هذه الاشفقة على الملك قيس كيف أنزل عنتر هؤلاء القوم فى أرضه بغير اذنه وهذا
يدل على انه ما له عنده قدر ولا قيمة وحق ذمة العرب سمعت عنه لما قال فى حال سكره أنا الذى حكمت قيسا على
رقاب بنى عبس وتركته ملكا ولو أردت تركت بعض اخوته مكانه وعزلته لانه بأى شئ يتفضل عليهم وكلهم من
أب واحد وأم واحدة وما زال الربيع على مثل ذلك حتى نقل قلب قيس على عنتر وترك فيه من هذا الحديث أثر
وما زالوا على مثل ذلك حتى وصلوا الى الخيام ودخل قيس الى خيامه ولم يحرك ساكنا وبعد ذلك بأيام اشتاق
عنتر الى بنى كنانة وطلب افتقادهم وأن يزورهم ويطيب قلوبهم فعزل من جماله مائة ناقة وأضاف اليها مائة
رأس من الغنم وخمسة أحمال خمر وأخذ معه مقرى الوحش وعروة بن الورد وبعض رجاله وسار الى وادى القرى
فعلم القوم قدومه فاستقبلوه أحسن استقبال وأنزله سبيع بن قادم فى أبياته وأمر عبيده أن يروجوا الطعام
وروقوا المدام وجلسوا ودارت عليهم الاقداح وأرادت رجال بنى كنانة أن تقف كلها فى الخدمة قياما فما
مكنهم عنتر من ذلك بل أجلسهم عن يمينه وشماله وتركهم وقعد عندهم بعد ما حلف أيمانا لا يشرب الا على هذا
الترتيب فشكره سبيع وأثنى عليه وحدثه بحديث قيس وكيف أجارهم وسأل عنهم وترحب بهم لما نزلوا جيران
عنتر فقال ولو لم يرض بكم جيرانه كنت رحلت بكم ونزلتكم فى أرض تكون أحسن وأطيب من هذه الارض
وأكثر مرعى وأتركها لكم منازل وديارا ثم ان عنترا أدار عينيه على مالك بن قادم الذى أنزله يوم المطر فى بيته فما رآه
فسأل عنه سيدهم سبيع وقال له ابن أخيك يا أمير ما حضر معنا فى هذا المقام فقال سبيع يا أبا الفوارس قد
ذهب يطلب المعاش والمكسب لان الفقر قد أضر به وقد عولت أنه اذا عاد سالما أزف ابنتى عليه لان أخى أوصانى
به قبل موته وخلف له أموالا كثيرة ولكن نحن والله فى نعمة غزيرة وانما تواترت علينا أعوام كثيرة العوائق
والغلا قليلة العيش والكلا فوقع فى أموالنا الفنا فبقينا كما ترى (قال الراوى) فقلق عنتر وقد صعب عليه
ذلك والله يا أمير لو عرفت هذا ما تركت ابن أخيك يتغرب ولا يخاطر بنفسه مع شياطين العرب بل كنت أنا
توليت وليمته وأنجزت أمر زوجته ولكن هذا أمر قد فات ولابد أن يعود ان شاء الله تعالى وأعمل له وليمة
وعرسا من الاعياد وأكيد بفرحه الاعادى والحساد فشكره سبيع على ذلك المقال ودعا له وأقام عنتر عند
القوم ثلاثة أيام وعاد وفى قلبه أثر من حديث الغلام وكانت هذه الجارية التى قد راح مالك يأتى بمهرها فريدة
دهرها ودرة لا يعرف قدرها وقد وفر من الجمال قسمها وكسى من الملاحة جسمها وقد وافقها عند ولادتها
طالع سعيد فربأها فى حجر الكمال والتأييد فنشأت كما تشتهى وتريد ولما نزل بها أبوها فى أرض بنى عبس كان
قد كمل قدها وبرز نهدها وتورد خدها وبلغت فى الاعتدال حدها والجمال على كل حال يتم على آبائه ويظهر
اسم أصحابه فزارتها النساء العبسيات وأتت اليها من بنى فزارة الفزاريات وما فيهن من عادت عندها الا وهى
تهذى بوصفها وتحدث جارتها بما رأت من ظرافتها وتصف حسن قوامها ولطفها ونعومة أناملها وكفها
وضفائرها التى خلفها وبلغ حديثها الى بنى فزارة وتذكرت به الرجال والنساء وبلغ الى حصن بن حذيفة وسمعه
مرارا من عجائز الحى والزوار وكان اسمها نوار فالتهب بها قلب حصن على السماع لانه صبى على كل حال وهو
ملك شجاع فشكا حاله وأفشاه الى سنان بن أبى حارثة وقال له يا عماه قد اشتهيت انى أنظر هذه الجارية الكنانية
التى قد نزلت فى فؤادى وان أعطيت من الجمال هذا الحديث خطبتها من أبيها وأغنيت قومها ونقلتها الى
ديارى وتركتهم من بعض جوارى فقال له سنان يا ولدى اعلم ان السماع يزيد وينقص والدخول فى الاشياء بغير
اختبار جهل والصواب انك قبل خطبة الجارية تتوجه الى أرض قومها بحجة الصيد والقنص وتدعونا حتى
ننظر أحوالها ونسأل عن أنساب رجالها فان كانوا من سادات كنانة وأصحاب الحسب والنسب وقد غدر بهم

الزمان وقلت أموالهم انصلنا اليهم وأنفقنا من نعمتنا عليهم لان الفقر ما يزرى بأصحاب النسب ولا يحط سادات العرب وان كانوا من أرذل الناس وأدنيهم فأدى ذلك تحملنا بقربهم العار ولا ندخل فى أنسابنا الا الاخيار فقال حصن نعم ما قلت يا عماه فدبر ما تختار ثم كتم هواه وأخفى عشقه وجواه ثم انه فى يومه ركب فى عشرة فوارس من رفقته وما زال سائرا حتى قارب وادى أقرى فترك حصن أصحابه مشتغلين بالصيد والقنص وقصد الى أبيات بنى كنانة وطالب الغدران هو وسنان وكان ذلك الزمان فصل الربيع والارض ريانة قريبة بانسكاب دموع الغيث الهطال فركض حصن طالب الخيام يريد النظر الى أحوال سكانها واذا قد اعترضه مرج واسع ومنابع الزهر حول الجميع منقوش كأنه بساط مفروش وفى وسطه جماعة من بنات الحى أحسن من الاهلة الطالعة وهم يرتعون ويلعبون ويتقاب بعضهم على بعض وقد رموا عن وجوههم البراقع وصرن يتسابقن فى المروج والمواضع وما فيهن الا من خرج وظهر طيبها ولمع فى الخدود جناتها وبرز ماء الحياة من رواق خدودها فلما رأى حصن ذلك اشتغل عما كان فيه ووقف يتفرج وقد عجب من ذلك الاتفاق الذى قد راق واذا ببعض الجوار تقول لاترابها يا بنات عمى من سبقت منا غدا على هذه المواضع يكون على المسبوقات طعامها وشرابها الان أبى قد سمح لى بالخروج لى ههنا ثلاثة أيام كما يفعل بى فى كل عام وبعد ذلك لا يرجع يمكننى من أذيال الخيام فتأمل حصن التى قد تكلمت بهذا الكلام واذا بها أحلى من الكل مزاجا وابتساما وأتم اعتدالا وقواما وأوفى توقيرا واحتشاما وهى قد سلت من لحاظها على عاشقها حساما فقلق حصن لذلك وترنح على ظهر الجواد من شدة الغرام وظن انه قد رأى ذلك فى المنام ومن شدة ما جرى عليه نزل عن ظهر الجواد الى الارض وقعد وسلب فؤاده وقال يا عماه ما بقيت أريد الجارية التى سمعت صفاتها وما بقيت أريد الجارية التى سلبت عقلى بملاحتها وأريد منك أن تنفذ الى بعض الاماء وتسأل لى عنها والا هجيت على وجهى فى هذه الفلوات فقال سنان أى شئ هذا المقال تأن على نفسك وابشر ببلوغ الآمال ثم تقدم سنان الى جانب الغدير وصاح ببعض الجوار وقال لها من أى الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذا المكان لاننا قد طرقناه مرارا عديدة وهو خال من السكان فقالت الايا مولاى نحن من بنى كنانة وما نزلنا فى هذا المنزل الا بأمر أصحابه فقال لها وهذه الجويريات بنات قالت نعم فقال ومن تكون هذه الجويرية ومن أبوها وأشار بيده الى الجارية المقدم ذكرها فقالت له يا مولاى هذه نوار بنت مقدمنا سربيع بن قادم وان كنت سألت عنها وعجبت من جمالها فان هواء هذه البلاد وافقها وقد كساها من الجمال ما يحير البشر وما نظرت الا موضع النظر فلما سمع سنان ذلك الكلام زاد تعجبه وأعذر حصنا فى حب الجارية لاجل ما رأى من كمال صورتها وحسن خلقتها وعاد اليه وأخبره بما سمع وما رأى وقال له لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فان الجارية التى سمعت صفتها هى هذه التى سبيت بملاحتها ولاجل ما جرى عليك هذا المجرى فى هواها فأنا أزوجك اياها من حيث لا يطلع أحد على أحوالك من أجلها ثم عاد الى الصيد والقنص ساعة وأتى ورجعوا الى أبياتهم وحصن على غير استوا من تباريح الجوى ومما جرى عليه فى تلك الليلة ما نام بل قضى أكثر الليل بالشكوى ولما نظر سنان الى حاله خاف عليه أن يمرض أو يدخل على عقله عارض فأرسل الى أبى الجارية يقول له يا سيد بنى كنانة قد سمعت حديثك وفصاحتك ونشتهى أن تجملنا بطلعتك أنت ووجوه قومك وعشيرتك وتجعل ابنى فزاره التمام فى الزياره ولما مضى الرسول أخذ سنان فى اصلاح الطعام وترويق المدام ولما وصل الرسول الى سربيع بن قادم وبلغه الرسالة فرح بذلك وأجاب ونهض وأخذ من وقته وساعته فى الاهتمام ولبس ثيابا جميلة وأخذ معه جماعة من أهله وعشيرته وسار مع الرسول الى نصف الطريق وحرك الفزارى جواده حتى يبشر قومه وبقى سربيع سائرا وهو يحدث قومه ويقول لهم يا بنى عمى قد نفر قلبى من دعوة هؤلاء القوم لان لنا هذه المدة ههنا ما من علينا أحد من بنى فزاره وما أقول انهم أنفذوا خلفى لاجل ابنتى يطلبونها لبعض ساداتهم وأنا أستحى أن أتم هذا الامر وماذا أقول لابن أخى لانى وعدته بها وقد مضى كما علمتم يحصل شيأ أستر به حاله ويعود يطلبها وهذه قضية مشكلة ان هى تمت فقال بعض المشايخ من قومه والله يا أمير ان تم لك هذا ما يكون فى الدنيا أسعد منك لانك تنال الشرف التام والمال

والجمال وأما ابن أخيك فانك لا تراه لانه سار فريدا وحيدا غريبا وان كان فى أجله تأخير ويجئ سالما فما يعود بأكثر من فرس يشدها أو يركبها أو ناقة قد غفل عنها صاحبها وهذا شئ ما يكشف ضرا ولا يبل رمقا والصواب انك تصل الى سادات بنى فزارة وتنقلنا الى أرضهم وهيبتنا قائمة ولا تدعنا نطرد من بنى عبس بالتعس والنكس لانى قد سمعت ان ملكهم ما هو راض بنزولنا فى أرضهم وانه قد عتب على عنتر كيف أنزلنا فى هذا الوادى بغير أمره والصواب اننا نرحل بالذل والمهانة فقال سربيع وأنا أيضا قد سمعت بهذا الحديث عن الملك قيس وصدرى ضيق منه والآن ما ندبر أمرا ولا نجد مقالا حتى ينكشف لنا باطن هذا الحال ولما أشرفوا على ديار بنى فزاره وأبصروا الفرسان قد ركبوا الى لقائهم وسنان بن أبى حارثة فى مقدمتهم وحصن بن حذيفة قد لبس حلة حمراء وتعمم بعمامة خضراء وهو راكب على حجرة أبيه الغبراء وتحته مركب ذهب وهو فى رتبة تصلح للملوك الجبار ولما رآه بنو كنانة فى تلك النعمة هابوه وترجلوا به رسموا الى خدمته وكذلك وصل سنان الى سربيع وعانقه ورحب به وقال له يا أمير أنا عاتب عليكم من حيث نزولكم فى هذه الديار ما عنى الينا أحد منكم وقد اشتهى الملك حصن أن تكونوا نزولا عليه ولكننى أنا منعته من ذلك وقلت له يا ولدى هؤلاء قوم غرباء وقد غدر بهم الزمان ولا يجب الثقل عليهم ولكن اذا أردت المعرفة بهم نانفذ خلفهم فاذا حضروا عندك فاكرمهم وانعم عليهم فسمع وصيتى وأنفذ خلفكم يتجمل بكم فباس سربيع صدره ويديه وشكره لما سمع كلامه وأثنى عليه وعادوا الى ظهور الخيل وساروا الى بين الخيام فرأى بنو كنانة ملكا عظيما يصلح أن يكون صاحب الاقاليم وأبصروا فى الحى سرادقا كبيرا من الديباج الاحمر وحوله قباب من الديباج المدثره فتعجب القوم كل العجب وتمنوا أن يصير لهم فى تلك الارض صلة ونسب ولما استقر بهم القرار حتى نقل اليهم الطعام ووقف على رؤسهم العبيد والخدم ودارت عليهم أقداح المدام وانبسطوا فى الحديث والكلام ومضى عليهم يوم ما رأوا مثله ولا سمعت الانام شكله وكذلك فى اليوم الثانى أحسن اليهم سنان وأكرمهم غاية الاكرام وقال سنان لسربيع بن قادم على المكر اسمع واعلم يا وجه العرب أن هؤلاء القوم الذين هم بنو عبس تعدوا على الملك حصن بن حذيفة وقتلوا أباه وأعمامه أولاد بدر وهم قوم ما لهم أمانة ولا ذمام وأقول انك سمعت حديثهم مع أولاد بدر ونحن نفيناهم الى بلاد اليمن وأبعدناهم من هذه الاطلال والدمن وقد خرجوا بهيبة الملك النعمان لانه تزوج بنتهم ولولاه ما كنا تركناهم يجاورونا لانهم قوم سوء ما لهم ذمام وقصدنا انهم يرجعون ويكونون تحت أمرنا ونهينا طول الابد وأنت قد نزلت فى أرضهم بغير خبرة وقد زدتهم قوة وكثرة وقد صعب ذلك على الملك حصن وأراد أن ينفذ اليكم ويرحلكم من جوارهم فما مكنته أنا من ذلك وأشرت عليهم أن ينفذ خلفكم ويتخذكم من جنوده وأنصاره فلما سمع قولى أجاب وقد رآه صوابا وقال يا عماه أريد أن تزوجنى بابنة سيدهم حصن فيتصل بيننا الانساب وقد دعوتكم حتى أشاوركم وأنا أقول ان لكم الحظ الاوفر والجاه الاكبر لان عدوكم يصبح ذليلا وعيشكم مع عيشنا هنيئا وبعد ذلك الامر مردود اليكم والله أعلم بما نعود منفعته عليكم (قال الراوى) فلما سمع سنان كلامه عرف أبو الجارية مقصوده وما طلب فخفق فؤاده من شدة الفرح لانه أبصر نعمة عظيمة وملكا كبيرا وكرما زائدا فقال لسنان والله يا مولاى ان هذا الحال ما خطر لى على بال والا كنت أتيت بسائر عشيرتى ووقع فى خدمة هذا الملك لانى أعلم ان الله قد أيدنى بسعادته وجبر كسرى ورحم غربتى فمن يكون أسعد منى اذا أصاب الملك حصن صهرى وأتم رجالكم خلف ظهرى ثم ان سربيعا قام على قدميه وشكر حصنا وأثنى عليه وقال يا مولاى عند الصباح أنفذ خلف قومى وأوقفهم فى الخدمة بين يديه ونجعل اعتمادنا بعد على الله وعليك ثم أعطاه يده وعاهده على الزواج وازدادت الوليمة طربا وانزعاج وقال حصن لابى الجارية انا ما أريد بنتك ليلة الزفاف بلا رياء لاجل أن أكون أنفذت من المهر والصداق ما يبهر الاحداق وتكون الهوادج كلها مزينة بالديباج والاكليل والذهب الوهاج ثم تخرج بنتك من خيامها مع بنات عمها والرجال الكرام وهم فى الهوادج يقطعون الروابى والآكام واعمل لها يوما يذكر ما بقيت الليالى

والايام ثم انه خلع عليه وعلى أصحابه الخلع الغوال وأنفذ معه بعض عبيده تسوق الجمال وزادهم فى الاكرام والاجلال وفرحوا بهذا الانعام وقدموا لهم الجنائب الحسان باجلال الابريسم وهى بمراكب الذهب وأعطاه ما أغناه وما أبهر عينيه وقد انقضت الوليمة وخرج معه لوداعه أكابر عشيرته وبعد ذلك قال له حصن يا أمير هذا أمهر بقيت ما يصل اليك والى عشيرتك ثم تقرر بينهما الكلام على زفاف الجارية بعد عشرة أيام قال لأن لنا أصدقاء وحلفاء وأبطالا ونريد نرسل خلفهم الغلمان حتى يحضروا الى هذا المكان فقال هذا الامر اليك افعل أيها الامير ما يعود نفعه عليك ثم ان الجارية عاد الى وادى القصب هو ومن معه من فرسان العرب والدنيا ما تسعه من شدة الفرح والطرب ومعه تلك الجمال والنياق والفضة والذهب حتى وصل الى قومه ونظروا ما معه من الجمال والمال والجواد فأخذهم بالفرح والاستبشار وقص عليهم قصته وكيف زوج حصن ابا بنته فزادت عندهم منزلته حتى استقر بهم القرار والمقام وخلع على رجاله الكرام الخلع العظام وأخذ فى اصلاح بنته وقد زادت فرحته وكانت الجارية تحب ابن عمها مالك بن قادم فجرى على قلبها ما لا يجرى على قلب بشر وصارت فى بكاء وضجر (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان جالسا على باب مضربه وعروة بن الورد وأصحابه بين يديه واذا هم برجل من الاعراب قد أقبل وهو ينادى يا أبا الفوارس انجدنى فانى بك مستجير وأنت على انصافى قدير فعندها قال له عنتر يا وجه العرب ما حالك وما الذى أصابك فقال له الاعرابى يا أبا الفوارس أنا فى ذمتك وذمامك وأنا جارك فقال له عنتر وما يقال لك من العرب حتى تقول هذا الكلام وما أظن انى رأيتك الا فى هذا اليوم فقال له صدقت يا أبا الفوارس أنا يقال لى فايق بن علوان العنبرى فقال عنتر وأى جوار بينى وبينك فقال اعلم يا أبا الفوارس انى خرجت من ديار قومى ومعى مائة ناقة وقد عولت أن أسير بها الى وادى دبقا وأبيعها بشىء أجمل به حالى وحال بنتى فسرت حتى وصلت الى أرضكم فرأيت عبدك ميمونا يسقى ابلك من البئر فدليت حبلى الذى معى فلم يصل الى الماء فاستأذنت عبدك ان يوصل حبلى بحبله وأسقيت ابلى ومضيت فلما أبعدت فى المسير خرج على رجل يقال له دريد بن حرملة الفزارى ومعه جماعة من قومه بنى فزاره فأخذ النوق منى ومضى وقد أتيت اليك حتى تخلص لى نوقى من بنى فزاره لان اتصال الحبل بالحبل ذمام وما أعرف نوقى الا منك لانى بقيت جارك وفى ذمامك فقال عنتر أنت فى ذمامى وكفى ولك على كل ما ذكرت ولكن فى أى وقت أخذها منك فقال الاعرابى فى هذه الساعة وما أظن انه قد وصل الى بنى فزاره فعند ذلك قال عنتر بن شداد لشيبوب أخيه قدم لى الابجر فقدمه اليه مسرجا ملجما فنهض عنتر على ظهره فقال عروة يا أبا الفوارس تسير الى بنى فزاره ولم تعلم الملك قيس ولا تستأذنه والرأى انك لا تسير الا باذنه فقال له عنتر ما هذا الهذيان انما يستأذن الا الجبان فيا ويلك يا عروة كيف استأذن ولى هذه الابيات الحسان شعرا

تفندنى فيما ترى من شراستى * وشدة اقدامى زبيبة ولا تدرى
فقلت لها ان الكريم اذا خلا * يبيت على حال أمر من الصبر
وفى اللين جبن والشراسة هيبة * ومن لم يهب يحمل على المركب الوعر
وانى على أسد الشرى ذو جراءة * ولكننى قشر أذوب على القشر
فان تعذلانى تعذلا سيد العلا * كريم على الاعسار مستدرك اليسر
اذا هم ألقى بين عينيه عزمة * وصمم تصميم الجواد على الاسر

(قال الراوى) ثم انه ركض بالجواد وتبعه مقرى الوحش وكذلك عروة بن الورد وما زالوا مجدين الى ان لحقوا دريدا الفزارى والنياق بين يديه تساق فزعق عليه الامير عنتر زعقة عظيمة تفلق الحجر ونادى يا عرب انا عنتر بن شداد كيف انكم تغيرون على جارى وتأخذون أمواله وتقتلون رجاله وهو من جملة عيالى وماله من مالى (قال الراوى) ولم يعجل عليهم بالشر خوفا من عواقب الامر فعاد اليه مقدمهم دريد الفزارى وقال له يا أبا الفوارس اعلم ان هذه النوق قد أخذتها من رجل كنانى كيف انها لك وتكون من أموالك وتريد أن تلقى

الفتنة بين قومك وبين بنى فزاره وتثير كامن العداوة بين الامارة فقال له عنتر معاذ الله انتم الذين تريدوا أن تأخذوا مال من استجار بى وتحتقروا بى وتزدروا بنسبى فقال دريد يا أبا الفوارس نحن نمضى جميعا الى قاضى العرب ونجمع فرسان القبيلتين وشجعان الطائفتين فان حكم لك بها خذها بحق وان ثبتت لى أخذتها فقال عنتر أنا أريد أن أرد هذه النياق الى يد صاحبها فهى الساعة بحكمى كما كانت بحكمك وبعد ذلك أسير معك حيث شئت فان ثبت لك على حق دفعته اليك وان لم يكن لك فيكون مالى تحت يدى ولا أتركه لك وهذا شىء لا يكون أبدا ثم انه سلم النوق الى صاحبها فقال صاحب النوق يا مولاى أنا أخاف أن يقطعوا على ويأخذوها منى فقال عنتر سر أنت فى ذمامى الى ان أموت والقى حمامى فان عارضك فيها كسرى هدمت ايوانه أو قيصر قتلت رهبانه ونكست صلبانه ثم ان الرجل سار وقلبه مشغول بوعد عنتر وتبطن بها فى البر الاقفر وأما عنتر فانه أنشد وقال

ان جارى فاعلموا * ذاك من أدنى عيالى * وأرى ناقة جارى * مثل نوقى وجمالى
ان للجار علينا * رفع ضيم بالعوالى * كى يزور اللوم عنى * ان مال الجار مالى

(قال الراوى) ولما ان فرغ من شعره قال له مقرى الوحش لله درك ودر أبيك وبارك الله فيه وفيك فهذا ما كان من عنتر * وأما ما كان من دريد الفزارى فانه سار الى بنى فزاره وقد حلت به الخساره ودخل على حصن وقد أخبره بما قد جرى وقد زاد به النكد وفى عاجل الحال أرسل الى قيس رسولا يعلمه بما قد جرى ويأمره أن يحضر عنتر ويعاتبه على فعاله والا نرحل ونخلى لكم تلك الديار وان هذا ما يرضيك وتطفى هذه النار فتأمر عنترا ان يرد الى دريد النوق والجمال والا وقع بيننا وبينه القتال فلما وصلت هذه الرسالة الى الملك قيس اغتاظ غيظا شديدا وانفذ خلف عنتر فحضر وسلم فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس ما هذه الفعال تريد أن ترمى بيننا وبين بنى فزارة السيف والنساء ما خلة واعنهم ثياب الاحزان فان حصنا قد انفذ الى مع هذا الرجل يذكر ان صاحبه دريدا يشتكى منك وقال انه أخذ النوق من رجل كنانى وانت قد ادعيت بجواره فلم تدعى أنت بالباطل فقال عنتر والله يا ملك ما ادعيت بالباطل بل بالحق وهو جارى ومنى ومن قال انه ما هو جارى ارميه بالسيف أترضى يا ملك تخفر ذمتى وأنا منك واليك وأنت تملكنى كما أن حصنا الا يرضى لدريد أن يخفر ذمتى فقال قيس معاذ الله ولكن اخبرنا ما الذمام الذى بينك وبين الرجل لنعرفه ونعلمه فعندها قال عنتر يا شيبوب الحق الرجل صاحب النوق ورده فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب وما كان الا شىء قليل فأتى وهو متغير اللون فقال له عنتر لا بأس عليك اشرح للملك قصتك وأوضح له نوبتك فشرح له الذى جرى وكيف وصل حبله بحبل عبده ميمون واسقى ابله واتصال الحبل بالحبل ذمام والتماس الطنب بالطنب طنب فقال عنتر افعل ما بدا لك فعند ذلك ركب قيس واخوته والربيع بن زياد واخوته القوادون وسار عنتر معهم حتى وصلوا الى بنى فزارة وما زالوا الى ان أقبلوا على سرادق حصن فترجل الملك قيس والربيع وسار بنو عبس فلاقاهم حصن وبنو فزارة وسلموا على بعضهم البعض وجلس قيس والى جانبه حصن بن حذيفة والربيع واخوته فى الجانب الآخر وحضرت سادات بنى فزارة وسنان بن أبى حارثة ومنصور بن عقبة ودريد الفزارى والرجل صاحب النوق وقالوا لعنتر انزل عن جوادك للمحاكمة فقال أنا ما أنزل ولا أحاكم الا على ظهر جوادى ثم حكى الرجل صاحب النوق ما جرى فقالوا كلهم يا عنتر تعديت على بنى فزارة وليس اتصال الحبل بالحبل ذمام ولا فعل ذلك أحد بين الانام ولا من العرب الكرام وكان يقول هذا المقال والكلام لسنان بن أبى حارثة فقال عنتر وأنت تقضى بيننا والله انك خصم على كل حال وأنا أقسم عليك بذمة العرب وبشهر رجب لعل ما سمعت أن عامر بن لؤى جاز بديار قيس بن هودة يستقى الماء على البئر فأذن له باتصال الحبل بالحبل فأوصله واسقى ابله ومضى وبعد مضيه خرجت عليه رجال من العرب فأخذوا نوقه وجماله فرجع عامر بن لؤى الى قيس بن هودة وشرح له ما جرى وقال أنا فى ذمامك وما أعرف نوقى الا منك فسار قيس بن هودة ورد النوق الى صاحبها وقد لزمه مثل ما لزمنى وان قالت العرب بان اتصال الحبل بالحبل ليس بذمام فأنا أجعله من اليوم ذماما لانى من القوم الذين يلبون الصائح ويمدحون المدائح فان عارضنى على هذا معارض أخذت راسه وأخمدت أنفاسه ثم بعد ذلك رد رأس جواده وعاد فلم يجسر أحد أن

يعارضه ويكلمه فقال حصن بن حذيفة يابنى عمى اسمعوا الى فى هذه الفعال وماطلب عنتر بهذا الاحسن ذكرنا بين العرب فاشهدوا على أنى قد أجريت ذمامه وقد قبلت كلامه على ان هذه النوق مادخلت فى ماله ولا أخذها ولاطلب الاحسن الشيم وان كان يادر يديعملك هذا فخذ منى عوضها نوقا وجمالا ولاتقم الحرب بيننا وبين عمنا فابى در يدان يأخذ منه عوضها وكان حصن قد خاف أن يوقع الحرب مع عنتر فيبذل فيهم الحسام ولا يبقى منهم لاشيخا ولاغلام وقال ورجع عنتر وقد فاز بالذكر الجميل وكان معه الحرث أخو الملك قيس فقال عنتر للحرث أراد أخوك قيس أن أذل ابنى فزارة وهم عتقاء سيفى فقال الحرث لله درك من همام ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من الغلام مالك بن واقد فان الدنيا لم تسعه من شدة الفرح لما وصل سالما من عبر الزمن ومعه ثلثمائة ناقة وأربعون عبدا قد كسبهم من ناحية أرض اليمن فلما دخل الى أمه قامت اليه واعتنقته وبكت عند لقائه أشدما كانت تبكى عند غيبته لانها كانت أيست منه ولبست ثياب السواد حزنا عليه ولما رأته طفت علاقته نيران أحزانها وشكت له ماجرى فى أيام دهرها وزمانها وماعمل أبو الجارية فما التفت اليه ولاسأل عنه لان علو المنزلة يغير طبع الانسان ويلبسه من حلل التكبير الوان * هذا والغلام قد أخذ يسأل أمه عن ابنة عمه وماجرى بعده وقال لها فى آخر كلامه ياأماه أبصرت اليوم اعمى سرادقات وهيئة واهتماما ما كنت أبصرها قبل هذه الايام فقالت أمه وقد بكت ياولدى لان غيبتك قد طالت على عمك فزوج ابنته غيرك ثم ذكرت له قصة حصن بن حذيفة وماجرى له ولابى الجارية وكيف عاد من عنده بالخلع والمال والنياق والخيول وحدثت بالحديث الى آخره فلما سمع الغلام هذا الكلام غشى عليه حتى غاب عن الدنيا وانهمل دمعه وجرى ونزلت يده على أحشائه وقد خفق من شدة ذلك فؤاده وصار يقول واحسرتاه كيف ضاع تعبي والعنا فياليتنى نهبت فى أطراف القنا ولا عدت سالما من الاعداء على أنى وحق من رفع السماء ما أترك ابنة عمى تخرج من الاحياء حتى أتقطع بشفار السيوف وأبقى طريحا على البطاح فقالت له أمه وقد زادبها البكاء خوفا عليه من القتل والله يابنى ما بقى لك الى الجارية سبيل مادام انها قد تزوجت بهذا الملك الجليل وان أنت حركت من اجلها ساكنا هلكت لانك رجل غريب وحيد فقير قليل السعد خائب الامانى وحصن بن حذيفة ملك كبير والصواب عندى انك تسلو عنها وتتزوج بغيرها من البنات وأنا والله أزوجك بأحسن منها وأوفى قيمة ولاتعدمنى شخصك وتدعنى أبكى عليك الليل والنهار فقال الغلام والله لا أتزوج بغيرها أبدا ولا أشمت بى أحدا من الاعدا ولابد لى عند الصباح أن أمضى عند خليلى عنتر بن شداد الذى من أجلى أدن اباها وأعطاه الذمام وانزله فى هذا المكان والبلاد واحدثه بقصتى واشكو اليه مصيبتى فان هو نصرنى على هذا الظالم الغدار والاهمت على وجهى فى البرارى والقفار ولا ارجع اذكر نوارا حتى اموت منفردا عن الاهل والجوار ثم انه بات تلك الليلة يتقلب على الفراش يمينا وشمالا ويلح على امه فى السؤال وهى تكرر عليه ماجرى وتخبره ان نوار غير طيبة القلب بهذه الفعال وانها تبكى عليه فى الخلوات وتذكره فى سائر الاوقات وهو كلما سمع كلام امه زادبه الطمع وكف طرفه ودمع وكلما طال عليه الليل يجرى دمعه على خديه كالسيل ويعاتب امه ويشير عليها ويقول صلوا على طه الرسول

عليــــنى ياأم بالتـــذكار * واطفئى للجوى بذكر نوار * واذا الدمع خاننى فاسعفينى
بدموع من مقلتيــك غزار * طال ليــلى وقد تيقن قلـبى * انى لا ارى ضـــياء النهار
ليتـنى مت فى بلاد الاعادى * او قتيلا بالسيف تحت الغبار * ياحمام الاراك كن لى معينا
مسعدا بالحنين فى الاسحار * اسعدينى اذا تنوحى بليــل * للمعنى الحشا البعيد المزار
فدموعى تروى الظما وتطفى * ما اكنتــه من لهيب النار * جار عمى ظلما ولم يبد عذرا
خاب ظـنى فى الظالم الغدار * وتعدى وجار بالشؤم جورا * قد يؤدى الى خراب الديار

(قال الراوى) ولم يزل على مثل ذلك حتى طلع الصباح واشرق فى الاقطار ولاح وركب وسار الى جهة عنتر فلما وصل اليه ودخل عليه فى المضرب وهو من الهوى يتحسر ويتلهب فلما رآه سلم وخدم واراد ان يشكو حاله

اليه فسبقه الدمع وجرى على خديه ولما ابصره عنتر عرفه وهناه بالسلامة وترحب به فرأى دموعه جارية وحسراته متتابعة فسأله عن حاله فباح بأسراره وحدثه بقصته وماتم له من أوله الى آخره وقال له فى آخر الكلام ياأبا الفوارس ماشكوت اليك أحوالى الا وقد أشرفت على الهلاك وما أقاسى من ألم الهوى وتباريح الجوى فلما سمع عنتر هذا الامر ضاق صدره ونفد صبره وسب حصن بن حذيفة وبنى بدر وأبا الجارية كيف مالت نفسه الى كثرة المال وقال عنتر لمالك طب نفسا وقر عينا فأنا آتى بها اليك وأزفها عليك وان حرك حصن ساكنا أسقيته كأس حمامه ثم أحضر له شيأ من الطعام وترفق به فى الكلام وطيب قلبه ثم ان عنترا احضر مقرى الوحش وعروة وجماعة من الرجال الذين يعتمد عليهم فى المقال وطلب بذلك أن يأخذ رأيهم فيما يفعل فلما حضروا ورأوا الغلام قد عاد سالما سلموا عليه وسألوه عن حاله وما الذى جرى له فحكى لهم عنتر ماجرى بينه وبين عمه وكيف غدر به وزوج ابنته الى حصن بن حذيفة ثم ان عنترا شاورهم عما فى ضميره وقصده فقال له أبوه شداد والله ياولدى ماهذه الا قصة مشكلة وربما تكون عاقبتها غير محمودة مهملة لاننا ان أحضرنا أبا الجارية وعاتبناه على فعله ضيعنا ما عملناه من الجميل كما تعلموا ان الرجل صعلوك وقد وقع لبنته على ملك من الملوك وربما احتج علينا ويقول ان ابن اخى قد طالت على غيبته وأيست من قدومه والبنت مالها الا الزواج وربما يحتج علينا بذلك غاية الاحتجاج وان أخذناها غصبا اقاموا علينا الغارات ووقعت الفتنة بين بنى عبس وبنى فزارة ويصير الناس كلهم علينا ويقول حصن ان عنترا سبى زوجتى وأخذها من بين أيدينا وأعانه الملك قيس على حربنا ونبتلى بشئ لانطيقه ولانقدر ندفعه عنا وينفتح علينا باب لا يسد وهذه الامور التى تجلب الشر ما يطار عنا عليها أحد وان بلغ أبا الجارية اننا قد أنفذنا من أجل ابن أخيه رجلا الى بنى فزارة وأخذ الجارية فانه يلتجئ الى حصن بن حذيفة ونبقى نحن ماننتصر لهذا الغلام على نصرة ولانجلب لقلبه فرحة وهذا الامر لايخلو من هذه الوجوه وانى قد شرحت لكم شيأ تعرفوه * قال فلما سمع عنتر من أبيه هذا الكلام زادبه الغيظ وقال ياأبت وحق من أرسل الاعلام ويعلم ما تخفى الصدور والاوهام وأحصى عدد الليالى والايام لاكسرت قلب الغلام ولآخذن له ابنة عمه ولوسار بها أبوه على ظهر الغمام وها أنا صابر ولا أتحرك بحال من الاحوال ولا أطلع أحدا على هذه الاعمال حتى يتجز أمر هذه الجارية وتزف على حصن ولا يبقى كلام فعندها أخرج أنا وآخذها من الطريق وكل من مانع عنها حلقت رأسه بهذا الحسام واذا صارت فى خيامنا منازعة فيأتى كل من فى الدنيا يأخذها منى ويعرف أحواله وماتكون ومن هو الذى يخسر ومن هو الذى أمره يهون وعندها قال لهم عنتر لما كنت أنا وأنتم فى دعوة أبى الجارية وذكر لنا انه زوجها لهذا الغلام من قبل مضيه وانه قد توجه يأتى بمهرها وأخذها لأى شئ يغدر به ويمنعه عنها فقال الحاضرون بلى والله ياأبا الفوارس كان ذلك من غير ريبة ولاخيفة ولكنه غدر لما وقع له مثل حصن بن حذيفة وطلب كثرة المال وعلو الجاه وأمل انه اذا صاهره يعيش تحت عزه (ياساده) فقال عنتر ان كان قصده المال فانا أعطيه كل ما يريد وان كان قصده الجاه فانا أحميه بسيفى هذا من كل من لبس الحديد وان كان غدر بابن أخيه من غير سبيل فانا أعيده على الحق ان أرادوا ان لم يردوا وأكثر ما يقول لى الملك قيس ارحل عن أرضى وافعل أنت وغرماؤك ما تريد ثم انهم قضوا بقية ذلك اليوم بشرب الراح وتناول الاقداح فلما كان عند الصباح قال عنتر لمالك عد أنت الى أبياتك ولا تسكن بهذا الامر نادما ولا تقبح لى عمك فعاله ولا تظهر لاحد انك صعب عليك أعماله واذا كان يوم الزفاف وأبصرت بنى عمك قد اشتغلوا بامورهم فاتركهم وهم مشتغلون فى فرحهم وسرورهم وائت بأمك وكل أموالك الى ههنا وابشر بعد ذلك ببلوغ المنى فباس الغلام يده وصدره وشكره على قوله وقد انجبر به كسره (ياساده) وبعد ذلك بأيام تنجز أمر الجارية وانقضى الاجل وأنفذ لها حصن الهوادج وأيضا أنفذ أعلم الملك قيسا واخوته والى الربيع بن زياد وعشيرته يعلمهم بقصته ويسألهم أن يشرفوه ويحضروا وليمته فعجبوا من ذلك وقال الربيع ماهذه الفعال فحصن ما كان فى نسائنا ونساء بنى فزارة من يرد حصننا عن هذه الاحوال حتى يتزوج من هؤلاء الكنعانيين ويخالطهم بانسابنا ويجعل أحسابهم متصلة باحسابنا

فقال الملك قيس يا ربيع لا تستقبح هذه الامور ومعانيها لان حصنا على كل حال صبي وربما يكون أبصر الجارية اتفاقا فهوى بها ثم تجهز في ساعة الحال وسار هو واخوته وجماعة كثيرة من عشيرته وعرضوا على عنتر ان يسير هو واعمامه فما اجابوا الى ذلك لان عنتر عازم على ما قدمناه من أموره ومرامه فقال الملك قيس انني أخشى من الامور الحادثة وأنا اعلم ان بغضتي لا تزول من قلب حصن وسنان بن أبي حارثة ولا أشتهي أحضر مع من لا يريدني طول زمانه ويكرهني ومن حاله يريد أن يطردني فعذره قيس وانطلت عليه تلك الوسيلة وسار الملك قيس الى بني فزاره وولده زهير امامه في جماعة من فرسانه والكل بالثياب الملونة من الديباج المعلمة بالذهب الوهاج (يا ساده) فلما تمادى بهم المسير ولم يعلموا بعدهم ما تحدث به المقادير نخرج بعد ذلك عنتر وكمن خلف الحي في جماعة من الذين التجؤا اليه وقال لابيه شداد واعمامه اعلموا ان هذا الامر الذي عولنا عليه اذا نحن فعلناه ما يبقى لنا في هذه الارض مقام فنريد أن ندبر أنفسنا فيما عزمنا أن نفعله من المرام لان بني فزارة والربيع بن زياد ناس كثير والاجاج واذا أبصروا فعالنا يفعوا علينا وكذلك الملك قيس وحصن بن حذيفة ربما انهم أرادوا ان يوصلوا الاذية الينا والرأي عندي اننا نرحل بالمال والعيال بين أيدينا وأمر العبيد أنهم يبعدوا في البر بالجميع ونبقى نحن على ظهور الخيل مختفين منتظرين لما يأتي الينا سريعا الى ان تزف العروس وتقدم الى بني فزارة تطالع نحن ونأخذها ونلحق أهالنا وكل من لحقنا أنزلنا عليه الذل والخساره حتى لا نكون قد نزلنا قوما في أرضنا ولا يقال عنا اننا استبحنا حريمهم واذا ملكنا الجارية في أيدينا نزلنا على بعض الاماء وزففناها على ابن عمها ولانه وحتى لا يقبل الملك قيس له حجة على حصن اذا عتب عليه في ذلك الامر ويقول يا ابن العم ان الذي فعل هذه الفعال قد خرج من تحت طاعتي وعصاني في كل الاحوال فدونك واياه وجد في طلبه من غير تقصير وان ظفرت به افعل به ما تريد (قال الراوي) فلما سمع منه أعمامه هذا المقال أطاعوه وعلموا انه صواب واحتاجوا أن يتبعوا رأيه فيما أبدى لهم من الخطاب ولا يقيموا بعده في الديار فتغدر بهم بنو فزاره ويقطعوا منهم الآثار فقال لهم شيبوب والله يا بني الاعمام هذا هو الرأي الصواب والامر الذي لا يعاب واني أردت أن أشير عليكم بهذا الكلام فسبقني أخي اليه وان كلامه هو المعول عليه ثم انهم بيتوا أمرهم على ذلك الحال وأخذ شيبوب المال والعيال ورحل بها في الليل وجعل ينهب الارض نهبا الى ان وصلوا الى مكان يقال له مسارح الظبا وكان معه مائة فارس وبقية الابطال وهم أربعمائة فارس من الرجال الشداد لاننا قد ذكرنا قبل في هذا الديوان ان بني قراد عددهم ثلاثمائة فارس أنجاد وهم أبطال أقيال شداد وكانت رجال عروة مائة فارس وانضاف اليه عند مجيئه مائة فارس (قال الاصمعي) وعند الصباح وصل اليهم ذلك الغلام الذي هو مالك بن قادم الذي طلعت من تحت رأسه هذه الامور العظائم فسأله عنتر عن الزفاف فقال له يا مولاي قد نجز الامر وما بقي فيه خلاف وما خليت القوم الا على نية الرحيل عازمين بالعروس على الجد والتعويل وقد وصل اليهم سنان بن أبي حارثة ومعه خمسون فارسا من بني فزارة احترزوا من أمور تكون عليهم حادثة والكل بالسلاح الكامل يريدون بذلك الزينة وأما العروس فقال له عنتر اليوم أصبحهم صباحا منحوس وأشتتهم في البراري والقفار وآخذ منهم العروس ومن عصى قتلته وأنزلت به العكوس (يا سادة يا كرام) ثم ان عنتر اختفى أضحى النهار وعلم ان القوم قد انفسحوا في القفار فركب هو ومقري الوحش وعروة بن الورد ومن معهم من الرجال الذين هم مدخرون للشدائد والاهوال الذين قدمنا ذكرهم قبل هذه الاحوال وكانوا خرجوا كلهم يطلبون الصيد والقنص وهم يؤملون انهم يبلغون ما يرتجونه من الفرص الى ان بعدوا عن ديارهم في البر والقفار فعندما لبسوا السلاح ومدوا صدور الزرد وتستروا بلواب الحديد المنضد ركضوا على آثار بني فزاره وهم يريدون ان يأخذوا منهم العروس ويوقعوا بهم الذل والخساره فلحقوهم وقد بقي بينهم وبين ديارهم فرسخ طريق وكان سائرا في المقدمة من غير تعويق ومن خلفهم الهوادج والنياق ومن حولهم العبيد بالدرق الصفاق والسيوف الرقاق والرماح الدقاق وأقبلت الدنيا من فرحهم بالصياح والزعاق والجارية نوار جالسة في هودج مجلل بجلاجل الابريسم الاخضر وكذلك الهودج قوائمه من العرعر وهو مصفح

بصفائح الذهب الاحمر ومكلل بالدر والجوهر وهو على بعير أحمر أسود الحدق طويل العنق وهو مخطم بخطام من حرير ابريسم وذلك الزمام بيد عبد أدهم أدغم والجارية من داخل الهودج باكية حزينة على ابن عمها ومن حولها أقاربها وقومها وهم بالزينة الفاخرة والحلل الظاهرة وهم بالعدد الكاملة والزينة الشاملة وهم يطردون في تلك البطاح ويتطاعنون في مسيرهم بالرماح وقد أكثروا الفرح والصياح (قال الراوي) لهذه الاقوال الصحاح وكان حصن بن حذيفة قد لبس ثيابا جميلة وتطيب وزين أحواله وركب على مهرة أبيه الغبراء وهي بمركب الذهب والاعلام على رأسه تلتهب والفرسان من حواليه دائرة وهم يرقبون الى حضور العروس ووصوله فلما أبصر عنتر الى تلك الاحوال قال لعشرين فارسا من أصحاب عروة الابطال دونكم وهؤلاء العبيد افرشوهم على وجه الصعيد وابذلوا فيهم السيوف واسقوهم شراب الحتوف وسوقوا العروس هي ومن معها من الاماء والحقوا بأخي شيبوب الى مسارح الظباء ودعونا نحن نرد عنكم الخيل واذا عادت نهبها انهبا ففعل ذلك رجال عروة حتى قاربوا العبد القائد بزمام ناقة العروس ضربه أحدهم على عاتقه بالحسام البتار واذا برأسه عن جسده قد طار وقتل أصحابه جماعة من العبيد وهرب الباقي في جنبات البر والبيد وتقدم مالك بن قادم وأخذ بزمام ناقة بنت عمه وقد زال عنه همه وغمه وسار وتبعه باقي الرجال الاخيار وساقوا النوق والاماء والهوادج ومن فيها من النساء الاحرار (قال الناقل) لهذه الاخبار فعندها بلغ الخبر الى سنان بن أبي حارثة من العبيد بهذه المصائب الحادثة فظن ان الذي فعل هذه الفعال خيل غائرة فحركوا الجنائب لينظروا من أين أتتهم هذه المصائب ثم انهم هزوا بأيديهم عوامل الرماح وجدوا الى ان تقاربوا ووقع بينهم الصياح فتقدمهم سنان فعرف عنتر بن شداد وعرف الذين بصحبته من بني قراد وكذلك رجال عروة الاجواد فوقف سنان وقال ما هذه الاحوال يا بني الاعمام سكارى أنتم أم عقولكم قد اختلت أو أنتم في منام يا ويلكم تسبوا حريم حصن وساداتكم في وليمته وتجددون الدماء بين القبيلتين وتحوجونا الى الاثر واقامته وهذا ما نريده منكم وأنتم تعلمون ان النساء الى الآن ما خلعوا عنهم ثياب الاحزان فقال عنتر نحن ما نسبي حريم أحد يا سنان ولا فعلنا هذه الفعال الا لاجل أبي الجارية الذي ظلم وفعل بئس الفعال وزوج بنته لابن أخيه مالك وتدشد على نفسه بذلك وذكر انه قد غدر به واشمت به أعداه وذلك لما أتيت أنا به وأنزلته في جواري وأمن هو وقومه اسكونهم أقاموا في دياري ومضى الغلام يتسبب في شيء يرضي به عمه من غير علي وكان ذلك حظي وقسمي وقد أتيتم أنتم وفعلتم هذه الفعال ورغبتم أبا الجارية في وزن المال وتزوج بها حصن وطلب بذلك ارغامي وهذا شيء ما أتركه يتم علي من أعطيته ذمامي ولابد لي أن أعيد السيف الى قاربه وأعطي الحق الى أصحابه وأقابل الظالم على فعاله ومن ركب على غير طريق الحق جازيته على أعماله بهذا الحسام ليرجع الى طريق الحق والانصاف فارجع أنت يا سنان ودع عنك كثرة الفضول والا عدت وأنت مرغوم مذلول (قال الراوي) فلما سمع سنان هذا المقال حار والتهب ولحقه الانبهار وخاف أن يطول في المقال فيقتله عنتر قتلا وكتم أمره حتى كأنه ما علم بالخبر وقال له يا ابن العم أنت وشأنك أخبر ونحن ندعك يا أبا الفوارس تكون في هذا الامر محكما حتى اذا رأيت عاقبته مذمومة ورأيت أنت نفسك في الخطر تندم حيث لا ينفعك الندم لانك قد أغضبت القبيلتين اللتين أنت منهما وفعلت هذه الفعلة التي كنت غنيا عنها وأرضيت رجلا غريبا وأقمت الفتن واني أخشى عليك من هذه المصائب والمحن (يا سادة) فقال عنتر يا سنان وحق ذمة العرب وفضائل شهر رجب والرب الذي اذا طلبه كل العباد غلب ما يحل الندم الا بك وبقومك أجمع اذا أنتم وقعتم في ملاقاة الاسد الادرع أما أنت شاهدت وقعاتي في بني فزاره وما فعلت فيهم من العبر وكم مرة رددتها باذيال الخساره وكم أهلكت منهم من فرسان وما فيكم من قدر على سيف ولا سنان ومتى رفع لكم بنو العرب رأسا يا أخس الاجناس ويا ابن ألف قرنان ثم انه من شدة الغيظ الذي نزل به أشهر الحسام وهم أن يهوي به اليه فلوى سنان عنان جواده وطلب العودة من غير خصام وعادت فرسان بني فزاره وعاد عنتر وقد أشفى فؤاده بالكلام وأما أبو الجارية فانه خاف أن يرجع الى بني فزارة فيحل به ما حل بهم من الخساره فجمع أصحابه وتقدم

الى بين يدي عنتر وبكى واشتكى وقال يا أبا الفوارس لا تظن انى فعلت هذه الفعال وانما انا غضبت عليه فانفذ الى حصن يقول لى ان لم تزوجنى بنتك والا اخذتها غصبا لانى صاحب هذه الارض والوادى والقوم الذين أنت نازل عليهم هم عندى وفى بلادى وكان أيضا ابن أخى قد سافر وطالت غيبته وقد أيست منه وخفت من اثارة الفتنة من جهته وأنا رجل غريب عن الاوطان فزوجته الجارية لعل أن تنطفى هذه المحن والآن ابن أخى أحب الىّ ما دام قادرا على حمايتى وهو أحق بابنتى من غيره فقبل عنتر عذره وفعل معه فعل الرجل الكريم وقال له الحق أنت وقومك بالهودج والحريم ولا تخف من كل من فى الارض ولا من ملوك سائر الاقاليم (يا ساده) فعاد سريعا يركض خلف الهودج والنوق وقد رأى من عنتر ما لم يره من مخلوق وعنتر يقول لابيه وأعمامه كان الصواب القبض على سنان أو قتله لانى اعلم انه يعود الى بنى فزاره ويعلا قلوبهم علينا ويحثهم على النفور الينا ثم انهم ساروا وقد بلغوا المقصود وأملوا انهم يرزقون النصر من الملك الودود (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر سنان بن أبى حارثة فانه لما فارق عنتر اركض وجد فى المسير مقدار فرسخ وهو سكران من شدة الغيظ ولم يزل حتى أشرف على بنى فزاره فرأى حصنا وهو راكب على حجرة أبيه الغبرا وعليه كاذكرنا حلل الجمال وحوله موكب كبير من الرجال وقد تباهى بالزينة والملبوس وقد ظهر الى خارج الخيام فى انتظار العروس وفرسان بنى فزارة عن يمينه وجماعتهم خلفه والربيع بن زياد وجماعته عن شماله وهم فرحون ببلوغ آماله ولما رآهم سنان وقرب منهم صاح وصار يقول اركبوا يا سادات العرب فقد ذهبنا وتعدى علينا هذا العبد الانكد فالعجل العجل قبل ما يبلغ منا هذا العبد ولد الزنا الامل (قال الراوى) ومازال على مثل هذا الحال يكثر العتب والمقال حتى انه صار مع القوم فتبادروا اليه وسألوه عن حاله وما دهاه فاعاد عليهم ما فعل عنتر وكيف أخذ العروس وتجارأ على هذا الامر المنكر ولما انتهى مما أعاد عليهم من تلك الاقوال القباح تبدلت أفراح القوم أتراح وعلا من الرجال الضجيج والصياح وأما حصن بن حذيفة فانه غاب عن الوجود وانصعت من شدة الغيظ المكبود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وأما الربيع بن زياد فقال لعن الله الاصل المفسود لانه ابد الدهر لا يرتفع ولا يسود وأبصر الملك قيس ما جرى على حصن فطيب قلبه وخفف عنه ما اعتراه من كربه وقال وحق ذمة العرب ان هذا الولد ابن زنا وقد عدل عن طريق الاستوا وما بقى له بعد هذه الفعال الا السيف دوا ثم انه استشار الربيع فيما يفعل حتى ينظر ما يبديه من كلامه فقال له ما فى الامر الا اننا نعود الى الحلة حتى اننا نطبق على هذا الولد فى خيامه ونقبض عليه ونبدل بالذل اعزازه ونضرب من هؤلاء الكنانيين خمسة رؤس ونرد بعد ذلك على حصن العروس وبعدها وأنت الحاكم على هذا العبد الشرير ان شئت تدعه عندك أسير وتجعله دائما يطحن الحنطة والشعير وان شئت أبعدته ونفيته عن الحلة وتترك فرسان العرب تقصده وتأخذ ما لها عليه من الدماء أو يرجع اليك ويلزم ما كان فيه من رق العبودية او يتوب عن فعاله الردية فقال الملك قيس هذا هو الصواب ثم وعد حصنا بما دار بينهم من الخطاب ثم ان الملك قيس عاد الى حلته وفى قلبه لهيب النار ومازال يفكر فيما يفعل حتى انهم أشرفوا على الديار فرأوها من عنتر بلاقع بلا قائل ولا سامع فقال الربيع هاقد عرف الاقران ما يجرى عليه قبل أن نقربه وحسب الحساب قبل ان نحسبه ﴿ وما بقى فى الامر الا اننا نرسل الى حصن نعلمه بهذا الحال وندعه يطلبه بكل ما يقدر عليه من المواكب والابطال ثم انه ارسل بعض غلمانه الى حصن يخبره بهذا الخبر ويقول له يا ابن العم اعلم أن دمه لك حلال ومباح ونحن نعينك عليه بما نقدر عليه من الرجال والسلاح ولما وصلت هذه الرسالة الى حصن زاد بلاؤه وهانت عليه الآجال ولطم على وجهه وقال لسنان يا عماه انظر ماذا تعمل معى والا انقطع من الدنيا مطمعى فان هذه الجارية ان لم تأتنى ذاب جسدى وتفتت كبدى فقال سنان والله يا ولدى ان فى قلبى من الهم أقوى مما فى قلبك من هذا العبد ولد الزنا وان لم احرص على هلاكه عند قلة ناصره مت كمدا ولا يدرى بموتى احد لانه رجل فى دون المائتين فارس ورأيته سائرا الى ناحية مسارح الظبا وقد رحل رحيل من لا يرجع وما دام قد تخلى عنه قيس فانى عند الصباح أسير خلفه بجمع من الرجال وارغم انفه لعلمنا انكاثره ونذيقه الوبال ونسبى حريمه ثم انه

نادى بين الخيام والاطناب وامرهم بأخذ الاهبة للطعان والضراب وبات حصن فى نار الالتهاب فلما كان عند الصباح ركب واعتد للكفاح وخرج خارج الخيام وفى دون ساعة عقدت على راسه الرايات والاعلام ودارت به الرجال من كل جانب ومكان ولحق به كل بطل همام وسار سنان فى المقدمة وهو طالب الى مسارح الظبا وقد تكاملت الجيوش اربعة آلاف فارس من كل مدرع ولابس كأنهم الاسود العوابس هذا وحصن سائر امامهم وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ضنانى العشق يا سادات بدر * فقكوا بالسيوف وثاق أسرى * أعينونى ببيض مرهفات
وأطراف من اللحظات سمر * أتسبى زوجتى وأبى وجدى * وتخشى العار فى سهل ووعر
فواعجباه كيف يذل مثلى * خسيس الاصل عبد غير حر * ويملك ظبية رشقت فؤادى
بسهم لواحظ كحلت بسحر * فتاة فى القلوب لها لهيب * يذوب له الحشا من غير جمر
سأترك فى ديار بنى قراد * عويلا دائما فى كل فجر * على العبد الذى أضنى فؤادى
وأسهر مقلتى وأطال فكرى * فان صدتنى الايام عنه * وجال بسيفه فى آل بدر
طلبت الموت بالسمر العوالى * كما قدمات قبلى كل حر

(قال الراوى) وساروا يقطعون الارض ركضا وأى ركض ويجيبون ها رفعا وخفض على ذلك الترتيب وقلوبهم تغلى بالمصائب والاحقاد على عنتر بن شداد * قال وكان عنتر لما ملك العروس وسلمها الى ابن عمها وعاد عنه سنان سار وهو يسوق الهوادج والمال والحريم والنساء حتى وصل الى أخيه شيبوب وقت المساء ونزل فى أرض مسارح الظباء وطابت قلوبهم على بنى كنانة وعادوا الى ما كانوا عليه من الذمام والامانة وفرحت الجارية بابن عمها وقد زال عنها همها وغمها وتكلم أبوها فى زفافها فقال عنتر ما هذا محل نتهنى فيه بأعراس ولائم ولا نقدر على المقام فى تلك الاطلال والمعالم لان بنى فزارة عن قريب يغزونا وسنان بن أبى حارثة يجمع الجموع علينا والصواب اننا نبعد عن هذه الديار ونبطن فى فلوات القفار ونفعل بعد ذلك ما نحب ونختار ولكن ما نرحل من ههنا حتى نكسر خيلهم ورجالهم ونبدد ابطالهم واقيالهم ونرد فرسان بنى فزاره وهى معلقة باذيال الخساره لانى أنا اعلم انهم عند الصباح يكونون عندنا لانى أعرف حماقة حصن ولجاج سنان لانهم يطمعون فى انفرادنا وقلتنا ولابد لى أن أؤثر فى بنى فزاره أثر واتركهم فى أذيال الخسارة والعبر ثم انه رتب عروة بن الورد وعشرين فارسا للحراسة من الطارق والوارد وسار هو الى بنت عمه عبلة وبات عندها حتى مضى الليل واذا قد طلعت عليهم نواصى الخيل لان المسافة كانت بينهم قريبة وكان سنان سار فى بنى فزارة ذلك اليوم وأرفق فى المسير حتى تلاحقت بهم الفرسان ولما كان وقت المساء امر الناس بالنزول والراحة الى وقت السحر ورحل فوصل الى مسارح الظباء عند الصباح وعند وصوله ارتفع من أصحابه الصياح ولمعت الاقطار من بريق الصفاح فعرف عنتر حقيقة الحال وقال هذا الحساب الذى حسبته واليوم ألحق حصنا بأبيه وأعمامه وأعرفه كيف يكون على قومه شؤم طلعته ثم انه ركب على ظهر مهره كوكب بن الابجر وكان قد لبس الدرع وتقلد بسيفه الضامى الابتر واعتقل برمحه الكعوب الاسمر وقال لفرسانه الذين كان يعتمد عليهم دونكم يا بنى عمى وهؤلاء الانذال القليلى الخبرة بأمر القتال ولا تطعنوهم الا بأعقاب الرماح لان دماءهم علينا حرام لما بيننا من حرمة النسب والذمام ولكن عرفوهم قدرهم واقبلوهم على بغيهم وغدرهم ثم انه حمل على ظهر مهره كوكب وزعق فيه فاشتعل والتهب وطار بلا اجناح ولا ملل ولا تعب ودعس فيهم دعس النمر الاغلب وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

أنا البطل الندب يوم الكرب * اذا نشط القوم طعن القضب * أشط الرماح انحر النحور
وأغمد فى الهام بيض الشطب * وأرعى لجارى حق الجوار * وأردى العدو رهين الترب
ترومون ظلمى بأفعالكم * وشرط الظلوم عناد العرب

وان لم أخلي الهيجانها * فلست ابن شداد شجاع العرب

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من انشاده حمل وتبعه مقرى الوحش وعروة بن الورد وجملة الرجال الذين كانوا معه وفى ساعة الحال اختلف الطعن واشتد القتال وعرف الادبار من الاقبال وعظمت الرواجف من شدة الزلزال وطاش العقل وزال وبطل حكم البراح والنزال وصار مهر عنتر يهمز من تحت الغبار كهمزات الغزلان ويسطو عليهم حتى انهم طلبوا منهم الانفصال وعنتر يطعن فى خواص الرجال ويعدد الابطال على الرمال ومازالت الطائفتان فى القتال حتى عول النهار على الارتحال فعند ذلك انهزمت بنو فزاره وعادت تعترف بأذيال الذل والخساره لانهم أبصروا عنترا بين أصحابه يطعن بأعقاب الرماح فى القتال فعلموا انهم ما خطروا له على بال فتقطعت لذلك ظهورهم واحتاروا فى أمورهم وعلم حصن بن حذيفة بتقصيرهم فأيس من العروسة وكاد من شدة ما جرى عليه أن يهلك نفسه وهم أن يخرج من تحت الاعلام ويقاتل مع الفرسان فى الصدام فمنعه من ذلك سنان وخاف أن يصيبه عنتر فينزل به الهوان فقال له يا ولدى اصبر ولا تخاطر بنفسك فيهلكك هذا الشيطان ودعنا نصادم هؤلاء الشياطين الى وقت المسا ونبايتهم الى غداة غد وترى ما أفعل بهم من الذل والاسا لاننا لما أقبلنا عليهم علمت انهم يقصرون عند مقابلة عنتر وان لم تبسطوا عليهم لا ننصر ولا نظفر وأنا ما سرت بهذه العساكر اليسيرة الا تبعا لغرضك حتى اننا حلت بنا من العبد هذه الامور الخطيرة وانى قبل مسيرى أرسلت الى بنى عمى هاشم بن حرملة وأوصيته أن يلحقنا بمن يقدر عليه من فرسانه المحجلة وأقول انه يدركنا عند الصباح واذ بقينا على ما نحن فيه مع هؤلاء القوم من الحرب والكفاح فالزم أنت ناموس الملك وقم تحت الاعلام ودعنا نحن نبذل المجهود فى هؤلاء الاوباش اللئام (يا ساده) ولما فرغ سنان من هذا التدبير والمرام قال له رجل من قومه يقال له أبو حامد يا سنان ومن يقدر أن يقيم الى غداة غد وحق القديم الماجد ان أقمنا الى غد ما يبقى منا ولا واحد ولا يقدمنا الا بطل لا يخاف الفحول ولا يثبت بين يديه الا من يصبح أسيرا مذلول والصواب انه نطلب منه الامان ونترك له العروس ونعود والا محق عددنا هو ومن معه من هؤلاء الابطال والجنود ولا سيما هؤلاء الرجال الذين لم يخطر لهم الموت على بال وكل واحد منهم يعد بفرسان وقبائل فقال له سنان أذل الله رقبتك يا أبا حامد ما أخبثك فلا نجوت من الشدائد ولكن وحق الرب القديم الواحد لا رجعت عن هذا الامر حتى أبلغ ما أنا قاصد وسترى بعينك وتشاهد ثم انه صاح فى الرجال وحثهم على القتال فقاتلوا حتى غسق الظلام وأذن النهار بالانصرام فرأوا فى ذلك الوقت من عنتر طعنات تحير الافكار وتذهل الابصار وبقوا لم يعرفوا ما يأتى لهم من الاخبار فولوا الادبار وطلبوا منازلهم والديار وقد الهبهم عنتر بالطعن والضرب وعروة بن الورد ومقرى الوحش قد فرقهم شرقا وغرب ونجا حصن على فرس أبيه الغبراء وقد غاص فى البيداء وهو لا يصدق بالنجاة ولا أن يرى روحه سالما من الاعداء (يا ساده) وكان قد انجرح جماعة كثيرة من بنى فزاره وبقوا مجروحين على وجه الثرى وباتوا فى تعب من أثر الرماح فأخذهم بنو عبس أسرى وعادوا عند المسا وهم يتباشرون بالنصر وقد أمنوا من الغلبة والقهر وعنتر بين أيديهم كأنه الأسد الهلول وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

اذا قنع الفتى بذميم عيش * وكان له اختفاء كالبنات * ولم يهجم على الاسد الضوارى
ولم يطعن صدور الصافنات * ولم يخش النزيل اذا أتاه * ولم يرض الكماة بنى الكماة
ولم يكسب بضرب السيف مجدا * ولم يك صائلا فى النائبات * ويحمى عن حمى الجيران جهدا
ويروى الرمح من دم العداة * فقل للناعيات اذا نعوه * ألا فاقصرن فعل الناعيات
ولا تندبن الا ليث غاب * همام فى الحروب الثائرات * دعونى للحروب اذا ألاقى
فوت العز أطيب من حياتى * وأضرب بالحسام اذا تنادت * أسود الغاب عند الضائنات
لعمرى ما الفت لكسب مال * ولا يدعى الفتى من السراة * سوى ان كان يدرى الضيق يوما
ويطعن بالرماح الذابلات * ويقتحم العجاج ولا يبالى * ويضرب بالسيوف القاطعات

ويذكر فى الحروب اذا تنادت * حماة الحرب تصرخ بالحماة
فذاك الذكر باق ليس يفنى * مدى الايام من ماض وآت

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمعت السادات من عنتر تلك الابيات والانشادات طربوا لها غاية الطرب وما فيهم الا من قوله وفعله تعجب ولما رجعوا وقربوا محل القرار جمعهم عنتر للمشورة فى الاقامة أو الرحيل من تلك الديار وقال لهم يا بنى عمى الذى أشير به عليكم ان هذا منزل لا نقدر على القيام فيه ولا لنا عيش هنى لان سنانا لا يغفل عن غزونا ويعاند فى أمورنا والصواب أننا نرحل من هذه الارض ونتحصن ببعض الجبال حتى نكون آمنين على الاهل والعيال والاموال فقال شيبوب ارحلوا بنا عند الصباح الى جبال بنى غزية وأقيموا فى تلك الجبال الحصينة العالية لانها جبال طيبة المساكن خصيبة البقاع والاماكن وما لنا هناك جار سوى دريد بن الصمة وقومه بنى جشم وبنى سليم وبنى هوازن وان القوم مسافتهم عنا مسيرة يومين وأنا أعلم يا أخى أن دريد بن الصمة اذا سمع انك رحلت من بنى عبس وعدنان وأتيت الى ههنا ونزلت فى هذا المكان فيأتى اليك ويسألك ان ترحل معه الى أرضه وتقيم عنده وعند بنى هوازن وذلك يكون زيادة فى جاهك بنزولك فى جواره فقال عروة بن الورد لقد أتانا شيبوب بالصواب لاننا كلما ابعدنا طالت المسافة بيننا وبين الاعداء واسترحنا من الحرب وكان أهنى لعيشنا وأريح لقلوبنا من العذاب ثم ان القوم بنوا أمرهم على مثل ذلك المقال والقيل فلما أصبح الصباح وقد عزموا على الرحيل واذا بخيل قد أشرفت عليهم من عرض البر الطويل فكشفوهم فاذا هم مقدار خمسة وعشرين فارسا فلما حققهم بنو عبس أنكروهم وتبادروا اليهم وسألوهم عن أحوالهم وعن أنسابهم فاخبروهم وكانت هذه الخيل من سادات بنى كنانة وقد أتوا يترضون أبا الجارية ويتبعوا معه حد الامانة لانا ذكرنا انه رحل عند قومه هو ومن معه غضبان ووقع بهم عنتر فى البر يوم المطر وجرى لهم ما جرى من ذلك الامر والشان وفى ذلك اليوم أشرفت عليهم تلك الفرسان وقد تعارف الرجال بعضهم ببعض وفرحوا لان الله قرب عليهم العنا وتقابلوا فى تلك الارض وتباكوا من ألم الفراق وعتب القادمون على المقيمين لاجل الغربة والتشتت فى الآفاق وقد حلف الفرسان القادمون انهم لا يعودون الى قومهم الا بهم أجمعين ثم انهم تقدموا الى خدمة عنتر وفى ذلك سألوه بعد ما خدموه على فعاله وشكروه فاجابهم عنتر الى سؤالهم وقد استحى منهم ولم يخيب قصدهم وقال يا وجوه العرب طيبوا قلوبكم أنتم فى ذمامى ما دمت أملك رمحى وأضرب بحسامى فسيروا من ههنا بامان وشاققوا من شئتم من ملوك الزمان وزوج ابنتك لابن عمها مالك حيثما قبضت منه مهرها فزف عليه زوجته ولا تهمل أمرها فانتم تعلموا انى ما رحلت عن قومى وشاققتهم الا من أجله ومن أجل حصن بن حذيفة وما أبدى من فعله فقال له أبو الجارية من حيث انك غضبان على قومك من أجلنا فسر معنا الى أهلنا وتكون بين قومنا وفى ديارنا وترتفع بجاورتك أقدارنا ونحكمك فى أرضنا ومراعينا حتى يأتى قومك كما أتى قومنا الينا فعند ذلك قال لهم عنتر لا وحق البيت العتيق المطهر لا نزلت الا فى عرصات البر الاقفر لان طبعى صار ينفر من رفقة البشر (يا ساده) وما قال عنتر لهم ذلك المقال الا من عظم همته وشرف نفسه بين الرجال لانه ما راى على روحه انه ينزل عند قوم كانوا هم نازلين عليه وتحت ذمامه ولم يرد الا انه يعانى أموره وهو يحكم نفسه حتى يبلغ مرامه ثم انه أشهد على أبى الجارية المشايخ الذين أتوا معه وصافحه بانه يزوج ابنته بابن عمها ويعاقده ويناكحه ثم ودعهم عنتر بعد ما طلب لنفسه ما طلب وعزم على الانفصال ثم انه سار وسار شيبوب على أثره بالاموال والحريم والخدم وتتابعت من خلفهم الفرسان والابطال وقد قطعوا الآمال من منازلهم والاطلال وكان أشدهم حرقة وأعظمهم مشقة عنتر بن شداد لاجل فعاله مع قومه وما يفعلون معه من تلك الامور التى توجب النكاد فسار شيبوب قدام القوم وقد تبطن الاوديه والآثار وهم طالبون جبال بنى عروة وقد بنوا لهم بالسيف منازل عالية حتى قاربوا الارض التى هم اليها قاصدون والى نحوها مجدون فتذكر ارض الشربة والعلم السعدى وتذكر ما جرى عليه من قومه فجعل فى نفسه يعيد ويبدى وصار هو كثير الافتكار ومن عزة نفسه صارت دموعه نابعة وحسرته متتابعة فجاش الشعر فى خاطره فباح بما

استكن فى ضمائره فأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

اذا فاض دمعى واستهل على خدى * وجاذبنى شوقى الى العلم السعدى
أذكر قومى ظلم قومى وبغيهم * وقلة انصافى على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا * فلما تناهى مجدهم هدموا مجدى
أنا عندهم فى الحرب سيد قومهم * وعند انكشاف الحرب أحقر من عبد
يعيبون لونى بالسواد معاشر * فعالهمو بالقبح أسود من جلدى
فوا ذل جيران اذا غبت عنهمو * وطال المدى ماذا يلاقون من بعدى
وكيف يحل الذل قلبى وصارمى * اذا ظل يأتى البرق يلمع من غمدى
أيا عاذلى ما يدرك الطالب العلا * بآبائه الغر الكرام ولا الجدى
وما الفخر الا من يجلى غبارها * بطعن سنان أو بمرهفه الهندى
نديمى اذا غنيتنى بعد سكرها * فلا تصفن أطلال سلمى ولا هند
ولا تذكرون لى غير خيل مغيرة * ونقع غبار حالك اللون مسود
لان غبار الصافنات اذا علا * نشقت له ريحا ألذ من الشهد
وريحانتى رمحى وكاسات مجلسى * جماجم سادات حراص على المجد
ولى من حسامى كل يوم على الثرى * نقوش دما تغنى الندامى عن الورد
وماذا يغيب السيف أغلاف غمده * اذا كان فى يوم اللقا قاطع الحد
ولله من ليل غبار قحمته * على ضامر الجنبين معتدل القد *
وطاعنت فيه الخيل حتى تبددت * وفرت كاسراب القطاة الى الورد
فزارة قد هيجتها الليث غابة * ولم يفرقوا بين الضلالة والرشد *
فقولوا لحصن ان يعانى عداوتى * ينام على نار من الحر والوجد

(قال الراوى) فلما أنشد عنتر هذا الانشاد طربت له السادات وتعجبوا من تلك الاشعار وقد سرهم منه ما سمعوا من تلك العزمات ثم انهم ساروا فى ذلك اليوم بلا توانى وفى تلك الليلة وأصبحوا فى اليوم الثانى واذا قد أشرفوا على حلة تموج بقطانها وترتج بسكانها كأنها بحر زخار وموج وتيار والحلة فى وسط مرج أفيح وفيه زهر قد فتح وعيون ما تسرح وغدير كبير كأنه البحر المستدير وفساطيط أرجوان مضروبه ورماح مركوزه وخيل مجنوبه وابل وأغنام وخيل وانعام فلما نظر عنتر الى ذلك صاح فى أخيه شيبوب وقال له يا ابن الام ما يقال لهؤلاء القوم الذين هم فى هذا الامر المهول فقال له يا أبا الفوارس هؤلاء قوم يقال لهم بنو الجريش وهم حلفاء بنى عامر ولهم فارس عظيم يقال له معاويه بن شكل الجريشى وله ثناء ومفاخر وهم أقوام كرام ولهم حرمة وذمام فعندها قال عنتر اقصدهم يا أبا رياح حتى ننزل بالقرب منهم حيث ذكرت انهم ناس ملاح فعندها سار شيبوب الى أن قرب من الحى وأمرهم بالنزول فنزلوا وضربوا خيامهم وعلوا قبابهم عرضا وطولا وسرحوا مواشيهم مع رعاتهم فأنكرت رعاة بنى الجريش رعاة بنى عبس لما رأوا صفاتهم وقال العبيد بعضهم لبعض ترى هؤلاء من أى أرض وانهم قد نزلوا فى أرضنا بغير أمر ساداتنا ولم يشاوروا ولو كنا ولا ساداتنا ثم تقدم عبد منهم وقال حياكم الله يا وجوه العرب والسادات من ذوى الرتب المتوصلين من أين تكونون أيها السادات ومن أنزلكم فى هذه الربوات فكان الجواب لهم بعض موالى عنتر لما سمعوا منهم ذلك الكلام المنكر بقوله نحن الكاشفون الامور الشداد الزايحون الضيم عن العباد بنو عبس وآل قراد وفينا حاميتهم الفارس الجواد وليث الطراد وحية بطن الواد وأسد الآساد الامير عنتر بن شداد (ياساده) فلما سمع العبيد منهم ذلك الكلام أسرعوا الجميع الى ساداتهم بالاعلام وأخبروهم ببنى عبس ونزولهم عليهم وأخبروهم بقدومهم اليهم فعند ذلك أسرع سادات الحى المشايخ والشبان لاستقبال بنى عبس وتعجبوا من نزولهم فى ذلك

المكان فسألهم مشايخ بنى الجريش عن قدومهم اليهم لأى شئ كان فأخبرهم بنو عبس القصة التى جرت عليهم وانهم طالبون جبال بنى عروة ليلحقوا اليهم فعند ذلك حلف سادات الجريش عليهم ونقلوهم الى مواضع قرب حللهم وأنزلوهم فيها فنزل بنو عبس عندهم واستقروا فى جوارهم وقد طاب لبنى عبس المقام ونقل اليهم بنو الجريش الطعام والمدام وأكرموهم غاية الاكرام وطلبوا منهم أن يكونوا حلفاءهم فرضى بذلك بنو عبس فعندها تحالف مشايخ القبيلتين ان يصيروا يدا واحدة وان يكونوا على الاعداء متعاونين وللاصدقاء صادقين (قال الراوى) ياساده فهذا ما كان من عنتر وأحبابه * وأما ما كان من الملك قيس واصهاره فانه لما وصل اليه الخبر بان بنى قراد وحاميتهم عنترا قد نزلوا على بنى الجريش وصاروا يدا واحده ندم حيث لا ينفعه الندم وتفرقت القبيلة وعادت متباعدة وقال والله لا يخلف لنا الزمان مثل عنتر وبقى من ذلك الامر الذى طوى عليه والخلف الذى وقع فى القبيلة مكدر وأما الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد ففرحا بابعاد عنتر وآل قراد وقال الربيع لاخيه عمارة ايش يكون شكرك على قلع الاسود الزنيم من هذه الديار فقال والله يا أخى ما بقيت فى هذه النوبه ترى له آثارا وبعد ما بعده الملك قيس لهذا الاخطار ما بقينا نرى له خبرا ولا سيما من جهة حصن بن حذيفة وبنى فزارة وما جرى بينهم من تلك الطعون وتلك الاشارة ففرح عمارة بذلك وقال هذا اليوم الذى كنت أشتهى وأريده وانتظر يا أخى انه من تمام نفاسته نزل على بنى الجريش وقد حاربهم فهل تقدر يا أخى أن تشتته عن ديارهم فقال أى وأبيك وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم واله موسى وابراهيم ثم ان الربيع لما فرغ من كلامه وثب فى الحال على أقدامه وأحضر كيسا من الاديم الطائفى يتلهب وأخرج منه نافجة من المسك وخمسين دينارا من الذهب الاحمر وخمس طبلات من العنبر ووضع الجميع فى فارغة وشدها شدا وثيقا وختمها وكتب رقعة الى النابغة الذبيانى شاعر العرب يذكر فيها بانه يسلم عليك ويستوحش اليك ويقول لك انه كثير الشوق اليك وقد اتكلت فى أمور عرضت لى عليك وأريد منك ومن بلاغتك ان تهجو لى عبلة بنت مالك بما خطر على بالك مما يفرق بين بنى الجريش فاننا نريد أن يبعدنا ويتهنا بعيش وما نفعل ذلك معهم الا لكى يرجعوا الى أهلهم ويعطفوا على قبيلتهم لانها قبيلة قد تشتت شملها وأخاف من بعض الاعداء أن يغره الطمع فيها (ياساده) ثم ان الربيع بعد ما فعل ذلك الفعل الذى لم يفده أنفذ الكيس والكتاب مع عبد من عبيده وكان يثق بذلك العبد فى سائر أموره كان اذا جلس فى محل خلوته ما يشتاق الا اليه فى فرحه وسروره فأخذ العبد الكيس والرقعة وسار وطلب المسير فى الارض والقفار الى ان وصل الى النابغة الذبيانى وسلم الكيس والرقعة اليه فقرأها وفهم ما فيها من المعانى ثم فتح الكيس وأبصر ما فيه من الذهب فأعجبه لان الطمع كثير فى شعراء العرب وأمر العبد بالانصراف بعد ما طيب قلبه وقال له اشكر سيدك وقل له ما عندنا فى ذلك خلاف وعلينا كل ما طلبت وفوقه أضعاف وان الذهب يلعب بعقول الامراء فكيف الشعراء ثم بعد ما انصرف العبد أدار الشاعر فكره واختلى بنفسه وجعل يدبر أمره ووضع أبياتا من الشعر تقتضى هجو عبلة وسبها بالزنا بالجملة ورمى فيها بقبيح افعال وذكر فيها انها أحبت معاويه بن شكال لما فيه من الحسن والجمال وكرهت ابن عمها ذلك العبد الاسود الذى تعدى طوره وتمرد وان الشاعر أمعن فى القول وأبدع ولا فزع ولا راقب الله فى قوله ولا خشع ومن جملة ما قال عن لسان عبلة هذه الابيات

حضرنا الى قوم كرام أطايب * لهم سيد يزهو على كل راكب
محبته قد مازجت منى الدما * وقد غيرت حسنى وقلبى وقالبى
فان لم أنل من وصله ما أريده * أموت وتدركنى جميع المصايب
فانى بليت اليوم من عشرة الذى * له لون أسود من سواد الغياهب
سألت الهى قبل موتى يقيلنى * ويعتقنى من وجه كلب الاعارب
وأحظى بوصلى من حبيب أحبه * وبدعى ابن شكل نسل قوم أطايب

(قال الراوى) وزاد من مثل ذلك شيأ يقال وشيأ لا يقال ثم انه بعد ما فعل تلك الفعال أعطى الرقعة لبعض العبيد

وأمره أن يقصد بها حي بني عبس من غير تمهيد و ترميها بالقرب من مضرب عبلة و يجسر على ذلك الامر المنكر قال فاجاب العبد بالسمع والطاعة واخذ الكتاب وسار ومازل سائر الى ان وصل الى حي بن عبس وفعل وما قصر وعاد في عاجل الحال الى الشاعر واعلمه انه رماها بقرب مجلس عنتر وخاطر بنفسه وماقصر فشكره على ذلك ومضى و بعد ذلك صادف من القضاء ان رجلا من بني الجريش كان سائرا في الطريق فنظر الى تلك الرقعة فرآها مرمية في الارض تنداس فاراد أن يرفعها من تحت أرجل الناس وقصد بذلك التقرب لمجالسة الكبار والالتماس فقصد بها مضرب عنتر و رماها بين تلك الخلائق الجلاس وكان عنده جماعة من بني الجريش وجماعة من بني عبس وقد طابت بقربهم من بعضهم البعض النفس وكلهم مجتمعون فالقاها الرجل في وسط المجلس وقال هذه وجدتها في عرصة الدار ولم أعلم ما فيها من الاسرار فعند ذلك أخذها بعض الحاضرين وقرأها وأمعن في القراءة ولا اختشى ما وراءها و رأى ان عبلة تراسل ذلك الى معاوية سيد بني الجريش وانها تعشقه حتى انها من شدة عشقها له تكاد ان لا تعيش فلما سمعها عنتر وسمع هجو عبلة ورميها بالقبيح فعندها تغير مزاجه وطلع الزبد على أشداقه وثار ثورة الاسد اذا تهدر وضرب الذي اتى بها على عاتقه حتى طلع السيف يلمع من علائقه فعند ذلك شاش المجلس طولا وعرضا وهم كل من كان حاضرا من بني الجريش حتى أعلموا جنبات البر والارض فبلغ الخبر الى فارسها المشهور و بطلها المذكور وهو الامير معاوية بن شكال الجريشي فلما سمع ذلك الصراخ قام ولبس أثوابه وتقلد بلامة حربه وضرابه وركب على ظهر جواده بعد ما اعتد بعدة جلاده ومازال سائرا على هذا الامر المقدر حتى لقى عنترا ونظر اليه والى جماعته الذين حواليه فرأى الكل لابسين الزرد كاملين العدد وعنتر قدامهم كأنه قطعة جلمود وهو يهدر مثل الاسود (قال الاصمعي) ثم ان الامير عنتر بن شداد صال وجال وحمل على بني الجريش وهو في وهج وطيش والتقى بمقدمها معاوية بن شكال وهو يفرى الرجال ويحرضهم على الحرب والقتال وجعل يصول ويجول وقد أخذ الميدان عرضا وطولا وهو ينادي و يقول ويلك يا ولد الزنا ويا نسل الحرام ويا خاين العهد والذمام اليوم أسقيك كأس الحمام وأحل بقومك الانتقام فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام فعند ذلك مال اليه بالجواد وأراد معه الحرب والجلاد وتذكر شيأ يقوله من الشعر والانشاد فجعل يقول صلوا على طه الرسول

سواى الذي يرتاع او يرهب الردى * وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا
ولكن أرى لا رهب الدهر ان سطا * ولم اخش من موت الزؤام اذا غدا
ولو مد نحوى حادث الدهر كفه * لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد عزمي يترك الماء جمرة * وحكم احتقاري يترك السيف مبردا
وفرط افتقادي للانام أنانى * أرى كل عار من حلى سوددى مدا
وأبى اباني أن يرانى قاعدا * وأن لا ارى كل البرية مقعدا
وأظمأ ان أبدى لى الماء منة * ولو كان نهر المحبة لى موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقد ما بغيرى أصبح الدهر شائبا * وبى بل بفضلى أصبح الدهر أمردا
وانك عندى يا زمان واننى * على الكره منى ان أرى لك سيدا
وما أنا راض أننى واطئ الثرى * ولى همة لا ترتضى الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى * لخرت جميعا نحو وجهى سجدا
فلا تنكروا فعلى واشهار عزمتى * فان علاى فى السعادة قد بدا
وما أنا ممن تنكر الناس فعله * لان سعودى كل يوم تجددا
تعودت خوض النقع مذ كنت يافعا * لكل امرئ من دهره ما تعودا
أرى الخلق دونى اذ مكانى فوقه * ذكاء وحلما واعتدالا وسوددا



أنا كاشف الغمات عند حلولها * أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا * من البرمنه صار فى البحر مزبدا
ولى قلم فى أغلى ان هززته * فيا حسرتى الا هز المهندا
اذا صار فوق الترس وقع صريره * فان صليل المشرفى له صدى
ولو شئت ترسى دان لى وهو ساجد * ولو شئت جاء الترس درعا مسددا
وان رفع الاقدار أو وقع الندا * ففى يرجى الجود أو يرتجى الهدى
ومن كل شئ قد فحوت سواه قد * أقام عذولى فى الغرام وأقعدا
اذا وصل من أهواه لم يك مسعدا * فليت عذولى كان بالصمت أسعدا
يلوم ولا يدرى يكون وصاله * من النجم أعلا أو من الافق أبعدا
بحب حبيبى من يكون مفندى * فيا ليتنى كنت العذول المفندا
فقالت وقد آنست نارا بخدها * فقلت وانى قد وجدت بها هدى
وانى لاهوى منك ثغرا مفضضا * وانى لاهوى منك خدا معسجدا
ومارمت ذاك الخد بالحظ اغا * علمت خلونا حين أبصرت مسجدا
وكم لى لى دارا لحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا قديما ومعهدا
لقد كنت فيها أبصر الليل أبيضا * وقد صرت فيها أبصر الصبح أسودا
يراقب طرفى ان يلوح خيالها * فقد طال ما قد صام حتى تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فيا خجلتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى ما بطرفى صبابة * فلم ير تلك الدار الا تعمدا
وكم لجوادى وقفة فى عراصها * تعود منها الجيد مما تعودا
تعود ذاك الجيد منى اننى * أصيره من در دمعى مقلدا
وما تلك دار بالعقيق وبالحما * ولكن هما ما اذخرت منه فرقدا
الا رب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
فاصبح ذاك العقد منى محسرا * وباطل ما قد كان منى مجسدا
وكم اجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفى اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عناق كاسيا متجردا
وقربنى حتى طربت من النوى * وأبعدنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقها * وما كنت لولا أن خبرت لأشهدا
وان السلاح البابلى لحاظها * ولا تسألوا انسانه كيف عربدا
ملى بكسر الجفن والجفن قوسه * وكيف رمى للقلب سهما مسددا
فتيه وتسلط كيف شئت فاننى * خلقت لأشقى أو خلقت لأسعدا



(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من انشاده تلك الابيات المعتبرة حمل على فارس بنى الجريش حملة منكره وغاب الاثنان تحت الغبره وسمع لهما همهمة و زمجره وكان لهما ساعة عسره ثم انهما اعتركا مليا واصطدما وفيا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وقد طلع عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار واشتاقت الى نظرهما النظار ليعرفوا ما كان لهم من الاخبار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وفى دون ساعة من النهار لاصقه الامير عنتر بن شداد الفارس الجواد وأبهره وماحكه حتى أتعبه وبهره وأضجره وصرخ فيه صرخة هائلة أذعره ثم انه تأخر عنه مقدار فرسخ الى وراه وقد اقبل عليه وحاذاه وصار له متقربا وطعنه فى جانبه طعنة الغضب فطلع الرمح من الجانب الآخر كأنه كوكب فمال عن الجواد وانقلب وصار يخور فى دمه و يضطرب فى عندمه (قال) ولما

رأى بنو الجريش ما حل بسيدهم صعب ذلك الامر عليهم فصاحوا فيه وقالوا شلت يداك وقطعت مفاصلك وأعضاك فما أقدمك على الامور وما أجهلك لعن الله ظهر انسلك فقد قتلت سيدا كريما وبطلا عظيما ثم انهم حملوا عليه وقد تبعتهم الخيل ومالوا مثل السيل فعندها صاح عنتر فى عروة بن الورد ومقرى الوحش وأبيه شداد وبنى قراد الاجواد وحملوا على بنى الجريش وما منهم الا من أمل انه بعد هذه الكائنة لا يعيش ثم جالت الخيل والفرسان وجعلت ترمى من على ظهورها الشجعان والاقران وكثر الضرب والطعان وحكم الصارم اليمان فى الجماجم والابدان وهجمت الاسود من الشجعان وطلع الغبار الى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى انه ما كان وضاق الميدان وصحا السكران وحامت سنابك النيران وجاء الحق وذهب البهتان وزاد الضرب والطعان وغلبت فرسان بنى عبس فرسان بنى الجريش واستظهروا عليهم كما استظهر على الرخم العقبان وافترسوهم كافتراس سباع الاجم للفريسة فى الوديان فلله دره من يوم كان على الانام عظيم الشان حمى فيه الحديد على الابدان وصار عنتر يجول فيه جولان ولا يعفو عن قتل الشيخ ولا الصبيان وصار يحرض بنى عبس على قتال الاعداء وينادى فى الفوارس فلا تسمع النداء وصارت الفوارس تطلبه من جنبات البيداء فلما رأى عنتر الفرسان تقصده من كل جانب ومكان ويحملوا عليه حرصا على قتله من دون الفرسان فصاح بعروة بن الورد ومقرى الوحش وأبيه شداد وعمومته وسائر بنى عبس الاجواد وصار يقول يا بنى عبس الى متى هذا التطويل الشديد اقصدوهم كل مقصد واحصدوهم حصد الحصيد فعندها تناخت الابطال وتتابعت الاقيال من اليمين والشمال وحملوا على بنى الجريش حملة منكرة وطلبوهم طلبة الاسود الكاسرة فلم تكن غير ساعة حتى بطحوا أقرانهم وجندلوا أقيالهم وشجعانهم ويتموا أولادهم ورملوا نساءهم وزعقوا عليهم من كل جانب ومكان ورأوا منه عنترفى ذلك اليوم ما لم يروه من انسان لأنه هدّ قوى بنى الجريش ولم يجدوا لهم سبيلا على مضارب بنى عبس وعدنان وقد وقعوا فى أمر عظيم ليس لهم به طاقة فطلبوا فسيح الفضا وردوا خيلهم قدامهم منساقة وعموا منهزمين فى جوانب البيداء وخلفوا الاموال والغنائم والاسلاب للاعداء وخدمهم وعيالهم لبنى عبس وما زال عنتر يقتفى آثارهم حتى أفنى خيارهم فلما ابعد بنو عبس بنى الجريش عن الديار رجعوا وعنتر يهدر فى مقدمه كأنه أسد هدار وعاد وهو يترنم بالاشعار يقول صلوا على طه الرسول

حيي الديار ببرقة وبمحجر * ثم الكراع كأنها لم تعمر * زرنا قبائل عامر لمحلنا
منهم رأنهمو بذاذ ومخبر * ودهمت دار بنى الجريش بأسمر * بعد التملك لى وأست بعفترى
فطعنته وفككت بادر درعه * بمهند صافى الحديد بمنسر * تسائليومك أى يوم زرته
ولرب صبحك أى صبح أغبر * أنشد الى الخلان يوم لقاهمو * صرعى بسائره الصقالم بعفتر
حاشا العبلة أن تخون خليلها * بطل يغادرها كريم العنصر * انى أردت بنى الجريش ولم يكن
منها ويكفى بعد ذلك مفخرى * يا عبل هل بلك تعلمين فعالهم * الا الثنا بدائع وتشكر
ولقد صدقت بما أقول واننى * عند اللقاء بهم أريق المزور * أمى زبيبة ليس أنكر اسمها
فى الليل ضوء جبينها كالمحور * وأنا فتى من آل عبس منصبى * أنمى الى النسب الرفيع الازهر
أغشى الكريهة يوم كل كريهة * واذا الكرام تخمرت لم أخمر * واذا رأيت الركب أقبل جمعهم
يبغوا السلام ذبحت أكبر عنصر * ذاك لذى فوق السماك محله * ومتوج أيضا بتاج قيصرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها السادات وتعجبوا من تلك الانشادات وأخذهم الفرح والمسرات ثم انهم جمعوا غنائم بنى الجريش التى أخذت فى الهزيمة فكانت الغنائم لها قدر وقيمة وأما ما كان من بنى الجريش الذين أخذوا فى الهزيمة فانهم عادوا واجتمعوا من رؤس الروابى والشعاب وهم يقولون بعضهم لبعض لعن الله رؤية هذا العبد المرتاب ما أطعنه بالرمح وما أضربه بالحسام القرضاب ثم انهم استشاروا فيما يفعلون فقال بعضهم ما فى الامر الا انكم من ههنا تسيرون وترموا الثأر واحكم على حامية بنى كلاب البحر العباب الفارس القيل المسمى بعامر بن الطفيل فهو صديقه ومحبه الاكبر وندخل عليه لعله أن يرسل

اليه ويسأله فينا فعسى انه يستوهب منه ذنبنا ويرد علينا نوقنا وجمالنا فعند ذلك تجمع منهم الاكابر وساروا حتى وصلوا الى بنى عامر ودخلوا على عامر بن الطفيل وسلموا عليه وتزاحموا بالتقبيل على يديه وقالوا نحن مستجيرون بك أيها السيد الجليل والمولى النبيل مما قد حل بنا من الويل الطويل فلما سمع عامر مقالهم استخبرهم عما جرى لهم فشرحوا له جميع ما جرى عليهم ونالهم فاضافهم ورق لحالهم ووعدهم بنيل مرادهم فلما أصبح الصباح كتب لهم كتاب وأرسله معهم مع نجاب وهو يمدح عنترا ويثنى عليه ويصف شدة الشوق اليه ثم انه استعطف قلبه عليهم لانه رق لهم عما نالهم وسأله فى رد أموالهم ونوقهم وجمالهم ثم انهم أخذوا الكتاب واستصحبوا معهم النجاب وصاروا يطلبون عنتر بن شداد حتى وصلوا اليه فناولوه الكتاب فأخذه وناوله الى عروة بن الورد فقرأه عليه وسمع الثناء الذى أثناه عليه عامر بن الطفيل وبلغه عنه النجاب الثناء والمفاخر ثم ان عنترا لما رأى لطف شجاعته وما أثنى عليه من براعته أجاب سؤاله فيهم ورد أموالهم ونوقهم وجمالهم عليهم وطيب قلوبهم وخلع على الاكابر منهم وأعطاهم الذمام وقاموا على بعضهم بعض فى أماكنهم ثم انه أمر بعد ذلك أصحابه بالرحيل والجد وسرعة التحويل فرحلوا وساروا طالبين جبال بنى غزيه وقد بنى لهم بالسيف منازل عليه وقد قطعوا فى البر أياما متوالية * هذا وشيبوب يسلك بهم فى المنازل الخالية القليلة السكان والمخاطر التى لا يسلكها الا كل من يكون بنفسه مخاطر فلما قربوا من الجبال التى هم اليها قاصدون ودنوا من الشعاب التى هم عليها قاصدون ودنوا من الشعاب التى هم عليها معولون أصبحوا فى بعض الايام فى أرض واسعة وبرارى رملة شاسعة وكانت هذه الارض يقال لها رمال يقظان وهى قريبة من بنى غزية وهى كثيرة الرمال والكثبان فصبحوها فى الصباح وهموا بالنزول هنالك فى تلك البر والبطاح واذا فى قفرها خيل تطرد وصياح عنعقد وأسنة رماح فى الحرب مختلفة وبريق السيوف مثل البروق الخاطفة وضجيج فرسان وزعقات شجعان وأمور تدل على حرب عوان فلما نظر عنتر الى ذلك وقف ودارت به أعمامه وقد زاد به لذلك الامر اهتمامه وقال لشيبوب ويلك يا ابن الام اذهب وائتنا باخبار هذه الحروب وأبصر الغالب من المغلوب فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب وما غاب أكثر من ساعة واحدة وقد عاد وهو مسلوب الفؤاد فقال له أخوه عنتر ويلك أيش الذى رأيته يا أبا رياح من الخبر فقال له يا أخى هذا صديقك وصاحبك دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وقد أحاطت به بنو الحرث وما فيهم الا كل خائن ناكس وقد نفرت عليه فى سائر بطونها وهو فى خمسين فارس وقد تكلف لقاها وألقى نفسه الى الهلاك والموت المبين يريد أن يسقيها كاس منونها وهو قد أشرف على الهلاك ولم يجد له سبيلا فى هذه الارض لا ناصرا ولا معين فقال الامير عنتر واعجباه ايش أرمى دريدا فى هذه الارض والبلاد وهو فى نفر قليل من الرجال والكبار ولكن هذه عادته أن يأخذ الرجال الابطال ويذل بنفسه على الحلال والقبائل ويعودها الهجوم على المنازل وان لم تدركه والا هلك وهلك معه كل بطل حلاحل ثم ان عنترا أخذ من أصحابه خمسين فارس ما منهم الا كل بطل مدرع ولابس منهم مقرى الوحش وعروة بن الورد وأبوه شداد وقد ركضوا خلفه على الخيول الجياد وأخذ فى جملتهم ابن أخته الهطال وترك باقى أصحابه حول المال والعيال (قال الراوى) وكان لاتصال دريد بن الصمة بهؤلاء القوم سبب عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب وذلك ان دريدا قد ربى غلاما يتيما يقال له دثار بن روق وكان أبوه قد قتل فى بعض الغزوات وكان دثار صغير السن فرباه دريد مراعاة لابيه الى ان كبر واشتد فصار أقوى من الاسد وصار يركب من خيل دريد ابن الصمة ويتفرس عليها حتى صار من الابطال الثقال وكان يقاتل فارسا وراجلا ويهجم على الاهوال والاخطار فى ظلام الليل وضياء النهار ويعسف البر فى السهل والجبل ويعمل فى الحرب أوفى عمل ويحتال على سل خيول العرب بكل حيلة وسبب فمن ذلك الوجه استغنى وصار له نوق وجمال ونعم وأموال ومضارب وخيام وكان قد اتخذ له من شباب الحلة أولاد الابطال ندماء وأصحابا وأصدقاء وأنجابا وكان كلما وصف له جواد أو فرس من الخيل الجياد يسير اليه وينزعه من أصحابه تارة بالفروسية وتارة بالسرقة واللصوصية وما زال على

ذلك الجبال حتى شاع ذكره بين الرجال وضرب به الامثال وهابته الفرسان والاقيال واتفق فى ذلك الزمان
انه سمع ان عند قوم يقال لهم بنو خويلد جوادا من الخيول الجياد ووصف بين يديه مرارا عديدة فلما تمكن خبره
عنده توجه اليه وسافر له وملكه وسلبه بعدما احتال عليه بحيلة عجيبة تسبى العقول وكان صاحبه يقال له بسام
ابن مسعود ولما عاد بالجواد عرضه على دريد فاعجبه غاية العجب لانه رآه من أفخر خيول العرب وخلقته قد
جاوزت عن الحد والصفات وتاهت عن نعته جميع النعات فقال له دريد احتفظ بذلك الجواد ولا ترغب فى
ثمنه فانه ينجى راكبه من الاخطار فقبل دثار كلام دريد وعند بنى خويلد المخلاه وعاد الى معاشرة أصحابه ورفقاه
ولما أن دخل عليهم هنوه بالسلامة فدعا لهم وشكرهم وأثنى عليهم بفصاحة كلامه وبعد ذلك قال لهم يا بنى عمى
دعونى عن ذكر الجواد وعز وفى لما فى قلبى والفؤاد فانى خليته فى بنى خويلد وتلك البلاد وما أتيت اليكم
الا وأنا بلا قلب ولا فؤاد وأقول ان هذا الجواد غير مبارك على من دون العباد قال فقال له أصحابه يا دثار حدثنا
بقصتك وماجرى عليك فى سفرتك وأخبرنا بحالك ونوبتك فقال لهم دثار اعلموا يا بنى عمى انى لما سرت من
عندكم قطعت خلق البرارى والقفار والاودية والسهول والاوعار حتى انى قاربت ديار بنى خويلد فبقيت حائرا
بأى سبب أدخل به الى القوم فلما قاربت منى الخيل عدت الى البر وعسفته فرأيت وحش غزال فطردته فى
جوانب البرية وأجهدت روحى حتى اصطدته ولما صار فى يدى ذبحته وشويته ومنعت جوعتى وأخذت دمه
شرابا أحمر وخلعت ثيابى وطليت به جسدى من رأسى الى قدمى حتى لا أعرف ثم انى وقفت ساعة فى الشمس حتى
جف الدم على بدنى ويبس ففركته من جسدى وبعد ذلك نظرت الى روحى وجلدى فرأيت جسدى الى السواد
أميل الالوان لونى لون وحش قذر فقلت فى نفسى هذا الذى أريد واشتهى ثم انى بعد ذلك خرقت ثيابى ونفشت
شعرى وغرقت سيقانى وأقلبت جفونى الى فوق وأسلت ريالتى الى صدرى وقد طلع الزبد على أشداقى وبعد
ذلك سرت الى ديار القوم من بنى خويلد وأنا مثل المهبول ونظرى يطير العقول وكان دخولى اليهم وقت المساء
فتوصلت الى أبيات بسام وقد أظلم الظلام ودورت على الجواد فما رأيت له خيالا فبقيت حائرا فى أمرى لا أدرى
كيف أسأل عنه وأكشف خبره فبينما أنا قائم متكئ على عصاى وأنا أظهر الذل والفقر والمسكنة والارتعاش
واذا ببنت بسام قد خرجت من بيت أمها فرأتنى بتلك الحالة فظنت الصبية انى فقير وسائل يطلب الصدقة
فخرجت الى ومعها قطعة طرموس فى يدها ولما ان وصلت الى باب الخباء ونظرت الى وريالتى سائلة على
صدرى وأحوالى أحوال المريض العليل وأنا مقلب العيون وشعرى منفوش على أكتافى فلما نظرتنى الصبية
على تلك الصفة ظنت انى مجنون أو عامر من عمار الدور والمخازن فارمت الخبز من يدها وعادت الى أبيها وأمها
وهى تجرى وتقول أعوذ برب البيت والحجر من هذه الصورة التى ما مثلها فى الصور وما أظن ان فى الارض
أوحش منها ولا أذعر فقالت لها أمها من صدر البيت ممن أنت متعوذة يا سيدى وايش حالك وما اعتراك فقالت
لها يا أماه من هذا السائل الذى هو واقف على الباب ولولا انى يا أماه عندك فى البيت لكان أخرجنى من عقلى
ثم ان دثارا قال لندماه يا بنى عمى وكانت الصبية عائدة وهى تتحدث مع أمها وأما أنا فقد غاب عقلى من لين قوامها
وعذوبة كلامها وثقل أردافها وسواد عيونها وفترات جفونها وحمرة خدودها وانعقاد نهودها فى صدرها
وحسن نغمة خلخالها وتلبيد شعرها وهو منسبل على أكتافها يا بنى عمى ومن شدة ماجرى على من فى الهوى
والغرام تأخرت عن باب المضرب وقد لبدت بين الاغنام وقد صرت حائرا فى نفسى وأنا أنظر الى الخباء ساعة
والى الصبية ساعة وخرت فى قصتى وما جرى على فى وحدتى وغربتى وعظم بليتى وحسرتى فبينما أنا كذلك
واذا بأبيها قد أقبل علينا وهو سكران طافح بالمدام من أطراف البيوت والخيام وتحته الجواد الذى دخلت الى
هذه الديار فى طلبه والسلام الآن لمقدم بسام لما وصل الى أطناب الخيام حول رجله من على الجواد وترجل
والى صوب المنزل نزل عنه وأوصى عليه ثلاثة عبيد ودخل عند زوجته وابنته وفى نحو ساعة سكت عن حديثه
وكلامه ونام وأيضا نامت العبيد وقد خمد الحى وسكتت الكلاب وقد انطفت النار فعند ذلك الوقت تقدمت
الجواد قليلا وحليت شكاله وأخذته وفى الحال خرجت به الى أذيال المضارب وركبت ظهره وأنا أطلب

الصحرا وما علمت بعدى يا وجوه العرب ما يجرى على انى قد وصلت به الى ههنا وما كان فى دار الدنيا من شدة
العشق والجوى ومن نيران الهوى وانى أريد ان أعود الى ديار بنى خويلد وامكن لابى الصبية اهلى ان أظفر به
وأقوده الى ههنا أسيرا ولا أطلقه حتى ينعم لى بزواج ابنته التى رأيتها (قال المؤلف) فلما ان تكلم دثار بهذا الكلام
وقد سمع أصحابه منه هذه القصة تعجب منه القوم ومن أفعاله وبعد ذلك التفتوا اليه العقلاء من أصحابه وقالوا له
يا دثار اعلم ان أبا الصبية ماله ذنب حتى يستوجب الاسر وانما الصواب انك تنفذ الى خلف الرجل وتخطب منه
ابنته على رؤس الاشهاد ومهما طلب من الاموال أعطه من النوق والجمال وتفعل فى حقه فعل كرام
الرجال وتضمن له رد حصانه فان أجاب الرجل الى ذلك فلله الحمد والا فابذل فى حقه المجهود ولا تترك يا وجه
العرب عليك ملاما لا من عدو ولا من حسود قال فلما تكلمت أصحابه بهذا المقال قال دثار يا بنى عمى اذا كان
الامر على مثل ذلك فاريد أن أشاور سيدى دريدا فى هذه القصة وأسأله أن ينفذ من عنده نجابا وينظر ما يقول
أبو الصبية من الخطاب ثم ان دثارا بعد هذه المشورة شرب مع ندماه الخمر حتى أمسى المساء وفى ذلك الوقت حمله
السكر على الآفات والبلاء فوثب من عند أصحابه من ساعته ولم يزل ينقل خطاه حتى دخل على دريد وهو فى نار
يتلظى وفؤاده على جمر اللظى وقد خدم بعدما سلم عليه وباس الارض بين يديه وبعد ذلك شرح له قصته وما
ناله فرحمه دريد وقد رثى له وسكته من بكاه بعدما عرف قدر ما عنده من هواه ثم وعده انه عند الصباح ينفذ
رسولا من أجله فان أنعم أبوها بما تكلمنا من الزواج والا أخذتها أنا لك غصبا وكلفنا أباها أن يزوجها والا
أشبعناه طعنا وضربا قال فلما سمع دثار ما قال له دريد وما تكلم به انشرح خاطره واستقرت خواطره لما رأى
دريدا ناصره وفرح بذلك فرحا شديدا فعند ذلك رجع دثار الى أبياته (قال الراوى) ولما كان عند الصباح
أرسل دريد بن الصمة رجلا من فرسان بنى هوازن وكان هذا الرجل عاقلا لبيبا وقد اعلمه دريد ما يقول من
الكلام لابى الجارية بسام قال وكان من جملة ما قاله دريد من هذه الرسالة اعلم يا امير بسام انى ما زلت افرسان
العرب بالمودة والخير والصلاح وهذا الامر الذى أرسلت لك من قبله فيه الحظ الاوفر والقسم الاكثر اذا زوجت
بنتك سعدى بهذا الغلام الذى أنار بيته وقد اخترته لى ولدا وصاحبا وفارسا ومعينا وسندا وقد ارتضيته انه
يدرجنى عند موتى فى الكفن لانه فارس حلو الشمائل والخصال ويرد الفرسان والابطال ويقهر الشجعان
فى الميدان ويلقى بصدره من الرجال ألف عنان ويصير أيضا خلفك مثلى ومثل صهرى سبيع بن الحرث المسمى
بذى الخمار وأيضا مثل زوج ابنتك الذى قد ظهر فيه من الشجاعة والفروسية والجسارة والنجابة ما يقدمه على
الاهوال وما لا يتأتى فى أحد من الرجال ومن جملة ذلك يا بسام انه تسبب فى أخذ فرسك واحتال عليها وهو فى زى
سائل وقد ذكر انه نظر الى وجه ابنتك فى الليل نظرة بالاتفاق أورثته قلقا عظيما وقد بلى بالبعد والاشواق
وهذا الرجل يا بسام يكون بسعادتك وعلو مجدك وأنت تنتصر به على جميع الاعداء والحساد وأيضا فان فرسك
ترجع لك ومعه من الاماء والعبيد مهما تجعل عليه من صداق ابنتك وتريد فهو يوصل اليك فوق المزيد
وهذا ما أشرت به عليك والرأى بعد ذلك اليك يا بسام وأنت أخبر بما يعود نفعه عليك (قال الراوى) ولما فرغ
دريد من هذه الخطبة ومن هذه الوصية أمر دريد الرسول أن يسير اليه فسار الرسول بهذا الكلام وهو يقطع
الربى والآكام وصار يواصل سير الليل بسير النهار مدة ليالى وأيام فهذا ما كان من أمر دثار بن رزق ومن هذا
الرسول الذى قد سار بهذا الكلام (وأما) ما كان من بسام أبى هذه الصبية التى نحن فى حديثها فانه من يوم سرق
له الفرس قد حرم أكل الطعام ولذيذ المنام وطيب الرقاد ولازم السهر مع السهاد وقد بقى فى مدة ثلاثة أيام
لم يطعم بزاد وكان كلما اشتد عليه الغضب يطلب الثلاثة عبيد الذين وكلهم بالفرس ويضربهم ضربا شديدا
ثم ان بساما جعل فى كل يوم يخرج الى البر ويدور فى الطرقات ويسأل عن الفرس من الواردين فما يسمع له خبرا ولا
يقع له على أثر (قال الاصمعى) وما زال بسام كذلك فى هم وغم ووساوس ورجاء وخوف حتى قدم عليه رسول دريد
ابن الصمة ونزل فى أبياته وبلغه الرسالة وقد شرح له ما قاله دريد من المقال وقد فرج عنه الهم والغم وفرح بسام
باتصاله لدريد بالمصاهرة الى فرسان بنى جشم وطاب قلبه من الفرح وقربه من دريد وأيضا برد جواده الذى

كان فى العدم وقد أجاب الرسول الى الزواج وأيضا فى الحال أنزل سام الرسول فى بعض المضارب والخيام
ودخل على ابنته وزوجته وقص عليهما القصة فما فرغ من كلامه وانتهى حتى ضجت ابنته سعدى بالبكاء
واطمت على خدها المورد حتى بدا الدماء وفى الحال صرخت وولولت وقالت يا أبتاه من أجل فرسك تزوجنى
ببعض العفاريت الطياره وتبلينى بشياطين من الشياطين الغداره الذى هو أوحش الخلائق خلقة وخلقا
وأنا وحق من انفرد بالبقا وأنزل الغيث من عنده رحمة لنا غدقا انى من حين رأيته فى زى سائل ما غمت ليلة
من الليالى ولا برحت أنظره كل ليلة فى المنام الا وأفزع من رؤيته من قبيح منظره وصورته وانتقاع وجهه
وريالته التى تسيل على صدره وشعره الذى هو منسبل على أكتافه وتبريق عينيه والدم الذى يسيل من
رجليه فان أنت يا أبتاه أنعمت لرسول دريد بالخطبة والزواج قتلت أنا روحى والله قبل أوان عرسى
وأكون قد فعلت شيأ ما فعله أحد من أبناء جنسى فان كنت يا أبتاه تريد تزوجنى بالشياطين المتمردين الذين
يسكنون فى الفلوات فانهم يأخذونى ويطيرو بى ويحطونى فى الجزائر الخراب المنقطعات فان كنت يا أبتاه أنا
ضيقت عليك فى هذه المضارب والخيام المنتصبات فاطلقنى الى حال سبيلى حتى انى أسير الى البرارى والفلوات
وأبعد عنكم فى الاراضى الواسعات (قال الراوى) فلما سمع أبوها منها ذلك الكلام والاشارات حار فى نفسه وقد
أخذه الدمع والانبهات وفى الحال قال لابنته ويلك يا بنتى فان رسول دريد قد ذكر لى أنه أحسن خلق الله من البشر
فى هذه الايام والليالى وانه أوفاهم حسنا وجمال وقدا واعتدال وهو أجسرهم على الاهوال وانه اذا حضر
الحرب بعد بجماعة من الفرسان والابطال فعند ذلك قالت له سعدى والله يا أبتاه لقد كذب الرسول فيما قاله
وادعاه فأنا بعينى رأيته انه أوحش من الغول وباذنى سمعت كلامه يرجف العقول وان أنت زوجتنى به
خليت الاهل والديار وهجت على وجهى فى القفار لانى على كل شئ أصبر الا على معاشرة الجن ما أصبر ولا
أقدر (قال الراوى) فلما تكلمت الصبية بهذا المقال فعند ذلك شاور أبوها أمها فيما يفعل فقالت له زوجته
والله يا ابن العم ما أدرى ايش يكون العمل نسير الى أخى ضبيان ونسأله عن هذا الشان فان عنده معرفة وذكاء
عقل وبيان وهو الذى يفصل لك هذا الامر والشان كما تحب وتختار من الرجال والفرسان ويكون على يديه
تقضى الاشغال قال وكان هذا الرجل ضبيان خال الصبية وهو من فرسان قبيلته ذو بلد وقد رأى أهل قبيلته
على رأيه ومشورته البركة والسداد والخير وفيه معرفة زائدة ورأى سديد وبصيرة فعند ذلك أرسل سام خلف
ضبيان فلما حضر واستقر به الجلوس أعلمه سام أبو الصبية بما هم فيه من هذه المشورة وما هم فيه من العناد وقد
أخبره وفى الحال طلب منه فى هذا الامر المعونة والابعاد عن ذلك قال ضبيان والله يا سام ما هذه الا قصة مشكلة
الجوانب صعبة الانحلال هذه الصبية قد وقع فى قلبها من دنار هموم ومصائب ولكن يا شيخ العرب أنا أفصل
هذه النوبة بأمر شديد ورأى حميد وأمر صائب رشيد قال له سام وكيف يكون هذا الامر يا ابن الكرام
الاطايب فقال له ضبيان أريدك يا صهراه أن تعود الى الرسول الذى أرسله دريد وتقول انى قد أجبتك الى
ما تريد وأنا لك من جملة الخدم والعبيد ولكن البنت قد وقع فى قلبها من دنار أمر وما بقى يزول الا ان كنت
ترسل دنار بن روق الينا ويكون فى صحبته بعض الشباب ويكون قد لبس أنخر الثياب حتى تراه ابنتى وتبصره
وتحقق منه النظر فان زال ما فى قلبها من بغضته فكان وان هى دامت على ما هى عليه أكرمنا رسول دريد
واعتذرنا له وسألناه أن لا يحملنا ما لا نطيق واتخذناه لنا صاحبا وصديق * قال فلما تكلم ضبيان بهذا الكلام
عندها قال له أبو الصبية يا ضبيان لقد قلت لنا الصواب وما أبقيت علينا لوما ولا عتاب ثم ان سام سار من عنده
الى الرسول وقد أكرمه غاية الاكرام وحدثه بما جرى فقبل الرسول عذره وقد علم ان هذه الامور متعلقة بعقول
النساء فما كان له من الجواب الا انه ركب من وقته وساعته وسار يقطع البرارى والقفار حتى انه وصل الى ديار
بنى جشم ودخل الى دريد وسلم عليه وحدثه بما جرى وسمع عندهم فى الديار وبما تكلمت به الصبية عن دنار
وبما شاهدت منه بالذى كان قد أتاهم فيه دنار وهو فى صفة بعض العمار من تقليب عينيه ونفش شعره على
أكتافه والدم الذى كان يشخب من ساقيه وكذلك الشفق الذى فى كفيه وهو كأنه عفريت من الجن فلما سمع

دريد هذه الاخبار تعجب من هذه القصة فقال دريد والله ان الصبية فى غاية الاعتذار مما قد نظرت وأبصرت
وفى الحال أرسل الى دنار وأعلمه بما قال الرسول فتبسم دنار وقال والله يا مولاى ان الجارية معذورة لانها رأتنى وأنا
فى أقبح صورة وما رجعت الصبية لامها الا وهى فزعانة مرعوبة فقال له دريد فاذا كان الامر على ذلك فخذ أهبتك
وسر الى ديار القوم وأرهم صورتك وبعد ذلك ما يبقى لهم كلام فقال دنار يا مولاى أريد من فضلك واحسانك أن
تسير معى الى ديار القوم لعل بسعادتك وهيبتك وعلو منزلتك أبلغ منيتى وتقضى بجودك حاجتى فاجابه دريد
الى ذلك فعندها رجع دنار وأصلح شأنه وأوصى عبيده وجواريه بما يتفق من أحواله ولما أصبح الصباح
فى ثانى يوم لبس قماشه وتقلد بسيفه واعتقل برمحه وتمنطق بترسه وفى الحال ركب على ظهر حصانه ولم يزل
ينتقل سائرا حتى أتى الى دريد بن الصمة فاستأذن فأذن له فى الدخول فدخل فلما وقعت عينه عليه باس الارض
بين يديه فما كان جوابه الا انه زعق فى رجاله وأبطاله وقد انتخب منهم خمسين فارسا من الابطال الاوقاح
المعدين لضرب الصفاح والطعن بالرماح ومقاساة الاهوال وملاقاة الرجال فى أوقات الحرب والكفاح
المعروفين بالصبر فى حومة الميدان (قال الراوى) وقد بلغنى أن دريدا لما سار تلاحقت به الرجال فأشار اليهم
بالاقامة فى الديار وقال لهم يا وجوه العرب ما قدامنا ما يوجب انزعاجكم والبؤس وانما هو أمر يوجب خطبة
عروس فليكن مقامكم فى الديار أوجب عليكم لحفظ المال والعيال ونحن ما لنا عليكم غيبة الا مقدار مسافة
الطريق فعندما سمعوا منه ذلك ودعوه ورجعوا الى ديار بنى هوازن وجشم وسار دريد يطلب طريق ديار بنى
خويلد هذا ودريد ودنار سائران فى المقدمة وهم فى المنادمة والحديث وأشعار وأخبار بما قد جرى فى أوائل
الزمان عن الملوك الاوائل ويتحدثون بما جرى من ملوك الارض فى طولها والعرض ولم يزالوا سائرين بطول
ذلك النهار حتى أمسى عليهم المساء فعند ذلك نزلوا عن خيولهم وقد ضربوا خيامهم ومضاربهم وأوقدوا
النيران وباتوا تلك الليلة الى الصباح وقد خرج دريد وخرج معه الفرسان والابطال وحملوا وساروا ولو أن لهم أجنحة
لطاروا (قال الراوى) وقد بلغنى ان دريدا وأصحابه لما كانوا سائرين على هذا المسير اعترض لهم أسد عظيم
الخلقة وقد ملأ البر من الجعير وقد بادر الى نحوهم من دحال يقال لها دحال المخافة وكان هذا الاسد أحمر مجلل
بالشعر والوبر عظيم المخبر من نظره يقشعر بدنه ويهابه أهل العقول وتكاد الالباب عند رؤيته أن تزهق وتزول
قال وعند تعرضه لهم به طلبته فرسان دريد وأرادوا الهجوم عليه وقد قاربه الرجال وتبادروا اليه وقد عول
دريد أن يتقدم فى طلبه فعند ذلك قفز اليه دنار وباس الارض بين يديه وقال له أسألك أيها الامير أن تمهل
علىّ وان تأمرنى بلقاء هذا الاسد فقال له دريد دونك ما هذا أسد تقدر مثلك يقاتله ويحاربه وان كان لا بد لك
من ذلك فخذ حذرك منه واياك أن ينشب فيك مخالبه فقال دنار وحياتك يا مولاى لا لقيته الا عريان الجسد
خاليا من السلاح والزرد ثم ان دنارا بعد كلامه نزل من على ظهر جواده وقد هيأ زرده وقماشه وفى الحال
رمى بيضته من على رأسه وتقدم الى الاسد وجرد فى كفه حسامه المهند الا ان دنارا لما تقدم الى الاسد همهم
ودمدم وزمجر وزطن وبربر وقد طلع على شدقيه الزبد وما بقى يعرف ان بين يديه أحد وفى الحال خطى أول
خطوة فلما نظر اليه الاسد كشر على أنيابه وقد حملق له عينيه فعند ذلك خطى له دنار ولما قارب الاسد
وثب وفرقع بذنبه وزعق وصرخ فتهاربت الخيل من زعقته ومن شدة صرخته اندهش دنار ثم خطى له ثالث
خطوة واذا بالاسد قرن أذنيه وقد أبرز له أظافر كأنها خناجر فلما نظر دنار الى ذلك شجع قلبه وقد أظهر نخوته
وغرز ذيله فى دور منطقته وصرخ فى الاسد بعلو صوته وفى الحال بادره بضربة بعدان وثب عليه وكانت
الضربة قد أصابته بين عينيه فطلع السيف يلمع من بين فخذيه فوقع الاسد شطرين وقد صار جزأين وبقى
على الارض قطعتين فلما قتل دنار الاسد وصار على وجه الارض ملقى ممدد مسح سيفه فى جلده ثم عاد الى درعه
وزرده ولبسها وعاد الى ظهر حصانه بعدان قبل يد دريد ورجليه فى الركاب فعظم دنار فى عين أصحابه والفرسان
وقد علم أنه بالغ غاية المنتهى فى الشدة والفروسية والشجاعة والحمية لان دنارا بعد ما قتل الاسد قال له دريد
لله درك يا دنار وقد ربيتك فوالله ما ضاعت التربية فيك فعندها قبل دنار يده ثانيا وشكره وحمده وأثنى عليه

و بعد ذلك سار القوم أياما وليالى وهم يرحلون وينزلون ولما توسطوا نصف الطريق التقاهم مقدار خمسمائة
فارس وهم من فرسان قبيلة يقال لهم بنو الحرث ومعهم مقدار خمسمائة وخمسون ناقة وجمل وهم قد كسبوها من
بعض القبائل والحلل وهم طالبون بها ديارهم فلما أبصرهم دثار التفت الى دريد وقال له أيها السيد أنا أشتهى
من احسانك أن تترك فى المسير حتى انى آخذ هذه النوق والجمال التى مع هؤلاء القوم أستعين بها على بعض
المهر وتكون والله من جملة ما يطلبه منى صهرى سام أبو الصبية من الصداق أو أتقوى بها على عمل الوليمة
والطعام والشراب وأطعم الاصحاب والرفاق وأنتم يابنى عمى اشتهى أن تمهلوا على ساعة من النهار حتى أبدد
شمل هذه الخيل فى الاقطار والبيدا فعند ذلك التفت اليه دريد وقال له ويلك يادثار هذه الفرسان من قبيلة
بنى الحرث لان أسلابهم تدل على أنسابهم وأيضا بيننا وبينهم دماء قديمة وأخاف أن يظفر وابك فيستوفوا
منك بعض الدماء فان كان ولابد فخذ معك عشرة فوارس يكونوا خلف ظهرك حماة لك قال دثار وحق الذى
أجرى الماء وعلم آدم الاسماء وقد أنار الظلماء لا يبرز للقوم الا أنا وحدى ولو أنهم يكونوا سباع البيداء فقال
دريد ان كان هذا الامر قد تصور بقلبك فأنا وأنت نبادر القوم ونحمل عليهم ونحرمهم لذيذ المنام ويكون
أنجز لمسيرنا فقال دثار أنت يا أبا النظر ما أقدر أرد عليك فيما تفعل ولا أعدل عن شورتك فيما تعمل فافعل
يامولاى ما تريد فأنا لك من جملة العبيد فاحمل أنت على أى مكان شئت حتى لا أكون قد تعديت عليك فعند
ذلك حمل عليهم دريد وقد زعق على الميمنة وفى الحال حمل بعده دثار وطلب الميسرة وزعق فيها كأنه النار
المسعرة وكان فرسان بنى الحرث أيضا أبصروهم ورأوا أصحاب دريد فى قلة فعند ذلك وقفوا وصاروا يتشاورون
فى أخذ خيولهم وأسلابهم وما معهم من سلاحهم فلما نظر بنو الحرث الى هذين الفارسين وقد أطلقوا الى نحوهما
الاعنة وقوموا بين آذان خيولهم الاسنة فعندها تعجبوا من أمورهما وقد التقوهما وقد أبصروا من دريد
وأيضا من دثار طعنا وضربا وأخذا وردا أحر من شعل النار (قال الاصمعى) والحديث ههنا مايذكر فى اطالته
لاجل ما بين القوم من التفاوت لان دريدا وحده لقى ألف فارس ويكون عليهما قطاع غير ناعس ولولا ذلك
ما كانت العرب تسميه رحاة الحرب وكان دريدا كاسمه قال وما مضى النهار حتى فتكوا فى بنى الحرث وقد قتلوا
من الخمسمائة فارس مقدار أربعمائة وخمسة وتسعين وفى الحال هربت من بين أيديهم خمسة رجال وقد ولوا
بخيلهم منهزمين هاربين وأخذ دثار النوق والجمال والخيول والاسلاب والاموال وفرحت قومه بما ظهر له من
الشجاعة والفروسية وأيضا من البراعة والشطارة والحمية وفى الحال جمع أصحاب دريد الخيول والدروع
وكذلك الاسلاب وبات القوم تلك الليلة فى ذلك المنزل ولما أصبح عليهم الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند
ذلك صرخ فيهم دريد فانتبهت الرجال وشدوا على خيلهم وتدرعوا بدروعهم وركبوا على ظهور صافناتهم
وقد ساقت العبيد بين أيديهم النوق والجمال وتموا فى المسير ليلا ونهارا وغدوا وأبكارا وهم يوصلون سير الليل
بسير النهار حتى قاربوا ديار بنى خويلد وقد بقى بينهم وبينها مقدار نهار واحد ومن هنالك خلعوا ثياب الزرد
وآلة الحرب والقتال ولبسوا ثياب البهاء والجمال وألبس دريد دثارا خلعة من ملابسه كلها تشتعل بالفضة
والذهب وهى تتقد وتلتهب وعممه بعمامة خضراء وهى معلمة الاطراف وكان دثار هذا شبابه رائق وجماله
فائق فعند ذلك أرسل دريد من أول النهار فارسا من بنى جشم الى عند سام أبى الجارية يعلمه بوصول دريد وأصحابه
وأيضا بدثار حتى يتأهب للقاهم (قال الراوى) فهذا ما كان من دريد (وأما) ما كان من سام أبى الجارية وصهرهم
ضيبان فانهم قد حدثوا الحى على هذا الحال وبما جرى لهم مع دريد بن الصمة ودثار بن روق وقد أطلعوا أهل القبيلة
بهذا الحال فلما سمعت القبيلة بهذا الخبر فرحوا بما قد سمعوا من اللغو والكلام وما فى بنى خويلد الا من فرح
بهذا المقال وشكر وادريدا وأثنوا عليه قال فبينما فرسان بنى خويلد يتحدثون فى مثل هذا وأمثاله وهم يقولون
لسام كملت سعادتنا ياسام اذا كان تربية دريد صهرنا فنعتز والله بسيف دريد وأيضا تخافنا العرب لاجل صهره
سبيع بن الحرث المسمى بذى الخمار وما تكمل سعادتك وسعادتنا الا اذا صاهرنا ابن روق دثار قالوا وبينما عرب
بنى خويلد فى هذا المقال واذا بالفارس الذى أرسله دريد بن الصمة قد أقبل عليهم وسلم عليهم وشكر وبعد ذلك

قال لهم اعلموا ياوجوه العرب ان دريد بن الصمة وارد عليكم هو وأصحابه وفرقة من الفرسان والابطال (قال
الراوى) فوالله ما انتهى الفارس من آخر كلامه والمقال حتى تواثبت الفرسان والابطال ولبست دروعها
وأسلحتها وركبت على ظهور خيولها بعد أن تقلدت بسيوفها واعتقلوا برماحها وكذلك النسوان والبنات
قد خرجت من أبياتها والبعض من بين خيامها ومضاربها ولم يكن فى القبيلة من النساء والرجال والعبيد
والغلمان الا وقد خرجوا يتفرجون على دريد بن الصمة وعلى أجناده وفرسانه كيف يكون عبورهم الى الحى
وكيف يكون ملتقى العربان فى ذلك اليوم العظيم الشان (قال الناقل) فبينما العربان يهرعون والنساء
والبنات يزغرتون ويهللون واذا بدريد قد أقبل بمن معه من الابطال والفرسان ودثار بن روق فى وسطهم مثل
القمر اذا هل وبان وقد احتاطت به بنو هوازن وجشم وهمدان فعند ذلك تلقتهم العربان وقد سلموا عليهم
وفرحوا بهم فرح استبشار فعند ذلك زعقت النسوان وهللت البنات والغلمان ورقصت العبيد والصبيان
ولم يزالوا فى فرح واستبشار حتى انهم وصلوا بهم الى المنازل والاوطان فعند ذلك وقفت العربان وسط القبيلة
وهم ركاب على ظهور صافناتهم وقد ماؤا تلك الارض وسلموا على بعضهم البعض بفرحة ومودة واحتشام
وأما دثار فانه قد وقف بفرسه فى وسط الجميع فعند وقوفه ميزته الرجال وكذلك النسوان فتعجبوا من رؤيته
وبهجته ومن شبابه ورونقه وقد استحسنه النساء والرجال وقالوا بعضهم البعض والله ان كان هذا على الحقيقة
دثار فما هو الا فرجة للنظار وان أقام عندنا فى هذه الديار فيفتن والله المتزوجات منا والبنات الابكار فهذا
ما جرى من الرجال والنسوان وهم وقوف على الاقدام (وأما) ما كان من سعدى ابنة سام فانها ركبت فى ذلك
اليوم وقد سارت الى جانب أبيها فى زى الرجال والغلمان والابطال وقد صارت تدير عينيها الى العربان والفرسان
والاقيال ذات اليمين وذات الشمال وتطلب أن تعرف بعلها بمعرفتها وفراستها وقد صارت تكرر النظر فيهم
وتدير عينيها فى جميع الحاضرين فما ترى أحسن منه ولا أجل ولا أبهى ولا أشكل من دثار ولا أعظم هيبة ولا
أشكل من ركوبه وهو مثل الاسد الهدار (قال الاصمعى) ولما أعجبها وقد افتتنت بشبابه فعندها قالت لابيها
يا أبتاه ان كان هذا الفتى الذى قدام ناظرى هو بعلى فأهلا به وسهلا وان كان غيره فما أريد رجلا ولا زوجا ولا بعلا
فقال أبوها يابنتى اصبرى على نفسك فأنا أبين لك الحال من المحال وأظهر الصحيح ثم ان سام بعد كلامه لابنته
تقدم قليلا وصاح بين الطائفتين وقد أومأ الى الشيخ دريد بالسلام والاكرام وعند ذلك نادى بأعلى صوته فى
ندائه أيها السيد الهمام والاسد الضرغام والليث المغوار والفارس الكرار ابن السادات الامير دثار يظهر
من بين الرجال والابطال ويكشف اللثام عن وجهه حتى يتضح البرهان ويبين للناس عيان فان النساء
نواقص العقول ونظرهن خلاف نظر الرجال فما أتم كلامه حتى قفز دثار اليه وفى الحال صار بين يديه ونادى
بأعلى صوته وقال يامولاى ها أنا عبدك الخاطب وقد أتيت الى جنابك وقبيلتك راغب فان رضيتنى ملكتنى
وكنت لها عبدا وخادما وكنت أيضا مملوكا لهذه البنت وان هى أبعدتنى رجعت يا أمير من حيث أتيت فقال سام
لا يا ابن روق نحن ما نريد سواك ولا ندعو الى الله الا برضاك وقد بين لهم باطن حديثه وقصته فعندها ارتفع
الصياح بالمسرة والافراح قال فعند ذلك قدم دثار تلك النوق والجمال التى قد كسبها فى الطريق وقال لابى
الجارية يامولاى هذه تكون برسم الهدية والضيافة وأما مهر ابنتك فيكون أوفى مما تريد ثم ان دثارا بعد كلامه
لحيه نزل هو وأصحابه يريدون الراحة وقد أمر عبيدهم والغلمان أن يضربوا المضارب والخيام فنزلت
الفرسان وقد أمر دثار بذبح الخرفان وتعليق القدور فهذا ما كان من دثار (وأما) ما كان من سام أبى العروس
وفرسان بنى خويلد فانهم كانوا عربا كراما ويجيرون الخائف من لهفاته ويشبعون الجيعان ويكسون العريان
وما فيهم أحد الا نحر وعقر وكذلك دريد ودثار استعدوا ونحروا وعقروا وبعد ذلك اتصلت الولائم والدعوات
مدة سبعة أيام على الدوام متواليات هذا والخلائق يأكلون ويمرحون ويتفرجون والجوار بالمزاهر يدقون
ويزعقون والعبيد بالمزاريق والحراب يلعبون وتحت الجحف يتقلبون وفرسان دريد وفرسان بنى خويلد
الى الميدان يسيرون وبالرماح الطوال يتطاعنون والعبيد فى كل يوم ما يقدرون عليه يذبحونه وينحرونه

وفرسان دريد من ميدانهم ما يرجعون الا وبلتقون الطعام ورائق المدام يشربون فلما أصبح عليهم ثامن يوم أرادوا أن تزف العروس فزفت على دثار وكان ذلك النهار نهارا مباركا فعند ذلك تقدم دريد الى وسط الجدار وأخرج الخلع المثمنة فاخلع على مقدمين الحله وعلى كبارها ولما فرغ دريد من تفريق الخلع فعند ذلك وثب دثار على قدميه ونثر بين العربان من الفضة والذهب شيأ كثيرا وقد صفت القلوب لبعضها بعض والاسرار وقد عاد حصان سام اليه فكان عنده أحلا من بلوغ المنى ومن نور عينيه وأيضا من الروح التي بين جنبيه وبعد ذلك أقام دريد وأصحابه وفرسانه عند القوم تمام خمسة وعشرين يوما وبعد ذلك استأذن دريد أبا الجارية انه يريد الرحيل فلما سمع فرسان بني خويلد مانطق به دريد شق عليهم ذلك الامر لانهم كانوا قد أحبوه ومن معه محبة شديدة فعند ذلك خلعوا عليه فأقام عندهم عشرة أيام أخر وما حنثهم في الايمان وبعد ذلك رحل دريد وهو عائد الى قومه في تلك الخمسين فارسا الذين قد وصلت معه * وأما ما كان من دثار بن رزق فانه رفع زوجته فوق هودج عالي وقد زينه بالجواهر والفصوص واللآلي وكذلك بالعقيق الاحمر ومن البلخش والزمرد الاخضر قال وبقي هذا الهودج من عظم ما رصع فيه من الجواهر المثمنه واللآلي والفصوص المعظمه وكان يدهش العقول وأما التي هي راكبة فيه فهي مثل الحور والولدان وقد وشح هذا الهودج بثياب من السندس الاخضر والحرير والاستبرق وقد حلي الجمل الذي هو حاملها بالذهب الاحمر والفضة البيضاء والقلائد الجوهر وبعد ذلك سارت فرسان بني جشم وهوازن طالبين الديار ولم يزالوا سائرين مدة أيام وليالي حتى وصلوا الى جبال نقع فلما وصلوا الى هذه الجبال بامكان فلم يدروا الا وقد خرجت عليهم ثلاث أكمان من فرسان بني الحرث وكان هؤلاء القوم في ثلاثة فارس وهم من كل بطل مداعس وليث ممارس وهم بالسيوف والجحف والرماح والدرق وقد أقبلوا عليهم بالخيول والرماح والدرق وتصايحوا من كل جانب ومكان وقد لطموهم الجميع بالقنا والقواضب وما في الثلاثة آلاف فارس الا من نادى وقال في نداه الثار والثار مثل هذا اليوم يا دريد قد كنا لك في الانتظار حتى نستوفي ثار من قتلت لنا من الرجال الاخيار قال وكان السبب في ذلك ان دريدا كان أكثر غزواته في ديار بني الحرث لان أهل هذه القبيلة ما كانوا يطيعوه ولا يعطوه خراجا ولا مالا ولا يحملوا له جزية ولا عدادا ولا نوقا ولا جمالا الا جل كثرة عددهم وتزايد مددهم فلما ان كانت هذه القبيلة على هذا المنهاج ولم يعطوا سمعا ولا طاعة فعند ذلك أباح دريد دماهم وقد ضيق عليهم وأفنى أكثرهم بكثرة غزواته لهم وقد ذكرنا ان دريدا عند مسيره التقى منهم تلك الخمسمائة فارس وفتك فيهم مثل الليث الداعس وقتل منهم هو ودثار بن رزق جماعة كثيرة وقد أخذوا منهم أموالا غزيرة ومن جملة ما أخذ منهم تلك النوق وقد انهزم باقيهم ولم يزالوا منهزمين حتى وصلوا الى الاماء وأخبروا بما جرى عليهم من دريد ومن قتل من فرسانهم ومن جندل من أقرانهم فلما سمع أهل القبيلة هذه الاخبار فبكت النساء على من هلك من رجالهم حتى أقلقوا بصراخهم الديار وأقاموا الخبار وفي الحال وصل الخبر الى مقدم الحله فأمر باحضار المنهزمين فما كانت غير ساعة حتى مثلوا بين يديه فسألهم عن حالهم وعما جرى لهم من الشدائد والكرب ومن هذا الذي أغار عليهم وفتك فيهم من أوباش الرجال فعند ذلك حدثه المنهزمون بما جرى عليهم من الاحوال وكيف صدمهم دريد بن الصمة بالرجال ومن قتل منهم من الفرسان والابطال فعندها قال لهم مقدم الحله ويلكم وما علمتم أين مضى دريد والى أين قاصد فقالوا المنهزمين بلى والله أيها الامير سمعنا انه سار الى ديار بني خويلد حتى انه يخطب لدثار بنت المقدم سام ونحن أيها الملك نعلم انه ما يقيم هناك أكثر من عشرة أيام على التمام وبعد ذلك يعود الى دياره والخيام فقال الملك سيد بني الحرث فاذا كان الامر يا وجوه العرب على مثل ذلك فأنا أقلع أثر دريد ومن معه من الرجال في هذه المرة وأعرفه شؤم هذه السنة لانه قد بالغ في العداوة لنا وفي المضرة والاسى علينا وقد طرح أمرنا وبغى على غيرنا ولما انتهى الملك من كلامه والمقال أمر وزيره ينتخب الرجال والفرسان والابطال فما كان غير ساعة من النهار حتى انه جهز من عسكره كل فارس كرار وكان جملتهم ثلاثة آلاف فارس من كل بطل مداعس وقد ركب على حصان من أفخر الخيول التي ما مثلها في تلك الايام وقد نشرت على رأسه الرايات والاعلام وخفقت الصناجق والبنود وفي الحال زعقت الجاويشية

وخرجت النقباء والغلمان فعند ذلك ركب الوزير بين يدي الملك ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ديار نقطان فعندها أمر الملك بالنزول لجميع الفرسان وضربت الفراشين السرادقات والمضارب والخيام وقد أكمن بهم الملك تحت ذلك المكان كما ذكرنا فهذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من دريد بن الصمة فانه لما عاد من ديار بني خويلد كما وصفنا وقد خرجت عليه الكمنا كما وصفنا وقد نادت الرجال على دريد بذلك النداء وأخذوا عليه من أقطار الفلا وجوانب البيداء وعرف دريد وتيقن حقيقة الحال كما شرحنا فعند ذلك التفت الى رجاله ونبه من كان معه من فرسانه وأبطاله وقد وقع بينهم الحرب والقتال واختلف ما بينهم من الحرب والطعن وكان دريد كما سمي رحاة الحرب حقا لانه جال وصال في بني الحرث شرقا وغربا وكذلك دثار بن رزق وأما فرسان بني هوازن وجشم فقد قتلوا الفرسان وطوقوهم بأدميتهم طوقا أي طوق وقد فعل بنو جشم فعال السادات الكرام لان العدد كان عليهم كثير والجمع غزير لان بني الحرث كان عددهم ثلاثة آلاف فارس ودريد في خمسين فارس ولولا دريد ودثار ما بقي من الخمسين الذين معهم أثر (قال الراوي) وما زال الضرب والطعن بينهم يعمل والدما تجري حتى تعب دريد وقد كل وملّ واندرس رسم شجاعته واضمحل وقتل جواده من تحته وصار يقاتل من خوفه على زوجته ويناصل وتزاحمت عليه الابطال وهم يقولون الثار الثار البدار البدار هذا يوم أخذ الثار وكشف العار (قال المصنف) وهو الاصمعي رحمه الله تعالى وفي تلك الساعة أشرف الامير عنتر وأرسل أخاه شيبوب ورجع اليه بحقيقة الخبر فعند ذلك حمل عنتر ومقري الوحش في الخمسين فارسا واقتحموا القتال برماح تعلو مثل الافاعي وصرخوا يا لعبس يا لعدنان وقد جودوا الضرب والطعان (قال الراوي) فلما سمع دريد ذلك النداء ظن انه كمين آخر للعدى وما هدأ قلبه حتى رأى وجه عنتر فاشتد ظهره وهان عليه ما تعسر من أمره وقد تعجب من هذا الاتفاق واتسع عليه البر بعد ما ضاق وقويت عزائم من معه من الرفاق وكان وصول عنتر اليهم نصف النهار فما طال عليهم الوقت غير قليل حتى فرق بني الحرث في البراري والقفار ودرسهم درس الزمان للاعمار ومزق عنتر الثلاثة آلاف فارس كرار وبقوا طائرين في البر يعقون ولما انطفت نار الحرب والقتال وشقت المنهزمين بين أحاقيف الجبال وقد التقى دريد بعنتر وصار يشكره على ما فعل وقال له يا أبا الفوارس ما الذي أقالك في هذا المكان والى أين سائر يا سيد الفرسان ولمن هذا المال الذي معك والاظعان فحدثه عنتر بقصته وكيف اختصم مع بني عبس وبني فزارة لاجل فعالهم في حقه وانه طالب جبال غزية ومنازلها العلية يريد الاقامة هناك فقال دريد لا وحق مالك الممالك لا نزلت الا عندي وفي دياري ومن أشرف أيامي ان يكون مثل أبي الفوارس في جواري وان لم تجبني الى ذلك نزلت عن جوادي وقدمت بزمام ناقة عبلة ولا أزال ماشيا الى ان تصل الى الحلة فعند ذلك تبسم عنتر من كلامه واستحى من اهتمامه ثم انه أخذ عنتر ومن معه وساروا الى المضارب والخيام وما لحق أن يجلس حتى أتاهم الطعام وتقدمت سادات بني قراد وسلموا على دريد وأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا وحدثهم دريد بما جرى له في بني خويلد وكيف زوج دثارا بسعدى بنت بسام وما جرى لهم في الحرب مع بني الحرث حتى أدركتنا أنت بهمتك يا زين الفوارس فشكره عنتر على مدحه وقبل يديه وصدره وباتوا تلك الليلة في أجل ما يكون حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأمر دريد العبيد أن يشدوا المحامل على النوق والجمال ففعلوا ما أمرهم به وركبت النسوان والبنات وكذلك الرجال على الخيول العربيات وتقدمت الابطال وسار الظعن أياما وليالي وغدوا وأبكار حتى أشرفوا على الديار وقربوا من جبال غزية ومنازلها العلية فاختار دريد لعنتر من الارض قطعة كثيرة العشب والكلا والماء والمرعى ونحر لهم دريد النوق والجمال والفصلان وسمان الضان وأضافهم وأكرمهم سبعة أيام وفرح بهم دريد فرحة عظيمة وصار لا يأكل ولا يشرب ولا يلتذ ولا يطرب الا هو وإياه وكلما طال به المقام زاد له في الاكرام وكان لدريد ميدان تقصد اليه الفرسان من كل جانب ومكان ويعرضون أنفسهم عليه في الطعان وكان دريد يركب هو وجميع أبطاله وقومه ورجاله ويأخذ في صحبته عنتر ابن شداد وأعمامه ولا يزالون يتفرجون على الطعان

حتى يحمى الحر ويوهج البر فعند ذلك يعود الجميع الى مجالس الشراب وكان دريد يعمل هذا مع عنتر لاجل انشراح صدره ويطيب بذلك قلبه ويرغبه فى المقام فى أرضه وقد أتت جميع فرسان بنى هوازن وجشم وسلموا على عنتر وعلى جميع الحال التى يحكم عليها دريد وتسامعت به فرسان تلك الاقاليم والبلاد فأتوا اليه حتى ينظروه ويعرفوه ويسلموا عليه لانهم كانت تجيئهم أخباره مع السفار ويسمعون عن حربه وقتاله وفصاحته وأشعاره وماجرى له مع خداوند بن كسرى وكيف قتل وردشان وماتم له فى الحرب والطعان وكيف أخذ نوق النعمان من أبيه المنذر وماقاسى من حوادث الازمان حتى ضاقت بهم تلك الكثبان وصاروا يحضرون الطعان والرهان لان فرسان العرب كانت تراهن فانهم كانوا يعملون حلقة فى رأس رمح عال وتركض الفرسان ويحذفونها بالرماح فكل من دخل رمحه فى الحلقة سبع مرات يأخذ رماح الجميع *هذا وقد صارت القبائل تراهن وتبارز بعضها بعضا وتظهر براعتها فى الطعان ودريد يحكم بينهم برأى عنتر بن شداد ويبين لهم الضلال من الرشاد وقد أقام الفرسان على هذا المنهاج أياما وليالى الى ان كان يوم من بعض الايام برز فارس من فرسان بنى سليم الى وسط الميدان فنظر اليه الخلائق واذا به غلام أسود صافى السواد شديد الاكتاف معتدل القوام حلو المنطق واضح الابتسام وعليه غلالة رومية وهو على ظهر حجرة عربية متعمم بعمامة خز كوفية وقد أرخى لها عذبة من الحرير الاحمر وعلى عاتقه سيف مجوهر وفى يده رمح طويل أسمر مكعب تكعيب معتدل الانابيب وكان هذا الفارس شجاعا من الشجعان وقرما من الاقرام ولما انحدر الى الميدان جال وصال وتقلب على ظهر الحصان حتى تفرجت عليه الفرسان وهز رمحه وهز الجواد فطار به طيران ولم يزل حتى خرق حلقة الرهان واستحق رماح الرجال والشجعان ولكنه لما أخذها رماها اليهم ولم يأخذ منها شيأ بل قال يابنى عمى أنتم تعرفون انى أنا عبد وانتم الموالى ولا يجوز لى أن آخذ رماحكم العوالى ولا أقدر أن أفتخر عليكم بفعالى وأنا ماخرجت الى الميدان الا على سبيل الفرجة مع الاخوان لا على سبيل الطمع من الرهان ثم بعد ذلك رجع الى طائفة أخرى فوجد أبطالها قد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فعند ذلك قلع من رمحه السنان وبارز الابطال والفرسان فما نازل بطلا الا وسطا عليه ولا شجاعا الا وعلم عليه ولما ان اقرت له الفرسان بالفروسية وأراد الانصراف تقدم الى عنتر وقال له يامولاى قد أسأت اليوم الادب بين يديك وتقدمت بجهلى عليك لانك أنت سيد الفرسان وعين هذا الزمان فالسيوف البتر لكفك طبعت والرماح السمر لراحتك صنعت والفصاحة من بعض ألفاظك سمعت فأى بنان يقدر يحمل بين يديك الحسام وأى جنان يثبت اذا سمع من أفواهك الكلام فقد جملت بقدومك أرضنا ونورت من السعادة حظنا ورفعت عند العرب قدرنا وعبدك يشتهى من تفضلاتك أن تنقل أقدامك الى منزلى ومقامى وتجبر كسر قلبى بأكل لقمة من طعامى لان أخلاقك تعلم الناس مكارم الاخلاق وسماع صفاتك السائرة فى الآفاق على ألسنة الناس الحذاق هى التى تركتنى أطلب ماليس لى باستحقاق ثم تقدم اليه يقبل ركابه فترجل عنتر اليه وقد ملك بهذا الكلام فؤاده واعتنقه وقبله بين عينيه ثم شكره وأثنى عليه وقال له ياوجه العرب كل ماذكرته من الصفات أنت بها أحق والذى يطلب أن يصل الى أدبك وفعالك فقد طلم وعق لانك اليوم أبهرت النواظر وأشغلت الخواطر ورأينا منك ميدانا مليح ومدحتنا وانت أولى منا بالمديح وأما اكرامك لنا فانهم له بل نسمع قولك ونمتثله لان المعرفة بمثلك شرف والتأخير عن خدمة مثلك غرور وتلف ثم انه عضده ورده الى ظهر جواده وشاور دريد فى المسير معه فقال دريد والله ياأبا الفوارس كلنا اليوم نسير مع ابن عمنا ولانخيب قصده ولانكسر قلبه ثم انه التفت الى الغلام وقال له ياخفاف استقنا وها نحن على أثرك تابعين فقبل الغلام يد دريد وسار وأما عنتر فانه رد جميع أصحابه خوفا من التثقيل وما أخذ معه غير أبيه وأعمامه ومقرى الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرة من الابطال وسار مع دريد وهو يسأله عن الغلام فقال هذا يقال له خفاف بن ندبة وقد طلع فارسا من فرسان العرب وكسب بسيفه نعم المكسب وصارت له خيام ومضارب وخيل وجنائب وقنا وقواضب فقال عنتر وقد تعلق قلبه بمحبته والله ان قصة هذا الغلام تشبه قصتى فتبسم دريد وقال أنت مالك نظير فى هذه الدنيا وبين

الورى ولا يقاس النهر بالبحر ولو جرى وكان هذا الغلام فيه مشابهة من حديث عنتر بن شداد لان أمه كانت أمة وألحق روحه بالنسب وصار يعد من أولاد العرب وهو من بنى سليم وكان فى بنى سليم من يحسده ويبغضه وهو العباس بن مرداس السلمى رضى الله تعالى عنه (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين بين المضارب والخيام حتى وصلوا الى أبيات الغلام فوجدوه قد هيأ لهم الطعام والمدام وأجلسهم فى أرفع مقام ووقف فى جملة العبيد والخدام وقد فرح بهم غاية الفرح وزادهم فى الخير والانعام وعقر ونحر لهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قام خفاف على الاقدام وقدم لعنتر جوادا وعدة جلاد وكذلك لدريد بن الصمة فما قبلوا منه شيأ بل ردوا عليه متاعه وعادوا من عنده وهم يحمدونه ويشكرونه ويمدحونه (قال الراوى) ولما وصل دريد الى خيامه وجد سبيع بن الحرث وصل من بنى جمير يأخذ أخبار عنتر لانه ذكر ماجرى له معه فى ديار بنى عامر وكان قد عول على برازه وعاد الى قومه بالجد وأتى اليه دريد وسأله عن حاله فقال ان منزلتى قد نقصت عند العرب من يوم أسر عنتر عبد شداد وانه قد التقانى وأنا تعبان من قتال بنى عمه وكانوا أربعة آلاف وكان جوادى قد بلغ المنتهى من التعب فوقع من تحتى عند لقاه فبلغ منى ذلك الوقت مناه وكنت أنا نويت أن أعلق لى قصيدة على الركن اليمانى فى البيت الحرام وأنال الفخر بين الانام فانكسر عزمى عما كنت عليه عازم لان العرب صارت تقول لى كيف نسجد لشعرك وأنت أسرك عبد بنى عبس والآن قد بلغنى انه نازل عليك وقد أتيت أبارزه بين يديك ويكون برازى على سبيل الاختبار فان أسرنى اشتريت نفسى منه بكل مايريد من المال وان أنا أسرته استخدمته مثل العبيد عند الموال فقال دريد والله ياذا الخمار ان هذا الامر ماتركه يتم ههنا فى ديارى ولا يقدر أحد يؤذى جارى لان هذا الرجل فى جوارى والرأى عندى أن تترك هذا الامر خير لك ولك حجة تحتج بها عند قبائل العرب وتقول أسرنى عنتر وأنا تعبان وماقهرنى حتى وقع من تحتى الحصان ولا تلح فى هذا الامر وفى معاداة هذا الرجل تندم لانه اذا انتصر عليك جعلك فضيحة بين الامم لانه والله فارس العرب والعجم وشجاع الزمان وماأظن أن تلد مثله النسوان وانه أخبر منك بالطعان ومداراة الفرسان وله خبرة وساعات طيبة وسعادة ولرب السماء فيه مشيئة وارادة والرأى عندى أن تعود الى أهلك ولا تخالفنى فتهلك (قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار ذلك المقال زاد غيظه وحنقه وكاد الدم أن يطرش من حلقه وعاد من ليلته طالب أهله وأظهر انه غضبان ولما أصبح الصباح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح وركبت أبطال القبائل الى الميدان الذى قدمنا ذكره وأقبل عنتر وسلم على دريد هو ومقرى الوحش والرجال الذين معه فكان أول من برز الى الميدان الصبيان الذين فى الحلل وهم أولاد الفرسان لاجل أن يتعلموا الضرب والطعان كما جرت به العادة حتى تقضى نصف النهار وهم على ذلك الحال فارادت الفرسان أن تخرج الى المجال واذا قد أقبل من صدر الميدان فارس غريب وعليه زى عجيب وله هيبة ووقار وثياب جميلة تبهت النظار لانه كان لابسا ديباجة رومية وعمامة خز كوفية وهو مضيق لثامه ومنكس عمامته على جبهته وتحته جواد حسن القدر رقيق لحم الخد طويل الذنب سريع الجرى والخبب فسيح الظهر عريض النحر ظاهر النخوة حسن الغرة ناعم الشعرة يسوى من المال بدرة ولما أقبل عليه ورمقته الفرسان وتأملته الاقران واذا به العباس بن مرداس السلمى ثم انه فتح باب الطراد فى الميدان ولعب بالرمح والسنان وقد تأملته الاقران وهو يغير فى الحرب أبوابا حسان من صدور ورد وهزل وجد وتركيب العنان وزرق العينان والمقاربة والمواثبة والمباعدة والمصادمة والمهاجمة ثم انه أشهر الحسام وحذفه الى الهواء واستقبله بقائمه ورده الى غمده وعاد الى لعب الرمح حتى حير الفرسان وأذهل الاعيان ونادى ابرزوا الى الميدان حتى تنالوا منازل الاقران فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس على جواد أبرش لايلم به رعش وهو بالزرد مقمش وعلى رأسه بيضة عادية ترد مضارب السيوف الهندية فحمل على العباس وجال الاثنان وصالا على بعضهما بعض فقرع العباس رأسه برأس الرمح وكف عنه وطلب البراز وسأل الانجاز وقال ابرزوا يابنى الاعمام الى موقف الرجال الكرام واذا عجزتم عن ذلك فدونكم عشرة بعد عشرة فما أتم كلامه حتى تحدر اليه خفاف وصار له ملاصقا

ومطابقا واراد أن يجول معه فرمق فيه العباس وزعق عليه ارجع الى ورائك يا ابن السوداء الرطبة الاستين المنتنة الابطين الواسعة الشدقين نحن ما طابنا الا برازا السادات النبلاء لا برازا أولاد الاماء فغضب خفاف وخجل ورد يده الى قائم سيفه وحمل وانطبق على العباس وفعل العباس كذلك مثل ما فعل فعند ذلك جرد دريد سيفه ودثار وعنتر ومقرى الوحش وعروة وزعق دريد فيهم فافترقا وقال لهم ما هذه الفعال بعد اللعب والمزاح عدتما الى الحرب ومقام الكفاح فقال خفاف يا مولاى أنا برزت اليه طالبا بذلك اللعب بين الفرسان فكان فؤاده على ملآن وقال لى ما قال بين الاقران فهذا قول الرجال الكرام فقال عنتر عليك يا خفاف باحتمال بنى الاعمام وان اعتدوا عليك فى الخصام وأنت يا عباس لا تتكلم الا بما تتكلم به الناس الكرام ولا تغضب أحدا بالكلام وعليك بحفظ اللسان والسلام ولم يزل عنتر بينهم بمثل هذا الكلام حتى أزال من قلوبهما الاحقاد وأصلح بينهما ولكنه صلح على فساد وعاد هو ودريد وبقية الجماعة الى حى بنى هوازن وجشم بعد ما ودعهم خفاف وعاد الى أبياته ولكن استولى عليه الغضب وأما عنتر فانه عاد الى مضاربه وأقام بها هو وفى اكرامه الى يوم من بعض الايام قام من منامه وجلس على باب مضربه وأتت اليه أقاربه وأصحابه واذا هو بعبد مقبل من البرية ومازال حتى قبل يديه فتبينه واذا هو من عبيد الحرث ابن الملك زهير فلما قدم عليه قال له يا حامية عبس أدخل لى المكان حتى أطلعك على الامر الذى أنفذنى فيه سيدى ففعل عنتر ذلك وقال له اعلمنى فقال له اعلم ان حصن بن حذيفة بعد رواحك جاءه الخبران جارك مالك بن قادم وبنى عمه رجعوا الى بنى كنانة وتزوج ذلك الغلام بالجارية فلما سمع حصن بذلك أرسل سرية من الخيل الى بنى كنانة فاكمنوا الجارك وأنفذوا اليه واحدا يستغيث به وذلك حيلة منهم دبروها وخديعة أحكموها فتقلد بسيفه واعتقل برمحه وأجاب المستجير وتبعه حتى رماه فى وسط الكمين فلما عاين ذلك الحال والبوائق تيقن بالبلاء الطارق فلما رأته الرجال حملت عليه فصاح بهم ويلكم يا أنذال العرب صرتم تأخذون الفرسان بالخديعة لما عجزتم عن الطعان وأنا وحق من ركب الارواح فى الابدان وجعل الارض ميدان ونصب السماء بلا دعائم ولا اركان وهو الواحد الاحد القريب المنان لا نزلت عن ظهر الحصان ولا سلمت روحى اليكم حتى أعاين الموت عيانا فى هذا المكان ثم انه أخذ رمحه بيده وهز الحصان فخرج من تحته مثل البرق فى اللمعان وحمل على الرجل الذى استجار به وطعنه أرداه وقد اشتهر الامر وبان وتراعقت فرسان بنى فزارة وذبيان والتقاهم الغلام برمحه والسنان حتى قتل منهم عشرين من الفرسان فتكاثروا عليه حتى أخذوه أسيرا بالزور والبهتان وقادوه ذليلا مهان وأتوا به الى حصن فشده وثاقا وأخذ يعذبه بأنواع العذاب ويقول له نادى يا قرنان بعنتر حتى يخلصك من هذا الهوان وأنا أقسم وحق من أخرج الماء من الجماد ما أبرح أصب عليك العذاب حتى تنفذ الى قومك وتأتينى بالجارية نوار وبدية من قتل من الرجال الاخيار وان الغلام يا أبا الفوارس قد بكى عليه الطير فى كبد السماء رحمة له ولولا خوف سيدى من أخيه قيس كان دبر على خلاصه بأى وجه أمكن فلما ضاقت به الحيل أرسلنى اليك أعرفك بذلك الخبر (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وقال للعبد ويلك والملك قيس اليوم معاشر بنى فزارة قال نعم يا مولاى ويأكل هو وولده زهير ويشربان معهم وان زهيرا أخرج بطلا من الابطال الثقال وجبارا لا تصطلى له نار فلما سمع عنتر ذلك قال أنا آن شاء الله تعالى أسير الى بنى فزارة والحق حصنا بأبيه حذيفة وأما قيس بن زهير وشجاعته وفروسيته فأنا بها فرحان وحامد لله تعالى على ما أنعم وعلى ما أنتج الزمان لبنى عبس حامية غيرى وأراحنى منهم ثم انه أمر عروة أن يكتب للحرث كتابا ويشكره فيه على همته ومحبته ويقول له سوف ترى يا مولاى من يندم اذا حضر الامر وعظم وهذا أمر لابد له من آخر وها أنا سائر على اثر هذا الكتاب ثم انه خلع على العبد خلعة سنية وأعطاه عشرة جمال يشترى بها نفسه من رق العبودية وودعه العبد وسار طالبا مولاه وهو شاكر لعنتر على ما أولاه وأما عنتر فانه زعق على مقرى الوحش وعروة بن الورد وعمرو وأخى عبلة ومن يعتمد عليهم من رجاله الابطال فجمع منهم مائة فارس وأخذ أخاه شيبوب بين يديه وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وكان عنتر سمع أن بنى عبس وشباب بنى فزارة يجتمعون للمدام مع بعضهم البعض يشربون هذا ولم يزل شيبوب بين

أيديهم سائرا الى أن قارب الديار فقال عنتر يا أبا رياح انطلق وهات لنا الاخبار من القوم فقال له أى وأبيك انزل أنت فى هذا الوادى واكمن فيه الى آخر النهار فنزل عنتر وأصحابه كما ذكر له أخوه شيبوب ثم ان شيبوبا سار فى زى راع وأبصر القوم وهم على منهل بين القبيلتين فرجع وأخبر أخاه بذلك ففرح وقال اليوم أفنى بنى بدر وأجازى بنى عبس على فعالهم وأعرفهم قدرى فقال شيبوب على ماذا عولت أن تفعل فقال أغير على أموال بنى فزارة وآخذها وأعود وكل من تبعنى منهم فالبركان لى وله حديث آخر فقال شيبوب أنا أعلم أنك اذا أخذت أموال بنى فزارة وتبعوك لخلاص الاموال ما يقعد عنهم زهير بن قيس وفرسان بنى عبس فقال عنتر اذا أتوا الى حربى ما أقاتلهم بسنان بل أذلهم بالرمح وأتركهم مرميين على وجه الثرى فهو أشد عليهم من القتل والهوان فقال شيبوب وأنا بهذا أردت أن أشير عليك ثم ان عنترا أوصى مقرى الوحش ورجاله بالذى يعملون وساروا تلك الليلة حتى طلعت الشمس وسرحت الاموال مع الرعيان وانبسطت فى الوديان ولما رأى عنتر ذلك حمل هو ورجاله وقطعوا منها خمسة آلاف ناقة وجمل وطرحوا الضرب فى أقفية العبيد وأمروهم بسوقها الى بلاد اليمن وهم ينادون يا لقحطان وقد وقع بهم الصياح فى كل مكان وعاد باقى الرعيان الى عند الاحياء وطرحوا الصوت فى الحلة وأخبروا بما جرى فركبت بنو فزارة جميعهم ومن تبعهم ووصل الخبر الى حصن وسنان بن أبى حارثة وهم فى الوليمة كما ذكرنا وقالوا جاءت اليمانيين غائرة ساقت الاموال والنوق والجمال فقاموا بلا عقل وكذلك زهير ابن قيس قام الى جواده وهو يقول لحصن لا تخف فلو ان أعداءك فى آخر بلاد اليمن لحقتهم وخلصت الاموال منهم وجازيتهم على فعالهم وكذلك قال سنان ثم ركبت بنو عبس وركضوا الى ان أدركوا عنتر ونادوا الى أين يا أولاد الزنا وأنتم بأموالنا سائرون ونحن سباع الآجام واليوم نجازيكم على فعالكم يا رعاة الغنم هذا وعنتر مد عينه فرأى حصنا وسنانا ومالك بن بدر فى أوائل القوم وهم بقلوب حنقة لأجل أخذ المال وما هم فيه من سوء الحال فعاد اليهم عنتر عودة الاسد الرئبال ورمى نفسه عليهم وهو ينادى يا أوغاد غير أمجاد أما تعلمون أنى عنتر بن شداد فاليوم أخلص جارى وأجازيكم على فعالكم وأهججكم فى أقطار البرارى والقفار ثم انه قصد الى سنان بن ابى حارثة ومال عليه وطعنه بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره وكاد أن يعدمه الحياة وعجل فناه وأدرك مالك بن بدر وفاجاه ومسكه من أطراف درعه وحذفه وراءه فكتفهم شيبوب وبعد ذلك طلب حصن بن حذيفة وقد انخرع لما علم أنه عنتر فولى وانهزم وأطلق عنان الغبراء فطلبه عنتر وزرقه بالرمح فجرحه جرحا وهنا ونادى والهفى عليك يا ابن الخنا وبعد ذلك عاد الى بنى فزارة فأفناهم وأبلاهم بالبلاء وشردهم فى أقطار الفلا واذا بزهير بن الملك قيس قد فاجاه وهو يقول ويلك يا ولد الزنا تمد يدك على مواليك فلا باركت اللات والعزى فيك فاليوم أشفى قلبى منك لأجل تجرئك على بنى فزارة وملوك بنى بدر وطعنه طعنة جبار لا يقع عليه عيار فرد عنتر أعنته وطعنه طعنة خفيفة فرماه ورمى معه جماعة من بنى عبس فرماهم كلهم وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة بن الورد ولما فرغوا منهم ترجلوا اليهم وكتفوهم وخلوا من البرمكانهم وأخذوا مالكا وسنانا وساروا يقطعون البرارى والقيعان حتى وصلوا الى الاحياء وحط مالكا وسنانا فى القيود والاغلال وصال عليهم بالعذاب والنكال فقال له سنان يا حامية عبس وعدنان أنت مالك حاجة فى اعتقالنا الا الخلاص جارك فان وثقت بقولنا فنحن نرسل الى حصن رسولا من عندنا بان يفكه ويرسله اليك فلما سمع عنتر ذلك الكلام فقال له يا سنان احلف انك تطلقه وأنا أخلصك فحلف له على ذلك فقال عنتر وان لم تطلقوه فانتم أخبر على أى شئ تقدموه ثم أمر شيبوبا باطلاقهم وساروا يجدون فى المسير حتى وصلوا الى بنى فزارة وأطلقوا مالك بن قادم وخلعوا عليه وسار الى أرضه وأما دريد فانه استوحش الى عنتر فأتى اليه وسلم عليه وعتب عليه كيف سار ولا أعلمه حتى انه كان يسير معه ويخدمه فقال عنتر يا سيدى ما هنالك شئ يوجب تعبك وعناك (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الحديث واذا بالخيل قد أقبلت وهم يقولون ألحقنا يا أبا النظر لانه قد وقع الخلف بين خفاف والعباس ووقع بينهم الحرب والدعاس وان لم تلحقهم والا أفنوا بعضهم بعض فوثب دريد وعنتر وقد لحقوهم والحرب بينهم قد اتصل واشتهرت السيوف وقومت الرماح وعلت الضجات وارتفعت الصيحات فعندها زعق فيهم دريد وعنتر ودخلا بينهما فرجعا

من الحرب والقتال وقال لهم عنتر ما هذا الحال يا سادات بني سليم حتى ركبتم طريق البغي التي ما ركبها أحد الا
هلك فكفوا عن هذا البغي وان رضيتم تكلمت بينكم فقال دريد يا أبا الفوارس قل ما تشاء فقال عنتر معاشر بني
سليم المطنب في حقكم والمشمر في الثناء عليكم عاجز كلامكم مقبول ومالكم محفوظ فضج بنو سليم بالثناء
عليه وقالوا له أبدا ما تريد من الحظ الرفيع قولك صواب فقال عنتر انصرفوا الى غداة غد احكم بينكم
فامتثلوا أمره ورجعوا ورجع دريد وعنتر وأصحابه حتى أصبح الصباح واجتمع السادات كلهم ليسمعوا ما يقضي
عنتر بينهم وكان قد أنفذ الى خفاف بالليل وسأله عن حقيقة الامر فأخبره بحاله ولما اجتمع الناس وحضر العباس
فقال عنتر للعباس وخفاف اعلموني ما سبب هذه العداوة التي بينكم فقال خفاف والله يا أبا الفوارس مالي ذنب
الا اني خطبت بنت هذا الرجل على يد جماعة من سادات قومي فطلع هذا الرجل الينا وقال كلاما لا خير فيه
وأظهر عنادا وعايرني بسوادي فضحك عنتر وقال يا خفاف ان كانوا عايروك بذلك فقد عايروني من قبلك فقلت
في ذلك أبيات من الشعر والنظام

اذا عاب العدو سواد جلدي * فما لسواد جلدي من دواء
وفعلي أبيض والمسك لوني * ولوني ليس ينقص في علاء
ولكن تبعد الفحشاء عني * كبعد الارض عن جو السماء

(قال الراوي) فلما سمعت العرب ذلك قالت هيهات يا أبا الفوارس أن تقيس نفسك بغيرك وأنت النجم الزاهر
وجنة الناظر فقال العباس والله يا أبا الفوارس ما خفاف نظيري حتى يخطب موضع ما أخطب أنا فقال عنتر
احفظ لسانك يا عباس فوالله ما يزري بالرجال الا خصلتين وهما البخل والفزع وأما اذا كان الرجل كريما
يكسب بماله الثناء ويذب عن حريمه ويحفظ جاره من غريمه لا يبقى به عيب يعاب به بين السادات الكرماء
ثم ان عنتر التفت الى أبي الجارية وقال له يا وجه العرب أنت وجهك جميل بكل خير ومكلل بالسمر ومنير
وهذان الرجلان رضيت بي فيهما يكون لابنتك بعلا فتزوجها به او يرجع الآخر عنها بلا علاج فقال أبو الجارية
والله يا أبا الفوارس لو تركوني من الاول أن أتكلم ما جرى شئ من هذا الامر ولكن اعلم يا أبا الفوارس والكلام
لجميع السادات ان لي ثارا عند رجل من أهل اليمن يقال له المتعجز بن فايز القضاعي وسبب الدم الذي لي عليه
انه أغار على جمالي والنياق فساقها مع الخيل العتاق وعاد يطلب دياره فوصل اليّ الخبر فلما سمعت بذلك ركبت أنا
وأولادي اثر المال وجميع النياق والجمال ولما لحقناه وزعقنا عليه وحملنا من كل جانب عليه عاد الينا
عودة الغول الحردان وقوّم الينا السنان وزعق على ولدي الاكبر وطعنه في صدره أطلع السنان يلمع من
ظهره ولما رأيت ذلك غابت عن عيني الارض والسماء وحملت عليه لآخذ منه بثاري وأكشف عني عاري
فكبا جوادي ورماني عن ظهره وكانت وقعة عظيمة أوهنت قواي فأردت أن أقوم فبادرني بعض بني عمه
وطعنني فوقعت الطعنة في فخذي فوقعت على وجهي وقد خاف أن تلحقني الفرسان من أرضنا فجد في المسير وقد
ظن اني قتلت ولما أبعدت عن القوم قمت وشددت جرحي وأتيت الى البيت وعالجت نفسي حتى برئت وقد بطلت
رجلي وبقيت في أمر مهول فأيهما أخذ بثاري وكشف عني عاري زوجته ابنتي ورضيته لكريمتي (قال
الراوي) فلما سمع الحاضرون ذلك عذروه وقال دريد والله ما بقي على الرجل ملام فعندها نهض الاثنان وأرادا
المسير فقال عنتر ما هذا صواب ان سارا في طريق واحد نخاف أن تتجدد الحروب بينهما فيقتتلان ونكون قد
دبرنا تدبيرا يعود علينا بالوبال والتدمير فقال دريد كيف يكون الحال فقال عنتر ألق بينهما القرعة فأي من
وقعت عليه سار قبل صاحبه فأجاب دريد الى ذلك وشكرته العرب على قضائه وألقوا القرعة بينهم فوقعت على
العباس ثلاث مرات ففرح فرحا عظيما ثم اتفقت العرب ان العباس يبلغ مراده لما يعرفون له من الاصدقاء
والاصحاب لان من جملة أصدقائه سبيع بن الحرث الملقب بذي الخمار وما كان قلبه قويا الا به ومن يومه جمع
بني عمه وسار الى بني حمير ونزل على سبيع ففرح به وأكرمه وسأله عن حاله فأخبره بما جرى له وما اتفق بينهما من
الامر قدام سادات العرب ثم قال وقد أتيت اليك قاصدا حتى تعينني على ذلك لاني أعلم ان خفافا يطرح نفسه على

عنتر فيشد معه ويسير الى معاونته لانهم عبيد أولاد زنا وأنا قد سلمت أمري اليك وتركت معولي عليك فقال
ذو الخمار يا عباس ابشر بما يسرك ويكشف عنك ضرك ثم انه جمع من يعتمد عليه من الفرسان وأخذوا
أهبتهم ثم ساروا في خمسين فارسا عليهم الزرد النضيد وساروا بعدما أخذوا معهم أدلاء يعرفون الطريق
ويخبرون تلك الارض لانها صعبة المسالك لان فيها برية تسمى برية سبروت لا بها منهل ولا قوت ولم يزالوا يجدون
المسير عدة أيام حتى توسطوا البر المنقطع ونزلوا على بعض المناهل والغدران وقد وقع في زادهم النقصان ولو لم
يدركهم المسا كانوا قاسوا جور البلا والاسى لان الحر شديد لا تصبر عليه أحرار ولا عبيد وقد نشفت المزاود والقرب
وزادهم الويل والحرب حتى رأوا الغدير فتساقطوا عليه مثل الطير الذي يطير ولما أمسى المسا قام ذو الخمار
ونادى على الادلاء يا بني الاعمام قوموا بنا نقطع البراري والآكام في جنح هذا الظلام لان هذه البرية يقال
لها برية سبروت لا فيها منهل ولا قوت شديدة الحر والهجير تتلظى بالنار والزفير طولها يوم وليلة للفارس المجد
المسافر في الترحال لا يقطعها الا من يكون معه القرب ملآنة بالماء الزلال فامتثلوا أمره وملؤا تلك القرب
وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ثم جدوا في المسير الى ان تضاحى النهار وقويت عليهم الشمس واتسعت عليهم
الاقطار وقد استشاروا فيما يعملون فقال الادلاء ما في الامر الا المسير على مقصد واحد والنجاة من هذه الفدافد
ما دام في الخيل رمق فان كان لنا نجاة أدركنا المياه والا نموت موت الفجاءة فقال ذو الخمار وقد أيس من الحياه
من شدة الحر الذي دهاه ان كان الموت قد اقترب فما نموت الا من العطش وقلة الماء الا انهم ساروا كما أشارت
عليهم الادلاء ذلك اليوم الى ان حمي عليهم الحر وصار نصف النها وقصرت الخيل عن المسير من التعب وعادوا الى
نحو القرب فما رأوا فيها غير الويل والحرب لان الحر كان شديدا واتسعت عليهم البيدا وزادهم البلا وأيقنوا
بالهلاك لعدم الماء وقد قل الكلام والشكوى واشتغل كل انسان بروحه ولم يلتفت الصديق الى الصديق
وكشفت الفرسان الرؤس ورمت السلاح والملبوس وقال الادلاء يا بني الاعمام قودوا الخيل وامشوا في
ظلها فان المنهل قريب غير بعيد فقال العباس لقد كانت بئس الطريق رمينا فيها بجميع آفات التعويق
وكل هذا جرى لنا بعداوتنا الى هذا الولد الزنا خفاف بن ندبه ولولاه ما كنا وقعنا في هذه النكبه وانا أعلم ان عبد
شداد يسير معه ويساعده ويعينه برجاله ويبلغه آماله فقال ذو الخمار يا عباس ما آذى بدني وأنحل مني
جسمي الا معاداتي لعنتر ونصرته علي مرة بعد مرة وقد أذاني له صاحب المشيئة والقدرة وأقرب شئ في هذه
المرة لاني ما سرت معك الا لأجل أن تسير وتفوز بالمراد والتقيه أنا في هذه البلاد وأشفي غليل قلبي والفؤاد لاني
أعرف انه لابد له من المسير مع خفاف والتقيه في الطريق فعاندني القضا ولم أبلغ منا وبقينا تائهين في الفلا
(قال الراوي) كل هذا جرى وهم سائرون على أقدامهم يجدون الى ان أمسى المسا فناموا كلهم كأنهم أعجاز نخل
خاويه وخيلهم الى جانبهم ترعى من حشائش الفلا وهم آمنون ولا عندهم خبر من ريب المنون بل قلوبهم
واثقة لاجل ما قطعوا من تلك الارض التي للمنية مفارقه وللآخرة ملاحقه وما انتبهوا حتى قوي الحر
وتعالى النهار وأحرق وجوههم حر مثل لهيب النار فالتفتوا يمينا وشمالا فلم ينظروا لخيلهم آثارا فعندها أيقنوا
بالموت والدمار فقال بعضهم لبعض والله ان هذا هو أشد ما يكون من العار وذلك اننا أصبحنا ما لقينا لخيلنا
آثارا ترى يا قوم من هو الذي أخذ خيلنا الجياد وتركنا حيارى بين العباد فقالت لهم الادلاء يا ويلكم ما هذه
الحيرة والانبهات ونحن بقي بيننا وبين الماء شئ يسير من الفلوات واذا لم نجد في المسير والا هلكنا لان خيلنا
راحت وزادنا فرغ وما بقي لنا بد من قيام الموت على رؤسنا ثم انهم ساروا حتى حمي الحر وزادهم العطش والظما
وضاقت الانفاس وبردت لانهم على كل حال رجاله بلا زاد ولا ماء وقوي عليهم الحر وصاح الجندب وصر
وأيقن كل واحد أنه هالك وقد خرج من شدة العطش اللسان وورمت الشفتان وما بقي الا أن يرموا أرواحهم
الى الارض ويودع بعضهم بعضا فنادى الادلاء يا بني الاعمام لا ترموا أرواحكم الى الارض فان الغدير منا
قريب خلف هاتيك الرابية الخضرا فلما سمعوا ذلك اشتدت منهم الانفاس وجدوا في المسير الى ان قاربوا ذلك
الغدير ونظروا ماء على وجه الارض يسير فما تمالكوا أرواحهم حتى تساقطوا على الماء وما فيهم من بقي على

نفسه وقد غابوا عن الدنيا ولم يدروا هم فى الارض أم فى السما وكان على الغدير خيل ومضارب وجنائب وفى دون ساعة القوا عليهم الصياح ومدوا اليهم قطع الرماح وصاحوا لهم أوفى من ألف فارس بالقنا والقواضب ودار وابهم من كل جانب ونادوا اياو يلكم من أى الناس أنتم سائرون فقال لهم العقلا من بنى سليم وقد طلبوا المداراة بلين الكلام يا قوم ترفقوا بنا ودعوا التجبر على قوم قد هلكوا من الحر والعطش وغير الجوع عقولهم والدهش فمكنونا من ورود الماء واسألونا بعد ذلك عن أحوالنا (قال الراوى) وكانت هذه الخيل من بنى قضاعة وهى ألف وخمسمائة فارس والمقدم عليهم المتعجز بن فايز القضاعى الذى طلب العباس قتله و يعود برأسه و يتزوج بالجارية التى عانده عليها خفاف بن ندبه ومعه اخته غمره صدامة الخيل وخواضة الليل وكانوا قد خرجوا من بلاد شريف يطلبون المعاش والمكسب من بلاد الحجاز فوقعوا بهؤلاء الرجال اتفاق فى هذا المكان ودار وابهم من كل جانب ومكان فلما سمعوا كلامهم رحموهم ثم قال بعضهم لبعض الرأى اننا نمهل عليهم ونشاور غمرة وأخاها ونخبرهم اننا وقعنا بار بعين رجلا من صعاليك العرب وقد هلكت خيولهم فى البرية وما فيهم الا من هلك من العطش وقلة الزاد وأردنا نهبهم بالصوارم والقنا فقالوا انما مكنونا من ورود الماء فما الذى تامر ونا فيهم ثم ان الرسل ساروا اليهم وعادوا فى أسرع وقت وقالوا لهم اسقوهم وشدوهم كتاف وعادت اليهم الرجال سقوهم وفعلوا بهم ما أمروا به وعند الصباح سقوهم وشدوهم وتوكلوا بهم الى المسا وساقوهم الى الخيام لان غمرة مع أخيها كانت خيامهم على المناهل والعيون مضروبه فاحضروهم قدام الاثنين وصفوهم صفين ونظر العباس الى غمرة فرآها مائلة الى السواد الا انها عريضة الاطراف صلبة الاكتاف بأرداف ثقال وعينين كحال وسواعد طوال وخلقتها مثل خلقة الاسود وعلى أعطافها الفروسية دلائل وشهود فتعجب الناس من تلك الخلقة وقد هاله رؤيتها فبقى مختفيا بين أصحابه حتى لا يعرفه أحد وأما سبيع بن الحرث صار باهت الى غمرة و يقول ليتنى هلكت من العطش فى البر لا من الحره هذا وغمرة تنظر اليهم وتميز أشكالهم وتطلب أن تعلم أحوالهم فلما كررت نظرها فيهم أقبلت عليهم وقالت لهم من أى العرب أنتم أيها الاشرار وأى شئ أوصلكم الى هذه الديار فقالت العقلاء منهم يا أميره نحن من بنى هوازن وسليم ونحن من صعاليك العرب وقد خرجنا فى طلب المعاش والمكسب كما جرت سنة العرب فوقعنا فى بريه ما لنا بها خبره فبقينا فى ذله وحيرة وماتت خيلنا وقل من العطش قوانا وحيلنا ووصلنا الى أرضكم فى هذه الحالة التى ترونا فيها وقد وقعنا فى أيديكم وظفرتم بنا فافعلوا الآن ما شئتم واحكموا فينا ما هويتم فلما سمعت غمرة كلامهم ومقالهم وتذللهم وخضوعهم فقالت يا وجوه العرب نحن ما نطلب منكم فضة ولا ذهب وما نريد منكم غير الجمال الذى اتفق عليها الحال و بعد ذلك نقابل سيدكم دريد على هذه الفعال لاننا ما كنا نعفو عن بلاده الا لاجل كبره وتقدمه على العرب والآن قد وصل شره الينا وأما أنتم فاقطع عليكم الفدى والاحل بكم الردا فلما سمع العباس هذا المقال أيقن بالخلاص من الاعتقال وأقبل على غمرة وقال لها يا ابنة الملوك أما الفداء فنحن نحمله اليك و يصل الى بين يديك ولكن يكون على قدر اقدارنا فقال المتعجز يا وجوه العرب كل الفرسان تقول هذا المقال اذا وقعت فى الاعتقال و يجعلون ان ما لهم قدرة على مال ونحن فما نبغى عليكم فى الطلب ولا نريد من كل واحد منكم لا فضة ولا ذهب وما نريد الا من كل واحد ثلثمائة ناقة وجمل فانفذوا واحدا منكم يأتى بالنوق وعودوا الى أهاليكم من قريب وانجوا من الهلاك والتعذيب لاننا ما بيننا و بينكم ثار نستوفيه ولا دين نقضيه فرضى العباس بذلك وما صدق حتى أنفذوا واحدا من بنى عمه الى دريد يعلمه بما جرى عليهم و يحثه على خلاصهم وأخذ له من غمرة نجيب قوى الاعصار يسير مثل السحاب واستكثر له من المياه والزاد لعلمه بما قاسى فى تلك البلاد وكل هذا يجرى وذو الخمار ساكت لا يتكلم وهو حيران وكانت غمرة قد شرطت على الرسول أياما معلومة وقالت له ان تعديت الاجل ضربت رقاب أصحابك ولما انفصل الحال على ذلك الامر قرنت الاسارى الى بعضهم البعض وقالت لاخيها عدنا الى أهلنا فقد ارتحنا من التعب والعنا وسهل علينا المكسب والغنى ونحن اذا أتانا هذا المال أطلقنا هؤلاء الرجال وعدنا غزونا الى بنى عدنان وكبسنا الحلل

وقتلنا الفرسان فقبل أخوها مقالها ورجع وتبعهم أصحابهم من بنى قضاعة وهم يسوقون العباس وذا الخمار ومن معهم من الجماعة وكانت المسافة بينهم و بين أهلهم ثلاثة أيام فقطعوها فى دون ذلك من شدة افراحهم وأشرفوا على بلاد شريف ونظر أهل الحلة الى غبارهم فانكروهم واعلموا سيدهم بذلك فركب فى جماعة من مشايخ قومه وأبطال عشيرته وتجارت الخيل من سائر الجهات حتى عرفوا حقيقة الحال وعلم فائز بعودة ولده وابنته ومن معهم من الرجال فتقدم اليهم وسألهم عن سرعة عودتهم فاخبروه بالخبر وقدموا اليه الاسارى وانهم أنفذوا اليه النوق والجمال فتعجب فائز من ذلك الاتفاق الحلو السماع والمذاق وقال ما أنتم الا فرطتم فى أمر كبير وقد أسأتم الرأى والتدبير فقال ولده وكيف ذلك يا أبتاه فقال أما علمتم ان هؤلاء الانذال خدعوكم بالمحال ووعدوكم بالنوق والجمال وأنفذوا الى قومهم يعلموهم انهم فى الاسر والاعتقال وكأنكم بدريد قد أقبل فى جيش تهتز له الجبال و يعود النهار منه أسود من غبار حوافر الخيل العتاق لانه شيخ العرب وعقيدها وكبيرها وأميرها وله فى قبائل العرب الامر المطاع وما سار الا وتبعته الفرسان من سائر الاقطار ولا سيما صهره ذو الخمار الذى ذكر وحديثه قد شاع وهذه نوبة تجلب لنا الصداع والصواب انكم ترتاحوا هنا يومين أو ثلاثة ثم تعودوا الى رأس الوادى ثم انكم تملكوه والا دهينا ونحن فى الاوطان ونتبدل بالخوف بعد الامان فقالت غمرة يا أبتاه لقد غيرك الكبر وغير عزمك وأضعف همتك لاننا ما كنا نعهد انك تخاف من الملوك الكبار ولا من أصحاب الاقطار والامصار على ان عسكرنا اليوم فى عدد التراب وما كنت أشتهى الا أن يكون كلامك صحيح و يتعرض لنا ذو الخمار حتى أوريك ما أفعل به تحت الغبار وما زالوا على مثل ذلك الكلام حتى نزلوا فى المضارب والخيام وشدوا ما معهم من الاسارى بين الاطناب ودارت بهم المشايخ والشباب وصاروا يبارزوهم الى وقت الغياب و بعد ذلك خرجت غمرة وأخوها لما أظلم الظلام ونامت أعين الانام وغمرة متفكرة فى كلام أبيها وهى تطلب أن يكون كلامه صحيحا حتى توريه فعالها بالرجال وملتقاها بالابطال قال وقد كانت غمرة معتملة النسب فى مذهب العرب لان أمها كانت جارية حبشية ورزقت من فائز هذه الجاريه وكان أبعدها عنه لما رآها سمراء فلما كبرت وتفرست على ظهور الخيل وقاومت الفرسان قربها وقد ألحقها بنسبه لانه رأى من فروسيتها ما أبهره فرفعها فى هذه المنزلة حتى وقعت فى أيديهم الاسارى وقد سمعت وصف أبيها فى دريد وذى الخمار فاشتغل سرها وهمت أن تهجع فسمعت فى مضرب الاسارى صياحا قد ارتفع وصوتا قد وقع حتى كاد الصخر منه أن ينصدع فدخلها الخوف والفزع وقامت من منامها وخرجت من أذيال الخيام وأرادت أن تطلب صوب الصياح واذا بالعبيد الذين وكلتهم بالاسارى أقبل منهم جماعة وهم يصيحون يا أميرة النجدة النجدة على من عليهم وكلتينا فانهم جميعا خلصوا من الكتاف وابذلوا فينا أسياف التلاف وأكثرهم ركبوا جياد الخيل وطلبوا السير فى ظلام الليل فالعجل العجل قبل فوات الاجل والبدار البدار لهؤلاء اللئام الاشرار فلما سمعت غمرة ذلك المقال صاحت على الرجال وركبت واعتدت للقتال وركب أخوها لما انه سمعها صاحت فقلبت الارض وماجت وبادرت الخيل من كل جانب وأنكر القريب القرائب وضجت الرجال والقبائل وماجت المواكب والكتائب وحجب الغبار المشارق والمغارب وركضت بنو قضاعة يمينا وشمالا وفيهم من لا يعرف حقيقة الحال (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم ذى الخمار لانهم لما شدوا أكتافهم وكتافه وقووا أطرافه فقاسى منه شدة وهوان وهانت عليه روحه و بات تلك الليلة وهو فزعان خائف أن يعرف فيهلك لما عليه من الدماء وانه من شدة نخوته وشهامته صبر حتى نام الموكلين عليهم وشد فى كتافه فقطعه وحل يديه ورجليه وكان العباس الى جانبه فخله وحلوا بعضهم البعض ثم قاموا الى العبيد وأخذوا سيوفهم حتى قتلوا أكثرهم وصاحوا فيهم وقاربوا نحو الخيام ثم تواثبوا الى الاسارى وأظهر ذو الخمار الفروسية والشطارة وبين عزيمته المعروفة وشجاعته الموصوفة ومد الرجال على الصحصحان وكانت الابطال قد ضايقته ودارت من حوله حتى رأت فعاله فهربت من بين يديه فلما خف عنه الطالب عاد فى أصحابه وقال ويلكم كل من قتل فارسا يركب جواده

ثم اطلبوا عرض الفلا حتى نملك أنفسنا ويخف عنا هـذا البلا وأريكم ما أفعل بهؤلاء الانذال اذا اتسع على المجال ثم انه وثب الى بعض الجنائب واستلب محاطو يلا من بين المضارب وطلب البر وفعل العباس كذلك وتشبه بقية الاصحاب بهم الا انهم ما تخلصوا من بين الخيام حتى قتل منهم عشرة رجال وملكوا أنفسهم وتأهبوا للحرب والقتال وانسعت عليهم المسالك والجبال وتبعتهم الرجال الذين علموا بالحال وتبادروا عليهم من اليمين والشمال واشتد القتال وبذل ذو الخمار الحسام الفصال وصدم صدور الرجال هذا وقد وصلت غمرة وأخوها وحولهم موكب كبير وقد وقع في بني قضاعة النفير وقصدت الشجعان مكان الصياح وقد صدم ذو الخمار وصاح وأزعجت القلوب وغلب الفساد على الصلاح وقد لاح الفجر مشرقا وأنكر الرفيق الرفقا وفي تلك الساعة وصل أبو غمرة وهو في محفل مهول ونظر ذو الخمار وهو يجول ويصول ويفرق المواكب عرضا وطول وهو ينادي يا آل حمير أنا ذو الخمار الاسد القسور فقال أبو غمرة هذا الذي كنت منه احذر فقد جاءكم ذلك الفارس الذي كنت له واصف ومنه خائف وحق الكعبة لقد وقع في أيدينا ولا عرفناه وكذلك الجاهل الذي لا يحترز على نفسه فان الموت يغشاه (قال الراوي) فهو في الكلام واذا بابنته غمرة قد صدمت ذا الخمار وأخوها صدم العباس وقد اشتد بين الاربعة المراس وقوي البأس وجرى بينهم طعنا تضيق منه الانفاس وما كان تأخر غمرة عن القتال الا خوفا على أصحابها من غوائل الليل وحيل الرجال فلما ارتحلت جيوش الظلام وعظمت الامور وقد اشتد الصدام فعرفت ذا الخمار بالسماع وعلمت انه قرن مناع فحملت عليه كما ذكرنا ونظر أخوها الى فعل العباس فانكب بحملته عليه وباشتغال هذين الفارسين طمعت في الباقين نصر قطاعة وبلي بنو سليم بأمر لا يطيقون له دفاعه وكانت ساعة يا لها من ساعة لان الفرسان نهبت بالقنا والقواضب ودارت بهم الاعداء من كل جانب وكان ذو الخمار يسمع صياحهم ويطلب معونتهم فيرى غمرة كأنها اللبوة الشمطا أو الحية الرقطا فيعود معها الى الجد والكد وما زال على مثل ذلك حتى انه عبر نصف النهار وقد كلت بنو سليم واضمحلت ولاطمتها بنو قضاعة لطمة مثل موجات البحار وكانوا احدى عشر فارسا الذين سلموا وقتل منهم ثلاثة وعشرون وأسر والجماعة المذكورين هذا وذو الخمار مع غمرة ولولا غمرة مع ذي الخمار في القتال وكذلك العباس مع أخيها في النزال كان أصحابها في قتال شديد ما عليه من مزيد وصار ذو الخمار مع غمرة وحيدا فريد وصار يقاتل ويحارب وهو يحفظ نفسه من كل جانب وغمرة تصيح عليه وعلى عشيرتها وتردهم عن معونتها وتطلب قتل ذي الخمار وأسره حتى يرتفع بين الشجعان قدرها وما زالت معه في اتصال وانفصال حتى عول النهار على الارتحال وأسر العباس وضاق الوقت على الناس وزعق فائز أبو غمرة في الابطال الذين حوله من شدة غيظه وقال لهم يا بني الاعمام هذا الظلام قد اقترب وهذا الرجل ما يسلم في نفسه ولو جاء العطب لاجل اسمه وذكره بين العرب ولولا ابنتي تمانعه وما سكت عنا عناه في طعانه وضرابه لكان أفنانا وحمى أصحابه فيا ويلكم احملوا واقتلوا جواده قبل أن يهجم عليكم الظلام بسواده ويمنع الطالب عن بلوغ مراده وربما يجري على ابنتي أمر تحت ستور الظلام ويقع بنا الندم من هذا الفارس الهمام فقالت بنو عمه لقد صدقت يا أمير لان الليل يمنعنا عن نظر ما يجري بينهما ويخفى عنا أمرهما ثم حمل منهم أوفى من ألف فارس وطلبوه من كل جانب فقاتلهم الى أن ولى النهار وقد قتل من بني قضاعة واحدا وخمسين فارسا كرارة وبعد ذلك أخذ أسير بعد ما قتلوا فرسه وجرحوه جراحات كثيرة وعاد فائز وأولاده وفرسانه وأجناده الى الخيام وهم متعجبون من حسن قتاله وصبره على الطعن والضرب ونزاله وقال فائز لابنته قيدي هذا الشيطان ووكلي به من يحفظه ويرعاه الى غداة غد حتى أضرب رقبته ورقاب رفقاه وتشتفي قلوب أهل القتلى الذين أورثهم الدمار في هذه الديار (قال الراوي) فلما سمع ذي الخمار كلام فائز وما نطق به قال يا فائز انني بعد ما شفيت قلبي وفؤادي منكم بضرب سيفي ما بقيت أبالي بما يجري علي ولولا هذه السوداء اللون كنت تركت الارض تفيض بالدما ولكن الذليل الجبان يقهر بكثرة الشجعان ولو لم أكن خاليا من الحديد وأنا عطشان وجيعان والا كانت هذه اللحنا وقفت بين يدي ساعة من الزمان ولكن السباع

تغلب بالمكاثرة وكواسر الطيور تصيدها الاقدار وهي في الجو طائرة فلما سمعت غمرة كلامه وفهمت مرامه صعب عليها وكبر لديها وقالت لابيها اما أمكنك من قتله ما دام قد أنكر شجاعتي وحجز براعتي ولا بد أن أتركه حتى يشبع من الزاد وأسلم اليه كل ما يشتهيه من آلة الحرب والجلاد وأبارزه بين يديك وأشهد فرسان العشيرة ان قهرني أطلقته هو ومن معه من فرسانه وان أنا قهرته خربت ناصيته وآذانه وأضاعف العذاب عليه وأطلق سبيله هو ومن معه من أقرانه حتى تعلم فرسان العرب ان ما لي مثيل ولا عديل فقال لها أبوها احتفظي عليه حتى أسير أنا وأخوك في خمسة آلاف فارس ونسلك المياه والموارد على من يقصد الينا في طلبه وطلب أصحابه لاني أعلم ان دريدا ما يغفل عنه وما خدعوك هؤلاء بالفداء الا حتى يأتي دريد ويخلصهم من البلا وان لم نحترز على أنفسنا والا كانت العاقبة غير محمودة علينا ثم انه سلم ذا الخمار والعباس وبقية الرجال المأسورين الى غمرة وصار يوصي فرسانه وعشيرته أن يأخذوا الاهبة التي وصى عليها وعزم وجمعت همته اليها (قال الراوي) فهذا ما جرى لهؤلاء من الكلام وأما ما كان من الرسول الذي أنفذه القوم الى بني هوازن فانه جد المسير الى ان وصل الى دريد وأخبره بما تم عليهم في برية السبروت وكيف مسكت غمرة الماء وكيف أخذوهم أسارى والذي تم لهم وجرى وكان دريد سمع بسير ذي الخمار مع العباس فأيقن ببلوغ مناه ولما ان الرسول أتاه وأخبره بأسر الجميع ضاق صدره وانقسم فكره وقال والله لقد حسبت هذا الحساب وعلمت ان لجاج العباس هو وخفاف تضرب فيه الرقاب ثم انه أنفذ خلف عنتر وأصحابه وأحضر خفاف وأعلمهم بما قد وصل اليه من الاخبار فاظهر عنتر التعجب والانكسار وقال مقري الوحش هل ترى من قدم على هذه السرية وفيها مثل ذي الخمار فقال دريد ومن هو ذو الخمار عند نزول الاقدار وحوادث الليل والنهار على ان هذه النوبة أتت على ما يريد خفاف لاننا نحتاج كلنا أن نسير مع خفاف في مائة فارس فقال عنتر والله يا أمير دريد ما ندعك تزعج نفسك في هذا الامر بل أنا أسير في المائة فارس الى قضاعة فقال دريد والله يا أبا الفوارس ما أطاوعك على مثل ذلك ولو كنت أعلم اني اذا أقمت تقيم لفعلت ذلك ولكن أنا أعلم انك ما تغفل ولا تقعد عن معاونة صديقك خفاف والصواب اننا نسير في ألف فارس الى بني قضاعة ولا نعود حتى نخرب ديارهم ونقلع آثارهم فقال عنتر الامر اليك فمتى تشتهي المسير فقال ليلة غد عشية النهار فقال عنتر افعل ما بدا لك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم انهم عادوا الى خيامهم لطلب المنام ويدبرون أمورهم للصدام وخفاف بين أيديهم وهو فرحان بهذا الامر الذي جرى على العباس لانه عدوه ومعانده في الجارية المتقدم ذكرها وصار من شدة فرحه يقول لعنتر والله يا مولاي لولاك ما نلت المطلوب وكنت مت بحسرة المحبوب (قال الراوي) وكان الذي صنع بخيول القوم ما صنع كان شيبوب وذلك ان العباس لما وقعت عليه القرعة وسار طالب بني قضاعة فبقي في قلب خفاف النار من ذلك لانه سمع أن ذا الخمار سار معه فزاد به البلا وأتى الى عنتر وقت المسا وشكى له حاله وبكى فألم قلبه بكاه وقال له يا خفاف كيف العمل ودريد شهد عليكما أياما معدودة وان غاب منا أحد في ذلك وجرى على العباس أمر من الامور قال دريد انه من أعمالنا ونبقى تحت العتب والملام ولكن ان عاد العباس خائب سرنا كلنا في خدمتك وقلعنا أثر بني قضاعة فقال خفاف جزاك الله عني خير الا انك ما فعلت الا المليح وما بقي غير انتظار المرضيات والامور المقضيات لان هذه الجارية ان كانت من نصيبي تغلقت في وجوههم الابواب وهم خفاف أن يعود فرجه شيبوب وقال له يا خفاف طب نفسا وقر عينا فأنا أسد في وجوههم جميع الروابي والرحاب وأترك الكل في البر أذل من الكلاب فارجع أنت الى خيامك وأخل من هذا الوجه بالك فقال خفاف وقد طاب قلبه بهذا الكلام جزاك الله عني كل خير فقال عنتر ويلك يا شيبوب ما الذي تريد تفعل بهذا الوعد الذي وعدت به خفاف أتريد أن تحمل لنا في هذه الارض حديثا مذموما فقال شيبوب لا وذمة العرب لا فعلت شيأ لا يعلم به أحد فقال عنتر وكيف ذلك أخبرني ما الذي خطر ببالك فقال يا ابن الام انا أعرف ان هذا الطريق التي ساروا فيها الى بني قضاعة بها برية تسمى برية سبروت لا بها منهل ولا قوت مسيرة يومين لمن كان بها عارف والجاهل بها يموت من كثرة المخاوف وأريد آخذ معي أخي جرير وأسير على أثرهم حتى أضيعهم في فلواتها

وانى أسوق خيلهم وأترك رجالهم فى آكامها ان سلموا منها وأتوا الى الماء فما يبقى فيهم من ينفع نفسه فقال عنتر
هذا رأى مليح ولكن ضياعهم قبيح وربما يسلم منهم واحد ويشيع الخبر فنبقى فى فضيحة دريد بن الصمة وأما
أخذ خيولهم وتبقى رجالهم عاجزين عن لقاء الاعدا ويعودوا بلا قضاء حاجة ولا بلوغ مرام أحسن ما يكون
يا ابن الأكرام فقال شيبوب وهذا المقصود ثم انه أخذ أخاه جريرا وجد يقطع البر فى المسير وقصد الجبال من
طرقات يعرفها فالحق ذا الخمار والعباس وأصحابه وتم على حاله وراهم الى آخر النهار وصبر على القوم حتى
وصلوا الى الماء وهم منقطعون فى جوانب البر من شدة الحر والهجير وتلهب الزفير ونزلوا عن الخيول فى هذا
المكان وهم قد هلكوا من التعب والعطش فى تلك الوديان فوقعوا مثل الاموات ودار عليهم صافى الرقاد
بكاس الثبات وهم آمنون لانهم يعرفون ان هذه الارض لا يسلكها أحد الا فى يومين وما علموا ان شيبوب سبقهم
عليه هذا وشيبوب التفت الى أخيه جرير وقال له اخرج بنا حتى نسوق خيلهم ونعود قبل الصباح فاجابه
جرير وقام كأنه النمر وساق الخيل فى ظلام الليل حتى أتوا بها بين الجبال وأطلقوها فى وادى هناك وعادوا
على الطريق المتقدم ذكرها وجدوا فى قطع القفار حتى وصلوا الى بنى هوازن فى سبعة أيام ودخل على أخيه
عنتر وأخبره بالخبر فتعجب من هذه القصة وتحير وعلم أنه قد بلغ المراد فانفذ خلف خفاف واعلمه بما تم
لشيبوب وكيف سرق خيلهم وتركهم فى البر تائهين فانشرح لذلك صدره وهدا روعه وعلم انهم هالكون
وبعد هذا الخبر بأيام وصل الرسول الى دريد يطلب منه الفدا ويعلمه بما جرى فصعب ذلك عليه وكبر لديه
وأحضر عنتر كما ذكرنا وجرى من الامر ما وصفنا واتفق رأيهم على المسير فى مائتين فارس ثم انهم تأهبوا فى
يوم وليلة وساروا فى مائة وخمسين فارس من بنى هوازن والباقى من بنى عبس وعنتر وعروة ومقرى الوحش
وكان شيبوب أمرهم أن يكثروا الماء والنجب والمهارى لما بين أيديهم من المفاوز والبرارى وسار بهم من الطريق
التى يعرفها وكانت أهنى سير وأقرب حتى وصل الى برية سبروت فى ثلاثة أيام وأخذهم فى اليوم الرابع وسار بهم
فى الليل على ظهور النجب وجنب الخيل وأكثر لهم من الماء حتى يكفيهم شر الظما وجد فى المسير الى الصباح
حتى تضاحى النهار وقطع بهم المهالك والقفار حتى قارب أرض بنى قضاعة وقال لهم احترزوا على أنفسكم
من ههنا الان قلبى حدثنى ان بنى قضاعة قد علموا بنا ان لابد لنا من المسير اليهم وحسبوا حسابنا وأقول انهم
خرجوا من أرضهم ومسكوا علينا الماء والمناهل والمواضع وهم لنا فى الانتظار حتى نخرج من هذه البرارى
والمقاطع وكل من لم يحسب العواقب فليس الدهر له بصاحب ثم انهم باتوا فى هذا المكان وهم معولون على
مشورة شيبوب وعمل كلامه معهم فى رسيس القلوب (قال الراوى) وكان حساب شيبوب الذى حسبه صحيح
لان فائز ابو غمرة كان صار فى خمسة آلاف فارس ونزل على راس الماء كان حسب مثل هذا الحساب وعلم ان
العباس وذا الخمار ما أرسلوا فى طلب الفدا الا مكر وخداع ولا أرادوا بالرسول الا مجىء دريد حتى يخلصهم
من الاعتقال فملكوا المياه والغدران وأقام لهم فى الانتظار وصار من شدة خوفه واحترازه ينفذ كل يوم
ولده فى ألف فارس ويقول له لا تفارق ثنية الغزال وان رأيت بوادر الخيل قد طلعت فبادرها بالقتال ولا تتركها
تأخذ لها راحة من التعب والكلال وابعث لى حتى اتيك فى جميع الرجال لانهم ما يصلوا اليك الا وهم هالكون
من الظما أفعل ما امره ابوه من الفعال مدة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع ظهرت عليهم الخيل من بنى هوازن
وبنى عبس مع شروق الشمس وهم معتدون للقتال والحرب والنزال وفى اوائلهم دريد وعنتر وشيبوب قدام
الخيل مثل ذكر النعام اذا نفر ووقعت العين على العين وصاحت فرسان الطائفتين وعرفت الخصوم
الخصوم وبان السر المكتوم قال اخو غمرة لاصحابه هذه والله طليعة خيل دريد فدونكم واياها ما دامت
على اثر تعبها ثم انه انفذ الى ابيه بعض الفرسان يعلمه بالخبر وصاح بالالف فارس واستقبل الفرقة التى اقبلت
ولم يعلم انها فرسان تصادم المنايا ولم ترهب الاهوال ولا الرزايا وان كل فارس منهم يعد فى الحرب بالف فارس
ويفرقها ولا يخاف التداعس ووقع بينهم القتال وعمل الحرب والنزال فوقع الفناء فى بنى قضاعة وزال من
قلوبهم الطمع وواقعهم الخوف والفزع لانها رأت رجالا ما تدفع ومن الموت ما تفزع ولهم طعن اذا وقع

على الصخر انصدع وكان عنتر عند الحملة اشار على دريد الهمام بالوقوف تحت الاعلام هو وسائر عشيرته واراد
بذلك تعظيم قدره ورتبته فقال دريد يا أبا الفوارس ما هذا يوم يحتمل هذا المقام لاننا كنا خرجنا من البر تعابى من
قطع القفار والرمال واذا لم تنجز أمر هذه الفرقة ونستريح منها حتى نلتقى غيرها والا خسرنا لانى أقول انها طليعة
جيش مقبل ثم انه حمل على الابطال وسطا عليهم واستطال وأما عنتر بن شداد فانه نهب الارواح من الاجساد
وأعاد صلاحهم فساد ومازال يفرق الفرسان وينثر رؤس الاقران حتى وقع بالمتعجرف تحت الغبار وهو
يرد الفرسان من الفرار فعرف انه مقدم السرية فطلبه من دون الابطال وأتعبه فى حومة المجال وسد عليه
طرقه وطرائقه وتعلق بأطواقه وجذبه أخذه أسيرا حتى يكون فدا لبعض الاسارى من صناديد الرجال هذا
وقد بادره شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وبعده وقع الفناء فى بنى قضاعة وخسرت
منهم البضاعة وتمددوا على التراب وحام عليهم النسر والعقاب وما انتصف النهار حتى قتل منهم سبعمائة
بطل وعاد باقيهم منهزمين الى ملكهم فائز وما فيهم الا من أيقن انه من الموت فائز ولو لم تكن خيل بنى هوازن
فى غاية التعب ما نجا أحد ممن هرب وانما قصروا عنهم من شدة الكلال ونزلوا فى ثنية الغزال وتقوتوا
بما نهبوا من الزاد والخيل والجمال ولما انهم هدوا من الشكوى وبرد الهوى فقال دريد لعنتر الجماعة من
الرجال احضروا ما وقع لنا من الاسارى حتى نستخبرهم عن قومنا ومن فيهم سالم ومن فيهم عاطب وكيف
أخذوا وتمت عليهم الاسباب والنوائب فقدمت الرجال الاسارى ومن جملتهم أخو غمرة (قال الراوى) فسألهم
دريد عن العباس وذى الخمار ومن معهم من الرجال الاخيار فحدثهم أخو غمرة بما جرى وقال لهم عن هذا البر
ظهروا علينا وكنت أنا وأختى غمرة قد عولنا على الغزو الى بعض أحياء العرب فرأيناهم وقد سرقت خيولهم
وبقوا أشباح بلا أرواح فملكنا الجميع وعولنا على قتلهم سريع ففدوا أنفسهم بالمال وتم علينا هذا الحال
وجرى من القصة ما جرى ثم أخبرهم كيف خلصوا من الاعتقال وكيف لحقتهم الرجال ووقع بينهم الحرب
والقتال وأخبرهم بمن قتل من الرجال فعرف دريد انه المتعجرف بقوله أختى غمرة فقال لعنتر وقد تبسم يا أبا
الفوارس هذه حاجة خفاف قد انقضت وبقيت حاجتنا نحن وهى رجالنا فقال عنتر صدقت لان الضعيف يدرك
بنيته ما لم يدركه القوى ثم قال لخفاف احفظ خصمك ما دمنا فى هذه البلاد ثم انهم قضوا باقى يومهم فى ثنية
الغزال وعند الصباح رحلوا يطلبون المناهل والاما وقد استراحت خيلهم من التعب والعيا (قال الراوى)
هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين الذين نجوا من بين أيديهم فانهم وصلوا الى الملك فائز فى الليل
واخبروه بما جرى عليهم من المصائب والويل ونعوا اليه رجاله وولده فذاب لذلك وتفتت كبده وقال لهم
يا ويلكم وفى كم كانوا هؤلاء الرجال الذين ظهروا عليكم من البر فورب الكعبة لقد حسبت هذا الحساب وقرأت
عنوان هذا الكتاب فقالوا له يا ملك ما ظهر علينا سوى مائتين فارس ولكنهم أسود عوابس كل واحد منهم
يلقى قبيلة بين الملا وما ندرى خلفهم غيرهم أم لا والصواب انك ترحل بنا قبل الصباح والا ان أدركونا نهبونا على
أسنة الرماح وشفار الصفاح فلما سمع فائز هذا المقال حار فى أمره وأخذه الانبهار وقال لهم انتم رأيتم ولدى
قتيل أم أسير فقالوا له رأيناه وقد أدركه فارس أسود مثل الغول وصاح به صيحة تذهل العقول وهجم عليه
وجذبه أخذه أسير وحذفه الى وراه فانقض عليه رجل مثل الغنداف أوثقه كتاف وقوى منه الاطراف
فهربنا فى جنبات الصحرا ووصلنا اليك كما ترى ولولا الخيل التى ظهرت علينا كانت هالكة من التعب
والعنا ما كان وصل واحد منا فقال صدقتم لان الفارس الذى فعل بولدى هذه الفعال دريد الذى كنت منه
فزعان لانه شيخ الفرسان ولولا الكبر غيره وازداد جهله ما كان دخل الى هذه البلاد ولا خطر هذه الارض
والمهاد لما يعرف من شجاعتى وبراعتى وفروسية ابنى ولكن خذوا أهبتكم الى وقت الصباح وأنا أعرف
كيف انى أخلص ولدى وأبشركم بالنصر والنجاح وأكفيكم مؤنة دريد ومن معه من الفرسان الاوقاح لاننا لو
مسكنا عليهم الماء لاهلكناهم عطاشى وظما فلما سمع كلامه بنو قضاعة أجابوا بالسمع والطاعة ولما مضى
النهار وأقبل الليل بالاعتكار باتوا الى الصباح وركبوا وساروا فى البطاح الا انهم ما أبعدوا عن الماء

ومسكوا الطريق والاماكن حتى أقبلت بنو عبس وبنو هوازن ونظروا الاعداء بهم قد جعلوا الماء خلف ظهورهم فعرفوا مرادهم وقالوا لعنتر بن شداد يا أبا الفوارس القوم قد منعونا من الماء ويريدوا يهلكونا بالعطش والظمأ فقال عنتر وحق مكون الاكوان والصور الذي ما يدرك بالعقل ولا بالنظر لو كان على الماء أمة ربيعة ومضر وكذلك جنود كسرى وقيصر ما أحد منهم بعد ساعة يبلوا أكبادهم وأطير جماجمهم من على أجسادهم وآمن أبلا سبالهم فاحمل يا أمير دريد كما تريد وانظر العجب الشديد فعند ذلك حمل دريد بأبطال قبيلته وفرسان عشيرته وأدار راحات الحرب بسيفه وسنانه وأطلق لجواده عنانه وحمل بعده عنتر بن شداد وزعق زعقته المعروفة فارتعدت منها الاجساد وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة بن الورد وسائر الشجعان وصاح أيضا فائز في بني قضاعه فيالها من ساعه بيعت فيها النفوس بلا ثمن وجرى الدم على الاطلال والدمن وفرق الحسام بين الرأس والبدن وعظمت المصائب والمحن وصار الدرع لصاحبه كفن واجتهدت بنو قضاعه أن تردهم عن الماء فما قدرت وهالها من الطعن والضرب ما رأت وانحلت عزائمها وفترت وانزاحت عن الغدير وتأخرت وصار فائز ينادي في المواكب بالرجوع فلا ترجع ويصيح في الشجعان فلا تسمع وقد خاب أملها وانقطع وملك الماء عليها رغما وتمكنت بنو عبس وهوازن من ورود الماء وتم السيف يعمل الى المسا وانهزمت بنو قضاعة عند المسا وفائز يذم أصحابه على الهرب ويقول يا ويلكم لكم الويل والحرب وما بقيت لنا رأس تنشال بين العرب فوالله ما يردعنا شر دريد الا ابنتك غمرة ولو كان معنا رأى ما تركناها في الخيام ولكن ما علمنا أننا نلتقي من هؤلاء هذا الملتقى ويتبدل نعيمنا بشقا ثم قال بعضهم وان فاتني حذري ولم يخطأ فكري هذا عنتر بن شداد لاني رأيت له وجها عابس كأنه الليل الدامس وان كان الامر كذلك فما هذه الا مصيبة قد طرقتنا ولا نقدر نردها الا بكثرة الفرسان قال فائز اذا كان هذا الكلام صحيح فأنا اذا وصلت الى دياري وقر قراري أنفذ الى بني كندة وأستعين بهم على هذه الشدة ثم انه سار هو وفرسان قبيلته تحت أستار الظلام وكان عنتر عوّل أن يتبع المنهزمين من أول الليل ويطعن هو وأصحابه في صدور الخيل فما أمكنه دريد وقال له يا أبا الفوارس نحن في طائفة قليلة وهذه الارض بين أيدينا واسعة والصواب أننا لا نسير في هذه القفار الا أن يكون بالنهار ثم انهم نزلوا على المناهل وافتقدوا رجالهم فرأوا قد فقد منهم احدى عشر رجلا ستة من أصحاب عنتر وخمسة من أصحاب دريد فكان من جملة المفقودين عمرو أخو عبلة فضاق صدر عنتر وحار في هذا الأمر المنكر وقال أرجو أن يكون أسيرا ولا يكون قتيلا لانه ان كان قتل تكدر أخته عيشي ولا يقر لي قرار ولا ترضى بشاره بكل من في هذه الديار فقال مقرى الوحش لا تضيق لهذا الامر فكرك لان الذي يلتقي بصدره أسنة الرماح وشفار الصفاح لا يكون طول الدهر سالم كما قال بعضهم هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

ومن كان في عصره فارسا * شجاعا وقد حاز فخرا وعزا
وفي الحرب قد ظن أن لا يصاب * فقد قال زورا وقد ظن عجزا

(قال الراوي) ولكن يا أبا الفوارس عندنا جماعة مأسورون من بني قضاعة ناخذ لعمرو منهم الخبر ونأخذ له بالثار منهم ان كان قتل فقال عنتر ما أشتهي الا أن يكون سالم ولكن ما عندي من ذلك خبر فقال شيبوب أنا أكشف لك الخبر وأقضي شهوتك وأسير خلف المنهزمين وأختلط بهم وأقيم بين المضارب والخيام فاذا نفذت اليكم الرجال وخلت المنازل جميع تسببت في خلاص الاسارى وأجيبهم خلف أعدائكم وأدعهم يعينوكم على القتال وان كان في جملتهم العباس وذو الخمار فيكون انقضى الشغل وبلغنا الآمال فقال عنتر هذه عادتك يا شيبوب واذا فعلت ذلك خففت عنا الكروب فعندها اعتد شيبوب من وقته وساعته وسار يعسف البر تحت الاعتكار وقعد عنتر له في الانتظار (قال الراوي) لهذه الاخبار وأما الملك فائز فانه تم في هزيمته الى الصباح وفي نصف النهار أشرف على الديار فرأى الناس حول المضارب فرقا ومواكب ورآهم محتاطين بفارسين متقابلين وبينهم حرب تذهل منه الرجال وطعن يقرب الآجال فلما نظر فائز الى ذلك الحال زاد به الفزع وظن

أن الخلف في العشيرة قد وقع فصاح وطلبهم وتجارت خلفه الفرسان وفزعت على الاولاد والنسوان وأبصر أهل الحلة الى سيدهم قد أقبل فالتقوه وعن سبب عودته سألوه فقال أنا عدت مكسور مذلول فما بالكم أنتم راكبين الخيول وما هذين الفارسين الذين تجول وتصول فقال أحدهم بنتك غمرة والثاني أسيرها ذو الخمار لانها أمس أطلقته من الاعتقال وقضت نهارها معه في القتال والنزال وما فيهما من رجح على صاحبه وقد أصبحوا على هذا الحال وانما كنا ذكرنا الشرط الذي كان بين غمرة وبين ذي الخمار بعد انفلاته من النوبة الاولى وطلب لنفسه النجاة وقد أخبرنا عما جرى له بعد قتاله ونزاله وقتل رجاله وعودته الى أسره واعتقاله لان أباها أراد قتله فما مكنته من ذلك لانها كانت تحب الفرسان وتهوى صدام الشجعان لاجل ما فيها من الفروسية فردته الى الشد والوثاق وأوعدته أن تطلقه اذا استراح وخف عنه ألم الجراح وانها تبارزه وتقاتله فان قهرها أطلقته هو وأصحابه وان قهرته جزت ناصيته وخلت سبيله وانها لما خلا لها المكان من أبيها لما سار الى لقاء دريد وعنتر فصارت كل يوم تفتقده وتأتي اليه وتأكل معه وتشرب وتسأله عن الذي لاقاه من الفرسان والشجعان فيتعجب منها ويحتقر نفسه كيف صارت امرأة تقاومه وهي معدودة من جملة النسوان من بعدما كانت هيبته شاعت في سائر الاقطار ومن شدة ما جرى عليه اتفق معها على البراز وطلب لنفسه الفرج وقد ظن انه ينصر عليها وكانت هي أيضا قصدها مثل قصده وأتته بجواد كما أراد وحكمته في آلة الحرب والجلاد وقاتلته أول يوم الى وقت الاصفرار وانفصلا وما فيهما من رجح على صاحبه غير ان القتال الذي جرى بينهما قد صار محبة وداد وتمنى كل منهما أنه لا يفارق صاحبه وعولت غمرة أن تطلبه لنفسها بعلا فاستحت وحدثت أيضا ذو الخمار نفسه أن يخطبها ويتزوج بها فرده عن ذلك الحيا وقال اذا صرت مالك روحي أفعل بعد ذلك ما أختار وأقدر عليه ثم انهم بعد ذلك صبروا الى ثاني يوم وقد خرجوا الى ظهور الخيام وعادوا الى ما كانوا عليه من القتال والصدام حتى وصل أبوها كما وصفنا وانه لما عرف انها ابنته وعرفوه بحالها فدنا منها وقال لها يا ويلك اذا هلك هذا الرجل أهلكوا ساداتنا بني عمنا وأنتي تلعبي معه كل يوم وتطلقيه من الاعتقال ثم انه أعاد عليها ما تم له مع دريد وبني هوازن وعنتر وبني عبس وأخبرها ان الكل ما كانوا أكثر من مائتين فارس فلما سمعت غمرة من أبيها ذلك الكلام نشف لونها وطار من عينها الشرر وكاد قلبها أن ينفطر فقالت لابيها انك كنت في خمسة آلاف وفعلوا بك هذه الفعال مائتين فارس ان هذا العجب على ان أخي وحده يلتقي ألف فارس وكنت ترى ما يجري الى معه حتى أرجله عن جواده فقال أبوها وحق رافع السبع الطباق ومقدر الآجال والارزاق أول من أسر أخاكي وجماعة من الرجال ونحن جئنا منهزمين كما ترى من فارس فيهم رئبال فاغتاظت غمرة من ذلك المقال ثم انها عولت أن تعيد ذا الخمار الى الاعتقال وتجمع بني قضاعة وتسير الى الاعقال فقال لها ذو الخمار بحق من أفنى عادا وثمودا وأنبع الماء من الجلمود الا ما استحلفتيني بما أردت وأخذتيني معك في جانب العسكر ودعيني أتفرج على قتالك مع عنتر فان أنت أسرتيه فاحكمي في رقبته وان وقعتي في يده خرجت أنا اليه وقضيت شهوتي من برازه واذا بانت طبقتي من طبقته وعرفت ذلك فأنا آمر صهري دريدا باطلاقك واطلاق من معك من الاسارى وعدنا من دياركم بسلام (قال الراوي) فلما سمعت غمرة كلامه عرفت انه هو الصواب فأخذت عليه العهد والميثاق لا يخامر عليها ولا يميل الى النفاق واعتمدت هي وقومها في بقية يومها وصارت تطالب بني عبس وهوازن وهي في سبعة آلاف فارس شداد معدودين ليوم الحرب والجلاد هذا وقد سار أبوها بعدما أرسل الى بني كنده يطلب منهم النجدة وكانت الرسالة بغير علم غمرة هذا وغمرة سارت قدام الفرسان وهي في أول الجيش تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

اذا الرزايا شمرت أذيالها * وحاربتني شدة ماهالها * صدمتها بعزمة لو صدمت
جبال شهلان رمت جبالها * لو رأتني النائبات لانثنت * خائبة لما رأت ما نالها
لو أن للنسوان بعض همتي * ونخوتي ما حملت رجالها * خلقت للحرب أفوق أهلها
وألتقي يوم الوغا أبطالها * بالغ بني عبس مقال ابوة * يسبق حد سيفها مقالها

انى رأيت خيلها يوم الوغا * خالية قد خففت أثقالها * تخب فى دحالها وتنثنى
خائفة قد أبصرت ماهالها * نعالها جماجم اذا اشتكت * حر الحصى أو عدمت نعالها
قد نلت فخرا ساميا ورتبة * عالية بدر الدجا ما نالها * والسيف والرمح لكفى خلقا
اذا النفوس حققت آجالها * وما سباع البر مثل لبوة * ضارية قد فقدت أشبالها
تفزع جن الارض من سطوتها * اذا رأت تحت الدجا خيالها
ويل لعبس وبنى هوازن * اذا شهرت يوم اللقا نصالها
واختلفت سمر الرماح بيننا * وقصر بيض الظبا طوالها
لابدلى من حملة فى جمعهم * تقصر ماقد طال من آجالها

(قال الراوى) وكانت غمرة تنشد هذه الابيات وتذكر فيها شجاعتها وذو الخمار يسمع ويتعجب من عظم همتها ويذم الزمان كيف أوصل الفروسية الى النسوان الا انه يرجو أن يبلغ بها المراد من عنتر بن شداد وقال فى نفسه ان كانت ما تصل اليه فهى تتممه وأجد أنا فرصة وأحمل عليه وأقتله ثم انهم ساروا الى ثانى يوم وكان اشرافهم على بعضهم عند المساء لان دريدا ارتاح بقومه على الماء وأراد بذلك الراحة حتى تكون خيلهم فيها قوة عند المجال والوجه الثانى يطلب بقومه الرفق والامهال بعدما بعد أعاديه عن المناهل والاطلال حتى يقل عليها الفارس والراجل لانه كان خبيرا بنوائب الايام على مالاقى من الحرب والصدام ومقابلة الشهور والاعوام الا انه لما وقعت عينه على بنى قضاعه وأبصر النهار قد ضاق فوقف وأمر عنتر بالوقوف على جواده وكذلك أصحابه أوصاهم بالحذر وما زالوا كذلك حتى انتشرت أجنحة الظلام وصاحت بنو قضاعه وغمرة فى المقدمة وقد زادها الغيظ والحرد وصارت تهمز كما يهمز الاسد كيف ما التقت أعداها بالنهار وشفت قلبها بضرب البتار ومن شدة ماجرى عليها فى تلك الساعة ما نزلت فى الخيام ولا حضرت مع أبيها على الطعام بل انها غيرت جوادها وتولت حرس قومها فهذا ما كان من غمرة (وأما) ما كان من بنى عبس وهوازن فانهم نزلوا وقد تولى الحرس عنتر بن شداد ووافقه دريد وما زالوا كذلك الى نصف الليل فرد عنتر دريدا الى الخيام وأقام وحده الى وقت السحر واشتهى أن ينظر بنى قضاعه ومن أين تنزل عليهم المصايب فقصد نحوهم وهو يحدث نفسه ويسأل الله ان يلتقى بحرس القوم ولو كانوا ألف فارس الا انه ما قارب الميمنة حتى التقى بغمرة وهى تصارع النعاس وتلتفت وتميز البر يمينا وشمالا وهى لا تصدق بالصباح حتى بان لها خيال عنتر وطلعته وزعقت عليه وسألته عن حاله فما رد عليها جواب بل أخذ معها فى الطعان والضراب وقد ظن انها من بعض فرسان الحرس فأراد قتلها وانجاز أمرها وكذلك هى أيضا ولما اختبر وابعضهم بعضا نسى كل واحد منهم قومه وعشيرته واشتد غيظه على خصمه وحرقته وعند الصباح انتظرت بنو عبس عنتر أن يعود فما عاد فاشتغلت قلوبهم وانفذ مقرى الوحش الى دريد وسأله عنه فقال له والله ما عندى منه خبر ثم اراد ان يكشف خبره لانهم مائتا فارس لهذا الجيش العظيم وقد تجمعت عليهم عربان ذلك الاقاليم فخاف دريد من الانكسار على بعد الديار وضاق صدره لبعد عنتر الفارس الكرار فقال لاصحابه لا يكون قصدكم الا الاعلام التى لفائز ورايانه لاننا ان قاتلناه انكسرت هذه المواكب ونعود بعد ذلك نسأل عن عنتر ونفعل على قدر ما نسمع من الخبر وكان فائز أيضا انتظر ابنته فما رأى لها أثر ولا وقع لها على خبر فجمع أصحابه ورفقته وسادات عشيرته وقال لهم يا بنى عمى ما أقول الا ان غمرة سارت فى الليل حتى تكمن خلف الاعدا واذا كسرناهم وهربوا بين أيدينا التقتهم وردتهم علينا وتطلب بذلك أن لا يسلم منهم أحد لانى أعرف تدبيرها فى الحرب وخبرتها بالطعن والضرب والصواب انى أرسل خلفها الف فارس واقول يأخذوا فى عرض البر ويسيروا اليها ويعينوها حتى لا نكون قد ضيعنا العزم وفرطنا فى التدبير ثم امر بعض فرسانه بهذا وسيره فى الف فارس خلف ابنته وركب هو فى بعض قومه وعشيرته وامرهم بالقتال هذا والجبان يقول والله ايها الملك ما كان غيابها عنا بصواب وانما كان اقامتها عندنا أصوب حتى ننجز امر عنتر وبعد ذلك نفعل ما تريد لان هؤلاء القوم مادخلوا ارضنا فى هذين المائتين فارس الا وفى ظنهم يلقوا كل من هنا فقال فائز الآن فات هذا الامر وقد فاتت غمرة على

قدر ما رأت من عقلها وانا اعلم انه اذا طال عليها المطال تأتى من خلف الاعدا هذا ان كانت ما اختلطت بهم فى الظلام وما زال يطيب قلوبهم بهذا الكلام حتى حملوا بهمة قوية وكان أكثر قصدهم بنى هوازن وتجنبوا الفرقة العبسية لان الذى كان يعرف قتال عنتر وأبصره فى الحرب يجنب قومه ويظن انه فيهم وأما ذو الخمار فانه طلب بنى عبس وجعل قصده اليهم وأراد بذلك أن يقع بعنتر حتى انه يأخذ منه بالثار ويكشف عنه العار لانه فرح بغيبة غمرة حتى انها لا تتولى القتال بنفسها وتعيقه عن مثل ذلك الا انه لما حمل تلقاه مقرى الوحش وبذل معه المجهود وجعله نصيبه من غير معرفة له به لان ذا الخمار تقدم فى الاول وحمل وحده على بنى عبس فما خفى على مقرى الوحش انه فارس جبار وبطل مغوار فأخذ معه فى القتال وقد تعجب من شجاعته وظن انه غمرة ودام بينهما الطعن والضرب حتى اسود بينهما الشرق والغرب وضاقت من الكرب المنافس وكان بينهم شئ لا تصفه الواصفون وساعات وأوقات وصيحات وهجمات تذكر فى سائر الجهات ولله در دريد بن الصمة وما فعل فى ذلك اليوم على كبر سنه لانه طعن فى ذلك اليوم فى الصدور حتى قل صبر الصدور وقطعت الاعناق والعجوز وكان قد علم ان اتكال الجميع عليه بعد عنتر فقاتل قتالا منكرا ولولا ذو الخمار كانت بنو عبس نكلت بنى قضاعه ولكنه وقف فى وجه بنى عبس كأنه الاسد القسور وجرح منهم جماعة كثيرة وكان اذا وقف قدامه أحد من بنى سليم تركه ولا يقاتل الا أصحاب عنتر ولولا مقرى الوحش تلقاه وكف شره عن بنى عبس لكان أفناهم وأباد أقصاهم وأدناهم هذا ولم يزالوا كذلك حتى أقبل الظلام الحالك وفرق بين الطائفتين ورجعت الفرسان تشكو تعبا وكربا وقد عاد مقرى الوحش وهو يتعجب من ذلك الفارس الذى قابله وقضى النهار معه وقد قلق على قلة معرفته بأخبار عنتر وكذلك دريد أصابه ما لا أصاب أحدا من البشر ومن شدة فزعه على أصحابه تولى الحرس بنفسه ودثار وخفاف مابعدوا عن الخيام حتى سمعوا صياحا عظيما فى جيش بنى قضاعه وصياحا عاليا تبقى القلوب من سماعه مرتاعه وسمع الناس وهى تموج بين المضارب والخيام ولها جلبة وكلام فقال مقرى الوحش لدريد ايش حال هؤلاء القوم الانذال فوالله ما يخلو حالهم من احدى الحالتين اما نجدة تكون وصلت اليهم أو نزلة من جهة عنتر تكون نزلت عليهم والصواب أننا نسير حتى نبقى بقربهم نسمع كلامهم ونستدل على أحوالهم فاذا رأينا منهم فرصة نادينا الى أصحابنا وكبسناهم فى الخيام وبلغنا ما نريد قبل ذهاب الظلام فقال دريد لمقرى الوحش افعل ما تريد فهذا هو الرأى السديد ثم انهم ركبوا حتى صاروا عند الخيام حتى انهم يسمعون من القوم كلام واذا بواحد يقول لرفيقه والله يا ابن العم لو كان اصاحبنا فائز رأى لكان تركنا فى هذه الليلة نكبس على الاعدا حتى نبلغ منانا بعد ما أسرت غمرة عنتر وما بقى أحد يقدر يقف قدامنا فلما سمع دريد ذلك الكلام قال لاصحابه أسر والله حامية عبس وما أقول والله الا نائبة من نوائب الدهر ثم تعجب من ذلك الاتفاق وقال وحق ذمة العرب لقد كنت أظن ان الفارس الذى وقف قدامى فى وجه بنى عبس هو غمرة وكنت متعجبا من حسن صبرها وقتالها وما دام انه غيرها فهو فارس لا يخاف الآفات ولولا انه بهذا الوصف ما كان لاقى مقرى الوحش والرأى عندى أننا نرجع الى قومنا ونحفظهم لا يقوى عزم هؤلاء الانذال على كبسنا قبل الصباح ثم انه عاد هو وأصحابه وهو يقول ياليت شعرى أى داهية دهت عنتر بعد فراقى له وما أقول الا انه أوسع هو واياها فى البر وغدر به الزمان لانه لم يزل بأهله خوان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عنتر لما وقع بغمرة وجرى له معها ما جرى فى القتال وقد أبعدوا فى الروابى والتلال لان خيلهما جياد وهما أصحاب نخوة وحمية وفرسان جاهلية لا يرى أحد منهما على روحه أن يرجع بغير حاجة مقضية وكان عنتر قد فرح بالبعد عن العشائر حتى لا يبقى لاصحابه معين ولا ناصر الا انه متعجب من غمرة وقتالها وهو يقول ما هذا الا فارس عظيم ولا شك انه فارس هذه الاقاليم على انى سمعت دريدا وهو يقول ما فى بنى قضاعة الا غمرة بنت فائز سيد بنى قضاعة ان كانت هى هذه ما هى الا فى طبقة عظيمة من الشجاعة والبراعة وبقى متشككا فيها وأما غمرة فانها عرفته عند الصباح لما لاح لها سواد جلده وحسن قتاله ولكنها انحسرت كيف ما كان قتالها بين الصفوف

حتى انها تنظر وتشوف ثم انهما أخذا فى الكر والفر حتى حمى عليهما الحر وثقل الحديد على الاجساد وتعبا من
معانات الحرب والجلاد وتعبت تحتهما الخيل من الطراد وعمل مع غمرة العطش والجوع لانها امرأة على كل
حال ومعدودة من ربات الحجال ولكن لقيت رجلا لا كل الرجال وبطلا لا كل الابطال فقالت له أى شئ
ترى يا عبسى فى العودة الى أصحابنا قبل اتلاف الخيل واذا كان عند الصباح فى غداة غد عدنا الى الحرب والكفاح
فقال عنتر لا وحق من شق الاسماع وشفى من الامراض والاوجاع لا عدنا الا ببلوغ المقصود فقالت غمرة
ان كان ولا بد من ذلك فاصبر علىّ حتى أريح جوادى وأرد الماء وأخفف ما كان علىّ من العبوس ونعود الى
الحرب والبؤس فقال عنتر هذا اليك أيها الفارس ثم انه عدل عنها ونزل عن جواده وأرخى حزامه حتى استراح
من التعب وأسقاه من الماء دون ان شبع وشد عليه ورمى عنه درعه وهان خصمه عليه وعلم انه صار فى يديه
فركب وطلب غمرة بعظم بأسه وجلاده واذا قد عادت اليه بوكاحتها وقد أظهرت الجلد بهمتها وكانت فعلت بجوادها
كما فعل عنتر وخففت لباسها ورجعت وهى فى بردة يمانية قصيرة الاكمام مليحة الهندام وذوائبها مثل الظلام
ووجه أحسن من بدر التمام وجفون مريضة تشفى من السقام واعكان مطويات ومعاصم ملفوفات فلما
نظر عنتر الى اعطافها اعطاف امرأة عرف انها غمرة ورأى الى حسنها وجمالها فوقع فى قلبه منها موقع عظيم
واستعجز نفسه كيف قاسى تلك المقاساة وهى جارية عربية فصاح فيها ويلك أنت غمرة بنت فائز القضاعية فقالت
نعم أنا غمرة التى لها على الفرسان صولة وقدرة ولولا شدة الحر والهجير وخلو هذا القفار ما كنت اشتهرت هذا
الاشتهار على انى ما أدعك ترجع سالم وتحدث بما رأيت منى من المعالم ثم انها صاحت عليه وعلمت انها
حيرته فى أمره واشتغل بها سره وقلبه وكان عنتر غرق فى بحر هواها ونسى عبلة وما كان عمره نساها لان هذه
الاشياء قد سبق علم الله فيها من قبل أن يخلقها وسواها الا انه قاتلها واتقى طعانها وهو يقول والله ما تستاهل هذه
الجارية أن تقتل بعد هذه الفروسية وما تستاهل الا التعنيق والبوس والترفيق ثم انه طاعنها حتى تقصفت
الرماح فتراميا وعادا الى ضرب الصفاح وتقابضا على ظهور الخيل حتى قل منهما الجلد والحيل وسال
العرق وكثر القلق وبذلت غمرة مجهودها ودام بينهما الصدام وهم فى محاربة والتزام حتى قرب نصف النهار
ووقع بغمرة الانبهار وأشرفت على الهلاك من شدة التعب واسترخت مفاصلها والركب واسود البرق عينيها
وانقلب ولاح لها لائح الهلاك والعطب فقالت ارفق بأسيرك يا وجه العرب وأدارت يديها اكتاف فشدها وقوى
منها الاطراف وهو فرحان ودفعها ألقاها على ظهرها وقد افتتن بسواد شعرها فركب على صدرها وصار بين
نهودها وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها فعلمت مراده فدفعته ومنعته عن نفسها وصاحت ما الذى تريد يا ولد
الزنا وتربية الخنا تهتك أرباب الخدور وتدعى انك رجل غيور فقال لها وقد صعب عليه قولها ويلك
منبوكة يا بنت القرنان أنا من خلف الستور أخذتك أم بقائم سيفى ملكتك وحق ذمة العرب وشهر رجب
لو انك خلف ستر وخفاء لم كنت نظرت اليك فى هذه البيداء وافاخر بك عن حد بنات العرب أو حبالك
هذه الفعال على انى قد رأيت كثيرا من أشكالك ولا طلب قلبى غير عبلة بنت مالك والآن قد خطر لى هذا الخاطر
وما أعرف معناه وظفرت بك فى هذه الفلا ولابد ما أبلغ المنا (قال الراوى) وما كان لجاج عنتر مع هذه الجارية
الا لسبب من الاسباب لانه سبق القضا والقدر أن يحصل بينهما الاجتماع ويأتيه ولد ذكر يكون فى حديثه
عبرة لمن اعتبر فلاجل ذلك زينها فى عينيه خالق الخلق والبشر الا أن غمرة لما رأت من عنتر وقد همّ بها ولا بقى لها
من يده مخلص ولا هو ممن ينخدع بالمقال حتى تماطله بالمحال وانه لابدان يغصبها على نفسها وان مانعته
قتلها وأسكنها رمسها فقالت له يا أبا الفوارس وحق من قدر الارزاق والآجال ما أمكنك من نفسى حتى
تجعل لى مهرا وصداقا وتحلف لى بالملك الخلاق انك ما تبدى ما جرى بيننا لاحد من البشر ولا تعرف به أنثى ولا
ذكر حتى تتم هيبتى على النساء والرجال فلما سمع عنتر ذلك المقال خجل واستحى وقام قامته وقال لها يا غمرة
أما كتمان حالك فأنا الذى أعاهدك عليه وأحلف لك بمن صيرنا كلنا اليه وأما قضية المهر والصداق فما لى
فى هذا الوقت شئ حاضر الا اطلاقك من الوثاق وهو أحب اليك من الجمال والنياق فقالت غمرة كلما

ذكرته يا فارس الاعراب من أعظم الصواب ولكن زدنى من قماشك وعدتك ما أذكر لك به فى الحال والبلاد
يا نسل الاجواد فدفع لها عنتر سيف الركاب وتمت الامور والاسباب وأقام منجنيقه وصرخ يا لعبس يا لعدنان
وحط الحجر فى كفة المنجنيق وعاين الباب ونقضه فانفسخ الباب وهدم البرج وملك الحصن بما فيه
وانشرحت الصدور وبلغ عنتر المراد وانطفت ناره وقر عنتر قراره وبعدها تواثبوا وسار كل منهم الى فريقه
وأما غمرة انكسرت نفسها وذهبت عنها عزة البكورية وتمنت لو كانت قتلت ولا تم عليها هذا الامر من عبد
أسود فى الاصل راعى غنم الا ان الاثنين ما انفصلا عن بعضهما البعض حتى طلع على غمرة الالف فارس الذين
كان أرسلهم أبوها وراءها فلما نظرتهم حركت فرسها اليهم وصرخت عليهم فعرفوها وتجاروا اليها وسلموا عليها
وسألوها عن حالها فقالت لهم كنت مع أسود بنى عبس فى قتال ونزال من نصف الليل الى ذلك الوقت وبعد ذلك
اصطلحنا وانفصلنا على ان كل واحد يعود الى قومه ويأخذ الراحة بقية يومه ونعود الى الحرب والقتال ولو
علمت انكم تصلوا الىّ فى هذه الساعة ما كنت فارقته الا بالانفصال وبلوغ الآمال ولكن من الرأى يا بنى عمى
ان نلحقه على ما هو فيه من تعبه لانه على آخر نفس وعسكره وقد تقطعت ظهور أصحابه وعشيرته ثم ان غمرة بعد
كلامها غيرت منهم جوادها وأخذت رمحا من رماح بنى عمها وعادت تطلب عنتر من حرقتها وتجارت من
حولها الفرسان وتبعتها الاقران وكان عنتر فى تلك الساعة قلع ثيابه ونزل الى الغدير وهو يقلب الماء عليه
واذا هم قد أدركوه وحالوا بينه وبين سلاحه وأخذوه أخذا بالكف وأمرتهم أن يشدوه على جواده عرضا
وأمرت بعضهم أن يسيروا به على بنى قضاعة وهم عشرة رجال وقالت لهم احترزوا على أنفسكم وخلوا بالكم معه
لانكم لم تعرفوا من وقع فى أيديكم فركبوا خيلهم وقالت لهم اذا وصلتم به الى المضارب فشدوه مع بنى عمه الذين
أخذوا من المرة الاولى ثم انهم ساروا بالامير عنتر طالبين أرض بنى قضاعة وركضت غمرة طالبة أباها وما
زالت سائرة فى وقت المسا حتى وصلت وجرى من القصة ما جرى وحدثته بما جرى لها مع عنتر ففرح أبوها بذلك
واستبشر وقال لها لم لا أتيتينى به فى صحبتك حتى كنا عند الصباح ضربنا رقبته ورمينها الى زفقته حتى تنقطع
ظهورهم ويحيروا فى أمورهم لاننا اليوم قاسينا منهم ما لا قاساه أحد ولو لم يكن فى جمعهم قلة كانوا كسرونا
ولكن ذو الخمار ما قصر لانه وقف فى وجوه بنى عبس وردهم عنا فقالت غمرة غداة غد أفرحك على القتال
وأما قولك تأتى بهذا الرجل ونقتله فما هو صواب لاننا ان قتلناه قتلوا أخى وكل أسير عندهم وهم مقدار ألف فارس
أسير الذين لنا عندهم من بنى قضاعة والرأى عندى نصبر الى الصباح وأخرج أنا الى الحرب والكفاح فاذا
أسرت باقى أبطالهم أمرت رجالنا تحمل على بقية أندالهم ونبذل السيف فيهم وما يمسى المساء الا وقد بلغنا المنا
والارب وخلصنا أخى ومن معه ونعود الى أرضنا الا انى أنا ما انت عندى الرجال بعد لقاء عنتر فى المجال وغدا
أخرج الى دريد آخذه أسير وأتركه عفير ثم انها ميلت على أبيها وقالت له الصواب القبض على ذى الخمار
لانه ما يهون عليه دريد مع علمه بأسره بعنتر واياسه منه فقال أبوها أنا أكفيك أمره وأنفذ له فى هذه الساعة عن
لسانك حتى نشاوره فى أمر القتال ونقبض عليه فقالت غمرة افعل ما تريد لانى أقول انه لو كان حاضرا كان أتى
الى زيارتى وهنانى بالسلامة فقال أبوها وحق ذمة العرب لقد صدقتنى ثم أنفذ خلف ذى الخمار فما وجده فى
المضرب وسأل عنه فما أعطاه أحد خبر ولا وقع له على أثر فصدق قول ابنته ولامها على اطلاقه فقالت له
لا تضيق صدرك فأنا عند الصباح أرده مكانه وآخذه من ميدانه (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة
ذى الخمار وذلك انه لما وصلت غمرة وأصحابها وسمع انها أسرت عنترا وأنفذته الى خيامها فذابت أحشاؤه
وزاد بلاؤه وقال وامصيبتاه وافضيحتى بين قومى واويلاه لان بنى هوازن وسليم صحبت للعرب بانهم باوذمت
عليهم الغربا وما بلغت أربا والساعة ما بقى فى الامر الا أركب جوادى وأسير خلف عنتر الى الخيام وأقتله
ما دامت الاحياء خالية وأخلص العباس وأصحابه وأعود به الى قومى وعشيرتى وأشد مع دريد حتى نكسر
هذا الجيش من قدامه والا هلكنا نحن واياهم وان لم أفعل ذلك والا قبضت على غمرة ويضيع تعبى فى هذه
السكرة ثم انه فعل الذى قد خطر بباله وسار طالب أرض بنى قضاعة ليقتل عنترا ويبلغ آماله وأصبح الله بالصباح

فوثبت فرسان القبائل تطلب الحرب والكفاح واصطفت الرجال وجردت النصال وكان دريد أوصى خذاف ودثار بكتمان أمر عنتر وعول أن يخرج بنفسه الى الحرب والقتال و يريح بذلك بنى عبس من النزال لما علم انكسار نفوسهم لغيبة حاميتهم عنتر وكان أشد بنى عبس حزنا وأسفا مقرى الوحش الا انه سبق الابطال ذلك اليوم الى الميدان وطلب البراز والطعان وتفكر غيبة عنتر وبعده عن مسيكه وولده سبيع اليمن فأنشد يقول هذه الابيات

مسيكة قبل بينك ودعينا * ونوحى فى الدجا وابكى علينا
وان شط المزار و زاد بعد * فلا تنسى المودة واذكرينا
وداوينا من الاسقام حتى * ترينا من تمارضنا شفينا
و زور بنا بطيف من خيالك * يرى ما نحن فيه وما لقينا
أحاطت نحونا خيل الاعادى * بأرض مانرى فيها معينا
وحامى جيشنا قد غاب عنا * وخلانا حيارى نادمينا
نعض أكفنا خوفا عليه * وغيى من عدانا خائفينا
ونضرب بالسيوف فليس ترمى * ولا نسمع لها الا الطنينا
كأن رماحنا من حيث ولى * عطيا فى أكف اللاعبينا
ولا تلقى عواليها العوالى * ولا ترمى أسنتها طعينا
فوا أسفا على من كان حصنا * لنا نأوى اليه اذا دهينا
وليث يلتقى عند الرزايا * اذا ما الطعن كف الطاعنينا
* فياليت المنايا سالمته * وكان الى العدا حصنا حصينا
وكنت فديته من كل بؤس * كما قد كان يفدى القاصدينا
فان يك قد مضى فثناه باقى * تربى الامهات به البنينا
فان حادثه حادثة الليالى * حمدت الله حمد الشاكرينا



(قال الراوى) فلما فرغ مقرى الوحش من شعره تبادرت اليه فرسان بنى قضاعة من اليمين والشمال وتقدمت غمرة وهى تطلب انجاز الحال لاجل ما بات فى قلبها من فقد ذى الخمار وخرجت وهى واثقة بنفسها مفتخرة على أبناء جنسها تجر قناتها فوق التراب وتنظر الى أعطافها نظر الاعجاب وعند خروجها حذرها أبوها من مقرى الوحش وقال لها أبصرى كيف تكونى معه لانه شيطان ما يلتقى فى الميدان ولولا امس ردشره ذو الخمار كان يسطو علينا سطوة جبار فقالت يا أبت لا تخف علىّ بعد ما لاقيت عنتر ما بقى لفارس عندى منظر ولوانى ممن تطلب لنفسها الزواج كنت أخذته بعلا وفتحت به أقطار الفلا ولكن هذا لا يكون أبدا ولا يكون لى أنيس فى الليل والنهار الا رمحى الخطار وسيفى البتار ثم انها بعد ذلك نزلت الى ميدانها وصالت وجالت وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول

غبار الخيل فى يوم المجالى * أحب الىّ من أهلى ومالى * وشرب دما الفوارس كل فجر
أفضله على الماء الزلالى * ولا يطفئ لهيب جوا فؤادى * سوى وقع النصال على النصالى
خلقت ولى جنان من حديد * وقلب قد من صخر الجبال * ولى قوم أقالونى بنقص
وقد جهلوا الزيادة فى كمالى * يعدنى من النسوان يوما * ويوما من أحاجية الرجالى
ولولا ان حكم الله حتم * صحيح لا يدنس بالمحالى * لما أصبحت فى أرض قفار
أطاعن بالقنا راجى الجمالى * ولكن للقضا فى الخلق سر * يسود به العبيد على الموالى

(قال الراوى) فلما رأى مقرى الوحش حالها وسمع مقالها أشكل عليه حالها حتى عادت اليه فقال لها من تكون أيها الفارس المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه ما أنت صاحبى بالامس فقالت غمرة لا والله ما أنا

ممن ذكرت لان ذلك جبان لكن أنا اليوم أعلمك الطعان وما يمسى عليك المساء حتى أضيفك الى رفقاك وعبدكم الاسود يكون سبب فنا كم جميعا فى يوم واحد حتى تعرفوا سفرتكم ودخولكم الى بلاد شريف (قال الراوى) فلما سمع مقرى الوحش هذا الكلام خفق قلبه شوقا الى معرفة عنتر وأخباره وقال ويلك يا وجه العرب تعنى بقولك عبدنا الاسود والموال اكشف لنا عن حقيقة الحال قبل طعن العوال فقالت غمرة أعنى عبدكم الاسود عنتر الذى كنتم تفضلوه على كل شجاع فانه أصبح أسيرا فى بدذات قناع التى شاع ذكرها فى سائر البقاع وهذا المقام ما يحتمل أكثر من هذا المقال فدونك والحرب والجلاد قبل قدوم الليل بالسواد ثم انطبقت عليه انطباق السيل وقاربت مقاربة النهار الى الليل فتلقاها مقرى الوحش وهو متعجب من فصاحتها وطاب قلبه بسلامة عنتر وحار فى أمره وتفكر ودام بينهما الطعن والضرب وقد ضاقت الصفوف واجتمعت الالوف وخاف فائز على بنته فصاح على أبطال عشيرته ونادى دريد بن الصمة فى الفرسان الذين كان يدخرهم لكل ملمه ووقع السلاح بعضه على بعض وارتجت أركان الارض وتلوثت أفاعى الرماح من شوقها الى شرب دما الاشباح واختلف بين غمرة ومقرى الوحش طعنات قاتلات ولولا مشيئة الرحمن كان قتلا الاثنان لانهما وقع بهما الجوادان فوقعا على الارض وقفز كل واحد منهما وسحب سلاحه وطلب خصمه لانهما وقعا قائمين حتى حارت أبطال الفريقين وتعجبت غمرة من أبطال الحجاز وقالت وحق من يعلم ما فى الصدور ما فى هؤلاء القوم الا من يلتقى الالف والالفين وأكثر وما منهم الا كل أسد قسور ولما رآها أبوها على وجه الارض خاف عليها من نوائب الزمان المرناءه وصرخ فى الحال على بنى قضاعه فحملت وأطلقت أعنتها وقومت أسنتها وكذلك فعل دريد وصاح فى رجاله وحمل الامير عروة وشداد فى طائفة بنى عبس الاجواد فما أسرع ما شرت المنايا عن أنيابها و رمت بسهامها وحرابها فأسكرت الرجال من خمر شرابها وجالت عليهم طيور المنايا وعقابها وخطفت الارواح من الاشباح بمخلابها ونادت السادات بأنسابها فما سمعت من يرد جوابها هذا وغمرة مع مقرى الوحش قد جدت فى ضرابها لانها رأت منه ما لم يكن فى حسابها وما زالا يتضاربان الى ان سها الحتوف وازدحمت عليهما الصفوف وترجلت لهم الرجال وقد اشتد القتال وكان الذى ترجل الى مقرى الوحش شداد وأسيد بن نازح وماجد وسعيد بن خالد وجماعة من الفرسان المذكورة والابطال المخبورة وأما بنو قضاعة طلبوها مثل الامواج وقد تدفقوا مثل البحر العجاج وصار أبوها يصيح فى رجاله و يقول من يأتينى اليوم بخصم بنتى زوجته اياها وكانت فرسان بنى عبس قد أشرفت على الهلاك لولا دريد وخفاف ومن معهم من الاجلاف فرقوها وكلما اتهاجمت مزقوها وما زال الامر على مثل ذلك حتى طلع الحر والتهب البر واشتدت مناقس الخيل من شدة الحر والهجير (قال الاصمعى) واذا بسريه خيل قد أقبلت من جهة الشرق وهى تركض أخف من البرق وقدامها رجل أخف من شعاع الشمس اذا طلع من المشرق وهى لا تستقر على الارض قدماه وهو ينادى يا عبس يا عدنان ابشروا ويا بنى قضاعه بخراب الديار وقلع الآثار وهلاك الاولاد فهذا عنتر ابن شداد القادح الزناد حية بطن الواد (قال الراوى) وما صاح شيبوب بذلك الكلام حتى صار عنتر و رفقاه تحت الاعلام وطعنوا فى الرجال المتلففة تحت الرايات وبددوا شملهم بأسنة الرماح الذابلات وأيقن فائز بالهلاك والعطب وأطلق العنان وعول على الهرب فأدركه عنتر وطعنه فانقلب وانقض عليه شيبوب شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وبعد ذلك نكست الرايات والاعلام والتفتت بنو قضاعة الى ورائها وقد روعها ما سمعت من الصياح وفى دون ساعة علمت بأسر سيدها وهلاك من حوله من السادات فعادت تكشف الاخبار وتأخرت من الغبار وخف الكرب عن دريد وأصحابه فاشتفى فؤاده بطعانه وضرابه واشتغل قلب غمرة بأسر أبيها وتخلى عنها من كان مساعدها من أهلها وذويها وطلبت أن تركب بعض الخيل الغائرة وترجع فما مكنها من ذلك مقرى الوحش بل هجم عليها وضربها بالحسام صفحا بين أكتافها فوقعت على وجهها فأرمى روحه عليها وعاونه عروة وسلموها الى بعض الفرسان من بنى عبس وعدنان وركبا من خيول المعمعة وحملا على بنى قضاعة هذا وعنتر قد نثر الجماجم من على قامات الابدان وزاد وقيد الحرب نيران وصار شيبوب يضرب

بنباله مقاتل الفرسان وهو ينادي يا بني قضاعة انجوا بأنفسكم واطلبوا غير هذه المنازل والبلاد فان حريمكم سبيت ورجالكم قد قتلت وما زال على مثل ذلك الحال والسيف في رقاب الرجال قطاع وبني قضاعة خافت من حلول الرجال فسبق بعضها بعض الى الهرب يمينا وشمالا حتى ولى النهار وعول على الارتحال وخمدت نار الحرب بعد الاشتعال والتقى عنتر بمقري الوحش وهو لا يصدق أن يراه وكذلك أباه شداد وعروة ومن معه من رفقاه وما في الجماعة الا من اعتنقه وبالسلامة هناه ولما نزلوا واستقر بهم القرار اجتمع به دريد وخفاف ودثار فرأوا سبيع بن الحرث الملقب بذي الخمار معه أسير في قيود الذل والتعثير فسلمه الى دريد فعندما رآه تعجب من ذلك وقال ويلك يا أبا الفوارس هذا في اليقظة أم في المنام وكيف كان سبب أسرك وخلاصك ولأي شيء معك ذو الخمار أسير حدثني بهذه القصة العجيبة فعندها حدثه عنتر بما جرى له مع غمرة وما وقع له مع ذي الخمار (قال الراوي) وكان السبب في ذلك هو أن شيبوب لما سار من عند أخيه يكشف خبر غمرة وعمرو أخو عبلة ومن أسر من الفرسان وتبع المنهزمين الذين مع فائز أبو غمرة فوصل معهم الى الديار وأبصر غمرة ظاهر الخيام تقاتل ذا الخمار على سبيل الاختبار وجرى لها مع أبيها ما جرى وسمعت بكسرته وأرادت أن تعيد ذا الخمار الى الشد والاعتقال وتسيرهي ومن معها من الابطال وحدثها ذو الخمار بما في قلبه من عنتر وساروا على الترتيب الذي ذكرناه وأراد شيبوب أن يتبعهم ويحذر أخاه منهم فقال كيف أعود بلا فائدة والله لا أعود الا ان خلصت عمرا ورفقاه لانه كان رأى فائز لما شد عمرو ورفقته بقرب خيامهم ولم يتركه عند العباس فبقي شيبوب يناظرهم حتى أمسى المسا وخف الحي من الرجال ففرح بذلك وحل الجميع من الاعتقال وأخرجهم في الصحراء ورجع سرق لهم خيلا ورماحا فارجع وقارب وقت السحر حتى حمل لاصحابه العدد وسار بهم يقطع البيداء والقفار حتى عبر نصف النهار فلحقه النفير من الحي ولكن ما عليهم هيبة ولا فيه رجال تخطر لاحد على بال لانه كما ذكرنا خال من الابطال فخلصوا شيبوب وقد عوقوه عن المسير وأخذوا في الضراب والطعان حتى أمسى المسا ووقع بالهاربين التعب وسدفي وجوههم كل مذهب وأيقنوا بالهلاك والعطب وفرغت نبال شيبوب فطلب الهرب وخاف يقع فيصاب فقطع الخيل وراءه وطلب الفلاه وغاب في الوديان الا انه ما اختفى عن النظر حتى التقى بالعشرة فوارس الذين مع عنتر فطلب الخيل وهو مثل الذكر النعام وهو يقول انجدونا يا بني الاعمام فقد قتلوا الرجال وفنوا الابطال فلما سمع العشر فرسان كلام شيبوب تقدموا اليه وقالوا له وأنت من أين تكون فقال أنا رجل غريب من خدام بيت الله الحرام ومقامي في أرض مكة وأنا دائر بين هذه الحلل والقبائل التي للملك فائز فلما عبرت هذه الحله قالوا لي ان صادفت أحدا من فرسان القبيله أعلمه أن الاسارى هربوا من الاعتقال فلما سمعوا كلامه أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وتركوا مع عنتر فارس واحد وقد أوصوه الوصية البالغة على الاسير هذا وعنتر معارض على ظهر جواده موثوق بحمائل سيفه فعند ذلك قاربه شيبوب وتبينه واذا به أخوه عنتر فانذهل في نفسه وتحير وقال ما هذا الا من العجائب ثم انه تقدم اليه ومال الى الفارس الذي عنده وقال له الحق أنت الآخر أصحابك وساعدهم على هؤلاء الاقوام ودعني أسوق هذا الاسير حتى أوصله الى الماء والغدير فقال له الرجل يا وجه العرب احفظه ولا تفرط فيه والا جعلك أول مقتول لان هذا الفارس ما هو مثل من تعرف من الفرسان لانه شيطان في صورة انسان ثم ان الرجل بعد كلامه مع شيبوب لحق أصحابه فعند ذلك تقدم شيبوب وفك أخاه من الوثاق وأخبره بخلاص عمرو وما جرى لهم مع الرجال الذين أدركوهم وما أتى اليهم من الحديث والمحال فاخبرني أنت كيف أسرك وأعلمني بهذه القضية فقال عنتر اسكت يا شيبوب فان هذا ما هو وقت سؤال حتى أشفي فؤادي من هؤلاء الانذال ثم انه بعد كلامه سل حسامه وطلب الغبار ولم يزل سائرا الى ان وصل اليهم فنزل على العشرة الذين كانوا معه على الذين حول عمرو أخو عبلة وهو لا يفكر في الاخطار هذا وعمرو لما نظر الى قتاله وضرابه ونزاله جاشت روحه وقال لرفقاه يا بني عمي قاتلوا وانصحوا في قتالكم فعند ذلك حملت فرسان بني جشم على فرسان بني قضاعه وكان لهم ساعة يا لها من ساعه ارموا أكثرهم على الصعيد وولى الباقي على الادبار وركنوا الى الفرار وما أقبل الليل وخيم الظلام فما بقي

منهم لا شيخ ولا غلام ولما خلت لهم الارض سلم بعضهم على بعض وقد نزلوا للراحة في تلك الارض ولما استقر بهم القرار أخبرهم عنتر بما جرى له مع غمرة من الحرب والقتال وأخفى ما جرى من باطن الحال فحدثه شيبوب الآخر بما جرى من سبيع بن الحرث وكيف انه اصطلح مع غمرة على قتله فحار عنتر من هذا المقال وتفكر في هذه الاحوال وقال ان هذا الشيطان طالع علينا أشر من الحرث بن ظالم ثم انه أخذ الراحة حتى سكن الليل ورحل يقطع الارض حتى انقضى أكثر الظلام وشيبوب بين يديه فوقف وقال يا ابن الام اعدل أنت ومن معك عن الطريق لاني سمعت قدامنا حس جواد وقعقعة سلاح فارس وما أدري معه غيره أم لا والصواب اننا نجتنبه ولا نعارضه فيشغل خواطرنا فلما سمع عنتر كلامه رآه صواب وخاف أن تكون خيل كثير فيعظم الامر عليه فجنب الطريق ووقف شيبوب وقد ستره الظلام وابعد مثل ما يبعد الذئب للاغنام وما قرب به القرار حتى قاربه الفارس وهو ينشد ويقول

اذا جيش الظلام على مالا * وأظلم ليله ودجا وطالا
عسفت البر منفردا بسيف * صقيل المتن يشتعل اشتعالا
ومهري يشتهي خفقان نجد * تكون على حوافره نعالا
ولولا انني أعلو بجدي * ظهور الخيل ما عرفت مجالا
أنا الرجل الذي خبرت عنه * حقيقا فاترك الخبر المحالا
اسمي ذو الخمار وما خماري * اذا شديته الا جمالا *
ولولا عبد عبس كان سمي * أجل بان يسمى أو يقالا
هجرت الاهل من حنقي عليه * وطلقت المنازل والعيالا
وقد أمسيت في بر قفار * فلاة لا أرى فيه خيالا
تضج الجن من حولي رباها * كأن ضجيجها قيل وقالا
ولو أمسى بها غيري فريدا * تفطر قلبه منها انذهالا
فسيري يا سباع البر حولي * اذا جيش الدجا ولى ارتحالا
فعند الصبح تروى من حسامي * ومن علق السنان وما قد مالا
وتحمد يا سباع لهيب قلبي * اذا ما العبد فوق الارض مالا

(قال الراوي) فلما فرغ ذو الخمار من شعره عرفه شيبوب وعنتر وما فيهم الا من تعجب من أمره وعودته الى بني قضاعه وتاهت عليهم قصته الا شيبوب فانه قال لاخيه عنتر يهنيك السلامة من هذا الشيطان فانه ما عاد الا ليقتلك ويهلك بني عمك فقال عنتر وكيف ذلك يا ابن السودا فقال له أنا ما قلت لك انه اتفق مع غمرة على قتلك وأظن انه درى بأسرك فهرب من وراء غمرة وأتى الى الحله حتى يحل بك المذلة فقال عنتر لا بد ما أحل عليه وأحل به النكال وأورثه الهم والخبال فقال له شيبوب قتالك في هذا الوقت ما هو صواب لانك ان نصرت عليه يقول التقاني في الليل ومعه عشر فوارس ويمضي تعبك معه بلاش وأنا ما عندي من الرأي الا اننا نقابله في هذه الساعة واذا بقي في قبضتك وحضرت قدام الفرسان بارزه واقض شهوتك ولا تقضي الزمان معه في المشاقة والخصام والهذيان وتخلي قومك وعشيرتك مثل مقري الوحش وعروة قدام غمرة وأصحابها تحت الذل والهوان لان دريد كم جهد ما يعمل في ذلك الجيش والجحفل وما هذا سبيع تعلم انه بطل مناع وليث شجاع فقال عنتر صدقت يا ابن الام وأنا ما خوفي الا على مقري الوحش ومن معه من الفرسان ثم ان عنتر بعد كلامه التفت الى عمرو أخي عبلة وقال له دونك يا ابن العم أنت وأخي شيبوب امسكوا عليه الطريق واعدموه السعادة والتوفيق فلما سمعت فرسان هوازن من عنتر ذلك الكلام أخذتهم الحمية ونخوة الجاهلية وقالوا وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان ما نتخلى عن معونتك ومعونة أصحابك ولو أن في أقدامنا القيود الثقال لان ذا الخمار ما رعى لنا ذمة ولا حفظ لدريد حرمه بل انه قاتل مع أعداه وتركنا في العذاب ولولا أخوك

شيبوب كناها كافي هذه الرحاب فشكرهم شيبوب على مقالهم والتفت اليهم وقال يا قوم الامر أقرب من هذا
وأنا وحياة رؤسكم أبلغكم منه ما تشتهون واقتل جواده واتركه عبرة لمن اعتبر فقفوا أنتم في أماكنكم وانظروا
مني ومنه العجب ثم ان شيبوب بعد كلامه وقف على قدميه وهمز همزات متتابعات ونط نطه والحقها بالثانية
والثالثة فقارب ذا الخمار وصار قدام وجهه وضرب جواده بنبلة في صدره فشب به ورماه على أم رأسه وخبله
في نفسه وطاش عقله وما أفاق حتى شده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وساعده عمرو وأخو عبلة
وحملوه على أكتافهما حتى رموه بين يدي عنتر فبصق في وجهه وقال لبعض الفرسان ترجل يا ابن العم عن
جوادك ثم أمر فرسان هوازن أن يربطوه على الجواد عرضا ويشدوا وثاقه شدا وثيقا (قال الراوي) ففعلوا
ذلك وساروا به يقطعون الطريق حتى أشرفوا على العسكر وهم في ضيق الخناق فأشار عنتر الى الفرسان
الذين معه أن يقصدوا الاعلام ووقع الحرب وجرى من القصة ما جرى من كسر العسكر والانهزام وحدث عنتر
لدريد بن الصمة بالقصة فلما سمع دريد ما جرى من ذي الخمار علم انه خائن العهود فسبه وشتمه وطلب انه
يبطش به فرده عنتر عنه وحال بينه وبين ذي الخمار الفرسان وقالوا أيها الامير طول روحك فقال دريد
لذي الخمار يا ويلك أي شيء أصابك من الدواهي والاسباب حتى خرجت عن طريق الصواب وركبت
جراد البغي الذي ما ركبه أحد الا وخاب أما علمت أن معادي أهل السعادة يتجرع الغصص بزيادة أخبرني
يا سبيع ما تصدك من هذا الفارس حتى حنقت عليه هذا الحنق ومن أجله ضربت وجه قومك بالسيف فقال
سبيع مرادي يبارزني وفي الحرب ينصفني حتى تشهد أنت والفرسان لاحدنا بالغلبة وللآخر بعلو المرتبة
لانك تعلم اني ملكت الشجعان وهابتني الاقران في كل أرض ومكان حتى التقاني هذا الشيطان وحط
منزلتي عند الاقران من يوم انه أسرني والى الآن ما مكنني منه الزمان وأنا ما أتخلى عنه حتى أجرب قتاله
وحربه ونزاله فان قهرني في الميدان رعيت له النوق والاغنام مدة ثلاثة أيام وان أنا قهرته يفعل كذلك
فقال دريد يا سبيع أنا أبلغك المراد وأقضي مناك وأزيل عنك عناك ولكن حتى ينفصل أمر هؤلاء الاقوام
ولا يبقى علينا ملام واذا عدنا الى أرضنا أشهد عليك وعليه سادات القبائل حتى لا يبقى للآخر منكم طريق
الى الباطل وأريد يا سبيع قبل كل شيء تحلف لي بمن قدر الآجال والارزاق لابن آدم وهو الملك المتعال الذي
أرسى الجبال انك لا تعارض هذا الرجل ما دمنا نازلين في هذه البلاد والا تركتك هكذا في القيود والاصفاد
فلما سمع سبيع ذلك حلف له بما أرادوا واعتذر الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا ثبت عندي انك الفارس البهلول
والبطل الذي ليس له من الحرب ملول وكذلك قال دريد والله أنت غاية المأمول فقال عنتر يا أبا النظر والله
ما أنا جاهل بفروسية الامير سبيع وقتاله ولا طعنه ونزاله ولو علمت ان هذا الامر يجري بيني وبينه ما كنت
توجهت الى هذه الديار لانك صرت تعبان القلب بيننا فلما تكلم عنتر بهذا الكلام حمدوه وشكروه فأثنوا
عليه وحلف سبيع بحق رافع السماء انه لا يبقى يفارقه أبدا ثم ان القوم بعد هذا الكلام قدموا مناسف الطعام
فأكلوا على حسب الكفاية وأقبل الظلام فعندها ركب عنتر جواده الابجر وتقلد بالضامي الابتر وتولى
حرس قومه وأراد دريد أن يركب فمنعه عنتر من ذلك وقال له يا أبا النظر أنا أولى بهذه الخدمة لانني اتعبت قلبك
وما يمكنني أحملك أكثر من هذا ثم ان عنتر قبل رأسه وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وتولى عنتر الحرس على
سبيل الانفراد بعدما أوصى دريدا بغمرة وأبيها فائز فقال السمع والطاعة فما بقي لهم الى النجاة سبيل فلما نظر
سبيع الى عنتر وهو قد تولى الحرس على قومه فأراد الآخر أن يفعل مثل فعله فأمر بعض الغلمان أن يقدم له
فرسه فركب وأطلق العنان وصار يدور حول المأسورين وهو ينظر عنتر في سواد الليل وقلبه بالشر ملآن
عليه فحدثه قلبه بما شاء من الحسد ووسوس له الشيطان أن يقتل عنتر في وسط ذلك الفلا حتى لا يبقى أحد غيره
يذكر بالفروسية الا انه لما لاح له وجه المحال وغرق في بحر الجهالة والضلال وخطر له ذلك قصد الى
المأسورين كأنه يتفقدهم حتى وصل الى غمرة فحلها من الاعتقال وقال لها اطلقي أباك ومن معه من المأسورين
ولا تحسبي اني نسيت ما عملت معي من الجميل على ان هذا ما هو موضع كلام وانما التدبير اذا صرنا عندكم في المضارب

والخيام ثم ان ذا الخمار وقف مكانه كأنه يحرسهم حتى حلت غمرة أباها وجماعة من سادات قومها وتركت من
لا قدرة عليه ومن جملة الذين تركتهم أخاها لان عنتر لما أسره سلمه الى خفاف وقال له هذا بغيتك ومقصودك
فلا تتهاونوا فيه فلما تسلمه خفاف صار لا يفارقه ليلا ولا نهار ولا ينام الا عند رجليه ولما خلصت غمرة أباها
ومن قدرت عليه بعدت هي واياهم في الصحراء وبعد ذلك أتى اليهما ذو الخمار بفرسين وعدتهما وآلة حربهما
وكل هذا مما في قلبه لعنتر من الحسد وساروا وانحت الظلام واذا قد بان لهم عنتر وهو راكب على ظهر جواده
الابجر كأنه ثنية جبل وهو يدافع النوم من شدة السهر فعندها تقرب منه ذو الخمار فصاح بهم عنتر من
تكونوا تكلموا قبل ان تعدموا الحياة فناداه ذو الخمار على رسلك يا أبا الفوارس فأنا من تعرفه ولا تنكره وأنا
بعد فراقك ما طاب لي مقام فأتيت اليك حتى أتحدث معك وطلبت اني أساعدك على سهر الليل حتى يصبح
الصباح فلما سمع الامير عنتر ذلك الكلام شكره وانطلى عليه المحال ثم انه نظر الى غمرة فأنكرها وسأل
ذا الخمار عنها فقال هذا بعض أصحابي وهو ابن عمي عامر اتى في صحبتي ثم ان ذا الخمار سار الى جانب عنتر وهو
يحادثه وينادمه فلما نظرت غمرة الى ذلك انتهزت الفرصة وجذبت سيفها من غمده وضربت عنتر على
جسده مع جنبه انها تقطعه قطعتين وكان على عنتر زرديه ومصفح والدرع الابجي فلما وقع السيف عليه
خرج له صوت مثل المنجنيق فقطع قليلا من الزرد فانتبه عنتر على نفسه وعلم انهم غدارين وما أتوا الا قتله
طالبين فعندها صاح فيهم صيحة ثانية وحمل على غمرة فمنعه ذو الخمار عنها وطعنه بالرمح طعنة لو كانت في
جبل لهدته فانكسر الرمح ثلاث قطع وما جرح ولا قطع فأراد عنتر أن يضربه بالسيف فاعترضته غمرة ومنعته
عنه فأراد ذو الخمار أن يتقدم الى عنتر فغاص جواده في الارض وهذا يدل على سعد عنتر فان كل من عاند
مسعدا مات مكمدا لان السعد يساعد صاحبه والله يفعل ما يشاء ويريد في خلقه انه هو الحميد المجيد (قال
الراوي) ولم يكن ذلك الامر أكثر من ساعة حتى سمعت الطوائف الصياح فركبت وطلبت بريق الصفاح
وضج البر من سائر الاقطار وزاد سواد الليل اعتكار فخاف من ذلك ذو الخمار فأخذ غمرة وسار فطلبها عنتر
الى وقت الصباح والخيل مبددة في الاقطار والبطاح وأكثر الفرسان لا يعرفون هذا الامر الذي أوجب
هذا كله وفي دون ساعة اجتمعت الفرسان على عنتر وعلى الامير دريد واطلعه عنتر على هذا السبب والحال
فسب ذا الخمار وخاف ان وقع به ضربه وقطع عنقه وهنأ عنتر بالسلامة وشاوره في العودة الى الاوطان فقال
والله يا مولاي ما بقي لنا في هذه الارض مقام ثم انهم عادوا جميعا الى الخيام (يا سادة يا كرام) وما قاموا الا قدر
ساعة على قدر ما ضربوا رقاب ما بقي من سائر الاسارى وضرب خفاف رقبة المتعجرف أخو غمرة وبردوا بذلك
قلوبهم وجدت عزائمهم على الرحيل وساروا وهم يتحدثون ويتعجبون من قصة ذي الخمار ويقولون ما عمل
هذه العملة الا من عشقه لغمرة وحسده لعنتر وجدوا في قطع القفار وشوقهم الى المنازل والديار فالتقاهم
خمس نجابة على مهاري تقطع بهم القفار والبراري فعرفوا دريد وقد صاروا بين يديه فتبينهم واذا هم من
بني هوازن وجشم الا انهم لما عرفهم دريد رد سلامهم وأنكر أمرهم وقال لهم ويلكم الى أين انتم سائرون
أليس وراءكم خبر من الاخبار من ناحية الاطلال والديار فقالوا يا مولاي وراءنا الويل والحرب وما نحن
سائرون الا في طلبك حتى نخبرك بما تم على قومك من الاهوال فقال لهم ويلكم أي شيء جرى على قومنا
قالوا غزونا بنو عبس وسبوا الحريم وساقوا الخيل والجمال وقتلوا جماعة من فرساننا والابطال وعادوا
راجعين وهم فرحين بهذا الحال وكل هذا في عناد عنتر بن شداد وأصبحت النوادب في أرضنا متجاوبات فلما
سمع دريد والرجال الكرام ذلك الكلام لعبت بعقولهم الفكر والاوهام وأما عنتر فانه غاب عن الوجود
وبقي في صفة مفقود وعلم ان نزولهم عليهم غير محمود وتمنى أن يكون له أجنحة يطير بها الى بني عبس حتى
يجازيهم على فعالهم القباح وأما بنو فزارة فانه نوى لا يخلي منهم أحدا هذا ودريد يسأل عن أخيه خالد وعن
الفرسان الذين كانوا عنده يدخرهم ليوم الشداد والنجابة تقول قتل فلان وفلان وأسر فلان وجرح فلان

مع عبلة ومسيكة فقال وأخوك أسير وحلت به البليات والنسوان فما بقي منهم أحد الا القليل والباقي مسبيات دريد وقد أظهر الحلم والجلد على ما أصابه حياء من عنتر وأصحابه يا بني عمي كل هذا الامر يصعب على غيرنا وعلينا يهون لان فينا كفاية لعرب المناهل والعيون ولا بد انا ما نكافئ بني فزارة على هذا المنكر وأما بنو عبس فهي وحاميها الخبر فقال عنتر يا مولاي ومن هم بنو عبس وغطفان وحق ذمة العرب ما بقيت أجاور القوم بعد هذا اليوم على طول الدوام ولا أعدهم اليوم الا من جملة الاعداء والسلام ثم انهم جدوا المسير في تلك القفار طالبين الاهل والديار فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من بني عبس و بني فزارة وسبب غيرتهم على عنتر وذلك أن سنان بن أبي حارثة ومالك أخا حذيفة لما فاتهم عنتر من جهة الغلام كما ذكرنا فانطلقت في قلب حصن النار فأخذ الربيع بن زياد ودخل على أعمام الملك قيس فاخذهم وصار والى الملك النعمان ملك البلاد يشكوا اليه من عنتر بن شداد وما فعل بهم بين العماد وذكرنا ان عنتر لما جرى له مع بني فزارة ما جرى وأسر سنان ومالك وكان زهير بن قيس معهم ومعه جماعة من ذبيان وتركهم مع زهير مطروحين على القيعان وسار فاجتمع رأي الجميع ذلك اليوم على المسير الى الملك النعمان وكان ذلك بمشورة الربيع وهو الذي كان من بعض الرسل في هذه النوبة وضمن لاخيه عمارة أخذ عبلة وأخذ معه واحدا من أعمام قيس وحصن بن حذيفة وعشر فوارس أخر من سادات بني عبس وفزارة وسار يطلب أرض العراق بعزمه وحميته وعلم سنان بن أبي حارثة بهذه القضية فأمر بقلع بني عبس الذين مع عنتر في جبال غزية وأنفذ الى ملك الشام يقول له أيها الملك لا تسأل عن ما في قلوبنا من الهم والغم لاجل انكسار جيشك لما عطش قيس النوق والجمال وأخرجهم عليهم من الجبال وأهلك بني غسان والجيوش والابطال وانه ما فعل هذه الفعال الا انه كان أشرف على قلع الآثار فخلصه رب السماء بتلك الحيلة وانقذه من الدمار بعد ما كنا أسرنا عنتر والفرسان الذين عليهم المعتمد وقد عولنا انه نسير اليك بالكلية حتى نأخذ بثار ولدك بدر النصرانية ونصلبهم على أسوار دمشق وننزل بهم المهالك ولكن جاءنا الامر بخلاف ذلك وما زلنا ننتظر لعنتر عثرة من العثرات في هذا الزمان حتى اختلفت كلمة بني عبس وعدنان وتفرقوا في الاقطار ورحل عنهم حاميتهم في خمسمائة فارس من الفرسان وهم جمرة بني عبس وعدنان وصار واينغزوا علينا في الليل والنهار وفي كل وقت ما نشعر به الا وهو معنا في الديار وما أنفذت اليك هذه الرسالة على ذلك الشان حتى رأيتهم أرسلوا الى صهرهم الملك النعمان و يسألوه أن ينفذ لهم فرسان وأنصار تعينهم على عنتر الكشحان و يبقوا لهم أعوان وأنا أعلم انه يرسل بعض أخواته اليهم في جميع العربان وكل منهم يجدون في طلب ذلك الاسود الشيطان فارسل أنت اليهم من يأخذ أموالهم والنسوان وان هان عليكم المسير فطوائف بني غسان وأنت في جملتهم بلغناك المراد ودبرنا على كسر عساكر بني غطفان واذا رجعت الى الشام رجعنا معك كلنا وجعلنا مقامنا عندك نحن وأهلنا في أرض حوران وعبدنا عندك الصلبان ونغزو أرض النعمان وأرض المدائن ونجتهد حتى نترك الارض كلها قائلة بكلمة المعمودية و بعد فهذه الرسالة من سنان بن أبي حارثة شيخ بني فزارة وانا قد أتتنا الاخبار ان عنتر قد سار مع دريد الى بلاد شريف وان أحياء هوازن خالية من الحماة والفرسان ثم بعد ذلك أتى الى قيس هو ومالك بن بدر وحرضاه على القوم وسبي نسائهم وقالوا له يا ملك ساعدنا على هذا الامر حتى تقع هيبتنا في قلب دريد وما زالوا به حتى جمع حلفاه ومن يعتمد عليه من أصدقاه وسارت معه بنو مرة والفرسان الطماعة وطرق ديار دريد وكانت آمنة ولا نابها قط نائبه فقتلوا رجالها وساقوا أموالها وكانت الارض التي فيها عنتر بمعزل عن القوم فأحاطت به بنو فزارة وشنت عليهم الغارة وشفوا قلوبهم من بني قراد وسبوا النساء والاولاد وكتف قيس الرجال الذين كانت تخلفت في الحله وكانت مائتي فارس والثلاثمائة الآخر كانت مع عنتر هذا وقد سبوا مسيكة وعبلة وعادوا وقد بردت نارهم من قلوبهم وزالت عنهم كروبهم وسارت فرسان القبائل تتلاحق بهم مواكب وفرق وشملها قد افترق الا ان قيس ما طلع من ديار دريد وهوازن بالاموال حتى أهلك خلقا كثير وترك الدماء في جنبات الارض تسير

فلما وصل الى أرضه جمع السبي كله حول العلم السعدي وقال لبني فزارة ارحلوا كلكم الى عندنا وانزلوا في أرضنا حتى تشاركونا في الدماء التي علينا لان دريدا اذا عاد الى دياره وقر قراره وأخبروه بما فعلنا في بلاده جمع حلفاءه وأنصاره وغزانا هو وعنتر ومن تعرفون من الفرسان ونبلى منهم بما لا نطيق قبل ما تصل من عندك مهري الفرسان فقال له سنان طب نفسا وقر عينا وابشر بالنصر على العدا ومن هو دريد أو مقري الوحش أو عنتر فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لا تركت لهم ذكرا بذكر ثم بعد ذلك نقل مضارب بني فزارة وخيامهم الى أرض الشربة ونزل هنالك بالاحمال والعيال وأصبحت بنو عبس تضج بالفرسان فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من عنتر ودريد فانهم لما سمعوا الخبر من النجابة الذي يفرح الاعداء ويغم الاصدقاء فتوافى سيرهم حتى وصلوا الى الديار والمضارب فرأوها تضج بالمصائب والنوائب فتألمت القلوب بالاوجاع ونزل دريد في المنازل والبقاع وسلاهم عن تلك الافجاع ثم قال لهم عليكم بالصبر والجلد وقلبه يتقطع وهو يقول يا بني عمي كلما مضى لا يرجع وكأنكم بالذي فعل بكم هذه الفعال قد أصبح في أسوا حال فخذوا أهبة الرحيل الى ثلاثة أيام ثم انه أمر فرسان القبائل والحلل يأخذون الراحة بعد ما ترجل عن جواده ونزل ثم ان دريدا أرسل الى عنتر و بني عمه خياما ومضارب وكان قد وصل معهم من بلاد اليمن خيولا وأسلاب فنزلوا في المنزل الذي كانوا فيه و بنو عبس متفكرون في تلك الافعال وكان أكثرهم هما وغما مقري الوحش وعنتر و بلغني انهما بقيا يومين وليلتين ما ناما ولا التذت أجفانهما بالمنام وفي الليلة الثالثة زاد بعنتر الشوق وأقلقه الغرام وقال لمقري الوحش و يلك يا ابن العم الى متى هذا القعود فاعزم بنا حتى نسير الى خلاص الحريم ولا نتكل على غيرنا فلعن الله من لا يلتقي فرسان بني عبس و بني فزارة و يهلك الجميع و يشتفي من الاعداء سريع فقال مقري الوحش افعل ما بدا لك حتى أتابع أعمالك ثم وثب كل واحد الى ظهر جواده بعد ما اعتد بعدة جلاده وما علم بهم غير الامير شداد وشيبوب وتمام المائة فارس من بني عبس واستغرقوا في البر والآكام وتباعدوا عن الخيام وصار يقول مقري الوحش واشوقاه عليك يا سبيع اليمن وهو ينشد و يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات



مابال ربعك يا مسيكة قد خلا * و بوحشة بعد الانيس تبدلا
بالامس كان محل غزلان النقا * واليوم تحجل فيه غربان الفلا
ناديته وسألته مستخبرا * عن من بقيت لاجله أشكو البلا
كحلت أجفانه بكحل ترابه * لما ذكرت به الغزال الاكحلا
يا ربع ان كان السحاب كادمعي * يروي ثراك اذا جنابك أمحلا
بالله يا نسمات أنفاس الصبا * لك خبرة بالظعن أين ترحلا
فاجابني ريح الشمال وقال لي * في غيلم محبوب قلبك وصلا
نزلوا على وادي العقيق وخلفوا * في ربع قلبي للحوادث منزلا
لهفي على قوم سرت أظعانهم * كرها ولا طلبوا الملال ولا الملا
نجم العدا قلبي بهم فدامعي * هطل ونار صبابتي لا تصطلا
يا طائرا قد بات يندب الفه * أين الخلي من الحزين المبتلا
لو كنت مثلي كان دمعك قد جرى * وسقى الغصون وبل أقطار الفلا
ان كان قد اغتال الفلك قانصا * و بقيت مشتاقا تبيت مقلقلا
فان سبي ولدي عدو ظالم * حسدا وحق لحاسدي أن يفعلا
لهفي على سبيع اليماني قد غدا * ينساق مغلوق اليدين مغللا
يا صاحبي إن لم تكن لي مسعدا * يوم اللقا وعمت فيه العذلا
وتعجبت وحش البر عيري كله * و جعلت للغزلان دمعي منهلا

(قال الراوى) ولما فرغ مفرج الوحش من شعره تزايدت حسراته واشتدت نيران زفراته فتبسم عنتر من مقاله وقال له يا ابن العم ما نحوجك أن تصاحب وحش القفار بل نأخذ لك بالثار ونخلص لك ولدك سبيع اليمن وزوجتك مسيكة كما تحب وتختار ونحن فى حمل المصيبة سواء ولكن يا أخى لا كلام حتى تقع العين على العين وتبصر كيف يقتضى الدين ان أردت أن تبرد بالشعر صدرك ونيرانك فاذكر سيفك وسنانك لانهم أعدل الحكام واعلم ان ذكر الاطلال البالية والمنازل الخالية ما تصلح الا للنساء التى خلف الحجاب اذا تجاوبت بالنوح والتعداد على فقد الاحبة والاولاد ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

ياصاحبى لا تبك ربعا قد خلا * ودع المنازل تشتكى طول الملا * واشكر الى حد الحسام فانه
فصال ماضى الشفرتين وفيصلا * من أين يدرى البين انك عاشق * أو عنده خبر اصب قد سلا
والله ما يمضى رسول صادق * الا السنان اذا الدليل تبدلا * ولقد عرفت الدهر حتى انه
لولم يذق منى المرار لما حلا * وكذا سباع البر لولا شرها * دارت بطن الغاب أذياب افلا
فمهلا ياصاحبى وساقى * ان كنتما فى أرض سلع تنزلا * قولا لقيس بنى زهير انى
خطب الشيب على شبابى ما علا * بل لو دعت بهمتى جبل حرا * قسما وحق أبى قبيس تزلزلا
لولم إتكن ياقيس غرا جاهلا * ماسقت نحو ديار قومى جحفلا * والله لو شاهدته ورأيته
ما كان آخره يلاقى الاولا * ياقيس أنت تعد نفسك سيدا * وأبوك أعرفه أجل وأفضلا
فاتبع مكارمه ولا تزرى به * ان كنت ممن عقله قد كملا * واحذر فزارة قبل تطلب ثارها
وتريك يوما ناره لا تصطلا * فدماء بنى بدر عليك قديمة * وبنى فزارة قصدها أن تقتلا
والله لا خليت فى أوطانهم * الا النوائح صائحات فى الفلا

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره جدوا فى المسير وسرعة التشمير واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى سد الاقطار فوقفوا ينظرون الاخبار وكان هذا الغبار غبار دريد بن الصمة العالى العزيمة والهمة وقد لحق بهم فى عشرة آلاف فارس لانه لما أصبح فى اليوم الثالث طلب عنترفما وجد له خبر فعلم ان نيران قلبه قد حملته على المسير وأراد بذلك التخفيف عن قلبه فتعجب من علو همته وقد أتى بالفرسان الذين قد كان أمرها باخذ الاهبة وجد المسير فلحق عنتر كما ذكرنا ولما اجتمعوا عتب دريد على عنتر وكيف سار على حالة الانفراد وطلب أن يعانى الامور كلها بنفسه من غير انجاد فقال عنتر والله يا أبا النظر لقد أتعبناك بنزولنا عليك وكل ما قلنا اننا نحمل عنك الاثقال ما توافى الايام والليالى فقال دريد يا حامية عبس أيش هذا المقال وحق من يعلم وزن الجبال وكم هى ذرة ومثقال ان هذه الامور ما تخطر لى على بال لانى مارستها زمانا طويل وعرفت منها كثير غير قليل ثم انهم أقاموا فى ذلك المنزل حتى استراحوا ورحلوا طالبين ديار بنى عبس وهاتيك الديار وهم يجدون المسير فى تلك القفار (قال الراوى) وكانت القبائل على بنى عبس قد اجتمعت كما ذكرنا وهم منتظرون عساكر النعمان تاتيهم قبل قدوم عنتر وتركوا لهم دبادبة على الطرقات ويبيتون ويصبحون وهم خائفين ومازالوا كذلك حتى صار بينهم وبين عنتر ودريد ليلة واحدة وأتوهم الجواسيس وأخبروهم بوصول الجيش فصعب ذلك على قيس وقال هذا أمر ما كان لنا فى حساب ولا قلنا ان عنتر يخرج من بلاد اليمن وارض شريف ويسير الينا بهذا الجمع المنيف وجيوش صهرنا ما وصلت الينا وعنتر والله ما كان يؤخذ له مال ولا حريم ولا عيال ثم انه أحضر سنان بن أبى حارثة ومشايخ بنى فزارة وحدثهم بما جرى فلما سمعوا ذلك امتلأت قلوب الجميع فزع وقال سنان والله ياقيس ما بقى ينجينا الا الحيال والخداع والا بلينا من مفرج الوحش وعنتر ودريد بمصائب الاثقال ونهب الاموال وسبى العيال فقال قيس وكيف تكون الخديعة اخبرنى بها حتى انى أساعدك عليها يا أبا المقال والفعال فقال سنان أول ما نعمل نرضيهم بالحريم والعيال ونسلم الكل اليهم من غير قتال وأتقدم أنا وأنت وجماعة من ساداتنا والابطال ونقول لعنتر أول ما نلقاه وحق اللات والعزى يا أبا الفوارس ما سرنا الى ديار دريد الا نترضاك ونردك الى أرضنا والاطلال لانها بقيت بلا محامى يا زين الموالى ورضينا أن نوفيك دم من

قتل منا من الابطال وترد الى ديارنا والاطلال لان جورك علينا أحب من عدل غيرك الينا واننا لما وصلنا الى أرض الشيخ دريد ما رأيناك وسمعنا انك فى بلاد اليمن فصعب علينا ذلك وما رأينا على أنفسنا أن نعود بلا فائدة فجمعنا رأينا على أخذ عبلة ومن معها من النساء وأظهرنا الغارة حتى انك اذا رجعت من بلاد شريف وسمعت بأعمالنا تسير الينا ونلتقيك هذا الملتقى ويعود شملنا مجتمع ويعود عدونا خاسرا نادما فان تم عليه أيها الملك هذا المرام ونزل عندنا وطاب المقام كبسنا عليه هو ومن معه وهم فى المنام ووضعنا فى الجميع الحسام وان لم ينطل عليه فهو يستحى ويرجع عنا ويكون قد رددناه بالمكر والمواقحة خير ما نلتقيه بالحرب والمكافحة لانى أعرف انه شديد مع كونه عبد مريد فقال له قيس والله يا سنان ان هذا الكلام ما ينطلى على عنتر ولا على غيره من البشر وان رجع هو ودريد فما تكون الاحيال فزعانين فقال له سنان دعه يكون ما يكون لاننا ما قصدنا غير المهلة الى أن تصل علينا عساكر النعمان مع حصن بن حذيفة والربيع بن زياد ونلحقه ولو طار الى آخر الدنيا ولا نزال حتى نبلغ منه الآمال فقال قيس افعل ما بدا لك فعندها رجع الشيخ وهو فرحان ومن ليلته أمر العبيد أن تنحر النوق والجمال والاغنام ويروقوا المدام ولما كان من الغد أشرف عليهم عنتر ضحى نار هو ومن معه فى ذلك الجحفل الجرار الذى كأنه البحر الزخار فطلع لهم قتام وغبار وكان القوم قد لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وعلا الضجيج والصياح وارتعدت الارواح فى الاشباح وأبصر سنان بن أبى حارثة هذه الامور والكبائر فخاف من القبائل والعشائر فأخرج المولدات بالدفوف والمزاهر وتصففت على جانب الطريق التى أقبلت منها العساكر والبسهن ألوان تبهت النواظر وتشرح الخواطر وصاح فيهن وقد أبعدن عن المضارب والعشائر وأزعجن الدفوف وقال لهم حذيفة يا بنى العواهر ارفعن أصواتكن بهذه الابيات الحسان

عاد حاميتنا الينا * سالما بعد البعاد * فاشكر والله جميعا * واحمدوا رب العباد

(قال الراوى) فعند ذلك ضربن المولدات الدفوف ورفعن الاصوات بالابيات فى تلك الفلوات حتى بانت الاعلام والرايات وانتشر الجيش فى الفلوات بعد الاجتماع وطلب بعد المضيق الاتساع وكان عنتر فى المقدمة ينظر من يقدم عليه أو من يقبل من بنى عبس عليه فما رأى غير المولدات وهن يمدحن عنتر بهذه الابيات فأخذته الحيرة والانبهات ووقف هو ودريد بعد الجد والطلب وتعجب غاية العجب وقال لمفرج الوحش ولمن معه من الفرسان ايش بال بنى عمنا ما ركبوا الينا وما بال هؤلاء المولدات يضربن بالدفوف بين أيدينا الا يكونوا قومنا زوجوا نساءنا الى غيرنا فضحك مفرج الوحش وقال جزاك الله كل خير على بشارتك وتبسم دريد واذا هم بقيس قد أقبل وحوله أعمامه واخوته والى جانبه سنان فى سادات بنى فزارة والكل خاليون من السلاح غير متأهبين للحرب والكفاح وعليهم الثياب المصبغات والعمائم الملفوفات ومازالوا سائرين حتى قاربوهم وترجلوا لعنتر لما قاربوه ونظر وهو تقدم اليه سنان بوقاحته وهو يقول أنت تقول يا حامية عبس انك ما ينطلى عليك المحال ها قد أعدناك الى أرضنا بالخديعة والاحتيال وهذا الذى ما فعلت فى حقنا من القبائح والفعال ونحن نسأل الله أن لا يعدمنا شخصك على كل حال لاننا ما ننام فى أمان اذا لم نعلم انك عندنا فى الاوطان ثم انه حدثه بالحديث الذى كان بينه وبين الملك قيس وأظهر له انهم ما طرقوا دياره وسبوا بنت عمه الا حتى يأتى اليهم هذا وعنتر مطرق برأسه الى الارض لا يرفعها من شدة الحياء والخجل وحار فيما يقول ويفعل وعول على الرجوع ورد العنان واذا بأخيه شيبوب تقدم الى سنان وقال له يا شيخ السوء أنت ذكرت انكم ما سرتم الينا وسبيتم حريمنا الا حتى يعود أخى اليكم ويصالحكم ودريد ايش كان ذنبه حتى قتلتم رجاله وسبيتم عياله فقال سنان يا شيبوب نحن ما تعرضنا لحريم دريد الا حتى يأتى مع عنتر وينزل عندنا حتى نخدمه ونكرمه ونجازيه على ما فعل بأخيك لانه أضاف ابن عمنا وقد أحسن اليه وأما تعرضنا الى رجاله فما كان باختيارنا وانما لحقوا بنا القوم ونحن عائدين بالحريم والعيال وتعرضوا الى حربنا والقتال وأسمعونا مقال فقتل بيننا وبينهم من دنا أجله وندم كل واحد منا على عمله ونحن ما نترك سيدنا دريد يعود الا أن ندفع له دية من قتل من رجاله ونحايد من دم أصحابنا ونجعله لنا عمدة وعدة فتبسم دريد من هذا المقال وعلم انها خديعة ومحال وان القوم قد عجزوا

عن الحرب والقتال وأبصر عنتر وجهه من الحياء فرجع معه وهو يقول والله يا أبا الفوارس لو كان أحد غير بني عمك وقومك فعلوا معنا هذه الفعال ما كنت تركت منهم بشر ولا أبقيت منهم أنثى ولا ذكر فقال عنتر وحق نعمتك انهم يستحقون أكثر من ذلك لاسيما بني فزارة ولكن من رمى سلاحه حرم قتاله ولكن بلغنا المنى بخلاص عيالنا وأموالنا ورأينا سادات قومنا بين أيدينا مثل العبيد ولو كانوا قاتلونا كنا قتلناهم وما قضينا غرض ولو ظفرت بأحد منهم ما كان يطيب على قلبي انني أقتله واذا أسرته مالي يد تمتد اليه حتى أكتفه ثم انه أنفذ أخاه شيبوب وقال له قل لسنان يرسل حريمنا الى عندنا واعلمه أن محاله ما انطلى علينا فقال شيبوب والله ما كان الصواب الا قتل بني فزارة وبني زياد الغدارين بين العباد لانهم لو ظفروا بنا ما أبقوا علينا فقال عنتر صدقت ولكن قيس واخوته هم الذين يمنعوني من ذلك لانني ما أنسى جميل أبيهم الملك زهير والحاقه لي بالنسب فعاد شيبوب الى سنان بهذه الرسالة التي ذكرناها ودريد أخذ جماعة من الرجال حتى يرد العرب والمواكب وجميع الفرسان ونزل بالجميع في البر الواسع وأما شيبوب فانه وصل الى سنان وأعلمه بما قال أخوه فأظهر انه صعب عليه وصار يضرب يدا على يد ويقول واحرباه ما الذي قسى قلب حامينا علينا حتى ما بقي يقبل سؤالنا ولا يألف أطلالنا بالله عليك يا شيبوب ارجع اليه واسأله حتى يرجع وينزل عندنا في الديار والاطلال والا ما يكون لمدامع النسوان هدو ولا قرار ولولا دريد معه في هذه العساكر الغريبة وخوفنا من الفضيحة كنا أخرجنا حريمنا مكشوفي الرؤس يسألوه في النزول فقال شيبوب والله يا سنان كل هذا محال ونفاق وضلال ثم انه صار معه وحل أصحابهم من ذلك الاعتقال وأمرهم أن يسوقوا المال والعيال ورحل الى بني هوازن وجشم واجتمع كل واحد بمن له من النسوان والخدم وكذلك مقري الوحش اجتمع بزوجته مسيكة وولده سبيع اليمن وكذلك عنتر اجتمع بعبلة وشكى كل واحد لصاحبه ما يجده من ألم الفراق ثم وصلت اليهم الطعامات والاقامات فما تعلقوا منها بشيء بل رد دريد الجميع وأقاموا حتى تنصف الليل ورحلوا يقطعون السير وبغضة بني فزارة قد تضاعفت في قلوبهم وما زالوا في رحيل وفي اقامة مدة أربعة أيام وفي اليوم الخامس من أول النهار طلع من خلفهم غبار وقتام مثل الظلام فوقفوا يتحدثون فيه واذا بغبار آخر طالع من بين أيديهم وهو قاصد اليهم فحاروا من ذلك ووقفوا ينظرون اليه وضاق في أعينهم الفلا وبعد ساعة راق الغبار وانجلى وارتفع من الصياح وعلا وبانت لهم أعلام عراقية وبيارق حمراء كسرويه ورايات سود نعمانيه ورماح سمهريه وسيوف مشهوره عمانية في أيدي رجال تصارع المنيه وتحتهم خيول عربية وكان أكثر ضجيج الجيش الذين في المقدمة لان أبطالهم كانت في المقدمة وهي تنادي الى أين أنتم راجعون يا أنذال العرب وبني فزاره لكم في الطلب تظنون اننا ما صرفناكم الا بالخداع ودفعنا لكم الاموال الا حتى تصل الينا عساكر الملك النعمان وتتبعكم الى أبعد مكان ولا نرجع عنكم حتى نجعلكم نهبا للعقبان (قال الراوي) وكان السبب في مجيء هذه العساكر من بلاد العراق واتباعها لعنتر في تلك الآفاق وذلك ان الربيع بن زياد كما ذكرنا قبل هذا الايراد انه أخذ أعمام الملك قيس وحصن بن حذيفة ومضى الى النعمان يشكو له عنتر ويحدثه بما فعل بهم من الامر المنكر وكيف عاونه دريد وقد أنزله عنده وقواه بعساكره وجنده الا انهم لما وصلوا الى الحيره ودخلوا على الملك الاسود وشرحوا له قصتهم فدخل بهم على أخيه النعمان وقبل البساط حصن وبكى وانتحب وصاح واحرباه يا ملك ما بلي أحد مثل ما بليت ولا لاقى قط مثل ما لاقيت لان أبي قتل وأعمامي قتلوا وذبحوا مثل ما تذبح الاغنام وربيت أنا يتيم مثل ما تربى الايتام ولما كبرت قنعت بما لي من المال وقلت أقضي عمري وأصبر على جور الزمان فسلط الله علي عنتر بن شداد يغزوني كل يوم في الاوطان ويقتل كل من تقع عينه عليه من الاهل والاخوان ويسبي البنات والنسوان ويسوق كل ما يرى من الاموال ولا تسمع له مقالا ولا يخطر الموت له على بال

﴿ تم الجزء الثالث عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد ﴾

الجزء الرابع عشر

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من
انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث
النزال الامير عنترة بن شداد
وهي السيرة الفائقة الحجازية
المشتملة على الاخبار
العجيبة والانباء
الجليله
م





﴿ محل مبيعه ﴾
(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين أفندي شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

الطبعة الثانية
(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)

ما شاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قال الراوي﴾ ثم انه حدثه بما تم عليه وسأله المعونة فرق له قلب النعمان وبدل خوفه بامان وأمره بالجلوس وأخذ الربيع الى جانبه وأكرمه وقال له يا ربيع لم لا تنهوا هذا العبد الهجين عن هذا الرجل المسكين لأن الخبر قد وصل الي انكم رحلتم الى أرضكم وان حصنا قد وهب لكم دم أبيه وأعمامه ورد كم الى جواركم ولما انكسرت عساكر الشام ورجعتم الى ما كنتم عليه ورضينا لكم وقراركم عدتم تفكرتم الاحقاد فما الذي فعلتم في حق عنتر بن شداد حتى تغير معكم عن الوداد فقال الربيع قاتل الله من ذكرت وقتله والى المهالك أرسله لانه ما بقي لأحد عنده قدر ولا قيمة وحرض النعمان على هلاكه ثم انه حدثه بحديث مالك بن قادم والجارية نوار وزاد عليه أضعافه وهو لا يخشى الله ولا يخافه ثم قال أيها الملك وما أتيت أنا وهؤلاء القوم السادات وقصدناكم الا خوفا على أنفسنا وعليك لانه مع تجبره التجأ الى من هو أجهل منه وهو دريد الذي تفرد بالعمر الطويل واستطال على كل جيل ونحن ذللنا لهم وصرنا نداريهم وقد أرسل عنتر يقول لنا وحق ذمة العرب ان لم تأتوا الى سيدي دريد وتخدموه وتبالغوا في خدمته وتدخلوا تحت طاعته وتحلفوا له أنكم تكونون معه لا عليه لأفعلن بكم ما أقدر عليه لأني في هذا العام أريد أجعله ملك العرب ونائب كسرى في مكان صهركم النعمان وان أبى كسرى زلزلت على رأسه الايوان وهدمت بيوت النيران وأشتت الاعجام الى أقصى خراسان وأترك مولاي دريدا ملك العرب والارض في طولها والعرض لأنه حقيق بهذا الحال لما فيه من العقل والكمال قال وطرز الربيع على هذا الكلام فقال وانا أيها الملك لما سمعنا هذا المقال ما قدرنا نكافؤه على هذه الفعال من كثرة ما حوله من القبائل والرجال ومن شدة خوف قيس على نفسه وعليك أنفذني اليك ونحن فزعانين على حريمنا والعيال ولا أدري ما تم بعدي من ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك النعمان هذا المقال تزعزع من على سريره ومال وانطلى عليه ما قاله الربيع من المحال ثم قال وذمة العرب الاخيار ما كنت أظن ذلك الا من جهل صهره ذي الخمار وأنا كنت أصده عنه لاجل بعد الديار وأحسب ان دريدا يردعه قبله ان طلب شيأ ما هو أهله وبعد هذا فقد احتكم الامر وما بقي يأخذني عنه

صبر لاني أعلم ان عنتر يقوى قلب ذو الخمار وينفتح علينا باب نتعب فيه لاسيما وعنده اليوم فرسان أوقاح تلتقي بصدورها عوامل الرماح مثل عنتر وذي الخمار ومقري الوحش وعروة ودثار وخفاف والعباس ومثل هؤلاء الفرسان العوابس وما فيهم الا من يلتقي ألفين فارس ثم انه بعد ذلك التفت الى من كان عنده من أهل دولته وشاورهم في أمره وقصته فقالوا أيها الملك ان المملكة لها شروط محكمة ويجب على الملك أن يتركها مقدمة وهو أن يضع السيف فيمن بغى واقامة الهيبة على من طغى ويرسل من يأتون بالكل مكتفين مقيدين بعد ما ينزلوا بهم البدع ويدمرون الخوارج وأهل الطمع ويتركون أرضهم خرابا بلقع وتتأدب بهم فرسان العرب وتقع الهيبة في سكان البراري والقيعان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع النعمان ذلك الخطاب عرف انه صواب فأكرم الربيع ومن معه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع جمع العساكر وفرسان العشائر فكانوا مائة مقدم من كل أمير وشجاع قد سما بالفروسية في سائر البقاع وكل واحد منهم يحكم على طائفة من الفرسان وقدم عليهم اخوته عمرو بن هند والاسود وأمرهم بالمسير في ذلك البر والفدفد وقال لهم احملوا واقصدوا كم الى ذلك العبد الاسود فاجابوه بالسمع والطاعة * هذا وقد امتلأ قلب الربيع فرحا بكثرة تلك العساكر والاجناد وأمل انه يبلغ بهم المراد وصار يحث العساكر على قطع القفار وأن يجدوا المسير بالليل والنهار وأي قبيلة عبروا عليها أدخلوها تحت الطاعة ويأخذون منهم جماعة ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى بني عبس وهم في ثمانين ألف فارس من كل مدرع ولابس وكان نزولهم للقضا والحين بعد رحيل عنتر بيومين فلما وصلوا استقبلهم الملك قيس وسنان وفرحوا بمن معه من الفرسان ثم أنزلوهم في أعز مكان ونحروا لهم النوق والفصلان وامتلأت أرض الشربة بالجيوش والفرسان وضجت الاقطار من صهيل الجنائب وأعتمت المشارق والمغارب ولما نزلوا وحضر الطعام حدث قيس الربيع بما جرى لهم مع عنتر وما فعلوا معه من المحال فلما سمع الاسود ذلك الكلام قال لهم وفي كم أتى هؤلاء الانذال فقال قيس في عشرة آلاف ولو كنا علمنا انكم تدركونا هكذا اسرعنا الطلب واناهم بالقتال حتى تلحقونا بهؤلاء الابطال فقال الاسود اذا كان الامر هكذا فنحن نلحقهم في الطريق ونعدمهم السعادة والتوفيق لان سيرهم على سير الجمال والحريم ونحن تحتنا خيول جياد نبلغ بها منهم جميع المراد ثم انه أعلم القبائل الذين معه بهذا السبب فأخذهم الفرح والطرب الى أن كان عند الصباح أخذ الربيع بن زياد جماعة من بني فزارة وفرقة من بني شيبان نحو عشرين ألف عنان وقال للملك الاسود أنا أسير بهذا الجيش من مواضع أعرفها وأستقبل العدا وأمسك عليهم المقدمة حتى لا يهرب منهم نسمة واحدة فقال الاسود افعل ما تريد وخذ أنت وأصحابك في القفار والبيد ثم ان الاسود سير أخاه عمرو بن هند في عشرين ألف فارس على الميسرة وقيس بن زهير سير بعض الابطال في عشرين ألف مضافة على الميمنة وسار هو خلفهم في باقي الجيش وخلف على الحريم بعض اخوة قيس وجدوا المسير حتى لحقوا دريدا وعنترا وحققت الحقائق وطبقوا عليهم من جميع الجوانب وخفقت البيارق هذا والاسود أرسل الى دريد قبل الحرب رسولا يقول له اعلم يا دريد ان أخي نائب الملك العادل النافذ الامر في جميع القبائل أنفذني اليك في هذه البلاد بهذه الجيوش والاجناد حتى أصلح ما فيها من الفساد وأربي هؤلاء القوم عبدهم عنتر بن شداد وأرده الى طاعتهم ان أبى وأراد وآمرك أنت بالمسير اليه والوقوف بين يديه وتطأ بساطه ويسألك عن شيء سمعه عنك من أقوامه وأكثر ظني انه من الحساد وأنا حمدت رب السماء حيث لحقتك في الطريق وتسهل الامر من غير تعويق فان كنت سامعا مطيعا لله وللدولة الكسروية والآمرية النعمانية فانفذ أموالك وحريمك مع طائفة من أصحابك وأجب ملك العرب حتى ترحم نفسك واعترف بالعصيان والا صرت نهبا للعقبان وهذا ما عندي والسلام ﴿قال الراوي﴾ فلما وصل الرسول الى دريد بهذه الرسالة وسمع هذه المقالة أحضر عنترا وأخبره بهذا الخبر فاحترقت أحشاه واحمرت عيناه حتى بقيتا مثل الجمر الاحمر وقال للرسول وحق من أطلع الشمس والقمر وأمر السحاب فانهدر وأروى به الارض والحجر لولا انك رسول لجعلتك نهب أول مقتول ارجع يا ويلك الى الاسود واعلمه وقل

له يقول لك عنتر بن شداد لا تغتر بهذه الجموع فلا بد أن أتركها فرقا متفرقة طعاما للوحوش وأجسادها ممزقة وانه أذل وأحقر أن يسير اليه دريد شيخ العرب أو يقدم عليه أو يقف بين يديه لانه أشرف منه قدرا وأنفذ في العرب حكما وأمرا وفي هذا العام يصير نائب كسرى وأفتح له الارض برا وبحرا وأما قوله يصلحني على بني عبس فهذا شيء لا يكون أبدا وما داموا يشكوني الى صهرهم النعمان وطلبوا هلاكي بجمعة العربان فسوف أجازيهم بما فعلوا وقد ندمت كيف عدت وما أثرت في بني فزاره أثرا فلو كنت عملت بتدبير قيس وما صنع ما كنت رجعت حتى تركت ديارهم بلقع ولكن هذا ما يفرقه بل اذا فرقت هذا الجيوش رجعت اليه وجازيته وأنظر ان كان ينفعه النعمان أو غيره ثم ضرب أكتاف الرسول بالسوط وصاح فيه صيحة أزعجه وقال له ارجع خائبا مما جئت له طالبا فرجع الرسول الى الاسود وهو لا يعقل على نفسه وأعلمه بما قال عنتر فعظم مصابه وغاب عن صوابه وكان الليل قد اقترب فاقام ينتظر رحيل الظلام لانه وجد كلام عنتر أشد من ضرب الحسام ثم قال للرسول وما تكلم دريد بكلام فقال لا وحياتك يا مولاي ومن عظم ما جرى عليه ما نام ولا ذاق طعام حتى أصبح الصباح وأمر الطوائف باخذ الاهبة للحرب والكفاح وكان عنتر ودريد باتا يحرسان الحريم ويتشاوران للقاء هذا الغريم والجيش العظيم حتى بانت غرة الصباح فصاح دريد في بني هوازن فتبادرت الى ظهور الخيل أسرع من نزول السيل وكان قسم تسعة آلاف على ثلاث جهات وأما عنتر فانه حلف ما يبقي من بني فزاره أحدا ولا يحمل على هذا الجمع الا في فارس ومقري الوحش ﴿قال الراوي﴾ ولقد كنت معهم حاضرا في هذه الوقعة لما جالت الخيل على بعضها في هذه البقعة فرأيت الاقطار وهي ترتج والرجال جالت من كل فج وما منهم الا من زعق وضج وما بقي للجبان حجة بها يحتج بل امتدت الرماح امتداد الافاع وزاد الغبار علوا وارتفاع وما بقي في الممات اندفاع ولا لحبل المنايا انقطاع وفر الجبان من الشجاع وتفرقت الارواح بعد الاجتماع ودام الحرب والقراع حتى تزلزلت البقاع وضاق الامر بعد الاتساع وهمهمت السباع وكان نظرهم يغني عن السماع وقد تقسمت الاجساد أثلاثا وأرباع وبقي بينهم وبين الموت باع أو ذراع وما رأيت ولا سمعت بأعجب مما جرى للقوم في ذلك اليوم ولقد حضرت وقعات كثيرة من وقعات عنتر فما رأيت مثل هذه الوقعة التي تذكر لان الطائفة القليلة كانت أبطال أقيال لا يرون على أنفسهم الفرار فاظهرت في ذلك اليوم العجائب والطائفة الكثيرة كانت تدفق من كل جانب ويقدموها يرمون أرواحهم على المصائب وعنتر ودريد ومقري الوحش يصارعون المنايا مثل السلاهب بقلوب قد تعودت بخوض الاهوال والمصائب وأصبح الطفل من هول ذلك اليوم شايب الى أن المساء ما أمسى الا وما فيهم من يعرف الدهر أحسن اليه أم أسا وقد رأوا أكثر الاعداء قد هلكت أكثر المال والنساء وهم ما بين لهل وعسى وعنتر قد فتك في بني فزاره وأعادر بجهم الى خساره ولكن ما عاد الا وهو مثخن بالجراح ولكن قد شفي فؤاده وقتل ألفا ومائة قتيل وعادوهو في حالة العدم مما جرى عليه من تلك الخلائق والامم ورجعت الفرسان وقد تحطمت رماحها وعدمت صلاحها فكان القوم كما قال في حقهم الشاعر هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

لقينا صدور الخيل والجو أسود * وبرق المنايا في الجوانب لامع
فما منا من سيد وهو صامت * لسيف سوى ان طاح منه الاصابع

﴿قال الراوي﴾ وكان دريد قد جرح في ثلاثة مواضع الا أنه فعل فعال الابطال والرجال وهذا شيء ما رأته النواظر ولا سمعته المسامع وأما مقري الوحش فانه كان من نصف النهار قتل جواده وقاتل عنه حتى ركبه جوادا من خيول المعمعه ولكنه ما ركب حتى سالت دماه من جسده وعدم صبره وجلده ونثر من حوله الفرسان وأهلك منهم نحو مائة فارس من الاقران ولم يزالوا حتى ولى النهار وأقبل الظلام فافترقوا عن القتال والصدام هذا وقد نزلت بنو عبس وهوازن من حول الحريم وهم في هم عظيم وشد كل واحد جراحه واجتمعوا للمشورة والمقال في أمر الحرب والقتال فقال دريد يا قوم لو قاتلنا من جهة واحدة ما كانت جرت علينا هذه الاهوال الزائدة فقال عنتر

يا أبا النظر اذا كان الامر على مثل ذلك الحال فعند ذلك نترك العيال وسط النوق والجمال ونأمر العبيد بسوق الجمال السوق الشديد ونحمل على الجميع ونجتهد ونطلب التل الذي عليه الملك الاسود ونجعل قتالنا من جهة واحدة ونطلب من الله المعونه والمساعده واذ رأينا أمرا تعسر علينا والاعداء قصدونا سقنا الجمال بالاسنة وميلناها كل الميل وصدمنا بها صدور الخيل فهي تفرقها عنا في البيداء فقال مقري الوحش هذا هو الصواب ثم اتفق أمرهم على ذلك الحال باتوا يحرسون أنفسهم وهم على ظهور الجنائب والصياح يأخذهم من كل جانب ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من الملك الاسود فانه ما أمسى عليه المساء الا وهو ضيق الصدر من هذا العمل وما يدري كيف يكون العمل فذكرت له فرسان قبيلته بانه قد قتل منهم ستة آلاف ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم في ذلك الكلام واذا حصن بن حذيفة داخل عليهم في سادات قومه وهو زائد الوساوس وذكر انه قتل منهم أربعة آلاف وسبعمائة فارس فزاد بالاسود البلبال وباتوا وهم يشتكون الى قيس من هذه الافعال والاسود يقول ما بقي يدوم لاخي النعمان ملك ولا حكم ان لم يقتل عنتر ودريد لاننا جاهرناهم بالعداوة وما شفينا منهم قلبا ولا بقي للصلح معهم وجه ومثل هذه النوبة ما بقي يتفق لنا لانهم في قلة ونحن قد درنا بهم من كل جانب ومكان فقال قيس لا يصعب عليك أيها الملك هذا الشان لان القوم ما بات فيهم من يقدر أن يشيل يده الا وهو من الحرب تعبان لا سيما هذا الشيطان عنتر الذي هو أسد قسور لاني اليوم حملت بالي معه في قتال العرب فرأيت منه العجب وما عاد عند المساء الا والدماء من سائر جسده تنسكب وتجري مثل أفواه القرب والصواب اننا كلنا عند الخروج اليه من تحت الاعلام نهجم عليهم وتكون أنت بيننا وهذه القبائل معنا وقد بلغنا المراد ونفترس هم مثل الاسود فعند ذلك قال الملك الاسود لقيس ايش تقول لحاق كبسهم عند الصباح وداموا تعبانين وهم في هم الجراح فقال قيس ما هذا صواب لان الفرسان الذين نحن لهم طالبون اذا رأوا الغلبة ولوا هاربين ويدعوا السيف يعمل في القبائل ونخسر نحن وهذه الجحافل فقال الاسود أنا عند الصباح أحمل بروحي الى المجال وأباشر الحرب والقتال ثم انهم باتوا ينتظرون الصباح الى نصف الليل فسمع عنتر ودريد حوافر الخيل والقبائل تفرقت والكتائب تمزقت وصارت كلها من جهة واحدة ولم يعلم دريد وعنتر ما الخبر بل قال عنتر وحق ذمة العرب ما رجعوا عنا الا لسبب اما خبر ميشوم قد وصل اليهم أو نازلة نزلت عليهم ولولا هذا الظعن والحريم كنا تبعناهم وعلى فعالهم كافأناهم فقال دريد ما نريد نكافئهم دعهم يمضون الى حيث لا يرجعون لانهم كانوا طمعوا في نهب أموالنا وسبي عيالنا وظفرهم بنا في البر الواسع والقفر الشاسع الذي ما لاحد منا مكان يلتجئ اليه ولا خيل تجول فيه والصواب اننا نسير الى الاوطان وندبر بعد ذلك أمرنا ونجازي الملك النعمان على هذا الامر والشان فقال الامير شداد والله يا أبا النظر لقد قلت الصواب وأشرت بالامر الذي لا يعاب لان أكثرنا جرحى باسوا حال ومعنا من يشغل قلوبنا ولا يمكننا من القتال ثم انهم ساروا طالبين ديار هوازن وقلوبهم على الحريم وهم يتحدثون في رجوع هذه العساكر بعد ما كانوا ظافرين ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في تلك الحادثة سنان بن أبي حارثة لانه ما ذكرنا انه أرسل الى دمشق يعلم الحارث الوهاب بما ذكرنا من الكلام وهو يحثه على غزو بني عبس وعنتر بن شداد لان الحارث لما وصلت اليه المنهزمون من تطيش النياق حلف الحارث بمريم والانجيل لا بد أن يسير اليهم بعساكر الشام ويترك نساءهم أرامل والاولاد أيتام ويرسل بعض العساكر الى البيت الحرام وبعد ذلك أخذ في جمع الفرسان من كل جانب ومكان وأقبلت اليه أهل السواحل وبلاد حوران وأنفذ الهدايا الى رهبان نجران وصار يطلب منهم الدعاء في دياجي الظلام وأراد بذلك أن يقيم جاهه ويعظم شانه عند صاحبه ملك النصرانية فوصل رسول سنان وهو يعرض عساكره في أرض الاعناك فكانت مائتين وسبعين ألف عنان وفيهم طائفة جاءت من داخل الجزائر لاجل الاقامة في الشام وزيارة بيت المقدس وعين سلوان فلما قدم رسول سنان سأله عن مولاه فقال له انه في انتظارك لان أعداءك وقع بينهم الخلف وسيدي عول بعد فناهم على الاقامة عندكم لانك اذا أخذت ثارك وكشفت عارك وأهلكت عنترا وبني عبس ومن يلوذ بهم من خلفائهم رحلت معك

فلما سمع الحارث هذا الكلام طاب قلبه لهذا النظام ثم انه رحل من ساعته طالبا أرض الحجاز وديار عدنان
فلما وصل اليها بعد رحيل قيس وعساكر النعمان بيوم واحد أمر الحارث بالقبض على الجميع ووكل على
الحريم وعلى الاموال جماعة من فرسانه الابطال ونظر بنو عبس الى تلك العساكر فايقنوا بالتلاق ولم يقدروا
على الخلاف والدنيا قد انقلبت من لمعان البيارق والصياح الذى عم على المشارق والمغارب هذا وقد نزلت
الفرسان من بنى غسان وملؤا البرارى والقيعان ﴿قال الراوى﴾ ولقد أخبرت انهم قد تجمعوا لذلك من أرض
بنى عامر الى أرض بنى فزارة الى وادى اليعمورية الى وادى الغزلان حتى ضاق بهم المكان والحارث نزل على
رأس العلم السعدى وضربت لهم السرادقات والخيم وكان المقدم على غسان فارسا يقال له دابق بن حسان وكان
شيطانا فى صورة انسان فلما استقر بالحارث النزول ودارت أبطاله من حواليه دعا بمقدم جيشه دابق وقال
له اسأل الاسارى من أهل هذه الديار أين القوم ساروا حتى نلحقهم ولو طاروا ونرسل أيضا الى بنى غطفان ونأتى
بالجميع فى الذل والهوان ونفرق العساكر على جميع الطرق والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب ولا تفوتنا
المطالب فاجاب دابق وفرق الفرسان على جميع الطرقات والقيعان وسأل من الفرسان فقالوا له انهم ساروا
خلف عنتر مع عساكر النعمان فرجع دابق وأخبر الملك بذلك الشان وقال له كل هذا بسعادتك يا ملك
الزمان ولكن الصواب أن ترتاح حتى تأتينا أخبار عنتر وعساكر النعمان ومن يخسر أو يربح فى هذه
القيعان فنركب نحن سريع ونهلك الجميع لان الكل أعداك وكل من هلك منهم ارتحنا منه فقال له ما أشرت
الا بالصواب فارسل الى بنى غطفان من يسوقهم الى عندى لانهم شركاء بنى عبس فى دم أصحابنا ثم أرسل جاسوسا
خلف عسكر النعمان وسير الى بنى غطفان عشرة آلاف فارس مع مقدم يقال له مبادر بن غياث هذا وقد
طرقت أرض الشربة طوارق الحدثان وبكت عليهم الاوطان وهرب وحشها والغزلان وكان انفلت
من بنى عبس فارس يقال له سلامه بن ناجى فوصل الى بنى عبس وأخبرهم بما جرى عليهم فنفروا من حول عنتر
وأما قيس فانه غاب عن الوجود وقال له هذا من سعادة عنتر لاننا كلما نعاديه نخسر وأما سنان فانه فرح واستبشر
وطفح على قلبه السرور والفرح واجتمع بحصن وأعلمه بجميع الامور وقال له ابشر بأخذ الثار وكشف
العار لانى ما جمعت هذه العساكر الا لاجل أن أقطع آثار بنى عبس وأشتفى من عنتر المكشحان فاعلم بنى فزارة
بالخبر حتى ندور حول قيس والملك الاسود ومن معهم من أكابر العربان ونزعق بعيسى ومريم والصليب
المصخم ونقتل صاحب العلم وننزل ببنى عبس النقم ونخلص حريمنا والصبيان ونذكر بهذه الفعلة الى
آخر الزمان فقال حصن وكيف يبقى لنا مقام اذا رجعت الى بلادها عساكر الشام فقال سنان وما الذى يبقى
لنا ههنا بعد أخذ ثارنا وكشف عارنا ونروح مع الملك الحارث الى بلاد الشام ونقيم هناك فى أعز مقام فقال حصن
ان تم هذا فقد انطفت نارى لا سيما اذا نظرت عينى عنتر وقد نهبت جسده الرماح المداد ثم دار الحديث بين الجميع
وتذكروا الاحقاد القديمه وساروا مع الملك الملك الاسود وكل هذا بما فى قلوبهم من بغضة عنتر وما أعطى من
السعادة والاقبال ثم جدوا المسير حتى بقى بينهم وبين أرض الشربة يوم واحد فقال قيس للطوائف خذوا أهبتكم
للطعن والضرب وابشروا بالنصر على عساكر الشام لانهم لو كان لهم قوة كانوا لحقونا وساروا على آثارنا وما أنا
خائف الامن عودتهم الى ديارهم بالسبايا والاموال ثم انهم أصبحوا مقبلين على الرحيل واذا هم بعساكر الشام
طلعت عليهم وطلع الغبار واسودت الاقطار كانما نزل عليهم غمام وزاد الصياح من كل الجهات وارتجت
الارض من ركض الصافنات ولمعت الصوارم الخطيات واختلفت الاصوات على حسب اللغات لان
الجاسوس عاد وأخبر الحارث بما جرى وانهم عادوا على أعقابهم فتجهزت لهم المواكب وساروا اليهم حتى وقعت
العين على العين وانعقد الغبار من المشرقين الى المغربين فظنوا ان القيامة قد قامت على الفريقين وفى دون
ساعة انفردت عساكر الشام وملات الاودية والآكام وبان لهم وجه الطمع فحملت وبادرت ومواكبها
أقبلت وأطلقت أعنة الخيل وأرسلت والتقتها طوائف العربان وأوقعوا بهم الذل والهوان وطلبت بنو
عبس خلاص الحريم والنسوان فحكمت بينهم عوامل الاشطان واختلفت الطائفتان وودعت الارواح

الابدان وضاق على الجبار الميدان وفاض الدم كالغدران وتعثرت الخيل بالجماجم وجاء الحق وذهب
البهتان وخرس اللسان من شدة الهول ولاح ملك الموت فى صورة انسان وهان على الرجال فقد النسوان
وبادر بجهم الى النيران وعمل السنان فى المحاجر والعينان وحامت عليهم كواسر العقبان واشتهر الامر
وبان ووقع الفناء فى العربان وتثلم السيف اليمان من ضرب الميدان وثبتت الشجعان وفر الجبان
وهزت بنو فزارة أعلامها وطعن حصن أخا قيس فقتله ورفع صوته بعيسى ومريم والصليب المصخم وسمعت
بنو فزارة فاجابته من سائر الجهات وبلغت مناها على ما كان بينهم من الاشارات وطعنوا بنى عبس فى
صدورهم والشجعان فى نحورهم وتحيرت بنو عبس فى أمورهم لما وقع بها محذورها وزاد ضرها وضيرها
واستوحش الرفيق من الرفيق وتأخروا من الممات وسمع ملك الشام أصوات بنى فزارة فقال لمن حوله وحق
المسيح لقد صدقت هذه القبيلة فى وعدها فاحملوا وأعينوها وامنعوا عن أذيتها فرساننا ومن يقدر منكم على
أسير يجى به الى عندى حتى أسوقه الى بلاد الشام وآخذ بهم اليد البيضاء عند الملك قيصر وأقوى عزمه على غزو
هؤلاء الانذال فى كل عام ولا أزال حتى أقلع أثر النعمان وأيضا كسرى صاحب الايوان وأملك العراق
وأترك النواقيس تدق فى بيوت النيران فى سائر الآفاق فبادروا الامر وخذوا اخوة النعمان ﴿قال الراوى﴾
فتبادرت بنو غسان وكشفت عن بنى فزارة فرسان بنى غسان ووقع فى عساكر العراق الاندفاق وزعق عليهم
الغراب بالفراق وكان يوما يؤرخ فى الاوراق وتعجز عنه ألسنة الحذاق لان الارواح بيعت بلا ثمن وبقيت
الاجساد مطروحة على الدمن وما أمسى المساء حتى قتل من أعمام قيس ثلاثة ومن اخوته اثنان ومن بنى فزارة
ثلاثة وكانت نوبة عظيمة صار فيها العزيز ذليل وكان قيس وأخوه الحارث يردان الفرسان الى الحرب والطعان
وما فيهم من يصدق أن ينجى من الشر حتى انه طالب البر وباتت القتلى فى جنبات الفلا وبنو غسان تجمع
أموالهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فاعرضت على الحارث الاسارى وقدمت الاموال بين يديه
فقال لهم الاموال لكم فمالى غرض فيها وأما الاسارى فاهريق دماءهم فقال الوزير وكان اسمه جبير وكان عاقلا
ارفق أيها الملك على أسراك وامهل فما لا تزيد بها مجدك وعلاك لانك سرت الى بلاد الحجاز عسكرا ثقيلا الاساءة ما
فما عاد اليك منهم أحد وقتل ولدك بدر النصرانية وكل هذا قد حط قدرك عند أهل الشام والصواب أن
ترسل هذا السبى مع عشرة آلاف فارس الى الشام وتأمر الذى يسير بهم أن يتركهم فى البلاد حتى تأمن قلوب
العوام ويعلمون أن لهم ملكا قادرا على ما يريده من مراده لا سيما اذا رجعت بعنتر ومقرى الوحش وبنى عامر
وتلحق الملك قيصر بأهل هذه البلاد لانى أقول انه اذا نظر الى هذا السبى والاسارى يقويك بعساكر الروم
ويهلك هذه المعالم والرسوم وتصير الارض كلها الى بنى غسان وتعلو ملة المسيح فى كل مكان وان كسرت
النعمان وفتحت بلاد كسرى وخربت بيوت النيران تبقى تذكر فى هذه الفعلة ما بقى الزمان وترضى عنك
القسوس والرهبان وتحمل الجزية عباد النيران الى عبدة الصلبان فلما سمع الحارث هذا الكلام زاد به
الطمع وقال له يا حكيم دبر أنت هذا الامر ثم أحضر سنانا وسادات بنى فزارة وأخلع عليهم ثياب الديباج وأعطهم
العمائم وزد عليهم حريمهم والعيال وقل لهم اعلموا انكم ما فعلتم هذه الفعال وبقى لكم فى هذه الديار قرار
والصواب انكم تسيرون مع أهلكم من يوصلهم الى بلاد الشام حتى اذا رجعنا من هذه الاوطان أوقعت
لكم أرض حوران فقال سنان هذا مرادنا لاننا بلغنا من بنى عبس غاية المراد واذا وقع عنتر فى أيدينا انطفت
منا نيران الفؤاد فقال لهم ابشروا بما تشتهون وأنا أبلغكم جميع ما تريدون ولا بد لنا أن نبلغ الراحة ونجد
فى هذا الامر واذا وصلنا الى منازل دريد قلعنا أثر كل من فيها من بنى هوازن وجشم ووضعنا كل وضيع القدر
ومحتشم ودبرنا على أسر عنتر وسقناه من جملة الاسارى فقال سنان اعلم أيها الملك اننا صرنا كواحد منكم
ويجب على أن أنصحكم والرأى عندى أن تحول طريقنا على بنى عامر ونبادرهم قبل أن يصل اليهم خبر هذه
العساكر فاذا نحن قتلنا فرسانهم أو سبينا نسوانهم فنبقى نطلب عنترا ونبلغ منه المراد والآن تركنا هذه
القبيلة خلفنا خسرنا وتعبنا لان عامرا وملاعب الاسنة يشيدون مع عنتر ودريد لان بينهما وبين القوم نسبا

وان لم نبادرهم قبل اجتماعهم والابطال مطالنا وكثر صدامنا فلما سمع الحارث ذلك الخطاب رآه صواب وقال لسنان افعل ما تختار فانت أخبر بهؤلاء الاشرار ونحن اذا عادت سرايانا من بنى غطفان سرنا الى بنى عامر ووضعنا فيهم السيف ثم انهم نزلوا فى الخيام يطلبون الراحة واذاهم بسبى بنى غطفان وضجيجهم أقلب القيعان لانهم كانوا غافلين عن نوائب الزمان فاحاطت بهم جنود بنى غسان ووضعوا السيف فى الفرسان وسبوا الاولاد والنسوان وساقوهم عن آخرهم حتى وصلوا بهم الى قدام الحارث ففرح بهذه الامور وزاد به السرور فقال لوزيره جبير احتاط هؤلاء الانذال على هؤلاء وسيرهم عند الصباح الى الشام بحريمهم وأموالهم وأوص الذى يسير بهم أن يسوقهم وكل من وقف منهم يضرب رقبته فقال له الحارث افعل ما تريد ثم انه جمع السبى على بعضه البعض وصار بهم يقطع الارض وكان بكاء النسوان قد ملأ القيعان الى أن أصبح الصباح وعول الوزير أن يسير بهم واذا بخمسة نجابة قد أقبلوا من ناحية بلاد الشام ونجبهم قد أشرفت على الهلاك من شدة السير وفى دون ساعة حضروا قدام الحارث وكان معهم كتب فسلموها اليه واذاهم من عند قيصر ملك الروم يقول فيها للحارث الذى نعلم به المقدم المجاهد فى طاعة المسيح انى بعدما أذنت لك بالمسير الى بلاد الحجاز وصلت الى عندى مراكب بعدد النجوم والكواكب وفيها طوائف مختلفة الاجناس كلهم من غزاة الافرنج وهم يزيدون عن مائتين ألف من الفرسان كلها أقيال تلتقى بأسنة صدور المنايا ولا تبالى بالآجال ولهم مقدم يقال له الخيلجان تفزع منه الانس والجان وهو الذى فتح جزائر البحار وخرج يطلب نصرة عباد الصلبان ويهدم بيوت النيران وأريد منك ان أخذت ثارك ان تسير الى أرض الكوفة بعساكر غسان وتكفينا مؤنة النعمان وقد تيسر الامر وهان فلما سمع الحارث ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال للنجابة ومن أين فارقتم الملك الرجيم فقالوا له من الغداة فقال الحارث هكذا نريد حتى نملك الدنيا من قريب و بعيد ثم انه خلع على النجابة وقال لوزيره تمهل حتى تأتى سبايا بنى عامر ونسير كل السبى فى مرة واحدة ونسير الى نصرة قيصر بهذا الفتح الاكبر ثم انه سار فى خمسين ألف فارس غير الطائفة المعدودة من الروم والافرنج وكان بين الارض التى رحلوا منها و بين أرض بنى عامر سبعة أيام فقطعها الحارث فى خمسة أيام وأراد بذلك أن لا تسبق أخباره فوصل اليهم فى سادس يوم وضيق عليهم الآفاق وهم ما حققوا معرفة من أتاهم حين سمعوا المنادى بالهلاك والبلاء قد فاجأهم فخارت شيخهم وفتاهم وضجت بالويل نساهم وغيب الغبار حتى لم يعرفوا اصباحهم من مساهم وأيقن بالسبى عبيدهم واماهم وركب ملاعب الاسنة وابن خالته عامر بن الطفيل وتواثبت الابطال الى ظهور الخيل وانعقد الصياح ولمعت أسنة الرماح وبرقت الصلبان وانتشرت أعلام بنى غسان ونادوا الثار الثار وأيقن بنو عامر بالدمار وخراب الديار وصدمت الرجال ولمعت بروق النصال وقصرت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وقاتلت الافرنج أى قتال وأبصرت العرب منها الاهوال هذا وقد فرقت الجموع ونفذت الطعنات من الخواصر والضلوع وكانت بنو عامر وغنى وكلاب اثنى عشر ألف فارس فقتل منهم الى المسا ثلاثة آلاف فارس وهرب الباقون الى جبال عالج وتعلقوا فيها وتركوا هناك الحريم والعيال وانتخوا نخوة الابطال ونزلت عساكر الشام فى منازلهم والخيام وضيقوا عليهم المذاهب وداروا بهم من كل جانب وعند الصباح زحفوا عليهم بالسيوف والدرق فقاتلوهم حتى ازرقت منهم الحدق ولولا ملاعب الاسنة وعامر بن الطفيل ما كان أتى على الباقين الليل وما كان على بنى عامر أشد من سنان بن أبى حارثة لانه كان يعرفهم المواضع والطرقات والمقاطع ويدور بهم من كل جانب ويحرضهم على قتال الرجال وبنو عامر كلما نظرت الى هذه الاهوال وأبصرت هذه الفعال يحل بها الوبال هذا وقد أجهدوا أنفسهم فى تلك الشعاب خمسة أيام وفى اليوم السادس فرغ من عندهم الزاد فهانت عليهم الدنيا وكرهوا الحياة بعد سبى النساء والاولاد فانتخوا نخوة العرب ورموا أنفسهم على العطب ومازالوا يقاتلون حتى أهلكوا جما كثيرا من الاعداء وهلك منهم بعضهم وبقوا مطروحين والباقون استوفوا ما قضى الله عليهم من القدم ونال بنو غسان منهم ما أملوا وأنفذوهم مع مقدم

لهم يقال له دابق فى عشرة آلاف فارس بصحبته وقالوا له سر بهذا السبى الى الشام وها نحن فى هذا المكان حتى يصل السبى الى الاوطان فقال دابق بن حيان الى الشيخ سنان ولما نسير من هذا المكان الى عنتر بن شداد نكون قد بلغنا المراد فقال الحارث لابد أن نسير له ونقطع منه الآثار فقال سنان أيها الملك لا تخرق هيبتك لان عنتر اليوم عند دريد نازل ودريد شيخ القبائل وأقل ما يكون اليوم حوله خمسين ألف بطل مقاتل ما بين فارس وراجل وان سرت اليه خسرت وعاد الامر عليك وكسرت لان دريدا عنده أبطال تلقى كل من قدامك من الرجال وأنا أيها الملك قلبى فزعان من عنتر لئلا يكون وصل اليه الخبر ويعلم بمسير السبى فى البر فيسير خلفه على الاثر ويهلكه بسيفه الابتر ولو يكون معه أمير بيده ومضر ويرجع يطلق علينا شياطين العربان الذين تعبنا فى أخذهم وقاسينا منهم الهوان وربما سار بهم خلفنا فى الطلب وعاقنا عن كل سبب لانه ولد زنا وقد يعمل منه الغضب ولا يشمت بقومه أوباش العرب والرأى عندى أننا ما نبرح من هذا المكان حتى يبعد السبى من هذه الاوطان لان لنا فى ذلك فوائد كثيرة الاول أن تكون طريقنا الى السلامة والخيرة وذلك ان دريدا ما يرجع يفارق الاطلال ولا يبعد عن الحريم والعيال والثانى ان السبى الذى أرسلته الى البلاد يكون فى أمان والثالث ان النعمان اذا سار اليك وطلب خلاص اخوته من يدك تخليه حتى يبعد عن بلاده وينقطع عن عساكره وأجناده وتدهمه أنت فى وسط القفار فتبلغ منه ما تريد وتختار فلما سمع الحارث من سنان هذا المقال قال له يا شيخ تقول اذا هجمنا على عنتر ودريد بهذه الجيوش ما نكسرهم فقال سنان أيها الملك ان هذا ليس بصواب لان دريدا فى جبال عالية يقال لها جبال الغزية أقوى من القلاع المبنية واذا حصل فيه ألف بطل وطلبهم كل من كان فى السهل والجبل لا يقدرون لهم على ضرر ولو أن معهم جميع البشر ويطول عليك المطال ويتحصنون فى الجبال وربما وصل اليك النعمان ويعود أمرك الى خسران وما عندى رأى أحسن من المقام فى هذا المكان وترسل الجواسيس يأتوك بالاخبار ومن سار منهم اليك وسبق ملت اليه وهشمته هشم الورق ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الحارث من سنان هذا الخطاب بان له انه من الصواب وأمرهم أن يأخذوا أخبار النعمان هذا وقد تسامعت بفعاله قبائل تلك الارض والديار وهم مقيمون حتى تصح لهم الاخبار وفى أيام قلائل وصلت اليهم الجواسيس وما منهم الا من انبهر من شدة السير وحدثوه بجميع الاخبار وأما العبيد الذين أرسلهم خلف عنتر ودريد فقد عادوا بالاخبر وقالوا والله أيها الملك لقد سرنا ليلا ونهارا حتى وصلنا الى الديار فما وجدنا فيها أحدا الابيض ولا أسود غير برارى مقفره وفلوات موعرة كأنما رميت أهلها بسهم الشتات وأخلاها من الاحياء والاموات وكل هذا بهيبتك وقوة سلطانك لانهم سمعوا بالاخبار فرحلوا وخلوا الديار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من جواسيس العراق فانهم أخبروه باجتماع من العربان وهم فى ستين ألف فارس من كل مدرع ولابس وسمعنا ان قبائل اليمن متتابعة مثل العيون النابعة ونقول انهم يشرفوا عليك بعد ثلاثة أيام فلما سمع الحارث ذلك الكلام التفت الى سنان وقال له ان تركت النعمان يتمهل فانه يفعل ما يفعل ثم انه قام من ساعته ونادى فى عساكره بالرحيل وترك بنى فزارة فى المقدمة لاجل خبرتها بتلك البلاد ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان مقيما فى ديار بنى هوازن وهو طيب العيش آمن وراق له الزمان وقد استراح من طوارق الحدثان ودريد فى النهار جليسه ومحبوبته عبلة فى الليل أنيسه وهم يتذكرون ما جرى لهم مع بنى عبس وكيف لحقوهم فى عساكر النعمان ولا يعلمون كيف كان سبب عودتهم وبقى كل واحد يشتهى أن يعرف أصل ذلك ومازالوا على ذلك الحال فى افتكار حتى وصلت اليهم الاخبار من السفار وحدثوهم بخروج ملك الشام ووصوله الى تلك الآكام وما جرى على بنى عبس وغطفان وغدر بنى فزارة وذبيان وما خلفوهم من الاوطان وسبى الاولاد والنسوان فلما سمعوا ذلك السبب تعجبوا غاية العجب وقالوا والله لقد افتضحت بنو عبس بين العرب ولكن بغيها

وخاجها هو الذى كان لذلك سبب ثم أقاموا على ماهم عليه من أكل الطعام وشرب المدام الى يوم من الايام أتاهم الخبر بما تم على اخوة الملك النعمان وكيف غدرت بهم بنو فزارة وأوقعوا بهم الذل والخسارة وقتلوا جماعة من سادات عبس وكان ذلك من طريق الغدر وأخذوا بثار بنى بدر وأسروا الاسود وقد أعلموهم بجميع ماجرى وتجدد فلما سمع عنتر تلك الاخبار طار من عينيه الشرار وقال من مثل هذا كنت أخاف على بنى عبس وكنت أنهى قيسا عن بنى فزاره الطائفة الغداره وما زالوا كذلك حتى قلعوا آثار بنى عبس وأخربوا ديارهم فقال دريد والله لقد صدقت يا أبا الفوارس فى مقالك فلعن الله البغى ما أسرع آفاته والصواب اننا نحذر من هذه الفوارس الذين كأنهم البحار الطوامس ونجعل علينا عيونا وارصادا فى كل شعب وواد واذا سمعنا انهم قصدوا الينا تركنا هذه الارض وخليناها ونزلنا فى جبال غزيه الشامخة العليه ونتحصن فى شعابها وقد أمنا من كثرة العساكر وحروبها ولابد أن يسير لهم النعمان بعساكر العراق يطلب خلاص اخوته وتعمل معه نخوته وهمته ثم ان دريدا أرسل جواسيس الى ناحية أرض العراق وقال لعنتر أنا أعرف أن بنى فزارة ما تسكت عن مكرها وما زالوا مقيمين فى الانتظار لصحة الاخبار حتى وصلهم حديث بنى عبس وحديث بنى عامر وما جرى عليهم من الاحوال وسبى حريمهم والعيال وأخبرهم بكثرة اسراهم وانهم أرسلوهم الى أرض الشام ومعهم رجال وأبطال وأما الحارث ومن معه من فرسانه فانه سار الى لقاء النعمان فى عساكر ما يصفها لسان فلما سمع دريد وعنتر هذا الخبر تأسف عنتر وتحسر وخفق قلبه على بنى عامر كما يخفق جناح الطير الطائر وقال وحق ذمة العرب الكرام ان قصدنا عن عبادة الصلبان علكوا البيت الحرام ويحرموا العرب المسير اليه ويرموا الاصنام من عليه ويتغير ما نحن عليه من الاحكام وربما يطالبون منا الخراج والعداد ويستخدمون الرجال والاولاد ثم ان دريدا التفت الى عنتر يشاوره لانه رآه محروق القلب والفؤاد على ما جرى لبنى عبس من الهوان وكيف تبدلت أفراحهم باحزان وهو يظهر الجلد فلما شاور دريدا فى هذه الامور العظيمة وجد لكلامه راحة عظيمة لان دريدا أشار الى عنتر بالمسير فى ذلك البر والهجير فقال له يا أبا النظر لقد نظرت موضع النظر والصواب مسيرنا اليهم فان لنا فى ذلك فوائد كثيرة وهى تكون سبب النصرة عليهم والخيرة لاننا ان قدرنا على السبى الذى أرسلوه الى الشام قبضناهم وخلصناهم بالحسام ولو ان معهم كل من فى الدنيا من عرب وأعجام وان وقعنا بالنعمان وهو مكسور مهان نصرناه على عبدة الصلبان وعرفناه قدره حتى يكف عنا شره وان وجدناه طامعا فى الاعداء هجمنا عليهم وشتتناهم فى البيداء وكل هذه الاشياء تحمدنا عليها قبائل العربان وسكان البرارى والقيعان فلما سمع دريد كلام عنتر قال له والله لقد أتيت بفضيلة يا أبا الفوارس ولكن قبل مسيرنا نحن نحصن حريمنا والمال فى هذه الشعاب والجبال ونترك عندهم من نعتمد عليه من الرجال ونسير الى قضاء هذه الاشغال ثم اهتموا فى هذه الامور وحسبوا فرسان تلك القبائل الذين هم نازلون عندهم فى تلك الغدران والمناهل واذا هم أربعون ألف مقاتل فيهم مثل دثار وخفاف ومن يجرى مجراهم فقال دريد هؤلاء يكونون هنا لحفظ الحريم ويلتقوا الغريم حتى لا يكون فى غيبتنا النقاش فى الحساب ثم ان دريدا أرسل الى القبائل واعلم بذلك مقدمين الجحافل وأمرهم بالرحيل والمسير الى جبال غزيه بجميع مالهم بالكلية ففعلوا ما أمرهم ورحلوا ونزلوا فى الجبال وآمن كل واحد على ماله من المال والعيال وبعد ذلك اجتمعوا الى دريد فأمرهم باخذ الاهبة وانتخب منهم عشرة آلاف فارس من الاقيال وترك خمسة وعشرين ألفا عند الحريم والعيال وأوصى بهم أخاه خالدا وسار يقطع الفدافد وهم على جرائد الخيول الاصايل خفاف الظهور من الاثقال ومنهم المهارى والجمال لحمل الماء والزاد فى تلك الفلوات وعنتر ما صدق أن تقع عينه على عساكر الشام حتى عملت فيه النخوة عمل السهام وكان هو ومقرى الوحش فى المقدمة وفى قلبه أقوى حراره وهو متفكر فى غدر بنى فزاره وفعال قيس معه وكيف وقع فى الخساره وتفكر وداع عبلة له فاشار ينشد ويقول

يا عبل أشجى فؤادى دمعك الجارى * يوم الوداع وقد حرت فى الافكار

قل لى بكاك ولا تبكى على طلل * ولا على جارة كانت ولا جار
فالقوم قد وقعوا بعدى بغدرهم * وهكذا الدهر يجزى كل غدار
بغوا على وبعد البغى مصرعة * تذل كل شجاع القرم جبار
خانوا فخانتهم الايام واحتكمت * فيهم أيادى الاعادى طبق مختار
يا قيس لولا الحاجى فيك ما ظفرت * بنو فزارة منك اليوم بالثار
خلالها البر فاشتدت وقد غنمت * وقام يخطر منها كل خطار
لو كنت معكم ونار الحرب موقدة * سقيت كل العدا من موقد النار
بصارم فيه من ساداتهم أثر * وشاهد الخط لا يخفى على القارى
فكم لقيتهمو والخيل عابسة * كأنها شرر يخرج من النار
وعدت عنهم وقد فرقتهم هربا * بأبيض ماضى الحدين بتار
فلو تركت لحاجى ما تركت لهم * ذكرا ولا خبرا يسرى به السارى

﴿قال الراوى﴾ ثم انهم جدوا فى المسير وقطع القفار واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار متقطع وغمام مرتفع فانكروه وتحاروا نحوه حتى انهم قاربوه واذا به انكشف عن فرسان مكشوفين الرؤس وبيارق سود وعليهم ثياب السواد وهم مثل الغربان فلما رآهم عنتر وقف ووقفت الرجال الذين كانوا معه وانكروا ذلك فظنوا انهم من عساكر الشام فتحدثوا فيهم فلما رآهم القوم المقبلون عرفوهم فرموا أرواحهم عليهم وهم ينادون عن صوت واحد واذلاه بعد عزاه وافقراه بعد الغنى يا حامية عبس مسنا الضر العظيم وغصبنا على المال والحريم وقتلت ساداتنا وانهتكت بناتنا وخربت أبياتنا وشمتت الاعداء بنا وصرنا مشتتين فى الفلوات ونادمين على ما فات وقد أتيناك معتذرين وبذنوبنا مقرين ثم ان المقدم عليهم بكى وأن واشتكى وأشار الى عنتر يقول

طرقتنا طوارق الحادثات * ورمت شملنا بجور الشتات * وافتضحنا بين العباد وصرنا
مثلا سائرا قبيح الصفات * واقينا فعالنا بك لما * غبت عنا يا ابن الكرام السرات
فالديار التى عهدت خراب * مقفرات الطلول والعرصات * يصرخ البوم فى رباها ويغدو
سحرا فى ربوعها الدارسات * لو رأيت الرجال منا أسارى * مع ملوك العراق والسادات
والعذارى المخدرات حيارى * والنساء والعبيد كالاموات * اشجى قلبك العويل وأضنى
لبكاء البنات فى الخلوات * يا ابن شداد طالما غبت عنا * بلغتنا شماتة الشامتات
وعلمنا بان سيفك قدما * كان لنا حصنا من النائبات * وبنو بدر بادرونا وكانوا
أصل هذا المصاب والكائنات * غدروا بعد ما وفينا وخانوا * واستحلوا منا دم السادات
ذكروا وقعة المريقب لما * حاربونا ويوم جفر الهباءات * تبعوا جدهم حذيفة فى الغدر
وآباءهم مع الامهات * فاغثنا يا أبا الفوارس واصفح * عن ذنوب مضت انا سالمات
يا رجانا وعزنا وحمانا * يوم ضرب الصوارم المرهفات

﴿قال الراوى﴾ فمد عنتر عينه الى الذى أنشد القصيدة واذا به قيس بن الملك زهير والذين معه سادات عبس وعدنان فلما عرفه عنتر ترجل اليه واعتنقه وترجلت جميع الرجال وبكى الجميع ثم تقدم بعده أخوه الحارث وقال لعنتر يا ابن العم ان كنت ما تقبل منا كلامنا سل حسامك واضرب به رقابنا حتى تشفى فؤادك لانه ما بقى لنا فى الارض متسع ولا الى السماء مطلع وليس لنا من نعول عليه ولا ملكا نلتجئ اليه وصهرنا النعمان انكسر وهج فى البر الاقفر فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وعض على يديه وتحسر وبكى دريد لانه رأى سادات عبس قد ذلت بعد العز والنعمه وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة ورجاله وارتفع العويل من كل جانب وقال عنتر لقيس يا ملك كلما جرى عليك وعلى بنى غطفان وبنى عامر وصل الينا وأما كسرة النعمان



فما أحد أعلمنا بها الا الآن فى هذه الساعة وان كان كسره أهل الشام فأهم الا فى خلق كثير فقال قيس والله يا أبا الفوارس ان عددهم مثل البحار الزواخر وهم طائفة قوية الطعن بالقنطارية وهجموا علينا فشتتونا فى البريه وما علمنا السالم من العاطب ولما انقطع عنا الطلب وسترتنا أجنحة الغيهب طلبنا أثر المنهزمين من عساكر العراق وقتلنا الخيل من شدة السير فى الليل والنهار حتى وصلنا الى أرض النجف وقد أشرفنا على التلف من السهر والجوع ومات منا فى البر جمع كثير لان خيولهم هلكت وبقيت الرجال لا يصدقون بالنجاة ولما وصلنا الى الحيرة وجدنا النعمان قد جمع عسكرا كثيرا وهو يجهزهم خلفنا فأقمنا الصياح وأكثرنا النواح وناديناه واحسرتاه وامصيبتاه وأعلمناه باسر اخوته وبما تم عليهم من بنى فزارة وعلى عشيرته وشرحنا له كثرة عساكر الشام فجرى عليه ما لم يجرى على بشر من الانام وأنزلنا حول الحيرة وفرق علينا العدد والخيام وكتب من يومه الى القبائل وأمرهم بالاجتماع والمبادرة وأخبرهم بما جرى عليه من عباد الصلبان ومازال على مثل ذلك الحال حتى صار عنده خمسون ألفا من شجعان الحلل وما فيهم الا كل شجاع وبطل وعول على المسير معنا وكتب الى كسرى يطلب منه نجدة من عساكر العجم ويعرفه بهذه الاهوال فرد اليه الجواب على أجنحة الطير يقول له يا نعمان قد سمعت ان ملك الروم ركب وقصد الينا بعساكر النصرانية وجمع كثيرا من الطوائف الافرنجية وهم يريدون أن يذلوا ملتنا ويهدموا بيوت النيران وأما العساكر فانها عندى قليلة وكتبت الى خراسان والى أمراء البلاد وانهم يجمعون كل من فى العجم وأنا أسأل الرب القديم أن يسهل خروجنا قبل أن تصل عساكر النصرانيه لان هذا ما كان لنا فى حساب ولا قلنا ان ملك الروم تحدثه نفسه بهذه الاسباب وأما أنت فعرب الحجاز كلها تطيعك والذى صار اليك نائب مثلك فاجمع عساكرك وارحل اليه والسلام فلما سمع النعمان ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وندم على ما فعل كيف أرسل الى كسرى يطلب منه معونته فرحل مع الخمسين ألف فارس فسار بنا تارة شمالا وتارة يمينا ومن شدة غيظه وحنقه ما عرف كيف يسير حتى وصلنا الى أرض الشراك وفى ذلك اليوم التقينا ببعض المنهزمين من بنى عامر وأخبرونا بما جرى عليهم وحدثوا النعمان بكثرة العساكر فانكسر عزمه وخفق فؤاده وأتى بنا حتى اجتمع بجميع العماربين فى تسعة أيام واليوم العاشر طلعت علينا العشائر وبانت عساكر الشام وهى مثل الغمام ورأينا جيوشا لا يقع عليها عيار وما كنا نبصر الا صلبانا وصياحا وعيطات مرتفعات وبوارق ورايات وهى نحو مائة ألف فارس من كل أسد عابس من بنى غسان وخمسين ألف افرنجى ومثلها أتباع وغلمان الا أننا لما رأينا هذه الاهوال انقطعت ظهورنا فحملت علينا الافرنج بالقنطاريات وتبعتها العرب المتنصره من سائر الجهات ودام علينا الصدام والقتال أربعة أيام وخمس ليال وفى الليلة السادسة تفرقت عنا قبائل العرب وطلبت فى الجبال الهرب بعد ما قتل منا خلق كثير لا تعد ولا تحصى وعلم النعمان بذلك فخاف من شرب كاس المهالك فولى وقد تنكست الاعلام وأبصرنا عساكر الشام وقد تبعت أثره فاجتمعنا نحن فى هذه الطريق وقلنا ما بقى ينجينا الا ابن عمنا وحامينا الان رب السماء قد غضب علينا بعده وقد عرفنا قدره وقدر بعده عنا وها نحن قد لقيناك فلا تشمت بنا الاعداء وبعد ذلك تقدم اليه الربيع بن زياد واخوته وما فيهم الا من ذل وزالت منه نخوته ونادى الربيع يا حامية عبس ويا كاشف الضر عن كل نفس لما غبت عنا عرفنا قدرك فلا عدمنا منك نظرك ثم ان بنى عبس نظرت أنفسها بعين الاحتقار لما عدمت الاهل والديار وعلم عنتر ما جرى عليهم فجمع شملهم وطيب قلوبهم ووعدهم أن يجتهد فى نصرتهم ويبادر الى معونتهم وكذلك فعل دريد بن الصمه ونزل القوم لاجل الراحة وعنتر يقول لقد كان فى قلبى من بنى فزارة حرارات ولولا قيس ما تركت منهم كبيرا ولا صغيرا فقال أسيد يا أبا الفوارس الصواب كشف هذه المصايب حتى لا يجور عباد الصلبان علينا ويحصل شرهم الينا فقال عنتر وأيش بقى فى هذا من النظر غير المسير الى بلاد الشام فقالوا هذا نعم الرأى ولو عرفنا انه يصح لنا واننا نلحق هؤلاء القوم بلغنا المنى ولكن نخاف ان نتعب ونبعد عن الديار ولا نبلغ مرادنا لاننا فى أرض هوازن والسبى فى أرض الاهواز فقال عنتر انه قارب الاهواز ولا قطعوا أكثر عن

نصف الطريق ولا فاتونا الا بقليل لان سيرهم ثقيل على سير النساء والمال والعيال ونحن فى هذه الساعة نركب النجب والجمازات فلو ان السبى قارب دمشق لحقناه وان فاتنا وسبقنا خربنا البلاد وسبينا أهل السواد وأرض حوران وتركنا أرض الشام خراب ووضعنا السيف فى المشايخ والشباب لان بلاد الاعداء اليوم خالية واذا وصل الخبر الى أرض العراق تنكسر قلوب الروم فقال مقرى الوحش والله ما لنا أصوب من هذا الرأى والان سرنا خلف عساكر النصرانية حصرناهم من كل جانب ونضيع بين تلك المواكب فقال دريد ان كنتم ترضون بهذا الرأى ونحن نوافقكم عليه ونسارع اليه فكلوا شيأ من الطعام واستريحوا قليلا فى هذا المقام وقوموا بنا نبادر الامر قبل الفوات لان كل ساعة تمضى علينا بأوقات ثم انهم أكلوا شيأ من الطعام وأخذوا فى الحديث والتدبير والكلام حتى ظهر لهم حقيقة الامر وبان لهم ظاهره وعرفوا اسرائره فهاجت النخوة فى رؤسهم والحميه وعملت معهم الحماسة الجاهلية فتواثبوا مثل سباع الآجام وقالوا والله لا أشبعنا أجوافنا بطعام ولا أجفاننا بمنام حتى ندوس بحوافر خيولنا أرض الشام ونخرب تلك الديار والآكام وندع نساءهم أرامل وأولادهم أيتام ونعمل أقوى مما عملوا بغيرنا ثم انهم نزلوا عن الخيل وركبوا على ظهور النجب والمهارى والجمازات وقلوبهم فيها النيران المضرمات على سبى النساء والبنات وساروا ينهبون البر نهبا ويقطعون الارض ركضا وخببا والخيل فى اعراضهم جنائب وهم يجدون كانهم السلاهب وهم بقلوب قويات وقد هان عليهم شرب كاس الممات (قال الاصمعى) وكان سير دريد بن الصمه وراحه بهذه الهمه لأجل بنى عامر لان بينه وبينهم نسب متصل وحسب غير منفصل وكان فى قلب عنتر النار أيضا من أجل عامر ابن الطفيل لانه صديقه ومؤاخيه وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وهذا ما جرى لهؤلاء من الاحرار

* وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما انكسر وعاد وهو مقروح الفؤاد خائف على البلاد وعلم أن العساكر تفرقت عنه والاجناد وما زال يجد السير هو وبنو عمه الى الحيره وأقام ذلك اليوم ينتظر المنهزمين أن يأتوا على أثره وبعض قبائل العرب تقدم عليه فما رأى أحدا ظهر ولا وصل اليه بشر فخاف على نفسه من عساكر الشام ان تدركه وتسبى حريمه ومن شدة خوفه جمع أهله وماله وعياله وسار بهم الى المدائن يطلب حماية كسرى أنوشروان وهو من شدة ما جرى عليه حيران قال ولما وصل الى المدائن وجد الملك كسرى قد برز الى البر والسباسب ونصبت خيامه والمضارب والدنيا منقلبه من ازدحام الفرسان تموج بالخاص والعام والنهار قد صار مثل الليل من شدة ركض الخيل وارتفاع القتام ترك الدنيا ظلام قال فدخل النعمان على الملك كسرى ومعه عشرة من بنى عمه من خواص بنى لخم فقبل الارض وخدم وبكى على زوال دولته واخبر الملك كسرى بقصته وبكى واعلمه بما جرى له من عساكر الشام وخرق ثيابه لما انتهى فى الكلام فانزعج كسرى غاية الانزعاج وسكر من غير كاس الزجاج وقال يا ليت شعرى من أى وجه دخل على دولتنا هذا العارض العظيم ونحن أظهرنا العدل فى سائر الاقاليم لكن الامر للرب الكريم القديم رب موسى وابراهيم ثم قال للنعمان يا ملك العرب لقد قطعت ظهرى بهذا السبب لان عساكر خراسان بعد ما وصلت ما أتى منها واصل ولا رأيت من جندها فارسا ولا راجل وطوائف الروم أمس وصلت عندها الجواسيس وأخبرونى انها قاربت أرض هيت وانها تزيد على أربعمائة ألف بطارقة وافرنج زنادقه وها قد برزت حتى أسير اليها والتقيها واترك الهيبة بمسيرى اليها حتى لا يزيد طمع ملك الروم فى وأنت الآن قد أتيت بما لم يكن فى الحساب لاننا ان سرنا عن المدائن وأبعدنا أتت العرب المتنصرة فى أثرك وملكت من خلفنا البلاد وان أقمنا ها هنا طمعت فينا الحساد على أننا ما بقى لنا أصوب من هذا المكان لانه أجود لنا وأعود علينا ما دام الطلب قد صار من خلفنا ومن بين أيدينا واذا كنا ها هنا تكون قلوبنا قوية ببلادنا وأهلنا ونطاول الاعداء عند وصولها بالقتال ونبارز الفرسان الى أن تصل الينا عساكر خراسان فقال الملك النعمان نعم الرأى ولعل الامر يتأخر بفاضل يوم أو عشرة ويأتينا من قبائل العرب من يشد دنا لانى عند مسيرى أنفذت اليهم وأمرتهم بالقدوم وما وصل منهم الا القليل وأقول ان الباقى يأتوا بعد شئ يسير ثم أقاموا يصلحوا عددهم وينظروا من يأتى اليهم ويجدهم ولما كان بعد أيام

قلائل أقبلت ملوك النصرانيه وجيوشها وطلعت غبائرها المتواتره وأمواج بحارها الزاخره فسدت
الجنبات بقساطل القتام المرتفعات وبدلت أنوار النهار بدياجي ظلمات وسترت عيون الشمس عن عيون
الناظرات ونادت نقباء النعمان وكسرى في الاعاجم والديالم فصارت على ظهور الصافنات وتدرعت
بالدروع السابغات وارتفع الضجيج حتى انصمت المسامع من اختلاف اللغات وتقدمت الاعلام الكسرويه
والازدهارات وخفقت الرايات مع هبوب الرياح العاصفات وهزت القواضب في أيدي الاعاجم وسلت
السيوف المرهفات واصطفت المواكب تطلب الحرب وقد أخلصت للهلاك النيات وانكشف الغبار عن
الروم فاذا هي مثل الجراد المنتشر في رؤس الروابي والفلوات وأقبلت الافرنج بالطوارق والصلبان على رؤس
ملوكها والسادات وامتلات الدنيا بالخيام والسرادقات وأقبل الملك قيس بعزيمته المذكوره وهمته
المشهوره وأعلامه المرتفعه وصلبانه المرصعه ومواكبه المزعجه وفرسانه المدججة وكان قدامه طائفة من
القسوس والرهبان يقرؤن الانجيل ويعظمون الصلبان وبعدهم طائفة من أولاد الفرسان يخجلون
بالوجوه والقدود الاقمار والاغصان وكلهم بالشعور المسبله المرخاة والسيوف المجوهرة المحلاة الا انه ما نزل
في سرادقه حتى أقبل ملك الافرنج خيلجان كانه شيطان أو مارد من مردة الجان وكان موكب الخيالة مثل
الظلام الغاسق من لمعان القنطاريات والبيارق قال وكان خيلجان فارس جبار لا يصطلى له بنار قد غزا ملوك
الاقطار وفتح جزائر كثيرة في البحار وأعادها كثيرا الى عبادة الانجيل وشد الزنار وبعد ذلك الامر والشان
خرج يطلب الحج الى بيت المقدس وعين سلوان والغزاة الى عبدة النار والاوثان الا انه لما أشرف على عساكر
كسرى استقبلها وحدثته نفسه الخبيثة انه وحده يلقاها من عجبه بنفسه فنزل في سرادقه وأنفذ الى كسرى رسولا
يقول له ارحل من هذه البلاد وان كان قد دخل في قلبك من قدومنا فزع والا عد الى عبادة المسيح بن مريم
وكن لدينا تابعا واهدم بيوت النيران وابن بدلها كنائس وصوامع والا رأيت في غد من قنطارياتنا طعنا أحد
من الاجل وأسرع وضربا اذا وقع على الصخر انصدع والسلام على من عرف الترتيب وأبصر الحق فعاد اليه
من قريب قال ولما وصل الرسول الى كسرى وقص عليه هذه الرساله غضب كسرى وحرد من ذلك الكلام
وقال لولا انى عرفت بالانصاف ما كان جواب هذا الرسول الا القتل والاتلاف لكن هيا سر وقل له انى أقسمت
بالنور والنار انى لا أدع أحد يشد على وجه الارض زنار وفي هذا العام يصح القسم اذا وصلت العساكر من
بلاد العجم ورأيت فوارس تفترس سباع الاكم وأبطالا لا تبالي بالموت اذا هجم هنالك تندم ولا ينفعك الندم
وتذل اذا زالت منك القدم والسلام على من اتبع الدين القديم المكرم وسجد للنور اذا أضرم قال فعندها أعاد
الترجمان على الرسول هذا الخطاب وقد صاح عليه الحجاب فعاد الى صاحبه بالجواب فتبسم خيلجان
عند سماع هذا الخطاب وقال عند الصباح يرى من يكون المغبون لان كسرى يظن انها مثل فرسان الروم
فوحق المسيح لالاقي هذه العساكر عند الصباح الا انا وحدي ولا تركت في هذه الديار حديثا يذكر من
بعدي ثم بات ينتظر الصباح وباتت العساكر تموج مثل البحار الزواخر حتى انفجر الفجر ولاح فركبت
الفرسان الجرد القداح وتحدرت جميع الخلائق والامم واصطفت الافرنج قبال الديلم وقابلت الروم العجم
وأرادت الطوائف أن تحمل على بعضها بعض وتجول على وجه الارض فلم يصبر خيلجان بل قلب القنطاريه
وصرخ وحمل في عاجل الحال وكانت حملته تصدع الرجال هذا وقد أجابت الافرنج صرخته في الحال وكذلك
فعلت الروم قدام الملك قيصر وحملت كالبحر اذا زخر وانطبقت العساكر كانطباق الاسد الضاريه فالتقتها
العجم والديلم بالحراب الماضية والعمد الطوال والرماح والنصال قال وكانت عساكر كسرى مائتي ألف فارس
وراكب وراجل ومحارب ومقاتل لانه كان أنفذ يطلب الجيوش فما أتى اليه الا أصحاب القلاع البرانية والمراكز
القريبة وكان أكثرهم يرمون بالنبال ويصبرون اذا اشتد الصدام والقتال فجرى لهم ذلك اليوم مع
جيوش النصرانية وقعة تذكر ما بقيت الشمس والقمر لان الالباب حارت والحكام والجبابرة ولت
والكرام ذلت والخيل ملت والخطوب جلت والدنيا أظلمت والسيوف تثلمت والزنود كلت والنفوس

مالت والطيور حامت والرجال هامت والحروب دامت والسماء غابت والشباب شابت والصدور باحت
والرقاب طاحت والاسود صاحت والدماء سالت والجبال مالت والنهار أظلم والغبار اغتم والشجاع همهم والجبان
انفحم ﴿قال الراوي﴾ وقد بلغني عن هذه الوقعة أضعاف ما رويته وحكى لي أمثال ما حكيته لانها كانت
وقعة عظيمة في أرض المداين فرغت فيها النبال من الكنائن ونثرت الفرسان من على ظهور الصوافن
ولما أمسى المسا الا وعساكر كسرى قد التجؤا الى الجدار وعولوا على الهرب والفرار ولو كان طال عليهم النهار
ما كان بقي منهم ديار ولا نافخ نار ونزلت الطوائف وبقيت الشجعان ممددة من ضرب الحسام وجلس الملك
كسرى على سريره وغلبت همومه على سروره وأخذ في الحديث والشكوى لارباب دولته وأكابر عشيرته
وقال يا قوم ايش ترون في هذه الامور وحق النار والنور اذا لم تدركنا النجدة من خراسان والا كسرتنا هذه
العساكر وأحلت بنا الهلاك وأزالت دولتنا وملكنا من هذه البلدان والصواب أن تأمر أهل البلد والعوام
أن يعبروا بأموالهم ورجالهم وعيالهم الى الجانب الآخر ولا يبقى عندنا ها هنا الا من يقاتل ويناضل حتى اذا
رأينا الغلبة وأطبقت علينا هذه العساكر عبرنا كلنا وقطعنا الجسور بيننا وبينهم وتحصنا بالماء الى أن يأتينا
من أعواننا من نعول عليه ونجعل معتمدنا عليه فقال الحاضرون والله يا ملك لقد أشرت بالصواب وأتيت
بالامر الذي لا يعاب ولا بد أن نشرع في هذه الامور والاسباب قبل أن يكثر علينا العدو ويزيد علينا المدد وباتوا
يدبرون هذه الامور وباتت السدنه حول بيوت النار والنور يتلون تلاوة المجوس ومعهم كل شيخ معكوس
وهم يسجدون لها ويرمون قراحي العود وكل واحد منهم يهمهم وينود ويسألون النار أن تنصر الملك كسرى
وتعينه على الاعداء فهذا ما كان من هؤلاء* وأما ما كان من ملك الافرنج الخيلجان فانه لما رجع من حومة
الميدان غضب على خيالته ولامهم ووبخهم على تقصيرهم وقال لهم يا ويلكم أنتم ما خرجتم من بلادكم ودياركم
الا لتكسبوا الثواب وتربحوا الاجر وتنجوا من العذاب فلم لا تنصحون في القتال وتجتهدون في الحرب والنزال
فقالوا له يا ابن السادات قل للقسوس يصلوا علينا صلاة الاموات وكل من رجع عن الحرب والقتال تحرمه
الثواب في يوم الاهوال لاننا وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ما فينا من خرج من الجزائر ومن
كل موضع حتى ودع أهله وداع من لا يرجع اليه وقد فعلنا اليوم في الحرب فعالا تشيب منها الاطفال الرضع وانما
أنت لاجل فروسيتك أيها السيد الامجد لا تشكر فعال أحد ولا يعجبك أيها السيد الصمان فعال انسان لانك
فريد الزمان وفارس الاوان* قال فلما سمع ملك الافرنج ذلك الكلام أعجبته نفسه وقد انشرح صدره وقال في
غداة غد أفتح باب الحرب والبراز وما يجري من الانجاز وأفرجكم على عباد النيران
قال ومازالت الطائفتان على مثل ذلك الايضاح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح
فتبادرت الفرسان الوقاح وركبت الجرد القداح بعدما لبست السلاح وعولوا على القتال والحرب والنزال
واذا بغبار صاحب الشام من ناحية الكوفة قد أقبلت وعساكرها قد تقسطلت وظهر ذلك العسكر الجرار كانه
البحر الزخار لان الحارث الوهاب صاحب الشام تبع أثر النعمان الى الحيرة وتلك الآكام فرآها قليلة
السكان خالية من الفرسان وما فيها الا فقير أو عجوز أو شيخ كبير فعلم أن النعمان انهزم وأخذ خواص الاعوان
وفرسان العرب الاعيان ففرح بذلك الامر والشان وأعطى المقيمين بها الامان وقال نحن ما نطلب الاجناد
أصحاب الحرب والجلاد وملوك هذه البلاد وأما العوام فهم رعية لنا ولغيرنا اذا ملكناهم أخذنا منهم الجزية
في كل عام الى أن يدخلوا في الطاعة ويعبدوا المسيح عليه السلام ثم انه دخل البلد وجلس على سرير النعمان
وحكم فيما كان تبقى من خزائنه والاموال واحتوى على جميع الرجال وقال لارباب دولته لولا خوفي من عتب
الملك الرجيم لسرت الى المدائن وحاصرت كسرى والنعمان وقضيت ذلك الامر والشان الى أن تقدم عساكر
الملك الكبير والخنزير الحقير وانما الصواب أخذ أخباره الى أن يقارب المدائن وأسير الى خدمته أنا ومن معي
ثم انه أنفذ من يأتيه بالاخبار وأقام مدة يسيرة في هذه الديار حتى عاد الذي أنفذه لهذه الامر والشان وأخبره
أن عساكر النصرانية وصلت الى الانبار وأنهم اليوم الفلاني يكونون على المدائن في أرض كسرى ويأتون تلك

الارض والصحرا فلما سمع ذلك سار الى الكوفة هو وعساكره الموصوفة وحسب حساب المراحل والوديان حتى وصل فى الوقت الذى ذكرناه ونزلت عساكره فى جانب الصفراء فملأت أقطار الفلاه لان منزلتهم كانت فى أرض بابل الى أرض المداين الاّ أن صاحب دمشق لما وصل أمر عساكره بضرب الخيام وسار هو الى خدمة ملك الاروام ومعه جماعة من خواص بنى غسان وترجل لما قارب الاعلام والصلبان وخدم ثم عظم الملك وأخبره بما فعل فى أرض الحجاز من الاهوال وكم أنفذ الى بلاد الشام من الهدايا والاموال والاسارى والسبايا والرجال ومن بقى معه من الابطال والفرسان قال فلما سمع ذلك المقال فرح واستبشر وزال عن قلبه الخبال وخلع عليه ملابسه وأركبه على بعض جنائبه وقال ما هذه الا سعادة زائدة وكرامة واردة من السيد المسيح لاننا نحن قد حاصرنا ملك الاعاجم وقد بان لنا من النصر براهين وعلائم وما بقى غير أسر كسرى أو قتله فى البريه وقد صارت الكلمة كلها مسيحية قائلة بكلمة المعموديه قال الملك الحرث هذا الذى ذكرته يكون اليوم أو غدا بسعادتك أيها الملك السعيد ثم عاد الى عسكره وصاح فى نقبائه أن يأمروا العساكر بالحمله حتى يبين قدام ملك الروم عزمه * هذا وكسرى قد ضاقت عليه المذاهب لما أبصر كثرة هذه الجيوش والمواكب قال ومن كثرة ما جرى عليه أمر وزراءه وخدامه أن يظهروا للاعاجم الاموال والخلع والانعامات حتى تطيب قلوبهم للقتال ففعلوا ذلك وقد هانت عليهم النعم والممالك هذا وقد أرادت خيالة الافرنج أن تبرز الى الميدان وتطلب براز الفرسان فاصبرت عساكر الروم الكلاب بل جاءت وصاح قدامها ملكهم الحارث الوهاب وطلب أن يبين قدام ملك النصرانية فعاله ويظهر همته وشجاعة رجاله الا انه لما حمل جاءت معه طائفة الافرنج والروم وركضت الخيل حتى ارتجت الارض من التخوم وانعقد الغبار مثل الغيوم وعاد نسيم الرياح سموم وبضعت السيوف الجماجم والجسوم وكان يوما شره معلوم الا أن البلاء زاد على كسرى وتكاثرت عليه جيوش الاعداء وانما الديلم غلظت أكبادها وزادت أحقادها وترجلت عن ظهور جيادها ورمت الزرد عن اجسادها واستقبلت خيالة الافرنج بحرابها وشكت صدور رهامع أجنابها ودام الحال على ذلك الامر والشان حتى رأى الملك كسرى الهوان وعول على العبور الى جانب الايوان وكذلك أراد أن يفعل الملك النعمان بعدما قاتل ذلك اليوم حتى أشرف على الهلاك وسوء الارتباك وعول على الرجوع والانفكاك واذا بغبرة قد أقبلت من ناحية أرض الحجاز وحالهم يدل على انهم يريدون الانجاز وتحتها ضجيج وصياح قد قلب الارض والبطاح وفى دون ساعة تقاربت وتدانت الا أنها كانت مقبلة على عجل والوحش منها قد جفل وفى أطرافها بوارق تشعل والبر من ركض خيلها قد تزلزل قال ولما رأتها الطائفتان اشتغلت عن الحرب وفترت نار الطعن والضرب ومدت الابطال اليها الاعين وتحدثت فيها الالسن حتى انجلى غبارها وبانت فرسانها وسمعوا صياحها وهى تنادى يالكندة أبشر يا نعمان بالنصر والفرج من هذه الشدة قال وكان فى هذه الخيل فارس ضيق اللثام تقصر عن وصف شجاعته الاوهام وهو ينادى أنا ذو الخمار الفارس الذى لا تهوله الاخطار ولا تنكره ملوك الاقطار ومن خلفه فارسان آخران يقاربانه فى الشجاعة والزى والمنظر وكان أحدهما حجار بن عامر الكندى والآخر عمرو بن معدى كرب ومعهما من الفرسان عشرة آلاف تلتقى باسنتها مصائب الموت ولا تخاف قال وكان لهؤلاء الفرسان وصولهم سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك اننا كنا ذكرنا لكم أيها الحضار ما جرى لعمرة مع ذى الخمار وكيف قبح على عنتر وحسده وطلب بعد ذلك هلاكه فما قدر وكان فى آخر فعاله انه كذب فى الايمان لما أطلقه دريد من الوثاق والهوان وعاد بعد ذلك غدر وخان وخلص عمرة وأباها من الاسر والهوان ودبر على قتل عنتر مرارا عديدة وأحسن التدبير وهجر دريدا وأطلاله وما بلغ آماله وعاد مع عمرة وأبيها وقد زاد طمعه فيها ووعده أبوها أن يزوجه بها ويجعل مقامه عنده الا أن ذا الخمار لما وصل مع القوم الى ديارهم وأراد أن يخطبها وصل اليهم الخبر بقتل المتعجز فلما سمعت عمرة ذلك الخبر كاد قلبها أن ينفطر وشقت أثوابها وعلا بكاؤها وانتحابها وفعل أبوها مثل ما فعلت وصعب على ذى الخمار وعلم انه خابت مقاصده

فطول روحه وأقام حتى انقضى العزاء وقل النواح والبكاء وأرادت عمرة أن تجمع فرسان قومها وتطلب ثار أخيها فبان عليها الحمل وتغيرت أحوالها واسترخت أوصالها فلما رأت نفسها على ذلك كتمت أمرها وخافت من الفضيحة وأرادت أن تقتل نفسها وما زالت على ذلك مقدمة ومؤخرة حتى كبرت بطنها واصفر لونها وأظهرت الكسل والمرض وصار أبوها يتردد اليها وقد أنكر حالها ولج عليها بالسؤال فاخبرته بما تم عليها من عنتر ابن شداد وكيف غصبها على نفسها وأخذ وجهها فى البر والوهاد وأعادت عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع أبوها ذلك عذرها وطيب قلبها وقال لها يا ابنتى هذا أمر قد تم على كثير من بنات العرب وأكثرهن من عشق الرجال وأنت ما فعلت ذلك الا غصبا والصواب أنك تقيمين على ذلك الحال حتى انك تضعين هذا المولود وتخلصين منه ونحن نذبحه تحت الليل وتكتمين أمرك وتعودين الى ما كنت عليه ولم يعلم أحد بهذه القضية ويقولون انك كنت مريضة حتى لا تنقص منزلتك وتنحط مرتبتك قالت اذا كان الامر على ذلك فاصرف عنى ذلك الرجل واقطع اياسه عنى فانى لا ضاجعت رجلا فى الايام والليالى ولا أطلعت أحدا على حالى لئلا يقال عمرة تركت الاقران واتبعت فعل النسوان فقال لها أبوها يا بنتى ابعاد هذا الرجل من أهون الامور وأنا أصرفه هو وأصحابه بجميل ثم خرج من عندها متفكرا فى قصتها ومن يومه أحضر ذا الخمار بين يديه وزاد فى شكره وأثنى عليه وقال يا ولدى أنت تعلم ما حل بنا من جهة ولدنا وبالله أقسم اننى متأسف كيف نزلت علينا هذه النازلة ويخرج مثلك من أيدينا الا أن ابنتى عمرة التى كنت عليها معولا سارت من عندى الى ديار أخوالها تطلب منهم المعونة على أخذنا ثار أخيها وكانت عند مسيرها متشوهة البدن من شدة البكاء والحزن وقد أشرفت على الهلاك وأنت مقيم عندنا وكذلك أصحابك وقد اشتهيت أن أزوجك ولهم من بنات سادات العرب وأتخذكم أنصارا على سائر النوب لانه اذا اتصلت أنسابكم بنا خاف كل واحد منكم وهابكم وهابنا ولك الرأى فى ذلك والخطاب وأنت أهدى الى الرشاد والصواب قال فلما سمع ذو الخمار ذلك حار فى رد الجواب وتغلقت فى وجهه الابواب وقال أيها السيد هذا أمر لابد لى فيه من المشاورة لاصحابى وبعد ذلك أعلمك بجوابى قال ثم انه عاد الى أصحابه وأطلعهم على هذا الحديث فضاقت صدورهم لاجله وقالوا والله يا ذا الخمار لقد رميت نفسك فى غير مراميها ورميتنا فى قضية ما نحسن نداريها وهذا أمر قد جلبك عليه حسدك لعنتر بعد القضاء والقدر فقال والله يا بنى عمى لقد صدقتم لانى فرطت فى قول دريد بن الصمة عند العرب وقطعت ما بينى وبينه من النسب ولا بلغت مرادا ولا أرب ولا نجح لى طلب وما بقى فى الامر الا أن نشد خيلنا فى غداة غد ونسوق أموال هؤلاء اللئام ونطلب ديار الملك النعمان ومن تعرض لنا ضربناه بالسيوف واذا وصلنا الى النعمان دخلنا عليه وسألناه أن يصالح نوبتنا مع دريد ويردنا الى أهلنا قبل أن يشيع بين العرب أمرنا فقال العباس بن مرداس أما مسيرنا الى النعمان فما به بأس وأما تعرضنا لهؤلاء القوم وأخذ أموالهم فما هو بصواب لاننى أخاف أن تكون عمرة قد أخفت نفسها زهدا فيك وبغضا وأمرت أباها أن يدفعك بهذه الحجة فان نحن تعرضنا لهم تتبعنا بكل من فى الارض وتستعمد علينا بشجعانها ونبقى نحن طعاما لسيوف قبيلتها فقال ذو الخمار والله يا عباس لقد قلت قولا صادقا والله انها من الفروسية بمقام عظيم وما مال قلبى اليها الا لاجل شجاعتها ولو علمت انها كما قال أبوها فى حالة العدم كنت سقت كل ما فى الحلة بين يدى سوق الغنم لكن أخشى أن الحساب الذى حسبته غير صحيح وتتبعنا وتشتفى أعداءنا منا والصواب نخرج جنا تحت أذيال الدجا والغيهب من هذه الديار ونتسبب فى عودتنا الى الاوطان على يد الملك النعمان لانى أعرف أن عنتر بن شداد قد رحل اليوم الى دريد وعاد الى قومه وبنى عمه ولابد أن أتعرض له فى بعض المواضع وأترك وحش البر فى لحمه رواتع ثم أخذوا أهبتهم تحت غياهب الظلام وقد ندموا غاية الندم وساروا وما زالوا سائرين يقطعون البر والآكام حتى التقاهم عمرو بن معدى كرب بأربعة آلاف فارس وهو سائر بهم الى نصرة الملك النعمان ولما رآهم ذو الخمار أنفذ بعض أصحابه

اليهم فساروا وأتى بالخبر وحدثه في أي سبب هم سائرون فتعجب من ذلك وقال وحق الملك الديان هذا أمر وقد
جرى على الملك النعمان والا فما كان استنجد بالعربان ولو لم يكونوا هؤلاء سائرين الى خدمته لكنت أخذت
أسلابهم وضربت رقابهم ولكن نحن محتاجون اليه لاجل أن نصلح أمرنا ولا سيما اذا لحقناه وهو في شدة
وكشفناها عنه ثم عدل الى ابن معدي كرب وترجل كل واحد منهما الى صاحبه وسلم عليه وأخذوا أخبار
بعضهم بعضا وبعد ذلك قال ذو الخمار يا وجه العرب ما الذي أحدثه الملك النعمان من الامور حتى أنفذ يطلب
أبطال الحلل والعشائر فقال له عمرو والله ما سمعنا خبرا صحيحا الا قيل لنا ان عساكر الشام قد ظهرت الى
الحجاز في خلق عظيم وان النعمان سائر الى لقائهم وهذا ما سمعنا من النجابين وبعد هذا فما ندري ما قد جرى
فلما سمع ذو الخمار ذلك قال اذا كان الامر على هذا الحال فنحن نسير معكم ونحظى بخدمته ونرد عساكر الشام
وننهب أموالها ونكسرها ونقتل رجالها لاننا دخلنا في هذه المرة الى أرض في طلب شيء من النوق والجمال
فما عاد معنا منها عقال بل صار أهلها كلما عاودناهم يتحصنون منا في الجبال والشعاب والتلال وما كان
ذو الخمار قال ذلك المقال الا ليستر أحواله حتى لا يقال انه قبح على دريد وحسد عنترا على ما أعطي من
الفروسية والشجاعة والبراعة قال وسار الجميع طالبين الحيرة وقد فرح عمرو بن معدي كرب بصاحبة
ذي الخمار فكان كل من لاقاه يسأله عن الاخبار فيسمعون عن النعمان أخبارا مختلفة وأخبارا غير مؤتلفة
وما زالوا على ذلك حتى أشرفوا على أرض النجف وصحت لهم الاخبار وعاينوا الديار وسألوهم عن النعمان
فأخبرهم أهل الحيرة انه انكسر عسكره كسرة عظيمة وهرب الى المدائن وطلب حماية كسرى فلما سمعوا
هذه الاخبار وقعت بهم الحسرة والانبهار وقالوا ما بقي في الامر الا أخذ الراحة والمسير خلف هذا العسكر والا
ملكت عبدة الصلبان سائر الاقطار ويبعد علينا الملك كسرى ثم نزلوا هنالك وأراحوا الى وقت السحر وعولوا
على الرحيل وفي ذلك الوقت وصل حجار بن عامر فارس بني كندة ومعه ستة آلاف بطل يضرب بها المثل فلما
رأوه ركبوا الى لقاه وسلموا عليه وقال له ذو الخمار لا تنزل بقومك فان الدولة قد تبددت والامور عن الراحة قد
اشتغلت ثم قص عليه القصة وجميع ما جرى من الامر فصارت عيناه مثل لظى الجمر ونادوا واحرباه كيف
ما لحقنا عساكر الشام في هذه الديار حتى كنا أروينا منهم السيف البتار ثم سار هو ورجاله على حالهم ولم
ينزل رجاله لانه كان يحب الملك النعمان وكان فارسا لا يلتقى في الميدان وله نخوة وذمام وكرم وصدق لسان
فركض وركض معه عمرو بن معدي كرب وذو الخمار هو وسبيع بن الحارث البطل المغوار وقد سار في
عشرة آلاف فارس كرار وأرادوا أن يلحقوا عساكر الشام ويرموا أرواحهم عليهم فما لحقوهم الا خارج
المدائن وهم في قتال الملك كسرى وقد ضيقوا عليهم الاقطار وأشرفت عساكره على الهرب والفرار فحملوا
حملة صادقة بعد ما ركبوا الخيول السابقة وصاحوا بأصوات مثل الرعود ونهموا مثل ما تنهم الاسود وطعنوا
بأسنة رماحهم للصدور وضربوا بشفار سيوفهم النحور وعمل كل فارس منهم كما يعمل الجيش الحافل وفرجوا
عن عساكر كسرى بعض البلاء النازل وتصايحت أيضا جيوش الديالم والاعجام وعادت أرواحهم الى الاجسام
وعمل الحسام في الهام واختلفت بينهم رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت
عروس الحرب على الاقدام وانتثرت عليها جماجم الكرام وما زال السيف يعمل والدم ينهمل والرجال
تقتل ونار الحرب تشتعل حتى أقبل الليل المسبل وانفصلت الطوائف بعد ما خفيت مواقع الاقدام وعادت
الفرسان تخوض في بطون القتلى وتخب في سيول الدماء وقد تلقاهم الملك النعمان بالخلع والجنائب وفرح
بهم فرحة قدوم الغائب على الحبائب وشكرهم على فعالهم وقال لهم يا وجوه العرب لولا قدومكم في هذه
الطائفة الحميه كنا هلكنا بالكلية واندرست الدولة الكسروية وقد ملكت هذه البلاد عساكر النصرانيه
وما كنا نريد الانجدة أخرى مثل نجدتكم وسرية مثل سريتكم تأتينا وقد حمينا نفوسنا الى أن تقدم عساكر
خراسان علينا ثم شرح لهم ما جرى عليهم من الانكاد وان أخوته في الاسر مع أهل الزنار فقال له عمرو والله

يا ملك ما سمعنا ان صاحب الشام دخل الى أرض الحجاز في هذه العودة وما كنا سمعنا بعساكر الافرنج وما
كنا تواتينا ولا تركنا أحدا من الفرسان في ديارنا الا وقد أتينا به الى ها هنا فاخوتك في أي وجه وقعوا في الاسر
وكيف وقع بهم عبدة الصلبان فقال الاصل في ذلك ان بني فزارة أتوا في ساداتهم مع الربيع بن زياد وشكوا الى
أمور جرت لهم مع عنتر بن شداد وظنوا انه التجأ الى دريد بن الصمة وانهما قد اتفقا على قلع مملكتي وأخذ
مكاني فقدمت اخوتي على عساكر العراق وسيرتهم اليهم ايجاز وهم على فعالهم وما بلغني من أقوالهم
فوافق وصولهم ظهور عساكر الشام وعبدة الصلبان ونافقت بنو فزارة عليهم لاجل ما بينهم وبين بني عبس
وأخذوا الجميع وقتلوا من أصحابي خلقا كثيرا وما عاد منهم الا جمع يسير وكل ما جرى علينا من الانكاد انما هو
لمعاداتنا لعنتر بن شداد فقال ذو الخمار وحق الرب القديم أيها الملك صدقت لان عنترا له حظ وسعادة ما وصل اليها
أحد من الفرسان وما عاداه أحد الا وتعثر باذيال الحرمان والذل والهوان وقد جرى لي معه أمور ما أشرحها
لك الا في وقتها وأما هذه العساكر الذين حلت همها فنحن نداريها يوما بالقتال ويوما بالبراز حتى تأتينا
عساكر خراسان وقبائل الحجاز ثم نزلوا من وقتهم وتشاوروا في ذلك ونزلت أيضا طوائف النصرانية
وهم متعجبون من قتال ذي الخمار وما فعل حجار وحملات عمرو بن معدي كرب تحت الغبار قال فجمع
ملك الشام خواصه عند نزوله وقال وحق الملك الجبار ان فرسان هذه الارض لم يقع عليها عيار ولو ان معي
عشرة منهم ينصرون دين المسيح لكنت فتحت بها سائر الامصار فقال سنان يا ملك اعلم أن أفرس ما في
هذه الجموع ذو الخمار وهو أشجعهم الذي وصل اليوم مع الطائفة التي أتت نجدة للنعمان لان العرب تحسبه
بسبعة آلاف فارس من جمعة العربان وهذان الفارسان الآخران اللذان معه يقاربانه في الشجاعة وأنا أعلم
أنهم عند الصباح يخرجون الى البراز والقتال ويطلبون الخداع بذلك المقال الى أن تصل عساكر اليمن
الى النعمان وتصل الى كسرى عساكر ويكثر العدد ويرجعون القبائل من هذه الديار بلا فائدة والرأي
عندي أنكم تبادروا الاعداء في غداة غد وتحملوا عليهم بهذه الجموع من كل جانب ومكان لعلكم تملكون
هذه الديار والاطلال فقال الحارث وحق الصليب يا سنان ما ذكرت الا نعم الرأي وما يجود عنه الا جاهل
مغبون لاننا ما عندنا نحن من يطلب البراز الا طائفة الافرنج لانه شغلها ونحن اذا رأيناهم يريدون أن يفعلوا
ذلك منعناهم عنه ولا نملكهم ونحمل بجمعنا على من يبرز من هؤلاء الفرسان ونطلب الانجاز والا
وقعنا في الخسران فقال سنان هذا الذي أريد وان كنتم ما تفعلون بهذا الرأي ولا لكم فيه غرض ويعسر عليكم
فتح هذا البلد فانا أشير عليكم بما قد خطر في سري وأدبر لكم تدبيرا تأخذون به النعمان وكسرى ولا أزال
حتى أجلس الملك الرجيم قيصر في هذا الايوان وأملكه بلاد خراسان ثم باتوا على مثل ذلك وبات الحلجان
ملك الافرنج أيضا متعجبا من فرسان العرب وهو يقول لخياله ان لم نتول نحن أمر القتال والا طال بنا
المطال لاني أرى الروم عن الجهاد مقصرين وعن طاعة المسيح ومريم قاعدين ﴿قال أبو عبيدة﴾ وما زالت
الطوائف على مثل ذلك حتى مضى الليل بسواده الحالك وتبادرت الخيول واعتدلت المواكب عرضا وطول
ولمعت شفار النصول وقلقت الاشباح والارواح وخفقت بيارق أسنة الرماح وشرعت الرجال في أمر
الكفاح وتقدم ذلك اليوم النعمان وقد اشتد ظهره وقويت عزيمته بشجعان العرب وكان قد ترك في الميمنة
ذا الخمار وقواه بجمع كثير من الديلم وترك في الميسرة عمرو بن معدي كرب وبني زبيد ومعه طائفة من العجم
وأوقف في القلب حجار بن عامر وبني كندة وخواص الدولة الكسروية ولما خفقت الاعلام واشتد الزحام
وقل بينهم الكلام برز ذو الخمار الى الميدان وقارب بيارق الافرنج والصلبان وطلب براز الخيالة والفرسان
وكذلك فعل حجار بن عامر مع الروم وعمرو بن معدي كرب مع بني غسان وما فيهم الا من طلب الانصاف
والبراز ووجهوا حملاتهم الى الاعداء مع المعاضدة والاجتهاد وكانوا يخرجون اليهم من تحت الاعلام والبنود
وهم يفترسونهم افتراس الاسود بطعن لا تهتدي اليه الاوهام ولا تعرفه الافرنج ولا عساكر الشام ﴿قال

الراوى ﴾ وقد بلغنى فى الاخبار انه ما قرب فى ذلك اليوم نصف النهار حتى قتل كل واحد منهم ما ينيف على مائة فارس كرار ولكن ذو الخمار كان أوفى عيار وأثقل معيار لانه قتل من الخيالة مائة فارس تلتقى عسكرا جرار وأبصر ملكهم هذه الفعال فصارت عيناه مثل لهيب النار وزعق زعقة دوت لها الاقطار وهم أن يخرج من تحت الاعلام والصلبان ويحمل على ذى الخمار فغدرت بنو فزارة بعمرو بن معدى كرب الزبيدى وصاح فيهم سنان فحملوا من كل جانب وسدت عليهم الطرق والمذاهب ورأى بنو زبيد ما قد جرى على فارسهم فحملوا يطلبون خلاصه من مخاليب الحمام فحملت أيضا عساكر الشام وتتابعت مثل قطع الغمام وحملت أيضا طوائف الروم على حجار بغير أمر الملك قيصر وعلا لهم صياح يفلق الاحجار وعلم بذلك ذو الخمار فخاف على نفسه من البوار وخافت خيالة الافرنج أن يفوتها بعد قتل أبطالها وساداتها فاقبلت بقنطارياتها مثل ثنايا الجبال على ظهور صافناتها وصاح النعمان أيضا فى طوائف العرب والعجم ونادت الفرس والديلم فتقدم الملك كسرى وعلى رأسه علم كبير على صورة ثعبان وعلى رأسه ازدهار يظله من حر الشمس والنهار وأوقدت بيوت النيران وطلع الغبار والدخان وركضت الخيل حتى ارتجت سائر الاقطار وتقلقلت الجن تحت القرار وارتاعت الشياطين والعمار وندمت الرجال على فوات الاعمار وجرت الدماء وسالت مثل الانهار وباحت القلوب وهتكت الاسرار وهانت المنية على الفارس الكرار وولى الجبان يطلب الفرار وبرقت السيوف واشتد العيار وما أتى وقت المسا الا وعساكر الفرس ضعفت وتضعضعت وعادت الى ورائها واندفعت لان العدد كثير عليها وزاد عن حد القياس فصدمتها مواكب وكتائب مختلفة الاجناس وأسر عمرو بن معدى كرب الزبيدى بغدر بنى فزارة لان أصحابه وقت الحملة ما وصلوا اليه الا وحوله بحر فياض وموج من الصوارم والاسنة لا ينسلك ولا يخاض فقاتل أحسن قتال وهو يدافع عن نفسه حتى وقع به التعب والنصب والملل وقد قتل جمعا كثيرا من الابطال وانه لما أخذ أسيرا كان قد أقبل الليل الحالك بسواده وقد جرح وقتل جواده وأخذ بعد ذلك أسيرا وشدوا وثاقه وأما حجار بن عامر فان بنى كندة وصلت اليه وقد أشرف على التلف من الجروح والهلاك فعاونوه وقاتلوا معه حتى خلص بعد الحرب الشديد والنار التى زادت عن حد اللهيب والوقيد وكذلك ذو الخمار فعل ذلك اليوم فى الافرنج والخيالة لما لحقوه فعالا يبقى ذكرها ما بقى الليل والنهار وقتل من الخيالة فرسانا لا يقع عليها عيار وتخلص بشدته وقوته وشجاعته وسعادته وانفساح مدته ولولا ذلك كانت الافرنج أفنت عساكر كسرى وبددتها فى الاقطار لان الطوائف قد انفصلت عند الظلام ونزلت فى الخيام وفى قلب خليجان ملك البحر من ذى الخمار نار لا يخمد لها شرار لانه كان جبارا لا يصطلى له بنار وما كان على وجه الارض من يقف قدامه ولا يقابله اذا سل حسامه فحلف بالصليب والانجيل انه لا يترك عند الصباح أحدا يحمل ولا يثير غبارا حتى يبارز ذا الخمار ويأخذ لفرسانه منه بالثار وبات وهو لا يصدق أنه يرى النهار هذا وسنان بن أبى حارثة قد ارتفعت منزلته عند صاحب دمشق لاجل أخذه لعمرو بن معدى كرب ولاجل ما ظهر منه من الغدر والفضيحة فوعده أن يجعله خليفة على أرض الشام ومقدم جيشه كلما رحل أو أقام ففرح بذلك سنان وصرف همته الى الحيل والتدبير ووعد حصن بن حذيفة أن يجعله ملكا كبير وقد أصبح الصباح على الخلائق وبان الباطل من الحق وركبت الجموع ولمعت الدروع وترتبت المواكب والفرق ولمع صارف المنايا وبرق وأرادت العساكر أن تحمل على بعضها بعض فظهر ذو الخمار فى الميمنة وطلب البراز وكذلك فعل حجار فى الميسرة والسبب فى ذلك ان النعمان كان ضاق صدره لاجل أسر عمرو فارس بنى زبيد وشكا ذلك الى حجار وذى الخمار من قلة الجماعة والانصار وقال لهما انتما تعلمان ما قد بلى به الملك العادل كسرى وما قد تم علينا فى هذا العام من الاعدا وما بقى لنا من نعتمد عليه غيركما فان أنتما حميتما هذه الدولة الكسروية الى أن تقبل العساكر من أرض خراسان حكمتكما فى سائر القبائل والحلل ويصير أمركما نافذا فى سائر السهل والجبل وتكون خزائنى وخزائن كسرى مباحة لكما ما بقى الزمان

والهدايا تأتيكما من فرسان العرب وملوك خراسان ويكون مثلى خلفكما فى كل وقت وأوان ومازال على مثل ذلك حتى هان على ذى الخمار وحجار المهالك ووعداه بابذال المجهود ثم ان انقاذه من العدم الى الوجود وأخذ ذو الخمار يشرح قصته للنعمان بما جرى له فى بلاد اليمن مع دريد وعنتر فاخبره بذلك وقال له يا ملك أما أنت فسبب اصلاح حالى على يدك فقال له النعمان لك ذلك ثم قال له والله أنا قد سمعت فى دريد كلاما وانه عثمان على فانفذت اخوتى اليه فاخذتهم عبدة الصلبان وكان كل ما سمعته عنه زورا وبهتانا وانه الى اليوم على عثمان والا فما كان قعد عن نصرتى ولا بد أن أنفذ اليه وأصلح بينكما أيضا ففرح ذو الخمار بذلك وخرج هو وأصحابه عند اقبال النهار فطلب البراز هو وحجار ولكن لم يبرز واحد منهم لما عن أصحابه فزعا ممن جرى عليه فى اليوم الماضى ﴿قال الراوى﴾ هذا وسنان قد رأى هذا الحال فنبه بنى فزارة للغدر والقتال وطلب بذلك انجاز الاشغال فبينما هو على مثل ذلك واذا بعساكر الافرنج انتشرت حول الصفوف انتشار الليل وردت الفرسان عن الحملة وضربت وجوه الخيل وأمرتها بالمهلة والوقوف حتى يأتى مقدمهم يأخذ الاذن من ملك الروم فى البراز لما انه قد تقدم الخيالجان المقدم عليهم ثم أقبل وهو يقول أنا قلبى مشغول على ذى الخمار وكان حوله جماعة من الفرسان وهو على جواد ضامر من خيول الجزائر وهو يموج كموج البحر الزاخر وفى يده طارقة خودية ومعه قنطارية قوية وعلى صدره زردية سوداء هندية ولكنها عتيقة سليمانية ﴿يا سادة﴾ وكان لهذا الجبار اخوان آخران معه فى العسكر وكانا يقاربانه فى الفروسية وكلهم يتعانون للبس السواد والزهد ومن أجل ذلك هجروا النساء والاولاد وخرجوا الى هذه البلاد وكان هذا الشيطان أشدهم باسا وأقواهم مراسا وهو الذى ملك جزائر البحر وتقوى على أصحابها وأخذها بالسيف قهرا فحمل على ذى الخمار وعيناه تلعب فى أم رأسه مثل شعل النار اذا علقت فى الكبريت وهو مثل العفريت الذى يسكن فى القفار ﴿قال الراوى﴾ وقد علا الصياح من الفارسين واختلفا فى الكلام لاجل اختلاف الجنسين ولعبا بالرماح بعد الصياح وكثر الضرب وازدفر حتى انقلب الصبر ونزور لان هذا فارس البحر وهذا فارس البر فحير والابصار الى أن عبر نصف النهار وزاد الغيظ بذى الخمار لانه رأى بين يديه فارسا جبار ما كان يقول انه يلقى مثله فى الاقطار فجد فى طلبه حتى أضجره وأتعبه ولما رأى منه التقصير قاربه الا أنه ما رآه على تلك الحالة حتى طارت عوامل الرماح وما بقى فى أيديهما ما ينفع للطعن فرمياها وعادا الى السيوف فتلاطما بها حتى تضايقت عليهما الصفوف وأبصرت اخوته من أخيهم التقصير والنقصان فخافوا عليه من الهلاك وكان اسم الواحد منهما كوبرت والآخر موبرت فتصوروا فى أنفسهما قتل ذو الخمار براءة من النار وشرفا لدين المسيح وفخار ولما تصوراهم ذلك حملا من اليمين والشمال على خيول أسرع من ريح الشمال الا أنهما ما أدركا أخاهما الا وهو مجروح وفوق الارض مطروح لان ذا الخمار حين رأى منه التقصير ضربه ضربة عظيمة فقطعت الطارقة وجرحته جرحا موثقا ووقع الى الارض من خوف الموت والحمام وقد صار النهار فى عينه مثل الظلام وعول ذو الخمار على أن يثنى عليه ويقتله فادركه اخوته وقد طعناه طعنتين صائبتين وكانتا أخف من نظر العين فوقعت الواحدة فى جواده والاخرى فى أضلاعه فوقع وانقلب الجواد من تحته وانصرع ولما أبصر النعمان الى هذه الامور تعوذ بالنار والنور وعض على راحتيه أسفا وندما وصاح فى طوائف العجم وقال وحق النار من خلص اليوم ذا الخمار بلغته ما يختار فعندها ألقت الرجال نفسها الى الهلاك والممات وحملت عساكر تلك النصرانية من سائر الجهات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور الفرسان والسادات وارتعدت الابدان من شدة الاهوال الحادثات وندم الجبان على الثبات وأخذ الشجاع الحيرة والانبهات وتطايرت الجماجم بضراب السيوف المرهفات وانصمت المسامع لما سمعت من اللغات المختلفات فكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصفات الا أن الليل ما نشر على الارض رايات الاعتكار حتى رد الافرنج عساكر كسرى الى الاسوار وأخذوا ذا الخمار وشدوه وأركبوه على بعض الجنائب وعادت الى الخيام والمضارب ولما نزلوا أخذوا الراحة من كرب الغبار وشاوروا أصحابه فى قتل

ذي الخمار فقالوا لا وحق المسيح والزنار ما يستاهل مثل هذا الفارس أن يقتل قتل المين ولكن شدوا جراحه
وأقرنوه الى أصحابه حتى تفتح هذه البلد وندعوا كل من فيها الى طاعة الملك ومن تنصر قبلناه ومن أبى قتلناه
ففرح اخوته بما أمر وفرحوا بسلامته بعد الضير والخطر ﴿قال الراوي﴾ ومن الغد قاتلت عساكر كسرى
من خلف الاسوار واحتمت بالجدار وصبرت على طول الحصار وكان الملك كسرى والنعمان على أن
يعبروا بالناس الى الجانب الآخر ويقطعوا الجسور والمعابر لولا بنو كندة وجبار بن عامر فانه اصطلى نار الحرب
بنفسه وصبر على مرارة الطعن والضرب وضبط المكان عشرين يوما ليلا ونهارا وبعد ذلك تعبت رجال الشام
وقد نقبوا البلد واجتمعوا على ذلك النقب وعولوا على الدخول وأخذ المدائن وأيقن كسرى بالهلاك والبوار
ورأى نفسه في الهوان وأبطأت عليه عساكر خراسان وقال له الملك النعمان ما بقي غير العبور الى الجانب
والصبر على نوائب الزمان الى ان يأتينا الفرج والا يزداد علينا الضيق والحرج فقال كسرى وحق النار
والنور لا طاوعتكم على العبور حتى أخرج عند الصباح الى الميدان وأطلب البراز من ملك عبدة الصلبان
بعد ما أشرط عليه وأوعده وأقول له ان أنت أسرتني سلمت اليك كل ما أملك من بلاد بعيد وقريب ودخلت
في ملتك وعبدت الصليب وان أنا نصرت عليك فارحل بهذه الجيوش في هذا العام وأورد عليك جميع
ما أردت من المال والانعام وهذا الامر لا بد لي من فعاله فلا يلومني أحد ولا يضيع عليه مقاله ثم غلبه البكاء
فقام من بين يدي وزرائه وأكابر دولته ومشى حافيا على قدميه الى المعبد ودخل اليه ووقف يومي الى النار
بالسجود والموبذان الى جانبه يقرأ كلام المجوس ومشايخ النار يبخرون قدامه بالعود وهم ما بين قيام
وقعود والكل يدعون للملك بالنصر حتى لا يغير عليهم المعبود ﴿قال الراوي﴾ وكان النعمان قد أوجعه قلبه
على كسرى من حين ما سمع المقال الذي قاله ورأى فعاله وتركه على حاله وتبتل لحفظ البلد وحرس الاسوار
وبنو كندة وجبار وطوائف الاعجام والديلم وما زالوا على مثل ذلك حتى أقبل النهار وتشعشعت الانوار وانبسطت
الشمس في الفلوات والقفار وخرج الملك كسرى من بيت النار وعول على الركوب والخروج الى ما قد ذكر
وعول عليه واذا بالنعمان قد أتى اليه وخدم وسلم وقال أيها الملك قد أتانا رسول من ملك الروم يطلب
الحضور الى بين يديك ويذكر أن معه رسالة توجب الصلح ويريد أن يقصها عليك فلما سمع كسرى ذلك
تعجب غاية العجب وقال من يكون في هذا العسكر الجرار وهو قد أشرف على أخذ هذه البلاد والديار وقد علم
أننا قد أشرفنا على الهلاك من ضيق الحصار فكيف ينفذ يطلب منا الصلح فقال الموبذان شيخ النار اعلم ان
الرب القديم قد أراهم آية من الآيات وشيأ من الاسباب وقد ألقى الرعب في قلوبهم خوفا من العذاب لانهم قد
أتوا يمحون ملة قديمة صحيحة الاعتقاد ويظهرون دينا باطلا كثير الفساد فقال كسرى ان كان طلبهم الصلح
من هذا الباب فيجوز أن تحضر الرسول حتى نسمع ما يقول ثم جلس على سريره وكان من الفضة البيضاء
ولبس ثياب الرضا ووضع التاج على رأسه والاكليل على جبهته ودارت به الحجاب والمرازبة بالثياب
الديباج والسيوف المحلات بالذهب الوهاج وأدخل النعمان الرسول الى بين يديه وكان بطريقا عظيما ومعه
وزير صاحب دمشق فقبل الارض وخدم وقال أيها الملك ان قيصر ملك النصرانية يخدمك ويحلف بالايمان
ويمين ركب الاجساد وأودع فيها من الروح والنفس ما سار اليك باختياره وما حمله على هذا الا هذه الطائفة
الافرنجية التي خرجت من البحار ففزع من القسوس والرهبان لئلا تحرمه الاجر والثواب وسلم سرير ملكه
الى الافرنج والا فما كان نقض الايمان ولا غدر ولا خان والآن قد أشرف الملك الذي معه على الهلاك من
الجرح الذي جرحه له ذو الخمار وقد أنفذني اليك أطيب قلبك وأؤمنك على بلادك بشرط انك لا ترجع
تطالب منه ذمة ولا خراجا وهو يرحل عنك بهذا العسكر والجنود واذا وصلنا الى بلادنا وأمنا في أوطاننا أطلقنا
اخوة النعمان ومن قد أسرناه من القرائب والفرسان الا بني عبس وبني عامر وبني غطفان فان صاحبي
الحارث قد حلف انه لا يطلقهم حتى يتركهم شهرا في الحبوس ويذيقهم مرارة العذاب والبؤس وبعد ذلك
يطلقهم اذا أنفذ له قومهم وسألوه فيهم وأهدوا له شيأ من المال حتى يحلهم الآن النعمان يعلم ما قد عملوا من

القبيح في حقنا وما قتلوا من عباد المسيح ومعه منهم ها هنا فرسان لو أطلقهم أشغلوا بنا من جهلهم
لانهم يجمعون أنذال العربان ويلحقوهم الى أي مكان فلما سمع كسرى ذلك الكلام وقع به الانبهار وتصور
هذا في قلبه انه من صحة دينه ومن بركات النار ورأى أن الصلح أعظم الصواب فاجابه وقد انفرجت عن قلبه
الهموم ومن شدة فرحه فتح خزائنه وأخرج أموالا كثيرة وهدايا وتحفا وسير الجميع صحبة الوزير البزرجمهر
وأمره أن يستحلف ملك الروم بعد ما حلف الرسول وعاهده على الصلح وما أمسى المساء الا والرسول قد عاد
بالخلع للملك قيصر وسهل الامر وتيسر ودقت كاسات النصرانية بالرحيل والاستعجال وعاد ملك الروم من
على شاطئ الغدير كما أتى وكذلك صاحب دمشق طالب أرض الحيرة وبر الحجاز وهي الطريق التي أتى فيها وما
أصبح الصباح الا والدنيا قد خلت من تلك الخلائق حتى كأنه ما عبر بها عابر ولا ساق بها سائق وركب
ذلك اليوم كسرى والنعمان وخرجا في موكب كبير من خواص الفرسان وقد انفرجت عنهم
الهموم والاحزان ولما أبصروا آثار عساكر النصرانية قد اختلف في طريقين وسارت فرقتين فاعجبوا
من ذلك ومن كثرة تلك الخلائق فعادوا والنعمان يقول يا أصحابنا عبدة الصلبان ورحلوا عنا الا من أمر عظيم
وأكثر ظني ان بلادهم قد جرى عليها محنة ولا ما لرحيلهم وجه يا ساده ﴿قال الراوي﴾ وكان لرحيل عساكر
النصرانية عن الملك كسرى سبب وحديث يؤرخ ويكتب بالذهب لما فيه من العجب لانهم ليلة نقبوا سور
البلد وقت الصباح وصل الى الملك الحارث الوهاب في الليل خمس نجابة ودخلوا عليه في الظلام وبكوا بين يديه
بضجة وانتحاب بعد ما خرقوا الثياب وأرخوا العمائم في الرقاب فاندهش الملك وحار وسألهم عن حقيقة
الحال فقالوا يا ملك خربت بلاد الشام وهلك من فيها من الخواص والعوام وفتحت دمشق بالسيف
والحسام وتهدمت أبراجها وأبوابها وذبحت قسوسها ورهبانها وسبوا حريمك وأهلكوا عيالك ونهبت
خزائنك وأموالك ونقول انها بعدك قد نزل عليها القضاء وملكها شياطين الحجاز فبادر الامر قبل فوات
البدار والعودة من هذه الديار ولا تطمع في العراق فتخرج من يدك بلاد الشام وربما يسكنها عرب الحجاز
فلما سمع الحارث هذا الكلام صار النهار في عينه كالظلام وخيل له انه في منام فقال للذين أتوه بهذا الخبر
ومن هم هؤلاء الذين فعلوا هذه الفعال ومن أي العرب هم ومن هو المقدم عليهم من اللئام والانذال فقالوا
ما سمعنا لهم مقدم الا عنتر بن شداد ومعه عشرة آلاف فارس وهم له تبع ولكن كل واحد منهم اذا صاح في
ملك الموت انجزع واذا ضرب بحسامه الصخر انصدع فقال هذا هو الصحيح والخطأ مني أنا لاني سرت الى هذه
البلاد وخليت خلفي مثل هذا الشيطان قال والسبي الذي أنفذته من أرض الحجاز مع نادر بن غياث ايش
كان منه قالوا يا ملك السبي خلص ونادر قتل وما سلم من العشرة آلاف الذين كانوا معه الا القليل وكذلك بنو
فزارة الذين كانوا معهم مع ظعنهم وحريمهم وسار وأوا السبب في ذلك ابن غياث فانه وصل الى الاعناك وأنفذ
قدامه المبشر يبشر أخاك سنام بما قد وصل معه من المال والانعام ولما وصل البشير الى أخيك زين الاسوار
وضربت بوقات الفرح والاستبشار وخرج هو ومن كان عنده من الفرسان والاجناد وأتبعه الخواص
والعوام يريدون الفرجة على سبايا الاعداء وكان لهم يوم عظيم ما جرى قط مثله لان البلد خالية وما بقي فيها
أحد الا شيخ كبير أو عجوز زمنة طعنة ومشت الرجال أوفى من فرسخين وأما الخيالة فانها التقت السبي الى حد
يومين وهنوا بعضهم البعض وعولوا على العودة واذا قد طلع عليهم مقدار ألف فارس مثل الاسود على خيول
أخف من الطيور وركبوا في عارض البر حتى حادوهم وأطلقوا الاعنة وطلبوا أبواب دمشق ولما وصلوا
اليها افترقوا عليها وملكوها وكان أخوك ونادر قد ظنوا انهم من جلتهم ومن أصحابهم الى أن رأوهم وقد
فعلوا تلك الفعال وسبقوهم الى البلد وسمعوا صياحهم وهم داخل البلد فانكرهم وتحاروا وخلفهم جيش
يزيد عن عشرة آلاف فارس من الابطال وكان مسيرهم كالسيل اذا انحدر وركض خيلهم قد أقلب البر
الاقفر وهم ينادون يا لعبس يا لجشم أين تنجونه يا كلاب النصرانية بالاموال والحريم ثم انطبقوا عليهم
انطباق الليل وعلا ضوء النهار وأظلم الغسق وطعنوا فيهم طعنات بقوة وحنق وكان أصحابنا أوفى منهم

عددوا لكن لهم عليهم تفاوت عظيم فى الصبر والجلد وافترسوهم افتراس السباع الجياع وسقوا من دماهم الروابى والبقاع وما نجا منهم الا من كان فى أجله تأخير وصار الباقون بين قتيل وجريح وأسير وأما الرجال فانهم هلكوا بالسيف والحسام وبعد ذلك وصل الاعداء الى البلاد وملكوا خزائن الاموال وسبوا البنات والصبيان من أولاد النصارى وهدموا الكنائس وذبحوا القسوس فى الصوامع والقلال والذى سلم من الناس طلب أرض حوران وفيهم من تعلق بالجبال وتركوا الاولاد والنسوان ومضوا وقد كثر الحديث والكلام وما فيهم من ذاق منام أو شبع بطعام ﴿قال الراوى﴾ فزاد بالحارث الكمد واشتد به الخوف وأما سنان بن أبى حارثة فانه عض كفيه من الغيظ والندم والتهب فؤاده على أموال بنى فزارة والحريم وزاد به الكمد فشق ثيابه ولطم على رأسه وصار يصيح مالك يا عبد السوء لا لقاك الله خيرا ولا سقاك قطر الندى لانك أبدا تبدل الافراح بالاتراح والسرور بالقبور وأنا أعلم انه ما بقى من الفرسان الذين سيرناهم مع الاظعان أحد ثم قال للحارث ايش عولت أنت الآن تفعل يا ملك بعد هذه الاخبار قال ايش أعمل أقوم الى الملك الرجيم وأعيد عليه ما جرى وأحوجه الى العودة الى بلاد الشام لعلنا نلقى هذا العبد هناك ونجازيه على هذه الفعال ونخلص من يديه الاموال والعيال والا بقينا مثلا يضرب بنا الامثال فقال سنان هذا هو الصواب ولكن لا ترحلوا حتى تصالحوا الملك كسرى وتظهر واله انكم ندمتم على فعالكم وان رحلتم وعلم برحيلكم فانه يلحقكم بالعساكر والجنود ويستوفى منكم كل ما فعلتموه ولا سيما ان وصلت النجدة التى فى انتظارها من بلاد خراسان ويفزع الملك النعمان بجميع العربان ويأخذكم فى الطريق وأنتم سائرون نسير الخائف الفزعان وان التقانا عنتر بن شداد كان الهلاك الاكبر لانه على حالتين من أمره اما أن يأخذ أموالنا وعيالنا ويعود الى طريق الحجاز واما أن يأتى الغزاة ويطلب خلاص الفرسان وهم بنو عامر وبنو عبس لانهم حلفاؤه وأصدقاؤه وقد خاص حريمهم وأموالهم وأسراهم وأقل ما يكون القوم فى عشرين ألف فارس أو يزيدون فقال الحارث يا سنان فعلى هذا الحساب نريد عند عودتنا نقسم قسمين وأعود أنا الى طريق الحجاز كما أتيت واترك الملك الكبير يسير على شاطئ الفرات حتى لا يفوتنا العبد ابن الاماء ويوسع بأموالنا وحريمنا فى الصحراء فقال سنان بهذا أردت أن أشير عليك فكنت أنت الى الصواب أسبق فقال قم الساعة الى الملك الرجيم وأعلمه بهذا الامر العظيم ما دام أن الليل فيه رمق فعندها قام مقدم بنى غسان وفى قلبه مما قد سمع النيران وهو يحلف بالمسيح والصلبان انه لا تأنى ولا قصر عن هلاك عنتر وما زال حتى دخل على الملك قيصر فوجد عنده ملك الافرنج وجماعة من المقدمين الذين للخيالة وبطارقة الروم وهم يتشاورون ويدبرون فى الزحف على المدائن عند الصباح فحدثهم بما جرى وقص عليهم ما قدمناه فبقوا عند ذلك حيارى وفزع الملك قيصر على انطاكية لئلا يجرى عليها مثل ما جرى على دمشق وهى كرسى مملكته ودار عزه فاشتد به هذا الامر وقال للحارث يا ملك وحق نعمتك ما تأنيت عنه ولا قصرت أول خروجى من الديار الا لبنى عبس وسبيت كل من فيها من الرجال والنسوان وعنتر ما رقع فى يدى لانه من عظم سعادته كان غضبان على قومه وقد سار الى طائفة يقال لها بنو هوازن وسمعت أن ديارهم وعرة صعبة المسالك فخفت على أن أقضى فى طلبه الزمان وتسمع بظهورى قبائل العربان فتأتينى من كل جانب ومكان وتحترز لانفسها ولا أنال منها طائل فبادرت الحلل والقبائل وسرت الى بنى غطفان بعد أسرى لاخوة الملك النعمان وأتونى بأموالهم والرجال ونسائهم والاطفال فأطاعتنى بنو فزارة فى سائر بطونها وأشار على شيخها سنان بالمسير الى بنى عامر فوصلت الى كتابك مع النجابة يخبرونى بظهور الافرنج من البحار وطلبهم للجهاد ومسيرك أنت معهم الى هذه الديار والبلاد وتأمرنى بطلب الملك النعمان وأنا أكفيكم بمن معنا من العربان فقوى ظهرى بذلك واشتد عزمى ومضيت الى بنى عامر وقلعت آثارهم وسبيت صغارهم وكبارهم وجمعت السبى كله وسيرته الى بلادنا فى عشرة آلاف فارس وما برحت لهم حافظا وحارس حتى قلت انه قد وصل الى أرض الشام وبعد ذلك سرت الى الملك النعمان ففرقت الجموع الذين كان جمعهم وهرب من بين يدى وملكت بلاده وأتيت الى

خدمتك بعد أن عفوت عن العوام وأمنتهم على أموالهم وعيالهم وقلت ما دام ان الملك قد جد فى طلب هؤلاء الاقاليم وخرج فى هذا الجيش العظيم ما بقينا نلتفت الى بشر ولا نخاف من عنتر وما بقى فى أرض الحجاز أحد يظهر الآن يطيع دولتنا ويدخل فى شريعتنا وبعد هذا كله ما أدرى ما جرى من الاحكام ولا كيف وصلت هؤلاء العبيد الى أرض الشام ولا من أى طريق لحقوا سبايانا وقد سبقوهم بليال وأيام فقال ملك الروم الساعة ما بقى يمكننا المقام ولا بد لنا من الرحيل من هذه البلاد والاستدراك والا تعاظم الشر وزاد وخرج علينا أنذال العرب أهل القرى والبلاد وسبوا الذرارى والاولاد فقال ملك الافرنج ارحلوا أنتم الى بلادكم ودعونى أنا ههنا للجهاد ولا أريد منكم نصرة ولا اسعاد فقال قيصر لا تقعد أيها السيد واعلم ان هذه الديار ما تبقى هكذا خالية من السكان ولا بد ان تأتيها العساكر والعربان من كل مكان ونخاف عليك أن تنكسر وتضعف ملة الصلبان والصواب عودتنا الى هذه العرب الذين قد كسرت عزهم واذا فرغنا عدنا الى هؤلاء وبلغنا كلنا المنى وما دام عنتر عند بنى عبس سالما ما يكون لنا عيش هنىء ثم وعده بمثل هذه الاسباب حتى لان وأجاب ولما قوى عزم القوم على الرحيل أشار عليه ملك بنى غسان بمصالحة كسرى وحكى لهم ما أشار به سنان من قسمة العساكر قسمين ومسيرها فى طريقين حتى لا تفوت الاعداء وتوسع بحريمهم فى البيداء فقال ملك الروم هذا هو الصواب ففعل ما فعل وصالح الملك كسرى ورحل وقد أخذ أسارى بنى عامر وعمرو بن معدى كرب وذا الخمار معه فزعما من عرب الحجاز أن تجتمع على صاحبه الحارث ومنه تخلصهم ﴿قال الراوى﴾ وجرى من القصة ما جرى وعدنا الى سياقة الحديث الاول ومسير العساكر الافرنجية وعودتها من اقليم العراق فانها ما زالت تسير اسير الحثيث بلا هدو ولا قرار حتى عبرت أرض هيت وقاربت أرض القاصريات وهى خلجان وأنهار مثل الفرات فنزلوا عليها وباتوا فى طلب الراحة وكانوا قد وكلوا على الاسارى جماعة كثيرة من الروم والافرنج وهم الذين كانوا يسيرون بهم بالنهار فلما جن الليل والظلام ونامت العيون وتبدل القوم بعد تحريكهم بالسكون فقال ذو الخمار لعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وفرسان بنى عامر الى متى تسوقنا هؤلاء الكلاب سوق النساء ونرضى بالذل صباحا ومساء وهذا كله فزعا من الموت ورغبة فى الحياة قوموا بنا حتى نأخذ سيوف هؤلاء اللئام النيام وبعد أن نأخذها نضرب بها رقابهم ونشفى قلوبنا منهم ونطلب بعد ذلك النجاة والهرب ولا بد الى يسلم من يسلم ويعطب من يعطب فقال عامر بن الطفيل يا ذا الخمار وأى قرنان يشتهى هذا ويهواه والله لولا هذا الشداد والوثاق الذى قطع منا الاوصال والاعناق وكذلك قال عمرو بن معدى كرب فقال ذو الخمار أما أنا فقد قطعت أكتافى من حيث نزلوا لانه كان ضعيفا وقد همتنى نفسى ألف مرة أن أقوم وآخذ بعض هذه السيوف وأدافع به لولا هذا الجرح القاتل فأنا أحل الجميع وأرجع أقاتل معكم حتى انى أقع طريحا ثم صار يدنو من واحد بعد واحد ويحله ويقول له انت حل رفيقك وخلص صاحبك وقاتل عن نفسك ففعل وتقدم الى المتوكلين وكانوا فى السكر غارقين وأخذ له عدة على حسب ما اشتهى ثم تخطى رقاب النائمين وطلب هو ورفقاه الصحراء ﴿قال الراوى﴾ وما مضى من الليل ساعة حتى خلصوا الجماعة وصاروا فى البر على ظهور الخيل ومعهم فى القنطاريات الملداد والسيوف الحداد وكانوا نحو المائتى فارس منهم خمسون من سادات بنى عامر والباقى من أبطال الحلل والعشائر الا انهم لما أوسعوا فى البر انكرهم الخيل ووقع عليهم الصائح وانتبه الذين كانوا موكلين بهم وماج العسكر تحت الظلام وخرجت الخيالة من المضارب والخيام وسلت المرهفات الصفاح وطلبوا كلهم الصياح وقاتلوا الهار بين قتال الاسود فى البطاح وجاءتهم الفرسان من كل جانب وزاد الليل غبارا وضباب وانتشرت عن الفرسان الرقاب وانشقت أذيال الدجا وأبصر ذو الخمار الهلاك بعينه فأطلق عنانه نحو أرض العراق ونجا لانه من أهل الغدر والدها ومنه تعلمت شياطين العرب الخبث والدهاء وقاتلوا هؤلاء بعد لمحات الضحى لانهم على كل حال أبطال الهيجاء وأسود الفلاة لا سيما عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وعمرو بن معديكرب فانهم

اختاروا الهلاك وقاتلوا حتى أشرفوا على العطب والارتباك وفعلوا فعال من لا يخاف من هلكات العرب ولولا خيالة الافرنج ما كان أحد من الروم لحقهم واغنا لمعان الطوارق حيرهم وأبهرهم وأيقنوا بالهلاك وقتل منهم ثلاثون فارسا ودارت بالباقين المواكب ونهبتهم بالقنطاريات والقواضب وسدت في وجوههم المذاهب وترجل اليهم كل راكب ونادى ملك الروم يا ويلكم لا تهلكوهم وخذوهم أسارى حتى تشتفي بعذابهم قلوبنا مرة أخرى ﴿قال الراوي﴾ ومازل الملك يكثر من ذلك الكلام حتى طلع عليهم غبار وقتام وكان من ناحية أرض الشام أشد من سواد الليل فقال الملك أبصروا ما هذا الغبار فاني وحق المسيح أظنه هو الجيش الذي للعرب وقد سمعنا به انه خرب بلاد الشام وقد ساقهم المسيح الى هذا المكان لفراغ أعمارهم ثم ان الملك قيصر قال لملك الافرنج صح في خيالتك وقل لهم يسرعون في أخذ من بقي من هؤلاء بالسيف القرضاب وأنفذ النقباء الى باقي العسكر ليركب الى لقاء هذا الجيش الذي كنا له طالبين ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ركبت العساكر على الجرد السوابق ورفعت الاعلام والبيارق وضجت من المغارب والمشارق وانصمت المسامع من اختلاف الزعاق والصياح وقلعت الارواح فزعا من أسنة الرماح الخوارق وارتعدت الابدان لما لاح برق السيف البارق (يا سادة يا كرام) وكان هذا الجيش القادم هو الامير عنتر بن شداد ودريد بن الصمة واخوة الملك النعمان والعرب الذين كانوا معهم من بني هوازن وجشم وكان مع القوم طائفة قوية من عسكر العراق الذين أسروا مع اخوة الملك النعمان عمرو بن هند والملك الاسود الذي خلصهم عنتر ودريد من الشام وكان سبب الحاقه للسبي من أعجب الاسباب لانه لما كان التقاه الملك قيس وبكى بين يديه وقبل عذره وكان ذلك بواسطة دريد بن الصمة واتفق رأيهم على المسير الى أرض الشام خاف أموالهم وعيالهم وبني عمهم وأبطالهم فركبوا النجب وطردوا الخيل بين أيديهم فقطعوا القفار وكان تحتهم نجب ومهاري تسبق النجوم الدراري وجمازات أهون ما عليها قطع الفلوات ويقال انهم ساروا في سبعة أيام ما لا يسيره غيرهم في شهر كامل وكان سيرهم ليلا ونهارا ونومهم على الاقتاب لان فقد الحريم والاولاد منعهم عن الرقاد وأكل الزاد وشيبوب معهم هذا المسير يسبقهم ويأخذ أخبار الاحياء والقبائل وما زالوا على مثل ذلك حتى قال لهم في اليوم الثامن أبشروا يا موالي بالحاق الطلب وقلة التعب والنصب فالقوم بالامس رحلوا من الاعناك طالبين دمشق فاستريحوا أنتم في نهاركم هذا وعودوا الى ظهور الخيل واركضوا خلفهم فانكم تدركونهم في دون البلد فتحكمون فيهم بما تريدون فقال دريد لله درك يا شيبوب فوالله انك نعم المشير فقال الملك قيس بن زهير يا وجوه العرب اسمعوا مني ما أقول ودعونا نقطع من الاعداء الفروع والاصول ونبلغ منهم المنا ونفعل بهم أشام مما فعلوا بنا فقال عنتر وكيف ذلك فقال يا ابن العم ان هؤلاء القوم ما رحلوا من الاعناك الا وقد أنفذوا قدامهم بشيرا الى دمشق بوصولهم ويصف لهم ما معهم من النعم والاموال والسبايا والحريم ولا بد للبلدان يرج لاجل ذلك ويخرج كل من فيه من الخواص والعوام والفارس والراجل ويومون في البر ويلتقون القادمين من مسير يوم والرأي ان نجرد منا ألف فارس نسير في المقدمة طالبين ولا نظهر والهم حتى يشرفوا على المدينة ويروا هذا الحساب الذي حسبته ويصح لهم عند ذلك ويركضوا في عرض البر ويسبقوا الى الابواب ويملكوها ونأتي نحن فنبذل السيف في أعدائنا ونبدل أفراحهم أتراح ونقيم في ديارهم النواح ويصير ملكنا البلد بهذا السبب وأغنينا فرسان العرب الذين قد تعبت معنا من قلة الفضة والذهب * قال فلما سمع جماعته قوله أطاعوه وعلموا أنه صواب فقال مقري الوحش ما لهذه الامور غيري أنا أسير في المقدمة وأملك لكم الابواب لان البلاد بلادي وأنا أعرف بها منكم ثم نزلوا ذلك اليوم للراحة وتلك الليلة وعند السحر ركب مقري الوحش الجنيب وطلب من يسير معه على الترتيب فتواثب اليه الفرسان واعتدت معه الاقران وطلبوا المسير الى النهب لان العرب فيها الطمع لاسيما هذه الابطال الذين وقعت في مثل هذا الاقليم فسار معه من أصحاب دريد خفاف بن ندبة ودثار بن ورق وتمام الخمسمائة فارس وكذلك سار من بني عبس مثل عروة بن الورد ومالك بن قراد

ومقري الوحش وبقي عنتر ودريد بن الصمة مع باقي الجيش واتفق لهم ما أرادوا بهذا التدبير وخلصوا أموالهم ورجالهم ونساءهم وأطفالهم وكان ذلك شيأ كثيرا وكان الذي خلصوه من الفرسان ثمانية عشر ألفا سوى النسوان وملكوا دمشق بعدما أهلكوا خلقا بعدد الرمل وأسروا سامي بن أبي شمرخ الغساني أخو الحارث وبقي النهب يعمل في البلد خمسة أيام والنياق تساق في الاسواق سوق الاغنام لانهم جاهلية كاسود البيداء قد ظفروا بأموال الاعداء ﴿قال الراوي﴾ وبعد النهب عادوا الى الكنائس فخربوها والى الصوامع فهدموها وذبحوا القسوس والرهبان وأخذوا القناديل والستور والصلبان وقد أسروا جماعة من بني فزارة وصلبهم أخو النعمان على الاسوار وتركوا نساءهم مع جملة الجواري وخرجوا الى ظاهر البلد وقد تركوها فضائح وخلوا القتلى مطروحة في الازقة مثل البطائح ولما نزلوا في الخيام وتباشروا بالانعام واجتمع كل منهم باهلها وتقدمت كبشة أم عامر بن الطفيل الى عنتر ودريد بن الصمة وكان معها جماعة من نسوان بني عامر وقد بقوا في أرض العراق أسرى مع الحارث ثم بكين قدام دريد وسألنه أن يعاونهن على خلاصهن فطيب قلوبهن وقال نحن لا بد لنا من المسير الى أرض العراق في خدمة أخي النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من قد سار اليه مع ملك الروم من عباد الصلبان فعندها أنشدت أم عامر بن الطفيل بعد كلام دريد تقول هذه الابيات لعنتر بن شداد

أبا الفوارس ضاع الصبر والجلد * وانهد حيلي وذاب القلب والكبد
أنت الهمام الذي قد سل صارمه * يوم المدامع أنت الضيغم الاسد
أخوك عامر أضحى في القيود ولم * يجد له ناصرا يفديه يا سند
فانهض وخلصه يا من قد سما ورقى * أنت المفرج للكربات يا عضد
لا زلت في درج العلياء مرتقيا * وزال عنك العنا والهم والنكد

﴿قال الراوي﴾ فلما فرغت كبشة من شعرها تقدمت الى عنتر هي وجميع النسوان اللاتي كن معها وقد صار رجالهن أسرى مع الحارث الوهاب فبكين قدام عنتر وسألنه أن يعاونهن على خلاص رجالهن فطيب دريد وعنتر قلوبهن وقالوا لهن نحن لا بد لنا من المسير الى العراق في خدمة النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من سار اليه من عبدة الصلبان ونخوض في خلاص رجالكن على أي وجه كان (يا سادة) ثم ان عنتر بعد أن قال لكبشة أم عامر على ذلك وعدها بخلاص ولدها وقال لها أنا أحرص منك على خلاصه لانه أخي وصديقي وما فعلت هذه الفعال الا من أجله ثم بنوا أمرهم على مثل هذا وضموا السبي الذي وقع في أيديهم والاموال والحريم والعيال وسير الجميع الى أرض الحجاز مع خمسة آلاف فارس من الابطال وأرادوا أن يدخلوا بأنفسهم يطلبون أرض العراق على خيولهم فقط فقال لهم مقري الوحش قد شبعنا من مسير هذا البر ولاقينا منه ما كفانا والصواب أنكم لا تضيقوا طريقكم من ههنا بل تسير واصحى على بلد قيصر انطاكية حتى أغنيكم من الفضة والذهب ومن الجوار الروميات لتفتخروا بها على سائر العربان وبعد ذلك نقصد أرض باس وننهب ما هنالك من الديور والكنائس ونجعلها سفرة يتحدث بها في المجالس ويقصدها الشجعان والفوارس فقال الملك الاسود والله لقد أشرت بالصواب والرأي الذي لا يعاب لاننا نعلم ان ملك الروم قد خرب بلاد كسرى ونريد نحن أن نكافئه على فعاله ثم بنوا سيرهم على مثل ذلك وساروا مع مقري الوحش وكان عدد الجميع خمسة وعشرين ألفا الا أن البلاد بين أيديهم خالية ما فيها من يدافع ولا يمانع فنهبوا وخربوا وتركوا الديار بعدهم قفارا وأخذوا من بلاد انطاكية غلمانا وجوار أحسن من الشموس والاقمار وطلبوا بعد ذلك طريق الفلاة وقد بلغ كل واحد منهم مناه وقال عنتر بن شداد والله ان هذه سفرة تكفينا خمسين عام فلعن الله من لا يجعل غزواته الا على بلاد الشام فقال شيبوب طب نفسا وقر عينا يا ابن الام فما دام أني قد عرفت هذه البلاد سوف أريك ما أفعل بأبطالها (قال صاحب الحديث) وقد جدوا في مسيرهم حتى عبروا وادي فروه وأرض باس وساروا من الفرات فالتقوا بعساكر الروم في أرض الغادريات فلما أشرفوا عليهم

ارتفعت الاصوات وعلت الضجات وكان عنتر ودريد ومقرى الوحش فى المقدمة ومعهم الابطال الذين وصفنا والفرسان الذين نعتنا وعباد الصلبان حول عامر بن الطفيل وأصحابه مشتبكة والخيل حولهم مبادرة وهى معتركة فقال دريد ما حال هؤلاء يدل على خير وما هم الا قد وقع بينهم الخلاف لانهم خلق كثير وانى لاعجب كيف رجعوا عن أرض العراق وهم فى هذا الجيش الذى لا يحصى ولا يعرف له منتهى فقال عنتر أما رجوعهم فانى أقول ان أخبارنا قد وصلت اليهم وسمعوا بنا قد فعلنا فى بلادهم فعادوا الينا خوفا على بلادهم منا وأما هذا الصياح المنعقد عليهم فهو لا شك خلاف قد وقع بينهم كما قلنا أو ان بعض طماعة العرب تبعتهم تريد أن تنهب أموالهم وقد رجعوا الى قتالهم أو يكون بعض الاسارى قد هرب ولا بد ان أخرج فى ألف فارس من بنى عمى وآتيك بحقيقة الاخبار فقال دريد ما أنت الا قد هانت عليك الاخطار والا ما قلت أحمل فى الف فارس على هذا العسكر الجرار فقال عنتر يا أبا المنظر لا يهمك كثرة الاعداء من عبدة الصلبان فان العرب أثبت منهم جنان فقال دريد افعل ما تريد نحن نتبعك ونحميك من خلفك العجاج فعندها حمل عنتر ومقرى الوحش وعروة بن الورد وشداد بن قراد وتمام ألف فارس من أبطال بنى عبس الشداد وطلبوا مكان الصياح وقد جردوا الصفاح وقدموا قطع الرماح وكانت حملتهم كانها كرنافلما صار واتحت العجاج ودارت بهم الاعلاج ووقعوا فى بحر عجاج واحمرت نار الهياج وأبصر دريد وأصحابه ذلك الخبر المنكر ففزع على عنتر ودعا بدثار بن روق وخفاف بن ندبه ورتب معهم عشرة آلاف فارس وأمرهم بالحملة فى أثر عنتر فحملوا على الخيل الجياد وزعقوا زعقات تفتت الاكباد وطعنوا فيهم بالرماح المداد واشتد الامر وزاد وسالت الدماء على الاجساد وثارت الجماجم بالسيوف الحداد واشتكت البقاع من شدة القراع وافترق الشمل بعد الاجتماع وضاقت الارض بعد الاتساع وكثرت الآلام والاوجاع وتقسمت الابدان أثلاثا وأرباع ووصلت الاسنة الى الاضلاع وفر الجبان من هيبة الشجاع ونهمت السباع من حولهم والضباع ومازال دريد قائما حتى رأى الافرنج قد رفعت البيارق واستترت بالطوارق وقلبوا القنطاريات وخبت الجياد الصافنات وافترقت قسمين وسارت وحملت الفرقة الواحدة مع الروم اللئام والفرقة الاخرى طالبته وقصدت الاعلام ولما تحقق ذلك صاح فى باقى الجيش وحمل وبان الصواب من الزلل وعليهم العذاب قد نزل وقد بطلت الاسباب والحيل واختلف الطعن بالاسل وانتثرت الجماجم نثر الحرمل وفعل دريد فى ذلك اليوم فعل الجبابرة الاول لانه قاسى الاهوال وعرف نوائب الدهر الثقال وأما عنتر فانه حمل بالف فارس وخاض المعمعة وصار يقاتل ويطلب الصياح الذى سمعه ومازال يحمل فى صدور الخيل حتى قارب عامر بن الطفيل وسمع صياحه وعرفه وكان قد بقى من أصحابه أربعون وهلك الباقون والذين بقوا كانوا على الهلاك مشرفين لان خيلهم عطشت وعددهم فنيت وطلب بعضهم من بعض الوداع وقد بقى بينهم وبين الموت قدر باع أو ذراع وفى تلك الساعة قاربهم عنتر وعرف من أصواتهم ما أنكر وكان حولهم خلق كثير العدد مالهم حد ولا عدد فقال والله هلكت سادات بنى عامر وغرقوا فى بحر ماله أول ولا آخر ثم صاح فى رجاله وحمل فى الروم ففرق صفوفهم وأحزابهم وألوفهم وأطال عذابهم وطير قحوفهم وشق أعصابهم وطعن فى صدورهم وأجنابهم وسكر من ضرب السيوف وطعن الرماح كما يسكر شارب القداح ﴿قال الراوى﴾ وكانت فرسان الجاهلية اذا دام عليها الحرب وكثر عليها الطعن والضرب فانها تسكر وتقاتل وهى غائبة عن الوجود ولا سيما بنى عبس الاسود وفارسها عنتر الذى كانه الحجر الجلمود وضرباته وصيحاته تشبه الرعود وقد ذكر واحواله فى مقاله ووصف سكره فى شعره وقتاله ومن بعد ما أنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

اذا طرب الرجال على الاغانى * وغيب رشدهم خمر الدنان * فرشدى لا يغيبه مدام
ولا يفتالنى صوت المغانى * ولا يعتادنى طرب ويشفى * فؤادى غير ضرب الهندوانى
وأسكر كلما سكر الاعادى * ونادوا الامفر من الطعان * واطرب ان رأيت النقع عالى
وذلك شهوتى عند الرهان * أميل الى العجاج بعزم ليث * شديد البأس بالعضب اليمانى



وأروى من دما الابطال سيفى * ومن لبات خيلهم وسنانى * وكم من فارس أضحى جديلا
على الصحصاح مخضوب البنان * واقتحم الورى حتى ترانى * خضيبا بالدما كالارجوان
ورمحى شاهد لمقال صدق * ويخبركم بطعن الحصان * وأسد الغاب تخشى من ضرابى
وترعب خيفة لما ترانى * ولى سعد ونجم قد تعالى * على متن السها والفرقدان

﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر فى ذلك اليوم لما سمع صيحات بنى عامر ونداها وهى تئن من جور أعداها غابت عنه رؤية الارض والسما وبذل نفسه لاطراف القنا وما أفاق على روحه حتى ماجت من حواليه الدماء وجرت مثل ما يجرى الماء وقد هامت الروم على وجوهها من هول صفاته وهربت من بين يديه فزعا من ضرباته وقد وصل الى عامر بن الطفيل هو وأصحابه ونادى يهنيكم السلامة والفرج فتأنوا على أنفسكم من غير حرج ومن قدم منكم على جواد فليركب ويأخذ الراحة من التعب ويقر قراره ويهدأ بعد النصب ونحن ندافع عنكم الاعداء (يا ساده) وما كان فى القوم من بقى له جواد سالم الا عمرو بن معديكرب الزبيدى لانه حمى نفسه وجواده من العطب ولما أبصر عنتر وحققه عاد اليه ورحب ودنا منه واعتنقه وقال لله درك يا فارس العرب ويا مزيل الكرب لقد أتيتنا فى أضيق الاوقات وفرجت عنا الشدائد المفسدات وأحييتنا بعد الممات وكان عنتر قد سمع صوته وسمع منه ذلك المقال فعرفه وقال قد رأيتك يا أبا ثور وأنت من جملة الاسرى فايش الذى أوصلك الى هذا المكان فقال أتيت الى نصرة النعمان وكسرى فجرى علينا هذا المجرى فقال عنتر ابشر بالسلامه وحصول الراحة بعد الندامة فانا أشفى فؤادك من عباد الانجيل ثم ترك الجميع خلفه وقاتل عنهم الى أن وصلت العشرة آلاف فارس الذين كانوا وراءه مع خفاف بن ندبة ودثار بن روق ومقرى الوحش فقوى بهم على أعداه وما فيهم الا من نزل بالسيف حتى كلت يداه هذا وشيبوب يرعى أبطال بنى عامر ويرد عليهم الخيول الشاردة من أقطار الفلاه حتى ساروا كلهم فرسان وحملوا على طوائف الروم وعبدة الصلبان فقاتلوا قتال من ذاق الاسر والهوان وأما عمرو بن معديكرب فانه أظهر كل العجب وطعن وضرب حتى ترك الدماء حوله تسيل وكذلك عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة ومازال السيف يعمل بين الروم والعرب الى أن طار طائر الظلام ونشر أجنحة الغيهب وانفصلت الطوائف وأمن كل قلب خائف وسكنت تلك الرواجف هذا ودريد بن الصمة قد لقى من قتال الافرنج شدة شديدة وقتل من أصحابه ذلك اليوم جماعة تعز عليه ولولا الملك الاسود أخو النعمان حمل فى ألف فارس عند المساء وأعانه والا ما كانت طوائف الافرنج تخلت عنه ﴿قال الراوى﴾ ولما انفصلوا من بعضهم البعض نزلوا جنبات الارض وقد تركوا الدنيا ملآنة من القتلى زائدة عن الحد وعاد عنتر وعمرو بن معديكرب وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وتبادرت كذلك بنو عامر وقد جعل عنتر يذكر الوقعة التى جرت وهو يترنم ويقول صلوا على طه الرسول

اذا ما صد الغبار لنا رواقا * صفا كاس المنية لى وراقا * فتطربنى بروق البيض حتى
أهيم الى مضاربها اشتياقا * وأعشق للعوالى السمر عشقا * وغيرى يعشق البيض الرشاقا
أنا كاس المنية لى شراب * الذ بها صبوحا واغتباقا * وأطراف القنا الخطى ونقلى
وتفسح لى اذا الميدان ضاقا * جزى الله الاغر اليوم عنى * بما يجزى به الخيل العتاقا
كففت بصدره موج المنايا * فحمحم خيفة وشكا الفراقا * ولولا صارمى وسنان رمحى
لذاق الموت حقا لا نفاقا * ألا يا عبل لو عاينت طعنى * وخيل الروم تنطلق انطلاقا
لزدت مسرة وشكرت فعلى * حقيقا ما حدا الحادى وساقا * سلى سيفى ورمحى عن فعالى
هما فى الحرب كانا لى رفاقا * سقيتهما دما لو بات يسقى * به جبل اليمامة ما أفاقا
وكم من سيد خليت ملقى * يحرك فى الدما قدما وساقا * أنا العبدى الذى خبرت عنه
رعيت جمال قومى والنياقا * وبالسيف الصقيل علوت حقا * فغاب البدر واختار المحاقا
ومن هذا علوت وبان عزمى * ومجدى يخرق السبع الطباقا

﴿قال الراوي﴾ ولما استوفى عنتر هذه الابيات مالت العرب والسادات لها طربا وقال عمرو بن معد يكرب ان عنترا ما ترك لشاعر مقالا ولا لفارس قيمة ولا مقدارا فقال عنتر يا وجه العرب وحق من أوسع البيداء ما أقول هذا الشعر افتخارا على الفرسان وانما يجيء شيء على صدر الانسان فينطق به اللسان ثم قال لعامر بن الطفيل وأصحابه يا وجوه العرب نحن سمعنا في الحجاز عن عرب الشام ومتنصرة بني غسان انها أسرتكم وسبت حريمكم ونراكم مع الافرنج وما نرى معكم من عرب الشام أحدا ايش المعنى في ذلك اهل هؤلاء سمعوا بفعالي وهم في بلاد النعمان فقال عامر لا والله يا أبا الفوارس ما بقي في أرض العراق من هذه الطوائف لانهم لما سمعوا بفعالكم احتالوا على كسرى وصالحوه بعد ما كانوا حصروه وأشرفوا على أخذ المدائن وأرض العراق لان عساكر العراق والعجم كانت قد أبطأت عليه وبقي مشرفا على الهلاك وما بقي يصدق برحيلهم عنه ولما اصطلحوا وعولوا على الرحيل فزع ملك الروم أن يخالفكم في الطريق وتسيروا الى أرض الحجاز بأمواله وعياله فسار على الطريق كما أتى منها ولكنهم ساروا على الخيل جرائد بلا ثقل ولا عائق وسرنا مع هؤلاء الروم لاجل قرب المسافة وقلة المخافة وكان معنا ذو الخمار وهو مأسور مجروح فخاص نفسه وخلصنا في الليل وقاتل معنا حتى اقترب الصباح وأبصرنا الهلكة فهرب وراح ثم أعاد عليه قصته وما جرى له في أرض العراق فتعجب عنتر من هذه الامور وحار من حديث ذي الخمار وقال في نفسه يا ليت شعري ما جرى بعدنا في بلاد اليمن مع عمرو وبأي وجه قد عاد الى هذه البلاد ثم فزع على السبي وكانوا انفذوه الى أرضهم من بلاد الشام مع حريمهم وبني عمهم وقال لابد أن يرجع صاحب دمشق ويخلص سبي بلاده ويشفي من أصحابنا فؤاده ولقد ضاع تعبنا وساء منقلبنا ﴿قال الراوي﴾ فجرى على قلب الملك قيس ما لا يجري على قلب بشر وكذلك على أصحاب الربيع بن زياد وبني عبس وما فيهم الا من بكى على أهله وحريمه ونزل الجميع عند أخي النعمان ودريد بن الصمة وأعاد عنتر عليه ما سمع فضاق صدره وقل صبره وقال والله لقد وقعنا مع عباد الصلبان في أمور ما لها أواخر وضيعنا الزمان في شيء يفطر المرائر وما ظفرنا بطائل وان بني عامر أيضا حريمهم مع حريمنا وأموالهم مع أموالنا وما بقي في الامر الا اننا نحرص في أسر ملوك النصرانية وقد خاصنا بهم الجميع ولا يؤخذ منكم عقال ولا يضيع لانه الارض الشام ما بقينا نقدر نرجع وقد أتانا هذا البحر الزاخر وقد قربنا من بلاد العراق ولو رجعنا لاجتمع علينا مثل هؤلاء وأضعافهم وأشرفنا على التلاف فقال الجميع كل ما ذكرته يا دريد صواب ولكن كيف يكون التدبير عند الصباح في هذا الخلق الكثير حتى نحز أمرهم ونظفر بملوكهم فقال عنتر اذا اعتدلت الصفوف يخرج منها خمسون فارس يطلبون البراز فان برزوا أفنينا أبطالهم والمقدمين والفرسان وان كانوا ما يخرجوا الينا طلبناهم فارسا الفارس فان أبوا حملنا في باقي أصحابنا وطلبنا الاعلام واجتهدنا في أسر الملوك والخواص فيهون علينا الامر لاننا ان وقع ملك الروم في أيدينا وسار معنا الى أرض العراق خلصنا به العيال والاموال هذا ان كان الامر صحيحا وقد وقع بهم الحارث والا سلمناه الى الملك العادل كسرى يفعل به ما يشاء فقالوا هذا هو الرأي السديد ويجب أن نمتثل ونسمع ثم باتوا وقد بنوا أمرهم على مثل ذلك وفي قلوبهم النار على الاولاد والعيال ثم اصطفت صفوف الروم والافرنج فملأت الارض وقد ضيقت الآثار وكذلك فعلت طائفة العرب لما ولى النهار والغيهب الا أنهم في مثل مركب في لجج البحار أو القفل السائر في واسع القفار (قال أبو عبيدة) وأرادوا من عساكر النصرانية أن تحمل في سائر العساكر لاجل ما يأتي في قلوبهم من خلاص أسارى بني عامر فخرج دريد الى الميدان وتبعه عنتر مثل الاسد الغضبان وبرزمقري الوحش وعروة بن الورد وملاعب الاسنة والاحوص بن جعفر وخفاف بن ندبه ودثار بن روق وعمرو بن معد يكرب والربيع بن زياد وشداد ابن قراد وتمام الخمسين فارسا من فرسان الحجاز الذين ما فيهم الا من يلاقي ألف بطل اذا أنصف في البراز ولما صاروا بين الصفوف وقاربوا العساكر وجالوا عليهم ولعبوا بالرماح السمهرية وأبصروا بطارقة الروم والافرنج فما خفيت عليهم أفعالهم فخرج اليهم أمثالهم في عددهم وقد طمعوا في أخذ أسلابهم الان كل واحد منهم لما قارب خصمه ضربه طير رأسه عن جسمه وفيهم من طعن صاحبه قلبه على جانبه وحملت فرقة

أخرى فالتقوها بمن تقدم وفعلوا بهم مثل ما تفعل الذئاب بالغنم والنسور الكواسر بالرخم وتتابعت بعد ذلك اليهم الفرسان وقصدتهم الشجعان من تحت الاعلام والصلبان وما زالوا على مثل ذلك حتى انقضى النهار وأهلكوا خلقا ما لهم عيار ولا يقع عليهم آثار لانهم فرسان ما تقاس بالكواعب ولا تتساوى السباع بالثعالب ﴿قال الراوي﴾ وقد أبصرت طوائف النصرانية فعالهم فانبهتوا من قتالهم وقال ملك الروم قيصر لخيلجان ما ساءنا سوى قلة التدبير فنتدارك قضيتنا مع هؤلاء الانذال والا خسرنا وطال علينا المطال وانكسرنا الا انني أعرف شجاعة شياطين الحجاز وقد رأيت فعالهم في المعامع وفي البراز ومن أجلهم كنت أنا أهادي الملك كسرى والنعمان وأكف شرهم عن بلاد عبدة الصلبان لانهم ما فيهم فارس الا ويلاقي ألف بطل ويفرقهم بين السهل والجبل والرأي اننا ننفذ اليهم ونصالحهم ونتركهم يمضون الى بلادهم ونمضي نحن الى بلادنا والا أفنوا أبطالنا وبطارقتنا وأجنادنا وما نقتل منهم فارس حتى يقتل منا جمع كثير وهذا نقص في العقل والتدبير ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ملك البحر خيلجان هذا المقال زاد به الغيظ لاجل ما هلك من خيالته والابطال فقال للملك الروم وحق المسيح ما رأيك كله الا رياء وفساد لانك ما خرجت معنا على نية الجهاد ولا تبتغي الا خوفا من عتب القسوس والرهبان العباد ولاجل هذا رحلت عن ديار كسرى حتى لا تملك بعضها ونصير جوار في هذه الديار وأنا وحق المسيح ما أطيعك على هذا المقال أبدا ولا أصالح القوم ليكون لدين النصرانية أعدا فان شئت ان تصالحهم دعني أن أبذل المجهود في طاعة الوالد والمولود والا تقاتل أنت يوما وأنا يوم حتى تعلم أمة عيسى على من يقع العتب واللوم لانني أنا ما أرضى لنفسي بالذل والاعتراف لمن هو دوني بالعجز عن الكر والفر ولا أكون قد خرجت عن موطني وبلادي وهجرت نسواني وأولادي وأرجع بهذا الخلق والعدد وما فتحت قلعة ولا بلد ثم ولى بأعلامه وانعزل بمن معه من المواكب والفرسان وقال لهم اعلموا انني قد عولت أن أحمل بعساكري على هؤلاء واجتهد ان أكسر هؤلاء الرعاة في أقطار الفلاه وأعود الى هذا الملك الخامر الذي قد اشتغل عن آخرته بدنياه ولا أزال كذلك حتى أعجل قتله وأملك بعده بلاد المسيح وأظهر فيها العدل الصحيح والدين المليح وأريد منكم الدعاء الصالح وأريد أن تصلوا على صلاة الموت فقالوا له السمع والطاعة افعل ما بدا لك وصف هذه العساكر فنحن نعينك على هذا المخامر ثم داروا بالخيالة وصاروا يصلبون على وجوههم ويصلون عليهم ويحرضونهم على القتال وما زالوا على مثل ذلك حتى ضجوا من شدة شوقهم الى الجهاد (يا ساده) وكان شوقهم وزعاقهم يفطر المرائر والاكباد وصلوا من كل شعب وواد بآلة الحرب والطوارق والقنطاريات وكان الخمسون الذين قدمنا ذكرهم واقفين في الميدان ينظرون برازا الفرسان ولما رأوا عساكر النصرانية قد انقسمت قسمين حاروا في أمورهم قال عنتر بن شداد ما أقول الا ان أعدانا قد وقع بينهم الخلف وهم يريدون أن يقاتلوا جميعا أو عولوا يقاتلونا كل طائفة يوما والصواب اننا نختار لانفسنا من الجهتين ونقسم أصحابنا فرقتين وان رأيناهم قد اختلفوا دهمناهم بأجمعنا ونثرناهم بأطراف القنا كما يريدون ونفعل مثل ما يفعلون ثم عاد وقسم أصحابه قسمين وتقدم عنتر بخمسة عشر ألف فارس بإزائهم وترك الباقين حول أخي النعمان والملك قيس الا انه ما فرغ من هذا الترتيب حتى حملت الافرنج قبل الثبات ومدت أسنة القنطاريات بعد ما صلت عليهم القسوس والرهبان صلاة الاموات وقد رأى دريد هذه الفعال فالتقاهم في اليمين معه من الابطال واشتد بينهم القتال واصطفت الاقدام وبطل القيل والقال وحست الارواح بالانتقال فمال عليهم حمل الاثقال وهبت عليهم أرياح الصبا والشمال وزادت الحروب اشتعال وعملت فيها عوامل الرماح الطوال وحكمت فيهم السيوف الصقال وقد خسرت في وسط المجال ونيران حربها زادت اشتعال في أنابيب النحور والاوصال وطعان أسنتهم تسابق بفعالها الآجال وكان حرب أعدائهم لا يغني من جوع ولا يشفي غلال ﴿قال الراوي﴾ لهذا الكلام والمقال وقد جرى ذلك اليوم والناس على هذا المنوال وكانت الدماء

تجري كالغيث الهطال الافارس عبس وحاميها وموقد نارها وصطليها لانه هتك الاماس والطوارق والاعلام والبيارق وهد الاكتاف والمفارق وترك الجماجم تحت نعال الخيول السوابق والتقى بملك البحر وهو يجول ويحمل على العرب عرضا وطولا وله وجه مثل وجه الغول فصاح به صوت مهول وحمل عليه حملة جبار لاتصطلى له نار وطعنه في صدره خرج السنان يلمع من ظهره ولما أبصرت خيالة الافرنج صاحبها قتيل فمالت واضطربت وعلى وجوهها انقلبت وأطلقت على عنتر عواكبها وافواجها وجاءته الموت اذا فاجأ وكان معه مقري الوحش وأخوه شيبوب وعروة بن الورد وجماعة من رجاله فردت الافرنج عن الطعن رغما وهدمت بنيانها بصارم السيف هدما وفرت الروم من بين أيديهم هزما هذا وشيبوب قد قطع رأس المقدم وحطه على سنان العلم وعرفت عبدة الصلبان رأس المقدم خيلجان فوقع بهم الخذل وبلغ الخبر الى اخوته فدمدموا وبربروا ولطموا على وجوههما من شدة الاحزان وحملا يطلبان الثار وقد خفقا الالماس والدثار وكان بين أيديهما دريد بن الصمة في بني هوازن وبني جشم وما قاربوه حتى استقبل الكبير منهما وضربه على رأسه كسر بيضته فانزل السيف الى قفارته وطعن أخاه خفاف بن ندبة فقتله ونهبت فرسان العرب أرواحهم بشفار السيوف وقد أبصر ملك الروم ذلك اليوم من فرسان الحجاز ما قطع ظهره وحيره في أمره فلاجل ذلك ما حمل بعساكره ولا أعان فرسان البحر بل انعزل عنهم وترك السيف يعمل فيهم الى المساء لانه معول على الاصلاح وترك الحرب والكفاح ﴿قال الراوي﴾ وعند نزوله أحضر جماعة من خيالة الافرنج وقال لهم أتظنون اني اليوم تركت معاونتكم الا غيظا مني على ملككم لاني نهيته عن قتال هؤلاء القوم السباع الجياع فما انتهى لان أجله كان قد حضر وانقضى والآن فهذا أمر قد فات وقد عولت ان آخذكم معي الى بلادي وأساريكم بعسكري وأجنادي ومن أراد منكم الرواح الى دياره خلعت عليه وسيرته في المراكب ثم طيب قلوبهم وخلع عليهم وعلى رهبانهم وقسوسهم حتى لايقوموا عليه ويحرسوه من دين النصرانيه وعند الصباح أرسل الى طائفة العرب يطلب منهم الصلح ويقول الذي كان قد لح في قتالكم واحوجني الى معاداتكم قد راح وأنا ما رحلت من أرض العراق حتى صالحت الملك كسرى والملك النعمان وعقدت معهم عقد العهود والايمان وعفوت عنهم بعد القدرة عليهم وكذلك أنتم فعلتم بارض الشام وما عليكم عتب ولا ملام لاني علمت ان هذا الاجل حروب قد جرت بينكم وبين بني غسان والآن فقد رأيت من الرأي انكم تدعون الصلح مقيم وتسيرون الى بلادكم ولا تبغوا على من طلب اصلاح الشان لان عواقب البغي مذمومة ومدة الصلح بالاصلاح محروسة السلام ﴿قال الراوي﴾ وكان جيش العرب قد ركب عند الصباح وغاصت فرسانه في الحديد والسلاح وعولوا على ان يعملوا في الروم مثل ما عملوا بالافرنج فوصل اليهم الرسول وبلغهم الرساله وشرح لهم القضية من غير اطاله فقال عنتر هذا الصلح كيف يكون وصاحب دمشق سار الى أرض الحجاز بعساكر بني غسان يلتقي حريمنا وأموالنا ويردها الى بلاد الشام وحق زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام لا افترقنا منكم حتى تسيروا لوكم معنا الى أرض العراق وهم مربوطون في الوثاق أو أترك الارض غارقه من دماء الافرنج والبطارقه أيظن قيصر اننا ننخدع مثل ما انخدع الملك كسرى ونصالحه ونطلب منه الامان فزعا من عبدة الصلبان وهم بين أيدينا مثل الحريم والنسوان وهذا شيء لا نراه ولا نفرح به الا ان يعطينا خمسة آلاف سيد من سادات الروم نأخذهم معنا رهاين على أهلنا حتى لا يجري عليهم أمر من الامور اذا وقعوا في يد الحارث ملك بني غسان مرة أخرى ولا ينفذهم الينا الا وهم يخدمون ويكرمون مع الاموال والعيال وان لم يفعل ذلك والا ضربنا رقاب الرجال الرهاين الذين عندنا في الاعتقال وبعد ذلك كلنا نسير اليه والى بلاده بمن قد عرف من الابطال ونخلص حريمنا على رغم أنفه عنفا بصدور الرماح وضرب البيض الرقاق الصفاح ﴿قال الاصمعي وأبو عبيدة رحمهم الله تعالى﴾ ولما ان سمع الرسول من عنتر ذلك الكلام حار وقد وقع به الانبهار وقال يا وجه العرب هذا ما عندنا منه خبر وسوف أعود الى صاحبي وأعيد عليه ما قلته لي من المقال وانظر

ماذا يكون منه من الجواب وأدعه يدبر نفسه فيما يرى فيه الصواب ثم انه عاد من عندهم وسار الى ان أتى الى عند الملك قيصر وقد قص عليه الخبر فلما ان سمع من الرسول ذلك الجواب فزاد خوفه وفزعه ولم يدر ماذا يرد من الجواب أو يقول من الخطاب وقد علم انه مغلوب وقد ترادفت عليه الكروب ففزع أن يخرج من ملكه مسلوب فقال وحق المسيح لقد أتعبنا أنفسنا بانفسنا وكان ذلك كله منا وبايدينا بمعاداة هؤلاء العرب الذين هم لا يخافون من العطب ولا يفزعون من الموت اذا هو منهم قد دنا واقترب ثم انه جمع أرباب دولته وقد أعاد عليهم ما قد أتى له من الجواب ثم ان الملك قد شاورهم فيما يفعل فقالوا له ما الذي يحوجك أيها الملك أن تشاورنا خذ منا ما شئت واترك منا ما شئت عندهم ولو مكث ألف عام في أسرهم ولا تبلينا بقتالهم وحربهم ونزالهم واننا ما نقاتل من قد جعلوا الحرب دأبهم والضرب والطعن طعامهم ونقلهم وشرابهم وشغلهم فقال لهم الملك لما ان سمع منهم ذلك واني على مثل ذلك معول لان هؤلاء القوم ما لهم ذنب وانما الذنب انما كان سببه الحارث الوهاب فهو الذي قد أضرم علينا نار هؤلاء القوم ونارهم شديدة الالتهاب ثم ان الملك قيصر رد الرسول الى عنتر بالاجابه وقال له اجتهد أن تنقصهم من الخمسة آلاف الذين يطلبونها شيئا وان كانوا ما يجيبونك الى ذلك فلا تعد الي الا ومعك منهم من يحلف لنا ثم يعطينا الذمام على أصحابنا فقال له السمع والطاعة ثم ان الرسول مضى من عندهم يطلب جيش العرب وكان عروة قد قال لعنتر بعد مضى الرسول من عندهم ويحك يا ابن العم لم أجبت ملك الروم الى الصلح وطلبت الرهاين منهم وقد ذلوا بين أيدينا فدعنا ننهب أموالهم ونفني أبطالهم ونأخذ الملك بقوائم سيوفنا ولا نفرج عنه الا بكل ما نريد فقال عنتر والله يا عروة ما تطاوعني نفسي على البغي ولا تستحسنه ولا يمكن أن أحارب من يطلب الامن ونكف عن سفك الدماء ولا آمن الحوادث التي تنزل من السماء واعلم ان الخلق كثير ما نقدر ننجز أمرهم في يومين أو أكثر واذا كسرناهم ما ندري ان كان يقع الملك في أيدينا أم لا على اننا لو قتل منا مذكور كان بعبدة الصلبان ﴿قال محمد بن هشام﴾ فبينما هم في الكلام واذا قد وصل الرسول اليهم وأخبرهم ان الملك قد أجابهم الى ما طلبوا بشرط انهم يتركون شيئا من تلك الخمسة آلاف فارس الرهاين فقال له عنتر اعلم أنه لابد لنا من ذلك ولا نترك منهم شيئا ولا نفعل بل ان كان الملك ما يجيبنا الى ذلك نحن نقاتله لاننا نعلم ان هذه نائبة الحارث الغساني يأتي حريمنا وأموالنا ويأخذهم ويرد الجميع الى بلاد الشام وهو حريم ثلاث قبائل بني عبس وبني عامر وبني غطفان ومعهم أموال ورجال وأموالنا ما تأكلها النيران وان لم نستظهر لانفسنا ما نصالح فقال الرسول اذا كان الامر على مثل ذلك فانفذوا معي من يحلف للملك ويعطينا الذمام على أصحابنا فقال عنتر ان ذمامنا نحن أكل أصحابكم من طعامنا لانهم اذا أكلوا منا الزاد أمنوا على دمائهم لكن ما نطلقهم من الاعتقال وعندكم من أموالنا عقال ﴿قال الراوي﴾ ثم ان عنتر نفذ معه جماعة من مشايخ القبائل الكبار ولما ان دخلوا على الملك قيصر أكرمهم وقد ترحب بهم وقد عاهدوا الملك وحلفوا له وكان مقري الوحش معهم ولما تعاهدوا وتحالفوا على ما وقع عليه الشرط فاختار خمسة آلاف من عظماء الروم كلهم اقارب ونسائب وهم من بيت أهل الملك فاخذهم وقد انصلح الحال وعادت مشايخ العرب بالرجال وكان الملك قد أنفذ معهم هدايا الاجل الامراء والمقدمين من الفرسان وقد سألوهم في اطلاق من معهم من القسوس والرهبان وغيرهم من الفرسان فاطلقوهم وبعد يومين رحلوا وقد ساروا وهم طالبون العراق وسارت عسكر النصرانية يطلبون بلادهم الان جيش العرب ما زال سائرا الى ان أشرف على مدائن الملك كسرى وكان الملك النعمان مقيما عنده ينظر ما يتجدد من العرضيات وقد وصلت اليه بعض قبائل العرب ووصلت الى الملك كسرى من خراسان قوة اسكن وصولهم كان بعد فوات الامر ورحيل الافرنج وعساكر الروم فانفذ الملك النعمان من يكشف الخبر فسارت على الاثر الكشافه وعادت باخبار دريد وعنتر وقد أخبرت الملك النعمان بخلاص اخوته وأهله وعشيرته فاستبشر بالخبر لما ان سمع ذلك ثم انه قام من وقته وساعته وأخذ معه موكبا كبيرا

من العرب والعجم والفرس والديلم وسار الى لقاء عنتر ودريد ومن معهم من الفرسان وما زال سائرا الى ان التقى القوم أحسن ملتقى وسلم عليهم وقد هناهم بالنصر والظفر على الاعداء الانذال وقد استعجب الملك النعمان كيف انهم ظهروا من هذه الطريق فسألهم عن حالهم وعن عساكر الروم ان كانت التقت بهم أم لا فحدثه دريد بالحال وشرح له ماجرى من الفعال وأعاد عليه ما فعلوه فى أرض الشام وما تم لهم من حيث ساروا من أرض الحجاز الى أن أخذوا الرهائن من عبدة الصلبان بعد ان هلكوا الافرنج وقتلوا ملكهم واخوته (قال محمد) ولما أن سمع النعمان ذلك غاب عن الوجود ومن وقت سماع هذا الحديث كان مفقود ومن شدة ماجرى عليه من الفرح والسرور استعاده مرة ثانية وثالثة الى ان عرف حقيقة الامر فقال وحق النار والنور لقد فرجتم عنى بهذه الفعال كروبا وأى كروب ولكن ما صاح الخنا الكلاب الروم الا لما وصلت اليه أخباركم ثم انه بعد ذلك قد هنأ أخوته بالسلامة وقد عاد وهم الى جانبه سائرون وهم يحدثوه بالاهوال التى جرت من عنتر فى بلاد الشام وقتال الافرنج وهو يصدقهم فى ذلك ويقول ما تحت السماء أفرس منه ولا أكثر منه سعادة ولا مروءة ولكن نحن ما نعرف قدره ﴿قال الاصمعى﴾ وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى المدائن وقد خرج الملك كسرى فى سائر مواكبه والتقى بهم وسلم عليهم وقد فرح بهم وبعد ذلك أنزل القوم فى الخيام ونقل اليهم الملوفات والطعام والمدام وقد اكرمهم الملك كسرى وهو فرحان بما سمع عن عبدة الصلبان وركب الملك النعمان وركبت العرب من حواليه وساروا الى ملتقى الملك كسرى وسلموا عليه وتقدم الملك النعمان وقال له يا ملك الزمان لا زلت منصورا على عبدة الصلبان ثم انه حدثه بفعال عنتر ودريد شيخ مشايخ العرب ففرح بذلك وأزال عن قلبه الغمه وخلع فى عاجل الحال على عنتر خلعة الرضا وكذلك فعل فى حق دريد ومقرى الوحش وعروة بن الورد ومقدمين العربان وقد اركبهم الجنائب الحسان وسار بهم بطلب الفرجة على البساتين وهم من حواليه يحدثونه بما جرى لهم مع الملك قيصر وعساكر الافرنج والروم وكيف قتل ملك البحر خلنجان وكيف تركه ملقى فى القيعان وكلما سمعه الملك كسرى يطرب من ذلك الشان ويقول كيف دار ذلك الدولاب كله على الملك قيصر وذلك كله بعد الذل والهوان (قال محمد بن هشام) وما زالوا سائرين وهم فى هرج ومرج الى أن وصلوا الى البستان وقد كان بستانا من البساتين المعدودة للملوك الاكاسرة وهو كأنه روضة من رياض الجنان وفيه من الاشجار والرياحين الوان وهى كأنها العرائس المجلية بانواع الازهار مكسيه وقد تريح بريحان وفاحت فاكهته والبان والرياحين قد ابتهجت جنباتها وتنقشت فلواتها واكتملت حلل ايناعها وقد أشرقت شقائقها وفاحت أزهارها وأينعت أثمارها وأسبلت بنور فجاجها وترنحت غصونها كامواجها وأصول النسرين من جنباتها وروائح البنفسج من أبراجها ومقل النرجس قد تفتحت عيون انزعاجها والربيع قد خلع على أغصان البان حللا قد جرت فواضلها على الكثبان وهام الغصون قد اكتست التيجان ونصحت خدود الرياض من شقائق النعمان وبسط الرياض قد تصبغت كما يشاء الرحيم الرحمن وظهرت أزهارها مختلفات الالوان فابيضها يفوق أحمرها شقيق يميل به النسيم كأنه مثل نشوان وكانت تلاقى الاغصان بالاغصان كأنها جوق رواقص وفى أرجلهن قيود من سلاسل الريحان والشمس تنظر من بين خلال الاشجار الى ذلك المكان ونظروا الى نحو الحدائق كما تنظر الغيران ﴿قال الراوى﴾ وان أعجب ما فى ذلك المكان أن الارض ضاحكة بغير نطق لسان والسحاب لضحكها باكى حتى اذا تبسمت ثغور الزهر كمنظوم الجنان وبكى الجو لابتسامها بدمع هتان وطفح السرور من بعد الاحزان فمن عظم السرة جرت الدموع من الاجفان والماء يسرع فى تدفقه والجريان وكلما مرت عليه الرياح مال تارة شمالا وتارة يمينا وتارة كأنه النديم وتارة كأنه كوارع الغزلان فهو كما قال فيه أديب ذلك الزمان الذى حاز فضائل الاوائل وما زال يصف لهذه المعانى ثم أنشد يقول هذه الابيات

خلع الربيع على غصون البان * حللا فواضلها على الكثبان



وزكت فروع الدوح حتى صافحت * مقل اللبيب ذوائب الاغصان
وتوجت هام الغصون وضرجت * حلل الرياض شقائق النعمان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها * متباين الاشكال والالوان
من أبيض زاه وأصفر فاقع * مع أزرق صاف وأحمر قانى
والظل يشرق فى الخمائل نظرة * والغصن يخطر خطرة النسوان
وكانما الاغصان سوق رواقص * قد قيدت بسلاسل الريحان
والشمس تنظر من خلال فروعها * نحو الحدائق نظرة الغيران
والطلح فى حلل الكمال كأنه * حامل تفتق فى نحور غوانى
والارض تعجب حين تضحك والربا * تبكى بدمع زائد الهملان
حتى اذا اقتربت مباسم ثغرها * وبكى السحاب بدمع هتان
ظلت حدائقه تعاتب جوده * فاجاب معتذرا بغير لسان
فاض السرور على حتى اننى * من عظم ما قد سرنى أبكانى
والماء يسرح فى التدافق كلما * عجلت عليه يد النسيم الوانى
تورا كاسمه الفلاة وتارة * متمثلا كاكارع الغزلان
فاصرف همومك بالربيع وزهره * ان الربيع هو الشباب الثانى
وختمت أقوالى بمدح محمد * خير الورى سيد ولد عدنان

﴿قال الراوى﴾ وما زالوا فى ذلك البستان وهم فى اكل وشرب وغناء ولعب وضحك الى آخر النهار فركبوا وعادوا من ذلك المكان الى الايوان وعنتر راكب بجانب الملك كسرى أنوشروان وقد نصبت لهم الكراسى الذهب لاجل عنتر ودريد والملك النعمان ومن معهم من مقدمى العربان الكرام ولما ان دخلوا من الايوان نزلوا عن الخيول التى كان الملك كسرى قد وهبها لهم وقد جلس الملك كسرى وأمر بالجلوس لسائر العربان وأما عنتر فانه قد أجلسه بجانبه على السرير كأنه الاسد الزئير وقد صارت جميع الملوك جلوسا من ورائه وقد أحبه الملك كسرى وصافاه وجعله نديمه من دون رفقاه وقد قدم من بعد ذلك الطعام والشراب وحضرت الندماء والخواص من الاصحاب ودارت عليهم عند ذلك الكاسات من المدام وقد أخذ الملك كسرى قدحا من الساقى وناوله لعنتر فاخذه منه وقربه واستبشر وانبش فى وجهه وعند ذلك قام عنتر ناهضا على قدميه وقبل يديه وشربه والسرور قد طفح عليه وناوله الى الساقى والملوك ناظرة اليه ثم ان عنتر أشار يمدح الملك كسرى ومجلسه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

قم يا نديم وزر مجالسة الكرى * بهجر يصفو النوار لمجلسى
اذ ما رأيت النور يشرق بالندى * والفجر ينصل من خضاب الحندس
والثوب فى حلل الحديقة دائر * والغصن من حلل الازاهر مكتسى
والروض يبرز فى غلائل لؤلؤ * والارض ترفل فى غلائل سندس
لا تعدم اللحظات كيف تصرفت * وجنات ورد أو لواحظ نرجس
والجو بين مكوفر ومصندل * وممسك ومورد ومورس
فكأنما وسع الاباطح والربا * بنوال كسرى لائح المتجنس
وكانما نفحت حدائق زهرها * عن ذكره المتعطر المتقدس
ان الذين بجودهم وسماحهم * جبروا الكسير وسدوا فقر المفلس
الضاربين بكل أبيض مخذم * والطاعنين بكل أسمر مدعس

من كل أزهر في الغلالة أفلج * أو كل أحور في العريكة أشرس
سلبت أكفهم المنايا والمنى * سكن الصواعق في الغيوم الدحس
لله مجلسك المنيف قبابه * عواطر فرق السماك مؤسس
بمواقف جبل المجرة تلتقي * فيه الجواري بالجواري الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل منهم كالنهار المشمس
عطفت جنايا وبردسماته * عطف الاهلة والحواجب والقسي
واستبشرت عمل الرخام وزهره * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل جانب أهيف * وشراؤه من كل خد أملس
فلك يحير فيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مدنس
فبدا اللحظ العين أحسن منظرا * وغدا الطيب العيش خير مفرس
وزهابه قمر اذا ما أطلعت * شمس الخدود عليك ثم الا كؤس
فالناس أجمع دون قربك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس
ملكت عطايك الملوك بأسرها * أيضا وعم الكل ليث أشرس
فاسلم ودم في نعمة ورياضة * ومناصب من عظم بأسك شوس
خذ من عبيدك عنتر ابكارا أتت * تجلى بها أنوار ضوء المجلس
وختمت أقوالي بمدح محمد * من جاءنا بالدين مثل الاشمس

﴿قال الراوي﴾ وكان عنتر كلما أنشد وأعرب يتمايل الملك كسرى من شدة الطرب ويأخذ الكاس من ساقيه ويشرب لانه كان في لغة العرب له معرفة وفصاحة في معرفة الادب ولما أن فرغ من انشاده له هذه الابيات تعجب من فصاحته سائر من حضر من السادات فعندها نهض الملك كسرى قائما على قدميه وخلع كل ما كان عليه من الخلع ورماها عليه ثم انه أمر له بمال جزيل غير قليل فقال له يا عنتر وحق بيوت النيران وما فيها من البرهان انك أنت فريد العصر والاوان في نظم الشعر وكل الفصاحة وملتقى الاقران في حومة الميدان وقد أتى الحجاب للملك كسرى ببقجة ثياب فلبسها وترك التاج والاكليل على رأسه وقد طابت له الاوقات بين جلاسه وقد دارت الكاسات وأردفوها بالطاسات الى أن عمل فيهم المدام وساروا كانهم نيام (قال نجدة بن هشام) يا سادة يا كرام يا مستمعين الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الزحام كلما غرد القمري وناح الحمام ولما أن انقضى ذلك النهار قاموا وخرجوا من ذلك المجلس وسار للخيام الجميع وما في الحاضرين الا من خرج من المجلس وهو يميل فرحا وابتهاجا وهو يجر أذيال الحرير والديباج عليه وقد قدم لعنتر جواده الابجر وكان واقفا عنده من يخدمه من الخدام فركب وعاد الجميع الى الخيام وكان عليهم ذلك اليوم لا يعد من الاعمار (قال المؤلف) وكان ذو الخمار في تلك الايام عند الملك النعمان لانه لما أن خلص من الاسر عاد اليه الا أنه لما أبصر فعل الملك كسرى مع عنتر زاد به الحسد والكمد وقد جرى على قلبه ما لا يجري على قلب بشر وقال في نفسه وحق الرب الا كبر لأدبرن في هلاك هذا العبد الاغبر ولد الزنا الاقشر ولو تعلق بالسماء ثم انه سار ينظره لما ان ركب الى جانب الملك كسرى ليحضر معه في الميدان ويحكم بين الرجال والفرسان وقت الطعان ويعود معه الى الايوان ولا يخرج الا بالخلع الحسان والغلمان فلاجل ذلك قد زادت عليه الهموم والاحزان وقد اشتد به الهيجان ومن عظم ما جرى عليه دخل على الملك النعمان وخدمه وقال له يا مولاي أما أنت قد وعدتني بالصلح مع صهري دريد لانني في كل وقت أن أراه أستحي منه فقال له الملك النعمان حبا وكرامة اركب معي اذا ركب الملك العادل الى الميدان حتى أصلح بينك وبينه وأدعه يهب لك خطاك ويسامحك في جنانك واذا شئت أن تصالح بعده عنترا فافعل ولا تتكبر ولا تعاد أهل السعادة فتخسر فقال ذو الخمار

والله يا مولاي لقد كنت مغرورا بهذه الاشياء والآن فقد عرفتها وأولتني الغربة ولولا ذلك ما قصدت اليك وجعلت معتمدي عليك من دون عبيدك ﴿قال الراوي﴾ ثم انه ركب في اليوم الثاني في موكب الملك النعمان وقد حضر معه في الميدان وقد ركب الملك كسرى ومن حوله سادات خراسان وسائر الفرسان وقد سار الى الميدان واصطفت المواكب لطلب الفرجة على الطعان فعندها دعا الملك النعمان بدريد بن الصمه وعنتر وقد حدثهما بقصة ذي الخمار وسألهما لاجله أن يهباه خطاه وان يسامحاه مما جناه وقد عرفهما كيف انه قاتل بين يدي الملك كسرى حتى انه أسر مع جملة الاسرى ثم انه قال لدريد يا أبا النظر أنت تعرف ان هذا الفارس الذي مثل ذلك البطل يجب أن يداري ويحتمل ولا يؤاخذ أبدا ابدا منه ذنب لان وقت الحاجة اليه تمحو فعاله من ذنوبه ويوهب له خطاه وعيوبه لاسيما مثل هذا الرجل ذي الخمار الذي قد شاع ذكره في سائر الاقطار وقربناك بمصاهرته المجد والافتخار ولا له في هذا العصر مقاوم ولا مماثل الا أن يكون هذا البطل الحلاحل الذي تهابه القبائل كلها وقد ذكر لي انه قد لج في براز عنتر وأنت تمانعه بالقضاء والقدر وقد كنت يا أبا النظر تمنعه وتعدله وهو لا ينعدل وما فعل ذلك كله الا حسدا له وكان جاهلا بفروسيته وشجاعته وقد رضي من ذلك اليوم أن يكون له صاحبا وصديق في الشدة والضيق وما زال الملك النعمان يتكلم بمثل ذلك الكلام الى أن استحى دريد من الملك النعمان وعفا عنه وأما عنتر فانه قال والله يا ملك انني أنا أقل فارس يكون للعرب أتخذه لي مولى وأتمنى له حاجة أقضيها له وانما هم يركبون معي طريق اللجاج ويتمنون لي أن أعود الى رعي الجمال في البيداء وهذا شيء لا يكون ولا يجري ولا بقيت أقوله أبدا وان فعال ذي الخمار ما كانت عندي خطأ لانه كان طلب البراز حتى ينال به الرتبة العليا فمنعه من ذلك مولاي دريد على سبيل الاشفاق على ما جرى منه وهذا أمر هين متى أراد مني أطلعته عليه حتى يرضى لان لي في برازه الحظ الاوفر لانه سيد ومقدم وأنا عبد راعي جمال وغنم فعندها تعجب الملك النعمان من مروءته وقال لله درك يا فارس القبائل وجميع العربان ثم انه دعا بذي الخمار فاتى وهو راجل وتقدم اليه ولما ان حضر قال له ها هو صهرك دريد أقبل عليه وقبل عينيه فعندها تقدم ذو الخمار اليه وقبل قدم دريد في الركاب وأظهر له الاعتذار والاكتئاب ثم انه بعد ذلك تقدم الى عنتر وأراد أن يفعل معه كذلك فما طاوعه عنتر بل ترجل له واعتنقه وتصالح هو واياه وقد عاد بعد ذلك مع دريد الى الميدان ووقف بين الصفوف فرأى الامير عمرو بن معدي كرب يجول بين الفرسان وهو يطاعن الاقران ويركض في الميدان والملك كسرى كان قد خلع عليه خلعة سنية تصلح لامثاله وهو يتفرج على قتاله قدامه ولما ان رأى ذو الخمار الى فعاله هاج بلباله وقد زاد اشتعاله فبرز بخيله ومجاله فجال معه ساعة من النهار وسطا عليه سطوة جبار وما تركه حتى انه أوهمه بطعنة تدهش الخواطر فعاد عمرو من قدامه وفي أضلاعه منه علائم وآثار فبرز اليه عامر بن الطفيل فجال معه ساعة وقد علم عليه فعاد وبرز بعده اليه ملاعب الاسنة وتجاول هو واياه وعاد من بين يديه من بعد ما غيبه ذو الخمار عن رشده وقد تراسلت اليه فرسان بني عامر فما منهم من عاد من قدامه الا خاسر فرأى الملك كسرى فعاله فاعجبه قتاله فسأل عنه الملك النعمان فقال له يا ملك الزمان ان هذا الفارس هو ذو الخمار الذي كان قاتل بين يديك الروم والافرنج وأسر الجموع بكثرة ثم انه أعاد عليه جميع ما جرى له مع قومه ومع دريد وقد أصلح بينهم فقال له الملك كسرى نعم ما فعلت في حقهما يا شاه زيان لان مثل هذا الفارس لا يفرط فيه ولا يهمل أمره ولو فعل مهما فعل ثم انه قربه وأدناه وبفرسان العرب بالخلع ساواه وقد أركبه جنيبا من خاص جنيبه بمركب من الذهب وقلده بسيف مشطب وحمائله مثل شعاع الشمس يتلهب وقد تركه في ذلك اليوم عنده وجعله من بعض ندماه وأقام عنده ذلك اليوم بطوله ولما ان عاد من الميدان ما خرج من عنده الا وقد أعطاه وأغناه ﴿قال الراوي﴾ ولما ان كان من الغد عادوا الى الميدان فعاد الى العادة التي جرت للملك كسرى في موكب الفرسان السادة ووقف تحت الاعلام والازدهارات وقد ترتبت الصفوف في سائر الجنبات وخرج الى البراز من له بها عادات فبرز ذو الخمار على الجواد الذي وهبه له الملك كسرى بمركب الذهب وجال بين

صفوف العرب والعجم وكان قد برز فى ذلك اليوم برمحين طعن بهما وتقلب على ظهر الجواد وقد اظهر ما أمكنه من فروسيته وشجاعته العجب وكانت الرماح بلا أسنة فنقلها من يديه وعلقها فى الهواء وتلقاها وهى مثل الافاعى تتلوى ولما ان أبهت بفعله النواظر تقدم الى بين يدى الملك كسرى وخدم وعاد الى قدام الملك النعمان وعنتر واقف بجانبه وهو على جواده الابجر وباس الرمح الواحد واومأ به الى عنتر وقال له يافارس الزمان ويا بطلا لا تبطل عنده حيل الشجعان تقدم اليوم وفرج هذا الملك العادل بين هذه الصفوف والجحافل لانه ما هنا من يشفى القلب بالطعان سواك يافارس الزمان واعلم أننى اليوم قد حوات أن أفتخر ببرازك ولقاك لانك أنت غاية الشرف لمن لك اعترف ومنتهى المراد اذا بالغ الانسان فيك ووصف وسنانك يسبق الوصف ويأتى بمعانى الوهم وحسامك فى أرواح الابطال سهم وبفهمك تعرف كل فهم ومجدك علا فى السهل وخصالك ثبت لها البها ﴿قال الراوى﴾ ومازال على مثل ذلك الى أن استحى عنتر من الملك النعمان ومن حضر من الفرسان فاخذ الرمح من يده وأجاب لانه كان يتمنى ذلك ويشتهيه لاجل ما بات فى قلبه من فرسان العربان الذين فعل بهم قدام عنتر وذو الخمار من جهة عامر وعمرو وملاعب الاسنة ومن يليهم من فرسان بنى عامر الذين خجلهم بين القبائل والعشائر فاتاه الامر كما راد بلا ملاججة ولا عناد الا انه أظهر حلمه وخضوعه وقد كتم ما اشتملت عليه ضلوعه وقال له والله ياذا الخمار لقد وصفتنى بأوصاف أنت أحق بها منى وأولى لانى أنا عبد وأنت المولى ولولا أنك طلبتنى وقد قصدت الفرجة ما امتثلت لك قولا ولكن ياوجه العرب من يكون قصده الطعن والضرب بلا أسنة ايش يحتاج الى لبس الحديد والصواب اننا نخفف عنا الزرديات والدثار ليكون قتالنا أفرح لعيون النظار وكان عنتر قد أراد بذلك أن يوهن مقاتله بالطعن ويعرفه قدره حتى يكف عنه شره لاننا قد ذكرنا كم لج ذو الخمار فى بر زعنتر والاسباب تجرى بالقضاء والقدر ولما ان كان فى ذلك اليوم غلب على رأيه وقد استحى من الملك النعمان وعلم ان ذا الخمار يعود بحه الى خسران لان ذا الخمار قال لعنتر والله لا خرجت اليك الاعريان الجسد على جواد أجرد فقال له عنتر هذا هو الصواب والانصاف الذى يعرف بين الملوك والناس من الرجال الاشراف والابطال المعروفين بين قبائل العربان (قال نجد) ثم انهم بعد ذلك الكلام كشف كل واحد منهما راسه وقد خفف حديده ولباسه ثم ان عنترا سار فى ثوب خام قصير الاكمام وقد أخذ فرسا لكن من الخيل الجياد ورمى من عليه السرج والحزام وقلع من رجليه المهاميز ووثب بعد ذلك وصار على ظهره كانه أسد من الاسود وذو الخمار لا يصدق بذلك لان فى قلبه من حسد عنتر حرارات ثم انهما برزا الى الميدان الاثنان ولما تقاربا جال عنتر وسار وأنشد وقال

تروم اليوم فى الميدان اقتالى * لقد منتك نفسك بالمحال * فعد ياذا الخمار ودع كفاحى
فانى قد نصحتك فى مقالى * وراجع لا تريد انقص حظى * كنقص البدر فى وقت الكمال
ألم تسمع مقارعتى وحربى * وشدة ساعدى ثم اغتيالى * فكم أرديت من بطل همام
بطعن الرمح فى يوم النزال * وكم جرعت كاسات المنايا * بحد البتر والسمر العوالى
فلى قلب على الاهوال جلد * وفى حمل الشدائد ذو احتمال * فلو أتت الجيوش الى زحفا
وأطلقت الاعنة لا أبالى * فياعبل اسمعى بفعال عبد * يذل لسيفه نعم الموالى
فانك ان ذكرتى يوم حربى * وضربى باليمين وبالشمالى * فشخصك ثابت فى نور عينى
ثباتا ليس يمحى بالزوال * وانك لو ترين اليوم فعلى * لكنت تعجبى مما جرى لى
وموقف ذى الخمار يريد حربى * ويرجو أن أرى مر النكال * ففى جزع الطواف غداة أضحى
يريد الحرب بالبيض العوالى * وقد خليته فى الارض ملقى * وأيقن انه أدنى رجالى
فعاد يهز عطفيه افتخارا * وقال ابرز سريعا للمجال * وقلت ألق السلاح فان شرطى
أكون من السلاح اليوم خالى * وأرجو النصر من رب كريم * مدى الايام ماعشت اتكالى
بهمة مالك الاقطار كسرى * ومن فى الفخر يكبر عن مثال * مليك عادل قد حاز فخرا

بما قد حاز من رتب المعالى * أنا ملك جبرت اليوم كسرى * وأسرعت العطا دون المطال
وقد أتحفنى بجزيل مال * وأصناف الجواهر واللآلى * ونعمان الجليل القدر فينا
لقد حاز المكارم بالتوالى * وقد شاعت مكارمه جهارا * وسرا فى الانام بلا سؤالى

﴿قال الراوى وهو الاصمعى﴾ ثم انهما بعد ذلك الشعر والنظام وما قد زاد بينهما من الكلام صرخا صرختين عظيمتين صرت لهما الخيل آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانها وبعدها انفسحا عن بعضهما كما تنفسح الكباش الى النطاح ثم انهم عادوا وقد جردوا السيوف الصفاح وقد جروا عوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح الى ان أذهلوا العقول الصحاح فكان لهم ساعة تقشعر لها الجلود وتذوب من شدتها الكبود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود ويعرف الانسان منها حرارة لعدم من حلاوة الوجود ثم انهما التصقا التصاق جبال وادى زرود وقد تطاعنا طعنا أحر من الجمر الموقود وقد ظن الحاضرون أن كلا منهما مفقود ثم انهما افترقا بعد ذلك افتراق جبال وادى الاخدود وقد تقلبا على ظهور الخيل وهم بلا سروج الى ان تعلمت الابطال منهما حقيقة الدخول والخروج فلله درهما من فارسين ودر ما كان تحتهما من جوادين لانهما قد أظهرا بواطن الخداع فى مقام القراع وقد خيل للناظرين ان فرسيهما من أملاك الافلاك أو كانهما من شياطين الجان الذين لا يفزعون من الهلاك فى مقام الارتباك ﴿قال المؤلف﴾ وبعد ساعة من النهار قد نتجت من بينهما طعنتان وقد سمع لهما صيحتان عجيبتان فاما طعنة ذو الخمار فانها كانت بحنق وعجل فخلاها عنتر وقد صيرها باطلة وأما طعنة عنتر فانها كانت بمعرفة وفروسية وخبرة وصناعة فاحس بها ذو الخمار الا وعنتر يقول له خذها يا سبيع من كف فارس لا يخشى ملل ولا ريع وقد وقعت تلك الطعنة فى أضلاعه فتغيرت أحواله وأدهشت طباعه الا انه أظهر الصبر والجلد وأخفى الوجد والكمد واستحى ان يطلب الانفصال والاقالة وقد طاب له الموت ولا ينفصل أمرهما على تلك الحالة ومن عظم ما أصابه وجرى عليه رمى الرمح من يده وقد جذب الحسام وطلب به عنترا وتقدم اليه وكان عنترا ضاقه اغتاظ واشتد به الغضب وخجل كيف طمن ذا الخمار وما انقلب فعاد اليه عودة الاسد الحردان وأراد ان يطعنه ثانى مرة يرميه فى الميدان فضرب ذو الخمار رمحه فبراه زعق فيه وفاجأه فسل عنتر حسامه وحمل عليه وصاح وقد عاد الامر بينهما جدا بعدما كان مزاح وخديعة وانشراح ثم انهما تضاربا بالصفاح فى بواطن الارواح وكان الملك كسرى يتفرج عليهما والنعمان ومن حوله من الفرسان ويتعجبون منهما وقد تقدمت الشجعان من كل جانب ومكان لا يفوتهم النظر الى مثل هذه العجائب وقد اشتهر وان ينظر والمغلوب من الغالب والملك كسرى قد أهاله ماجرى وخاف على هذين الفارسين لانهم من جبابرة الشجعان ﴿قال المؤلف﴾ فالتفت الملك كسرى الى الملك النعمان وقال له ياملك افصل بين هذين الاسدين الا لا يحل بهم العطب ويشمت بهم العدو والحسود وتحدث بينهما الحقود فما مثلهما من نفرط فيه حتى تصل الاذية اليه وكل من فقد منهما تأسفنا عليه لان هؤلاء أساس الدولة وما منهما الا من له على الاعداء حرمة وصولة ونحن أحوج ما يكون اليهما ونعول فى الامور عليهما وان داما على مثل هذا الحال فما يتخلص أحدهما من صاحبه الا وقد حل به الوبال فبادر وفرق بينهما قبل أن تصل الاذية اليهما ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك حرك الملك النعمان جواده وركض وقد طلبهما وقد حركت من حوله المقدمون من الفرسان وركضوا من خلفه الا انهما اخرجا من تحت الاعلام حتى خرج عنتر من الميدان فلاقاه دريد فرآه زهو بهمهم ويدمدم ويزمجر ويبربر ويزنقر وفى كفه الحسام فقال له يا أبا الفوارس أين خصمك ذو الخمار فقال انظره ها هو ممدد تحت الغبار فقال له دريد لا بحقك يا أبا الفوارس لا تقل ذلك المقال ولا تفعل هذه الفعال لانك والله مالك فى هذا الزمان مقايس ولا مماثل فقال له عنتر والله يامولاى أنا ما طلبت ان هذا يكون ولا اشتهى ذلك فى الاول ولا تعرضت له ولا كنت عليه معول وانما هو الذى أتى الى وابلانى بروحه وكان لى مشاقق وأنت تعلم انه تقدم بين يدى ونا وانى الرمح بين تلك الخلائق وكان ذلك بحضرة الملك العادل كسرى والملك النعمان وقد أقسم على بالرب القديم خالق الزمان فعند ذلك استحيت من

العربان وخرجت اليه وما كان في ظني أنه يفعل هذه الفعال وانه يريد أن يفرح الملك العادل كسرى والملك النعمان ومن هاهنا من الابطال على ما يجرى بيننا من الضرب والطعان ويرتفع بذلك قدره بين الفرسان وما علمت انه يريد هلاكي واذلالي ويبذل المجهود في حربي وقتالي ولما صح عندي حقيقة ذلك طعنته تلك الطعنة وجاءت هي باطلة فقلت انه يرتد عما هو عليه ويطلب الاقالة ويكف شره عني فما فعل الا انه جرد سيفه من غمده وعلى قد جل وزاد حقده وعناده وقد ضرب محي بسيفه براه وقد طلب قتلي كما رأيت بين هذه المواكب ولما ان علمت أحواله وانه يريد هلاكي أنزلت به المصائب وقد ضربته بالحسام صفحا على رقبته فوقع في الارض فابسط لي العذر يا أبا النظر واحمد الرب القديم حيث عجلت قتله وأنت تعلم اني بايت من هذا الرجل ببلاء ما قدرت على دفعه الا بركوب الخطر والتجرى بين يدى هذا الملك العادل على هذه الامور المنكرة فقال له دريد وحق البيت الحرام يا أبا الفوارس ان عذرك واضح ولكن لو قدرك أنت مسامح وأجل مكافح وأما هذا الرجل فما كنت أشتهي الا انه يمسى طعاما لسائر الوحوش أو الجراد في عرصات الفلا لا نوله الله ما يؤمله وما يشتهيه (قال مجد) ثم ان دريدا بعد ذلك الكلام دنا من ذى الخمار وقرب منه فرآه قد قام من على الارض وهو ينفض من على رأسه الغبار وهو لا يبصر ما بين يديه من شدة ما قد جرى عليه فقال له دريد ويلك يا ابن العم أنا قلت لك ألف مرة لا تعارض القضا والقدر ولا تعاد رجلا مسعودا فتخسر وقد افتضحت بين هذه الامم وقد صرت مثلا بين العرب والعجم فقال له ذو الخمار لا تلمني يا دريد على هذه الفعال المنكرة فان الذى جرى علي قد جرى من قبلي على فرسان العرب مثله وأكثر وان الفارسين اذا التقيا في الميدان كانا على غاية الخطر ولا بد لاحدهما أن يرجح على صاحبه والآخر يخسر فقال له الملك النعمان يا سبيع ان بينكما تفاوتا كثيرا لانه قدر وعفا وقد داوى من القلوب أمراضها وشفى قال ثم انهم بعد ذلك أخذوه وأتوا به الى الملك كسرى فامر الملك النعمان أن يصلح بينهما ففعل ذلك ثم ان الملك كسرى خلع على الاثنين وسألهما هو والملك النعمان أن يزيلا ما في قلوبهما من الحقد والغيظ كله وقد قال الملك كسرى اعلموا ان حلاوة صلحكما على تكون في بعض الثرى في غداة غد ثم انهم رجعوا من الميدان ونزلوا في الخيام والناس ليس لهم كلام الا في عنتر وذي الخمار الفارس الكرار قال ولما ان كان من الغد ركب الملك النعمان وسار الى الملك كسرى لينظر حاله ثم يحضرهما الى بين يديه ليكون تمام الصلح عنده كما أمر في البستان فرآه قد اشتغل في تلك الساعة بكتاب قد وصل اليه من خراسان وقد تقدم الوزير بزرجمهر وقرأه عليه حتى يثبت تلك الامور كلها فتقدم الملك النعمان ووقف يسمع ما في الكتاب ليزول ما في قلبه من الارتياب واذا بخيل قد أقبلت من ناحية الحجاز تركض وهي متتابعة وغبائرها متزايدة وهي مرتفعة للجو طالعة ولما ان أبصرتها العرب ركبوا وقد أطلقوا نحوها الاعنه وقوموا الاسنه ثم تلقتها عند ما قربتها وكشفت عن أمورها وتبينتها واذا هي من جملة الخمسة آلاف فارس الذين مع السبي قد أرسلها عنتر فلما حضروا بين يديه قال لهم عنتر وقد عرف انهم انهزموا وأتوا نحوه شاردين واليه طالبين يا ويلكم هل التقى بكم الحارث صاحب دمشق وأخذ ما كان معكم من السبي والمال وخلص منكم الحريم والعيال فقالوا له أي والله يا أبا الفوارس التقانا وما كان لنا به طاقة ولا قدرنا له نقاتل فسلمنا له ما كان معنا وقد هرب بما معه وعدنا الى نحوكم طالبين فقال لهم عنتر أفقتل منكم أحد لما أن التقاكم وأنزل بكم الردى فقالوا له ما قتل منا الا نفر قليل لان عساكر الشام قد التقتنا عند الماء وقد منعونا عن النزول وما كان لنا على لقاهم من سبيل ولما أن لاحت لنا صلبانهم وعلمنا أن عددهم زائد فاستشرنا فيما نفعل فما رأينا لنا أصوب من النجاة فنجونا وقد تركنا كل ما كان معنا من المال والحريم والعيال وما ظفروا منا الا بمن قصر جواده وكان قد دنا أجله وعدم رشاده ومن بقي قد غاصوا في البر وطلبوا أحياء العرب وكانت النجاة لهم غاية الارب وما فينا من سأل عن صاحبه ولا الى نواحيه قد طلب وانما نحن كانت خيلنا جياد فرمت بنا بعد وانحت بنا الى هذه البلاد وقد وصلنا ونحن في هذا الحال وقد ساءت بنا مما قاسيناه الاحوال لاننا قد حسبنا حسابك لما أن تشتتنا في الآفاق وقلنا ما التقانا صاحب دمشق الا وعساكر الروم قد رحلت

من العراق وهناك نلتقي أصحابنا ونشتكي اليهم ما قد حل بنا وما قد أصابنا فقال عنتر وقد عظم عليه هذا الخطاب والله لا تركت دياره بعد ذلك الاخراب يعوى فيها البوم والغراب ولا قودنه الى أرض الحجاز قود الكلاب ثم انه طيب قلوبهم وقد حدثهم بحديث الرهائن التى هي معهم وكيف انه ظفر بعساكر النصرانية في الطريق وكيف انهم خلصوا بني عامر من الهلاك والضيق والقصة التى جرت لهم من أولها الى آخرها وقد شرح لهم باطنها وظاهرها وكان أكثرهم من فرسان بني عبس والباقين من بني غطفان فطابت قلوبهم وانشرحت منهم النفس وقد نزل الجميع في الخيام ودارت بينهم المشورة والكلام وقال عنتر اعلم ان الملك ما يغدر بنا ولا يحنث في الايمان التى حلفتها له الرهبان وان الرهبان الذين عندنا كلهم خواص دولته ولكن قد بقي في القصة شيء آخر وهو اننا ما ندرى على أي طريق يسير ونحن كنا نقتفي منهم الآثار فقال اذا كنت حائرا في هذا الامر فأقم أنت هاهنا من يومك ويكون معك نفر قليل من قومك وخل باقي العربان تسير الى أرضها وتلتقي بأهاليها واذا وصلوا اليهم واجتمعوا بهم يرسلوا اليك ويعلموك بالامور وما فيها وتعلم أهل دمشق برهائن دمشق حتى لا يصل أحد الى الاسارى بحال من الاحوال واذا أطلقوهم أطلق أنت الآخر الرهائن من الاعتقال وذلك بعد ما يسير اليك قومك ويعلموك عن يقين فأنت تطلقهم وترسلهم الى أهلهم سالمين فقال الملك قيس ما بعد هذا الكلام الا الفعال ونحن مطيعون لك في كل ما تأمرنا به من الاحوال فقال عنتر لدريد الصواب عندي يا مولاي ان تسير من هاهنا الى أهلك لان قصتنا طويله وما نشتهي أكثر من هذا التعب الذى تعبته معنا بحكمك لانك قد تعبت معنا تعبا شديدا في هذا العام وسرت معنا الى بلاد الشام وان لنا في عودتك الحظ الاوفر والرأى الاكبر لاننا خلينا حريمنا عندك وهم مختلطون في جبال بني غزيه مع أهلك وجندك والى الآن ما سمعنا لهم خبرا ولا أتانا منهم أحد ولا ظهر لهم أثر والصواب رجوعك اليهم في جميع الامور ويكون نظرك عليهم وهو على كل حال أصوب والرواح الى هناك من قعودك هنا أوجب فقال دريد والله يا أبا الفوارس ولو انني أقضي باقي عمري في حوائجك أنا وبنو جشم فلا نجد لذلك تعبا ولا ألم ولكن أنت بالاحوال أعلم وأنا على المسير كنت قد عولت قبل ما تشير به وتتكلم لاني قد رأيت في ذلك الصواب من وجوه عديدة أحدها انني أفرج عن قلبك هذه الشدة والثاني انني أتحمل عن قلب الملك لاننا في جمع كثير نريد كلفنا الزاد والعليق والثالث فزعا على الاموال والعيال الذين تركناهم في الجبال والرابع لأجل ما جرى بينك وبين ذى الخمار من القتال وأنا خائف من شره ولجاجه ونكاده وغدره وان يفعل شيئا يبقى فيه العار لاني أعلم أن الشر والغدر من بعض مساويه فحمده عنتر على ذلك وعلم انه قد نظر موضع النظر وشكره مع جملة من شكر وقال له يا مولاي اذا كان الامر كذلك فخذ معك أخي مقرى الوحش في مائة فارس من قومنا حتى يسير بابنة عمي وزوجته مسيكه وبقية الحريم الى أرضنا فقال دريد افعل ما تريد وتختار ثم أخذوا أهبتهم في ذلك اليوم ومن الغد أصبحوا معولين على الرحيل الى الديار وكذلك عساكر الفرس والديلم وأيضا عساكر الترك والعجم لان الملك كسرى كان قد وصل اليه كتاب باخبار عن بلاد خراسان وان كانت الترك قد أفسدت من البلدان فقال الوزير بزرجمهر والوزير الموبذان افتحوا الخزائن واخلعوا على الولاة والاجناد وردوها الى أماكنها لتحفظ ما تحت يدها من البلاد ففعلوا ذلك الامر وانبرم وأصبحت تلك الارض ترتج برحيل العرب والعجم ودقت عند ذلك الطبول وصهلت الخيول ونعرت البوقات وارتجت الجنبات من سائر الجهات ﴿قال الراوى﴾ وكان في ذلك اليوم دريد والملك قيس وعمرو ابن معديكرب وفرسان بني عامر وسادات بني غطفان قد اجتمعوا ودخلوا عند الصباح على الملك النعمان وطلبوا منه الاذن في الانصراف لانهم قد اشتاقوا الى ديارهم والاوطان فقال لهم اصبروا حتى آخذ لكم الاذن من الملك العادل كسرى أنوشروان ثم انه قام من عندهم ودخل عليه وأعلمه بأن الناس قد قلقت من المقام في هذه الديار وقد أرادوا الرجوع الى بلادهم وهم في قلق عظيم فقال له الملك كسرى ان خزائن الاموال

أصبحت مفتحة فافعل فيها ما تريد ولا تترك أحدا من العربان يعصى الا وهوشا كر لنا لانهم هم الذين دفعوا عنا عسا كر النصرانية ولا تدع أحدا منهم فقيرا ولا غنيا الا وترضيه بالمال والنوال فدعا له الملك النعمان وخرج من عنده وأتى الى قبائل العربان فخلع وأعطى ووهب وفرق عليهم ثياب الديباج والفضة والذهب الا عنتر فان الملك كسرى قد قال له لا تدعه يرحل مع قومه ولا تأذن له فى الرحيل ولا تخلع عليه حتى تتفرغ قلوبنا وتصفو منا الاسرار ونشبع منه ومن منادمته وبعد ذلك نرسله كما يحب ويختار ونعاهده انه يكون مقيما على عهدنا بقية الاعمار ففعل النعمان تلك الامور التى قد وصفها له وقد رحلت تلك العساكر التى ذكرناها وما فيهم الا من رحل وهوشا كر وداع له وللملك كسرى ولدولته بالدوام وكذلك عسا كر الفرس ومرازبة الاعجام وملوكها وساداتها الكل على التمام (قال محمد بن هشام) ثم رحلت العسا كر يتلو بعضها بعضا وسار وا وقد ارتجت من سائر جنباتها الارض من شدة الركض وهم فرحى بما أولاهم الملك كسرى على يد الملك النعمان وما صنع معهم من الجميل والاحسان الكامل وما أمسى المساء الا وصارت تلك الارض ساكنة بعد ذلك الزلازل وخزائن الملك كسرى أصبحت خالية مما صرف من المال وكان عنتر قد أعاقه أيضا الملك النعمان لانه قد رأى ما عجبه منه مع الفرسان وكان أيضا حسن الشباب مليح المنادمة فصيح الخطاب شجاعا فى الحرب اذا اشتد المصاب وكان فيه عقل وأدب وقيل ان الملك النعمان قد اصطفاه لنفسه وجعله صاحب الحجاب وقد وعده أن يزوجه بابنته الرباب ولما ان خلا بال الملك كسرى وحلت عنده الافراح واطيب الا كل والشرب مساء وصباح وقد صار عنتر عنده رأس ندمائه الخاص وما يجد له عن مفارقته بدا ولا مناص وكان من جلسائهم الملك النعمان وعنتر والمقدمين من الاعاجم والاكابر وكانت كل مجالسهم تنقضى تارة بضجيج الاغانى وتارة يتحدثون مع الملك كسرى ومن حضر حكايات فرسان الاقطار وما يجرى لهم من الاحاديث والاخبار وما زالوا على مثل ذلك الى يوم من بعض الايام فبينما هم جلوس يتحدثون فى أمر الفرسان فاطنب عنتر فى وصف ذى الخمار وقد فضله على سائر الفرسان الكبار فاغتاظ الملك كسرى من نقله لتلك الاخبار وقد زعق فى حجابه والتفت الى الملك النعمان هو ومن حضر فى ذلك المجلس من الشجعان وقال يجوز أن يمدح فارس أو يذكر اذا حضر أبو الفوارس عنتر فقال الملك النعمان أيها الملك الرفيع الشان وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان ما فى زماننا اليوم نخبره باهور الحرب ولا يوجد مثله فارس ثان لا فى الشرق ولا فى الغرب ولو كان له نسب صحيح وكرم صريح لكان قد ساد على العرب والعجم فقال عنتر لما ان سمع ذلك الكلام بعدما اغتاظ وامتلأ قلبه حقدا وفاض يا ابن المنذر ان نسبى فقد صح عند كل العرب ولا ينكره الا كل جاهل لا يعرف له أدب وأما ذكرك لى بالبخل فما أنا بخيل فكيف انك تنسبنى الى شئ ما هو جميل فقال الملك النعمان لا تحرد يا أبا الفوارس ولا تخرج خلقك فوالله ما قلت هذا القول مذمة لك ولا انحطاطا لقدرك وأنت أكرم من غيرك ولكن فى العرب من تفرد بعلو النسب والكرم كما انك أنت قد تفردت بالفروسية على سائر الامم فلما سمع ذلك الكلام سكن ما به من الغيظ والغضب وقد اشتهى أن يعرف من هو أكرم العرب ومن هو ذلك الذى قد تفرد من بينهم بالنسب وصار يتفكر فى معرفته لذلك السبب فقال الملك كسرى يا نعمان اعلم ان شجاعة هذا الرجل الذى هو أبو الفوارس عنتر قد عرفناها وأبصرناها بأعيننا وقد شاهدناها مرارا ونحن نشهد له بها وانه قد بلغ من كل الفروسية حد المنتهى ولكن أخبرنا أنت من هو الذى أكرم العرب ومن هو الذى قد اشتهر بعلو القدر والنسب على ان النسب عندنا ما يحط قدر الرجل فى أعماله ولا يرفع قدر الرجل الا شجاعته وقتاله وملاقاته لاقرانه ومن يروم حربه ونزاله وعناده (قال المؤلف) فعند ذلك الخبر قبل عنتر كلام الملك كسرى وقد انشرح فقال الملك النعمان اعلم أيها الملك انك أنت الملك الهمام ان فى زماننا هذا ثلاث رجال قد بلغوا المنتهى بين العرب فى الشجاعة والكرم وعلو النسب فاما من كان صاحب الحسب والنسب فهو عبد المطلب قاضى العرب وهو الذى يفتخر باجداده حاكم العرب يعجز عن فصاحته كل من مشى على قدم وأما الثانى الشجاع القرم المناع الذى ليس له مثال فهو هذا الرجل أبو الفوارس عنتر بن شداد لانه قد علا بشجاعته على

سائر الفرسان والاجناد وقد حاز طرفا من الفخار على كل من افتخر وما ترك لفارس فى هذا الزمان ذكرا يذكر وأما الثالث فهو رجل قد نشأ فى العرب وهو ذو حسب ونسب يقال له حاتم طيى وقد حاز الجود والكرم ولا يوجد مثله فى سائر الامم لانه يؤثر بقوته ويعيش يومه وليلته على العدم ولم يجد لذلك مشقة ولا ألم وقد بلغنى انه فى البذل والقناعة مثل أبى الفوارس عنتر فى الفروسية والشجاعة لانه يحب بذل المال كما يحب عنتر الطعن بالسمر الطوال والضرب بالبيض الصقال فقال الملك كسرى وقد تعجب من ذلك المقال أما نسب عبد المطلب ثم فصاحته وشرفه فقد ثبت عند كل الخلق وقد شاع ذلك فى أقصى الغرب والشرق وأما شجاعة عنتر فقد عرفت بما فعله فى تلك الوقائع واشتهرت وأما كرم حاتم طيى فما بلغنا من فعله شئ وانت قد فضلته بما نسبته له على سائر الرجال فحدثنا أى شئ قد رأيته من كرمه حتى استحق عندك هذا المدح وهذا المقال فقال الملك النعمان أنا أحدثك أيها الملك بحديثه من حين نشأ ثم أقيم الدلائل والبراهين على انه أكرم أهل زمانه ممن على الارض مشى لان خالق الارض والسماء يدبر ملكه كيف يشاء ثم انه قال اعلم أيها الملك ان هذا الرجل قد ورث الكرم من أمه وقد علمته اياه فى عهد الرضاع وقد خالف اباه فى الفعال والطباع لان أباه كان أبخل من الكلب وأحقر وأمه كانت فى قومها أكرم من كل أنثى وذكر وقد كان زواجها به من أعجب العجب لان الجمع بين الاضداد لا بد له من سبب والسبب فى ذلك كان أمر الطيفة لان أم حاتم كان اسمها عفيفة بنت عفيف وكان أبوها قد مات وخلف لها مالا جزيلا وكان ذلك من الجمال والنياق غير قليل وكان كل من قصدها أعطته وكل من استوهب منها شيئا أوهبته فلما ان رآها اخوتها تبذل المال على الطارق والقاصد فمنعوها من ذلك وحجروا عليها وضيقوا أمرها الى أن عظمت عليها المساءة وذاقت مرارة الجوع والفاقة وسوء الحال وقالوا ربما انها تكون بعد ذلك الحال قد عرفت قدر المال وتابت عما كانت تفعله من الفعال فاعطوها قطعة من النوق والجمال لعلها ان تعيش فيها وفى ألبانها وتأكل مما يأتى منها ويطعمها الله من فضله لانها ولما أن صار المال بحكمها وترى فيه رأيها وقد علمت انه تحت أمرها ونهيها طاب بذلك قلبها وهدأ لبها وسرها وقر قرارها ولما كان فى يوم من بعض الايام قالت الى متى يكون ذلك الامساك على المال والبخل على الضيفان وما هذا شيم الكرام (قال المؤلف) فبينما هى فى هذه الامور وهى الى أموالها تحسب وعلى اخراجها للاضياف تعزم اذ أتتها امرأة فقيرة من بنى هوازن وكان لها عليها رسم فى كل عام تدفعه لها وكانت تقصدها وما تعود من عندها الا وهى غنية من عطاها ولما ان أتتها فى هذه المرة قالت لها اعذرينى فى هذا العام يا حرة العرب فان اخوتى قد عادونى وحجروا على وعلى مالى من الاموال وما بقيت أقدر الا على ما ترين من النوق والجمال فخذيها واستعينى بها فى بقية زمانك فقد علمت بالحال فان احتجت شيأ فاستقرضى على لعل اخوتى أن يزوجونى ببعض الرجال ويملكون ما بقى لى من الاموال فشكرتها تلك المرأة شكرا زائدا على تلك الاحوال وقد ساقت بين يديها ما أعطتها من النوق والجمال وعادت الى حيها وهى فرحانة بما ساقت من الاموال فبلغ ذلك الى اخوتها وما فعلت من الفعال فاتوها وسبوها وقد قالوا لها يا ويلك يا بنة القوم الانذال قد بذرت على أوباش العرب مالك من الاموال وقد ضيعت مالك ونوقك وجمالك ولا تركت لك جملا ولا ناقة أما علمت أن عاقبة الاسراف تؤل الى الوبال ثم التلاف ويكون عاقبته الفقر والفاقة أما ذلك الجوع الذى ما يجد الانسان لدفعه من طاقة فقالت لهم وقد بكت أى والله يا اخوتى لقد ذقت مرارة الفقر والتقتير ولهذا قد صار قلبى يرحم من يقول أنا جائع أو فقير فاعطيت على قدر ما أملك قليلا كان أو كثير ثم انها قد زاد بها البكا فانت أنين التعلل والاشتكا وأنشدت وجعلت تقول هذه الابيات

لعمرى ما قد عضنى الدهر عضة * وعلمنى لا أمنع الدهر جائعا
وماذا عساكم أن تقولوا الاختكم * سوى عيبها والعيب ما زال ضائعا
وانتم ترون البخل طبعا واننى * أرمى كرمى للقاصدين طبائعا
فان كان ذا عيبا فها العيب عندكم * وكل امرئ يبدى الذى فيه شائعا

وان سخا الانسان يعلو مقامه * وان دام بخل صار للخير ماثنا

﴿قال الراوى﴾ فلما سمع اخواتها منها هذه الابيات أخذتهم الحيرة والانبهات وقد خافوا أن تسمع عنهم هذه الامور والقبيحات فخرجوا من عندها وقد تركوها على حالها وصاروا يتشاورون فيما يدبرون من شئ يكون سببا لحفظ أموالها فقال الكبير فيهم اعلموا انى أشير عليكم برأى ان فعلتموه يكون مليحا فقالوا له وما هو فقال لهم وما ذلك الا أن تزوجوها برجل يكون بخيلا يحفظ عليها مالها وما تملكه والان دامت على مثل هذا الحال فهى تضيعه وتهلكه ولا تبقيه ولو كان من كان من الرجال قال ثم انهم أيها الملك اجمعوا رأيهم على رجل يقال له سعد وكان هذا الرجل أبخل أهل زمانه وأزراهم حالا من حين نشأ ما أوقد نارا ولا عزم على جار ولا ضحك ولا تبسم ولا عبر على أحد أو سلم ثم انهم أيها الملك ساروا اليه وطلبوه لاختهم فتعجب من تلك القسم وقد قال فى نفسه واعجباه والله ان هذه الجارية قد خطبها سائر ملوك بنى طي وقبائل معن وزبيد وما أنعموا بها اخوتها الى أحد ويأتوا الى مثلى انا ثم يخطبونى لها ان هذا العجب ولكن السعادة اذا أقبلت للانسان لابد أن يكون لها سبب فعندها أجابهم الى ذلك فزوجوه بها لشدة خيفتهم عليها فلما دخل عليها أبصر منها درة الغواص وظبية القناص فتملى بها ومن ليلة دخل بها علقت منه وقد قاست فى مدة الحمل من بخله ومن خلقه ما لا يسئل عنه الى أن كملت أشهرها وساعتها فاشتهت الموت ولا تكون تعد بين النساء وقد قعدت على يد القابلة التى قد أتتها وهى تدعو على اخوتها وعلى نفسها بانقضاء مدتها ولكن ارادة الله تعالى أغلب من ارادتها فوضعت غلاما ذكرا بلا صيحة ولا زعقة ولا ألم ولا مشقة فسمته حاتما وذلك بزعمها وتعنى بذلك ان الله حكم عليها من مقاساة ذلك الزوج بهمها وغمها ثم انها لما وضعته حنت عليه وقد صارت تربيه الى أن كبر وخرج من حد الرضاع وقد بانت فيه علائم أخلاق مكارم الطباع فكان ولدا عبوسا بشوشا بوجه كأنه الدينار المنقوش يتكرم بزاده على أقرانه وكلما وقع فى يده شئ من البيت يواسى به جيرانه ويضحك لكل من يناديه باسمه ويجمع الصبيان حوله ويعطى لكل واحد منهم قسمه ويوهبهم ما يكون عليه من الثياب ويوادهم ويؤانسهم بنفسه ويحسن لهم الخطاب وكانت أمه كلما رأته يفعل تلك الفعال الملاح ما تسعها الدنيا من كثرة الأفراح وقد صار أبوه يدعو عليه وعلى أحواله ويندم كيف انه أجابهم الى الزواج ويصبح ويمسى فى هم وانزعاج وكانت أم حاتم كلما أبصرت أباه من ذلك يتغاظ ويتكمد علمت ابنها ما يزيده حسرة وكمد وقيل ان أباه أتى يوما من بعض الايام فرأى حاتما قد نقل كل ما فى البيت من الزاد والطعام وقد جمع جماعة من صبيان الحى وصفهم حواليه ومد لهم سماطا فجعلوا يأكلون ويمرحون ويثنوا عليه قال فلما رأى أبوه الى زاده يؤكل اسود فى عينيه السهل والجبل ومن شدة ما جرى عليه صار لا يدرى ما يفعل الا انه طلع على رابية عاليه وكشف رأسه وصاح ونادى وقد جعل يلوى بعمامته ويستغيث باهله وأناسه وينادى يا أهل جبهة البدار الدار انجدونى على ما نزل بى من المصائب كلها والاضرار والحقونى فقد ذهب مالى كله وقد ساءت بينكم أحوالى قال فلما سمع أهل الحى صياحه وعرفوا مقاله ورأوه وهو يلوح بعمامته لبسوا السلاح وركبوا الجرد القداح ثم انهم بعد ذلك قد طلبوه من كل جانب ومكان وركضوا بالخيل حتى انهم قاربوه فلم يروا حوله الا الصبيان ولكن لما ان قاربوه قالوا له يا سعد ما حالك وايش هو الذى جرى عليك ونالك أين الخيل الغائرة التى جاءت لاموالك فقال لهم ما هنا خيل ولكن ما هنا الا البلاء والكرب والويل وما هنا الا اولادكم وقد أخذوا زادى وأكلوه فانظروهم قد داروا حول ولدى ونهبوه ولم يخافوا الله فى حالى ولم يراقبوه وان لم تنهوهم عن هذه الفعال والا رحلت عنكم ونزلت فى أعلى قرون الجبال حتى لا أبصر أحدا يبلغ من أكل زادى الآمال فلما سمعوا منه ذلك المقال ضحكوا عليه وعادوا فى ساعة الحال عنه لانهم كانوا يعرفون أحواله وطباعه فلم يلتفتوا اليه ولم يعبؤا بقوله ولم يعتبروا بسماعه بل قالوا له أذلك الله بين العرب من بعد منها ومن اقترب اذا كانت هذه الفعال فعالك ولما سمعت أم حاتم بذلك تألم قلبها وهطلت دموعها وصارت تدعو على بعلها وعلى اخوتها وتقول يا اخوتى لانجاكم الله من المصائب ولا تعدتكم النوائب كما انكم زوجتمونى بهذا اللئيم البخيل الخائب ثم انها صارت تتغايظ بعلها

وتلقن ولدها أسباب الكرم وتقول له يا ولدى اذا خرجت بالزاد ولا رأيت أحدا يأكله القه على رؤس الروابى والآكام حتى تأكله الجوارح والعقبان والرخم ﴿قال الراوى﴾ ومازال كذلك كل يوم يخرج بزاده لجائز الطريق واذا ما رأى أحدا يطعمه له يرميه للوحوش والطيور ولم يزل على تلك الفعال حتى انه كبر واشتد فصار كل يوم يضارب قومه على الضيوف حتى يأتى بهم الى عند أمه وهى تروج لهم الطعام وصار ينحر ما قدر عليه من الاغنام ويجمع عليه الاراذل والايتام وأبوه يرى ذلك حسرة وكمدا ويخاف من الفقر ويقول ليس لى على ذلك من صبر ولا جلد ولما أن أعياه الامر فى حاتم أحسن معه التدبير وقد أظهر له الوداد والمحبة ومشى معه مشى الرجل الخبير ثم انه وهب له جارية جميلة وأعطاه حجرة سابقة نبيلة وقطعة من النوق وافرة جزيلة وقال له يا ولدى اعلم أن أموالنا قد قل عليها المرعى وقد ضعفت عن السير والمسعى وأنا قد عجزت عن مرعاها وانى أزيد منك المعونة عليها وعلى مرماتها لانه يا ولدى من اليوم المال مالك والجمال جمالك ثم انه سلم اليه ذلك كله وقد وصف له مرعى بعيده وهى منقطعة عن الطريق والمسالك وأمره بالمرعى هنالك وقد أراد بذلك ابعاده عن الناس حتى لا يلتقى أحدا يكرمه ولا يطعمه وينقطع من ضيافة الضيوف الاياس ثم ان حاتما أيها الملك فعل ما أمره به أبوه وأخذ النوق والجمال والجارية وركب الحجرة وسار الى ذلك المكان المشار اليه وأقام فيه أياما وهو منتظر أحدا من جائزى الطريق أو أحدا فى ذلك المكان يقصده أو يأتى اليه أحد من الذين كانوا يأكلون معه الزاد أو يعرفونه بحال من الاحوال ان كان من حلتهم أو من غيرها حتى انه يطعمهم ويهبهم شيأ ما عليه ولو كانوا أقواما كثيرين لم يجد فى ذلك المكان أحدا الا من المسافرين ولا من الطراق فصعب عليه ذلك الحال وما هان عليه ما وقع له من هذا الاتفاق وقد ضاقت عليه أنفاسه من الوحدة وقاسى ذلك الالم وشدته وصار فى كل يوم يركب على ظهر حجرته ويبعد فى البر ويدور وسار الى سائر الآفاق ولم يلتفت الى جمال ولا نياق ولم يزل كذلك على ذلك الحال الى يوم من الايام واذا قد أقبل عليه من صدر البرية ثلاثة رجال وكان ذلك من أعجب ما يكون من الاحوال وهم قد أقبلوا من صدر البرية على عجل منهم وكل واحد منهم راكب على مطية وكان من الاتفاق العجيب والامر المطرب الغريب ان هؤلاء الثلاث الرجال القادمين الذين كانوا على تلك النوق سائرين ومسافرين كانوا ثلاثة شعراء سائرين على نصيبهم وهم يطلبون رجلا كريما يقصدوه أو موردا عذبا يوردوه وكان أول واحد منهم يقال له عبيدة بن الابرص الاسدى والثانى بشر بن حازم السلمى والثالث النابغة الذبيانى ولما رآهم حاتم أسرع اليهم وسلم فى عاجل الحال عليهم فردوا فى الحال سلامه وقد زادوا فى تحيته واكرامه ثم انهم قالوا له يا فتى هل عندك شئ من القرى لمن أضر بهم الجوع والسرى وطول الضرب وكرب الحر والصحرا فقال لهم حاتم يا وجوه العرب ما أمركم الاعجب تسألونى عن القرى وهذه النياق بين أيديكم تساق وتسعى ثم انه ترحب بهم وقد أنزلهم فى الظل الظليل وقد نحر لهم فى الحال ثلاث نياق مطاويل وقدح الزناد وعجل لهم بالزاد فحار هؤلاء الشعراء من فعاله وما منهم الا من أبصر ما أهاله فقال عبيدة بن الابرص يا فتى ما هذا الافراط فى هذا المعنى ونحن ما قصدنا اليك الا فى طلب الزاد وشرب اللبن وما نريد اتلاف مالك على غير وجه حسن على ان ناقة واحدة كانت تكفينا حيث انك اردت ان تكرمنا وتحيينا وكنا نمضى عنك شاكرين ولاياديك ذاكرين ولكن يا فتى فات الامر فشكر الله خيرك لانك قد فعلت ما لا فعله أحد غيرك فقال حاتم يا وجوه العرب الافاضل اعلموا انى نظرت الى زيكم فرأيته مختلفا فعلمت انكم من ثلاث قبائل فنحرت لكل قبيلة ناقة لتأكلوا منها وتسيروا من غير عاقة ثم انه قال لهم كلوا يا اخوانى مما تريدون من هذا الخير واذا سرتم خلوا الباقى للوحش والطير لان الذين سبقوا من الاوائل قد قالوا كلاما لطيفا وهو ان ضيف الكرام يضيف واعلموا ان الطبع غلب التطبع والتكليف (قال المؤلف) فتعجبوا من حاتم وكلامه وقد شكروه على فعله وأكلوا طعامه وقالوا له يا فتى من أى العرب أنت وما اسمك وتنسب الى أى حى فقال لهم حاتم أما اسمى فحاتم بن سعد الجهمى وقبيلتى بنو طي فقال له أكرمت وزدت من الخير والانعام ولكن أنت ما تعرفنا يا غلام فقال لهم لا والله يا بنى الكرام فقالوا اعلم اننا نحن شعراء العرب أهل الفضل والادب وطول أعمارنا ندور قبائل العرب

ونقصدا الرجال الافاضل الكرام أهل الرتب فما رأينا أكرم منك ياغلام على ما الك من قلة الاعوام فوحق من أرسى الجبال كالاعلام وأنزل القطر من الغمام لاضيعنا حرمة الطعام ولابد أن نذكرك فى دواوين السعادة والاكرام ونقول فيك ما يروى ويبقى على ممر الدهور والاعوام ثم ان النابغة أشار يقول

أنت تسرى بك المعانى * ومن ندا كفك الربيع * فأنت من طي فى صريم
كالقلب تحويه الضلوع * فى كل يوم تريد شكرا * يشيعه عنك من يشيع
وأنت أهل لكل فخر * وكل مجد لك المطيع

﴿قال الراوى﴾ ولما أن فرغ النابغة من مدحه تقدم اليه من بعده بشر بن حازم السلمى يمدحه ويقول

يجود على كفك بالعطايا * وبالنفس الكريمة للنزال * فنزلك بالعطاء بكل خير
كمنزلة اليمين على الشمال * وانك ذو كمال مع فخار * وجودك شائع بين الرجال
وانك كامل من غير نقص * وصاحب مفخر باهى الكمال

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ بشر بن حازم السلمى من مدحه تقدم من بعده عبيدة بن الابرص وقد أشار يمدح حاتما بهذه الابيات

الا قل لسارى الليل لاتخش ظلمة * فحاتم طي حوى كل بلاد
نشا سيدا قد فاق من كل سيد * جوادا جرى من قبل كل جواد
يقول على الرمح الردينى قوامه * ويقصر عنه باع كل نجاد
كريم كريم الاصل والفرع دائما * ويعطى ولا يكدى على القصاد

﴿قال الراوى﴾ ولما ان سمع منهم حاتم ذلك النظام دمعت فى الحال عيناه ثم انه نادى واحرباه انى أردت أن أتفضل عليكم فصار لكم على الافضال ولا بقيت أقدر أن أكافئكم على ما قد قلتموه لا بمال ولا بنوال وانى والله ما تملك يدى فى هذا الوقت غير هذه النوق والجمال فخذوها واقسموها بينكم بالسوية واعذروا غلاما ما عرف حق سعيكم عذر مسامح لان العذر عند كرام الناس واضح فقال له بشر بن حازم لا وعهد الله يا غلام انما ما نستحق على ما قلناه من ذلك الكلام بعض هذه الانعام ولا نرى من المروءة اننا نفقرك ونحن نستغنى وما أنت بقيت عندنا الا كواحد منا فقال حاتم وحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تأخذوها عقرتها بالحسام وتركتها جزرا للوحوش والهوام ثم انه قد سل حسامه لما فرغ من ذلك القول وقصد الى النوق والجمال قال ولما رأى هؤلاء الشعراء فعاله وسمعوا ما أبداه لهم من مقاله شكروه وفى عاجل الحال أخذوها واقتسموا نوقه وجماله وقد ساروا فى عرض البر وتلك الفلاة بما معهم من العبيد والرعاه كلهم ﴿قال الراوى﴾ وقد ذكر الناقل لهذا الحديث انها كانت ثلاثة آلاف ناقة سود الحدق حمر الوبر وفى الرواة من قال انها كانت من ذلك أكثر ولما ودعوه وعولوا على الانصراف أعطاهم أيضا الثلاثة أصناف وهم الجاريه والحجرة والجمال وقد حاد الى الحى راجلا كانه ما أبدى شيأ من الفعال وهو يقلب كفيه ويهز عطفيه ولما قارب المضارب لقيه أبوه فانكره لانه قد رآه على خلاف ما أمره فقال له يا حاتم انى أراك قد أتيت راجلا فاين الحجرة قال وهبتها قال والجاريه قال لمن يستحقها أعطيتها فقال له وأين النوق والجمال فقال له اعلم انى قد اشتريت بها ما تشكرنى عليه مدى الايام والليال لانك تموت ويبقى ذكرك على طول الزمان الطويل وأحاديثك باقيه ما بقى الجديدان فقال له ويلك يا حاتم ايش الذى هو اشتريته باموالى أخبرنى فقد انقطع قلبى وتحللت أوصالى فقال له يا أباه قد اشتريت بها شعرا الايفنى ولا يزال على مدى الدهر يروى على طول المدا وقد أخبرتك بذلك حتى تقيم عذرى وتعرف فيما فعلته قدرى ثم انه أشار الى أبيه يقول هذه الابيات

سأمنح مالى كل من جاء طالبا * واجعله وقفا على الجاه والعرض
أصون به عرض الكرام واتقى * لئيما اذا ظننته ساعيا فى عرضى

وهذى فعال الجيد فى كل محضر * تسير به الاخبار فى سائر الارض
فطيب بها قلبا ولا تك ماذما * فيبقى عليك اللوم للحشر والعرض

﴿قال الراوى﴾ فاما أن سمع أبوه منه ذلك المقال تفصلت مفاصله وساءت منه الاحوال وقال له ياويلك اشتريت بمالى شعرا ماله رجوع لا يروى الظمآن ولا يشبع من جوع وحق البيت الحرام لا بقيت تتبعنى من اليوم أبدا ولا بقيت أرافقك على طول المدى لانك ولد الردى ﴿قال الراوى﴾ ثم انه فى عاجل الحال جمع جميع أمواله وقد عجل فى ذلك الوقت ارتحاله ورحل من الحى فاتى الى حاتم أقرانه وأعلموه بعد ما عتبوا عليه بما فعل أبوه وقد عرفوه ان أباه قد أخذ أمواله ورحل فضحك حاتم وقد تبسم لهم وقال يا بنى عمى والله لقد زال بعده عنى همى وغمى ثم انه تمثل اليهم بهذه الابيات يقول

اذا سار عنى مبغضا برحاله * وأمواله فالمال غادو رائح * ومن يشترى حسن الثناء بماله
يقولون هذا خاسر وهو رابح * لحا الله من أمسى يقلب زاده * ومن حوله قلب الى الجوع مائح
دعوا والدى يمضى يعيش ببخله * فما أنا ممن تزدهيه القبائح * فلا شكله شكلى ولا أنا مثله
ولا الرزق يعدونى اذا كان نازح * لان الذى أعطاه باق وخيره * الينا مع الايام ماس وصابح
فلا خير فى شخص يكون بماله * بخيلا شحيحا أسود الوجه كالح
وما الفخر الا بالسماح وبالعطا * ولا خير فيمن كان للبخل جانح

﴿قال الراوى﴾ رحمه الله وسامحه وغفر له وللمسلمين ثم انه دخل على أمه وأعلمها بما كان من أبيه ففرحت برحيله وبعده عنها وقد نزل على قلبها الفرح والهنا وقالت عيش الانسان فى الفقر وذكره جميل أحسن من معيشته فى غناه وهو بخيل ثم انها سلمت باقى مالها لولدها وقالت له يا بنى هذه الاموال مسلمة لك بعد دها فاكسب فيها الثناء ولا تكسب بها ذما وقد حاتم انهم أيها الملك أقاموا على ضيافة الضيوف واغاثة الملهوف الى أن افتقروا ونفد ما كان معهم ولم يبق لا ناقة ولا جمل ولا عبد ولا أمة تخدمهم وذلك من كثرة تفريطه وتكرمه على سائر الاعراب وقد صبر هو وأمه على قلة الطعام من الزاد والشراب واذا أتاهم ضيف لم تطعمهم أنفسهم انهم يحتجون عليه باحتجاج حتى نفد ما كان عندهم من المصاغ والثياب والديباج وبعد ذلك باتوا الليالى وأيام طاوين على الجوع وقد حل بهم بعد العزعابة الذل والخضوع ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك النعمان قال وقد بلغنى أيها الملك ان فى بعض الايام قد أتاهم ضيوف ففرحوا بهم وقد التقوهم باحسن التحية والاكرام وأظهروا لانفسهم الصبر والجلد حتى لا يشمت بهم عدو ولا حاسد يحسدهم على فعل الجميل ثم ان حاتما أقبل على أمه وقد زاد به من ذلك الامر همه وغمه ثم قال لها ايش نطعم هؤلاء الضيوف النازلين عندنا وهم معتادون بالاطعام منا وبوفدنا فقالت له أمه والله ياولدى انى فى ذلك متحيره ولا أدرى ما أفعل وفى هذه الامور أنا متفكره وأنت تعلم ياولدى كيف كان مبيتنا البارحة وان بدنا ما بقيت تملك غاديه ولا سارحه ولا مروحه ولكن شد عزمك ولا تشمت بنا الاعداء ولا تفعل فى ضيافهم الا غير صالح ولا تخل أحدا من ضيوفنا يمضى وهو يذمنا وتفعل معهم فعلا غير الذى اعتادوا عليه منا أبدا وقم من وقتك هذا وخذ بيدى واخرج بى الى هؤلاء القوم الذين ما يعرفونى وأنت لا تعيد ولا تبدى ثم ناد على أين من يشترى هذه الامة البازله وتبيعنى لهم بما سهل وتيسر من تلك النياق التى معهم حاصلة وانحر منها الاضيافك ما يدعهم وتقوت أنت واختك بما يتبقى وبعد ذلك اذا تيسر وسهل الله عليك بشئ اشترنى بما يصل من الخير اليك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع حاتم من أمه ذلك المقال قال والله لا فعلت ذلك أبدا لاننى أنا اعلم اذا فعلت ذلك أبقى أعاير به على طول المدا ولكن ان كان ولا بد فبيعينى أنت فهو أولى واتقى لان الرجل على كل حال اصبر من المرأة على الخدمة والشقا وأنا أقسم بمن كسا الليل سوادا وغسقا وجعل الشمس نورا مغربا ومشرقا ان لم تطيعينى وتقومى وتفعلى ذلك والا قتلت روحى وأسقيتها كاس المهالك فى هذا الوقت والساعه ونفسى على ذلك مطاعه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت أمه منه ذلك القول خافت عليه أن تصل الاذية اليه ثم انها وضعت منديلا فى عنقه وسارت به

وهي تنادي عليه وتقول من يشتري هذا الغلام النجيب المولد المطيع للبعيد والقريب يحطب الحطب ويحلب اللبن ويصنع ما يحتاج الامر اليه من اخراج الزبد والسمن ثم انها دارت به على الظعن الذين على حيهم نازلون وكانوا كما ذكرنا انهم لم يعرفوهم لانهم من غير تلك القبائل وتلك البلاد وكان نزولهم في تلك الارض لاشيء الا ان يستضيفوا واذا ارتحلوا يرحلوا كلهم عن القوم فتقدم اليها منهم رجل وقال لها بكم تبيعي يا حرة العرب هذا الغلام فقالت له يا سيدي بما أعطيتني من الحطام فاخذه منها وأعطاها ناقتين فاخذتهم منه وقد رجعت بهم وهي على فراق ولدها ما تدري أين تضع أقدامها وقد نحرت الواحدة منهما وروجتها وأضافت القوم بها وتركت الاخرى وقد أقامت حزينة على ولدها ومن الغد رحل القوم في عاجل الحال وحاتم معهم سائر وهو يسوق النوق والجمال ويفعل كما تفعل العبيد مع الموال الى أن وصلوا الى محلهم والاطلال وكان مولى حاتم قد تركه في المرعى يرعى النوق والجمال ويمخض اللبن اذا مضت عليه أيام وليال الى أن كمل عليه ثلاثة شهور وذلك من قدرة الله تعالى ان يحدث من بعد الامور أمور واحكام ﴿قال الراوي﴾ فبينما مولى حاتم مقيم على تلك الامور الحادثه واذ قد أتى اليه صديق له يسمى لاثم بن أبي حارثه ولما ان قدم ذلك الرجل على مولى حاتم أمر باحضار الطعام فاحضره العبيد وهو قائم فاكل ذلك الرجل ورفع رأسه فرأى حاتما واقفا مع جملة العبيد وهو يخدمهم ولا يبدي ولا يعيد فعرفه ذلك الرجل وقد علم بحاله لما ان رأى خدمته وفعاله فقال لمولاه من أين لك ذلك العبد النجيب يا وجه العرب ثم تبسم وقد أظهر العجب فقال له سيده اعلم ان هذا قد اشتريته بناقتين وقد مال قلبي اليه لما رأيت منه من كريم الفعل والحياء والسجايا التي هي ساكنة عليه واليوم وذمة العرب لو جاءني فيه ألف ناقة ما بعته لانه قد زاد عندي محبة ورغبة لاجل أمانته وثقته وشطارته ونداوة عينيه وهدو كلامه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ذلك الرجل ذلك الكلام زاد ضحكه وقد علم ان أهل ذلك الحي ما يعرفون أحدا من بني طي فقال له والله يا وجه العرب لقد اشتريت عبدا ماله قيمة ولا قدر ولقد وقعت في البريدة الدرة اليتيمه ولو انك عرفت هذا العبد ما كنت استخدمته بل كنت أنت خدمته وأكرمته الاكرام الزائد ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع سيد حاتم هذا الكلام رفع عند ذلك يده من الطعام وقال له بالله عليك يا وجه العرب الكرام أخبرني ما معنى هذا الامر والمرام ان كنت قبل هذا اليوم تعرفه لانني أراك بفعال المعروف تمدحه وتصفه فقال له لاثم ما هذا والله عبد وما هو الا سيد من سادات العرب أصحاب المفاخر والرتب الذي تأوي اليه سائر العرب وبجوده تفتخر أصحاب المفاخر وتبلغ منهم الارب وهو حاتم الذي بلغ هو وأمه ما لم يبلغه أحد من المكارم لا من العرب ولا من العجم والله ما باع نفسه الا وله سبب عجيب وهو أعجب من كل عجب وله حديث وطرب (قال محمد) وقد كان ذلك الرجل الذي هو سيد حاتم رجلا كريما مذكورا بين العرب في تلك الاقاليم ولما ان علم ان حاتما عبده طاش عقله وحار في أمره وقال وافضيحتاه ثم انه قام من وقته وساعته اليه واعتنقه وقبله وأخذ بيده وأجلسه بجانبه وأكرمه وفضله وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه كلهم وقد أمر عبيده باحضار أفخر ثيابه وألبسه تلك الثياب وزاد في اكرامه وقد اعتذر اليه من استخدامه له ثم انه بعد ذلك سأله عن سبب بيعه لنفسه بتلك القيمه وقد استحلفه على ذلك بالايمان العظيمه فحدثه بما جرى له ولامه من الفقر والفاقه وانه لما نزل الضيفان عليه ما كان عندهم شيء في ذلك اليوم لا جمل ولا ناقه ففعلت به أمه تلك الفعال وقد باع نفسه بما تيسر من ذلك النوال حتى لا يقال عنه من جملة الاقوال انه أتاه زائر وعاد عنه غير شاكر فتعجب سيده هو ومن كان حاضرا من قصته وقد لحقهم الحياء من عظم مروءته وقد باتوا تلك الليلة في حديثه ولما ان كان عند الصباح أراد ذلك الضيف ان يرحل فقام سيد حاتم الى ماله واقتطع منه لحاتم ثلاثة آلاف ناقة وجمل ولم يتكدر لذلك وقد أظهر الفرح والسرور ثم انه قال له يا حاتم خذ هؤلاء لك واعلم انهم حق خدمتك اياي مدة ثلاثة شهور ولكن لا تخبر أحدا عنا بهذا الحال ولا تقل لاحد اني قد استخدمتك في رعي النوق والجمال حتى لا يذمني أحد من الرجال ثم انه أعطاه جارية مليحة الوجه وهي تطيعه وكانت تسمى ظريفه وكانت ظريفه طبق اسمها وقال له يا حاتم خذ هذه

الجارية اعطها لامك حق دلالتها حتى لا تتغير عن فعل المكارم ولا عن عادتها لانها قد باعت بيع السماح فاستحقت بذلك الفائدة والارباح فشكره حاتم على ما أولاه من الافضال والمكارم وعاد من عنده عودة المسافر الغانم وقد سارت العبيد تسوق قدامه الاموال وهو طالب ديار بني طي والاوطان وقد زاد شوقه الى أمه وأخته ومن فراقهم قد حرق فؤاده ولم يتغير لبعده عنهما في هذه الايام وداده وقد كانت أمه لاجل بعده تبيت وتصبح متألمة لفقده لانها قد بليت بالفقر ومن الحبائب بالابعاد وقد جفاها اخوتها لاجل فعالها تلك الفعال وشمتوا بها الحساد ولما أن أعياها الامر وساء حالها فكان يسليها ويعينها على حزنها الا ابنتها وكانت طريدة حاتم صغيرة السن فائقة الذهن رائقة المعاني وكان اسمها اسماء وكانت أحسن بنات ذلك الحي وكانت اذا رأت أمها تلج في البكاء تساعدها على الانين والاشتكا وتعدد كما جرت به عادة النساء ولها صبر عظيم على الضر وتقول يا حاتم ما خلفت بعدك للارامل والايتام أترى يا أخي يكون لنا بعد هذه الفرقة تلاق والتئام يا أخي لو رأيت كلاب الحي وهم يترددون على أبوابك بالملاوي تطلب عوائدك وفضلات ضيوفك التي كانت ترد اليك وكان اتكالها بعد الله عليك ﴿قال الراوي﴾ ولما ان كانت أمها تسمع منها ذلك يلذ لها التعداد وقد دام عليها ذلك الامر الى ان كادت أن تشرف على العمى وكاد ينفطر منها الفؤاد ومما قد ذكرته الرواة انها كانت تخرج في كل يوم من الحي الى الصحراء وتجمع من حشائش البر ما تقتات به هي وبنتها ولا تكسر نفسها لاحد ولا تطلب منه شيأ تقتات به فلما كان في يوم من بعض الايام خرجت أم حاتم على عادتها تجمع من حشائش البر فأتت اليها جماعة من الخباء وقد بشروها بقدوم ولدها حاتم وانه قد عاد من غيبته وهو سالم ومعه أموال كثيرة وغنائم لانها كانت في حال غيابه كل من كان يسألها عنه تقول له مضى يطلب المعاش والمكسب كما تفعل صعاليك العرب ولما انها بشرت في ذلك الوقت بوصوله اليها كادت أن تخرج من عقلها ويغشى عليها ولما ان رأت رجال الحي متبادرين الى لقاه شكرت الله على رجوعه واجتماعها هي واياه فعادت الى بنتها اسماء وقد بشرتها بقدوم أخيها ووصوله الى الحي وانه قد عاد وهو سالم ومعه أموال وغنائم فوقف الاثنان على باب الخباء متشوقين الى رؤيته وكان انتظارهما اليه في تلك الساعة أشد عليهم من جميع غيبته ﴿قال الراوي﴾ فلما جاء حاتم صار يفرق على شباب الحلة النوق والعبيد حتى شكروه على تلك الفعال القريب منهم والبعيد الى ان وصل الى أبياته وقد فرق ألف ناقة وبقي معه ألفان وأهل الحي يشكرونه على أفعاله ويقولون هذه فعال من لا ذاق عمره لا فقرا ولا فاقة وبعد ذلك التقى بأمه وأخته ودخل معهما الى المضرب وقد قضى من حق الزمان ما وجب وصار يحدث أمه بما جرى له مع مولاه الذي كان قد اشتراه وقد صار يبث اليها ما كان من اكرامه له وما فعل معه من مكارمه وسخاه وأمه تقول سبحان من لا يقطع الرجا ولا يخيب من عليه اتكل وعلى كرمه التجا ولما كان من الغد خرج حاتم الى الصحراء والتلال وقد نحر أربعمائة ناقة وجعلها نهبا للكل النساء والرجال وبعضها للوحوش والطيور وبعضها للاصحاب وبعضها للرفاق وقد ترك الباقي وقفا على المسافرين والطراق الذين يأتون على اسمه من سائر الآفاق والوديان وما أمسى المساء الا وسائر أحياء بني طي تصيح له بالدعاء وتثني عليه أحسن الثناء الى ان شاع ذلك في جميع الحي ومن كان هناك من العربان ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الملك النعمان كان يحدث الملك كسرى بهذا الحديث وهو يسمع ويطرب ويتناول الكاس من ساقيه ويشرب ويقول وحق الجمر اذا اضطرم ان هذا الرجل أوسع منا نفسا وأكرم لو كنا نحن أظهرنا العدل والجود بين الامم وأما عنتر فقد أسكره حديث حاتم وذكر الكرم وأكثر عند سماع ما أطربه من أقداح المدام ثم انه قال ان وقعت بهذا الرجل لأقبلن يديه ورجليه وأخدمنه بالذي أقدر عليه وقد طربت لذلك سائر الحاضرين والندماء من أبطال العرب وملوك العجم والمشايخ القدماء وأهل الادب الكرماء وأهل الرتب ﴿قال المؤلف﴾ وقد قال أيضا بعض الرجال الحاضرين للملك كسرى وأنا الآخر أيها الملك سمعت عن هذا الرجل حكاية أخرى وذلك انه قد عبر على حي من أحياء العرب فرأى فيه أسيرا مربوطا في قيد وغل وهو يقاسي الكرب فوقف عنده وقد

توجع له مما هو فيه من آلام الجور والاعتدا فقال له يا فتى ألا تفدى نفسك مما أنت فيه من الضر والأذى فقال له الاسير والله يا مولاى ان الذى أنا أسيره ردىء الخلق وليس لى به من طاقة وقد قطع على فداء نفسى مائة ناقة وأنا قادر عليها ولكن مالى هاهنا من يضمننى الى أن أسير الى قومى وآتى بها فقال له حاتم أنا أضمنك وأقعد مكانك الى أن تذهب وتأتى بالنياق ثم ينقضى شانك وان كنت ما تعود ولا لك بهذا الفداء من طاقة فأنا أسوق الى صاحبك المائة ناقة وأفدى بها نفسى ولا يلحقنى فى ذلك تقصير ولا عاقة ولا تعسير وأنا قادر عليها ﴿قال الراوى﴾ ثم ان حاتما أتى الى الرجل الذى هو عنده وفى أسره وقال له يا وجه العرب اعلم ان هذا الرجل الذى هو فى أسرك هو ابن عمى وبينى وبينه قرابة ونسب وانه قد سألنى أن أضمنه وأن أعتقل مكانه الى أن يمضى ويأتى لك بالفداء فاربطنى مكانه وأطلقه الى أن يسير الى قومه ويصلح شانه ويأتيك بما طلبت ويخلص نفسه من أسباب الردا فقبل الرجل قوله وقد أتى الى الاسير ومعه جمع من أهل ذلك الحى وأطلق الاسير ثم انه أشهد على حاتم بذلك وقد ربطه مكان الاسير بين ذلك الملا بعد ان أطلقه مما كان فيه من البلا (قال نجد) ومازال حاتم فى القيد الى ان عاد ذلك الرجل بالمال وأطلق حاتما وسار الاثنان وذهبا ولم يعرف منهم أحد ولم يطلع لهم على حال الى أن شاع ذلك الخبر بعد أيام بين القبائل وسائر العربان ولما سمع الملك كسرى ذلك الكلام زاد به الى رؤية حاتم الهيام وقال وحق ذمة العرب الكرام لقد اشتهيت أن أجرب هذا الرجل فى أمر من الامور ولو مرة واحدة لان الاخبار ما تغنى عن المشاهدة ثم انه أمر بحاجب من الحجاب وقال له سر من وقتك وساعتك بهذا الكتاب الى قبيلة بنى طى واسأل عن حاتم فاذا اجتمعت به سلم عليه وحيه وحيى لاجله كل من فى الحى ثم قل له ان صاحبى الملك كسرى قد أنفذنى اليك وهو يطلب منك حمل الزاد ليعود نفع ذلك عليك ثم انفذ له أنت من النوق والجمال ما تقدر عليه ويكون ذلك عاجلا لانه محتاج الى ذلك لان نائبه الملك النعمان بلغه ان فى تلك السنة تدهمه عبدة الصلبان فيريد أن يلقاهم فاعتاز النوق والجمال فاجتهد له فى ذلك ليكون لك عليه المنة والافضال فقال له الحاجب السمع والطاعة ثم انه قد تجهز فى عاجل الحال فى ذلك الوقت والساعة وسار معه مائة فارس من أبطال العجم وقد أخذ معه من العرب دليلا عارفا من عند الملك النعمان يدلهم بين الروابى والآكام وقد انقضى ذلك اليوم مجلس الملك كسرى بحديث حاتم وقد تفرق الندماء وهم يحدثون بما سمعوا عنه من المكارم وأما عنتر فانه صار يقول لمن معه وهو عروة وأبوه شداد وحق الركن والبيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام لولا هؤلاء الرهاين التى هى عندنا وانتظارى الى خلاص السبايا ووصول حريمنا لما كان سار لحاتم رسول الا أنا لان حديثه قد أهالنى وكرمه قد أطربنى وهيمنى ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من عنتر وما دار بينهم من الكلام وأما الرسول فانه لما سار من عند الملك كسرى طالبا بنى طى فمازال سائرا الى ان وصل ارض بنى جلهمة وتلك المعالم وهى فرقة من بنى طى ومنها كان حاتم ولما ان قرب الرسول من الخيام سأل عن حاتم وعن ابياته فأرشده اليه الخدام وكانت ابياته منفردة عن الحى وهى منعزلة الى جانب فدنا الحاجب اليها وقد دخل بين مضاربه فوجده قد صف القدور وأضرم النيران وهو جالس يصنع الطعام لمن يأتى اليه من الضيفان ويطبخ بيده حتى لا يطبخه أحد من الخدمة الذين عنده فربما يكون غير صالح فتنفر قلوب الضيوف منه ولم يأكلوه بقبول فيحصل له بذلك أمر مهول فتعجب الحاجب من حرصه على من يأتيه ومحبته لاطعام الطعام وفعل المعروف وملتقاه للقصاد والضيوف ولما ان نظرت كلاب الحى الى الرسول ومن معه من فرسان العجم ما انكرتهم ولا نبحت عليهم ولا منهم شىء هجم ولا لهم باذى قرب بل تقدمت اليهم بهدو وصارت تحرك لهم الاذناب وتمرغ خدودها على الارض والتراب بخلاف غيرهم من الكلاب وسارت تمشى قدامهم وتدلهم على المضارب والقباب وهذه كانت صفات كلاب حاتم من دون سائر الكلاب ﴿قال الراوى﴾ ومازال الرسول سائرا الى ان قرب من المضارب والخيام فرآه حاتم فقام اليه وتلقاه وترحب به وسلم عليه وزاد فى اكرامه بعد ما فرغ مما قد وجب عليه من سلامه وقد ابصره فما خفى عليه انه رسول من عند رجل كبير جليل القدر والجاه ففرح به وانزله فى خباه هو واصحابه ومن

معه من رفقاه وأمر العبيد بتسيير خيلهم فى البر والآكام وقد بسط لهم البسط والوسايد وأكرمهم غاية الاكرام وفى عاجل الحال قدم لهم ما راج من الطعام ووقف يخدم فى جملة العبيد والخدام القيام وكانت هذه عادته على ممر الشهور والسنين والايام ولما ان نظر الرسول الى ما صنع معهم من الاكرام قال له اجلس يا فتى وكل معنا الطعام واعلم اننا قوم أعجام لا نفرق بين القعود والقيام فقال له حاتم بالله عليك يا سيدى دعنى حتى أتلذذ بخدمتكم وآكل ما تدعوه من فضلتكم ولا تغير يا مولاى على عادتى وأبطل رسمى وما قد ربى عليه جسمى لاننى فى أكثر الاوقات أبقى اليوم واليومين والثلاثة لا أتهنى بطعام ولا ألتذ بمقام حتى يأتينى ضيف ألتذ بخدمته وآكل من فضلته فاجابه الرسول الى ذلك وما أطال عليه فى الكلام ولا غير عليه ما هو فيه من الوداد وقد أكل هو وأصحابه الزاد الى أن اكتفوا ولما فرغوا من أكل الطعام قدم لهم شيئا من المدام وبالغ لهم فى الاكرام وطابت لهم الاوقات التفت الوزير وقال له والله يا فتى لقد زادت نعمالك على السماع وأنا ما أتيت ضيفا بل أنا رسول من الملك كسرى فقال حاتم بماذا أتيت من عند ذلك السيد المحتشم الذى هو مالك رقاب الامم ثم ان حاتما قام وخدم فبلغه الحاجب الرسالة بما تقدم وقال له ان الملك كسرى يتذلل لك بالسؤال ويقول لك انفذ اليه شيئا مما قدرت عليه من النوق والجمال ليقضى عليها بعض الاشغال فقال حاتم سمعا وطاعة لمولاك الملك الهمام ولكن يكون هذا بعد ثلاثة أيام الطعام فقال الحاجب مالى سبيل الى المقام لان الملك أنفذنى وأجل لى أياما فقال حاتم اذا كان الامر على ما ذكرت فاشرب وخل بالك فقد انقضت أشغالك ﴿قال الراوى﴾ وقد بلغنى ممن أثق اليه وأعتمد فى كلام الصدق عليه ان حاتما فى ذلك اليوم لا يملك من النوق والفصلان غير ناقة واحدة ينقل أمه وأخته عليها من مكان الى مكان اذا سار وافى جملة الاظعان فقضى تلك الليلة مع الحاجب بأكل الطعام وشرب المدام ولما أصبح الله بالصباح طلع على رابية عالية تشرف على كل مكان فى الحى ونادى باعلى صوته يا آل طى فتبادرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان وهم يقولون له لبيك يا حاتم اليك قل ما شئت فها نحن بين يديك فقال يا بنى عمى ان الملك العادل كسرى قد أنفذ يطلب منى بعض جمال ليقضى عليها بعض الاشغال وأريد منكم أن تقرضونى كل واحد منكم على قدر ما عنده من النياق المليحة الخطا الى أن يسهل الله على الرزق وأنا ضامن لكم العطا وكان أهل الحى يحبونه ولا يخالفون الا بحياته لاجل ما شيد لهم من المجد بخيراته وذكرا الجميل بمراعاته فلما سمعوا مقاله مشى كل واحد منهم الى نوقه وجماله وقاد كل منهم على قدر حاله وفى دون ساعة من العمل اجتمع عنده خمسة آلاف ناقة وجمل فسلم الجميع الى الحاجب واعتذر اليه وقال له يا مولاى اذا وصلت الى الملك العادل قبل الارض بين يديه واخدمه عنى وأقم لى العذر عنده لاننى ما كنت تأهبت لخدمته فشكره الرسول على ذلك وخرج وسار يطلب المداين ولم يزل يجد السير أياما وليالى هو ومن معه الى أن وصلوا ودخلوا على الملك كسرى وحدثه الحاجب بما جرى وقص عليه جلية الحال وما صار من كلاب حاتم وتحريك أذنابها بين يديه هو ومن معه من الرجال وحدثه بحديث فقره ولم يزد لذلك همه وكيف انه اقترض النوق من بنى عمه فزاد محبته فيه كسرى وتعجب من كرمه وكان ذلك اليوم الذى هو فيه عنده ندماه الذين ينبسط بهم فى حضرته وقال هذا الرجل قد تخلق بهذه الخصال الجميلة ولو طلب غيره أن يتبع أخلاقه منعه التقصير عن ذلك وعاقه والصواب اننا نعينه على حمل أثقال المكارم حتى لا تخلى عليه لومة لائم فقال النعمان وقد فرح بصدقه وقال يا مولاى ما الذى عولت أن تفعل فى حقه فقال احمل هذه النوق والجمال وأوثقها من خيرات هذه البلاد وأعدها الى هذا الرجل ليعيدها الى معشره الذين هم ذلك فانا قد علمنا جود حاتم على قلة ما فى يده من الدنانير والدراهم ثم التفت وقال له أريد أن لا يمضى تمام هذا اليوم الا وهذه النوق والجمال كلها محملة تمرا ودقيقا وزبيبا ففى ذلك الوقت خرج ذلك الحاجب واهتم لما أمره به وأوقرها له ثم قال له زده من عندنا خمسة آلاف ناقة وجمل من ثياب ملونات وعمائم مذهبات ومضارب وخيام الا ناقة حاتم فانه حملها دنانير ودراهم وفى ذلك الوقت قضى كما أمره الملك كسرى من الاشغال وفعل ما قال وبقى الملك كسرى فى أكله وشربه هو ومن عنده من الرجال ومن الغد ركب وقد عرضوا عليه العشرة

آلاف ناقة وهي محملة كما ذكرناه موقورة وناقة حاتم في المقدمه وعليها فردان من الدنانير الكسروية في أكياس خز كوفيه فسر بذلك الحال ثم استدعى بذلك الحاجب المقدم ذكره ومن كان معه من الرجال وقال له أوصل تلك النوق والجمال الى عند حاتم ولا تعد الا بخطه وشهادة كل من كان في الحي فقال الرسول السمع والطاعه وهم بالمسير من تلك الساعه فأعطاه الملك النعمان ثوبين ديباج من عمل القسطنطينية وعمامة خز كوفية وقال له خذ هذه الخلعة واذا وصلت الى حاتم سلمها اليه وملي عليه وكان عنتر حاضر وهو مما شاهده حائر فقال للحاجب قل لحاتم طي انه في ذمامي ما عاش في طول أيامي وان كان له عدو تركت دياره خراب يأوي فيها البوم والغراب فعلم الحاضرون انه يعول على ما يقول وانه أهل لذلك الامر المهول ثم سار الحاجب بهذه الاموال ولم يزل سائرا حتى وصل الى حي بني طي وأوصل تلك النوق الى حاتم وقال له ان الملك كسرى يسلم عليك ويتعذر لك في السؤال ويقول لك قد استغنى عن النوق والجمال فتسلمها وأعطى خطك بما وصل اليك من المال فقال حاتم حفظ الله الملك العادل وأدام عليه السعادة وظلها لكن امهل علي يا مولاي حتى أرد النوق الى أهلها ثم انه طلع على الرابية المقدم ذكرها ثم نادى كما نادى في الاول يا آل طي فأجابوه وأقبل عليه أهل الحي ثم انهم اجتمعوا حواليه فقال لهم يا بني عمي كل من كان له نوق أو جمال فيعرفها ويسوقها الى بيته بما عليها من أمتعتها (قال محمد) فعند ذلك دخلت بنو طي بين الجمال وكل من كان له شيء عرفه وساقه بما عليه من الاحمال والرسول واقف وقد تحير من هذه الفعال وهو يقول والله ما مثل هذا الرجل لا في العرب ولا في العجم لان هذا عطاء من لا يخاف لا فقرا ولا عدم وقد جاز حد البذل والكرم ثم أقبل عليه وقال له يا فتى هذا الذي فعلته خطا واسراف في البذل والعطا فقال حاتم وقد تبسم من هذا الخطاب والله يا مولاي ما فعلت الا عين الصواب لان فقر واحد ما يتعدى لجميع الناس والمال المكنوز ما يرد الموت واعلم ان الرجل ما يرده عن طباعه لا عذل ولا ملام ﴿قال الراوي﴾ ولم يبق الا ناقة حاتم فساقها الى بيته وأنزل الحاجب في ضيافته وقد اجتمعت فقراء الحي وصعاليك بني طي وأتوا الى حاتم وقالوا يا صاحب الافضال والمكارم لقد انكسرت قلوبنا لاجل فقرنا وقلة ما لنا وما كان لنا نياق نقرضك اياها حتى كانت تعود لنا محملة مثل نياق أهل الحي التي رأيناها فضاق صدر حاتم لذلك وطاف بعد هذا كله من ملامة زيد وعمرو وقال لهم يا بني عمي لا تضيقوا صدوركم لما سلف فعلي عوض ما مضى لكم من الخلف ثم انه فتح الفردين الذين أتيا على ناقته ولم يخف فاقته وصار يكبش ويفرق عن يمينه وعن شماله هذا كله والرسول يتعجب من فعاله ومازال يفرق على الصعاليك والارامل والايتام حتى فرغ الفردين ثم نفضهما فنزل منهما ديناران فانتهى الى جاريته ظريفه وقال لها خذي هذه الاشياء الخفيفة فانها من سهمك وهي من دون الورى قسمك فهامت الجارية من كلامه وشكرته على انعامه وقالت له يا مولاي ما أمرنا الا عجب من دون قبائل العرب لان الدراهم ما تحبنا ولا يالفنا الذهب فلما سمع حاتم منها هذا الكلام أنشد وجعل يقول

قالت ظريفة ما تبقى دراهمنا * ولا لنا عندها عهد به نثق
ان يفن ما عندنا فالله يرزقنا * ممن سوانا لانا نحن نرتزق
ما يألف الدرهم المنقوش راحتنا * لكن يمر عليها ثم ينطلق
أما اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

﴿قال الراوي﴾ فتعجب الحاجب من فعله وشعره وعلم أن عذله ما يرده عن طبعه ثم انه أخذ منه خطه وقراه وعاد الى صاحبه الملك كسرى وحدثه بما جرى فقال كسرى والله ان فعال هذا الرجل قد كفرت ملي والذي يرى هذه الفعال يهون عليه الامر حتى لا يبقى بعده ولا يبدي واني قد هانت على الدنيا حتى ما بقيت أفكر في فقر ولا في غنا هذا وعنتر لما سمع ذلك الكلام قال واحرباه ان أدركني الاجل ولم أجتمع بهذا الرجل لانه والله كعبة الوجود وما في الحاضرين الا من تعجب غاية العجب من هذا الحديث الذي يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب ﴿قال الاصمعي﴾ وأبو عبيدة وجهينة بن غيلم اليمني وهم المصنفون لهذا

الكلام فهذا ما جرى لهؤلاء وما دار بينهم من الكلام * وأما ما كان من حاتم وما وقع له من ذلك المرام فانه قد تذكر بعد ان مضى الرسول من عنده الى الملك كسرى وقد حار في عقله وفكره فيما جرى وقال في نفسه يا ترى ايش المعنى في هذا الامر والحال حتى ان مثل كسرى أرسل يطلب مني نوقا وجمال ويردها علي مع هذا النوال وما قضى منها اشغال وما هذا الامر الاعجب فلابد لي عن المسير الى الكوفة عن قريب واجتمع بالملك النعمان وأستخبره عن هذا الامر والشان ثم انه تأهب بعد يومين وسار على ذلك الوصف قاصدا الى مدينة الحيره وهو مع ذلك كثير الافتكار وصار لا يهدأ له سر ولا يقر له قرار فبينما هو سائر قاصدا بلاد العجم اذ نزل في طريقه على قوم يقال لهم بنو نبهم فاضافوه وأكرموه غاية الاكرام وأقام عندهم لامر يعلمه الله تعالى ثلاثة أيام وكان في تلك القبيلة جارية يقال لها مارية بنت الضحاك قد خدمتها عند ولادتها كواكب الافلاك وكانت زائدة الملاحة والفصاحة والرجاحة ﴿قال الراوي﴾ وكانت قد تعلمت الخط والعلم وعرفت أحاديث العرب والعجم وقد خلف لها أبوها أموالا كثيرة ونعم فلما مات أبوها وصار في العدم تبادر اليها الخطاب وجد في زواجها الطلاب فردت الجميع على طلبتهم بلطافة خطابها وحسن معرفتها واذا بها حلفت على نفسها انها لا تملك زوجها الا من تجربه في فعاله وتعاين بعينها خصاله حتى انها لا تقع مع رجل صعب الاخلاق قليل المعرفة وكثير الشقاق يضيع عليها أموالها ويبدد ما تحته من أحوالها ومن حسن تدبيرها وكرم نفسها تركت حول مضاربها وخيلها منزلا لقدوم الضيوف كمن هو بين العرب بالخيرات موصوف وأقامت له الجرايه والرواتب فصارت تقصدها الاضياف من كل جانب وصار كل ضيف نزل عندها تختبره في كلامه وخطابه وتجربه في فعاله وآدابه وتكبر عليها نفسها أن تسلمها الى غير جنسها وانها مازالت على تلك الحال ملازمة حتى طرق ديارها حاتم ونزل في مضربها واستضاف بها وبالاتفاق كان سبقه في ذلك اليوم ثلاثة أضياف ونزلوا عليها قبل نزوله لما بلغهم عنها من الاوصاف فكان منهم النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمة وعبيدة بن الابرص القحطاني والثلاثة كانوا شعراء العرب فقدم عليهم حاتم ودخل المضرب فقاموا اليه وسلموا عليه وشكروه وأثنوا عليه بكلامهم فشكرهم هو أيضا وسألهم عن أحوالهم وقال لهم لاي شيء طرقتم هذا المكان ولمن أنتم مادحون وقاصدون من العربان فقالوا والله يا حاتم ما أتينا نمدح أحدا ولا نقصده ولكن أتينا في أمر نرجو أن نرشده ونعلمك به وهو انا ما جئنا الا لاجل أن نخطب هذه الجارية الفصيحة اللسان الكاملة الحسن والاحسان وقد بلغنا انها أعجوبة الدهر وفريدة العصر ثم انهم مازالوا يصفون له كرمها حتى اشتاق الى نظرها والى سماع خطابها لما سمع عن خبرها وقعد ينتظر ما قد يتجدد من انعامها وما تبديه لهم من اكرامها الا انهم ما استقر لهم المكان حتى أتت لهم الجارية التي لها وأبدت لهم السلام وقالت لهم ستي مارية تبدي اليكم السلام والتحية والاكرام وتقول لكم من فيكم له حاجة أو مسألة ترد له جوابها وتبين له خطابها فقال لها زهير بن أبي سلمى يا مولدة العرب قد بلغنا عن ستك انها صاحبة الحسب والنسب ونحن ثلاثة شعراء قد نزلنا على هذا الحي ومعنا حاتم طي وكلنا قد أتينا وعزمنا أن نخطبها من نفسها وكل منا يريد أن يكون صاحب عرسها من رغبته لها بعلا قام ومن أبعدته رحل عنها بسلام فلما سمعت الجارية هذا الكلام عادت بسرعة وغابت قليلا وعادت وأسرعت لهم في الخطاب وقالت يا موالي ستي تقول لكم اذا كان في غداة غد احضروا في التماس خطبتها حتى تتكلم معكم من خلف حجابها وتختار منكم من يكون من رزقها فأجابوها الى ما أبدت من المقال وأقاموا ينتظرون تمام الوعد ثم ان مارية أرادت أن تخبرهم لتعلم أيهم أكرم حسبا وأحسن أدبا ففرقت بينهم وضربت لكل واحد منهم مضربا وأنفذت لكل واحد منهم جزورا وقدرا يطبخ فيه ثم قالت للجارية قولي لكل واحد منهم يصلح لنفسه الطعام الذي يشتهيه ففعلت الجارية ما أمرتها به سيدتها وأتت كل واحد منهم بما عليه الكلام مع ستها قد انتهى فوثب كل واحد الى جزوره فنحره وسلخ جلده وأضرم النار وأصلح ما يأكل في قدره وعلمت مارية بذلك فخلعت ما كان عليها ولبست خليقات مقطعات ولبست على وجهها برقعا خلقا وعلى رأسها وقاية بالية ثم انها أتت اليهم في زي سائلة فأول ما وقفت على مضرب النابغة واستعطت وأبدت

سؤالها اليه فاعطاها من زور الجمل الذى يبرك عليه فاخذته ودعت له وقد سارت بين يديه ثم انها تركته وأتت الى مضرب زهير بن أبي سلمى واستعطت فاعطاها مبرك المنحرين وهذه الاشياء لا تنضجها النار ولا يلينها الماء فاخذتها منه ودعت له وأتت بعد ذلك الى مضرب عبيدة بن الابرص وقد دمت عليه فاستعطت منه فاعطاها وقطع لها مبرك يدى الجمل فاخذتها ودعت له وأتت بعد ذلك الى مضرب حاتم طى فوقفت واستعطت منه ساعة فقال لها اجلسي يا أختي بالسمع والطاعه ولكن امهلي على قليلا من النهار فان القدر كما ترين على النار فلما استوى الطعام نزل القدر وقلب ما فيه في الجفنه وتركه حتى برد وأعطاها الاحام وجنبي الحالك وقطعة كبيرة من السنام وهو ما يكون ألذ فى لحم الجمل ولا سيما اذا كان سمينا وقال لها يا حرة العرب ترددى الينا مادمنا ها هنا مقيمين فدعت له وأخذت ما أعطاها من طعامه وعادت وقلبها مسلوب بطيب كلامه ولما ان حصلت فى مضربها أعطت كل ما جاءت معها للجاريه وكان اسمها منى وقالت لها اذا حضر وأغداة الى مجلسنا وقلت لك احضرى ما ياكل ضيوفنا من الطعام فحضرى لحم كل واحد فى طبق وحطيه قدامه فقالت منى سمعا وطاعه فصبرت ماريه بعد ذلك القول وقد وجهت همتها الى شئ تفعله معهم فاخذت شيأ من الطيب وقسمته على أعدادهم وأعطت القسم الواحد لجاريتها وقالت لها أوهبي هذه النابغة الذبيانى وقولى له مولاتى تسلم عليك وقد افتردتك من أصحابك بهذا الطيب ولا تعلم به أحدا من رفقائك لانها قد اختصتك به من دونهم لاجل مكانك من قلبها لانها تريدك اذا حضرت غدا عندنا تكون مطيبا به ففعلت الجارية ما أمرتها به مولاتها فلما عادت أرسلت معها الى الجميع وفعلت بهم مثل ذلك وقالت لهم كلهم كذلك فصار كل من أتاه شئ من الطيب يفرح به ويقول فى نفسه انها ما خصتنى بهذا الطيب الا وقد اتخذتنى لها حبيب ثم يخبيه ويكتم حاله عن رفقائه الا حاتم فانه قال هذا والله البخل بعينه كيف أحضر أنا غدا عليهم ثم أميز بهذا دون أصحابى والله ما فعلت أنا ذلك أبدا وصار يمشى من مضرب الى مضرب بعد ما قسمه أربعة أقسام ويعطى كلا منهم قسمه على التمام ويقول تطيب بهذا يا أخا العرب حتى لا تخصنى الا وأنت متطيب وما زال على مثل ذلك حتى ساوى الجميع بنفسه وجعل يفعل كذلك وأبصرت الجاريه كيف أخذوا أقسامهم وأبصرت هو كيف ياتى اليهم وصنع ما صنع فعادت الى مولاتها وقد أعلمتها بما قد جرى ثم قالت فى نفسها هذا والله الذى كنت أنتظر وأرى ولمثلك يا حاتم كنت أطالب وله رائده وفى انتظارك كنت قاعده ومن شدة فرحتها طربت حتى أتى الليل باقباله وأحضرت أربع صوانى وملأتهم تمرا وقالت لجاريتها اذهبى بهذه الصينية الى النابغة الذبيانى وبلغيه السلام وقولى له مولاتى أرسلت هذا التمر لتزيل به زفرة الطعام وتقضى به بعد الظلام ولكن اذا أكلته ادفن النوى حتى لا أحد من أصحابك يراه فيقولوا ان ماريه ما أرسلت له التمر من دوننا الا لكونها متعلقة بهواه واقعدى عنده وابصرى ما يعمل من دون الجماعه وعودى أخبرينى فقالت سمعا وطاعة ثم انها حملت الصينيه وتوجهت الى النابغة الذبيانى ووضعتها وقدمتها اليه فحمدها على ذلك ثم تقدم الى ذلك التمر وصار ياكل منه ويجمع النوى الى ان أتى بالاستوى فقام وحفر له ودفنه والجاريه تعاينه بنظرها ثم عادت الى مولاتها وأخبرتها فتبسمت وقالت هذا كان قصدى اذهبى الآن الى الباقى بالصوانى وافعلى كما فعلت فى الاول من غير تعدى فجعلت تقصد واحدا بعد واحد وتقول مثل ذلك وهو ياكل ويدفن النوى حتى ما بقى الا حاتم فاتت له بالتمر ووضعته بين يديه بعد ما أعلمته ان ستها تسلم عليه وانها تقول لك يا مولاى كل من هذا التمر لتزيل زفرة الطعام الذى قد أصابك فانها قد خصتك به من دون أصحابك ولكن اذا فرغت من أكله اخف النوى ولا تظهر أحدا عليه من أصحابك ولا تخليه يراه فلما سمع حاتم مقالها تغير منه لونه وانخطف كونه وقال لها ايش اسمك يا مولدة العرب فان قلبي من قولك هذا قد تعب فقالت له اسمى منى فقال مالى حاجة بتمرك على مثل هذا الكلام أتنسب مولاتك الى البخل مثل ما تنسب أولاد اللئام وتريدمنى أن أبقى على طبائع وخصال ما كسبتها جوارحى بين الانام ثم أشار اليها يقول

أتحسبنى مارية الخير انني * بخيل وكفى للنداء غير راجح

وهل أكل هذا التمر بالزبد طيب * من الجود ان أحنت عليها جوارحى
وتطلب منى أن أخلى طبائعا * ودفن النوى فيه كبير الفضائح
فان شبعت بطنى وجاعت رفاقتى * دعوت على بطنى بضرب الصفائح
خذى ما حملتى من طعامك واذهبى * ولا تفضحينى بين غاد ورائح
الا ان أكل التمر من دون رفقتى * ودفن النوى يا منى أقوى الفضائح
فلا خير فى عبد يكون بماله * بخيلا ويضحى وجهه وجه كالح

﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت الجارية كلامه وما أبدى لها من نظامه واقعها الحياء والخجل وصارت مما سمعته منه تتململ وقالت يا وجه العرب لا تحرد من مقالى ولا تؤاخذنى فيما أبديه لك من فعالى فان الرسول اذا بلغ ما حمل من الكلام لا يكون عليه فى مقاله ملام على ان مولاتى الساعة غائبة فافعل أنت ما تريد من الامور الصائبة ثم انها وقفت حتى قسم بينه وبين أصحابه التمر بالسوية وعادت الى مولاتها بعد ما أخذت من عنده الصينيه وأخبرتها بما جرى لها مع حاتم وما قال لها من الكلام وما أنشدها من الشعر والنظام فتعجبت من ذلك واندهلت من فعاله وهامت عند سماع ذلك القول الى قربه ووصاله وصبرت الى أن أصبح الصباح ثم انها أحضرت الجميع الى مجالس منادمتها ومحل مرتبتها وقعدت من وراء الحجاب وحيتهم وسلمت عليهم وحدثتهم حتى انبسطوا وردوا عليها الجواب فقالت يا سادات العرب ان أيام الضيافة قد انقضت وما بقى لكم احتجاج وانتم ذكرتم انكم أتيتم تطلبون القرب منى والمراة لا يكون لها أربعة أزواج والصواب ان يذكر لى كل واحد منكم عربه ونسبته ويخبرنى عن ذلك حتى انى أدبر بعقلى واختار منكم واحدا لانى امرأة قد رمانى الزمان بقلة الرجال وقد صار حكمى فى يدى وأنا ما أريد أحدا منكم تشهد لى أحواله الا فى شعره ومقاله لان فصحاء العرب عليها ازدواج الكلام وانما أحب الى أهل الفصاحة من دون الانام اذا كان الرجل يتخلق باخلاق الكرام فلما سمعوا منها هذا المقال أجابوها الى ما طلبت من تلك الاحوال وكان أول ما وصف نفسه النابغة الذبيانى وأشار اليها يقول

هل سألت بنى ذبيان ما اتصلت * عند الطعان اذا ما احمرت الحدق
وجاءت الخيل مبتلا زخائمها * بالماء يقطر من لباتها العرق
ويطعن الفارس الحامى طعينته * بعالى الرمح والهيجاء تحترق
والخيل تعلم انى لا أقاس بها * حتى يقاس بثوب الجيد الخلق
ولى لسان اذا رد الملوك به * أميل نحو سحاب الماء يندفق

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ من ذلك الخطاب لم ترد عليه الجواب ثم انه سكت فتكلم من بعده عبيدة ابن الابرص الثعلبي وأنشد يقول

أمارى لم يخطبك حى مذحج * زهير بن سلمى مع يزيد وحاتم
وان تطلبي زيدا ففارس قومه * اذا الحرب يوما أقعدت كل قائم
وان تطلبي يا مارى الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكثر همه * اغاثة ملهوف وفرحة قادم
وان تطلبي أن تظفرى بعبيدة * مكارمه تحكى جميع المكارم
ونحن جميعا من اناس أطايب * لهم شرف فوق الاسها والنعائم

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عبيدة من شعره فلم ترد عليه الجواب ولا أبدت له الخطاب ولم يبق الا زهير بن أبي سلمى فتكلم الآخر بكلامه نثرا ونظما فلم ترد عليه جواب كما فعلت بمن قبله من الاصحاب هذا كله يجرى وحاتم ساكت لم يتكلم فطلبوا منه الموافقة فتبسم وقال يا وجوه العرب ان هذه الامور والاسباب ما كانت لنا فى حساب وانني ما كنت الا طالبا أرض العراق فاتفق لى منكم هذا الاتفاق وقد صح عندى ان الذى لا تنى

تساقون الى الآجال والارزاق وانتا كنا في هذا اليوم رقمنا بكنز ما يعرف قدره ولو اجب علينا في مثل تلك الحضرة ان نجد في طريق الاجتهاد ولا نعرض أنفسنا في سوق الكساد ولعل منادى السعادة ينادى بعلو حظنا وتكون هذه السيدة من بعض رزقنا ثم انه أنشد وقال

أمارية طال التباعد والهجر * وقد بان فيما قد فعلت لنا القدر
أمارية بالروح ما أنت غالية * فكيف تباع الشمس أو يشترى البدر
أمارية فالمال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أمارية اسنا نقول لسائل * اذا جاء يا ذا ليس في مالنا بدر
الا ان مال الارض ما ينفع الفتى * اذا نفسه حانت وضاق به الصدر
وكل يقيني أنني بعد مدة * أصير الى قبر جوانبه حفر
ويرجع من خاني الذين أحبهم * يقولون قد آذى أناملنا الحفر
وأصبح وحدي ساكنا وسط حفرة * من الارض لا مال لدى ولا أمر
الا انني قد عشت أوحد أمه * فقيرا فلا نهي علي ولا أمر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما * أراد جزيل المال كان له وفر
ولكنني أعطي بمالي صنيعة * فأولها زاد وآخرها ذخر *
أفك أسيرا ثم آكل طيبا * واحفظ عرضي منه هذا هو الذكر
ولا ظلم ابن العم ان كان اخوتي * شهودا ولو أردى بحالته الدهر
وما ظلم جاري بابنة العم خصلتي * وانى له العوان ان مسه الضر
فعيني على جيران بيتي عمية * وفي أذني عن ذكر عيبهم وقر
قطعنا زمانا بالتذلل والغنا * وكل سقى منا بكاساته الدهر
فما زادنا بغيا على أهل فاقة * غنانا ولا أزرى بساحتنا الفقر

﴿قال الراوي﴾ وكان حاتم ينشد ويترنم بهذه الابيات ومارية تتمايل من تحت الستار من كثرة ما طربت من نظامه وقالت له والله يا حاتم ما يسمع بمثل هذه الاشعار أحد من الناس ويبكى على أموال ومع ذلك قد ذكرت انك كنت سائرا على بلاد العراق وانك ما عبرت علينا الا باتفاق فاى شئ كنت الى هناك طالب وهذا مقال من هو زاهد فينا غير راغب فقال حاتم لا والله يا سيدة العرب ما ذكرت ذلك الا لاجل هذا السبب وانما الملك كسرى أرسل يطلب مني نوقا وجمال يقضي عليها بعض الاشغال وما كنت أملك في هذا اليوم غير ناقة فاقترضت له من بني عمي خمسة آلاف ناقة وبعير افردها كلها موقورة بالاحمال وأرسل يقول انه استغنى عن النوق والجمال فرديتها الى أصحابها باعليها من أحمالها واني سائر بعد ذلك الى الملك النعمان حتى أخبره عن هذا الامر والشان ثم انه حدثها بما اتى على ناقته من الذهب والدنانير وكيف فرق الجميع في ساعة واحدة على كل فقير ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت مارية هذا الكلام وتلك الفعال ازداد بها التعجب والانذهال وقالت يا حاتم ان هذا اسراف في العطاء والبذل ولمثلك يصلح اللوم والعذل ثم انها التفتت الى أضيافها وقالت لهم يا وجوه العرب لا يخفى انكم أصحاب حسب ونسب وأنتم اخبرتم انكم شعراء هذا الزمان وطول أعماركم تدورون المناهل والغدران وتقصدون الكرام من العربان فهل رأيتم طول أعماركم من بالغ في العطاء مثل هذه المبالغة فكان المجاوب لها من دون الجماعة الشاعر النابغة وقال لها الا وحق الكعبة الحرام وما عليها من الآلهة والاصنام بل اننا نأتي الممدوح ونجعل راحته أوسع من البحر وأنامله أهنا وأجرى من تيار النهر حتى يعطينا ناقة أو بكرا وهذا الرجل قد حاز حمد المدائح وقد افتخر بهذا العطاء على كل غاد ورائح فقال لهم حاتم لا تقولوا هذا المقال ولا تكثروا على ما فعلت من الفعال لان الارض ولادة واسعة والخلائق فيها مثل العيون النابعة وأنا أعرف في هذه الايام من يبذل في يوم واحد ما أبذل أنا في عام تمام وقد رأيت

بعيني ورافقت من هو متفضل عني بالكرم والجود وبقيت في جنبه مثل العدم عند الوجود فقالت له مارية وقد التذها حديثه واعترافه وتعجبت من حسن انصافه يا حاتم حدثنا بحديث هذا الرجل الذي قلت عنه انه أفضل منك وقص علي شيأ قد رأيته منه لعلنا ان نتعلم بعض أخلاق الكرم ونبقى نتذكر حضورنا معك في هذا اليوم ما بقيت الليالي والايام فقال لها حاتم السمع والطاعة أنا أقص عليك وعلى من في حضرتك ما جرى لي من هذا السبب وذلك اني خطرت خطرة من بعض الخطرات وانتهى بي المسير الى بعض الطرقات فنظرت الى مرج واسع وماء نابع وقد آلمني العطش والظما فعولت أن أنزل على ذلك الماء فرأيت عليه رجلا اعرابيا مضيق اللثام معتدل القوام متقلد الحسام وأعطافه تدل على انه بطل همام فحييته بالسلام ونزلت عنده وقد دار بيننا الكلام فوجدته قد خرج من عند أهله يطلب المكسب وأنا الآخر طالب ما هو اليه طالب فترافقت أنا واياه وقد تصاحبت معه في المسير في طلب الغنيمة والمكسب أو شئ نكتسبه ان كان قليلا أو كثير ثم اننا تزودنا من الماء وسرنا حتى جن الليل فنزلنا وأردت أن أقدم الزاد الذي معي وكان قد انبسط علينا ضوء القمر فقال لي يا فتى خل هذا لوقت آخر ثم انه أخرج من زاده الذي كان معه وبسط قدامنا وكان شيأ كثيرا فأكلت أنا واياه الا شيأ يسيرا ثم انه كب باقي الزاد على الارض ومدده طولا وعرض وقال لي يا وجه العرب اركب بنا لنحو ما نحن عليه معولون فقلت وما الذي أردت بتبديد الزاد في هذا المكان المنقطع ونحن محتاجون اليه وقدامنا هذا البر الواسع وما كل ساعة ينال الانسان ما يؤمله من المطامع فقال لي يا رفيقي لا تيأس وتضيق خلقك فان الله يبعث لك رزقك فلما سمعت منه ذلك الكلام ازددت فيه محبة وقلت في نفسي هذه والله شيم الكرام ثم اننا ركبنا وسرنا وعلى الله توكلنا وقد سمعته وهو ينشد ويقول هذه الابيات

رحلنا وخلينا على الارض زادنا * وللطير في زاد الكرام نصيب
ورزق غدا يأتي غدا ويسوقه * الى العبد جبار عليه رقيب
فيا نفس لا تبقي على قوت ليلة * فان مزاد الموت منك قريب

﴿قال الراوي﴾ فوالله ما سمعت منه آخر هذه الابيات حتى غبت عن الارض والسموات وقلت والله ما يحق لاحد أن يفتخر على أبناء جنسه ولا يعظم على غيره بنفسه لان الارض ولاده والخلائق بين نقصان وزياده ثم اننا سرنا حتى تضاحى النهار وقطعنا جملة براري وكثبان فانتهى بنا المسير الى بعض الغدران فنزلنا عن خيولنا الى ذلك المكان فلما جلسنا عمد الى الزاد الذي كان معي وبسطه قدامنا وصار يحدثني وهو يأكل وما زلنا حتى اكتفينا وأقمنا على جانب الغدير وشربنا وروينا فلما عولنا على المسير عمد الى باقي الزاد ونفضه على الغدير فبينما نحن كذلك واذا بكلب من عرض البر قد أقبل طالبا الماء واليه وصل فشرب وتقدم الى الزاد فأكل وأبصرنا وقد ركبنا خيلنا فهرول معنا طالبا أثرنا فقال لي رفيقي يا أخا العرب ألا ترى هذا الزاد كيف كان من رزق هذا الكلب فكيف كنا نحمله وها هو خلى بقيته كما اننا خليناه ولا بد أن يكون هذا الكلب أقوى منا يقين فقلت له والله ما فعلت الا في الاغاية ما يكون من الكرم المبين ثم اننا سرنا حتى توسطنا في تلك القفار وكان قد مضى أكثر النهار وقد بدا الجوع يعمل معنا فقلت في نفسي أين يكون الليلة عشانا فوالله ما خطر ببالي هذا الخاطر حتى رأيت الكلب قد انطلق وخلانا وقد غاص في عرض البر والفلا فظننت انه قارب قومه وانهم نفر فجعلت بالي معه واذا به قد توارى الى اعانة من الوحش وصار يعارضها ويردها الينا حتى خيل لنا انه يقول قوموا الى هذا الرزق فان الله تعالى قد من به عليكم فبادروا اليها فعندها تقدمنا اليها وأخذنا منها ما يكفينا مدة ثلاثة أيام ثم اننا نزلنا وصنعنا لنا طعام وأكلنا حتى اكتفينا وسرنا والكلب معنا ما يفارقنا ورفيقي يقول والله ما خاب فيك أملنا ولا بد اذا أسعدتنا الايام أن نكافئك ونجازيك بالاكرام ثم اننا سرنا الى أن مضى علينا ثلاثة أيام ونحن سائرون في البراري والآكام وقد أشرفنا في اليوم الرابع على بعض أحياء العرب فتقربنا فرأينا أموالا سائبة ليس معها أحد من الناس فعندها ملنا في جوانبها وسقنا الابل من أماكنها وعدنا على

أعقابنا راجعين ولانجاة طالبين الا أننا ما ابعدنا حتى ثار العبيد من خلفنا بالخيل وهم مقبلون مثل السيل
والغبار من ورائنا مثل سواد الليل فعندها عدنا وهززنا في أيدينا قطع الرماح ورجعنا نطلب الحرب
والكفاح فتبسم رفيقي في وجهي فقال لي يا فتى ماههنا ما يوجب لقتالك ولا شئ من حربك وكفاحك قف
أنت مع المال مكانك حتى أعود أنا الى هؤلاء الانذال ولا يصعب عليك من هذا المقال لانني اذا علمت ان
مثلك خاني يقتفي أثري فينشرح في القتال صدري فلما سمعت كلامه استحيت منه ووقفت مع الغنيمة
وبلغته مراده وقلت في نفسي أريد أن أنظر هذا الرجل في قتاله مع هؤلاء الفرسان فان وافق حربه فيكون
أوحد هذا الزمان في اطعام الطعام والضرب بالحسام ثم اني جعلت أنظر الى الغبار وأحققه بالعيان واذا
قد تنافرت نحونا الفرسان كما يتنافر ذكر النعام هذا وقد ترك الغلام أكثر الرجال مطروحة على الارض
مثل النيام ولم يزل معهم في عراك ولزام وصدام حتى أوراهم الانتقام فرأوا منه ما حير الابصار ودهش النظار
فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وعاد وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ياسنان الرمح لاتشتك الظما * ان في ذا اليوم أرويك الدما * فالق وحش البر خافي واقما
في رجال خالفوا أهل الحما * يا صحبي سر بنا في دعة * فحسامي قاطع لن يثلما
وعناني لو بدا الموت له * ورأى صورته انهزما

﴿قال الراوي﴾ ثم قال حاتم والله يابني الأعمام لقد هالني من ذلك الرجل ما رأيت وتعجبت منه ولكم
حكيت وقد قلت عزيمتي وانكسرت همتي ورجعت أسوق ما أخذناه قدامي وسار يركض على أثري وهو
لي ولها محامي كل هذا والكلب معنا لا يفارقنا ولم نزل سائرين الى أن وصلنا الى المكان الذي فيه انبطحنا
فنزلنا فيه حتى أخذنا الراحة هذا والجمال صارت ترعى في تلك الساعة ولما عزمنا على المفارقة من ذلك
المكان قام ودخل في المال وقسمه ثلاثة أقسام وقال نحن ثلاثة وهذه الغنيمة ثلاثة أقسام فخذ قسمك
واطلب أهلك فقلت له يا أخي اذا رجعنا الى الحق والتدبير فانا لا استحق منها الا قليلا ولا كثير ولا ناقة ولا بعير
لانني ما باشرت قتال ولا طعنا ولا نزال وانك أنت ما فعلت هذه الفعال الا تجملا منك وافضال ومع ذلك
أراك تقول هذه الغنيمة ثلاثة أقسام فمن هو ثالثنا ونحن ههنا منفردون بانفسنا في هذا المكان فقال لي هذا
الكلب الذي قد صار له علينا حرمة الطعام فقلت له يا مولاي هذا الكلب ايش يعمل بالنوق والجمال فقال
يفعل فيها ما يريد لانه قد صار مصاحبنا وأكل من زادنا وعلى هذه الحالة ما نخليه بلا قسم منا فخذ أنت قسمك
واطلب الى ناحية أهلك وأنا الآخر آخذ قسمي وأفعل كفعلك وكل من تبعه هذا الكلب أخذ معه قسمه فلما
سمعت أنا هذا الكلام تعجبت غاية العجب وزادني من كلامه طرب وقد لحقني التعجب من مروءته وحسن
الشيم وقلت له يا وجه العرب لقد كملت فيك الشجاعة والكرم فافعل بمعرفتك ما تريد واحكم بما تراه حكم الموالي
في العبيد ثم اني تقدمت اليه وشكرته على فضله وكرمه وودعته وسقت تلك الغنيمة وانصرفت الى عربي واذا
بالكلب قد تبعني فعدت الى قسمه وأضفته الى قسمي وسقت الجميع وطلبت أهلي الا انني ما أبعدت عن رفيقي
وغبت عنه وأنا على ما أنا عليه من فعلي حتى انني رأيته وقد أطلق عنان جواده وترك قسمه مكانه وتبعني
فقلت في نفسي يا ترى ايش مراده وما أظن انه ما رجع الا ليأخذ مني ما أعطاه لي من الغنيمة وما هي الا قد
حلت في عينه وصار لها في قلبه قدر وقيمة فما هو الا نظر موضع النظر فانه قد قاتل عنها وما ساعده عليها
الا القضاء والقدر وأنا ما طعنت برمح ولا ضربت بحسام وقد أخذت الثلثين وحفت عليه كل الحيف وهذا
والله ظلم بين وهو بالارواح هين ثم انني انفصلت عن المال ووقفت بعيدا عنه الى أن وصل اليه فناديته
يا فتى الذي خطر ببالك خطر ببالي فدونك والغنيمة بارك الله لك فيها لانك أحق بها مني لكونك تعبت
عليها فقال لي يا فتى لا تنسبني الى البخل وقلة الادب فاني ما رجعت اليك لاجل هذا السبب ولكن قد
اصطحبنا في هذه الايام وافترقنا من بعد ما تعاملنا واني رافقتك هذه المدة ما سألتك عن اسمك ولا عن حسبك
ونسبك ولا عن قومك وعربك وكذلك أنت الآخر ما سألتني عن حسبي ولا عن نفسي لاجل عزة نفسك وأنا

اشتهيت أن أتخذك لي صاحبا ورفيق وخلا وصديق وتكون لي عدة عند كل ضيق فبالله عليك من يقال لك
بين العرب بالله عليك الا ما أخبرتني عن هذه الامور وكل دم بيني وبينك في هذا اليوم مهدور فان كنت
ما عرفتني فانا أعرفك بنفسي وأخبرك بخبري اعلم أن اسمي عطاف بن قابض النظري وقومي بنو النظر
وهذا ما عندي من الخبر فانت يا وجه العرب من يقال لك ومن هم قومك فقلت له أنا حاتم طي بن سعدي
وعشيرتي بنو طي فوالله ما فرغت من كلامي حتى انه ترجل عن جواده وسعى الى أقدامي وصار يقبلها في
الركاب ويمرغ بخديه على التراب وقال يا حاتم اعذرني في التقصير فاني ما عرفتك معرفة الخبير لان لي سبع
سنين وأنا أسمع عن أخبارك وما قد ثبت عند جميع العرب من جميل أفعالك وقد أردت أن أتبع أخلاقك
والتمس بعض طبائعك في الكرم فما قدرت ولا قسم لي من القدم ثم انه عاد الى قسمه وقد خلطه بقسمي
وقال أنت اسمك كبير وهو أعلى من اسمي والطارف عليك كثير وأشتهي منك أن تمن علي بقبول هذا الشئ
اليسير وان أردت أن تعود معي الى عشيرتي حتى أتشرف بخدمتك أنا ومن يلوذ بي من عشيرتي وأسوق اليك ألفين
ناقة تستعين بها على كثرة الضيفان فافعل ورافقني في هذا المكان ثم قال حاتم فوالله يا وجوه العرب لما
سمعت مقاله تعجبت من فعاله وصرت منعجم اللسان عن شكره حائرا من مروءته وسعة صدره وقلت في
نفسي ما هذا وقت مجازاته على انعامه وما في الامر الا انني أجيبه الى ما أراد واهم في وقت آخر الى اكرامه ثم
انني نزلت اليه وقبلت رأسه وبين عينيه وقلت له يا وجه العرب لقد كنت في غنى عن مسألتك وسؤالك عن
اسمي لانني قد أفقرتك واستغنيت مما نالني من قسمي وقد عجزت عن مكافاتك وأنا مطالع الى مراعاتك وأنا
أسأل اله السماء أن يحسن لك الجزاء وان يقدرني على مجازاتك في الايام الآتية وان يجعل أيامك كلها غنا ولا
يحصل عليك فيها بؤسا ولا عنا لانك وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام قد تركت قلبي لذكرك
خافقا ولساني لشكرك ناطقا ثم اني ودعته ورجعت أطلب قومي وأنا أقطع البر والفلا واني الى الآن
ما استطعمت بطعام ولا تهنيت بمنام وأنا من أجل ذلك في هيام ﴿قال الراوي﴾ فلما انتهى حاتم من حديثه
تعجب كل من حضر وقالت ماريه ان هذا حديث يجب أن يؤرخ ويسطر لانه يزعج الاعضاء والمفاصل ويتمنى
كل انسان أن يكون اليه واصل ثم انها قالت للشعراء الذين أتوا يخطبونها هذه يا وجوه العرب أمور غير أموركم
التي أتيتم تريدونها وانه بخلاف ما فعلتم وما هو مثل ما بين أيديكم قدمتم لانه أمر ما يقدر أحد منكم يدركه
وطريق لا يستطيع أحد منكم يسلكه وما هو مثل أكلكم التمر ودفنكم للنوى فان أعمال الناس ما هي كلها
سوا وبخلكم بالطيب الذي أرسلته اليكم وفرقته الجارية عليكم فقال لها الشاعر النابغة الذبياني فانت
دبرت لنا هذه المعاني وأمرتنا بذلك وفحصت لنا هذه المسالك فقالت لهم نعم لانني لما أمرتكم فما أنا الا استمحنتكم
حتى بانت لي عيوبكم وصحت عندي ذنوبكم لان طباع الانسان تتغير عند الامتحان كما قيل في الامثال عند
الامتحان يكرم المرء أو يهان وقد رأيتم حالتي لما استمحنتكم في ذلك الامر وكيف نفر طبعه منه ورد جاريتي
بالتمر ولولا جاريتي وقعت عليه ما كان قبله منها وقد فرقه عليكم مثل ما وصل اليه وكذلك الطيب لما وصل اليكم
أخفيتموه حتى كانكم ما رأيتموه ولا عرفتموه الا هو فانه لما وصل اليه الطيب لم يقبله حتى فرقه عليكم مثل ما يفعل
الحبيب مع الحبيب فكان الجواب لها من الجماعة النابغة الذبياني وقال لها نحن قد علمنا أنك ما عملت هذا
العمل واخترعت هذه المعاني الا لاجل محبتك له واقبالك عليه حتى انك تريدين افتضاحنا فتقربي اليه فقالت
ماريه لا وحرمة شهر رجب والرب الذي اذا طلب كل العباد غلب ان لكم عندي ذنبا أعظم من هذا العمل ثم انها
أمرت جاريتها أن تقدم لهم الذي تصدقوا به عليها فقدمت لهم ذلك ليأكلوا منه فما فيهم من دنا من طعامه ولا أكل
منه الا حاتما فانه لما تقدم له ذلك الطعام الطيب الذي كان أعطاه لها في اليوم الماضي أكل منه ثم انه دعاهم الى
الاكل معه فاجابوه وقد علموا انهم قد تميزا فعند ذلك قالوا له يا حاتم ما الصيد لمن تعب فيه وتعنى وانما هو لمن حصل
اليه وأكله وتهنى ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم خرجوا من الحي وهم يجرون أذيال الحياء وصاروا متأسفين ومن وقتهم
ركبوا خيولهم وساروا الى حيهم طالبين وهم مما أملوا خائبين ﴿قال الاصمعي﴾ ثم ان الجارية هتكت سيتر

الاحتشام بينها وبين حاتم وخرجت اليه وقبلت يديه وقالت له يا حاتم ما بقى عندى أعز منك فان شئت تقبل على
وان شئت تصد عنى فقد رضيت لنفسى أن تضيع مالى وتحظى بجمالى حتى تقول العرب فى كل قبيلة وحى هذه
ماريه زوجت نفسها لحاتم طى واذا كنت تتكلم فى بذل نعمتى اليك وعرض نفسى عليك فها أنا اكشف
صورتى لك وأريك وجهى حتى تعرف ماذا تقدم عليه وانى ما أفعل هذه الفعال الا من أجل محبتى لك
ورغبتى فيك ثم انها خلعت البرقع عن وجهها وعرضت عليه صورتها فبان من تحته عجب لم يكشف وجمال
باهر لم يوصف وورد جورى لم يقطف وطرف أحور ترشق بسهام التلف وشفتان عقيقتان يحيا بهما قلب العليل
اذا لها رشف وخدود تكسر المعاند والحسود وأمور تغيب الانسان عن الوجود ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى
حاتم هذه الاسباب قال والله ان هذا شئ ما كان لنا فى حساب ثم انه عزم على الزواج واستعان بالله رب
الارباب وقال لها يا ماريه ردى البرقع على هذا الخد الناعم فانك قد أبهرت عقل حاتم ونبهته بعدما كان نائم
فجدى باصلاح الحال ولا تخافى من لوم لائم فانى بما تريديه من كل الامور قائم ﴿قال الراوى﴾ فتبسمت ماريه
لما علمت انها نالت من حاتم ما أملته من المرام وفرحت كيف أعجبه جمالها وأبهره ما نظره من جمالها
ودلالها وبعد ذلك أحضرت جماعة من أكابر الحى وأخبرتهم بانها زوجت نفسها لحاتم طى ففرح قومها لما
سمعوا منها من الكلام ثم انها أظهرت ما كان لها من الملك والانعام ونحرت النوق والاغنام وأمرت بترويج
الطعام وقد رتع أهل الحى فى ولائمها سبعة أيام وفى الليلة الثامنة أقبلت وهى تخطر الى حاتم فى حللها الملونات
وعقودها المثمنات وجلاها عليه جماعة من النسوان والبنات وهى أبهى من البدر والنجوم الزاهرات فتلقاها
حاتم كما تتلقى الارض العطشانه أوائل المطر واعتنق الاثنان فكانا أحسن من الشمس والقمر فوجدها
درة ما ثقبت ومطية ما ركبت فافتضها وابتكرها وقد أحبته حبا شديدا ما عليه من مزيد وأقاما فى أرغد
عيش وأهناه وقد نال كل منهما مناه وأقام عندها شهرا من الزمان ونسى حديث الملك كسرى والنعمان وقد
طاب له عندها المقام وما تفكر فى يوم من الايام وبعدها أفاق من سكر الهوى وكان طفى بالوصل نيران الجوى
وتذكر أرضه التى فيها قد نشا فتقلقت جوارحه والحشا وخاف أن يهدم مجده الذى بناه وتنقطع به الاسباب
وتنساه فعندها اشكا حاله الى ماريه وقال لها يا منية الصبا انى رجل كثير الطارق والزوار وأبياتى مباحة
لكل مسافر ليلا كان أو نهار وما خلفت من يخلفنى من بعدى ويحفظ ودى ويقيم عهدى وقد عولت على
الرحيل ان وافقتينى والا تقيمى مكانك ولا تتبعينى فقالت له ماريه والله ما قطعتك عما أنت عازم عليه ولا
تركت العرب تقول انى أشغلتك عن فعل المكارم وانى لقولك امتثل بل لو أردت أن أسعى على عينى وأسير بين
يديك ما صعب ذلك على فان عزمت على الرحيل والمسير فاعلمنى حتى أسارع اليه وأوافقك على ما أنت
عازم عليه فقال لها يا ماريه فى غداة غد نعزم على الرحيل والجد والتشمير فقالت سمعا وطاعة ثم انها أمرت
خدامها برفع رحالها وجلست ذلك اليوم لوداع أترابها ومن الغد رحلت مع حاتم فى أصحابها ومعها جميع
ما تملك من حالها ومالها وأخذت جميع الذخائر والاموال والنوق والجمال ورحلت رحيل من ليس له
عودة الى الديار والاطلال وسار معها جماعة لاجل خدمتها وسيرها فى الاودية والجبال فأمرهم حاتم بل انه
حلف عليهم وردهم الى الاوطان وذلك شفقة من مراعاة العرب له فى كل مكان وبعد ذلك سار يقطع البر
والفدفد حتى انه غاب عنهم وأبعد واذ قد طلع عليهم غبار أسود وعلا وانعقد ساعة من النهار وانكشف عن
سبعين فارسا كرار من كل ليث مغوار وأسد هدار وفى مقدمتهم رجل طويل فى تقاطيع الفيل وعليه درع
مذهب وجوشن مقصب وتحته جواد أشهب ﴿قال الراوى﴾ ولما وقعت عينه على ماريه وحاتم زاد به الفرح
والطرب والسرور ونيل الارب والتفت الى ماريه وقال لها يا خناء الى أين أنت سائره مع هذا الجاهل القليل
الادب أبشرى فاليوم تزعق حوالكم الغربان وتنهب لحومكم العقبان ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى هذا العربان
الثلاث الشعراء الذين طردتهم ماريه بالذل والهوان فانهم لما عادوا من عندها صارت فى قلوبهم النيران فساروا

يقطعون البرارى والقيعان حتى وصلوا الى عند عابس وحكوا له ما جرى لهم على حاتم عليهم وان ماريه أبت عنهم وأخذت
حاتما من دوننا وانا قد أتينا اليك قبل أوان الزيارة ثم انهم حدثوه بجميع ما جرى لهم مع ماريه وحاتم من الامر الذى
وقع لهم من أوله الى آخره وكيف انها تزوجت بحاتم وردتهم خائبين وقالوا له انا قد أتينا اليك وجعلنا معولنا
عليك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع هذا الكلام صار الضياء فى وجهه كالظلام وقال والله يا وجوه العرب
قد أتيتم الى بحديث تستاهلون عليه الخلع والذهب لانى أنا الآخر جرى لى معها مثل ما جرى لكم ومضيت اليها
خاطبا فردتنى خائبا وأنا الى الآن فى قلبى منها بلاء ومصائب ولكن ما دامت انها قد تزوجت بحاتم لابد لها
ان تسير معه لبنى طى لانه ما يخلى وطنه ويقيم عندها فى الحى وأنا وحق اللات والعزى لاكمن لها فى البر المنقطع
وآخذها مسبية من بين السيوف والرماح السمهريه وأعرفها قدرها فى تلك البريه فقال النابغة وأصحابه
فاذا عزمت على ذلك فنحن نسير معك ونشفى قلوبنا من هذه الخناء بنت العواهر وننظر لما ينزل بها مما به
الشماتة وتقر عينا النواظر فقال عابس اذا أردتم ذلك أغنيتكم من أموالها وأفضلكم عن أصحابى وأصحابها
فى قسمة نوقها وجمالها وأقنع أنا بحسنها وجمالها ثم انه أخذ أهبة ثلاثة أيام ورحل من يومه بطلب ماريه
وبصحبته سبعون فارسا من قومه وتبعه النابغة الذبيانى ورفقته طمعا فى نهب المال لان العرب قد نشؤا على
الطمع وأخذ الاموال من الرجال ولا سيما الشعراء الذين يأكلون أموال الرجال بالمحال ﴿قال الراوى﴾
وما زالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وقعوا بحاتم فى ذلك البر كما وصفنا وصار حاتم يصيح بماريه كما ذكرنا
وهو يقول لها الى أين يا خناء تسيرين مع هذا الاحمق الذى يفعل فعالا ما وافقه عليها عاقل من الرجال ثم انه
طلب هودجها وطلب رفقاه نوقها وجمالها ودوابها من كل جانب وفى أيديهم القنا والقواضب
﴿قال الراوى﴾ ولما أبصرهم حاتم وقد فعلوا تلك الامور عرف المقصود وعلم أنه ما يخلو من عدو وحسود
فأوصى العبيد بماريه وتأهب لدفع تلك الرزيه الا أنه ما أوسع فى البريه حتى ضجت ماريه بالبكا وخافت
عليه أن يقتل ويشرب بشراب الردى وتشمت به العدا فرمت روحها من الهودج الى الارض وصاحت
وقد أعلنت بالبكا ونادت واحرباه من شر هذا اليوم الذى قد أتى واذلاه بعد العز وافقراه بعد الغنى أنا انشدكم
بالله تعالى أن لا تعدوا الينا اكف الظلم والاعتدا وخذوا ما معنا من الاموال والعبيد لانا قد رضينا أن
نعيش بين الناس فقرا ولا تقتلوا حاتما فتقطعوا شجرة الكرم من الدنيا ﴿قال الراوى﴾ فما فرغت ماريه
من هذا الندا وقد قاربت حاتما رماح العدا حتى أقبلت من الطريق التى أتوا منها عشرة فوارس وهم مثل
النسور على خيول أخف من الطيور وهم مقبلون وفى أوائلهم رجل طويل فى تقاطيع الفيل وهو
غائص فى الحديد والزرد النضيد وهو يصيح أبشر يا حاتم فقد أتاك من يكشف عنك الامور العظام ويقتل
أعداءك اللئام ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الفارس هو عطاف بن فايض النظرى الذى حدث حاتم لماريه
بحسن شيمه وكيف انه قد تفضل عليه بكرمه وكان السبب لمجيئه الى هذا المكان فيمن معه من الفرسان
أن خبر حاتم وزواجه بماريه وصل اليه فقال فى نفسه لابد أن أسير الى زيارة حاتم وأهنيه بزوجته فاخذ معه
من بنى عمه هؤلاء العشرة فوارس الى أن وصل الى بنى فهم وسأل عنهم وكان قد وصل اليهم بعد سفر حاتم بيوم
وليلة فاخبروه انه سار الى أهله عن قريب فقال والله لا أضيع طريقى ولابد أن أسير فى طلبه ولو انه وصل
الى أهله ثم انه ركض على جواده وبنو عمه بصحبته حتى أدركه وهو فى تلك الحالة التى ذكرناها ولما أبصر
الصوارم لامعه والضجات مرتفعه نادى واحرباه وقع والله بحاتم من لا يرعاه ثم انه نادى بذلك الندا وصوب
سنانه الى صدور العدا وحمل عليهم حملة الاسد المدرع وطعن فيهم طعنة الفارس السميدع فردهم الى
المقسح وقد زال من رؤسهم الطمع ولما أن أبعدوا واتسعت عليهم البطاح ووقع الحرب والكفاح ناداهم
ويلكم يا كلاب أما تستحوا أن تقاتلوا حاتما أيليق أن تبذلوا فيه الرماح وتفعلوا معه هذه الامور القباح
فوالله قد خابت منكم الآمال وأتتكم الاتراح أبشروا بالويل وقلة النجاح يا كلاب البطاح وها قد عاد عليكم
شؤمكم وانقلبت نيتكم عليكم ثم انه بذل فيهم سيفه الفصال وطعن فيهم طعنا يقصر الاعمار الطوال ﴿ قال

الراوى﴾ فلما سمع بنو أسد مقاله وراوا حسن قتاله انتخت منهم الابطال وزدوا اليه وطلبوا قتاله
فردهم عابس وقال لهم اصبروا على حتى أخبركم أمر هذا الشيطان الذى قد لقينا فى هذا المكان وأهلك
من معه من الفرسان لانه لا يخفى أن يكون من أهل الشجاعة والطعان ثم انه قفز بجواده حتى صار مع عطاف
وزعق فيه زعقة من غير مخاف وقال له ويلك ان رواحك وأنت سالم أحسن من نصرتك لحاتم وسوف تقام
فى أهلاك الماتم اذا التقيت بعابس بن حازم ثم انهما اصطدما اصطدام البحر اذا كان متلاطم وتطاعنا
باسنة الرماح اللهازم وجرى بينهما حرب تتحدث به الفرسان فى المواسم ويعجز عنه كل قاعد وقائم فما
كان أكثر من ساعة من النهار وهما تحت الغبار حتى قد صاح به عطاف وانقض عليه مثل الغزال وطعنه
طعنة جبار أخرج الرمح منه سبعة أشبار وحمل على أصحابه حملة الليث القسور وتبعه الرجال الذين كانوا معه
وكانوا أبطالا قد تعودوا ركوب الاقطار وهان عليهم ركوب الاخطار والاهوال وقاتلوا قتالا يسكر من لا يسكر
من المدام وأراهم العبر ورميت الجماجم مثل الاكر * هذا وحاتم قد لاح له لائح النصر والظفر وذهب
عنه الخوف والحذر فعاد الى زوجته مارية وسكتها من البكا والانتحاب وقال لها يا سيدة العرب ادخلى فى
هودجك والحجاب فقد فرج عنك رب الارباب ومعتق الرقاب فاجابته الى ذلك ثم ان حاتما تقدم الى معاونة
عطاف فرآه قد أبلاهم بأليم العذاب وهو يطعن فيهم طعن من لا يخاف الهلاك ولا ارتياب فقال لله درك
من فارس مكين ماله فى الشجاعة والكرم قرين ولا يحتاج عند النوائب الى معين ثم انه هجم على العدا
هجوم الفحل اذا حل من العقال وقتل الفرسان والابطال ودام على تلك الحال حتى تغير لون النهار
واستحال وضعفت رجال بنى أسد وعادت على أعقابها والطعن يعمل فى ظهورها وأجنابها وقد أيقنت
بالهلاك والوبال وألهبها بالطعن عطاف الاسد الرئبال وأما النابغة الذبيانى فانه قال لاصحابه والله لقد
تعبنا وشقينا وخيرا ما لقينا والصواب اننا نطلب النجاة والامتناع من الموت الفجاءة لاننا ناكل أموال الناس
بالمحال ونصنع زخاريف المقال وايش بيننا نحن وبين القتال ثم انهم ولوا تحت الظلام الاسود وأطلقوا
الاعنة مع بنى أسد هذا وقد عاد عطاف وأصحابه وما فقد منهم أحد فتلقاه حاتم وشكره على ما فعل وقال له والله
يا مولاى قد حملتنى منة ما يحملها جبل وغمرتنى باحسانك آخرا وأول فقال له عطاف يا حاتم ما خدمتك
عندى الا كما تخدم العبيد ساداتها الكرام ولا زيارتك الا مثل الحج الى بيت الله الحرام فشكره حاتم على هذا
المقال وعاد الى زوجته فى الحال وقال لها يا مارية هذا الذى وصفت لك صفته وقلت لك انه قد تفضل على
بكرمه وحسن شيمه فصار عندها من هذا الكلام طرف من محبته وتلقته عند عودته وقبلت يديه وشكرته
وعقرت له وان معه ثلاث جمال من أموالها وأقاموا فى تلك المنازل باقى ذلك اليوم وتلك الليلة لاجل الراحة
من أجل القتال وعطاف يهنيهم بالفرح والاتصال ولما كان من الغد ساروا يطلبون ديار بنى طى والعبيد
تسوق بين أيديهما الجمال والاموال وما زالوا سائرين الى ضحى النهار وقد عولوا أن ينزلوا على بعض الغدران
واذا قد طلع عليهم فارس مثل الاسد وخلفه عبد أسود وهو راكب على ناقة مشقوقة الآذان حمراء الوبر
مليحة العينان ﴿قال الراوى﴾ وكانت عادة العرب تسمى النوق والجمال بالاسماء المعهودات وقد سميت
ناقة النبى صلى الله عليه وسلم بالعضباء لاجل سعة خطوتها وحسن حركتها لانه ما كان فى نوق العرب ناقة تسبقها
﴿قال الراوى﴾ الا أن العبد الذى لاح لحاتم وعطاف على الناقة كان يحمل عدة مولاه ويتبعه وكان هذا
الفارس يقال له عتبة بن شهاب اليربوعى وكان يلتقى ألف فارس ولا يفزع من الموت اذا كان كابس وكان قد
خرج وحده لابس الحال والمكسب من أحياء العرب ويريد نهب الاموال وقتل الرجال وهذه كانت عادة
أبيه شهاب وكان يعد بألف فارس ولا يغزو الا وحده ولا يعود الا ببلوغ المقصود ومن أعجب الاتفاق ان عتبة
وقع بهذه السرية التى فيها عطاف وحاتم وأبصر ما معهم من الاموال والغنائم والهوادج سائرة ومعهم هودج
عالى وهو سائر وما معه غير فرسان قلائل فعطف بالرمح عليهم وطلبهم كما يطلب الاسد صيده وزعق الى
أين يا أنذال العرب تسيرون بهذا الهودج السائب ولا تفتكرون فى عواقب المصائب خلوا ما فى أيديكم

واطلبوا النجاة لا رواحكم قال ولما أبصر عطاف صورته وسمع صرخته انخطف لونه وتغير كونه وقال والله هذا
عتبة بن شهاب فارس بنى يربوع الذى لا يخاف من لمعان الدروع ثم انه قال لحاتم قف أنت مكانك
واحفظ زوجتك وأنا أفديك بمهجتى دون مهجتك لانى أعلم ان ما فينا من يلقاه ولا يقدر أن يقاومه
ثم انه ثبت جنانه وحمل هو وفرسانه وتلقى عتبة وهو يقول له ارجع على أثرك وتكلم على قدرك كل هذا
وعتبة لا يلتفت اليه وتم فى حملته وهو يتبسم ولما قارب عطاف طعنه بعقب الرمح فى فؤاده قلبه عن جواده
وقتل منهم أربعة وأسر الباقى وكان لما أسر فارسا يسلمه الى عبده ويأمره بكتافه هذا وحاتم أهله ما رأى وأيقن
بالهلاك وسوء الارتباك وقال أما السلامة فما بقيت أقدر عليها وما من المروءة أن أهرب وأترك هؤلاء القوم
الذين يبذلون دون حرمتى الارواح وما يكون الا أن أبذل المجهود كما بذلوا وأفعل كما فعلوا ثم انه حمل على
عتبة وقاتله ساعة من النهار وأخذه عتبة أسيرا وشده مع أصحابه على جواده وتقدم الى مارية وأخذ زمام ناقتها
وحاز حسنها وجمالها وصاح فى عبيده فساقوا أموالها وصارت مارية تنادى ولم تجد لها نصيرا وهى
تلتفت فى أقطار الفلاة وتقول هل من نصير وصارت تلطم على خدودها وتخضب بالدم نحورها وعتبة
يصيح عليها كما يصيح على الامة ويهددها بالقتل والاسر وهى لا تعلم أحسن الدهر عليها أم أسا قال فما
أبعدت فى البيداء حتى رأت بين يديها غبارا قد علا وسد الاقطار والفلا فلما أبصرته صارت تنادى وتقول
يا رب الارض والسماء ويا من يرى حركات أرجل النمل فى جنح الليلة الظلماء سهل لنا من عندك ناصرا
ويكون على يديه فرجنا انك ملجأ من لا ملجأ له هذا وعتبة قد أبصر الغبار فوقف وسمع كلام مارية فاغتاظ
وقال لها من يقدر على خلاصك من يد قناصك والله لو أتاك أهل الارض والسموات لم يقدروا أن يخلصوك
من يدى فى هذه الفلوات ﴿قال الراوى﴾ الا أنه ما تم الكلام حتى انكشف ذلك الغبار والقتام وظهر مائة
فارس وبين أيديهم عبد أسود كانه حجر جلمد تشهد له معاطفه بالشجاعة وقدامه رجل أخف من الظبا
وأسرع من ريح الصبا وكان ذلك الرجل هو شيبوب والفارس الامير عنتر بن شداد والمائة فارس الكل من
بنى عمه وهم الذين كانوا معه عند الملك كسرى وكان وصل اليه النجاب من بنى عبس وقال له يا أبا الفوارس
الملك قيس يسلم عليك ويقول لك أطلق رهاين القوم لان السبى جميعا من أرض الشام وصل اليه وما ضاع
لاحد عقال وما فى بنى عبس وغطفان الا من هو داع لكم وشاكر الاحسان فلما سمع عنتر كلامه فرح
فرحا زائدا ما عليه من مزيد وقال للنجاب يا ابن العم ايش عندك من خبر بنت عمى عبلة فقال له اعلم يا أبا
الفوارس أن عبلة وصلت قبل وصول السبى لان مقرى الوحش سيرها من عند دريد بن الصمة وزوجته مسيكه
ونساء أعمامك فى غاية الاكرام والانعام وهى اليك شديدة الاشتياق والغرام ثم ان عنتر قال للنجاب ما بقى
لنا قعود بعد بلوغ المراد ثم انهم أطلقوا الرهاين التى للروم وأحسن اليهم ورد اليهم خيلهم وعددهم عليهم
وقال لهم سيروا واشكروا وامسحكم لانى أقسمت ان بقى لقومى عندكم عقال صلبتكم كلكم على سور المداين
بالحبال قال وهام القوم على وجوههم وركبوا خيولهم وساروا فى الفلاة وما فيهم من يصدق بالنجاة
قال ولما أن وصلت السبايا للملك قيس فرح فرحا عظيما وأرسل الى عنتر نجابا يعلمه بما جرى والتقى عنتر
بالنجاب وحكى له ما جرى وأمره باطلاق الرهاين التى للروم فاطلقهم عنتر وساروا على أثره وما زال سائرا
حتى التقى بحاتم ومارية وعطاف وعتبة بن شهاب اليربوعى قال فلما نظر اليهم هو والفرسان وقف وقال
لعروة بن الورد تقدم وانظر لنا من هى هذه الباكية النائحة الصائحة لانى أرى هودجا عاليا وصراخا منعقدا
نامى وما مع الجميع الا فارس واحد منفرد فى البر وأقول انه من شياطين العرب وقد وقع بقوم ضعاف
وقد قوى عليهم ونهب أموالهم وساق نوقهم وجمالهم فاطلق العنان واكشف لنا أخبار ذلك الشيطان
فقال له عروة السمع والطاعة ثم انه أطلق عنان جواده وفى عاجل الحال قاربهم وأراد أن يسألهم عن
هذه الاحوال فرأى عتبة قد برز يطلب القتال وقد قفز الى الميدان مثل الاسد الرئبال فعندها ناداه
عروة من تكون من الفرسان والابطال وما يكون هذا المال فقال له عتبة ويلك يا ابن الانذال فى

مثل هذا المكان يكون السؤال فدونك والقتال ودع عنك مقالة الجهال وان كنت ماتقاتل الامن تعرفه في المجال فانا عتبة بن شهاب اليربوعي ثم انه زعق عليه زعقة الاسد الوثاب وانحط عليه انحطاط السحاب واراد أن ينجز امره قبل ان تدركه الاصحاب فعند ذلك عاد عروة على عقبه هاربا فانكر أمره عنتر وقال له ويلك يا أبا الابيض ماحالك وما الذي رابت حتى وليت والويت عنانك ونحوت بحصانك فقال له عروة اعلم يا أبا الفوارس ان ما كل فارس يقدر الانسان أن يقاومه في الميدان ولا كل صيد يظفر به الانسان وأنا والله رأيته أسدا مهول وفارسا لايخشى الفحول ولا يخاف الموت والحلول فقال له عنتر وقد صعب عليه هذا المقال ويلك يا ابن العم كنت أشغلته حتى ألحقك ولا تفضحنا بهزيمتك فقال له يا حامية عبس خفت انك ماتلحقني لانه لما صاح على أقلقني وخفت اذا حمل على يخنقني فزاد بعنتر الغيظ فقال له فما عرفت من هو من فرسان العرب فقال له اني سمعته يقول أنا عتبة فارس بني يربوع ومخرب الاطلال والربوع فقال له عنتر صدقت وماقصرت عنه في الرجوع لان هذا وأباه هم حماة الحضرموت ولا فيهم من يخاف ولا يفزع من الموت ولكن أنا متفكر في هذا السبب وما أقول الان طريقه خابت وفي هذا اليوم يا أبا الابيض أريك في قتاله العجب ثم انه أطلق عنان مهره كوكب وطلب عتبة كانه سهلب وكان عتبة قد وقف لما رأى عروة قد انهزم من قدامه لان فرسان العرب الانجاب ماكانت تتبع الهارب من مقام الحرب والضراب ثم انه صبر حتى ينظر ايش يكون من باقي الخيل التي أشرفت عليه ومازال كذلك حتى انه رأى عنترا قد وصل اليه فعند ذلك حمل عليه وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ما كان صاحبكم ولى وقد ظهرت * عيناه الا سيف يقطع القضبا
فلو قام تركت الوحش زائرة * تحت العجاج ويلقى لحمه سربا
وقد فدى نفسه مني بصاحبه * حتى يعيش ويلقى غيره العطبا
حتى أتى واغتدى من صورتي فزعا * وقام ولى فرارا يطلب الهربا

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام أجابه يقول

ان كان صاحبنا قد مال للهرب * فاصبر قليلا ترى للفارس العجبا
فالخيل من شأنها تكبوا بلا عجب * اذا الجواد جرى في مهمه العطبا
وقد ترى الليث عباسا له حرد * ودمه بدما الابطال مختضبا
وليس فخرا أسود الغاب ساجدة * لسيفه وهو من عبس اذا انتسبا

﴿قال الراوي﴾ ثم انهما تدانيا وافترقا وصاحا وزعقا وتطاعنا بسيف الحدود ونواظر الرمق وطاع عليهم الغبار واحتجبا عن الابصار وتقاربا والتصقا وما كان أكثر من ساعة من النهار حتى صار البرق وجه عتبة أسود وعرف ان منتهى أمره يؤل الى التلف والنكد فعندها أمسك رأس الجواد ووقف وقال لعنتر بحق من أمر الغيث فوكف وخالف بين الفئات فاختلف من تكون من جبابرة العرب وأي عرب اليك تنتسب لاني أرى لك طعنا لم يرتد وحربك ماعليه حد فقال له ويلك أنا عنتر بن شداد حامية عبس يوم الجلاد قال فلما سمع عتبة بن شهاب ذلك المقال رمى الرمح من يده وقال له يا أبا الفوارس لاتعتب على جهلي وماوقع من قلة عقلي فاني لو عرفتك عند اقبالك ماتعرضت لقتالك لان أبي شهاب من حين ماتواعت بالغايات وصرت مع السادات قال لي ياولدي قاتل من أردت من الرجال وجميع الابطال الا فارس عبس الادهم وشجاعها المعلم وأسدها الضيغم ولما حاربتك وجربتك وسألتك عن حسبك ونسبك تأسفت وندمت على نفسي واعلم يافارس عبس ان ماوقع في يدي من هذه الغنيمة هو طعمة لك فخذها مني واعف عني ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عنتر هذا المقال وأبصره نقي الخدود ماحق بالرجال تعجب من فروسيته على صغر سنه غاية العجب وقال ياوجه العرب ان دمك على حرام وأما قولك خذ هذه الغنيمة والمال فوالله لافعلت ذلك ولا أخذت منها عقال لاني سمعت هذه الجارية تدعو الى رب الارض والسما أن يرزقها ابن يخلصها من السبي أو يكون لها حمى وأقول

ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاها وسمع نداءها وساقني اليك حتى أفرج كربها وبلاها وان خنتها أنا بعد هذا الامان فما آمن عواقب الزمان لان الله تعالى بلغها المقصود ولا شمت بها عدو ولا حسود ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عتبة بن شهاب اليربوعي مخاطبته تعجب من مروءته وقال والله لقد وصف لي أبي شيأ لا يعد ولا يحصى من فعالك الجيده وخصالك المفيده ﴿قال الناقل﴾ فهذا ما كان لهم من المشاجرة والكلام ❊ وأما ما كان من عروة ورجاله فانهم مضوا الى السبي والى صاحبة الهودج ليسألوها عن حالها ويطيبوا قلبها ويزيلوا اعوالها وأبصر واحاتما وعطافا والرجال المقدم ذكرهم وهم مشدودون بكتاف فقال عروة ياوجوه العرب اني أرى أمركم عجيب وحالكم غريب لاني أرى عليكم دلائل الشجاعة والبراعة فكيف أمركم شاب لانبات بعارضيه أما خشيتم من العار والفضيحة في جميع الاقطار فقال له عطاف ياوجه العرب أما رأيت أنت ماجرى لك من هذا الغلام حتى انك تلومنا بالملام والكلام وصاحب المثل يقول رافق الاسود ولو أكلوك ولا ترافق القرود ولو حملوك وأما سؤالك عن انسابنا فما نحن من قبيلة واحدة بل أنا اسمي عطاف وقومي بنو النظير وهذا حاتم طي ثم انه أعاد عليه حديثهم من أوله الى آخره فلما سمع عروة مقاله تعجب واتى الى عنتر وأعلمه بذلك الخبر فقال له عنتر سر الى حاتم وائتني به وحله من وثاقه ففعل عروة ذلك وحله واقبل به بين يديه فقال له عنتر ياحاتم ما أنصفك الزمان حتى جرى لك هذا الشان فقبل حاتم يديه وشكره وأثنى عليه فقال عنتر والله ياحاتم ماكانت طريقي هذه الاراضي فالحمد لله الذي من علي بأن اتفق لي أني وقعت بك في الطريق والا كنت بليت بالتعويق ثم ان عنترا التفت الى عتبة ولامه على تعرضه بهم فقال عتبة والله يا أبا الفوارس ماعلمت بهم ولا عرفوني بحالهم فالحمد لله الذي وفقني لاني مافعلت معهم سوأ ثم انهم حطوا رحالهم في ذلك المكان وقد عقر لهم عنتر بن شداد وروج لهم الطعام وأقاموا في ذلك المنزل الى الصباح وساروا وهم يقطعون الروابي والبطاح فعندها ودع عتبة بن شهاب عنتر بن شداد وهم بالمسير الى أرضه فاعطاه عنتر أربع خيول من جنائب كسرى وسروجها بالذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وقال له ياعتبة خذ هذه الخيل حق تعبك حتى لا يضيع صدرك فدعا له عتبة وشكره وأثنى عليه وقد سار عنهم بعد الوداع وتم هؤلاء في سيرهم وعنتر سائر معهم وهو يحادثهم في أحاديث الكرام وقد شغف بحاتم وحاتم يتعجب من حلاوة كلامه وقد تمكن من قلبه وزاد به غرامه وصار يحدث عنترا بحديث عطاف واحسانه اليه في الاول وفي الآخر وهم سائرون ثم ان حاتما قال لعنتر يا أبا الفوارس اعلم انني أشتهي من فضلك وتمام احسانك أن تخطب عطاف لاختي لانه والله معدوم النظير بين العرب فقال له عنتر حبا وكرامة ياصاحب الحسب ثم ان عنترا أراد أن يتكلم مع عطاف بمثل هذا الكلام واذا بعطاف أقبل على عنتر وناداه يا ابن الكرام سألتك بالله الملك العلام أن تتفضل علي بان تخطب لي أخت حاتم لانه رجل كريم من دون العباد فقال له عنتر ان شاء الله أفعل ذلك وحق الملك العلام ثم انهم نزلوا في بعض الاماكن وقد روجوا الطعام وأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك التفت عنتر الى عطاف وقال له اني قد تحدثت مع حاتم بما قد ذكرته لي فاجاب ولم يبد خلافا ففرح عطاف بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقد جمع عنتر بينهم وزوج عطافا باخت حاتم وأقاموا الى الصباح ثم انهم ساروا يقطعون الروابي والبطاح الى ان قاربوا بني طي فنزلوا في منزل يقال له ذات العيون وفيه من الانهار وأصناف الاشجار أنواع الفنون فخلع عليهم عنتر وقد أعطى لكل واحد منهم جنيبا من جنائب الملك كسرى بمركب من الذهب مزركش وودعهم عنتر وأراد أن يسير الى ديار بني عبس فترجل حاتم ومسك بعنان جواده وقال له يا أبا الفوارس وحق من رفع السماء وبسط الارض على تيار الماء ما أدعك تعود الى أرضك حتى تحضر عرس أختي أسماء لانك أنت الخاطب وعلى يدك تنجح المطالب وما عادة الخاطب الا الحضور والولائم فقال عنتر ياحاتم والله ان خدمتك شرف ومعرفتك ضرر وتلف ولكن ياوجه العرب أنت تعرف ما القومك على من الدماء وماجرى لي مع فرسانهم من الحروب وأخاف انني اذا حضرت

معك أتعب قلبك وأكدر عليك عيشك ولولا ذلك ما كنت الا صحبتك ولكن أنا أكون معك حتى أوصلك الى قومك وحلتك فقال حاتم واعجباه يا أبا الفوارس كيف يفعلون ذلك والغرباء من القبائل يكرموني ويجبروا ذمامي فكيف يفضحني أهلي و بنو أعمامي وقد غمرتهم باكرامي ثم انه أقسم عليه فاجابه عنتر الى ما طلب وسار باصحابه ورجاله الى أن وصل الى بني طي وعلمت العشيرة بقدوم حاتم فخرجوا لاستقباله وقد فرح به الرجال منهم والنساء ولما نزلوا في أبياتهم ضرب حاتم لعنتر خياما ومضارب منفردة عن الحي وتولت خدمتهم أم حاتم ثم انه شرع في أمر الزواج والعرس والزفاف بعدما أكرم عطاف وخدمه الخدمة الزائدة الاوصاف قال وكانت قبائل العرب من بني طي مقاربة من بعضها بعض فشاعت الاخبار بوصول حاتم و زوجته ماريه ووصفوا ما قد أتى معه من الاموال والنعم وأيضا سمعوا انه زوج أخته لعطاف سيد بني النظير وان عنتر بن شداد قد أتى معه في سبعين فارسا من بني عبس ليحضروا العروس فثارت الاحقاد الكامنة وتذكرت أصحاب الدماء دماءهم القديمة وكان أكثر الناس حقدا وأعظمهم قلقا بني معن لان عنتر قتل فرسانهم وأباد أبطالهم فلما قتل ناقد بن الجلاح اجتمع منهم مائتا فارس وتشاوروا كيف يدبرون أحوالهم ويقضون أشغالهم لانهم خافوا جانب حاتم فقال رجل منهم وكان أكثرهم شرا وأقلهم خيرا يا بني عمي نصبر ليلة العرس ونسير من ههنا أول الليل ونصل الى عنتر وأصحابه وقت السحر لانهم يكونون قد عادوا من الوليمة ويطارحون في الخيام وهم سكارى من شرب المدام فننزل عليهم في مائة فارس منهم ستون لمن مع عنتر والثلاثون يهجمون على عنتر ونهجم عليهم وقت السحر ويضرب كل واحد منا صاحبه وتكون المائة فارس قياما على ظهور الخيل حتى اذا سلم منهم أحد يضربه الذين على الخيل بالرماح وشفار الصفاح فقالوا له وقد استصوبوا رأيه يا راجح نحن ما قصدنا الا عنتر بن شداد الذي رمل النساء ويتم الاولاد وباقي أصحابه اذا قتلناه يكونون نهبا للسيوف الحداد ولكن يا ابن العم كل واحد منا يقدر يبلغ المراد من عنتر بن شداد فقال معاذ الله نحن ما نهجم عليه الا ثلاثين من الابطال والا خابت منا الآمال وان كان وقع في قلوبكم الخوف فدعوني أنا أهجم عليه وآخذه وحده من بين جنبيه ولا يدنو أحد منكم الى خصمه حتى أخرج ورأسه في يدي تقطر دما وان لم أذبحه وأشفي فؤادي والا سبوني على كل غاد وبادي ولا ترجعوا الآن تسموني ذابح والعنوا آبائي وأجدادي ثم انهم بنوا أمرهم على مثل ذلك وأرسلوا بعض عبيدهم لينظر متى يكون الزفاف وأين عنتر نازل من الحي و يعرفوا منزله ومضربه الذي هو فيه ﴿قال الراوي﴾ وقضى حاتم ضيافته لبني عبس وأولم وليمة الزفاف وجمع سادات الحي بعدما عقر ونحر ما كفى سادات بني طي وأهل الحي وأشبع العبيد والاماء وغنت المولدات ودارت الكاسات وطابت لهم الاوقات وما بقي أحد من بني طي الا وشرب عند عنتر المدام وتعلموا منه سيمة الكرام قال ولما انقضى النهار وأقبل الظلام ومازج العقول المدام وزفت أسماء على عطاف وما بقي خلاف وركب عنتر وأبوه وعروة ورجاله وعادوا طالبين الخيام التي أعدت لهم وكان شيبوب في ركاب أخيه فقال له عندما قاربوا الخيام هذه والله ليلة انتهى فيها العروس والعدا لكم في الانتظار ليقضوا منكم الاوطار لانكم الليلة قد امتلاتم من العقار وما بقي فيكم من يعرف الليل من النهار وأنا خائف عليكم من العدا وأسباب الردا وان لم نحترز على أنفسنا والا اشتفت العدا منا ولا ينفعنا حاتم ولا عطاف ولا يردوا عنا كاس التلاف ثم ان عنتر زالت من رأسه أقداح المدام وخاف انه يضطجع تلك الليلة للمنام فحلف بخالق الضياء والظلام انه لا يغفل ولا ينام بل انه قال كل واحد منا يحرس نفسه لما يحب ويختار حتى يطلع علينا النهار ثم انه بعد ذلك قال أنا أكفيكم أمر هذا ان أجبتموني الى ما أريد فقالوا له قل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فقال لهم اعدلوا معي الى هذه الروابي التي عن أيماننا ونترجل عن الخيل ونكمن عندها ونخلي مضاربنا خالية وشيبوب يكون فيها واذا كبس أحد على الخيام يأتي الينا ويعلمنا قال فلما سمع بنو عبس هذا الخطاب رأوه صوابا ثم انهم قصدوا الى الروابي والهضاب وكمنوا فيها وقد خطر لهم هذا الامر وهم في نشأة الخمر وكانت فيه سلامة نفوسهم الا انهم ما زالوا كذلك حتى أقبلت العدا وقاربت الخيام في جنح

الظلام وانقسموا قسمين وترجلوا وفعلوا ما كانوا عليه عولوا وسلت المائة فارس السيوف والقواضب ودخلوا عليه بين الخيام والمضارب ووقفت المائة فارس الاخرى على ظهور الخيل وقد لمعت رماحهم مثل نجوم الليل فعلم شيبوب بجميع أحوالهم فعندها صاح في أخيه ورجاله فخرجوا من خلف التلال وعنتر يقول يا بني عمي اقلعوا أسنة الرماح وتجنبوا سفك الدماء وهلاك الارواح حتى لا يكون علينا لوم لانهم ما دمنا ضيوفا عند حاتم واقصدوا الخيالة قبل الرجالة لانكم بذلك تبلغون الارب وما أحد منكم يعول على الهرب لان ما في خيامنا من يظفروا به قال فاستصوبوا رأيه ومقاله وفعلوا ما قد خطر بباله وطلب أصحابه الخيل في ظلام الليل وصاحوا عليهم لما قاربوهم وقالوا لهم يا أنذال بني طي لقد خابت آمالكم وساءت أحوالكم ثم انهم طعنوهم بعوامل الرماح الذوابل ودحرجوهم من على ظهور الصوافن ﴿قال الراوي﴾ وكانت فرسان بني طي قد انذهلت لما ان سمعت الصياح وحارت في أمورها وتخبلت وانقطعت ظهورها لانهم أبصروا بني عبس قد نزلت عليهم نزول القضاء والقدر والذين تكلفوا بقتالهم ما ظهر لهم خبر فايقنوا بالهلاك والذهاب وسمعوا صيحات عنتر فرجعوا على الاعقاب وما نجا منهم الا القليل وأكثرهم سار وامطروحين في جنبات الفلا وهم مثل القتلى فنزل اليهم عروة ورجاله وشدوهم كتاف وقووا منهم الاطراف وكشفوا منهم الرؤس وانزلوا بهم الهم والبؤس هذا وشيبوب جرح منهم جماعة بنباله وبلغ منهم آماله وقتل منهم مقدمهم ذابح الذي ضمن لقومه قتل عنتر لان شيبوب ضربه بنبلة فوقعت في نحره وخرجت تلمع من حلقه والباقون لما سمعوا الصياح صاروا يعوجون في أقطار البطاح وشيبوب يزعق في جوانبهم ويشغلهم حتى عاد بنو عبس اليهم وداروا بهم وأخذوا منهم جماعة والباقي هرب الى عند حي حاتم وزموا أرواحهم الى داخل البيوت واستجاروا باهاها وما أصبح الصباح الا والدنيا منقلبة لأجل هذه الفتنة وكل واحد يسأل صاحبه عما جرى وكان مقدم الحلة يقال له زامل بن الصباح فركب ومعه حاتم وجماعة من بني طي وسألوا عن حقيقة الحال فركب عنتر ورجاله اليهم وحدثوهم بالقصة وما جرى وأما شيبوب فانه ساق الاسارى الى بين أيديهم فلما نظروهم أطرق حاتم برأسه الى الارض من شدة الحياء وقال لزامل وحق من أوجد الاشياء ان لم نقابل هؤلاء الانذال على ما أبدوا من الفعال لارحلن من هذا الحي ولأهدمن ما شيدته لبني طي لانهم فسخوا ذمامي وأرادوا يدون قتل من أحسن الى وصان حريمي وأكل طعامي قال وكان زامل يحب حاتما محبة صادقة فسل سيفه وعول على ضرب رقاب الاسارى فتقدم عنتر وسأله فيهم وقد اجتهد في اطلاقهم فقال زامل يا أمير عنتر قد وهبتك دماءهم ولكن لا بد لي من تأديبهم على ما فعلوا ثم انه أمر عبيده فنصبوا لهم خشبا على رؤس الروابي وعلقوهم عليها طول ذلك اليوم الى وقت المساء وأطلقوهم وعند الصباح استأذن عنتر حاتما في المسير الى أهله وشكا اليه شدة شوقه الى عبلة فقال وذمة العرب يا حامية عبس ان فراقك عندي مثل فراق الروح من البدن لما لك علي من الفضل والمنن ثم انه سار معه لوداعه يوما كاملا وعاد حاتم الى قومه وسار عنتر وجد في المسير يطلب أرض الشربة والعلم السعدي وقد خلا قلبه لذكر عبلة ولا بقي له حديث مع أصحابه الا فيها لان البعد عن ديار الاحباب يزيد نيران الالتهاب ثم انه تلقى من ناحية ديار عبلة هبوب الرياح وصار يعاتب البرق كلما هتف ولاح ثم انه هاجت به الاشجان والاشواق فانشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول

اذا رشقت قلبي سهام من الصد * ويبدل دهري حادث القرب بالبعد
لبست لها درعا من الصبر مانعا * ولو بات غيري في الظلام على وجد
وكيف يزور الطيف من كان ساهرا * يبيت باجفان سهور على صد
علالة قلبي لا تصح فانها * اذا مرض المشتاق علل بالوعد
فبالله يا ريح الحجاز تنفسي * على كبد حرا تذوب من الوجد
ويا برق ان جاوزت من جانب الحما * فحي بني عبس على العلم السعدي
وان خمدت نيران عبلة موهنا * فكن أنت في أطلالها نير الوقد

وخل الندى ينهل فوق خيامها * يذكرها دمعى اذا أنكرت عهدى
عدمت اللقا ان كنت يوم فراقها * أرى صورة فى مثل صورتها عندى
ألا قاتل الله الهوى كم بسيفه * قتيل غرام لا يوسد فى اللحد
وأسأل سيفى كم أقل بحده * صروف الرزايا وهو يقلق فى الغمد
أجرده فى كل يوم كريهة * فيفرق ما بين المشايخ والمرد
وتلمع من تحت الغمام بروقه * وأصوات عالى البيض تسمع كالرعد
ومازال كلب الروم الا وقد لقى * رجالا ترى الموت أحلى من الشهد
وأهنا الينا نلتقى الطعن دائما * كما يلتقى العطشان من صافى الورد
حملت على الفرسان فرقت جمعها * فنالت بنو عبس بها الفخر من بعدى
لقينا أثقال الجيش فى الفلاة وفوقه * ثقال غمام حالك اللون مسود
ينادون عيسى والصليب ومريم * ونحن بعون الله بالشكر والحمد
فبادرتهم بالطعن حتى تساقطوا * الى الارض من فوق المضمرة الجرد
أنا عنتر العبسى فارس قومه * أموت ويبقى لى أحاديث من بعدى

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ عنتر من شعره مالت الفرسان لهذه الأبيات لما رأوا من عنتر وفصاحته عجبا ثم انهم ساروا يقطعون تلك البرارى والقفار وهم يتذاكرون ما كان لهم من الاخبار حتى انهم وصلوا الى الديار فعندها أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبقهم ويبشر أهل الحلة بقدومهم ففعل ما أمره به أخوه وكان وصوله نصف النهار وأخبر أهل الحى بما كان لهم من الاخبار ﴿قال الراوى﴾ ولما قارب عنتر وأصحابه الى الديار فالتقى به مقرى الوحش وخلفه جماعة من بنى عبس الاخيار وبين يديه ولد سبيع اليمن وهو فى دون المائتى فارس ولكنهم من فرسان بنى عبس الاشاوس وكانوا التقوا به على بعد من الديار وسلموا على بعضهم البعض وهم فى فرح واستبشار ورجعوا يتحادثون بما كان لهم من الاخبار وعنتر يحدثهم بحديث حاتم طى وكيف التقاه أسيرا وخلصه وسار معه الى حلته وكيف أضافه حتى عمل عرس أخته وكيف زوجها لطاف بن فائز المنظرى وأعلمهم بما جرى له فى بنى طى وكيف غدر به رجال الحى وبعد ذلك سأل عنتر من مقرى الوحش عن الملك قيس واخوانه وفرسانه وعشيرته وهو يتعجب كيف ما خرج أحد منهم اليه وقال مالى أراكم فى نفر قليل أما كان لى فى بنى عبس محب غيركم فعلت معه جميلا فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس ما فى الحى أحد حاضر تعتب عليه بل ان الجميع غياب مع الملك قيس فى بلاد اليمن فتعجب عنتر من ذلك وخاف عليهم أن يكون قد اعتراهم أمر من أمور الزمن وصار من ذلك فى فكر فلما رآه مقرى الوحش فى اشتغال وهو فى فكر من هذه الاحوال قال له يا أبا الفوارس ليس الامر كما خطر ببالك وانما بعض السلالين قد أتى الى الملك قيس يخبره بانه قد ظهر فى بلاد اليمن ولد لأخيه مالك وانه هو وأمه فى حلة من حلل بنى كلب بن وبره وهم فى ضنك عظيم من الشقاء والمضره وقد سار اليهم يريد أن يخلصهم من ما هم فيه من ذلك البلاء المقيم وتركنى أنا ومن ترى هنا لحفظ الاموال والحريم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر ذلك الكلام تعجب من تصاريف الايام وما يبدو منها من الامور والاحكام وتذكر مالكا ما كان يفعل معه فى أيام الصبا وافضاله عليه دون أبى قراد وتأسف عليه وتناثرت الدموع من آماقى عينيه وقال لمقرى الوحش والله لقد هيجت أشجانى وجددت على احزانى وقد ذكرتنى برجل كان عندى أعز من روحى التى فى جسمى وانك يا أخى ما تعرف ما كان فيه الادراك لانه قتل قبل ما أتعارف أنا واياك ونعمة العرب ما كان فى أولاد الملك زهيرا كبر منه مروءة ولا سجية ولولاه ما كنت الى الآن خلصت من رق العبودية وانا اقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام لو كنت سمعت أنا قبل حضورى انه ظهر له ولد ما كنت اتيت اليكم بل كنت سرت من تلك الناحية ولا كنت احتجت الى رفيق ولكن ان احيانى الزمان لأفعلن فى ولده فى حال مماته كما كان يفعل بى فى حياته وانى ما اقيم هنا الا مقدار

ما آخذ الراحة وأتزود من بنت عمى عبلة بالنظر وأعود أطلب بلاد اليمن على الاثر كل هذا يجرى وهم سائرون حتى وصلوا الى الابيات فتلقتهم النساء والبنات وهن قد أرخين الشعور ورمين البراقع عن الوجوه البدور وعبلة بينهم تتباهى بما كساها الله به من الجمال والقد والاعتدال والجميع يتمايلن كانهن الاغصان اليوانع وعليهن الملابس الفاخرة على ذلك الجمال البارع قال وكان كل هذا فرحا بعنتر وعودته الى الحى سالما ولما رأوا ما معه من الاموال والغنائم هذا وعنتر لما أن رآهن ثنى رجله وترجل وصار الى خيامه ولم يصدق أن يرى عبلة قدامه ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى سفر الملك قيس وذلك الاتفاق أنه بعد مفارقته لعنتر وهو عند الملك كسرى والنعمان وعودته من بلاد العراق قد سار الى حلته وجمع شمله باهله ورفقته وأقام حتى وصل السبى اليه من أرض الشام ولم يتخلف منه عقال وكل ذلك لاجل حاميهم عنتر البطل الهمام وبعد ذلك أقام مواطب الولائم والدعوات واغتنمت بنو عبس أوقات المسرات فاتفق انهم خرجوا فى بعض الايام الى غدير ذات الارصاد وقعدوا يتحادثون فيما جرى لهم من الانكاد حتى أزال الله ما كانوا فيه من الضنك والعناد كل ذلك يتذكرونه وهم يشربون المدام واذا هم بنجاب قد أشرف عليهم من البرارى والآكام وقد بدأهم بالسلام وقال لهم يا سادات العرب الكرام أريد منكم من يرشدنى الى طريق الخير ويدلنى على طريق أسلك منها الى الملك قيس بن زهير ﴿قال الراوى﴾ فعندها قدموه اليه وأوقفوه بين يديه فقال له يا وجه العرب أنا الملك قيس الذى تسأل عنى فقل ما حاجتك يا همام فقال الاعرابى يا مولاى فان كنت أنت الملك قيس المذكور فانى أعاملك بشئ يسرك ويبعد عنك ما يضرك ولكن ما أبشرك بتلك البشارة حتى آخذ حق بشارتى منك فلما سمع الملك قيس من الاعرابى ذلك الكلام اشتاق الى سماعه وأمره فى عاجل الحال بالنزول عن ناقته فنزل وأمر الملك قيس باحضار الطعام فاكل ولما اكتفى أعطاه قدحا من المدام فامتنع من ذلك وقال يا مولاى ان صاحب هذه الرسالة عاهدنى عهدا لا أضيعه وان عرض شئ قبل التبليغ أمنعه حتى انى ابلغ رسالته وأؤدى ما حملت من أمانته ومقالته فقال الملك قيس له هات ما عندك بلغك الله مناك وقصدك فعندها ابتدأ الاعرابى يحكى لهم حكايته ويشرح لهم قصته وقال له اعلم أيها الملك انى رجل سلال وصنعتى حرامى لص محتال وأدور قبائل العرب بكل حيلة وسبب حتى أرسل الخيل وأدعس عليها نهارا وليلا ولو كان الفرس فى وسط قلب صاحبه توصلت اليه وانتزعته منه وأنزلت به مصائبه وانى يا ملك سمعت بخبر جواد كلب بن وبره فسرت قاصدا اليه لعلى أسرقه وأحرق قلب صاحبه وأحسره عليه فسرت الى أن وصلت الى الحى الذى هو فيه فدخلت اليه وتأملت معانيه واقتحمت عليه الى داخل المضرب ولى قلب أقوى من الحجر ثم قطعت شكال الجواد من رجليه ويديه وقدته على يدى الى ظاهر البيوت وقد سترعلى الحى الذى لا يموت ولما أن بقيت على ظهره وكان حصانا مثل العقاب فلما أن أحس بى نفضنى أرمانى على التراب وعاد يطلب معلفه وهو يمر كمر السحاب ولما وصل مكانه صهل وصار يضرب بحافره الحصى والجندل حتى كادت الارض أن تتزلزل فانتبه صاحبه على حس صهيله لانه كان يعرف صهيله من دون الخيول فابصره وهو محلول فصاح فى فرسان القبيلة فاتوا اليه وهم راكبون الخيول وكل فارس منهم كانه بهلول فصار يقول لهم يا بنى عمى قد طرق الليلة أبياتنا سلال وقد غدا هاربا فخذوا عليه الطرقات والمذاهب وبادروه قبل وفاء النجازه وفوات المآرب ومازال ينادى بمثل ذلك النداء حتى ملكوا عليه سائر أقطار البيداء فلما علمت أنى ما بقى لى مخلص من كيد هؤلاء اللئام سرت أعدو وأنا مهرول بين الخيام وأيقنت باتلاف مهجتى بين الانام ومازالت مهرولا والعبيد تصيح على وتضربنى بالحدقات حتى وصلت الى بيت منفرد عن الابيات فقلت فى نفسى التجئ الى هذا البيت لعل أن يكون لاحد من السادات أو يكون صاحبه فى هذه القبيلة موصوف وباجادة الرماح معروف فوجدت فيه امرأة عجوزا جالسة تغزل صوفا فدخلت عليها وأرميت روحى بين يديها وأمسكت بذيلها وقد استجرت بها فاجارتنى وآمنتنى على نفسى بعد ما كان انقطع حسى وقامت الى الرجال الذين لحقونى وقد صاحت عليهم فوقفوا عنى وقد هابونى فاخبرتهم انها أجارتنى وبذمامها شملتنى فعادوا عن مضربها ومقامها وهم

يقولون هذه امرأة من أكابر قومنا ما انفسخ ذمامها وبعدها رجعت العجوز وهنتنى بالسلامة وأمرتنى عندها بالاقامة وقدمت لى الزاد فاكلت وعطتنى قعب ابن شربت ثم أقمت عندها الى الصباح واطمأن قلبي واستراح فقالت لى يا هذا اعلم أنك يضيق صدرك ان أقمت عندى فى البيت فاخرج وتفسح بين الروابى والقيعان ولا تبعد فى البر بعيدا فيتعب قلبي عليك ويصير بينى وبين قومى الشر والعداوة لان بعلى وأولادى فى هذه الايام غائبون ولابد أن يأتوا فى هذا الحى وأنا أراعيك وآخذ حسك لعلهم أن يأتوا بيسير وامضى الى موضع تأمن فيه على نفسك ﴿قال الراوى﴾ فاما ان سمعت منها ذلك الكلام صرت كل يوم أخرج الى الغدير وقد أمنت على نفسى من الصغير والكبير وصرت كل يوم أفعل ذلك وأعود الى البيت الذى للعجوز وأهل الحى يرونى وينظروا الى لما أنى عليهم أجوز فلما كان فى بعض الايام وأنا جالس تحت هذه الشجرة التى ألفتها وكان وقت الضحى والشمس على الارض قد أرخت جرمها واذا الجارية قد أقبلت من البر وقد اشتد عليها الحر وعلى وجهها برقع خلق وعلى بدنها جبة من صوف الا أنها فى ذلك اللباس عليها آثار النعمة ووجهها بالخير معروف وبين يديها صبى ووجهه أحسن من الهلال لكن قد غيرت محاسنه ومحاسن أمه تقلبات الايام والليالى وله من العمر ما يقارب عشر سنين ولبسه مثل لبسها وحسنه مثل حسنها الا انهم فى الهم مشتركون وقدامهم أغنام يسوقها الى تلك المرعى وعليهم حالة الذل والهوان وهم بذلك الشقا والزفير والجارية تقول لولدها يا مجيد رد الغنم الى ناحية ذلك الغدير لاننى قتلنى الحر والهجير فقفز الصبى حتى يعين أمه على ذلك الشقاء والتعب فعثر فى حجر فوقع على وجهه وتكبكب وقد أدمت قدماه وجبهته فاحرقنى قلبي عليه وعلى ما صار من قصته وصار يبكى ولا يقدر ان يقوم على قدميه فلما أبصرت أمه حالته عادت وعدلت اليه وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وشقت رداءها وعصبت به جبهته وصارت تقول له يا ابن الثكلى وابن المفقود ليلة الجلايا بنى وافقت أمك على صغر سنك فى الشقاء والتعذيب وربيت فى اليتم وخدمت من هو ليس منا بقريب يا ولدى ليت أمك ماتت ولا رأتك فى هذه الحالة تخدم العدا أوليت أباك بقى ولا كان شرب كاس الردى ثم انها ازداد بها النحيب والبكا فانشدت تقول صلوا على طه الرسول

وافقتنى فى الشقا والحزن يا ولدى * على أبيك الذى ولى ولم يعد
وقد بكيت بدمع بعد فرقته * وكم أبيت ونار الشوق فى كبدى
يا ليتنى كنت فارقت الحياة ولا * بليت بالذل والتعسير والنكد
وليت أمى رمتنى للسباع ولا * رأيت ذا الهول فى الاحزان والكمد
أوليتها دفنتنى فوق رابية * بين التلال وشلت ساعدى ويدى
بنو فزارة لازالت دياركمو * تشكو الى ساكنيها قلة العدد
كما فجعتم فؤادى يوم فرقته * بفارس كالهمام الضيغم الاسد

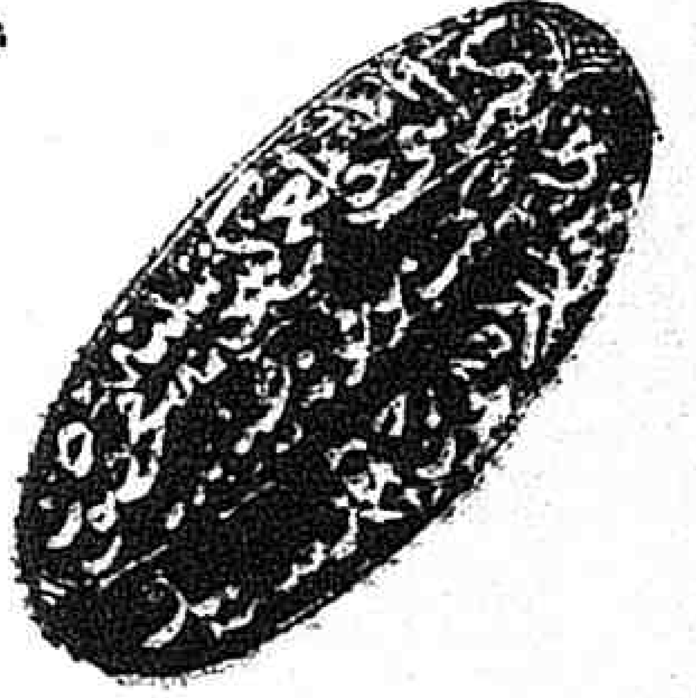
﴿قال الراوى﴾ ثم ان السلال قال بعد ذلك للملك قيس وانى يا مولاى لما رأيت الجارية وحرقتها وقد سمعت نداءها وأبصرت صورتها عرفت أنها من هذه الديار غريبة وان الزمان تعدى عليها وجار فعدلت اليها وسلمت عليها ثم انى قلت لها يا جارية لقد أحرقت قلبي وزدتنى كربا على كربى فان كنت غريبة من هذه الديار فاخبرينى أنت من أى العرب الاخيار وكيف السبب لفراقك لاهلك والاوطان لانى أراك شديدة الاحزان زائدة الوجد والاشواق عظيمة التلهف والاشتياق فقالت لى يا هذا اننى غريبة كما ذكرت ووحيدة أنا وولدى فى هذه الديار كما أخبرت ولكن يا هذا من يكشف عنى ما أنا فيه وأيش تنفع الشكوى لمن يضيعها وايش النفع للذى نشكو بلوة تكون فيه لمن لا يزيلها عن صاحبها فقلت لها من هم عربك ومن رب هذا الغلام فقالت أنا ما أقدر أخبرك من أنا ولا أقدر أشرح لك قصتى خوفا على ولدى من العناد ولولا اننى أعرف انك غريب من هذه الديار ما كنت أطلعتك على شئ من هذه الاحوال فقلت لها أنا احلف لك بمن كسى الليل حلة السواد وأغسقه وجعل الفجر نورا مشرقا وتفرد بوحدانيته بالدوام والبقا اننى ما أكشف سرك لاحد من

البشر ولا أبيح به لانى ولا أذكره الى حين أموت وأقبر وما قصدى بهذا الاخلاص واظهار أمرك الا ان أصل الى قومك وأكشف لهم عن خبرك لان قلبي قد رحم بكاك وأمل الله أن يفرج ما بك ويجعلنى من السوء فداك ويصير على يدى فكاكك وكل هذا الاجل هذا الطفل الصغير الذى كانه ولد كبير وهو على صغر سنه يقاسى الشقا والتعتير كل هذا يا ملك الزمان وهى لم تجبنى بسؤال وبعد ذلك مال قلبها الى وأخرجت سرها على وقالت يا فتى اعلم ان هذا الصبى أمير ابن أمير كبير وأنا أخبرك بقصته وأشرح لك عن حكايته ظاهرا وباطنا وأخبرك بما جرى علينا أولا وآخرا اعلم ان هذا الصبى أبوه مالك ابن الملك زهير معدن الكرم والجود والخير الذى هو أفخر العرب نسبا وأهلا وأعلاها حسبا وفضلا وأما وأبا وأهلا وكان قد تزوج بى لما وقعت الفتنة بين بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان من أجل سباق الخيل وأنا كنت فقيرة فاغنانى وأعطانى من المهر ما كفانى وقد زففت عليه بالجلاء والمغانى ولما ان خلونا ببعضنا اكدر الدهر علينا صفو عيشنا ثم انها أخبرته بالقصة من أولها الى آخرها ﴿قال الراوى﴾ وأخبرته كيف أتى عوف أخو حذيفة وشن عليهم الغارة هو ومن معه من بنى فزارة وأنه قتل منا السادات وسبى من قدر عليه من البنات فهربت أنا مع جملة من هرب وهمت على وجهى فى الفلوات من شدة الخوف والممات وقد عولت أن التجئ الى بعض الغدران والقبائل الذين يحمون من استجار بهم فالتقانا عرب هذه الديار أنا ومن معى من البنات والاحرار فساقوا كبارا وصغارا وقد وقعت أنا من شوم بختى مع هؤلاء القوم وكنت علقت من بعلى بهذا الصبى على دام الزفاف ولما تكاملت أشهره وضعته فى هذه الديار وقد ربيته فى ثياب الذل والاضرار وكتمت نسبه خوفا عليه من الهلاك والبوار وكل من سألنى عنه أقول هذا الولد رزقته من ابن عمى وقد حلت به الآفات ومات مع من مات وهذه قصتى قد شرحتها اليك كانك قد رأيتها بعينيك وأريد منك اذا حضرت الى بنى عبس فى بعض أسفارك فاقصد ملكهم قيس بن زهير وقل له أما تخشى أن تكون ملكا مطاع وابن أخيك يرعى الجمال والاغنام فى تلك البقاع فما يرضى بهذا من هو بطل شجاع ثم قال السلال ولما فرغت من كلامها يا مولاى بكت على بعلها بوجد وزفرات ومازالت على ذلك حتى أسالت من أجفانى العبرات وكاد فؤادى أن ينفطر مما بها من الحسرات وبعد ذلك قالت يا وجه العرب سألتك بحرمة شهر رجب انك توصل خبرى الى قومى وتحمل هذه المشقة وذلك التعب فقلت لها يا حرة العرب وحق من فى علم غيبه قد احتجب ان سرت من ها هنا الى قومك لأعلمهم بقصتك وشؤمك وما تقاسيه من همومك وغمومك وأعلمهم بحديثك الذى ذكرتيه لى فى قومك ثم انى يا ملك طيبت قلبها وفارقتنى وفارقتها وسرت الى بيت العجوز وأقمت عندها حتى قدم أولادها وبعلها وأخبرتهم انها قد أجازت ذمامى وحمتنى من بنى عمها فرحبوا بى وأعطونى الناقة هذه التى تعيننى على قطع الربا والآكام وساروا معى الى مكان الامن والسلامة وتودعت منهم وأمرتهم بالرجوع الى أطلالهم والربوع وأنا أتشكر من أفعالهم وما فعلوا معى من الجميل لانه غير قليل وبعد ذلك يا مولاى سرت قاصدا اليكم وأعدت حديث ابن أخيكم عليكم فهى والله أمه على وجهها الخير والرجا وولدها أحسن من بدر الدجا الا ان الهم والبلاء قد غير أحوالهم وأمور الدنيا قد أزرت أحوالهم ﴿قال الراوى﴾ فوالله ما سمع الملك قيس هذا الكلام من السلال حتى بكى الملك قيس وكل من كان قدامه من اهله وبنى أعمامه هذا وقد شاع ذلك الحديث فى الحله وقد تسامعت به الرجال والنساء جمله وأما الملك قيس فانه غاب عن الدنيا من شدة ما جرى عليه وفاضت مدامعه على وجنتيه ثم انه ناول الكاس ساقيه وحلف انه ما عاد يشرب باقيه حتى انه يخلص ابن أخيه وأمه مما هم فيه ثم انه فى عاجل الحال خلع على السلال وأركبه على جواد من أرق الخيول الجياد ونادى فى فرسان الحى بالرحيل وسرعة الجد والتعويل وركب وسار فى بنى عبس الاخيار وكانوا ثلاثة آلاف فارس ومن خوفه على الاحياء وهذه الديار من كيد الاعداء الاشرار ترك مقرى الوحش حامية لها وترك عنده خمسمائة فارس رئبال وذلك لأجل حفظ الحريم والاموال لعلمه انه يعادل عنتر فى الفروسية والشجاعة والبراعة وسار الملك قيس وهو يقول للربيع ابن زياد أتى علينا عنتر بن شداد حين علم أنه قد ظهر اصدقه ولد من الاولاد لانه كان فى زمانه من أفخر مصيبه

وكان أخاله وصديق وكان دائما يتعصب له في كل شدة وضيق ولو كنت أعلم أنه يقدم سريعا من أرض العراق كنت أنفذت اليه وأقمت الى ان يأتي الينا وآخذه معي في هذه الكرة ولكن أخاف ان النعمان يعيقه ولا يتركه يأتي الينا اذا أرسلت اليه نجاب لاننا خليناه عند كسرى في مجلس الشراب ونحن الذين قد ضيعنا الحزم حيث ما أرسلنا اليه ولكن الغائب حجته معه ولا ندري ما يكون من طول غيبته لانه في أشد ما يكون من اللهو والطرب وأخاف ان نتكاسل عن هذا السبب فيشيع عنا في قبائل العرب ان ابن أخي عند الاعداء معتقل ومأسور وأعاير أنا به بطول الازمان والدهور وربما يسمع أهل الحلة التي هو فيها ان نسبه متصل الينا فيقتلوه لأجل الدماء التي علينا ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك قال الربيع بن زياد أيها الملك المهاب ما رأيت الا غاية الصواب حتى لا يصير له علينا كلام بعد خلاص حريمنا من أرض الشام ويقول انهم ما قدروا ان يخلصوا سيدا من ساداتهم حتى أتيت وخلصته لهم والرأي عندي اننا نسير نحن اليهم ونخلصه منهم ونلتقي كل من في بلاد اليمن بمن معنا من الابطال ثم انهم سلكوا البراري والقفار وطلبوا بلاد اليمن وهاتيك الديار ﴿قال الراوي﴾ وكان بالامر المقدر ان الامير عنتر وصل الحلة بعد ان ساروا بثلاثة أيام وحدثه مقري الوحش بما جرى لهم من الكلام فعند ذلك دخل على عبلة وبل شوقه منها وبعد ذلك اشتاق الى ابن مالك وتذكر أباه وما كان يفعل معه من الجميل ويكافئه وقد علم ان بني عبس لابد أن تجتمع عليهم قبائل اليمن ولا يكون عندهم من يحميهم من تصاريف الزمن فجد عزمه على اتباعهم ليعينهم على أعاديهم وقد خاف على بني عبس أن يقعوا في التعس والنكس وأيضا خاف على بقاياهم من بني فزارة وسنان بن أبي حارثة أن يبلغه ما هم فيه من المرام وربما ركب عليهم ملوك الشام من أجل ما جرى بينهم من الحرب والصدام لان بني غسان أقوام لئام وقد علم ما جرى بينهم من الحرب والصدام وما وقع حتى تبدد شمل العشيرة ورجع اجتمع وقد تعبوا حتى رجعوا الى الديار وقربهم القرار ثم انه قال لهم يا بني الاعمام الرأي عندي انكم تقيموا في الاوطان مع أخي عروة ومن له من الفرسان وأيضا يكون معكم الرجال الذين كانوا معي بارض العراق وأسير أنا ومعي أخي مقري الوحش فارس النياق ونأخذ معنا أخي شيبوب ونسير خلف العشيرة لعلنا ان نلحقوهم من قبل أن تجتمع عليهم الجموع ونقضي حوائجنا ونعود وشملنا مجموع وان طالت يا بني عمي غيبتنا وسمعتم ما لا ترضوه من بني فزارة او بني غسان لاني اعلم انهم طائفة غدارة خيان فلا تطيلوا بينكم الكلام بل ارحلوا الى منازل شيخ العرب دريد بن الصمة او الى بني عامر وكونوا في أحد الجهتين حتى نرجع بسلام فقال شداد والله يا ولدي لقد نظرت موضع النظر افعل ما بدا لك واعلم اننا مستيقظون على انفسنا من مقالك فطيب قلبك من جهتنا فنحن ما نتهاون على انفسنا ولا نتغافل عن اخبار اعدائنا بل نقيم لنا عيونا وأرصادا تأتينا بالاخبار من سائر الجهات ونبذل مجهودنا ونهجر المنام الى ان تقضي حاجتك وتعود الى الديار وانت في خير وسلام ﴿قال الراوي﴾ فعندها طاب قلب عنتر على قومه وتجهز للسفر من يومه ولم يأخذ معه سوى مقري الوحش واخيه شيبوب وقطعوا من الارض العلائق وساروا بلا عائق يعيقهم ولا سابق ولم يأخذوا معهم لا ناقة ولا جمل بل طلبوا الوحدة والانفراد وبلوغ الامل وسلكوا البراري واقتحموا الفلوات وسلك بهم شيبوب تلك التلال المقفرات وقطع بهم تلك الهضاب الموحشات ومازالوا على ذلك الحال ستة ايام متواليات وفي اليوم السابع فرغ منهم الماء والهبهم العطش والظما وقد عرض لجواد مقري الوحش عارض فهلك وارتمى فصار مقري الوحش راجلا وصار يقطع على قدميه الفلا فنزل عنتر عن جواده موافقة لصاحبه وترك العدة فوق جواده الابجر وساروا يجدون في المسير في ذلك البر الاقفر فقال عنتر لأخيه شيبوب لم لا أعلمتنا يا ولد الزنا ان هذه الارض مهلكة كثيرة العناد حتى كنا اعتددنا لها بالخيل الاصايل ولا كانت جرت علينا هذه الاهوال فقال شيبوب والله ما كنت أعلم الا ان هذه الارض كثيرة الماء والمناهل ولكن الانسان ما يعلم ما خبئ له في الغيب من القضاء النازل ولم أعلم أن جواد مقري الوحش يموت في هذا المكان ولم أعلم فروغ آجال الخيل وما يقع لها من الهوان وما يجري عليها من الحدثان فقال له مقري الوحش هلا تعرف لنا ماء لا ندركه على عجل قبل أن يأتي المساء لانه ما بقي آخر النهار

وفينا من يعرف أحسن الدهر اليه أم أساء فقال له نعم اني أعرف قدامنا منهلا قديما للعرب يقال بنو باعث وهو غدير واسع وله منافس ومنابع وما بقي قدامنا الا هو ولا اتكالنا الا عليه وان كنا لا نجد فيه ماء اذا وصلنا اليه فوحق الرب القديم ما يرجع منا من يخبر بخبر لان بعده مفاوز صعبة واسعة الفضا لا يقطعها الا تساع أرضها وصعوبة مسالكها الا أنا فقال مقري الوحش ما أنت الا قطعت ظهري يا شيبوب فلعن الله أبا سبالك ومن المصائب لا أقالك وحق الرب القديم اذا وصلنا الى هذا الغدير ووجدناه ناشفا الا تركناك تنتعل عنا بشبر قصير ولابد لي ما أشد يديك ورجليك وأدعك تموت معنا على جانبه ويقضي عليك لان الدليل أحق من غيره بالعذاب الطويل قال وكان شيبوب يعلم انه يلقى الماء الا انه أراد أن يوهم مقري الوحش ويروعه لما ان رآه قد عاد راجلا وصار يمازح معه ويهول عليه المصائب الا انه مازال سائرا بهم حتى أوصلهم الى الغدير وقد تعبوا تعبا شديدا كثيرا ولما ان وصلوا الى الغدير نزلوا لاجل الراحة وقربهم القرار في تلك الساعة فشربوا من الماء حتى ارتووا وبعد ذلك أضرموا النار وكان معهم شئ من لحم فشووه وأكلوه وقليل من الخمر فشربوه وبعدها قال عنتر لأخيه شيبوب يا ابن الام كيف نعمل في مقري الوحش أنسير به راجلا معنا الى بلاد اليمن فوالله ما فيه قوة الى هذا البطش فقال شيبوب اصبر علي قليلا حتى استريح واغدو وأجد له في الطلب وأدبر نفسي على جواد وأجيبه له يركبه وأقيموا أنتم ههنا على الغدير وانا أسير وأحمل عنكم التعب والتعثير وآتيكم بما تأكلون لاني أعرف ان ههنا بالقرب منا عربا يقال لهم بنو صايح وهم بعيدون عنا بمقدار نصف يوم للجد الناصح ولابد لي ما أسير اليهم وأتوكل على رب العباد وأتجسس أخبارهم وآخذ لهم من خيلهم الجياد فقال له عنتر أريد أسير معك وأعزم على الرواح فقال له لا يا أخي أنا ما أسير الا وحدي وأنا رجل خال من السلاح لئلا ينكرني أحد من عرب البطاح وأما أنت لا تسير الا فارسا مشتدا وان رأوك وأنت على هذه الحالة نفرت عليك أهل الحلة بخيالة ورجاله ويصير بينك وبينهم الحرب والقتال والطعن والنزال وتضيع الفوائد والفائدة ويطول الامر وتكثر المعانده فقال مقري الوحش والله لو رأيته سائرا معك ما أخليه يخطو خطوة واحدة ولا من هنا يتبعك ولا كان يطيب على قلبي ان أبقى في هذا البر وحيدا فريدا وأكون مستوحشا في هذا القفر والبيدا فقال له شيبوب صدقت وأنا من أجل ذلك ما أطاوعه على مراده لان مرافقته معي لا شك تورثني الهم والتنكيد ثم انه أقام عندهم الى وقت السحر وقد قرب الصباح وخف ما به من التعب واستراح فسار يطلب العرب الذين ذكرناهم وهو خال من السلاح وهو مثل العبد البزال وباطنه باطن الاسد الرئبال حتى تضاحى النهار وقد قارب الارض التي هو طالبها وتلك الديار واذا هو يرى عن يمينه واديا كثير الماء والمنابع وفيه مراع كثيرة ومنافع وفي وسطه قبة من الاديم تسع جماعة كثيرة من بني آدم ومن حولها عشرون رأسا من الخيل الجياد وهي مختلفة الالوان وهي تموج في مقاودها مثل الغزلان فقال شيبوب هذا الذي كنت طالبه من المأمول لكن الصواب انني أدبر في أخذ هذه الخيول وأعود الى أخي عن قريب وأغتنم السلامة لان الدهر يومان يوم يهاب ويوم يصيب ثم انه عرج الى الوادي وسار فيه ومازال الى ان وصل الى تلك القبة المضروبة وقد دار من حولها فلم ير احدا من البشر ولا من يسأله عن ذلك الخبر فقال شيبوب هذا من تمام السعادات التي تأتي على مراد الانسان ثم انه دار من حول تلك القبة وجعل ينظر الى ذلك المضرب ويتعجب غاية العجب ويقول يا ترى من أتى بهذه القبة الى هذا الوادي ثم انه ألقى اذنيه اليها وأصغى فما سمع من داخلها حسا ولا نفسا ولا أبصر أحدا قاما ولا جالسا فزاد بذلك تعجبه ورفع ذيل القبة بقي من داخلها مثل الثعبان ونظر فيها بعينيه وشم الافراى فيها رجلا هرما وهو نائم في ركن من أركانها وقد أبصر أعدالا ممتلئة معبأة بعضها فوق بعض وفيها تمر ودقيق والى جانبها ظروف ملآنة سمنا وعسلا ﴿قال الراوي﴾ فلما رأى شيبوب الى ذلك قال في نفسه ان الاقبال اذا أتى للشخص فيكون سعده قد حصل وما بقي الا أن أحمل بعض هذه الخيل الاصائل من هذا الخير الحاصل وأسوق الباقي وأقطع بهم البر الاقفر لاني أعلم ان صاحب هذا الخباء ما يأتي الا عند المساء

والساعة أكون عند أخي عنتر ثم انه عول أن يخرج ما يكفيه الى خارج الخباء واذا هو بجد ناقة مقبلة من صدر البر صياحها قد قاب الفلا وعلى ظهرها هودج عال محلى بالحرير والاطلس ومن حولها خمس عبيد بالقنا والنبال والسيوف الصقال وفي أيديهم الجحف الغوال ﴿ قال الراوي ﴾ فلما رأى شيبوب هذا الحال عاد الى الخباء وخنس بين الاعدال وهو يقول هكذا الدهر ما يبقى على حال ولابد ما يخيب الآمال ويكدر ما صفا بعد الاقبال ثم جعل باله من الناقة حتى وصلت الى باب الخباء فابركوها العبيد ونزلت من الهودج امرأة عجوز تقارب الشيخ النائم في العمر والسنين الا انها أنهض منه ولها حيل شديد عنه ولما دخلت الخباء صاحت بالنائم وجلست بجانبه وقالت له اقعد يا نائم يا من غفل عن نوائب الدهر ومعانيه فعند ذلك جلس الشيخ لما سمع كلامها وقال غبتي فاوحشتي وقدمتي يا ابنة العم فآنستي فاخبريني ما كان من غرماه ولدك هل تركوا دم أخيهم ووهبوه اياه أو يريدوا من أجل ذلك انهم يقاتلوه فقالت والله يا ابن العم ما انصلح له حال ولابد أن يقع بينه وبينهم القتال وأنا والله خائفة عليه من الاعداء الانذال لانني لما سرت من عندك البارحة عند المساء وصلت الى الاحياء نصف الليل وأنا أقول لعل وعسى ثم دخلت على جارتنا سلمى بنت حازم وسألتها عما جرى من مبتدا تلك الامور العظام فقالت والله يا ابنة العم لقد شق علينا رحيلكم من الحلة وقد صعب على جميل مقدمنا وقد صار وراء رافع أخو القتيل وقد سأله لولدك دم أخيه ويأخذ فداه من المال ما يرضيه فما رضي أن يفعل بل قال أنا لابد لي من إأخذ ثار أخي ممن قتله ولابد ما أتوصل اليه واقتله كما قتل أخي وأجندله واني ما قعدت عن طلبه الا حتى يأتي باقي أخوتي ونسير اليه كلنا ونأخذ منه بثارنا وننال منه مرادنا ولما أتى الرسول يا ابنة العم الى مقدم عشيرتنا بهذا الخبر زاد غضبه وغيظه وتقطعت به الأسباب وقد خاف على شمل العشيرة ان يتفرق ويحل بهم الذهاب





﴿ تم الجزء الرابع عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد ﴾

﴿ الجزء الخامس عشر ﴾

من سيرة الفارس الهمام والبطل المقدام من انتشرت شهرة فروسيته في كل واد ليث النزال الأمير عنترة بن شداد

وهي السيرة الفائقة الحجازية المشتملة على الاخبار العجيبة والانباء الجليه

م



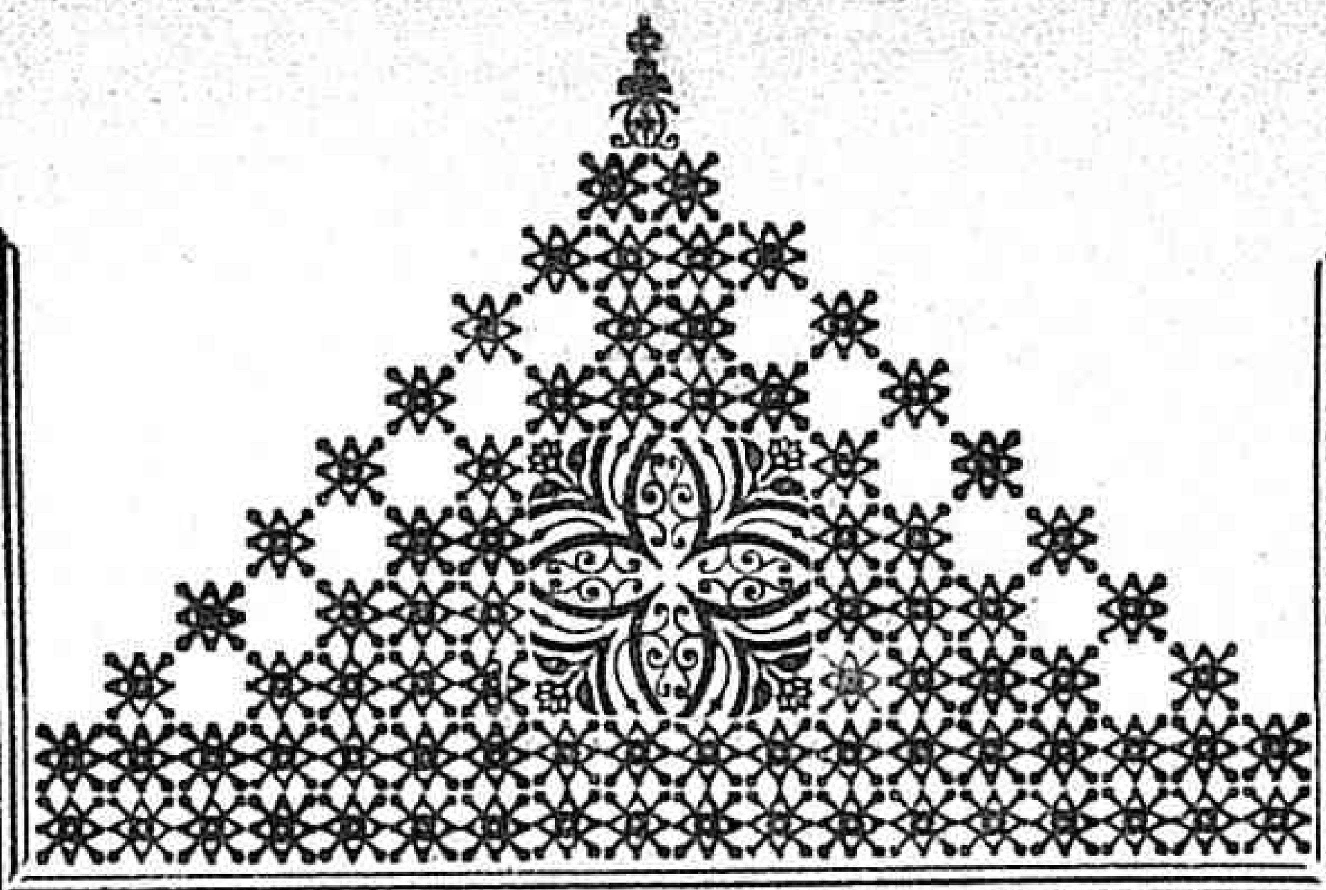


﴿ محل مبيعه ﴾

(بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ محمد علي المليجي الكتبي)
(وشريكه حضرة السيد حسين افندى شرف)
(الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

(بالمطبعة العامرة الشرفيه التي مركزها بشارع الخرنفش)
(بمصر المحميه سنة ١٣٢٢ هجريه)



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قال الراوى﴾ فما كان جوابه لهم الا أن قال لهم افعلوا أنتم وخصماؤكم ما اردتم فأنا ما ادخل بينكم ولا أكون عليكم ولا لكم على حامية العشيرة وفارسها ولا أعينكم عليه بعدما أحسن الينا المرار العديده وحمى حريمنا من الاعداء فدونكم واياه وانى لا أمنعكم عن طلب حقكم ولا أرضى بتركه لكم ثم انه رحل أبو الجاريه التى كانت سبب هذه الفتنة وقال له ارحل أنت عنا ولا تقم فى أرضنا لئلا تفرق شملنا وتشمت بنا الاعدا وغاية الامر يا ابنة العم ان القوم طالبون ثارهم من ولدك فامضى اليه واعلميه بهذه القصه ولا تعطى عن ذلك تهاون ﴿قال الراوى﴾ ثم انها قالت وانى لما سمعت بهذا الكلام الذى منه تفتت كبدى عدت من ساعتى من خوفى على ولدى وأريد انه اذا أتى أعلمه بالحال وأشير عليه بالرحيل من هذه الاطلال من قبل أن يأتيه شئ ماله به طاقه فكان يعقبنا الوبال فاين هو مضى يا ابن العم اعلمنى به فى الحال فقال لها انه مضى الى الصيد والقنص من وقت الصباح والى الآن ما عاد وأنا أسأل رب العباد أن ينصره على الاعداء والاضداد ولا يفجعنا بطرده والابعاد ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الشيخ بعد ذلك عاد الى مرقده وانفجع وعينه من قبل ولده تدمع فقال شيبوب فى نفسه من هذه الاقوال والاحوال كنت أخاف فما اتم شيبوب كلامه الا وقد أقبل من صدر هذا الوادى شاب معتدل القوام كانه البدر التمام وهو طويل القامه كبير الهامه عريض المناكب حسن الوجه أخضر الشارب تلوح الشجاعة من شمائله وكذا الفروسيه تدل على معاطفه وهو قوى العزم ليس به فشل وهو لابس عدة شامله وآلة حرب كامله وتحته جواد عال من الخيل شديد القوى والحيل يندفق مثل السيل وهو أشد من سواد الليل وقدامه قطعة جيدة من غزلان وأرانب ووحوش وثعالب وعدة من أصناف الوحوش ﴿قال الراوى﴾ وكان ذلك هو صاحب الخبا وابن هذه العجوز زوجة هذا الشيخ الذى نحن فى ذكره وهو حامية هذه القبيلة التى أتت أمه منها وأيضا هو فارسها وراجلها الذى يدفع عنها النوائب ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب لرحيله عنها انه عشق جارية من بنات الحى وهام قلبه بها وكان للجارية ابن عم وكان قد خطبها من أبيها وحمل مهرها اليه ولما ان راح زواجها ودخولها عليه وعرف ذلك الفارس والتهب قلبه من جهتها وزاد غرامه وكربه

وعظمت من المحبة بليته وخاف أن تفوته محبوبته فرصد ابن عمها حتى خلا به فى البر وقتله وقد خاف بعد ما قتله من رجال الحلة ومن تعصبهم عليه انهم يقتلوه ويوصلون الاذية اليه فرحل عنهم ونزل فى هذا المكان وقام يدبر أموره وقد أتى ومعه أمه وهذا الشيخ أبوه وصارت أمه تمضى الى الحلة وتكشف له الاخبار فوقع ما سمعته السادات الحضار ﴿قال الراوى﴾ وكان للقتيل أربعة اخوة وكلهم فرسان أقيال ولكنهم ما كانوا حاضرين تلك الايام فى الديار وما كان حاضرا منهم سوى فارس واحد يقال له رافع وبقى الامر معوق من وقت الى وقت وجعل ينتظر حضور اخوته وهو يدافع ويسأل شباب العشيرة أن يعينوه على مصيبته فما أحد أجابه خوفا من سنان هذا الفارس وما يعلمونه من شدته وصار هذا الفارس يرقبهم صباحا ومساء ولا علم قلبه من أحسن اليه ممن أسى ويقول من له عندى دين يأتى يأخذه منى فى القفار لاننى أقسمت بالملك الجبار لو أتتنى أهل القبيلة قطا لبنى لبددت شملها وفرقت جمعها ﴿قال الراوى﴾ ونرجع الى سياقة الكلام ونصل على البدر التمام ولما ان عاد هذا الفارس فى ذلك النهار تلقته أمه بالفرح والاستبشار وقامت اليه العبيد وأخذت ما معه من الصيد وفى عاجل الحال أضرموا النار وقعدوا يصنعون له شيأ من الزاد هذا وأمه تحدثه بما جرى لها وما سمعت من جاريتها من الامور الخطيره وقالت ان رافع يا ولدى أراد أن يستنجد عليك بشباب العشيرة ثم انها بكت بعدما انتهت من ذلك الكلام وقالت له يا ولدى اعلم ان هذه الديار ما بقى لنا فيها مقام مع انى أعرف منك انك ما تبالى بكثير من العربان ولو كانوا بعدد رمل وادى كنعان ولكن المطرود مذموم فى الصباح وفى المسا والصواب يا ولدى أن تسير بنا الى بعض أحياء العرب نقيم فيها وتنجينى وتريح نفسك من هذا التعب فقال لها والله يا أماه انى على هذا الحال معول ولكن ما أبرح من هذا المكان الا بعدما أقتل رافع واخوته وأنزل بهم الذل والهوان وانهم ما لم يفوتهم منى عن قريب ولابد ما أخضب حسامى من دمائهم تخضيب وأشبع من قتلاهم الوحش والذيب فبينما هم فيه من الكلام واذا بعبيد أقبلوا اليه يصيحون والى نحوه يتبادرون وهم ينادون اليه ويقولون يا مولانا الحق أموالك لانهم شردوا الى البر منا وقد ظهر علينا أسد عظيم بعد مضيك عنا فما رأينا أعظم من جثته وقد شردت النوق والجمال من زعقته ورأينا منه عظيم الاهوال من رؤيته وقد ظهر علينا فى أثرك ونفر الوحوش من التلال فلما سمع الفارس من عبيده هذا الكلام تبسم تبسم الحرد وصار فرحانا بملاقاة ذلك الاسد وفى عاجل الحال وثب قائما على قدميه وأخذ سيفه وحجفته وقد خرج طالبا الاسد بشدة همته وحسامه فى يمينه مجرد عيان وهو يقول لعبيده ويلكم يا بنى الزوانى تخافون على أموالى من كلب من كلاب البرارى والقيعان وأنتم قد شاهدتم فعالى فى كل مكان فوالله بطول ما أنا مقيم فى هذا الوادى ما أجعل طعامكم الا من لحومهم ثم انه طلب تلك القفر والبيد وقد تجارت خلفه جميع العبيد وهم يريدون الفرجة على قتاله مع ذلك الاسد وينظرون ما يجرى من مولاهم عليه من النكد هذا كله يجرى وشيبوب لابد بين الاعداء وهو مما حصل له فى اندهال الا انه لما رأى المكان من صاحبه خلا قال فى نفسه هذا وقت انتهاز الفرصة فى هذا الفلا ثم انه عول أن يخرج من مكانه الذى هو فيه ويركب الذى أتى به ذلك الفارس ويعود مسرعا الى مقرى الوحش وعنتر أخيه فبينما أراد أن يفعل ذلك الامر الذى عول عليه واذا بالشيخ زحف الى جهة العجوز وهو يدبدب برجليه وصار يضاحكها ويمازحها ويطلب منها ما تطلب الرجال من النساء وقلبه على ذلك قد قسى ومد يده الى العجوز ومسك جنبها فنترت يده ودفعته فى صدره ألقته على ظهره وبختته على فعاله وقالت له دع عنى ذلك العمى أما تعلم ما نحن فيه وما هو أهم من الشغل الذى تدعونى اليه فعند ذلك لج عليها فى السؤال وطلب منها الوصال فقالت له أبعدنى أبعدك الله أما فيك عقل وفهم يردك عما أنت طالبه أما تعلم ان قلة رجالى وكثرة أعداء ولدى الذى تعاملت عليه أذابت كبدى يا ويلك يكون ولدى فى قتال السباع فى الدجى وأنا نائمة الى جانبك على هذا الحال قال لها يا بنت العم أما هو ولدى وقطعة من كبدى كما هو قطعة من كبدك فقالت لا والله ان الامر الصدق والتدبير مالك فيه لا قليل ولا كثير ولا شئ يساوى ناقة ولا بعير ولو كان فى

رأسك عقل كنت به تستغني عن هذا الامر الخطير وكنت عقلت على نفسك لانه مافيه شيء يشبهك ولا أمره كأمرك قال وما تكلمت العجوز بذلك الكلام وأباحت بما في سرها والنية الا وهي زاهدة فيه بالكلية الا أن الشيخ لما سمع منها ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال لمن هذا الولد تكون يا زانية يا بنت اللئام وايش المعنى فيما أبديتيه من الكلام فقالت لا أدري والسلام وسكتت عنه ولم تبلغه مرام فقال لها وحق ذمة العرب ما بقيت أقر وأهدى حتى انك تكشفي لي عن هذا المقال وتعلميني بحقيقة الحال وتعلميني لمن هذا الولد ينسب الى أي الرجال لانني أنا الآخر قلبي منه فزعان وينفر منه ولا له فيه شفقة ولا حنيه وأنت قد زدتيني فيه قساوة بالكلية فقالت له ان كان الامر وما فيه وأظهر لك الحق فأبين لك معانيه لان كل من قال قولا فعليه أن يحققه اعلم انه ولد شداد بن قراد فارس عبس الاجواد أبو عنتر الادهم الذي أذل بعزمه العرب والكل يخشون سنانه حتى دولة العجم والترك والديلم واعلم انني ما قلت لك هذا الكلام وأبحت بما عندي الا حتى أنفي عني الكلام وكل عتب وملام وقد عولت بهذا المقال على أن آخذه وأسير به الى عشيرته وأرد الى شداد وديعته وأعيش أنا واياه في العز والهنا وآمن عليه من كيد العدا وما يأتينا منهم من العنا وانني ما كشفت لك هذا الامر وأوضحت لك ما عندي الا غيظا منك وأنت تقول ولدي من أين لك ولد وقد قضيت هذا العمر الطويل ولم ترزق سواه وأنت ذليل حقير يا ويلك كيف يظهر من ظهر الجبان شجاع أو يأتي من نسل الذئاب سباع ثم ان العجوز تركته على حاله وقامت الى باب الخبا ونظرت الى البر والربا ووقفت تنظر ولدها حتى يقدم عليها ويطيب عليه قلبها وتصالح ما جرى له في قتال الاسد هذا والشيخ قد صار يدمدم ويزمزم ويشتم ويحلف انه اذا حضر ولدها يشكوها له حتى يقتلها كل هذا يجري وشيبوب لابد بين الاعدال ينظر ويسمع الى هذا المقال ويتعجب من هذا الحال وقال في نفسه والله ان هذا الحديث ما تم مثله لمن تقدم ولا سمعناه طري ولا جري في سائر الامم عربا كانت أو عجم وان هذا من أعجب العجب ولا بد له أن يؤرخ ويكتب لانه اذا نظره العاقل منا ما انذهل ولا سيما اذا رآه في اليقظة واذا سمع به العاقل لا ينكر بعضه والحاذق اللبيب يكتبه بأقلام من الذهب والفضة وأنا أقسم بالملك العلام الذي خلق الضياء والظلام ومدبر الاحكام ما بقيت أبرح من هذا المقام حتى أدبر حيلة آخذ بها هذا الغلام وأعود به الى أخي عنتر وأجعله عونا له على الشدائد والنوائب الذي تذكر لاجل أن يساعده على أعدائه اللئام ﴿قال الراوي﴾ فبينما هو على ذلك الحساب واذا هو بالغلام وقد عاد الى الخبا وسيفه يقطر دما والعبيد من خلفه يحملون الاسد وهو قدر الثور المدد لان الغلام لما أتى اليه وتمثل بين يديه فصاح فيه وزعق عليه وزاوغه مزاوغة الثعلب وهجم عليه وهو معبس مغضب وضربه بالحسام في وسط جبهته أطلعه يلمع من قرقورته وعاد بعد ذلك الى خيمته فلما رأته أمه قبلته في صدره واعتنقته وبالسلامة هنته وعادت معه الى الخبا وكان الطعام قد راج واستوى ولا بقي عن أكله احتجاج فأتت به العبيد الى بين يديه وكان الغلام جائع فجلس للأكل على ركبتيه وقعدت أمه الى جانبه ونادى الى أبيه أن يأكل معه فأبى وصار معبسا مغضبا فقال له الغلام تقدم يا أبي وكل معنا ولا تخف على من شرب كاس الحمام فما يقع الا ما يريده الملك العلام فقال له الشيخ ما أنا فزعان عليك من هذا المعنى ولكنني لم آكل طعام مع أولاد الزنا ولو كان معي حيل وقوى لاحرمتك تشم نسيم الهوى وأجعلك طعاما لوحش الفلا حتى لا يبقى عارك علي وتشمت بي الاعداء ﴿قال الراوي﴾ وكان هذا الغلام اسمه مازن وكان صاحب عقل وازن فلما سمع ذلك الكلام رفع يده من الطعام وقال ايش المعنى يا أبتاه في هذا الكلام وكيف انك تنسبني الى أولاد الحرام فأعاد عليه الشيخ ما سمعه من أمه أولا وآخرا من الكلام فجرت دموعه من شدة الغضب وطار من عينيه الشرر واللهب وجذب سيفه من غمده وعزم على قتل أمه فقالت اصبر يا ولدي ولا تعجل واسمع حديثي وتمهل وأنا أحكي لك حكايتي وأوضح لك شرح قصتي ولا تقتلني تندم ويفوتك الشرف الاعظم والخير والنعم ان لم تسمع مني ما أقول فقال لها مازن أخبريني عن قصتك وقصتي وكيف قطعت من أبي نسبتي ﴿قال الراوي﴾ فقالت العجوز يا ولدي ان أهلي لما زوجوني بهذا الشيخ وارادوا ان يزفوني عليه

أخرجتني أمي في الليل الى الغدير وأرادت تغسل شعري واذا بفارس قد أقبل من صدر البرية وورد الماء وقال لفرسه اشربي يا جروة ثم نزل عنها ونحن نسمع الكلام وكنت أنا بر ونق الصبا وجبيني يشرق بالضيا فطلبني وقد سل حسامه وصاح على أمي فهربت في الظلام من شدة الفزع وبقيت مكاني أبكي من الخوف والجزع فدنا مني وأزال بكارتي ولما قضى شغله قام عني ونط ركب فرسه واذا بأمي قد عادت اليه وقالت له بالله عليك يا وجه العرب تخبرني أنت من أي الناس تكون حتى أعرف حال ابنتي وأسترها جهدي وطاقتي لانني أخاف أن تكون علقت منك وتكون عبدا فيأتي الولد أسود وتنفضح عند كل أحد فقال لها لا تفزعي من أحد من العباد فأنا شداد بن قراد فارس عبس يوم الجلاد ونسبي متصل ببني عبس وعدنان وفزارة وذبيان وهذا الذي جرى من الامر والشان قال فلما سمع مازن هذا الكلام جرد على أمه الحسام وكان مسكها من ذوائب شعرها وأراد أن ينحرها من أذنها الى أذنها واذا بشيبوب قد ظهر من وسط الاعدال وقال له امسك يدك فقد صدقت أمك واغمد يا فتى سيفك واجعلني على هذا الطعام ضيفك ثم قعد شيبوب يأكل من الطعام فقال أعوذ برب البشر من شر هذا الذي قد ظهر فقال له أنا عبد أبيك وأخو أخيك وها هو منك قريب وان فرطت في أمك يحل بك الهوان والتعذيب فقال له أريد تخبرني ايش الذي ملكك هذه الربا وكيف فعلت حتى وصلت الى هذا الخبا فقال له ساقني رب السما حتى أجمع بينك وبين أبيك وأهلك وذويك كما يشاء ولا بد ما تسير الى أخيك وتجتمع بأهلك وذويك فقال له وكيف وصلت الى هذا المكان وأنت تدعي انك من بني عبس وعدنان ﴿قال الراوي﴾ فقال اعلم ان ملكنا قيس ابن الملك زهير سمع أن لاخيه مالك ولدا في بلاد اليمن قد ظهر وهو أحسن من الشمس والقمر وهو في حر عظيم وهو يرعى هو وأمه الغنم ويخضوا اللبن فسار في فرسان الحلة طالبا اخلاصه وكان أخي عنتر غائبا عند الملك كسرى ولما عاد وعرف الحال خاف على الملك قيس وبني عبس من الهلاك والوبال فسار خلفهم هو وفارس آخر يقال له مقري الوحش وسلكت أنا بهم في هذه البراري والمهاد وقل علينا الماء والزاد وهلك من تحت صاحبنا الجواد ووصلنا الى غدير بني باعث وتركتهم هنالك بائتين وسرت أنا لاجل أسرق لمقري الوحش حصانا يركبه فوقعت بكم اتفاق وجرى لي معكم ما جرى وقد خليته معلق القلب خائفا على بني عبس من الاعداء وهو ينتظرني حتى أسير اليه وأحصل بين يديه وأنا أعلم انه يدخل على قلبه فرح وسرور أعظم من قدومي بك عليه وأنت ولد شداد بلا ريب ولا عنا لانه رأى مناما كأن له جناحين وطار بهم في الفضا وكلما عبر على حلة من الحلل يعاين منه أهلها نزول القضا فينادوا به يا شداد لا تفعل هذه الفعال وارحم نساءنا والاطفال ففسره على كاهن العرب فقال له هذا أمر وسبب وهو يدل على ولد يكون شجاع يضاهي عنتر في القراع ونبت الجناحين على ولدين وكان هذا المنام لاخيه شيبوب الهمام فلما سمع مازن هذا الكلام تعجب من هذه الاسباب وقال والله هذه القضية لو سمعها مولود لشاب ثم انه شاور الشيخ والعجوز في المسير معه الى أهله ومربعه وقال والله انه ما بقي لي مسير الا الى أبي وأخي فان كنتم تعولوا معي على المسير اليهم والقدوم عليهم والا خذوا هذا الذي عندكم وعودوا الى دياركم والاطلال وعيشوا فيها باقي الاعمار فقالت العجوز له يا ولدي أنا ما أقدر أصبر عنك يوما واحدا ولا أقدر أفارقك ولا أسير الا معك وأما الشيخ فانه طلب العودة الى الحلة وشكى العجز والكبر به والقله فأجابه مازن الى ذلك من غير لجاج ولا عناد وكان الليل قد أقبل برايات السواد فأقام الى الصباح وجهز الشيخ مع بعض العبيد وأعطاه قطعة من النوق يعيش فيها ودفع أمه في هودج عالي وأمر العبيد ان يسوقوا الخيل والنوق والجمال وسار مع شيبوب وهو لا يصدق بذلك الحال ورحل من ذلك البر الاقفر طالبا الوصول الى عنتر وكان مازن قد اقسم على شيبوب انه لا يسير معه الا راكب حصان فاستحى منه وخاف ان يراه بعين النقصان فشد له على ظهر جواد من الخيل الجياد ولبس طاسة زرد ضيقة العقد وتقلد بسيف مهند بعدان ضيق اللثام واعتقل برمح معتدل القوام وسار الى جانبه وهو يحدثه بالاقي من عجائبه ويصف له شجاعة أخيه عنتر وما عاين من فعاله وما أبصر الى ان تضاحى النهار واوسعوا في البيدا حتى طلع

من ورائهم غبار الاعداء وهو مثل الغمامة السوداء فقال مازن هذا والله غبار اخى القتيل واقول انهم قد قشعونى فجمعوا أوباش الحى ولحقونى واليوم أفرجك ياشيبوب على قتالى وأخليك تحدث أخاك عند وصولنا اليه بفعالى ﴿قال الراوى﴾ فما تم كلامه حتى ظهر عليهم عشر فوارس أخر من فم المضيق والوادى الى الصحراء وبان أمرها بعد الاستتار والاختفا فتبينها شيبوب وكان حاد النظر شديدا ينظر الشئ ويحققه من أمد بعيد فرأى فى أوائلها ذا الخمار ومعه تسع فوارس أخر غائصين فى الحديد واللباس والدثار وهم دائرون باسيرين مشدودين على جوادين فحقق اليهم بالنظر فرأى أحدهم مقرى الوحش والثانى أخاه عنتر فلما لمح ذلك عنده انقطع ظهره وحار فى أمره وقال لمازن اثبت مكانك ولاتحرك ساكن فهذا أخوك عنتر قد أقبل مأسورا ومعه مقرى الوحش فى الوثاق وماقد أسروا الا بقضاء وقدر ما يخطر مثله على قلب بشر فصعب على مازن هذا الامر وسكر بلا خمر وقال يا أخى كيف وقع عنتر ورفيقه فى يد عشرة من أنذال العرب وأنت تتحدث عنهم كل عجب فقال شيبوب ما أدرى الا أن الدهر ينقلب باهله أى منقلب على أن الفارس الذى ظفر بهم يقال له ذو الخمار فارس بنى حمير الجبار الذى ذكره قد شاع فى الاقطار والابطال تحسبه بسبعة آلاف من العساكر فى يوم القتال وهذا الحديث ما عند أحد فيه خلاف وقد جرى له مع أخى أشياء ما جرى مثلها فى الدنيا وعن قريب بارزه أخى قدام الملك كسرى وأذله وأقول انه لا حقنى بل حقد عليه ودبر فى أثره بالاحتيال وأخذه من غير حرب ولا قتال مع انه ما فارقه حتى أصلح بينهم الملك النعمان وأكد الصلح بالاقسام والايمان وأنا أعلم أن ذا الخمار قد غدر وخان وقد ساعدته صروف الزمان ونحن قد وقعنا ما بين هاتين الطائفتين وقد ساقتهم الينا المقادير وما بقى فى هلاكنا شك ان لم نحسن التدبير وتقبل أنت منى ما به عليك أشير لاننى لمثل هذه الاحوال خبير ولمعرفة الخلاص منهما بصير فقال مازن أنا ما عندى رأى الا القتال والطعن فى صدور الرجال فقل أنت ما عندك من الرأى والمقال حتى يتبين الصحيح من المحال فعندها أشار اليه شيبوب بشورة فيها يكون للفريقين الهلاك الاكبر ولكن ما نذكرها حتى نشرح فى سبب أسر عنتر وكيف ظفر به سبيع الحارث فارس بنى حمير لان الحديث اذا لم تترتب قواعده ضاعت فوائده وانسدت على المستمع سبله ومقاصده وكان السبب فى أسر فارس بنى عبس الاسود حديث يجب أن يؤرخ ويكتب ولكن ما أذكره حتى أسمع الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن أصحابه ما دار نفس وتردد ﴿قال الراوى﴾ لان سبيع بن الحارث لما بارزه عنتر قدام كسرى وجرى له ما جرى وقد ذكرنا ان عنترا أوهن أضلاعه ولكن ما رد عنه ولا رجع عنه بل لج فى قتاله حتى ضربه بالسيف صفحا حتى وقع واغتنم له دريد بن الصمه ورجع وعاد أصلح الملك النعمان بينهم وأكد بينهما العهود والايمان انه لا يضر له سوا ولا يكون له عدوا وسار ذو الخمار مع دريد الى الديار وحلف أنه لا يتخلى عن عنتر حتى يقلع منه الآثار ومن شدة ما جرى عليه ضاقت عليه الحيل وحلف أنه لا يتخلى عن عنتر وحار كيف يفعل وقال فى نفسه ما أرجع حتى أخاطر برأسى مع هذا العبد الاسود وأسير الى مكة وأستنجد بالرب العظيم واسأله ان كان قد قضى له على يدى اجل والا فما أرجع حتى ألقاه على عماه ولم أقدر اغالب رب الارض والسماء ثم زاد به القلق والهيام فسار الى بيت الله الحرام واقام ثلاثة ايام يهجر اكل الطعام وينوى الصيام قدام الاله والاصنام ويبكى قدام الهبل اذا جن الظلام ويسأله النصر على عدوه عنتر الهمام ولم يزل كذلك حتى نشفت راسه من عدم الاكل وترك المنام ولما كان فى الليلة الرابعة نام الى وقت السحر فرأى فى منامه كان الصنم الكبير المسمى بالهبل يقول له بكلام مرسل ابشر ببلوغ الامان فان عنتر قد دنا عطبه وساء منقلبه وقد استحق منا العقاب واستوجب العذاب لاجل اشتغاله عن زيارة بيت الله الحرام وقلة اعتنائه بعبادة الاصنام وقتله فى الفرسان الكرام الذين يضربون بالحسام فى كل عام وفى هذه يفنى عمره وينقطع اجله وترى بعينك الساعة عذابه ومصرعه وما نخيب قصدك الينا ولا نضيعه بل نلقيه فى شباك اغراضك ونوقعه ولكن لا تضربه بسيف ولا تقربه بحديد فان فعلت ذلك ما تنال منه ما تريد لان

أجله قد حكمنا فيه فى بئر حضرموت فاحمله وارمه هناك على أم راسه فى جب برهوت حتى يذوق العذاب ويموت ﴿قال الراوى﴾ وهذا البئر معروف الى يومنا هذا وفيه تعذب كل أرواح الكافرين والعصاة والمخالفين فلاجل ذلك قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ان خير بئر فى الارض زمزم وشر بئر فى الارض بئر برهوت وقد ذكر الاصمعى انه سأل شيخ مشايخ حضرموت عن هذه البئر والوادى فقال يا أصمعى كل ما سمعته عن ذلك المكان صحيح لان ما فى يوم الا ويأتى من ذلك الموضع الرائحة المنتنة المرة والمرتين والثلاث فنعلم انه قد مات بعض الكافرين والعصاة المتمردين وان تلك الرائحة رائحة عذابهم ويقال ان هذا البئر اذا قاربه الانسان يسمع فيه ضجيج مثل أصوات الحجيج وهو ضجيج الكفار وأصحاب النار ويقال ان المرأة اذا كانت حاملا وشمت رمت الجنين ليلا كان أو نهارا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء يكونون فى حواصل طيور خضر فى الجنة وقال الله تبارك وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة يرسل الله مطرا من السماء فتنبت الاجساد وتقوم الى باريها وأما أهل الكفار وأهل النار فانها تكون فى بئر حضرموت المسمى ببرهوت ﴿قال الراوى﴾ ورجعنا الى حديثنا الاول بعد الصلاة على محمد المفضل الأن سبيع بن الحارث لما رأى هذه الرؤيا وسمع من الهبل ذلك الكلام انتبه وقد خف ما به من حمل الجوى والغرام وعاد طالبا بنى حمير عند الصباح والدنيا ما تسعه من شدة الافراح وكان له تسع رجال قدماء وأصحاب وكلهم أقارب وأنساب ويعتمد عليهم فى الشدة والرخاء ويطلعهم على أحواله فى البأس والشفاء وما كان فيهم الامن دخل على قلبه من فعال عنتر بذى الخمار قدام الملك كسرى ما لا جرى على قلب أحد ولما سار الى مكة ما علم أحد منهم أين مضى بل قال بعضهم لبعض من عداوة عنتر ان ذا الخمار مثل السكران المخبل ما يدرى ما يعمل وما خوفنا الا انه عاد يطلب من ذلك العبد ثاره ويلج معه الى أن يقتله ويقلع آثاره وما زالوا على مثل ذلك حتى عاد من مكة وجمعهم اليه وحدثهم بما فعل وما سمع فى المنام من الهبل خفت كروبهم وطابت قلوبهم وقالوا ما بقى بعد هذا المنام كلام ولا بقى بعد وعد الارباب والاصنام خطاب فقال ذو الخمار يا بنى عمى ما بقينا من اليوم نترك العيون والارصاد على عنتر بن شداد وننظر حتى يحضر من بلاد العراق ونجد فى طلبه لعل فى هذه النوبه نعطبه فقالوا ايش الحاجة الى ذلك فان لك ربا يسوقه اليك بلا تعب ويلقيه فى يديك من غير نصب من حيث لا تحتسب وقد سمعنا فى هذين اليومين ان بنى عبس كلهم قد ساروا الى بلاد اليمن مع ملكهم الملك قيس لانه قد ظهر لاخيه مالك ولد وسار فى طلبه ونقول ان عنترا ان سمع بذلك يسير من أرض العراق ويطلبه والصواب أن نقتفوا خلف الجميع الآثار وننظر والعرضيات التى تأتى فى الليل والنهار فاما نظفر بالمقصود واما نكتسب أموالا ونعود ونجعل انتظار الوعد فيما بعد فقال سبيع هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب اتخذوا يا بنى عمى للسير ولا يعلم بنا لا كبير ولا صغير حتى لا يعلم دريد بالخبر فيعتب على فى ذلك ويقول لى رجعت الى الغدر والنفاق بعد أخذ العهد والميثاق فاجابوه الى ذلك واعتدوا فى اليوم الثالث وأظهروا لاهلهم أنهم سائرون يطلبون المعاش والمكسب من بعض أحياء العرب وساروا على غير طريق طالبين آثار بنى عبس فوقعوا فى أرض بنى باعث وسلكوا الطريق التى كان سلكها عنتر وشيبوب دليله فقاسوا من العطش ما غيب عقولهم وأيسوا من ادراك كل ما مولهم وأبصروا المناهل والغدران بين أيديهم ناشفة فطلبوا غدير بنى باعث لان دليلهم سار واشار عليهم بذلك وقال لهم ان وجدنا ذلك المنهل مثل هذه المناهل ودعنا الحياة وعتنا فجأة كما مات غيرنا من فرسان القبائل فى الفلاه وكان فيهم رجل يقال له ملاعب بن وائل فقال لهم يا بنى عمى ما أخوفنى أن يكون المنام الذى رآه ذو الخمار باطل وسبب لنا فى هذه المصائب والنوازل لان الهلاك له علائم ودلائل فقال الدليل ويلك يا ملاعب ويكون الهبل الا كبر اختلاف فى الكلام وهو أكبر الآلهة والاصنام فقال ملاعب نعم لان الشيخ كلما كبر يقل عقله ويكثر جهله والهبل قد كبر وكثر هذيانه وكلامه وكذب سبيع فى منامه وأحلامه فقال الدليل اسكت يا شيطان ولا تقل الهبل كثير الهذيان وتشك فى كلام الآلهة والاصنام التى

تقربة الى الله زلفى فنموت كلنا عطشا وحلفا ان كل واحد من المنافقين يهلك جماعة من المحقين ثم جدوا في المسير حتى قاربوا الغدير وكان يوم شديد الحر والهجير وكانت خيلهم قد أشرفت على التلف بلا محالة فنزلوا وصاروا يجنبوها رجالة الا انهم ما قاربوا من الغدير حتى اعترضهم الابجر جواد عنتر بن شداد وصهل وطلبهم لانه كان قد تعود من صاحبه اذا رأى الخيل يقصدها فعرفه ذو الخمار ولما قاربهم صاح بالتهليل الاعلى وقال حق اللات والعزى صح المنام وتفسرت الاحلام وهذا جواد عنتر بن شداد وأنا أقول انه عند الغدير اما عليل واما نائم واما قتيل وهو وحيد فريد في هذا القفر والبيد ولو انه في جماعة من الفرسان كانت خيلهم حولهم في هذا المكان يابني عمي هنوني بهذا اليوم السعيد فيه الذي بلغت كلما أريد ﴿قال الراوي﴾ ياسادة وكان الحساب الذي حسبه ذو الخمار لعنتر صحيح كانه نقش في حجر لانه في تلك الساعة كان نائما ولا يعلم من غاب ولا من حضر لان شيبوب لما سار من عندهم يطلب جواد مقري الوحش وخلاهم على الغدير أقاموا حتى أظلم الظلام وما فيهم من نام خوفا من الوحش والهوام ولما أصبح الصباح وطلع النهار جدوا في المسير حتى طلعت الشمس وعلت وحميت الحجارة وتوهج البر والقفار فعادوا الى الماء والغدير وقد قوى الحر والهجير وأزعجهم البرلقة السالك فيه والخاطر في نواحيه والوحش يمرح ويلعب والغزلان ترعى وتسرح فسار عنتر يقول أنا والله قد تفاولت بهذه الغربان التي باكرتنا بالصياح والنعيق والنواح واني أخاف أن سفرتنا تكون غير محموده ونبتلي بمكيدة في طريقنا تكون منصوبه ثم انهم أعطوا ظهورهم الى حرارة الشمس واستقبلوا هواء الماء وانبطحوا على وجوههم وأخذوا في الحديث والشكر فقال مقري الوحش لعنتر لاعدمتك من دون الاخلة والاصدقاء وزال عنهم الهم والاشتكا لان الدهر بالاجتماع طبعه الانتقال وغيرة الاحوال لانه ياتي بالقضاء والقدر ويحدث بعد الصفا كدر ثم أخذوا في حديث شيبوب وابطائه عنهم وغيبته منهم وحديث بني عبس ودخلوا الى اليمن وتمموا بالحديث حتى وقع بهم الثبات كما يشاء رب السموات وغرقوا في النوم لما يريده رب السماء وغابوا عن الدنيا ولما وصل ذو الخمار هو وأصحابه الى الغدير وجدوا الطعام قد راج وتهدا للاكل وتبدا والصيد قد وقع بلا تعب ولا شرك ولا حبائل فتبادرت تلك العشرة فرسان مثل عفاريت الفلا ووقعوا على فارسين غائبين عن الدنيا وكان سبيع قد أخذ معه أربع فرسان ورمى روحه على عنتر وأراد أن يدير كتافه ومانع عن نفسه حتى شدت بقية رجال الوحش وعادوا وقد عاونوا ذا الخمار على عنتر الكرار وما زالوا به الجميع وهو مرمي على الارض حتى شدوه كتاف ﴿قال الراوي﴾ ياسادة وهذه أسباب من جملة أحكام الله عز وجل ليس للعبد منها مفر ولا مدفع ولا يقدر العبد يرد طائرها اذا انقض أو وقع لان الله سبحانه وتعالى أوقع مثل هذا البطل القسور في الاسر والضرر حتى يعلم أن الشجاعة لا تنفع عند نزول المشيئة والقدر فسبحانه من اله لا تهتدي العقول لما يصنع وتعالى عما يقول المنافقون أهل البدع الان عنتر ابن شداد لما أفاق على نفسه وعلم ان ذا الخمار ظفر به اشتد به الجزع وقال ويلك يا سبيع يا فرنان نسيت العهود والايمان التي أوثقتها بيننا بحضرة الملك كسرى والنعمان فقال ذو الخمار ويلك ياولد الزنا وتربية الامة الخنا وأنت لك عهود تحسب عند أرباب الحسب والنسب وفرسان العرب على اني ما فعلت ذلك بمشيئتي وانما فعلته بامر الارباب والاصنام الذين على البيت الحرام ولولا الهبل الاعلى ما قدرت ألقاك في هذا الفلا لانه أمرني أن أسير بك الى أرض حضرموت وأرميك على رأسك في بئر هوت حتى تذوق ماذاقت الجبابرة الاول وتموت ثم جمعوا خيلهم وباتوا في ذلك المكان بقية ليلتهم واستراحوا وقد شدوا عنتر على جواده الابجر وشدوا مقري الوحش على بعض الخيل المجنوبة معهم وساروا يقطعون في البيدا وذو الخمار لا تسعه الدنيا وذلك من شدة فرحته بوقوعه بعنتر لانه بعده يبقى فارس الزمان ويسود على كل انسان وكان قد عول بعد هلاك عنتر يعود الى مكة ويعلق بعض أشعاره على البيت الحرام ويامر العرب أن تصل لها في كل عام ولا يزال في خدمة الهبل حتى يدركه الحمام ﴿قال الراوي﴾ ولما

تضاحى النهار التقى بهم شيبوب ومازن وجرى من القصة ماجرى وقد طلع من خلفهم غبار الاعدا ولما استشار وافى أمر الخلاص من الطائفتين قال شيبوب يامازن الصواب انك تقف مكانك وتقول لامك تنزل من الهودج وتكشف راسها وتقف بين يديك حتى أتقدم أنا الى ذي الخمار وأصحابه وأكلمهم بكلام قد خطر ببالي وقلبي وأدعهم يحملون على هذه الخيل التي قد طلعت من ورائنا ونتسبب في هلاك هذين الطائفتين ونخلص أخانا وأما ان طلبنا اننا نخلص بالقتال نغرق في بحر الهلاك والوبال فقال مازن لما رأى القضية مشكلة افعل يا أخي ماتحب وتختار فانا ما أخرج له من خلاف ولا فعال ثم أمر أمه فنزلت من الهودج مثل ما أمر شيبوب وأطلق شيبوب عنان جواده وقد طبق لثامه خوفا من الانكار وطلب ذا الخمار ولما قاربه رفع صوته شيبوب بالصياح وأظهر البكاء والاتراح وصار يقول ياوجوه العرب هل فيكم رجل غيور هل فيكم رجل مذكور ومعود على كشف الشدائد ودفع الاوابد يعيننا على ما بلينا به من الذل والهوان ويربح المدح والثناء بكل لسان لان معنا حرمة قد قتلت رجالها ونهبت أموالها وأشرفت على هلاكها وبالها وهي كانت سائرة الى بيت الله الحرام تطلب الزيارة الى الآلهة والاصنام فاغتنموا ثوابنا يابني الكرام وادفعوا عنا هؤلاء الانذال وما زال كذلك حتى وقف ذو الخمار وقال لمن معه من الفرسان اسأله عن حاله وقصته وعن عربه وعشيرته فقال شيبوب يافتى نحن من بني الريان مررنا من أرضنا في عشرين فارسا أعيان ومعنا هذه الحرمة التي ترونها مهتوكة قدام الهودج وهي تدعو الى ربها وتطلب لانها من نساء أمراء الحي والقبيلة التي نحن منها ولها نعمة كثيرة وهي امرأة دينة تشبع الضيفان وتكسي العريان وهي في هذه الايام طلبت الحج الى بيت الله الحرام وزيارة الآلهة والاصنام وأخذت معها أموالا كثيرة كانت قد جمعتها نذورا للهبل ومن جملتها طوق من الذهب الاحمر عليه صورة اللات والعزى مصور وأخذتنا معها نسير بها ونحفظها فنزلنا في مياه بني صالح وطلبنا الراحة فعاموا بنا أنذالها وعاموا ان معنا أموالا سائبة فركب الينا منهم مائة فارس وداروا بنا وأرادوا أخذ ما معنا فقاتلناهم وبذلنا معهم المجهود الى الليل ودفعناهم عنا بعد ما قتلوا منا عشرين فارسا قتيل وصاروا بنا لا يحتوينا في الليل ويحفظوا ما معنا من النياق والخيل ونحن ندافعهم ونسير الى أن أصبح الله علينا بالصباح وقد بقي خمس فرسان تركناهم في قتالهم الآن وسرنا نحن نؤمل النجاة بهذه المرأة فلقيناكم أدركونا يابني الكرام ونقول ان باقي أصحابنا هلكوا وخلونا وهربوا وما بقي لنا من يحمينا الا أنتم يابني الاعمام فان فعلتم ذلك دعونا لكم عند زمزم والمقام والاسلمنا أرواحنا الى هؤلاء اللئام ثم أعطيناهم مال الارباب والاصنام وعذرناكم عند تقصيركم في هذه الامور العظام لانكم عشر فوارس وأعدانا مائة فارس همام ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ذو الخمار وأصحابه كلام شيبوب رق له قلبه من داخل الجنوب وقال له ابشر ياغلام بالنصر وأخذ الثار وأبصر ما يحل باعداك بعد ساعة من البوار لان معنا فارس واحد يلقى كل من في هذه الديار وهو ذو الخمار ان كنت قد سمعت بخبره من السفار فقال والله ما أنا الا قد سمعت به وبكرمه ووصف لي شجاعته وفروسيته وكرمه ونسبه فحياه الله وحيا عربه وأعانه على من عاداه وحاربه فعندها رجع الفارس الى ذي الخمار وأعلمه بتلك الاخبار فارغى وازبد وأبرق وأرعد وقال أكون أنا نائب الهبل وينهب له مال ولولاه في هذه الكرة ما بلغت الآمال ثم انه أطلق العنان وقوم السنان وهو يقول ياله من صباح ما أوشمه على هؤلاء الانذال والله لاتركن دماهم تجري في السهل والجبل ولاخذن أسلابهم وأنفذها مع هؤلاء القوم هدية الى الهبل هذا وقد تجارت خلفه الفرسان وتبعه من أصحابه خمس رجال وقد بقي عند عنتر ومقري الوحش أربعة رجال وقالوا لشيبوب ارجع أنت يافتى الى أصحابك الذين قد تبقى منهم وقل لهم يردوا المرأة الى هودجها وبعد ساعة ترى أموال أعدائها تصير قدام جمالها فعندها عاد شيبوب الى مازن وقال ها قد انشغل أعدانا بعضهم ببعض وقد بقي عند أخيك أربع رجال فدونك واياهم فالذي كنت أخاف عليك منه والذي عليه المعتمد قد أخذ رفاقه وأبعد فعند ذلك ركض مازن حتى قارب جماعة ذي الخمار وزعق فيهم وطعن

أحدهم قلبه والثانى كبكبه هذا وشيبوب على أثره يقول لا لا يا ابن العم لا تفعل فهؤلاء من أعدانا هؤلاء الذين فرجوا عنا كربنا وبلانا ثم انه دنا الى الآخر وهم يظنون انه يحميهم من مازن لما آمنوا منه وعولوا على كلامه حتى قربوا منه وطعن أحدهم بالرمح الذى كان معه صرعه وأبصر الآخر فعله فخار فى قصته وخاف انهم يلحقونه برفقته فهرب طالبا آثار ذى الخمار واشتد فى الهرب واشتغلوا عنه بحل عنتر ومقرى الوحش وكان قد أشكل عليه أمر شيبوب وما عرفه لما أبصر فارسا معه بل شك فيه حتى أطلقه وحله وسأله عن سبب وقوعه فى أسر ذى الخمار فاخبره بما جرى عليهما على الغدير فقال له عنتر وأنا والله قد فرحت لك بالفروسية وركوب الخيل ويلك منى بحرت لك بهذه عادة يا ابن الملعونة فقال شيبوب أما أنا فقد صرت فارسا وقد خاصمتكم من هذا الاسى والمصاب ولولا ما التقيتكم والله أعلم كان يصير عليكم العذاب والآن تقدر تخلص نفسك من الاسر اذا وقعت فيه فتبسم عنتر وقال من أين عرفت هذا الغلام حياه الله لانه أحسن الينا من غير معرفته بنا فاخبرنا من يقال له من العرب حتى نكافيه يوما من الدهر فقال له يا ابن الام هذا يقال له مازن بن شداد بن قراد وما أخبرك به حتى تدنو منه وتعانقه وتجتهد فى خدمته وتصادقه لانك ما بقيت بعد هذا اليوم تفارقه فقال له ويلك ومن فى العرب شداد بن قراد غير أبى قال وما فيها غير أبيك وهذا ابنه وهو أخوك ثم أخبره بما جرى له وحدثه حتى عرفه فاستراح قلب عنتر وانشرح خاطره ومالت جوارح عنتر الى مازن فدنا منه واعتنقه وقبله وعظمه وبجله وما زالوا متعانقين حتى كادت أرواحهم تذهب من الجسد من حلاوة الفرح والمعرفة والنسب وتعجب مقرى الوحش من هذه القصة كل العجب وقال والله هذا الحديث ما جرى مثله فى العجم ولا فى العرب ثم دنا مقرى الوحش من مازن وضمه الى صدره وقبله فى عارضه ونحره وقال يا فرحة أبيك شداد عند عودتنا الى الحى والبلاد ﴿قال الراوى﴾ يا ساده هذا ما جرى وقلب عنتر الى ذى الخمار حائر لاجل ما فعل فى حقه لانه أشرف على الهلاك من حنقه وقال لاخيه شيبوب ترجل وقف قدام والدة أخى أم مازن ولاغمها وسلم عليها من قبلى ولم أقصد العبيد والمال الذى معها حتى أتبع أثار هذا القرنان الذى قد غدرنى بعد الأيمان وأشفى قلبى منه ثم ركض بالابجر على أثر ذى الخمار وكان مقرى الوحش قد اعتدى وركب الجواد الذى كان تحت شيبوب وكذلك فعل مازن وركض الى جانب أخيه عنتر والدنيا لا تسعه من شدة فرحه به ﴿قال الراوى﴾ يا ساده هذا ما جرى لهؤلاء * وأما ذو الخمار فانه كان قد استقبل الخيل واخترق الغبار فرآهم ثمانين فارسا مع أخى القتيل الذى قدمناه ذكره فصاح بهم الى اين يا أولاد الزنا ثم حمل عليهم حملة الاسد وطعن فيهم طعن جبار وهذه ثمانون ايش تعمل قدام ذى الخمار فداسهم بجواده دوس وأنزل بهم الذل والبوس وكان لهم معه وقت منحوس زهقت منهم فيه النفوس وقتل أخا المقتول وهلك كل من كان معه من كل بطل مهول ولا نجا الا من كان طلب الهرب وخاف على نفسه من العطب وعاد ذو الخمار يلم خيل القتلى واذا بالفارس الذى نجا من مازن أقبل عليه وهو يصيح يا ويلكم يا بنى عمى خلوا الاشغال واجمعوا الخيل واطلبوا لانفسكم النجاه لان عنتر قد تخلص من الكتاف وهو الساعة يطلبنا ويقلع منا الآثار فلما سمع منه ذو الخمار هذا المقال سأل من الفارس وقال كيف كان خلاص عنتر ومن الذى فكه من الوثاق فقال له ان الفارس الذى قد أتى الينا وذكر انه مظلوم حمل على أصحابنا هو ورفيقه الآخر وقتل الثلاث فرسان الذين كانوا معى ونجوت أنا بنفسى ولولا اشتغالهم بخلاص عنتر ومقرى الوحش ما كنت نجوت منهم بل كانوا لحقونى وها هو عنتر قادم عليك اطلبوا لنا النجاة من غير مطال ودعونا من التطويل فى المقال هنالك ارتعدت فرائص ذى الخمار وزاد وجده وحل به الانبهار فقال له الدليل يا سبيع وحق من أورق الشجر بالثمر ان الرجل الذى قد أتى الينا واستجار بنا وقال اننا سائرون الى الهبل فهو شيبوب أخو عنتر لانى عرفت مقاله وخداعه فقال ذو الخمار والذى أوصل شيبوب الى هنا ايش وكيف عرف ان أخاه ماسور معنا حتى دبر هذا التدبير وما فعل هذه الفعال الا لما عرف الاسير وأبصر جيش صالح قد أدركوه فقال لنا ذلك المقال وأوقع بيننا وبين القوم القتال حتى خلص أخاه وأصحابه من الاعتقال فقال ذو الخمار ما بيح كل قولكم صحيح ما فيه محال فهذه الناقة والهودج والمرأة

المكشوفة الرأس والوجه من أين كانت ومن أين أحضروها حتى تمت هذه الحيلة علينا فقال الدليل ما أدرى وربما اتفق لهم فى الطريق هنا وظفر بهم مثل ما ظفر بنا وأراد أن يسوقهم الى أخيه عنتر حتى يأخذهم معه ويتقوى بهم على السفر فاترك كثرة الكلام واتبع فى هذه الساعة البرارى والآكام حتى أمضى بكم على غير طريق والا عدمنا السعادة والتوفيق فقال لهم ذو الخمار وحق اللات والعزى والهبل الاعلى ما أرجع حتى ألقى عنتر وأرده الى ما كان فيه من الآلام لان الهبل قد وعدنى به فى المنام وأنا ما أشك فى مقالة الاصنام وربما أطلق عدوى من يدى حتى يختبرنى وينصر جلدى فقال الدليل اقبل منى واتبعنى واترك الطمع والا أبصرت طعننا وأبصره الهبل لمال عن البيت ووقع وان كنت ما تفعل فانا أنجو بنفسى ثم انه أطلق عنان جواده وطلب البر الاقفر وأطلقت أعنة خيلها الخمسة فوارس خلفه وبقى ذو الخمار وحيدا فريدا فى تلك القفر والبيد فاستوحش وخاف أن يدركه عنتر يتركه طريح معفر ومن شدة ما جرى عليه من الغيظ والغضب شتم الهبل الاعلى وهرب وكذب المنام الذى رأى فيه لعنتر العطب واتبع رفقته فى الصحرا وهو متعجب مما رأى الا انهم ما أبعدوا فى القيعان وغابوا عن الاعيان حتى وصل عنتر ومقرى الوحش وسار وافى الاثر وأبصر وامكان المعمعه فعلموا بجلية الخبر وعلموا أن ذا الخمار وأصحابه هربوا فى البر الاقفر من شدة الخوف والفزع فقال عنتر لولا خوفى على الملك قيس وبنى عبس من عرب اليمن وتلك الديار ما كنت الا تبعت آثارهم ولو غاصوا فى البحار ولكن شغلنا فى هذا الوقت أهم من غيره ثم جمعوا ما قدروا عليه من العدد والزرد والخيل وعادوا الى أم مازن قبل قدوم الليل ولما نزلوا الى الراحة قال عنتر لاخيه شيبوب هذه الاسلاب والنوق والجمال ما لها الا أنت تسير بالجميع الى الاوطان وأم أخى مازن توصلها الى مكان تعرف انه أمان وتعود تلحقنا فانا بعد فوانك ما نسير الا سير الرفق وقصدنا بذلك أن تلحقنا أولى ممن يأتى الينا ما يعيقنا لاننا داخلون فى بلاد واسعة ومضيق وما لنا فيها صديق ولا رفيق فقال شيبوب افعل ما تريد وسيروا كيف شئتم فانا أوصل أم مازن الى أرض بنى ذبيان وأترك عبيدهم يوصلوها الى ديار بنى عبس وعدنان وأرجع ألحقكم قبل أن تشيع أخبار بنى عبس ولو بلغتم الى مطلع الشمس ثم أكل معهم شيأ من الزاد وقام الى أم مازن فاركبها على بعض الخيول الجياد وقال لعبيدها سوقوا أنتم على اثرى النياق واضربوها على أجنابها بالعصى والحقونى ولا أحد منكم يحدث نفسه بالراحة ولا يشكو الى من سفر ولا ضجر فاشق جوفه بهذا الخنجر ﴿قال الراوى﴾ وسار بهم شيبوب فى البر الاقفر على طريق وطلب طريقا يعرفها وما زال عنتر ومقرى الوحش ومازن سائرين طالبين بلاد اليمن هذا ما جرى لهؤلاء * وأما ما جرى لبنى عبس فانهم ساروا مجدين السفر والسلال يدلهم ويقطع بين أيديهم الفلوات الى ان قاربوا ديار القوم وبقى بينهم وبينها مسير يوم فامرهم باخذ الاهبة فقال الملك قيس حتى نريح خيلنا ونستريح لاجل أن نتقوى على أعدائنا بالحرب عند تصرم الرجال لكن يا سلال أريد أن تخبرنى عن القوم التى أقمت عندهم فكم يكون عددهم اذا ظهروا من الخيام فقال السلال يا ملك ان القوم يزيدون عن خمسة آلاف ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك أراحوا خيلهم ورحلوا عند الصباح وما زالوا سائرين حتى قارب نصف النهار فنظروا عشرة فوارس على تل عالى وتلك العشر فوارس لما أبصروا أغبار بنى عبس عادوا على أعقابهم فقال الملك قيس ان فاتنى حذرى ان هذه الخيل طلائع الاعدا فقال السلال خذوا أهبتكم فانكم عند المساء تشرفون عليهم ﴿قال الراوى﴾ وكانت العشرة فوارس الذين رأوها طليعة القوم والسبب فى ذلك حديث عجيب وهو ان أم مجيد التى أنفذت السلال الى بنى عبس كانت فى بعض الايام قعدت فى المراعى وأخذت ولدها وسارت تحك له رأسه وجسده وتفلى شعر رأسه حتى نام وقد نامت بجانبه حتى أمسى المساء من شدة التعب فخرجت لها مولاتها فرأتها نائمة على تلك الحالة وكانت ضيقة الخلق متكبرة من دون النساء ومن شدة تجبرها شالت العصا من جنب أم مجيد وضربتها على أم رأسها فبطحتها وسالت الدماء وقالت لها يا لخنا أنا قلت لك خضى اللبن واخرجى الزبد فنمت وتهاونت فى مقالى ثم شتمتها ودخلت الى بيتها فاخذت أم مجيد فى البكا والتعديد وكذلك ولدها بكى لبكاها ونادى وصار يقول مثل ما تقول اليتامى والغربا اذا

نالهم الذل والحزن والشقاء من الاعدا ولما أبصرته أمه ينادي بالويل والحرب نشفت دماها من شدة الكرب فالم قلبها وأحرق أحشاها فسكتت أمه لاجل مارأت منه وأظهرت الصبر والجلد وسارت سريعا تمسح دموعه وتقبله بين عينيه وتقول له اصبر يا ولدي على البلاء والتعذيب فان فرجنا ان شاء الله يكون قريب وعما قليل ترى أعمامك وقومك في هذه الديار مثل العقبان يخلصوك من هذا الشقا ويأخذوا لك بالثار من الاعدا ﴿قال الراوي﴾ فسمعتها مولاتها وهي تقول هذا الكلام فاستعاذت منها وأنكرته وصبرت حتى جاء زوجها وكان يقال له صابر بن حفال فاعادت عليه ما سمعت من أم مجيد وحدثته بما جرى لها معها فتغيرت أحواله وقال يا بنت العم اني خائف على هذه العشيرة من شر هذه الملعونه وأقلها انها قد أنفذت الى أهلها تأتينا بقوم ما لنا بهم طاقه لانه قد ثبت عندي انها حره وان ولدها عربي وانها تستر أحوالها عني وكلما سألتها عن قصتها تقول لي أنا مولدة من أرض الحجاز وولدي من رجل زوجني به مولاي لا أعرفه وهذا محال ولا بد لي الليلة من كشف أحوالها حتى أعرف معنى أقوالها وفي الحال أحضرها بين يديه وقال لها ويلك قولي لي من أين لك هذا الفرج الذي ذكرتيه لولدك من أين يأتيك ومن أي وجه تنتظريه عرفيني جلية الحال والا وحق من أطلع البدر وأنار الهلال ذبحت ولدك بين يديك وكويتك بالنار بين عينيك ثم انه جذب ولدها من شعره ومدده قدامها وسل سيفه ووضعه على نحره فبكت ودقت على صدرها وحارت في أمرها وخافت على ولدها من ذلك وأكثر خوفها من البيع لانها تعلم اذا باعها مولاها يضيع تعب بني عبس التي أنفذت خلفهم ويطول البعد بينها وبينهم وتيأس من اجتماع شملها بهم فلما نظرت ذلك في نفسها خافت على ولدها فقالت لمولاها أعطني الذمام علي وعلى ولدي حتى أحدثك بقصتي وان كان لا بد لك من قتلي وقتل ولدي فاقتلني قبله فحلف لها على ما أرادت وقال لها بعد ذلك وحق من كل شئ تحت حكمه لو أن أبا هذا الولد قتل ولدي أو أبي ما سفكت له دما وعفوت عنه فعند ذلك حدثته وقالت له يا مولاي ان هذا الغلام من بني عبس الكرام وان عمه الملك قيس ابن الملك زهير وأخبرته كيف كانت قتلة أبيه وكيف كان سبب هروبها الى هذه البلاد وكيف أنفذت السلال الى بني عبس حتى يأتوا يخلصوها فتعجب منها ومن صبرها وكتمان سرها هذه المدة كلها الطويلة وقال لها ويلك وعجب لما دخلت بنو عبس الى هذه البلاد في النوبة الاولى ما كنت تسببتي في خلاصك فقالت يا مولاي ما وجدت من أنفذه اليهم وهم أيضا من سوء حظي لم خطروا في هذه الارض فقال صدقت ثم انه قام من عندها وسار حتى دخل على مقدم الحي وكان يقال له طلائع بن الصباح مقدم القبيلة وهم من طائفة بني كلب بن وبره وكان ملكهم يقال له حسان ابن الملك مسعود بن مصاد الذي قتله عنتر بن شداد وكان هذا طلائع مقدم هذه القبيلة والمشار اليه فيها ولما ان سيد الجارية صابر بن حفال أعلمه بما سمع من أم مجيد اشتغل قلبه وانشغل على قومه وقال له يا صابر ان أتت بنو عبس الى بلادنا فما يعودوا منها الا بالاموال والنعم وأنا أعلم انهم ما يأتونا الا في خلق كثير والصواب اننا ننفذ خلف بني عمنا ونخبرهم بهذا الحال لعلهم يظفرون منهم بالثار ويقلعوا منهم الآثار لانها أخرقت ناموس أهل اليمن بدخولهم الينا ولكن احفظ أنت هذه الشيطانة التي فعلت هذه الفعال حتى اذا وصل اليها قومها يطلبون خلاصها نرمي اليهم رأسها ورأس ولدها ونقطع رجاهم منها ان كان قولها صحيحا وان كان هذا محالا أنفذناها هي وولدها الى الملك حسان بن مسعود وتركناه يبرد قلبه بقتلهم ويبلغ المقصود ﴿قال الراوي﴾ يا ساده وكان هذا حسان بن مسعود الذي قتل عنتر أباه لما عشق عبلة وجرى له ما جرى وكان بعد قتل أبيه تولى ابنه حسان هذا وملك الارض مكانه وقوي سلطانه وكثرت جنوده وأعوانه لكنه ما كان ينام الليل والنهار عن أخذ الثار ويقول كل من أتاني بعبسي أعطيته مائة دينار وكان يرسل الى فرسان القبائل ويقول كل من أتاه بعبد من عبيدهم يعطيه عشرين بعيرا لاني نذرت على نفسي شرب دمائهم وأكل أكبادهم وقد جعلت نصف ما أملك من الفضة والذهب لفقراء العرب ان جمع الزمان بيني وبينهم في هذه البلاد وان طلائع بن الصباح لما سمع عن أم مجيد هذا الكلام كتب كتابا الى الملك حسان بن مسعود يقول له يا ملك تعال الى عندنا نعاونك على أخذ الثار من بني عبس الاشرار ويوم وصولك الى عندنا

تستقبلك بولدها وأمه عندنا من أولاد ملوكهم وساداتهم تفعل بهم ما تريد ثم انه بعد ذلك أرسل الى بني الاشجع والى بني الحكم والى بني حذيفة وربط اهما الطرقات وأقام ينتظر ما يكون من الامور المقضيات ﴿قال الراوي﴾ يا ساده وأما سيد الجارية فانه لما رجع من عند طلائع بن الصباح كتف مجيدا وأمه وربطهم وبقي منتظر الامور والعجائب وأيقنت أم مجيد بالهلاك من كل جانب وصارت تبكي على ما حل بها وولدها من المصائب في ضياء النهار وفي ظلام الغياهب وكان في الحلة فارس منكور وبطل مشهور يقال له بدر بن شكر وكان في قلبه من أم مجيد محبة اصلاح لا محبة نكاح بل كان يتعجب من غضاضة طرفها وانفرادها عن العبيد وحدها ويرحمها لذلها وشقاها ويقول والله ان بيتا تكون فيه هذه الجارية ما يخرب لانها كملت في الجمال والصبر والادب والله لو انها من بنات العرب لكنت بذلت لها كل ما أملك من خيل وجمال وذهب وكنت تزوجت بها وأقضي منها وطر ولكن أخاف أن تقول العرب عني بدر خلى بنات العرب وتزوج بامة واذا رزقت منها ولد يكون مقطوع النسب ومازال ينهى قلبه عنها حتى جرى لها ما جرى من العذاب والهوان واشتهر أمرها وبان وعلم انها سيدة من سادات عدنان وان زوجها كان ملكا من ملوك الزمان فعند ذلك التهب قلبه بالنيران وزاد به الهوى والهيمان وندم غاية الندم كيف انه ما تزوج بها قبل أن سمع عليها ما تم وقد انتقل من محبة المزاح بمحبة النكاح ومن الهزل الى الجد ومن شدة ما جرى عليه أنفذ اليها بعض الاما يقول لها اعلمي انك قد أشرفتي على الهلاك وما لك من قيد العذاب فكاك وأنا وحق من أدار الافلاك قد نحل جسمي في هواك وفي هذه الايام قد كنت معولا على شرائك من مولاك ولكن سبقني فيك القضاء ورماك وفي هذه المحنة أبلاك وقد قرح قلبي بالليل بكاك وقد عولت أن أخاطر وأبذل مهجتي في هواك واهجر أهلي وأوطاني في رضاك وأجيء واحضر الى عندك في وقت الظلام واهجر الكرى والمنام وأسير بك الى أهاليك وارغم أنا في أعاديك ولكن بشرط أن تكوني لي زوجة وصفية وصاحبة ووفية ولا تختاري علي أحدا من أهلك اذا اجتمع بهم شملك فلما وصلت الرسالة اليها أجابت أم مجيد بذلك طمعا في السلامة وقالت متى يكون ذلك حتى أكون له أمة بعد أن يخلص ولدي ويجتمع بأهله وبعد ما أبالي بالذي يجري علي ثم ردت الجواب بهذا الخطاب وأقامت وهي تنتظر الفرج بهذه الاسباب فلما وصلت الاماء بهذا الجواب بردت نيران كبده وعلم ان محبوبته قد حصلت في يده فصبر حتى أتى الظلام وأمر عبده أن يشد له على ثلاثة خيول جياد ويخرج بهم الى مكان عينه لهم وكان ذلك العبد قد رباه من صغره وقد ربي معه وأطلعه على سره وهو عنده مثل الاخ يفعل ما أمره به وسار الى المكان الذي تعين ذكره وصبر بدر بن شكر حتى نام أهل الحي وخمدت النيران وقام يطلب البيت الذي فيه أم مجيد وولدها وكان قد تولع بحبها وجفا أهله ووطنه من أجلها ولما قرب من المضرب رآه خاليا من العبيد والغلمان لان سيدها صابرا ما يعرف ان أم مجيد تهرب بعدما أقامت عنده حينا من الزمان ولا حسب هذا الحساب فدخل بدر الى الخباء وحلها هي وولدها والذي تعسر عليه قطعه وأخرجها بين يديه وهو يبشرها بالسلامة ويطيب قلبها هي وولدها حتى وصل الى المحل الذي أمر عبده أن يقيم فيه ولما وصل اليه أركب كل واحد على جواد وقصد بهم أرض الحجاز ولما أصبح الصباح طلب صابر أم مجيد فما وجدها فحار في أمره وقد عدم صبره وقد خاف من مقدم القبيلة طلائع بن الصباح لئلا يقول له كيف هربت بعد هذه المدة الطويلة فأخذ معه أربع رجال من أعز أصحابه وسار يقتفي من أم مجيد الآثار وبعد يومين وصلت بنو عبس وراياتها تخفق وقد حجبت نور الشمس ورأتها أهل الحي والعشيرة فوارس الذين ذكرناهم فعادت وأخبرت بقدوم الاعداء فباتت الحلة تموج من سائر جهاتها والفرسان تعمد خوفها وأماتها الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد لمعت البيض الصفاح فساروا الى نصف النهار ولما أبعدوا عن الخيام أقبلت مواكب بني عبس مثل الغمام ولما التقت العين على العين حملت فرسان الطائفتين وزعق على رؤوسهم غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وقال الخصم لخصمه الى أين هذا وبنو عبس قد صاح فيهم الملك قيس ونخاها وفعلت فرسان بني كلب بن وبرة كذلك وتصادمت الفرسان والشجعان هذا وبنو عبس على قلتها قد ردت أعداءها الى

الخيام ولما رجعت عند اقبال الظلام قال الملك قيس يا بني عمي لو كانت حالتنا اختلفت كنا بلغنا الآمال
من هؤلاء الانذال هذا و بنو كلب بن وبرة رجعت وهي ما تدري أين تضع أقدامها من عظم ما لقيت من حرب
بني عبس ومانالها وهي ما تصدق أن تصل الى خيامها ﴿قال الراوي﴾ هذا ما كان من هؤلاء وأما طلائع
ابن الصباح فانه لما نزل في الخيام وأكل الطعام قال لقومه يا بني عمي ان لم تلحقنا هذه القبائل التي أرسلنا اليها
والا كلتنا هذه السباع الجياع الذي لا تفزع ولا ترتاع وما لنا الا نرسل لهم الجويرية وولدها ونرحلهم عنا
بسلام فقالوا له يا طلائع الجارية هربت هي وولدها ومولاها سار خلفها والى الآن لم عاد فلما سمع طلائع هذه
الاخبار انذهل وحار وأخذه الانبهار وحس ان فؤاده قد انفلق مما لحقه من القلق وقال ويلكم كيف
هربت هذه الشيطانه وجسرت على هذا الحال وقد عرفت ان بينها و بين قومها أمدا بعيدا فقال رجل
يا مولاي والله ما أدري كيف هربت بل الحديث الصحيح بدر بن شكر أخذها وهرب بها وان الجارية ليس لها ذنب انما
الذنب على ابن عمنا الذي أخذها وهرب بها وأولاد العجوز الذين أطلقوا السلال من أيدينا وسيروه الى مكان
بعدما كان أشرف على العطب والهوان فقال طلائع لما سمع هذا الكلام وحق ذمة العرب لقد صدقتم فان أهل
الفساد تحب أهل الفساد وهذه العجوز قد بلغت من العمر هذا المبلغ ورزقت هذه الاولاد و بعد صبيتها الى أيام
الصبا وأن من رأت فيه شرا وخيانة تصادقه وتصافيه وتصاحبه وتوافيه ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه
العجوز التي أجارت غادر السلال وأطلقته من الهلاك والوبال كانت طارقة من طوارق الزمان ونائبة من
نوائب الحدثان لانها في أيام الصبا كانت تقاوم الرجال في الافعال وتغادر على القبائل وتحتال وكانت ربت
أولادها على طبعها وعلمتهم من بعض مكرها وخداعها الا انها لما بلغها كلام مقدم العشيرة وسمعت ما قال
عنها صعب عليها وقالت والله لقد أصبح طلائع مجة باردة وما قال هذا المقال الا من ذله وعجزه عن القتال واذا لم
أتجرد أنا لهذه القبيلة وأفرق شملها بالمحال والا أخذونا كلنا سبايا و يتركوا رجال الحي مثل الضحايا لاني
أعرف ضعف رأي مقدمنا وقلة تدبيره فقال لها بعض أولادها بالله عليك يا أماه أفلي هذا الذي ذكرتيه ان
كنت قادرة عليه لعلنا نستريح من الحرب ونكشف عن هذه العشيرة الكرب ولا يبقى لاحد من القبيلة
علينا ملام ولا كلام وعسى يقع في أيدينا السلال ابن اللئام الذي أطلقناه من الهلاك وسوء الارتباك فقالت
العجوز أما السلال فارصده أنت واخوتك عند أبيات صابر بن جفال فانكم تجدوه عند الاطلال لاني أعلم انه
لا بد أن يدخل الحي في طلب الجارية العبسية حتى يطيب قلبها بقدوم أهلها وان قدر على خلاصها خلصها ولم
يعلم انها هربت فقال أولادها يا أماه ان أكثر ظننا ان أهلها وقعوا بها في الطريق وقد جاؤا الينا فقالت افعلوا
ما قلت لكم وانظروا العجب فعند ذلك تجرد أولادها وكانوا ثلاثة مثل السباع وسلوا السيوف وداروا
بابيات صابر ولا زالوا الى نصف الليل واذا بغادر السلال قد أقبل من المكان الخالي من الحرس من ناحية
الخيل فلما رأوه عرفوه وقالوا والله ما تموت أمنا و يخلف الزمان مثلها ولا أخبر منها بعواقب الدهور ثم أمهلوه
حتى صار بين المضارب وتواثبوا عليه وقبضوه وقالوا له يا شيطان هذا جزؤنا منك بعد ما خلصناك من الموت
سقت الينا هذه القبيلة وتركت أهلنا عزقوا جلدنا بالكلام فقال لهم وقد عرف المعنى لكلامهم والله يا وجوه
العرب ما فعلت ذلك الا لاجل اليمين الذي حلفته للجارية فبلغت خبرها الا اهلها وقلت لعل رب السماء يفرج
عنها كما فرج عني بكم وقد دخلت هذه الليلة في طلبها لاجل خلاصها واذا خلصتها رحلت أهلها عنكم ثم انه صار
يرقهم في الكلام و يطلب منهم الخلاص فما سمعوا منه بل أوصلوه الى أبياتهم وأمروا عبيدهم بحفظه ودخلوا
على أمهم وأعلموها بان حسابها قد أصاب وما خاب وان خصمهم قد وقع في المصاب ثم شاوروها في أمره فقالت
احملوه الى طلائع بن الصباح مقدم القبيلة وقولوا له خذ هذا الشيطان الذي لمتنا عليه واما أمنا فتقول لك قاتل
غداة غد في أعدائك فان بلغت منهم مناك وأتاك أحد من القبائل الذين أرسلت وراءهم يساعدوك والا فامنا
تقدر تفرق شملهم في الليل وتنزل بهم الذل والويل تقودا اليكم ملوكها أسارى بالمكر والخداع والحيال فلما
سمع أولادها كلامها امتثلوا وأقاموا حتى انجلى الظلام وقامت الرجال تطلب الحرب والصدام فجابوا الى

طلائع بن الصباح غادر السلال الى أن يبصروا على أي شئ ينفصل الحال و بلغوه رسالة أمهم فتعجب من
فعالها كل العجب وقال والله ان حيا يكون فيه مثل هذه المرأة لا ينكب وكل من يقتدي برأيها يغلب
ثم أمر بتقييد غادر السلال حتى يبصر على أي شئ ينفصل الحال مع بني عبس في القتال وكيف يكون
الانفصال ﴿قال الراوي﴾ وكانت بنو عبس قد ركبت عند الصباح وتبادرت للحرب والكفاح وصاح
فيها الملك قيس والربيع بن زياد وما فيهم الا من قال يا بني عمي انصحوا في القتال واطلبوا انجاز الحال قبل
أن تتسامع بنا قبائل اليمن و يقصدونا من سائر الاقطار والدمن ثم ارجعوا الى بني كلب بن وبرة واهجموا
على المضارب والابيات واخرجوا النساء والبنات ولذ الموت للجميع وطاب واشتد الطعان والضراب
وقاتلت عبيد الحلة والنسوان وكان للقوم يوم لا يجب فيه عتب ولا لوم لان بني عبس قاتلت عشرة آلاف فارس
عبيدا وأحرار وملأت بالقتلى جنبات البراري والقفار وعادت عند اقبال الظلام وقد نالت العلا والافتخار
ورجعت بنو كلب وهي في غاية الذل والانكسار واسودت ستور الظلام بالاعتكار وأوقدوا النيران
وتحادثت الطائفتان وأخذ طلائع بن الصباح في لوم رجاله فقالوا له لا تلمنا أيها الامير فما لينا بأمر قليل
فان هذه القبيلة لما دخلت في النوبة الاولى الى بلاد اليمن قد سمعت ما جرى لها مع بني حذيفة ومع معاوية بن
النزال عند عقبة الفاروق وما فعلوا بالملك مسعود بن مصاد على امياه عداعد ونحن ما نلقى فرسانهم الا بالمداومة
الى حين ما أتينا من يعيننا عليهم ونغلبهم بكثرة العدد وتزايد المدد الى أن لا يبقى منا أحد فقال لهم ما قلتم
الا الصواب و يكون بالكم من أسودهم الكذاب فاجابوا الى ذلك ولما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره
ولاح نادت الرجال الى بعضها بعض تطلب الحرب والكفاح وتقاتل الفريقان قتالا شديد الحنق حتى
سال الدم واندفق وتضاربوا بالسيوف على الدرق ورموا بعضهم بعضا بالحدق و بقي الجبان في قلق وحل
الشجاع وزعق وتمنى لنفسه انه لم يخلق وذهبت منهم الارواح وزاد الملك قيس اليوم في الارباح وقتل من
بني كلب كل همام وما فرقهم الا الظلام فلما استقرت تلك الطوائف أكلوا الطعام فاتت العجوز كأنها ريح
الهبوب الى عند طلائع فقام لها قائما وقال لها يا سيدة العرب أما ترى على ما جرى لبني عمك في هذا النهار فقالت
طيب قلبك فما أتيت اليك حتى أعلمك اني سائرة اليهم وأدبر حيلة عليهم ثم أمرته ان يركب معها مائة فارس
وتكمن بهم في موضع يكون قريب من بني عبس وأما العجوز فانها سارت وقد لبست لباس الرجال بعد ما لثمت
وجهها وسارت طالبة بني عبس الى عند الحرس فصاحوا عليها وقالوا من أنت يا وجه العرب فقالت لا تزيدوا
على فؤادي الفزع وقلبي قد انجزع واشتهي ان تدلوني على الملك قيس حتى أقص قصتي عليه فلما سمعوا
منها اطمنوها على الملك قيس فقال الملك قيس ما بالك يا وجه العرب وما حالك فقالت يا مولاي ارحم من
قبض على أولادها وانصدع من شأنكم فؤادها وقد أتيت اليكم وقدمت عليكم أطلب المعاونة على خلاص
أولادي فقال الملك قيس يا وجه العرب بيني لي هذا السبب وأطلعينا عليه وابشري بكل خير فقالت
يا مولاي اعلم ان السلال الذي أوصل اليكم خبر أم مجيد وأتى بكم الى هذه الديار أنا الذي خلصته من العطب
وعتقته من سيوف بني كلب لانه أتى الينا في طلب حصان يسرقه فلما وقع به بنو عمي أعطيته ذمامي وسيرته
مع أولادي وكانت بنت عمكم قد حملته رسالة يوصلها اليكم وطلب أن يفرج عنها بعض كربها بكم و بعد
انفاذها له قد أساءت التدبير وقصرت في خدمة مولاتها فضربتها وسبتها فباحت بسرها خوفا من البيع
وخافت أن تصير في أرض غريبة ولا تعود تجتمع بكم و تضيع تدبيرها وتعبكم فحدثتهم بحديث ولدها من غير
ضير وان أباه مالك ابن الملك زهير وان نسبه يرجع الى بني عبس وعدنان فرسان المنايا والموت الزوام وانها
خوفتهم بكم وقالت سوف عن قريب يقع بكم الندم اذا سبيت أولادكم والحرم و يسقوا العدم وسوف يأتيكم فرسان
لا تخاف الموت اذا هجم وقحم فلما سمع سيدها كلامها شدها هي وولدها بالحبال وقص على مقدمنا ما سمع
من المقال وقال والله لولا هذه العجوز الملعونه ما أعطت السلال الذمام والا ما كان لها من يوصل خبرها الى
أهلها ومن فزعه منكم أقام الخيل على الطرقات وأنفذ الى القبائل التي لها عليكم مطالبات وقال لي اذا قدم

بنو عبس لنا رميناز وسهم اليهم حتى ينقطع طمعهم ويخل عزمهم وأوصى صابر بها وبولدها فلما انظرت أناما هي فيه من العذاب رحمتها ورحمت ولدها وقلت لأولادي بالله عليكم اجتهدوا في خلاص هذه الجارية قبل الوصول لئلا يحذوا اليهم رؤسهم فحدثوا أولادي مع فتى من فتيان الحي يقال له بدر بن شكر فأتى في الليل وسرقها وسرق ولدها وسار بهم بالليل يقطع البراري والقفار فلما افتقدها مولاها صابر خاف من أمير الحي فركب وسار خلفها نحو دياركم وبعد مسيره بيوم جرى ما جرى وندمنا نحن كيف ما صبرنا الى أن تقدموا علينا فرجع أهلنا علينا بالملام ومن تمام المصيبة وصل الينا البارحة غادر السلال فقلنا له يا مشوم الناصية أيش أوصلك الينا في هذه الساعة والله لو علم بك أهلها قتلوك فقال ما حال الجارية والغلام فقلت هرب وامن يومين فقال أنا ما جئت الا في خلاصهم وها أنا مقيم في الحي حتى أبصر ما يتم لها مع سيدها فان عاد بها تسببت في خلاصها وأوصلها الى قومها واذا فعلت ذلك رحلت عنكم هؤلاء القوم واعلمهم بقصتها وأتركهم يعودون على آثارهم وتستريحوا من القتال ومن تمام المصيبة ان صابرا أتى بالجارية وبالذي أخذها وأحضرهم قدام أمير الحي وقال له يا مولاي كلما تم علينا من أولاد العجوز لانهم قووا هذا الرجل على هذه الفعال فلما سمع سيد العشيرة هذا الكلام قال هؤلاء خامروا علينا وعلى أهل الحي واختاروا علينا الاعداء ثم انه قبض على أولادي وأضافهم الى أصحابكم وثقلوهم بالقيود ورموهم بين الاطناب ثم وكلوا بهم العبيد وحاف اذا جاءته النجدة يصلب الجميع على الخشب ويقطع رؤسهم ويرميكم بها ومن شدة ما جرى علي أخرجت غضبي في السلال وقلت له غليظ الكلام فقال لي لا تفعلي أنا أخلص لك الجميع ان قبلت مني وأحسنت الصنيع فقلت له ماذا تريد مني اصنع فقال تغيري زيك وتسيري من أول الليل الى بني عبس وتحدثيهم بما جرى علي في هواهم وتعطي الملك قيس هذه العلامة من عندي وخذي معك عشرين فارس وعودي بهم في عرض البر الاقفر وتعبري الى من وراء البيوت تجديني قد حللتهم بحديدهم وقيودهم على أكتاف وخلفتهم والميعاد الى لحف الجبل الى أن تأتي أنت وبنو عبس على ظهور الخيل وتعودي بهم في ظلام الليل وبعد ذلك تبصرين ما يحل بأهلك من الويل ويرجع اليك أضعاف مالك وتصيري عندهم أعز الخلق أنت وأولادك ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس كلامها قال الربيع وهذا نعم الرأي وحق ذمة العرب لقد فعلت معنا هذه العجوز فعلا ما نقدر على مكافأتها أبدا وكذلك السلال وما كنا نريد في هذه الساعة الا عنتر بن شداد حتى كان يمضي مع هذه العجوز ويخلص لنا أحبابنا ونبلغ المراد فعندها نهض عمارة قائما على الاقدام وقد أغاظه هذا الكلام وكلم الملك قيس وقال أيها الملك الهمام نحن لو حملنا قدامك الجبال أو خضنا البحار والنار ما تذكر الا هذا العبد الكشحان فوحق اللات والعزى اننا فعلنا اليوم في هذه القبيلة فعلا لو أبصره عنتر لاذهله ولم تذكر الا ذلك العبد وفعله وان كنت يا ملك تقول أنا جسور على سير الليل فانا الليلة أسير مع هذه العجوز وآتيك بجميع الاسارى حتى تنظر خسارة عنتر من خسارة عمارة ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس كلام عمارة شكره على فعاله وسيره مع أخيه الحارث في ستين فارس وسار الربيع بالجملة خوفا على أخيه ولم يبق من الليل الا نصفه حتى وصلت بهم العجوز الى عند الكمين وحصلت بهم في وسط الاعداء وكانت الاشارة بينهم أن تعوي مثل الكلاب فلما وصلت اليهم عوت وصرخت فظهرت الخيل اليهم مثل السلاهب وكانت قد أوقفتهم وقالت لهم ترجلوا وخذوا حذركم فأول من ترجل كان الامير عمارة فلما أبصروا البلاء وقد أحاط بهم وعلموا أنهم وقعوا في اشراك الحيل والخداع ولم الهم عن أنفسهم اندفاع أراد عمارة أن يركب فما قدر من رجفات الركب وأما أخوه الربيع فانه قاتل عن نفسه قتال شنيع ودافعت الابطال عن أنفسهم بقدر الطاقة فوصل الخبر الى طلايع بن الصباح فمن شدة فرحه زعق وصاح وأخذ جماعة من بني عمه الا انه ما وصل حتى وجد المعمعة انفصلت والواقعة خلصت لان فرسان بني عبس قتل منهم عشرون وأسر عشرون وأخذ الربيع وعمارة بجملة الاسارى بعد ما قتلوا تسعين فارسا من بني كلب ابن وبره وساقوهم فرسانهم وقووا شدادهم وفي قلوبهم منهم حسرة حتى وصلوهم الى قدام مقدمهم وقد انقلبت الارض عند وصولهم الى الحلة من كثرة الافراح وتزايد السرور وعدم الاتراح وكان قد أصبح

الصباح فلما نزلوا بالاسارى بين المضارب ركبوا الجنائب وتبادروا الى العبسيين من كل جانب بالقنا والقواضب وصاح فيهم عند ذلك طلايع وقد لاحت له واقوه حلول المطامع وكان الملك قيس قد أنكر أيضا بني زياد وبقي في قلبه نيران زائدة الانقياد وقد صار لهم في الانتظار حتى مضى الليل وأقبل النهار فأنكر عند ذلك أمرهم غاية الانكار وقال لمن حوله من أصحابه وقد عظم مصابه والله ما أقول ان بني عمنا لقوا خيرا وان صدقني حذري فان العجوز التي جاءت ما أتت الا بالمكر والاحتيال ولا حدثتنا الا بالمحال بحديث السلال وأعطتنا جميع العلائم والاقوال والامور التي مضت بها من عندنا وحدثتنا بجميع ما جرى لنا من أمورنا فقال له عمه أسيد كيف يا ابن الاخ تكون الحيلة فقال الملك قيس ما أدري بعجائب الزمان له وقعات ومصائب ﴿قال الراوي﴾ يا سادة ولم يزالوا على مثل ذلك حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك رآهم بنو عبس وقد ثاروا اليهم بنيات صحاح وهم ينادون يا أنذال الحجاز أظننتم انكم تدخلون أرض اليمن مرة ثانية وتعودوا سالمين ابشروا بالويل المبين لان أصحابكم وقعوا في قبضة العجوز وأنتم الساعة تأتيكم البلا وتتقاسم أبطالكم ملوك هذه الارض والفلا ويفوزون منكم بالثار وينقلع منكم الآثار قال فلما سمعت طائفة بني عبس هذا المقال زادهم اللهيب والاشتعال وكثر فيهم القيل والقال وقد أيقنوا بالذل والخبال وضجوا من هذه الامور وقل صبر الصبور وقال الملك قيس يا بني عمي ما بقي غير بذل الارواح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح والا الذل والافتضاح وان لم تجودوا في القتال رحنا أشئم الرواح ويقال ان بني عبس بنت لها بيتا في العلا ومنازل الافتخار والفوز في أرض اليمن وهربت من البلا بحيلة امرأة عجوز وقادتهم أسارى قود الكلاب وتحكمت فيهم الاعداء بالقتل والعذاب ثم خرج قيس من تحت الاعلام وقد اشتد غضبه ولم يسمع كلام وكشف رأسه وحمل حملة من باع بقاءه وتمنى فناه وقد فعلت بنو عبس مثله وحملت خلفه كأنهم السحاب اذا هطل وقد اختلطت الطائفتان واختلف بينهما الطعن والضراب وعملت السيوف في الاجساد عمل النار في الحطب وجرى بين الابطال كل العجب وقد حجب الغبار حجاب الشمس فاحتجب وفاض الدم وانسكب وضاق عليهم البر بعد ما كان واسع السبسب وقد عم الجميع الويل والحرب واشتد عليهم طريق الهرب ووقع بالفرسان في المنا كب الخذلان والتعب ومشت الخيل بعد الجري خبب ودنا الاجل من الجميع واقترب وسال الدم من الجراح مثل أفواه القرب وقد ردت بنو عبس أعداءها الى الخيم وحكمت مضاربها في الاجساد والقمم فعندها انقلبت المضارب بصياح الصبيان وقد أيقن بنو كلب بن وبره بالهلاك والعدم وفي تلك الساعة أشرفت بنو الحكم وهي قبيلة من جملة القبائل التي كانوا لها في الانتظار وكان اشرافهم عليهم نصف النهار وكانوا ألف فارس من كل بطل مداعس مغوار ولما أن أبصروا نار الحرب تشتعل ونسوان بني عمها على أبواب البيوت ولولوا وزعقوا وحملوا على بني عبس وطلبوهم مثل سهام المنايا اذا أرسلت وكانت مستريحة فردت بنو عبس الى أقطار الفلا وقد سار الامر فزعا وجلا وصار سهل الارض في النواظر جبلا وبقيت الابصار الصحاح من شدة الخوف حولا والمنايا على قبض النفوس وكلاء واسنة الرماح في أكباد الشجعان تجد بالمهلة ولله در بني عبس لقد أجادت قتالها بين الملا وكان حولها الشجعان تسيل من رؤس الشعاب والجبال والابطال اليهم بأطراف العوامل تميل وهي ثابتة لا تزول وصابرة على البلا وهي تلسع فيهم بأفاعي الرماح وتضرب بمضارب الصفاح الى أن ولى النهار وهوت الطائفتان على الانفصال وكانوا قد كفوا عن القتال ولما أن افترقوا عن المجال أقبلت في تلك الساعة بنو الاشجع في ثلاثة آلاف فارس كل بطل صميدع وفارسها بالحديد مقنع الا أنها ما أتت الى الخيام حتى أقبل الظلام وقد انفصلت الطائفتان من ضرب الحسام وعاد طلايع سيد بني كلب التقى القادمين وشكرهم وأثنى عليهم وقد أخبرهم بالعجوز وما فعلت بحيلتها وكيف فرجت عنهم الكروب بعد ما كانوا قد أشرفوا على العطب فقال لهم طرفه بن بشاره سيد بني الاشجع أبشر يا طلايع بالنصر والظفر وانظر عند الصباح ما يحل بأعدائنا وأعدائك من العبر

واعلم ان الاقدار ساقتهم الى هذه الديار حتى نستوفي ما نالنا عليهم من الثار ولكن كم وقع في أيديكم من أسير فقال له يا طلايع أسرنا ثلاثين فقال له طرفه اعلم ان هؤلاء عند الصباح نحلق رؤسهم قبل حملتنا عليهم لان في ذلك ما يقطع منهم الظهور ويزيل الطمع من رؤسهم وصدورهم فقال طلايع وأنا قد عولت على ذلك اذا وصل الينا حسان بن مسعود صاحب مياه عرائر لانه على كل حال سيدنا والحاكم علينا وأنت تعلم ما جرى لابيه مع هؤلاء الانذال وكيف قتل أسودهم أبوه مسعود لما عشق عبله وأقول انه عند الصباح يقدم علينا وأتركه يضرب رقاب هؤلاء بيده فقال طرفه هل وقع أسودهم في أيديكم أم هو عند أصحابه فقال له طلايع انه ما دخل معهم في هذه الكره الى بلاد اليمن وقد سألت عنه بعض الاسارى فقال لي انه عند الملك كسرى وما عنده علم بمسيرنا اليكم فقال طرفه يا طلايع لقد ضيقت صدري بغيبته وأنا قد وعدني سيفي بشرب دمه وأنا أحدثك بأعجب من هذا انني قد رأيت في المنام انني قتلته وأخذت رأسه على سنان رمحي وقد درت بها سائر الحلل التي في بلاد اليمن وفي الآخر أهديته الى حسان بن مسعود وقلت له خذ رأس قاتل أبيك وأقول ان المنام تفسر لانه لابد له أن يأتي خلف قومه وافعل به هذه الفعال ثم انه بعد ذلك الكلام أمر الكتائب والعشائر أن تدور ببني عبس ففعلوا ذلك وبنو عبس لما رأت ان الكتائب قد سدوا عليهم سائر الطرقات والمذاهب قد آيست من أنفسها لما ان أبصرت ذلك العدد وقد زاد عليها وكانت كلها على ظهور الخيل تحرس أنفسها وهي لابسه سلاحها وكان فيهم جماعة كثيرة مثخنة بالجراح فايسوا من الفلاح وما فيهم الا من ندم على دخوله بلاد اليمن وقد سار يندب الاهل والوطن وقد علم الملك قيس بأفعالهم وأحوالهم فصار يسليهم هو وعقاله ويقول لهم اعلموا يا بني عمي ان تذكار الرجل الى أهله وولده يضعف بصره ويقل جلده وكل أحد ما يقدر يعيش في النعيم وأطيب المنازل وانما الرجل يفتخر بالصبر عند حلول النوائب والنوازل ولكم أسوة بي وبولدي زهير الذي كل نظرة الى وجهه أحب الي من الدنيا وما فيها وقد رضيت بقتله وهلاكه وهلاك نفسي معه في هذا المقام ولا أترك للعرب علي عتبا ولا ملام وعند الصباح وحق من يشفي من الاوجاع أنا لم أنصب على رأسي علم ولا أكون الا في أوائلكم أضرب بالسيوف حتى تتصلب الرماح في جسدي وأقع تحت حوافر الخيل أنا وولدي وان فعلتم مثل فعالي فزتم بذكر الجميل بعد التلاف ويقال ان بني عبس ما هلكت في بلاد اليمن حتى أهلكت مثلها أضعاف وان فزعتم من الموت فما ينجيكم الفزع من العطب بل تقتلون وتذمكم العرب وما زال الملك قيس يقول لهم مثل ذلك المقال حتى هان الهلاك على الرجال وقالوا والله أيها الملك ان ماتت علينا الجبال في صور الرجال للقيناها ولو رأينا المنايا تجر أذيالها نحونا لسقناها ولابد ما نطعن بأسنة الرماح الدقاق حتى تلعب برؤسنا حوافر الخيل العتاق ولكن لو اننا كنا كفينا مؤنة هذه العجوز التي احتالت علينا وأسرت سادات بني زياد ما كانت هذه القبائل ولا تلك الامم والجحافل وكنا قد بلغنا مرادنا فقال لهم الملك قيس صدقتم يا بني الاعمام ولكن اذا نزل القضا من السماء عمي البصر وحير الفكر ثم انهم باتوا تلك الليلة يعللون أنفسهم بلعل وعسى الى نصف الليل وقد ملوا من ركوب الخيل وعولوا على النزول من عليها للراحة واذا هم قد رأوا رجلا قد أقبل وهو طالب الى سوادهم من ناحية خيام الاعداء وهو يهتف نحوهم مثل ذكر النعام تحت ستور الظلام فعندها تبادروا اليه وقد داروا حواليه وأبصروه واذا هو شيبوب أخو عنتر ففرحوا به فرحا شديدا لما عرفوه وقد أملوا منه فرجا ثم انهم أتوا به الى عند الملك قيس وقد بشروه بوصوله ففرح بذلك غاية الفرح وزال ما بقلبه من الهم والترح وقال لشيبوب خبرني بعجل فقد جئتمونا في وقت الحاجة اليكم ولولا وصولكم كنا من الهالكين فقال شيبوب والله يا ملك ما عندي من أخي خبر وما حسبته الا هو عندكم ومقري الوحش ومازن فقال له الملك قيس ايش يكون مازن وكيف انفصلت أنت من أخيك وفارقته فقال شيبوب اعلم أيها الملك ان فراقي له سبب عجيب ثم انه حدثه بما جرى لهم من حين ساروا من عند الملك النعمان وقد أعاد عليه حديث حاتم الطائي وعطاف وكيف سار وبعد ذلك الى ديار بني عبس وقد رأوا الاحياء خالية منكم وانكم قد سرتم خلف مجيد وأمه فخاف أخي عليكم من هذه الامور وسار خلفكم وأخذ

معه مقري الوحش فجرى علينا في الطريق كل عجيبة من سبيع بن الحارث وانه قد أسر أخي وكنت أنا غائبا في طلب فرس لمقري الوحش ثم انه عرفهم بحديث مازن وكيف خلص أخيه عنتر من الاسر والقصة التي جرت وقال لهم في آخر الكلام وقد رجعت أنا بأم مازن الى الحي بعد ما دللت أخي على الطريق التي تلحق بكم والى الآن ما أعرف الذي جرى عليه وما ظننت الا انه وصل اليكم مع أخيه مازن ومقري الوحش ولولا أعاقني بامرأة أخيك مالك وولدها مجيد ما كنت الا لحقته قبل وصوله اليكم ولكن هذا الذي قد أعاقني الى هذه الايام فلما أن سمع الملك قيس وأعمامه من شيبوب هذه العجائب نسوا ما كانوا فيه من النوائب وقالوا والله يا شيبوب لقد جرت لكم أمور تشرح الصدور ولاسيما غدر ذي الخمار وظفره بأخيك وخلاصه بحيلتك وخداعك على انك قد ذكرت لنا في آخر كلامك انك لقيت عند عودتك ابن أخي وأمه وأعاقوك عما كنت له طالب فحدثنا على ما جرى لك معهم من تلك العجائب وأعلمنا ان كنت خلصتهم من الاسر لاننا سمعنا انها هربت وما صدقنا ذلك وقد تم علينا بسببها حيلة من عجوز في هذه الديار اسمها عدوه ولولا ذلك ما كنا ألقينا حتى اجتمعت حوالنا هذه الجموع التي تراها بل كنا قضينا حاجتنا ورجعنا من قبل أن يعلم بنا أحد فقال شيبوب صدقت أيها الملك لا تزال المقادير تنفذ التدابير والانسان مع القضاء الواقع أسير ما يعلم ما يقضي عليه عند المشيئة بعد التدبير ولو كنا علمنا أن يجري عليكم هذا المجرى ويضيع أخي في الصحرا وتتخلص أم مجيد على يدي فلو علمنا ان هذا كان يصير ما كنا أحوجناكم الى هذا التعب ولا تفتشتوا في بلاد اليمن والسبب في ذلك انني لما فارقت أخي عنتر وسرت بأم مازن وأوصلتها الى الديار وقد بت من يومي على صفري أقطع القفار وكنت فزعان على أخي لقلة معرفته في الطريق ومن مثل هذا الذي أصابه فسرت في أربعة أيام ما يسيرها الفارس في عشرة أيام ليلا ونهارا حتى قطعت حولي اليمن وتركتها من خلفي وقد وصلت الى واد يقال له وادي الدوح وزعمت أني أزج روحي اليه وأقطعه في الليل على غير طريق فرأيت في أرضه امرأة تنادي يا عبس ترى ما وصل اليكم خبري أما قدم عليكم رسولي أما شرح لكم ما أنا فيه من سوء الحال فقد بعدتم عني وعن هذا الصبي الذي قد ربي في اليتم ورعي الجمال بعد كثرة الرجال والاهل ثم انها نادت واحرباه واقلة ناصراه واذلاه بعد كثرة الحماه فلما ان سمعت أيها الملك هذا النداء اسودت الدنيا في عيني وقد طلبت الصوت فرأيتها زوجة أخيك مالك لانني كنت رأيتها في ليلة العرس والزفاف ومديت عيني فرأيت الذي قد هرب بها مع مولاها في القتال ومعه خمسة فوارس أبطال وقتل منهم اثنين ودار وابه الثلاثة الآخر فاثخنوه بالجراح فوصلت أنا الى أم مجيد وعرفتها بنفسي وسألتها عن قصتها وسمعت حديثها وتركتها عند ولدها وطلبت أعداءها بالنبال وقلت لبدر بن شكر يا وجه العرب ارجع أنت عن القتال فقد بذلت المجهود وساء بك الحال ولابد أن تجازى على هذا الحال فارجع وأنا أكفي هذه الاشغال وأبدد هذه الانذال ثم اني ضربت واحدا بنبلة فقتلته فعند ذلك اشتد قلب بدر لما رآني وحمل على واحد فقتله وبقي واحد فعول على الهرب فسبقته أنا الى المضيق وضربته بسهم في صدره طلع من ظهره ولما انتجز الامر وهلك الاعداء جمعت الخيل والاسلاب وأنزلت بدر بن شكر من على فرسه وشديت جراحه وقلت له ابشر بما تلتقيه من السلامة والخير والكرامه لانك قد زرعت الجميل في أرض طيبة زكيه وسوف ترى ما تجازى من مليح الفعال المرضيه ثم انني يا مولاي عرفته من أنا وبشرته ببلوغ المنا وطيبت قلب أم مجيد وولدها ففرح مجيد وأمه وزال عنهما همهما وغمهما ثم اني حدثتهم بدخولكم خلفهم الى بلاد اليمن وهذه الارض حتى انكم تخلصوهم من الاهوال والمحن فقالوا لي والله ما عندنا خبر من هذا ولولا ذلك أدركتنا لكان حل بنا الضرر ومسنا البلاء وصرنا عبرة لمن اعتبر وان كان أهلنا وصلوا الى تلك الديار فما يكون الا بعد مسيرنا وبعد ما سلكنا في هذه القفار فبشرتهم بعد ذلك بالسلامة من الوبال وقد أصعدتهم في لحف جبل من الجبال وتركتهم في مفازة من الشعاب ومعهم عبد نجيب وهو عبد بدر بن شكر لاجل خدمتهم وقضاء أشغالهم ولكن اطلعت على صحة الخبر فرأيت بدر بن شكر حكم عليه سلطان الهوى والقدر وعشق أم مجيد وانحصر وكان سبب فكها من الاسر والضرر وشرط معها على الزواج وهي راضية بذلك ولا بقي لهم عن بعض

مصطبر فرز وجهتم فى تلك الارض وحملت بدأم مجيد فى يد بدر بن شكر لاجل الزواج حتى لايبقى على لوم
ولا احتجاج وأشهدت عليهم بذلك الشان الملك الديان وباتوا تلك الليلة وهم فى أمان ولما كان عند الصباح
قلت لهم أقيموا أنتم هاهنا فى هذا المكان حتى أسيرأنا الى الملك قيس وأخى عنتر ومن معه من الفرسان وأيضا
ابشرهم بخلاصكم من الاسر والهوان وآتى بهم الى هذا المكان ونرجع كلنا الى الاهل والاوطان ثم تركتهم
وسرت أقطع القفار والكثائب حتى وصلت اليكم وأنتم فى تلك المصائب وعلى ان غيبة أخى من أعجب العجائب
﴿قال الراوى﴾ ولما ان سمع الملك قيس من شيبوب ذلك تعجب من ذلك الاتفاق وماجرى ثم انه قال ياشيبوب
لو كنا علمنا انك خاصت مجيد وأمه من الشدة والعوائق ما كنا وقعنا فى هذه البلاد التى قد اجتمع علينا فيها
هذه الامم والخلائق ووقعنا فى البلاء الزائد المتلاصق ولكن القضا اذا نزل من السما ترك البصير أعمى لاننا
عند الصباح ماندرى على ماذا نقدم وماندرى كيف نلتقى هذه العساكر والامم فقال شيبوب وقد ضاق
صدره من ذلك وتألم ياملك مابقى الا الخير والسلامه الا انكم عند الصباح تلتقون هذه العساكر والقبائل
وتصبروا على هذا البلاء النازل لانها خلق كثير وأقيال وأبطالهم شجعان ولكن طاولوهم بالبراز ومدوهم
بالنزال وداوموهم واصبروا صبر الرجال الكرام واذا رأيتم عين البلا والغلبه والاذلال وقد أتى أحدكم
نجدة أخرى من غير هذه البلاد والاطلال وزاد عليكم العدد والجدال فالتجؤا الى هذه الجبال واصبروا على
الحرب والنزال حتى أعود أنا اليكم من بين هذه التلال بخبر صحيح وأكشف عن أمر أخى عنتر ومن معه من
الاصحاب الاجواد وآتيكم به أسرع من البرق اليمان يهتز على ظهر الحصان لاننى أنا أعلم انه اذا حضر
يكسر هذه العساكر والجنود ولو انها بعدد قوم عاد وثمود ولاسيما اذا كان معه أخوه مازن وصديقه مقرى
الوحش الليث الوثوب وآتى بهم الى هاهنا يوردوهم مورد الحمام وينزلوا عليهم نزول الموت الزؤام فقال له
الملك قيس بالله عليك ياشيبوب انك لاتبطئ علينا ولا تشتغل عنا فها قد نظرت مانحن فيه من سوء الحال
وكيف دارت بنا هذه المواكب والابطال فقال له شيبوب لاباس عليك ياملك الزمان فان شاء الله تعالى
الملك الديان أعود اليك سريع باخى عنتر ومن معه من الفرسان ثم ان شيبوب رجع من عندهم على
عقبيه يقطع البرارى والآكام وقد نظر الحرس الذى ابنى كلب وهم يقيمون فى حندس الظلام ولما نظروا
شيبوب طلبوه وهم على جياد الخيل فرق فى سواد الليل كانه الريح الهبوب وترك الفرسان من خلفه فى القفار
ولا لحقوا منه الا الغبار فقالوا لبعضهم البعض ماهذا انسان وماهو الامارد أو شيطان والا لو كان من بنى آدم لما
فعل هذه الفعال لانه قطع خيلنا من ورائه فى الصحصحان والتلال ﴿قال الراوى﴾ ولما سار شيبوب وعادوا
عنه تلك الفرسان فما عادوا الا وهم تعابى من شدة الكد وما قاسوا من السير خلفه ولما عادوا طلبوا
لانفسهم الراحة للمنام شفقة على الخيل الجياد حتى تعينهم فى الحرب والجلاد ﴿قال الراوى﴾ ولما أصبح
الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح واعتقلت الابطال بالرماح ولبست الصفاح وقد علا
من الفريقين الصياح حتى نزلت الشمس على الربا والبطاح ثم حملوا وحمل كل شجاع وصاح ونادت الاعدا
ما أبركه من صباح فما صرت ترى فى ذلك الوقت الادما قد ساح ورأسا من على جسد صاحبه طاح والفارس
ساريش من شدة الجراح وآخر على نفسه عدد وناح وآخر بمكنون سره باح وآخر طلب الحرب والكفاح
وآخر طلب الهرب والرواح ﴿قال الراوى﴾ فيالها من وقعة ما كان أشد نكالها وأعظم بلاها وأهوالها قد
قطعت فيها الرؤس وفيها اختطفت النفوس وحمل الفارس العبوس وولى الجبان المتعوس ورجع بالمذلة
والعكوس وقد عظم الويل والبؤس وحملت الجنود على الجنود ثم عاد الصلاح مفسود وعظم الامر وقطعت
المناكب والزنود وخرقت الاسنة المعاليق والكبود وقد أبصرت فرسان بنى عبس الوادى عليها مسدود
فقاتلت قتالا من عدم الوجود وعلم انه لاهله لايعود ومن شدة طمع العرب فى بنى عبس ونهب أموالهم
قصدتهم جميع الطوائف من كل جانب ومكان وجاءت الى قتالهم ومافى العرب الا وطلبوا انزالهم وحربهم
واذلالهم الا المقدمين على الابطال فانهم فى ذلك اليوم ما باشروا القتال والحرب والنزال بل انهم وقفوا تحت

الأعلام يتفرجون على القتال والصدام وهم فى نفر قليل من الفرسان وقد دارت ببنى عبس جميع الاقران
كما يدور الخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم وقد أخذوا على بنى عبس الطرقات وطلبوهم أهل اليمن بالقنا
والقواضب ومازالوا على مثل ذلك حتى قارب وقت الزوال وكادت الشمس تميل على قبة الفلك وقد قتل من قتل
وهلك من هلك وقد ملت بنو عبس من كثرة ضيق الحال وضرب السيوف الصقال وطعن الرماح العوال
وقد خمدت اصواتها وتحسرت على ديارها وربوتها وأوطانها وزهراتها وانقهرت بعد العز ليوثها وشجعانها
ورجالها وفرسانها وتعبت وانحطت بعد علو الشان وأبصرت الذل والهوان ورأوا بعد الزيادة النقصان
وعاينت شخص الموت عندها عيان وقاتل الملك قيس فى ذلك اليوم بنفسه حتى كلت يداه وأشرف على هلاكه
وفناه وقد وهن جسده وقل قواه وتصور له ان ملك الموت حاذاه والامير طلائع يقول لفرسانه وعشيرته أين
الملك حسان بن مسعود حتى ينظر بعينه الى أعدائه الذين قتلوا أباه فى هذا اليوم بين قواعطر وحين فى الفلاه
وقد نهبتهم الصوارم والقنا وهم يتجرعون كاسات الفنا وما كنت أريد الا انه يصل الى هاهنا قبل اذهاب
النهار حتى كان يشتفى فؤادى وفؤاده باخذ الثار وكشف العار من هؤلاء الاشرار أين عينك ياحسان ياابن
مسعود ياصاحب مياه عراعر والعساكر والجنود حتى ترى مايسرك ويزيل عن قلبك مايضرك
﴿قال الراوى﴾ فما استتم كلامه حتى انه رأى غبارا قد ثار حتى سد الاقطار وتمزق ذلك الغبار بعد ساعة وبان
من تحته ثلاثة فرسان ومن جملتهم فارس الحديد لابس ورمحه بين آذان الجواد وهو مندرج بالحديد والزرد
النضيد وهو كانه قلة من القلل أو قطعة من الجبل ﴿قال الراوى﴾ ولما نظر طلائع الى هذا الغبار والفوارس
القابلة قال ياقوم أظن انه هذه الفوارس المقبلة علينا من مياه عراعر وهى مثل العقبان وبين أيديهما رجل
كانه خشف غزال وفى يده رمح عال وعليه سنان وعلى السنان رأس انسان وهم مقبلون ولهم صياح فلما
نظر طلائع الى ذلك وحقق نظره فى تلك الفوارس المقبلين فرح فرحا مبين وقال ياالقحطان وحق ذمة
العرب هذا الملك حسان وهذه بوادر خيله طلعت وصوارمها لمعت ولكنى قد أنكرت هذا الفارس الاسود
وقدامه ذلك الرجل ومعه ذلك الرمح الذى عليه ذلك الرأس وأقول انها رأس بعض الاعداء من بنى عدنان
فلما ان سمع بنو كلب هذا الكلام من طلائع صار والكل فى اوهام فقام منهم شيخ يقال له مرقال وقال له
ياطلائع الى كم تعلل نفسك بالمحال وتتحدث بحديث الجهال وأنا صح عندى ان كلما تقوله زور ومحال
وبهتان فوذمة العرب ان هذه الثلاثة فوارس الذين قابلة علينا ماهى من خيل اليمن ولاهى من فرسان
تلك الدمن والدليل على ما أقوله لك أيها البطل المكرم ان هذه الفرسان طارقة من طوارق الزمن لانها
افترقت وقد طلب كل فارس منهم من الاعلام علم وقد استخفت الابطال الذين تحته والرجال وبعد ساعة ترى
الاعلام قد مالت وجماجم أصحابها عن الرقاب طارت لاننى أنا عرفت هذا الفارس الذى هو قابل علينا وهو
حاطم بالجواد وأقول انه فارس الحرب والجلاد وحية بطن الواد المسمى بعنتر بن شداد وهذه الفرسان رفقاؤه
فلما ان سمع طلائع من الشيخ ذلك الكلام فضحك منه وقد استقل عقله من رأسه والمدام قال فبينما هو
معه فى الكلام واذا بالفارس الذى كان طالبهم وصل اليهم وزعق عليهم زعقة تفلق الحجر أو تقلع الشجر ونادى
وقد هز العود الاسمر وقال يالئام الاجداد اعلموا اننى أنا فارس الحرب والجلاد ومصادم الابطال عند العناد
وحية بطن الواد وعبيد الفرسان الشداد عنتر بن شداد ثم انه طلب صاحب العلم وطعنه طعنة جبار فنفذ
الرمح من ظهره عشرة أشبار وشاله من على راسه وأرماه فصار يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه واستقبل
فارس آخر بركيز الرمح ففتق امعاءه وأعدمه الحياة فلما رأت الفرسان الى هذه الطعنة التى قتلت اثنين فى نوبة
واحدة فخافت على أرواحها من النقمة فتفرقوا من بين يديه مثل الغنم فلما رأى طلائع مقدم هذه العشائر الى
تلك الطعن والقتال الذى ماترده الدروع الثقال ما كان له الا انه لوى عنان الجواد وقد ولى مع الفرسان
والابطال وكان هو أول من انهزم لانه خاف من الهلاك والعدم وقال وحق رب الارباب ومعتق الرقاب
لقد أخطأ اليوم حذرى ولو كان عنتر عرف مكانى ما كنت انفلت ونفذت من جنانه وأما مقرى الوحش

ومازن فانهما فعلا فعالا أحسن من فعال عنتر لان كل واحد منهما حمل على صاحب علم وقد قتل المقدم الذى قتله وأباد كل من كان حوله من الفرسان والحشم ﴿قال الراوى﴾ ولما تنكست الاعلام فى مشارق الارض ومغاربها أخذ شيبوب الرمح الذى عليه الرأس وطلع بها الى أعلى الآكام وصار يصيح ويقول يا كلاب اليمن اطلبوا الهرب وخلوا نساءكم وأولادكم من قبل أن يجرى لكم مثل ما جرى لحسان بن مسعود والعساكر الذين له والجنود واعلموا ان هذه رأسه قد قطعها وقتله أخى عنتر بن شداد واليوم تنظرونه يخطف منكم الارواح من الاجساد ويسل علاتكم من الاكباد ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك هو ان عنتر لما سار هو وأخوه مازن ومقرى الوحش يطلبون أرض بنى كلب بن وبرة فى أثر بنى عبس فى البر الذى أعطاهم علامته شيبوب وكان وعدهم أن يوصل أم مازن ويلحقهم وقد اشتغل عنهم بحديثه وما جرى له مع مجيد وأمه وقد اتسع بر اليمن قدام عنتر ورفقاه فضلوا عن الطريق وطالت عليهم فانكروا ذلك وقال مقرى الوحش لعنتر يا أبا الفوارس ما نحن الا ضالين فى هذه القفار والصواب اننا نطلب الطريق الواضح ونسأل من الركاب عن بنى عمنا فما يخفى على كل السالكين والخطار الاخيار ونحن ما نخاف على أنفسنا الا اننا نطيق نقاتل كل قبيلة طلبت قتالنا ونفزع أيضا أن تكون بنو عبس مالهم به من طاقه ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه انعزل عن البر يطلب السلوك فالتقى بحسان وهو فى ألف وخمسمائة فارس سائرين الى بنى عبس فقالوا والله ان هذا جيش كامل العدد فتأهبوا للحرب ومنهم نأخذ الخبر لانهم من جملة أعدائنا ثم انه ركض بجواده الى نحو الجيش وحمل مازن ومقرى الوحش على أثره سائرين وكان حسان قد أبصرهم الآخر فقال لبعض فرسانه امض واسألهم عن حالهم فسار وقد أقبلوا على عنتر وقالوا له من تكونوا من العرب فقال عنتر اعلم يا وجه العرب اننا من البر الاسود من ناحية جبل الدخان جئنا نطلب المكسب والمعاش لاننا سمعنا ان بنى عبس فى أرض اليمن فى نفر قليل وان القبائل التى لهم عليهم الدما صارت تطالبهم باخذ الثار وكشف العار فقالت له الفرسان أبشروا واعلموا اننا نحن سائرون اليهم مع الملك حسان بن مسعود نطالبهم بما لنا عليهم من الدما والثار فرافقونا وابشروا بالغنى ونيل المنى ثم انهم بعد ذلك عادوا واعلموا مقدمهم وأخبروه بذلك وأما عنتر فانه لما عادت الفرسان قال لمقرى الوحش ومازن اعلموا ان قومنا قد تعدينا هم وأنا أعلم ان أخبارهم شاعت فى بلاد اليمن وان القبائل تقصدهم وهؤلاء أيضا سائرون اليهم والصواب اننا نقصد مقدم الجيش ونوريه اننا نسلم عليه ونطعنه واحد منا والآخر يطعن صاحب العلم والثالث منا يقتل واحدا من الذى بجانبه وبعد ذلك نزعق فى أجنابهم ونجتهد فى تفريقهم من قبل قدوم الليل ونعود الى بنى عبس من على هذه الطريق التى هم سائرون عليها فقال مازن اعلموا ان الصواب عندى اننا نحمل على القوم من غير سلام ولا كلام ونشتت شملهم قبل الظلام فقال عنتر صدقت يا أخى ولكن أخاف أن يهرب حسان اذا اشتغلنا بمن معه من الفرسان ويفوتنا هذا القرنان حسان ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم بعد ذلك حملوا وطلبوا حسان ولم يزالوا يركضوا الى أن صاروا بين يديه قبل قدوم الليل وتقدم عنتر له ليسلم عليه وعطى فى الرمح وطعنه فى فؤاده أرماه عن ظهر جواده ومازن طعن صاحب العلم بدأ أعلاه والتكم ومقرى الوحش طعن فارسه جعله على الارض بجملة الرمح فعند ذلك عرفتهم جميع الفرسان وصاحوا عليهم من كل جانب ومكان وطلبوهم بالسيوف الحداد والقنا والقواضب وعظمت عليهم المصائب وقل منهم السالم وكثر العاطب وقد طلع الغبار وعلا وأظلمت الدنيا من المشارق والمغارب واختلف الطعن والضرب وزاد البلا والكرب وعنتر ورفقاه تجول فى أقطار الجيش طولا وعرض وتسرعهم من على السروج الى وجه الارض والمهاد وأبصر عنتر من أخيه مازن ما شد به ظهره وأطربه لانه ما حمل على جمع الا وفرقه وفجأه ولا طعن فارسا الا ودحاه وأرماه الى ورائه وأما مقرى الوحش فقد عرفت شجاعته من قبل ذلك الوقت وكذلك فعاله بأرض الشام وكذلك عنتر زادت شجاعته صناديد العرب والعجم وما ولى ذلك النهار الا وقد ارتوت الارض من دماء القتلى وامتلأت الدنيا بالقتلى من طعنات أبطال لا تهاب الموت ولا تخشى الفوت وكان كل من سمع صوت عنتر وقد عرف قتاله يقول الى

رفيقه يا ابن العم ما لنا ومال هذا العبد الزنيم وما لنا أن نتدافع ما لا نطيق حتى نقع فى حلق المضيق وقد عرفنا ما جرى على سيدنا لما عاشق عبلة زوجة هذا العبد الاسود وجمعنا عليه الجموع ثم فرقها فى ليلة واحدة وأنا أعلم انه كان ههنا فى الكمين وأما قوله نحن قوم المكسب والمعاش حتى لا يهرب حسان ولا نقدر عليه والصواب اننا نهرب ما دمنا قادرين على الهرب ثم ولى وتبعه رفقاه وما ولى ذلك النهار وأقبل الظلام حتى قتل ستمائة همام وقد هرب الباقون كلهم وعنتر ورفقاه قد أبعد راعنهم وأخذوا الراحة ساعة من الليل وعادوا الى ظهور الخيل ﴿قال الراوى﴾ وفى تلك الساعة وصل اليهم شيبوب وما صدق أن يراهم سالمين ولما ان اجتمع بهم سألهم عن حالهم فحدثوه بما جرى لهم من الضيعان وقالوا له نحن سرنا فى الطريق التى أعطيتنا علامتها فطال علينا الامر فسرنا وقد عبرنا على بنى كلب بن وبرة وما عندنا خبر وظننا انك تعود علينا فى الاثر وتلحقنا سريع وما الذى أشغلك عنا فحدثهم بحديث أم مجيد وولدها وكيف لقاها ثم انه حكى لعنتر عن بنى عبس والملك قيس وما هم فيه من التعب والضيق وكيف هم فى حالة العدم فما دار حولهم من الخلائق والامم من أهل اليمن من سائر العرب ممن لهم على بنى عبس الثار فجاؤ وهم من كل فج عميق لاخذ الثار وكشف العار ﴿قال الراوى﴾ وأعلمه أيضا بأسر بنى زياد وحكى على قضية بنى عبس من أولها الى آخرها وعلى ما جرى على الدلال وكيف عملت العجوز حيلة وملكتهم الجميع وقال لهم عجلوا بالمسير فركبوا وهم لا يعقلون من خوفهم على الملك قيس واخوته وأعمامه وعشيرته وكان مازن قطع رأس حسان ووضعها على رأس السنان ففرح شيبوب بذلك وقال والله لو كان وصل هذا الشيطان الى بنى عمنا بهذا الجيش الذى كسرناه ما بقى أحد من بنى عبس وعدنان ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم جدوا فى المسير الى عبس ووصلوا اليهم ونصروهم كاذكرنا وهم بين تلك الخلائق والامم وسمعوا أصواتهم وهى خفيفة ولا تكاد أن تسمع فعندها صاح عنتر واحرباه عليكم يا بنى عبس ثم انه أبصر الاعلام من حولهم متفرقه فاتفق كل واحد منهم أن يقصد علما وجرى ما جرى واقتحموا واقسطل الغبار وطعنوا فيهم طعن من اشتد عليه الغضب على من تعدى وظلم وكانت بنو عبس تقاتل قتال الموت حتى سمعت زعقات مثل الرعد القاصف اذا دمدم أو الاسد الكاسر اذا زجروهم وأتاها بحسن طعنات أشد من وقع الحجر على القمم وصارت الفرسان التى حولها تلتفت وراءها وتنفر مثل نفير الغنم اذا رأت الذئب عليها هجم وقحم ودمدمت صيحات مازن ومقرى الوحش فبلعت بنو عبس أرياقها وكانت مثل الملسوع اذا شم رائحة الترياق فرفعت أصواتها من بعد ذلك الخوف وضجت واستغاثت بمن أنجى يونس من بطن الحوت وأطلع بخالقه قوت وهو الحى الذى لا يموت وهزت فى أكفها السيوف وسمر الاسل وعاد اليها النشاط بعد الكسل وبشر بعضهم البعض بوصول حاميتهم وأخلصوا فى القتال نيتهم وعنتر سطى بشجاعته على الاعداء سطوة جبار اذا اعتدى وفرق جمع القوم وعاد شملنا مبددا بعدما كان على بنى عبس مجتمعا ومشتدا وما علموا من أين أتاهم هذا البلا فخار عقلهم وانذهل الشيخ والفتى وبقى الفارس الشجاع مجندلا ومن سرجه مائلا وولى الجبان وما التفت وكان كل من خرج من تحت الغبار وأبصر علم قومه مال وانقلب ويرى شيبوبا واقفا على التل ورأس حسان معه على رأس السنان ويصيح مثل الغراب ويولى يطلب الهرب ولا يسأل عن السبب ﴿قال الراوى﴾ وكان للقوم يوم يؤرخ فى الكتب على ما جرى عليهم من العجائب وما أتى الليل بجيوش الغيهب حتى خف الجمع عن بنى عبس وانكشف وقد قتل من أجله قد اقترب وفاز من خلى وهرب فنجى من العطب واجتمعت طائفة بنى عبس وعنتر ونافيهم الامن فداه بالسمع والبصر وقد قال الملك قيس واذل العشيرة من بعدك يا ابن العم فانا اسأل الله أن لا يذيقنا فراقك ولا يبعد عنا شخصك ويديم اناعزك يا من تصلى على النبى ثم بكى قيس من شدة فرحته بالخلاص وبكوا لبكائه سادات القبائل ونظر عنتر حالهم مع اذلالهم وانكسارهم فعلم انهم لاقوا شدة عظيمة وأمورا غير مستقيمة ﴿قال الراوى﴾ ثم حدثهم بما جرى له مع حسان ابن الملك مسعود وكيف كان ضل عن الطريق وساقه الله تعالى الى هلاكه ثم انه قال لهم فى آخر الكلام والله يا بنى عمى ما دمت أنا فى الحياة ما يذل أحد منكم

ولا شق وان الاجل قد اقترب ودنى فما علينا اعتذار وبعد ذلك تقدم مازن الى قدام الملك قيس وترجل وقبل الارض وركابه وكان الملك قيس سمع حديثه من شيبوب فترحب به وشكره وأثنى عليه ونزلوا للراحه واضرموا النار وجلس مازن وعنتر ومقرى الوحش الى جانب الملك قيس ودارت بهم فرسان القبيلة وفرحوا بمازن وتعجبوا من حسن شبابه وفصاحة لسانه فعند ذلك قال عنتر لبنى عبس يا بنى عمى ناموا أنتم الليلة واملؤا عيونكم وانظر وانى غداة غد ما أفعل باعدائكم ثم انه قام من عندهم وتولى حرس القوم هو ومقرى الوحش وقر بهم القرار وانطفى ما بهم من النار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان لبنى عبس وعنتر وأما ما كان من طلائع فانه كان قد هرب من قدام عنتر لما صدم العلم وانكسر وما صدق بالنجاه وسار طالبا الى الحى والمضارب وما زال بين الخيام واقف وهو يشاهد الحرب حتى أقبل الظلام وأبصر فرسان عشيرته قد رجعوا وهم خاسرون والقبيلتين ولت بعد قتل أمرائها فانقطع ظهره وحار فى أمره واجتمعوا اليه وجوه القبيله عند المساء وهم خائفون على أموالهم والنسا وقالوا له أيها الملك أنت اليوم كنت بر المعمعه قائم فاخبرنا ما قد جرى وكم كانت النجدة التى وصلت الى بنى عبس حتى نكست هذه الاعلام وقتلت الامراء التى كانت تحتها اقيام فقال لهم والله يا بنى الاعمام ما وصل الينا أكثر من ثلاث فوارس من ناحية مياه عراعر ومعها رجل مثل الثعلب النافر وهو ينادى يا بنى كلب هذه رأس سيدكم حسان بن مسعود ثم ان كل واحد منهم حمل على علم وقتل الامير الذى تحته ودعسوا فيكم كما يدعس الذئب فى الغنم وسلمت أنا بعد ما عاينت الهلاك وعلى ان هذا الذى جرى علينا اليوم بشؤم المنام الذى أبصره طرفه سيد بنى الاشجع لانه قال رأيت كانى قتلت عنتر الاسود وحملت رأسه الى حسان وكان أجله قد اقترب على يديه وما أظن الا ان بنى عبس لما ان دخلوا فى طلبنا خافوا من فرسان مياه عراعر ان تأتى الى نصرتنا فسيروا أسودهم ومعه فارسان آخران الى هناك فقتلوا الفرسان وأفنوا الشجعان ثم قتلوا حسان ورجعوا الينا وفعلوا بنا هذه الفعال ولما سمع بنو كلب هذا المقال زادبهم الخوف والفزع ولا فيهم الا من حس ان ظهره قد انقطع وقالوا له أيها السيد اذا كانت هذه ثلاث فرسان قتلت حسان وفعلت هكذا بفرسان مياه عراعر فكيف نحن نقدر نثبت بين أيديهم ونقف قدامهم اذا اشتد القتال وحق اللات والعزى لو كانوا وصلوا الينا من أول النهار ما كان أمسى منا أحد فى الديار والصواب أننا ننقل الحريم الى الجبال ونحترز على أنفسنا قبل الصباح وعلى العيال والمال والا افتضحنا فى غد فضيحة الى الابد ويبددنا هذا العفريت الاسود وانا نريد من قبل الشروع فى هذا الامر ننفذ العبيد الى سائر قبائل اليمن ونقول لهم بادروا الينا والا خربت ديارنا وقلعت آثارنا فقال طلائع يا بنى عمى والله ما هذا منكم الا أمل بعيد وأنا أعلم اننا ما نقدر نحمى نفوسنا الان بجيشنا من يحمينا لان العرب الغريبه منكم قد جرى عليها ما جرى والقبائل المتفرقه فى أقطار البيدا جميعها أصعب ما يرى لان العبد ركبنا والبعد عنهم عنا واذا هم لحقونا ما ينالوا من الاعدا منال ولا بقى فى الامر الا شئ واحد وهو الذى يزيل عنا العناد والاوابد وذلك اننا ندخل على هؤلاء الاسارى الذين هم عندنا ونطلب منهم كلهم الذمام على أنفسنا وعلى أموالنا وحريمنا ونخلع عليهم ونطلق لهم سبيلهم لعلهم يرحلوا عنا بهذه الاسود وينصلح هذا الامر الذى كان قد انفسد لان عندنا منهم أوفى من سبعين رجلا أسارى وما يخفى انهم من سادات عبس الكبرى وان قولهم عند قومهم مقبول فيما بينهم يجرى فلما سمع القوم كلامه علموا انه صواب وانه أصوب من رأيهم فاطاعوه وما خالفوه وقد قالوا له افعل ما بدا لك واعلم اننا لا نخالف مقالك ففى عاجل الحال أمر باحضار الربيع وأخيه عمارة السقيع الذقن الرقيع وهم فى حالة الذل والانكاد ومعهم بقية الامراء الذين قد مناذ كرهم وأسرتهم العجوز بالخبث وفيهم من كان أسر فى هذا اليوم ولما ان حضروا قال لهم طلائع اعلموا انكم كنتم أنتم وقومكم بلا اختلاف قد أشرفتم على التلاف والآن قد فرج الله عنكم بقدوم حاميتكم عنتر الذى لا يحمد بفعاله معكم ولا يشكر وقد فرق عنكم هذه القبائل التى جمعناها وبدد شملها وقتل أمراءها ونحن أصبحنا فى هذه الليلة خاسرين بعد ما كنا عليكم رابحين واهلنا فزعوا على النساء والبنات والاولاد وقد أشاروا علينا بهلاككم أجمعين

وكانوا قالوا الى خذنا من هؤلاء الاسارى بالثار وبعد ذلك نحصن حريمنا فى الجبال ونرحل ونخلى لهم هذه الديار وبعد ذلك ننفذ العبيد الى سائر العربان والقبائل والحلل ونجمع عليهم من السهل والجبل ونفنيهم بكثرة العدد وتزايد المدد فقلت لهم هذا ما أطاوعكم عليه ولا أكون لكم فيه مطاوع لان اكثر هؤلاء الاسارى ما أخذناهم فى الحرب وما أخذناهم الا بالحيلة والخداع وان قتلناهم ظلما عادت عاقبة ظلمنا وبغينا علينا وربما يكون بظلمهم تصل الاذيه الينا والصواب انا نحضرهم ونطلب منهم الذمام والاصلاح فان فعلوا ذلك والا بذلنا فيهم شفار الصفاح وأطلعنا بعد ذلك الوقت الحريم الى الجبال قبل الصباح واعلموا انى قد أحضرتكم من أجل هذه الاسباب وقد قرأت لكم هذا الكتاب فان أحسنتم الجواب وقلتم بيننا وبينكم العتاب والا ضربنا منكم الرقاب وأرضى أنفسنا من هذا العذاب لان الجارية التى قد اتيتم لاجلها فى هذه البلاد قد هربت هى وولدها وكان مولاها قد سار خلفها ليردها الى هاهنا فالتقاه بعض أصحابكم وخلصها منه وقتله وهذا الامر قد حدثنا به بعض أسراكم واليوم هذا قد سمعناه من رجالكم وانكم ما بقى لكم عندنا طلب لانكم قضيتم من حاجتكم الارب ونريد منكم الانصاف ان كنتم كما زعمتم انكم سادات أشراف وان لم تفعلوا والا سقينا كم شراب التلاف ﴿قال الراوى﴾ ولما سمع الربيع واخوته ذلك الكلام وما أبداه لهم طلائع من المرام قالوا له أيها الامير ما يحتاج الى هذا الكلام فنحن علينا ما طلبت من الذمام ونوفى لك الانعام وهذه أيدينا لك عنا وعن أصحابنا بالامان والذمام على جميع ما تريد من قبيلتك وعلى أموالها والحطام ثم قال الربيع واعلم انى أنا شيخ بنى عبس وكبيرها ومدبرها ومشيرها وهذه يدى لك بالوفا وانى أرحل عنكم سائر قومى وأنتم تكونون على صفا ثم انه عاهدهم على ذلك وأعطاهم الذمام وانصلح الامر بينهما واستقام وقال الحارث ابن الملك زهير وحق الملك المتعال لا نصح بيننا صلح الا بطلائع غادر الاسلال لان ما فى المروءة اننا نغضى ونخليه فى الاعتقال ولا بد اننا نجازيه على فعاله بالاحسان ثم طلبه من طلائع فاحضره وبحضوره انتظم الامر بالاصلاح وطابت القلوب بعد ما كانت متيقنة بعدم الفلاح وعمارة يقول وحق الملك الفتاح ان ضرب الرقاب أهون من خلاصنا بهيبة هذا العبد المرتاب ولكن ما يقدر أحد يعارض رب السموات فقال له أخوه الربيع اخرس يا عماره الله يخيب أصلك من دون الاماره ولا تتكلم فتندم فوحق الذى خلق وقدر لولا أن قدم علينا فى هذا اليوم عنتر ما كان أمسى من فرسان القبيلة من يخبر بخبر ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك خلع عليهم طلائع الابراد اليمانيه والعمائم الخز الكوفيه والابريسميه وأركبهم على الخيول العربيه وقلدهم بالسيوف الهنديه واعقلهم بالرماح الخطيه وأنفذ معهم للملك قيس هديه سنيه وسيرهم الى قومهم فى موكب كبير كلهم بالمناطق المذهبة والثياب الحرير وكان عنتر ركب أبجره عند الصباح وزعق فى طائفة بنى عبس وصاح وزحف يطلب الحرب والكفاح ومن حوله الابطال وهم غائصون فى العدد والسلاح وقد أقبلوا يطلبون الاعداء بنيات صحاح وركب الملك قيس بقلب ملآن سرورا وأفراح بالنصر على الاعداء وتلك العرب الاوقاح والرايات على رأسه تخفق بها الارياح وعنتر ومقرى الوحش ومازن ينادون الا ما أبركه من صباح وعلم النصر عليهم قد لاح ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم يتشاورون على الحرب والكفاح واذا هم بالجماعة الذين كانوا أسارى أقبلوا وأقاموا الصياح والربيع وعمارة أقبلوا راكبين على الجرد القداح وعلى رؤسهم العمائم الملاح ولابسين الثياب والابراد كأنهم تزينوا للمواسم والاعياد ولما ان رأت بنو عبس زينتهم التى عليهم تمهلوا عن الحمله وصبروا حتى وصلوا اليهم فداروا بهم من كل جانب وسألوهم عما جرى لهم فاوضحوا لهم الخبر بما جرى وكان وتقدم الربيع بكره ودهاه الى عند أبى الفوارس عنتر واعتنقه وقبل صدره وحمده وأثنى عليه وله شكر وقال له يا ابن العم لا زالت هيبتك تذل أعناق الاعدا ولا برحنا بسيفك منصورين على سكان البيدا والآن بسعادتك قد سيبت لنا الاطلاق ومن أجل شجاعتك تخلصنا

من الوثاق ثم أنشد الربيع يمدح عنتر يقول صلوا على طه الرسول

أبا الفوارس ياذا الجود والكرم * يامعدن الفضل والاحسان والهمم
تعطى وتغنى لمن وافاك مرتجيا * وتكشف الضير يوم الروع مبتسم
أوليتنا نعما ماعشت اذكرها * مشهورة عند كل الخلق والامم
كشفت عنا العدا لما أحطن بنا * ولم تزل كاشفا عنا يد النقم
فلا تؤاخذنا بالجهل من رجل * منا واسمح لنا بالجود والذمم
لازلت أذكر ما أوليت من كرم * بين الانام فقد أصبحت كالعلم
وأنت أبذل خلق الله كلهم * بالجود والخير والاحسان والنعم
وقاك ربك ماتخشى وتحذره * ياأوحد الناس من عرب ومن عجم

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الربيع من شعره شكره عنتر وتبسم وتعجب من خبائثه المخفيه فى طى المدح الذى له نظم فقال له والله ياربيع لقد أقررت أعين هؤلاء الكلابين وقد قطعتنا عما كنا عليه عازمين ولو كنت صبرت على فعالهم ورميت عن قلبك مقالهم كنت أغنيتك من أموالهم فقال الربيع وحياتك ياابن العم مافعلت هذه الاسباب الا ورأيت فعلها صواب من وجوه عديده الاول خلاصنا مما كنا فيه من الشدة والوثاق والثانى فزعا عليكم ائلا تبلوا بشئ لم يكن لنا فى حساب وتعجزون عنه لان القوم أرادوا يحصنوا حريمهم فى الخبا ويدبروا أنفسهم فى شئ لابد لهم منه وذلك أنهم أرادوا أن ينفذوا عبيدهم الى سائر قبائل اليمن ويستعينوا بهم على مانزل بهم من طوارق المحن والوجه الثالث انى سمعت ان أخاك شيبوب خلاص أم مجيد وولدها مما كانوا فيه من الكروب وتركهم فى أواخر الشعاب بلا محامى ولا معين فخفت أن يتفق لهم من يأخذهم ويسير بهم الى مكان آخر ولم نعرفه فنعود خائبين فقال له عنتر ماقصرت فيما نظرت واننا نطيعك فيما به علينا أشرت ثم انهم عدلوا الى الملك قيس وأخبروه بما اتفقوا عليه من الخبر فعند ذلك اتفق الجميع على اجازة ذمام الربيع وفرحوا بالقرب العودة الى ديارهم سريع وعاد فرسان بنى عبس الى الراحة ذلك اليوم وأنفذوا الى طلائع بها موه مع فرسانه انهم قد أجازوا له الذمام وانهم فى غداة غد عنه راحلين بسلام ثم ان الملك قيس أمرهم بالرحيل فى اليوم الثانى فهدوا وشدوا وطلبوا ديارهم وساروا وهم طالبون البر الاقفر وهم فرحون بما نالوا من الظفر على يد أبى الفوارس عنتر وعمارة كادت مرارته تنفطر وهو يود لو أنه قتل ومات وانقبر ولا كان خلاصهم على يد عنتر وأما عنتر فانه قد طالت عليه مدة السفر وأقلقه الشوق الى الديار وكثرة السهر فتذكر ماجرى له فى هذه السفرة من الخطر فجال الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فانشد يقول صلوا على طه الرسول

يادار عبلة قد حييت من طلل * وزل عنك الشقا والبؤس والملل
ياراحلين وقلبى فى ربوعهم * وليس ينقل أظعانا لمن رحلا
سقيت ياعلم السعدى غادية * من الهواطل تروى السهل والجبلا
ياعبل يهنيك جمع الشمل مع بطل * اذا انتضى سيفه لاينفع الاجلا
ياعبل قد شاب رأسى فى الحروب ولم * أخش الفوارس اذا نقع الغبار علا
وقد لقيت بنى عبس بجيشهم * هرج الجوارح فى القيعان والجبلا
لاقيت حسان والفرسان تتبعه * مسربلين ببيض الهند والاسلا
من كل أشرس لايخشى النزال ولا * يرعى الذمام الى من نحوه عدلا
تجرى به سابقات الخيل فى لجج * من الغبار ولايسترعى البطلا
طعنته فانثنى فى الترب منجدلا * من السنان وقد أوفى به الاجلا
وملت نحو جيوش القوم مبتدرا * تحت العجاج أجدا الطعن بالاسلا



ونلت سؤالى وماقد كنت أطلبه * من سيد القوم لاأستعكف العملا
وعدت أقطع سهل الارض من شفق * على بنى عبس قوم سادة فضلا
وأفيت أرض بنى كلب أطالبهم * بما جرى منهم والقلب فى وجلا
مزقت شجعانهم من بعد ما اقتتلت * ملوكها ففروا فى السهل والجبلا
أتيت فى الحال لما سرت نحوهمو * بقرى الوحش نعم الفارس البطلا
غدير باعث لاحييت من طلل * لاقيت فيك أمورا لها مثلا
وذوالخمار أسرنى فى نكادته * وعاد خائبا لما أتقن العملا
وافاه شيبوب سؤلى ثم خلصنى * من الشداد وأنقذنى من العللا
ياعبل هل لاسألتى الخيل عن عملى * وقت المجال اذا نقع الغبار علا
لقد عركت صروف الدهر أجمعها * حتى عرفت أجل القول والعملا
ياآل عدنان ان الدهر ذو غير * لم يصف يوما ولايحلو لمن عدلا
وكل من عرفت بالذل همته * فليس ينفع فى قول ولا عملا
ونجم سعدى على كيوان منصبه * والفرقدان يوافيه الى زحلا

﴿قال نجد﴾ ولما سمعت بنو عبس السادات من عنتر هذه الاشارات والابيات فطربت من تلك المقالات فقال الملك قيس أحسنت ياأبا الفوارس فى هذه العبارات فلا أخلى الله منك الجمايات يافارس الهيجات ما أحلى كلامك وما أحد حسامك وما أثبت جنانك وما أمضى سنانك فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه والربيع سائر الى جانب عنتر وهو يهنيه بالنصر والظفر ويهنيه باخيه مازن ومازال شيبوب سائر اقدام الجيش الى ان وصلوا الى الشعاب ثم شارفوا تلك الارض والهضاب ولما ساروا وقربوا من الشعاب سبقهم شيبوب الى الكهف الذى ترك فيه مجيدا وأمه وبدر بن شكر وأما بدر فانه كان لما ان وصل الى ذلك المكان بالسلامه فنذر ان زال عنه همه وغمه جزاهم أجمعين بما يقدر عليه فبينما هو فى ذلك الكلام واذا بشيبوب دخل عليهم فوجدهم سالمين وكانوا افتقدوه وهم منتظرين فبشرهم بسلامة الفرسان القادمين وأخرجهم الى لقاء الملك قيس وبنى عبس فتقدم مجيد الى عمه وقد اطمأنت منه النفس فحين رآه الملك قيس وبنو عبس تذكر أخاه مالك فبكى وأبكى كل من كان حاضر ودار بينهم الوجد والاشتكا ثم انه أخذه وضمه الى صدره وفعلت سادات بنى عبس مثل مافعل اجلالا له ولقدره وقد أمعنوا النظر فى صورته فرأوه يشبه أبيه الامير مالك وخلقته وخيل لهم ان مالك عاد الى الحياة ففرح به كل من رآه وأما عنتر فانه أخذه وضمه الى صدره وبكى حتى كاد أن يغشى عليه وصار كلما قبله انهمل دمعه من أماقى عينيه الى أن بل الثرى ولما فرغ عنتر من تقبيل مجيد دعا له بكسوة فاخرة وفى عاجل الحال غير ما عليه من الملبوس وقد ارتاحت برؤيته النفوس وصار كانه من أولاد الملوك وقد أراح واستراح وصار عند أهله عزيزا مكرم مجمل بعدما كان عند من لم يعرف قدره ولا مقداره فسبحان الاله العزيز الجبار المتكبر الذى يفعل فى خلقه مايشاء ويختار وأيضا أكرموا أمه وأفاضوا عليها من أحسن الملبوس وصارت بينهم جليلة المقدار وشكروا بدر بن شكر وجازوه على فعله وأقام الملك قيس فى تلك الليلة وتمام ذلك اليوم ولما كان من الغد ركب القوم وساروا طالبين الارض والبلاد وعنتر أركب مجيدا على جواد من خيار جنائبه وانتشرت على رأسه الرايات وهو يهنى أهله وأقاربه وتمثل عنتر بخدمته والشفقة عليه وصار لا يشبع من رؤيته ولا من النظر اليه ومن شدة فرحه به قال لعمه الملك قيس انى أشتهى منك أيها الملك أن تبلغنى مرامى وتدعنى أترك مولاى مجيد عندى وان أجعل خيامه الى جانب خيامى لانك تعلم انى مارزقت ولدا طول عمرى فانى أشتهى ان أجعله بمنزلة ولدى وأحكمه فى كل نهيى وأمرى ويقوم مقامى وجميع ماتحتوى عليه يدى لعلى ان أكافئ أباه مالك بعد وفاته على بعض ما أولانى به من الجميل فى حال حياته فقال له الملك قيس قد أجبتك ياأبا الفوارس الى ماطلبت لاننا كلنا

بسيفك وبك نستعز على كل من فى الدنيا وقد أعطيتك كما أردت ومارضيت ثم ركبوا وجدوا فى السير ليلا ونهار الى أن قاربوا من المنازل والديار فعندها سبق شيبوب الى الحلة فى زى بشير فسار وقد جد فى المسير والتقى المقيمون بالقادمين وقد حدثوا بعضهم بما جرى لهم فى بلاد اليمن من الامور والاسباب وما لقوا من الحروب فى تلك المدة التى هم فيها غياب فعندها ركب عروة بن الورد فى رجاله الاجواد وركبت فرسان بنى قراد وفى أوائلهم أبو عنتر شداد وكان شداد اشتاق الى رؤية ولده مازن لان أمه كانت حدثته بحديثه لما أوصلها شيبوب اليه فى تلك الاماكن وأعطته السلام من غير تهاون حتى انه فضلها على زوجته سمية وصار يستفيد منها الحديث على جليته ثم يسألها كيف انه نشأ فى قومه ويتلذذ بقصته ويشتاق الى رؤيته حتى أتى شيبوب الى المضارب فى زى بشير وعلمت به أهل القبيلة وصارت الفرسان الى لقائهم والتقاهم الملك قيس وأحسن ملتقاهم وما بقى أحد الا قدم وعانق مجيدا وقبله وعظم قدره لاجل أبيه ﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك أقبلوا الى مازن ودنوا منه وسلموا عليه وعانقوه وشالوه شيل ونظره أبوه شداد فاشتد به ظهره وأعجبه حسن صورته فعظم عنده قدره وعانقه وقبله وعاد الجميع وهم فرحى بزيادة العدد ومستبشرين بزيادة المدد ولما قاربوا المضارب والخيام وذلك المكان خرجت النساء والاماء والمولدات وفى أيديهم قطع الخلوف والزعفران وقد رفعن أصواتهن كلهن بالصياح والافراح فارتج البر من عطرهن وفاح وان عبلة تقدمت الى أم مجيد وأخذت زمام ناقتها الى أبياتها واجتمعت أهل الحلة بساداتها والفرسان ودخلت الى خيامها واجتمعت بنسائها وأحبابها وكان لهم يوم أحسن من أيام الاعياد لاجل عودتهم من سفرتهم وبلوغهم المراد وفى عاجل الحال أمر عنتر عبيده فضربوا لمجيد قبابا من الديباج المدثر المطرز بالذهب الاحمر وقدمت له المقدمة الخيول المسومة ومن الغد أتى اليهم بنو غطفان واجتمعوا بتلك الاماكن وصار واليهنون القبيلة بظهور مجيد ومازن وقد عملوا لهم الولائم والدعوات ونهبوا معهم أوقات المسرات ولما تمت الامور والتهنئة وأيام السرور وانتهت جمع عنتر العبيد الذين له والرعيان الذين للمواشى وقال لهم أنتم وكل ما فى أيديكم من النوق والجمل لمولاى مجيد بن مالك يتصرف فيكم وفيهم كما يتصرف فى الملوك المالك فاجابوه بالسمع والطاعة وقالوا له نحن نفعل كما تريد ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر فى كل صباح يدخل الى مضرب مجيد يتفقده ويطل عليه ثم انه يتحدث معه ويقبله بين عينيه ويقدم له الجواد ويركبه ويسير هو واياه الى الصيد والقنص ويشق به على المناهل والغدران ويفرجه على كل ما كان ويبارز بين يديه الفرسان ويطلعه على بواطن الضرب والطعان وأهل الحى يتعجبون من مروءته وحسن جميل فعاله مع مجيد ومودته وكان مجيد كامل الصورة زائد الجمال فحياه أهل القبيلة النساء منهم والرجال وكان كل بيت عبر اليه تخرج اليه البنات والنساء ويدورون من حواليه من سائر الجهات ويسرحن له ناصيته ويطيبن له ثيابه ويحملنه ويكثرن فى اهابه ولم يزل له بهذه الفعال حتى زاد به العجب والدلال وقد صار يكثر حديثه مع البنات والاكابر ويجلس معهن الليل والنهار ويتناشدن الاشعار ويطارحن الاخبار وعنتر يعلم بذلك ولا يعتبه بل يطلب بذلك فصاحته وتهذيبه لانه فى مذهب العرب وسيرهم ان الصبى اذا خالط النساء والبنات وسمع حديثهن اشتد خاطره وقوى جنانه وانطلق بالشعر لسانه وكان عنتر اذا سمع عنه ذلك يعرض عنه ويقول دعه يفعل ما يحب ويختار ومجيد يلتذ مع البنات ثم انه يعمل لهم الدعوات والليالى تمضى عليه والاوقات الى أن توصلت منه الاوصال ومازج طباعه طباع الرجال فصار يقسم الزمان باللذات والاغتنام ويغتنم الاوقات والايام فيكون يوما مع بنات الحى فى انتهاز الفرص ويوما يكون مع زهير ابن الملك قيس عمه فى عز واكرام ويوما يكون مع سبيع اليمن بن مقرى الوحش يشرب هو واياه المدام ويخرج مع البنات والنساء الى المروج ويتفرجن على الروابى وقد اعتاد بينهم على الدخول والخروج ﴿قال الراوى﴾ وان الملك قيس قد اتفق له فى بعض الايام انه ركب وصار يدور على المنازل والغدران واوسع فى أراضيه ودار على مراعيه بين تلك الربى والآكام فرآها مخضبة النبات وهى مخضرة الجنبات ريانة المياه الجاريات فشكر على ذلك رب الارض والسموات وبعد ذلك

أوسع فى طلب الصيد فرأى ركبانا سائرة وظعنا عابرا الى تلك الارض والبيداء فاقبل على بعض بنى عمه وقال له يا نائل اعترض هذا الظعن القابل واسألهم عن حالهم والى أين هم سائرون باموالهم وعيالهم ومن أين هم مقبلين فعندها أطلق نائل عنان جواده وركض حتى انه قارب القوم فى وسط ذلك الوادى فلما ان رآه القوم وهو طالبهم وهو فى كدوارتياب وأبصروا رايه الملك قيس والعقاب فقال بعضهم لبعض هذا الملك قيس سيد بنى عبس وعدنان وهذا رسوله أتى الينا يسألنا عن قدومنا الى هذه الديار والصواب اننا نلتقيه ونسمع كلامه وان اتفق الامر نزلنا الى هذه الارض تحت زمامه ثم خرج من بينهم شيخهم والمشار اليه فيهم وحوله جماعة من أكابرهم وساروا الى أن التقوا بنائل فحياهم وسلم عليهم وقال لهم من تكونوا من قبائل العرب لان القوم الكرام تحب أن تنتسب فقال له الشيخ يا وجه العرب نحن من بنى بشر بن جهينة بن فتيان وقد أتينا من ديارنا الى هذا المكان نطلب الضيافة والامان من هذا الملك العظيم الشان سيد بنى عبس وعدنان لاننا قوم قد قصدنا الزمان وأمحلت بلادنا أى محال وقل حظنا من الاصدقاء والاقارب والخلان وبلينا بكثرة الاعداء وأضر بنا المحل والحرمان فلما سمع نائل منهم ذلك القول رق قلبه لهم ولان فقال لهم ابشروا ببلوغ الآمال ونيل الامان وسعة الدار والمساعى والرى وكثرة المراعى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان نائل بعد ذلك عاد الى الملك قيس وأعلمه بذلك الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وله شكر وقال الحمد لله الذى جعل بلادنا أخصب البلاد وأوقع هيبتنا فى قلوب العباد ثم انه قال لنائل عد اليهم وادع شيخهم الى عندى حتى انى أسمع منه ما يقول وأعرف ما يعيد وما يبدى فعاد اليهم نائل وقال لهم يا وجوه العرب الكرام قولوا لشيخكم يأتى الى الملك قيس ويطلب منه الزمام لانه طالب أن يكرمه غاية الاكرام فعند ذلك خرج الشيخ وقد فرح ببلوغ المرام وكان ذلك الشيخ اسمه وضاح المحيا وكان طيب الكلام فاخذ معه جماعة من وجوه قبيلته وأكابر قومه وعشيرته وقد ساق بين يديه قطعة من النياق والجمال والمهارى والخيل العتاق وسار حتى انه وصل الى عند الملك قيس وترجل وترجلت بنو عمه وتقدم بين أيديهم وقبلوا الارض بعدما حيوا بالسلام فرد عليهم الملك قيس السلام بالتحية والاكرام فعندها قال الشيخ أيها الملك الهمام والاسد الضرغام هل فى دياركم مربع وفى جاركم مطمع فقال له الملك قيس والله يا وجه العرب ابشر ببلوغ الآمال ونيل الارب وحسن الجيران والرحب والسعة والكرامة وطيبة الماء والمراعى والذمام من كل ما على وجه الارض ثم ان الملك قيس أخذهم وسار بهم الى خيامه وأوعدهم بكل جميل وأشملهم بالخير الزائد وأدخلهم كما أرادوا تحت ذمامه وأنزلهم فى أرض واسعة ومراعى مخصبة يانعة ومياهها دافقة وطيورها ناطقة وهى دار فرجة وأرض بهجة وقال لهم يا قوم اضربوا خيامكم فى هذا المكان حتى تكونوا لنا جيران ونتخذكم لنا مسعفين وأعوان فعندها نزلوا فى تلك المكان وفعلوا ما أمرهم وما فيهم الا من فرح واستبشر وحمد الملك قيس وله شكر وطاب لهم المقام والمستقر وساروا فى كل يوم يأتوا الى خدمة الملك قيس فى جملة من حضر وكذلك من أجل السلام على أبى الفوارس عنتر وساروا يأكلون معهم الطعام ويشربون مع بعضهم المدام وكانوا يفعلون ذلك مساء وصباح وقد قامت بينهم الافراح ﴿قال الراوى﴾ وكان هناك غدير ماؤه نسرح والى جانبه شجرات أثل تلقح ومن دونها مرج واسع ومتسع أفيح فكانت النساء يجتمعون فيه والبنات والصبيان وبنات بنى بشر وبنات بنى عبس وكانوا يتحادثن ويلعبن مع بعضهما البعض على الغدير وبعد ذلك يرجعن الى الابيات وهم فراحى مسرورات وكان مجيد يأتى اليهن ويلعب معهن فى أكثر الاوقات ويتناشدن الاشعار ويحكين الحكايات وما فى البنات الا من تطيبه من طيبها وتناديه وهو بينهن فى لعب وانشراح ﴿قال الراوى﴾ وكان لسيد بنى بشر بنت يقال لها أسما وهى أحسن من الشمس والقمر وأبهى وكانت تروى عن العرب أخبارها وتنشد أشعارها وكانت تسبى العقول بجمالها وآدابها وقد سمعت ما جرى لبنات عمها من بنات بنى عبس على الغدير وما يجرى لهم مع مجيد بن مالك ثم يتعايدن ما سمعته من فصاحته ومقالته فعند ذلك لما سمعت أسماء منهن ذلك الكلام فى حق مجيد فاشتاقت الى نظره والى الامتحان معه فى الشعر وتختبره فقالت لبعض الاموات ويلك انى أرى

فى كل يوم يخرجن البنات الى الغدير ويتفرجن هم ومن يأتى من النساء وبنات العبسين السادات ويتحدثن بمجيد بن أخى الملك قيس وله يصفون ويذكرون عنه أنه يقول الشعر الموزون وقد زعمت ان فيه آداب وفنون وانى كما تعلمون أغار على ألفاظ العرب التى يلفظ بها من هو غير مستحقها ويغير منها ألفاظها والادب وانى فى غداة غد اخرج الى الغدير مع البنات وأتفرج معهن ثم انها بعد ذلك استأذنت امها فى الخروج الى الغدير مع بنات عمها فاستأذنت لها أبيها فاذن لها فارسلت الى أترابها واعلمتهن أن يأتين عند الصباح الى عندها ويأخذونها معهم الى الغدير فاجابوها الى ذلك القول ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قامت أسما من منامها ولبست أفخر ثيابها وعملت الاكاليل على جبينها ثم انها تطيبت واشتملت بملاية مقامها وخرجت مع بنات عمها وسارت وهى بينهن كانها القمر المنير اذا صحا فى ليالى الشتا والبنات من حواليها كانهن النجوم الزاهرات ولما وصلت الى الغدير فتمشين بجنبه وتفرجن على زهره ونباته فما كانت الا ساعة حتى اتت البنات العبسيات وأقبلت من أطراف المضارب مثل الظبا السارحات واجتمعن مع البنات الشريات وقد رأين الى أسما وهى فى جملتهن وهى بحسنها اتمها فتعجبت من حسن قدها وتوريد خدها فعلمن انها بنت سيد العشيرة وقد لحقهن من اشراق وجهها الانبهات والحيرة فترحبن بها وسلمن عليها وما فيهن الا من ضمتها الى صدرها وكشفت برقعها وقبلتها فى ثغرها وقد قلن لها والله لقد أشرقت منازلنا بنور وجهك يا أسما لان رب السما قد أعطاك من الحسن والجمال أوفر قسما فقالت لهن والله انى لم أحببت قط الخروج من الخبا ولا ارتاح قلبى الى نظر ربيع والاماء ولا اشتهيت أن أخرج الى البطاح والآكام وانما كان خروجى لما سمعت بنات عمى يتواصفن ما فيكن من المزاح وما يتم بينكن من المسرة والافراح فاشتهيت الخروج معهن الى هذا المكان والفرجة على هذا الغدران وسمعت أيضا ان لكن غلام وهو من أولاد ساداتكن يألف الحديث معكن والجلوس بينكن وينظم من الشعر أبيات ثم يتكلم على ما قالوه أهل العبارات ويدعى بتعجبه أكثر مما فيه وأنا والله أغار على كلام العرب اذا تغير وانفسد وخالطه كلام من لا يدرى قول ولا عذر وقامت هذه الاشياء فيها ما يضر وما يسر لان كلام العبد ما يقاس بكلام الحر وما ادعيت بذلك علما ولا فهما لكن الله تعالى جعل هذه الاشياء بخاطرى قسما واشتهيت أن أجتمع مع هذا الغلام وأمتحنه فى شئ من الشعر والنظام وأنظر ما أعطى من كرم الطباع وأنظر ان كان نظر العين يغنى عن السماع وان يكن اليوم على يخشى يأبى الحضور ويعيقه على أمر من الامور ﴿قال الراوى﴾ ولما أن سمعت البنات العبسيات هذا المقال السالم من العيوب ارتحن اليه بالانفس والقلوب ثم قالت لها احداهن والله لقد حظينا من جمالك بالمعانى ونلنا برؤيتك فى هذا اليوم الامانى وأما مجيد فهذه أوقات حضوره واعلمى ان ما له شئ يعيقه فى أموره وان اتفق انفذنا خلفه بعض الاموات ونحضره اليك حتى اننا نتفرج على ما يتم بينكم فى هذه الخلوات فوحق اللات والعزى ما بقى لنا صبر عن سماع كلامك ولا تفرغ قلوبنا اذا لم تهب علينا نسيم أنفاسك أما تقوليه على البداية وأما مضى تحكونى قبل ذلك اليوم ذكرتيه فتبسمت عند ذلك أسما وقالت أما هذا شئ مضى فما يحتاج أن يعاد ويذكر غير انكم تطلبوا شئ على البداية لم يكن قيل فى غير هذا المحضر فقالت لها المتكلمة صدقت وأنا قد أقسمت عليك بأبيك وحياته اذكرى لنا هذا الغدير وحسن نباته وفرجتنا ومشينا على جنباته وأوصفى فيه قدنا وخدودنا وعقودنا ونهودنا وملبوسنا ويكون هذا اليوم على وجهك المليح وطيبة عيشنا بك فى هذه الايام فلما سمعت أسما ذلك الكلام ازدادت تبسمها وأعجبها الكلام فعندها أنشدت وجال الشعر على خاطرها وأنشدت بحماسة تقول

هن تحكى الزهور حول الغدير * وغصون تميس مثل البدور * ورياض له اذا الروض ولى
وشكى نبته سموم الهجير * وكذا أرضه قد أضحت تحاكى * جنة عقد فقده المنثور
كان عذبا ونحن زدناه شهدا * برضاب مبرد فى الثغور * ونثرنا وردا لخدود عليه

وعقدنا قلائد فى النحور * وفضحنا ميل الغصون بلين * زائد فى بدونا المحصور
يا لقومى قد هدنى ثقل ردفى * وبياض منقط بالعبير
وشغلنى جمالكن عن الشعر * ثم عذرى قد بان فى التقصير

﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمعت البنات منها هذه الابيات طربت لها ومالت النسوان والبنات من هذه المقالات وما فيهن الا من قد اشتهى مجيد أن يحضر فى هذا المقام حتى انهن يتفرجن على ما يجرى بينه وبين الجارية أسما ويسمعن منهم الشعر والنظام ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم على ذلك الحال وما تم منهم الكلام الا ومجيد قد أقبل وهو راكب على جواد أدهم بين عينيه غرة كالدرهم وهو بركاب من الذهب الاحمر من شدة ضيائه يكاد أن يلتهب وعلى رأسه عمامة لطيفة وهى معصبة بطرازات الذهب مكتبه وقد ردفاضل عذباته على كتفيه وقد تقلد بسيف محلى بالجوهر ينقط من براشقه وكان ذلك السيف أعطاه له عنتر لما خلصه من أرض اليمن والى عندهم حضر وكان لا يقدر على مثله قبائل العرب وكان فى ذلك الولد رأى وأدب الاان الجوارى لما رأينه والنساء والبنات أقبلن يتعايدن اليه وقد فرحن به وسلمن عليه وقلن له أهلا وسهلا بوجهك المبارك فنحن وحق الاله العظيم كنا كلنا فى انتظارك لاننا وقعنا بمن تشابهك فى الملاحة وتضاهيك فى الشعر والفصاحة ولولا أتى بك الزمان انا فى هذا اليوم لكنا أشمتناه ذم ولوم فتبسم مجيد من عذوبة كلامهن وترجل اليهن ووقف من قدامهن فقمن له الجوارى الشربيات اجلالا وكذلك الجارية أسما وقفت بينهن أو هى فى وسطهن تزهو عليهن جمالا وتتمايل على بنات عمها عجبا ودلالا فعلم مجيد انها هى التى وصفوها بنات عمها وطلبوا منه أن يسمعوا نظمه ونظمها فمال عند ذلك قلبه اليها وقد لعبت بعقله لما ان نظر الى سواد عينيها ووقع لها فصار يتأمل فى معانيها ويتمايل عجبا وصبابة فيها فانشد شعر

سلام على من جاء وزار فاشرقت * بهم أرضنا حتى انجلى ليلها عنا
وأهلا بمن زار من غير موعد * وقد اتعب القلب المعنى ولا عنا

﴿قال الراوى﴾ ثم انه قال لها عجب يا حبيبة القلب والفؤاد كيف قد زرتينا من غير معاد وأنا أسأل رب العباد أن لا يجعل بعد هذا اليوم بيننا تلاولا بعاد فعندها تبسمت أسما من مقاله وقد تمعنت الى حسنه وجماله وقد زدت عليه سلامه ومقاله وقد اشتغلت بفصاحة ألفاظه وحسن فعاله ثم انها قالت له وأنت حياك الله يا وجه العرب من عبس وعدنان وريحانة شملت كل انسان والله لو لم يجمعنى بك الزمان لكنت زدت صبابة مدا الدهر والازمان لان بنات عمى قد هيجن اليك أشواقى مما قد وصفن عندى فزاد بذلك احتراقى وقد ثقب وصفهن صميم قلبى فخرجت اليوم الى هذا الغدير لا فرج همى وغمى وأزيل برؤيتك كربى وانظر الى حسنك وجمالك وملاحتك واختبر ما قالوه من فصاحتك ولما ان رأيت الى حسنك فرأيت فوق الذى وصفوه وطاب السماع ونشكر الله على ما أولانا من الاجتماع وأرى قلوب بعضنا على بعض قد ارتاحت واستنقنا عما فى الضمير قد باحت فقل ما شئت وخذ الجواب ونزه خاطرك قبل الخطاب فقال لها مجيد انطق بما شئتى يا قمر النساء وغصن الاراك واعذرى من قل عقله وتبلد خاطره لما رآك وقد عدم قواه ونشاطه وادراكه فقالت له أسما صدقت لاننا ما كنا على بالك ولا كنت مستعدا الى أقوالك فاسمع فى هذا الوقت ما قد حوته الصدور وان عجزت عن الجواب فانت فى ذلك اليوم معذور ثم أنشدت تقول

يا شمس عبس من السادات والكبرا * أسهرت طرف فتاة قط ما سهرا * لاننى ما رأت عينى ولا نظرت
مثال حسنك لا فى البدو والحضرا * خيال طيفك ان زار الحجب غدا * أسيرو يرى من خوفه سحرا
وميت عاد حيا بعد ما بليت * عظامه وبراه الشوق واندثرا * قتيل هجرك يحييه الوصال وان
حدرت عنه براه السقم وانقبرا * القوس منك التى ترمى بلا وتر * وسط القلوب بنبل تسبق القدرا
وهى حاجباك التى ترمى مقاتلها * وما يرى سهمها أبدا ولا وترا * وصارم يقطع الاوصال مضربه
وفصله فى صوان الغمد ما ظهرا * سيوف لحظيك تهوى وهى مغمدة * الى القلوب فلا تبقى ولا تذرا

أما المدام الذي ما داسها قدم * ولا رأت مذ نشت شمسا ولا قمرا * سلاف ريقك يا من لا شبيه لها
اذا ترشفه الصاحي فقد سكرا * من لؤلؤ وعقيق كاسها وابها * درت كال بالياقوت واشتهرا

هذا جوابك يا أسما وقد سمحت * به الخواطر فلا تامى على قترا
واستغفر الله من ذنبي ومن زللي * ومن خطايا وما قدمت من زورا

﴿قال الراوي﴾ ولما ان سمعت أسما من مجيد جوابها وما أبداه على خطابها هدى قوامها و زاد ابتسامها وقالت له والله انك عذب الكلام وفصيح في الشعر والنظام وقد طربت في ذلك اليوم البنات العبسيات والبشريات لما طابت لهن المنادمه في تلك الخلوات وقد قعدن على جانب الغدير بما كان كل العرب وقد لحقهن الفرح والطرب وما فيهن الا من عادت تخطف من يد مجيد وتنهب وقلب مجيد الى أسما يتلهب وكذلك هي أيضا قد اشتغلت به فصارت لا تأكل ولا تشرب بل تناشده الاشعار وتورده موارد الاخبار حتى تقضى أكثر النهار وقد عول على الارتحال وقد تواعدن انهن يأتين عند الصباح وما فيهن الا من ضمت صاحبتها الى صدرها وجعلت نهودها على نهودها ونحرها على نحرها وكانت أسما من نصيب مجيد

ما زال ذكرك حتى شفني كمدا * وعند لقياك زاد الهم واشتهرا
لانني ما رأت عيني ولا نظرت * سيفا تقلده من يشبه القمرا
يا حامل السيف خلى حمله فلنا * من جفن عينك سحر يصدع الحجرا
واسمع فديتك أبياتا وفسرها * كما يفسر قول الشاعر الشعرا
ما نائم صار يقظانا فأوثقه * شدا وما راعه خوفا ولا اندعرا
وميت عاد حيا بعد ما بليت * عظامه ورفاه الشوق واندثرا
وما هي القوس اذ ترمى بلا وتر * وسط القلوب بنبل يسبق القدرا
وصارم يقطع الاوصال مضربه * ونصله من صوان الغمد ما ظهرا
وما المدام الذي ما داسها قدم * ولا رأت مذ نشت شمس ولا قمرا
من لؤلؤ وعقيق كاسها وابها * درت كال بالياقوت واشتهرا
فبين الآن معنى ما سبقت به * ولا تسل خاطرا قد تاه واقتصرا



﴿قال الراوي﴾ فلما سمع مجيد مقالها اشتغل قلبه بجمالها وقد تاه باله في حسن معنى دلالها وقال والله يا أسما انك تشغلي الخاطر عند الكلام ومن نظر وجهك وهام فما عليه حرج ولا ملام ولا بد أن أجتهد في التفسير وأطلب منك العفو في التقصير ثم انه اتكا على حسامه و باح بما عنده من كتمانه وغرامه ولما ان تمكن العشق من خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وأجابها على توانى مقالها يقول

ما جال طيفك يا أسما وما خطرا * الا وجدت له بين الحشا ضررا
ولا خطرتي دلالا عند عتبك لي * الا حسبت قضيب البان قد خطرا
وقد تحكمت يا أسما على رجل * ما ذاق طعم الهوى يوما ولا سهرا
وقد سألت سؤالا سوف أذكره * مادام لي رمق أسمع به وأرى
ما نائم صار يقظانا فاوثقه * شدا وما راعه خوفا ولا اندعرى

﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت أسما ذلك الابيات فعانقته والصقت جسمها على جسمه وقبل بعضهم بعضا تقبيل أهل الهوى وافترقوا بعلة ما الهادوى ولما سار كل منهم بعد وداعه الى صاحبه بخيامه هجر منامه ولا أكل طعامه ولا صدق بالصباح أن يصبح ويعود الى ما كان حتى انهم يحضروا الى مكانهم المعهود ولما طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح خرجوا الى البر والفضا وكان اجتماعهم مثل اليوم الذي مضى وتقدموا وسلموا على بعضهم البعض لما اجتمعوا وصاروا يمرحون في تلك الارض والفلا واجتمع مجيد باسما وسلم كل منهما على صاحبه وفعلوا كما يفعل المحب بمحبوبه واعتنقوا بعضهم البعض وما زال من بينهم الفلا وقد

تحادثا حتى تضاحى النهار وعلا فعندها قالت اسماء لمجيد اسمعنا شيأ من شعرك ولذة سامعنا بخطابك فقال مجيد سمعا وطاعة ثم أنشد وجعل يقول

سلامي على من ساد كل الملاح * ومن قوامه فاق غصن الرماح * جاذب قلوب الخلق من لطفه
وأينه حاوى السخا والسماح * أهيف ظريف الشكل حلو اللما * وثغره البسام مثل الاقاح
من أخجل الاغصان من قده * اذا مشى بالميس نشره قد فاح * يحكي نسيم الروض من لطفه
وسيره يحكي هبوب الرياح * وبعده ملا فؤادي ضنى * والدمع من عيني يا حل ساح
أخجل مهاة الريم من جفنه * أكحل ولحظه مثل حد الصفاح * من كثرة هجرانه سلا مهجتي
ولم عل قلبي اكثر الجراح * دمعي دما يجري وقد ارتوى * منه الفيافي سهلها والبطاح
زاد الهوى في مهجتي ذا الرشا * بالحسن قد فاق جميع الملاح * سؤلي مناقلبي غزال الحما
عياس رشا أحور جبين الصباح * ووجهه كبدر التم ظبي الفلا * من طلعته بالنور أشرق ولاح
قد حاز نظم الدرف ثغره * خمره سلافا فنه قرقف وراح * يا غايتي يا ظني يا فاتني
انى على وصلك كثير النواح * فاسمح وصلني زاد غرامي كما * زاد الجفا منكم فماذا صلاح
يا كنز يا بهجة ويا روضة * يا منهج العشاق وأهل الصلاح * مسكين مجيد عاشق ولا له معين
من عبس ينسب بالكرم والسماح * ان زرتموني بالوفا ساعة * أو تنعموا فالهم ولى وراح
ان كان لي ذنب جرى خبروا * فاعيني بالدمع أمست قراح * فانفذوا بالله من ذا الجفا
والبعد والهجران وجد بالسماح * بابي قبيس والمشعرين والصفا * بمن أنار الفجر ضوءه ولاح

رب السموات العلي العظيم * يلطف بنا عند المسا والصباح
بالمصطفى المختار خير الورى * الهاشمي نوره أضاء الصباح

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغ مجيد من شعره والنظام طربت النساء والبنات وتمايلت أسماء عندما سمعت ذلك الكلام وقد أعجبها ونزلت محبة مجيد في قلبها وقالت له والله انك فصيح اللسان وبديع الحسن والجمال وقد لعبوا وانشرحوا ومرحوا حول الغدير وبعد ذلك قالت أسماء لمن حولها من البنات كنا نريد الساعة يا بنات السادات في هذا المرج الافيح نارا تأج وتلفح وعليها من لحم الفصلان المشرح أوسويق وناكل منه ونلعب ونفرح والسويق في لغة العرب واصطلاح كلامهم هو لحم سنام الجمل اذا شوى على النار وفاح فلما سمع مجيد كلامها ابتسم وقال هذا شيء قريب ثم قام من عندها واهتم وقصد الى المراعى التي هي بحرمة أعمامه مهيبه ولما وصل اليها واذا هو رأى امه فيها جمالا تسرح ونوقا تمرح وفصلانا تموج وتمرح لان رعاة الملك قيس على الدوام تكون أقرب من غيرها الى الخيام الا ان مجيد المامضى الى نحو المراعى وعليها قد أشرف فرأى نوق عمه الملك قيس مما عليها من الشحم لا تكاد ان توصف وكانت ألف ناقة في ذلك المكان غير ما يتبعها من المهارى والفصلان وهي من سمنها تختلى وتتمخطر وقد فاقت على أموال الحي بجملتها فدار من حولها فرأى فيها أحسن من فحلها وكانت بنو عبس به تفتخر وتسميه الاصهب وقد شاع ذكره في قبائل العرب لانه كان يلقح ألف ناقة في كل عام ولا يتغير ولا يضعف له سنام وما كان له في ذلك الزمان مثال الا فحل في داخل بلاد اليمن يقال له غيهب وكان من الفحول الثقال وبهذين الفحلين تضرب الامثال واليهم كانت تنسب النوق والجمال ولما دار مجيد من حول تلك النوق والجمال ورآهم قدامه فرأى الى الفحل الذي يسموه الاصهب بارك بينهم فاعجبه سنامه وقال مثل هذا اشتهت اسماء فعند ذلك دنا من الفحل وسل حسامه وضرب به على نحره فارمى رأسه وأصرم عمره وقور منه السنام وأرماه على الارض وشق بذبابة السيف الجلد وخلصه من بعضه بعض ثم أخذه وسار وقصد بعض الاشجار اليابسة وقطع منها غصنا واحتمله وعاد الى الغدير وألقى ما معه بين يدى أسما وهي جالسة بجنب الجنائب ولما رأته أسماء وطيء الامرها

فرحت وانشرح صدرها فعندها أمرت الاماء ان تضرم النار وأن يرموا عليها الزاط ففعلوا ما أمرت أسماء لهما ولما أن أوقدت قام مجيد يشوي بيده من السنام وعلى النار يقليه وقد زادت وهيج واضرام وقد رأى ذلك أحب الاشياء عليه ودارت جميع البنات من حواليه وصاروا يشووا ويأكلوا وقد ثار قتام النار وفاحت الروائح وصار مجيد يلقم أسماء وأسماء تلقمه وهم في لعب وانشراح على جانب تلك الغدير ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم على ذلك وإذا بعبيد عمه انتبهوا ولما شموا تلك الروائح وتواثبوا الى النوق والجمال ليتفقدوها فرأوا الفحل الاصهب منحوراً وهو على الحالة التي تركه عليها مجيد ووجدوه فعظم عليهم ذلك وقد زاد منهم مصابهم وحل بهم الارتباك فلطموا على وجوههم وخافوا من الهلاك واهم من خوفهم على أنفسهم أشرفوا على العطب ونادوا بالويل والحرب ولما انهم رأوا دم الفحل الاصهب طري وهو على الارض يجري فتبعوا اثره وهم بذلك الجمع الكثير حتى انهم وصلوا وهم مهرولين الى الغدير فوجدوا النار تضرم وقودها ومجيد جالس عندها يقلب قطع اللحم عليها فعند ذلك زاد نداؤهم ودنوا من مجيد وهم يلطمون على رؤسهم وقالوا له يا مولانا ما هذه الفعال التي فعلتها معنا والله لقد علاهلا كنا وضرب رقابنا بجرئتك على هذا الفحل الاصهب الذي عقل عمك به معلق فيا ليتك كنت اعلمتنا حتى كنا أتيناك بما شئت وبلغناك ما هويت ولا كنت عقرت ذلك الجمل الاصهب وسعيت في ضرب رقابنا بهذا السبب لانك لو كنت عقرت ألف ناقة وتركت الفحل الاصهب ما كان عمك يحمل من ذلك هم ولا يعتريه غضب ثم ان العبيد لجوا عليه بالكلام فخجل من الجوريات فقام على حيله وسل في يده الحسام وطلب العبيد وهو ينادي يا أولاد اللئام الى كم تطيلوا هذا الكلام وتكثروا على العتب والملام ولما ان رأت العبيد الى ذلك هربت من قدامه خوفاً من سيفه وحد حسامه ولم يزالوا منهزمين والى عند الملك قيس طالبين وهم على وجوههم ورؤسهم لاطمين الى أن وقفوا قدامه فلما رآهم على تلك الحالة قال لهم يا ويلكم ما حالكم وما الذي دهاكم ونالكم فأخبروه بعقر الجمل الاصهب وان الامر فيه قد فرط وذهب فلما سمع الملك قيس منهم ذلك الكلام خرج وقال لهم يا ويلكم من الذي تجرأ على مثل هذا الامر من جبابرة العرب أخبروني به حتى انني اتركه على الارض مجندل ولحمه للطيور مأكل ومنهب وقد زاد به الغضب فازرقت أحداقه وزاغ منه البصر وانقلب فقالوا اعلم يا ملك انه ما تجرأ على هذا الامر المتدارك الا مجيد بن مالك هو الذي فعل ذلك وكنا نحن نيام في المراعي ولما انتبهنا شممنا روائح اللحم على النار وهذه قصتنا كلها والاخبار ﴿قال الراوي﴾ ولما سمع الملك قيس ذلك الكلام التفت الى من حوله من العبيد الجبابرة وقال لهم ائتوني بابن أخي مجيد ولا تخشوا منه ولا تهابوه وان تعاصى عليكم فالى عندنا سوقوه واضربوه فعندها تجارت العبيد نحو الغدير أفواجا وقد تتابعت الى عند مجيد أفراداً وازواجاً ﴿قال الراوي﴾ وكان مجيد لما أتى اليه العبيد في الاول وعاتبوه على عقر الجمل سل سيفه وقام اليهم فتهاربوا من بين يديه وأوسع خلفهم في البر وكان منهم من قد عزت روحه عليه ولما فاتوه عاد وهو يهمز همزات زائدات الى أن أتى عند الغدير فلم يجد في ذلك المكان من البنات أحداً وجوانب الغدير منهم خاليات وكلهم ساروا وقد طلبوا الابيات خوفاً من الفضيحة والعار والهتيكة والشنار ولما عادوا ما رأى منهم أحداً ضاق صدره لذلك وصار وقد قعد وهو مرتبك في أمره مقابل النار وقد جرت دموعه على خديه غزار فبينما هو على ذلك الحال واذا هو بالعبيد قد أتت اليه وهم الذين قد أرسلهم له عمه ولما ساروا عنده فرأوه جالساً وهو باهت ويبكي وقد زاده همه وغمه وهو غائب لا يعلم ان كان في أرض أو في سما من أجل فقد محبوبته أسما فداروا به العبيد من كل جانب ومنهم من تقدم الى بين يديه وقالوا له يا مجيد أجب عمك لانه قد أمرنا باحضارك وان عصيت سقناك اليه بغير اختيارك فقام معهم وهو مثل المسحور ما يعلم قدامه ولا يدري من شدة ما جرى عليه أين يضع أقدامه وقد مضت عزة نفسه واهتمامه لان الذي كان جسره على سل حسامه هو عشقه وغرامه ولما ان سار مع العبيد أوصلوه الى بين يدي عمه قيس وقد قاسى عليه وشتمه وقال له يا ويلك يا ولد الزنا ونتيجة الخنا هي ضاقت عليك الدنيا وبين يديك أموالنا وأموال العربان فما وجدت فيها ناقة ولا جمل الا الاصهب والله لولا خوفي مذمة العرب والسادات من ذوي الرتب لكنت أسقيتك في وقتي هذا

شراب العطب والذي مثل ما نحرت الاصهب بلا سبب ﴿قال الراوي﴾ فعندها بكى مجيد وقد انهملت عبرته وصار يكفكف من على وجناته دمعته ويمسحها بطرف عمامته ولما زاد به الحال فأشار الى عمه وجعل يقول



يا عم كن عادلا في الحكم وانصفني * ولا تنزل فيغشى مجدك الزلل
يا مالك بن زهير قد زعمت أبي * فكيف تشتمني والحبل متصل
ضيعت ما شيدت كفاك من حسن * الى اليتيم الذي ضاقت به الحيل
أنا عقرت بجهلي عندكم جملا * فكان ظني بأني منك احتمل
يا عم قل انني ضيف ألم بكم * والليل معتكر الاذيال منسدل
وليس عندكم شاة ولا جمل * ولا دقيق ولا سمن ولا عسل
وقد نحرت لكم تحت الدجا جملا * بغير علم وكان الاصهب الجمل
فهل لكم تقتلون الضيف من حنق * وتكسبون مذمات الذين بخلوا
أو تسمحون بما قد كان من زلل * كما تسامح أهل الفضل اذ عدلوا

﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيس هذا المقال من ابن أخيه مجيد زادت نيرانه اشتعال وقال له ويلك يا طخير ما كنت غني عن هذا الامر العسير وما كان عندك عذر تخلص به غير هذا الشعر والتدبير ثم انه قال للعبيد يا ويلكم خذوه من قدامي والا خضبت من دماءكم حسامي وقلعوه ثيابه وأحرقوها بالنار واذا كان عند الصباح خذوه معكم الى المراعي والبسوه بعض ثيابكم واجعلوه بينكم راعي قال وكان ابن عمه زهير حاضر وهو ينظر اليه فلما سمع الامير زهير مقال أبيه لمجيد صعب عليه ذلك وقال له يا أباه حيث أردت ان ابن أخيك يرعى الجمال كنت خليته في بلاد اليمن على ما كان عليه من ذلك الحال ولا كنت خلصته وقد علمت الناس أن بيننا وبينه اتصال والله ان هذا الامر ما نطاوعك عليه ولو طارت رؤسنا بين يديه ولا أنا أخلي ابن عمي يرعى الجمال مع العبيد ولا نبلغك في هذا الامر ما تريد ﴿قال الراوي﴾ ولما تكلم زهير بذلك الكلام ساعده من كان حاضراً وكذلك عمه نوفل قال مثل ذلك المقال ثم انهم أرادوا أن يغيبوه عن عينيه في ساعة الحال فقال لهم الملك قيس والله ما أعفو عن ذلك وأخليه حتى انه يحلف بحياة رأسي باختياره انه ما عاد يجلس مع جوار ولا ينشد من أشعار لا في الليل ولا في النهار وذلك انه قد فضحنا بهذا الامر والبسنا العار ورجال الحي والقبيلة قد شكوا الى منه مرار وقد قالوا لي ان ابن أخيك قد أفسد نساءنا وبعض الجوار ونحن نحتمله لاجلك ولاجل قربه منك أيها الملك وأنا أريد منه أن يتوب عن هذه الفعال والا قتلته واسترحت على كل حال فقال له نوفل نحن نستوفيه ونقبل مقالك ونحرم عليه أن يفعل شيئاً من ذلك ثم انهم بحياة رأس عمه قد حلفوه ولما حلف وتاب أخذوه من قدام عمه قيس قال وكان عمه نوفل يحب مجيد محبة عظيمة ومن حين أتوا به من بلاد اليمن وهو له عنده قدر وقيمه ﴿قال الراوي﴾ وكانت هذه الامور التي جرت وعنتر ورفقاه في بني غطفان غائب وذلك ان ابن أخته الهطال عمل وليمة وقد عاد اليها فأخذ معه أخاه مازن ومقري الوحش وعروة بن الورد وقد مضى الى الدعوة والوعد ولما ان خلص مجيد من قدام عمه عاد الى البيوت ودخل الى عند أمه وبكى بين يديها وقد شكى ما حل به من تلك المصائب اليها فقالت والله يا بني لقد أخطيت وبالقول والفعل على عمك تعديت وتجريت ولولا مراعاته لابيك لكان أبادك وكان على قتل جمله يكافيك ثم انها كثرت عليه بزخاريف المقال وقد نهته عن الجلوس مع النسوان وقد سمعت علة ما قد جرى له فدعته اليها وعظمت عليه القصة ووبخته على فعاله وقالت والله يا ولدي انك قد جلبت لعمك نكد ولقد كان الفحل الاصهب الذي قد عقرته أحب اليه من ولده فراعي جنابه ولا تعد الى مثلها وان عدت ما تلتقي خير بعدها ولا قبلها ولما سمع مجيد من عمه ذلك القول تاب وعلم انه قد أخطأ وعما كان تولع به انقلب الا أن لهيب أسما في فؤاده قد اشتد وهواها قد جاز عن الحد وعند الصباح عاد الى الغدير وصار يمشي والى مكان وقود النار ينظر ويشير اليه ويتفكر الرسوم والآثار ويتمنى انه يرى أحداً حتى انه

يخبره بما كان من الاخبار ويسأله عن أسما ان كانت باتت وقد فقدها كما عنده من الزفير والحسرات ومازال ينظر الى ناحية الخيام فلم ير أحدا فتناثرت من أجفانه العبرات وقد سبقت الزهر والبنات فانشد وجعل يقول

وحل الصبر والغرام أقاما * فى فؤاد ماذاق قسط غراما * كان غرمن حادثات الليالى
ليتنى لم عرفت لى أعماما * ياعيونى جودى على أثر أسما * بدموع واهجرى الكرا والخياما
كان يوم الفراق يوم عبوس * لاسقا الغيث بعده الاناما * فكان السنام كان سموما
فى مطاوى قلوبنا قد حاما * يا ترى أن قلبها مثل قلبى * هائما يشكو العنا والسقاما
ياظبا الريم قد أصبح اليوم * وحلال الغدير غدى حراما * وكذا نبته على جانبيه
بات مثلى متيما مستهاما * يشكو العنا فيهل دمعى * ويروى بهارها والخزاما

﴿قال الراوى﴾ ولما أنشد مجيد هذا الشعر والنظام فتناثرت الدموع من أماقى عينيه وقد بكى حتى كاد أن يغشى عليه وبقى على جانب الغدير الى المسا وهو غائب عن الدنيا من العشق والغرام وهو قد صار لا تعرف أحسن اليه الدهر أم أسا فلما أن رأى حاله على هذه الحاله ولا رأى مما كان يعهده أحد فعاد وقد اشتد به الوجد والغرام والكمد وأتى الى الخيام ونام فلم ياته منام فبات سهران يرعى النجوم ويطلب من الله علام الغيوب أن يجمع شمله بشمل اسما ولما أصبح الصباح صار حديثه شائع بين القبيلتين وتحدث به رجال الطائفتين فمنعوا بناتهم من الدخول والخروج والفرجه على الغدير والمروج وقد جرى على أبى أسما ما لم يجر على قلب بشر بما حل به من ذلك الامر المنكر ومن خوفه لا يفتضح فى بلاد الغربه صار يذم الايام الذى نزل فيها على العلم السعدى وأرض الشربه ولما ان زاد به الامر دخل على ابنته وقد جرد حسامه عليها من وقته وساعته وقال لها يا ملعونة وحق الاله القدير ان عدت سمعت انك خرجتى الى الغدير فانى أذبحك من قفاك وأفصل بهذا السيف أعضاك ثم انه أوصى أمها بها وقد أعلمها ان تلك الفتنة الثائرة من أجلها ومن سببها ﴿قال الراوى﴾ وكان قد جرى على أسما من حب مجيد أكثر مما جرى عليه منها وفوق المزيد فبقيت متحيرة من شدة ما نالها من الغرام وصارت اذا أكلت لا تشبع بطعام واذا نامت لا تلتذ بمنام وقد علمت ان دام الامر على مجيد يهلك من عشقه لها وعلمت انه لا يتم عليه أكثر مما يتم عليها مخافة على قلبه أن يحترق بنارها فدعت بامة لها وقد أطلعتها على أسرارها فقالت لها امضى الى عند مجيد وسلمى لى عليه وطيبى قلبه وأعلميه انه مثل ما يحبنى أنا أحبه وقولى له طب نفسا وقر عينا ويكون ذلك عندك يقينا فوحق من خلق الانفس وسواها ونصب الجبال وأرساها لو جعل أبى قبرى لى منهلا لم أختر غيره مؤنسا ولا بعلا ولا أنساك على مدى الدهور والايام أصلا فسارت الجاريه اليه ودخلت عليه فرأت حاله قد تضعضع مما حل به من تحت رأس محبوبته اسما وكان مجيد من يوم فراق اسما له وهو فى نار يتقلى الى أن أتته الجاريه وبلغته هذه الرساله مما قد قالت له من ذلك المقال خف عنه كربه وقد طاب بهذا الوعد قلبه وفى ذلك اليوم عاد عنتر من بنى غطفان وقد أخبروه من ذلك الامر بما كان وقد اشتد ظهر مجيد وقد أيقن ببلوغ ما يريد ولما أن دخل عنتر على عبله شرحت له القصه فعند ذلك صعب عليه هذا الامر وقد تكدر لما ان سمع بهذا الخبر وكان غيظه من وجهين وكل وجه له سبب الاول من جهة الجمل الذى هو الفحل الاصهب والوجه الثانى كيف ان الملك قيس شتم مجيدا وأخرقه بين العرب من تحت رأس أسما من حيث ان أباها غريب من حلتهم وقد نزل عندهم تحت الكرامه والحما ثم ان عنتر قال لها يا عبله أنا على كل حال قد حكمت مجيدا فى كل ما أملكه من مال وجمال وعبيد حتى انه لا يلتفت الى عمه ولا يثقل عليه بسبب من الاسباب وفى الآخر جرى منه شئ ما كان له فى حساب وهذا أمر ما أشاقق أنا فيه ولا أقدر أشاقق الملك قيس ولا أساويه ولا أجلب له شيأ يؤذيه ولا أعتب عليه فيما فعل فى حق مجيد فى نكده لانى أعلم ان الفحل الاصهب كان عنده بمنزلة ولده ثم انه سكت عن ذلك الكلام خوفا على أهل العشيرة أن يقع بينهم الخلف والمقال من كثرة اللجاج ويفسد بينهم الحال ﴿قال

الراوى﴾ فهذا ما كان من أبى الفوارس عنتر وما جرى له وما قال من المقال * وأما ما كان من مجيد فانه قد شكى حاله الى عمه نوفل يحب مجيدا محبة زائده وكان أكثر اخوته مروءة وعصبه وكانوا على ما هم فيه من ذلك الامر المتدارك يتذاكروا به ما مضى من أيام مالك ولما ان شكى حاله اليه وعظم بليته رق له ورثى له وصار يركب معه فى أكثر الاوقات ويقف له بعيدا عن المضارب ويسير هو واياه فى البر والفلوات ثم انه يتركه يسير الى أبيات أسما ويسارقها منه بالنظر عسى انه يراها حتى يخف عنه ما به من الهم والفكر ومازال على تلك الحاله ومعانيها حتى انه عرف الاوقات التى تأتى فيها ويقصد مشاهدتها وبالنظر يبازيها وقد صارت الاخرى اذا رأته علمت منه ما يريد فعندها تخرج من خبا الى خبا تلاعب الامة واللعب بينهن يزيد ثم انها ترفع برقعها وما تزال على تلك الحال حتى انه يتملى بوجهها وينظر ويشبع كل منهم من النظر من صاحبه ويؤدوا بلغ كل واحد منهما مآربه الى ان ذلك ما كان الا أياما قلائل حتى علم أبوها منهم بتلك الفعائل وعلم بذلك أنه لابد أن يفتضح ويزيد هم فشكى حاله الى وجوه بنى عمه وقد شرح لهم قصة مجيد ابن أخى الملك قيس وتجرئه عليه فقالوا له يا أمير سر بنا الى عند عمه حتى اننا نشكوه اليه انه مادام عليه غضبان فان نهاه عن أبياتنا والا رحلنا عن هذا المكان ونسير من هنا الى أرض غير هذه الارض ونتخذها لنا وطنا فقال لهم هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه أخذ بنى عمه وقد سار بهم الى عند الملك قيس عند الصباح ودخل عليه وقد أرمى روحه أبو أسما بين يديه وقص قصته عليه وما جرى له وقال له اعلم أيها السيد الجليل والمولى النبيل اننا ما نزلنا فى دياركم واخترنا جواركم الا لنطلب بذلك ستر حريمنا واقامة عزنا فى جواركم خوفا من ذلنا والذى حذرنا منه غيركم قضى فيه عندكم فاعلم أيها الملك ان سبب ذلك قد تعرض لابنتى من لا أقدر أكلمه ولا آذيه لان هيبتك أعظم منى قدرا وأنفذ فى هذه الارض أمرا ثم انه حدثه بفعال مجيد وما جرى وانه أتى الى أبياتهم وقد أنشد الشعر الذى بلغه عنه فلما سمع الملك قيس ما جرى من ولد أخيه مجيد اضطرب كونه وبقيت عيناه مثل لظى الجمر فقال له يا شيخ ولم صبرت على هذا الكرب أما كان فى رأسك نخوة العرب كنت نحرته مثل ما نحر الجمل الاصهب ثم انه قال لمن حوله من أعمامه ومن وجوه العشيره الذين واقفين قدامه اشهدوا على يا وجوه بنى عمى اننى قد وهبت دم ابن أخى لهذا الشيخ ليطفئ به ناره وان قتله لا يطالبه أحد بثاره وان طالبه أحد به كنت أنا من أعوانه وأنصاره ولو كان من يكون من الناس قال فقبل أبو أسما يد الملك قيس وشكره وأثنى عليه وقال له أيها الملك أنا ما أقتله فهذا شئ ما أفعله ولا لى يد تمتد اليه ولكن اذا عاد تعرض لابياتى ووقف عليها ولو كان من بعيد فانا أقبضه وآتى به اليك تفعل به ما تريد فقال له الملك قيس يا شيخ الامر اليك ثم اعلم انى قد أشهدت الحاضرين على وعليك بانك برىء من دمه وقد حكمتك فيه اذا رأيته قد اتى الى أبياتك فاقتله واسقيه كاس حتفه وبعد ذلك افعل أنت على قدر ما ترى لانى قد أشهدت على نفسى بذلك القول الموالى والسادات والعبيد وكل من حضر وسمع قال فلما سمع الشيخ أبو اسما ذلك عاد هو ومن معه من بنى عمه من الرجال الكرام وهو يقول لهم والله يا بنى عمى ان الرجل ما ترك عليه ملام فقال له بعض بنى عمه من الرجال العقلاء يا أمير الراى انك لا تغتر من الملك قيس بما قاله من المقال ولا تؤذى ابن أخيه فانا اعلم ان ذهب من شعره شعرة واحده يقطع عنتر أصولنا وفروعنا فى كرة واحده فارجع عن هذا الراى واحقن دماءنا ولا تعمل على هلاكنا وفنانا لانك قد هججتنا من ديارنا وتبعناك وقد قلت انا لم أزوج ابنتى لرجل مجهول النسب فعذرناك وتركنا أوطاننا ورضينا برضاك لانك كنت فى ذلك الامر الاول مظلوم مقهور وكان ميسره اراد ان ياخذ ابنتك منك غصبا فكنت فى ذلك الامر معذور ولولا سواده وقلة علمنا بنسبه وخبرته لكنا غصبناك على زواجه باسما وعشنا تحت ظل شجاعته وهذا مجيد خلاف ميسره لانه سيد من سادات عدنان وعمه الملك قيس ابن الملك زهير ملك من ملوك الزمان والراى عندنا ان تزاوجه ابنتك على ما تحب وتختار ودعنا نقيم باقى عمرنا فى هذه الديار وان كنت ما تفعل فدا زوجها كما تريد ونتركك نحن ونعود الى ديارنا ونستريح من هذا الامر الذى لا يفيد ولا نبدى ولا نعيد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع أبو اسما ذلك القول ممن كان له مجاوب فقال يا بنى عمى أزوج ابنتى لرجل ما أتانى خاطب

فارغب انا فيمن لاهو في ابنتي راغب فهل غيركم رايتم رجلا اقبل من الاقدمين خطب لابنته بعلا حتى انني اقوم انا واقول لهذا الرجل تعال خذ ابنتي مني فوالله لا فعلت هذا الامر ابدا ولا اشمت بي احدا على طول المدا فمن اشتهى عندي المقام يقيم ومن اراد الانصراف لارضه فلينصرف بسلام ولا تكثروا علي عتب ولا ملام ولا كلام قال فلما سمع بنو عمه كلامه عذروه وعلى هذا الامر ما استكثروه وقالوا له ارحل بنا من هذا المكان ودعنا نبعد عنهم مسيرة نصف يوم في تلك البراري والآكام حتى اننا ننظر ما يكون منا ومن هذا الغلام لانه ما يخلو امره من حالتين اما يمنعه عنا بعد الفريقين واما يصالح عمه ويتراضوا مع بعضهم الاثنين ويحوجه ان يخطب منك ابنتك على امر ترضاه فان فعل ذلك وخطبها بوجوه عشيرته زوجناه وان حمله الهوى واتى على سبيل التخفي وعلمنا به قبضناه وسرنا به الى عند عمه وبين سادات قبيلته واليه سلمناه ورحلنا من هذه الديار وتركناه فقال الشيخ يا بني عمي اعلموا ان هذا الامر اوافقكم عليه واجيبكم فيما قلتم واردتم اليه ثم انهم عادوا الى الخيام بعدما دار بينهم الكلام واقاموا بها ثلاثة ايام ولما ان كان في اليوم الرابع أظهروا ان الماء قد ضاق عليهم وانهم يريدون التخفيف لان القوي منهم قد جار على الضعيف ثم ان الشيخ رحل بقومه الى ارض يقال لها ارض الروم وكان بينها وبين منازل بني عبس يوم او دون يوم فنزلوا هنالك في تلك البراري والآكام وضربوا هنالك المضارب والخيام واقاموا مدة ايام قال فلما علم مجيد بذلك عظم عليه وكبر لديه وزاد بلباله ووجده واشرف من شدة الشوق على فناه فشكى الى عمه نوفل ما يجده من الآلام وقد بات عنده ليلتين لم يذق فيها طعم منام ولا اكل فيها شيأ من الطعام وفي اليوم الثالث قال له يا عم ان لم تسر معي الى منازل اسما فانا اهلك لا محاله فسر معي لعلي ان اراها ويبرد قلبي ويستر علي رب السما وان لم تفعل ذلك والا قتلت نفسي واسكنت روحي رمسي فقال له عمه ويلك يا ابن اخي لا تفعل ذلك ولا تخاطر بنفسك توردها المهالك فلا تعد تذكر اسما لاسيما وقد رحلوا بها وابعدوا عن هذا الحي وابوها قد اتى الى عمك قيس وقد شكى له منك وبكى عليه من اجلك بين يديه وان عمك قد وهبه دمك واشهد بذلك عليه فان تعرضت لها أخاف عليك من الهلاك وربما وقعت في سوء الارتباك فاقبل مني ودع عنك ذكرها وانف عن نفسك فكرها والا هلكت بسببها فقال له مجيد يا عم لا تعذلني فما اقبل العذل وان لم تساعدني على وجدي فانا اعلم انني اموت من غير اجل واخاطر في محبتها بروحي ولو مت من غير اجل وسكنت ضريحي ثم انه بكى وان واشتكى وقد زاد به الهيمان فتنهد من فؤاد قد احرقه الوجد والغرام فلما سمع نوفل من مجيد ذلك البكا والانين والاشتكى فخاف عليه ان يتحكم فيه الوجد والسقام فضمه وقال له اسكت يا مجيد فاني اساعدك على ما تريد ثم انه اخذه وخرج هو واياه من بين المضارب والخيام وسار معه كانه يفرجه في البراري والآكام وكان قد مضى بعض النهار ثم انهم ساروا حتى ابعدوا عن المنازل والديار ثم انهم عرجوا عن الطريق المستقيم وقد سلكوا بين التلال وقد ستروا باحاقيف الرمال حتى غسق عليهم الظلام وقد ستر عليهم الملك العلام وكان نوفل اعرف من مجيد بتلك المنازل لانه تربيتها ومجيد ليس له بها خبره لانه ما تربى فيها ونوفل قاطن بها ونازل عليها وهي ارضه وبلاده فعرج به الى منازل الماء وهو يقول لعلنا من ههنا ناخذ اخبار اسما الان هذا المنزل قريب من منازلهم والحي ولكي ان تاتي بعض الاما ونستخبرهم عن اسما ما كان من الامور قال ولما انهم ساروا الى الغدير الذي فيه ذلك الماء فوجدوا عليه جارية من جوار اسما وكانت تلك الجاريه هي التي اتت من عند اسما لمجيد بتلك الرساله وطيبت قلبه قبل الرحيل بما بلغته من ذلك المقال ﴿قال الراوي﴾ فلما رآها مجيد وهي بالبعد منهم عرفها فتقدم اليها وقرب منها وناداها باسمها فلما سمعت نداه اجابته وأتت اليه وتقربت لما ان عرفته وسلمت عليه وقبلت يديه ثم انها قالت له يا مولاي فكيف جرى لك حتى انك خاطرت بنفسك ومولاي ابو اسما ان قدر عليك أسكن رمسك فقال لها قد عرفت ذلك وقد فعلته لاجل محبوبة قلبي مولاتك نور العين ﴿قال الراوي﴾ فلما سمعت الجاريه من مجيد ذلك الكلام بكت رحمه لسيدتها حتى اشرفت على العمى فقال لها مجيد فكيف حالها فقالت والله انها ميتة بين الاحيا وقد تغيرت احوالها ولا تقضي أكثر اوقاتها الا بالبكا والعويل واعلم ان هذه الحالة حالتها من نهار عزم أبوها على الرحيل

فقال مجيد كذلك أنا والله ما أجد في بعدها هدوا ولا هنا ثم ان مجيدا قال لها يا سعده هل تقدرين الليله أن تعودين اليها وتعلميها انني قد أتيت من أجلها وخاطرت بروحي من شدة شوقي لها فلعلها أن تزورني بنظرة من عينيها أو ترد علي رسالة أعود بها طيب القلب والفؤاد لعل أن يهدا ما بي من الشوق والتعداد فقالت له الجاريه نعم يا مولاي استتر في ظل هذه الشجرة حتى اني أمضي وآتيك بها وتتملوا ببعضكم بعض وتنظرك وتنظرها الا انها البارحة من شدة الشوق صارت تذكرك وتحسر عليك (قال مجد) ثم ان الجاريه بعد ذلك ملات وعاءها من الغدير وعادت الى الحي وهي مهرولة خوفا من أن يقوم عليها نفر من الحي ولما دخلت الى المضارب دخلت على أسما وقد أعلمتها بمجيد فلما سمعت أسما بذكر مجيد بكت وقالت لها أحقا ما تقولين فقالت لها نعم وان أردتي سيري بنا اليه في ذلك الوقت فاجابتها الى ذلك وقالت لها اقومي بنا فاخذتها الجاريه وقد خرجت بها من المضارب والخيام وأقبلت على مجيد ومحبتها مولاتها أسما وهي ملتحفة بكسوة سودا وهي تمشي وتلتفت في ذلك البر والفدفد ولما ان قربت من مجيد ورآها وهي بين تلك الاشجار مقبلة وتتقفز كانها الغزال فانشد وجعل يقول

أهلا وسهلا ببدر غاب عن نظري * وأبدل النوم بالافكار والسهر
غبتم فاظلمت الدنيا لغيبتكم * قد توهتها ليلا بلا قمر

قال ثم انه دنا منها اليها دنتها وتقبلها وبل شوقه بها فاجابته

يا نور عيني وحق الركن والحجر * ما غاب شخصك مذ أبعدت عن نظري
ولا وردت غدير الانزلت به * الا وجدت خيالا منك في أثري

قال ثم انهم من فرحة التلاق اعتنقا اعتناق العشاق وقد تشاكيا الى بعضهم ما يجدوه من ألم الفراق وما فيهم الا من ارتعد وارتجف وبنار المحبة انكوى وقد علمنا انهم في مقام التلاف كلهم سوى الا ان حلاوة اللقا وطيب الملتقى بالحبائب أنساهم النظر في العواقب ولما ان تحدث كل واحد منهما بما لاقى من فراق صاحبه وما جرى عليه من أهله وقومه وحبائبه فبينما هم كذلك واذا باسما التفتت فنظرت الى خيال نوفل وهو واقف بالبعد منهما وهو يسمع ما يبدوه من اشتياقهما الى بعضهما فقالت لمجيد من هو هذا الفارس الواقف من قومك حياه الله تعالى فقال لها يا مجيده هذا عمي نوفل أخو الملك قيس قد جئت أنا واياه لانه يحبني بخلاف الاعمام ولولاه ما كنت قدرت أقرب هذه الخيام ولا أدور بين هذه الروابي والآكام ولقد سعدنا هذه الليله بنظرك فقالت له أسما فوالله يا مجيد ان كان عمك نوفل يرى من فضله أن يساعدني في هذه الليلة باحسانه لكنت أبيت أنا واياك ههنا الى الصباح ونسأل الستر علينا من العزيز الفتاح ونجعلها ليلة تعد بليالي وان هلكنا بعدها فانا الى بعد أن نكون خففنا الكروب ونلنا المطلوب وطفينا النيران التي هي بين الضلوع والجنوب قال فلما سمع نوفل كلامها دنا منها وكلمها وقال لها وما هو أبديه لي لعل أن تبلغي مرامك ولكن يا أسما فماذا تكون المساعدة اخبريني ماذا تريدي من الفعال حتى انني أفعله عسى أن يكون فيه الفائدة ولو يكون فيه هلاكي اكراما لابن أخي عسى انه يخلص من بلائك ويخف عنه ما يجده من عنائك فقالت أسما اعلم يا مولاي ان أردت ذلك اخلع ثيابك واعطني اياها والبس أنت ثيابي بعدما أخلعها أنا والبسها أنت ﴿قال الراوي﴾ فعندها خلع نوفل ثيابه والقاها فاخذتها أسما فلبستها وخلعت ثيابها والبستها لنوفل وقد برقعته ببرقعها وقالت له سر مع أمتي سعدى فهي توصلك الى الخيام ولما ان تدخل الى المضرب فاركن رأسك على ركبتيك وعلى فراشي نم ولا تزال نائم حتى يأتيك أخي فيقول لك يا أختاه حب مجيد غلب على عقلك حتى انك قللتي أكلك وشربك وأشغلك عن ذلك ثم انه يعطيك قعب لبن ملآن فخذه منه واشرب به ولا تخف من نوائب الزمان وناوله اياه فانه يعزم على الرواح ولا يعود يقرب الخيام والخبا الى الصباح فاكون قد رجعت الى خيمتي وتكون أنت قد جئت الى ابن أخيك عند عودتي فقال نوفل السمع والطاعه ثم انه سار مع تلك الجاريه الى الخيام في الوقت والساعه وهو في زي النساء بالبرقع والقناع وقد جسر على ذلك الامر ولا خاف ولا ارتاع

ومازالت الجارية تمشى ونوفل وراءها حتى جعلته فى الخيمه وأدخلته فيها وتركته وراحت وليس أحد عنده بعد
ان أرخت عليه أستارها ﴿قال الراوى﴾ فما استقر بنوفل الجلوس حتى دخل أخو أسما والقعب اللبن فى يده
وقال له خذى واعلمى انه لو كان الامر لى ماسقيتك الا سم الافاعى وانى عن قريب أكون فى هلاكك ساعى
فلما سمع نوفل كلامه أظهر الخجل والحرد وتحسر وتنهد وأخذ القعب منه بغيظ وحرد وقد أراد أن يشرب
فارتعدت مفاصله من شدة الخوف الذى هو نازله فسقط القعب اللبن منه وانهرق فزاد باخى أسما الغيظ والمحن
ومسك سوطا وضرب نوفل على أكتافه والاضلاع ومازال يضربه حتى كاد يقطع نفسه والنخاع وصار يقول
يالخنا الى كم هذا التفنيد لان كل يوم تزيدين فى عشق مجيد وكلما ذكرتيه زادت بك الرعده والخفقان حتى
انك صرت زائدة فى الحد عن بنات العربان ثم انه زاد عليه بالضرب حتى أوجعه ومن شدة الوجع جرى على
خدوده مدامعه فعند ذلك هم نوفل أن يسل الخنجر من على وسطه ويقتل أخا أسما الاجل ماضربه ذلك الضرب
الشديد لكنه قد خاف أن تفتضح أسما والجاريه ويهلك هو ومجيد فصبر على مانا له من الالم الزائد وما
قدر أن يصيح ولا يتكلم ومازال أخو أسما يضرب نوفل حتى كلت يده وتعب ساعده وزنده وقد سمعت أم
أسما هرج ولدها فاهتمت بالحال فدخلت الخبا وقد أبصرت مافعل بنوفل فاشتفى كبدها وصارت تقول جرز
عليها ولا ترحمها فانها تستاهل القتل والهوان لان شؤم وجهها قد هيجنا من بلادنا وأبعدنا عن الاوطان
وهتكنا فى غربتنا فى هذا المكان ﴿قال الراوى﴾ لانه كان جرى لهؤلاء القوم فى بلادهم حديث من أعجب
العجب مع فارس من فرسان العرب كان يقال له ميسرة بن الغريب لانه خطب أسما من أبيها ورده عنها
ولا رضيه لها لان الغلام كان أسمر اللون غميق فى السمره وميله الى السواد أكثر من البياض والحمرة وكان
غريب من تلك الارض والبيدا تخشى أبوها أن يكون من نسل العبيد لكنه كان فارس شديد وبطل
صنديد لا يلتقى فى الميدان اذا بارز الاقران ومارس الشجعان فواظب غاراتهم حتى انه شتتهم من بلادهم
ولا بدما نشرح حديثه فى مكانه ونبين قواعده حتى يلتذ به السامع ولا يضيع منه فوائده الان أخا اسما مازال
يضرب نوفل حتى علم كل من فى الحى بذلك العمل ومافيهم الامن قال تستاهل الذل والضنا والهوان لانها
كانت السبب انا فى تشتيتنا عن الاوطان ولما ان تعب خرج من المضرب هو وأمه وأرخوا أذيال الخبا عليه
وقد بقى نوفل فى هم وغم وصار يتمامل من شدة الضرب ويتوجع ولا يدرى ماذا يصنع وكيف يفعل فبينما
هو مفكر فيما وصل اليه وجرى عليه واذا بالجاريه دخلت عليه وكانت من أتراب أسما وأخت صاحبتها
فسمعت بضربها وعذابها فاتت اليها تتوجع لها وتعتبها على فعلها الا انها لما سارت قدام نوفل بكت
وقربت منه والى عنده تقدمت ثم صارت تقول ويحك يا أسما أما تخافى على نفسك وتخشى رب الارض
والسما فالى متى هذا اللجاج أما تعب قلبك من الانهتاك وقد فضحتينا ولانلت مراد ولا رعى لك أحد
وداد ثم انها مدت يدها الى بين أفخاذها وأرادت بذلك أن تمزح معها حتى تسليها من مرادها ويخف
ماعندها من ألم الضرب فوقعت يدها على الضنا والويل وشعر أخشن من شعر الكسا وعظام ثابتة بخلاف
عظم النسا فقام شعر بدنها وقد جذبت من بين أفخاذها يدها وهمت أن تقوم على حيلها فكشف نوفل وجهه
لها وقال لها يا ابنة الكرام بحياة أسما تمهلى على قليل واسمعى ما أقوله لك من الكلام فقالت له وقد زاد فزعها
ويلك من أنت ومن الذى أتى بك الى هذا المكان أما على نفسك فزعت أخبرنى ماحالك وما الذى صبرك
على هذه الفعال من قبل أن أصيح عليك وأجمع كل من فى الحى من النساء والرجال فقال لها نوفل لاتفعلى
ياحرة العرب ولا تفسدى مادبرته رفيقتك وصديقتك أسما وتكونى لهلاكهما معا سبب فلما ان سمعت منه
ذلك المقال قالت له قل لى على أصل ذلك فابتدا وحدثها بحديث مجيد وأسما وقال لها ان أسما قد باتت عند
مجيد على الغدير حتى يبلغ كل منهما مايريد وأنا أتيت الى هنا بعد أن لبست ثيابها وأتيت لابيت مكانها حتى
لاينكر أحد أمرها ثم انه أخبرها بما دبرت أسما وما أحكمت فقالت وهى من حديثه متعجبة وبه مستأنسه
واليه متقربه وقالت له يا ابن الكرام وأنت قد احتملت هذا الضرب والآلام التى قد جرت عليك من حب

هذه الجارية والغلام حتى يشفى كل واحد منهما مايريد من الآلام ويبلغ المرام واتممت بهذه الفعلة سنة
الناس الكرام فقال لها نعم ولكن تقدرى أن تكونى أكرم منى فقالت له لما ان سمعت منه ذلك فاخبرنى
بماذا تريد من التمنى فقال لها أريد منك أن ترعى سترى وتخفى عن العرب أمرى وتخففين ألم الضرب عنى
وتبيتين عندى الى الصباح ولا أبيت وحدى مخاطرا بروحى خائف من الافتضاح لان جسمى قد تركه
الضرب مشطب بالجراح وبقيت معافا فى صفة عليل وليس لى من النوم من سبيل وان كان قلبك لا يرق
لهذه الشكوى فاكتمى حالى وحال أسما وروحى ودعينى وحدى أكابد البلوى لان والله من أبصر جمالك
فقد بلى ببلوى ويموت بعلة مالها دوى ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمعت تلك الجاريه من نوفل ذلك الكلام
قالت ومن تكون أنت من بنى عبس فقال لها أنا نوفل أخو الملك قيس عم مجيد فلما ان علمت الجاريه انه
أخو الملك قيس سيد بنى عبس لانت جوارحها وقد ارتخت مفاصلها وتبسمت بعد التعبيس وطابت منها
النفس وقالت له أبشر يافتى فانه ما اندعك تمن علينا بكرم الطباع وجميل صفته مع صديقتى أسما ماندعه
يمضى مع مثلنا ضائع ثم انها دنت منه وحلت برقعها وعانقته وعانقها وقبلته وقبلها وباتت عنده الى ان قرب
الصباح وقد برد ماكان يجده من ألم الضرب واستراح ولما أن بان ضوء الصباح قامت تلك الجاريه من عند
نوفل وقد ودعته وانصرفت الى حيث تريد وخرج هو الآخر من الخيمه وهو يهرول ومازال الى أن وصل عند
مجيد وأسما واجتمع بهم فى تلك البيدا ثم انه حدثه بما جرى له وماتم عليه من ذلك الامر الشديد وقد أوراهم
أثر الضرب الذى ضربه له أخو أسما على أكتافه وأضلاعه ولما أخبرهم بما جرى عليه وناله نزع ثياب أسما من
عليه وقد قامت الاخرى ثيابه وودعت مجيدا وقد عاد كل واحد منهما بعد ذلك يطلب دياره وقد خف عنهم
مايجدوه من الافتكار الا انهم ما بعدوا من ذلك المكان حتى لقيهم عبد من عبيد الملك قيس وصار لهم مقارب
ولما ان رآهم ذلك العبد عرفهم تقرب منهم وميل نحوهم وقال لهم يا موالى ايش الذى غيبكم عن الحى والله انكم
من الهلاك سلمتم فقال له نوفل ولم ذلك فقال العبد اعلم ان أخيك الملك قيس قد أنفذنى الى أهل أسما أقول
لهم ان مجيد قد أتى الى دياركم والحى ففتشوا عليه حول بيوتكم وانظروه وأينما وقعتم به اقتلوه وأنتم فى حل من
دمه ومايجرى عليه وكان الملك قيس قد بغض مجيدا من حين ماشكى أبو اسما اليه ولولا انه فى أبيات عنتر
كان قتله لاجل تعرضه بجاره لان العرب كانوا فى ذلك الزمان عندهم اغاثة الملهوف والضمان وحفظ الجار
واعطاء الذمام واطعام الطعام والصدق فى الكلام وكان أبو أسما رجلا من عبس وأبعد عنهم فعلم الملك
قيس انه مارحل من جواره الا خوفا على ابنته لا يفتضح فيها فرحل من تلك الارض هو وأهلها وذويها فزاد
بالملك قيس الغضب على ابن أخيه مجيد وقد عرف انه مايصبر عن أسما ولو وضعوا فى رجليه قيدا من الحديد
وانه لابد له من الرواح اليها فاوصى عليه جماعة من العبيد وقال لهم ارقبوه واذا رأيتموه قد غاب عن الديار
اعلمونى به حتى أفعل به الذى اختاره فتركوا عليه العيون والارصاد حتى انه غاب عن الحى وأعلموا عمه وقالوا
له انه قد سار هو ونوفل يطلبون المنازل التى فيها أسما وكانوا قد جازوا عليه فى المرعى ضحى نهار فتحققوا انهم
قاصدون الى منازل أسما وتلك الديار فلما ان رجع العبيد من المراعى الى الحى أعلموا الملك قيس برواح مجيد
وعمه نوفل فكاد من الغيظ أن يغشى عليه وقال والله لا أبقيت على هذا الولد الزنا الذى نهيته عن جيرانى ولا انتهى
ثم انه أنفذ ذلك العبد الذى قدمنا ذكره ليعلم أبو أسما بحال مجيد وماكان من أمره ويقول له ياشيخ اعلم ان ابن
أخى قد غاب عن قبيلتنا وكون ابن أخى قد عجزت عنه قبيلتى فان كان قد سار الى دياركم فارصدوه وأينما وقعتم به
اقتلوه ولا تبقوا عليه ولا تمهلوه ﴿قال الراوى﴾ وكان ذلك العبد الذى أرسله الملك قيس عاقل ومحبا لمواليه
فلما سار قد تقاتل مع نوفل ومجيد فحدثهم عن جلية الخبر وقال لهم يا موالى اذهبوا الى الحى وادخلوا اليه
واخفوا أمركم بكل ماتقدروا عليه ولا تظهروا لاحد انكم كنتم فى هذه الديار ولا تقولوا اننى رأيتكم ولا رأيتمونى
وأما أنا فلابد لى من دخولى الى بنى بشر على هذه الحاله وأبلغ رسالة الملك قيس الى أبى أسما كما أمرنى مولاى ثم

ان العبد سار الى نحو ذلك الطريق ولما ان سار العبد عاد نوفل ومجيد الى الحى على غير طريق والعبد يرقبهم
حتى غابوا عن عينه فى البرارى والقفار وقد طاب قلبه واطمأن خاطره الذى بلغهم تلك الاخبار ولما ان أمن
عليهم وعلم انهم استقاموا على الطريق من غير اطاله صار الآخر يطلب خيام بنى بشر ليبلغ أبا أسما ما حمله مولاه
الملك قيس من المقاله وذلك كان من خوفه من سيده فاعقبه وخشى على نفسه انه ما بلغ الرساله فربما يحدث
عليه منها نائبه هذا ما كان من ذلك العبد وما دبره من العمل * واما ما كان من مجيد وعمه نوفل فانهم كانوا سائرون
فى ذلك البر من غير محفل ومجيد يبكى ويشكو لعمه حتى قربوا من الحى وبقى يشاوره كيف بقى ينتظر اسما
ونوفل يقول له والله يا مجيد ما بقى لك على ذلك من سبيل ثم انه تيقن منها بالبعاد ولا بقى يقدر على كشف ضرك
الا عنتر بن شداد والصواب انك لما ان تدخل وتصل الى البيوت تدخل اليه وتقص قصتك عليه وتخبره
بما كان من أمرك وما نالك وان هو سمع منك ذلك فقد انقضى ما تريده من أشغالك ونلت آمالك ثم انهم تمادوا
سائرين وهم على تلك الحاله الى ان دخلوا الى المضارب والابيات فى الليل حتى تخفى على أهلهم أمورهم ثم
طلب كل واحد منهم أبياته وأما مجيد فقد أيقن بهلاكه ومماته وكان قد بقى من الليل القليل فدخل مجيد
على أمه وفى قلبه من الهم شئ ما يقدر على حمله وكان قد اصفر وجهه وتغير لونه ولم بقى يدرى ما يفعل فى تلك
الامور التى طرأت عليه ونابته فلما ان رأته أمه سألته عن حاله وما الذى قد جرى له وأين كان فى تلك الليلة
الماضية وما الذى غيبه فقال لها كنت عند عمى نوفل أتحدث أنا واياه على ما يجرى للشباب من العمل ثم
انه اتكا على جانبه من غير أكل ولا زاد ولا نام وقد زاد به الوجد والغرام واشتد عليه العشق والهيام وأخذه القلق
والسهاد ولما أبصرته أمه وهو على غير الاستوى علمت انه أسير العشق والجوى فقالت وقد لحقها عليه
الوجد والحرق يا ولدى ايش هذا الهيمان الزائد والقلق لا يكون قلبك ببنات العرب قد تعلق فوالله يا بنى
انى حسبت لك هذا الحساب وقرأت لك عنوان هذا الكتاب وعلمت انه ما يحصل لك خير بمجالستك لبنات
الاعراب يا بنى بتربة أبيك مالك الا ما أطلعتنى على ما أنت فيه من أحوالك ولا تخفى على شيئا فيما نالك
﴿قال الراوى﴾ فعندها حكى لها حكايته وسبب بليته وعشقه لاسما وما جرى عليه من الاول الى الآخر
قال فلما سمعت أمه منه ذلك قالت له والله يا ولدى انه زاد بكلامك نكدى وتفتت من أجلك كبدى وقد
حدثتنى بحديث ما كان لى فى حساب وأنا ما بقيت أخفى عن عنتر هذه الامور والاسباب ولا بد عند الصباح
ما أشرح له قصتك ولا أدعك تموت بحسرتك وتعدم مهجتك ولولا انه الليله نشوان من شرب الخمر لكنت
أعلمته بهذا الامر ثم انها باتت تشاغله بالكلام والمهاد حتى انبسطت الشمس على الربا والوهاد وعلمت
ان عنتر قد صحى من سكره وان مقرى الوحش عنده وعروة بن الورد ومازن أخوه فسارت أم مجيد اليه وسلمت
عليه ولما عرفها رد سلامها وزاد فى اكرامها واستوحش بمجيد فشكرته على احسانه وانعامه ثم انها قعدت
بين يديه وقصت قصة مجيد عليه فلما سمع عنتر منها ذلك الكلام اشتد به الغيظ وظهر وقال وحق الركن والحجر
والبيت العتيق المطهر لقد كنت أخشى على مجيد من مثل هذا الامر وأخاف عليه من معاشرة هذه البنات
وكنت أحسب هذا الحساب لكن ما قلت انه يقع مع بنات الغرباء من الاعراب بل كنت أقول انه يقع مع بنات
عمه حتى كنا نزيل همه وغمه وأما اسما فما كانت لاحد على بال والآن قد جرى من الامر ما فيه وأنا من هذه
الامراض أداويه وأرد قلب عمه عليه ولا أدعه يأبى عليه وأحمد الرب القديم الذى ما مد عينه الى بنت ملك عظيم
ولا فارس جسيم ولو كان عمه راض عنه غير غضبان كان زوجه بها وأزال عنه الاحزان ولكن بغضه لاجل الفحل
الاصهب وضيع حرمة القرابة والنسب ولكن آخذ له أسما ولو حوها أمة ربيعة ومضر وكسرى وقيصر
فقال مقرى الوحش وقد زاد به الابتسام باى وجه تأخذ أسما يا أبا الفوارس فقال له أسير الى أبيها وأطلبها
الى مجيد وأعطيه من المال ما يشتهى ويريد وان احتج على وقال أنا ما أزوج بنتى لمن فضحنى بين الملا
ضربت الجميع بالسيف نهبا وآخذها منه غصبا فقال مازن ايش هذا الكلام أيها الفارس الضرغام فان
أردت تسير بنا فى هذا الظلام ونصنع فى قومها الحسام وننشط فى الربا والآكام ونأخذها من قومها غصبا

فقال مقرى الوحش يا فارس الشدائد والله ان هذا الرأى فاسد يسر العدو والحاسد فقال عنتر وكيف ذلك
يا فارس النياق فقال ان القوم فى جوار الملك قيس وهم تحت ذمامه وأقاموا فى خيامه وأكلوا من طعامه
وسار بينهم وبينه ذمام فان تعدينا عليهم تتفرق العشيرة أحزاب فى هذه الايام ونرجع الى المنهاج الاول يا ابن
الكرام والصواب اننا نركب الى حضرة ملكنا ونسلم عليه ونقدم مجيدا بين يديه ونتركه يقبل يديه ويعتذر
اليه ولا نزال نلاطفه فى زواج أسما ونطلب منه المعونه على ذلك الحال فان أجاب فقد هانت الامور من
غير غضب وان أبى فافعلوا ما تريدون فقال عنتر وحق الملك الديان الذى خلق الانس والجان اذا لم يفعل معنا
ذلك لاهججهم من الاوطان واقلعهم من بنى عبس الاثر على آخر الزمان وآخذ اسما اذا اردت فقال
مقرى الوحش ان هذا الامر محسوب عليك فافعل ما يعود نفعه عليك فقبل عنتر مقاله ونظر فى عواقب
أفعاله وأحواله فركب فى الحال وأخذ مجيدا معه بين رجاله وسار وقد طيب قلبه بالكلام ثم انهم ساروا الى
الملك قيس ووقفوا خارج الخيام حتى يخرج ويبدأ بالسلام ومازالوا على الخيل قيام حتى ركب الملك قيس
ودارت اخوته من حوله فتقدم عنتر حتى صار بين يديه وأمر مجيدا ان يقبل الركاب مع قدميه فتقدم اليه
ورجلى وقبل الارض واعتذر اليه وبكى واعترف بالخطأ وما فعل من الذل هذا وعنتر قد زادت به الاشجان
وقال يا ملك الزمان انى قد سمعت انك قد أبحت دم ابن أخيك للعربان وجعلته هدرا لبنى البشر أولاد الزوان
وأنا وحق الملك لو تعرض أحد من الناس لقطعت رأسه بهذا السيف وخمدت منه الانفاس وأنا أعلم انك
ما ازددت عليه غضب الا لاجل الفحل الاصهب وقد قطعت ما بينك وبينه من النسب من أجل هذا السبب
ونسيت مكارم أبيه مالك وما كان له من الوداد واهدرت دمه لقوم أرذال وما جرت بتمه بحال من الاحوال
فقال قيس والله يا فارس عدنان انا ما أهدرت دمه لاجل الفحل الاصهب ولا فعلت به هذا الشان الا لاجل
ما تعرض بجيرانى واستصغر بى بين الملا شانى وهتك حرمة جارى وفسخ ذمامى وحط بين الملا مقامى ومازال
يطرق ديار القوم حتى بعدوا عنا ورحلوا من جوارى وساروا فى البرارى ورحلوا عنا وهم غير شاكرين بعد
ما أتى أبوها الى عندى هو وقومه أجمعين وشكى الى من الضيم الذى نزل عليه وما كان يكلمنى الا والدموع
تتناثر من عينيه لانه فضحه فى ابنته وخرق حرمته بين قومه وعشيرته فلما صح عندى هذا الشان هان على
حتى لا يعايرونى بنقص الذمام العربان ويتكلموا فى القوم اللئام فقال عنتر يا ملك اذا كان أبو اسما قد أتى
اليك وشكى ما فعل بابنته ابن أخيك فلم لا خطبتها له وجبرت قلبه وأزلت غرامه وكربه وزوجته بها ولا
بقى عتاب ولا كلام ولا كنت تركته يقاسى الجوى والغرام فقال قيس والله يا عنتر هذا شئ لم يخطر لى على
بال ولا قدرت ان أفعله من حياى ولا يمكننى ان أجاوب الرجل بهذا الجواب وهو قد أتى يطلب لابنته الستر
والحجاب فقال عنتر ان كنت ما تفعل ذلك فانا أفعله ولا أخليه يموت بعلته وأريدك ان تبسط لى العذر فى هذا
المرام من غير احتجاج ولا تنسبنى الى اللجاج لان هذا امر ما أقدر اهمله ولا بد لى ما أفعله ولا أخليه يموت بجوى
وغرام وانا قادر على طعن الرمح وضرب الحسام قال فلما سمع قيس من عنتر علم انه متى لاججه يطير بينهم
الحرب والخصام فصبر الملك قيس وقال يا عنتر والله ما يدخل أحد معك فى هذا الامر لانك توليت امره من
الاول وانت ايضا تتولاه فى الآخر واحسن فى امره التدبير ولا يعارضك منا احد لا صغير ولا كبير ثم انهم
ساروا الى حول مراعيهم الى ان حمى عليهم الحر والهجير وعادوا الى المضارب والخيام وعاد مجيد وبنو
الاعمام وقد طيب قلب مجيد بالكلام واوعده بزواج اسما وبلوغ المرام واعلمه انها قد حصلت له
وزال عنه العنا وبشره ببلوغ المنا هذا وعنتر يقول لمقرى الوحش كيف يكون فى هذا الامر العسير
فقال مقرى الوحش يا فارس عدنان تقيم انت فى الاوطان وامضى انا واخوك مازن ونوفل وندخل على ابى
اسما ونخطب منه ابنته ونبالغ فى اكرامه بعدما اقول له يا شيخ العرب الكرام ان الملك قيس قد شق عليه
بعدك فى هذه البلاد والبرارى والآكام وقد خاف من معيرة العرب له بفسخ الذمام وقد رضى على ابن اخيه فى

هذه الايام بعد ما كان عازما أن يسقيه كاس الحمام ولكن استخبرهو وعنتر وزأوا كل ما قيل عليه زور وغدر وقد أنفذني اليك رسولا وخاطب وجعلني في هذا الامر له نائب حتى يصير بينك وبينه صلة ونسب ونعود الى ديارنا والاوطان وتبقى لنا من جملة الاخوان وتعلو على أعدائك بهذا الشان وتأمن من نوائب الايام والازمان ولا نرجع الا ببلوغ الآمال وقضاء الاشغال ولا تسير أنت ولا مجيد معنا ربما تزيد والرجل لجاج ويقع بيننا القيل والقال ولا يؤلمنا الا لو بال لان الرجل في ذمام الملك قيس وفي حمايته وهذا الذي أقوله أصوب ورأيك أنت بعد هذا أوجب فقال عنتر ما في هذا باس ولا يذمه أحد من الناس ثم انهم نزلوا في الخيام وأرسلوا الى نوفل أعلموه بما دار بينهم من الكلام وما عولوا عليه من الاحكام قال فلما سمع نوفل أجاب وأتى اليهم في المضارب والقباب ودخل عليهم وسلم فاعلمه عنتر بما قال مقرى الوحش وما به تكلم فقال نوفل والله نعم الرأي يا فارس الاعراب قال ولما كان عند الصباح عزل عنتر خمسين ناقة من النوق العصافير وعشر مهاره مزينة بثياب الحرير وسيوف ورماح وعقود من الجوهر تقوم بمال كثير وسلم الجميع الى نوفل ومقرى الوحش وسير معهم أخاه مازن في جماعة من الفرسان وقال اعلم أنك اذا وصلت الى أبي أسما سلم هذه النوق والهدايا اليه وسلم بعد ذلك عليه وقل له يقطع مهر ابنته بما ينتهي من النوق والجمال والمهارى ويطلب بعد ذلك من المال ما أراد ولا ترجع من عنده الا ببلوغ المراد فقال نوفل ما لنا الا نجتهد في هذه الامر يا فارس الطراد ثم انهم ساروا والعبيد بين أيديهم تسوق المهارى والجمال وهم خلفهم يقطعون التلال حتى وصلوا الى أبي أسما فوجدوا الديار قفار ما فيها ديار ولا من ينفخ النار فانبهر نوفل وحار وقال والله خاب تدبيرنا وأشكلت أمورنا وها قد رحلت القوم من هذا المكان وطلبوا منازلهم والاوطان ثم انهم فتشوا عليهم في تلك القيعان فلم يروا لهم اثر ولا وقعوا لهم على خبر فقال مقرى الوحش لنوفل ما الذي تفعل نقيم ها هنا وأنت تعود الى الاوطان فقال يا فارس غسان ايش بقي لنا من العمل في تلك الاوطان نسير ونحن ثلاث فوارس خلف بني بشر الى بلاد وما ندري ما الذي طرقهم من حوادث الزمن فقال لا وحق الملك الديان بل نقيم ها هنا الى وقت السحر ونعود الى الاوطان ونخبر عنتر بذلك الخبر فهو أخبر منا بهذا التدبير وينظر ما ذا به علينا يشير فقال مقرى الوحش والله يا ابتيان لو كان عنتر معنا لتبعناهم الى بلاد اليمن وما كنا نعود الا ببلوغ الآمال فلما ان سمع نوفل ذلك المقال قال له هذا الامر قد مضى وفات لكن انزلوا بنا في هذا المكان الى وقت السحر ونعود الى الاوطان ثم انهم نزلوا في ذلك البر الاقفر وقاموا فيه يتحدثون الى وقت السحر وقد عادوا يطلبون الحي على الاثر وما فيهم الا من يتحدث في مجيد وما يجرى على قلبه من الهم والغم اذا انه يسمع بهذه الاخبار وما زالوا يقطعون الارض والوهاد الى أن وصلوا الى العلم السعدى وقد دخلوا على عنتر فلما ان رآهم عنتر ونظر الى سرعة تلك العوده فقام قائما على قدميه وتلقاهم أحسن ملتقى وسلم عليهم وهيأهم وفرح بقدومهم ثم انه حار في ذلك وانبهر وقال لهم ايش هذا الامر والحال أليس خبر يا رجال فقالوا له يا عنتر ما تم شيء من الخبر فقال لهم حدثوني بما جرى لكم وما تم لكم فاخبروه بالحال وقالوا اعلم اننا لما سرنا من عندك الى منازل أبي أسما فما رأينا فيهم غير اليوم ولا نظرنا هنالك ديار ولا نافخ نار ﴿قال الراوى﴾ فلما ان سمع عنتر منهم ذلك الكلام زاد به الوجد والغرام وقد توجع لاجل مجيد وزادت به الآلام وقال والله ما هذا الامر المزاق وأنا خائف على مجيد أن يهلك من وجع الغرام والفراق فقال مقرى الوحش أقول ان أبا أسما ما طلب منازله والديار وما سار الى البيت الحرام ولا يسير الى أوطانه لانني قد سمعت طرفا من حديثه انه نشأ عندهم غلام وهو أسمر اللون لكنه بطل همام وليث تمام وقد قيل لي عنه انه يسمى ميسرة بن الغريب وهو فارس ضرغام وكان يحب أسما مستهام وقد خطبها من أبيها فلم يجبه الى ما طلب لانه عبد مجهول النسب فاخذها أبوها وهرب بها وقد أتى الى أرضنا واحتمى بديارنا وأقول انه لى بها مجيد ورآها وقد تعرض لها فخاف من عاقبته فعند ذلك أخذها وقد رحل بها من أرضنا وسار الى البيت الحرام حتى يحتمى به ويأمن عليها منه ومن غيره من سائر الانام فقال عنتر يا نوفل وحق مسير الغمام وصاحب البيت الحرام وزمزم

والمقام والركن بالتمام لو سار بها الى ظهر الفلك الدوار لاسيرن خلفه ولآخذها منه على رغم أنفه فخذوا أهبتكم الى وقت الصباح واعتد من قومه ورجاله الى المسير خلفه والرواح فاجابوه الى ذلك فبلغ الخبر الى مجيد برحيل أبي أسما فهام وقد امتنع من الشراب والطعام ولا أتاه هنا ولا منام وصار حزينا باكيا مستهام ولما أن أظلم الظلام ونشر على الخافقين أجنحة الغياهب وقد أرخا ستوره على المشارق والمغارب ورقدت أهل الحي في خيامهم الا مقرى الوحش فانه قد بات يتحدث مع زوجته سبيكه وولده سبيع اليمن ويتمتع بنظره اليهما ويشبع من محادثتهما قبل الرحيل ثم انه أراد بعد ذلك أن يهجع قليل فما أتاه منام وما زال كذلك الى أن عبر عليه نصف الليل فعول أن ينام واذا قد دخل عليه شيبوب أخو عنتر وقال له يا أمير أجب أخي عنتر فانه يدعوك اليه لشغل مهم فتعجب مقرى الوحش من ذلك وقام معه وقال يا ترى ما الشغل الذي عرض لاخيك فقال له شيبوب والله لا أدرى لانني ما سألته عن ذلك فسار مقرى الوحش الى خيام عنتر ودخل عليه فرآه جالس والنار تضرم بين يديه فدنا منه وسلم عليه وجلس الى جانبه وقال له ما الخبر يا أبا الفوارس فقد أشغلت قلبي بدعواك في مثل هذا الوقت وانني في ليلتي هذه ما نمت الى وقتي هذا فقال له عنتر بل أنا نمت من أوله الى هذا الوقت وبعد ذلك قلقت لاجل منام رأيته وعجب أبصرته ومنه قد فزعت وطار نومي من بصرى فدعوتك لاجل أستأنس بك فقال له مقرى الوحش ما رأيت يا أبا الفوارس لكن قص على ما رأيت في الكرى فقال له عنتر انني قد نمت وأنا مشغول القلب على مجيد ضيق الصدر فرأيت في منامي ولذيذ أحلامي كان القمر قد طلع من الشمال واستدار وطال فقبضت أنا عليه وأردت أن أرده الى مطلعه وقراره فاحرقني شعاعه وأنواره فرددته الى يدى اليمنى وقلبي خائف حزين واذا به قد صار نصل سيف يلمع مثل البرق اذا أضاء وبرق فضربت به سواد الغسق واذا بالصباح قد طلع وأشرق وذهب الظلام وتفرق ثم انى انتبهت من منامى وأنا مرعوب شديد القلق وقد أخذني من ذلك السهاد والارق وقد طرقتني طوارق الفكر وانى أريد منك ان تعينني على تفسير هذا المنام ان كنت تعلم ان التفسير لك فيه خبرة واحكام فعند ذلك قال مقرى الوحش وقد أخذه الانذهال من هذا المقال يا أبا الفوارس ما يقدر يعبر هذا المنام الا علماء البيت الحرام لانه منام يحير ذوي الافهام واعلم ان هذا المنام يتجدد لك منه سعادة ورتبة ورفعة وزيادة لان تأويل السيف والبدر يدل على ولد ذكر هكذا قالت علماء التفسير وقد سمعت منهم ذلك فقال له عنتر يا ابن العم ما قصرت فيما قد ذكرت ولقد خفيت عنى ما به قد أشرت وأقول انا ما نرجع من حاجة مجيد الا ببلوغ المنا وبعد هذا القلق والتذكار ما بقى يأخذني هدو ولا قرار ولا بد لي من المسير قبل طلوع النهار فعد الى خيامك وشد على جوادك واركب ودعنا نسير ونقطع الارض تحت هذا الغيهب فان خاطري بعد هذه الامور قد اشتغل ونفسي تحدثني باشياء ما لها محتمل ثم انه بعد ذلك أنفذ شيبوب الى عروة بن الورد ورجاله وقد نادى باخيه مازن فحضر فامره أن يشد جواده ثم انه لبس آلة حربه وجلاده فسار وقد فعل ما أمره به أخوه عنتر وأما عنتر فانه قد ودع عبلة وقال لشيبوب شد لي الابجر فشده وقد أتى به اليه فركب وقد سار وخرج الى ساحة القفار وفي دون ساعة تلاحقت به الخيل وقد ساروا وافى ظلام الليل فعند ذلك سأل عروة عنتر عن مسيره في الظلام فقال عنتر نحن سائرين في حاجة مجيد ثم انه بعد ذلك حدثه بالمنام الذي رآه في الكرى وأعلمه ان في قلبه من أجل مجيد النار التي لا تطفى واللهيب الذي لا يخفى فتعجب عروة من قصته وحار من عظم همته وما زالوا على مثل ذلك وهم سائرين حتى انهم وصلوا الى المنازل التي كانت فيها أسما هي وأهلها وكان الوقت ضحوة النهار ومن هنالك صار بهم شيبوب على الآثار الى أن وصلوا الى منزل يقال له علم الناظر واذا هم ينظرون الى غبار ثائر ملأ الاطراف وكان عهدهم خالى من السكان فوجدوا آثار حروب وأمور تدل على نزال وقتال ووقائع ورجال مطروحين على الرمال فعند ذلك ساروا اليهم ولما ان قاربوا منهم وتبينوهم فهالهم أمرهم لما ان أبصروهم وقد تقدموا اليهم وحققوهم واذا هم من بنى بشر بن جهينة ورجال أبي أسما ملقحين قتلى فقال عنتر يا ترى ما كان من أمرهم وما الذي جرى لهم فقال نوفل والله خابت سفرتنا وضاع تعبنا وما بنا الا ابن أخي

مجيد وكيف يكون العمل وان عدنا ونحن خائبين بموت بلا أجل فقال عنتر لا وحق من أمر الغيث فنزل وخاف بين السهول والجبل لا عدت من سفرتي هذه خائب ولو أمطرت علينا النوائب سر الآن بنا يا شيبوب على هذه الطريق الذي كثر فيها وطئ الحوافر ولا تخاف ما بين يديك من العساكر لان سيوفنا مغمدة قد اشتكت الظما وأسنة الرماح لها مدة ما تخضبت بالدما وبعد ذلك قد سار بهم شيبوب وقد سارت الخيل على أثره وهم في سبعين فارس لكنهم فرسان تخافهم الجن والابالس ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من أبي أسما وما كان منه وقومه فانه كان لهم حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه كان السبب في خروجهم من ديارهم ونزولهم على بني عبس كان أصله من الذي خطبها من أبيها كما ذكرنا وقد أبى أبوها أن يزوجه بها وأراد أن يأخذها منه غصبا وهو الذي قد هجم على أوطانهم وأذلهم وأهلك فرسانهم وقد ذكرنا أن هذا الفارس لم يكن في أرض القوم ولا بينهم وبينه نسب ولا معاملة ولا حسب وانما كان قد التجأ اليهم وهو صبي وقد نشأ عندهم في الابيات وقد ربي وقد قتل مولاه في بعض الغزوات وبقيت أمه تخدم في بيوت العرب وهي تربي هذا الفارس الرئبال الى أن اشتد عصبه وعقل وبلغ مبالغ الصبيان فرأى أمه وهي تطحن بالليل وتتعبه بالنهار وتميزه على نفسها وتحن عليه بما ملكت يدها الى أن نشأ وسار مع الاولاد الكبار يرعى الجمال ويركب الخيل في البراري الخوال ويساعد أمه على النوائب واذا خلا وحده تحدثه نفسه بكل أمر صعب الاخطار ونفسه تطلب منه العلو والافتخار وصار يركب على ظهور الخيل العتاق ويطردها حتى يبل لبانها بالاعراق ويتقلب على ظهورها ويقسمها مواكب وشريب ويطعن الاشجار باصول القضيب ويخطر في الفلا وحده ويفتخر على أبناء جنسه حتى انه تهر وسار له من الشجاعة أشياء لم تخطر لأحد على بال ولا حساب لان السعادة اذا خدمت انسان هونت عليه الامور الصعاب الا انه ما زال على مثل ذلك الحال حتى هانت عليه سائر الاهوال وخفت عليه الاثقال وقد سار يبيت أكثر الليالي على المناهل والغدران ويقبض الوحوش التي تأتي وترد الماء وفي النهار يقصد السباسب والغابات ويخاطر بنفسه مع السباع في تلك الفلوات ويصطادها ويقودها الى الاحياء كما تقاد الفهود والغزلان ثم ينحرها ويأكل لحومها ويفرق منها على الفرسان واذا غزتهم فرسان القبائل في النهار أو في الليل يقول بالله عليكم يا موالي لا يتعب أحد منكم نفسه في قتال ويصبر حتى يرى مني ما يسره ويشرح صدره في الحرب والنزال ثم انه يحمل على الفرسان ويشتتها في القيعان واذا تكاثرت عليه القبائل فيردها قهرا بالرماح الذوابل وكان أهل الحلة يقومون له ويحفظون ماله الى حين يفرغ من قتالها ويدفعوها له فيأبى أن يأخذها ويأمرهم بأخذها والركوب عليها يوم الطراد وفي مقام الحرب والجلاد لانه من وقت نشأ فارس الشجعان وأخبرها في الميدان فهانت عنده مقاومة الفرسان وكان مع هذه الفروسية والشجاعة كريم المحيا ضحوك السن وكان قد لجأ به مقدم العشيرة الامير سابق بن عقال وسار يتقوى به على الاعداء ويحكمه في أمواله ويفضله على سائر أهله ورجاله ولما صارت له تلك المنزلة وعلا قدره وقد بلغ من دون الفرسان أعلى المراتب وصار له ذلك العز والشان على مقاومة الفرسان فاصاب مقابل سعادته هم القضا وغربة الزمان الذي ما زال بأهله غادر وخوان فسلط عليه الغرام وأشغله بحب أسماء البشريه وأشغلته عن المكسب والمعاش بالكليه وقد ضل عقله بها وطاش وأخذه الكسل والاندهاش ومن شدة ما جرى عليه أنفذ الى أبيها وخطبها منه وقد سار يتضرع له ليميل قلبه اليه ويقول له على لسان الخاطب يا مولاي اعلم انني فيك راغب وأنا لبنتك خاطب وانك لا تنعم لي بالزواج حتى تطلب مني المهر وجميع الصداق وما تحتاج وأرغب فيمن هو فيك راغب واطلب ما تعجز عنه فرسان العرب وابشر بنيل المنى والارب واتركني لك من جملة العبيد حتى ابلغك جميع ما تريد ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع خداش هذا المقال والكلام اغتاظ غيظا شديد وحضرت نفسه عنده وقال للرسول والله لقد نفخ الشيطان في معاطس ميسرة الضعيف النسب والحسب ونسي ما كان فيه من اليتم ورعي الجمال الذي للعرب ولكن أنا أقسم بالذي يعلم مواقع الاسماء

الذي جعل الليل والنهار رسما لو ساق الي كل ما تحت السما ما مكنته من النظر الى ابنتي أسما ولا زوجته من عندي بعض الاما على انني ما أدري كيف خطر له هذا الخاطر وكيف ساقته المنايا الى المهالك مع قلة نسبه وسواده الحالك ثم انه رد الخاطب من عنده وهو خائب ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع ميسرة ذلك الكلام الذي هو أمر من ضرب الحسام صار يشكو حاله الى محبيه وهو يحدثهم بما جرى له وما هو فيه وما زال الامر كذلك حتى زاد الخبر وشاع وتحدث فيه أهل القبيلة على السماع وكانت هذه الاخبار اذا وصلت الى أبي أسماء يذوب جسده ويزداد هما وغما ومن شدة غيرته على ابنته شكى حاله الى الامير سابق مقدم العشيره وقال له والله يا أمير ما بقي لنا في هذه الديار مقام ما دام قد ترك ميسره لابنتي حديث وكلام على انه لولا تقربك اليه ما كان قد طمع في ابنتي فقال سابق يا خداش ولم تفتخر بسيفه وتزوجه بابنتك لانك ما تجد رجلا مثله يقاومه في الفروسيه ولا في الكر ولا في كثرة الحياء والحشم فقال خداش يا أمير كيف أزوج من خالف لونه لون أمه وأبيه وصفات العبيد فيه فقال سابق يا خداش هذا الامر لا يعلم به الا رب الارض والسما الذي يخلق الضياء من الظلام والذكر من الانثى وخالف بين الالوان والاصناف شتى فان كنت أنت تخاف أن يكون فيه خصلة العبيد فهذا والله منه بعيد وأنا أشهد له بطيبة الاصل وأناديه يا ابن العم حتى ترضى ويزول ما بقلبك له من البغضا ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع خداش هذا الكلام من سابق حار في أمره والتجم بلجام وعلم ان أهل الحي يكونون أعوانا عليه وان ابنته تخرج من بين يديه وان هو رجل يرده ميسره غصبا ويشبعه طعنا وضربا ويأخذ منه ابنته غصبا فما كان منه الا المداراه وقد عول على أمر بعد له سوف نذكره في مكانه ونوضح للسامعين بيانه ولما ان خطر له هذا الخاطر قال لسابق يا أمير ان كنت رضيت لميسره أن يكون من بني عمك فانا أطيع أمرك ولا أخالفك حتى يكون لي سيفا على الاعداء وكل من طلبني من الفرسان أسقيه كاس الردى والآن خذلي منه الصداق وشارطه على المهر باتفاق وأريد منه ثلثمائة ناقه من نوق صاحب الارض السوده وجبل الدخان ويكونوا زرق الاعين كحل الالوان لانني أعرف انها ما توجد في سائر البلدان الا ان تكن عند رجل يقال له عنتر بن شداد وقد سمعنا بهذا الحديث من الوراد وبعد ذلك تكون لابنتي عرس أحسن من يوم الاعياد اذا هي تزينت يوم الزفاف بثياب الديباج الملونات باحسن الالوان وتركب الناس في الفرح والسرور ويأتوا الينا من كل ناحية ومكان ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع سابق هذا الحديث قال له أبشر يا ابن العم بكل ما تريد وذكرت ويأتيك أكثر مما طلبت واعلم انك قد ملكت رجلا لا يقاس بالرجال وبطلا ما يقاس بالابطال ولا مثله في الشجعان والفرسان ثم انهم بعد ذلك انفصلوا على مثل هذا الحال وكان قد أمسى المسا وقد بلغ هذا الحديث لكل من في الحي من الرجال والنسا وسمع ميسرة بان المقدم سابق تكلم في أمره والحال انجزه وقد شرط عليه ولا استعجزه فعندها اتسع صدره وانشرح وداخله السرور والفرح لانه كان قد حقد على أبي أسما لما دفعها وسمع عنه ذلك الكلام الذي كان عليه أصعب من ضرب الحسام وكان عول في نفسه أن يقتله الا انه لما سمع هذه الاخبار فرح واستبشر به غاية الاستبشار فلما كان عند الصباح دعا بجواد وفي الحال ركبه وسار الى خدمة الامير سابق فلما وصل الى عنده دعى له وشكره على أفعاله واستعاد منه الحديث فاعلمه الامير بما طلب من نوق جبل الدخان والمال فظن ميسره أن قلب أبي أسما لحبيبته قد انقلب فقال له ميسره والله يا مولاي لاسوقن اليه كل ما طلب وأجلب جميع أموال العرب ثم انه أقام بعد ذلك الكلام ثلاثة أيام وأخذ معه من محبيه مائة فارس تمام وسار يطلب جبل الدخان فاراد مقدم العشيره أن ينفذ معه الفرسان فقال لا وحق الملك الديان ولولا خوفي أن تقول الناس من الشجعان والفرسان المعروفة الآن بالفروسيه والطعان ان ميسره قد أعجب بنفسه واستحقر الابطال عند القتال بعد رعيه الجمال والا ما كنت أسير الى هذا المكان الا وحدي وأتي فرسان جبل الدخان ولو كانوا في عدد الرمال ولو رميت بسهام المنايا وطوارق الحدثان وما يأتي في الزمان من الرزايا والآلام فتعجب سابق من مقاله وقوة قلبه وعظم اهتمامه وقد علم انه كفؤ الى مقاله ثم انه ودع من كان حاضرا من القبيله وكان

أبو أسما حاضراً فودعه واعتذر اليه من فعله معه وقبله بين عينيه وقد بسط عذره بين يديه فقال له ميسره والله يا مولاى ما على من ذلك الكلام شئ ولو انك طردتنى وشحتنى بكل وشاح وذلك الامر يجرى على كل من طلب البنات من أولاد السادات العربيات وكل من أراد ذلك يصبر على النائبات لان البدور غاليات المهور والشموس لاتغلى بالنفوس ثم انه ودعه وسار وفى قلبه شعل النار وقد زاد به الوجد والافتكار وقد سار مع أصحابه الا أن قلبه فرحان وقد كان أبو أسما بلغ المراد منه لما أراد وقال انه ما بقى يعود الى البلاد لانه ما فعل معه تلك الفعال الا مكرمنه واحتيال حتى انه اذا رحل بابنته لا يكون له من يعيقه عن مراده وطلبته وقد أعلم أصحابه وأقاربه وقال لهم لا يتبعنى أحد منكم الا أن يكون بارادته ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم أجابوه على ما يريد الا أنا أبا أسماء ما أقام بعد ميسرة الا أياما قلائل وقد شكى الى مقدم الحلة قلة المراعى والماء فقال له اعلم أن المراعى حوالينا كثيرة فاختبر لك مكانا يكون كثير المراعى وانزل فيه فعند ذلك رحل بعشيرته ومن يعز عليه من أقاربه وحميته فكان رحيله بامر مقدم الحله وكان رحل معه من الشجعان خمسون فارس لانهم كانوا يقربوا اليه ويعزوا عليه وكانوا من جملة المبغضين لميسره فساروا باموالهم وظعنهم لان أكثرهم اغتاظوا من سابق سيد القبيلة لما ان ألحق ميسرة بالنسب وأدخله فى الحسب وما هو منهم وكانوا من جملة الفرسان المعدودين من العرب وقد كان يتقوى بهم الامير خداش على الامور التى تأتى اليه فرحلوا معه وهو لا يصدق بالبعد من تلك الديار والانتزاح عن السكان التى فى تلك الاوطان وقد اطمأن قلبه بصاحبة هؤلاء الفرسان لانه كان أخبرهم انه ما أبعد ميسره الا خوفا من شره فاستحسنوا تدبيره وعجبوا من غيرته على ابنتـه وعظم نخوته وان ذلك يحق له لانها كانت تفتن العباد بما قد أعطيت من الحسن والجمال والكمال والبهاء والدلال والقد والاعتدال وكان لها وجه أضوأ من الهلال فهى ظبية القناص ودرة الغواص ولما أن أبعدوا من أرضهم قالوا لخداش الى أين قد عولت تجعل مقامنا ومستقرنا فقال لهم يا بنى عمى الى أرض الحجاز نستجير ببعض القبائل المنيعه العزيزة الجوار فلعلهم يجيرونا من هذا العبد الاسود ولد الزنا ونترك مقدمنا سابق ان عاد ميسرة يأخذ ما يأتى به معه ويزوجه ابنته أو بعض أهله ويلحقه بنسبه ويعتز بسيفه فهو أحق به من غيره وان لم نجد فى أرض الحجاز من يجيرنا ويحمينا واطلبنا مكة المشرفه واقمنا فى ظل الشيخ عبد المطلب واسترحنا من سائر القبائل فقالوا افعل ما بدالك فنحن مستمعون الى مقالك وتابعين افعالك لان حماية الحريم والنساء أحب الينا من الديار والاوطان ومن معاشرة الاهل والخلان ثم انهم لم يزالوا مجدين وهم سائرون الليل والنهار يقطعون البرارى والقفار الى أن وصلوا الى ديار بنى عبس وكان عبورهم عند طلوع الشمس فرآهم الملك قيس وهم سائرون كما ذكرنا فسأل عنهم فاخبروه بانهم مستجيرون فانزلهم فى دياره وقد أمرهم بجواره فنزلوا فى الوادى كما قدمنا وجرى لمجيد ما جرى لعاشق أسما وفى الآخر علم ان ابنته باتت مع مجيد على الغدير وان نوفل قد أتى الى مضاربه فى زى النسوان وبات مكان ابنته عندهم فى الخيام وقد شاع هذا الخبر فى الحى فلما سمع أبو أسما بذلك اشتعلت فى قلبه النيران وكاد أن يهلك من كثرة الهم وقد عول على قتل ابنتـه فى هذه الديار فتفكر فى العواقب وقال ان قتلتها فى ذلك المكان وعلم مجيد بذلك فيدبر فى هلاكى ويقتلنى وكان يساعده عنتر بن شداد ولا ينفعنى قيس ولا أحد من العباد ثم انه قال ما لى الا أن أقصد البيت الحرام واجعل مقامى هناك عند الآلهة والاصنام وأهلك بعد ذلك اسما هناك فى بعض الليالى ولا أطلع أحدا على حالى ويذهب همها عن بالى وأقيم هناك باقى زمانى لاننى قد هجرت الديار خوفا من العار ثم انه كتم قصته وقد شكى حاله الى أرباب العقول من أهل عشيرته وأخبرهم انه عول أن يرحل من هذه الديار وان يجعل مقامه فى مكة المشرفة والبيت الحرام ويجاور الشيخ عبد المطلب بن هاشم ويقيم فى أمانه هو وحريمه من تصاريف الزمان وجوره فاجابوه الى ذلك وقد اتبعوا رأيه ثم انه شاور ابنته أسما فلم تمكنها مخالفته فرحل وقد رحل معه قومه وأهله وما زالوا يجدون المسير الى ان وصلوا الى علم الناظر والتل الرمل الذى قد ذكرناه وكان هذا المكان منزلا مذكورا من منازل العرب وهو كثير الماء والمرعى فنزلوا فيه وسرحوا أموالهم

وعلاصيهم وقد عولوا على المقام هناك مدة ثلاثة أيام وقد طاب لهم المقام وسرحوا مواشيهم والانعام ولما كان فى الليلة الرابعة طلع عليهم عشرة أبطال وخمسة رجال طوال بايديهم الحراب والنبال وهم أخف من ريح الشمال وفى أوائلهم فارس عظيم وبطل جسيم أسمر اللون عميق السمرة هائل المنظر يرجف القلب من هيبته ويحير الناظر من عظم خلقته وتحته جواد ينهب الارض انتهاب وهو معتدل القوام فى الطول والعرض لا يعل فى الخبب اذا جرى لا يتعب ولا يبعد عليه مطلب بيده رمح غليظ أسمر لدان سنانه يأخذ بالبصر وعلى عاتقه سيف طويل الحمائل محلى القوائم فيه للضرب آثار وعلائم ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الفارس هو ميسرة بن مرزوق الذى مضى ليأتى بمهر أسماء لانه كان وصل الى الارض السودا وجبل الدخان وعاد الى أهله بعد تلك المدة الى أخذ فيها أبو أسما ابنته وقومه وسار بهم الى بنى عبس ومسيره من تلك الارض والديار طالب البيت الحرام وكان ميسره قد عمل باهل الارض السودا عملا تقصر عنه الجبابرة ويبقى ذكره بها ما دامت الايام متواتره لانه قد أخرب تلك الديار واقفرها من سكانها وأخفى أبطالها وشجعانها وقد غار على بنى اراح وبنى الصباح وبنى وشاح وقتل فارس جبل الدخان شداح الذى كانت العرب تسميه ذيب البطاح وكان أبو أسما قد طلب مهر ابنته ثلثمائة ناقة كما ذكرنا زرق العيون دهم الالوان فعاد ميسره وقومه ومعه منهم ألف ناقة غير الفحول والاموال والخيول لكن قتل من أصحابه الذين ساروا وصحبته أوفى من عشرين فارس وجرح تمام الثلاثين ورجعت بقية أصحابه سالمين ﴿قال الراوى﴾ ثم انه بلغنى بعد عودته انه ارتجز هذه الابيات يقول



أسمعانى وقع السيوف الحدادى * وصرير الرماح فى الاجساد
واسقيانى دما الفوارس صرفا * بين بيض الظبا وسمر الصعاد
واتركانى ذكر الحان صب * ومغانى هند وربع سعاد
ما افتخار الفتى بكاسات خمر * دائرات فى ظل كرم وواد
انما الفخر ضربه اشجاع * يوم حرب أو طعنة فى فؤاد
ليت انى أسمو ببرق حسام * خاطفا فى غبار ركض الجياد
وسنانى مثل السهام اذا انقض من أعالى السبع الطباق الشداد
وجوادى يخب فى الدم خببا * ويغدى على بطون الاعاد
قد تفردت بالشجاعة وحدى * وخدمنى الزمان بعد العناد
وبلغت العلا بسعدى ومجدى * بعد قتل الآباء والاجداد
يا سباع القفار لا تنكرينى * والحقى الفارس الطويل النجاد
عزماتى أشد من نائبات * تأتى الدهر والطلا والاياد
واذا كنت فى الفلات وحيدا * ففراشى درعى وسيفى وساد
فارس فى الزمان فى طول عمرى * ساهرا لا أذوق طعم الرقاد
وطلبت الامان أرسلت اليه * خلعة بهجة كسيت من سواد

﴿قال الراوى﴾ ثم انه جد فى المسير ورفقته متعجبون من فصاحته ويشكرون من شجاعته ولم يزالوا جادين الى أن وصلوا الى الديار ودخل أبياته والدنيا لم تسعه من أفراحه ومسراته ومن يومه أعطى رجاله أقسامهم من الغنيمه وقد عول أن يسوق الباقى الى بيت أبى أسما فقالت له أمه اعلم ان خداش قد سار يا ولدى بابنته من هذه الاطلال لما خلت له الديار وانقطعت عنك الاخبار فلما سمع ذلك المقال كادت روحه أن تزهق وقد غشى عليه عند المقال والسماع وقد غاب عن وجوده وقد علم ان خداش رجل خبيث غدار فى قصته واشتعلت النار فى قلبه وسائر جسده ومن شدة ما جرى عليه اتى الى عند سابق مقدم العشيرة وقدم له من بعض الغنيمه فشكره

وقد هناه بالسلامة وقد قال له يا مولاى أين أبو أسما الذى اتفقنا واياه وأرسانى أن أحضر مهر ابنته فلما أحضرت يا مولاى ما وجدته بهذه الاطلال وقد رحل بظعنه وعياله وأصحابه وخلانه فقال سابق والله يا ميسرة لقد أتعبت نفسك فى خدمة من هو أعز انسان وقضية الزمان وما انفذك الى جبل الدخان وابعدك عن هذا المكان الا حتى صار بابنته فى أمان لانه قد علم اننا كلنا نكون لك أنصارا عليه وأعوان وما فينا من اطلع على ما فى قلبه فلعن الله بطنا وعاه ومن الشر لا وقاه ما أمكره وما أكثر دهاه فقال ميسرة يا مولاى ما سمعت أين نزل ولا أين استقر ولا بمن قد استجار من العربان فقال له والله يا ولدى ما سمعت له خبرا صحيحا ولكن قد ذكروا انهم وجدوه وهو طالب أرض الحجاز فدعه يذهب الى سقر وبئس المستقر ولكنه بمكره وبغيه لا يرجع ولا يهجع ولكن اخطب أنت من شئت من بنات عمك فان الكل يحبوك ويتمنوك وهم يشتهوك فقال له ميسرة يا مولاى وعلى هذا عوات ثم ان ميسرة بعد ذلك عاد الى مضربه وخيامه وهو لا يدرى أين يضع أقدامه الا أن نفسه تحدثه بالمسير الى أرض الحجاز وقطع تلك المفاز وقد خطر فى نفسه انه يكبس عليه الحال التى قد نزل فيها أبو أسما وما زال الوسواس يحدثه ولا يأخذ له قرار ثم انه صار فى كل يوم يتردد الى منازل أسما ويتقهر ويبكى على آثارها ويتمرغ فى مكان أبياتها وما زال على مثل ذلك ثلاثة أيام فزاد به القلق والهيام فهام وقد زاد به البكا والانين على حاله وقد شكى الى اصدقائه الذين كان يعتمد عليهم ويسألهم المسير معه فاجابه منهم عشرة فوارس على الضمر وكان له من حول أبياته عبيد كانهاز بر الحديد يقفون بين يديه لخدمته اذا حضر ويحفظون أمه وأمواله اذا هو سافر فاختار منهم خمسة عبيد مثل الثعبان أو العقارب اذا تعرضت للقضاء والمقدور ولا تخاف من حذر ولا تهاب الموت اذا هو حضر كانهم يصطادون الوحوش على أرجلهم من البر ويقتلون بالنبال والحراب قتالا زائدا منكرا فاخذهم معه فى ذلك اليوم وسار وقد وافقه أصدقاه وركبوا معه الاخطار وكان ميسرة قد سار بهم آخر النهار وقصد نحو الحجاز وقد علموا مقصوده فساروا وقد قطعوا معه البر الاقفر وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى علم الناظر ولما ساروا فيه فالتقوا أبا أسما ورفقته بعد ما جرى لهم ما جرى مع مجيد بن مالك وكانوا قد عولوا على المسير الى مكة ويستجيروا بالبيت الحرام ويقيمون هناك ويتخذوا لهم منزلا ومقام ﴿قال الراوى﴾ الا ان ميسرة لما التقى بهم وعرفهم صاح واويحاه بعد ترحاه اليوم والله أقاتل من غدر بى ونافق على وأخذ أسما بلا مهر ولا اصداق ثم انه زعق هو ومن معه من الرفاق وقد زجوا اليهم النبال والحراب فاصابت المقاتل والاحداق وقد تواثبوا الى ظهور الخيل العتاق واستلبوا عوامل الرماح الرقاق وكانوا خمسين فارس وأوفى من مائة عبد فانتجوا لانفسهم وقد قاتلوا فقتل بعضهم بعض ويلكم تكونوا خمسين فارس من جهينة وتزل بكم عشر فوارس لا قدرة لهم ولا قيمه دونكم واياهم وعجلوا افناهم واحضروهم واقتلوهم واعلموا انكم ان تهاونتم بهم ساقوكم قدامهم مثل الابل بين يدى الرعاه فلما لاح لهم وجه الحرب واقبلت النفوس بالطعن والضرب فصاح أبو أسما على أصحاب ميسرة وقال لهم ياويلكم يا بنى عمى ايش بيننا وبينكم من العداوه حتى تفعلوا بنا هذه الفعال لانكم تعلمون سبب رحيلى لاى وجه كان لانى خفت على ابنتى من هذا الشيطان وما أردت أيضا أن تعينوا عبدا اسود لا قدرة له ولا قيمه وانه قد لحقنى الى هذا المكان يريد ابنة عمكم أسما وقصده يأخذها مسبيه وان عارها يلزمكم ان كان لكم نخوه وحميه فاجوها ودعونا نقتل هذا ولد الزنا ونعود الى منازلنا والاحيا لان هذا اذا قتل ماله من يأخذ بثاره ولا هو من بنى عمنا نحمل همه واعلموا ان ما فرق شملنا غيره فاعينونا عليه والا انعزلوا عنه واتركونا نحن واياه حتى ننجز أمره ونصرم عمره ونعود الى أهلنا فقالت أصحابه والله يا خداش هذا أمر ما نطاوعك عليه ولا ننصر الظالم ولا نميل اليه لانك زوجته بابنتك أسما وانفذته يأتيك بالمهر وقد أشهدتنا عليك وما يمكن بعد ذلك نقدر نخليك لاننا قد علمنا منك الخيانة وما أنت أهل أمانه ولا بد لنا من نهب جسدك بالرماح الذوابل جزاء ما تركت الحق واتبعت الباطل ثم انهم قد لزموا اللجاج وعزموا على الاختلاف والامتزاج فردهم ميسرة من شدة ما جرى عليه من خداش وكلامه وقال لهم بالله عليكم لا تقطعوا ما بيننا من النسب واتركونى أنا أرمى روحى معهم فى ذلك الامر الصعب فان أنا قتلت فعودوا كلكم الى الديار وان

نصرت على غريمى ومن معه سقتهم الى أمير حينا يحكم فيهم كما يحب ويختار ثم انه أقسم عليهم باجل الاقسام انهم لا يعاونوه فى القتال ولا فى الصدام فاجابوه الى ما طلب من السؤال ثم انهم قد انعزلوا عنه ذات اليمين وذات الشمال وقد علموا انه وحده يقضى الاشغال وقد حمل ميسرة على فريق أبى أسما وقد صرخ عند حملته صرخة أورثتهم الصداع والغم وقد سار أبو أسما يقول لقومه دونكم وهذا الشيطان يا بنى عمى لانه أوقع الخطا بيننا وبين أهلنا وهجنا عن أوطاننا وفى دون ساعة ثار على الجميع القتام وقد أظلم البر وثار الغبار كانه الغمام واشتد الجهد وزاد الانتقام وقد أطلقت عبيد ميسرة من حوله الاقدام وقد قصدوا بحرابهم مقاتل الرجال وقد سطا عليهم ميسرة بفروسيته على الابطال وكان قد قلع من على رمحه السنان وقد طاب بذلك الشان أن يبقى على من يقاتله من الفرسان فسار يتجنب المقاتل والصدور ويطعن فى الجوانب والظهور ويوهن الاضلاع بطعن غير قاتل ويرمى الابطال من على الصافنات الاصايل وما زال على مثل ذلك حتى اتسع عليه المجال وقد رأى أبا أسما يصرخ على الرجال فناداه لعن الله سبالك ومن المصائب لا أقالك فما أقبح فعالك وما أكثر محالك وقد تقدم اليه وفاجأه وطعنه طعنة خفيفه وصاح عليه وزعق فيه فاذهله وعن جواده ركبه لان ميسرة لما طعنه كانت الطعنه فوقانيه فاتقاها خداش بالدرقه وقد أراد أن يسبح الرمح فسبقه ميسرة بسرعة الجواد فوقع الرمح فى وجهه فقلبه عن مركبه كانه كرنا وكانت الطعنة قد جاءت فى عينه فافسدها وكانت عينه الشمال وصار هو وأصحابه مطروحين على الرمال مثل الاعدال وقد ساقوا العبيد والاموال الى رأس العلم ونزلت عنزلة موا بها فسمعت أسما صوت أبيها وهو ممدود على عرصات القفار فبكت بالدموع الغزار فاراد ميسرة أن يترجل ويطلع وراءها على رأس العلم فامكنه أصحابه من ذلك وقد قالوا له اعلم ان مقصودك قد حصل فى يدك والرأى اننا نرفق بهم ونردهم الى الديار ونصلح بينك وبين خداش ان كان فى قيد الحياه ونسأله نحن ومقصدنا سابق ونأخذ لك أسما بغير العناد وتبلغ ما تريد وأنت مشكور ثم انهم دنوا من المطروحين وافتقدوهم فرأوهم يئنون على وجه الارض وكان أبو أسما من جملة السالمين فافتقدوه وشدوا عينه وقالوا له الذنب من الاول كان منك ولولا لجاجك ما كان جرى عليك شئ من هذا ولو كان غير ميسرة ما كان أبقى عليك وانما رد عنك طيب ابنته والآن فقد بلغ الامر منتهاه وأمسيت أنت وقد ساءك فى أسره وتحت يده وما فى القضية الا عودتك معه الى الديار ومطاوعتك له على ما يحب ويختار وترضاه لانه أتاك باموال ما أكثرها طابت فرد الى عقلك من قريب ولا تموت فى هذه الرمال غريب قال فلما سمع أبو أسما منهم ذلك الكلام ندم على رحيله من بنى عبس وقد علم أنه قد غلب رأيه فاجاب الى ما قد طلبوه واعتذر لهم وقال لاصحابه وأصحاب ميسرة يا بنى عمى لا كلام حتى تبرأ عينى من هذا الجرح وأسلم وبعد ذلك أسلم ابنتى لكم وأجعل معولى عليكم وان كنتم قد اخترتم هذا الرجل يكون ابن عمكم فانا تابعكم فلا أخالفكم فشكروه على مقاله وقد أصلحوا بينه وبين ميسرة قبل المسير فقبل ميسرة رأسه ويده وقد أنزلوا الظعن من على العلم والعيال وقد بات القوم هناك تلك الليله وأصبحوا عند الصباح راحلين وميسرة لا يصدق بذلك لانه قد أيس من اجتماعه باسما فسار وهو كانه قد ملك الدنيا وما زال على مثل ذلك الحال وهو سائر الى ان قرب من الديار وبقى بينه وبينها يومان فوصل الى جبل يقال له أبو خبر جين وأراد أن يفوته واذا قد طلع عليهم غبار خيل بنى عبس وقد بان من ورائه مع طلوع الشمس فانكر ذلك وقد وقف ميسرة بمن معه من الفرسان الذين كانوا قد ساموا من بنى بشر وقد ساروا يحسبون حساب الغبار ويريدون أن يحققوا منه الاخبار وميسرة يقول والله يا بنى عمى أنا اليوم كان نيتى أفارقكم وادعكم تسيرون الى الديار وأسير أنا فى طلب غنيمه أتقوى بها على العرس وأنا أقول ان الرب القديم عرف بنيتى فانفذ لى ما أريد بلا تعب ولا عناء الا ان هذا الغبار لا يخلو من مال ومكسب ثم انه اعتدل وتأهب حتى انكشف ذلك الغبار وبانت له خيل بنى عبس وقد زمجرت الفرسان فكانت لها هيبة تقطع القلوب وتترك المعانى مكروب وتدل على ان فرسانها قد قاست أهوال الحروب وفى أوائلها الامير شيبوب وأخوه عنتر كانه البلاء المصبوب وهو ينادى الى أين تذهبون يا بنى الانذال العبيد وخلفكم فرسان

يقطعون هذا البر والبيد وكان ميسره قد سمع من بعض تلك الفرسان ماجرى لهم فى أرض بنى عبس وعدنان لما انهم نزلوا عليهم وقد عرفوهم الحديث الذى تم لهم من أمر أسما ومجيد وأخبروه ان أبا أسما طلب الرحيل الى أرض مكه المشرفه و يستنجد بالحرم من بنى عبس وعنتر ثم انهم حكوا له على ماتقدم فبقى فى قلبه من ذلك الكلام أثر وقد تمنى انه لو التقى بعنتر ومازال متحسرا على مثل ذلك الى ان أشرفت عليه الخيل وصح الخبر وقد عرف حقيقة الحال ففرح واستبشر بقدوم عنتر وقال لمن حوله من الابطال يا بنى عمى اليوم أبين لكم اذا التقيت بهذا الفارس الشجاع وتعلموا ان كنت أستاهل أسما أم لا ثم انه أطلق عنان جواده فتبعوه عبيده وأما أبو أسما وقومه فانهم بقوا على خيولهم لينظروا آخر قصتهم ولمن يكون النصر على الآخر والظفر فقال خداش يا بنى عمى يا ليتنا ماهربنا من ميسره ولا كان جرى علينا ماجرى من تلك المصائب وما حل بنا لما ان لحقنا فى هذا البر والسباسب وأبادنا وقتلنا وهذا عنتر بن شداد قد أتى وقد علمتم بشجاعته وتعرفون فروسيته و براعته واذا قاتلناهم ونصروا علينا فهؤلاء الذين يبلون بالبلا و يسبوا حريمنا فى هذا الفلا والصواب اننا نقف على هذه الرابية حتى ينتهى أمرنا وننصر من ينصر من الشياطين ويأتى و يسوقنا أجمعين لاننا قد لقينا ماكفانا ومابقى من هذا العبد ملجأ ولا لنا فيهم صديق حتى نميل اليه وننصره ونطلب الذمام من يديه هذا وعنتر قد تبعنا فى الفلوات لاجل مجيد وعلى كل حال هذا خير لنا من هذا العبد الاسود الذى قد فعل بنا هذه الفعال وأنا منه قد هربت وطلبت الحى من العرب الكرام الاخيار والآن فهذا مجيد نسبه رفيع و جماله بديع وهو أحسن الينا من هذا العبد الرقيع فلما أن سمع منه أصحابه هذا الكلام استصوبوا رأيه وكلامه وقد أقاموا على قلق من الانتظار وفى قلوبهم من فعال ميسرة النار قال وكان فى مقدمة بنى عبس مازن أخو عنتر فالتقى حملة ميسره وقد طلع على الجميع الغبره و برقت السيوف المشهوره وقد أجادوا الطعن بعوامل الرماح ورقصت الخيل فى وسط البطاح وارتفع للفرسان صيحات وصياح تفزع منها القلوب الصحاح وقد ملك مقرى الوحش وعشرين فارسا ظعن الشيخ أبو أسما والاموال وقد داروا بالحريم والعيال وقد أرادوا أن يطعنوا بالقنى صدور الرجال فصاح خداش يا وجه العرب لا تفعل فلقد ندمنا على مافعلنا وقد نزل الذل علينا بعد فراقكم وهلكت رجالنا من حين فارقنا أرضكم واطلالكم وما نحن وقوف الا نتمنى النصر لكم على هذا العبد الاسود والبغل الانكد لانه فعل بنا فعلا لا يليق وما كان لنا بشفيق ثم ان خداش أمر عبيده أن تسوق مع العبسيين الظعن وقد ردت رؤس جمالها والنياق فكان أفرح الخلق بذلك أسما لانها قد أيقنت بالرجعة الى ديار بنى عبس واجتماعها بمحبوب قلبها مجيد منية النفس قال وكان عنتر عينه الى المعمعه مطلعه والفرسان التى من حواليه الى ناحية الغبار متتابعه وميسره يهدر كما تهدر الاسود ويطعن طعنا يشق به الكبود وعبيده ترج الحراب الى الصدور والجنوب وترمى بالنبال الى اللبات والقلوب والنظر محجوب وعاد من الهول مقلوب وقد سارت الارواح تتفرق من المنايا باذن علام الغيوب وكان قد صدم ميسره من صناديد بنى عبس خمسين فارسا فتلقاهم ميسره بالعشر رجال الذين معه وقاتلهم فقتل عشر فوارس أسر تسعه من صناديدها وكان من جملة من أسر عروة بن الورد ومازن وكان آخر من خرج من تحت الغبار شيبوب العيار وكان قد جرح فى فخذه بحربه كادت أن تعطبه لانه كان قد قتل من عبيد ميسره عبدين وقد ضربه هذه الضربه فعاد وهو يصيح الى أخيه ثم انه قال و يلك الحق يا ابن زبيبه وخلصه من هذه المصيبه وكان قد قتل من أصحاب ميسره ثلاث رجال وقد قاتل ميسره قتالا تتعوذ منه البشر ومازال واقفا على رأس عروة حتى شد وثاق عبيده كتاف وقد أشرفوا على التلاف ووكل بهم بعض فرسانه وقد عاد ميسره نطلب الحرب بعدما غير جواده ورمحه وأيقن فى نفسه بنصره وقد رجع يخب بالجواد كانه طود من الاطواد أو من بقية قوم عاد وهو ينشد و يقول

الخيل تغشانى وقد أنكرت * فى الغاب أسد الشرى تفزع وتخشانى
هل شاب رأسى وقل الدهر من عزمى * أو غير البين حالى بعد خلانى

عدمت عتاق الخيل اذ لم أخض بها * قتام الوغا وشوس الحرب ترعانى
كذلك سيوف الهند ان لم أردها * مثلمة ريانة من دم أقرانى
فلا رفعت يدى حساما مهندا * ولا صار لى ذا اليوم بين الورى شانى
أنا البطل الموصوف فى حومة الوغا * وتعرفنى فى الحرب صحبى واخوانى

﴿قال الراوى﴾ كل هذا يجرى وعنتر يعاين ميسره وقد انبهر من قتاله وقد صعب عليه ماجرى لاصحابه وقد سمع صياح أخيه شيبوب عليه فاسودت الدنيا فى عينيه فقفز بالجواد طالب الحرب والجلاد فاعترضه مقرى الوحش بعدما جمع جميع الظعن من الوهاد وأمر رفقته من الرجال الاجواد أن يدوروا بالظعن والعيال وعاد الى عنتر فرآه يريد الحرب والقتال فقال له يا حامية عبس بحق من أطلع الشمس وفصل اليوم عن أمس وأطلع النبات من غير غرس انك تتركنى ألقى هذا الفارس المعجب بنفسه المحتقر بابناء جنسه حتى انى آخذ روحه وأخمد حسه لان قلبى قد طالبنى بقتاله من غير عاده وقد حدثنى باشياء مالها أصل ولا افاده ولا أدرى ان كان قلبى يقودنى للشقا أم للسعادة والبقا فبالله انعم لى بذلك ولا تقطع خاطرى وضمائرى فقال عنتر وقد تعجب والله يا مقرى الوحش لقد فرجت عنى بعض الكروب لكننى كنت طالب هذا الغلام وقلبى ما يطاوعنى على حربه ولا يطلب قتله ولا يريد عطبه فاخرج أنت اليه وحاربه ولا تقتله اذا قدرت عليه واعلم انى من حين ركبت الخيل وعرفت كل الفروسية والجلاد ماشفقت على أحد من العباد الا فى هذه الساعه على هذا الفارس الجواد الذى قد مالت جوارحى اليه وهو قد أهلك من أصحابى جماعه وأريد أن يحضر بين يدى حتى أكشف حاله وأعرف ماسبب هذا الاشفاق من أين و بعد ذلك آخذ منه بثار من قتله من الاصحاب والرفاق فدونك واياه يا فارس النياق حتى أخلص أنا عروة بن الورد ورفقاه ثم انهم قد اتفقوا على ذلك الحال وقد طلب كل واحد منهم جهة من الجهات فسار مقرى الوحش الى أن قرب الى ميسره وصاح وحمل عليه وقاربه وقد اشتدت بميسره أحزانه ومصائبه لانه كان أبصر أسما ونوقها قد ساروا من جهة الاعدا فعظم به وجده وبلاه وقد كره المقام فى الدنيا فصال وجال مع خصمه فى تلك الفلوات وقد أطلقا أعنة الخيل العربيات وشرعا بالطعن بالرماح السمهريات وقد طال بينهم العطب والالتفات والفرار والثبات حتى اسودت فى وجوههم سائر الجهات وقد أشرفا على الهلاك والممات وقد طال عليهما الغبار حتى احتجبت من فوقهم السموات وغابت عن الاعين الناظرات وقد امتلات أبدانهم بالجراحات وتقصفت الرماح من اختلاف الطعنات وقد عادوا الى السيوف المرهفات وقد مضى عليهم من النهار أوقات وساعات وتعجبت من قتالهم السادات والذى قد جرى لهم فى مثل هذا المقام عادات لان ميسره كان قد أمر أصحابه بالرجوع الى وراثه وقد أنصف مقرى الوحش وقاتله الى ان قرب المسا وافترقا وقد جرى بينهما حرب شديد وكان عنتر قد خلص أخاه مازن وعروه لانه قد لحق أصحاب ميسره وكانوا قد دخلوا بهم الى الجبل فترجل ودخل خلفهم فى المضيق وقتل العبيد وخلص الاثنين وقد أتى بالجرحى معهم وسار بهم الى الاظعان ولما ان فرغ من ذلك الشان بقى واقفا ينظر الى مقرى الوحش وميسره وقد وزنهم بفروسيته فرأى ميسره من الشجاعة والقوة فى مكان عظيم وصدق أخاه مازن وقال والله ان هذا فارس جيد وقد اتصلوا وانفصلوا عند قدوم الليل وقد عاد مقرى الوحش وهو يشكو من التعب و يصف ميسره بالشجاعة والحيل فقالوا له والله لقد صدقت يا وجه العرب ومارأينا حملاته وشجاعته الا عنتر لانه غلام صغير السن قريب العهد من ركوب الخيل فقال لهم عنتر اعلموا ان الشجاعة ماهى بطول العمر وقصره ولا يزيد الفارس على الفارس الا بجلاده وصبره وعند الصباح أخرج أنا الى هذا الغلام فانه شيطان وأنجز أمره وأصرم عمره وأعرفه قدره مع انى والله اشتهيت أن يكون من أصحابى أو يرزقنى الله سبحانه وتعالى ولدا يكون مثله شجاع حتى أتقوى به على الاعداء وان هذه أشياء ما أظنها الان زوجتى عبله عاقر وأما أنا فما أريد غيرها يكون ثم انهم نزلوا من على ظهور الخيل لما ان أقبل الظلام وقد اجتمعوا مع أبى أسما وقومها على أكل الطعام وقد عتب عنتر على خداش لاجل رحيله من أرض بنى عبس

الكرام فقال له خداش والله يا مولاى مارحلت أنا من جواركم الافزعا منكم وحياء من الملك قيس لان ابن أخيه مجيد بن مالك لج فى طلب ابنتى وقد هتكنى بين أهلى وعشيرتى وقد مضيت اليه وشكوت حالى اليه الا انه يأتى ويخطبها ويروجه بها فما فعل بل انه أباح دمه الى وقتله وكلفنى بسبب ما أطيق ان أفعله فرحلت وخففت عن قلوبكم وقد قلت اجعل مقامى فى البيت الحرام فالتقانى هذا الغلام الذى كنت هربت منه وتركت عشيرتى وقد خفت منه على ابنتى ففعل فى حقى هذه الفعال القباح ولولا وصولك اليه أيها الفارس الجليل الرئبال والا كان سقانا كؤس الوبال وقد ساقنا سوق الابل الى الديار ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عنتر كلامه وما أبداه له من مقاله عذره وقد عرف انه ما علم بقصة مجيد الا بعد رحيله وانه ما تبعه الا حتى يخطب منه ابنته ويعطيه كلما يريد من نعمته ويرده الى المكان الذى كان فيه ثم انه قال له يا وجه العرب وأنا أقول انك لا تزوج ابنتك باوفى من مجيد لانه ملك وسيد من سادات بنى عبس الكرام ولو سرت بها الى جميع البلدان فقال خداش لما سمع من عنتر هذا الكلام والله أيها البطل الهمام انى أنا الآخر ما أطلب أخير منه ولو كان من الاول خطبها منى كنت زوجته بها وطيبت قلبه ثم ان أبا أسما طاب قلبه بذلك وقد اتفق على العودة ويقيم فى بنى عبس وبعد ذلك قد سأله عروة عن ميسرة لماذا هرب منه وقد بغضته وهو من الشجاعة فى أعز مكان فقال له خداش والله يا سيد الفرسان ما دوالا أوحد العصر والزمان وانه بطل لا يلتقى مثله فى الميدان واعلم اننى أنا ما أبغضته الا لسواد جلده وقلة معرفتى بنسبه ونسب أبيه وجده لانه غريب من ديارنا وليس هو من أرضنا ولا من بنى عمنا ولا من أهلنا وانه نازل فى جوارنا ثم انه حدثهم كيف وأمه تنسب اليهم وكيف عاش فى الفقر واليتم عندهم وبينهم وقد حكى لهم على القصة التى جرت له من أولها الى آخرها ولما انتهى من كلامه قال له عنتر ان قصة هذا الغلام الا قصة غريبة وهى تشبه قصتى وحق البيت الحرام ان حديثه قد أطربنى ولو علمت انه يمتنع عن أسما ولا يرجع بذكرها لكنت أنا أخرج اليه وأميل قلبه وآخذه معنا الى الديار والاوطان واجعله عندى من جملة الفرسان ولكن أنا أعلم أنا لا نأمن منه على حال من الاحوال ثم انهم باتوا على مثل ذلك فهذا ما كان منهم * وأما ما كان من ميسرة فانه ما يبصر ما بين يديه من شدة الغيظ والتعب الذى كان جرى عليه وذلك لما ان رأى أسماء وقومها قد ساروا مع أعاديه وعلم أيضا بخلاص عروة ومازن وقتل عبيده فاشتد به الحنق وتمنى انه لم يخلق وترك من على رأس الجبل وقد بقى معه فرسان قليله وقد أيقنوا بالهلاك فاشار واعليه بالهرب تحت الظلام فما فعل بل قال والله يا وجوه العرب ما أقدر أفارق هؤلاء القوم حتى تلعب حوافر خيلهم برأسى أوأفنيهم وآخذ زوجتى أسما غصبا وأقابل أباها وقومها على فعالهم فان كنتم أنتم قد عولتم على الرواح فاعزموا قبل ان يدرككم الصباح ولكن لا تنعونى الى أمى لاننى أعلم انى أفنى هؤلاء العبسيين وارجع بما أريد فقالوا له ان كان الامر كما ذكرت فنحن نبذل المجهود فى معونتك ولا نفارقك حتى نبصر على أى شئ ينتهى أمرك فاننا كنا رابحين ولو لم يخرج هذا الفارس الاخير كان قد انقضى شغلك فقال لهم صدقتم ولكن خرج الى وأنا تعبان فطولت روحى عليه حتى انى آخذه أسير والا كنت ألحقته بمن قبله ولكن فى غداة غد أترك السيف يعمل فيهم اذا هم بارزونى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان ميسرة أخذه فى تلك الليلة الوسواس والقلق وما صدق أن ينظر الصباح قد برق حتى ركب وتأهب والى ناحية بنى عبس وقد طلب وقد هان عليه العطب ونادى برفيع صوته يا بنى عبس ويا أبطال الحجاز انصفونى اليوم فى البراز والا احملوا على بجمعكم ان أردتم الانجاز فانى بعد ان أخذتم زوجتى ما بقيت أريد حياتى فى هذه الدنيا وكان قد ركب وتقدم يطلب البراز وقضاء الاشغال والارتحال وبلوغ الآمال والعودة الى الديار والاطلال فلما قرب المجال واصطفت خلفه الابطال فاراد عنتر ان يحمل عليه فمنعه من ذلك الامر مقرى الوحش وقال له بالله عليك يا أبا الفوارس قف على قليل واسمع منى حديثى وهو شئ عجيب تتعجب منه الناس جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل لان الحق اذا بان اختفت الاباطيل فنظر اليه عنتر فرأى وجهه قد تغير وقد ظهر عليه الاصفرار وبان عليه مذلة وانكسار فقال له عنتر ويلك يا مقرى الوحش اخبرنى بقصتك لا تكون قد خفت

من هذا الفارس وقد وقع فى قلبك منه هيبة ووقار لاجل ما جرى لك بالامس معه فقال له مقرى الوحش يا أبا الفوارس انك قد أصبت فى البعض ولكنى نمت البارحة وأنا متعجب فى أمر هذا الغلام وكيف قد قتل أصحابنا وأنا خرجت اليه وما زلت معه فى القتال الى الليل فما قدرت عليه فاحتقرت أنا بنفسى وبت وأنا موسوس القلب من هذا الامر فرأيت فى منامى كأنى فى وسط بر أقفر خال من البنيان دارس الطرقات وحولى من أجناس الوحش ما يذهل العقل والنواظر ويحير الخواطر والجميع قد عولوا الى الاعناق وكشروا على الانياب وقد هجمت على السباع منهم والذئاب وأرادوا أن يأكلوا لحمى ويشربوا دمى وكان من شدة خوفى منهم قد طلبت الامان وقد ذللت لهم كما تذل الفرسان اذا رأت بعينها الذل والهوان ثم انهم صاحوا على بصوت واحد وقالوا ما بقى لنا الا شرب دمك وأكل لحمك ونقطعك كما قطعت عنا رسمك لانك كنت تقرب انا قربان ونستعز بذلك على الفرسان فقطعته عنا وتركته وها نحن نقطع معونتك ونرحلك من الدنيا وما بقيت تفلح أبدا وسوف ترى ما تلقى فى غداة غد والله يا أبا الفوارس خائف قلبى من هذا المنام وما بقى يصلح لى برهان الا بالبراز لهذا الغلام لاننى ان قتلته علمت أنه أضغاث أحلام وان كان يقتلنى فيكون قد صح المنام ثم انه قد أقسم على عنتر بقسم عظيم ودعاء ان يمكنه مما يريد فقال له عنتر وقد انهم يا مقرى الوحش والله لقد أشغلت قلبى بهذا المنام وقسمك على قد ألجمنى بلجام فافعل ما تريد ولا تترك عليك ملام فعند ذلك ضمه مقرى الوحش وقبله وبكى وأوصاه بحسن الحفظ وجته مسيكة ان قضى الله تعالى بقضاه وتراهى سبيع اليمن ثم انه أسرع بطلب ميسرة ودموعه من أجفانه متناثره وهو ينشد ويقول



النفس تخشى من حلول المصائب * وتذكرنى من بعد طول التجارب
كانى لم أركب جواد المغارب * ولا جلت بالخطاب بين المواكب
ولا حملت كفى حساما ولا هوت * به نحو ذى الفرسان من كل جانب
أيا نفس ان كان المنام مبشرا * بآخر عمرى قبل شيب الذوائب
صبرت لحكم الله صبر ابن حرة * ومت كريما تحت ظل القواضب
صدمت صدور الصافنات بهمة * يقصر عنها كل ماش وراكب
وفرقتها بعد واختفاقا وقد أتت * فوارس عليها كل أسد غالب
أيا بنت عمى اسألى الناس عنا اذا * جاءت بنو عبس فوق جرد سلاهب
وكيف تولوا والسيوف قواطف * وسمر القنا تنقض نقض الكواكب
ولا بد لى أن أبيد جموعهم * وأتركهم صرعى بقفر السباسب
عليك سلام الله منى دائما * كذا ولدك يا بنت قوم أطايب
سلام محب زائد الشوق دائم * على العهد انى لست فى القول كاذب

﴿قال الراوى﴾ ثم انه حمل بعد شعره ومقاله على ميسرة حملة الاسد اذا هم الى أشباله وقد التقيا مقرى الوحش وميسرة بخواطر منه منكره ونفوس على المضارب وكل الاهوال صابره وقد طلعت على الاثنين الغبره وكان لهم وقعة مهوله عسره أذهلت من الشجاع بصره وقد أبصروا الارض ضيقة منحصره ولا يزالون فى قتال ونزال حتى نزلت عليهم الاقدار المقدره بامر الله تعالى فسبحان من سبب للنفوس اسبابا وجعل لها آجالا معدوده ومقربه قال وقد أظهر هذان الفارسان فى الحرب أبوابا حتى ملت الخيل تعبا فدمدمت بعد الجرى خببا وسارت النفوس علقا وطفحت من الاجسام عرقا ووقعت الخيل وهلكت الفرسان عطشا وجارا على بعضهم واندهشا ومضى أكثر النهار منهدرجا وقد بان لهم البرضية احرجا وطارت عليهم النفوس شوقا وقلقا وشكوا أمراضا ووجعا وطارت الرماح قطعا وابعدوا عن بعضهما واهتزت الارض من شدة الركض وأرادوا ان يأخذوا الراحة من شدة الكرب وسلوا السيوف ورجعوا بعد ذلك الى الحرب واذا بعبد من عبيد ميسرة قد تقدم اليه وناوله حربة ماضيه وعلى الارواح قاضيه وقال له يا مولاى الى كم تطيل مع هذا

الفارس فى القتال خذ هذه الحربه واطلب بها الانجاز لان الاعداء بين يديك كثير وأنا أعرف انك تقاتل بالحراب والمزاريق عند كل شدة وضيق فقال له عند ذلك ميسرة صدقت هات الحربه وارجع أنت وانظر بعد ساعة ما أفعل بخصمى فان خصمى جبار والا ما كان تقضى لى معه فى النهار ثم انه هز الحربه بيده وعاد الى مقرى الوحش وكان مقرى الوحش قد سل حسامه ونبه عزائمه وقد كثر عزمه وعاد الى ما كان عليه كل هذا وعنتر ضيق الصدر من وجوه عدة أحدها المنام الذى رآه مقرى الوحش لان عنتر أراد القتال مع ميسرة وأقسم عليه مقرى الوحش ومنعه وطلب ميسرة خصمه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنتر صار متطلعا الى الاثنين حتى نظرهما قدر الرمحين واستراحا وعادا الى الحرب والقتال والطعن والنزال وقد أبصر عنتر الحربه وهى فى يد ميسرة وسمع لها صيحات منكره فقال فى الساعه مقرى الوحش يخسر لان صنعته كلها فى طعن الرمح الأسمر ورمحه قد بطل وانكسر ولو علمته انه يقبل كلامى لامرته بالعودة والرجوع ولكن ما يفعل فقال أخوه مازن والله ما نرى خصمه قد استطال عليه الا ونشيله على أسنة الرماح أو نقطعه بشفار الصفاح فقال له عنتر ويلك يا أخى نقدر من طلب الانصاف وترك البغض والجور والاسراف والله لا فعلت ذلك أبدا ولو أبصرت التلاف ﴿قال الراوى﴾ فبينماهم فى المحاورة والجدال واذا بميسرة قد زعق على مقرى الوحش وعليه استطال وكان قد وجد منه فرصة فى المجال وضربه بالحربه ضربة جبار وأراد بذلك هلاكه مع البوار فعلم مقرى الوحش بفعاله فالتقى الحربه بالدرقه بقائمه وقد تلقى حربته فسبحت الحربه على الدرقه وقد عبرت كأنها صاعقه فوقعت بين عينيه وقد حان موته وفناه فقلبته عن ظهر جواده وقد أشرف من تلك الضربه على عدم رشاده وشرد فى البر جواده قال فلما رأى عنتر ما جرى على مقرى الوحش صعب عليه وكبر لديه وحس بان الدنيا قد انطبقت عليه وفؤاده قد انفطر فنادى واحرباه عليك يا فارس النياق وبطل الآفاق صدقت أحلامك ومنامك ثم انه حرك الجواد وصار عند مقرى الوحش وطلب أن يشيله من على الارض وقد طلبت فرسان بنى عبس ميسرة وقد صاحوا عليه ومدوا الرماح اليه فالتقاهم وقاتلهم الى آخر النهار ورجع عنهم وجرح أكثرهم وكان عنتر وأخوه مازن وعروة قد نزلوا واشتغلوا بمقرى الوحش وداروا من حواليه وقعدوا وافتقدوا جراحه فرأوه فى حالة العدم فتباكوا عليه وقد عظم ما جرى عليه ووصل اليه فشدوا جراحه وحملوه وزجروا به وهو تارة يكلمهم وتارة يوصيهم على ولده سبيع اليمن وزوجته مسيكه وكان كلما ذكرهم تفيض عبرته وتزيد حسرته وكذلك كل من كان معه وفى صحبته وقد لام بعضهم على بعض كيف مكنوه من النزول بعد ما سمعوا منه ذلك المنام الذى قد أبصره ﴿قال الراوى﴾ فلما أن أبصر أبو أسماء هذه الامور فزع على نفسه وعلى ابنته وقال والله ما بقى بين الهلاك الا أن يضارب عنتر لانه اذا ظفر به هذا الشيطان ميسرة أفنى بعده هذا الجيش وكسره وترجع نقمة فى يده ويشفى مغاليل صدره ومن شدة ما جرى عليه أراد الهرب هو ورفقته وأما عنتر فانه أتى بمقرى الوحش الى مكانهم وأضجعوه وهو لا يعقل على نفسه وقد بات عنتر تلك الليلة عنده وما نام وما أكل طعام وما صدق أن ينجلى غسق الظلام ويقبل الصبح بالابتسام حتى يشفى قلبه من ميسرة ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان منه وأما ما كان من ميسرة فانه عاد الى الخيل التى معه وهو مسرور وفرحان ويقول لاصحابه أبشروا بالنصر والظفر لان هذا الفارس الذى قتلته ما فعلت به هذه الفعال الا حتى أورى رفقته حربى ثم انه بات يرصد الصباح حتى لاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح فركب جواده وقد احترق قلبه من أجل أسماء وفؤاده ثم انه سار الى أن قارب نحو طائفة بنى عبس وقد نادى باعلى صوته يا فرسان الحجاز أخرجوا الى الحرب والبراز من أول هذا اليوم لانه يوم الانفصال وان كنتم كرهتم القتال وأشفقتم على فرسانكم وطلبتم العودة الى دياركم والاطلال فسلموا الى زوجتى أسماء وأباها ومن كان معها من الرفاق وعودوا الى دياركم سالمين والى أرواحكم غانمين فكان عنتر عند مقرى الوحش يعوله ويسأله عن حاله ويشد عزمه وعقاله ويضمه الى صدره ويقبله وما زال كذلك الى أن سمع نداء ميسرة ورأى أخاه مازن قد عول على الخروج اليه فنهاه عن ذلك وقال له تمهل على يا أخى فما يشفى فؤادى غير حسامى الضامر أو أبصر هذا الفارس مخضب

بدماه قدامى وان لم أقتل هذا الفارس الولد فما أكون فارس عبس وعدنان ثم انه قد وثب على ظهر جواده وقد أمل أن يأمره ويذبحه ان أمكنه وكان بنو عبس قد دارت من حواليه وقد فزعت عليه لانهم قد رأوا ميسرة بحر الايخاض فهم عنتر بالخروج الى ميسرة واذا برجل من بنى عبس قد نادى يا أبا الفوارس كلم مقرى الوحش فرجع عنتر اليه ونزل عن جواده وقد تقدم اليه وكلمه ففتح عينيه وقبلوا بعضهم البعض وقال له بصوت ضعيف لا تتهاون بخصمك واحترز على جسمك ومالى عندك وصية يا أخى الا سبيع اليمن ولدى وزوجتى مسيكه فبكى عنتر من كلامه وجميع من حضر وبعد ذلك خرج عنتر من عنده وقد رجع الى ظهر الجواد ثم انه أفرغ عليه الحديد وتقلد بسيف مهند واستلب رمحا مديد وسار وقد تقرب الى ميسرة وهو يقول له يا ابن ألف قرنان لقد بعت دمك غاليا بقتال الفرسان والابطال فلما سمع ميسرة خطابه فما رد عليه جوابه بل التقاه مثل الاسد فى الغاب وقد حدثته نفسه انه يفعل به كما فعل بمقرى الوحش فصرخ الاثنان صرختين عظيمتين صرت لهما الخيل آذانها وارتعدت أجساد فرسانها فظن كل من كان حضر ان السماء انشقت والمواعيد حقت فكان لهما ساعة تقشعر منها الجلود وتذوب من هولها الكبود ويلين من حرارتها الجلمود وقد عرف لها الانسان مرارة العدم من حلاوة الوجود وقد طال بينهما المطال فتعجب شيبوب من فعال أخيه وتطاوله مع ميسرة فى القتال لانه قد خرج خلفه من شفقته وخوفه عليه من عبيد ميسرة وما زال متحيرا فى أمر أخيه وعجزه مع خصمه وقد أبعدا بعضهما عن بعض يطلبان راحة الخيل فتقدم شيبوب الى أخيه عنتر وقال له ويحك يا أخى ايش جرى عليك اليوم لا تكون قد كبرت وضعفت عن القتال أوصالك لانى أنظرك مقصرا فى قتال هذا الولد الزنا وهو بين يديك ظاهرة أحواله قليلة خبرته بالاسفار وأنت تتجنبه وقد تقضى النهار وما قتلته فما الذى فى نيتك أن تعمل به أخبرنى بقصتك فقال له عنتر والله يا شيبوب ما أنا مع هذا الفارس الا كأنى مسحور وما بقيت ألوم مقرى الوحش فيما جرى عليه وما كان معه الا معذور لانى كلما لاح لى عليه مضرب أو مقتل وأضربه فيه تخف يدى وتشفق أحشاى وكبدى وأقول انه ساحر ومعه شئ يمنع عنه الحديد فقال له شيبوب والله يا ابن الام ما أنت الا قد عدمت عقلك وقد عمل لك هذا الولد الملعون شيئا أبطل به شجاعتك وان أردت ان تعرف ذلك قل لى حتى أضرب هذا الولد بسهم فى لبته أقتله به ولا أجعله يقتل له عنان قال فلما أن سمع عنتر كلامه تبسم وعاد الى ميسرة عودة الاسد اذا انذعر وقد نزل عليه نزول القضا والقدر الا أن الغبار ما ثار عليهما حتى ضايقه عنتر ولاصقه وسد عليه طرائقه وقد زعق فيه زعقة الحنق فرغرغه وقد أرعبه وطعن جواده فقلبه ورماه عن عليه فانقض عليه شيبوب انقضاض الباشق على الحمام وقد شد منه الكتاف وقوى منه السواعد والاطراف فلما نظرت أصحابه الى ما حل به من عنتر ولوا يطلبون الديار ويزعقون على الخيل ويطلبون القفار خوفا من الهلاك والبوار والدمار وأما عنتر فانه قد بقى مشغول القلب على مقرى الوحش ضيق الصدر من أجله فسار اليه ودخل عليه فرآه قد أشرف على الهلاك فأقام ذلك اليوم والليله ولما كان من الغد رفعه على بازل من الابل وقد شد ميسرة على جواده عرضا وتركه بين يديه وقال فى أى مكان زاد بمقرى الوحش الامر ويئست منه نحرت خصمه قدامه وشفيت قلبه من قبل أن يشرب حمامه ثم انه عاد من الطريق التى أتى منها وأسماء أفرح الخلق برجوعها الى مجيد وكذلك أتى أبوها وكان قد بقى معه من الرجال جماعة لانهم كانوا قد اختاروا بنى عبس وقد طاب لهم عندهم المقام وما زالوا سائرين سير الرفق ذلك اليوم والثانى الى أن قاربوا أرض البيت الحرام فنزلوا هناك وقد أقاموا ذلك اليوم ولما ان كان فى اليوم الثالث ساروا وما زالوا سائرين بين تلك الروابى والكثبان فبينما هم سائرون على ذلك الحال اذ لاح لهم غبار وقد ثار لما سد الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان من تحته رايات وأعلام ورماح مشتبكه مثل قصب الآجام وسيوف تلمع كما يلمع البرق من تحت الغمام وخيول وجنائب ومواكب وكتائب وعساكر تدل على ان قائدهم ملك عظيم يحكم على أكبر الاقاليم فسار بنو عبس اليه وقد تلقوه ولما ان قاربوه عرفوا ما تحته

وهذه أعلامه قد بانت وراياته ظهرت من الفرسان وقال عنتر والله ان هـذا لهو الملك النعمان بن المنذر وفرسانه الذى يسير بهم فى مهماته الثقال فياليت شعرى ما الذى أزعجه من أرض العراق وأتى به الى أرض الحجاز ﴿قال الراوى﴾ فقال عروة امله أتى الى زيارة البيت الحرام ليتبرك بما عليه من الاصنام فقال عنتر هذا أمر لم يفعله ولا له به عادة ولا يرى فى الاصنام افادة لان الرجل يعبد النار ويوافق الملك كسرى فى كل الامور والسجود الى الانوار ذات اللهب ثم انهم تقدموا نحوه وهم يطلبونه ليعلموا ما سبب قدومه ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مسير الملك النعمان من أرض العراق ووصوله الى هـذه الارض كلام عجيب وأمر مطرب غريب لابد أن نحكيه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب وذلك أن أصل خروجه من بلده الحيرة وأرض النجف انه قد رأى مناما فبقى منه فزعان حيران لانه قد رأى انه واقف على رأس جبل عال وكان بين يديه فيل عظيم المنظر وعليه ثوب من الحرير المدثر وهو ينفخ من فيه فيخرج منه نار وشرار ويقصد بها وجهه وهو منها هارب والفيل له طالب وكان حوله رأوا بتلك الحال فساروا معه وهم ينادون بالويل والحرب ويستغيثون برب السماء وهم يطلبون منه النجاة من هذا الفيل والشرار من حواليه مشعشع وهو يزعق فسمع له خوار وزعيق فبينما هو هارب منه واذا بغلام قد طلع عليه وأقبل من ذيل الجبل وهو غلام أمرد لا نبات بعارضيه خالى الشعر من وجهه وبيده حسام مشهور وهو راكب على جواد أشقر وهو يقول أتاك الفرج يا نعمان وهو يصيح بالشيبان ثم انه قد طلب الفيل وزعق عليه وضربه بالسيف فوقع من شدة الضرب به شطرتين وقد صار فى عاجل الحال قطعتين وقد انطفت بعد قتله النيران وقد أمن الملك النعمان من بعد الفزع ولا بقى عليه خوف ولا جزع فقال بعد ذلك الملك النعمان للصبى يا غلام اخبرنى من تكون أنت من العربان واشرح لى قصتك حتى انى أعرفك وأغنى فاقتك بالمال والذهب وأخلع عليه واصيرك عندى فى أعز الرتب لانك فرجت عنى هـذه الكرب فقال له الغلام أنا يقال لى هانى بن مسعود وبى تنتصر على العدو والحسود ثم انه قد سار من حيث أتى فانتبه الملك النعمان من منامه وهو مرعوب وعاد اليه عقله وكتم حاله لكن بقى ضيق الصدر تارة يفزع من المنام وتارة يقول هذه اضغاث أحلام فامتنع من أكل الطعام ذلك اليوم كله ولما أمسى عليه المساء وأظلم الظلام ونام فرأى فى منامه مثل ما رأى فى الليلة الاولى وقد دام عليه الامر مدة سبعة أيام فتوسوس من هذه الرؤيا التى رآها فى المنام وقد خاف من عاقبتها فجمع خواص دولته وقد فسر عليهم المنام وقال لهم اعلموا انى أريد منكم أن تبذلوا المجهود فى طلب من يفسر لى المنام فقد اعترانى الهم من تلك الاحكام فلما سمعوا منه أرباب دولته ذلك الكلام تعجبوا من هـذه الاحكام فاحضروا لتفسير تلك الاحلام من كان عندهم فى تلك الديار فتحدث فيها العلماء وقد أطالوا الكلام فما فيهم من شفى قلب الملك النعمان بل زادهم وكربه باختلاف أقوالهم فعلم وزيره باحواله وضيق صدره فقال له يا ملك الزمان اعلم انه لا يفسر لك هذا المنام الا السطيح الكاهن الذى يخبر العرب بجميع الحوادث قبل نزولها ويقول لهم على ما يأتيهم ويفسرها اليهم فسر الى مكة وأنت تبلغ ما تختار فلما سمع الملك النعمان هذا المقال خف كربه وارتاح واشتاق الى معرفة منامه حتى يطمئن قلبه لانه قد خاف أن يكون قدامه شئ يقع فيه بغير علمه فجمع من سائر العرب وسادات القبائل جيشا كبيرا وسار بهم يطلب البيت الحرام وقلبه مشتغل بذلك المنام ومازال سائرا الى أن قرب الى مكة والتقى بعنتر وطائفة بنى عبس كما قد ذكرنا ﴿قال الراوى﴾ ولما عرفوا راياته وأعلامه تعجبوا من وصوله الى أرض الحجاز فاخذ عنتر تمام العشرة رجال وترك الباقى عند الظعن وسار هو واياهم للقاء الملك النعمان وسلم على من يعرفه من الفرسان ولم يزل يشق المواكب الى أن قارب الرايات والاعلام ترجل وسار قدام الملك النعمان فتبسم فى وجهه ورد عليه السلام وأمره بالعود الى ظهر جواده وأخذه الى جانبه وقد سأله عن أحواله فاخبره بقصته وقصة مجيد بن مالك وعشقه لاسما وما جرى له مع ميسرة ومجيد فى طلبها والقصة التى جرت من أولها الى آخرها فتعجب الملك النعمان من هذا الحديث وذلك الكلام فقال له يا أبا الفوارس وأنت مرامك ما تزال واقعا على حوائج العشاق وجمع شمل الاحباب

بعد الفراق فقال له عنتر يا مولاى أنا لم يأخذنى الصبر عن السلو للعشاق لاننى أنا قد عرفت حلاوة الوصال وذقت مرارة الهجران وبعد هـذا أريد منك يا مولاى أن تعرفنى سبب قدومك الى البيت الحرام فقال له الملك النعمان اعلم يا أبا الفوارس انى قد أتيت فى أمر عجيب وأنا والله خائف من عاقبته ثم انه أخبره بما رأى فى المنام فتعجب عنتر من ذلك غاية العجب وقال ما يكون الا الخير يا ملك العرب وان كان شئ مهم غير هذا المنام فها أنا بين يديك فقال له الملك النعمان اترك الرجال الذين معك تسير الى الاهل والاوطان بالظعن والعيال واصحبنا أنت الى البيت الحرام حتى نجدد لك عهدا ونسمع حديثك ونبصره فقال له عنتر السمع والطاعة ثم ان عنتر استندب عروة بن الورد بحفظ ميسرة ومراعاة عقرى الوحش ورده الى الظعن وأمره بالمسير الى بنى عبس وقد سار هو مع الملك النعمان وأخذ معه أخاه مازن وبعضا من الفرسان وقد خطر له أن يفسر منامه الذى أبصره على سطيح الكاهن حتى انه يعلمه ما يكون تأويله لاننا كنا ذكرنا انه قبل ان سار خلف أبى أسما وانه قد رأى فى المنام ان القمر قد طلع من الشمال وقد شرحنا هـذا المنام قبل هذا الكلام وقد ذكرنا انه من أجله كان يريد أن يسير الى البيت الحرام ليفسر هذا فاتفق بالملك النعمان وجرى له ما جرى من الاحكام وسار معه كما ذكرنا ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى مكة أعزها الله تعالى وقد داروا من حول البيت الحرام ولما كان من الغد ركب فى جماعة من حجابه وخواصه وسار الى ديار الشيخ عبد المطلب فوجده على دكة القضاء ولديه عبد الله وأبى طالب ومشايخ البيت الحرام وسادات قريش بين يديه والمجلس حافل باهل مكة فلما ان رأوا الملك النعمان قد أقبل عليهم قام له الجميع اجلالا لقدره على الاقدام وحيوه بالسلام فقال اليه الشيخ عبد المطلب وترحب به وأخذ بيده وأجلسه الى جانبه وبقوا أرباب دولته قيام فى الخدمة وعنتر فى الجملة ثم ان الشيخ عبد المطلب قد سأل الملك النعمان عن سبب قدومه الى البيت الحرام فقال له يا سيد العرب انى قد أتيت من أجل منام رأيته وقد اشتغل قلبى من أجله وما عرفه من أرباب دولتى أحد وأنا جئت الى ههنا على سبيل الفرجة والزيارة وسماع تفسير المنام من السطيح الكاهن فعندها تبسم الشيخ عبد المطلب وصار من هذا الكلام متعجب وقال والله ان هذا الاتفاق ما جرى نظيره فى سائر الآفاق لاننى أنا الآخر رأيت البارحة مناما تتحير منه الاوهام ومن أجله قد جمعت سادات الحرم وقد أنفذت خلف سطيح الكاهن وقد أمرت بحمله الى هذا المكان حتى يخبرنا بما رأينا عن حقيق وفى هـذه الساعة تراه قد حضر ويتكلم لنا بكلام ما يقدر عليه أحد من البشر لان رب هذه القبة الخضراء قد أطلعه على كل حقيقة وهو سر ربانى من خالق الخلق رب كل البريه ﴿قال الراوى﴾ وكان هذا الكاهن من عجائب مخلوقات الله تعالى بلا يدين يبطش بهما ولا رجلين يمشى بهما ولا عروق ولا عظام ولا عينين ولا معدة ولا جوارح تساعده على الحركة ولا على النقل من مكان الى مكان بل جعل الله تعالى له أنفاسا تتردد فى جلده وقد كانوا اذا أرادوا ان يشيلوه من مكان الى مكان يطووه كما يطوى الثوب الخام ويحمل على الايادى الى الموضع الذى يستدعى به اليه ثم يسألوه عن كل شئ فيخبرهم به ويحذرهم ان كان فيه شئ مضر فيذهل جميع الخواطر ويحير الافكار فيما يقول لهم ﴿قال الروى﴾ ولما كان ذلك أتوا به الى الشيخ عبد المطلب فوضعوه فى وسط الحاضرين وتعجب به كل الناظرين من أجل خلقته وقد اقشعرت منهم الابدان من تكوين صورته فسلم الحاضرون عليه فرد عليهم السلام بصوت ضعيف وجعل يسبح الله تعالى الواحد الاحد اللطيف وكان من جملة ما قال ان حى الازل أول الاول الذى قضى بدوام الدول الملك الذى لا شبيه له ولا مثل فسبحان من خلقنى فى تلك الصورة وخلق لى أنفاسا متعدده ومحصوره وصور الاشكال فى الافلاك الدائرة وهو سبحانه وتعالى براها بكل شئ خصنى ربى من جوهرة النور وهى النورانية الصمدية الازلية الديمومية الفردانية السرمدية الذى يستوجب الحمد والثناء على انعامه الحسنى الشاهد على من رزق وأسا المحقق لعباده صباحا ومسا معاشر الحاضرين اسألوا عما بدا لكم من العجائب واسمعوا منى أحاديثا من حكيم عارف بالعواقب وسبحوا ربا لم يزل معكم يشاهد ويراقب ﴿قال الراوى﴾ ولم يزل معهم كذلك حتى حير كل حاضر وعاقل وأيقظ كل راقد وغافل فقال له الشيخ عبد المطلب اعلم يا حكيم ان ملك العرب النعمان أتاك من أجل منام

وأنا الآخر رأيت مناما وقد أشغلني وصرت معه في أوهام وأريد منك تفسير هذه الرؤيا والاحلام ما بين هؤلاء السادات الكرام ﴿قال الراوي﴾ فقال له الكاهن اذكر يا مولاي ما أبصرت فقال له الشيخ عبد المطلب رأيت كان ولدي هذا عبد الله قائم بين يدي مثل ما هو الساعة وقد ظهر من بين عينيه نور وصعد الى عنان السماء ثم انه بعد ذلك قد اجتمع ذلك النور وتدور وصار أبهى من الشمس والقمر ثم انه قد ازداد نورا وتشعشع وعلا وارتفع وكان العرب قد اجتمعت من حواليه مثل الكواكب وهي ترميه بالنار من كل جانب ومكان وكنت أنا من تحذري عليه التفت ابصر لي ناصر فرأيت أخيه أبا طالب وقد أتى مثل العقاب وفي يده سيف كانه شهاب يطير من جانبيه نار شديدة الاضطراب وأراد أن يضرب به في العدا فطار من يده وعلا وامتد ذبابه حتى لحق الى عنان السما وسد بعارضيه مناقيس الهوى ثم انه انقسم أجزاء وتساقطت صواعقه الى الارض وعبر الى جنبات الغرب طولا وعرض حتى انه أخذ الاكثر وما سلم منهم الا القليل ثم اني سمعت الناس ينادون لا تفعل يا أبا طالب فقد أهلكت الامم جمعا وما تركت من يدفع عن نفسه ضرا ولا نفعا وقد رأيت السيف قد هوى يطلب أرض يثرب وقد انتبهت وأنا من هذا المنام متعجب فاسرع لي بالكلام وفسر لي في هذا المنام واعلمني بما يدل من الاحكام ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع سطيح الكاهن ذلك القول شهق شهقة وغاب فيها عن الوجود ساعة زمانية ثم انه بعد ذلك أفاق من غشيته وهو مثل السكران وكلم الناس وقال اعلموا يا من حضر هاهنا في هذا المكان لقد آن الاوان واقترب الوقت والزمان وعن قريب يظهر سيد ولد عدنان صاحب الشريعة والبرهان والدين والقرآن والايمان الذي يهدي به الناس الى طاعة الملك الديان ويظهر الحق الى سائر الانام ويرمي الاصنام من على البيت الحرام ويعرف الخلائق تعريف توحيد الملك العلام الذي حارت في معرفته الاوهام وهو الذي ينشق له البدر التمام ويكون معتدل القوام واضح الابتسام صاحب عفة وذمام وحياء وصيانة وعلامة وانه لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير الراهق حسن القامة مدور العمامة يلوح بين كتفيه علامة على خده شامة تظلله اذا مشى في الحر غمامة شريعته دائمة الى يوم القيامة وجهه كالبدر اذا كان تماما يلوح في الظلام متجلل بالهيبة والوقار والفخار والانوار حلو الكلام عظيم المرام كثير الصيام يسهر الليل والناس نيام يناجي ربه الملك العلام زاهد عابد أخوف على أمته من الوالد للولدان اذا سأل أجاب وان نطق أصاب بذول وهاب نقي الاثواب طاهر الميلاد مصانا عن الفساد رحمة للعباد موصوف اسمه في الارض محمد وفي السماء أحمد معروف بالخير والوف وعند الشر صروف وكلامه رؤف قد كملت صفاته وظهرت آياته وبانت للعالمين معجزاته وعن قريب يظهر تبيانه أجيبت دعوته وأنارت طلعته وعلمت دعوته حسن الاخلاق طاهر الاعراق حبيب الله الملك الخلاق تام الجمال مليح الخصال كامل الاعتدال وجهه أضوأ من الهلال سيد مفضال صادق في المقال حميد الفعال كريم نوره من غرته يصدع له فم مثل الخاتم سيد الاعراب والاعاجم ذو فضل ومكارم بحاجبيه دعج وبثغره فلج وبطرفه دعج ان قدر عفا وان تكلم كفا أحسن من نشا وأكرم من مشى وأجمل من وطئ الحصا وأفخر من عرج الى السما يجوز سدرة المنتهى ويخاطب الملك الاعلى يكون منه كقاب قوسين أو أدنى بهي رضي تقي نقي مكي أبطحي هاشمي عربي زمزمي قرشي تهامي مدني له مقام زكي عدناني شريف عفيف لطيف ظريف رؤف رحيم وهو محمد وأحمد وطه ويس وأمجد وممجد وكان صلى الله عليه وسلم ملتف العضدين أحور العينين والمقلتين سهل الخدين معرقص الصدغين وهو سيد الثقلين صادق اللسان تالي القرآن اسمه مقرون باسم ربه في الأذان مذكور في كل مكان بشرت به الاحبار والكهان مزيل دولة الصلبان مهلك عبدة النيران لم يخلق الله تعالى في الأولين ولا في الآخرين ولا يخلق الى يوم القيامة لا أحسن ولا أزين ولا أعدل ولا أفضل ولا أجمل ولا أكرم ولا أرحم ولا أحلم ولا أفهم ولا أنهى ولا أثنا ولا أوفا ولا أعفا ولا أكفا ولا أقضا ولا ألطف ولا أعرف ولا أصبح ولا أرجح ولا أملح ولا أفلح ولا أوضح ولا أنجح ولا أسمح ولا أوفق ولا أصبر ولا أخشع ولا أجمع وجميع أفعال الخلق كلها من هذا النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد

مناف صاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات وأفعاله ترضي رب الارض والسموات فياليتني عشت حتى ألقاه وأسير من أصحابه ورفقاه والويل كل الويل لمن عاداه وطوبى لمن والاه ويا خيبة فرسان العرب الجهال اذا ظهر الشجاع المنتخب صاحب الحسب والنسب فواعجباه كل العجب مما يحل بالابطال من النصب اذا ظهر ذو الفقار وضرب به كل فارس همام وأسد ضرغام وهزبر مقدام وفتى هجام وقشعم حوام وباسه لا يرام ومحبه لا يضام يسقي الاعداء كاس الحمام مجندل الاقران ومبيد الشجعان شديد الصولة عظيم الجولة قوي العزم والقلب لا يأخذه رعب جسيم أدرع وبطل صميدع وأندع لا يجزع في الحرب ولا يفزع اسمه كبير في المراسم كثير الذكر في كل الملاحم فلاق الجماجم منعوت بالعظائم مهشم القمم ممدوح مقدم يكون لمحمد وزير يدعى بالامير ويسقي محبيه من حوض البشير النذير يدانيه في الحسب ويقاربه في النسب له أسماء مختلفات في الكتب اسمه في التوراة اليا وفي الانجيل بريا وفي القرآن عليا ساقي الخلق الاكبر من نهر الكوثر لأهل الولاية شراب التيح قسيم الجنة والنار لكل فريق الذي يسمى زيد وحيد وممزق الشرك بذي الفقار الذكر يقاتل الجن من تحت الافلاك ولا يخشى الهلاك الذي يسمى علي حيدر ويذل له كسرى وقيصر وملوك بني الاصفر ﴿قال الراوي﴾ ثم ان سطيح الكاهن سكت بعد ذلك الكلام فبكى السادات من العرب وارتعدت منهم الابدان والركب وقد حار الامير عنتر مما سمع وأبصر وبقي الملك النعمان ينظر الى الكاهن وهو حيران ساعة من الزمان فرآه قد أفاق من غشيته وعاد الى الكلام فقام الملك النعمان وأراد أن يدنو منه ويفسر عليه المنام واذا به قد صاح وقال له وأنت يا نعمان قال نعم فقال له أنت تريد أن تسألني عن الفيل الذي رأيته في المنام وهو يرمي اليك بالنيران وأنت منه فزعان وقد أتاك غلام وهو مليح الصورة صمصامته مشهورة وهو يصيح على الفيل وقد ضربه قسمه نصفين وتركه مرمي قطعتين فسألته يا نعمان عن اسمه بعدما فرج عنك وأعاد الى الجواد وقال أنا هاني بن مسعود وقومي بنو شيبان فقال له الملك النعمان بعدما سمع منه ذلك الكلام بالذي قد خصك بهذه الاقاويل أخبرني بهذا المنام والتأويل فقال له سطيح الكاهن يا نعمان احذر من انسان عجمي كبير الشان شديد الاركان ويطالبك بالمظالم ويقصدك بجيش الاعاجم ويجري لك معه يا نعمان من الحرب أشد من النار ووقائع يبقى ذكرها طول الزمان شائع واعلم ان هذا الفيل والنيران فتن من هذا السلطان فكن يا نعمان منه على حذر ولا تأمن من أصحاب الممالك فتخسر واطلب هاني بن مسعود الى عندك واتخذه لك من جملة الاعوان بما كان وما يكون ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك النعمان هذا المقال خاف على ملكه من الزوال وبقي متفكرا من أين تأتيه النوائب وأما الامير عنتر بن شداد فانه قد زاد به الانذهال وسمع عجائب تحير عقول الرجال فقال الامير عنتر لا يكون هذا العلم الا في السما فتبسم الامير حار بن عمار الكندي وقال له ويحك يا أبا الفوارس ان رب السماء يفعل ما يشاء في عباده ويطلعهم على علوم شتى ولولا ذلك ما كنت أنت شجاع وغيرك ذليل وآخر كريم وآخر بخيل فقال له عنتر صدقت فوالله يا حار ما هذا الانسان الا من أكبر عجائب الزمان واعلم اني أريد أن أتقدم اليه وأسأله أنا الآخر عن منامي من قبل أن يرجع ثم ان الامير عنتر تقدم الى عند سطيح الكاهن فناداه حياك الله يا أبا الفوارس يا فارس عبس الادهم وشجاعها المعلم ابشر بالزيادة في السعادة واعلم ان الله قد رزقك بمشيئته وارادته وقدرته ولدين الا انهم أسدان تذل بهما رقاب العالمين عجم وعرب ثم تبلغ بهما أعلا الرتب فالاكبر فيهم أصبح في يدك أسير والاصغر تعرفه في هذه الارض بعد شيء يسير واعلم ان منامك يدل على هذه الاحوال وأما رؤياك ان الهلال قد طلع من الشمال وأنت قد أخذته بيدك وأردت أن ترده الى الشرق فانقلب في يدك وصار سيفا فهذا دليل على وجود الاولاد وهذا ما عندي أنا والسلام ﴿قال الراوي﴾ وما بقي من الحاضرين أحد الا وحدثه سطيح الكاهن بما أضمر وبين الى صاحب البشارة بشارته وأصحاب الحذر الحذر وقد انطوى بعد ذلك وزفع وقد تعجب كل من حضر مما سمع ونظر وكان أكثرهم تعجبا الامير عنتر لانه قد زاد سرور وفرحا بالاولاد وقد صار يقول ان هذا الاسير الذي عندي لا شك هو ولدي لان جوارحي

كانت تشهد له عند قتاله بالاشفاق ولكن ما أدرى من هى أمه وما أقول الا أننى فى أيام الصبا والجهل غصبت بعض بنات العرب على نفسها فى بعض الاوقات فى وقعة من الوقعات فأتت بهذا الغلام اتفاقا وان كان هذا على الحقيقة ولدى فأنا أذل به الاعداء لانه شجاع ما يوجد مثله فى الآفاق وكانت نفسه أيضا تحدثه بهذه الاشياء وقلبه الى مسيره باشتياق ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من الشيخ عبد المطلب وأهل مكه فانهم قد حلفوا على الملك النعمان وقد صنعوا له الولائم والدعوات له ولعساكره وأقاموا به وبمن معه من العساكر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أنفذ خمسين فارسا الى بنى شيبان من أهل هانئ بن مسعود الذى قد رآه فى المنام وقد أعطاهم صفته وحليته وقال لهم ان أنتم وجدتموه ولقيتموه فاضمنوا له عنى الغنا وبلوغ المنا والهنا والحقونى به الى الحيره ﴿قال الراوى﴾ فقال الامير عنتر بن شداد وأنا وأخى نسير معهم ونجتهد فى طلب هذا الغلام فان وقعنا به والا عدنا سائرين الى بلادنا لان الطريق واحده فقال الملك النعمان افعل ما بدا لك ولا تمض الى بلادك حتى تعبر بنى شيبان ولولا ان قلبك متعلق بقول الكاهن عن الاسير الذى قد أسرته وسيرته الى ديار قومك وقد أخبرك انه ولدك ما كنت تركتك تمضى من عندى فشكره الامير عنتر على ذلك الكلام وقد طيبه ووعده بالنصر على الاعداء ثم ان الملك النعمان أخذ أهبة الرحيل وقد أقام بعد رحيل الامير عنتر من مكه ثلاثة أيام وقد ودع الشيخ عبد المطلب وسادات الحرم ورحل يطلب أرض العراق وما زال سائرا حتى قرب لها فرأى رجلا نجابا يقال له معمر وكان من نجابته الذين يرسلهم فى مهماته فلما سار قدامه عرفه فقال له ما شأنك فقال يا مولاى اعلم قد مات الملك كسرى وقد تولى مكانه خداوند ولده وكل ولاة خراسان قد مضت الى خدمته وسارت تحت طاعته لانه كريم كما تعرفون عادل فصيح اللسان فاضل والناس قد اجتمعوا على محبته وفرحوا بدولته وقد أرسلنى الملك الاسود أخيك حتى انك تسير بها وتجدد عهدك منه لان حسادك على الملك كثير فلما سمع النعمان هذا الكلام صعب عليه وقال فى نفسه ما أخوفنى أن يكون تفسير منامى ان تغيير الدولة يتقدم أو يتأخر ثم انه سار وهو مشغول القلب لا يدرى على أى شئ يقدم ﴿قال الراوى﴾ هذا ما كان من أمر الملك النعمان وأما ما كان من الملك خداوند فانه كان جيدا يكره الجور والاسراف وقد ذكرنا قبل تاريخه فى بعض أوصافه لما كان أرسله أبوه الى بنى عبس وجرى له مع الامير عنتر ما جرى وقد مناذكر كرمه وحسن سياسته مع انه كان يحب العرب ويميل اليهم أكثر من العجم لان أمه كانت عربيه من أحسن بنات ملوك العرب والفرسان وكان أيضا يهواهم لاجل فصاحة اللسان ولما وصى له أبوه بالملك اتخذ له من قبائل العرب أعوان ولما سار على سرير الملك فى الديوان ودارت حوله المجوس علماء النيران وألبسوه التاج وبايعوه على البلدان فاتت اليه ملوك خراسان وأتت اليه سادات العرب من كل مكان ففتح خزائن الاموال وقد غمر سائر الناس بالخلع والهدايا وعمل الولائم والدعوات وقاد الجنائب الى السادات وقد أكرم أهل الولايات وأوسع على الجند فى الاقطاع ﴿قال الراوى﴾ وما وصل الملك النعمان حتى وجده مهد الارض تمهيد وقد أطاعه القريب منها والبعيد لانه جلس على سرير أبيه وكانت توليته وجلوسه فى طالع سعيد ﴿قال الراوى﴾ ولما أن وصل الملك النعمان الى بلده الحيره فما أقام فيها غير القليل وقد رحل طالب المدائن وما زال سائرا الى أن وصل المدائن ودخل الى خدمة الملك خداوند ولما سار قدامه سلم وقبل الارض وعزاه فى أبيه وقد بكى بين يديه وهناه بالملك الذى وصل اليه ودعا له وأثنى عليه فترحب به خداوند ونصب له كرسيه الذى كان ينصب له فى أيام أبيه وأمره بالجلوس قدامه وخلع عليه وعلى أرباب دولته وقد سأله عن سبب غيبته وما كان فى سفرته فذكر له انه كان فى البيت الحرام على سبيل الزياره ولم يذكر له المنام الذى رآه بل حدثه بذكر سطيح الكاهن وما ذكر من صفات النبى صلى الله عليه وسلم وان ظهوره قد حان فتعجب خداوند من هذا الكلام وقال وحق النار ان الذى يعيش الى أيامه وينظر زمان هذا الرجل يعاين الاهوال فياليت شعرى يخرج من أى مكان فقال له الموبذان يا ولدى ان شأنه عظيم وقد ذكر جميع العلماء انه يولد بمكه ثم يتربى يتيم ويجدد بمكه بيت الخليل ابراهيم ويعرف الناس عبادة الرب القديم مرباه

زمزم والحطيم ﴿قال الراوى﴾ ثم طال بين الحضار الكلام وقد شرعوا بعد ذلك فى أكل الطعام وشرب المدام وبعد ذلك خلع خداوند على الولاه خلع الرضا وردهم الى بلادهم وكذلك فعل بالملك النعمان ورده الى الاوطان وكان كثير المحبة الى النسوان زائد الرغبة فى وقت الاصطباح على أصوات المغانى بشرب المدام وعلى الوجوه الحسان من الحور والولدان ﴿قال الراوى﴾ وقد اتفق له فى بعض الايام شرب مع ندمائه الى المسا فجرى بينهم كلام فقال زيد بن عدى والله يا ملك ما أنت الا قد قضيت من النسوان الحسان وطرا وملكت من الجوار ما لا ملكه أحد من أجدادك الاكاسرة الكبار ولكن أنت ما ملكت مثل المتجرده زوجة الملك النعمان لانه لا يوجد مثلها فى هذا الزمان ولولا انها فريدة العصر والاوان فى جميع المعانى ما كان قد ذكرها فى شعره النابغة الذبيانى قال فلما سمع خداوند هذا الكلام ارتعدت من شدة محبته فى النساء أعضاه وما بقى يفرق بين الصباح والمساء من شدة جواه فقال له يا در يد ما الذى قد قاله النابغة الذبيانى فى المتجردة اذكر لى بحق النار والنور حتى اننى أسمعه وتتم لى أوقات السرور فقال له دريد السمع والطاعة ثم انه أنشد وجعل يقول

يا آل مذحج رائح أو مغتدى * عجلان ذو زاد وغير مزود * زعم الوشاة بان رحلتنا غدا
وبذاك ينعانا الغراب الاسود * لا مرحبا بغد ولا أهلا به * ان كان تفريق الاحبة فى غد
فى أمس جاريه رمتك بسهمها * فأصاب منك القلب ان لم تعتد * فالدر والياقوت زين نحرها
ومفصل من لؤلؤ وزبرجد * وبفاحم مثل الظلام نخاله * كالكرم مال على الدعام المسند
فظننتها نظرت اليك بناظر * نظر السقيم الى وجوه العود * فبدت فزانت ساقها المتربرب
بحواجب والمقلتين مقلد * أخذ الفؤاد لعقدها فنظمته * من لؤلؤ متتابع متسود
زعم الوشاة بأن فاها بارد * عذب اذا ما ذقته لم يبرد * والبطن ذو عكن لطيف لين
والصدر ترفعه بنهد معقد * واذا لمست لمست منها ناعما * متحرفا بمكانه ملء اليد
وخيالها فى البيت فى غسق الدجا * بدر تبدى وسراج موقد * لوانها برزت لأشمط راهب
عبد الاله بنية المتعبد * لصبى ببهجتها وحسن حديثها * فتخاله رشدا وان لم يرشد
هذا هو الفخر الرفيع بفخره * بين الملاح ومثلها لم يوجد

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ زيد بن عدى من شعره تعجب الحاضرون من مقاله وقد صدقوه فى كلامه وأما الملك خداوند فانه قد زاد به الهوى فى فؤاده وقال والله يا زيد لقد كدرت عيشى وقد زاد همى وطيشى بوصفك لى تلك المرأة التى ما لى اليها من سبيل وأنا أعلم اننى أصبح بحبها مغرم عليل وان الحياء يمنعنى أن أنفذ الى بعلها وأقول له انفذ لى زوجتك حتى اتخذها الى برهة من الزمان وبعد ذلك أنفذها اليك اذا فرغ غرضى منها لا سيما وهو ملك العرب وفى رأسه النخوة والحميه فقال له زيد يا ملك اعلم ان عند المجوس اذا طلب الملك زوجة أى من كان من أرباب دولته ولم ينفذها اليه تحرم عليه لانه من تحت أمره وحكمه وهو فى مذهب عباد النار حلال وهو عندهم جائز فقال الملك خداوند هذا لا يكون الا عند الاعجام وأما عند العرب فلا يجوز ولا يرضى به أحد لان مذهب العرب لا يقتضى ذلك ﴿قال الراوى﴾ فقال له اياس بن قبيصه وكان من المقربين عند الملك خداوند وصاحبه ونديمه لانه كان قد ربى معه وكانت أمه عجميه وكان أبوه ملكا عظيم الشان فمن أجل ذلك أخذه خداوند صاحب ونديم وكان أيضا يحب خداوند ويشفق عليه ولما سمع ذلك اليوم مقالة عند وصفه للمتجرده قال يا ملك ان كان قلبك قد اشتغل بتلك الامور وقد منعك الحيا أن تطلبها فأنا أعرف ان للملك النعمان بنت يقال لها الرباب وله أخت أيضا صاحبة جمال وبهاء وكمال وحق ما ظهر فى النار من الحرارة والالتهاب ما تصلح أن تكون المتجرده خادمه والاثنين قد صلحا للنكاح والزواج واذا أنت طلبتهم منه ما يكون عليك فى هذا عتب ولا احتجاج لان الملك النعمان نائب لك وغلام وهو معدود من جملة الخدام فارسل اليه واطلبها منه وان امتنع منك خذها غصبا عنه وارسل له من يأتيك بهم الى حضرتك وان شئت اقتله قال وكان لخداوند من الجوار فى ذلك الاوان خمسة آلاف جاريه من الموصوفات بالجمال ما بين

ولما ذكر له حرم الملك النعمان تركيه وعجميه وروميه وعربيه والكل من أولاد الملوك والوزراء والامراء فصارت تلك الجواري عنده مثل الافاعي ومثل العقارب ولا بقي له قلب يميل اليهم ولا عين تنظر اليهم (قال الراوي) فعند ذلك قال خداوند انفذوا من يكون رسولا الى نائبي على العربان فقال زيد بن عدي أنا وهو الذي كان السبب في ذلك وأصل العداوة التي بين زيد بن عدي وبين الملك النعمان له سبب عجيب وذلك ان الملك قتل له ولدا من الفرسان بعدة الملك كسرى أنوشروان ومن أجل ذلك كان زيد يدبر بثاره ويطلب له الذل والهوان ومازال كذلك الى ان بلغ قصده بتلك الفتنة في ذلك الاوان ﴿قال الراوي﴾ فقال له خداوند خذ أهبة الرحيل عند الصباح وقد رتب له خداوند جماعة من خواص حجابه وأمرهم بالمسير معه ولما كان ثاني يوم عند الصباح حضر زيد عند خداوند فامره بالمسير وبصحبته مائتا فارس وبصحبته من الهدايا والتحف ما يكل عن وصفه كل لسان فعندها سار زيد ومن معه الى أن وصلوا الى أرض الحيره ودخلوا على الملك النعمان فتقدم زيد وسلم وترجم فترحب به الملك النعمان وساله عن حاله وما الذي اتى فيه فشرح له زيد الامر كله وقد قال له يا نعمان ومن بقي يفاخرك من ملوك العجم والعرب اذا كان بينك وبين الملك صلة ونسب ثم انه بعد ذلك الكلام أحضر قدامه الهدايا والتحف من الفضة والذهب والملبوس والجواهر وكل شيء فاخر وبعد ذلك طلب من الملك النعمان الجواب فلما سمع النعمان من زيد ذلك الكلام حرد وقد احمر وجهه وزاد به الغضب وقال له يا زيد ما كان في أرض السواد والاعاجم ما يشغله عن بنات العرب وحق من تعالى عن خلقه واحتجب وفرق بين ضياء النهار والغيهب لو أن خداوند يقول لي خذ ملك أبي كله ولا تترك منه ذره وأعطيني من شعر بنتك الرباب شعره واتركني أنظر الى أختك الحريقه نظره ما فعلت ذلك ولا أزلت له حسرة ولا غربتها عن أرضها والذي أشار عليه بهذا ما كان له صديق ولكن مر اليه واعلمه ان ما عندي بنات تتزوج ولا تصلح للزواج ولا تتقرب فلما سمع زيد من الملك النعمان ذلك فرح وقد استبشر ببلوغ المراد كيف ان النعمان رده بغير قضاء حاجته فسار زيد من عنده وخرج من الحيره ومازال سائرا وهو يتحدث مع حاجب الملك كسرى على ما قال الملك النعمان لان الحاجب كان عجمي اللسان ما يعرف كلام العربان فاعلمه زيد بما قال الملك النعمان من الجواب وقال له اعلم ان خداوند ما خطر للنعمان على بال وقد استقل به وبملكه وهانت هذه الدولة الكسرويه عنده فلما سمع الحاجب ذلك الكلام غضب غضبا شديدا وقال وحق النار لو اني فهمت بعض الذي قاله من المقال لضربت رأسه بالحسام الفصال ولكن ما يفوته القتل والعذاب اذا سمع خداوند هذا الخطاب ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى المدائن ودخلوا على الملك خداوند وأخبروه بما جرى فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وقد صغرت نفسه عنده وقال أكون صاحب الارض طولا وعرض واطلب حاجة لم تقض وحق النار لأصلين النعمان وأقلع شدقيه وآخذ ابنته وأخته وزوجته ثم انه احضر اياس بن قبيصه الذي قد وصفناه وأعاد عليه هذا الخطاب وما قاله الملك النعمان من الجواب ثم بعد ذلك قال له اجمع سادات بني طي وخذ معك من شئت من الابطال وسر الى بلاد الحيره واقبض على هذا القرنان ثم ائتني بهذا الذي قد احتقرني وقد رماني بالنقصان بين الملوك فقال له اياس يا مولاي وما الذي أريد من عساكرك وبني طي كلها بحكمي ولاسيما من يوم سرت أنت خاقي قال وكان هذا اياس رجلا قوي الهمة شديد الفرصه سفاك الدماء فجمع بني طي وحلفاهم فكانوا اثني عشر الف فارس في ثلاث رايات ثم انه قال لخداوند قدم من عساكر العجم مقدما فدعا الملك بمرزبان من خواص حجابه وما كان في العجم مثله وكان يلقى ألف بطل بصدره فدعا به وسوره وطوقه ومنطقه وقدمه على خمسة آلاف فارس من الديلم وقال له سر صحبة اياس وجميع ما أمرك به امتثله فقال له سمعا وطاعة ثم ان اياس أخذ أهبة الرحيل وقد رحل بالعساكر وعقدوا على رأسه الرايات والاعلام وضربت الطبول والبوقات ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما كان من هؤلاء * وأما ما كان من الملك النعمان فانه بعد رواح زيد والحاجب من عنده أخذ أهبته وما قدر عليه من الاموال وسار من أرض الحيره طالب أرض الحجاز وبعد رحيل النعمان

بيوم وصل اياس الى بلاد الحيرة فرآها خالية من وقت نجا بنفسه وحريمه فصعب عليه كيف ان الملك قد ندبه في حاجة ولم تقض على يديه ومن شدة ما جرى عليه أقام له نائبا على البلد وقد كتب كتابا وأنفذه الى خداوند يقول فيه اعلم أيها الملك ان النعمان قد رحل من الحيره وأخلاها وسار الى برية الحجاز بالمال والعيال وها أنا طالب المسير في أثره وأقول بحق سعادتك ما أعود اليه ولم أرجع خائبا وآتي بالنساء الحسان الكواعب ولا تكون على فيما فعلت عاتب لان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ثم انه أنفذ الكتاب مع نجاب وبعد ذلك نادى في عساكره بالرحيل فركبت الجنائب وسار وبالجيش الذي قدمنا ذكره من العجم والعرب وهو مثل المجنون الذي لم ينظر في عواقب الامور قال فهذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما سار من الحيره بعساكره ورجاله أول يوم وثاني الايام وفي ثالث يوم لحقه اياس ومن معه من عسكر العجم والعرب فلما أبصر الملك النعمان الى لمعان الاسنة والقواضب أيقن بحلول النوائب فصاح بالجيش الذي كان معه فعادت رجاله مثل السلاهب وقد تأهبت لانفسها وما كان منهم الا من سار بحريمه مع عياله فعندها خلف النعمان بصحبة الحريم والعيال ألف فارس من الرجال الاقيال ووقف فيمن بقي معه من الابطال واستقبل العجم والديلم والعرب وقد صرخت الطوائف من شدة الفرح بلقاء الملك النعمان في ذلك المكان وقد حملت على خيول أخف من الطيور وقد طلبت بنبالها المقاتل والنحور وضرب العمد والحراب فحير العقول والالباب وتطاعنت العرب بالرماح وزاد بينهم الصياح وتساوى عندهم المساء والصباح وتضاعفت نصيحة النصاح وقد قاتل في ذلك اليوم الملك النعمان قتال أهل العيان وسار ينادي في بني لخم ويقول لهم يا بني عمي هذا يوم الافتضاح فمن قاتل عن نفسه وستر الحريم كان من الكرام ومن ترك عياله وولى وانهزم عاش عيش الاذلال فقاتلوا وانصحوا ولا ترغبوا في الحياه فتفتضحوا لاسيما اذا سبت الاعاجم نساءكم وأولادكم وباعوهم في أرض خراسان ويبقى السالم منكم غريب فقير في سائر البلدان وهو يبكي على نفسه ويبقى ملازم الاحزان قال وما قال ذلك الكلام حتى انطبقت العرب على العجم انطباق الغمام ووقع الحرب والخصام واشتد الكرب والزحام وكان اياس قد أبصر الامر قد طال فأخذ خمسة آلاف فارس من الابطال وسار بهم الى ناحية الالف الذين مع النسوان فبذل السيف في الالف المقدم ذكرها ونهب منهم الارواح من مقرها وقد ارتفع الصياح من النساء والبنات وبكوا الاطفال بدموع قراح وندبت النوادب لما ان رأوا البلا وقد تزلزلت الاقدام وقد الحسام في الاجساد فأثخن الملك النعمان بالجراح وأيقن بالهلاك والافتضاح وبان له شخص الموت ولاح وبكى على حريمه وناح وقد عزم على الهرب والرواح فبينما هو على ذلك الايضاح واذا هو قد سمع من خلف الاعداء صياح وخيل قد أقبلت من ناحية أرض الحجاز أخف من الرياح الا انها ما قربت من موضع القتال وعرفت حقيقة الحال حملت على الاعلام التي لاياس وقد هدرت كأنها الاسود واقتحمت الغبار الممدود وقد طعنت طعنا تقشعر منه الجلود وفي أوائلها فارس شديد في طول العامود كأنه من قوم عاد وثمود وهو ينادي بصوته يا لشيبان يا لشيبان أنا هاني بن مسعود ابشر يا نعمان بالخلاص من هذه الامور العظام ثم انه صار يطعن في الخواصر والنحور وهو على جواد من الخيل الجياد أشقر وفي يده سيف مشهر وصورته التي رآها الملك النعمان في المنام وانما العجب في وصوله اليه في وسط القتال وحسن هذا الاتفاق الذي اتفق يا كرام ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في تلك الخمسين فارسا الذين سيرها الملك النعمان من البيت الحرام وقد أمرها أن تقصد الحال من بني شيبان وتسال عن هاني بن مسعود وقد أعطاهم صفته وقد ذكرنا ان عنتر بن شداد صار معهم هو وأخوه مازن ورفقته وقد أراد بذلك قرب الطريق الى بني عبس لان قلبه كان متعلق بالولد الذي ذكره له السطيح الكاهن واعلمه انه في يده أسير كما ذكرنا وكان قد أرسله مع عروة بن الورد ورجاله وصار مع أصحاب الملك النعمان وهو لا يصدق أن يرى الديار والاوطان وكان مسيره على بني شيبان ومازالوا يقطعون الارض والديار والقيعان الى أن وصلوا الى أرض بني شيبان فسألوا عن هاني بن مسعود من بعض الفرسان فما أحد

أعطاهم جواب ولا بد لهم من خطاب وما زالوا سائرين الى أن وصلوا أرض ديقار وهي أطيب منزل لبني شيبان فنزلوا هناك بعدما أخذوا لهم الراحة وقد تفرقت الفرسان تطلب الحلل والقبائل وبقي عنتر وأخوه مازن وأصحابه على بعض المناهل وقد ضاقت صدورهم من طول الغيبه ومن عودة أصحاب الملك النعمان بالخيبه

(قال الراوي) فبينما هم في مثل ذلك يتحدثون والى أقطار البريه يتلفتون واذا بغبار فارس يطرد في عارض البر نعام من الوحش وهو يردها بين يديه يمين وشمال ويزعق عليه زعقات تزلزل الجبال ويجول عليها كما تجول خيول الفرسان في القتال فهالهم فعاله وقد تعجبوا من حسن مجاله فقال عنتر لأخيه مازن ان كان هذا الفارس يفعل في الفرسان بالحروب كما يفعل بهذه الوحوش ما يكون له في أبطال العرب نظير وما زالت أعينهم ترمقه وتبصره حتى أدرك الفحل النعام وطعنه برأس الرمح فرماه على وجه الصحصحان وتم يطرد الباقي ونثار في جنبات الفلا فرأى مازن ذلك فبادر الى جواده وقال لعنتر انني قد عولت على هذه الطريدة التي رماها هذا الفارس وناخذها ونجعلها غدانا فقال له عنتر افعل ما بدا لك فعندها ركض مازن في طلبها حتى انه قاربها وهم أن يترجل اليها واذا هو بسبع قد خرج من غابته وأخذ الطريده في فمه وعاد بها الى غابته فبقي مازن واقفا باهتا فبينما هو واقف واذا بالفارس قد عاد الى عنده فما رأى فروسيته فقال لمازن بعد ان صاح عليه يا فتى أنت أخذت طريدتي فقال لا والله يا وجه العرب ما أخذها الا السبع ودخل بها في هذه الغابه فقال صدقت وهذا أثر الدم ثم ان ذلك الفارس ترجل عن جواده الى الغابه راجلا من غير سلاح وقد ترك سلاحه وعدته على الارض عند جواده فتعجب مازن من تلك الفعال وبقي واقفا ينظر ما يجري له مع الاسد من أجل طريدته وهو يقول والله ان فراعنة الجن ما تفعل مثل هذه الفعال ولا تقدر على السباع بغير سلاح فبينما هو في هذا المقال حتى انه سمع من الغابة صوت وهدير مثل هدير فحل بشر فقال مازن هلك والله الغلام ونفذت فيه الاحكام ثم انه قد عول أن ياخذ الجواد والعده ويعود عند أخيه عنتر واذا بالفارس وقد خرج من بين الاشجار وهو يحطم بطول قامته ويقود الاسد مثل ما يقود الرجل الشجاع برقبة الرجل الجبان وقد مكن كفه اليمين من ناصيته وفي يده الشمال النعامه التي قد اصطادها وسار يعاتب الاسد ويقول ويلك يا غلاب تأخذ صيد هاني بن مسعود ثم تخطر في أرض يكون فيها خاطر وموجود ثم انه حط النعامه من يده وقد مكن يده الاخرى من الاسد وهو يهدر ويطلب الى نفسه الخلاص ثم انه شاله وجلد به الارض على صخرة كانت هناك فخلط عظامه وعجل حمامه وعاد الى جواده ركبه بعدما تناول عدته وقال لمازن لما رآه واقف يا وجه العرب من أنت والى أين تريد ان كنت عابر طريق فتزود من هذا الزاد وخذ ما يكفيك الى المكان الذي أنت طالبه وان أردت المقام والراحه فاعدل معي الى قومي وانزل عندي واعلم ان الحي منا قريب فقال له مازن والله يا فتى ما أنا وحدي بل أنا معي رفاقي ونحن خمسون فارس ونحن دائرين على رجل طالبه الملك النعمان نائب الملك كسرى قال فلما سمع هاني بن مسعود من مازن ذكر الملك النعمان رمى من يده الصيد وأقبل على مازن وقال له يا فتى وما السبب في ذلك حتى أنفذ الملك النعمان يطلب هذا الغلام فقال له مازن اعلم ان الملك النعمان قد رأى منام تحير فيه الاوهام لانه قد رأى أن فيلا طلبه وهو عظيم الخلقه وهو يرمي من فيه النار وقد طلب من دون الخلق النعمان وسار له طالب والملك النعمان من خوفه ولى هارب وما قدر أحد من الانام أن يجير الملك النعمان وأراد الفيل أن يكسره فبينما هو على تلك الحاله واذا قد أقبل عليه شخص وبادر الى الفيل وهو يرمي النيران من زلومته وضربه بسيفه البتار فرمى رأسه وخمدت نيرانه وأقبل بعد ذلك على الملك النعمان وطيب قلبه وقال له لا تخف يا نعمان فها أنا هاني بن مسعود وقومي بنو شيبان فانتبه الملك النعمان من منامه وقد جمع أرباب دولته وسار الى مكة وفسر منامه على سطيح الكاهن فقال له اطلب هذا الغلام هاني وكن له مقاربا وهو الذي تخلص من هذه النيران فلما سمع الملك النعمان ذلك الكلام أرسل يطلبه وها نحن دائرين عليه في قبائل بني شيبان وأنا أقول بعين الفراسه انه أنت يا فتى فعندها تبسم هاني وصار يتعجب من هذه المعاني وكان الامير عنتر ورفاقه قاموا على الاقدام وهم ينتظرون مازن لانه قد أبطأ عليهم فاتى مازن وهاني معه فلما وصلوا اليهم وحقق عنتر الى هاني وقد

رأى صفته والمعاني فقال لاخيه مازن ويلك ما أشبه هذا الشخص بالذي أعطانا صفته الملك النعمان فان كان اسمه هاني بن مسعود فقد بلغنا المقصود فقال مازن والله ان اسمه هاني ثم ان مازن حدثه بما جرى له مع الاسد فخفق فؤاد الامير عنتر من عظم الفرح والسرور والذي حصل وقد دنا الى هاني واعتنقه وقبله وسلم عليه وأخذ بيده وحضنه الى أن نزل عن الجواد وقد بان له من الشجاعة والفروسية أكثر ما وصف له لاجل ما قد مارس الابطال ولما استقر هاني الى الارض أعاد عليه عنتر حديث الملك النعمان وكيف أبصر المنام فلما سمع هاني كلام عنتر رآه موافق كلام مازن ففرح هاني وقد تبسم وقال يا للعرب ان هذا من الكلام العجب ويجب أن يكتب بماء الذهب لان لي في هذا قصد وارب فقال له عنتر وما هو السبب يا ابن القوم الكرام فقال هاني اعلم ان لي ابنة عم وان اسمها ليلى وهي أحسن من كل من في قبيلتنا وحلتنا واني والله أحبها ومن أجلها قد تعلمت الفروسيه وصرت أتجسر على كل بليه فلما بلغت هذه المنزله وذلت لي الفرسان والشجعان وبارزت الاقران وخالطت الابطال فاتفق لي سبيع الحارث الملقب بذي الخمار وبارزته حتى أسرته ووضعته عندي في الوثاق الى أن فدى نفسه بالمال وأطلقته من الشد والاعتقال وبعد ذلك قد خطبت ليلى من أبيها وأطلعته على أموري كلها فاجابني وقد استحى مني ومن المشايخ الذين كانوا معي ولكنه طلب مني أشياء كثيرة من المهر ومن جملتها ألف ناقه من نوق الملك النعمان وهي النياق العصافيريه فاجبته الى ذلك ورجعت من عنده وأنا متفكر وأقول يا ليت شعري بماذا أتوصل الى الملك النعمان حتى أنال منه الارب لعله يعطيني كلما طلبت وقد بت تلك الليلة وأنا متفكر في هذا الامر واذا بهاتف يقول يا هاني لا تضيق صدرك من هذه الامور واصبر فان قسمك من السعادة موفور فانك ترى وتدرك الرجل المنتظر له وتقاتل بين يديه اذا ظهر وفي هذه الايام يصل اليك رسول الملك النعمان ويسألك أن تسير اليه في جماعة من بني شيبان وتدركه وهو في أضيق الخناق وتخلصه من الاعادي في أرض العراق ويحكمك في أمواله والنياق ويشيع ذكرك في سائر الآفاق ببركة صاحب البراق حبيب الملك الخلاق صلى الله عليه وسلم قال فلما ان سمع عنتر منه ذلك الكلام تعجب من هذا الاتفاق ثم ان هاني قال لعنتر ان الهاتف قال لي كن بهذا معتمدا وانني يا هذا لما ان سمعت من الهاتف هذا المقال بقيت من عاقبة هذا الامر خائف ولي أيام وأنا أتسلى بالصيد والقنص الى أن وصلتم أنتم وحققتم الغرض وما بقي الا المسير الى ملك العربان قال فما بقي في بني عبس الا من طرب بهذا الكلام وقال هذا يكون سبب الاقبال اذا قضاها رب السماء المتعال قال ثم ان هاني أقبل على عنتر وقال يا وجه العرب بحرمة شهر رجب الا كشف عن حقيقة ما جرى لكم لانني أرى لغتكم حجازيه عدنانيه وانتم ذكرتم انكم رسل الملك النعمان ومن اهل العراق فهذا تعال فقال له عنتر لا وحق من رفع السموات السبع الطباق وقسم على عباده الآجال والارزاق ما نحن الا رسل الملك النعمان ومن أجل حاجته أتينا في طلبك الى هذا المكان وأما قولك ان لغتنا حجازيه فحقا ما قلت نحن من بني عبس وعدنانيه وفي مكة اجتمعنا بالملك النعمان وفسر منامه بحضرتنا على السطيح الكاهن وامره أن يطلبك في آخر كلامه وان اردت ان تزداد بنا معرفة فانا اخبرك بالخبر على جليته اعلم انني انا عنتر بن شداد وهذا أخي مازن وهؤلاء بنو عمي واما رسل الملك النعمان فانهم قد تفرقوا في طلبك الى الحلل وكل مكان قال فوالله ما سمع هاني بذكر عنتر الا انه قام على قدميه وقبل عنتر بين عينيه وقال له يا مولاي القتك الى ارضنا بجوارك الميمون والله لقد كنت اطرب عند سماع ذكرك وصفتك ويرتاح قلبي ويشتهي قربك يا شمس الفرسان وانسان عين هذا الزمان وفرجة الميدان وحامي بلاد معد بن عدنان ثم ان هاني انشد وجعل يقول

انت في الدهر مالك ثاني * ووحيد تعد في الفرسان
خالق الرمح والحسام لاجلك * عن حقيق لا للذليل المهان
كل من يلتقيك في الحرب يلقى * جم لاما ثلا على الانساني
انت كهف لمن اتى مستجيرا * لينال الذمام ثم الاماني

قال فلما ان سمع الامير عنتر من هاني تلك الابيات شكره واثنى عليه ثم ان هاني بعد ذلك قال لعنتر يا سيد

الفرسان انني متعجب من الملك النعمان كيف انه أنفذ الى يطلبني و يطلب مني ناصر ومعين ومثلك أنت عنده من الطائعين فقال له عنتر والله يا هاني انك ما تركت لسانا يرد عليك قولا لانك قد وصفتني بصفات أنت أحق بها مني وأولى والا من أين يكون يستحق العبد مدح المولى لانك أنت كريم وقد أعطاك الرب القديم هذه القوة والجلاده وقد سبب لك أسباب السعاده لا سيما وأنت تذكر في الاوهام وعند المنام وتفرج الكروب في الاعلام ومن هذه الساعة هنيأ لك يا هاني بعلو المنزله و بلوغ الآمال ﴿قال الراوي﴾ فبينما هم في مثل هذا الكلام واذ قد أقبلت فرسان الملك النعمان من ناحية بني شيبان من بعد ما داروا الحلل والقبائل ورجعت وما نالت طائل فتلقاهم عنتر بن شداد وقد أخبرهم ببلوغ القصد والمراد ومعرفته بهاني بن مسعود وقد قال لهم اعلموا ان من ذلك اليوم قد زالت الهموم عنا والغموم وفي دون ساعة شاع الخبر في الجماعه وما فيهم الا من استبشر بالسعاده والاقبال وقد أعاد عليه ما سمعه من الملك النعمان فانفرج بعد ذلك قلب هاني بن مسعود ونادى اليه منادي السعود فعند ذلك رد القوم الى حلته وانزلهم في أبياته ففرح بنو عمه بما قد جرى له وما فيهم الا من استبشر بالسعادة والاقبال وقد نحر وعقر وخدم وتكرم وقد صنعوا الولائم والدعوات وتلقوا الايام بالمسرات ولما أبصر عنتر ان حاجة الملك النعمان قد انقضت فما أمكنه أن يقيم لاجل شغل قلبه بظهور ولده وشوقه الى بنت عمه ومن شدة ما أخذه من القلق ودعهم واعتذر وقد استأذن هاني في المسير وقد رحل هو وأخوه مازن طالبين بني عبس وأما الامير هاني فان القوم قد أقاموا عنده سبعة أيام وطلبوا العودة الى الملك النعمان فاجابهم هاني وقد اختار من قومه خمسين فارس وقد وعدهم انه يغنيهم و بنفسه يساويهم وكانوا أبطال اجبابرة لا يخافون الموت ولا حلول الفوت وقد ركبوا الخيل الجياد وفي أيديهم القنا والقواضب وتحملوا بكل ما يحتاجون اليه من السلاح وآلة الحرب والكفاح وساروا وصحبتهم هاني وجدوا في المسير في قطع البراري والبطاح الى أن أشرفوا على الملك النعمان وهو في شدة الضنك والضيق من الاعداء أصحاب الوجوه القباح ﴿قال الراوي﴾ ولما أن أقبل الامير هاني باصحابه وأبصر الغبار ثائر والقتال عمال فقال يا ترى ما يكون هذا الغبار فسار الى أن قرب منه فسمع صياح عساكر العجم وسيوفهم تلمع كالبرق فاسود في عينيه الغرب والشرق وقال لاصحاب النعمان يا وجوه العرب هكذا والله رأيت صاحبكم في المنام وأقول انه بعدكم غدرت به الايام فسيروا أنتم الى الرايات والاعلام واكشفوا خبر هذه العساكر التي في وسط الغبار ولكن ان فاتني حذري ولم يخطئ ان هذه الرايات رايات الملك النعمان وما فيها شك ولا بهتان وأما هذه الطوائف فهي طوائف خداوند بن كسرى انوشروان وانها قد ضيقت الدنيا على ملك العرب وما نعرف هذا السبب والصواب أن نتوصل الى هذه الرايات والاعلام والخيل التي دارت بالحريم فلا شك ان فيها حريم الملك النعمان التي عليهم المعتمد ثم بعد ذلك نعود الى هؤلاء الخلق الذين ما لهم عدد فقالوا له أصحاب الملك النعمان صدقت أيها الامير المنصان ولكن ما معنا علم بهذه الامور والاحكام فقال هاني وحق الواحد لافرقت هذه الجموع ولو كانت بعدد القطر اذا انسكب ثم انه قد زعق وحمل يطلب اياس بن قبيصه والرايات التي قد دارت بالحريم والعيال وقد طعن أيضا في صدور الرجال وقصر أيضا منهم الآجال قال وقد ذكرنا ان اياس خلى القتال وقصد حريم الملك النعمان في خمسة آلاف فارس وقد وضع السيف في الالف فارس الذين كانت مع الحريم واحتوى على جميع النسوان والصبيان وعول على العودة فرأى الخيل التي قد عادت نافرة وهاني في أثرها مثل الاسد اذا هدر وقد طعن فيهم طعن لا يبقي ولا يذر وأصحابه من خلفه يحمون ظهره و جانبه و يفعلون مثل فعاله فضاق المجال على الفرسان والرجال بين يديه تقع وتتكبكب والبر بصياحهم قد انقلب والابطال من على الخيل تتقلب وعمل فيهم الحسام المشطب والرمح الاملود المكعب ﴿قال الاصمعي﴾ قد بلغني عن هاني انه كان في ذلك اذا أدرك الفارس وقد قصر به الجواد وتمكن منه فيدفعه بقوته فيرميه بيده الى وراه و يطلب غيره قال فلما ان أبصر اياس فعاله صار ينادي في رجاله وأبطاله و يطلب أن يردهم الى قتاله فلا يسمعون مقاله بل يظنون ان في أثرهم ملك الموت باجناده السماويه وصاروا من فزعهم هاجين في

أقطار البريه فلما ان حقق ذلك أخذته النخوة الجميه وما رأى على نفسه الهرب بالكليه وقد سار يقاتل و يرمي في الأخطار الرديه فلما ان رأى منه تلك الحميه صار اليه وحمل عليه وكان حوله جماعة من خواصه فدعس فيهم و زعق في جمعهم فتركوه وتفرقوا عنه وقد أدرك اياس من بعد أن قتل جماعة من أصحابه ولما رأى اياس الى هاني وهو قابل عليه فصوب سنان رمحه اليه فعندها ضربه هاني طير أعلاه وقد أدركه بعد ذلك وفاجاه وقبض على درعه قبضة الاسد وجذبه برجله بما عليه من الزرد وقد سلمه الى جماعة من الفرسان وحمل بعد ذلك على الرايات والاعلام ففرقهم الى سائر الجهات وقد قال لرجاله اعلموا ان هذا الامر احتكم وقد آمنا على الاموال والحريم فخوضوا بخيلكم الغبار الاعظم واحملوا على هؤلاء القوم الذين هم من العرب والعجم والديلم و يكون قصدكم الملك النعمان لعل أن نخلصه من أصحاب هذا القرنان ثم انه اقتحم الغبار الشديد وهو ينادي يا نعمان لا تخف ولا ترتاع وابشر بالنصر على أعداك فقد أتاك هاني بن مسعود وقد حملت خلفه بنو شيبان بقلوب قد ملاها الموت وهان وقد أقام الحرب على ساق وقدم وموج بحر المنايا على الاعداء قد التطم وجمر اللظى قد أوقد واضرم والسيوف قد تثلمت من وقعها على القمم واللسان الفصيح من شدة الاهوال قد انعجم قال وقد كان الملك النعمان قد أشرف هو ومن كان معه على الهلاك والعدم وقد فنيت طائفة من بني لخم الا ان الملك النعمان لما ان رأى الى ذلك الامر والشان فتعلق قلبه بهاني لما ان سمع صوته وناداه باسمه لانه كان قد أبصره في المنام وسمع صوته وهو يقول يا لشيبان وهو على جواد أشقر على الخيل مضمر ومعه سيف مشهر فتعلق آماله بالنصر والظفر قال وأما هاني فانه خاض الغبار الذي كان على الجميع قد اعتكر وطير بحسامه الجماجم مثل الأكر وقد أسكر بكاسات الطعن من لا يسكر وقد حارت بقتاله الاوهام والفكر وقد نصل الابطال بالصارم الذكر وأتلف الاجسام وأفسد الصور وقد فرق عن الملك النعمان عباد النيران و بعدهم عباد الشمس والقمر وقد صار ان حمل على أي موكب انكسر لان الله تعالى قد أنفذ فيهم حكم القضاء والقدر فسبحان من لا راد لاحكامه ولا نقض لابرامه قال وما زال الامير هاني يقتل الفرسان الى أن دخل عليهم الليل وهجم وقد تأخرت طوائف العرب والعجم لان هاني كان في قلوبهم أحر من النار وقد أبصروا منه طعنات لا يقع عليها عيار فعادوا وهم يطلبون الرايات والاعلام وهم يتعوذون بالنور والنار من فعل هاني الاسد الكرار قال وكان هاني من حرصه قد خلص الملك النعمان ومن معه من الفرسان وكان قد أسر من أصحابه أزيد من ألف فارس قبل وصول هاني وقد أوثقوهم بالحبال وأما بنو طي فانها قد ضاقت صدورها لاجل أسر مقدمها اياس بن قبيصه وقد اجتمع السادات عند نابل مقدم طائفة الفرس وشكوا اليه أحوالهم فقال لهم اعلموا ان هذا الامر هين لكن امسكوا أنتم على النعمان سائر الطرقات حتى انني أريكم عند الصباح ما أفعل بهم وانجز أمرهم واكفيكم مؤنة هذا الشيطان الذي تصفوه وأدع باقي الخيل معكم لتنالوا من الملك النعمان كلما تريدون ثم انه طيب قلوبهم وبات ينتظر طلوع النهار وأما الملك النعمان فانه قد تلقى هاني عند عودته وقد ضمه الى صدره وبكى فرحا برؤيته وقد ساله عن حاله وعن قبيلته فحدثه هاني بقصته وأعلمه أن أصحاب الرسل قد وصلوا اليه مع عنتر ورفقته فقال له الملك النعمان والله لقد حليت بقدومك الافراح وحميت العيال والصبيان ولو جاء معك عنتر الآخر كان الامر قد هان وانكسر هذا العسكر ثم انه حدثه بما جرى معه من خداوند وكيف انه أرسل يطلب ابنته وكيف رد رسوله وهرب بعسكره وكيف لحقته العساكر والحال الذي تم عليه من الاول الى الآخر فطيب هاني قلبه ووعده أن يفرق أعداه وانه يغنيه عن عنتر وعن غيره فقال له الملك النعمان سوف أجازيك خير وترى ما يأتيك وأكافيك فقال له هاني سوف أقاتل بين يديك وترى ما أفعل بابن كسرى وآخذه برقبته من ايوان أبيه حقير ذليل وكيف أدعه معك يقاسي الاهوال في الليل والنهار فطاب قلب الملك النعمان بهذا الكلام وقد علم أن الذي قد أبصره في المنام قد لاح دلائله والبرهان ﴿قال الراوي﴾ وبعد ذلك قد نزل هو ومن معه عند البستان حتى لاح ضوء النهار فثارت الفرسان تطلب الحرب والطعان فركبت الفرس وأبطال خراسان وكذلك هاني و بنو شيبان

وقد ركب الملك النعمان ومن تبقى معه من الفرسان وما استقرت العساكر وتقابلت حتى قال مقدم العجم لاصحابه وحجابه قدموا الاسارى الذين معكم الى بين الصفين واضربوا رقابهم وارموهم الى ناحية النعمان واحملوا بنا كلنا حملة واحدة حتى تهلك هذه الطائفة اليسيره وتملكوا ما معهم من الاموال والعيال والحريم لان قتل الاسرا يهد ظهر النعمان ويفل عزم هذا الشيطان الى نصرته من أبعد مكان فاستصوب رأيه كل من كان حاضرا من الحجاب والاعوان وفى دون ساعه أخرجوا الاسارى وقد قادوهم بالحبال وقدموهم لضرب الرقاب وفراغ الآجال فلما أبصر النعمان الى هذه الفعال عرف حقيقة الحال فصعب عليه قتل الرجال وقد قال لهانى اعلم ان الاعداء قد عولوا على قتل أصحابنا فما الذى ترى من الرأى فقال هانى اعلم ان الرأى عندى أن تقدم أنت الآخر اياس بن قبيصه وتدعه ان تطلب منه الفدا بهذه الاسارى فان ابى ضربنا رقبته واشفى قلبك بقتلته لانه هو غريمك وهو الذى قصد الى سبى حريمك وبعد ذلك أنا أبلغك مناك وأشفى قلبك من أعداك فعندها أمر الملك النعمان باحضار اياس الى بين الصفين وقد عول عليه بالقتل واشهر من حوله السيوف وقد عرف ما جرى من أمر الاسارى وما يريد أن نفعل بهم مقدم العجم وأعلمه بالحال فقال له اياس اصبر على قليلا حتى أرسل اليهم من يعلمهم بالفدا ثم ان اياس أرسل الى مقدم العجم من ساعته رسولا يقول له لا تفعل شيأ من ذلك واعلم انك ان فعلت شيأ من هذا الامر فانا يقتلونى الاعداء ويعطبونى وتختلف عليك بعدى طوائف العرب الذين هم أصحابى وما تدرى بعد ذلك ما تلقى من الملك خداوند والا تكون مكسورا ويهربوا عنك أصحابى فتصبح مقتولا أو مأسورا قال ولما ان وصلت هذه الرساله الى الحاجب المتقدم على الفرسان فانه خاف من سوء عاقبة هذا الامر وقد قال فى نفسه ان الصواب أن أخلص نائب الملك ونعود كلنا بعد ذلك باجمعنا على قتال الملك النعمان وان لم أفعل ذلك والا وقع بنا الندم والخسران لاننا بعدد أعدانا أضعاف فما نبالى بخلاص هذه الطائفه ولو كانوا مثلها آلاف فعند ذلك قد جمعوا الاسارى وأخذوا عليهم العهد والميثاق وقد أطلقوهم بعدما كانوا أشرفوا على التلاق ولما ان وصلوا الى عند الملك النعمان رد على اياس عدته وجواده وأطلقه بعد ان سأله فى الصلح والعوده الى ديارهم فابى وقال ان الامر ما هو لى وانما الامر لنائب الملك خداوند ثم ان اياس ركب جواده وسار الى أن وصل الى العجم ثم انه بادر الى بنى در الى بنى طى وأمرهم باخذ الاهبة للحرب والقتال وقد فعلت طائفة العجم كذلك وأما هانى فقال للملك النعمان قف أنت تحت الاعلام فى طائفة بنى لخم واحموا الحريم والاولاد حتى اننى أفرق شملهم وأدعكم تنهبون أسلابهم ثم انه قال لبنى عمه أنتم احموا ظهرى وكونوا بالخيل الجنائب وأبصروا منى ومنهم العجائب ثم تقدم الى الميدان وصال وجال حتى ارتعدت منه الابطال ونادى يا آل فارس ابرزوا الى القتال ألف ألف فان عجزتم فاحملوا أنتم والعرب وأنا ألقاكم وحدى وادع لى ولكم حديث يذكر من بعدى ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع عساكر العجم مقال هانى تبادروا الى الحرب والقتال وسارت تخرج اليه فرق وتعود وهى من شدة الحرب تتكبكب فوقفت عنه الرجال وقد نظرت بعينها الاهوال وقد عاد هانى الى أصحابه رغير الجواد وأخذ رمحا من الرماح الطوال المداد وتقلد بسيف من السيوف الحداد يعمل فى الكبود عمل النار اذا ظهرت من الزناد وهو كانه من جبابرة قوم عاد أو من السبع الشداد ثم انه لما ان صار فى الميدان ترنم بهذه الابيات يقول

لا تشتكى يا حسامى من يدى مللا * واصبر على الضيم حتى تبلغ الاملا
ويا سنان قناتى لا تصاحبنى * الا وطعنك ماض يسبق الاجلا
عدمت سمر القنا ان لم أعلمها * قبض النفوس اذا نقع الغبار علا
وأترك الخيل فى الميدان جائلة * تصاحب الوحش أسرابا اذا جفلا
أنا الذى سجدت جن القفار له * وبات شيطانها من خوفه وجلا
علمت صيد سباع البر من صغرى * واليوم عدت أصيد الفارس البطلا
يا للاعاجم هبوا واقصدوا بطلا * تهتز من تحته الدنيا اذا حملا

ما سل صارمه فى وسط معركة * الا وأحرق سهل الارض والجبلا
فحاذروا سطوة النعمان وارتحلوا * قبل الهلاك ولا تصغوا لمن عذلا
فجمعكم عند مثلى لا يروعنى * يوم الطعان ولا يشفى لكم عللا
لاننى فارس الاقطار أجمعها * والناس تشهد انى فارس بطلا
أردى الكماة بطعن لا مثال له * أقاتل الجمع فى سهل وفى جبلا
وسائلوا الفرس عنى ثم عن عملى * يوم الطراد وها أنتم تروا العملا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الامير هانى من هذه الابيات نظر الى طائفة العجم فرأى ساداتهم قد داروا بالحاجب المقدم عليهم وهم فى مشوره وكلام فقال هانى لبنى شيبان تأهبوا للحمل على هذا الجمع حتى نفرقهم ولعلنا نميل العلم وقد انكسر هذا الجحفل وانهزم ثم أرسل الى النعمان يقول له اذا رأيت الاعاجم قد مالوا فاحمل أنت فى بنى لخم وقد انقضى الفصل وانفصل ﴿قال الراوى﴾ وكان اياس قد قال لنائب خداوند اعلم أيها الملك ان هذا الشيطان الذى قد أتى لنصرة النعمان انه من أبطال الحجاز وان غفلنا عنه أفنى أبطالنا فى البراز والصواب أننا نبارزه بالكثرة ونشيله على رؤس الاسنه والا ما بلغ من النعمان المنى فقال مقدم العجم هذا الامر ما نطاوعك عليه لانك أنت أسرت وذللت وأنا ما أسمع قول ذليل مهان ولكن أنا أشهد عليك انك قد عجزت عن قتال النعمان وقضاء حاجة الملك خداوند وأما أنا سوف أريك ما أفعل بهؤلاء القوم ﴿قال الراوى﴾ فقال اياس يا حاجب هذه الشهاده كيف تكون وقد أبصرتنى سائر الطوائف لما أسرت وقد شهدت على بالذل والعجز فافعل أنت ما بدا لك من الفعال التى تظهر الفخر والفضل ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى المحاوله والضجة وقعت فى جانب الموكب وركضت الخيل حتى خيل لهم أن الارض قد انقلبت وظهر هانى بن مسعود ورجاله حوله مثل الاسود وهو نشك بسنانه العلائق والكبود فابصره نايل فخرج من تحت الاعلام والبنود فى يده عامود واستقبل هانى بن مسعود بعدما زعق فى أبطاله والجنود وقد أراد ان يصدم هانى بن مسعود ويحول فما أمهله هانى ولا طاوعه بل صاح فيه وزعق عليه وطعنه طعنة فارس خبير بالشجاعة عارف بمواقع الطعان والبراعه وطلب بالسنان فؤاده نكسه عن ظهر جواده فعندها هاجت طائفة العجم وقد مال العلم واختلف رأى القوم وقلت الهمم وعرف النعمان ما جرى فطمع فى عساكر كسرى وصاح فى بنى لخم فحملت وفى أوائلها جار بن عامر وكان قد عمل فى هذه النوبة عملا تعجز عنه الابطال الكبار وهو الذى ثبت عساكر النعمان والا ما كان بقى منهم ديار ولا من يرد الاخبار وكان النعمان قد أثخن بالجراح وشرف على الهلاك من وجد أسنة الرماح فاشتد عزمه لما أبصر فعال هانى وأيقن بالنصر وبلوغ الآمال فحمل بهمته وأظهر المجهود من شجاعته وزادت به حميته ونخوته وغيرته على النسوان واشتد هول الطعان وتلفت الارواح فى الابدان وضاق عليهم المكان ﴿قال الراوى﴾ وكان اياس بن قبيصه لما ان أبصر طعنة الامير هانى الى نائل مقدم عسكر العجم فما بقى يسمع ولا يرى وقال أنا حصل لى نعمة كبيرة لانى أسرت وخلصت من هذا النحس فان ظفر بى ثانيا قتلنى ثم انه أبصر الاعلام قد مالت والكتائب الى أواخرها انقلبت وهانى قد جد فى طلبه ونثر الرجال بوقع مضاربه فولى خوفا على نفسه من الهلاك وكانت طائفة العجم قد عادت على الاعقاب من حين رأت سيدها ممددا على التراب وتفرقت بعد ذلك العرب وطلبت الفرار والهرب واتبعها هانى والنعمان وأصحابه واخوته الى آخر النهار وقد فرحوا بالنصر على عدوهم مستبشرين بخلاصهم وخلاص الحريم والاولاد والكل يدعون لهانى بن مسعود بطول العمر والبقاء ويشكرونه على ما قاسى وما لاقى وهو يقول للملك النعمان يا ملك لو علمت انى ألقاك على مثل هذه الحالة فى هذا المكان ما كنت أتيت الا بسائر قومى بنى شيبان وكنت أفنيت سائر طوائف العجم الذين خرجوا من خراسان وكنت حاصرت ابن كسرى فى الايوان فشكره الملك النعمان على ذلك الكلام وأقام هناك حتى أصبح الصباح ورحل بحريمه وقومه بصحبة الامير هانى بن مسعود الى بنى شيبان وأرض ديقار وقد عول على المقام فى

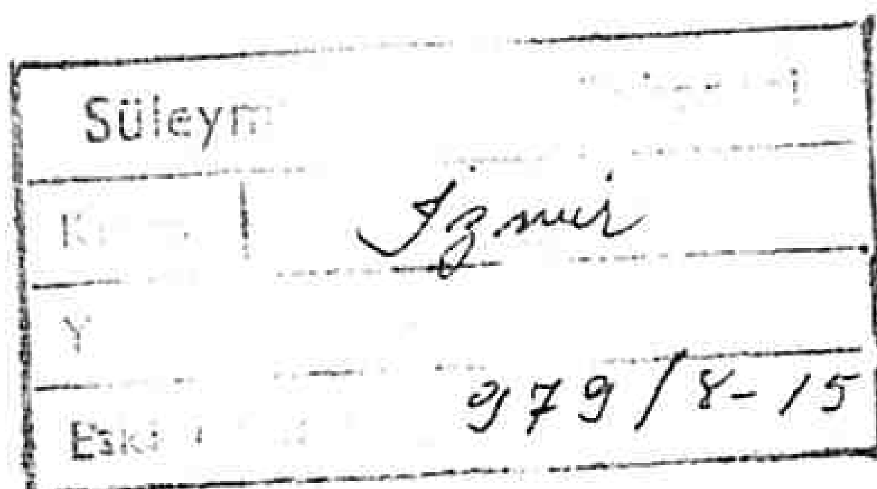
تلك الديار واعتقد على هانئ بن مسعود وقومه وفرسان الاقاليم والاقطار هذا وهانئ يطيب قلبه ويوعده أن يبذل من أجله نفسه وعشيرته ولا يحوجه الى أحد من العربان وهو يلتذ بالنسيم الذى يلقاه من الأرض كلما دنا من الديار ويذكر محبوبته ليلى ومنازل ذيقار وهو ينشد ويقول

قاق النسيم فزادنى قلقا * مرافزاد الهم وانطلقا * وقد تذكرت ذيقار فهيج لى
تذكارها الاشواق والحرقا * يا دار لا تبكى على ولا * زال السحاب عليه منه دفقا
ولكم شربت الروح مصطبحا * فيها وقد أمسيت مغتبقا * ووصف أوصافها اذا برزت
فى الليل أجلى نورها الغسقا * تصفو اذا راقت لشاربها * عجبا فلا يبقى له رمقا
فاشرب وهات الكاس واتركنى * من ذكر رسم دارس وبقى * واذا رأيت الحرب دائرة
وحسام داعى الموت قد برقا * ناد الى وخلنى فانا * أبرى الرقاب وأطعن الحدقا
سل بنى الاعجام عن هممى * واسأل ايامان شيطانه صدقا * لقد أتونا بآذان مخرقة
قد عودوها الكى أن تحمل الحلقا * ودوابل وصوارم قضب * تهتز فى أغمادها قلقا
فلقيتهم والخيل جائلة * عبس العوابس تنقطع رقا * فضربت فيهم ضرب مقتدر
بمهند فى العظام قد زعقا * وطعنت سيدهم فمال وقد * بدلت طيب نعيمه بشقا
ونثرتهم نثر الغصون اذا * عصف الرياح وألقت الورقا * ورجعت أركض فى الدما خببا
والمهر تحتى يحذر الزلقا * وغدا يرى النعمان أى فتى * يحمى الحريم اذ الغبار رقا

﴿قال الراوى﴾ فلما فرغ هانئ من هذه الابيات طربت لها السادات ونزل فى قلب النعمان واخوته باعلا مكان وعلموا انه فريد ذلك الزمان فساروا معه يقطعون المنازل ويردون الغدران والمناهل حتى أشرفوا على ذيقار وديار بنى شيبان فارسل هانئ بعض بنى عمه وعشيرته يخبر قومه ويبشرهم بقدومه فلما وصلوا أعلموهم بقدوم هانئ فركب سيدهم بدر بن عبد شمس فى سائر الفرسان والتقوا الملك النعمان أحسن ملتقى وانزلوهم فى أرض واسعة خصبة يقال لها أرض النقا وأكرموه وخدموه وعملوا له الدعوات والولائم وفرحوا بنزوله عليهم فلما طاب لهم المزار واستقرت بهم تلك الديار أرسل النجابة الى سائر قبائل العرب فى الحجاز لاجل ان يعلمهم بما تم عليه من خداوند بن كسرى ويطلب منهم نجدة على الاعاجم ان طلبوه مرة أخرى وكذلك أرسل الى بنى عبس وأقام ينتظر ما يتجدد ﴿قال الراوى﴾ وكان عنتر بن شداد بعد فراقه لهانئ بن مسعود وانفاذه الى النعمان قد صار يطلب أرضه وهو لا يصدق أن يرى الديار لان فى قلبه النار من أجل الولد الذى ظهر له وأخبره به سطيح الكاهن لما فسر له المنام فى البيت الحرام فقطع الأرض حتى شارف ديار بنى عبس فعلم به أحبابه وأصحابه وأصدقاءه فخرجوا الى لقاه وميسره فى أوائلهم وعمه شيبوب وعروة على أثرهم هو وأبطاله وسادات بنى عبس وبنى زياد وشيبوب يهرول بين أيديهم الى أن قاربوا أخاه عنتر وقالوا له ما لقيناك أحسن ملتقى الا بولدك ميسرة وكان عنتر قبل أن يصل اليهم رأى قبرا على جانب الطريق جديدا فلما أشرف عليه وقف وبكى وقال والله هذا قبر صديقى مقرى الوحش رحمه الله تعالى فقال له أصحابه من أعلمك بذلك ثم انه بكى وزاد فى الاشتكا وأكثر التأسف والنكال وقال لهم والله انه كان نعم الصديق وخير رفيق وهذا قبره على التحقيق وان كنتم تلوموني على فعالى ولا تصدقونى فى مقالى فليقف بعضكم ثم انه يتأخر ويبصر ما يكون من هذا العشب الاخضر الذى على القبر كيف انه يخضر عند قدومنا ويذبل عند فراقنا وسيرنا ﴿قال الراوى﴾ فتأخر جماعة من الفرسان وما لحقوا أن يقفوا نصف ساعة حتى ذبل ذلك العشب واضمحل ويبس كانه ما كان ولا طلع فى ذلك المكان فعندها قد سار ولحقوه وقد أعلموه بما رأوه وقالوا له ان العشب قد نشف وصار حطاما يابسا فقال لهم أنا قلت لكم ذلك ثم انهم ما زالوا سائرين وعنتر قدام القوم حتى أشرف على الديار والتقوا به أحبابه كما قد ذكرنا وقال له شيبوب يا أبا الفوارس ما نستقبلك بأحسن من ولدك ميسره الذى سهله الرب القديم ويسره وأما ميسره فانه لما أقبل أبوه عنتر ترجل وأسرع اليه وصار يقبل قدميه ويديه وعنتر غائب عن الوجود من شدة فرحه به

ترجل عن الجواد واعتنقه وبكى بكاء الفرح والسرور وقال لشيبوب ويلك يا ابن الام انا قد ثبت عندى الصحيح وقد أخبرنى بهذا الولد كاهن العرب السطيح وأنتم من أخبركم عن هذا الحال ومن هى أم هذا الولد الذى قد ظهر لى فبين لى الحق من المحال ﴿قال الراوى﴾ فقال شيبوب يا ابن الام هذه أمه مهريه التى سبيناها فى أرض بنى دارم لما ان سرنا نخلص الابجر من قبضة اللقيط بن زراره وقد بت أنت عندها فى الوادى وأنت قلت سوف أفرح قلبه كما فرح قلبى على جوادى ولما ان عدنا لقينا ابن عمها وقد أتى بمهرها بعد ما أسرته وهممت بقتله فلما ان سمع عنتر هذا الخبر بان له الامر وظهر وانكشف اليه حقا واشتهر وقال لشيبوب ومهريه عندكم اليوم فقال له نعم يا ابن الام عندنا وقد ضربنا لها ولولدها سرادق كبير وتركناه برسمها فزاد فرح عنتر بهذه الامور وعلم انه بولده منصور وقد تعجب كيف تحدث الايام والدهور وقال ان العقول تعجز عن ادراك قدرة رب العباد ولا تهتدى الى ما سبق فى علمه من الصلاح والفساد ثم عاد الى ظهر جواده وركب ولده ميسرة بعده وسار فرأى سبيع اليمن بن مقرى الوحش لابس السواد فعلم ان أباه قد مات فسأل عنه فقال له عروة والله يا ابن العم ما وصل معنا ولا سلم من ذلك الجرح بل انه فى الطريق قد مات فقال عنتر واطول حزناه عليه ان فقده انسانى حلاوة لقاء ولدى ميسرة ولكن هذه الاحوال مقضيه وبامر الله مدبره





﴿تم الجزء الخامس عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شداد﴾



